﴿كتاب التوحيد﴾

﴿الذي هو حق الله على العبيد﴾

الإمام محمد بن عبدالوهاب

- رحمه الله -

شرح أ.أناهيد السميري

- حفظها الله -

١٤٣٩ هـ.

جميع اللقاءات[1]

[1] *تنبيه* هذه اللقاءات لم تطلع عليها الأستاذة - حفظها الله- وهوتفريغ بعض الطالبات؛ فما كان من توفيق فمن الله، وما كان من نقص وتقصير فمن نفوسنا والشيطان.

نسخة جاهزة للطباعة بإذن الله؛ ويمكن اختيار الباب المراد من خلال الفهرس بالضغط على CTRL+CLICK

الفهرس

الفهرس ٢

كتاب التوحيد وقول الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ٧

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب وقول الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ) [الأنعام:٨٢] ٢١

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ٣١

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب وقول الله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ). وقال: (وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ). ٣٧

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب **وقول الله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ). وقال: (وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ).** ٤٤

باب الخوف من الشرك وقول الله عزوجل: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء) ٦٢

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله الله ٦٩

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ٨٠

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه وقول الله تعالى: (قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) الآية. ١١٣

باب ما جاء في الرقي والتَّمائم ١٣٠

باب من تبرَّك بشجرةٍ أو حجرٍ ونحوهما ١٤٨

باب ما جاء في الذبح لغير الله ١٩٣

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ٢١٥

باب من الشرك النذر لغير الله ٢٢٦

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله ٢٣١

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره ٢٤٥

باب قول الله تعالى: (أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا) ٢٨٥

باب قول الله تعالى: (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) ٣٠٢

باب الشَّفاعة ٣٠٩

باب قول الله تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) ٣٣٠

باب ما جاء أنَّ سَبَب كُفر بَني آدم وتركهم دينهم هو الغلوّ في الصالحين ٣٤٠

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ٣٦٩

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله ٣٨٨

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان ٤٢١

باب ما جاء في السحر ٤٣٨

باب بيان شيءٍ من أنواع السحر ٤٥٥
باب ما جاء في الكهان ونحوهم ٤٦٩
باب ما جاء في النشرة ٤٩٩
باب ما جاء في التطير ٥٠٧
باب ما جاء في التنجيم ٥٤٢
باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء ٥٦٢
باب قول الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) ٥٩٥
باب قول الله تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ). ٦٢٧
باب قول الله تعالى: (وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ). ٦٧١
باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله ٧٠٠
باب قول الله تعالى: (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ). ٧١١
باب ما جاء في الرياء وقول الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ). ٧٣٤
باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ٧٤٩
باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله ٧٧٦
باب قول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلًا بَعِيدًا) ٧٨٦
باب قول الله تعالى: (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) ٨١٦
باب قول الله تعالى: (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) ٨٣٨
باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله ٨٥٧
باب قول: ما شاء الله وشئت ٨٦٦
باب من سب الدهر فقد آذى الله ٨٧٩
باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه ٨٩٩
باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك ٩١١
باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ٩١٨
باب ما جاء في قول الله تعالى: (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي) ٩٣٦
باب قول الله تعالى: (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا) ٩٥٨
باب قول الله تعالى: (وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ). ١٠٠٥
باب لا يقال: السلام على الله ١٠١٨
باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت ١٠٣٢

باب لا يقول: عبدي وأمتي ١٠٤٣
باب لا يرد من سأل الله ١٠٤٦
بــاب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة ١٠٥٤
باب ما جاء في اللو ١٠٥٩
باب: النهي عن سب الريح. ١٠٨٩
باب قول الله تعالى: (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) ١٠٩٢
باب ما جاء في منكري القدر ١١٣٣
باب ما جاء في المصورين ١١٦٢
باب ما جاء في كثرة الحلف ١١٨٢
باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه. ١١٩١
باب ما جاء في الإقسام على الله ١٢٠٣
باب لا يستشفع بالله على خلقه. ١٢٠٧
حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك. ١٢١٤
باب ما جاء في كثرة الحلف ١٢٢٤

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

الحمدلله الذي يسر لنا هذا اللقاء، ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاءًا مباركًا مرحوما..اللهم آمين.

سندرس خلال هذا الأسبوع إن شاء الله كتاب التوحيد، اسأل الله عز وجل أن يجعلها دورة مباركة، نقول سريعًا ما طريقة الدراسة؛

• طريقة الدراسة •

سنة أولى يعرفون طريقة الدراسة لكن نشير إليها مرة أخرى؛

هذا كتاب التوحيد مثل بقية المتون؛

ما طريقة دراسة المتون؟ المتون لها ثلاثة مراحل في الدراسة.

ثلاثة طرق في الدراسة :

- **الطريقة الأولى: الطريقة المختصرة "القراءة الأولية".**

هذه القراءة الأولية ماذا نحقق فيها؟ نتعرف عمومًا على المتن، وعلى أبرز مقاصد المتن، يعني نحقق أبرز مقاصده.

- **الطريقة الثانية: الطريقة المتوسطة.**

مثل الطريقة الأولى المختصرة لكن الزائد فيها تفصيل مباحث في الموضوع أكثر.

يعني مثلًا لو أتكلم عن التبرك مثلًا:

- في الطريقة المختصرة فقط أقول ما معنى التبرك كيف يكون التبرك ثم اشرح الأدلة.
- في الطريقة المتوسطة يطول الكلام حول نفس موضوع التبرك.

- **الطريقة الثالثة : الطريقة المطولة.**

الطريقة المطولة ما الفرق بينها وبين المتوسطة والمختصرة؟ أن كل شيء في الدليل اتكلم عنه، الراوي، الموضوع الشاهد على التوحيد وغيره.

مثلًا لما النبي صلى الله عليه وسلم يرد حديث **أربعة من أمر الجاهلة**[٢]، ويأتي فيها شيء من التوحيد إشارة إليه، ويأتي فيها كلام عن النياحة:

- في الطريقة المختصرة والمتوسطة ما أتكلم أبدًا عن النياحة، ما هو موضوعي، إنما أخذ الشاهد مباشرة وأناقشه.
- في الطريقة المطولة أشير إليه، يعني كل شيء في الدليل أتكلم عنه هذه تسمى الطريقة المطولة.

[٢] عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ"، وَقَالَ: "النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ". أخرجه أحمد (٣٤٢/٥، رقم ٢٢٩٥٤) ، ومسلم (٦٤٤/٢ ، رقم ٩٣٤) ، وابن حبان (٤١٢/٧ ، رقم ٣١٤٣) ، والحاكم (٥٣٩/١، رقم ١٤١٣) وقال : صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (١٤٨/٣، رقم ١٥٧٧) .

"نحن الآن في كتاب التوحيد المفروض ندرس بالطريقة المختصرة إلَّا أن كثير من اسئلتكم سواء كنتم سنة أولى أو غيركم هي سبب للتحول إلى الطريقة المتوسطة، فالاسئلة هي التي تنقلنا، لكن في الأصل نحن نسير في المختصرة، نحن سنختار المختصرة وإجبارًا سنتحول إلى الطريقة المتوسطة إذا حصل عندكم إشكال."

كتاب التوحيد كيف يدرس دونًا عن بقية الكتب؟ -هذه مسألة تخص هذا المتن بالذات-

كيف يدرس كتاب التوحيد بالذات؟ ينظر في هذا الأمر إلى طريقة التأليف، كيف ألف هذا الكتاب، يعني تأليفه سيؤثر على طريقة دراستنا له.

أولًا افهم هذا الكتاب ثم افهم طريقة تدريسه.

هذا الكتاب ما طريقته أصلًا في التأليف على أساسه سأعرف طريقتي في الدراسة.

- عبارة عن ماذا؟ هو متن، لما أقول متن سيكون كلام مختصر، لما أقول متن ليس شرطًا الأدلة؛
  - كلمة متن يعني كلام مختصر متين، أمَّا الشرح سيكون مختصر عكس مطول.
  - والأمر الثاني سيكون ليس متينًا بمعنى أنه مفصل، ما هو ممتون ٠لأ٠،مفصل.

الآن هذا الكتاب عبارة عن متن؛ العلماء كيف يكتبون المتون؟ طريقة كتابة المتون:

- ممكن أن تكون سردًا، وراء بعضها.
- وممكن أن تكون فصولًا.
- وممكن أن تكون أبوابًا.

هذا الكتاب عبارة عن أبواب.

الأبواب كيف رتبها الشيخ؟ كيف عقدها؟ في الكتاب انظروا إلى الأبواب، عبارة عن أبواب ليست فصولًا إنما أبوابًا، ثم كل باب ماذا وجدتم تحته؟ ليس من الفهرس إنما من داخل الأبواب نفسها، ماذا وجدتم؟ أدلة، وفي بعض النسخ موجود بعد الأدلة كلها مسائل.

- هذا الكتاب أصلًا عبارة عن أبواب - والأبواب تحتها أدلة من الكتاب والسُّنة - والأدلة تحتها مسائل.

الأبواب هذه ما علاقتها ببعض؟ يعني لما كتب الكتاب أبوابًا هل الأبواب لها علاقة ببعض أم منفصلة؟ نقول الأبواب لها علاقة ببعض، يعني ترتيبها كما يعبر ترتيبًا منطقيًا، ينتقل من موضوع إلى موضوع.

تناول الآن هذا الأمر كيف يؤثر على دراستنا؟ يعني لما يكون ألف الكتاب المتن هذا على أبواب، عقد أبواب والأبواب مرتبة ترتيبًا منطقيًا – متسلسلة يعني-ستكون دراستنا أننا سنحول الكتاب إلى مجموعات متصلة مع بعضها، أبواب مع بعضها ندرسها مع بعض، ونفهم أن هذه الأبواب تشير إلى كذا، مادام عقد أبوابًا إذن اسماء الأبواب لابد أن يكون لها قيمة عندك.

انظروا إلى الباب الأول؛ اسم الباب:

كتاب التوحيد وقول الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[٣]

ثم أتى بعده بأدلة من الكتاب وأدلة من السُّنة.

هذه الأدلة التي من الكتاب ومن السُّنة تدل على ماذا؟ تدل على ما يناقش في العنوان.

انظروا إلى الباب الذي بعده:

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

الأدلة التي تحته تناقش فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، إذن هذا الكتاب عبارة عن أبواب، الأبواب تحتها أدلة من القرآن والسُّنة، الأبواب لها علاقة مع بعض متسلسلة، وكل اسم باب سيناقش تحته الأدلة التي تبيِّن لك هذا الاسم.

معناها الكتاب سيتحول إلى مجموعات، كل مجموعة أبواب ستشكل لنا مفهوم.

نبتدأ أولًا بالمقدمة لهذا الكتاب

صاحب الكتاب لم يقدم لهذا الكتاب بمقدمة من كلامه، على طول انت أول ما تفتح الكتاب تجد كتاب التوحيد، هل هذه الطريقة متبعة؟ يعني هل العلماء يتبعوا هذه الطريقة؟ العلماء لهم طريقتين في مقدمة كتبهم، خلينا نأخذ طريقة البخاري أولًا.

الذي يفتح البخاري سيجد أول ما يفتح البخاري ما يجد مقدمة من كلام البخاري، إنما يجد على طول **كتاب بدء الوحي**، ويجد بعده دليل " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ"، مع أن هذا الدليل ليس له علاقة مباشرة ببدء الوحي لكنه كأنه رمز يرمز به إلى أنه أبتدء هذا العمل وهو يريد وجه الله، هذه طريقة، نفس هذه الطريقة التي اتبعها البخاري موجودة في هذا الكتاب، ما بدأ بكلام إنما بدأ مباشرة بمقصوده الذي هو الكلام عن التوحيد.

لأن هذا كتاب التوحيد سيتكلم فيه عن التوحيد لكن ليس بابًا واحدًا، يعني كأنك تقولي هذه المقدمة ماذا قال فيها؟ هذه المقدمة قال فيها التالي الذي تفهمه من [انظروا إلى الفهرس أول أو أخر الكتاب على حسب كتبكم] نقرأ اسماء الأبواب:

- أولًا: **كتاب التوحيد وقول الله تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٤]
- الثاني: **باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.**
- الثالث: **باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.**
- الرابع: **باب الخوف من الشرك.**
- الخامس: **باب الدعاء إلى شهادة أن " لا إله إلَّا الله "**
- السادس: **باب تفسير التوحيد وشهادة أن " لا إله إلَّا الله ".**
- السابع: **باب من الشرك لبس الحلقة والخيط**

يعني بدأ يفسر التوحيد، يعني ستة أبواب تعتبر بمثابة المقدمة.

---

[٣] الذاريات:١

[٤] الذاريات:١

كيف مشي؟ هو الآن الكتاب يسمى كتاب التوحيد سيشرح فيه التوحيد، فأول ما يبتدأ يريد أن يلفت نظرك إلى أهمية التوحيد، لأن هذه الكلمة قد كون أصلًا غير مسموعة، أو مسموعة وغير مقدرة.

يعني الناس على صنفين تجاه كلمة التوحيد:

- أمَّا صنف أصلًا هذه الكلمة ما مرت عليها ولا سمعها، سمع من علوم الدين كثير لكن هذه الكلمة ما سمعها.
- أو سُمعت كلمة التوحيد لكن ليس لها القيمة التي مفروض تكون لها.

فكأنه في بداية الأمر يقول لك أولًا قبل أن تسمع عن التوحيد وعن تفاصيله لأنك ممكن لما تدخل إلى التوحيد تقول مسألة معقدة ولست بحاجة إليها، ومفاهيم قد تصل بي إلى الوسواس كما يعبرون اليوم، فأي دقة تفكير في مشاعرنا القلبية على طول نتهم أننا موسوسين، أي ملاحظة إلى حركة القلب على طول تتهم أنك موسوس، ولهذا الأتقياء دراويش عند الفجار، **الأخيار دراويش عند الفجار**، يعني الفاجر ينظر إلى الخيِّر من الناس على أنه درويش، في مقابل أن هؤلاء لو كانوا حساسين شديدي ملاحظة أمر الدنيا، شديدي ملاحظة العلاقات، شديدي ملاحظة الكلمات التافهة التي ليس لها قيمة التي تكون بين الناس، يعني الآن الناس حساسين وحساس يعني أي كلمة تقال له تؤثر فيه؛

فيه واحد يعالج هذه الحساسية بأن يكون إلى الله تائبًا ويستعمل قول الله ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾[٥] وفيه واحد يعيش حول هذه الحساسية إلى أن يهلك نفسه، لكن لا أتكلم عن هذا الأمر، أتكلم الآن لو واحد كان حساس من كلام فلان وفلان، وواحد يسمع منه يقول له انت حساس على صيغة المدح، لكن لما يأتي يقول حساس تجاه عمل قلبه، وتجاه مراقبة قلبه مع الله، وتجاه أثر ذنوبه على نفسه، وتجاه الأمر الذي بينه وبين الله يقال له انت موسوس، وهذا أمر ليس بجديد لكن المفروض تفهموه، ليس أمرًا جديدا أن يكون الأخيار عند الفجار دراويش، هكذا يتصورونهم!.

والأخيار أكثر ناس لهم بركة على الأرض وعلى أهلها، لأن الفجار هؤلاء إذا تولوا سعوا في الأرض يفسدوا فيها، وما إفسادهم في الأرض إلَّا بالذنوب والمعاصي.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا مباركين أينما كنا، ولن تكون مباركًا إلَّا وانت موحد، إلَّا وانت قلبك معلّق بالله ليس بغيره، **ولن يكون قلبك معلّق بالله ليس بغيره إلَّا إذا أصبحت انت واحد لواحد.**

الآن يقال لك أترك عنك كل أحد، وكل تفكيرك وشغلك واهتمامك يكون في علاقتك مع ربك، ثم اعلم أنك لو أقبلت على ربك أقبل الله عز وجل عليك بقلوب أهل الأرض، وأقبل عليك بالخيرات التي مكتوبة لك أصلًا، ففي نهاية الأمر **انت ترحم لما تتعلم التوحيد**، ترحم نفسك؛ من عظيم رحمة الله التي يحمد عليها أنه لم يجعل بيننا وبينه أحد، **وأنه سبحانه وتعالى واحد لا شريك له فلا نلجأ إلَّا إليه**، ومن أجل أن تذوق طعم التوحيد لابد أن تتعلمه بالتفصيل.

نحن كلنا لا نختلف على أننا نعرف توافه الأمور بالتفصيل، وكل واحد فينا له هوى في مسألة معينة يعرف توافهها الدقيقة، يعني الذي له هوى في الأناقة – وانتم لا تفهمون الكلام بالعكس لما نضرب مثال يصبح معناه محرم لا تفهموا هذا!– أنا أضرب مثال

[٥] الأعراف:١٩٩

من أجل أن تتصور، لأن "إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ"[٦] ، والجمال هذا ما هو ممنوع إلَّا أن يكون شاغلًا لك، لكن أنا لا أتكلم عن هذا أنا أتكلم عن ثقافتنا، انظر إلى ثقافتك الآن؛

لما تكون واحد مهتم بالأناقة تعرف تفاصيل الأناقة، بمعنى أن لو أحد قال لك أي ماركة تعرف منشأها ومن أين وإلى أخره، وطبعًا الناس مستويات في هذا، واحد يعرف أصلًا الماركات، وواحد ما له علاقة بالماركات، وواحد يعرف حتى يميز علامة الماركة أن هذه العلامة لكذا وكذا، في مقابل لو سئل عن سور القرآن ما له علاقة بها، بل كثير من الأحيان يقول هذه آية ما أعرفها أو أول مرة اسمعها، هو ليس شرطًا هذا معناه هذا، لكن أقول الآن لما تكون أنيق ما أحد يكلمك لما تعرف تفاصيل الأناقة، ولما تكون مفتون بالطيب تعرف تفاصيل التفاصيل عن الطيب، ولو كنت مفتون مثلًا بدهن العود أو بالبخور تعرف تفاصيل التفاصيل، بل تستمتع بالتفاصيل؛

لكن لما تكون عابد عند باب ربك واقف ستستمتع بماذا؟ بتفاصيل التفاصيل التي تقربك إلى ربك ومن أجل ذلك الناس ليسوا سواءًا، ومن أجل ذلك انت بنفسك لما تكون مقبل على العلم غير لما يكون عندك الحد الأدنى، **فكونك أقبلت تريد وجه الله لازم تملأ قلبك علم، وما في أمر مهم تملأ قلبك به إلَّا التوحيد،** لأنه بعد التوحيد يأتي الإنكسار، والذل، والخشوع، والخضوع، وكل ما تتصور من عبادات نقطة البداية هي التوحيد، لماذا نقطة البداية هي التوحيد؟سنرى.

أين مكان هذا التوحيد؟ أين المطلوب أين يقع؟ يعني من أجل أن تكون موحد ماذا ستفعل؟ بجوارحك ولا بقلبك ولا بلسانك ماذا ستفعل من أجل أن تكون موحد؟ الموحد صاحب قلب، **انت من أجل أن تكون صالح فيه مكان واحد أصلحه سيأتي بعده الصلاح،** فقط انت مطلوب مكان واحد أن تصلحه من أجل أن يأتيك من ورائه الصلاح.

من قال هذا الخبر؟ قاله من أتاك مرسولًا من عند ربك، يدلك أين الصلاح، قال لك " أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً" – مضغة لينة عضلة – "إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ "[٧] يصبح انت اوتيت المفتاح، عُلمت ما الذي يأتي بصلاحك، ما الذي يأتي بصلاحك؟ قلبك لو صلح يأتي الصلاح كله.

واحد طريق سأسير فيه سيوصلني إلى الصلاح، ما هو هذا الطريق؟ إصلاح القلب،القلب هذا ما يصلحه؟ ما يصلحه إلَّا أن يكون لواحد؛

كن واحدًا لواحدٍ

من أجل أن يكون قلبك لواحد فقط معناه أنك ستأتي بالتوحيد.

إذن لماذا تعتني بالتوحيد– من نقطة البداية –؟ لأن انت صلاحك معتمد على صلاح قلبك، وصلاح قلبك لا يأتي إلَّا بالتوحيد.

هذه الكلمة ما مكانها في الدين؟ يعني من أين أتيتم لنا بكلمة التوحيد في الدين الذي نعرفه أين مكانها؟ تعال إلى حديث جبريل المعروف الذي نتفق كلنا على أن الدين فيه، **حديث جبريل الذي فيه الإسلام والإيمان والإحسان**[٨]، تقول أنا طول عمري أعرف الإسلام والإيمان والإحسان لكن التوحيد من أين أتى؟ تعال نتفاهم على حديث جبريل.

---

[٦] رواه مسلم من حديث ابن مسعود(٩١)

[٧] رواه البخاري(٥٢)، رواه مسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان ابن بشير.

يعني نقطة البداية متفقة بيني وبينك، البداية من عند حديث جبريل؛ تعال قل لي الإسلام ما هو؟ تعدوا، الإيمان ما هو تعدوا، الإحسان ما هو تعدوا.

- ابدء بالإسلام سيظهر لك أن الإسلام عبارة عن عمل باللسان [شهادة أن " لا إله إلَّا الله "] وعمل بالأركان الجوارح [إقام الصلاة، الحج، إلى أخره]
- نرى الإيمان ما هو؟ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.

أهم ركن في الإسلام وأهم ركن في الإيمان ما هما؟

- في الإسلام أهم ركن الشهادة.
- وفي الإيمان الإيمان بالله.
- الآن أريد أن أفهم ما معنى الإيمان بالله؟
- تؤمن بوجوده سبحانه وتعالى.
- وتؤمن أنه كامل الصفات سبحانه وتعالى، ربّي عباده بكمال صفاته.

إذا كان هو كامل الصفات وربّي عباده بكمال صفاته إذن تؤمن أنه وحده المستحق للعباده، لأنك انت تعبد يعني تتذلل؛ العبادة يعني الذل، طريقٌ مُعبد يعني طريقٌ مذلل.

فالعبادة هي الذل، انت تتذلل لمن؟ **لا تتذلل إلَّا لمن تعتقد أنه كامل الصفات وأنه جميل الإنعام عليك**، هو الذي أوجدك وأعدك وأمدك وأسعدك، فالإيجاد والإعداد والإمداد والإسعاد كله من فعله سبحانه وتعالى.

- إذن تؤمن به يعني:
- تؤمن أنه كامل الصفات ولا كامل إلَّا هو سبحانه وتعالى.
- وتؤمن أيضًا أنه هو الذي رباك [أوجدك وأعدك وأمدك وأسعدك]، فله الإيجاد والإعداد والإمداد والإسعاد، إذا كان هو وحده كامل الصفات وهو وحده الذي أوجدك وأعدك وأمدك وأسعدك الناتج؟ أن هو وحده الذي يستحق العبادة، هذا معنى إيمانك بالله.

- تعال إلى هذا الإيمان بالله وقل لي هو عبارة عن ماذا بكلمة التوحيد؟
- تعتقد أنه وحده كامل الصفات أصبح هذا **توحيد الاسماء والصفات**، نحن نقول وحده كامل الصفات إذن –تعبير أخر– أن هذا توحيد الاسماء والصفات.
- تعتقد أنه وحده الذي أوجدك وأعدك وأمدك وأسعدك هذا يسمى **توحيد الربوبية** — رباك–

---

[٨] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ مَا الْإِيمَانُ قَالَ الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ قَالَ مَا الْإِسْلَامُ قَالَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ قَالَ مَا الْإِحْسَانُ قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتْ الْأَمَةُ رَبَّهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ الْآيَةَ ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا فَقَالَ هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ جَعَلَ ذَلِك كُلَّهُ مِنْ الْإِيمَانِ؛ صحيح البخاري-كتاب الإيمان - بَاب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ (٥٠)

- ثم تعتقد ناتج هذا أنه هو وحده الذي يستحق العبادة هذا يسمى **توحيد الإلوهية**، توحيد العبادة؛ [توحيد الإلوهية هو نفس كلمة توحيد العبادة].

إذن ما مكان التوحيد بالنسبة للدين؟

- نحن بدأنا من عند حديث جبريل، ثم قلنا هذه مرتبة الإسلام، وهذه مرتبة الإيمان.

وأهم شيء في مرتبة الإيمان الإيمان بالله.

- ثم أتينا عرفنا الإيمان بالله: هو الإيمان بأنه كامل الصفات سبحانه وتعالى، وأنه هو الذي ربّي عباده، وأنه هو المستحق للعبادة.
- ثم أتينا قلنا أن كامل الصفات وحده يعني: **توحيد الاسماء والصفات**.
- هو الذي ربّي عبادة وحده يعني **توحيد الربوبية**.
- هو وحده المستحق للعبادة هذا **توحيد العبادة**.

صار هذا كله تحت الإيمان بالله، صار التوحيد أين مكانه بالظبط؟ هو الإيمان بالله.

مرة أخرى:

- نحن الآن بدأنا من نقطة أركان مراتب الدين من حديث جبريل، وقلنا حديث جبريل قسم الدين إلى ثلاثة أقسام: الإسلام والإيمان والإحسان.
- وقلنا أهم ركن أهم ركن في الإسلام شهادة أن " لا إله إلَّا الله ".
- أهم ركن في الإيمان الإيمان بالله.
- ثم قلنا نعرف ما هو الإيمان بالله؟ بجملة مختصرة: أن تؤمن أنه كامل الصفات، وأنه رباك، وأنه هو وحده المستحق للعبادة؛
- هذه الثلاثة أشياء عبارة عن توحيد الاسماء والصفات والربوبية والإلوهية.

صار التوحيد ما مكانه؟ ما مكان [الإلوهية والربوبية والاسماء والصفات]؟ هو الإيمان بالله.

إذن الإيمان بالله هو التوحيد ، التوحيد هو الإيمان بالله.

بعد هذا كله اكتبوا جملة مختصرة، ما هي الجملة المختصرة؟ **أن التوحيد هو الإيمان بالله.**

لا تنسى أبدًا، لأنك مثلًا تقول أنا سأذهب إلى دورة توحيد أحد يقول لك ما معنى توحيد؟ يعني نحن نناقش الإيمان بالله، الإيمان بالله هو التوحيد، التوحيد هو الإيمان بالله.

توحيد الاسماء والصفات	توحيد الربوبية	توحيد العبادة [الإلوهية]
تعتقد أنه وحده كامل الصفات.	تعتقد أنه وحده الذي أوجدك وأعدك وأمدك وأسعدك.	الناتج أن يكون هو وحده المستحق للعبادة.
الإيمان بالله هو التوحيد ، التوحيد هو الإيمان بالله.		

نتكلم على أهم ركن من أركان الإسلام

ما هو أهم ركن من أركان الإسلام؟ الشهادة – **شهادة أن " لا إله إلَّا الله "** —

هذا الركن تعبر فيه عن ماذا؟ يعني لما واحد يقول "" لا إله إلَّا الله "" يعني أنا أعتقد أن لا إله يستحق العبادة إلَّا الله.

إذن أهم ركن في الإسلام أيضًا تعبير عن التوحيد، يعني انت تقول " لا إله إلَّا الله " يعني أنا لا أعتقد أن فيه إله يستحق العبادة إلَّا الله، " لا إله إلَّا الله " يعني لا يستحق العبادة إلَّا الله هذا بالظبط توحيد الإلوهية؛

فأصبح الآن التوحيد هو الإيمان بالله والتعبير عنه هو شهادة أن " لا إله إلَّا الله ".

كيف تعبر عن توحيدك؟ كيف تعبر أنه انت ما في قلبك أحد تعبده إلَّا الله ماذا تقول بلسانك؟ صار أشهد أن " لا إله إلَّا الله " تعبير عن توحيدك، انت في قلبك أن ما في إله إلَّا الله، واحد هو الذي يستحق العبادة.

لما تقولي واحد يستحق العبادة هو توحيد الإلوهية هذا، كيف تعبري عنه؟ تقولي : أشهد أن " لا إله إلَّا الله ".

لكن هل كل من يقول أشهد أن " لا إله إلَّا الله " يعبر عن توحيدهم؟ لأ، من أجل ذلك الحديث من قال " لا إله إلَّا الله ":

- ورد بهذا النص " مَنْ قَالَ : "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ"[٩].

وأيضًا ورد بنص " مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ"[١٠].

وأيضًا "مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ"[١١].

"مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ"[١٢].

فصار ما كل " لا إله إلَّا الله " تقال معناه أن صاحبها عبر عن إيمانه!.

يعني كلمة " لا إله إلَّا الله " التي تقال قيلت من المنافقين فانت الآن لازم تميز نفسك من أي الصنفين انت؟!، **لأن " لا إله إلَّا الله " تقال من المنافق وتقال من الموحد،** انظر " لا إله إلَّا الله " التي تقولها هل هي تعبر عن توحيدك أم لا تعبر؟ معناها أن في قلبك ماذا يوجد؟ الذي يوجد هو " لا إله إلَّا الله " تعبر عنها؛

دليل أن "لا إله إلَّا الله" لابد أن تعبر عن شيء في قلبك اقرأ أوائل سورة المنافقون، ماذا قال الله عز وجل فيها؟ قالوا نشهد على الرسول صلى الله عليه وسلم، والله يعلم أن المنافقين لكاذبون، كاذبون لماذا؟ يعني شهدوا أن الرسول رسول، وانت الآن تشهد أن " لا إله إلَّا الله " وتشهد أن محمدٌ رسول الله، والمنافق شاركك في كونه قال أشهد أن " لا إله إلَّا الله " محمد رسول الله لكن الله عز وجل قال أن المنافق هذا كاذب، **يشهد الله أن المنافق كاذب مع أنه قال أشهد أن " لا إله إلَّا الله " محمد رسول الله لكنه كاذب لأن الكلمة التي خرجت من لسانه لم تعبر عن ما في قلبه.**

---

[٩] المستدرك على الصحيحين-كتاب التوبة والإنابة –من قال " لا إله إلَّا الله " دخل الجنة-صحيح الإسناد برقم٣١٧٥

[١٠] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا " لا إله إلا الله "، برقم ٢٣.

[١١] الراوي: أبو موسى المحدث: الألباني - المصدر: السلسلة الصحيحة - الصفحة أو الرقم: ١٣١٤ خلاصة الدرجة: إسناده صحيح

[١٢] رواه أحمد (٢٣٦/٥)

من أجل ذلك يدخل في هذا الكذب على الله، والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، والكذب على النفس، أنواع من الكذب يعيشوها الناس ويمارسونها بدون أن يشعروا.

عبر الآن عن مكانة التوحيد في الدين؟

كلمتين: التوحيد هو الإيمان بالله، والتوحيد يعبر عنه بشهادة أن " لا إله إلَّا الله ".

إذن هذا العلم انت حقيقة محتاج إليه، وكل تعبيراتك الجديدة التي ستخرج منك- يعني غير " لا إله إلَّا الله " – لأن " لا إله إلَّا الله " هي التعبير المباشر على ما في قلبك من إيمان، لكن كل شيء تفعله بعد ذلك إنما هو من أثر صلاح قلبك أو فساده، فانت اصلحه بالتوحيد يصلح الله عز وجل حالك.

من أجل ذلك تأتي -وكلنا نرتكب هذه الجريمة ربما بدون إستثناء- في حديث " وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ"[١٣] بمعنى أن العبد يتصور أن مظاهر الناس حاكمة عليهم، ثم يتصور نفسيته – سكتنا نفسيته ما في مشكلة- ومكانته عند الله من خلال مظهره!، هذه الجريمة التي ترتكب جعلت المظهر هو الحكم، ونسينا أن القلب وصلاحه هو الحكم، من أجل ذلك رد نفسك عن هذه الجريمة، رد نفسك عن احتقار الناس، واعتبارهم أنهم غير صالحين خصوصًا لو كان ظاهرهم الإسلام!

يعني انت ابتدأ بالكلام عن المسلمين -لا تناقشني الآن عن الكفار- أنا أناقشك الآن عن المسلمين، ماذا يجب أن تعتقد في قلبك؟ أن ما معهم من شهادة " لا إله إلَّا الله "، وأن ما معهم من إيمان في قلوبهم، وتوحيد أهم شيء، ما يأتيني واحد يطوف حول الأضرحة ويذبح لها، ويتمسح بها، ثم يقول أنا أشهد أن " لا إله إلَّا الله "! ما أتكلم عن هذا، **أتكلم عن ناس أتوا بالحد الأدنى من التوحيد، ماذا يكون في قلبك؟ لا تتصور أنك أحسن منهم أبدًا**، مهما كانوا غارقين في المعاصي لأن الله اعلم عن صلاح قلوبهم التي يختم لهم بها.

انت لا تفكر الآن في الموقف فكر فيما يختم لهؤلاء، نحن في الهدوء نقول هذا لكن لما نقابل أي أحد ويكون أرتكب ذنبًا معظَّمًا عندنا على طول نستبعد عليه الصلاح!، ثم نرى في أنفسنا أننا أحسن منه، **وهذا كله لأننا ننسى أن الصلاح هو صلاح القلب**، بل تصبَّر على أن تنقل قلبك من الحكم عليهم إلى " خَلِّنِي وَرَبِّي"[١٤].

رأيتوا الحديث لما كان يمر عليه ويأمره يقول خليني وربي انت ما لك علاقة به!، ثم إنكب على نفسك إصلاحًا، إنكب على قلبك إصلاحًا، وهذا كله يدور حول مشاعرك تجاه التوحيد، لما يكون كل الذي همَّك أن يرضى عليك واحد سبحانه وتعالى.

على كل حال هذه المقدمة كلها من أجل أن نقول مكانة التوحيد في الدين.

❖ بجملة مختصرة: ما مكانة التوحيد في الدين؟

---

[١٣] عَنْ جُنْدَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ أَوْ كَمَا قَالَ؛ صحيح مسلم-كتاب البر والصلة والآداب- باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى برقم ٤٧٥٣

[١٤] « كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ : أَقْصِرْ . فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ : أَقْصِرْ . فَقَالَ : خَلِّنِي وَرَبِّي ، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ . فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا ، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَقَالَ لِهَذَا : الْمُجْتَهِدِ أَكُنْتَ بِي عَالِمًا ؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا ؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ : اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي . وَقَالَ لِلْآخَرِ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ » .قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده وأبو دود في سننه .« مُتَوَاخِيَيْنِ» : أَيْ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الْقَصْد وَالسَّعْي ، فَهَذَا كَانَ قَاصِدًا وَسَاعِيًا فِي الْخَيْر ، وَهَذَا كَانَ قَاصِدًا وَسَاعِيًا فِي الشَّرّ .

التوحيد هو الإيمان بالله، وشهادة أن لا إله إلا الله هو التعبير عن التوحيد باللسان.

فتخيل أن التوحيد أتى بأعظم ركنان:

- في ركن الإسلام أوله
- وفي ركن الإيمان أوله.

- الإسلام كله يعتمد على شهادة أن لا إله إلا الله؛
- والإيمان كله يعتمد على الإيمان بالله.

فأنتهى الأمر –أول جملة ردوها– أنتهى الأمر أن الدين هو التوحيد كله، عليه يدور الدين كله.

الآن نأتي إلى الكتاب ننظر إلى المتن.

انظروا إلى فهرس الكتاب، سنقرأه قراءة متصلة، وأتفقنا في بداية اللقاء أن هذا المتن الشيخ أستغنى فيه عن المقدمة، سنقرأ الفهرس متصل لأنه كأنه يقول جملة مفيدة عن المقدمة.

قال الشيخ:

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

"كأنه يقول سأناقش في هذا الكتاب التوحيد الذي من أجله خلق الله الخلق، هذا التوحيد له فضل عظيم ومن فضائله أنه سبب لكفارة الذنوب؛"

هذا الباب الثاني باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

انظروا يعني أنا اقرأ اسماء الأبواب على أنها هي المقدمة.

بل من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.

في الفهرس الباب الأول يسمى كتاب التوحيد، الثاني يسمى فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

فقال "هذا الكتاب سأناقش فيه التوحيد الذي من أجله خلق الله الخلق، وهذا التوحيد له فضل عظيم ومن فضله أنه سبب لكفارة الذنوب؛ بل من حققه دخل الجنة بغير حساب، واعلم أن من أهمية التوحيد وخطورته أنه لابد من بيان ضدّه والخوف منه."

الخوف من ماذا؟ الشرك، الخوف من الضدّ الذي هو بين قوسين ﴿الشرك﴾.

"ومما يدل على أهمية التوحيد أن كل داعٍ إذا دعى فلابد أن يكون داعيًا إلى التوحيد."

وأتى على هذه المعاني بأدلة، سنقرأ سريعًا الأدلة فقط، لأن هذه الخمسة أبواب مقدمة فقط، لأننا إذا سنناقشها ستأخذ الأسبوع كاملًا وما يهمنا هو بعد المقدمة.

نبدأ بقراءة أدلة كل باب، نرى على ماذا تدلّ.

كتاب التوحيد وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

ما معنى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؟ سيتبين لنا معنى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ من بقية النصوص.

"كأنه يقول سيتبين لك من النصوص ما علاقة التوحيد بالعبادة."

لأنه يقول: كتاب التوحيد وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فكأنك تسأل ما علاقة التوحيد بالعبادة؟ سيجيب عن ذلك في الأدلة التي بعدها.

سنقرأ الأدلة بطريقة؛ سنقول أن العبادة التي من أجلها خلق الله الخلق أرسل الرسل لبيانها.

فماذا قال الرسل؟ انظري إلى آية النحل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾[١٥] ، إذن ماذا قالت الرسل ما الكلمتين التي قالتها؟ ﴿اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾، إذن من أجل هذا أرسل الله الرسل، من أجل أن يعبدوه العباد، من أجل أن يحققوا سبب الخلق، الرسل قالت لأقوامهم﴿اعْبُدُواْ اللّهَ﴾ فقط؟ ﴿وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾.

- ما معنى ﴿اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾؟ كأنه يقال لا يكفيك أن تعبده فقط، لابد مع عبادته أن تجتنب عبادة كل أحد غيره.

مرة أخرى: - الآية الأولى تقول لك انت لماذا خلقت؛ تقول لك ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

- انت من أين ستعرف العبادة؟ عن طريق الرسل، ابحث في كتاب الله ماذا قالت الرسل، اتت الآية التي بعدها كأنه يقول هذه العبادة لا تفهم إلَّا عن طريق الرسل.

- إذن ماذا قالت الرسل؟ قالت: ﴿اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾.

عبادة الله وإجتناب الطاغوت معناه أن هناك أمران:

- **أن العبادة لا تتم بمجرد القيام بالعبادة.**
- **إنما أيضًا لابد من إضافة إجتناب الطاغوت.**

- اسألك من هو الطاغوت؟ الطاغوت كلمة اتت من الطغيان، من طغى، تجاوز الحد، فأي شيء انت تجاوزت به الحد يسمى طاغوت، إذن معناه انت لازم تعرف ما هو الحد لكل شيء، كل شيء لازم تعرف ما حدّه الصحيح من أجل أن لا تتجاوزه.

- الآن لو اتيت أقول لك النجوم في السماء ما حد علاقتك بها؟ تعرف أنها زينة يعني تستمتع بها، تدلك على كمال صفات الرب من جهة الخلق، ثم هي هداية لمن يفهم فيها، من يفهم النجوم وأماكنها يفهم أن هذا النجم يطلع شمال وهذا النجم غرب إلى أخره.

أصبحت هذه حد علاقتك بها:

- أنها زينة.
- أنك تتدبر بها.
- أنك تعلم أنها رجوم للشياطين.
- أنها أيضًا تهتدي بها.

لو أعتقدت أن هذه النجوم لها أثر في حياة الخلق، أو تدلك على ماذا يكون في المستقبل هنا ماذا حصل للنجم؟ بدل ما كان في حده الطبيعي طغى، تجاوز الحد، إذن انت لابد أن تتصور **ما هو الطاغوت: كل شيء تتجاوز به الحد وتجاوزك للحد يؤثر في قلبك تعلقًا.**

[١٥] النحل:٣٦

يعني تعال انظر أولادك ما هو الحد المسموح به شرعًا في علاقتك معهم؟ لما تقرأوا آية التوبة تتصور المسألة ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾[١٦] معناه أن أولادنا فيه حد طبيعي لهم، حبهم، والعناية بهم، والدعاء لهم – اسأل الله أن يوفقهم أجمعين–

لكن تجاوز الحد سيجعلهم ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾، هيصبحوا شاغلين لحواسك، لقدراتك، كل تفكيرك هنا ما تفكر حتى في الدار الآخرة، إذن معنى ذلك أن كل شيء طبيعي ممكن أن يتجاوز به الحد.

عالم مثلًا، عبد صالح ماذا تكون علاقتك به؟ هؤلاء الصلاح خصوصًا المنكسرين منهم الذين نعبر بتعبيرنا أنهم على قد حالهم فيهم من أولياء الله الصالحين ما لا تتصور، فيهم من أن يكون دعوتهم مستجابة ومباركين ما لا تتصور، فلا تستضعف أحد!، ممكن ضعيف أنت تنتقده وهو يكون عند الله ذو شأن، تأتي في عرسات يوم القيامة تتمنى أنك لو أحسنت إليه من أجل أن يكون لك شفيعًا، جميل، لكن إلى حد لا تتجاوزه، لا تأتي عنده وتتمسح به، ولا تأتي تتبرك به، ولا تأتي تقول يا مولانا اعطينا كذا وكذا، أو اسأل لنا كذا وكذا، انت بينك وبين الله ما فيه حائل! **إذا كنت كلك ذنوب لا تذهب للصالح!، إذا كلك ذنوب قف عند باب من يغفر الذنوب، لا تقف عند باب غيره أبدا!.**

وهذا ما يرشدك التوحيد إليه أنك لا تتجاوز الحدمع أي أحد، كل العباد، كل العالم عبارة عن علامة ودلالة على الله، كلهم متساويين في عدم إستحقاقهم للتعلق التام ولا بالتعظيم التام، لكن مختلفين من جهة مكانتهم عند الله، **كل العالم متساويين في عدم إستحقاقهم للتعلق التام أو التعظيم التام لكنهم مختلفين في مكانتهم عند الله**، إذن انت لا تتجاوز الحد لا تجعلهم بينك وبين الله، ليس أحد بينك وبين الله، **لكن والنبي صلى الله عليه وسلم؟ والنبي صلى الله عليه وسلم!.**

الآن النبي صلى الله عليه وسلم ماذا تعتقد فيه؟ أنه عبد، ورسول له مكانته تتبعه وتعرف أنك لو خالفته أنك تمنع من حوضه، وأنك تأخذ باب البدع فتضلّ، كل هذه المشاعر صحيحة لكن إلى حد أن لا تجعله بينك وبين الله عز وجل واسطة، **لا تسأله هو الشفاعة! اسأل الله الذي أعطاه الشفاعة أن يشفعه فيك صلى الله عليه وسلم**، لكن لا تسأله هو؛ لأن هو ما أعتقادك فيه؟ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[١٧]، الله عز وجل يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، يقال للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[١٨] هذه مشاعرك المفروض تكون بهذا الوزن.

إذن لما تأتي تريد أن تعرف ما معنى العبادة تعال إلى ما قال الرسل واعلم ما هي العبادة، **الرسل لم تقل لك اعبد الله فقط**، وإذا قلنا لك اعبد الله فقط هذه الكلمة ممكن تضع ورائها واو العطف وتعبد غيره، **لكن قيل لك أعبد الله ولا تعبد غيره**، وهذا معنى ﴿وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾.

- إذن كيف تحقق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؟ بما جاءت به الرسل.

---

[١٦] التوبة:٢٤

[١٧] آل عمران:١٢٨

[١٨] القصص:٥٦

- بماذا جاءت الرسل؟ جاءت الرسل بالأمر بعبادة الله وإجتناب الطاغوت، إذن العبادة التي في سورة الذاريات يفسرها ما أتى به الرسل في سورة النحل.

هذه العبادة أيضًا التي أُمرنا بها في سورة الذاريات، انت الآن تؤمن بالرسل وإيمانك بالرسل جاء في النحل يقول لك الرسل أتى على لسانها هذا الأمر، انت أيضًا تؤمن بالكتب وفي الكتب جاءك الخبر، في القرآن أتاك الخبر، أتاك الخبر عن ماذا؟ عن ما قضى الله وأمرك به.

فماذا قضى الله وماذا أمر؟ انظري آية الإسراء – الآية الثالثة في المتن– قال الله عز وجل — قضى بمعنى أمر– ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾.

إذن ما معنى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؟ أتى بآية الإسراء تقول لك ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ معناها ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾، يعني ما فقط اعبدوا الله •لأ• لا تعبدوا إلَّا هو،وهذا هو التوحيد، يعني من أجل أنا اريد أقول فلان هو وحده الكريم، أريد افرده بالكرم ماذا أفعل؟ أنفي الصفة عن أي أحد غيره وأجعلها له هو فقط، أقول لا كريم إلا فلان، أنفي الصفة لازم أنفيها عن كل أحد غيره، لأن إذا قلت فلان كريم سأقول وفلان وفلان كلهم يشاركوه في الكرم، لكن من أجل أن يطلع فلان فقط هو الكريم وأمدحه في هذا لازم أنفي الكرم عن كل أحد غيره.

إذن من أجل أن توحد الله بالعبادة تمسك العبادة ماذا تفعل بها؟ تنفيها عن كل أحد مثل ما نفيت الكرم عن كل أحد وتثبتها فقط لله، إذن لا تعبدوا إلَّا إياه.

- إذن الرسل أتت بتفسير العبادة ﴿اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾.
- الكتب أتتك بما أمر الله به في العبادة ماذا قالت لك – وقضى يعني أمر– ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾.

إذن فُسرت العبادة ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ التي في الذاريات بما أتى في سورة الإسراء، في سورة الإسراء أتى تفسير﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ التي في الذاريات.

ما تفسيرها؟ ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ نفس الكلمة من نفس الإشتقاق:

- يعبدون معناها ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾.
- يعبدون معناها ﴿اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾.

هذا كله تفسير القرآن بالقرآن الآن، يعني ليس لأحد كلام فيه، يعني هذا ليس آراءً الآن هذا تفسير القرآن بالقرآن.

آية الذاريات التي انت تفهم منها أن الله لم يخلق الخلق إلَّا لعبادته أتت آية النحل تشرحها، لأنه انت كيف تعرف العبادة؟ عن طريق الرسل، أتت آية الإسراء تشرحها، في آية الإسراء يقال لك هذا ما أمرك الله به ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾.

في آية النساء أيضًا أتاك الأمر المباشر يقال لك ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾[١٩] .

إذن كيف تفسر ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؟ بما أمر الله، آية النساء واضحة جدًا، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

[١٩] النساء:٣٦

إذن كلمة عبادة التي في الذاريات أتى في النساء شرحها بالأمر، أمرنا بماذا؟ ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ معناه كن موحدًا لله.

آية النحل والإسراء والنساء كلها أتت في الثلاثة كلمة **"عبادة"**، وهذا أسلوب تفسير القرآن بالقرآن

اريد أفهم لماذا خلقت؟ نقول في آية الذاريات قيل لك ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، اريد أن افهم ما هي العبادة نأتيك بآية النحل ونقول انت ستعرف العبادة التي أمرت بها لما تعلم بماذا أتت الرسل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ – أنه كيف تعبدون الله؟– اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

ثم قيل لك أن الله في كتابه أخبرك بما أمرك به بصيغتين:

الصيغة الأولى: أمر ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾. إذن العبادة لا تكون إلَّا بالتوحيد، وقضى بمعنى أمر.

جاءت آية النساء أمر مباشر ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إذن جمع بين العبادة والنهي عن الشرك.

هذا كله انت تشرح لواحد ما معنى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ التي في الذاريات

انظري آية الأنعام يقال لك انت امرت بأوامر بالعبادة؛ في النساء وفي الإسراء أمرت بالعبادة:

- أمَّا بقول ﴿وَقَضَى﴾ يعني أمر.
- وأمَّا بالأمر الصريح مباشرة﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

في الأنعام جاءت المحرمات، أول المحرمات ﴿أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾، **أول المحرمات أن يقع منك الشرك.**

انظري في آية الإسراء أول المأمورات ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ وفي الأنعام أول المحرمات الشرك.

إذن معنى أول المأمورات أن تعبد الله وحده، وأول المنهيات أن تشرك به شيئا.

انظري آية الأنعام الآن

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمة

يعني التي ختمت بها حياته، يعني هذا أخر ما أمر به

فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾

ماذا يريد الشيخ بإيراد كلام ابن مسعود؟ يريد أن يدلك على مكانة آية الأنعام، ابن مسعود يقول لك إذا أردت أن تنظر إلى وصية النبي صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمة اقرأ آية الأنعام، فيها وصايا آية الأنعام، لكن أهم شيء أن أول وصية أن لا تشرك، لا تقع في الشرك، على هذه الوصية يبنى كل شيء أخر.

الآن تصور نفسك أن أحدًا سألك كيف أعبد الله؟ أنا الله خلقني لعبادته، لما يسألك كيف أعبد الله لا تنتقل إلى الأعمال لا تنسى نقطة البداية التي اتفقنا عليها، العبادة لجوارحك ناتج صلاح قلبك، العبادة التي أمرك الله بها في كل كتابه أمرك فيها بالترتيب، العبادة التي خلقك الله لها في كل كتابه رتب لك، **ما بدأ بالسلوك قبل القلب أبدا**، بدليل آية النساء، بدليل آية الأنعام، كلها أدلة على أن لما يوصف لك مسالك الإحسان إلى الوالدين، الإحسان إلى ذي القربى، كل المسالك لما توصف لك ما تبتدأ المسلك على طول أول شيء قلبك.

اشرح لي كيف أكون عابد لله بالأدلة – لا أريد أن تأتي بكلام من عندك وهذه ميزة المتون أنها تجعلك لا تأتي بكلام من عندك– ؟

- الله عز وجل خلقنا من أجل عبادته كما قال ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ هو يريدك أن تشرح هذه الجملة.
- الله عز وجل أرسل الرسل، ستعرف العبادة من أين؟ من عند الرسل، الرسل ماذا قالت؟ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، إذن معنى ذلك أن عبادة الله لابد أن يكون معها إجتناب الطاغوت، وفي الهامش اشرح له ما هو الطاغوت.
- وهذه العبادة التي أمرك الله بها في سورة الذاريات بينها لك بالأمر المباشر أين؟ في الإسراء ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ ؛ أول شيء من أجل أن تكون عابد وتحقق ما ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ لازم ما تعبد إلا الله وإلا قلبك ما يصلح، هذا في الإسراء.
- ثم تأتي آية النساء أن الله أمرنا بها بصورتين:
  - ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾.
  - وبالأمر المباشر ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

إذن ما تتحقق ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ إلَّا لما تعبد الله ولا تشرك به شيئا.

- ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ثم آية الأنعام الآن؛

كأن السؤال الأول ما علاقة التوحيد بالعبادة؟ لأن الباب يسمى: **كتاب التوحيد** ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛

كأن السؤال ما علاقة التوحيد بالعبادة؟

انظري آية النحل ماذا تقول؟ العبادة لا تتم إلَّا بالتوحيد، لأن إجتناب الطاغوت معناه أن تكون موحدًا، ما يكفيك فقط العبادة، لازم تعبد الله وتجتنب الطاغوت.

آية الإسراء ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ ما معناها؟ أيضًا التوحيد، لاتعبد إلا إياه يعني التوحيد.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ما معناها؟ الأمر المباشر بعبادة الله وحده يعني التوحيد.

آية الأنعام تدلك على ماذا؟ أن أهم شيء تمتنع عن الشرك في عبادة الله، إذا مُنع عنك الشرك في عبادة الله إذن ما المأمور به؟ التوحيد، عبداته وحده.

- إذن ما علاقة العبادة بالتوحيد؟ **العبادة لا تكون عبادة إلا بالتوحيد.**

فيه كلمة ليست من كلام الله؟ كل كلمة من كلام الله، وهذا هو المهم أن لا تعتقد كلام الناس، أعتقد كلام الله، أعتقد كلام النبي صلى الله عليه وسلم، لما تفهم كلامهم سيظهر لك الحقيقة.

لكن الآن لا تنسي اسم الكتاب؛ انظري للمتن:

كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

جاءت كلمة "حق الله على العبيد" نأتي نرى من أين جاءت هذه الكلمة حق الله على العبيد، يعني من أين للشيخ أن يقول أن التوحيد هو حق الله على العبيد.

نرى الحديث:

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟" فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب –من الذي لا يعذب؟ الذي لا يشرك– من لا يشرك به شيئًا" فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا" أخرجاه في الصحيحين.

الجملة المهمة من هذا الشاهد: ما هو حق الله على العباد؟ **أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا**.

ما معنى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا؟ يوحدوه، يعني أعبدوا ولا تشرك معه أحد، يعني اجعله معبودًا لك وحده، ولا أحد غيره.

إذن حق الله على العباد "التوحيد"، ولهذا ظهر لك جيدًا أن التوحيد هو حق الله على العبيد، والتوحيد هذا الذي من أجله خلق الله الخلق.

إذن: **كتاب التوحيد** ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ سيظهر لك الآن أن الكتاب سيأتي يشرح الضدّ، يعني ما سيشرح التوحيد من جهة عبادة الله، لأ سيأتي يشرح التوحيد من جهة نفي الشرك، كل الكتاب من أجل أن يتبيَّن لك كيف أن الضدّ هو الذي ينتفي.

انتهينا الآن من الباب الأول.

الباب الأول بأختصار قرر ماذا؟

أن الله خلق الخلق لتوحيده، وأن التوحيد هو معنى العبادة، الآية واضحة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.، إذن ملخص الباب دلّ على أن العبادة التي خلق من أجلها الله الخلق هي التوحيد، التوحيد يعني عبادة الله وعدم الإشراك به.

جملة مفيدة على الباب: **الباب هذا يدلّ على أن العبادة التي من أجلها خلق الله الخلق هي التوحيد، وانت تبيَّن لك من الأدلة أنها التوحيد.**

انتهينا الآن من الباب الأول.

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

لماذا تكلم عن فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب؟ إن الشيء إذا عرفت مزاياه تعلقت به النفوس، سيظهر في هذا الباب مزايا التوحيد، سيظهر أن له فضل، وأنه سبب من أسباب كفارة الذنوب.

نبتدأ بقراءة المتن.

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب وقول الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ) [الأنعام:٨٢]

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ"أخرجاه.

ولهما في حديث عتبان: "فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ"

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ :" قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ قَالَ : يَا مُوسَى قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ : يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ ، يَقُولُ هَذَا قَالَ : قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا رَبُّ ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تُخُصُّنِي بِهِ قَالَ : يَا مُوسَى لَوْ كَانَ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ ، وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعُ فِي كِفَّةٍ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ "[رواه ابن حبان، والحاكم وصححه].

وللترمذي وحسنه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً".

هذه الأدلة تدلّ على ما للتوحيد من فضل، ماذا سنفعل؟ نأتي عند كل دليل ونفهم وجه الفضل في هذا الدليل.

الآن كأنك تدرسي تفسير إلَّا أن الآيات مجتمعة في موطنٍ واحد فقط، من سور مختلفة، لو قرأتي الآن الآية الأولى آية الأنعام ماذا سيظهر لك من فضل؟ أين التوحيد أولًا في كل آية، نحدد أين التوحيد وأين الفضل.

نبدأ أين التوحيد.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ ما معنى ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ نأتي إلى كلمة ظلم ونرى أن الظلم أنواع – نشرح هذا في الهامش الآن من أجل أن يتبيَّن لكم أين التوحيد في الآية، الظلم أنواع: ظلم العبد نفسه، وظلم العبد غيره.

- أمَّا ظلم العبد نفسه فينقسم إلى قسمين:
  - أن يظلم نفسه بالشرك، كما في آية سورة لقمان ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٢٠].

[٢٠] لقمان:١٣

▪ وظلم نفسه بالمعاصي.

واضح ظلم العبد للناس ما يحتاج، نحن كل الذي يهمنا ظلم العبد نفسه بالشرك.

لما نزلت هذه الآية: " الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم "، شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أيُّنا لم يظلم نفسه؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس كما تظنُّون، وإنما هو ما قال لقمان لابنه: لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ، يعني الصحابة فهموا أن هذه الآية تعني ظلم النفس بالمعاصي، رد الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ليس المقصود هنا ظلم النفس بالمعاصي، إنما المقصود ظلمها بالشرك.

يعني الذي يتحقق له الوعد الذي في الآية؛ ما هو الوعد الذي في الآية؟ ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ هذا الوعد الذي في الآية يتحقق لمن؟ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ هم مَن؟ لم يلبسوا يعني لم يخالطوا، لم يحصل مخالطة في إيمانهم بظلم، يعني إيمانهم لم يختلط بالظلم، انت فهمتي معنى كلمة ظلم، لم يختلط إيمانهم بالشرك، اتفقنا أن الظلم هنا هو الشرك كما قال الرجل الصالح يعني لقمان ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، فصار تفسير آية الأنعام أن هؤلاء لم يختلط إيمانهم بشرك، إذا لم يختلط إيمانهم بشرك يعني موحدين!.

إذن هذا الموحد التوحيد سيكون له عليه فضل، ما هو فضله عليه؟ **أنه له الأمن والهداية**.

نبتدأ نقول ما معنى الأمن؟ أين يتحقق لهم الأمن؟ الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء، وهذا يكون على حسب قوة توحيده، ويكون أمنهم في الدنيا والآخرة، أمَّا في الدنيا فلهم ركنٌ شديد إليه يلجأون.

❖ الموحدين ما أمنهم في الدنيا؟ أن لهم ركن شديد إليه يلجأون، يعني الدنيا جبلت على أن فيها معركة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[٢١] فيه معركة قائمة، ما تتصور الأمن أنك لا تدخل المعركة؟! مستحيل! لازم تدخلها!، انت خلقت في كبد، لكن أمنك في الدنيا أن يكون لك ملجأ تلجأ إليه، ركن شديد تثق به، **فالموحد الآن ليس له ركنٌ شديد يلجأ إليه سوى الله، وهو حقيقة ركنٌ شديد**.

لكن غير الموحد له أركان ماذا تفعل به؟ تخذله، مشتت، متعلّق برضا مائة ألف شخص لكن الموحد ليس له إلَّا واحد يريد رضاه، وإليه يلجأ، يستهدي به، إن احتار يطلبه إن احتاج، كل هذا إشارة الأمن، لأن المخاوف لابد في الدنيا من مخاوف، آلام لابد في الدنيا من آلام، انت خلقت في كبد، يعني في لحظة واحدة تشعر أنك اجتمع عليك آلام لا تستطيع دفعها إلَّا أن تستهدي الله فيهديك، تطلبه فيعطيك، ترجوه فلا يردك، هذا هو الأمن، **ما الأمن ألَّا يأتيك ألم! الأمن أن لك ركنٌ شديد**، تشعر بإشتياق إلى السجود، تشعر بإشتياق إلى قيام الليل، تشعر بإشتياق إلى كتاب الله، هذا هو الأمن، لأنك تعرف اليوم طول اليوم يكلموك عن الأمن الوظيفي، الأمن الاجتماعي، هذه أنواع من الآمال قد تكون مصطلحاتها غير واضحة في ذهننا لكن هي موجودة، يعني الموظفين الآن يطالبون بقوائم تسمى الأمن الوظيفي، يعني أني لي حقوق عندك يا صاحب العمل، وهذا سواء كان في العمل الأهلي أو في حتى الحكومي أني لازم يكون عندي أمن وظيفي، الناس الأمن لا تتصوروا أنه ما تدخلوا في مشكلة لأ أنك تشعر أن لك ركن شديد إليه تلجأ، من المعلوم أن أشد الناس إبتلاءً الأنبياء فالأمثل فالأمثل.

[٢١] البلد:٤

يأتي بعد الأمن في الدنيا الأمن في الآخرة؛

- ما الأمن في الآخرة؟ على حسب درجة الإيمان لكن محملًا أمنك في الآخرة دائر حول أمنك من دخول النار، أمنك من الفزع، إلى أخر أنواع الأمن المعروفة.

تأتي الهداية الآن، ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ في الدنيا مهتدون إلى شرع الله بالعلم والعمل.

- **العلم كيف يهتدوا فيه؟ هداية دلالة**؛ يعني الله عز وجل يهديهم، ويدلهم، ويرشدهم إلى العلم الصحيح فتجد قلوبهم تنغلق عن أهل البدع، وتنفتح لأهل السُّنة، تجد قلوبهم تنشرح لما يسمع كلام الله وكلام رسوله، وتنغلق لما يسمع كلام المخرفين.
- **أمَّا هداية العمل فهي هداية توفيق**، يعني لما تصبح موحد لما يقوى توحيد قلبك يدلك الله على أحد يعلمك ويوفقك أن تعمل بالعلم، فصارت دلالة هداية ودلالة توفيق على قدر قوة توحيدك، وعلى قدر قوة تعلقك.

يعني لما تريد تتعلم لا تفكر في الذي يعلمك، لا تفكر من يعلمني، انت اجمع قلبك على الله ثم الله يهديك هداية دلالة، يعني يسوق الأقدار حولك إلى أن تصل إلى واحد من أهل السنة يعلمك، والقصص والشواهد على هذا عجب!، ومن الجهة الأخرى بعد ما تتعلم قد يثقل عليك الأمر، قد تأتيك محن، **وأمَّا العلم والمحن فقصة متلازمة، يعني لا تتصور أنك تتعلم وما وراء العلم محنة! أبدا! بل العلم والمحنة قصتين متلازمتين**، مع العلم فيه المحن ويهديك الله كيف تتصرف التي تسمى "هداية توفيق".

- **إذا هذا في الدنيا أن يهديك إلى العلم والعمل.**
- **في الآخرة مهتدون إلى الجنة**، كما ورد في الآثار أنهم يسيرون إلى منازلهم في الجنة كأنهم يعرفونها- نسأل الله من فضله- هذه دلالة الدليل الأول.

مرة أخرى:

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ في الدنيا قسمين:

- هداية علم ← هداية علم هذه اسمها هداية الدلالة يدلك الله.
- وهداية عمل ← هداية العمل بالعلم اسمها هداية توفيق.

لأن ليس كل من تعلم يوفق أن يعمل، يعني أصلًا الذي يدلك على العلم الله عز وجل، والذي يوفقك أن تعمل الله عز وجل.

ومن أجل ذلك تأتي فتنظر في سورة محمد مثلًا وتجد منافقين يجلسوا في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم!، ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾[٢٢] يعني في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، من أجل ذلك لما تأتي في مجالس العلم أبدًا ولا بصورة تتصور أن لازم كل الموجودين يكونوا مستقيمين! لأ ما شرط إذا كان في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم كان فيه منافقين.

[٢٢] محمد:١٦

إذن معناه هذه المجالس – مجالس الذكر والعلم– لا تخلومن منافق، إذا كان في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فيه منافق، فمعنى هذا أنك ممكن تأتي إلى مجلس العلم ويكون دلك الله إلى المجلس لكن ما انشرح صدرك لا بالعلم ولم توفق أن تعمل به، هذا أكبر إثمًا!، لأنه لما ساقك إلى العلم فلم تنتفع!، دليل على أن قلبك غير صالح!

أمَّا العجب العجاب –الذي أشد من هذا– أن تأتي إلى ما تعلمت تشهد به على أحوال الناس، على أحوال الناس ما على حالك!، يعني أنت تكون واقع في الآثام وما تكلم نفسك بالدليل، لأ تنظر إلى غيرك والذي واقع فيه وتكلمه بالدليل!، "منظومة الكذب على النفس"، وهذا أمر لابد أن تتنبهوا له يا طلبة العلم، تجد نفسك لائمًا زملائك أخوانك أصحابك أنهم أخروا صلاة العصر مثلًا، "الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ "[٢٣] يعني كأنه فقدهم، وكل هذه النصوص تظهر لك لما هم يأخروا العصر، لا تظهر لك لما انت تأخر العصر، بل انت تجد نفسك أحيانًا تأمرهم بالمعروف في الوقت الذي انت أصلًا لم تفعل هذا المعروف بعينه مع إمكانك بالقيام به.

أحيانًا نرى هذه المواقف حتى مع أولادنا، يأتي واحد من أولادنا يقول لنا اخواني ما صلوا العصر لكن انت صليت؟ لأ، إذن اؤمر نفسك انت بالمعروف، انت لما تجد مثل هذه الحالة لابد من مواجهة سريعة لهذا الطفل، أنك أول شيء قبل أن تتكلم عن أحد انت نفسك إلزمها بالحق، لا تكذب على نفسك لأن هذه صورة الكذب على النفس، هذه صورة واضحة للكذب على النفس، يعني الكذب على النفس لدرجة أنه ما متخيل أن أي أحد سيكشفه بهذه السهولة أن انت كذاب، لأنك لو كنت تعظم أمر الصلاة كان صليت، لو كنت تعظم هذا الأمر كنت قومت به، ثم لما بعد ما تقوم به نناقش مسألة إذا كنت تناصح غيرك أو لأ.

وهذا لا يعارض مسألة مرت معنا سابقًا، أن الإنسان عليه مهمتين، لأ انت قادر تصلي العصر ما الذي يمنعك عن الصلاة؟ صلي ثم اؤمر بالمعروف، لكن واحد ابتلي بالتدخين مثلًا عادة سيئة، إدمان ما هو قادر يقلع، وأتى واحد أمامه يقول له ابني أنا أنصحك ما تدخل هذا الباب، من يدخله ما يخرج منه، يقول له أنصح نفسك أول! ٠لأ٠ ما هذا الكلام الصحيح، فيه فرق بين أن أنا شيء تحت مقدوري وإمكاني وأتركه وبين إبتلاء بلاني الله به.

إذن الآن الدليل الأول ماذا تقرر فيه؟ أن التوحيد أنهم آمنوا ولم يخالطوا إيمانهم بالشرك.

ما هو الجزاء المرتب عليه؟ الأمن والإهتداء، ناقشناه باختصار.

نأتي إلى حديث عبادة ابن الصامت؛ كأنك تدرسي حديث.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ – هذا أول التوحيد– وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ – هذا ثاني التوحيد–

لماذا ثاني التوحيد؟ لأنه لم يرفع النبي صلى الله عليه وسلم عن مكانته، العبودية والرسالة، فيتبيَّن لك أن النبي صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وعبد.

وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ

[٢٣] صحيح مسلم» كتاب المساجد ومواضع الصلاة» باب التغليظ في تفويت صلاة العصر(٦٢٦)

يعني روح من الأرواح التي خلقها الله، أضافها الله إلى نفسه تشريفًا لهذه الروح، **يعني "مِنْ" هنا ليس للتبعيض أبدا**، وروحًا منه يعني روح من أرواح التي خلقها الله، لكن إضيفت إلى الله تشريفا مثل بيت الله ناقة الله كلها من باب التشريف.

وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ"أخرجاه.

نريد التوحيد أين مكانه كم جملة؟ ثلاثة جمل:

- مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.
- وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ.

عبده هي مكان الشاهد أنه عبد، ما رفعه عن مكانه، ما حصل الطغيان، تعال إلى جماعة أخرين طغوا بعيسى، هو لا يسمى عيسى طاغوت، هم طغوا به لكن هو ليس طاغوتًا لأنه لم يرضى بعبادتهم.

- وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ

أصبحت عندي ثلاثة جمل تدل على التوحيد:

- أعتقادك في الله أنه لا إله إلَّا الله.
- وأعتقادك في النبي أنه عبد ورسول.
- وأعتقادك في عيسى أنه أيضًا عبد ورسول.

الثلاثة جمل هذه جاء الجزاء بعد التوحيد أن الجنة حق والنار حق جاء الجزاء أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.

يعني هذا الموحد مستقره إلى الجنة لابد.

لكن ينقسم الناس إلى قسمين:

- واحد كمل مع التوحيد كمل الأعمال، فهذا مباشرة إلى الجنة.
- واحد نقصته الأعمال- أعماله ناقص- هذا يمكن يطهر في النار ثم يكون مستقره إلى الجنة.

يعني شخص أتى بالتوحيد لابد أن يكون مستقره في الجنة سواء مباشرة أو بعد تمحيص.

أين التوحيد؟ في ثلاثة جمل،شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله وأن عيسى عبده ورسوله، يعني أعتقادك في الله، وأعتقادك في الرسل أن لا تطغى بالرسل.

انتهينا من هذا الدليل؛

نأتي إلى الدليل الثالث.

ولهما – من هما؟ البخاري ومسلم- في حديث عتبان: "فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ"

نبتدأ أولًا بالتوحيد ثم نأتي بالفضل

أين التوحيد؟ "يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّه".

يعني ما كل من قال لا إله إلَّا الله لابد أنه يبتغي بذلك وجه الله، وفي هذه الجملة يبتغي بذلك وجه الله جاء شرطين : ❖ الإخلاص ❖ والعمل.

لأن المبتغي كما يقول ابن تيميه –رحمه الله–: المبتغي لابد أن يكمل وسائل البغيا.

يعني انت لما تقول لواحد أن اريد ماء، يبقى مكانه؟، جاء له الماء ماذا يفعل؟ يأخذ الكاس ويشربها إذن لابد أن كل مبتغي شيء يأخذ وسائل بغيته، كلمة يبتغي تدلّ على العمل، وجه الله تدلّ على الإخلاص.

مرة أخرى: نحن نقول من أول نقول مَنْ قَالَ : "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ"[٢٤]، حديث صحيح، تأتي الأحاديث الأخرى تبيَّن لك ما معنى "مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ" فكلمة يبتغي بذلك وجه الله أتت بشرطان ما هما؟ العمل والإخلاص.

من أين اتى العمل؟ من يبتغي، لأنه كما قال ابن تيميه المبتغي لابد أن يأخذ وسائل البغيا.

وجه الله: الإخلاص.

- **هذا هو التوحيد** : "مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ".
- **أتى الجزاء** : "حَرَّمَ عَلَى النَّارِ".

كيف يكون التحريم؟ **هناك نوعان من التحريم:**

- تحريم مطلق.

من هو الذي عليه تحريم مطلق تمامًا؟ الذي أتى بالحسنات على وجه الإكمال، النار تحرم عليه تحريمًا مطلق –مايدخلها–.

- وفيه نوع أخر "تحريم التأبيد".

يعني يدخل النار لكن لا يأبد فيها، ما الذي يحرم عليه؟ الخلود.

فالناس النار تحرم عليهم بصورتين يعني من يقولوا "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ" هذين الصورتين تعتمد على أعمالك، إذا أتيت بمكملات الأعمال إطلاقًا ما تدخل النار، وإذا كانت أعمالك ناقصة معك لا إله إلَّا الله وانت مخلص في عملك لكن عملك ما هو كامل ومعك ذنوب يحرم عليك التأبيد في النار، يحرم عليك أن تكون مأبدًا.

فالنار تحرم بطريقتين على الموحدين:

- إطلاقًا يعني ما يدخلها
- أو تحريم تأبيد.

هناك من الأدلة ما تدلّ على ذلك، فيه حديث في صحيح مسلم " أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ"، وفي الحديث الأخر "يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً"[٢٥] ، يعني هو قال لا إله إلَّا الله وفي قلبه إيمان مقدار شعيرة، فدخل النار، وهذا أخر واحد يخرج، هذا أدنى واحد منزلة في الجنة، لكن قال لا إله إلَّا الله ودخل النار مع ذلك وخرج منها حرمت عليه تحريم التأبيد، والحديث صحيح في مسلم.

---

[٢٤] المستدرك على الصحيحين-كتاب التوبة والإنابة –من قال " لا إله إلَّا الله " دخل الجنة-صحيح الإسناد برقم٣١٧٥

[٢٥] صحيح مسلم » كِتَاب الإِيمَانِ » بَاب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً (٢٩٠)

الدليل الرابع

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ :" قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ قَالَ : يَا مُوسَى قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ : يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ ، يَقُولُ هَذَا قَالَ : قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

هنا أتى التوحيد.

موسى الآن يقول:

قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا رَبُّ ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تُخُصُّنِي بِهِ قَالَ : يَا مُوسَى لَوْ كَانَ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ ، وَعَامِرُهُنَّ –يعني ساكنهن، ساكنهن مَن؟ الملائكة– غَيْرِي ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعُ فِي كِفَّةٍ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " [رواه ابن حبان، والحاكم وصححه].

أين التوحيد في لا إله إلَّا الله؟ هذه الكلمة هذا وزنها، فكيف يكون وزن صاحبها إذا كانت من الكلمات التي يقولها؟! يعني هذا وزن الكلمة الحقيقي فإذا قالها شخص معتقدًا بها بهذا يثقل ميزانه، فهذا فضل التوحيد.

ونحن اتفقنا أن لا إله إلَّا الله تعبير عن التوحيد، هذه الكلمة التي هي تعبير عن التوحيد الذي يقولها معتقدًا بها هذا وزنها وهذا سيكون وزنه هو، وهذا الوزن أتى في الحديث – حديث السجل[٢٦]– أنه يخرج له تسعة وتسعون سجلًا كلها ذنوب، فيصل العبد حد اليأس أن تغفر له ذنوبه، ثم يقول الله عز وجل : إن لك بطاقة، هذه البطاقة فيها لا إله إلا الله، كأن الحديث أن العبد يقول ماذا تفعل بطاقة في التسعة وتسعين سجل هذا؟!، يستقلها، فتأتي كلمة " لا إله إلَّا الله " فتطيش السجلات وترجح كلمة " لا إله إلَّا الله " لما لها من مكانة.

لكن هل هذه الكلمة تنفع كل واحد يقولها؟ الجواب لأ، وإذا أردت أن تفهم هذا جيدًا أدرس بعناية سورة المنافقون، أدرسها جيدًا وانظر كيف أنهم يشهدون الحق بألسنتهم لكن في قلوبهم ما في شيء، ولا تتصور المنافقين جيل وانتهى! **لو كان جيل وانتهى ستتهم نصف المدني أنه لا قيمة له الآن، لأن نصف السور المدنية في بيان النفاق وأهله، فإذا كان جيل وانتهى معناه هذا الكلام كله في القرآن لا يعنينا، وهذا من إتهام القرآن**، بل الصحيح أن وصوفات النفاق متغلغة في النفوس ولا نشعر بها، فانت تعيش الحياة تجاهد في نفسك أن تخر هذه الصفات.

ولا تبعد بعيدا النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ"[٢٧]

فتصوري هذه الأربعة، هذه الأربعة نستطيع نقول على أنفسنا براءة منها؟!.

---

[٢٦] عنْ عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ رضي الله عنه أنّ رسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم قال:((إنَّ اللهَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ ؟فيقُولُ: لَا يَا رَبِّ.فيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟فيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ.فيَقُولُ اللهُ تعالى: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ.فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا " أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ "، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ.فيَقُولُ: يَا رَبِّ ! مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟فَقَالَ: فَإِنَّكَ لَا تُظْلَمُ.فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ)).[رواه التّرمذي، وقال: " حديث حسن غريب "، وابن ماجه، وابن حبّان، في "صحيحه"، والحاكم، والبيهقيّ، وقال الحاكم: " صحيح على شرط مسلم "].

[٢٧] الراوي: عبدالله بن عمرو المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: ٢٤٥٩

خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

اذهبي إلى آية سورة النساء ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلًا * مُّذَبْذَبِينَ﴾[٢٨] كل هذه وصوفات نستطيع أن نخرج أنفسنا منها؟!.

ثم إذا تخرج نفسك من هذا اسمع ماذا يقول السلف عن الصحابة، ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ"[٢٩].

واسمع إلى عمر رضي الله عنه المبشر بالجنة، الذي له تلك المكانة العظيمة، ثم يقول لحذيفة: "أستحلفك بالله، أَمَّا عَدَّنِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ، يعني يقصد من المنافقين!

كل هذا دليل على ماذا؟ على قرب هذا الوصف، ثم لا تنسى أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، فهم في حال اسوء من حال الكفار، عاشوا حياتهم في غرر، ثم تبيَّن لهم هذا الغرر في لحظة القبض، لذلك عليك بتنظيف قلبك وما يصلح القلوب إلَّا التوحيد، **وأهل النفاق أبعد ما يكون عن تفعيل توحيدهم وإن تكلموا بألسنتهم!، يعني يتكلموا في التوحيد أهل النفاق لكنهم يتكلمون بألسنتهم.**

إذن ما دلالة حديث سعيد الخدري؟ ثقل كلمة " لا إله إلَّا الله "، ثقل كلمة التوحيد، يعني " لا إله إلَّا الله " التعبير عن التوحيد باللسان.

في أول الكلام قال:

يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ- يارب علمني كلمات أذكرك وأدعوك بها، أقول يارب أعطيني بكلمات فقال الله عز وجل – قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ : يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ ، يَقُولُ هَذَا قَالَ : قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،- فقال كل عبادك يقولونها يعني كلمة مشتركة، فقول موسى ورد الله عليه تدل على أن الناس كثيرين يستعملوها لكن ما كلهم تثقل في ميزانهم مثل بعض، على حسب ما قام في قلوبهم.

الدليل الخامس

وللترمذي وحسنه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ- يعني ملأها أو ما يقارب ملأها- خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ".

أول شيء هات الدليل على التوحيد: "لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا" هذا دليل على التوحيد لأن الموحد لا يشرك.

الدلالة على الفضل: كلها مع بعض الجملتين أن يأتي العبد بقراب الأرض خطايا ثم تقابل هذه قراب الأرض مغفرة هذا كله بشرط أن يأتي موحدا.

فما الرأي بعد ذلك كيف سنخاطب الناس، ما فيه إلَّا موضوع واحد هو الذي نخاطب حوله وندور حوله لأن انظري نتيجتة الآن، أن يأتي الإنسان حتى لو أتى بقراب الأرض خطايا ثم أتى ا يشرك بالله شيئا سيأتيه الله عز وجل بقرابها مغفرة، من أجل ذلك لابد

[٢٨] النساء:١٤٣،١٤٢

[٢٩] صحيح البخاري» كتاب الإيمان» باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر

أن تتصور ما هو الشرك، لا تأتي عند هذا الحديث وتأمن نفسك أبدًا ! بالعكس، هذا الحديث يدلك على أن الأمر جد خطير، صعب، **لأن دائمًا لما تأتي الأجور عالية هذا يدل على صعوبة العمل.**

يعني لما يقال لك سبعة يظلهم الله تحت ظلة معناه الآن أن الأجر عال، يظلهم الله في يوم الناس تحت الشمس متعرضين لها، فيعملون أعمالًا ما حالها صعبة أم يسيرة؟ صعبة! من أجل أن يستظلوا تحت ظل العرش، الجزاء عظيم إذن العمل أكيد أنه عظيم.

هنا الأمر أيضًا بهذه الصورة، الجزاء عظيم أن يؤتى لك بقراب الأرض مغفرة، مع أنك أتيت بقراب الأرض خطايا، يعني ستغفر لك كل ذنوبك لكن تأتي ما انت شارك، موحدًا، معنى ذلك أن التوحيد عزيز صعب يحتاج إلى بذل، يحتاج إلى جهد يحتاج إلى مراقبة، إلتفات قلبك عن الله في حد ذاته مشكلة، تلتفت لأحد غير الله تشارك مع الله أحد في عنايتك وأهتمامك، لو تعرف كم هذا الأمر شديد الصعوبة عسير تعرف أن الحياة كلها المفروض تبذل من أجله.

ثم قيل لك لو بذلت ما انت خسران لأنه مهما كان لك ذنوب ستأتيك المغفرة على قدر ذنوبك، انت تخيل -ولله المثل الأعلى- المسألة بعيدة عن ضرب المثل لكن من أجل أن تتخيل معنى الإلتفات؛

أنا معلمك الآن وأخاطبك ثم تجد من نفسك إلتفاته ليفتح الباب أو أحد يتكلم، هذه الإلتفاتة التي بالبصر أحيانًا يصبح عندي مشاعر كأن المعلم ما رآني، يعني عادي ألتفت وارجع كأن ما أحد ينتبه لي هذا بالظبط الكذب على النفس، انت قلبك يلتفت عن الله كما يلتفت بصرك، ثم يعود، لما يعود ما يشعر أنه أذنب بالإلتفاتة ولا يشعر أنه لازم يستغفر، ولا يشعر بالألم والذنب.

خليني أفترض أنا وانتم من حقوق المعلم كما ذكر النووي في مقدمة المجموع أنا ما أقوله على أنه حق الآن أنا اقوله من أجل أن تفهموا مسألة الإلتفاتة، إنما حقوق المعلم أنا ما لي علاقة بها أبدًا؛ من حقوقه أن لا تلتفت عنه، تصور الحقوق الناس يتحاسبوا عليها يوم القيامة، فنقول ما مشاعرك لما يلتفت بصرك عن معلمك ثم تعود هل تشعر أنه المفروض تستغفر الله عز وجل لأن الحق عند الله ما عند الناس ثم تعتذر لمعلمك؟!، ولا أصلًا تلتفت مائة مرة ولا أصلًا ما تفكر في موضوع أنه يعتذر وأنه نستغفر صح؟ هو صح، لأننا نجلس ونلتفت ونذهب ما نفكر في الموضوع!

هذه الصورة الآن هي نفسها موقفنا في علاقتنا مع الله! تلتفت قلوبنا عن الله رجاءًا وطلبًا ومحبة وتعظيمًا وتعلقًا ثم نعود فنقف بين يديه ونصلي مثلًا، وفي الصلاة تلتفت قلوبنا عنه وتعود، وتلتفت وتعود، والفراغ هذا التي في الوسط بين الإلتفاتة والعودة لا عليه استغفار، ولا توبة، ولا سؤال الله أن يارب لا تلفت قلبي عنك، ولا طلب للثبات أن أقف عند بابه، ولا أي مشاعر بخطورة الإلتفات، نحن نرى أنفسنا الآن كيف مختلفين لما تدرسوا ستفهموا هذا الشيء جيدًا، كيف واحد يلتفت ويعود، وكيف واحد يلتفت ثانية، وكيف واحد يتلفت دقيقة، حتى هذه القلوب تلتفت أحيانًا غصبن عنك لكن عودها على سرعة العودة، وعودها على التوبة من الإلتفات،لكن أين هذا؟!.

فكما تلتفت الأبصار تلتفت القلوب عن باب الله، لكن لأننا نشعر أننا تلتفت أبصارنا ونعود ونشعر أن الذي أمامنا ما شاعر بنا ولا داري عنا، يعني انت لما تتبادل وتصبح انت المعلم ترى كل العيون ويظهر من الذي التفت من الذي لم يلتفت، ولما تكون طالب وتلتفت ما تشعر أصلًا أن أحد داري عنك، هذه مشاعر الكذب على النفس، تلتفت قلوبنا عن باب الله، ثم تعود ونحن ما نشعر أصلًا أنها ألتفتت، دائمًا نقول لأنفسنا طبيعي!، وطول الوقت نطبطب على انفسنا أنه طبيعي ما يحتاج، صح النفس البشرية

سريعة التفلت ما أحد ينكر، لكن فتح لك باب طويل عريض بقدر الدنيا، توب، أستغفر، اشعر نفسك أنك المفروض ما تلتفت عن باب الله.

ارجع مرة أخرى أقول لك مثل أول الكلام ترى الأخيار عند الفجار دراويش، قوة إلزام نفسك بالإستقامة خصوصًا عمل القلب يحتاج له دائمًا تفكير، انت في النهاية تشعر نفسك كأنك وسوست، افترض أنك شعرت أنك كأنك دخلت في وسوسة انطرح بين يدي الله، كن ساجدًا أطل في سجودك قل يارب ثبت قلبي أرشدني إلى الصواب، بينك وبين الله لا حواجز، المهم لا تشرك به شيئا، عزيز من قابل الله لا يشرك به شيئا بدليل أن هذا الأجر مرتب عليه.

إذن مادام هذا الأجر عظيم إذن العمل صعب، يحتاج إلى جهد، لكن مستحيل؟! لأ، فيه فرق كبير بين كلمة صعب وبين كلمة مستحيل، صعب يريد له جهد، ما أحد يقول الحمدلله قال النبي على حديث أنس واتيتك بقرابها مغفرة والحمدلله أين الأصنام التي نعبدها، ما هكذا!! انت تفهم ما معنى طاغوت؟!، والذي يستدل على هواه يأتي بالقرآن كله على هواه، الذي يستدل على هوىاه ما يتعب أبدًا، عنده أدلة جمة ما خرج خارج عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم وعن دين الله إلا معه دليل، أتى بدليل لنفسه.

بهذا انتهينا من باب فضل التوحيد.

نعمل جدول الآن في نهاية الباب، كم دليل معنا؟ خمسة أدلة آية وأربع أحاديث.

الجدول من خانتين الخانة الأولى اكتب فيه التوحيد.

والثانية اكتب فيه الفضل.

من أجل أن يجتمع لك التوحيد وفضله، يعني من الدليل خرجوا ما يدل على أننا نتكلم على التوحيد ثم خرجي ما يدل على الفضل.

هذا الباب اسمه باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، كل باب سنكتب كيف ملخصاته وستختبروا أخر الدورة، بالنسبة لسنة أولى إجباري والباقي أختياري.

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

هذا الكلام على مَن؟ لازلنا نتكلم على فضل التوحيد لكن هذه درجة أعلى، أتى اسم جديد، يعني من الأول نتكلم عن موحد، الآن نتكلم عن واحد محقق للتوحيد.

أتى اسم جديد الآن، الأول كنا نتكلم عن موحد الآن اتكلم عن محقق للتوحيد.

❖ فرق بين الموحد وبين المحقق للتوحيد: الفرق بينهم سيكون في ماذا؟ في أعمالهم التي يعملوها.

الآن عندنا قاعدة عند أهل السنة والجماعة تقول :

" الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية."

هذه أول قاعدة هنا.

اخذتم من أول الكلام أن الإيمان بالله عبارة عن التوحيد، إذن التوحيد هذا يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، معناها أن معاصيك ماذا تفعل في توحيدك؟ تنقصه، مادام أن هناك موحد وهناك محقق للتوحيد المحقق أعلى من الموحد، يعني الموحد أقل من المحقق، كيف تعلى؟ كيف تحول من موحد إلى محقق للتوحيد؟ بزيادة الطاعات، كلما زادت طاعاته كلما حصل أمرين: ثبتت أساسه، توحيده ثبت وأزداد قوة، وأيضًا زدادت أعماله.

كأنك تعملي دائرة، نقطة البداية فيها توحيد، التوحيد يأتي بأعمال "مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ" يأتي بأعمال، هذه الأعمال تزيد قوة التوحيد، لما يزيد قوة التوحيد تأتي أعمال زيادة، الأعمال الزيادة تزيد توحيدك، إذن كأنك بتصب في نفس المدار.

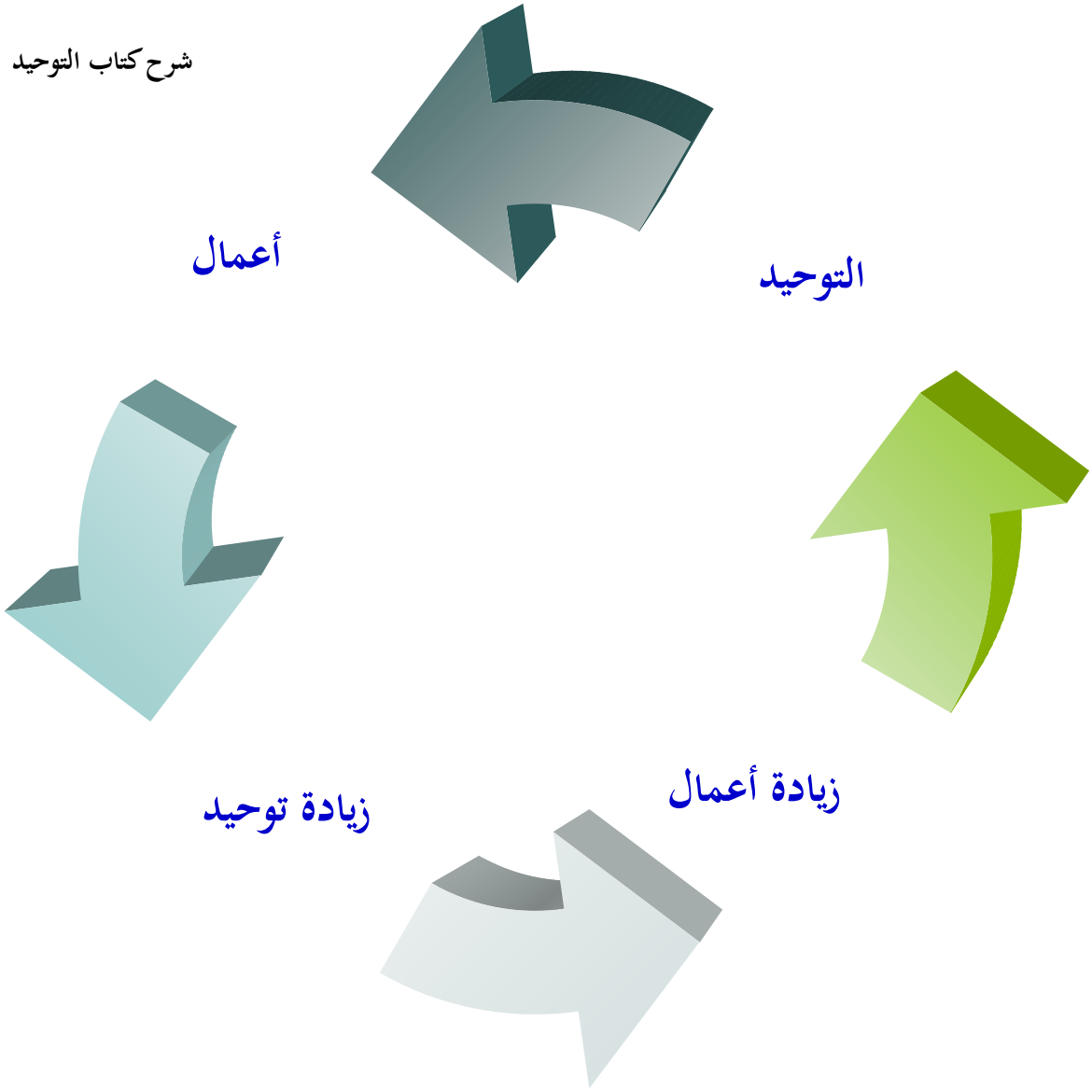

نقطة البداية أن يكون معك توحيد، التوحيد هذا لازم يكون معه عمل، لما يأتي العمل ماذا يحدث؟ التوحيد يزيد، كلما زاد التوحيد كلما زاد العمل، كلما زاد العمل يزيد التوحيد.

إذن معنى ذلك الفرق بين الموحد ومحقق التوحيد "زيادة الأعمال"، زيادة الأعمال ماذا تفعل في توحيدك؟ تقويه، تجعل أساسك متين، الأعمال تقوي توحيدك، وترفعك فوق طوابق.

وتخيلي المسألة بالصورة الثانية، الآن كل البيوت لها أساس، الأساس مكانه تحت الأرض، وعلى الأساس الناس يبنوا طوابق هل كل أساسات البيوت متشابه في القوة والمتانة؟ لأ، فيه أساسات قوية جدًا، وفيه أساسات موجودة لكنها ضعيفة، وفيه متوسطة.

- **الأساس هو التوحيد.**
- **الطوابق هي الأعمال الصالحة.**

انت أساسك الذي يمر من تحت في الأرض التوحيد، ثم الطوابق التي تبنى فوق الأعمال، فيه قوم عندهم طوابق فوق تجدهم صوام قوام لكن ما معهم توحيد الأساس ضعيف أو غير موجود، خلينا نقول ضعيف فقط، ضعيف ماذا يحصل؟ هو مبنى تراه من بعيد مبنى هائل كبير يعني الشخص تراه تقيّ، أقل رياح تأتي ماذا يحصل في الطوابق؟ تنهار!

واحد شخص شكله تقيّ ثم تأتي المواقف والأحداث تكشف حقيقته، تنهار طوابقه، يدخله العجب الكبر إرادة العلو، إلى أخره، الفرح بالدنيا، انظري هذا الذي في سورة الأعراف ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ﴾ الله عز وجل أعطاه آيات، يعني أعطاه دين، اعطاه حكمة، ماذا حصل له؟ ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ لماذا؟ ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ فرح بالدنيا حبها، ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[٣٠]؛

لما أخلد إلى الأرض وأتبع هواه كأن ناطحة من ناطحات السحاب في وصفه عابدا، لأن الله الذي أتاه الآيات، معناه أنه علمه علمًا غزيرا، ومع هذا العلم الذي يظهر أمام الناس كأنه ناطحة من ناطحات السحاب في علمه وتقواه ماذا حصل لها؟ أخلد إلى الأرض وأحب الدنيا وأهلها فماذا حصل؟﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ إذن يحصل إنهيار، يسقط على حسب قوة الأساس.

إذن توحيدك هو أساسك، والطوابق هذه علوها بالأعمال الصالحة على قدر قوة أساسك، فيه ناس عندهم طابق واحد، أساسهم ما يتحمل إلَّا طابق، وإذا بنوا فوقه ينهار، فيه اثنين فيه عشرة فيه ألف على حسب قوة الأساس.

الموحد معه الأساس ومعه طوابق لكنها ما هي عالية، المحقق للتوحيد معه أساس قوي، ولا تتكلم عن الطوابق التي فوقها.

يصور لكم الصورة آية سورة فاطر؛ يصور لكم الصورة الفرق بين الموحد والمحقق للتوحيد آية سورة فاطر.

يقول الله عز وجل في فاطر ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ هذه الآية خارج المتن لكن من أجل أن تربط بين الموحد وبين المحقق للتوحيد، نحن لا نريد نتكلم أهم شيء عندنا الأدلة، ماذا يقول الله عز وجل في فاطر؟ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ يعني اعطيناهم إياه، أورثناهم إياه.

انقسموا ثلاثة أقسام:

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ هذه آية فاطر ٣٢

الآية تكلمك عن من أولًا؟ الذين أورثوا الكتاب ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾.

ثم أورثنا الكتاب مَن؟ ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ يعني أصطفيناهم بالتوحيد، لأن الأصطفاء ما يكون وهم مشركين، إنما أصطفوا بالتوحيد.

هؤلاء الذين اصطفوا بالتوحيد انقسموا إلى ثلاثة أقسام:

- ظالمٌ لنفسه.
- ومقتصد.
- وسابق بالخيرات بإذن الله من أجل أن لا يعجب بنفسه، من أجل أن لا تعجب بنفسك أتت [بإذن الله].

من هو الظالم لنفسه؟ بالمعاصي، أذهبوا لحديث أنس في الباب السابق وأوصفوه من المتن، الباب السابق أخر حديث، نحن نقول آية فاطر قسمت الموحدين إلى ثلاثة أقسام من هم؟ ظالمٌ لنفسه، ومقتصد وسابق للخيرات. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ".

[٣٠] الأعراف:١٧٥،١٧٦

ظالمٌ لنفسه أتفقنا أنه ظالم لنفسه بالمعاصي، في الباب السابق هذا الظالم لنفسه وصف كيف حاله مع توحيده، وصف كيف سيعامل في حديث أنس، ما هو حديث أنس؟

"ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا" لقيتني بقراب الأرض خطايا يعني ظالم لنفسه لكن معه توحيد " لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً"، إذن هذا موحد ممن أصطفاهم الله للتوحيد لكنه ظلم نفسه.

كيف تجمعي بين أنه أصطفاه الله بالتوحيد وظلم نفسه؟ في حديث أنس تفهميها؛ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ كيف أصطفاهم وكيف ظالمين لأنفسهم؟ أصطفاهم بالتوحيد، وظالمين أنفسهم بالمعاصي.

فتفهمي ظالم بنفسه في آية فاطر ضعي بين قوسين ﴿حديث أنس﴾، هذا اسمه موحد.

تعال نرى المقتصد والسابق بالخيرات:

من هو المقتصد ومن السابق للخيرات؟ وصفوا هؤلاء، ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾[٣١] مَن أصحاب اليمين ومن السابقون؟ عندنا قسمين، هؤلاء الآن من لهم مكانة، من هم؟ أصحاب اليمين والسابقون.

- من أصحاب اليمين؟ المقتصد.
- من السابق؟ السابقون بالخيرات.

بدأنا بآية فاطر، لماذا أصلًا بدأنا بفاطر؟ من أجل أن نأتي بالفرق بين الموحد وبين محقق التوحيد، آية فاطر قالت ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾.

الذين أصطفاهم الله عز وجل بالتوحيد مقسومين إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات.

ظالمٌ لنفسه أتى وصفه في حديث أنس، بقي المقتصد والسابق بالخيرات.

المقتصد هو الذي وصف بأنهم أصحاب اليمين.

السابق بالخيرات هم الذين وصفوا بأنهم السابقون السابقون.

خلينا نتعرف عليهم ونفهمهم ونفهم حالهم من جهة تحقيق التوحيد.

الآن من سيطلع موحد؟ الآن أقول موحد ومحقق للتوحيد، **اقارن بين كلمة موحد ومحقق للتوحيد:**

- الظالم لنفسه يعتبر موحد.
- لكن المقتصد والسابق بالخيرات يعتبروا محققين للتوحيد، لكن حتى تحقيق التوحيد درجات.

إذن عندي ظالم لنفسه هذا موحد وأتى في حديث أنس، ثم عندي وصفين المقتصد والسابق بالخيرات، أصحاب اليمين والسابقين، أصحاب اليمين والسابقين كلاهم محققين لكن التحقيق لهم درجات.

الظالم لنفسه هذا واحد –وصف في حديث أنس– أتى بقراب الأرض خطايا هذا هو المقصود، هذا اسمه ظالم لنفسه، يعني قد يتردد الإنسان بين كونه مقتصد وبين كونه ظالم لنفسه على حسب.

المحقق للتوحيد إلى كم قسم ينقسم؟

---

[٣١] الواقعة:٢٧

- مقتصد
- وسابق للخيرات.

على ذلك تحقيق التوحيد سينقسم إلى قسمين:

- تحقيق يسمى تحقيقًا واجبا
- وتحقيق يسمى تحقيقًا مندوبا.

أصبح عندك واحد موحد وواحد محقق للتوحيد، ثم المحققين للتوحيد ينقسموا إلى قسمين: اسمهم واحد سابق للخيرات وواحد مقتصد، لكن انقسامهم إلى قسمين جعل التوحيد أيضًا ينقسم إلى قسمين : تحقيق يسمى تحقيق واجبا، وتحقيق يسمى تحقيق مندوبا.

- ما هو تحقيق التوحيد الواجب؟ هو تصفيته وتخليصه من الشرك الأكبر والأصغر والبدع والمعاصي، فيترك المحرمات كلها ويفعل الواجبات كلها.
- نأتي إلى التحقيق المندوب: وهو أن يضيف إلى ما تقدم فعل المستحبات، وترك المكروهات وبعض المباحات خوفًا من الوقوع في الحرام، يعني درجة أعلى، زائد عن الأول أنه فعل المستحبات وترك المكروهات وحتى بعض المباحات خوفًا من الوقوع في الحرام.؛ هذا باختصار طبعًا وإلَّا هو سيطول الكلام، وسيأتي وصفهم هنا.

يأتي سؤال الظالم لنفسه موحد، ما معه من توحيد كان سببًا لمغفرة الله له على الوعد، لكن كل العباد الظالمين لأنفسهم سيتحقق لهم هذا الوعد؟ يعني موحد وظالم لنفسه هل كلهم سيكونوا مثل بعض حتى وهم ظالمين لأنفسهم؟ الآن نحن قلنا المحققين للتوحيد درجات تعال انظر الظالمين لأنفسهم أيضًا درجات، الآن حديث أنس " لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ".هذا الظالم لنفسه في آية فاطر.

قلنا أن المحققين للتوحيد درجات، تعال للظالم لنفسه، حتى الظالم لنفسه درجات، فيه درجة فيها قوة توحيد مع ضعف تجاه الشهوات، قوة توحيد ما عنده إلَّا ربه، لكن أبتلي بضعف في شهواته فيعمل المعاصي، وفيه واحد لأ، عنده ضعف في توحيده مع ضعف في شهواته.

الآن مر علينا أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأصبح نفس التوحيد عند الظالم لنفسه نفس الموحدين ليسوا درجة واحدة! درجات!، حتى الظالم لنفسه درجات!، حتى الظالم لنفسه درجات.

واحد تغلب شهوته سريعًا لكنه قوي في توحيده، من جهة أنه لا يعتقد في غير الله أبدا، دائمًا ظاهر له أعتقاده في الله لكنه يستحيب لمعاصيه وماشي، وانت تجد في العوام مثل هذا كثير، عندهم في المعاصي ما أكثرها ومعهم قوة توحيد، تأتي المواقف تسمع توحيدهم مع قوة معصيتهم.

هؤلاء ليسوا مثل ناس أصلًا مشوشين في توحيدهم، متذبذبين في ظنهم في ربهم، انت لا تفكر فقط في توحيد الإلوهية، فكر في توحيد الاسماء والصفات أيضًا، تجد ناس مشوشين ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تجد نوع سوء ظن، ومعه معاصي هذا حالته غير حالة واحد قوي في التوحيد ومعه معاصي.

كما أنكم قسمتم المحققين للتوحيد إلى قسمين وبينهم درجات، يعني أصحاب اليمين والسابقين نفسهم درجات، النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء درجات مختلفة عن الصديقين، درجة مختلفين عن الشهداء، لكن هؤلاء كلهم اسمهم سابقون، الأنبياء

والصديقين والشهداء والصالحين هؤلاء كلهم اسمهم سابقون، يعني نفس الدرجة الواحدة فيها درجات، حتى أصحاب اليمين أيضًا فيها درجات.

تعال للظالم لنفسه ماذا تفهم عنه؟ أنهم أيضًا درجات:

ففي قوم في الظالم لنفسه معه قوة توحيد مع ضعف تجاه الشهوات، ونحن نريد نوصل إلى أن نصل إلى واحد معه مثقال شعيرة هذا أيضًا ستحرم عليه النار لكن ما هو ابتداءً.

- الظالم الذي سيغفر له ابتداءً وانظري ظالم ارتكب ذنوب لكن مع قوة توحيده غفر له.
- لكن ظالم ومعه ضعف للتوحيد هذا يصبح واحد تحت المشيئة.
- يأتي واحد يدخل النار ويخرج منها بعد التصفي.
- وواحد معه من الإيمان مقدار شعيرة كان أدنى أهل الجنة منزلة لكن مع ذلك دخل الجنة.

فالظالمين لأنفسهم لهم درجات.

ترك المحرمات غير الظالم لنفسه فقط؟ أضفنا عليه فإضافة؟ يترك المحرمات يفعل الواجبات، الظالم لنفسه ماذا يفعل؟ يقع في المحرمات؛ اتى بقراب الأرض خطايا، ما الخطايا التي اتى بها؟ تعالوا عرفوا الموحد وتحقيق التوحيد الواجب وتحقيق التوحيد المندوب: عرفوا الظالم: الظالم خالي من الشرك الأكبر والأصغر لكن معه معاصي، معه معاصي يعني ما ترك المحرمات وربما قصر في فعل بعض الواجبات، هذا الظالم لنفسه ممكن واحد ثاني ظالم ما وقع في الشرك الأكبر لكن وقع في الأصغر، ولازال اسمه ظالم لنفسه مادام لم يقع في الأكبر.

الآن أريد أن أصل إلى نتيجة واحدة بدون تشتت أن الظالمين لأنفسهم بأنفسهم درجات، وبهذا تتحل المشكلة، لأن هناك كان عندي الشرك الأكبر والأصغر والبدع والمعاصي، الآن الظالم لنفسه وقع في المعاصي، ممكن يقع في المعاصي وأيضًا في البدع والشرك الأصغر وهذا كله مادام لم يقع في الأكبر فلازال موحدًا.

فهذه تفرق، هذه درجات تفرق أن واحد يقع في البدع غير واحد ما يقع في البدع، واحد يقع في الشرك الأصغر غير واحد ما يقع في الشرك الأصغر مع اشتراكهم في كونهم واقعين في الذنوب والمعاصي، مادام ما وصل إلى الأكبر إذن لازال في الموحدين.

الآن وصلنا إلى تقرير أن محققي التوحيد نفسهم درجات، فيه درجة تسمى درجة المندوب وفيه درجة تسمى درجة الواجب.

سيناقش هنا في الباب درجة المندوب، يعني جزاء من وصل إلى التوحيد المندوب، انظري كيف البابين : باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب يعني يأتي بال حد الأدنى من التوحيد، ثم وصلك إلى الذي يأتي بالحد الأعلى أين يصل.

يعني الذي يأتي بالحد الأدنى على الأقل من التوحيد ويهتم بتخليص توحيده من الشرك الأكبر والأصغر يصفيه حتى لو أتى بقراب الأرض معاصي ستكون النتيجة أن يغفر له، والذي يوصل إلى حد تحقيق التوحيد المندوب، ماذا سيكون له؟ أمامك الأدلة التي ستكون له.

وما بين الحدين الناس درجات في الجزاء.

نبدأ بالنظر إلى المتن.

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب وقول الله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[٣٢]. وقال: (وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ)[٣٣].

عن حُصَيْنُ ابن عبد الرحمن، قَالَ: "كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ لَنَا: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَمَا فَعَلْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟، قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ، قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيُّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لا رُقْيَةَ إِلا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَّةٍ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، ثُمَّ قَالَ سَعِيدٌ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ أَوِ الرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقُلْتُ: هَذِهِ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، ثُمَّ قِيلَ لِيَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمُ: الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلامِ لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا قَطُّ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَخُوضُونَ فِيهِ؟ فَأَخْبَرُوهُ بِمَقَالَتِهِمْ، قَالَ: هُمُ الَّذِينَ لا يَكْتَوُونَ، وَلا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِيُّ، فَقَالَ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَامَ آخَرُ، فَقَالَ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ".

ماذا سنفعل الآن؟ سننظر إلى الأدلة ونرى صفات المحققين للتوحيد تحقيقًا مندوبا، لكن لاحظ في اسم الباب أنه ذكر لك جزاؤهم، قيل لك **من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب**، يعني من حقق التوحيد تحقيقًا مندوبًا كان جزاؤه أن دخل الجنة بغير حساب.

كأن الباب سيدلك على صفاتهم من أجل أن تتحلى بها، وإلَّا اسم الباب أظهر لك مباشرة أن الذي يحقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب بالأدلة.

قارن بين عنوان هذا الباب والباب السابق؟ الباب السابق يقول فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، ثم أتاك كل دليل وانت بنفسك تبين لك من الدليل فضل التوحيد.

هنا اسم الباب كلمك مباشرة عن الفضل، قال لك إذا انت حققت التوحيد تحقيقًا مندوبًا ماذا سيكون الجزاء؟ تدخل الجنة بغير حساب، في الباب عن ماذا سيكلمني؟ سيكلمني عن صفات المحققين، لأن اسم الباب يطمعك أن تكون من أهله، **كأنه يقال لك إذا أردت هذه الميزّة أتبع صفات هؤلاء.**

---

[٣٢] النحل:١٢٠

[٣٣] المؤمنون:٥٩

بدأ يكلمك عن إمام الموحدين، وكما هو معلوم أن الأنبياء يدخلون الجنة بغير حساب، هذا من جهة لماذا هذه الآية؟ لأن إبراهيم عليه السلام من الأنبياء والأنبياء يدخلون الجنة بغير حساب، بقي أن تعرف صفاتهم.

" ما هي صفات إبراهيم عليه السلام؟ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نأتي إلى هذه الصفات وننظر لها من الآخر إلى الأول؛

أول صفة تعلمين أن إبراهيم عليه السلام إمام المحققين للتوحيد، أنكر ما كان عليه المشركون، وكسر أصنامهم، وفارقهم بقلبه وجوارحه.

يعني لم يكن من المشركين ماذا فعل؟ أنكر ما كان عليه المشركين، وكسر أصنامهم وفارقهم بقلبه وجوارحه، هذا معنى أنه لم يكن من المشركين.

معنى أنه حنيفا: مال عن الشرك إلى التوحيد، وأقبل على ربه بالمحبة والإنابة والعبادة، أصبح هذا حنيفًا.

ماذا كانت النتيجة بعد ما فارق المشركين وبعد ما أقبل على ربه -ترك الشرك إلى التوحيد-؟ فكان قانتًا لله عز وجل ثابتًا على طاعة ربه، لا يتزحزح عنها، فحق له أن يكون أمة، لأنه حقق التوحيد بقلبه وعمله، ومن المعلوم أن الله لما خبرنا بالثناء على خلقه لم يقصد أن يصل إلينا الثناء فقط لكن قصد منه محبة من أثني عليه وبذل الجهد بالأقتداء به."

- إذن الآية الأولى أثني فيها على إبراهيم عليه السلام.
- انظري الآية الثانية في سورة المؤمنون ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾ في سياق الثناء على مَن؟ على الكُمل من المؤمنين، الآن تحتاج أن تراجعي إلى غدًا من آية ٥٧ إلى آية ٦١، سنقرأ هذا المقطع كله ونستخرج منه الصفات.

نذكر الآن الشاهد مباشرة: وصف الكمل من المؤمنين بأنهم بربهم لا يشركون فتبيَّن **أن الكمال في وصوفات العباد لابد أن يكون أساسه دائر حول البعد عن الشرك**، فانظري إلى إبراهيم عليه السلام وصف بالبعد عن الشرك بصورتين.

ما هما الصورتان؟ حنيفا ولم يكن من المشركين.

حنيفًا يعني مائلًا عن الشرك.

ولم يكن من المشركين يعني لم يكن من جماعة المشركين.

فبصورتين كان بعيدًا عن الشرك، وهنا سادات الأولياء في سورة المؤمنون الكمل من المؤمنين وصفوا أنهم بربهم لا يشركون، على ذلك تفهم أن الكمل لابد أن يدوروا حول البعد عن الشرك، بل البعد عن ما ينقص التوحيد أو ينقص كماله، وهذا سيتبين لنا في الحديث الذي بعده، السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب،باختصار: لما تركوا ما ينقص التوحيد وما ينقص أيضًا كماله؛

فالتطير مثلًا هذا يصل إلى حد أنه ينقص التوحيد، طلب الرقية ينقص كمال التوحيد، أهم شيء أنهم من قوة توحيدهم أنهم على ربهم يتوكلون، من قوة توحيدهم، ما في قلوبهم إلَّا الله، لا يزاحم غير الله في قلوبهم إلاه.

هذا الكلام إجمالًا ونتطرق غدًا في أول اللقاء إن شاء الله في الكلام حول سورة المؤمنون وفي السبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

جزاكم الله خيرًا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

الحمد لله الذي يسر لنا هذا اللقاء، ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاء مباركا مرحوما .. اللهم آمين

لازلنا بفضل الله ومنته نتكلم عن كتاب التوحيد، مر معنا ذكر بابين والثالث بدأنا به.

- الباب الأول: كتاب التوحيد وقوله الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
- الباب الثاني: فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

الباب الأول كان التقرير فيه أن العبادة هي التوحيد، معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ هو إِلَّا ليوحدون، وقد قرر هذا المعنى تنصيصًا البخاري في كتابه الصحيح، يعني في صحيح البخاري في كتاب التفسير في آية الذاريات نص البخاري على أن معنى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ هو إِلَّا ليوحدون، ونحن ما وصلنا لهذا المعنى إِلَّا بالإستقراء في كتاب الله.

ثم بعد بيان أن العبادة هي التوحيد أتى الكلام عن فضله، مررنا على آية وأربعة أحاديث، هذه الآية والأحاديث الأربعة دلت على أن التوحيد له فضل.

عُدي ما فضل التوحيد؟ نحن بالأمس اتفقنا على أن نعمل جدول.

- الدليل الأول: سنبدأ بآية الأنعام: وستقول أن الموحدين جزاؤهم الأمن والهداية.

اتفقنا أنهم خانتين:

- نكتب في التوحيد الآية ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾، ما معنى بظلم؟ بشرك؛
- يقابلها: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٣٤].

- الدليل الثاني:

- " مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ"
- "وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ"
- "وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ "

هذه الجمل الثلاث كلها **توحيد**.

وجزاؤه: " أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ"[٣٥]

- يعني مهما كان له عمل ناقص، في النهاية مستقره إلى الجنة ولو كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان[٣٦].
- أمَّا إذا كان عمله كاملًا مع وجود التوحيد – وأصلًا لا يعتبر العمل كاملًا إِلَّا إذا كان أساسه التوحيد– يدخل الجنة مباشرة.

- الدليل الثالث: "مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ"[٣٧].

---

[٣٤] الأنعام:٨٢

[٣٥] رواه البخاري (٣٤٣٥)، رواه مسلم (٢٨)

[٣٦] "يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً" صحيح مسلم » كِتَاب الإِيمَانِ » بَاب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً (٢٩٠)

وهنا أكدنا على"يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ" البغية لابد أن يكون لها وسائل؛

ما هي وسائلها؟

• العمل الصالح. • وجه الله يعني الإخلاص.

• "مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ" هذا هو التوحيد.

• فما الجزاء؟ حرم الله عليه النار.

والتحريم نوعان

تحريم مطلق [يعني لا يدخل النار] • تحريم التأبيد.

- الدليل الرابع: حديث موسى عليه السلام:"قَالَ : يَا مُوسَى قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"[٣٨].

الفضل: هو رجحان هذه الكلمة بالسماوات وعامرهن غير الله والأرضين، رجحان هذه الكلمة بهذا كله، وهذا دليل على عظمة شأن التوحيد.

لو أحد سألك قال لك أين التوحيد؟ ستقولي كلمة "لا إله إلَّا الله"، كلمة لا إله إلَّا الله هي التعبير عن **التوحيد**.

ماذا يكون في قلب المعبر عن التوحيد؟ يعني الذي يقول لا إله إلا الله ماذا يكون في قلبه؟

عندك مراتب الدين، والتوحيد في مراتب الدين كلها:

- أمَّا في الإسلام فهو "**شهادة أن لا إله إلَّا الله**".
- وأمَّا في الإيمان فهو "**الإيمان بالله**".
- وأمَّا في الإحسان فهو " **أن تعبد الله كأنك تراه**".

يعني أنك يكون قلبك مجموع على الله، وألا يلتفت قلبك عنه – هذه الدرجة العليا–.

فانتهى الأمر:

- أن عماد الإسلام هو التوحيد.
- وعماد الإيمان هو التوحيد.
- والإحسان كله توحيد.

مرة أخرى:

الإسلام: أول ركن وأهم ركن وهو الذي يُدخل في شهادة أن لا إله إلَّا الله، شهادة أن لا إله إلَّا الله هي كلمة تقال على لسان المتكلم يكون من ورائها الإيمان بالله.

- فأصبحت شهادة أن لا إله إلَّا الله أهم ركن في الإسلام هو النطق بالتوحيد.

---

[٣٧] "فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ" رواه البخاري(١١٨٦)، رواه مسلم (٣٣)

[٣٨] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ :" قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ قَالَ : يَا مُوسَى قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ : يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ ، يَقُولُ هَذَا قَالَ : قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا انت يَا رَبُّ ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تُخْصُّنِي بِهِ قَالَ : يَا مُوسَى لَوْ كَانَ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ ، وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعُ فِي كِفَّةٍ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " [رواه ابن حبان، والحاكم وصححه].

- والإيمان بالله أهم ركن في الإيمان وهو اعتقاد التوحيد.
- والإحسان كله توحيد.

فالصلاة والصيام والزكاة والحج هل تنفع بدون لا إله إلَّا الله؟ لا!.

والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره هل ممكن أن يحصل بدون الإيمان بالله؟ لا!.

فانتهى الأمر على أن الدين كله عبارة عن توحيد، وكل شيء يُبنى عليه.

- الدليل الخامس: حديث أنس:
  - التوحيد فيه في: "لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا".

واتفقنا أن هذا الشرط عظيم، ثقيل، صعب، فيه من الصعوبة الشيء الكثير، من أجل ذلك أتى الجزاء عظيم.

- ما جزاؤه؟ مغفرة الذنوب، حتى لو بلغت هذه الذنوب قراب الأرض، ومغفرة الله عز وجل أوسع من ذلك، لكن هذا الذي تتصوره قراب الأرض خطايا ومع ذلك مادام معك توحيد، ومادام معك قوة بعد عن الشرك، سيكون هذا سببا لحرق ذنوبك، **حسنة التوحيد تحرق الخطايا**.

لكن هذا الحديث – ولا بصورة – تتعامل معه على أنه سبب لاستهانتك بالذنوب، بل هذا الحديث كأن يشير إلى أن الذنوب التي تصدر ممن في قلبه توحيد ذنوب قد تتكاثر لكنها تكون بسبب الطباع البشرية، والنقص، والنسيان، والذهول، وعدم العناية أحيانًا بمواقف.

ولذلك مثل واضح: لو ضربت لك مثل الحرم في الزحام، والبيت المعظم الذي يكون الذنب فيه معظما، ثم أتيت تنوي أن تتقرب إلى الله، فتجد نفسك تتخطى الرقاب، وتدافع الناس، وتؤذي بعضهم، وقد يكون الذي بجانبك مثلًا مريض في كتفه، فتمشي وتؤذيه أذية بالغة، وقد تكون حامل أشياء وقد تكون هذه الأشياء التي تحملها سببًا لإيذاء الآخرين، وانت تمشي وأي أحد ينظر لك من بعيد يحكم عليك أنك مؤذٍ، وانت ليس في قلبك أي مشاعر إرادة الإيذاء إلَّا أنك غافل ساهٍ، لو أنا أخاطبك بشر أقول لك المفروض أن تنتبه، انت ذاهب إلى بيت الله، تخفف من كل شيء، واختار الوقت المناسب الذي تدخل فيه وتخرج، وانتبه لكذا وكذا، هذا لما أنا أكلمك البشر، لكن لما يعاملك الرب سبحانه وتعالى الذي هو مطلع على ما قام في قلوب الناس هذا أمر آخر، ليس فيه نقاش، **إذا معك توحيد ومعك ذنوب من هذه الأنواع التي قد تبلغ عنان السماء، قد تبلغ قراب الأرض، سيكون التوحيد سبب لمغفرة الذنوب**.

أمَّا إذا عشت تحت هواك ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾[٣٩] فقد شرَّكت، فالمعصية هنا نوع تشريك، لأن تحولت حياتك لمتابعة هواك، فلم تحقق الشرط الذي في الحديث: "يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا " هل من السهل "لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا"؟ ليس أمرًا سهلًا.

[٣٩] الجاثية:٢٣

فلا تتصور أن هذا الحديث يعطيك جواز مرور إلى المعاصي – على العكس– هذا الحديث يقول لك : لا بد أن تستيقظ، لو عشت حياتك متبع لهواك، مستعمل أحاديث الرجاء دائمًا تارك لأحاديث الخوف كأنك لا تسمع ولا ترى، **يقال لك: استيقظ، الشرط إلَّا تشرك به شيئا**، ووصف الله عز وجل في كتابه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ فكن على حذر من المعاصي.

واعلم أن هناك معاصي لو تُبهت عليها، يعني انت الآن من أجل أن يكون مقياسك صحيح يعني انت ما أدراك في المعاصي أنك تتبع هواك أم لا تتبع؟ الجواب كلام يطول شرحه لكن على أقل تقدير لو أتى إليك أحد وانت داخل في غيبة وقد نسيت نفسك، بدأ الكلام سليم ثم انتهى بغيبة، فأتى أحد وقال لك: انتبه هذه غيبة، وكبيرة من كبائر الذنوب وكذا وكذا، تشعر أن قلبك قفز خوفًا، لا أن تُسكت الذي أمامك وتخرج مائة ألف عذر وتقول لا من قال لك هذه غيبة، هذه كذا ومرادي كذا، وانت تعرف أنك تلف وتدور لتسكن هواك، حتى ترضي هواك، حتى لا ترضي أمامك نفسك أنك مغتاب، على الأقل هذا أقل ما يقال الآن في هذه العجالة في تمييز المعصية التي تأتي من الهوى والتي تأتي من غفلة.

لأن المعاصي تأتي من غفلة، وتأتي من تبييت ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾[٤٠] تأتي من تبييت وعقد وعزم و تخطيط، فرق شاسع بين ذنوب الغفلة، وذنوب التبييت.

فلا تأخذ هذا الحديث جواز للمرور إلى المعاصي –بالعكس– هذا الحديث يفهمك أنك من المفروض تكون أدق ما تكون، ومع أنك أدق ما تكون لكن لا تحسب نفسك أنك تسلم من المعاصي، فينتهي الأمر أنك بحاجة حقيقية إلى رحمة الله، وبهذا تفهم حديث أنه لا أحد يدخل الجنة بعمله[٤١]، بهذه الصورة تفهم حديث أن ما فيه أحد يدخل الجنة بعمله، **إنما تدخل انت برحمة الله، لأنك مهما كنت حريصًا إلَّا الغفلة من طباعك، إلَّا والخطأ من طباعك، إلَّا والشيء الذي لا تقدره ذنبًا وغيرك يقدره ذنب، إلَّا وأذية تؤاذي بها غيرك من المسلمين ويطالبك يوم القيامة بها**، وانت بكل براءة تعمل نفس الخطأ مكرر في حقه أو في حق غيره، وانت لا تتصور أن هذه أذية، كيف يعاملك الله وانت غير معتقد وانت آذيت!

كل هذه الأمور لا بد أن تتصورها، فتفهم في النهاية أننا لا ندخل الجنة بأعمالنا، إنما ندخل الجنة برحمة الله، وإنما نقدم بين يدي هذه الرحمة أسباب، يعني من أجل أن تشملك رحمة الله تقدم بالأعمال، تقدم بالتوحيد الذي تنبني عليه أعمال، فإذا تقدمت بهذه الأعمال المبنية على التوحيد عاملك الله برحمته، وإذا ما تقدمت بالتوحيد ولا بالأعمال كيف ستشملك الرحمة؟!؛ وفي النهاية هذه الرحمة هي التي تكون سببًا لمغفرة هذه الذنوب التي تبلغ عنان السماء.

لكن والذي لا يأتي بالتوحيد ؟ لا يستحق هذه الرحمة، **إذن التوحيد هو الأساس الذي تُبنى عليه الأعمال وتستحق به الرحمة.**

---

[٤٠] النساء:١٠٨

[٤١] "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالَ رَجُلٌ وَلَا إِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا إِيَّايَ إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ "، صحيح مسلم» كتاب صفة القيامة والجنة والنار» باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى(٢٨١٦)

	النص	التوحيد	الجزاء
١	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾	﴿آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ بظلم: بشرك	الأمن والهداية ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾
٢	"مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ"	"مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ"	" أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ"
٣	" فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّه"	" مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّه"	حرم الله عليه النار " فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ .."
٤	" قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ قَالَ : يَا مُوسَى قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ : يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ ، يَقُولُ هَذَا قَالَ : قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا انت يَا رَبُّ ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تُخُصُّنِي بِهِ قَالَ : يَا مُوسَى لَوْ كَانَ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ ، وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي ، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعُ فِي كِفَّةٍ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ".	"قل يا موسى: لا إله إلَّا الله"	رجحان هذه الكلمة بالسموات وعامرهن غير الله والأرضين " لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلَّا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلَّا الله"
٥	" قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً".	" لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا"	مغفرة الذنوب، حتى لو بلغت هذه الذنوب قراب الأرض

بعد أن انتهى هذا الباب أتى الشيخ إلى الدرجة الأعظم التي نرجو الله أن يقربنا منها تقريبا، يعني ليس شرطًا أن نصل إلى تحقيقها، لكننا نتأمل أن الله يسددنا ولو في آخر لحظات حياتنا أن نكون ممن حقق التوحيد تحقيقًا مندوبا، فنبلغ الدرجات العلا بمنه وفضله؛ هو أولًا الذي امتن علينا بالعلم عن هذا التوحيد، وهو سبحانه وتعالى الذي يسددنا للثبات عليه، وأن نُقبض عليه .. اللهم آمين.

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب **وقول الله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[٤٢]. وقال: (وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ)[٤٣].**

عن حُصَيْنُ ابن عبد الرحمن، قَالَ: "كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ اسْتَرْقَيْتُ، قَالَ فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ، فَقَالَ وَمَا حَدَّثَكُمْ الشَّعْبِيُّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ، فَقَالَ قَدْ أَحْسَنَ مَنْ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ" ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟" فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: "هُمْ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ وَلا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: "أَنْتَ مِنْهُمْ"، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَقَالَ: "سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ."[٤٤].

هذا الباب كله يتكلم عن فضل واحد، يعني في الباب الماضي – باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب– كلمك عن هذا التوحيد وكيف أنه سيكون سببًا لإدخالك الجنة على ما كان من العمل، سيكون لك الأمن والهداية، وأنه سبب لمغفرة الذنوب، عدد من الفضائل؛

أمَّا في باب من حقق التوحيد هناك فضيلة واحدة عظيمة كل الفضائل بعدها تعتبر أقل منها أو في داخلها؛ **ما هي هذه الفضيلة؟** أن يدخل الجنة بغير حساب، فصار الهمَّ هنا ليس الكلام عن الجزاء، فهمنا الجزاء، الجزاء هو "أن تدخل الجنة بغير حساب"، **صار الهمَّ هنا هو من هذا الذي سيفوز بهذه المنقبة العظيمة؟!.**

فكأن هذا الباب ندور فيه حول: من هذا الذي سيفوز؟! فنفكر فيه بصورة أخرى.

---

[٤٢] النحل:١٢٠

[٤٣] المؤمنون:٥٩

[٤٤] البخاري: الطب (٥٧٠٥) ، ومسلم: الإيمان (٢٢٠) ، وأحمد (٢٧١/١)-(٢٣٢١).

أتى الشيخ بثلاثة نصوص كافية لبيان الصفات:

- آية فيها وصف إبراهيم عليه السلام.
- وصف الكمّل،سادات الأولياء المؤمنين – الكمّل من المؤمنين-.
- الحديث الذي فيه التنصيص على أن الكمّل هؤلاء لهم صفات بسببها يدخلون الجنة بغير حساب.

إذن آيتين وحديث، إذن في هذا الباب تفكر في ماذا؟ انت الآن عرفت الجزاء، وعرفت أن الذي يفعل هذه الأفعال يدخل الجنة بغير حساب، ففهمت الجزاء؛ فصار تفكيرك **"كيف أصل إلى أن أحقق التوحيد؟"** هذا هو السؤال، هذا الشيء المهم الآن الذي نبحث عنه.

انظر إلى هذا الأمر مع فهمك لآية سورة فاطر، وافهم من ثَمَّ أن الذين يحققون التوحيد ما بهم؟ متساوون؟ لأ، غير متساوين؛ ففي آية سورة فاطر يبيَّن لك أن الذين أورثوا الكتاب، وإيراثهم للكتاب هذا اصطفاء، ولا يمكن أن يصطفي الله المشركين، والآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ لا يمكن الذين اصطفاهم الله مشركين، يعني هذه الكلمة تبيِّن لك أنهم موحدون.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ﴾ لما أورثوا الكتاب انقسموا إلى ثلاثة أقسام:

- الأول: ظالم لنفسه، وهذا في حديث أنس.
- الثاني: مقتصد.
- الثالث: سابق بالخيرات بإذن الله.

فأصبح عندي اثنين من محققي التوحيد، ولا تتصور أن القسمان في درجة واحدة، أكيد أن السابق بالخيرات أعلى من المقتصد، ثم انظر إلى نفس المقتصدين، نفس المقتصدين ليسوا درجة واحدة بل متفاوتون، وليس أيضًا السابقين بالخيرات درجة واحدة، لا زال بينهم التفاوت، وانت تفهم هذا التفاوت بوضوح، فيه أنبياء، وفيه صديقون، وفيه شهداء، وفيه صالحون، فانت فاهم أن هؤلاء السابقون أنفسهم متفاوتون.

فانتهى الأمر على أن تفهم المسألة إجمالًا، ثم حقق ما تستطيع من صفات مع فهمك للتفاوت، لكن حقق ما تستطيع، يعني انت الآن تبذل وتبذل ولا تستطيع أن تصل إلى درجة الصديقين مثلًا، فتيأس • لأ • افهم أن هناك تفاوت وهذا التفاوت يسمح لك بأن تبذل وتنتظر العطاء والتثبيت من الله عز وجل، لكن اشتاق إلى أن تكون من الكمّل، فأهل الدنيا يشتاقون إلى أن يكونوا من الكمّل في الدنيا، شوقك لأن تكون من الكمّل في أمر الآخرة وانت صادق في ذلك سيُيسر لك سبيل لا تتصوره، سيأتيك ولو بعد حين!، انت اشتاق إلى أن تكون من الكمّل مهما كان وضعك وصورتك ونفسيتك وحالتك، مهما كانت حالتك، اشتاق إلى أن تكون من الكمّل، شوقك هذا بعد صبر لو طال أو قصر في النهاية سيُيَسر لك طريق للكمال، ييسره الله عز وجل على قدر صدقك ومحبتك للصواب.

أَلَّا ترى سحرة فرعون الذين كانوا في غاية النقص، كانوا محاربون لله وللرسل!، ومع ذلك ماذا وقع لهم لما صدقوا؟ يعني تخيلوا موسى كلمهم كلمة واحدة، ماذا قال لهم كما في سورة طه؟ ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا – ماذا سيفعل بكم؟ – فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[٤٥]

لما سمعوا هذا الكلام ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ وقعت الكلمة في قلوبهم، ﴿فَتَنَازَعُوا﴾ لو الكلمة ما وقعت في القلب ما كانوا تنازعوا، هم كانوا مجتمعين على أن ينفذوا أمرهم في محاربة موسى، لما كلمهم هذه الكلمة قال لهم هذه الكلمة تنازعوا أمرهم بينهم، ولأن الأمر لم يتبيَّن لهم جيدًا ولم تأتهم الأدلة بعد ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾[٤٦]، لما رأوا الحق كانوا أول من سجد، أول من عبد، أول من أطاع.

معنى ذلك مهما كنت تتصور نفسك بعيد عن الاستقامة، بعيد عن درجة حتى أقل نوع من الاستقامة تتصورها لا تيئس نفسك من نفسك!، اشتاق إلى أن تكون من الكمّل، **أظهر لله عز وجل من نفسك مشاعر أنك تحِب أن تكون من الصالحين المتقين المتقربين**، وتبغض أن تكون ممن حرقتهم نار الدنيا بالتعلّق بها، حتى لو كان في قلبك حب للدنيا، لكن على الأقل اشعر أن هذا ليس كمالًا، **الكمال أن تحب الآخرة**، فإذا وقع في قلبك هذا الأمر على المدى الطويل إلَّا الله عز وجل يشكر لك هذا الأمر، **نحن لا نتألى على الله، لكن هو سبحانه وتعالى وعد باسمه الشكور الغفور أن يشكر لك حركة قلبك**، وحركة قلبك أن تشتاق أن تكون من الكمّل، وكم من عبد اشتاق إلى الاستقامة يسر الله عز وجل له سبيلها، واجمع قلبك في سورة الفاتحة وانت تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾[٤٧] عللك تُوفق إلى إجابة تستقيم بها حياتك بعد ذلك.– نسأل الله عز وجل من فضله–

الآن اتفقنا على أن الموحدين في سورة فاطر ينقسمون، كأنك تقول: **أقسام المصطفين لوراثة الكتاب، ثلاثة أقسام:**

- الأول: ظالم لنفسه.
- الثاني: مقتصد.
- الثالث: سابق بالخيرات بإذن الله.

الظالم لنفسه ناقشناه في الباب السابق في حديث أنس وهو: " لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا".

واتفقنا أمس:

- أن الظالمين لأنفسهم ليسوا درجة واحدة.
- كما أن المقتصدين ليسوا درجة واحدة.
- كما أن السابقين ليسوا درجة واحدة.

---

[٤٥] طه:٦١

[٤٦] طه:٦٢

[٤٧] الفاتحة:٥،٦

هذه معلومة مهمة جدًا، يجب أن تفهموا هذا المعنى، أن نفس الظالمين ليسوا درجة واحدة، يعني فيه واحد عنده مقدار شعيرة من الإيمان، وواحد مقدار ذرة، متفاوتون، هذا الشيء لازم تفهمه بوضوح، فيه مِن الظالمين لأنفسهم مَن عندهم درجة من عدم الشرك تسبب معاملة الله لهم بالمغفرة؛ سنترك الظالم لنفسه ونبتدئ بالمقتصد والسابق بالخيرات، وهذا كلها نناقش كلمة **"تحقيق التوحيد"**.

نحن نقول: **"باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب"**، صار التفكير كله حول كلمة **"تحقيق التوحيد"**، حقق التوحيد؛ معنى ذلك أن : ❖ عندي "موحد". ❖ وعندي "محقق للتوحيد".

المحققون للتوحيد بأنفسهم درجتان إجمالًا:

- تحقيق واجب.
- تحقيق مندوب.

نبدأ بالتحقيق الواجب مرة أخرى:

❖ **ما هو التحقيق الواجب؟**

تصفية توحيد العبد وتخليصه من الشرك الأكبر والأصغر والبدع والمعاصي، فيترك المحرمات، ويفعل الواجبات.

❖ **التحقيق المندوب:** هذا هو موضوعنا في هذا الباب، وهذا الذي حقق تحقيقًا مندوبًا **يضيف إلى ما تقدم – يترك المحرمات، ويفعل الواجبات – فعل المستحبات وترك المكروهات، وبعض المباحات.**

سنضيف هنا جمل من أجل أن تتضح المسألة أكثر وتناسب السياق.

سنقول: **"**ومن أهم المباحات التي تترك استعطاف الناس، وسؤال الأمور المباحة، فتُترك الحاجة للمخلوقين، وتُطلب من رب العالمين، فيخلص القلب من التعلّق بالمخلوقين وسؤال ما فيه مذلة ومهانة.**"**

عندما تسمع هذا الكلام لا تتكلم وتقول صعب!، نحن **أصلًا نتكلم عن التحقيق المندوب، أعلى شيء**، لا تعترض بنفسيتك، لأن الإنسان لما يزيد إيمانًا وتقوى يستطيع هذا الأمر بيسر وسهوله، سيأتينا أنهم لا يسترقون، لا يكتوون، لا يتطيرون، ليست هذه فقط! **"القاعدة: ترك التعلّق بالناس وسؤالهم سؤال مذلة"**، هذه هي القاعدة، وسيأتي تفصيلها.

لكن أولًا لازم نفوسكم تتهيأ لهذا المعنى، يعني لا تخرج من اللقاء وتقول أمر مستحيل لا أستطيعه، لازم تفرق كمال الإيمان عن نقصه، لما يكمل إيمانك ستتصور سهولة هذا المعنى، ستتصور أنك قادر عليه، وهذا لا يُخاطب كل أحد فيه، يعني كل أحد أقول له أترك المباحات؟ ينفع كل أحد أقول له أترك المباح؟!

اقرؤوا الجملة جيدًا في تحقيق المندوب: **هو أن يضيف إلى ما تقدم فعل المستحبات، وترك المكروهات، وبعض المباحات.**

ومن المباحات التي تتركها يعني مثلًا انت تتعامل مع الناس وتسألهم، لكن من المباحات التي تُترك لكمال التوحيد "سؤال الناس"، فأصبحت مرتبة عالية.

لما تسمع عن العال لا ترفضه، تمناه!، تمنى هذا العال، لكن لا ترفضه بنفسيتك وتشعر أنه لأ!، هذا الإشكال الذي يُشكل علينا، أن كل واحد يفكر بنفسيته ودرجة إيمانه ويأتي يترك النصوص، • لا • ليس بهذه الطريقة، **انت اقبل أن هناك مراتب، كما أن الجنة مراتب فأهل الإيمان في الدنيا مراتب في إيمانهم، ومراتب في أعمالهم، مراتب في نفسياتهم.**

أحيانًا تأتي جمل في الذهن أنه الآن هؤلاء جماعة يريدون أن ينقلونا إلى رأيهم، عندهم شيء من التشدد مثلًا، أو عندهم شيء من التقشف وترك الدنيا، فيحملون كل الناس على ما يعتقدون!.

نقول: لا تفهم الأمر كذلك، المسألة من أولها نقول لك هي مراتب.

يعني لا يصح لي كمعلم أن آتي أتهمك أقول انت أصلًا ضعيف إيمان، وما دمت ضعيف إيمان بأي مناسبة أكلمك عن الكمّل؟!، ابق على منزلة "فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب" يكفيك هذا، انت يكفيك فقط حديث أنس!!، هل يصح أن أقول ذلك؟! هل ترضون أصلًا أن يخاطبكم أحد بهذه الصورة؟ لأ، فلما تسمع الكلام عن الكمّل في النصوص لا ترفضه بسبب نفسيتك الآن، **بل اسمع عنهم فيتسع أفقك، فتكون بداية شق الطريق لتصل إلى درجتهم**.

كم من مؤمن يتمنى لو قيل له ما هو الكمال في هذا الموقف!، كم من شخص من أهل الإيمان في أرجاء الأرض يتمنى أن أحد يقول له الكمال هو أن تفعل كذا وكذا، لكن نحن نعاني من البطر، حتى في مسألة التعلم نعاني من البطر!، لما يقال لك هذا الكمال وانت غير مستطيع له تقوم تلتفت إلى الكمال وتتهمه أنه ليس بكمالًا!.

وأنا أقول هذا الكلام بعد مرات ومرات من تدريس هذا الباب أو أمثاله، فكون الشخص هو لا يتحمل الكمال لا يعني أن يأتي إلى الكمال ويتهمه!، خصوصًا أن كل الكلام منصوص عليه بنصوص، **فصار اتهامك ليس للكلام، بل لكتاب الله ولسنة النبي صلى الله عليه وسلم!**.

إذن اتفقنا أن التحقيق المندوب هذه درجة أعلى، هذا الباب لن يناقش التحقيق الواجب، لكن سيناقش التحقيق المندوب، فأتاك بالكمّل:

- أتاك بإبراهيم عليه السلام.
- أتاك بالمؤمنين الذين وُصفوا في سورة المؤمنين.
- أتاك أيضًا بالسبعون ألف المميزين الذين يدخلون الجنة بغير حساب.
- فالكلام ليس عن أي أحد، الكلام عن الكمّل.

- الدليل الأول: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

اتفقنا على وصف إبراهيم عليه السلام أنه :

- ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي فارق المشركين بقلبه وببدنه.
- ﴿حَنِيفًا﴾ مال عن الشرك

فتصور عبد فارق أهل الشرك، فلا يشغلونه عن الله بأحد، وقلبه مال عن الإلتفات لأي أحد للإلتفات إلى الله وحده، تخيل ماذا يكون؟ كيف يكون قوامًا صوّامًا تائبًا عابدًا ذاكرا؟

- أتاك الوصف الثالث ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾، وهذه الكلمة معناها ملازمًا للطاعة.

فما الذي يمنعك من ملازمة الطاعة ؟

الذي يمنعك عن ملازمة الطاعة هو أن يلتفت قلبك لغير الله، أن يكون قلبك مشغولًا بغير الله.

فتأتي تقول: أنا علي مهام، ولي وظائف لا بد من القيام بها!

نقول: نعم، على الحد الأدنى من كل الوظائف – ولا تنس أن هذه الصفحة كلها كلام عن الكمّل – فما لا تستطيعه اتركه لا تتكلم عنه ، لكن انت افهم، هات الحد الأدنى من كل شيء، ألم تخبر في كتاب الله أن فيه من أموالنا وأولادنا من وصفهم أنهم عدو لنا؟ ألم تُخبر أنهم فتنة؟، إذن هذا كله ما معناه ؟ معنى ذلك **أن الشاغل لك عن أن تكون قانتًا هو أن قلبك انشغل بغير الله، زاد عن الحد الطبيعي المطلوب،** وصل إلى حد أعلى مما هو مطلوب، والناس مختلفون في مثل هذا.

المقصد الآن ماذا نريد أن نصل؟

- أن الكمّل يقع لهم كمال من جهة مفارقتهم لأهل الشرك.
- وكمال أيضًا من جهة عدم ميل قلوبهم لغير الله.

"كمـال" لا تلتفت قلوبهم لأحد غير الله، كمال في عدم الإلتفات.

- وهذا سينتج كمالًا في الطاعة، لأن قلبه ليس عنده أحد ينشغل به غير الله عز وجل.

وانت انظر إلى نفسك لما تأتيك مشاغل في بيتك ومع أولادك، ماذا يحصل في ذكرك؟

يقل انت تقول الآن: هذا طبيعي!

نقول: الطبيعي هذا دعه طبيعي، انت كلما ازددت إيمانا كلما تصورت المسألة، وكلما أصبح زيادة إيمانك سبب لمقاومة هذه المشاغل، تُبتلى بها فتقاومها، تُبتلى بها فتقاومها، إلى أن يكملك الله.

ننتقل الآن إلى الوصف الذي بعده.

- الدليل الثاني: وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾.

اتفقنا هنا أن نأتي بصفاتهم: من الآية "٥٧" إلى الآية "٦١"

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[٤٨]

• صفات الكمّل •

- **آية "٥٧"**

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ **"الإشفاق"**.

"هذا الإشفاق كأنك تقول: أي المؤمنون مع إ حسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح – ماذا يقع في قلوبهم؟- مشفقون من الله، خائفون من عقابه.**"**

إذن الخوف صفة كمال أم صفة نقص؟ صفة كمال، ما دام أنه يدفعك للعمل الصالح، يدفعك للهرب مما تخاف، وأي واحد سوي هذه حالته.

[٤٨] المؤمنون: من الآية "٥٧" إلى الآية "٦١"

يعني نحن لا نرى واحد سوي يخاف من الأسد يقف مكانه!، إذن كل خائف لابد أن يهرب مما يخاف، فإذن معنى ذلك أن خوفك من العذاب يدفعك للهروب منه بالعمل الصالح، تأتي تضع حاجز بينك وبين ما تخافه، تتقيّ ما تخاف.

أتت الصفة التي بعدها، أولًا هم مشفقون.

آية "٥٨"

﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ **"يزداد إيمانهم بتلاوة آيات ربهم"**.

معناه إذا تليت عليهم آيات زادتهم إيمانا، وسواء كانت هذه الآيات شرعية أو آيات كونية، فمعنى ذلك أنهم أهل تدبر، لأن هذا وصف زيادة الإيمان لا يأتي من مجرد التِّلاوة، لابد أن يأتي معه التدبر.

يأتي بعد أنهم خائفون، وأنهم يزداد إيمانهم بتلاوة آيات ربهم يأتي السبب؛ هذه صفة وسبب في نفس الوقت؛ ما هي الصفة والسبب؟

آية "٥٩"

﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ نحن نتكلم عن الكمّل، فكيف يأتي في وصف الكمّل الكلام على ترك الشرك؟ لكن أصلًا هم كُمل!، هذه مثل آيات سورة الفرقان، نجد كلام عن الكمّل ثم يأتي أنهم ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ، مع أنهم كمل ومن المؤكد أن كمالهم مبني على التوحيد، فلماذا كل ما يأتي الكلام عن الكمّل يأتي الكلام عن ترك الشرك؟ لماذا؟

لأن الشرك يُعارض العبد ويُبتلى به، فتجد الكبير منه والصغير من الشرك، فإذا سلم العبد من كبير الشرك قد لا يسلم من صغيره، بل يزداد عليه البلاء في صغيره الذي لو استمر واستقر أصبح في حكمه كبير.

ولتفهم هذه الجملة خذي أحسن مثال**"الرياء"**، يعني بالذات ونحن نتكلم عن الكمّل لابد أن يأتينا الرياء، طبعًا [الرياء، العجب، الكبر] لكن اترك العجب والكبر ولنبق مع الرياء على الأقل، لننظر إلى هذا الكامل – الكمّل من المؤمنين – نجده مشفق من ربه، خائف، طائع، كلما أتته الآيات حركت قلبه، ثم تجده في موقف ينتظر رؤية الناس له!، يطرب بثنائهم، إلى آخر مظاهر الرياء، تبدأ بلوى صغيرة في حكمه تكون شرك أصغرا، فهو ليس في الحكم صغير وكبير، **الشرك الأصغر أكبر من أكبر الكبائر**، فمشكلة الرياء أنك لا تشعر به بقوة، وأيضًا لا تشعر بقوة الذنب فيه، فالناس لا يشعرون أنه أكبر من أكبر الكبائر.

على كل حال، يبدأ هذا الأمر نقطة في قلبه، إلى أن يكبر ويتسع ثم يأتيه الوصف الذي في سورة النساء، المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلًا﴾[٤٩] فيتحول من الكمّل إلى النفاق، فتصور كم هو خطير الشرك!.

الآن هنا صغيره، وهو الشرك الأصغر، يبتدئ بشرك أصغر، وينتهي بأن يكون في حكمه أكبر، فيتحول من التوحيد والكمال إلى النفاق الأكبر.

فمعنى ذلك أنه إذا لم يسلم من الشرك إنهارت كل عباداته، إنهار كل شيء، يعني إذا وقع في قلبه الشرك الأصغر ووالأصغر هذا كبر واتسعت مساحته، وصار يظهر الإشفاق ويمدحوه الناس، ويظهر التأثر بالآيات من أجل أن يمدحوه الناس، يعني مشفق وإذا سمع

[٤٩] النساء:١٤٢

الآيات يتأثر لكن فقد التوحيد، وقع في الشرك، الشرك لما يقع فيه ماذا يحصل بعدها؟ يأتي إلى كل الأعمال ويحصدها خصوصا إذا لم يقف عند حده وتوسع!.

إذن الكمّل في ثنايا وصفهم سواء هنا في سورة المؤمنون أو في سورة الفرقان، ولاحظ دائمًا في الكلام عن وصف الكمّل لابد أن يأتي فيه نفي للشرك عنهم، فانت تستعجب، كيف نفي الشرك عنهم وهم أصلًا ما أصبحوا كمل إلَّا بعد أن كان أساسهم متين، وبنوا فوق هذا الأساس طوابق هائلة من الطاعة والعبادة، فكيف يخاطبون مرة أخرى بالكلام عن الشرك؟ نعم!

كأنه يقال لك: "كما ازددت كمالًا كلما تعرضت لما يخل بهذا الكمال، كلما ازددت كمالًا كلما تعرضت للفتن في توحيدك، فالفتن في التوحيد تأتي للعبد بعد أن يزداد كمالًا."

- أيضا من أنواع الشرك: شرك الإنسان بنفسه، وهو "**العجب**"، هذا العجب نوع شرك عظيم، يُعجب الإنسان بنفسه فيتصور أنه فاعلٌ للطاعة، قادر عليها، متمكن منها، فأشرك نفسه مع ربه!.

كيف صورة الشرك؟ أنه يتصور أنه على الطاعات قادر –لوحده– ما فيه "بإذن الله"!

هؤلاء السابقون بالخيرات في الآية ما وصفهم هؤلاء؟ هل هم سابقون للخيرات بإذن أنفسهم؟ لأ!، سابقون للخيرات "**بإذن الله**"، فتصور هذه بإذن الله تمنعك من الشرك تمامًا، لأنك تفهم أنك لم تكمُّل بنفسك، إنما كملك الله.

إلى آخر صفاتهم، المهم أهم شيء أنك تفهم، لماذا لما يأتي الكمّل يأتي كلام عن الشرك، لماذا؟ يأتي كلام عن الشرك **لأنه كلما ازداد الإيمان كلما ازدادت البلايا في التوحيد**.

ولا تتصور أبدًا أن العبد إذا كان كامل الإيمان وابتلى في التوحيد أنه لا يرسب في التوحيد، عندك أمثلة كثيرة على الرسوب، على السقوط في الفتنة ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾؛

- إذا نتكلم على مثال فيما مضى خذ آية سورة الأعراف في وصف ذاك الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها.
- وإذا تريد أن تتكلم على الواقع خذ المثل المشهور الذي يُعاد ويُكرر في الكلام، ذاك الذي كان على استقامة من أهل التوحيد، كتب في التوحيد مجلدات، ودعا إليه، وأحسن في الكتابة عنه، ثم، مات ملحدا!، والعلة؟ أنك ترى شيء من قصائده فيها من الإعجاب بالنفس، ومدح الذات، وتصور أن الأمر إليه في الاستقامة!، وأنه سبب استقامة نفسه، وأن الناس في حاجة شديدة إليه، إلَّا أن يكتب قبل موته كتابات ينقض كل ما مضى فيها، مات ملحدًا !! تصور المسألة، بعد أن كان من أهل التوحيد مات ملحدا!

فلا تتصور أن ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ وصفًا سهلا، هذا من دعائم وصوفات الكمال، وطول الوقت هو مذلول منكسر، لا يشرك مع الله غيره ولا يريد رضى غيره ولا يعجب بنفسه، لا تملوا من مثل هذا الكلام، هذا الكلام لازم يعاد حتى يعرف الإنسان حجمه الحقيقي، **فإذا كمل من جهة الطاعة لابد أن يدفع كل ما يخدش توحيده**.

انتهينا من آية سورة المؤمنون.

الدليل الثالث

نأتي إلى الحديث الذي يعتبر بالنسبة لهذا الباب عماد، حديث حصين ابن عبد الرحمن، ساقرأ الحديث ونفهمه بالتفصيل من أجل أن لا يمر عليكم ولا تفهموا الحوار الذي حصل.

عن حُصَيْنُ ابن عبد الرحمن، قَالَ : "كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ لَنَا :

من يقول الآن؟ أي سعيد بن جبير، هذا حديث طويل ولابد من التركيز في فهمه.

الآن عندنا شخصان في بداية الحديث:

- حصين بن عبد الرحمن.
- وسعيد بن جبير.

كلاهما تابعي

أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ ؟

سعيد بن جبير يسأل هذا السؤال في مجلسه فيقول: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة، وانقض بمعنى سقط، أي الشهب.

قُلْتُ : أَنَا ،

مَن الذي يقول "أنا"؟ حصين بن عبد الرحمن، وكان ذلك في الليل فماذا سيُتصور عندما يقول "أنا"؟ سيُتصور أنه قائم لليل.

ثُمَّ قُلْتُ : أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ ،

ما معنى هذه الجملة؟ معناها الحرص على التوحيد، **ألَّا يُفهم عنه تزكية ليس هو أهلها**

قَالَ:

الذي يقول سعيد بن جبير.

فَمَاذَا صَنَعْتَ ؟

يعني لما لدغت يا حصين بن عبد الرحمن ماذا صنعت؟

قُلْتُ اسْتَرْقَيْتُ ،

أي طلبت من يرقيني بالآيات والقرآن.

قَالَ فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟

يعني ما الذي جعلك تفعل هذا؟

قُلْتُ حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ ،فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ الشَّعْبِيُّ ؟

الذي يقول هذا الكلام سعيد بن جبير

قُلْتُ : حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ،

- "لَا رُقْيَةَ" يعني لا رقية تنفع، لا رقية أنفع من رقية تستعملها في العين، يعني إصابة العائن غيره بعينه.
- "أَوْ حُمَةٍ" يعني لدغ ذات السموم، وليست الحمى بل الحمة لدغ ذات السموم كالعقرب يعني.

فَقَالَ:

هذا الآن سعيد بن جبير

فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنْ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ

وهذه قاعدة، انت الآن بلغك دليل، كيف يكون فعلك؟ بناء على الدليل، **تقف عند الدليل الذي أمامك، الذي تعرفه، لأن ما لا تعرف لا تُطالب به**، يعني تحسن عندما تقف عند الدليل الذي تعرفه

قَدْ أَحْسَنَ مَنْ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ

ما معنى "وَلَكِنْ" هنا؟ يعني سعيد ابن جبير ماذا يريد أن يقول؟ **"لكن" حرف عطف تفيد الإستدراك.**

فمثلًا تقول: ما حضر محمد لكن حضر علي، فهذا استدراك، كأنك أولًا تترك الأول وتنتقل إلى الثاني، إلى معنى آخر.

فكأنه يقول: **" انت أحسنت لما وقفت عند الحديث الذي سمعته فذهبت وطلبت والرقية، لكنني أدلك على حال أحسن مما فعلت"**

ما هي الحال التي أحسن مما فعلت؟ فحدثه حديث ابن عباس،.

قبل أن نكمل حديث ابن عباس، انظر كيف الحرص على التوحيد

من حصين بن عبد الرحمن لما قال له سعيد بن جبير: فَقَالَ أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ ؟ قُلْتُ أَنَا ، – فرد قائلًا –: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ ،

فهذا الحرص على التوحيد أورث العبد بركات، يعني هذا العلم الذي أتى إليه وهو حديث ابن عباس ما أتى إليه إلَّا بعد أن كان صادقًا مخلصًا.

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ

الرهط المقصود به عدد من الثلاثة إلى التسعة، أي أن النبي يكون معه عدد قليل إلى هذه الدرجة

وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْمُهُ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ"

هذا هو موطن شاهدنا: أنهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ولم يذكر صفاتهم إنما ذكر فقط الخبر أنهم سبعون ألف.

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ – صلى الله عليه وسلم – فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : "مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ ؟" فَأَخْبَرُوهُ ،

أي أخبروه بما دار بينهم.

فَقَالَ : "هُمْ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَكْتَوُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "

نناقش الآن هذا الموطن في صفاتهم

الصفة الأولى: " لا يَسْتَرْقُونَ"

"لايَسْتَرْقُونَ": هذه السين سين الطلب، أي لا يطلبون الرقية

انظر [ترتقي، تطلب الرقية، ترقي نفسك، ترقي غيرك] كلها أفعال دائرة حول الرقية؛

- فكونك ترقي نفسك: أي أنك تقوم بهذا الفعل بنفسك.
- وكونك تسترقي: أي أنك تطلب الرقية، وهذا المقصود؛

"لايَسْتَرْقُونَ": أي لا يطلبون الرقية.

ما علاقة عدم طلب الرقية بالتوحيد؟

سنناقش أمور تحت علاقة "لايَسْتَرْقُونَ" بالتوحيد

- **أولًا: نقرر أن طلب الرقية مباح.**
- **ثانيًا: أن الطلب عمومًا ليس من صفات الكمّل.**

والمقصود الطلب عمومًا من الناس، ليس من صفات الكمّل، إنما من صفاتهم قوة التوكل خصوصًا في الأمور التي تكون صعبة، أو تشتد الحاجة إليها، يعني الكمّل في الأمور الصعبة أيضًا يتوكلون على الله، وفي الأمور التي تشتد الحاجة إليها يتوكلون على الله

لماذا في الأمور التي تشتد الحاجة إليها يتوكلون على الله؟

لأن قلوبهم تكون متعلقة وتريد هذا الشيء محبة له، فالكمّل عندما يجدون أنفسهم متعلقين بشيء إرادة، يريدون شيء متعلقين به يضعونه عند باب الله، لا يأتون للشيء المتعلقين به حاجة ويضعونه عند الناس! لكن يضعونه عند باب الله، فكلما اشتدت حاجتهم كلما ازداد تعلقهم بربهم.

فتجد العبد يظهر الاستغناء عن الناس فيما ليس بشديد، أي أنه هناك أمور سهلة يسيرة فيظهر فيها الاستغناء عن الناس، لكن لما يأتي الأمر الشديد تظهر حقيقة تعلقاته، **فكلما زاد إيمانا كلما ازداد توكلًا، والناتج من ازدياد التوكل الامتناع عن الطلب من الناس**

أي أنكم لابد أن تأتوا بثلاثة مفاهيم مع بعضها، ثلاث كلمات:

- الطلب.
- التوكل.
- الإيمان.

لابد أن تتصوروا العلاقة بين هذه الكلمات؛

نبدأ بالإيمان.

الكمّل كاملي الإيمان ماذا يفعلون؟ يتوكلون على الله الناتج: لا يطلبون من الناس

مرة أخرى:

- من كمل إيمانه يكمل توكله.
- وإذا كمل توكله لا يطلب من الناس –استغنى عن الناس بقوة توكله على الله–.

فالآن لما يقال لك: اترك الطلب من الناس، لابد أن أتكلم عن إيمانك، لأن ترك الطلب بعدها ماذا أفعل؟ ليس عندي قوة توكل على الله، أترك الطلب ماذا أفعل؟ أضيع؟ نقول: هنا الإشكال!

كلما قوي إيمانك كلما قوي توكلك كلما استغنيت عن الطلب من الناس.

لكن أن أطلب منك أن تترك الطلب من الناس، مباشرة سترد علي قائلًا: ماذا سأفعل إذن؟!، لن يكون عندك قوة إيمان أن رزقك سيطرق بابك، من أين ءاتي لك بهذه المفاهيم؟!، كيف أستطيع أن أقنعك بأن رزقك سيأتي إلى بابك؟!، وأن هذا الذي قسم لك : "إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ ، وَلا يَرُدُّهُ كُرْهُ كَارِهٍ "[٥٠].

هذا الحديث بدايته " إِنَّ ضَعْفَ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسُخْطِ اللَّهِ"، وأن تعتقد أن رزقك بيد الناس، إلى آخر المفاهيم، وآخر جملة في الحديث، "إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ ، وَلا يَرُدُّهُ كُرْهُ كَارِهٍ"، سيأتيك رزقك سيأتيك!

لكن هذا الخطاب أكلم به مَن؟!، الناس فيهم ضعف في يقينهم بربهم يغلب المتيقن، يعني الكثرة تغلب الشجاعة، تجد نفسك عاجز أنك تفهمه أن رزقه سيأتيه سيأتيه، لا تطلبه، وهو بأقوى ما عنده من حجَّة يكلمك عن الأخذ بالأسباب!، وليس من قريب ولا من بعيد هذا الكلام يعارض الأخذ بالأسباب أبدًا، لأنني أقول اترك الطلب وقوِّ توكلك، **واعلم أن أعظم الأسباب على الإطلاق هو التوكل**، وهل التوكل أمر سهل؟!، يعني انت تستطيع أن تسير على قدميك، وتستطيع أن تلتفت ببدنك من اليسار إلى اليمين، لكن لا تستطيع أن تلفت قلبك من الناس إلى الله! هل بالأمر السهل أن تستطيع أن تمنع قلبك من الإلتفات عن الناس؟ أمر سهل؟!.

هذا السبب لو أتيت به أتيت بالخير العظيم!، أتيت بأعظم الأسباب التي تأتي من ورائها الأسباب، لو أردت أن تتكلم عن الأسباب كلمني عن اسم [الأول والآخر والظاهر والباطن] ثم نتفاهم!، لكن ضعف التوكل قواه ما ابتُلي به الناس اليوم من إمكانيات والتطور والقدرة التي ابتلى الله بها الناس، **فأصبح الناس في وادٍ سحيق تحيط بهم الأسباب من كل جهة، حجبتهم عن رؤية شمس الحقيقة، حجبتهم عن رؤية أن الذي يعطي على الحقيقة هو الله!**، مات في القلوب قوة الشعور بأن الله مالك كل شيء ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥١] هل تعرف لماذا خلق الله الموت والحياة؟ ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾[٥٢] هل تعرف ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾ مبنية على ماذا؟ على أن تعلم أنه تبارك، وتعالى، وتعاظم، وأن بيده الملك، وأنه على كل شيء قدير، هذه بلواك! أن تعمل كمال صفاته فتعامله على أنه كامل الصفات، لا تضع أحمالك إلَّا عند بابه.

إذن لما تُخاطب بترك الطلب لا يقال لك: لا تفعل شيئا • لا • بل يقال لك: افعل أصعب الأشياء، خذ بأعظم الأسباب وأبركها وأكثرها عطاءً، والخير كله يأتي من ورائها **افعل التوكل**، خذ بالسبب الذي يأتي بكل الأسباب.

---

[٥٠] السلسلة الضعيفة الألباني حديث موضوع ٦٧٣/٣(١٣٨٢)

[٥١] الملك:١

[٥٢] الملك:٢

ألا تؤمن بأن الله على كل شيء قدير؟!، إلَّا تؤمن بأن بيده الملك؟!

كل هذا تؤمن به، إذا كنت تؤمن على الحقيقة، كلما قوي إيمانك توكلت على الله، وتوكلك على الله يمنعك من الطلب من الناس، لابد أن تكون هذه المنظومة واضحة في ذهنك، اعقد علاقة بين الإيمان والتوكل والطلب.

لأن الحديث واضح: "لا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَكْتَوُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ"

هكذا فقط؟ لا "وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ".

فمن أجل أن تصل إلى كمال الإيمان تحتاج إلى أن تبذل جهد، كمال الإيمان هو الذي يأتي من عندك بقوة التوكل، وقوة التوكل هي التي تمنعك من الطلب من الناس

أتدري بماذا تشعر؟ تشعر بأنك مستغنٍ، مالك الملك وعدك بالإجابة، فعلى ماذا تطرق أبواب الناس؟!، إذا كان مالك الملك وعدك بالإجابة، وكأن في قانون الناس، لو كان الناس يطلبون من ملك أو أمير، وهذا له مندوب أو سكرتير، فبعدما طلب من الملك أشار عليه الناس أن يطلب من السكرتير وقالوا له أنه يوصل المعاملات، ماذا يقع في قلبه؟؛ يعني هو وصل إلى الملك وقال له، ثم فيما بعد لا يعلمون أنه وصل إلى الملك، فلما يأتي يقول له الناس اذهب إلى السكرتير يقول لهم: أنا مستغنٍ أنا كلمت صاحب الملك.

وبنفس هذا التفكير، الناس هؤلاء مجرد آلة يجري على أيديهم الرزق، لا يملكون من الأمر شيء، إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٥٣] فماذا يقال لمن كان أقل مكانة عند الله؟!.

إذن اترك الطلب وتمسك بالتوكل، ولن يأتيك التوكل إلَّا لما يزيد إيمان، قوِّ إيمانك.

ماذا أفعل لأقوي إيماني؟ هذه قصة أخرى، لكن اعلم أن الذي يقوي إيمانك هو قوة توحيدك، نقطة البداية فيها "العلم عن الله".

فإذا اجتمع "علم عن الله" مع "طهارة قلب" يصلح حال العبد؛ هل يصلح أن يكون العبد في مرة كامل التوحيد، وفي مرة ناقص التوحيد؟ نعم، انت نفسك قد تكون كامل الإيمان، يعني كامل التوحيد، وقد تكون ناقص الإيمان، ناقص التوحيد.

الآن تصور المسألة حقيقة، **أن كمال الإيمان يأتي بالتوكل، والتوكل يجعلك غني عن الناس**، فإذا وقع استغناء عن الناس تركت الطلب.

نحن قضيتنا كلمة **"الطلب"**

- إذن الاسترقاء: طلب الرقية.
- فماذا يقع في قلبك؟ تترك طلب الرقية.
- لماذا؟ توكلًا على الله.

لازلنا نتكلم عن العلاقة بين طلب الرقية وبين التوحيد؛ ما العلاقة؟ في ماذا يتزاحمون؟ الشخص لما يطلب الرقية من أحد ماذا يكون واقع في قلبه تجاه من طلب منه؟ يقع في قلب أن هذا من طلب منه له مكانة، وأنه أقرب إلى الله منه، أن الله سيعطيه ولن يعطي الثاني – الطالب – ويقول: أنا ضعيف الإيمان وهذا قوي الإيمان، لذلك لو قرأ هو أفضل مني أنا لو أنا قرأت، نقول: هذا الكلام مباح، نعم فيه ناس أقوى في استحضارهم، قلوبهم أتقى، لا ننكر هذا، لكن لما تجد نفسك لا تضع بينك وبين الله أحدا أبدا،

[٥٣] آل عمران:١٢٨

وتعلم الطريق إلى ربك، وأنك لو انكسرت وذللت لله عز وجل سيعطيك ولا بد!، كأنك تقول لنفسك: بدلًا من أن أجري وراء هذا حتى يعطيني موعد أقف بين يدي من لا تأخذه سنة ولا نوم، قائم على كل نفس، وأعلق قلبي به، **وأنا كلما ازددت إلحاحًا على هذا البشر ازداد تمللًا، لكن كلما ازددت إلحاحًا على باب الله يسُر الأمر وسهُل.**

فالعبد يأتي بمقارنة بسيطة بين طلب الرقية من الناس، والاسترقاء بنفسك وتطلب من الله أن يشفيك، فتجد أن الأمر بدون مناقشة طويلة أن الأمر أرجح أن تطلب بنفسك من الله، وأن تقرأ على نفسك وتجمع قلبك وتنكسر بين يديه، فانت صاحب الحاجة، وانت الواثق من ربك، وانت الملح ليلًا ونهارا!

هل تتصور أن الله يردك؟ لن يخذلك، فقط يختبر صبرك، فاصبر عند بابه، لا تمَّل من الوقوف عند باب الكريم، الرحيم، مالك الملك، لا تمل عند وقوف باب عظيم الصفات، أكيد أنه أفضل بمرات لا تعد من الوقوف عند باب ناقصي الصفات، من في قلوبهم كراهية لطلبنا، والله عز وجل ما جعل في القلوب كراهية للطلب، **يعني عندما تطلب مني أكره طلبك إلَّا من أجل أن يبقى قلبك عند بابه، فيسر لك التوحيد،** كيف تطلب من يقطعك عنه المسافات والجدران والنوم، وتترك من لا يقطعك عنه شيء!، لا المسافات فهو على كل شيء شهيد، قريب، معك، ولا يقطعك عنه النوم، فهو سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، كيف يُستعاض عن كامل الصفات بناقص الصفات؟!.

هذا متى يظهر؟ لما يقوى إيمانك واعتقادك في ربك، لما يكمل في عقلك كمال صفاته، لما تتصور أن من كمال صفاته أنك عاجز عن أن تصف كمال صفاته، ذاك الوقت لا يمنعك من ربك أحد، ولا تجد قلبك متعلّق بغيره.

فإذا قيل لك: لا تطلب من الناس، تقول: نعم، حق أن لا أطلب من الناس، لأن بيني وبين رب الناس طريق **هذه قوة التوكل، أن تعلم أن كل حاجاتك تجدها عند باب الله،** وتأتيك من حيث لا تحتسب، لكنك انت به آمن، وعن أفعاله تعلم، وإذا تأخر مرادك لا تتصور أولًا أن أحدًا غيره يأتيك به، فإذا لم يُرِد هو مهما طرقت أبواب الناس لن يأتوك به " وَاعْلَمْ أَنَّ الأمة لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ"[٥٤]

فإذا تأخر مرادك لن تجده عند غير الله، وإذا تأخر مرادك أحسن الظن به، فهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، لكن منعك لمصلحتك، وغدًا تعلم هذا يقينًا لما يزيد إيمانك، وسيأتيك من الخير بعد اختبار صبرك – فانت يُختبر صبرك– هل تقف عند بابه أم تمّل من الوقوف عند بابه؟!.

أتعلم أنك عندما تقف عند بابه ولا تمّل أن هذا دليل كمال إيمانك، أنك تفهم أن الملك ملكه، والعطاء عطاؤه، وأنه على كل شيء قدير؛

فعندما تكون فاهم هذا الأمر بوضوح تقف عند بابه ولا تمّل، لأنك تفهم أنك لو تركت بابه انتهى الأمر ولن يعطيك أحد، فمن إيمانك بكمال صفاته بقاؤك عند بابه، وبقاؤك عند بابه بنفسه عبادة، انتظار الفرج عبادة، فانت عباد لأنك طيلة الوقت واقف عند باب ربك، منتظر منه الفرج.

---

[٥٤] سنن الترمذي (٢٥١٦)

كل شخص عنده آلام، أبناء، أزواج، عشيرة، بيوت، يمررها على ذهنه ويقف بهذه الآلام عند بابه، وينتظر منه الفرج، إذا ابن ينتظر أن الله يصلحه؛ إلى آخر ما تتصورون، انتظر من الله الفرج، والذي ينتظر من الله الفرج يطلب، يقول: يا رب يا رب.

واعلم أن انتظارنا للفرج يشمل أنفسنا، نحن أنفسنا بنفسها عصية علينا، ننتظر من الله أن يفرج عنا طباعنا التي تمنعنا عنه، ذنوبنا، هوانا، كل هذا ننتظر عند باب الله أن يصلح شأننا.

على كل حال هذه المسألة أخذت حجم لكنها في الحقيقة في غاية من الأهمية، من أجل أن تتصور كيف التوحيد، أن تجمع قلبك كله على واحد فلا يلتفت لغيره.

هذا الاسترقاء، ومثله الكي.

❖ الصفة الثانية: " وَلا يَكْتَوُونَ"

ماذا يقع في قلبك تجاه الكي؟

أولًا اعلم أن العرب تعتقد أن الكي يُحدِث الشفاء دائمًا، العرب تعتقد هذا أن الكي يحدث الشفاء دائمًا، فلهذا تتعلق قلوبهم بالكي.

ونحن اتفقنا أن من صفات السبعين ألفا أنهم لا يكتوون، لا يكتوون هذا الفعل عبري عنه بالأعتقادات؟ يعني هؤلاء السبعين ألف قلوبهم لا تتعلق إلَّا بالله، ومن صفات السبعين ألف أنهم لا يتعلقون بغير الله.

لماذا تركوا الكي؟

تركوا الكي خوفًا من تعلقهم بالسبب، أنا أتكلم عن الكمّل، فلما أتى السبب والظن في السبب أنه محقق النتيجة مباشرة يعني الآن الأسباب التي حولنا إتيانها بالنتائج مختلف، هناك أسباب مباشرة، تأخذ السبب فمباشرة تأتيك النتيجة بأمر الله، وهناك أسباب يطول مداها، نحن اتفقنا على أن هؤلاء الكمّل يتركون المباحات، فلما يأتون إلى شيء ويرون أن قلوبهم تعلقت به، أي أنه يأتي لهم بالنتيجة مباشرة، يشعرون بالخوف على قلوبهم، يخافون أن تركن قلوبهم إلى السبب، يخافون على أنفسهم أن تركن قلوبهم إلى السبب، فيتركون هذا السبب الذي يأتي بالنتيجة السريعة خوفًا على قلوبهم أن تتعلق بغير الله، وحرصًا على أن تبقى قلوبهم مستعينة، مستغيثة، منكسرة، تبقى قلوبهم متعلقة بالله عالمة أنه هو الذي يأتي بالشفاء.

هذا الآن لا يُطلب من كل أحد، • لا تنسوا • **هذا لا يُطلب من كل أحد،** هذا الكمال لا يستطيعه إلَّا مَن امتلأ إيمنا، امتلأ حرصًا على قلبه، امتلأ عناية بالآخرة واهتمام بها.

الآن لو قلت لأحد هذا الكلام أو ما سيقوله لك: أنك موسوس، هذه أول كلمة تقال لك، أن أترك السبب قوي التأثير حتى قلبي لا يركن إليه، فأفقد الاستعانة، أفقد الاستغاثة، أفقد الانكسار

لذلك مثل هذا الكلام لا يُخاطب به كل أحد!

هؤلاء من سيصلون من هذه الأمَّة إلى هذا الحد كم واحد؟ سبعون ألف!، سبعون ألف من أمة النبي صلى الله عليه وسلم كلها، يعني كم واحد؟!، يعنى نادر النادر معناه، من أن أتى النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة، أمة النبي صلى الله عليه وسلم

ليس فيها إلَّا سبعون ألف، هتردوا علي وتقولي ومعهم سبعون ألف نقول ومعهم سبعون ألف، كم ستخرج؟!، سبعون مع سبعون يعني مائة وأربعون يعني كم واحد من كل البشرية التي آمنت بالنبي صلى الله عليه وسلم؟!

عدد ضيق ضيق بمعنى كلمة ضيق، لنركز في الصفات **لأن الشيخ الألباني رحمه الله يقول: أن من الإعتداء أن تقول: يا رب أدخلني الجنة بغير حساب،** وطبعًا ليس هذا الحديث الوحيد الذي فيه كلام عن دخول الجنة بغير حساب.

لماذا قال الشيخ هذا؟**لأن هذه درجة كمال المطلوب منك أن تطلب أسبابها،** يعني اجعلني من المتقين، من الصالحين، ولم يرد أن مثل هذا الدعاء وارد، على كل حال المسألة فيها نقاش، لكن هذا رأي الشيخ، وهذا الذي يتبيَّن، يعني انت نائم تارك قلبك ثم تقولي رب اجعلني من السبعين ألف؟!؛ **المهم أن تطلب من الله أن يكمل إيمانك.**

❖ الأسوء من هذا أن ينظر أحدهم إلى هذا الحديث فيقول: "لا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَكْتَوُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ" الحمد لله أنا هذا كله لا أفعله، ويصبح واحد من السبعين ألف!.

نحن على هذه الشبهة نذكر قاعدة:

" إذا اعتقد العبد أن هذه الصفات ليس وراءها قاعدة من الإيمان يُرد عليه فيقال: مَن لم يأخذ بالسبب الأكبر، لم يُفِدْهُ تمسكه بالسبب الأصغر؛ وما أحسن ما روى الإمام مالك في الموطأ ؛

عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَتَبَ إِلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ أَنْ هَلُمَّ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ

يعني تعال إلى الأرض المقدسة ويقصد الشام، أبو الدرداء يقول لسلمان رضي الله عنه أجمعين،

فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَلْمَانُ إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الْإِنْسَانَ عَمَلُهُ "[٥٥].

فمعنى ذلك انت لا تأت بالسبب الأصغر بدون أن تأتي بالسبب الأكبر.**"**

يعني تأت تقول أن الدجال يُمنع عن المدينة، فتقول نذهب إلى المدينة، وانت الآن لا تقوى ولا إيمان ولا أي شيء يمنعك من الدجال إلَّا أنك تأتي بسكنى المدينة، نقول: ليس بهذه الصورة، إذا ما أتيت بالسبب الأكبر لا ينفعك السبب الأصغر، **بل أن المدينة ترجف ثلاث رجفات فتخرج منافقيها فيكونون أول من يستقبل الدجال ويقبلونه،** فمعنى ذلك أتيت بالمصيبة إلى نفسك ولم تأت بالنجاة!، لابد أن تتصور، فلا يأت أحد يقول لك أنا من السبعين ألف، لماذا؟ لا أسترقي، ولا أكتوي، ولا أتطير، ويرى أنه لما أتى بالسبب الأصغر دخل في الوصف!

نقول: • لا •، هذا أصلًا ليس المقصود به هذه الصور بعينها، هذه الصور وراءها معتقد، فالقوم توكلوا على ربهم فلا يطلبون من غيره، ومن قوة تعلّقهم بربهم يخشون من أن تلتفت قلوبهم عن الله شيء، فيقطعون كل الأسباب التي يمكن أن تلفت قلوبهم عن الله.

---

[٥٥] حَدَّثَنِي مَالِك عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَتَبَ إِلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ أَنْ هَلُمَّ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَلْمَانُ إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الْإِنْسَانَ عَمَلُهُ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ جُعِلْتَ طَبِيبًا تُدَاوِي فَإِنْ كُنْتَ تُبْرِئُ فَنَعِمًّا لَكَ وَإِنْ كُنْتَ مُتَطَبِّبًا فَاحْذَرْ أَنْ تَقْتُلَ إِنْسَانًا فَتَدْخُلَ النَّارَ فَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِذَا قَضَى بَيْنَ اثْنَيْنِ ثُمَّ أَدْبَرَا عَنْهُ نَظَرَ إِلَيْهِمَا وَقَالَ ارْجِعَا إِلَيَّ أَعِيدَا عَلَيَّ قِصَّتَكُمَا مُتَطَبِّبٌ وَاللَّهِ ؛ موطأ مالك» كتاب الوصية» باب جامع القضاء وكراهيته

❖ الصفة الثالثة : " وَلا يَتَطَيَّرُونَ"

ثم يأتي التطير؛

التطير ما معناه؟ **الطيرة ما أمضاك أو ردّك** ، والمعنى أنك تُعلق قراراتك بأشياء لا علاقة لها بالقرار.

❖ ما "رَدَّك" مثلًا: ترى طيرًا، مثلًا كالذين يتشائمون من البومة، فترى مثلا بومة، فتردك عن حاجتك، فتترك عملك، وتقول ما دمت رأيت هذا الطير أتوقع أنني سأخسر.

❖ والعكس: " مَا أَمْضَاك": تكون مثلًا جالس في مكانك فترى مثلًا طير من طيور الحرم، فتقول الآن وقت مناسب لأن أخرج لعمل من أعمالي، يعني تأخذ قرارًا بأن تتحرك لسبب لا علاقة له بالقرار.

ففي الحديث: الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاك أَوْ رَدَّك"[٥٦]

معنى ذلك أن قلبك ماذا يعتقد؟ قلبك متعلق بغير الله، وهذا التطير مصيبة عظيمة تصل إلى أن تفقد الإنسان كل توحيده.

لماذا تدخل في الكمّل؟ لأن يقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود يقول: "الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ثَلَاثًا" ثلاث مرات، ثم يقول ابن مسعود رضي الله عنه بعد هذا الحديث: " وَمَا مِنَّا إِلَّا" أي: وما منا شخص إلَّا ويقع في الطيرة، لازم تقع في قلب العبد، "وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ "[٥٧].

فالكمّل يمر على خواطرهم، أن هذا الشيء يأتي بعد هذا الشيء، فماذا يفعل؟ مباشرة يدفعه بالتوكل، فانتهى الأمر أن هؤلاء الكمّل ما صفاتهم؟ متوكلون، على ربهم معتمدون، يعلمون أنه لا يأتي بالخير إلَّا هو، **"لا يأتي بالحسنات إلَّا أنت، ولا يدفع السيئات إلَّا أنت"** هذه قاعدتهم، سواء في التطير، وسواء في الكي، وسواء في الاسترقاء.

" لا يأتي بالحسنات إلَّا أنت، ولا يدفع السيئات إلَّا أنت، ولا حول ولا قوة إلَّا بك "

مسألة التطير هذه إذا أردتم التوسع فيها نردكم إلى مراجع، لكن النقاش فيها فيه شيء من الصعوبة، أصلًا التطير باب من كتاب التوحيد، اقرؤوا في شرح كتاب التوحيد.

كتاب "القول المفيد في شرح كتاب التوحيد" الجزء الثاني؛ للشيخ ابن عثيمين.

وأي شرح من شروح كتاب التوحيد، لكن كلام الشيخ واضحًا، وسيأتينا إن شاء الله كلام عن التطير منفصل.

هؤلاء السبعون ألفا ما ميزتهم؟ **"**عندهم قوة إيمان أورثهم قوة التوكل، وقوة التوكل معناها أنهم يعتقدون أنه لا يأتي بالحسنات إلَّا الله، ولا يدفع السيئات إلَّا الله، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله، فلا يطلبون من الناس، ولا يلتفتون إلى الأسباب، ولا يتطيرون بشيء.**"**

انتهى الكلام عن باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

صفات محققي التوحيد

خلال استقراءنا لأدلة الباب يتبيَّن لنا ما هي صفات محققي التوحيد:

---

[٥٦] حَدِيثَ الفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ (١٨٢٤) (١/٢١٣)

[٥٧] سنن أبي داود» كتاب الطب» باب في الطيرة (٣٩١٠)

- **أولًا:** مجانبون للمشركين، بعيدون عنهم، مجانبون لهم، ولصفاتهم، ولتقليدهم.
- **ثانيًا:** مائلون عن الشرك فلا تلتفت قلوبهم إلى غير الله عز وجل.
- **ثالثًا:** طويلو القيام والطاعة والانكسار بين يدي الله، فمن كمّل إيمانه وفرغ قلبه من التعلّق طال قنوته.
- **رابعًا:** يدفعون الشرك دفعا صغيره وكبيره، ﴿هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ﴾[٥٨].
- **خامسًا:** بسبب كمال إيمانهم كاملو التوكل، فيتركون السبب المباح تعلقًا بالله، وخشية أن يتعلقوا بالسبب، ومن باب أولى أنهم يدفعون الوهم، الوهم المقصود الأسباب الوهمية وهي "التطير"، لأن التطير سبب وهمي، في مقابل أن الكي والرقية سببان حقيقيان، لكن يأتون إلى الرقية والكي ويتركونهما مع أنهما مباحان، ومع أن لهما تأثير، **لكن خشية على قلوبهم من أن تلتفت لغير الله من قوة حرصهم على قلوبهم**، فإذا كان حالهم في قوة توكلهم من باب أولى أن يتركوا الأسباب الوهمية وهي "التطير"

انتهى الكلام عن باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

لا زلنا في مقدمة كتاب التوحيد

مضت ثلاث جمل:

- هذا الكتاب ندرس فيه التوحيد الذي من أجله خلق الله الخلق.
- هذا التوحيد له فضل عظيم، وهو سبب لمغفرة الذنوب.
- بل من حققه تحقيقًا مندوبًا دخل الجنة بغير حساب.

نأتي الآن إلى الجملة الرابعة :

- ومن أهمية التوحيد أن ضدّه أمر مخوف، وهو الشرك.

سنرى الأدلة التي تدل على أن ضدّه أمر مخوف

يعني إذا أردت أن تقنع أحد من أجل أن يتعلم التوحيد فتقول التوحيد أصلًا خلق الله الخلق من أجله، وهذا التوحيد له فضل عظيم، وتمر على الأدلة، بل هو سبب لمغفرة الذنوب، بل من حققه دخل الجنة بغير حساب، ولا بد أن تعلم أن ضدّه أمر مخوف، خافه الأنبياء والصالحون، خافه الأنبياء على أنفسهم، وخافوه على أصحابهم لما فيه من عظيم ذنب.

نمر على الأدلة لنتصور كيف هو أمر مخوف

[٥٨] المؤمنون:٥٩

باب الخوف من الشرك وقول الله عزوجل: (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء)[٥٩] وقال الخليل عليه السلام: (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ)[٦٠] وفي حديث: "إِنّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ"، فسئل عنه فقال: "الرِّيَاءُ"[٦١] وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ"[٦٢] [رواه البخاري]. ولمسلم عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ)[٦٣].

نبتدئ أولًا بالكلام عن الشرك؛

الشرك ينقسم إلى قسمين

- أكبر
- وأصغر

الفرق بين الأكبر والأصغر أن الأصغر في حكمه وفي جزائه ليس مثل الأكبر.

نبدأ بالحكم

- **الشرك الأكبر**: مخرج عن الملة، فالمشرك شركًا أكبرًا خارج عن الملة، لا يصبح من أهل الدين ولو صلى وصام.
- **الشرك الأصغر**: لا يخرج عن الملة.

معنى ذلك أن الأكبر ينقض التوحيد نقضا، في مقابل أن الأصغر يُنقص التوحيد.

الجزاء

- **الشرك الأكبر**: الخلود في النار إذا مات وهو مشرك.
- **الشرك الأصغر**: لا يخلد صاحبه في النار، على خلاف عند العلماء إذا كان لابد من دخولها أم يدخل في الموازنة.

ما معنى هذه الجملة ؟ أهل العلم اختلفوا على قولين:

- أولًا الذي ليس خلاف فيه أن الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار.
- وبعض أهل العلم قالوا أن الشرك الأصغر صاحبه لابد أن يعاقب على شركه، يعني لا بد أن يدخل النار لابد، ولا يطهره من الشرك الأصغر إلَّا النار.
- وقول آخر يقول أن الشرك الأصغر مثل باقي كبائر الذنوب تحت المشيئة، أي أنه دخل في الموازنة بين الحسنات والسيئات، إن شاء غفر الله له وإن شاء عذبه.

---

[٥٩] النساء:٤٨

[٦٠] إبراهيم:٣٥

[٦١] أحمد (٤٢٨/٥، رقم ٢٣٦٨٠). وصححه الألباني (صحيح الجامع، رقم ١٥٥٥).

[٦٢] البخاري: تفسير القرآن (٤٤٩٧) ، وأحمد (٣٧٤/١، ٤٠٢/١، ٤٠٧/١، ٤٦٢/١، ٤٦٤/١).

[٦٣] الإيمان (٩٣) ، وأحمد (٣٢٥/٣، ٣٤٤/٣، ٣٧٤/٣، ٣٩١/٣).

أي أن قولًا يقول أن الشرك الأصغر مثل الكبائر، يدخل في الموازنة:

- إن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة.
- وإن رجحت سيئاته على حسناته صار تحت المشيئة، فإن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له، **ولكن هذا القول ليس هو القول الراجح.**

ما هو القول الراجح ؟ هو أن ذنب الشرك الأصغر صاحبه لابد أن يدخل النار وإن كان لا يخلد فيها، لكن الشرك الأصغر لا يطهره منه إلَّا النار؛

<table>
<tr><th>أوجه المقارنة</th><th colspan="3">الشرك</th></tr>
<tr><td></td><td>الشرك الأكبر</td><td colspan="2">الشرك الأصغر</td></tr>
<tr><td>الحكم</td><td>مخرج عن الملة ولو صلى ولو صام</td><td colspan="2">لا يخرج عن الملة</td></tr>
<tr><td rowspan="3">الجزاء</td><td rowspan="3">الخلود في النار إذا مات وهو مشرك.</td><td colspan="2">لا يخلد صاحبه في النار</td></tr>
<tr><td>أن الشرك الأصغر صاحبه لابد أن يعاقب على شركه، يعني لا بد أن يدخل النار لابد، ولا يطهره من الشرك الأصغر إلَّا النار.
القول الراجح</td><td>أن الشرك الأصغر مثل باقي كبائر الذنوب تحت المشيئة، أي أنه دخل في الموازنة بين الحسنات والسيئات، إن شاء غفر الله له وإن شاء عذبه.
ليس القول الراجح</td></tr>
<tr><td colspan="3">إذا لم يتب في الدنيا ما دام تاب "التوبة تجبّ ما قبلها"[٦٤]، "الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ"[٦٥]، لا علاقة لنا بالتائب، نحن لنا علاقة بشخص مات على هذا الأمر.</td></tr>
</table>

[٦٤] الألباني في السلسلة الضعيفة ١٠٣٩ :لا أعلم له أصلًا

لماذا؟ لماذا هذا هو القول الأقوى؟

لأن الله عز وجل قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[٦٦] هذه الصيغة تدل على العموم، أي لا يغفر أن يُشرك به أي شيء، سواء كان أكبر أو أصغر، ومادام لا يُغفر إذن لابد أن يُعاقب:

- فإذا كان أصغرا يُعاقب فيخرج.
- وإذا كان أكبرا يخلد في النار

طبعًا هذا الكلام كله إذا لم يتب في الدنيا، يعني لا تكلمني عن شخص أشرك ثم مات وهو تائب فتناقشني هل يُغفر له أم لا يُغفر **ما دام تاب "التوبة تجبّ ما قبلها"**[٦٧]، **"الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ"**[٦٨]، **لا علاقة لنا بالتائب، نحن لنا علاقة بشخص مات على هذا الأمر.**

الذي قتل تسعة وتسعون نفس ماذا فعل؟ هو قتل، هذا ليس شرك، هذه كبيرة من كبائر الذنوب.

الشرك الأصغر أكبر من أكبر الكبائر، ومن أجل ذلك حصل الخلاف، هل يصبح مثل الكبائر؟

- يعني هل ينجذب إلى الكبائر فيُعامل معاملة الكبائر؟!.
- أم ينجذب إلى الشرك فيعامل معاملة الشرك؟!.

هذان هما الرأيان؛ **في النهاية القول المختار – والله أعلم – أنه يُعامل معاملة الشرك، أنه لا يُغفر، لابد أن يُعذب، فهذا مانع له من أن يُعامل بالمشيئة.**

لما تأتي تقول عن واحد أشرك شركًا أصغرا كأنك تقول أن هذا لا يصلح أن يُعامل بالمشيئة، هذا ليس تحت المشيئة، هذا لا بد أن يُعذب في النار، على ماذا؟ على شركه الأصغر

لكن ما الفرق بين الأكبر والأصغر ؟

- الأكبر صاحبه يخلد في النار.
- والأصغر صاحبه لابد أن يدخل لكن لا يخلد.

---

[٦٥] صحيح مسلم» كتاب الإيمان» باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١٢١)

[٦٦] النساء:٤٨

[٦٧] الألباني في السلسلة الضعيفة ١٠٣٩ :لا أعلم له أصلًا

[٦٨] صحيح مسلم» كتاب الإيمان» باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١٢١)

- ننظر إلى النصوص -

❖ الدليل الأول

وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾[٦٩]

معنى ذلك أن ذنبًا لا يُغفر لابد من الخوف منه، لأن العبد يرجو رحمة الله، يرجو أن يغفر له ذنوبه، فلو قيل لك أن هذا الذنب لا يُغفر لابد أن تكون حريص على إلَّا تقع فيه - صغيره وكبيره-؛ ومن أجل أنه لا يغفر كان حال سادات الأولياء أنهم خافوه.

من أجل أن هذا الذنب لا يغفر، •ولا تنس• أننا نتكلم عن شخص مات ولم يتب، من أجل أن هذا الذنب لا يُغفر كان حال سادات الأولياء الخوف منه على أنفسهم وعلى أتباعهم.

❖ الدليل الثاني

وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾[٧٠]

فهذا إبراهيم عليه السلام الذي وُصف أنه ﴿أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٧١]، هذه وصوفات الكمال يعني كان محققًا للتوحيد تحقيقا مندوبًا أتى وصفه أنه خائف على نفسه وذريته من الشرك! **هذا دليل على ماذا؟ على أن هذا الأمر لا يؤمن.**

ولذلك كان السلف كما ذكر عن إِبْرَاهِيم التَّيْمِيّ أنه قال: مَنْ يَأْمَن مِنْ الْبَلَاء بَعْد خَلِيل اللَّه إِبْرَاهِيم.

من تكون انت أمام إبراهيم عليه السلام؟ إذا كان إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ معنى ذلك أن هذا الأمر مخوف، لا يأمنه إلَّا جاهل أو غافل.

❖ أمَّا الغافلون فمثل أهل هذه البلد المباركة، قدر ما تعلموا عن التوحيد قدر ما يغفلون عن خطورة الشرك، فتجد عندما تأتي موجة من البلاءات كما جاءت موجة بلاءات السحرة الذين في الإعلام، تجد أنهم بعدما تعلموا التوحيد غفلوا عن خطورة الشرك، فهذا الآن حال غافل!.

❖ وعندنا حال أخرى جاهل، كما يحصل في كثير من دول العالم الإسلامي مع العلم أن التوحيد والحمد لله والفضل له وحده بدأ ينتشر في العالم الإسلامي، لكن القوم بين غافل وجاهل!، خطورة الشرك.

فإذا كان إبراهيم عليه السلام لم يأمنه على نفسه ولا على ذريته، فمن باب أولى كل أحدٍ بعده!.

❖ الدليل الثالث

وانظر في الحديث، النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب أصحابه يقول:

وفي حديث: "إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ"، فسئل عنه فقال: "الرِّيَاءُ"[٧٢]

---

[٦٩] النساء:٤٨

[٧٠] إبراهيم:٣٥

[٧١] النساء:١٢٠

[٧٢] أحمد (٤٢٨/٥، رقم ٢٣٦٨٠). وصححه الألباني (صحيح الجامع، رقم ١٥٥٥).

الصحابة أئمة الهدى، مَن هم معلوم مكانتهم في الدين، ومع ذلك يخاطبون بأنه يُخاف عليهم من الشرك الأصغر!، فمعنى ذلك أنه لا أحد يأمن على نفسه!.

وفي الحديث الآخر يقول صلى الله عليه وسلم: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ " ، قَالَ : قُلْنَا : بَلَى ، فَقَالَ : " الشِّرْكُ الْخَفِيُّ ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ ".[٧٣]

فأصبح الشرك الأصغر أعظم من فتنة المسيح الدجال، لأنه خفيّ يهدم بعده أمر لا تتصوره، كيف تخرج من العمل الصالح بآثام أمثال الجبال!، تدخل انت وواحد إلى مكان العبادة، يخرج هو بحسنات الحسنات، وتخرج انت ومعك أمثال الجبال من السيئات!، لماذا؟ لأنه التفت قلبك إلى ثنائه، من أجل ذلك " أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ".

الدليل الرابع

والذي يخيفنا من هذا الشرك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ"[٧٤] [رواه البخاري].

المسألة ما فيها مناقشات، الشخص يأتي مثلًا إلى المسجد فيصلي، ويكون يوم الاثنين مثلًا فيفطر من الصيام، ويتلو القرآن، عابد بكل معنى هذه الكلمة، ثم يخرج من هذا المسجد فيأتي إلى الوليّ، يقول: يا وليّ اعطني كذا وكذا!، دعا من دون الله ندا دخل النار!، وكل الذي فعله لا شيء!، لا شيء بمعنى لا شيء!!، لأن الله عز وجل قال في الحديث القدسي: "أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"[٧٥].

فتصور عابد، مصلي، صائم، يلتفت قلبه إلى غير الله، يطلب منه ما يُطلب من الله – وهذا الشرك الأكبر المقصود – يذبح له، يتوسل إليه، يدعوه! -الله المستعان-

الآن في الحرم تجد من مثل هذا بلاءات، فتجد إحداهن تقفز بين الصفوف ثم تكاد أن تقع فتقول "يا علي"!، تخيل هذه عابدة، مصلية، قارئة، و"يا علي" كل شيء انتهى! "مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ"! ، ما فيه مناقشات، وترى من أمثال هذا الشيء الكثير، الكثير الكثير، يدعون غير الله، يسألون غير الله، فتصور كل هذا الذي يعملونه لا شيء أكيد لا شيء، يعني لا يمر على خاطرك أنه شيء!، **لأن العبادة هي التوحيد، فمنذ أن تشكر مع الله أحدا انتهى ما كأنك فعلت ولا شيء**، لذلك الشرك أمر عظيم، والتوحيد في مقابله أمر عظيم.

---

[٧٣] رواه أحمد (٣/٣٠) (١١٢٧٠) رواه ابن ماجه (٤٢٠٣) واللفظ له، قال الألباني صحيح سنن ابن ماجه حسن

[٧٤] البخاري: تفسير القرآن (٤٤٩٧) ، وأحمد (٣٧٤/١، ٤٠٢/١، ٤٠٧/١، ٤٦٢/١، ٤٦٤/١).

[٧٥] الراوي: أبو هريرة المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: ٢٩٨٥ خلاصة حكم المحدث: صحيح

❖ الدليل الخامس

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ﴾[٧٦].

وهذا الذي يؤيد قول أن صاحب الشرك الأصغر يدخل النار، وإن كان لا يخلد

ففي الحديث: "وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا" ، أي شيء، لابد أن يدخل النار؛

- فإن أشرك به شيئا، أي أتى من الشرك الأكبر خلد في النار.
- وإذا أشرك به شركًا أصغر كان ممن يدخل لكن لا يُخلد.

فماذا تريد أكثر من هذا مخوف؟!

- ذنب لا يغفره الله.
- خافه الأنبياء على أنفسهم وعلى ذراريهم وعلى أصحابهم.
- ذنب لو وقع يدخل العبد النار دون أي مناقشات.

ماذا تريد أن تريد أكثر من هذا الذنب أمر يخيفك؟!؛ المهم في هذا كله **لا تأمن على نفسك**، انت في باب من حقق التوحيد سمعت أن إبراهيم عليه السلام هو من رؤوس محققي التوحيد، هو نفسه صلى الله عليه وسلم خاف على نفسه وعلى ذريته الشرك، قال ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ !، لا يكون العبد مقدمًا إلَّا إذا كان عن الشرك بعيدًا خائفا، لا بد أن تخاف، ترك الخوف من الشرك مقتل، مقتل!، بحيث أنك لما تأمن يأتيك البلاء، تصاب بسهمٍ مسموم، إلَّا ترى الرياء يكاد يفتتنا، الرياء هذا يكاد يفتتنا من كثرة اعتِراضَه لنا، لكننا لا نستعين إلَّا به سبحانه و تعالى؛

نسأل الله عز وجل كما وفقنا وسدّدنا وشرح صدورنا للتوحيد أن يعيننا أن نكون من أهله، كما هيأ لنا الأسباب على أن نتعلم هذا العلم العظيم، نسأله سبحانه وتعالى أن يسدّدنا على الاستقامة على هذا التوحيد، نسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الأمر في قلوبنا له مكانته الحقيقية؛

يجب أن يكون للتوحيد في نفسك له مكان، يجب أن يكون الشرك مثل الجمرة في النار.

لما تسمع العباد يستغيثون بغير الله يفزع قلبك كما أنك لو سمعت أحد يسبّ والديك بل أعظم!، يفزع قلبك، جمرة نار!، لا بد أن تشعر إلى أي درجة الشرك مصيبة!، حق الله الذي تفضل عليك بالإيجاد، والإعداد، والإمداد، والإسعاد، ثم قلبك يلتفت في غيره شكرا عجيب! عجيب! ، المفروض أن لا يكون في قلبك معظم ولا متعلّق به إلَّا هو، **فكيف بعد كل هذه العطايا قلبك يلتفت إلى غيره تعظيما، أو يلتفت إلى غيره تعلّقا؟!**، كيف يلتفت قلبك إلى غير الله تطلب ثناءه؟!، لماذا؟!، من يكون؟!، لماذا يُعظم في نفسك لدرجة أنك تطرب لثنائه؟!؛

انظر إلى الأعرابيّ الذي أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: " فَإِنَّ مَدْحِي زَيْنٌ ، وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ" يعني أعرابيّ صاحب هجاء ومدح، شاعر ، قال له: " فَإِنَّ مَدْحِي زَيْنٌ ، وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ"، أي فتحرك لي، تحرك خائفًا من أن أذمك، و تحرك محبًا لأن أثني

[٧٦] الإيمان (٩٣) ، وأحمد (٣٢٥/٣، ٣٤٤/٣، ٣٧٤/٣، ٣٩١/٣).

عليك، كأنه يقول أنني لو أثنيت عليك طار في كل مطار الثناء، وإذا هجوتك طار في كل مطار هجاؤك، فماذا رد عليه النبي صلى الله عليه و سلم ؟؟ قال : "ذَاكَ اللَّهُ "[٧٧] !

ما في أحد في قلبك متعلق بأن يثني عليك ويمدحك إلَّا الله، متعلق أن يثني عليك، تعلم أنه لو أثنى عليك صلح لك أمر الدنيا والآخرة، لا شيء تخاف منه إلَّا أن يذمك، فلو ذمك ما نفعك مدح أحد!،هذا الذي يجب أن يتحرك في قلبك، من أجل ذلك الشرك خطير خطير!.

الرياء كلمة واحدة، أن يأتي قلبك فيستلذ بثناء الناس عن استلذاذه بثناء الله!، فبدلًا من أن تكون ذاكرًا من أجل أن يذكرك الله تكن ذاكرًا من أجل أن يثني عليك الناس!، فكيف تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!، كيف؟ كيف إلَّا ما فيه في القلوب تعظيم لله، ما فيه في القلوب معرفة بكمال صفاته سبحانه وتعالى، إذن هذا مخوف يحتاج منا أن نخاف.

بعد أن خوّفنا من الشرك أتى يتكلم عمن دعا إلى الله إلى ماذا يدعو.

نقرأ الأبواب جملة واحدة

" اعلم أن الله عز وجل خلق الخلق من أجل توحيده، و هذا التوحيد له من الفضل العظيم، والأجر العظيم ما لا تستطيع تقديره، بل هو سبب لمغفرة الذنوب، بل من حققه دخل الجنة بغير حساب، وهذا التوحيد ضدّه مهلكٌ لك، ضدّه وهو الشرك خافه الأولياء والصالحون، والأنبياء، فكيف لا يخافون من ذنب لا يغفره الله ؟!، وكيف لا يخافون من ذنب لو وقع استحق صاحبه مباشرة دخول النار، كيف لا يخافون من هذا؟!. "

[٧٧] التِّرْمِذِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ

بعد هذا كله يأتي الكلام حول من خرج للدعوة

تخرج للدعوة ماذا تريد أن تقول؟ في ماذا ترغب الناس ومماذا ترهبهم؟

في ماذا ترغب الناس؟ وعن ماذا تبعدهم؟!

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقوله الله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي)[٧٨] الآية.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: " قَالَ إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" [٧٩]. وفي رواية: "إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ"[٨٠] أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا قَالَ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ قَالَ فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"[٨١]. يَدُوكُونَ: يَخُوضُونَ.

الآن هذا الباب هو باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله

---

[٧٨] يوسف:١٠٨

[٧٩] البخاري: الزكاة (١٣٩٥) ، ومسلم: الإيمان (١٩) ، والترمذي: الزكاة (٦٢٥) ، والنسائي: الزكاة (٢٤٣٥) ، وأبو داود: الزكاة (١٥٨٤) ، وابن ماجه: الزكاة (١٧٨٣) ، وأحمد (٢٣٣/١) ، والدارمي: الزكاة (١٦١٤).

[٨٠] البخاري: الزكاة (١٣٩٥، ١٤٥٨، ١٤٩٦) والمغازي (٤٣٤٧) والتوحيد (٧٣٧٢) ، ومسلم: الإيمان (١٩) ، والترمذي: الزكاة (٦٢٥) ، والنسائي: الزكاة (٢٤٣٥) ، وأبو داود: الزكاة (١٥٨٤) ، وابن ماجه: الزكاة (١٧٨٣) ، وأحمد (٢٣٣/١) ، والدارمي: الزكاة (١٦١٤).

[٨١] البخاري: الجهاد والسير (٣٠٠٩) ، ومسلم: فضائل الصحابة (٢٤٠٦) ، وأحمد (٣٣٣/٥).

❖ الدليل الأول

وقوله الله تعالى: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.

ابتدأ أولًا بآية سورة يوسف التي فيها دلالة على:

❖ أن الدعوة تلزم كل أتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

❖ وفي الآية أيضًا **وصف لحال الداعي**:

▪ الوصف الأول: **أن يدعو إلى الله ولا يدعو إلى غيره**؛ من أين في الآية ؟ ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ﴾ ، إذن يدعو إلى الله ولا يدعو لغيره، يعني يكون مخلصًا في دعوته.

▪ الوصف الثاني: **أن يدعو على علم بما يدعو إليه، وبالطريق الذي يوصله إلى تحقيق أمر دعوته**؛ أين في الآية ؟ ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ ، ما معنى بصيرة ؟ البصيرة هي العلم والخبرة، البصيرة في القلب، والبصر في العين.

▪ الوصف الثالث: **أن ينزه الله عن كل ما يليق بجلاله وعظمته**؛ أين في الآية ؟﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾.

▪ الوصف الرابع: **أن يتبرأ من الشرك وأهله في الاعتقاد، والعمل، والسكنى**؛ أين في الآية ؟ ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، يعني أنا بريءٌ من الشرك وأهله اعتقادًا وعملًا وسكنى ومخالطة، وهذا الذي فعله إبراهيم عليه السلام.

صفات الداعي				
الصفات	أن يدعو إلى الله ولا يدعو إلى غيره	أن يدعو على علم بما يدعو إليه، وبالطريق الذي يوصله إلى تحقيق أمر دعوته	أن ينزه الله عن كل ما يليق بجلاله وعظمته	أن يتبرأ من الشرك وأهله في الاعتقاد، والعمل، والسكنى
الدليل	﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ﴾	﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾	﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾	﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

ما علاقة هذه الآية بباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله؟

العلاقة واضحة، أنه كلام عن صفات الداعية، لكننا في التوحيد الآن، فما علاقتها بالتوحيد؟ يعني هذه الآية في سورة يوسف تتكلم عن الداعية وصفاته، **لكن أنا في التوحيد ما علاقتي بالداعية؟** معنى ذلك أن الداعية إلى الله عز وجل لا بد أن يكون موصوفًا بماذا؟ أي أنه هو بنفسه موحد، ودعوته إلى تنزيه الله؛

نحن اتفقنا على أربعة صفات، ما صفاته؟

▪ يدعو إلى الله لا إلى نفسه. ▪ أنه على بصيرة و علم. ▪ أنه ينزه الله. ▪ أنه بنفسه ليس مشركًا ولا مخالط للمشركين.

فانتهى الأمر أن صفات الداعية كلها تتصل بالتوحيد!

يدعو إلى الله.

ولا بد أن يكون في دعائه على بصيرة، يعني متعلم ماذا سيعلم الناس، ويعلم قيمة التوحيد وتقديمه على غيره، فيعرف ما المفروض الناس يحققوه، وكيف يبنى البناء ، كيف يبنى البناء في قلبك، لا بد من التوحيد أولًا ثم كل شيء.

وأيضًا هذا الذي يدعو لابد أن يكون دائرًا حول تنزيه الله ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾، منزهًا لربه، صاد للناس عن سوء الظن بربهم، ذاكرًا لهم كمال صفاته سبحانه وتعالى ليبقى في قلوبهم تعلق بالله.

وهذه النقطة جرح عظيم في الدعوة، كم من داع يدعو إلى نفسه، ولا يدعو إلى ربه، و أهم صورة تفهمها أنك تجد أنه يعلّق الناس بنفسه، لا يعلّق الناس بربهم، لما يقع عليهم آلام يربطهم بنفسه ولا يربطهم بالله، ومثل هذا أخطاء في التفكير!، ليس دليلًا دائمًا على عدم سلامة نية الداعي، أحيانًا أخطاء في التفكير، فلا يعرف أن يفكر صح، لا يعرف أن يوصل الرسالة صح!

المفروض تدفع الناس إلى الله، لا أن تجذبهم إليك!، تدفعهم إلى الله، وليس معنى ذلك أن تدفعهم عنك – لا تفهم هذا– **المقصود أنك انت وهم معك يكونون مع الله.**

وأن يتبرأ من الشرك.

فانتهى الأمر إلى أن الداعي إلى التوحيد لا بد أن يكون هو بنفسه موحدًا، متصور مسألة التوحيد، عنده بصيرة لها، ولاحظ هذه الآية أتت في سورة يوسف التي من أولها إلى آخرها وصف لكمال الله، ولفعله، ولحال الداعي، انظر ليوسف عليه السلام وهو في السجن ماذا يقول ؟ ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٨٢]، ومن أول السورة: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٨٣]!

فانت تدور في العلم عن الله حتى تقع من الناس ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ كما هي، كما ينبغي، يكون منزهٌ في قلوبهم سبحانه وتعالى عن النقص والعيب، هذا دور الذي يدعو إلى الله، أن يدفع عن الناس سوء الظن في الله.

على كل حال، الداعي لا يدعو إلَّا إلى التوحيد على الحقيقة ثم كل شيء يترتب عليه

كما ورد في الحديث الذي بعده.

الدليل الثاني

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: " قَالَ إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" [٨٤]. وفي رواية: "إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ"[٨٥] أخرجاه.

---

[٨٢] يوسف:٣٨

[٨٣] يوسف:٢١

[٨٤] البخاري: الزكاة (١٣٩٥) ، ومسلم: الإيمان (١٩) ، والترمذي: الزكاة (٦٢٥) ، والنسائي: الزكاة (٢٤٣٥) ، وأبو داود: الزكاة (١٥٨٤) ، وابن ماجه: الزكاة (١٧٨٣) ، وأحمد (٢٣٣/١) ، والدارمي: الزكاة (١٦١٤).

[٨٥] البخاري: الزكاة (١٣٩٥، ١٤٥٨، ١٤٩٦) والمغازي (٤٣٤٧) والتوحيد (٧٣٧٢) ، ومسلم: الإيمان (١٩) ، والترمذي: الزكاة (٦٢٥) ، والنسائي: الزكاة (٢٤٣٥) ، وأبو داود: الزكاة (١٥٨٤) ، وابن ماجه: الزكاة (١٧٨٣) ، وأحمد (٢٣٣/١) ، والدارمي: الزكاة (١٦١٤).

فليكن أول ما تدعوهم إليه "شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" [٨٦]. وفي رواية: "إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا "، ثم تأتي بقية الأشياء.

إذن هذا هو الأساس الذي يُبنى عليه كل شيء، أول شيء نقول لا إله إلَّا الله، أول شيء نوحد الله ثم ينتقل إلى غيره.

إذن اعلم أن العقيدة يُنتقل بها إلى غيرها، ولا يُنتقل عنها إلى غيرها.

- **العقيدة يُنتقل بها إلى غيرها:** تنتقل إلى كل شيء آخر، وعلى العقيدة تبني.
- **ولا يُنتقل عنها إلى غيرها:** لا تتركها وراءك

فالعقيدة يُنتقل بها إلى غيرها، ولا يُنتقل عنها إلى غيرها.

انظر للحديث الأخير في الباب : حديث علي رضي الله عنه

الدليل الثالث

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا قَالَ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ قَالَ فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"[٨٧]. يَدُوكُونَ: يَخُوضُونَ.

ماذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم ؟ "انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ"

ما معنى إلى الإسلام ؟ ما هو أول ركن في الإسلام؟ **شهادة أن لا إله إلَّا الله.**

وهل يكفيك أن تقول شهادة أن "لا إله إلَّا الله"؟ أم أن تكون بالله مؤمنا ؟ يعني **شهادة "لا إله إلَّا الله" تعبير عما قام في قلبك من الإيمان بالله.**

"وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ " يعني أول شيء أخبرهم بالإسلام الذي هو شهادة أن "لا إله إلَّا الله" التي هي تعبير عن الإيمان بالله، ثم بعد ذلك بقية الحقوق.

معنى هذا، لا يدعو الداعي إذا دعا إلَّا للتوحيد أولا، وإذا جاء التوحيد جاء كل شيء بعده، إذا جاء التوحيد جاء كل شيء بعده بالإشارات، أشير لك هذا هو الطريق، فَسِر لكن أول الأمر لا بد أن يكون هناك توحيد مبني على العلم بكمال صفاته وتنزيهه سبحانه وتعالى عن النقائص.

على كل حال، أسأل الله عز وجل أن ينفعني وينفعكم بما سمعتم.

---

[٨٦] البخاري: الزكاة (١٣٩٥) ، ومسلم: الإيمان (١٩) ، والترمذي: الزكاة (٦٢٥) ، والنسائي: الزكاة (٢٤٣٥) ، وأبو داود: الزكاة (١٥٨٤) ، وابن ماجه: الزكاة (١٧٨٣) ، وأحمد (٢٣٣/١) ، والدارمي: الزكاة (١٦١٤).

[٨٧] البخاري: الجهاد والسير (٣٠٠٩) ، ومسلم: فضائل الصحابة (٢٤٠٦) ، وأحمد (٣٣٣/٥).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسر لنا هذا اللقاء، وأساله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاء مباركًا مرحوما.. اللهم آمين.

أجيب على بعض الأسئلة التي ربما أشكلت عليكم أمس، وسأبدأ بالقضية التي كأنها هي الوحيدة التي نوقشت في اللقاء، وهي مسألة "الدعاء لدخول الجنة بغير حساب"، وقول الشيخ الألباني أن هذا من الإعتداء؛ كأن هذا الرأي أشكل على البعض.

أولًا لابد يا طالب العلم أن يكون لك منهجا عندما تأتي لك مشكلة، حتى لا تكن فاتنا لنفسك، فاتنًا لغيرك، واعلم أن العلم فتنة، إذا ما استعملت معه ما يستعمل مع الفتن أتيت بالذنب على نفسك وعلى غيرك، لا بد أن تفهم هذا،كونك تأتيك معلومة تشكل عليك، أول خطوة اصبر إلى أن يأتيك الرزق من الله، فلا تشكلها وترتب عليها لأن انظري للسؤال:

- أرجو توضيح مسألة عدم الدعاء بدخول الجنة بغير لأنها قد أشكلت على البعض، وفهموا كأن هناك منع للدعاء بدخول الجنة من أين أتى هذا الترتيب؟ الجمع بين نقل كلام الشيخ الألباني –رحمه الله– بأن طلب أو الدعاء أن ندخل الجنة بغير حساب نوع اعتداء، مع منع دخول الجنة؟! ما العلاقة بين الأمرين؟

أنت أمرت أن تقول يا رب ارزقني الفردوس الأعلى، أليس كذلك؟ أمرت بأن تطلب أعلى المراتب فتوفق إلى أسبابها، لكن أن تحدد لله الطريقة التي تصل بها إلى أعلى المراتب هذه التي فيها اعتداء

أنت الآن يقال لك اطلب الرزق، الرزق في الدنيا اطلبه، لكن أن تقول يا رب اعطني بيت في الشمال فيه خمسة غرف، هكذا؟ تقول هكذا؟ لا، إذا كان من الاعتداء في الدعاء أنه قال يا رب– كما ورد عن الصحابي لما ابنه دعا– قال يا رب أعطني القصر الأبيض في الجنة، قال له الصحابي إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور.[٨٨]

- ما هو الدعاء والطهور؟ الطهور يعني التطهر، أي في الوضوء، اترك الطهور ليس موضوعنا.
- الإعتداء في الدعاء: انت أمرت أن تقول يا رب ارزقني الفردوس الأعلى فتأتيك أسبابه، لكن لم تؤمر أن تقول يا رب دخولي إلى الفردوس الأعلى يكون عن طريق أن أدخل الجنة بغير حساب

ما أمرت بهذا!.

وما دام النبي علمك أن تطلب الفردوس الأعلى، وما علمك أن تقول : يا رب أدخلني الجنة بغير حساب، فهذا الدليل الأول الدليل الثاني : عكاشة نفسه في الموقف لما قال: "ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ" ، حتى أنه ليس هو الذي دعا بنفسه، بل هو قال للنبي صلى الله عليه وسلم ادع، فلما أتى الثاني قال النبي صلى الله عليه وسلم له : "سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ. "[٨٩]

---

[٨٨] فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا فَقَالَ أَيْ بُنَيَّ سَلْ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَتَعَوَّذْ بِهِ مِنْ النَّارِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ((إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ)) رواه ابو داوود.

[٨٩] البخاري: الطب (٥٧٠٥) ، ومسلم: الإيمان (٢٢٠) ، وأحمد (٢٧١/١)-(٢٣٢١).

فتبيَّن من النصوص نفسها أن هذا الطريق لم تؤمر أن تطلبه، اطلب الذي أعلى منه، اطلب الفردوس، والله عز وجل سيعطيك الفردوس إن شاء طبعًا، بالطريق الذي يشاؤه سبحانه وتعالى، وليس بالطريق الذي تحدده!، يعني انت عندما تطلب صلاح أبنائك، وعندك مع أبنائك مشكلة أن لهم صحبة فاسدة؛ أيُّهما أصح في الدعاء:

أن تقول يا رب أذهب عنهم الصحبة الفاسدة ؟!

أم تقول يا رب أصلح لي ذريتي ؟!

أصلح لي ذريتي، إذن نحن متفقون، إذن انت دائما لما تكلم ربك، لا تكلمه عن التفاصيل، بمعنى أنك لا تحدد له سبحانه وتعالى الطريق الذي يوصلك به!، انت اطلب الفردوس الأعلى، اطلب أعلى شيء، فتسدد وتوفق أن تصل إلى هناك، كيف؟! الله أعلم، الله أعلم ما الطريق الذي يوصلك به إلى هذا المكان الذي نسأله سبحانه وتعالى أن يجعله مستقرنا.

وفي الحديث نفسه دليل، لأنه لو كان يصح لك هذا الدعاء ما كان النبي صلى الله عليه وسلم قال للثاني :"سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ." ، لقال له ادع انت بنفسك، إذا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يدعو، لكان قال له ادع لنفسك! لكن قال له : "سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ".

على كل حال وإن كانت المسألة لم تظهر، أنا أكلمكم الآن بحزم لأجل أنفسكم، لا لأجل غيركم لكن لأجل أنفسكم – انظروا عزيزاتي– كثير من طلاب العلم يكونون فتنة على أنفسهم وعلى غيرهم، وتأتي بدل من أن تكون بركة على نفسك، تكون فتنة على نفسك وعلى غيرك

كيف ؟ "تلتقط"، يعني الدرس أمس كان ساعتين ونصف، تكلمنا عن مسائل غاية في الأهمية، كل هذا تركته، وليس من أجل أنه سؤال واحد الذي أتاني، ليست ورقة واحدة التي أتت ما في إشكال تشكل عليك مسألة تسألها، ليست عندنا مشكلة!

لكن لا بد أن يلتفت نظرك لهذا التفكير: كل المسائل تركتها وركزت على هذه المسألة مع أنه هناك مسائل أشكل منها!، كونك سألت خير وبركة، لكن المفروض تتبع الطريقة التالية، لوهذه المسألة أشكلت عليك؛

افترض أنه كان لقاء وما أتى بعده لقاء، ماذا ستفعل ؟

يجب أن تتبع هذه الخطوات الثلاثة :

- أولًا: توسل إلى الرزاق أن علمك، لا تتعجل، لا تفتن نفسك وتفتن غيرك.
- ثانيًا: اليوم بفضل الله مسألة البحث سهلة جدًا، سهلة جدًا مسألة البحث!، يعني حتى الذي ليس له في العلم يستطيع أن يبحث، صفحات الإنترنت مليئة بمحركات البحث التي توصلك إلى مرادك، اكتب الجملة المبحوث عنها، وانظر أولًا هل الشيخ الألباني قال هذا الكلام أم لا؟!، لأننا في ثنايا الكلام قلنا أن المسألة فيها تفصيل، وفيها كلام، لكن ليس موضوعنا، لكن افرض ما تناقشنا في المسألة؟ اذهب وتوسع في المسألة، اذهب واقرأ كلام الشيخ الألباني صاحب القول، ابحث في المسألة، اجمعها، خذ أقوال غيره، لأن ممكن يكون فيه من خالفه.
- ثم ثالثًا : ثم اسأل عن المسألة لو بعد جمعك لم تفهمها.

من أجل أن تكون مباركًا لا تكون مشؤومًا على نفسك وعلى غيرك، أنا أقول هذا الكلام، ليس لهذه المسألة فقط، بل عمومًا، لأن هذا الذي يحصل، فهذا الذي يحصل إلى أن تأتي مواقف نقول فيها : لا، المفروض أن لا نفتح الباب للعلم، العلم لا يعطى إلَّا لمبتغيه، وتُغلق حلقات العلم، فهذه المسألة صعودًا وهبوطًا تحصل؛

يعني فيه في لحظات تأتي مشاعر، أنه : لا، نتيجة كل هذه الإشكالات، ونتيجة أن أحدهم يترك كل الكلام ويطير بكلمة، لا، أحسن نغلق حلقات الطلب والعلم على ناس نعرف نفسياتهم وتفكيرهم، على الأقل نتأكد أنهم ذاهبين آتين علينا، من المؤكد أنهم لن يطيروا بالكلام، أي لا تكن مشؤومًا فتغلق أبواب مفتوحة، وتفتن الناس.

ثم أن المعلومات التي ذكرت في خلال الدرس عمومًا من المفروض حملها إلى الآخرين، يكون في قلبك صفاء أنك تريد أن تنفعهم، وإذا أردت أن تنفعهم أنك لا تفتنهم، يجب أن تختار الذي يناسبهم -يناسب الناس- يعني الآن تترك كل الكلام، وتذهب لأحد تقول له لا تقل يا رب أدخلني الجنة بغير حساب!

هذه الكلمة التي ستنفعه؟ هي هذه التي ستنفعه؟ كل الكلام الباقي لن ينفعه ؟!، هذا يدلَّ على نفسيات أنك تأتي إلى الغرائب فتلتقطها، وبعدها تطير بالغرائب – وليس شرطًا- قد تكون واثقًا أنها صحيحة، لكن تطير إلى الناس بالغرائب حتى تتميز، وحتى تظهر، وحتى تعلو عليهم! فيدلَّ على أن في نفسك إرادة العلو، هذه المواقف تكشف النفوس!.

على كل حال، اسأل الله عز وجل أن لا يجعلكم فتنة، لا لأنفسكم ولا لغيركم .. اللهم آمين.

نأتي إلى مسألة أهم، سؤال أهم من هذا السؤال، إلَّا وهو مسألة التطبب.

مر معنا كلاما أمس، أن السبعون ألف أهم ميزّة فيهم أنهم حريصون على عدم الإلتفات لغير الله، بل متعلقين بالله عز وجل، **فإذا أصيبوا بمرض لا بأس، يرقون أنفسهم، هم بأنفسهم يرقون أنفسهم، لكن لا يلتفتون إلى غيرهم فيطلبون من غيرهم الرقية. فأصبح الإشكال في ماذا؟ في الطلب، في أنهم يطلبون الرقية**، وليس في مجرد الرقية، بل انت ارق نفسك، ارق نفسك، وإذا وجدت مريضًا أحسن إليه وأرقه، يعن حتى لوجدت مريض انت ارقه بنفسك، لكن المشكلة أين؟ في الطلب ، لا تطلب من أحد الرقية.

لماذا لا تطلب؟ هل هو محرم أم مباح ؟ مباح، لكن ماذا يفعل؟ ينقص من كمال التوحيد، يعني بدل من أن يكون توحيدك كاملًا ينقص، لماذا؟ لأن كمال التوحيد مبني على عدم الإلتفات أبدًا لغير الله، أبدًا، من أجل أن تكون انت واحدا لواحد، لا تلتفت إلى غير هذا الواحد.

هل هذه الدرجة مطلوبة من كل أهل التوحيد؟ الجواب : لا، هذه درجة الكمّل، ولأنها درجة الكمّل كان الجزاء ما سمعتم "أنهم يدخلون الجنة بغير حساب".

هذه الصفة التي هي أنهم لا يلتفتون لغير الله تظهر في أنهم لا يطلبون الرقية، تظهر في أنه لا يكتوون، لا يطلبون الرقية واضحة؛ ماذا عن لا يكتوون؟ مم يخافوا؟ يخافون على قلوبهم من أن تتعلق بالسبب – بالذات السبب سريع الأثر- يخافوا من الأسباب سريعة الأثر، التي مع إدمان ومداومة التعامل معها تتعلق بها، تتعلق بها مع توحيدك، مع أنك موحد، لكن تأتي لحظة من كثرة ما

أنك تشعر أن هذا الدواء أول ما تشربه، ماذا يحصل ؟ تقول أنا أحتاج أربعة وعشرين ساعة، ثم يأتي الشفاء، نقول بإن الله، لكن قلبك لا زال فيه ميل للسبب، **الكمّل من أهل التوحيد لا يسمحون لأنفسهم بهذا الإلتفات.**

بمعنى أنها ماذا تكون النتيجة؟ أنهم يمنعون أن أنفسهم كل سبب يشعرون بقوة ميلهم إليه.

هل لا يأخذون بالأسباب ؟يأخذون بالأسباب ما دامت قلوبهم غير متعلقة، فإذا حصل ووقع من قلوبهم التعلق ماذا يكون الناتج ؟ **يقطعون على أنفسهم الأخذ بهذا السبب وبالذات في التطبب.**

انتم تعلمون الحديث الذي قال ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ فيه عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ بَلَى – من هي هذه المرأة؟– قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي فَقَالَتْ أَصْبِرُ فَقَالَتْ إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لَهَا"[٩٠]؛ أول الأمر طلبت أن يدعولها أن تشفى، ماذا قال لها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ "قَالَ إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ"

صار أمامها اختياران:

- تأخذ بالسبب وهو دعاء النبي صلى الله عليه وسلم.
- أو تصبر وتكون لها الجنة.

مرتبتان ولا واحدة فيهما حرام، لكن واحدة أسرع للدخول، فيصبح هذا بلاءك هوسبب نجاتك إذا صبرت عليه، وإذا لم تصبر نجاك الله ببقية أعمالك، ماذا اختارت المرأة ؟ أن تصبر.

لذلك قال ابن عباس لعطاء : إلَّا أريك امرأة من أهل الجنة"، لأنها صبرت.

لونظرت للحديث جيدًا سيتبيَّن لك **أن الأخذ بالأسباب ليس دائمًا ممدوح، وليس هو الأصل، خصوصًا في مسألة التطبب،** هل هذا الأمر كل أحد يستطيعه ؟ لا، إذا ما تستطيعه لا تتناقش فيه، افهم أنها درجة كمال والتزم الصمت، لا تعذب نفسك أنك لا تستطيع الكمال، لأن الكمال لا بد أن يكون له سلما ترتقيه، لا تأتي تقفز!، السلم الذي ترتقه هو قوة إيمانك؛ لما يقوى إيمانك بكمال صفات الله ماذا يحصل؟ ذاك الوقت يسهل عليك أن تفعل مثل ما فعلت المرأة – أن تصبر وتترك السبب–.

لأن طلب الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم مثل طلب الرقية بالضبط، انت لما تطلب من أحد الرقية ماذا تقول له؟ طلب الرقية ما هو أصل هذه الكلمة؟ لما أحد يرقيك ماذا يفعل؟ يضع يده عليك، يعني يدعو لك "اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبْ الْبَاسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا"[٩١] فصار طلب الرقية بالضبط هو طلب الدعاء، لكن نوع دعاء خاص هنا؛ هي لما أتت للنبي صلى الله عليه وسلم قالت له : "فَادْعُ اللَّهَ لِي"، أي طلبت منه أن يرقيها، لأن الرقية هي طلب الدعاء، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : "قَالَ إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ" يعني سيكون هذا الحال الذي انت فيها سبب لدخولك الجنة، فاختارت أن تكون صابرة من أهل الجنة على أن يدعو لها النبي صلى الله عليه وسلم، وهو النبي!، فما بالك بمن هو دونه!.

---

[٩٠] صحيح البخاري» المرضى » باب فضل من يصرع من الريح (٥٣٢٨)

[٩١] صحيح البخاري» كتاب الطب» باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم (٥٤١١)

فانت **عندما تمسك نفسك عن أن تطلب من أحد أن يرقيك هذا إشارة كمال إيمانك**، ما استطعت ترك طلب الرقية، وما استطعت ترك طلب الأسباب التي تعلم إلتفات قلبك إليها، لا تناقش هذا الموضوع، ناقش أسباب كمال الإيمان، كمل إيمانك من أجل أن تستطيع أن تصل إلى هذه المرحلة.

هل رأيتم لابن مسعود ماذا يقول في مسألة التطير؟ يقول: " وَمَا مِنَّا إِلَّا" أي ما منا إلَّا أحد يقع في قلبه التطير،"وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ "[٩٢] يعني قوة إيمانك هي التي تذهب مثل هذه الأشياء من قلبك.

يعني قلبك يلتفت إلى السبب فماذا تفعل به؟ ترده بقوة إيمانك، **ما عندك قوة إيمان وقوة توكل – لا تتكلم عن النتائج– قوي إيمانك أولًا**.

نحن بالأمس اتفقنا على ثلاث كلمات لا تغب عنك أبدًا، يجب لهذه الثلاث كلمات أن تصبح لها صلة مع بعض:

- **الإيمان**.
- **التوكل**.
- **الطلب**. ولنقل [الإلتفات للأسباب عمومًا]

إذن الإيمان، التوكل، الإلتفات للأسباب [سواء كانت الأسباب حقيقية أو وهمية].

مرة أخرى: بعد أن تنتهي من حديث السبعون ألف، الذي هو الاسترقاء والاكتواء والتطير، اجمع بين ثلاث مفاهيم جمعا جيدًا:

- **قوة الإيمان تورث قوة التوكل**.
- **وقوة التوكل تمنع من الإلتفات للأسباب الحقيقية أو الوهمية**.
- الحقيقية أين؟ في الرقية والكي. والوهمية؟ في التطير.

إذن قوة الإيمان تورثك قوة التوكل، حتى في آخر الحديث "وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" وقوة التوكل ماذا تفعل بك ؟ تمنعك من الإلتفات للأسباب الحقيقية أو الوهمية.

"وتمنعك من الإلتفات" كلمة مختلفة عن كلمة " تمنعك من الأخذ بالأسباب"

ما الفرق بينهما ؟ أنا عندي كلمتان:

- "تمنعك من الإلتفات " لما أقول لك تمنعك من الإلتفات مقصود به إلتفات قلبك.
- لكن هناك في "الأخذ بالأسباب" تأخذها وأنت يآئس من السبب.

الكمّل من أهل التوحيد يعاملون الأسباب باليأس

ما معنى أنهم يعاملون الأسباب باليأس؟ يعني يأخذون بها ويعلمون أن العطاء عطاء الله.

وهذا الكلام لا تتصور أنك لا تحتمل فهمه – تطبيقه أمر أخر– لكن فهمه انظري للنبي صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس، وهو غلام لم يبلغ الإحتلام، قال له :

- " ذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ " هذا كمال التوحيد.

[٩٢] سنن أبي داود» كتاب الطب» باب في الطيرة (٣٩١٠)

- "وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ"[٩٣] هذه قوة التوكل أنك تنظر لكل الأسباب مهما اجتمعت لن تنفعك، إلَّا أن ينفعك الله بالسبب، هو الأول الذي ليس قبله شيء، فالأسباب محض عطايا.

نحن على كل حال سيأتينا النقاش اليوم في الأسباب بعد انتهاء تفسير التوحيد.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نحن نقول هذه درجة الكمّل التي إذا ما وجدتها لا تلّم نفسك، ولا تذهب تبحث عن ترك الرقية، وترك التطير، وترك الكي، وتنسى أن السبب الأصغر مبني على السبب الأكبر! ، ألم يقل سلمان لأبي الدرداء: "إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الْإِنْسَانَ عَمَلُهُ "[٩٤]. فانت لازم تبني المسألة جيدًا في قلبك؛

كيف تبنيها؟ **قوي إيمانك تصلح أحوالك، تترقى في درجات الكمال.**

لا بد أن نؤمن أن قوة الإيمان مؤثرة في ثلاثة أمور :

- **أولًا: في استقبالك للأحداث، والعلم .**
- **ثانيًا: مؤثرة في رد فعلك على الأحداث وعلى العلم.**

مؤثرة في استقبالك للأحداث والعلم، أي الأحداث التي تدور حولك.

- فهل كل واحد تأتيه مصيبة يستطيع أن يصبر؟ لا!، بل على حسب الإيمان .
- وهل كل واحد يأتيه علم ينتفع به؟ لا، بل على حسب إيمانه.

الله عز وجل في سورة البقرة قال: ﴿الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى﴾ لمن؟ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٩٥]، فعلى حسب إيمانك تنتفع بكتاب الله، إذن لا علم ولا أحداث تدور حولك تنفعك بمجرد أنك تستقبلها، على حسب إيمانك يكون استقبالك، لذلك لما يقوى إيمانك تحتمل أحداث أعظم، لذلك لا يبتليك الله إلَّا ومعك إيمان، **فأصبح قوة البلاء دليل على قوة الإيمان لكن انت تصبر**، أيضًا قوة إيمانك تؤثر على ردك على هذه الأحداث، كيف ترد عليها لما تأتيك.

قوة إيمانك تؤثر على أمر ثالث:

- **ثالثًا: تؤثر على تعاملك مع من يجري على يديهم الخير أو الشر .**

لذلك " إن من ضعف اليقين أن تحمد الناس على ما آتاك الله، وأن تذمهم على ما منعك الله"، فأنت كل ما قوي إيمانك نظرت للذي أمامك نظرة ثاقبة، فهمت من يكون، هو مجرد آلة تجري على يديه عطايا الله، هو مجرد سبب تجري على يديه العطايا.

---

[٩٣] أخرجه أحمد ٢٩٣/١(٢٦٦٩) والتِّرْمِذِيّ" ٢٥١٦ . الألباني(صحيح) انظر حديث رقم : ٧٩٥٧ في صحيح الجامع .

[٩٤] حَدَّثَنِي مَالِك عَنْ يَحْيَى بْن سَعِيدٍ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَتَبَ إِلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ أَنْ هَلُمَّ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَلْمَانُ إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الْإِنْسَانَ عَمَلُهُ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ جُعِلْتَ طَبِيبًا تُدَاوِي فَإِنْ كُنْتَ تُبْرِئُ فَنَعِمَّا لَكَ وَإِنْ كُنْتَ مُتَطَبِّبًا فَاحْذَرْ أَنْ تَقْتُلَ إِنْسَانًا فَتَدْخُلَ النَّارَ فَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِذَا قَضَى بَيْنَ اثْنَيْنِ ثُمَّ أَدْبَرَا عَنْهُ نَظَرَ إِلَيْهِمَا وَقَالَ ارْجِعَا إِلَيَّ أَعِيدَا عَلَيَّ قِصَّتَكُمَا مُتَطَبِّبٌ وَاللَّهِ ؛ موطأ مالك» كتاب الوصية» باب جامع القضاء وكراهيته

[٩٥] البقرة:١،٢

على كل حال، نحن إذا فتحنا هذا الموضوع لن ينتهي، كلما فتحنا سيأتينا كلام جديد، لأن "من ضعف اليقين أن تحمد الناس على ما آتاك الله، وأن تذمهم على ما منعك الله"، ثم تأتي الجملة التي ذكرت أمس "إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا كراهية كاره"[٩٦].

نبدأ بسم الله

نبدأ من الأبواب الخمسة التي مضت.

" خلق الله الخلق لأجل التوحيد فدلَّ هذا على أهمية التوحيد [لأن الله خلق الخلق من أجله]، وجعل الثواب الدنيوي والأخروي لمن قام به وحققَّه، فدلَّ هذا على فضل التوحيد، وحتى لا يضيع المرء هذا الثواب العظيم يجب عليه أن يخاف من ضدّه [وهو الشرك]، لاسيما إذا علم أن هذا الضدّ رتب عليه عقوبة، فدلَّ على الحاجة إلى التوحيد.

لماذا الحاجة إلى التوحيد؟ لأنك لو ما تعلمت التوحيد ستقع في الضدّ، والضدّ يترتب عليه عقوبة.

وبهذا يكون العبد قد كمّل نفسه، فوجب عليه أن يكمّل غيره، -كيف؟- بأن يدعو إلى توحيد الله على بصيرة، شكرًا لله، على نعمة الهداية إلى التوحيد ﴿أحسن كما أحسن الله إليك﴾؛ وأيضًا من لا يدعو إلى التوحيد فتوحيده ناقص لأن إقراره الشرك وترك أهله عليه أمارة على ضعف الغيرة." [٩٧]

يعني عدم دعوتك إلى التوحيد دلالة على عدم غيرتك على حقّ الله، فلا بد أن تكون داعيًا إلى التوحيد، طبعًا بعدما تتعلم.

هذه الأبواب الخمسة كانت بمثابة المقدمة للكتاب بها استغنى المؤلف عن المقدمة؛

"مادام يجب عليك أن تدعو إلى التوحيد لا بد أن تبذل جهدك في تعلمه، لابد انت علم حده، وتفسيره، وما يقويه، وما ينميه، وما ينقصه، أوينقضه."

وهذا الذي سيكون في هذا الباب، فهذا الباب بعد أن فهمنا فضله وأنه يجب علينا الدعوة إليه أتى تفسيره، كيف سيفسر؟ سنرى.

نبدأ الآن بالعنوان : **باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله**

تفسير التوحيد لا بد فيه من أمرين :

- الأول: نفي الألوهية عن سوى الله .
- الثاني: إثبات الألوهية لله .

سننظر إلى الأدلة التي استعملها لتفسير التوحيد، وكل دليل سيناقش مسألة كلها تدور على النفي والإثبات.

---

[٩٦] الراوي: أبو سعيد الخدري المحدث: السيوطي - المصدر: الجامع الصغير - الصفحة أو الرقم: ٢٤٩٣خلاصة حكم المحدث: ضعيف

[٩٧] **[تقارير عن الأبواب - مهم لطالبات المعهد هذه التقريرات الشاملة ووضعت باللون الأحمر في كل لقاء]**

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

❖ **وقول الله تعالى: (أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ)[٩٨] الآية.**

❖ **وقوله: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي)[٩٩] الآية.**

❖ **وقوله: (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ)[١٠٠] الآية.**

❖ **وقوله: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ)[١٠١] الآية.**

❖ **وفي الصّحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[١٠٢].**

وشرح هذا الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

الدليل الأول

نبتدئ بالدليل الأول وهو آية سورة الإسراء.

❖ وقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[١٠٣] الآية.

هذه الآية من أجل أن تتبيَّن لك، لا بد أن تجمع معها الآية السابقة، يعني هي آية ٥٧، تحتاج معها آية ٥٦.

يقول الله عز وجل في الآية ٥٦ في الإسراء: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ الخطاب للمشركين: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضرّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ هذه الآية ٥٦.

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ ما وصفهم ؟ ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضرّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾، ثم أتت آية المتن: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾.

نفهم الآيتين مع بعض من أجل أن نتصور المسألة:

- ﴿قُلِ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، أي قل يا محمد للمشركين.
- المشركون ماذا فعلوا ؟ أي مشركون هؤلاء؟ الذين اتخذوا من دون الله أندادا.

الآن الذين اتخذوا من دون الله أندادا، أندادهم سواء ؟

كأني اسأل: الشرك في العالم من أين أتى؟ ما مصدره؟

بمعنى، اتخذوا من دون الله أندادا أي أصنام، هذه الأصنام هل هي مقصودة بذاتها ؟ أم أنها ترمز إلى شيء في تفكيرهم؟

---

[٩٨] الإسراء:٥٧

[٩٩] الزخرف: ٢٦-٢٧-٢٨.

[١٠٠] التوبة: ٣١.

[١٠١] البقرة: ١٦٥.

[١٠٢] صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢٣).

[١٠٣] الإسراء:٥٧

◈ اعلم أن الشرك في العالم أصله من عبادة البشر الصالحين، من عبادة البشر للصالحين، أو من عبادة البشر الصالحين.

يعني الناس عبدوا الصالحين هذا هو المقصود، توجهوا للبشر الصالحين وعبدوهم.

◈ ومن الشرك ما كان أصله عبادة الكواكب.

يعني عندنا أصلان للشرك في العالم

◈ **الأصل الأول: عبادة البشر الصالحين،** الناس عبدوا البشر الصالحين.

❖ ومثاله : قوم نوح عليه السلام، عندهم [ودّ وسواع] كل هؤلاء كانوا رجال صالحين.

◈ **الأصل الثاني: عبادة الكواكب.**

❖ ومثاله : قوم إبراهيم عليه السلام، ومن تبعهم.

فصار الشرك في العالم له أصلين

▪ الأول : عبادة البشر الصالحين. ▪ والثاني : عبادة الكواكب.

البشر والصالحون ميتون والكواكب بعيدة.

⇦ من أجل أن يمثلوا هذا وهذا ماذا فعلوا؟ طوروا أصنامًا.

إذن هذا أصل الشرك في العالم:

▪ إمَّا أن يعبدوا البشر الصالحين. ▪ وأمَّا أن يعبدوا الكواكب.

عند البشر الصالحين تقولين أيضًا "والملائكة"، لماذا يعبدون؟ لصلاحهم.

وعند الكواكب تقولين " والجن" ، لماذا ؟ لإعتقاد تأثيرهم، لأن الكواكب يعبدونها لماذا ؟ لاعتقادهم أنها تؤثر في الأرض، والجن أيضًا يعبدونهم لماذا ؟ لأنهم يعتقدون أن لهم آثار على البشر، قوة.

فانتهى الأمر أن هذين النوعين: ▪ أمَّا للصلاح ▪ وأمَّا للتأثير.

يعني الشرك في العالم ما سببه؟

▪ إمَّا لاعتقاد صلاح المعبود من دون الله، ومثال على ذلك : قوم نوح وعباد الملائكة كلهم يصورون هذه الصورة.

▪ أو لإعتقاد التأثير والقدرة والسيطرة، ومثال ذلك: عبادة الكواكب وعبادة الجن.

فصارت عبادة أحد غير الله أمَّا للصلاح، وأمَّا لقوة التأثير ⇦ هذا أصل الشرك في العالم.

الأصنام بناء على ذلك ماذا تكون؟ صور تمثل هذا الصالح، أو صور تمثل هذا النجم، وعلى هذا دار شرك قوم نوح وشرك قوم إبراهيم.

تعال انظري إلى العرب الآن: ماذا دخل عليهم من أنواع الشرك؟ النوعان؛

▪ فيه من العرب من كانوا يشركون في الصالحين.

▪ وفيه منهم من كان يشرك في الكواكب.

طبعًا الصالحون سيلحقهم الملائكة، والكواكب سيحلقهم الجن لاعتقاد تأثيرهم.

أصول الشرك	عبادة البشر الصالحين والملائكة	عبادة الكواكب والجن
مثاله	بشر صالحين: قوم نوح [ودّ وسواع]	عبادة الكواكب: قوم إبراهيم ومن تبعهم
سبب الشرك	يعتقدون صلاحهم	يعتقدون تأثيرهم

لننظر إلى آية الإسراء، تكلم عن أي نوع من أنواع الشرك؛ لن يتبيَّن لكم إلَّا بعد النقاش.

الآن قل يا محمد للمشركين الذين اتخذوا من دون الله أندادا، يعبدونهم كما يعبدون الله، أصل الشرك في العالم كأنها معلومة إثرائية ضعيها في مربع، ثم ارجعي أكمل الكلام على الآية، ضعي كل المعلومة التي ذكرناها وهي [أصل الشرك في العالم في مربع] ثم نكمل الكلام.

نحن لا زلنا نتكلم عن الآية.

" قل يا محمد للمشركين الذين اتخذوا من دون الله أندادا يعبدونهم كما يعبدون الله، قل لهم ماذا؟ ادعوا الذين زعمتم من دونه، يعني ادعوا كل معبوداتكم من دون الله، فانظروا هل يملكون كشف الضرّ عنكم؟ أو يملكون تحويله منكم إلى غيركم؟ أو يملكون تحويله من عضو إلى عضو؟ فإنهم لا يملكون كشف الضرّ عنكم ولا تحويلا!.

فإذا كانوا بهذه الصفة فلأي شيءٍ تدعونهم من دون الله؟!، فإنهم لا كمال لهم في صفاتهم، ولا في أفعالهم نفع، فإتخاذهم نقصٌ في الدين والعقل، وسفهٌ في الرأي.[١٠٤]"

أتت الآية الثانية تخبر عن حال هؤلاء المعبودين – ركزوا جيدًا– نحن عندنا طرفان:

- عابد
- ومعبود.

العابد: في آية ٥٦ خاطب الله النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول له: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضرّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾.

ثم وصف المعبودون: ما حالهم المعبودين ؟ ﴿أُولَئِكَ﴾ أي المعبودون، ما وصفهم؟ في شغلٍ عنكم، مشغولون بالإفتقار إلى الله، وابتغاء الوسيلة إليه، يعني هم بأنفسهم عابدون، منكسرون، ذليلون لله عز وجل.

الآن مرة أخرى: أنا عندي عابد ومعبود، الآية وصفت الإثنين، خاطبت الإثنين:

- **أولًا** خاطبت العابد، الله عز وجل أمر رسوله أن يكلم المشركين؛

يقول لهم : اطلبوا من الذين زعمتم أنهم يملكون، اطلبوا منهم وانظروا، هل يملكون كشف الضرّ عنكم ولا تحويلا؟ لا يملكون كشف الضرّ عنكم ولا تحويلا، بل هم بأنفسهم عنكم مشغولون ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾، فأصبح هذا وصف للمعبودين.

أي المعبودين سيكونون؟ نحن قلنا أن أصل الشرك في العالم نوعان:

- أمَّا الجن وإما النجوم.
- وأمَّا الصالحين سواء كانوا من البشر أو الملائكة.

[١٠٤] تقرير معنى الآية (أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ)

هذه الآية التي في الإسراء تصف مَن؟ **تصف الصالحين**، لأن هؤلاء الصالحين هم بأنفسهم في شغل عنكم، هم بأنفسهم يتقربون إلى ربهم، يدعون يبتغون على ربهم الوسيلة أيُّهم أقرب، يرجون رحمته ويخافون عذابه.

إذن كيف فُسِّر التوحيد هنا؟؛ قبل ما نناقش تفسير التوحيد نعيد الآية لا بد للنظر إلى سياقها، وفي نفس الوقت فيها إشارة إليك انت كيف تدعو، لا بأس لا تذهب هذه الإشارة.

مرة أخرى من أول الكلام، أهم شيء انت تنظر إلى السياق؛

السياق ماذا يقول؟ الله عز وجل يخاطب رسوله:

- يقول له : قل للمشركين : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ ما وصفهم؟ ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضرّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾.
- هؤلاء الذين تدعونهم من دون الله هم بأنفسهم ما بهم؟ مشغولون.
- مشغولون بماذا؟ ﴿ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾.
- فهذا أصبح وصف مَن؟ وصف للصالحين الكمّل بنفسهم، هذا وصفهم هؤلاء الصالحون الكمّل.
- ماذا فعلوا المشركين معهم؟ اتخذوهم من دون الله أندادا، أصبحوا يدعونهم، فالله عز وجل يبيِّن لهم مَن هؤلاء .

كأنه يقال: أرأيتم ما تدعون من دون الله؟ ما حالهم؟ انظر إلى حاله من جهتين:

- من جهة أنه لا يملك كشف الضر عنك ولا تحويلا؛ هذه الآية الأولى.
- انظر له من جهة أخرى هو بنفسه عابد، منكسر، ذليل، يدعو ربه؛

فكأنك تقول : كل ما سوى الله "**عَالَم**"، أي علامة ودلالة على الله، متساوون في عدم استحقاقهم للعبادة، مختلفون في منازلهم عند الله، لماذا مختلفون في منازلهم عند الله؟ على حسب قوة طاعتهم وعبادتهم.

يعني الآيتين تدلانك على هذا المعنى:

الآية ٥٦ تدلك على أنهم كلهم متساوون في أنهم لا يستطيعون كشف الضرّ ولا تحويله.

- فهم كلهم متساوون في عدم استحقاقهم للعبادة.
- مختلفون في قوة طاعتهم.

نشرح الجملة مرة أخرى؛

كل ما سوى الله عالَم، ما معنى عالَم ؟ علامة ودلالة على الله.

لما تنظر إلى أي أحد سوى الله تنظر له بنظرتين:

- نظرة على أن العالم كله متساوي في أنه لا يستحق العبادة.
- ثم مختلف في منازلهم، هناك ناس أقوياء في طاعتهم، في تقربهم، هناك أنبياء، هناك صالحون، هناك صديقون، تختلف منازلهم عند الله.

تختلف على حسب ماذا؟

- على حسب موهبة الله لهم مثل الأنبياء.
- أو على حسب طاعتهم مثل الصديقين والصالحين والشهداء.

إذن تنظر لكل الناس بنظرتين:

- نظرة تساوي من جهة عدم استحقاقه لا للتعلّق التام، ولا للتعظيم التام.
- ومن جهة أخرى تنظر للناس على أنهم مختلفون من جهة منازلهم عند ربهم.

هذه النظرة نفسها انظرها للنبي صلى الله عليه وسلم، طبق هذا الكلام على النبي صلى الله عليه وسلم، ماذا تقول؟

- من جهة وصفه أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرّا ولا لغيره، يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا﴾[١٠٥]، ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[١٠٦]، ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[١٠٧]، **كل هذا دليل على أنه هناك نظرة للنبي صلى الله عليه وسلم أنه لا ينفع ولا يضرّ، متساوي مع باقي كل الناس في أنه لا يملك لا لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرّا.**

لكن كيف تقولون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يساوي كل الناس؟

- من جهة النفع والضرّ نعم، كل أحد متساوي! لا ينفع ولا يضرّ.
- لكن هذا لا يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم يساوي الناس من جهة مكانته ومنزلته عند الله، هذه نظرة أخرى.

هم بأنفسهم يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب – يتنافسون في المكانة–، إذن كل واحد يقول لك انت لا تحب النبي صلى الله عليه وسلم!، بدليل أنك لا تتوسل إليه ولا تطلب منه! **نقول النبي صلى الله عليه وسلم انظر له نظرتين:**

- نظرة من جهة أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرّا يساوي كل أحد، وهذا الكلام لم تأت به انت من عندك ولا من هواك ولا من متابعتك لشيخ أو لإمام!، **لا** انت من كلام الله، الله عز وجل قال لنبيه ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، والنبي صلى الله عليه وسلم في القرآن ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا﴾، بل الله عز وجل أخبره وأخبر الأمَّة ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾؛ كل هذا دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم يساوي غيره في عدم استحقاقه للعبادة.
- انظري نظرة أخرى، هل النبي صلى الله عليه وسلم مثل غيره في مكانته عند الله عز وجل ؟ لا، ليس مثل غيره!، بل وُهب المواهب العظيمة، والأدلة على ذلك كثيرة.

ومن أجل ذلك من شهد أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدا عبده ورسوله – يجب أن تأتي بالإثنين–تشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم:

- "عبد" أي : يساوي غيره في عدم نفعه ولا ضره.
- و"رسول" لا يساوي غيره في مكانته، وفي محبتنا له، وفي طاعتنا له صلى الله عليه وسلم.

إذن لا بد أن تتصور أن هناك نظرة مزدوجة، هذه النظرة المزدوجة تجعلك متوازن، لما يأتي أحد يتهمك ويقول انتم لا تحبون النبي صلى الله عليه وسلم تعرف أن ترد، أنه من قال هذا؟! إذا نظرنا إلى أنك تتصور أن محبتنا معناها أن نتوسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو نطلب منه، أو نأتي إلى قبره فنطلب منه، أو نقول يا رسول الله أعطنا، تكون انت الذي أخطأت! ⇦ لأن الله سبحانه وتعالى يقول عن رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾، لكن إذا قصدت كونه رسول يتبع فلا أحد يعظم

---

[١٠٥] الأعراف:١٨٨

[١٠٦] آل عمران:١٢٨

[١٠٧] القصص:٥٦

السُّنة مثل أهل السُّنة، لا أحد يعظم السُّنة مثل أهل السُّنة!؛ بل كل أحد من غير أهل السُّنة من أهل البدع، أول ما يطعنون بأعمالهم يطعنون السُّنة!، يطعنون النبي صلى الله عليه وسلم ومتابعته !، **كذب كذب أن يقولون أنهم يحبون الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من حبنا له، لأن أول علامات المحبة الطاعة.**

إذن كأنه في الآية هنا يقال:" الواجب على الداعين لغير الله أن يقتدوا بمن يدعونهم، يقتدون بهم في ماذا؟ في شدة فقرهم لله، لأنهم كانوا يعبدون الله ويرجونه ويخافونه، فلماذا لم تعبدوا الله مثلهم؟!."[١٠٨]

يعني هذا الخطاب يقال لمن؟ لمن أتى إلى الصالحين العابدين، وعبدهم، نقول الآن اجعل هذا العابد الصالح قدوة لك، واعبد الله كما يعبد هو الله، لا أن تعبده هو من دون الله!.

إذن كيف يُفسَّر التوحيد هنا؟ التوحيد هو شهادة أن لا إله إلَّا الله؛

لو سألتك ما معنى "لا إله إلَّا الله" ؟ لا معبود يستحق العبادة إلَّا الله.

إذن كأنك تقولين: "التوحيد هو أن أعتقد أن لا أحد أبدا، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل يستحق العبادة، بل الذي يستحقها هو الله سبحانه وتعالى.

فكأنه يقال: لو كنت من أهل التوحيد وشهادة أن لا إله إلَّا الله، لا بد أن تضع الصالحين في مكانهم، لا بد أن لا تتجاوز بالصالحين حدهم، لأنك لو تجاوزت بالصالحين حدهم وقعت بالطاغوت، آمنت بالطاغوت[١٠٩]."

مرة أخرى: كأنه يقال لك، إذا كنت موحد لابد أن تعطي الصالحين حقهم، فلا تتجاوز الحد بهم، إذا تجاوزت الحد بهم، إذا تجاوزت الحد بهم معناه آمنت بالطاغوت، **فالموحد ما به؟ مؤمن بالله كافر بالطاغوت.**

لابد من نفي وإثبات: يؤمن بالله فقط ويكفر بالطاغوت.

السؤال هنا : ما حق الصالحين؟ لنبدأ بالصالحين، لنتكلم عن الأنبياء والمرسلين، ما حقهم؟

- أول الحقوق وأهمها متابعتهم، أن تتابعهم فيما دعوا إليه، ليكثر أجرهم بكثرة أجور من اتبعهم، ألم تسمع إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : " مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا"[١١٠].
- إذن معنى هذا ليس من حقوقهم أن تتخذهم من دون الله أولياء، اتخاذهم من دون الله أولياء ماذا يكون؟ تجاوز بهم الحد، تكون وقعت بالطاغوت، وإن كانوا لا يُسَمَّون طواغيت لأنهم لم يرضوا، لكن انت اتخذتهم طواغيت، هذا أول تفسير التوحيد؛

فانت يجب أن تفهم أن التوحيد يُفسَّر بأن لا تتخذ من دون الله وليًّ، حتى لو كان هذا الذي اتخذته صالحا، ولا تستهينوا بهذه المسألة، يعني لا تتصوروا أنفسكم بعيدين عنها، يبتلى الإنسان في حياته بأن يتعلق بناس عظماء في نظره، أهل طاعة، وأهل استقامة، يبتلى بأن يعظمهم إلى حد يتجاوز بهم الحد؛ انتهينا من الآية الأولى.

---

[١٠٨] تقرير بما يجب أن يكون في صفات الداعين من آية الإسراء.

[١٠٩] تقرير معنى التوحيد والكفر بما يعبد من دونه من آية الإسراء.

[١١٠] الراوي: أبو هريرة المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: ٢٦٧٤ خلاصة حكم المحدث: صحيح

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لما جاءوا به يعني تابعهم فيما أمروا به من عند الله، ماذا يحصل لما تفعل هذا الفعل ؟ تكثر أجورهم عند الله، يعني انت الآن تحب الصالحين، وتحب الأنبياء، الأنبياء بماذا أمروك ؟ بعبادة الله، لما تتبعهم فيما أمروك تكون انت سبب في تكثير أجورهم؛ تكثير أجوريهم يعني انت كل عمل من أعمالك الصالحة في ميزان النبي صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذي دلك عليه، يعني انت لا تحتاج أن تقول أنا سأذهب وآخذ عمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم!، أصلًا انت كل عمرة تأخذها علمك إياها النبي صلى الله عليه وسلم، فهي ميزان النبي صلى الله عليه وسلم بدون أن تفعل هذا الفعل.

فالمقصود إذا تحبهم حقيقة اتبعهم، لأن متابعتك لهم تكثير لحسناتهم، فإذا تابعت من أتاك بالهدى كان له أجرك انت، ولا ينقص من أجرك شيء، هذا الكلام سواء كان للأنبياء، أو الصالحين، أو العلماء، كل الناس الذي يعلمونك، إذا انت تحبهم على الحقيقة، وهم يقولون لك الصواب، **أهم شيء لا تتابعهم إلَّا في الصواب تابعهم بعد أن يعلموك، فهذا إشارة إلى محبتك لهم، لأن متابعتك لهم على الصواب تكثير لحسناتهم**؛ أسأل الله أن يرزقنا الإخلاص.. اللهم آمين.

❖ الدليل الثاني

❖ وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾[١١١] الآية.

الآية الثانية في المتن؛ وصف آخر يفسَّر به التوحيد، أولًا أخذنا وصف الذين عبدوا من دون الله، واتفقنا أن الخطاب لمن عبد أحدًا دون الله، قلنا له لو كنت تريد أن تكون موحدًا على الحقيقة لا تعبد إلَّا الله، لا إله معظم في قلبك يجب أن يكون إلَّا الله، لا تكلمني عن لا ملك مقرب، ولا عن نبي مرسل، هؤلاء لهم مكانتهم المحفوظة لكن لا تتجاوز بهم الحد، من هنا أتى تفسير التوحيد.

والآن تأتي من جهة أخرى – نتكلم الآن عن الكمّل–؛ الكمّل ما وصفهم؟ وكيف توحيدهم؟ توحيدهم أتى بجمع ثلاثة أوصاف لهم:

- يدعون
- يرجون رحمته
- يخافون عذابه.

إذن ما وصفهم؟ في قلوبهم، يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة، يبتغون أي محبون، إذن في قلوبهم محبة ورجاء وخوف، وهذا كله مصروف لله عز وجل وحده، وسيتضح هذا الوصف أكثر في الآية الثالثة، في الدليل الثالث.

إذن أهم شيء في تفسير التوحيد أن يقال لك: لا تتصور أبدًا أنك موحد وانت معظم لغير الله تعظيمًا تتجاوز به الحد، أو تتعلّق بغير الله تعلّقًا يتجاوز بك الحد، حتى لو كان هذا المحبوب أو المعظم صالح، لا يمكن أن تكون موحدا، يجب أن يكون كل حبك، وكل خوفك، وكل رجاءك مصروف لله عز وجل، تعلقك وتعظيمك لله، وما بعده تابعٌ له، لذلك سيأتينا شرك يسمى "شرك المحبة" ؛ شرك المحبة ماذا يحصل فيه؟ يتعلّق الإنسان بغير الله كتعلقه بالله.

نأتي الدليل الثاني؛ آية الزخرف الآية ٢٦ إلى الآية ٢٨.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[١١١] الزخرف: ٢٦-٢٧-٢٨.

في وصف مَن هنا؟ في وصف حال إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، ماذا قال؟ ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ الكلام الآن عن البراءة من الشرك، يخبر تعالى عن ملة إبراهيم الخليل.

لماذا يخبر عن ملة إبراهيم في القرآن بتكرار؟ لأن هذه الملة يدّعي أهل الكتاب والمشركون أنهم إليها منتسبون، يعني يدّعون النسبة إليها، وكلهم يزعم أنه على طريقته، فأخبر تعالى عن دينه الذي ورّثه إبراهيم عليه السلام ذريته.

ما دينه؟ الخطاب هذا لأبيه وقومه ماذا قال لهم؟ أبوه وقومه يعبدون الأصنام، يعني يشركون بالله، ماذا قال لهم؟ قال لأبيه وقومه : ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

يأتي السؤال : براءته ممن الآن منهم أم مما يعبدون؟ **الجواب : مما يعبدون.**

البراءة هي أن يكون العبد كافرًا بعبادة غير الله مبغضًا لها، فهذا من أصل التوحيد، أي من أصل أن تأتي إلى المعبودات من دون الله وتبغضها وتكرهها، وتكفر بها.

يعني لو رأيت الآن صورة بوذا ماذا يكون في قلبك؟ الكفر أولًا، كفرت بك، لست بشيء، البغض، يقع في قلبك البغض له، شعور أن هذا الأمر ضلال، أضل به الشيطان بني آدم، فلا يصح أن تنظر إلى بوذا لا لك ولا عليك.

يعني انت تجد بعض الناس يواجهون مثل هذه الصور في بعض الفنادق، وهم في السياحة، حتى لو ما ذهبوا إلى بوذا، تجد في بعض الفنادق الكبيرة، ومثل هذه حتى مستعمرة في الخليج، الفنادق الكبيرة الفخمة يكون ملاكها من هذا الصنف، حتى لو تمليك داخلي، بوذا هذا تمثال معروف، إذا ما كنت تعرفه ما تفتح النقاش في الباب غيب نفسك، الذي يعرف هو الذي سيفهم الكلام، بوذا معبود من دون الله عز وجل، عبارة عن تمثال، له صورة معينة معروفة عند الناس الذين يرتادون مثل هذه الأماكن، مطلوب منك تعرفها، لأنك لو واجهتها وأنت غير عارف تتصور أنها صورة مثل بقية الصور،• لأ • هو له صورة معروفة من أجل إذا ما واجهتها تعقد في قلبك بغضها والكفر بها.

على كل حال؛ المقصود لما تنظر لمثل هذا الآن يعني انتم تتصورون أنه لا توجد أصنام، طوال الوقت ونحن نطمئن أنفسنا أنه لا يوجد أصنام، أولًا الشرك ليس في الأصنام فقط!

- ألَّا ترى المشركين عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم.
- ألَّا تراهم يقولون يا رسول الله؟!.
- ألَّا تراهم في الطواف يتوسلون بعلي رضي الله عنه، والحسن والحسين رضي الله عنهما!.
- ألَّا تراهم لو تعثروا في ممر من الممرات يقولون يا وليّ الله، يا علي؟!.
- ألَّا ترى الشرك عيانا؟! يستغيثون بغير ربهم؟! هذا هو الشرك العيان!.

لكن مع ذلك نحن طوال الوقت نقول لأنفسنا لا يوجد أصنام، نقول لا تتصور أن الشرك فقط في الأصنام، لا تطمئن نفسك هذه الطمأنينة؛ والأمر الثاني أن الأصنام دخلت وموجودة، والناس يتسيحون عندها، يذهبون للمعابد الكفرية على أنها سياحة!، ثم هذه المعابد الكفرية نقلت صورة من صورها في الفنادق الفخمة في الخليج، فهذا الأمر ليس بعيدًا، لا تتصوره بعيدًا.

على كل حال، ماذا يجب أن يكون شعورك؟ لا تتصور أنك لما ترى هذا الأمر أنه ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، ليس هنا ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[١١٢]، هنا لا بد من البراءة!

ما معنى البراءة؟ الكفر بها، اعتقاد بغضها، تصور أن هذه سبب للضلال.

وترى الآن مع وجود الاتصالات السريعة والنت، تجد شيئا كثير من دخول هذه المعبودات من دون الله بدون ما تشعر، اليوم عن توحيدك لابد أن تفتش، لا تقل أنا لا أعتقد، لا تقل ذلك، كثير من الخيوط بألوان معينة، تكون هذه عبارة عن طقوس وملابس تلبس حال الدخول إلى هذه المعابد، نأتي نقول لك هذا اللون بالذات في هذه الصورة بالذات اتركه، تقول أنا لا أعتقد، نقول انظر إلى الشريعة، منعتك من السجود حال شروق الشمس وحال غروبها وأنت موحد، لماذا؟ منعًا من أن تشابه في الصورة الخارجية لعبدة الشمس؛ فلا تقل لي أنا لا أقصد، أنت لا بد أن تحرر.

هذه الهمجية في التقليد ستفتت في قلوب الناس التوحيد، وعلى المدى القريب وليس البعيد.

لابد أن نكون دقيقين في هذه المسألة غاية في الدقة، لا تقلد وأنت أعمى، خصوصًا وانت ناضج، خصوصًا وانت قد منَّ الله عز وجل عليك بالتوحيد، أمَّا مناقشة غيرك اتركها الآن، فقط فكر في نفسك، انت نجِّ نفسك، كثير من التصرفات التي فيها تقليد تحوم حول الأعتقاد وانت لا تشعر، وهذا الأعتقاد ليس شرطًا أن يأتي من المشرق والمغرب، بل حتى في بلداننا، هناك كثير من الاعتقادات شركية، حلقات معينة – سيأتينا في باب الحلقة– خيوط معينة، تلبس باعتقادات معينة، ثم تبقى طوال الوقت تقول لنفسك كلمة واحدة أنا لا أقصد، أنا لا أقصد، هذا ليس عذرًا! ، **أنا لا أكلمك وأنت ناقص التوحيد، أنا أكلمك وأنت راغب أن تكمل توحيدك**، فإذا انت راغبًا أن يكمّل توحيدك، راغبًا في هذا مشتاقًا إليه ⇦ لا بد أن تكون حريصًا شدة الحرص أن لا تظهر بأي صورة فيها مشابهة لأهل الشرك.

الآن المطلوب أن يقع في قلبك براءة مما يعبد – نفس المعبودات من دون الله–، يعني الناس جماعة التنجيم، أهل الأبراج، انت الآن ليس لك علاقة بالأبراج، ولا تقرأها، ولا تعتقدها، جميل، لكن هل انتهى الأمر إلى هنا؟ لأ، ليس إلى هنا، لابد أن تتبرأ منها، وتعتقد أن هذه الأبراج لا تنفع ولا تضر، ولا يأتي منها الخبر، بل كذب في كذب، وحي من الشيطان.

يجب أن يظهر لك اعتقادك، لا يكفيك أنك لست فاعلًا، سيأتينا في آخر الباب : **من قال لا إله إلَّا الله وكفر بما يعبد من دون الله، يجب أن تكفر بما يعبد من دون الله**، فالآن عندما تأتي مسألة مثل مسألة الأبراج التي يؤسفنا أن نقول أنها منتشرة، ونحتاج حالة من النهضة في هذه المسألة للتنفير منها، واعلم أن مسألة مثل مسألة الأبراج تدور وكل يوم تأتي بصورة جدية، هل تعرف لماذا تأتي بصورة جديدة؟ لأن الشيطان يؤز أهلها أزا، والآن العالم الإسلامي في أحضانه، أكثر من مائة معهد لتعليم التنجيم والسحر!، يأخذون درجات عليا في الكفر، ومثل هذه البرامج تستقطب القوم الذين عندهم قوة في شخصياتهم، فيقبلون التعليم عن بُعد، تصوروا تعليم السحر عن بُعد، إلى أن تنجح في الفصل الدراسي الأول، فإذا نجحت – تصور– نجحت بدرجة معينة يعطونك منحة إلى البلد التي يُعلم فيها السحر!، منحة مجانية، سكنى مع الدراسة، مصيبة، مصيبة والله، مصيبة عظيمة !! لكن أين القلوب؟!! – الله المستعان – وهذا كله في صفحات الإنترنت.

---

[١١٢] الكافرون:٦

فتصور البلاء العظيم الذي يأتي في التوحيد، ولا زلنا ننتظر بلاءات أعلى منها، فانت لا بد أن تتصور وجوب البراءة، لا بد أن تكره وتبغض وتعلن بلسانك، انت الحق معك، لا أحد يأتي يدور حول مسألة الأبراج، ويقول لك النجوم والبرج ويفلسف لك المسألة، **قل أنا لا أعرف من هذه النجوم والأبراج إلَّا ما أمرني الله عز وجل بالحد لها:**

▪ **رجومًا للشياطين.** ▪ **هداية للقوم.** ▪ **زينة للسماء.**

أكثر من ذلك لا أعرف لها نفعا، مثل هذا الاعتقاد وضع نفسك تحت الحد يجعل كل شيء بعده فلسفلة ليس لك علاقة به، المشكلة في مثل هؤلاء لما تقف أمامهم تشعر أنهم أقوياء، معهم حجَّة، وما يقويهم إلَّا الشيطان، ليس لنا علاقة بهم، المهم لا تهاجمني في اعتقادي، أنا الذي أرد عليك اعتقادك، أمَّا انت يجب أن تعرف أنك على باطل، وكثير من أهل الباطل عندهم من قوة الحجَّة ما يضعف أهل الحق، المهم افهم أن هناك حد وما بعده طغيان، قل أنا لا أعرف من هذه النجوم من حال إلَّا كذا وكذا وكذا.

على كل حال، نرجع إلى كلامنا: البراءة من العابدين، نحن تكلمنا عن البراءة من نفس المعبودات.

نأتي إلى البراءة من العابدين.

يعني انت الآن تعيش مع قوم واقعين في الشرك من جهة توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم.

عندك أمران:

- الأمر الأول: موقفك من التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، موقفك من نفس الأمر، من أصل التوحيد أن تعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينفع ولا يضرّ، هذا من أصل التوحيد.
- الأمر الثاني: تبقى معاملتك مع مَن يعتقد أن النبي ينفع ويضرّ تبقى هنا المعاملة.

يعني أنا عندي الآن درجتين في البراءة:

- الدرجة الأولى: البراءة من نفس المعبودات من دون الله.
- الدرجة الثانية : البراءة من العابدين.

البراءة من المعبودات ما حكمها؟ من أصل التوحيد.

البراءة من العابدين؟ من لوازم التوحيد، أي درجة أقل.

فانت الأصل لابد أن تكفر بالمعبودات من دون الله، ثم تعال كلمني عن العابدين وتعاملي معهم.

كيف أتعامل مع العابدين؟ التعامل مع العابدين يحكمه ظروف، وأحوال، وآمال، يعني أحيانًا تتأمل أنه مع خلطتك بهم سيهتدون، غير لو كنت متأكد أنه أمر متأصل في قلوبهم، مختلفان.

- إذا كان متأصلًا في قلوبهم غير أن تتمنى صلاحهم، كنت تتأمل صلاحهم، أو ترجو صلاحهم، أو عندك أمل في صلاحهم، هذه حال؛
- حال أخرى، أن يكون أصلًا لي معهم مصالح لا أستطيع أن أنفك عنهم؛

مثل ما يكون الأبناء على السُّنة والآباء روافض، وهذه بلوى منتشرة زمنًا طويل، حتى أحيانًا الزوج والزوجة يعني زمن طويل، كانت هذه المسألة سهلة، لم تكن ظهرت وقتها المعتقدات، فكان يحصل زواج بين أهل السُّنة وبين الروافض، لما تأتي الصحوة، الآن هذا زوج كيف يمكن التعامل معه؟ وهل وصل إلى الحد الكفري أم لا؟ كل هذا لا يصح هكذا الحكم المطلق فيه؛

لابد أن تفرقوا بين الكفر بالمعبودات والبراءة منها والبراءة من العابدين، هاتان درجتان مختلفتان:

- واحدة من أصل التوحيد وهي الكفر بالمعبودات.
- وواحدة من لوازم التوحيد، هذه التي من لوازم التوحيد لا تحكم عليها إطلاقًا هكذا، لا بد أن تفهم التفاصيل حتى تستطيع أن تتكلم عن البراءة من العابدين، تحكمها أحوال وظروف وأوضاع لا بد فيها من التأمل.

معنى البراءة من الشرك ﴿براء مما تعبدون﴾.	**الكفر بها، اعتقاد بغضها، تصور أن هذه سبب للضلال.**	
أنواع البراءة من الشرك	البراءة من نفس المعبودات من دون الله	البراءة من العابدين
حكمها	من أصل التوحيد	من لوازم التوحيد [درجة أقل، ولا يحكم عليها إطلاقًا]

كل هذا الكلام عند ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾، واتفقنا ما معنى ﴿ بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

" ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ فإني أتولاه، وأرجو أن يهديني للعلم بالحق والعمل به.

– يعني أنا عبد أتولى الله أي أجعله لي وليا، وأرجو أن يهديني للعلم بالحق والعمل به –

فكما فطرني ودبرني بما يصلح بدني ودنياي، فإنه سيهديني، يهديني لما يصلح ديني وآخرتي.

انظري للآية التي بعدها وجعلها ماذا؟ ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، ما هي التي جعلها كلمة باقية؟

جعل إخلاص العبادة لله وحده، والتبرؤ من عبادة ما سواه كلمة باقية في عقبه – يعني مَن ؟ – في ذريته لعلهم إليها يرجعون، فانت إذا نظرت إلى حال إبراهيم عليه السلام وتوريثه لكلمة التوحيد؛

ستجده في نفسه أفرد الله بالعبادة كما أخبر الله عنه في سورة الأنعام ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾[١١٣].

وتجد هذا في دعائه، دعا الله عز وجل أن يجنبه وذريته الشرك لما قال ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾[١١٤].

وفي وصيته لما وصى بذلك ذريته من بعده كما قال الله عز وجل في سورة البقرة ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾[١١٥].

---

[١١٣] الأنعام:٧٩

[١١٤] إبراهم:٣٥

[١١٥] البقرة:١٣٢

وظهر ذلك في حبه وبغضه، فتبرأ من الشرك كما قال في سورة الأنعام ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[١١٦] وكما ورد في هذه الآية في سورة الزخرف[١١٧]."

إذن معنى هذا لما تقلب حال إبراهيم عليه السلام في القرآن تجده ظاهر فيه توريثه لهذا التوحيد لمن بعده.

السؤال : بماذا يفسر التوحيد بعد هذا؟ نحن في باب تفسر التوحيد، انظري للآية وقولي لي كيف تقابلينها بكلمة "لا إله إلَّا الله"؟

❖ شهادة أن "لا إله إلَّا الله" فيها نفي وإثبات.

- النفي: "لا إله" في كلام إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾.
- والإثبات: في شهادة "أن لا إله إلَّا الله" ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

إذن كيف يكون التوحيد؟ بالبراءة من الشرك، يعني لا تكون موحدًا إلَّا إذا برئت من الشرك.

❖ الدليل الثالث

❖ وقوله: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾[١١٨] الآية.

كيف يُفسر التوحيد بهذا الدليل؟ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، كيف يُفسر؟ أتى حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه الطبراني في المعجم الكبير، هذا الحديث يفهمك كيف يفسَّر التوحيد هنا، في الحديث الصّحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي، فقال: – عدي بعد أن سمع الآية – "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ" ، الآية تقول ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فهو فهم أربابًا يعنى عبادتهم بالتقرب والتوسل، قال : "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ"، النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن له ما معنى العبادة، معنى اتخاذهم أربابا، ما المقصود بالعبادة؛

قَالَ : أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ ، قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ " .

إذن بماذا يُفسَّر التوحيد؟ يُفسَّر التوحيد بمطلق الطاعة لله عز وجل، فإذا كنت موحدًا لا بد أن يكون مطلق الطاعة عندك لله عز وجل.

اعلم أن التشريع حق من حقوق الله، إذا نازعه فيه أحد فقد أشرك، يقول الله عز وجل : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[١١٩] يعني حكم عليهم أنهم شركاء ، لماذا هم شركاء؟ لأنهم شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، إذن إذا أتى أحد فشرع شرع إذن نازع الله عز وجل في حقه بالإنفراد بالتشريع.

---

[١١٦] الأنعام:٧٨

[١١٧] تقرير معنى الآية (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي)

[١١٨] التوبة: ٣١.

[١١٩] الشورى:٢١

يعني حق الله أن يكون وحده هو المشرع، لأنه هو وحده المالك، الخالق، الذي يعلم عباده، وهو وحده الحكيم الذي يعلم ما يصلح للعباد، فإذا كانت هذه هي الحال، معنى ذلك لو أتى أحد ونازع الله عز وجل في هذا فقد أشرك؛

الله عز وجل يقول : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا﴾، "شرعوا" يعني أن الشراكة أتت من جهة التشريع، ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾.

طبعًا موضوع الطاعة موضوع يطول نقاشه، يأتي باب منفرد في كتاب التوحيد يشرح فيه الطاعة ومتى تصبح شركًا إلى آخره، لكن المهم أن تفهم أن هذا حق من حقوق الله، لا بد أن تعتقد أنه حقه وحده.

إذن بماذا يفسَّر التوحيد؟ **إفراد الله بالطاعة في تحليل ما أحله وتحريم ما حرمه.**

الدليل الرابع

❖ وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ﴾[١٢٠] الآية.

نأتي الآن إلى آية سورة البقرة، هذه الآية نحتاج فيها إلى السياق من آية ١٦٤ إلى آية ١٦٧ في سورة البقرة.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوِيَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْأَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما علاقتها بما بعدها؟ أي بعد ذكر المنن أتى الكلام حول اتخاذ الأنداد بالمحبة، ما العلاقة ؟ صاحب المنة هو المستحق لصرف المحبة، يعني هو الذي أوجدك، وأعدك، وأمدك، وأسعدك؛ فمنه الإيجاد، والإعداد، والإمداد، والإسعاد، إذن المحبة لمن؟ المحبة المطلقة لمن كان هذا وصفه!.

ألَّا ترى أنك إذا عطست، تقول : الحمد لله، ماذا يعني الحمد لله؟ **الثناء على المحمود محبة وتعظيما**؛ يعني انت تثني عليه وأنت محب له، معظم له.

لماذا؟ ما مناسبتها مع "العطس"؟ فالعطسة هذه عبارة عن ماذا ؟ نعمة من الله، أخرج منك الأذى، دفع الضرّ عنك، وانت عندما تفهمها بصورة علمية تتصور بُعدها، لأن فيه من يتكلم عن الصرع – نسأل الله أن يعيذنا منه – من أسبابه اجتماع الأبخرة في الدماغ، فالعطاس صورة من صور صرف مثل هذا البلاء، فتصور انت عندما تقول "الحمد لله"، **ماذا يكون قائمًا في قلبك؟ الثناء مع المحبة، إحساس النعمة يورث ماذا؟ يورث الحمد، التعلق، التعظيم.**

إذن المحبة سببها استشعار المنة.

[١٢٠] البقرة: ١٦٥.

فإذا شعرت بعظيم فضل الله عليك، ثم وقع منك الحمد، هذا إشارة إلى المحبة، إشارة إلى أن المحبة موجودة في قلبك، فتصور هذه العبادة العظيمة، وانظري كيف التوحيد يكون فضله، تصور عملية العطس، ثم الحمد، ثم الرد، ثم الرد، أنت تقول الحمد لله، يعني أنا أحمده سبحانه وتعالى على ما أولاني من نعم، أول شيء قل لي كم ثانية تأخذ هذه العملية، أن تقول الحمد لله، ومن أمامك يقول لك يرحمكم الله، ثم تسأل الله له الهداية، يعني دقيقة يمكن ما تكمل!، في هذه الدقيقة أنواع من العبادات القلبية العالية التي يكسبها العبد إذا استحضر المسألة، وهذا الذي يفقدنا المحبة، أن نعيش الحياة مغيبين عقولنا، كأننا أدوات ألكترونية.

- انت تصور انت تقول "الحمد لله" يعني أنا أشعر بمنة الله علي فأحمده.
- فيقول لك الذي أمامك"يرحمكم الله" يعني كما منَّ عليك بهذه المنة في الدنيا يمنَّ عليك بالرحمة في الدنيا والآخرة، وأعظم رحمة مطلوبة الجنة؛ فهو يدعو لك بالرحمة، فهذا الذي أمامك أُمر أن يدعو لك بالرحمة، مكافأة على ما خرج منك من ثناء على الله.
- فانت ترد له هذا الدعاء، فتدعو له بالهداية التي هي الاستقامة التي تُرزق من عند الله، فإذا اهتدى كان من الحامدين – يعني يقول الحمد لله – وكان من المرحومين، فيصلح عليه "يرحمكم الله"

لذلك لو ما قال هو "الحمد لله" ، لا تقل له يرحمك الله!، أبدا!، لأنه ليس مستحق أن تدعو له بالرحمة، أنت أُمرت أن تدعو له بالرحمة إذا هو أثنى على الله، فإذا فهمت هذا المعنى تصور في أقل من دقيقة، لو استحضرت قلبك يأتيك من الأجور في العبادات القلبية ما لا تحتسبه، في مقابل أعمال كثيرة قلبك غير موجود فيها لا يكون لك هذا الأجر[١٢١].

المهم أن الحمد والثناء أتى بعد ماذا؟ بعد استشعار النعمة.

فالحامد محب لمن يحمده، شاعر بالنعمة، ما الذي غائب عنا الآن حتى تقع المحبة لله كما ينبغي؟ موت القلب بالإحساس بالنعم، موت بمعنى كلمة موت، يعني تجد نفسك ميت عن الإحساس بالنعمة، هذا أرحم حال في حالنا، إذا ما كانت هذه النعمة تحولت في منظورنا إلى نقمة، الكلام يطول في الكلام حول الشكر وعن حاجتنا لإستنهاض النفس لمشكلة الشكر، الشيخ أسامة خياط ليس في الأسبوع الماضي، بل الذي قبله في خطبة الجمعة أحسن في الكلام عن الشكر وحاجتنا إليه، وكيف يجب أن يكون في قلوبنا هذا الأمر، **لكن اعلم – وهذا الذي يهمنا الآن – أن ضعف محبتك لله أعظم أسبابها أنك لست له شاكرا، ولا لنعمائه ذاكرا**، هذا الذي أضعف الحب في قلبك، وإلَّا انت تحب ناس تجد مننهم عليك عظيمة، لكن والذي امتن بهؤلاء عليك أصلًا هو الله عز وجل!.

ولذلك تبدل عليك النعم، لماذا تبدل عليك النعم؟ لتبقى شاعرًا أن النعمة ليست بنفسها، هي تتبدل!، انت بنفسك النعمة يتغير حالها في قلبك، ففترة تكون نعمة، وفترة تبدأ تظهر منها النقم، **لذلك لا تعلّق نفسك بالمواهب، علق نفسك بالواهب.**

لا تعلّق نفسك بالمواهب أبدًا، فهذه المواهب تتبدل ويصبح الذي تحبه تبغضه، لو أردت أن أتكلم ؛ أتكلم عن أولادنا، في لحظة، هم غاية آمالنا – أسأل الله أن يصلحهم أجمعين – وفي لحظة بالوضوح هم عدوٌ لنا، فانت تجد أن هذه الموهبة التي وهبك الله إياها، بنفسها تتحول إلى نقمة، لما ما تكون لها شاكرًا، ولربك ذاكرًا، وتطلب من الله أن ينفعك بها، وتطلب من الله أن يصلحها، وتطلب من الله أن لا تتعلّق بها، فتصور لما تأتيك النعمة، تصور كيف يجب أن تدور حول الواهب أن ينفعك بما وهبك، أن يجعلك

[١٢١] تفصيل الحمد والدعاء بعد العطس.

من الشاكرين، أن يجعلها سبب لزيادة إيمانك وليس لنقص إيمانك؛ كل هذه المشاعر تجاه النعم تورثك بقاء التعلق بالله، فالنعم طريقك للمحبة، من أجل ذلك ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[١٢٢].

والذي يحملنا على ذلك ما تجده في السياق، أن الله بعد أن ذكر أنواع النعم ذكر قوم كان المفروض أنهم بعد ما تبينت لهم كل هذه النعم أن يكونوا من المحبين لربهم الشاكرين له، لكن ماذا فعلوا؟ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا– ماذا يفعل بهم؟ – يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾، فالذي حملهم على أن يجعلوا لله ندا هومحبتهم لغير الله، هو محبتهم لهم.

محبتهم لهم لماذا؟ كأنك تأتي تناقش انت تحبه لماذا؟ لماذا تصل في التعلّق إلى هذا الحد؟ مَن يكون؟ ماذا فعل لك؟ إذا أعطاك فما أجرى العطايا على يديه إلَّا الله، سواء كان هذا العطاء مادي أو حتى عطاء مشاعر وأحاسيس، أي سواء كان معنوي أو مادي ، فالعطاء لا يأتي إلَّا من عند الله؛

- فإذا وجدت فيه عبدا صالحًا ما أصلحه إلَّا الله.
- وإذا وجدت فيه سند لك في المواقف ما سددّه إلَّا الله أن يكون سندًا لك.
- وعُدّ، عدّ أسباب محبتك له، عدّ أسباب تعلّقك به، ستجدها في النهاية موهبة من الله؛ فتبقى معلقا بالله تسأله أن ينفعك بما وهبك.

نحن لا نقول لك اقطع العلاقة! – يجب أن تفهموا جيدًا– ماذا نفعل نرمي أولادنا في الخارج؟ •لا• ليس هذا المقصود، هؤلاء فلذة أكبادنا، نجد أنفسنا نتحرك بحركتهم، يعني أنهم يلونون لنا العالم، نتأثر بتأثرهم بصورة واضحة في حياتنا.

الآن كل هذا التعلّق بهم هل ممنوع عليك أن تبقى متعلقًا ؟ أم ممنوع عليك أن تبقى محبًا؟ ما هو الممنوع؟ التعلّق، **يعني ضعهم محبوبين، أعطاك الله إياهم**، لأن انت بحاجة إلى أبنائك من جهة حتى مشاعرك وأحاسيسك، ليس من جهة حتى الخدمة، أنا أكلم الأمهات الآن، أول الأمر نحن بحاجة إلى هذا لأن فيه في نفوسنا حاجة إلى الأبناء، حاجة في المشاعر؛

هذه المشاعر أصلًا لما الله منَّ علينا بالأبناء، كان من أجل أن نبقى متعلقين به شاكرين له أن منَّ علينا، لا من أجل أن ننشغل بهم عنه سبحانه وتعالى؛

- انت مجرد أن تنشغل تنقلب هذه المودّة إلى بغض.
- وتنقلب هذه السعادة إلى شقاء.
- وتنصرف هذه القلوب بعد أن كانت مقبلة.

هذا لمن يحبهم الله، فالذي يحبه الله هو الذي يؤلمه من متعلقه، حتى يبقى بين يدي الله، ذاكرًا، شاكرًا، طالبًا، لكن هناك عباد يتركهم الله عز وجل، يغرقون في متعلقاتهم ولا يفيقون إلَّا وقت الهلاك، وقت ما ينتهي الأمر.

لابد أن تتصور أن ما تملكه من مشاعر محبة، وتعلّق يجب أن يصرف أصلها لله، ثم تكون كل المحاب تابعة لها، إذا ما كانت تابعة لها، هذه المحاب تتحول عليك شقاء، تتحول كل المحبوبات إلى شقاء.

---

[١٢٢] الإنسان:٣

والحقيقة هذا من أصعب المفاهيم التي تدرس في كتاب التوحيد، لأنها تلامس قلوبنا، وخصوصًا النساء وصفهم أنهن عاطفيات، وطوال الوقت أعذارنا أمام أنفسنا أن نقول أننا عاطفيون، نقول لا بأس، نفس العاطفية ابتلاء، نفس هذه المشاعر والأحاسيس ابتلاء، يختبرك الله، انتم عندما تسمعون كلمة ابتلاء لا تعتقدوا أنها مصيبة، **مثلما أقول أولادنا ابتلاء، ما معنى هذا؟ اختبار، يختبرك الله،** تمسك هذه العاطفة التي تملكها، وتنفع نفسك بها، وتنفع من حولك!، فانت لما تحب أبناءك ستحسن إليهم، ستحسن إليهم كما يحب الله.

متى ستحبهم كما يحب الله ؟ وتحسن إليهم كما ينبغي ويحب الله أن تحسن إليهم؟

- لما تبقى لله متعلقًا.
- له شاكرًا على هذه النعماء.
- تراقب الله فيهم.
- تخشى أن يكونوا قاطعين سبيلك إلى الله.

تحبهم لا بأس، لابد أن تحبهم هذه المحبة الطبيعية، لكن المهم أن لا تتجاوز بهم الحد.

ما دليلي؟ هنا كلام مختصر، وفي باب المحبة كلام مطّول، وأهم دليل الذي نعتمد عليه آية سورة التوبة التي تكرر دائما، ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾[١٢٣] الذين تعدوهم الآن، آباؤكم، أبناؤكم، أزواجكم، كلهم الذين تعدونهم، أليسوا كلهم أشياء طبيعية ؟ ومحاب طبيعية؟ ولا تلام على حبهم لأن الله جعلها في نفسك أمرًا محبوبا، **لكنك تلام على تجاوز الحد بهم، هذا الذي تلام عليه، لا تتجاوز بهم الحد،** إنما اجعل حبهم سببا لقوة شكرك لله، وإذا كانوا سببا لقوة شكرك لله، سيكونون سببا لزيادة محبتك لله، لأن زيادة المحبة مبنية على الشعور بالمنة.

يعني انت تشعر أن الله منّ عليك، لما تشعر أن الله منّ عليك ستحب الله، تحبه وتشكره، فاجعل هؤلاء العطايا سبب لزيادة الشكر الذي يدلَّ على زيادة المحبة.

نضرب مثال يناسب كل الموجودين، الصحبة مع أهل التوحيد أمر عزيز، تجد الناس يجتمعون على أمر الدنيا، ونادار أنك تجد أحدا تجتمع معه لأمر الدين، نادرًا.

لذلك يقال لك في سورة الكهف ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[١٢٤]، هم وصفهم أنهم يريدون وجه الله. وفي المقابل ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[١٢٥]، أنت قد تقول أو في الوضع العام واحد يقول أنا أصلًا لا أجد أحد أصبر نفسي معه، كلما بحثت عن أحد يذكر ربه بالغداة والعشي ما وجدت، وجدت إناسًا ملتهين بالدنيا؛ فلما يجد أحدا يذكر ربه بالغداة والعشي، ماذا يفعل؟! يعني شخص لم يكن يجد، ثم وجد؟! الآن يأتي الاختبار!

---

[١٢٣] التوبة:٢٤

[١٢٤] الكهف:٢٨

يعني لما أتى هذا الذي وجدته ذاكرًا لربه بالغداة والعشي، وطوال الوقت الذي بينك وبينه هو ما يصلحك ويصلحه في الدنيا والآخرة، يبدأ الإشكال من جهتين؛

لنبدأ من الجهة التي تهمنا هنا: يبدأ قلبك بدل من أن يكون متعلّقًا بالله، سائلًا أن الله ينفعك به، شاكرًا له أن وهبك هذه الموهبة، قلبك يلتفت لنفس الموهبة، هذه الموهبة نافعة، لكن المفروض أن تكون الموهبة سُلمًا لك لزيادة المحبة، **فتقول انت وحدك المحمود يا رب، أن مننت علي بصحبة أكون معها على الطريق ثابتًا، تكون سبب لثباتي، انت الذي مننت علي بقوم ذاكرين ربهم بالغداة والعشي، أصبر نفسي معهم، فيسرت لي الطريق أن أتجاوز الدنيا، أركب سفينتهم، فنتجاوز معًا هذا البحر اللجّي الذي نعيشه،** فبدل من أن تكون هذه مشاعرك تلتفت لنفس الموهبة، وتبقى حولها دائر، لها شاكر، مثني عليها، متعلق بها، ترجوها، تتمنى وصلها الدائم، فتكون بدل من أن تركب معها لتنجو من البحر اللجّي تغرق انت وهي!، وهذا أمر مكرر، كلنا دون استثناء نقع فيه!.

لا بد أن تلتفت أن النعم تورثك المحبة لله، والشكر له، لا تلتفت تشكر هذا، بل التفت اشكر الرب، فهذه الصحبة والأخوة، بالذات أهل التوحيد مفقودة، فأنتم فقط لو نظرتم يمنة أويسرى – أنا أجد في قلبي جمرة نار حول عدم الشكر على هذه النعمة – كونكم تجدون من تصاحبون ولا تجدون في قلوبكم إحساس بالنعمة، لأنكم لا تنظرون إلى من حولكم كيف مفتقدين أن يجدوا شخصًا واحد في حياتهم ذاكر لربه بالغداة والعشي، غير شاعرين بالنعمة، لابد أن تشكروا الله عز وجل على ذلك!.

فإذا أعطاك الله ووهبك لا بد أن تفهم أنها أتت الفتنة، فإذا أتت الفتنة تبينها، الفتنة تأتيك من جهتين:

- الجهة التي تتصل بالمحبة أنك بدلا من أن تزيدك هذه الموهبة محبة لله تلتفت إلى الموهبة فتتعلق بها، إذن أصلح وضعك، عد مرة أخرى وامسك هذه الموهبة واشكر الله عليها، واسأل الله عز وجل أن ينفعك بها، ويبارك لك فيها، وأن تكونوا معًا ذاكرين، معًا شاكرين، أن تخرج بهذه الموهبة إلى الله سالما.
- يأتي البلاء من جهة أخرى، فيه بلاء من نوع آخر، يكون الناس الذاكرين لله بالغداة والعشي دائما سبب لإيذائك، انت مبتلى، منذ أن تدخل من الباب إلى أن تخرج وانت تتآذى، من هؤلاء القوم الذين يؤذوك؟ الذين يذكرون الله بالغداة والعشي، اختبارًا لك!، هل تصبر؟ يعني أول الآية ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾[١٢٥]؛

يعني أن المسألة بحاجة إلى صبر، في الحالتين بحاجة إلى صبر، إن آذوك تمسك بهم لأنهم أهل التوحيد، قل لا بأس، والله إنكم ابتلاء، ما سُلطتم علي إلى من أجل يختبرني الله!، وأعلم يقينًا أن غيركم من أهل البدع لوذهبت لهم يرفعوني من الأرض رفعا، هذا الحاصل، ولكنكم غير شاعرين بأنفسكم.

وهذا لا يعني أبدًا أن تتركوا لأنفسكم – جماعة الطرف الثاني – أن تتركوا لأنفسكم، وتطلقوها في إيذاء الناس، أنا لا أقصد ذلك!، حتى لا يأتي في عقل أحد أن هذا تبريرًا لهذا!.

⇦ لكن أنا أقصد أن الإنسان يؤذى ومن أجل ذلك لا بد أن يصبر نفسه.

---

[١٢٥] الكهف:٢٨

⇦ أو الصورة الثانية وهي الأغلب، أن تجد من يذكر ربه بالغداة والعشي ثم ماذا يحصل؟ بدل من أن ينتفع له من أن يكون معينًا له، يلتفت إليه وينشغل به.

وفي كلا الحالتين هذه فتنة وابتلاء.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الأذية البسيطة، انت تكون انت مثلًا شخصا حساس، مثلًا في الدروس شخص يأتي يقول لك قم، هذا مكان، مواقف مثل هذه متكررة، سبحان الله الناس الذين يبتلون أول ما تراهم تقول أنا أنتظر الآن البلاء، لأن كل مرة يحصل لهم هذا النوع من الإبتلاءات، ربي يختبر صبرهم على البقاء، وهناك في القاعة ناس كثيرون من هذا النوع، هناك كثيرون من ابتلوا في الطلب والعلم، وابتلي في الثبات على الطلب في العلم.

نعود إلى موضوعنا

لا زلنا نتكلم عن أن المحبة تتولد من الشعور بالمنة، في الآية:

" هؤلاء اتخذوهم أنداد وهم لا يساوونهم بالله في الخلق والرزق والتدبير، وإنما يساوونهم بالله في التعلّق، والمحبة، وانشغال الفكر، ورجاء الرضا، إلى درجة أن ما يملكون من قدرات وحواس وتفكير صرف في طلب رضاهم، فتجده لرضا المحبوب مراقبا ولا يراقب رضا الله."[١٢٦]

عرفتم أين المشكلة؟ يبقى طالبًا لرضا المحبوب، مراقبا له متجاهلًا رضا الله عز وجل.

إذن الآن، كيف يفسَّر التوحيد؟ **يفسَّر التوحيد بصرف المحبة المطلقة لله، وعدم التجاوز بالمحاب الطبيعية إلى حد أن تشارك محبة الله.**

على كل حال التفصيل أكثر في الباب الخاص، تظهر المسألة أكثر، نحن هنا نفسر التوحيد؛ **فسرناه الآن في أربع آيات:**

- الأولى الإسراء، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾.
- ثم إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾، التحليل والتحريم.
- وهذه الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾.
- ثم وصلنا للحديث؛
- الدليل الخامس

❖ وفي الصّحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾[١٢٧].

الآن هذا الحديث علّق فيه الرسول صلى الله عليه وسلم حرمة المال والدم على أمرين:

- الأول: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.
- الثاني : وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وهذا هو التوحيد: تؤمن بالله وتكفر بالطاغوت.

[١٢٦] تقرير معنى الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ)

[١٢٧] صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢٣).

لا بد أن تؤمن بالله وتكفر بالطاغوت؛ يعني هل يكفيك أن تؤمن بالله؟ نعدّ ونرى هل يكفينا أم لا.

- هل يكفينا التلفظ بكلمة لا إله إلَّا الله؟ التلفظ لا يكفينا.
- هل يكفينا معرفة معناها مع لفظها؟ لا يكفينا، حتى مع معرفة معناها لا يكفينا!.
- هل يكفينا الإقرار بالمعنى؟ أنه لا إله إلَّا الله، أنه لا أحد يستحق العبادة إلَّا الله؟ أيضًا لا يكفينا!.
- هل يكفيك أن لا تدعو إلَّا الله، ولا تشرك به شيئا؟ انت بنفسك لا تدعو إلَّا الله ولا تشرك به شيئا؟ لا لا يكفيك!.

لا بد أن يُضاف إلى هذا كله ⇦ [الكفر بما يعبد من دون الله].

لابد أن تعتقد أن كل ما يعبد من دون الله باطل، يجب أن تأتي بالتوحيد، تأتي بالطرفين:

- تؤمن بالله
- تكفر بالطاغوت لا بد.

لا يكفيك الإيمان بالله!، لا بد من الإيمان بالله والكفر بالطاغوت.

واعلم أن النصوص أتت على صورتين:

- صورة فيها التفصيل، فأمرت بالإيمان بالله وأمرت بالكفر بالطاغوت.
- وصورة فيها الإجمال، ذكر فيها الأمر بالإيمان بالله، ولم يذكر فيها تصريحا الكفر بالطاغوت.

يعني أمرك أن تؤمن بالله، ولم يذكر في نفس الآية الكفر بالطاغوت، **إذا لم تذكر بنفس الآية معناه أن كلمة الأمر بالإيمان بالله تتضمن الكفر بالطاغوت**، لأن هناك مواطن أخرى صرح لك أنه لا بد أن تؤمن بالله وتكفر بالطاغوت.

من قال لا إله إلَّا الله، يجب أن يكون معها ماذا ؟ وكفر بما يعبد من دون الله، حرم دمه وماله وحسابه على الله.

فمتى حرم الدم والمال؟ لما تقول لا إله إلَّا الله، وتكفر بما يعبد من دون الله، **فتعتقد أنه وحده المستحق وأن أي أحد غيره لا يستحق وهذا هو التوحيد**.

إذن بماذا فسَّر التوحيد في الدليل الآخير؟ " أنه لا يكفي عبادة الله وحده، بل يجب الكفر بكل ما يعبد من دون الله."[١٢٨]

هناك جملة أخير في هذا الباب يقول:

وشرح هذا الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

انظروا للمتن، هناك طبعات لا يوجد فيها هذه الجملة، ضعوها.

الترجمة يعني يقصد اسم الباب، شرح هذه الترجمة أي شرح هذا الباب "تفسير التوحيد" ستجده في كل ما بعده من الأبواب، يعني سيفسر التوحيد في كل ما بعده من الأبواب.

كيف سيفسره؟ بالضدّ، بمعنى أنه سيذكر ما يضاد التوحيد من أجل أن يسلم التوحيد.

جزاكم الله خيرًا.

[١٢٨] تقرير الحديث.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

نسأل الله عز وجل أن يجعله مجلسًا مباركا، وأن يجعلنا ممن تستغفر لهم الملائكة، واجتمعوا من أجل الله، ولم يكن في قلوبهم سبب لخروجهم إلَّا رضا الله؛ نسأله سبحانه وتعالى أن يزيدنا صدقًا وإيمانًا وتوحيدا.

سنجيب على الاسئلة أولًا ثم متابعة الكلام الماضي:

سؤال من الحاضرات: أعلم أن معنى لا إله إلَّا الله لا معبود بحقٍّ سواه هذا تفسيرها، فكيف أجمع بين هذه المعلومة وبين أن للتوحيد تفسيرات خمسة في باب تفسير التوحيد فهل هذا الأصل أم أنه تابع أرجو التوضيح؟

رد من الأستاذة: معنى أن لا إله إلَّا الله هو أن لا يكون في قلبك إله يستحق العبادة إلَّا الله، يعني لا معبود يستحق العبادة إلَّا الله، نريد أن نفهم ما معنى لا معبود يستحق العبادة إلَّا الله؟ ما معنى أن لا يكون في قلبك إله يستحق العبادة إلا الله؟

- مفهومها أن لا يقع في قلبك تعظيما لأحد غير الله ولو كان من الصالحين، لا تؤله أحد، لا تعظم أحد، لا تتعلق بأحد غير الله ولو كان من الصالحين، هذا أولًا.
- ثم من أجل أن تكون حقيقة في قلبك لا معبود يستحق العبادة إلَّا الله لا بد أن تبرأ من كل أحد غير الله تكفر به، تكفر بكل أحد غير الله، تعتقد أنه وحده الذي يستحق العبادة إذن كل أحد غير الله لا يستحق العبادة.

ومن أجل أن تكون حقيقة ليس في قلبك معبود يستحق العبادة إلَّا الله لابد أن تكون تمام الطاعة المطلقة لله عز وجل، ولا يكون حبك ولا ولاءك إلَّا له.

إذن يأتي الدليل الأخير يقول لك:

- لا بد أن تعتقد أنه لا معبود يستحق العبادة إلَّا الله.
- ولا بد أن تكفر بكل أحد سواه.

ما معنى أن تكفر بكل أحد سواه؟ يعني لا تتعلق بغيره محبةً، ولا تعظم غيره طاعةً، بل ابرأ من كل أحد غيره حتى لو كان صالحًا، لا يستحق منك أن تعبده؛ هو هذا تفسير التوحيد.

انت فسري لي ما معنى لا إله إلَّا الله؟

ما معنى إله؟ نفس هذه الكلمات مغلفة في أذهاننا، ودليل أنها مغلفة أن الناس يعيشون رهناء يتعلقون بالناس وهم يقولون لا إله إلَّا الله، عندما يعتقد شخص أنه لن يصل إلى مراده، ولن تحقق له غايته إلَّا إذا رحل وذهب إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، ووقف عند قبره وتمسح به عندئذ يأتيه مراده ماذا تقول عن هذا؟ وهذا يقول لا إله إلَّا الله، ويذكر الله كثيرًا أيضا! ماذا تقول له؟ هل هذا فهم معنى لا إله إلَّا الله؟ لا ما فهم!؛ ثم يأتي يحاجَّك يقول لك أنا أقول لا إله إلَّا الله وهذا النبي ليس أي أحد! ماذا تقول له؟ استشهد له بآية الإسراء ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلًا * ولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[١٢٩].

[١٢٩] الإسراء:٥٦،٥٧

نحن لا ننكر أبدًا أن هؤلاء عندهم مكانة عالية، لكن يجب أن تأتي بالجهتين في النظر للصالحين.

إذن انت الآن من جديد رتب أفكارك في تفسير لا إله إلَّا الله؛

ماذا تقول في تفسير لا إله إلَّا الله؟ **أنا أعتقد أنه لا أحد يستحق العبادة إلَّا الله حتى لو كان هذا الأحد من الصالحين، فمطلق طاعتي، ومطلق محبتي، لا يستحقها إلَّا الله، فأنا أبرأ من أن أتعلق أو أعظم أحد غير الله، بل أكفر به، بمن؟ بكل أحد غير الله.**

ما معنى أن تكفر بكل أحد غير الله؟ يعني ليس في قلبك تعلّق ولا في قلبك تعظيم، لا في قلبك محبة مطلقة لغير الله، ولا في قلبك طاعة مطلقة لغير الله، [والمحبة تعبر عن التعلّق، والطاعة تعبر عن التعظيم].

مرة أخرى: ما معنى تفسير التوحيد وشهادة " أن لا إله إلَّا الله" ؟ لا بأس لا تملّوا من التكرار، حتى تثبت المعلومة؛ انظري لأدلة الباب واسمعي مني؛

الباب يسمى "**باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلَّا الله**".

لا بد أن يفسر لك كل شيء، لا بد أن ينكشف لك كل شيء، لأن التفسير يعني الانكشاف والبيان، فانت تقول لا إله إلَّا الله وكل العباد المسلمين يقولونها لكن كل العباد تنفعهم نفس النفع؟ الجواب لأ، على حسب بيانها في قلوبهم؛ لنرى بيانها في قلوبهم.

متى تنفعك لا إله إلَّا الله؟ لما تعتقد أنه لا معبود يستحق العبادة إلَّا الله، لا معبود يعني لا أحد يستحق العبادة إلَّا الله حتى لو كان صالحا، بل الصالحين بأنفسهم مشغولون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيُّهم أقرب، بنفسهم هذه حالتهم!، بنفسهم ذليلين منكسرين طائعين، فانت كن لهم مقلدًا في طاعتهم وانكسارهم، ولا تجعلهم بينك وبين الله.

إذن لا أحد يستحق العبادة إطلاقًا، ولا حتى الصالحين من المعبودين، لأنه ممكن يأتي يقول لك: أنا لا أعبد أي أحد!، أنا لا أعبد الصنم!، ولا أعبد النجم!، هذا وليّ صالح، وله كرامات، وله مكانة؛ نقول: انتبه، لا تتجاوز به الحد، حده معروف شرعًا، نحن في عجالة ما في مجال للكلام عن حده لكن المهم أن تفهم أن أصحاب الكرامات رفعهم الله عنده، صحيح، لكنهم لا زالوا يساوون غيرهم في أنهم لا يستحقون العبادة، ولا يملكون نفعا ولاضرّا، أنا أبرأ من كل أحد يعبد من دون الله، فتمام محبتي لله، وتمام طاعتي لله، وأكفر بأي أحد غير الله؛

أكفر بمعنى أنني لا أعطيه تعلقي التام ولا تعظيمي التام، لا أعطيه محبتي التامة، ولا أعطيه طاعتي التامة؛ هكذا تفسر التوحيد في خمسة نصوص.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة : نعم هذا كأنه وصف للصالحين، هؤلاء الصالحون ما حالهم؟ هم بأنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة، يعني هم بأنفسهم ذليلون، منكسرون، طائعون، المفروض ماذا يكون حالك معهم؟ أن تتابعهم، تريد أن تحبهم ؟ تابعهم في ما يفعلون!، هكذا تبقى المسألة.

ثم حتى تتصور المسألة هات المسألة من أولها، وهذا دور الشراح أن يفعلوا هذا الفعل ، الماتن لما يكتب يأتي بشاهده مباشرة، والشارح يأتي بالمفهوم؛ انتهينا من هذا السؤال.

سؤال أخر: سأقول هذا السؤال حتى نفهم كيف أن الشيطان يلبّس علينا، وهذا الكلام الذي ستسمعونه مكرر دائمًا يأتي، دائمًا هذا السؤال يأتي في بداية الطلب أو في بداية الاستقامة يأتي سؤال مثل هذا.

سؤال من الحاضرات: أنا أريد أن أزيد إيماني وأتمنى ذلك ولكنني أخاف من البلاء؟

يعني يتصور أنه لما يزداد إيمانًا لا بد أن يزداد البلاء.

تكملة السؤال: لأن كما هو معلوم أن الإنسان كلما ازدادا كمإلًا في التوحيد زاد البلاء، وأنا أخاف من البلايا أن تذهب إيماني لأن إيماني ضعيف.

رد من الأستاذة: العملية هكذا مركبة خطأ!، **انت زد إيمانك سيأتيك بلاء على قدر إيمانك، لا يمكن أن يأتيك بلاء أكبر من إيمانك!؛**

هذه واحدة ألاعيب الشيطان عليك، أصلًا انت لما تزيد إيمان وقع البلية عليك ليس مثل ضعيف الإيمان، هل رأيتم كيف لما واحد يبني بيته من طوب رقيق، وواحد يبني بيته من أسمنت قوي، هل العواصف تؤثر على الإثنين على حد سواء؟ الجواب: لأ!

إذن انت الآن من رحمة الله بك أنه لن يأتيك من العواصف إلَّا التي تناسب قوة بناءك، فلا تخرج من الدنيا خسران.

والآن يجب أن افهم أن البلايا تزيد الإيمان، تأتي وتكون سبب لزيادة الإيمان لما تتعامل معها كما ينبغي، والبلية أصلًا تأتي على قدر إيمانك، وحتى وانت ضعيف الإيمان ستأتيك بلية ستأتيك بلية، ستأتيك بلية يختبر بها إيمانك، لكن لا بد أن تفهم إذا كنت ضعيف الإيمان، قد تأتيك بلية تنهار بها كما في آية سورة الحج :﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ ضعيف الإيمان؛

﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾[١٣٠] فانت قوِّ إيمانك حتى لا تكون على الحرف، والبلية آتية إليك آتية، الفتنة آتية آتية، لكن لما تأتيك فتنة وانت على الحرف ماذا سيحصل؟ ستنقلب، ولما تأتيك فتنة وانت في الداخل، مهما كانت حركتك ضعيفة، ومهما كان رد فعلك ضعيف، لكنك لست على الحرف تنهار، على الأقل انت في الداخل، ولست على الحرف، لأن الذي على الحرف هو الذي انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة!

لا يحتال عليك الشيطان! انت لوقرأت هذا السؤال مرار وتكرار تعرف كيف أن الشيطان يضحك على العبد؛

لأن في أول السؤال : أنا أريد أن أزيد إيماني وأتمنى ذلك لكني أخاف من البلاء، لأن البلاء يأتي مع زيادة الإيمان، وأنا أخاف من البلاء أن يذهب إيماني لأن إيماني ضعيف؟

لكن انت ستزيد إيمانك أصلًا، ستزيد إيمانك، لكن انظري لهذه حيلة شيطانية، وهذه الحيلة متكررة متكررة متكررة بصورة لا تتخيلها مثل الحيلة الثانية!؛

أن واحد يكون في رخاء، ولا يطيع الله، عاصي يعني، تأتيه شدة، يأتي الشيطان يقول له الآن في الشدة تريد أن تعبد الله؟ ألَّا تستحي؟ فيترك طلب الله ودعاءه في الشدة!، فتجد عصاة زماننا أشد معصية ممن قبلهم، يعني حتى لما يكون الإنسان عاصي،

[١٣٠] الحج:١١

وتأتيه البلية حتى يرجع إلى ربه يأتيه الشيطان ويقول له: لا،عيب، إلَّا تستحي تعبد ربك فقط وقت الحاجة؟ هذا كلام شيطاني، المفروض أن تعود إلى ربك وقت الحاجة، وتستقيم على العودة، تبقى مذكر نفسك حالك، حتى لوضعفت، اسمك في النهاية لك ركن شديد تلجأ إليه، في النهاية انت في قلبك تعلّق بالله على الأقل وقت المصائب؛

أليس هذا أحسن من أن لا يكون لك تعلق بالله أبدا في كربك، وفي شدتك، وفي الفرج، وفي اليسر انت على حال سواء؟!، وهكذا المنافق على حال سواء، في الشدة، وفي الكرب، وفي الرخاء، وفي اليسر على حدٍ سواء، لا متعلق ولا معظم إلَّا لنفسه وهواه؛ هذه حيلة عجيبة لكنها موجودة ومتكررة.

سؤال من الحاضرات: كيف أفرق بين الفأل والطيرة؟

رد من الأستاذة: هذا الكلام تجدوه واضحًا في كتاب التوحيد "باب التطير"، ليس هناك مجال لشرحه هنا.

سؤال من الحاضرات: سؤال عن لفظة تشاؤم.

رد من الأستاذة: مر معنا عن السبعين ألف أنهم لا يتطيرون، ثم في سياق كلام أمس كنا أتينا بلفظة التشاؤم "لا تكن شؤمًا على أحد" ربما أشكلت عليكم هاتان الكلمتان؛

انظروا ما المقصود بالشؤم؟ الشؤم من جهة كونها كلمة إذا كان لها أسباب الحقيقية لا بأس لكن إذا كانت لها أسباب وهمية هنا يكون الإشكال.

يعني كيف يكون الإنسان مشؤومًا؟ كل صاحب معصية فيه نوع شر، كل واحد قلبه مريض فيه نوع شر؛

⇦ لكن واحد قلبه مريض ومنكسر وذليل يريد من الله أن يطهر قلبه، منكسر ذليل، طوال الوقت يسأل الله عز وجل.

⇦ وواحد مريض القلب وكل مرة يغتذي بما يزيد قلبه مرضًا، هذا عندما يجلس مع أحد، وانت تسمع عن الجليس الصالح وجليس السوء[١٣١]؛ الجليس الصالح ماذا يفعل لك؟ يأتيك من بركته الشيء الكثير في الحديث، هذا الحديث المحفوظ الذي ندرسه يمكن في رابع ابتدائي، الجليس الصالح شبه بحامل المسك لا بد أن يأتيك من رائحته الطيبة، لا بد ، هذه اسمها بركة صحبة الصالحين. جليس السوء كنافخ الكير، ماذا يفعل؟ " إِمّا أَن يَحرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمّا أَن تَجِدَ مِنهُ رِيحًا خَبِيثَةً" هذا اسمه شؤم صحبة الفجار، فصار هذا معنى كلمة الشؤم هنا.

يعني الصالحون الاجتماع بهم له بركة، والفجار الاجتماع بهم له شؤم.

هذا معنى كلمة شؤم هنا، وليس التشاؤم بمعنى التشاؤم الذي في الأذهان المعروف، سبب وهمي، شخص يرى طير أو كذا • لأ • هذا إنسان مضر لك حقيقة، صحبتك له مضرة لك، ومثل هذه البلايا كثير، أن تصحب من يكون سببًا لضررك، نسأل الله أن يدفع عنكم وعنا.

نعتبر بإجابة السؤال الأول راجعنا ما مضى، نبدأ الآن في الكلام حول الباب الجديد.

---

[١٣١] أَخرَجَ الشّيخَانُ عَن أَبِي مُوسَىٰ الأَشعَرِي رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: ((إِنّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصّالِحِ وَالجَلِيسِ السُوءِ كَحَامِلِ المِسكِ وَنافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلِ المِسكِ إِمّا أَن يُحذِيكَ، وَإِمّا أَن تَبتَاعَ مِنهُ، وَإِمّا أن تَجِدَ مِنهُ رِيحًا طَيّبَةً، وَنافِخِ الكِيرِ إِمّا أَن يَحرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمّا أَن تَجِدَ مِنهُ رِيحًا خَبِيثَةً)).

أولًا آخر جملة في الباب السابق

وشرح هذا الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

ماذا سنقول في هذه؟

" ستبيِّن الأبواب القادمة أمور:

منها ما يضاد التوحيد من أنواع الشرك الأكبر.

ومنها ما ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر.

وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع ونحوهما مما تركه ينقص من تحقيق مدلول لا إله إلَّا الله."[١٣٢]

يعني سيناقش ثلاثة أمور :

- ما يضاد التوحيد.
- وما ينافي كماله الواجب.
- وما يوصل إلى ذلك.

ما هو "إلى ذلك" ؟ اسم الإشارة يشير إلى ماذا؟ سواء كان الشرك الأصغر أو الأكبر "ما يوصل إلى ذلك"

وما الذي يوصل إلى ذلك؟ الغلو والبدع ونحوهما.

هذا شرح لجملة:

وشرح هذا الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

" أي سيتابع الشيخ طريقة تفسير الشيء بضدّه."[١٣٣]

ما اسم الباب الذي سنناقشه؟

" باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه "

قبل أن نتكلم عن تفاصيل هذا الباب نبدأ بفهم عام للعنوان؛

ما معنى هذا العنوان؟

- "باب من الشرك" ما معنى من الشرك؟ من أنواع الشرك ثم سيتبيَّن لنا إذا كان هذا الشرك شرك أكبر، أو شرك أصغر.
- من أنواعه " لبس الحلقة والخيط ونحوهما".
- لبس هذه الأشياء من الشرك إطلاقًا؟ لأ، لكن عندما يكون نية اللابس "لرفع البلاء أو دفعه"؛

رفع البلاء أودفعه أليس أمرًا مرغوبًا؟ بلى، لأنه عندما قال الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[١٣٤] يعني في مشقة، كأنه من الطبيعي أنه في الحياة سيواجه مشاق، ولا يلام على رفعها لما تقع، ولا على دفعها قبل أن تقع، لا يلام على ذلك، ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ما دام خلق في كبد، يعني حوله مشاق!؛

---

[١٣٢] تقرير الجملة الأخيرة بالباب السابق.

[١٣٣] بقية ما سبق تقريره.

[١٣٤] البلد:٤

هل يُلام أحد وهو يعيش في مشاق أن يدفع عنه أو يرفع هذه المشاق؟ الجواب لأ.

هذا أول تقرير: أن نفس دفع البلاء أو رفعه ليس أمرًا ممنوعًا.

انظري لاسم الباب مرة أخرى وقولي لي ما الممنوع إذن؟ نفس الرفع أو الدفع غير ممنوع، انتم الآن فرقوا بين أمرين: هل لبس أي حلقة من ذهب، أومن نحاس ممنوع؟ لأ؛ **إذن لبس نفس الحلقة والخيط بنفسه ليس ممنوع، ورفع البلاء ودفعه بنفسه ليس ممنوع.**

أصبح ما الممنوع إذن؟ الآن نفس اللبس مجردًا من الاعتقادات ليس ممنوعًا، ونفس رفع البلاء ودفعه ليس ممنوعًا، إذن ما هو الممنوع؟!؛

- نبدأ نقطة البداية: انت من أجل أن ترفع البلاء أو تدفعه شرعت لك أسباب.
- أسباب ما نوعها؟ لها نوعان: ▪ أمَّا أسباب كونية ▪ أو أسباب شرعية.

– سنفهم ما معنى سبب كونية وما معنى سبب شرعي.–

لكن لما قال لك أن هذا من الشرك معناه لبس الحلقة والخيط:

▪ هل هو سبب كوني ▪ هل هو سبب شرعي؟

الجواب : لأ.

- مادام هو من الشرك إذن كأنك أخذت طريقا خاطئ!.

انت الآن مشرع لك أن ترفع البلاء أو تدفعه، لكن لا بد أن تأخذ طريق صحيح لرفع البلاء أودفعه، ما هو الصحيح؟ فقط عندنا طريقان لا ثالث لهما:

- أمَّا يكون سبب شرعي.
- وأمَّا يكون سبب كوني.

كونك تأخذ أي طريق لرفع البلاء أودفعه لم يثبت في الكون، ولم تأت به الشريعة ؛ معناه أنك أخطأت الطريق، أخطأت الطريق أين ذهبت؟ إلى الشرك، لماذا؟ **لأن مسبب الأسباب هو الله، هو وحده الذي يجعل هذا السبب يعطي هذه النتيجة**، فكونك تتعدى على الله، وتقول هذا السبب يعطي هذه النتيجة من عندك، ماذا فعلت؟ تعديت على حق الله!، جعلت نفسك مع الله شريك!.

هذه النقطة تحتاج إلى فهم لأنه يعتمد عليها ربما الحياة كلها في معاملتنا لرفع البلاء أودفعه، ومن أجل أن تبقى على حذر، المسألة ليست يسيرة.

انظر الآن الله عز وجل هو خالق كل شيء – وهذا الأمر لا خلاف فيه–، وهو معطي كل شيء صفاته، فأعطى مثلًا الماء خاصية البرودة، وأعطى النار خاصية الحرارة، إلى آخره؛ **إذن هو خالق كل شيء سبحانه وتعالى، ومعطي كل شيء خاصيته، ثم أعطى العباد القدرة على الإكتشاف والإنتفاع مما خلق لهم.**

الآن انت ماذا تفعل في الحياة؟ **تنتفع بما خلقه الله لك، وبما سخره لك**، والتسخير هذا لا بد أن يجري على يد ناس، الذين يخترعون الآلات الحديثة أو الذين يكتشفون الأدوية، كل هؤلاء عباد سخرهم الله، **وهذا كله من إيمانك باسمه "الأول"**، فهو الأول سبحانه وتعالى الذي ليس قبله شيء، فما دام هو الأول الذي ليس قبله شيء فهو الذي يعلم العباد أن ينتفعوا بكل شيء حولهم، لما تأتي تتكلمين عن أصحاب المخترعات، مَن الذي ألقى في روعهم أن هذا يعطي هذه النتيجة؟ من ألقى في قلوبهم وعقولهم؟ الأول الذي ليس قبله شيء فتأدبًا نقول : أول من اخترع كذا من البشر، لكن الأول الذي ليس قبله شيء هو الله عز وجل.

إذن هذا فهمك عن الحياة : أن الله عز وجل خلق كل شيء وأعطى كل شيء خصائصه، ثم سخر للعباد القدرة على اكتشاف هذه الخصائص، أعطاهم في عقولهم قدرات مختلفة، ملاحظات مختلفة، وأدوات مختلفة.

يعني نيوتن مثلًا جلس تحت الشجرة، وقعت التفاحة، اكتشف الجاذبية، من أين أتت كل هذه المنظومة؟ إلَّا أن الله ألقى في روعه هذا الأمر، هذه الملاحظة، وإلَّا مائة ألف واحد يجلس تحت الشجرة وتقع عليه التفاحة ولا يفكر هذا التفكير! ⇦ إلَّا أن الله ألقى في روعه، وهذا التفكير هو الذي يجب أن يكون نظرة أهل الإيمان، المؤمنين بكمال صفات الله، لا ننكر كل المخترعات هذه العباد جرت على أيديهم لكن تسخيرًا من الله، يعني ضع كل واحد في مكانه الصحيح.

هذا التفكير يفهمك لماذا عندما تأخذ سبب لم يسببه الله في الكون تكون معه شريك – أشركت نفسك– لماذا؟

⇦ لأنه هو الذي خلق كل شيء.

⇦ وهو الذي أعطى كل شيء خصائصه وصفاته.

⇦ وهو سبحانه وتعالى الذي سخر للعباد اكتشاف هذا والانتفاع بهذا.

فكونك تأتي تجعل ما ليس بسبب سبب معناه أنك شاركت.

قبل أن ندخل في هذا الموضوع يجب أن نناقش موضوع الأسباب

"فصل في الأسباب"

أولًا: ما معنى السبب؟ هو كل شيء يتوصل به إلى غيره.

وفي سورة الكهف قال الله عز وجل: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[١٣٥] إذن الأسباب عبارة عن مواهب يهبها الله كما حصل مع ذي القرنين، آتاه الله الأسباب، فهو ماذا فعل تجاه الأسباب؟ ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[١٣٦] يعني انتفع بها؛

في الحديث – حتى نفهم اعتقادنا الآن– "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز"

انت في الحياة داخل هذه المنظومة الثلاثية: ثلاثة كلمات في الحديث:

- احرص على ما ينفعك.
- واستعن بالله.
- ولا تعجز.

- إذن أولًا: أمر بالحرص على الأسباب، احرص على ما ينفعك من الأسباب.
- ثانيًا: ثم ماذا يكون في قلبك؟ الاستعانة بالمسبب سبحانه وتعالى.
- ثالثًا: النهي عن العجز؛

والعجز نوعان:

- تقصير في الاستعانة بالله.
- وتقصير في معاملة الأسباب.

أنواع الأسباب

الأسباب التي جعلها الله تعالى في هذه الدنيا نوعان :

- أسباب شرعية
- أسباب كونية

سنعمل جدولًا نقارن بين السبب الكوني والسبب الشرعي.

نبدأ أولًا بالسبب الكوني ثم السبب الشرعي.

سنبدأ بالتعريف

- تعريف السبب الكوني : كل سبب طبيعي أوجده الله في الكون يوصل إلى المقصود بخلقته التي خلقها الله، ويؤدي إلى المطلوب بما جعله الله له من خصائص.
- السبب الشرعي: كل سبب يوصل إلى المقصود عن طريق ما شرعه الله تعالى، وبينه في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

نأتي الآن إلى الأمثلة.

- السبب الكوني : مثال السيارة: سبب للتنقل من مكان إلى مكان.
- السبب الشرعي : ماء زمزم للشفاء.

---

[١٣٥] الكهف:٨٤

[١٣٦] الكهف:٨٥

النقطة الثالثة التي سنناقشها: ضابطه.

- سيكون ضابط السبب الكوني، وضابط السبب الشرعي-

كيف أعرف أن هذا سبب كوني صحيح وكيف أعرف أن هذا سبب شرعي؟

- السبب الكوني.

هناك شرطان لجواز استعمال الأسباب الكونية:

- الأول: أن يكون مباحًا في الشرع.
- الثاني: أن يكون أثره ظاهرًا مباشرا:
  - يظهر التجربة؛

يعني يكون أثره ملموس، نفس الأداة ملموسة والأثر أيضًا ملموس، يأتي بالتجربة، سواء بالتجربة المحكمة، يعبروا عنها بالتجربة المحكمة يعني العلمية المحكمة يعني هذه التي في المناهج العلمية التي عن طريق المعامل، وعن طريق اختبارات الأدوية وبراءات الاختراع إلى أخره هذه تسمى "التجارب العلمية المحكّمة"؛

- أو عن طريق الإدراك بالحواس المجردة الخالية من التأثيرات النفسية.

بحيث أنها تعطي نفس النتائج تحت نفس الظروف يعني لا يتأثر بنفسيتك، تعطي نفس النتائج تحت نفس الظروف أيان كان الشخص لكن هذه ظروفه كل من كانت هذه أوضاعه هذه نتيجته النتيجة واحدة.

فأمَّا بالتجارب المعملية، أو بهذه الطريقة، وكلاهما حدها واضح.

يعني الآن المنتشر في المجتمع وفي البيئات من الأدوية الشعبية، هذه الأدوية أتت بالتجربة، تحت نفس الظروف تأتي نفس النتائج في الغالب، يعني ممكن يشذ واحد أو اثنين، لكن العموم أنها تحت نفس الظروف تأتي نفس النتائج.

إذن هذا ضابط السبب الكوني، السبب الكوني ليس له علاقة بالتأثيرات النفسية، تحت نفس الظروف يعطيني نفس النتائج.

- السبب الشرعي.

لا يشترط فيه إلَّا ثبوته في الشرع، وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسُّنة، والتثبت مما ورد فيهما على فهم السلف، واعلم أن الأسباب الشرعية غير قابلة للاختبار والتجربة.

هنا ممكن أن يشكل عليك فتقولين مثلًا العسل، هذا سبب أتت به الشريعة، سنناقش التي بعدها ثم نرى العسل أين نضعه.

النقطة الأخيرة في المقارنة المنتفع به.

نحن ذكرنا: ▪ تعريفه. ▪ الأمثلة. ▪ ضابطه. ▪ الآن المنتفع به.

- السبب الكوني من ينتفع به؟ كل من استخدمه، سواء كان مؤمنًا أو كافرا، من غير تفريق.
- أمَّا السبب الشرعي فلا ينتفع به إلَّا المؤمن، فلو استعمله المؤمن على نفسه أو على غيره ينفع.

وبهذا تفهمين حديث الرقية، لما الصحابة كانوا مؤمنين ورقوا كافرا[١٣٧]، لماذا نفعت الرقية؟ لأن الذي استعملها مؤمن، فالمؤمن الذي يستعملها سواء على نفسه أو على غيره تنفع وهذا من رحمة الله، لأنك قد تكون داعيًا إلى الله بالرقية؛

قد تأتي لواحد مثلًا خادمة في البيت غير مسلمة، وتجدها مريضة، وتجد في قلبك قوة لدعوتها، فتضع يدك عليها وانت عازم – لأن هذه الرقى تسمى العزائم– تقرأها، فتشفى، يكون سبيل إلى دخولها إلى الدين.

إذن من الذي ينتفع بها؟ الذي ينتفع بها المؤمن سواء استعملها على نفسه أو على غيره.

الآن نأتي إلى تصنيف العسل مثلًا، والحبة السوداء، ماء زمزم ضربناه مثلًا على أنه سبب شرعي، لا ينتفع به إلَّا من كان معه اعتقاد بإذن الله طبعًا وسيأتينا شروط الإنتفاع.

السؤال الآن: الحبة السوداء والعسل أين تضعينها؟ يأخذها الأمران:

- لو نظرت من جهة هي في الكون، وداخلة تحت التجارب، والتجارب تدل على قيمتها الغذائية، وقيمتها الدوائية، إلى أخره، وينتفع بها المؤمن والكافر.
- وإذا نظرت إليها من جهة أخرى تجدينها وردت في الشريعة، وحضت عليها الشريعة.

فمعنى ذلك أن عندنا نوع ثالث لكن داخل هذين النوعين؛

ما هو؟ **سنقول سبب كوني حضت الشريعة على استخدامه.**

لأن العسل، والزيتون، والحبة السوداء، كل هذه موجودة في الكون قبل أن تأتي الشريعة فأصلها أنها كونية، ثم أتت الشريعة حضت على استعمالها، فدلَّ على أن لها بركة خاصة، معناه الكل ينتفع بها المؤمن والكافر، لكن المؤمن ينتفع بها أكثر على قدر إيمانه.

إذن انتهى الأمر أن الأسباب أمَّا كونية أو شرعية أو كونية حضت الشريعة على استعمالها.

على ذلك رجعنا للنوعين : أمَّا كوني أو شرعي.

انتهينا إلى أن هناك طريقين فقط : أمَّا "كوني" أو "شرعي" **وهناك نوع داخلهما** "كوني حضت عليه الشريعة".

يعني هو أمَّا كوني أوشرعي، لا يوجد سبب ثالث، لكن هناك كوني حضت الشريعة عليه، مثل العسل والحبة السوداء إلى أخره، هذا أصلًا كوني موجود في الكون، وينفع المؤمن والكافر ويدخل في التجربة، **أتى بكل شروط الكوني، لكن ما أتى بشروط الشرعي، فهو أصلًا كوني لكن الشريعة حضت عليه،** فتجد له مكانة أعلى، وينتفع منه المؤمن والكافر، لكن كلما ازداد إيمان المؤمن ينتفع أكثر؛ فرجع أنه كوني حضت عليه الشريعة

---

[١٣٧] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ : " أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْطَلَقُوا فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فَاسْتَضَافُوهُمْ ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ ، فَأَتَوْهُمْ ، فَقَالُوا : يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ ، فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَعَمْ وَاللَّهِ إِنِّي لَرَاقٍ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا ، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا ، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ ، فَانْطَلَقَ فَجَعَلَ يَتْفُلُ وَيَقْرَأُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ سورة الفاتحة آية ٢ ، حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلَبَةٌ ، قَالَ : فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : اقْسِمُوا ، فَقَالَ الَّذِي رَقَى : لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا ، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا لَهُ ، فَقَالَ : وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ أَصَبْتُمُ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ " (صحيح البخاري» كِتَاب الطِّبِّ» باب النَّفْثِ فِي الرُّقْيَةِ (٥٣٣٥))

	السبب الكوني	السبب الشرعي
التعريف	كل سبب طبيعي أوجده الله في الكون يوصل إلى المقصود بخلقته التي خلقها الله، ويؤدي إلى المطلوب بما جعله الله له من خصائص.	كل سبب يوصل إلى المقصود عن طريق ما شرعه الله تعالى، وبينه في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.
الأمثلة	السيارة، سبب للتنقل من مكان إلى مكان.	ماء زمزم للشفاء.
ضابطه	هناك شرطان لجواز استعمال الأسباب الكونية: ⬖ الأول: أن يكون مباحًا في الشرع. ⬖ الثاني: أن يكون أثره ظاهرًا مباشرا: ▪ يظهر التجربة؛ ▪ أو عن طريق الإدراك بالحواس المجردة الخالية من التأثيرات النفسية.	لا يشترط فيه إلَّا ثبوته في الشرع وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة، والتثبت مما ورد فيهما على فهم السلف، واعلم أن الأسباب الشرعية غير قابلة للاختبار والتجربة.
المنتفع به	ينتفع به كل من استخدمه، سواء كان مؤمنا أوكافرا، من غير تفريق.	ينتفع بها المؤمن سواء استعملها على نفسه أو على غيره.

"موقف الناس من الأسباب"

موقف الناس من الأسباب ينقسم الناس من موقفهم من الأسباب إلى ثلاثة أقسام: **"طرفان ووسط"**

⬖ **الطرف الأول:** من الناس من يغلو في إثبات الأسباب حتى جعلوا ما ليس بسبب سببا.

⬖ **الطرف الثاني:** وقوم ينكرون الأسباب وفي ذلك طعن في حكمة الله، وفي سنة الله في الكون، لأن الله جعل الإبتلاء حول الأسباب، **يعني جعل لكل شيء سببا وجعل الابتلاء على الأسباب،** جعل ابتلاءك انت حول علاقتك بالسبب.

الذي ينكر ماذا فعل؟ طعن في حكمة الله، وطعن في سنة الله.

⬖ أمَّا طعنه في سنة الله لأن الله جعل لكل شيء سببا.

⬖ وأمَّا في حكمة الله لأن الله اختبر الناس في علاقتهم بالأسباب، اختبرك في علاقتك بالأسباب.

فلا يمكن إنكار الأسباب، فالأسباب هي مادة الاختبار، مادة اختبارك هي تعلقك والاتباطك بالأسباب، فكيف تنكر الأسباب؟!، فهذا فيه طعن في سنة الله وطعن في حكمة الله.

مرة أخرى: من القوم من ينكرون الأسباب، في إنكارهم طعن في أمرين:

▪ في حكمة الله ▪ وفي سنة الله.

⇦ أمَّا طعنهم في سنة الله لأن الله جعل لكل شيء سببا، وهذا مرئي، مسموع، محسوس، لا أحد يستطيع أن ينكره أن الله جعل لكل شيء سببا.

⇦ وأمَّا طعنهم في حكمة الله فلأن الله اختبر الناس بعلاقتهم في الأسباب فكيف تنكر الاختبار؟!، لو ما فيه أسباب سيكون هذا إنكار لمادة الاختبار .

⇦ الوسط: هناك من يؤمن بالأسباب وتأثيرها، ولكنهم لا يثبتون من الأسباب إلَّا ما أثبته الله سبحانه وتعالى، ولا يعتمدون عليها، بل يعتمدون على مسببها، ويعلمون أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره.

"كيف أهل الوسط يتعاملون مع الأسباب"

- عندنا ثلاث مراحل-

⇦ المرحلة الأولى:" قبل العمل"

سؤال الله أن يهيىء لهم الأسباب، قبل الدخول في العمل نطلب من الله أن يهيىء الأسباب:

"إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ"[١٣٨].

"أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَك شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَك شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَك شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَك شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ"[١٣٩] هذا من الأدعية التي يدعو بها الإنسان عند نومه؛

ثم "اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ " ليس معناه الدَّين الذي تتصوره من المال فقط بل اقض عني كل ما أنا مسؤول عنه عمومًا، فقبل أصلًا أن تواجه المسؤوليات، تطلب الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، تعرفوا هذا الدعاء؟ تجدوه في حصن المسلم، في أدعية ما قبل النوم.

هذه المرحلة قبل العمل، ماذا تفعل؟ وهي سؤال الله أن يهيىء لك الأسباب، وعندك من الأدلة ما يدل على ذلك "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ "، وعندك هذا الدعاء العظيم " "أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَك شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَك شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَك شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَك شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ"، فلا تصور أن سؤال الله قبل دخولك العمل نوع من العجز، بل هذا هو عين التوكل، والأخذ بالأسباب.

أول الأخذ بالأسباب سؤال مالك الأسباب أن يهيىء لك الأسباب؛ إن الله إذا أراد شيئا هيأ له أسبابه، لا بد أن تؤمن بهذا.

لا بد أن تؤمن بأن الله لك ربا، يربيك، يدبرك، يهيىء لك ما فيه صلاحك، لا تستخيره سبحانه وتعالى ثم يقع في قلبك لوم على ما اختاره لك!، لا تطلبه أن يعطيك ثم إذا وهبك ما أراد لا ترضى عنه!، لا تكن بالله كافرا! - هذا كفر النعمة- الذي يضرب في أعماقنا ونحن لا نشعر!

أسأل الله عز وجل أن يغفر لنا ما يقع من قلوبنا .. اللهم آمين.

---

[١٣٨] رواه الترمذي ، وأحمد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٩٥٧) .

[١٣٩] أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم ٢٧١٣، عن أبي هريرة

كما يقول ابن القيم : " ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم"

" رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّا" هذه الكلمة التي ترددها يجب أن تصل إلى أعماق أعماقك في الرضا عن الله، وعما أجراه عليك من أقدار، فهذا يسكن الآلام ويدفع إلى القرب من الله، ولا تتصور أن كل الحياة هنا، لا تتصور! هذا خطأ، هذه بداية الخطأ، أو تتصور أن أحدًا أحسن منك، الحياة ليس كلها هنا، كل ما نقص عليك وأتى ما يخالف هواك غدًا سترى آثار ما وقع لك من رفعة في المنزلة عنده سبحانه وتعالى لما ترضى عليه.

وإلَّا هو مالك الملك لوأعطى كل العباد ما يريدون ما نقص من ملكه شيء ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٤٠]، آمنا بك يا رب، رضيت بالله ربا؛

لذلك اجعل الله لك ركنا شديدا، لا تلجأ لغيره، ولا تضع همومك عند باب غيره اطلب منه يسخر لك، **يجب أن تؤمن بهذه الجملة، لابد أن تفهم أن الله هو الذي يسخر لعباده،** سيأتي لك بالخير الكثير، لا تترجى انت، لا تتكلم، إذا أردت أن تتكلم لا تكلم إلَّا ربك ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾، لماذا؟ لماذا هذا الحصر؟ ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[١٤١]، لأني أعلم من الله ما لا تعلمون، هذه علّة عملي، علّة أنني حصرت شكواي على الله، أني أعلم من الله ما لا تعلمون؛

فسبحان من يأس العباد من بعضهم رحمة بقلوبهم، أنك لا تذلّ لأحد غيره، ولا تتعلّق بالسبب، انت تخيل لما يكون واحد يشعر أن الشفاء كله في يد فلان، طبيب، راق، أي شيء، تخيل كيف يرقب حياته، يخاف أن هذا الذي عنده الشفاء يموت، أو وهو متألم يخاف أن هذا الذي عنده الشفاء، ينام، فقط ينام، يعزله عنه النوم، أو إذا اتصل بالهاتف ولم يجده يفقد صوابه، لو ذهب له ويجده سافر مثلًا ! ⇦ انظر كيف عندما تكون رهين للقوم الذين يسافرون، أو يغلقون جوالاتهم، أويكونون لا شيء في لحظة مثل التراب!، الذين بأنفسهم يبحثون عن أحد يعالجهم في نفس اللحظة التي انت تنتظر أنه يعالجك، انظر كيف الذلّ! انظر عندما يموت ماذا يكون في قلبك!

كيف تترك الحيّ القيّوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الحيّ الذي لا يموت، مالك كل شيء، وتطرق أبواب الضعفاء الميتين النائمين!، الذين بكل سهولة يخذلونك، بل لا يسمعونك، أو لا يفهمونك، كيف؟!؛ الذلّ الذلّ، أن تذلّ لمن هم مثلك أو أقل منك، تخيل هذا بشر!

⇦ فكيف عندما تذهب إلى حلقة أو تميمة تعلقها، وتضع يدك عليها تخشى أن تضيع، على أن كل العطاء والشفاء في هذه. من أجل ذلك قبل الدخول في أي عمل ؛ اطلب ممن يملك الأسباب أن يهيء لك، يسخر لك الأسباب.

---

[١٤٠] الملك:١

[١٤١] يوسف:٨٦

المرحلة الثانية: "أثناء العمل".

بعد أن هُيأت لك الأسباب المطلوب منك الأخذ بالأسباب، وأقرن مع كل حركة تقوم بها طلب العون من الله، "وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ " ، ﴿ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١٤٢]، " لا حول ولا قوة إلَّا بالله " . كلها تدفعك إلى طريق واحد " فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ"[١٤٣] والرواية الثانية : " وَإِنِّي لاَ أَثِقُ إِلاَّ بِرَحْمَتِكَ"[١٤٤] ، كل هذا أثناء العمل.

المرحلة الثانية: "بعد العمل".

يعني بعد انتهاء العمل عدم الإلتفات إلى الأسباب، والنظر إلى المسبب ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ﴾[١٤٥]، وفي الحديث : " وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ"[١٤٦].

يعني على الحالتين :

⇦ لو وصلت إلى مرادك ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ﴾.

⇦ وإذا لم تصل إلى مرادك " فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ"

إذن ما موقفنا في الأخذ بالأسباب؟ عندنا ثلاث مراحل:

- قبل العمل : اسأل الله عز وجل أن يهيىء لك السباب.
- أثناء العمل : خذ بالأسباب، وكل خطوة وانت سائر استعن بالله.
- بعد العمل : انتهى موضوع الأسباب، لا تلتفت لها، إنما ماذا يكون موقفك؟

⇦ إنما إذا جاءتك النعمة، ماذا يكون موقفك؟ ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ﴾.

⇦ وإذا جاءك ما لا تريده "فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ".

المهم في كل هذا أن تخرج بنتيجة أن الأسباب أمَّا كوني أو شرعي، لا تتعدى على حق الله في التشريع، إنما اعلم أن الله وحده هو مسبب الأسباب سواءً كانت الكونية أو الشرعية.

كل هذه مقدمة من أجل أن ندخل في الباب.

---

[١٤٢] الفاتحة:٥

[١٤٣] أخرجه النسائي في "الكبرى" (١٤٧/٦/برقم ١٠٤٠٥) وفي "عمل اليوم والليلة" (ص٣٨١/برقم ٥٧٠)

[١٤٤] ضعيف الألباني.

[١٤٥] النحل:٥٣

[١٤٦] صحيح مسلم» كتاب القدر» باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٢٦٦٤)

بسم الله

إذا كان التشريع حق لله عز وجل، فاعلم أن من أثبت سببًا لم يجعله الله سببًا لا شرعًا ولا كونا فقد أشرك بالله، لأنه شارك الله تعالى في الحكم بهذا الشيء بأنه سبب، والله تعالى لم يجعله سببا.

الآن نناقش نفس اسم الباب.

" باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه "

قال:

- **"من الشرك"** أي من صور الشرك.
- **" لبس"** ولا يُقصد فقط مجرد اللبس، لكن مجرد تعليقها.

يعني يدخل في لبس الحلقة ما يُعلّق في البيوت أو أبواب البيوت، أو السيارات أو في مداخل المحلات التجارية إلى آخره، كل هذا يدخل فيه لبس الحلقة؛ الحلقة سواء كانت من نحاس أوحديد أومعدن، والخيط هذا معروف.

الحلقة يكون فيها أحجار يسمونها الأحجار الكريمة ويعتقدون فيها، وأيضًا الخيط.

الحلقة سواء كانت نحاس أو حديد أو معدن، وسنرى بقصد أو بدون قصد وكيف يختلفون عن بعضهم؛ سنرى وسيأتي الشرك الأكبر والأصغر إلى أخره.

- **" لرفع البلاء أو دفعه "** اللام للتعليل: يعني أن سبب اللبس رفع البلاء أو دفعه.

السؤال ما الفرق بين الرفع والدفع؟

- الرفع يكون بعد الوقوع.
- والدفع يكون قبل وقوع البلاء.

" ولا شك أن هذا –الدفع– أعظم إثمًا وذنبًا من الذي يعلّق هذه الأشياء لرفع البلاء بعد حصوله،..**"**

أنا أقارن لذلك أتيت بكلمة رفع البلاء، يعني الذي يلبسها للدفع أعظم ذنب من الذي يلبسها للرفع.

"لأنه يعتقد أن هذه الأشياء الخسيسة الوضيعة تدفع قدر الله.**"**

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه وقول الله تعالى: (قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ)[١٤٧] الآية.

عن عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ، أَنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأى رجلًا بيدِهِ حَلَقَةً من صُفْرٍ ، فقال : "ما هذه ؟"، قَالَ : مِنَ الوَاهِنَةِ ، قَالَ : انزعْها فإنَّها لا تَزِيدُكَ إلَّا وهْنًا ، فَإنّكَ لَوْ متَّ وهيَ عليكَ ما أَفْلَحْتَ أبدا". رواه أحمد بسند لا بأس به.

وله عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رضي الله عنه مرفوعًا :" مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً ، فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً ، فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ " . وفي رواية : "مِنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ".

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)[يُوسُفَ : ١٠٦].

[١٤٧] الزمر:٣٨

الدليل الأول

نبدأ الآن بأول دليل لنرى هل هو من الشرك الأكبر أو الأصغر.

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾[١٤٨]

هذه آية نحتاج أن ننظر إلى سياقها، هذه آية ٣٨ نحتاج أن نأتي من آية ٣٦

يقول الله عز وجل في سورة الزمر :﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتقَامٍ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَو أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[١٤٩]

- يقول الله عز وجل :﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم.
- لماذا أتى الخطاب عن الكفاية؟ لأن المشركين يخوفونك.
- ويخوفونك بمَن؟ ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.
- من هم الذين من دونه سبحانه وتعالى؟ أصنامهم.

إذن أتت هذه الآيات في سياق الكلام عن المشركين عبدة الأوثان، يخوفون الرسول صلى الله عليه وسلم ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دون الله أن تناله صلى الله عليه وسلم بسوء وهذا التخويف سنة عند أهل الشرك، يعني من سنة أهل الشرك أن يحاولوا دائمًا أن يخوفوا أهل التوحيد في كل فترة، يقولون لهم هل تتصورون أن صلاتكم صحيحة؟، وعبادتكم صحيحة؟، وانتم هاجرون لمحبة الأولياء، لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم؟!؛ يشككونك في صحة اعتقادك، ويخوفونك أن آلهتهم تضرك، وبأن النبي صلى الله عليه وسلم سيتبرأ منك يوم القيامة؛ بهذه الطريقة.

إذن المشركون يخيفون النبي صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم أنه عز وجل كافٍ عبده ومن توكل عليه، وأنه سبحانه وتعالى بعزته يدفع عنه كل مكروه، وينتقم ممن كفر به.

الآية أولها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾، وفي آية ٣٧ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتقَامٍ﴾ إذن معنى هذا أن الله عز وجل رد عليهم بردين: ▪ أنه كافٍ. ▪ وأنه عزيز.

- كافٍ كل من عبده وتوكل عليه.
- وعزيز يدفع عنه كل مكروه، وينتقم ممن كفر أو أشرك أوعاند أوعادى أهل التوحيد.

يعني هناك موطنان:

▪ الموطن الأول: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾. ▪ والموطن الثاني : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتقَامٍ﴾.

---

[١٤٨] الزمر:٣٨

[١٤٩] الإسراء:٣٨،٣٧،٣٦

الآن ما حال المشركين؟

المشركون مع عبادتهم الأوثان مقرّون بأن الله خالق كل الأشياء، هذه الآية ٣٨ التي هي موطن شاهدنا الآن لأن أولها : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ماذا يقولون؟ ﴿اللَّهُ ﴾ يعني جوابهم أن الله هو الذي خلقها، إذن مع عبادتهم الأوثان لكنهم يعتقدون أن الله خالق لكل شيء، فإذا كان الله الخالق لكل شيء فكيف يخوفونك بآلهتهم التي هي مخلوقات؟!؛

من أجل ذلك قال الله عز وجل بعد أن أجابوا وقالوا أن الله هو الذي خاق كل شيء، قال الله عز وجل لهم : ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ ماذا يحصل؟ ﴿ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَو أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾؟ ما الجواب؟ الجواب: لا، هم يعلمون يقينًا، فانظري لأول الآية يقول الله عز وجل :﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، يعني هم يعلمون أنه لا خالق إلَّا الله، إذن ما دمتم تقرّون أنه لا خالق إلَّا الله معنى ذلك أن كل المخلوقات هذه إن أرادني الله بضرّ هل هذه المخلوقات تدفع؟ وإن إرادني برحمة هل هذه المخلوقات تمسك؟ الجواب لا، هذا الخطاب للكفار، الكفار الذين يخوفون النبي صلى الله عليه وسلم بآلهتهم.

- بدأ من أول السياق الله عز وجل قرر ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾؟ هم ماذا يفعلون؟ ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ إلى أن أخبر الله سبحانه وتعالى ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتقَامٍ﴾؟ بمعنى أنه سينتقم منكم.
- ثم بدأ التقرير لماذا تخوفونه، كيف تخوفونه بآلهتكم؟ هل لديكم منطق تفكرون به؟ نبدأ بالمنطق من خلق السموات والأرض؟ من خالق كل شيء؟ هم سيجيبون بأنه الله.

⇦ إذن مادام هو الله لو أرادني الله الذي خلقني بضرّ هل أحد غيره يدفع عني الضرّ؟ الجواب : لا!.

⇦ لو أرادني برحمة هل يستطيع أحد أن يمسك رحمته عني؟ الجواب : لا!

مادام الجواب • لا • إذن أنا لن أخاف منكم، أنا حسبي الله كافيني، لذلك أتت الآية : ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.

إذن لن يأتي بالخير إلَّا الله، ولن يدفع الشر إلَّا الله، ولذلك لا أتوكل إلَّا على الله.

الآن الآية كلها تتكلم عن جلب الخير ودفع الشر، أنه كله يملكه الله، ويرزقني الله إياه عن طريق الأسباب التي جعلها الله أسبابًا، يعني الخير يأتيني عن طريق الأسباب التي جعلها الله أسبابًا للخير، والشر يندفع عني عن طريق الأسباب التي جعلها الله أسبابًا للشر.

إذن الآية قررت أنه لا يملك دفع الضرّ ولا جلب النفع إلَّا الله؛ وهذا التقرير الأول.

سنأخذ الآن التقرير باللزوم؛

ما هذا التقرير باللزوم؟ انتم يا أهل الإيمان ماذا تعتقدون؟ من يكشف الضرّ ويجلب المنفعة؟ الله عز وجل، إذن معنى ذلك أنه سيقع في قلبك رجاؤه ودعاؤه.

وعندنا مسألة تركب عليها مسألة:

- المسألة الأولى: أنك تعتقد أن الله هو الذي يملك جلب المنفعة ودفع المضرّة إذا اعتقدت هذا، سيقع منك في قلبك الرجاء والدعاء، سيقع في قلبك دعاؤه ورجاؤه.

إذا اعتقدت أن غير الله يملك جلب المنفعة ودفع المضرّة معناه أنك سيقع في قلبك رجاء غير الله، ودعاء غير الله، يعني أي أحد ستعتقد أنه يملك المنفعة سيقع مباشرة من قلبك دعاؤه ورجاؤه، إذن معنى ذلك لا تقل في موقف أنا لا أدعو غير الله أو أرجو غير الله مع أنك تعتقد أن غير الله نافع ويكشف الضرّ.

- ركزوا معي لأن هذه قاعدة تكشف حقيقة انت إلى أين تتجه.-

عندما أقول لك لا تشرك مع الله في الرجاء أحد ⇦ يعني لا ترجو أحد مثل ما ترجو الله عز وجل.

فتأتي تقول من قال أنني أرجو أحد مثل ما أرجو الله؟ نحن نستطيع أن نقول لأنفسنا أنا لا أرجو أحد مثل الله، ولا أحب أحد مثل الله، ولا أخاف من أحد مثل الله، لكن مجرد كلام لكن تأتي في المواقف فتجد نفسك، راجيًا غير الله، محبًا غير الله أكثر من حبك لله، خائفًا من غير الله!

نريد ورقة كاشفة لتعرف نفسك انت راج غير الله أم لست راج :

تعال فتش عن اعتقادك في النافع الضار إطلاقًا، وانظر قلبك أين يذهب في المواقف وليس في الرخاء لكن في الشدة، قلبك يتوجه إلى مَن في هذا الموقف على أنه ينفع ويضرّ؟ الله أعلم انت من تكون!

يعني أنا الآن الطبيب، الطبيب هذا من الأسباب، له حد لو تجاوزناه أصبح طاغوت، تعتقد فيه أنه ينفع ويضر، هل تعرف كيف تختبر نفسك؟ افترض أنه قيل لك أن هذا الطبيب سيسافر نهائي وانت قلبك معلّق به، انظر إلى ردة فعلك، إذا فزعت فزعًا قائلًا سأذهب لمن؟!، هذه المشاعر الآن، لا تتجاهلها ولا تتجاهل عِظم خطورتها، معناه أنك معتقد أن هذا هو الشَّافي، هو النافع الضار، فتقول : لا لا أنا أعتقد أنه الله !، نقول لا، القضية ليست دعوى، لأن هذه الدعاوى سهلة، القضية ماذا تعتقد على الحقيقة، يجب أن تحرر ماذا تعتقد، فتأتيك هذه البلايا من أجل أن تحرر ماذا تعتقد.

الطبيب سبب لا ننكره لكن انتبه الأسباب التي تكون صحيحة ممكن أن تصبح طاغوت، لأن الطاغوت هو التجاوز بالشيء حده، فالطبيب هو مجرد سبب، لو تجاوزت به الحد أصبح لك انت طاغوت، ما هو الحد؟ اعتقاد أنه هو الشَّافي، تقول لكن أنا لا أعتقد أنه هو الشَّافي بل أعتقد أن الله هو الشَّافي! إذن لو كنت تعتقد أن الله هو الشَّافي كان وقت ما قالوا لك أنه سيذهب ما كنت فزعت هذا الفزع!، لا تكذب على نفسك!؛

إذن معنى ذلك لذلك لا بد من الاختبارات، والذي يختبرك هو الله، ومن رحمة الله عز وجل أنه سبحانه وتعالى قبل أن يقبض العبد يختبره اختبارات من أجل أن يصلح حاله، فإذا تبينها نفعته وإذا لم يتبينها ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾[١٥٠]؛

هذا الكلام كله على شيء هو سبب أصلًا، اعتقد نفعه وضرّه إذن دعاه من دون الله، كل واحد تعتقد أنه ينفع ويضرّ هذا سيساوي أنك تدعوه من دون الله؛ لا تقل أنا لا أدعوه!، نقول كونك رجاءك كله فيه هذا يساوي أنك تدعوه من دون الله؛

هذه المسألة غاية في الخطورة لتكن القاعدة واضحة في ذهنك؛ القاعدة ماذا تقول؟

" كل من وقع في قلبك اعتقاد أنه ينفعك ويضرّك من دون الله فانت له داع"

[١٥٠] التوبة:٤٩

معناه أنك تدعوه من دون الله، تقول أنا لا أتوسل له ولا أطلب منه ولا أتعبد له نقول افهم جيدًا كل من اعتقد أن غير الله نافع ضار وضع رجاءه فيه، في هذا الذي يعتقد أنه نافع ضار، وإذا وضعت رجاءك فيه معناه أنك دعوته من دون الله، لأن الإنسان لما يضع رجاءه في أحد سيتوجه إليه، في الفزع سيتوجه إليه.

لذلك الآن يجب أن تتصوروا عظم جرم الروافض، لأن المشركين أيام النبي صلى الله عليه وسلم لما كانوا لما يركبون البحر وتأتيهم العواصف ﴿ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ صحيح أنهم إذا نجاهم إذا هم مشركون لكن على الأقل في البحر دعوا الله، ستصبح منقبة الآن يعني هؤلاء مشركوا العرب بجانب مشركي زماننا في منقبة؛

انظري لمشركي زماننا، انظري للجماعة الذين في قلوبهم أن علي رضي الله عنه أو الحسين رضي الله عنه ينفع!، انظري لهم كم يرددون كلمة [يا علي – يا حسين] في اليوم أكثر مما يذكرون الله عز وجل!، وهذا في الرخاء! فانظر إليهم وقت الشدة ماذا يفعلون؟!؛

إذن تريد أن تقنع نفسك أن من رجا غير الله واعتقد أنه نافع ضار ليس داعيًا له؟! بل داعٍ له حتى لو صلى لله أو صام لله!، في النهاية هو يعتقد أن غير الله نافع ضار، وإذا اعتقد أنه نافع ضار توجه إليه، ومال إليه، أتته الشدائد وهو يعتقد أنه ينفعه.

إذن معنى هذا أن هذه الآية تدلَّ على أن كل من اعتقد أن شيءً يكشف الضرّ، ويجلب المنفعه معناه أنه دعاه ورجاه؛ هذا كله على القاعدة العامة.

لكن وما جعله الله أسبابًا ما موقفي منها؟ هل أعتقد أنه ينفع أو يضرّ؟ نعود إلى أصل المسألة؛ نقول: لابد لنا أن نعتقد أن الله هو وحده النافع الضار فأذا اعتقدت أن الأسباب التي جعلها الله أسباب هي بنفسها تنفع وتضرّ فقد دعوتها.

وماذا لو لم تكن أسبابًا جعلها الله؟

⇦ الآن لو واحد جعل الأسباب التي جعلها الله أسبابًا تنفع وتضرّ من دون الله إذن قد رجاها، دعا أيضًا.

⇦ الآن لو أخذت الأسباب التي لم يجعلها الله أسبابًا، واعتقدت أنها تنفع بإذن الله، أو تدفع الضرّ بإذن الله.

الثاني هذا ماذا فعل؟ اتخذ شيئًا ليس بسبب لا شرعًا ولا قدرًا، اتخذه سبب واعتقد أن الله هو الذي ينفع بهذه الأسباب، ماذا تكون حالته الآن؟ يعني اعتقد أن الله هو النافع لكنه اتخذ شيئًا ليس سببًا، ما حالته؟ هذا يعتبر شركًا أصغر، وليس شركًا أكبرا.

إذا كانت الأسباب بنفسها فاعلة سيصبح شرك أكبر.

مرة أخرى.

⇦ **الحالة الأولى**: لو واحد الآن أتى إلى سبب جعله الله سببا، واعتقد أن هذا السبب بنفسه ينفع ويضرّ، أين المشكلة الآن أتت؟ في اعتقاده أنه نافع ضار، وصار هذا شرك أكبر، لأن أي شيء تعتقد أنه بنفسه بعينه نافع ضار غير الله هذا شرك أكبر.

سبب جعله الله سببا مثل الطبيب، لكن تحول اعتقادك من أنه مجرد سبب إلى أنه بنفسه ينفع ويضر، صار هذا شركًا أكبر، لماذا؟ لأنه أصبح طاغوت، تجاوزت به الحد.

- **الحالة الثانية:** عبد أخذ سبب لم يجعله الله سبب، مع اعتقاد أن الله هو النافع ، وهو الذي يدفع الضرّ؛ هنا ماذا فعل؟ لاحظي أنه باق في قلبه أن الله هو الذي ينفع ويدفع الضرّ، أتت مشكلة أخرى أنه جعل سببًا لم يجعله الله سبب، شارك نفسه من جهة التشريع، فأتى من هنا أنه **وسيلة** إلى الشرك الأكبر.

– وأي شيء يسمى وسيلة إلى الشرك الأكبر حكمه شرك أصغر–

يعني في النهاية حكمه شرك أصغر، عندنا الآن حالات، يهمنا الآن الواحد الذي يأخذ سبب ليس بسبب لا شرعًا ولا قدرًا فيجعله سببا، مع اعتقاد أن الله نافع يدفع الضرّ، ماذا تقول عنه؟ وقع في الشرك الأصغر.

- **الحالة الثالثة:** نفس المثل: لو أحد أخذ سببًا لم يجعله الله سبب لا شرعًا ولا قدرًا، ويعتقد أنه بنفسه نافع، أو يدفع الضرّ، ماذا تقولون؟ هذا مباشرة شرك أكبر، لأن القاعدة ماذا تقول في الآية؟ ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَو أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ إذن مباشرة أي أحد يعتقد في غير الله أنه ينفع أو يدفع الضرّ، مباشرة يصبح شرك أكبر، سواءً كان سببًا جعله الله سبب، أو لم يجعله الله سبب، مباشرة شرك أكبر.
- **الحالة الرابعة:** لو أخذ سبب جعله الله سبب، وهو يعتقد أن الله هو النافع الدافع للضرّ، هذا ماذا؟ هذا مباح.[لن نقول عنه محقق للتوحيد، لأن محقق التوحيد يجب أن تأتي معه بشروط أخرى، غير ملتفت إلى السبب إلى أخره]

إذن أصبح عندي واحد مباح، وإثنان وقعا في الشرك الأكبر، وواحد وقع في الشرك الأصغر.

- الشرك الأكبر ما قاعدته؟ **أن تعتقد أن غير الله ينفع ويضرّ**؛ هذه قاعدته.
- الشرك الأصغر ما قاعدته؟ أن تجعل ما ليس بسبب سبب.
- والمباح أن تتخذ الأسباب التي جعلها الله أسبابًا وتعتقد أن الله هو الذي ينفع ويدفع الضرّ.

	الحالة الأولى	الحالة الثانية	الحالة الثالثة	الحالة الرابعة
حال الاعتقاد في السبب وقت أخذه	أعتقد في السبب أنه ينفع ويضرّ	أعتقد في الله أنه ينفع ويضرّ	أعتقد في السبب أنه ينفع ويضرّ	أعتقد في الله أنه ينفع ويضرّ
هل جعله الله سبب؟	جعله الله سبب	لم يجعله الله سبب	لم يجعله الله سبب	جعله الله سبب
حكمه	شرك أكبر	وسيلة إلى الشرك الأكبر[أي حكمه شرك أصغر]	شرك أكبر	مباح
قاعدة الحكم	أن تعتقد أن غير الله ينفع ويضرّ	أن تجعل ما ليس بسبب سبب	أن تعتقد أن غير الله ينفع ويضرّ	أن تتخذ الأسباب التي جعلها الله أسبابًا وتعتقد أن الله هو الذي ينفع ويدفع الضرّ.

هذه المناقشة حول موضوع الأسباب، فصارت الآية قاعدة لك، تفهم مسألة النفع والضرّ كيف تدور حولها في الفهم.
نبدأ بالحديث الدليل الأول بمثابة القاعدة، التي تفهم العلاقة بين كشف الضرّ وجلب المنفعة والتوحيد؛ كل من اعتقد أن شيئا يجلب المنفعة ويدفع الضرّ غير الله معناه أنه اتخذه إلها، وعلى هذا درنا نفهم ما موقفنا في مسألة اتخاذ الأسباب سواء كانت الأسباب شرعية أو قدرية، أولم تكن أسبابًا.

الدليل الثاني

نبدأ الآن بالحديث الذي يبيِّن الشاهد على الأمر

عن عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ، أَنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأى رجلًا بيدِهِ حَلَقَةً من صُفْرٍ ، فقال: "ما هذه ؟"، قَالَ : مِنَ الوَاهِنَةِ – الواهنة : مرض يصيب اليد– ، قَالَ : انزعْها –يعني اطرحها،ألقها – فإنَّها لا تَزِيدُكَ إِلَّا وهْنًا ، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وهيَ عليكَ ما أَفْلَحْتَ أبدا". رواه أحمد بسند لا بأس به.

هذا من مواقف النبي صلى الله عليه وسلم في محاربة الشرك وتخليص الناس منه، فلبس الحلقة والخيط كان معروفًا عند العرب يُقصد به الاستشفاء؛ ومعناه أنهم يطلبون من غير الله، ومن غير الطريق الذي شرعه الله الشفاء.
والنبي صلى الله عليه وسلم سأل الرجل عن سبب لبسها، فتبيَّن أن وراء لبسها اعتقاد.

- قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "مِنَ الوَاهِنَةِ" يعني ألبسها لتعصمني وتمنعني من الألم.
- مباشرة قال له النبي صلى الله عليه وسلم : "انزعْها".
- ثم قرر التقرير الذي يتصل بالتوحيد: قال له: "فإنَّها لا تَزِيدُكَ إِلَّا وهْنًا"، يعني هذا دليل على أن هذه لا تنفع مطلقًا بل تضرّ.

لماذا "لا تَزِيدُكَ إِلَّا وهْنًا"؟ "لأن الذي يلبس مثل هذه نفسه تتعلق بها ويضعف اعتماده على الله، وربما نسي الاعتماد على الله، فيعتقد أنها ما دامت عليه فهو سالم، فبدل أن يتوكل على من يملك النفع والضرّ يصرف قواه في التوكل على من لا ينفع ولا يدفع الضرّ، وتزيده أيضًا وهنًا في بدنه فإنها تمنعه من استعمال الأسباب الحقيقية التي سببها الله للشفاء"[١٥١].
فانت الآن لما تأخذ سبب وهمي تحصل لك مشكلتان:

- المشكلة الأولى: هي أنك ستعطل الأسباب الحقيقية التي جعلها الله أسباب حقيقية.
- المشكلة الثانية: أن قلبك دائما سيصبح حريصا على هذا السبب، أنك لا تتركه، وتجد قلبك ملتفت إليه.

النبي صلى الله عليه وسلم قال : " فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وهيَ عليكَ ما أَفْلَحْتَ أبدا"
انتفاء الفلاح دليل على ماذا؟ دليل على الخيبة الخسران.
و"ما أَفْلَحْتَ أبدا" المقصود به يوم القيامة.

" ⇦ فإذا اعتقد أنها بنفسها كافية كان شركًا أكبرا، وانتفى عنه الفلاح بالكلية.
⇦ وإذا اعتقد أنها سبب لحصول النفع سيكون شركًا أصغرا لأنه اعتقد ما ليس بسبب سبب، وانتفى عنه الفلاح الكامل. [١٥٢]"

[١٥١] تقرير التوحيد في الحديث.
[١٥٢] تكملة تقرير التوحيد في الحديث.

فما أفلحت أبدا أمًّا انتفى عنه الفلاح بالكلية، أو انتفى عنه الفلاح الكامل.

ما معني "انتفى عنه الفلاح الكامل"؟ يعني لا بد أن يدخل النار من أجل أن يعاقب على هذه.

- **يعني الشرك الأكبر انتفى عنه الفلاح أبدًا ⇦ يعني أنه يخلد في النار.**
- **أو انتفى عنه الفلاح الكامل ⇦ بمعنى أنه لا بد أن يدخل النار.**

" إذن معنى ذلك أن التعلق بغير الله آثاره سيئة، فهو سبب لزيادة البلاء والضعف وانتفاء الفلاح."[١٥٣]

هذه الحلقة التي من صُفر، لماذا لم تعتبر سببا لا كونيًا ولا شرعيًا؟

- أولًا ليست سببًا شرعيًا واضح.
- بقي لماذا هي ليست سببًا كونيًا؟ هي تتأثر بنفسية الشخص لكن ليس لها علاقة بالتجربة، ولا يتأثر الناس كلهم نفس التأثير.

نحن حتى نتكلم عن واقعنا نأتي إلى الحلقة من المغناطيس التي يعتبرونها دواء من بعض الأمراض تسمى بـ" سوار ابن سينا"، هذه الحلقة المنتشرة لوتأملتم جيدًا فيها ستجدون **أنها ماركة تجارية وليست علامة مسجلة دوائية**، يعني طبية، فعُلم من ذلك أنها تروج من جهة التجارة ولا تروج من جهة التطبب؛

- هذه العلامة سهلة مباشرة فأي شيء يباع في الصيدليات لا تتصور لمجرد أنه يباع في الصيدليات فهو شيء طبي هذا أولًا.
- الأمر الثاني: أنك لا بد أن تتصور أن هذه الأشياء التي ظاهرها أنها تباع في الصيدليات تدخل فيها التجارة، وأيضًا يدخل فيها ما يسمونه بثقافة الشرق والغرب، يعني أنواع من الآلات، أو حتى أنواع من اللاصقات، تحمل ثقافة معينة، يقال لك هذه من ثقافة الشرق، يعني تضعيها في مكان الألم ولها تأثيرات بصورة أو بأخرى؛ ثم تنظري إلى نفس الأوراق تجدينها ماركة تجارية، وتعتمد على ثقافتك انت، من أجل ذللك في الغالب أن مثل هؤلاء يرشدونك إلى مواقعهم في النت، فيقال لك أنك لن تستطيع أن تستفيد منها جيدًا إلَّا إذا راجعت مجموع الثقافات التي وراءها، فهي تحمل ثقافة، هم يعبرون عنها بكلمة "الثقافة"، اعتقادات تحملها أولًا ثم تنتفع بها؛

لذلك الذين يروجون مثل هذا ويحاربون ضدهم، دائمًا يقولون لك أنك انت لا تعرف، لا تدري، وهذه كذا وكذا ولها تأثيرات كذا وكذا.

الحكم في المسألة: أن الشيء الذي يمر على التجارب المعملية له الحكم في كونه سبب كوني.

والشيء الذي يمر على التجارب المسمى "بالطب الشعبي" الشعبية، التي في العادة الناس يتداولها وتظهر آثارها واضحة، يعني في عرف الناس متداول، وهذه أيضًا تعتبر سببًا.

[١٥٣] تكملة تقرير التوحيد في الحديث.

إذن أصبح في الواقع عندنا نوعان من الأسباب:

- السبب الذي يأتينا بالتجارب المعلمية.
- أو بالتجارب الشعبية والمسماة بالطب الشعبي.

⇦ مع اعتقاد أن كثير من الطب الشعبي يدخل فيه الشعوذة.

⇦ وأيضًا كثير من الطب المعملي يدخل فيه التجارة.

فهذا يدخل فيه التجارة وهذا يدخل فيه الشعوذة؛ فأتتنا المشكلة من هنا، لذلك المشكلة غاية في اللبس، غاية في اللبس.

مسألة مثل الإبر الصينية مثلًا، من الذي يستطيع أن يحكم على الإبر الصينية إذا كانت تنفع أو لا تنفع؟ يجب أولًا خبير صادق، حتى أن بعض أهل العلم لا يعتبرون بواحد ويقولون لا بد من ثلاثة، ثم مثل هذا الموضوع يرفع للجنة من الإفتاء، ولجنة الإفتاء تقرر.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة : لو معترف به من الوزارة انتهى الموضوع، لكن الآن هل اعتراف الوزارة هذا لكل أنواع الإبر الصينية؟ أم لأنواع معينة وهناك تطبب معين؟!، يعني الذي يدخل هذا الباب لا بد أن يتحرى، يعني الوزارة الآن أتت تصريح لهذا التطبب عمومًا؟!، يجب أن تراجعي وتفهمي، ولما تفهمي هذا الكلام سيقرر على أساسه إذا كنت استعمله أو لا أستعمله.

سؤال من الحاضرات: **ماذا عن ربط الرأس وقت الصداع؟**

رد من الأستاذة: هذا في السُّنة، نعم جائز.

الآن نحن نقول التجارب الشعبية؟ هذا من التجارب الشعبية التي كل الناس يشتركون فيها، وأصلًا مثل هذه – الربط على الرأس من الصداع – هذا وارد في السُّنة.

لذلك إذا أردت أن تتعالج بشيء يجب أن تفتش عنه بالذات عنه هو هذا الذي ستتعالج به، لا تدخل في مسألة العلاج هكذا، يجب أن تفهم ماذا وراءهم؛

لأنه مثلًا هناك ناس يستعملون خيوطًا من الصوف معينة، يغزلونها ويلبسونها على أنها تنفع في أمراض معينة، ولما يلبسها غيرهم لا ينتفع بها!، وتأتي تجربها على واحد وإثنين وأربعة وعشرة لديهم نفس المرض ولا تؤتي نفس النتيجة!، معناه أنك انت تعتقد، معناه أن وراءها اعتقاد فيها، في قلبك اعتقاد لذلك انت تنتفع بها؛[١٥٤]

لكن الأعشاب، تُجرب والناس يشربونها وينتفعون بها، هذه أصلًا كونية ثم اكتشفت، ثم الإنسان بالتجربة يكتشف أن مثل هذا يوصل إلى هذا، بالتجربة؛

يعني مثلًا : "القهوة"، نباتها البن نفسه، هذا الآن بالتجربة، عند غالب الناس أنها نوع من أنواع المنبهات قد يكون هناك إثنين، ثلاثة، عشرة شاذين لا تكون بالنسبة لهم منبهة، لكن الباقي كلهم تعتبر بالنسبة لهم تعتبر منبهة.

[١٥٤] كيفية التفريق بين أن وراء استخدام السبب اعتقاد فيه أم لا.

سؤال من الحاضرات: **ماذا عن اليوغا؟**

رد من الأستاذة: كل هذه بلاءات، هذه واضحة ماذا وراءها.

مثل هذا يدخل فيه نقاشات طويلة ويجب أن يكون الواحد عنده ثقافة معينة، يعني حتى هذا الأمر يعتمد على ثقافتك، فهناك أشياء تتلبس عليك، يعني مثلًا هناك خرائط تسمى الخرائط البدنية، يعني في أماكن معينة في البدن تكون الأعصاب فيها ترمز إلى آلام في أماكن أخرى، مثل هذا معروف، مثل القدم، لكن المشكلة أن صحيح أن القدم فيها ما يسمى بالخرائط البدنية، إلى هنا صحيح لكن بعد ذلك؟!، كونهم يتعاملون بالأحجار، ويضعون أشكال وألوان من الأحجار من أجل أن يتعالجوا بها هنا يبدأ الإشكال!، صحيح أن مبدأ المسألة أن هناك في البدن خرائط بدنية، لكن بعد ذلك رتبوا عليه مبدأ؛

ما دمت فهمت، لابد أن تكون عندك علامة استفهام، لأنهم يضعون ألوان معينة، وأشكال معينة من الأحجار، الأشكال أحيانًا نتنازل عنها، لكن كونهم يضعون ألوان معينة تضعها تحت قدمك ستؤثر فيك، هذه أيضًا فيها نوع من الاستفهامات؛

وإن كنا نؤمن من جهة أخرى أن القدم خريطة بدنية، فتبدأ المسألة تصبح مجزئة، فيه شيء من الحقيقة يبنون عليها شيء من الوهم، وهذه دوامة، دوامة حقيقة بهذه الكلمة.

انت الآن **لما تكون جاهل بشيء لا ترفضه إطلاقًا ولا تقبله إطلاقًا، لا بد أن تحرر، أو يشكر الله لك تركك للشبهة**، وانتهى الموضوع؛ " دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ"[١٥٥]، المسألة شائكة حقيقة.

نكمل.

الدليل الثالث

وله عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رضي الله عنه مرفوعًا:" مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً ، فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً ، فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ " . وفي رواية: "مِنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ".

على كل حال سيأتينا باب منفرد نتناقش فيه في التمائم، فالباب الذي بعده عبارة عن تكميل لهذا الباب وهو اسمه" **باب ما جاء في الرقي والتمائم** ".

سنقول باختصار:

" من تعلق معناه أنه يعلقها متعلقًا بها قلبه، " تَعَلَّقَ تَمِيمَةً" يعني يعلقها متعلقًا بها قلبه.

والتميمة مشتقة من التمام، أي أنها في زعمهم تتم بها المقاصد، وهي شيء يُتخذ من جلد أو ورق أو معدن يكون فيها أذكار أو أدعية وتعويذات تعلق على الصدور، أو تربط في الأيادي أو الأقدام، ومقصود أصحابها جلب المنفعة ودفع المضرّة، فهم يريدون تتميم أمر الخير، وتتميم أمر دفع الضرّ بسببٍ لم يؤذن به في الشرع."[١٥٦]

على كل حال تفاصيلها وأقسامها وأحكامها ستأتينا في الباب التالي.

الآن في الدليل النبي صلى الله عليه وسلم قال:"مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً ، فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ"

---

[١٥٥] الترمذي (٢٥١٦)، النسائي (٥٧١١)، وصححه الترمذي، وصحح إسناده الحاكم، وصححه الذهبي.

[١٥٦] تقرير الحديث.

"هذه الجملة أمَّا أن تكون إنشائية أو تكون خبرية:

- إذا كانت إنشائية ستكون بمعنى الدعاء عليه، يعني يدعو عليه أن لا يتم الله أمره.
- ويحتمل تكون خبرية محضة، بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم ينفي أن يتم الله له، وهذه معاملة له بعكس مقصوده؛ لماذا؟ لأن مقصوده التمام، والخبر يدل على أنه لا يتم له مقصوده." [١٥٧]

"يأتي الشق الثاني من الدليل: "وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً ، فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ "

ما هي الودعة؟ الودعة هي أحجار تؤخذ من البحر يعلقونها لدفع العين، ويزعمون أن الإنسان إذا علّق هذه الودعة لم تصبه العين، أي أنه يكون في دعة وسكون، يبقى في دعة وسكون.

دعة يعني راحة وسكون.

دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليه بماذا؟ "فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ " يعني لا تركه الله في دعة وسكون، يعني أنه يكون في قلق وألم، فعومل بنقيض مقصوده." [١٥٨]

ما علاقة هذا بباب لبس الحلقة والخيط؟ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يدلّ على أن هذا أمر محرم، يعني سواء كان الدعاء جملة إنشائية أو خبرية، كلاهما يدلّ على أنه أمر محرم.

الرواية الثانية تبيَّن المسألة بوضوح

وله عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رضي الله عنه مرفوعًا:" مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً ، فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً ، فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ " . وفي رواية: "مِنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ".

اتضح هنا بوضوح أنها شرك، لأن هذا ليس سببًا لا للتتميم ولا للدعة؛ اتخاذ ما ليس بسبب.

- الدليل الرابع

يأتي الدليل الأخير في هذا الباب.

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾[يُوسُفَ : ١٠٦].

هذا موقف حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مع رجل، ماذا فعل؟ ربط في عضده خيط يتقيّ به هذا المرض، ماذا فعل حذيفة رضي الله عنه؟ قطعه، منكرًا فعله هذا وتلا قوله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾؛

إذن استدل بهذه الآية على أن فعلهم شرك، بمعنى أن العبد يكون معه إيمان ويقع أيضًا في الشرك.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ أصلًا الآية في الشرك الأكبر:

- ومعنى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾: يعني ما يؤمن أكثرهم بالله من جهة ربوبيته، من جهة توحيد الربوبية.

---

[١٥٧] تقرير الحديث.

[١٥٨] تقرير الحديث.

﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ يعني ما يؤمن أكثرهم بالله من جهة الإلوهية.

مرة أخرى:

﴿ ﴾ يعني العبد يكون معه إيمان من جهة توحيد الربوبية لكن ماذا يقع منه؟ يقع في الشرك من جهة الإلوهية.

والأمر الذي أمامنا اتفقنا أنه شرك أصغر، لماذا؟ لبس حلقة أو خيط يعتقد أنها سبب، وهي ليست بسبب!، هو ما لبسها إلَّا ويعتقد أنها سبب، لكن لا يعتقد أنها بنفسها نافعة.

أنا أتكلم عن الحالة التي أمام حذيفة رضي الله عنه حتى نصل إلى فهم أن السلف يستدلون بأدلة الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.

هذا الدليل في الشرك الأكبر ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ يستدلون به على الشرك الصغر، **لأن الشرك الأكبر والأصغر يجتمعان في كونهما شرك، وأن صاحبهما لا بد أن يدخل النار صحيح أن الأكبر يخلد، والأصغر يخرج،** لكن في النهاية اسمه شرك، وسبب لعدم الفلاح سواء كليا أو جزئيًا؛ فعلى ذلك حكم على هذا الفعل أنه شرك، واستدل بالدليل الذي يأتي في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر؛

ولا بأس أن تتصوري من جهة أخرى أن هذا الدليل يدلّ على أن الإنسان قد يبدأ بالشرك الأصغر، وينتهي الأمر به إلى أن يصل إلى الشرك الأكبر.

⇦ **على كل حال هذا الشرك كون الإنسان يتخذ شيء ليس بسبب لا شرعًا ولا قدرًا يتخذه سببًا هذا وقع في الشرك الأصغر.**

⇦ **إذا اعتقد أنه بعينه ينفع أصبح شرك أكبر.**

هكذا انتهى الباب.

بدأ التطبيق الآن.

نطبق الآن على الخرزة الزرقاء لبس الخرزة الزرقاء أو العين الزرقاء كلها سواء ؛

كم حالة للابس هذه الخرزة؟ ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يعتقد أن هذه الخرزة بنفسها تنفع أو تدفع الضرّ ⇦ فهذا شرك أكبر.

الحالة الثانية : أن يعتقد أن هذه الخرزة سبب لجلب المنفعة ودفع الضرّ، وهي في الحقيقة ليست سببًا ⇦ هذا شرك أصغر.

الحالة الثالثة : أن يلبسها للزينة مع اشتهار كونها تلبس للاعتقاد، يعني أنه لبسها للزينة مع اشتهار أنها تلبس للاعتقاد، يعني مشهور ومعروف، يعني أنه ليس بغافل، بل يعرف أن هذه تلبس للاعتقاد، وهو ما لبسها للاعتقاد:

⇦ هذه حكمها مثل حكم منعك من الصلاة حال شروق الشمس وحال غروبها حتى لا تشابه عبدة الشمس

⇦ الآن هنا أيضًا لا تلبس هذه الخرزة من أجل أن لا تكون شبيهًا بمن اعتقد بها، ثم أنك مأمور أن تدفع عن نفسك الشبه، خاصة التي تتصل باعتقادك؛ ألم تسمع للنبي صلى الله عليه وسلم يقول : "إِنَّهَا صَفِيَّةُ "[١٥٩] فصار الأصل ماذا؟ الأصل أن تدفع عن نفسك شبهة خصوصًا لو كانت في الاعتقاد، فلا تستهن بهذه المسألة لا بد أن تدفع عن نفسك الشبهة.

⇦ تأتي أيضًا من جهة البراءة من الشرك وأهله، والبراءة من صور الشرك، والحرص على أن لا تظهر بمظهر الساكت، البارد، تجاه المظاهر التي تتصل بالشرك.

بقي الحكم عن الشهرة؛

يعني فيه أشياء تكون بالنسبة لي ليست مشتهرة، مثل في المملكة مسألة لبس الخيط الأسود، هذه المسألة متفاوت شهرتها بالنسبة للمملكة، خصوصًا أنها مترامية الأطراف، فمتفاوت الشهرة فيها، هناك ناس يعرفون وناس لا يعرفون، لكن عمومًا انت تختلط بمجتمع يمكن أن تجد فيه أحد يعرف؛

رأيتم الخيط الأسود هذا مشهور في بعض المناطق في المملكة أنه يلبس من أجل دفع العين والجن وأشياء معينة، الناس متفاوتون في شهرة هذا الأمر، يعني ليس كل الناس فاهمين، خصوصًا في المناطق المتطرفة مثل جدة مثلًا، تعتبر منطقة متطرفة يختلط فيها ناس كثيرون ببعض وثقافات مختلفة، فلا يوحد صبغة واحدة للثقافة، فمن ثمَّ تصبح شهرة هذه الأمر غير واضحة تمامًا؛ يعني ليس كل أحد يفهم أن هذه تلبس لمثل هذا؛

نأتي لموقف مثل هذا وأمر ليس مشهورا تمامًا ماذا أفعل؟ ما دام بلغك الخبر مباشرة اقلع، لا تقل المجتمع غير فاهم •لأ • مباشرة اقلع.

لأن مسألة التوحيد والشرك والاعتقاد ليست مسألة هينة، أبدًا ليست مسألة هينة!، تحتاج أن تُري الله من نفسك خيرا، يعني سدًا للذريعة.

نفس الخيط الأسود ظهرت منه أشكال وألوان الآن؛

نحن أول الكلام نتكلم عن الثقافية المحلية، المملكة وما بداخلها، الآن سنتكلم عن الثقافة العالمية، الآن يأتيك من الشرق والغرب ثقافات تحملها مجموعة ملبوسات سواءً في العنق أو سواءً في اليد، أو في القدم لا بد أن يكون وراءها اعتقادات؛

– المقصود هنا الأشياء التي وراءها اعتقادات فقط، لأن هذه الكلمة ستذهب بنا إلى مكان أخر، أصبح المقصود أشياء التي وراءها أعتقادات فقط–

انت الآن منذ أن تعلم مباشرة اقلع، لا تكن ممن يعاند، يعني يقال لك هذه ثقافة صينية، ولا تصدقني أنا، افتح موقع كذا وكذا واقرأ بنفسك، أهلها مترجمين لأنفسهم ومروجين لها، وهناك من يسمى بالمجموعات يسمونها [القروبات في نشر الثقافات]، متخصصين أن يترجموا هذه الثقافة لعدة لغات، فتدخل للموقع الصيني، تجد اللغة العربية؛

[١٥٩] عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ رضي الله عنها قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُعْتَكِفًا . فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا . فَحَدَّثْتُهُ ، ثُمَّ قُمْتُ لأَنْقَلِبَ ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي - وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - فَمَرَّ رَجُلانِ مِنْ الأَنْصَارِ ، فَلَمَّا رَأَيَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَسْرَعَا . فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : عَلَى رِسْلِكُمَا . إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ . فَقَالا : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ . وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا - أَوْ قَالَ شَيْئًا .صحيح البخاري

وانت الآن عندما تشتري جهازًا من الصين لا يكتبون لك بالعربي حتى تعرف كيف تشغله، لكن حتى ينشرون ثقافتهم يعملون لك في الموقع أيقونة تدخل إلى اللغة العربية لتفهم ثقافتهم، انظر كيف !!!، وحتى تتقبلها وتتشربها!.

لأنه يقول لك انت إذا لبست هذه تحتاج حتى تستفيد منها أن تكمل بكذا وكذا وكذا، ووقت الغروب تفعل كذا، ووقت الشروق تفعل كذا، فتجعل المراهق ضائع!، ليس عنده شيء يفعله!، ويحب كما يحب غالب المراهقين أن يبرز على أصحابه وأقرانه، وتخيل أنه يقع هذه الوقعة، تجده وقت الشروق يتجه شرقًا، ووقت الغروب يتجه غربًا، ويقف وقفة معينة بصورة معينة في مكان معين، وكل الناس يسيرون ويقولون : ماذا حصل له المسكين؟!! فقط هكذا؛ **يعني بدون أن نشعر أن وراء الحديث حديث، ووراء الموقف موقف؛**

مثل هذا الآن يوتر، أنك تجد أن الثقافات والاعتقادات يمكن أن تهز، فحتى نريح أنفسنا، لا بد أن مثل هذا يصب في عقولهم صبًا، صبا، من أجل أن يكون هناك حماية، ويصبح أي شيء من هذا لا يلخبط وجدانهم وتفكيرهم؛

تعرفون كيف أننا عندما كبرنا وصرنا نقول أشعر أن هناك شيء غير طبيعي، أليس كذلك؟ يعني غالب الذين تربوا على التوحيد ودرسوا في مدارس التوحيد، يكبرون وهم لا يعرفون أن يقولوا الدليل، ولا يعرفون أن يقولوا ما وجه الشبهة، لكن يعرفون أن يقولوا أننا نشعر أن هناك شيء غير صحيح، لنخرج فقط بهذه النتيجة لنخرج مع الشباب بهذه النتيجة، أن يخرجوا يقولوا أننا نشعر بأن هناك شيء غير صحيح.

لذلك تدريس التوحيد في المرحلة المتوسطة، على كل حال هذا المنهج بنفسه يُدرس في المرحلة المتوسطة، فتدريس التوحيد في المرحلة المتوسطة هذا منجاة لمن كان له عقل، منجاة، المفروض أن الأمهات يكونون أحرص ما يكونون على تدريس التوحيد.

أسأل الله أن يحيي في قلوبنا حب التوحيد، ويحييه في أبنائنا، ويجعلنا مرة أخرى نعود للعناية به، لأن العناية به هي سبب العز.

الله عز وجل يرزق أهل التوحيد أبواب الفتح في الدنيا ما لا يرزقه غيرهم فإذا تركوا توحيدهم سلط الله عليهم من لا يعرفه، إذا عصى الله من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه.

على كل حال اسأل الله عز وجل أن ينفعنا وينفعكم بما سمعتم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسر لنا هذا اللقاء واسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاءً مباركًا مرحوما.. اللهم آمين.

نراجع ما مضى؛ مر معنا في دراسة كتاب التوحيد المقدمة وهي خمسة أبواب، هذه الخمسة أبواب عبارة عن مقدمة بيَّن فيها الشيخ هذا التوحيد ما قيمته؟ هذا التوحيد من أجله خلق الله الخلق، وله الفضل العظيم، وهو سبب لكفارة الذنوب، بل من حققه دخل الجنة بغير حساب، وفقدان هذا التوحيد بالشرك سبب للهلاك، وكل من دعا إلى الله أول ما يدعو إليه يدعو إلى هذا التوحيد، فإذا كمل العبد نفسه بالوحيد أول لازم عليه بعد تكميل نفسه بالتوحيد أن يدعو إليه.

بعدما تبيَّن لنا فضل التوحيد أتى جوهر الكتاب الآن، يعني الخمسة أبواب الأولى عبارة عن مقدمة ثم أتى جوهر الكتاب، جوهر الكتاب أي باب؟ باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلَّا الله؛ ⇦ يعني بعدما تبيِّن لك أهمية التوحيد.

⇦ بعدما اشتاقت النفس لهذا التوحيد.

⇦ بعدما ظهر للإنسان قيمة التوحيد وأنه سبب للنجاة.

⇦ بعدما تبيَّن لك أن التوحيد هو الأساس الذي تُبنى عليه جميع الأعمال صحةً وفسادا.

⇦ بعد أن تبيَّن لك هذا كله ماذا الآن ينتظر؟ ينتظر أن نفهم هذا التوحيد؛

بماذا فُسر التوحيد وشهادة أن لا إله إلَّا الله؟ كما هو معلوم أن التوحيد هو معنى شهادة أن لا إله إلَّا الله.

وما معنى شهادة ان لا إله إلَّا الله؟ أنه لا معبود يستحق العبادة إلَّا الله.

وإذا كان لا معبود يستحق العبادة إلَّا الله، معناه ماذا أعتقد؟ أنه لا أحد أيا كان هذا الأحد حتى لو كان عبدًا صالحًا، نبيًا، وليًا، أي أحد، النتيجة واحدة، كلهم لا يستحقون العبادة من دون الله لا يستحقون العبادة.

هذه العبادة ما هي؟ يعني ما معنى أن تكون عابدًا؟ ما معنى أن تكون مؤلها لله وحده؟ معناه أن لا يقع في قلبك محبة أحد إلَّا الله، ولا تعظيم أحد إلَّا الله، فتبرأ من كل أحد غير الله، تكفر بكل أحد دون الله.

ما معنى تكفر؟ معنى كفرك بالطاغوت؟ يجب أن تفهم أولًا ما هو الطاغوت ، الطاغوت أشياء حولك محيطة بك، لكن ماذا حصل لها في قلبك؟ تجاوزت بها الحد، طغت محبةً أو تعظيما.

يعني طغيانها من واحد من طريقين:

- إمَّا تطغى من جهة التعلّق.
- وإمَّا تطغى من جهة التعظيم.

فتتعلق بها تعلّقًا طاغيًا، يعني هناك حد للمحبة مقبول، وحد للارتباط بالأشياء مقبول؛ يعني الآن شيخك مثلًا هناك حد مقبول للارتباط به، فلا تقل من أجل أن لا أتعلّق به أذهب وأتكلم عليه مثلًا على أن هذا نوع من أنواع البراءة! • لأ • هذا نوع من أنواع الجفاء، فانت لا تغلو لا في الارتباط ولا في البراءة، لا في هذا ولا في هذا، تحت الحد؛علاقتك بوالديك، علاقتك بأبناءك، كل هذا تحت الحد لا تتجاوز بهم الحد، هنا يأتي الإشكال؛

ما معنى أن لا تتجاوز بهم الحد؟ لا يصل من حد تعلقك بأبناءك أن تكون المحبة كلها لهم، وانشغال قلبك كله بهم، ولا تسأل عن نفسك كيف ستدخل قبرك، ولا كيف ستلقى ربك، كل القضية هم!، إذن لا تتجاوز بهم الحد في المحبة، في التعلّق، لا تتجاوز بهم الحد؛ **إنما أنا أبرأ أن أتجاوز الحد في التعلق بأحد من جهة، وأنا أبرأ أن أتجاوز الحد في تعظيم أحد لدرجة الطاعة المطلقة.**

يعني الآن عندما نتكلم عن منهج أهل السنة والجماعة في طاعة وليّ الأمر، نقول اسمع كما ورد في الحديث **وهذا ليس هوى،** إنما هذه النصوص التي يجب أن تقف عندها

– نسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن يتقرب بالوقوف عند سنة النبي صلى الله عليه وسلم–

فهذا وليّ الأمر يقال لك فيه مع اعتقادك " تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ"[١٦٠] إلى هنا مادام أن الطاعة لم تصل إلى حد المعصية، لكن إذا وصلت إلى حد المعصية ممنوع!، ممنوع أن تتجاوز به الحد فتطيعه طاعة مطلقة، وفي نفس الوقت لا تتجاوز حد الشريعة والسُّنة فتخرج عليه؛ **وأصعب شيء في التزام الشريعة التوازن؛ واعلم أن العبد يأتيه من البلاء على اعتقاداته ما ترفعه، أو تخفضه.**

فكل هذه الاعتقادات انت يأتيك عليها بلاء، وكل واحد منا بلاؤه مختلف، فتتجاوز بمن الحد؟ يعني كل واحد منا بلاؤه مختلف على حسب أول شيء نقطة ضعفه، يعني أولًا بمن سيقع تجاوز الحد؟ هناك ناس عندما أتكلم عن الأولاد يشعر أنه ليست عنده هذه المشاعر، الأولاد في حدهم الطبيعي، ومشاعره معهم طبيعية، وهناك أحد عندما أتكلم عن الأزواج من جهة التعلّق يشعر أنه حده الطبيعي، وهناك أحد عندما أتكلم عن الوالدين وهكذا، فكما أنك تتصور عن نفسك أنه هنا عندك انت الحد الطبيعي، هناك أحد غيرك عنده تعلقه بأولاده فوق الحد الطبيعي، وهناك آخر في والديه فوق الحد الطبيعي، وهناك آخر في أصحابه فوق الحد الطبيعي، وهناك أحد في ماله، وهناك أحد في زينته " تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ"؛

هذا دليل على ماذا؟ يعني كلنا الآن عندنا مشاعر تجاه المال متساوية؟ لا، ما دام ليست متساوية إذن البلاء فيها ليس متساوي، وإذن تجاوز الحد ليس متساوي، ليس كل العباد يتجاوزون الحد؛

- هناك أناس عند الحد.
- وهناك أناس أدنى منه.
- وهناك أناس أدنى منه بكثير.

وهناك أناس تجاوزوا الحد، بالدراهم، بالدنانير، بالخميصة، بالخميلة، بأولادهم، بمحابهم، بطاعة وليّ الأمر، بطاعة علمائهم، بطاعتهم لمشايخهم، الناس مختلفون؛ **في النهاية لا بد أن تفهم ما هو التوحيد، أن تكون انت واحد لواحد.**

واحد لواحد في ماذا؟ لا تعظم ولا تتعلّق بأي أحد تعظيمًا أو تعلقًا مطلقًا إلَّا بالله، كل أحد غير الله ابرأ من التعلق به التعلق المطلق، أو الطاعة المطلقة، بل اكفر به.

[١٦٠] صحيح مسلم» كتاب الإمارة» باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٨٤٧)

درنا في الأدلة الخمسة حول محور واحد، الأدلة الخمسة تدور حول محور واحد "**لا أحد غير الله يستحق التعلق والتعظيم ولو كان صالحًا لذلك أنا أبرأ من كل أحد غير الله**".

أبرأ منه في ماذا؟ أتى لك بدليلين:

- أتى لك بآية سورة البقرة، فيها آية المحبة ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾[١٦١] لتفهم أن براءتك ستكون في المحبة، أنا أبرأ من أن أتعلق بغير الله تعلقًا أتجاوز به الحد.
- وأتى حديث عدي بن حاتم الذي فيه مسألة الطاعة الذي فيه مسألة التعظيم، فكأنك تقولين وأنا أبرأ من أن أعظم أحد غير الله مطلق التعظيم، والذي يمثل التعظيم الطاعة.

ثم ينتهي الباب بما بدأ به؛ **أنا أقول لا إله إلَّا الله وأكفر بكل ما يُعبد من دون الله**، بكل ما يُتجاوز به الحد من دون الله، هذا هوجوهر التوحيد.

بقي أن نفهم كل أحد من دون الله من هو؟ أليس آخر دليل في تفسير التوحيد من قال لا إله إلَّا الله وكفر بما يُعبد من دون الله؟ هذا الذي يعبد من دون الله، كأنه تأتي عليه علامة استفهام، من هو؟ ما هي الأشياء التي تُعبد من دون الله وما صورة عبادتها؟ مشكلة الأمَّة كلها أنهم يتصورن أن صورة العبادة — عبادة غير الله – محصورة في الأصنام، وعلى ذلك لا يوجد أي تفتيش، ولا يوجد أي بحث؛ الحمد لله نحن لا نعبد الأصنام هذا التصور!

إذا كانت الأصنام لكان نُص عليه في كل حديث، لكن من يُعبد من دون الله إنما هي أشياء ممكن أن تكون في أصلها طبيعية، ثم ماذا يحصل؟ يُتجاوز بها الحد.

إذن كل الذي سيأتي بعد هذا الباب، قال الشيخ رحمة الله عليه:

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

إذن كل الذي سيأتي سيكون شرح لهذه الترجمة، يعني شرح لتفسير التوحيد لكن شرح بماذا؟ بالضدّ.

بدأ بأول الضدّ.

قال : **من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه.**

واتفقنا هنا على مجموعة مفاهيم، أولًا هذه كلمة "من الشرك" معناه من أي شرك؟ الأصغر أو الأكبر؟ على حسب اعتقاد صاحبه. من الشرك لبس الحلقة والخيط باعتقاد أنها تدفع أو ترفع، لبس الحلقة والخيط وحده دون اعتقاد ليس فيها شيء، وأخذك للأسباب التي تدفع أو ترفع بنفسها إذا كانت مشروعة لا بأس بها لكن اجتماع الجملتين تبيِّن لك أن هناك إشكال، ما هو الإشكال؟ أن تأتي لما ليس سببًا فتجعله سببًا، هنا قلنا أن هذا نوع من أنواع التشريك، أن تجعل ما ليس بسبب لا شرعًا ولا قدرًا سبب وكونك شاركت الله في التشريع.

ما دام شاركت الله في التشريع لماذا لا يصبح شركًا أكبرا؟ نقول : لا، **لما الأشخاص أخذوا هذه الأسباب كانوا معتقدين أن الله جعلها أسبابًا.**

---

[١٦١] البقرة:١٦٥

يعني الآن الذي يأخذ مثلًا الحلقة الممغنطة "إسوارة ابن سينا" يعتقد بها أنها تنفع، ولا يفتش ما وراءها، لا يفتش هذه مبنية على أي اعتقاد لا يفتش، فمباشرة يلبسها ويتعلق قلبه بها، فهي الآن تعتبر بالنسبة له سبب من أسباب تعلقه بغير الله، عندما يتعلق القلب بغير الله من هنا يبدأ الشرك؛

لكن لو كان سبب حقيقي وليس سببًا وهميا؟ مثل الدواء، ماذا يجب أن يكون في قلبك؟ أن تعتقد أن هذا سببٌ سببه الله برحمته، وأنه هو الذي ينفعك به.

تعال للحلقة، هل تستطيع أن تقول أن الحلقة سبب سببه الله برحمته؟ هذا الجزء غائب غير موجود، انت لا تعلم إن كان هذا الأمر سببه الله أو لم يسببه، لكن إذا وجدت له تأثيرًا عليك من أين لك هذا التأثير؟ أتى التأثير من الإنفعال النفسي، من الوهم، من الشيطان، لأن مثل هذا لم يُسبب، لم يجعله الله سببًا فكونك تتخذه سببًا ثم تجد نتيجة لا يوهمك وجود النتيجة!، لماذا لا يوهمك؟ لأن الله لم يجعله سببًا، فالنتائج هذه لا تأتي إلَّا من عند الشيطان، وسنرى الآن، سنرى في باب ما جاء في الرُّقى والتَّمائم.

إذن ناقشنا هذا الباب، وعرفنا أن الشرك ممكن أن يكون أكبر أو أصغر.

الآن يأتي الباب الذي بعده مكمل له، وهو:

باب ما جاء في الرُّقى والتَّمائم.

نبدأ أولًا بقراءة المتن.

باب ما جاء في الرقي والتَّمائم

في الصحيح، عن أَبي بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ قَالَ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا أَن لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : "إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ" [رواه أحمد وأبو داود].

"التَّمَائِمَ": شَيْءٌ يُعلّق عَلَى الْأَوْلَادِ مِنَ الْعَيْنِ، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخّص فِيهِ بعض السَلَف، وبعضهم لم يرخّص فِيهِ، ويجعله مِنَ المنهي عَنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

و"الرُّقَى": الرُّقَى هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمُ وَخَصَّ مِنْهُ الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ ، فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَّةِ.

"وَالتِّوَلَةَ": شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعًا : " مَنْ عَلَّقَ شَيْئًا وُكِّلَ إِلَيْهِ " رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ رُوَيْفِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا رُوَيْفِعُ ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ تَطُولُ بِكَ ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا أَو اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ " . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : "مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً عَنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ " .[رواه وكيع].

وله عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا ، مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ .

بسم الله

أولًا : **باب ما جاء في الرُّقى والتَّمائم.**

هذا الباب يعتبر بالنسبة إلى الباب الذي قبله مكمل، مكمل للباب الذي قبله، يعني الباب الذي قبله وصف لحالة، ما هي الحالة؟ أن تُلبس الحلقة والخيط بقصد رفع البلاء أو دفعه؛ هنا كلام عن عمومًا الرُّقى والتَّمائم، وسنفهم ما معنى الرُّقى والتَّمائم.

الآن هل صُرح الحكم على الرُّقى والتَّمائم؟ انظري لاسم الباب، قال : **باب ما جاء في الرُّقى والتَّمائم** هل صُرِّح بالحكم؟ أي هل قال من الشرك؟ لأ، قال: باب ما جاء في الرُّقى والتَّمائم، إشارة إلى أن الأمر فيه تفصيل؛ يعني سنجد من الرُّقى صورتين: صورة مقبولة شرعًا، وصورة غير مقبولة، وأيضًا سننظر إلى التَّمائم بنفس الصورة، يعني الأمر فيه تفصيل.

أمَّا الصورة التي ذكرت في الباب السابق – وهو لبس الحلق والخيط لدفع البلاء أو رفعه– مباشرة من الشرك، لكن الاختلاف هل هو شرك أكبر أو أصغر على حسب حال اللابس.

نبتدأ الآن في الدليل الأول.

- الدليل الأول

في الصحيح – يعني هذا الحديث متفق عليه، في البخاري ومسلم– عن أَبَي بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ قَالَ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا — وهذا الرسول هو زيد بن حارث رضي الله عنه، وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي في الناس، ماذا يقول؟ – أَن لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ.

" أَوْ " هنا قال بعض أهل العلم أنها "للشك"، وقال بعضهم أنها "للتنويع" يعني سواء كانت قلادة من وتر أو أي قلادة كلها لا تبقى، إنما تُقطع. أَن لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ.

مرة أخرى؛ انظري إلى النص:

"أَن لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ" ثم هناك جملتان بينهما" أَوْ " في الوسط:

- الأولى: "قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ". "أَوْ" - "قِلَادَةٌ"

" أَوْ " هذه قد يأتي لها معنيان:

- الأول: الشك من الراوي، يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ" أو قال: "قِلَادَةٌ"، يعني هل حدد نوع القلادة أو إطلاقًا قال قلادة، هذا قول للشراح.
- القول الثاني : أن "أو" ليست للشك، إنما للتنويع، يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ"، يعني إذا وجدتم قلادة من وتر أو وجدتم قلادة، كلا الحالتين تقطعونها.

على كل حال المقصد الآن أن القلادة تُقطع، وبالذات التي من وتر؛ السؤال لماذا؟!، لماذا هذه ستبيِّن لنا ما علاقة هذا الحديث بهذا الباب.

لماذا تقطع القلادة وبالذات التي من وتر؟ لأن أهل الجاهلية كانوا إذا اخلولق –أي بلي، أي أصبح الشيء قديمًا– وتر القوس أبدلوه بوترٍ جديد؛ وتر القوس هو الذي يرمون به نبالهم، إذا أصبح قديمًا أبدلوه بواحد جديد، – ماذا يفعلون بالقديم؟– وعلقوا الوتر

القديم على رقاب الدواب اعتقادًا منهم أن الوتر القديم استُعمل كثيرًا في نكاية العدو، وحماية الديار، فيتبركون به، ويعلقونه على رقاب دوابهم، ويدّعون أن له التأثير في الحماية والحراسة والحفظ – يعني يحفظهم- من العين والأضرار.

الآن العرب ماذا تعتقد في الأوتار التي تعلقها على دوابها؟ تعتقد أن لها تأثير، فهي تقول الآن أن هذا الوتر الذي استُعمل في نكاية العدو هو بنفسه يصبح له تأثير بنفسه، ماذا يفعلون به؟ يلبسونه دوابهم معتقدين أنه له تأثير، لماذا؟ لحماية الدواب من العين ومن الضرر ومن الجن إلى أخره؛ لذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطعه، لأن هذه القلائد لا ترد من أمر الله شيئا.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ -في التعليق على هذا الحديث-: إِذَا اعْتَقَدَ الَّذِي قَلَّدَهَا أَنَّهَا تَرُدُّ الْعَيْنَ فَقَدْ ظَنَّ أَنَّهَا تَرُدُّ الْقَدَرَ وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُهُ .

الآن لنناقش مسألة تعليق شيء على الحيوانات.

سيأخذ كم حكم؟ سيأخذ ثلاثة أحكام؛ نبدأ أولًا بالمثال، نبدأ أولًا بالمثال ثم نذكر الحكم.

- مثال: لو عُلّق زمام من الصوف على الفرس للقيادة: مباح، أي لم يقصد أبدًا التبرك، ولا أي شيء من هذا، ما قصد أن يدفع العين ولا غيره.
- مثال أخر: تقليد الهدي الذي يُهدى للبيت العتيق ليتميز عن غيره:

القلائد يعني تقليد الهدي الذي يهدى للبيت العتيق، يعلقون عليه علامة تميزه أن هذا هدي الذي يُذبح في الحج، "هدي للبيت العتيق" هذه اللام ليست للتمليك! لكن في المكان، هذا مصطلح فقهي يسمى **"الهدي للبيت العتيق"**؛

الحاج يُهدي، انت الآن عندما تحج ماذا تفعل؟ لما تكون متمع أو قارن ماذا تفعل؟ يسمى هدي، وهذا الهدي إذا كنت متمتعًا لا تسوقه، والذي يسوق الهدي من بلده يعني يأتي به من بلده – الآن لا تتخيلوا الواقع بل تخيلوا العالم الإسلامي عمومًا – هذا الهدي الذي يسوقه حتى لا يختلط مع ما يأكلون من مواشي فهم يأتون في رحلة طويلة، فمعهم هدي ومعهم ما سيأكلونه هم، فيقلدون أي يضعون علامة على الهدي حتى يُعرف أن هذا هدي للبيت العتيق.

- مثال أخر: تقليد الهدي الذي يُهدى للبيت العتيق ليتميز عن غيره: هو مباح، وهو أعلى من كلمة مباح، يعني أنه من شعائر الله، يعني مندوب إليه، المهم خرجنا بنتيجة أنه مباح وليس محرم.
- المثال الثالث: تعليق الوتر على الإبل من أجل العين: هذا محرم -كلمة محرم أي لا تفعل- لكن لما تأتي تسأل لماذا لا تفعل؟ لأنه شرك.

إذن عندنا واحد حكمه محرم، وآخر حكمه مندوب، وآخر حكمه مباح؛ ثلاثة أمثلة بثلاثة أحكام.

ما هو الذي حكمه محرم؟ تعليق الوتر على الإبل من أجل العين، هذا حكمه محرم، والعلّة لأنه شرك، الآن لن نتكلم شرك أكبر أو أصغر، المهم أنك تعتقد في غير الله أنه ينفعك أو يضرّك.

وتقليد الهدي الذي يُهدى للبيت فهذا مندوب إليه، والعلّة أنه من شعائر الله.

وتعليق الزمام على الفرس مباح، لماذا مباح؟ لأنه لا يصاحبه أي اعتقاد باطل، إنما هو مجرد انتفاع، شُرع الانتفاع به.

المثال	تعليق الزمام على الفرس	تقليد الهدي الذي يُهدى للبيت العتيق	تعليق الوتر على الإبل من أجل العين
حكمه	مباح.	مندوب إليه.	محرم.
سبب الحكم	لأنه لا يصاحبه أي أعتقاد باطل وشرع الانتفاع به.	لأنه من شعائر الله.	شرك لأنه يعتقد في غير الله أنه ينفعه أو يضرّه.

واعلم أن القلائد في عصرنا دخل فيها الترصيع بالعقيق – أي يضعونه ويلصقونها بها–، والمرجان، الألماس، والفيروز، وكل هذا إذا اعتُقد أنه بنفسه أو أنه سبب لجلب المنفعة، أو دفع المضرة أصبح شركًا على نوعيه.

كل هذه الأنواع إذا اعتقد صاحبها أنها بنفسها تجلب نفعًا أو تدفع ضرًّا، أو أنها سبب لجلب النفع أو دفع الضرّ أصبحت شرك على نوعيه:

- إذا كانت بنفسها أصبح أكبر.
- وإذا هي سبب أصبح أصغر.

ولهذا الآن تجد أن هناك كثير من العادات، والمشكلة كلها تأتي من عند العادات، فلا بد أن تنبش عاداتك، لا بد!، لا تسلم لها – وانتبهوا يا طلاب العلم– أكثر ما يشكل علينا أننا نمارس أشياء دخلت علينا بالعادة، ثم نأتي لنفس العذر الدائم ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ ثم أصبحنا ماذا؟ ﴿عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[١٦٢] فهو نفس العذر الدائم، وليس شيئًا جديدًا، انظري الآن، هذه المسألة تختلف فيها أرض الحجاز، عن نجد، عن المناطق الشرقية بالنسبة للملكة، جنوبها عن شمالها، كل جماعة لهم عادات تدخل فيها مسائل الشرك؛

مثلًا في المسائل التي تتصل بالنفاس، استعمال الألماس أو الذهب، يعني يأتون بهذه الحجارة الكريمة، ويضعونها تحت رأس النفساء، أو تلبسها، وكل على حسب مستواه، فهناك أناس على قدر حالهم يضعون ذهبًا، وهناك من يضع الألماس؛

ماذا يعتقدون فيها؟ يعتقدون أن هذه تمنع ما يسمونه بالـ[كبس]؛

ما هو الكبس؟ يعني أن المرأة النفساء، إذا دخلت عليها امرأة حائض، وعند بعضهم امرأة حامل، إذا ما كانت تلبس هذه القلادة، تمنعها من الحمل مرة أخرى! – هذا موجود!– موجود ومنتشر في العالم الإسلامي كله، وليس فقط في بيئة معينة؛ الوالدة النفساء هي التي تلبس، يعني ممنوع أن تدخل عليها نفساء أو حائض وعند بعضهم حامل، إلَّا إذا كانت النفساء تضع مثل هذا فتمنع عنها المنع، يعني أنها ستكون مانع لها من الحمل!؛ وعلى ذلك قس!، على ذلك قس مثل هذه البلاءات؛ وطبعًا أيضًا الطفل نفسه –في بعض الاعتقادات– يتأثر بمن يزور أمه لوكانت نفساء أو حامل أو مرضع لذلك لا بد أن يضعوا تحت الطفل أنواع معينة من الأحجار من أجل أن تمنع عنه إلى آخر ما تجد من كفران النعمة! يعني يهبك الله الأبناء فتجد صور من الشرك عجيبة، فيها كفر للنعمة.

---

[١٦٢] الزخرف:٢٣

على ذلك الآن ما هو المطلوب؟ المطلوب لا نريد ثورة مرة واحدة ضدّ ما يختزل من عادات، ولا تقليد أعمى، لا بد من شيء من التفتيش، يجب أن نفتش، لأن تجد في بيوت معينة مثلًا يقال لك نحن وقت المغرب نبخر، أو وقت المغرب لا نكنس بيوتنا!، لابد أن تفهم من أين يأتي مثل هذا الكلام، هل له دليل أم لا؟!، فتش عاداتك، المسألة تحتاج إلى تفتيش ومثله كثير لا مجال للأمثلة وسيأتينا الكلام عن التمائم التي من القرآن.

على كل حال المهم أن تفهموا أن هذه القلائد تحولت من مجرد وتر إلى أن يُلبس فيها أشياء فتصبح هذه القلادة التي عندهم متوارثة، يعني كل ما جاءتهم نفساء، ينقلونها من واحدة إلى واحدة، على أنها تلبسها وتكون رادة لكذا وكذا، وهذا غير أمثالها الطويلة من اعتقادات أن غير الله ينفع ويضرّ ويدفع العين، وكلها ليست مشروعة وليس لها أثر إنما آثار وهمية، يوهمهم الشيطان.

إن شاء الله في نهاية المبحث نتكلم عن إيهام الشيطان، أنْ كيف مثل هذه الأشياء تثبت في النفوس من تلاعب الشيطان بالناس، يعني يأتي يقول لك نحن جربناها وحصل لنا كذا وكذا، هذه المصيبة الكبرى، أن تكون صاحب اعتقاد مهتز فيأتي الشيطان يثبت لك الاعتقاد المخالف.

❖ الدليل الثاني.

ننتقل الآن لحديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمائم وَالتَّولة شِرْكٌ " [رواه أحمد وأبو داود].

انتم في كتبكم هنا أتى كلام للشيخ التَّمائم شيء يُعلق؟ نعم، هو هذا الصحيح في الترتيب، فهناك كتب ثانية قدمت حديث عبد الله بن عكيل، لأ، الصحيح أنه بعد حديث ابن مسعود يأتي تعريف التَّمائم، والرُّقى، والتَّولة، نسخ مختلفة.

إذن : حديث ابن مسعود وبعدها تعريف التَّمائم، والتَّولة، والرُّقى.

أولًا أول شيء يخطر على البال هنا أن نتصور مسألة عدم التعارض:

⇦ فهنا الحديث ماذا يقول لك؟ " إِنَّ الرُّقى وَالتَّمائم وَالتَّولة شِرْكٌ"

⇦ ويأتي الحديث الثاني الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيه : "لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ"[١٦٣] هذا الحديث في صحيح مسلم.

فالحديث الذي في الباب – حديث ابن مسعود – "إِنَّ الرُّقى وَالتَّمائم وَالتَّولة شِرْكٌ" فكأن الرُّقى هذه هي كل الرُّقى، ويأتي الحديث الثاني للنبي صلى الله عليه وسلم يقول : "لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ" فأول شيء تصور عدم التعارض فكأننا نضع الآن قاعدة:

[١٦٣] صحيح مسلم» كتاب السلام» باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك (٢٢٠٠)

كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يناقض بعضه بعضا، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الباب "إِنَّ الرُّقى وَالتَّمائم وَالتَّولة شِرْكٌ" ، وقوله "لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ" وهذا الحديث الثاني في صحيح مسلم، والجمع بين هذين الحديثين يكون باعتقاد أن الرُّقى تنقسم إلى قسمين:

- ما كان خاليًا من الشرك.
- ما لم يخلو من الشرك.

إذن أولًا انت حتى تجمع بين الحديثين تفهم أنه لا تعارض بين الحديثين، وأن الحديثين يدلان على أن الرُّقى نفسها تنقسم إلى قسمين: ما كان خاليًا من الشرك وما لم يخل من الشرك.

نرى ما صورة الذي يخلو من الشرك، وما صورة الذي لا يخلو من الشرك.

قد أجمع العلماء على جواز الرقية إذا اجتمعت فيها ثلاثة شروط:

- الشرط الأول: أن تكون بكلام الله، أو بأسمائه وصفاته، أو بما أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم في السُّنة الصحيحة.
- الشرط الثاني: أن تكون باللسان العربي، وما يُعرف معناه اللسان العربي للعرب، وما يعرف معناه لغيرهم، أي لغيرهم أن يكون كلام يُفهم.
- الشرط الثالث: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بنفسها، بل بتقدير الله.

هذه الشروط الثلاثة التي بها تصبح الرقية جائزة، خالية من الشرك.

وماذا لو لم تكن من هذا كله؟ تكون باللسان العربي، أو ما يعرف معناه، باللسان العربي يعني أن أحد يضع يده على آخر مكان الألم، أويقرأ على أحد فيدعو له بالشفاء، وبنزول البركة، لأن الرقية ما هي؟ دعاء، الرقية دعاء كما أن تقول "اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبْ الْبَاسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي"[١٦٤]، كل هذا دعاء؛

قراءتك للفاتحة دعاء، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١٦٥]،كلها دعاء لذلك في آخرها تقول آمين.

إذن الرقية دعاء، فإمَّا يكون بكلام الله أو بأسمائه أو بصفاته أو بكلام النبي صلى الله عليه وسلم من السُّنة الصحيحة، أو يكون بكلام بلسان عربي، وبكلام يفهم معناه، والأمر الثالث أن لا تعتقد أنها بنفسها مؤثرة، إنما هي بتقدير الله، إنما هي سبب، فقد تكون هناك عوارض تمنع من الانتفاع بهذا السبب؛

الآن ما لم يخل من الشرك، يعني الذي فيه شرك هناك أيضًا وصف له:

- الأول: أن تكون الرقية فيها استعانة بغير الله، كيف؟ من دعاء غير الله، والاستعاذة به كالرقية بأسماء الجن، أو بأسماء الملائكة، والأنبياء والصالحين.
- الثاني: أن تكون طلاسم، أو أسماء لا يعرف معناها، أو ألفاظ من القرآن فرِّق بينها بألفاظ لا يُعرف معناها؛ يعني أنهم يضعون آية الكرسي، ويضعون بين كلمات آية الكرسي كلمات لا يُعرف معناها، فانت تسمعه يتمتم بكلام الله، وهو يخفي كلمة في الوسط، هذا أكثر ما تجده مكتوبًا، أي يُكتشف بالكتابة، ومثله في حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[١٦٤] صحيح البخاري» كتاب الطب» باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم (٥٤١١)

[١٦٥] الفاتحة:٥

- الثالث: أن يعتقد أن الرؤية تؤثر بنفسها، فتصبح رقية لم تخل من الشرك، يعني ألفاظها صحيحة، ومن القرآن وكل شيء، لكن صاحبها يعتقد أنها بنفسها تؤثر، هذه لم تخل من الشرك.

إذن لا تعتقد أنها بنفسها مؤثرة، عندما يقول الله عز وجل: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١٦٦] لا بد أن تعتقد أولًا أن هذا قيد للمؤمنين، فكونك تعتقد أن هذا القرآن عندما انت تقرأه سيشفيك بنفسه، تكون واهم، واهم وهمًا خاطئًا معناه أن الله عز وجل نزل عليك شيء تستغني به عنه!، يعني أعطاك شيء تستغني به عن الله!، الله عز وجل أعطاك الرقية حتى تتعلق به أثناء القراءة؛

انظري الرقية في المرض عبارة عن تركيبة ثلاثية :

- نفس طيبة، طيبة يعني مؤمنة، ومتعلقة بالله، راجية رضاه، ترجو الخير منه .
- مع كلامٍ طيب، وهو القرآن، الدعاء.
- نفس طيبة مع كلام طيب يخرج نفسًا طيبا، هذا النَّفَس الطيب تنفث به وتمسح.

إذن هو ثلاثي: نفس طيبة، وكلام طيب، ونفَس طيب؛ وهذا النَّفَس الطيب هو الذي تنفث به تمسح، والنفس الطيبة هي المؤمنة المتعلقة بالله، التي ترجو منه الخير لكن نفس تميل إلى نفس الرقية أصبحت ليست طيبة!، لأنها تعلقت بغير الله.

لو أكلمك بالعكس الآن ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾[١٦٧] ماذا ستقولين؟ نفس خبيثة، كافرة بالله.

فلو أردت وصف السحر ماذا ستقولين؟ الساحر نفسه خبيثة، فيها كفر، واستعانة بغير الله، واعتقاد أن غير الله ينفع ويضرّ، ثم كلام خبيث يخرج نفس خبيث، فينفث بهذا النفس الخبيث ويعقد؛

فانت يجب أن تأتي بالثلاثي كله حتى تنفعك الرقية من الثلاثي هذا نفس طيبة، نفس معتقدة في الله عز وجل، لما تقرأ آيات الفاتحة مثلا تشعر بمعنى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وحدك أستعين بك، انت وحدك الذي تهديني إلى الصراط المستقيم، فكيف تأخذ الآيات معتقدًا أن الآيات تنفعك من دون الله؟ كيف؟ !، هذه المسألة فيها لبس عظيم، عند الناس المستقيمين، عند المستقيمين فيها لبس؛

انت الآن تتعلق بها من دون الله؟!، وتعتقد أنها تنفعك بعينها؟!، أم أن نفسك الراجية لله تسأل الله أن ينفعك بهذا الكلام؟!؛ لا تجعل بينك وبين الله أحد، **إذا مدّ الله لك حبلًا من السبب لتصل إلى مرادك لا تجعل السبب حاجب بينك وبين الله عز وجل**، هذه مسألة شائكة، فانت ردها على نفسك دائمًا، الأسباب التي اعطانا الله إياها سواء كانت شرعية أو كانت كونية، كلها ليست حاجب بينك وبين الله إنما تأخذ كل الأسباب الشرعية والكونية، وقلبك باقيًا معلقًا بالله أن ينفعك بهذا السبب.

القرآن كلام الله صحيح، الذي يقرأه لا بد أن يعتقد نفس الكلام تقرئين الفاتحة سبع مرات، ماذا تشعرين وانت تقرئين الفاتحة؟ أنك انت يا رب وحدك الذي تعينني، إن كان عندك هذا الشعور خير وبركة، معناه ما أخذت الرقية حاجز بينك وبين الله.

---

[١٦٦] الإسراء:٩٢

[١٦٧] الفلق:٤

عندما تقول " اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ" يعني أنا أعتقد يا رب أنك انت الذي تربيهم برحمتك، وأعلم أنك الذي تذهب الباس، أنا أعتقد هذا لذلك توجهت إليك وسألتك، لا تقل كلام لا تفهمه ويصبح هو هذا الكلام كأن بينك وبينه حاجز، بل لا بد من اعتقاده وإلَّا كيف سينفعك؟!.

نحن طوال الوقت نريد أن نسكِّن أنفسنا أننا لسنا بحاجة إلى قلوبنا، وهذه المسألة كأنها السم الساري، طوال الوقت عندما نقول سبح واجمع قلبك، مباشرة يأتي السؤال : لو سبحت وقلبي غير موجود لا انتفع؟ لماذا تفكر بهذه الطريقة؟!، فكر بالطريقة الإيجابية – على ما يعبرون عنها بالطريقة الإيجابية– انت سبح وقلبك موجود، لماذا تفترض أن قلبك غير موجود؟!.

انت الآن لو جئت تكلم أحد وقلت له أريد أن أقول لك شيء مهم، وهذا الأمر المهم وراءه كنز، وقصر وراءه أن تأخذ مال كمقدار البحر، عندما يأتي أجعله يحول عينيه عنك، تقول له تستحق ما يأتيك، اذهب لن أقول لك شيء ونحن نتكلم عن كلام البشر!، ونحن نعلم يقينا أن الله غفور رحيم ومن رحمته التي وسعت كل شيء وهو الغفور الشكور، حتى في حال تقصيرك في الذكر يعطيك، لكنك تعلم أيضًا أنه سبحان وتعالى يعامل عباده بالعدل، لا يمكن أن يكون عبد جمع قلبه وبذل جهده في أن يقف بين يدي الله مثل واحد يقول التسبيح رغمًا عنه، وغير جامع ولا حتى ثانية في قلبه، هل يستويان؟! لأ، لا يستويان، صحيح أن الآخر يأخذ أجر لا ننكر، لكن هل مثل أجر الأول؟!؛

والله أعلم إذا كان يأخذ أجر أم قلبه فيه من النفاق ما يجعل مثل هذا – غياب العقل وقت الذكر – علامة على النفاق؛ لماذا؟ أليس في وصف المنافقين في سورة النساء أنهم ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[١٦٨] هذه الآية صريحة وواضحة، لماذا تغيب عقلك؟!، لماذا لا تواجه نفسك أنه وقت الذكر لا بد من جمع القلب، **وهذا كله لا يعني أنك لا تؤجر إذا ذكرت ولم تجمع قلبك** لكن لماذا تبدأني بهذا السؤال؟!، لماذا لا تطلب لنفسك الكمال؟!؛

يعني قول "سبحان الله وبحمده"، مهما كانت قوة تركيزك كم سيأخذ؟ كم سيأخذ من وقتك؟ عشر دقائق؟ عشرون دقيقة؟ الأجر المرتب يستحق أكثر من ذلك من الجهد!، لكن دائمًا نريد أن نسكِّن أنفسنا أن قلوبنا ليست مطلوبة، قلوبنا ليست مطلوبة، هيا لنسير لا بأس نسير كما نحن!، لا تسكِّن نفسك بهذه الطريقة!، ثم تجد نفسك ما به؟ كما وصف الله في سورة المنافقون، التي بدأت بذكر المنافقين وانتهت بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[١٦٩]؛

لماذا تبدأ بوصف المنافقين، وتنتهي بتحذير المؤمنين من أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله؟ **لأن هذا سبيل النفاق**، فانت تصل إلى النفاق بأي طريق؟ عندما تلهك أموالك وأولادك عن ذكر الله، هذا هو الطريق!، فلا تستلموا لتغيب القلب، لا تستسلموا!

ثم انتم من الخواص، كونكم ترغبون الآخرة تعتبرون من الخواص!، إذا كان الخواص لا يريدون أن يبذلوا قلوبهم من هذا الذي سيبذل قلبه ويجمعه على الله؟!، من هذا الذي سيكون؟!، يجب أن نفهم أن الله عندما ينزل على الناس عذاب، على أهل الإيمان عذاب، يبدأ بخواصهم، لأن خواصهم علموا عن الله ما لم يعلمه غيرهم!، من أجل ذلك لا بد أن يجتهد خواصهم في جمع قلوبهم.

---

[١٦٨] النساء:١٤٢

[١٦٩] المنافقون:٩

نحن فقط نسأل الله أن يغفر لنا ما هو موجود في قلوبنا من عدم حتى بذل الجهد، لا نريد أن نواجه أنفسنا بأن قلوبنا لا بد أن تكون موجودة!، لا تغيب قلبك سواء وانت تقرأ أذكار الصباح، أو أذكار المساء، أو تقرأ للاستشفاء، وانت وكلك ألم، أو ولدك كله ألم، عندما تقول "اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبْ الْبَاسَ " ماذا في قلبك؟ أنه لا أحد يملك الشفاء إلَّا انت يا رب، أنا سأترك الفزع إلى الطبيب، والفزع إلى غيرك، وسأبقى عند بابك، هذا هو التوحيد، ثم يأتي الكلام الذي تطلب به ربك لكن في الأصل قلبك طالب الرب؛

لذلك يأتي ناس أعاجم لا يعرفون من كلام العرب شيء، ولا يحفظون هذه النصوص قلوبهم فازعة إلى الله تتكلم بكلامهم الذي ليس فيه شرك يعطيهم الله عز وجل!، فكل القضية قلبك، لو فزع إلى الله وقت الأزمة وعلى ذلك قس كل شيء في غياب القلب، أو في حضوره.

اتفقنا ما هي الرُّقى؛

و"الرُّقَى ": الرُّقَى هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمُ

لماذا تسمى الرُّقى عزائم؟ لأن الذي يقرأ يعزم قلبه كله على ما يقرأ من أجل أن ينتفع بما يقرأ، يعزم ويجزم، فعل العزم والجزم يعني قلبه مجموع على ما يقرأ لذلك تسمى العزائم، يعني صاحبها لا يقرأ بأي نفسية، ليس بأي نفسية يقرأ، الرُّقى تسمى عزائم لأن صاحبها كأنه يعزم على الداء إلَّا ويخرج، فيستعين بكل ما يملك من قوة بالرب سبحانه وتعالى من أجل أن يعينه الرب سبحانه وتعالى فيخرج ما به من مرض.

-آمنا بالله- نفس استعمال الرقية والتعلق بالله أثناء الرقية باب من أبواب الأجر، أنك تعتقد أنك تلجأ إلى ربك وتدعوه، وتكون النتيجة فقط أن يعطيك؟ قبل انتظار الفرج، حتى لو أعطاك، انت مأجور أصلًا أنك تركت كل باب غيره ولجأت إليه، هذا في حد ذاته أجر، كونك يخطر على بالك الرقية الشرعية فتستغني عن غيرها، هذا في حد ذاته باب من أبواب الأجر؛ وهذا لا يعني ترك الأسباب، خذ ما أردت من الأسباب الكونية وقلبك معلق بالله، خذ من السبب الشرعي، خذ من السبب الكوني، لا بأس، لكن الأخذ بالسبب الكوني ليس مساوي للأخذ بالسبب الشرعي، السبب الشرعي أعلى في درجة الإيمان لكن المهم أين قلبك في كل الأحوال.

و"الرُّقَى ": الرُّقَى هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمُ وَخَصَّ مِنْهُ الدَّلِيلُ -يعني يقصد حديث مسلم- مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ ،-ما معنى خلا من الشرك؟ الذي اتفقنا عليه بشروطه- فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَّةِ.

يعني ورد في الحديث أنه لا رقية إلَّا من عين أو حمة، مر معنا سابقًا يعني لا رقية أنفع من الرقية في العين والحمَّة.

إذن لا تعارض بين وصف الرُّقى أنها شرك، وبين ما ورد معنا سابقًا أن الرخصة بالرُّقى، سواء في حديث مسلم الذي ذكرناه هنا، أو في الحديث الذي ورد معنا أنه لا رقية من عين أوحمة.

نعود مرة أخرى للتمائم؛

الحديث يقول : ما هي التَّمائم؟ نقرأ كلام الشيخ في المتن أولًا ثم نشرحها.

"التَّمَائِمَ": شَيْءٌ يُعلّق عَلَى الْأَوْلَادِ مَنِ الْعَيْنِ، -أو يتقون به العين- لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخَّصَ فِيهِ بعض السَلَف، وبعضهم لم يرخَّص فِيهِ، ويجعله مِنَ المنهي عَنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

سنرى الآن ما هي التَّمائم وما أقسامها.

أولًا ما هي التَّمائم؟ التَّمائم جمع تميمة، وهي اسم لكل ما يُعلَّق أو يُتخذ مما يراد منه تتميم أمر الخير، أو دفع الضرر عن العبد.

ثانيًا التَّمائم نوعان:

- ما كان من غير القرآن.
- ما كان من القرآن.

التَّمائم أصلًا نوعان فيه شيء يعلّق يكون فيه آيات، وهناك شيء يعلّق ليس من القرآن.

نناقش أولًا ما كان من القرآن.

وصفها أنها تُكتب آيات من القرآن كآية الكرسي، أو أسماء الله وصفاته، ويعلقها للاستشفاء بها، هذه أصبحت تميمة.

ما حكمها؟ اختلف العلماء في حكم تعليقها على قولين:

- القول الأول: جواز ذلك، وهذا قول عبد الله بن عمروبن العاص، وهو ظاهر ما روي عن عائشة رضي الله عنها، ودليلهم قوله تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هوشفاء﴾؛ وأمَّا الحديث –الذي أمامكم أن التَّمائم شرك– فحملوه على التَّمائم التي فيها شرك.
- القول الثاني: لا يجوز، وهو قول عبد الله بن مسعود، وابن عباس، وظاهر قول حذيفة رضي الله عنهم وعقبة بن عامر، وابن عكين، وطائفة كبيرة من التابعين، وحجتهم في ذلك:

أولًا : عموم النهي، ولا مخصص للعموم.

–وفي الهامش نناقش هذه الجملة بعد ما نكتب الأربع الأسباب؛ نكمل الوجوه الأربعة التي استدل بها ابن عباس وابن مسعود على عدم جواز تعليق التَّمائم–.

- الأول: عموم النهي، ولا مخصص للعموم.
- الثاني: سدًا للذريعة، فإنه يُفضي إلى تعليق ما ليس كذلك – يعني ليس من القرآن– إذا سمح له أن يلبس تميمة سينفتح له الباب.
- الثالث: أنه إذا علق، فلا بد أن يمتهنها – يعني يقع الامتهان– في حال قضاء الحاجة، والاستنجاء.
- الرابع: ما يُتصور من وقوع التعلّق بها، وترك السُّنة باستعمال القرآن في الرقية؛ يعني الآن هو ماذا سيفعل؟ سيلبس تميمة من القرآن، فسيتكل عليها ويحصل في قلبه تعلّق، وأيضًا سيترك الطريقة الشرعية وهي القراءة.

حكم التَّمائم التي من القرآن		
الحكم	القول الأول : يجوز	القول الثاني: لا يجوز
هذا قول:	عبد الله بن عمروبن العاص	وهو قول عبد الله بن مسعود، وابن عباس.
ظاهر قول:	وهو ظاهر ما روي عن عائشة رضي الله عنها،	وظاهر قول حذيفة رضي الله عنهم وعقبة بن عامر، وابن عكين، وطائفة كبيرة من التابعين.
الدليل:	ودليلهم قوله تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هوشفاء﴾؛ وأمَّا الحديث –الذي أمامكم أن التَّمائم شرك– فحملوه على التَّمائم التي فيها شرك.	- الأول: عموم النهي، ولا مخصص للعموم. - الثاني: سدًا للذريعة، فإنه يُفضي إلى تعليق ما ليس كذلك – يعني ليس من القرآن– إذا سمح له أن يلبس تميمة سينفتح له الباب. - الثالث: أنه إذا علق، فلا بد أن يمتهنها – يعني يقع الامتهان– في حال قضاء الحاجة، والاستنجاء. - الرابع: ما يُتصور من وقوع التعلّق بها، وترك السُّنة باستعمال القرآن في الرقية؛

الآن نناقش في الهامش: **ما معنى عموم النهي ولا مخصص للعموم.**

اسمعوا جيدًا لأن هذه المسألة تتصل بالقواعد الأصولية لكن من المهم أن تفهمومها، حتى لا يتصور أحد أننا فقط مائلين إلى التشدد والمنع فقط، يجب أن تفهموا على أساس القواعد الأصولية؛

لنقارن بين الرُّقى والتَّمائم

لماذا أتينا عند الرُّقى وقلنا لا بأس، الرُّقى الشركية هي المقصودة بالحديث وليست الرُّقى الشرعية؟ لماذا قسمنا الرُّقى ولماذا التَّمائم لا تكون بنفس الطريقة؟!

الآن النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: "إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ" [ال] في كلمة الرُّقى، قد يكون لها أحد معنيين:

- إمَّا للاستغراق، أي كل ما يسمى رقية داخل في هذه الكلمة.
- أو تكون [ال] للعهد، يعني لما عُهد من رقية، الرقية التي كانت موجودة وقت الكلام.

الآن في اللقاء عندما أسألكم هل أتيتم بالكتاب؟ [ال] هنا ماذا تعتبر؟ للعهد، هل للاستغراق كل الكتب؟ لأ؛

هي [ال] التعريف لكن:

- قد تكون للاستغراق يعني جميع الكتب.
- أو للعهد الذي نحن آتين من أجله وهو كتاب التوحيد، يعني هذا ما عُهد في ذهنك.

إذن الألف واللام قد تكون للاستغراق يعني جميع أنواع الرُّقى، وقد تكون ألف لام للعهد يعني الرقية التي كانت معروفة في تلك الأثناء؛

نفس هذا المفهوم اذهبي في التَّمائم نقوله:

[ال] في كلمة التَّمائم: ماذا ستكون؟

- إمَّا تكون للاستغراق، وماذا يعني هذا؟ كلمة الاستغراق ضعي بدل عنها [جميع، كل] يعني جميع التَّمائم.
- وممكن أن تكون [ال] للعهد، ماذا يعني هذا؟ لما كان معهودًا في ذاك الزمان من تمائم.

الآن أصبح السؤال [ال] ماذا تكون؟ للعهد أم للاستغراق؟

هذه مناقشة يجب أن نسير خطوة خطوة، قولوا ما الأثر؟ ماذا يحصل لو كانت للاستغراق؟ وماذا يحصل لو كانت للعهد؟

- لو كانت [ال] للاستغراق، انظري الرُّقى ماذا ستحصل؟ بدل كلمة استغراق ضعي كلمة [كل]، جميع الرُّقى ما بها؟ شرك؛ لو كان [ال] للاستغراق، ستكون الجملة جميع الرُّقى شرك.
- ولو كان [ال] في الرُّقى للعهد سنقول: الرُّقى التي كانت معهودة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم – في ذاك الزمان يعني في الجاهلية قبل النبي صلى الله عليه وسلم– هي التي يُحكم عليها أنها شرك.

⇦ إذن لو كانت للاستغراق ستصبح جميع الرُّقى شرك.

⇦ ولو كانت للعهد أصبح جزء منها شرك.

نختار أي واحد منهما؟ وعلى أي أساس سنختار؟ **سنختار للعهد**

لماذا؟ أهم شيء [لماذا؟] لأن هناك حديث آخر يقول لك:

"لا رُقْيَةَ إلا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَّةٍ ".

"لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ".

فأتى دليل آخر يقول لك : ليس كل الرُّقى، إنما هناك رقى لا تدخل في الشرك، تخرج من هذه؛ فلا يصلح أن تكون [ال] للاستغراق، أي كل الرُّقى، لكن فقط الرُّقى الشركية فأصبحت [ال] للعهد، يعني جزء من الرُّقى تصبح شرك، إذن اسمها الرُّقى الشركية، وهناك رقى أخرى ليست شرك.

إذن الرُّقى انقسمت إلى قسمين : شركية، وغير شركية؛ بدليل أن هناك حديث آخر دلَّ على ذلك.

تعال إلى التمائم بنفس المفهوم: [ال] ماذا تكون؟ لو قلنا كل التَّمائم، أي [ال] للاستغراق، أو[ال] للعهد، يعني التي كانت معهودة في الجاهلية، على أي أساس سأختار؟ سأبحث، هل هناك دليل أتى إلى التَّمائم وأخرجها؟ مثل ما أن هناك دليل أتى إلى الرُّقى وجعل هناك رقى غير شركية؟ لأ، لم يأتينا دليل، ما أتانا ولا دليل يدلَّ على أن التَّمائم فيها جزء غير شركي، وليس مثل الرُّقى فأصبح معنى ذلك أنني لا بد أن آخذ [ال] للاستغراق! **فأصبح معنى ذلك الحديث أن كل التَّمائم شرك، سواء كانت من القرآن أو من غيره.**

إذن ماذا ستقولين؟ سنقول: أن النبي صلى الله عليه وسلم رُقي، ورَقى غيره، فلو كان تعليق تمائم القرآن جائزا لفعله أو أقره على الأقل، لنقل عنه أنه فعله أو أقره لكن انت تعلم أنه لم يفعله، ولم يُقره فأخذوا بعموم الدليل، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ فقالوا، ما فيه شفاء أي الشفاء إطلاقًا، فأصبح هناك نزاع من هذه الجهة، أنه جائز أو لا يجوز، بالتصريح عبد الله بن عمرو بن العاص هو الذي صرح، أمَّا كلام عائشة فظاهره يدلَّ على ذلك، لكنها ما صرحت تصريحًا؛

النتيجة الآن، الخلاف ما سببه؟ سببه أن [ال] للاستغراق أمَّا للعهد، هذا السبب.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: هذا دليلهم العام، بلى يفهم منه أنه شفاء فيؤخذ منه أي صورة من الشفاء، أي صورة للشفاء، هكذا فهموا هذا الأمر، المهم نحن لا نتقدم بين يديهم الآن، هذا الفهم الذي فهموه وقبلوه، ويعارض فهمًا آخر أقوى، فيصبح أيّ القولين أصح؟ هل يجوز التعليق أو لا يجوز؟ الجواب : لا يجوز بعد كل هذه المناقشة؛

لأن كل الخلاف بدأ من عند [ال] هل هي للاستغراق أم للعهد؟

⇦ **الذي جعل الرُّقى [ال] فيها للعهد إتيان حديث آخر، لها دليل آخر.**

⇦ **لكن التَّمائم لا يوجد لها دليل فأصبحت التَّمائم على [ال] الاستغراق.**

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: إن كانت للزينة، فسنعود إلى أول الكلام، أن مثل هذا الذي يأتي في حكم التحريم بالاعتقاد من باب سد الذريعة تركه، يعني أي شيء تدور حوله شبهة، اتركه سدًا للذريعة.

وسد الذرائع لا تناقش فيها كل الناس، هذه انت التزمها، والناس إذا سألوك جاوبهم.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: ابحثي عن حكم هذا في مجموع الفتاوى للجنة الدائمة، وهناك كلام للشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في مجموع فتاواه عن كتابة القرآن بالزعفران ووضعه في الماء، الذي يريد هذا المفهوم ويريد أن يفهمه يذهب لمجموع الفتاوى ويقرأ كلام أهل العلم فيه.

السؤال يقول التمائم التي من القرآن أختلف فيها هل هي جائزة أو غير جائزة؟

⇦ الذي قال أنها جائزة اعتبر أن [ال] في كلمة [التَّمائم] للعهد، يعني فقط ما كان شركيًا في زمن الجاهلية، أمَّا بعدها فيجوز الكتابة من القرآن وتعليقها؛ هذا القول مرجوح.

⇦ القول الراجح أن التَّمائم كلها شرك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأتي عنه أنه فعل لبس التميمة من القرآن أو أقرها، مع أنه رَقى، ورُقي، فهذا هو الفارق بين الرقية والتَّمائم .

كل هذا الكلام لأننا ناقشنا التَّمائم التي كانت من القرآن.

الحديث: "إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ"		
	الرُّقى	التَّمائم
حكم [ال]	للعهد	للإستغراق
معنى [ال]	لما كان معهودًا في ذاك الزمان	جميع - كل
سبب حكم [ال]	الإتيان بدليل أخر: "لا رُقْيَةَ إلا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَّةٍ ". "لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ".	لا يوجد دليل أخر.
النتيجة	⇦ شركية. ⇦ وغير شركية.	⇦ شركيًا زمن الجاهلية فقط: قول مرجوح. ⇦ غير جائزة –إلَّا إذا أعتقد فيها تصبح شرك- : القول الراجح.

الآن نناقش ما كانت من غير القرآن.

نحن قلنا أن التَّمائم نوعان من القرآن ومن غيره؛ الآن ما كان من غير القرآن، لنفهم تعريفه ثم نرى حكمه.

التَّمائم من غير القرآن :

⇦ إمَّا أن تكون أورادًا فيها ألفاظ شركية.

يعني كما يعبرون [ورد] ماذا يفعلون به؟ يكتبونه كل يوم، ثم يعلقونه على بيوتهم، وعلى سياراتهم، وعلى أبنائهم، وعلى أموالهم، هذا نوع.

أو أوراد فيها أسماء مجهولة، أو طلاسم.

يكتبونها ويلبسونها، أو يعلقونها على سياراتهم، إلى آخره، وهذا نوع.

يعني تكون هذه التميمة عبارة عن جلد، أو أي شيء يمكن الكتابة عليه، ويكتبون عليه الذي يكتبونه هذا إما أن يكون ألفاظا شركية، أو أسماء مجهولة أو طلاسم، أو حتى أسماء نجوم هذا النوع الأول.

- والنوع الثاني : تعليق الخرز، أو القلائد، أو عين الذئب، أو منقار الغراب، أو ناب العاج هذه اعتقادات في مناطق معينة، وهذا يختلف من مكان إلى مكان هذه الأشياء، وعين الذئب ليس شرطًا أن تكون عينًا للذئب حقيقة، شيء هم يتصورونه بهذه الصورة إلى آخره، وكل مجتمع فيه من هذه المسائل التي تربطه بالاعتقادات؛ **المهم يعتقد فيها الشفاء أو دفع العين.**

ما حكم تعليقه؟ **شرك، ممكن أن يكون أكبر، أو أصغر.**

⇦ متي يكون أكبر؟ إذا اعتقد أن هذا المعلَّق بعينه يدفع عنه البلاء.

⇦ ومتى يكون أصغر؟ إذا اعتقد أن هذا المعلَّق سبب يدفع البلاء.

والأمس اتفقنا أن هذا الذي يكون معلومًا أنه يستخدمه الناس للشرك، انت الآن ماذا تفعل به؟ سدًا للذريعة لا تستعمله.

الآن في سد الذريعة والأمر بالمعروف يحتاج إلى ثقة فيمن تأمره، عندما يكون شرك ليس هناك مجال، مباشرة انزعها، مباشرة لا بد أن تتكلم، لكن سدًا للذريعة، عندما تسأله انت تلبس هذه لماذا؟ يقول لك للزينة، هنا يجب أن تعرف هذا الشخص الذي أمامك ما حاله، إن كان فيه رغبة للدين وللاستقامة كلمه، وهو حتى وإن كانت فيه رغبة للدين وللاستقامة مباشرة قد يهاجمك لكن انت قل الحق، لكن لو وجدت أن هذه الكلمة ستكون قاصمة بالنسبة له أن تقول له هذه اتركها لأنها كذا وكذا، فسيسب الدين وسيفعل ويفعل كما هو معلوم، هذا لا تكلمه، سيأتي بالطوام فيما بعد، فانت مايز بين الناس الذين أمامك تواجههم، خصوصًا في مسائل سد الذريعة، أمَّا في مسائل الشرك لا بد أن تقول حتى وإن لم يقتنع اتركه.

اتفقنا أن حكمه شرك أكبر أو أصغر؛ **والعلّة لما فيه من تعلق القلب بغير الله، وأن غير الله ينفع ويضرّ.**

انتهينا من التَّمائم: ما اقسام التَّمائم؟

- ما كان من القرآن.
- وما كان من غير القرآن.

ما كان من القرآن هناك خلاف في حكمه، وانتهى الخلاف على أنه لا يجوز، فانتهى الأمر أن التَّمائم عمومًا لا تجوز سواء كانت من القرآن أو من غير القرآن.

⇦ والذي من غير القرآن وهي عبارة عن طلاسم وخيوط وقلائد، هذه هي التي تعتبر شرك.

⇦ أمَّا التي من القرآن هذه حكمها لا يجوز، لكن لا تقولين عليها أنها شرك، إلَّا إذا اعتقد أنها بنفسها تنفع وتضرّ، في تلك الحالة تكون شرك.

مر معنا الخرزة الزرقاء؛ ولها ثلاثة أحكام:

- شرك أكبر: لو اعتقد أن الخرزة بنفسها تدفع الضرّ.
- شرك أصغر: لو اعتقد أن الله جعلها سببًا، ومن ثم لو لبسها الله يدفع عنه.
- الثالث: سدًا للذريعة.

نأتي الآن إلى التَّولة

التَّولة نوع من أنواع التَّمائم

"وَالتِّوَلَةَ ": شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ.

"وهي نوعٌ من السحر"؛ وهذه سيتضح مفهومها في أبواب السحر.

لكن المهم أن تفهم أنه شيء يعلقونه، يلبسونه، يقصدون به وقوع الارتباط بين الزوجين، وهو نوع من السحر، ويمكن أن يكون نوعًا من الوهم، يعني لا يكون فيه سحر حقيقي • لأ •، هو أصلًا ليس هناك سحر حقيقي إنما نوعٌ من الوهم؛ لما نضرب مثال ستتصورون.

سأنقل لكم كلام الشيخ ابن عثيمين عن مثال للتِّولة.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : من التَّولة ما يُسمَّى "بالدبلة"، إن اعتقدوا أنها صلة بين المرء وزوجته، والدبلة — يعرف بها الآن- خاتم يُشترى عند الزواج، يوضع في يد الزوج، وأيضًا في يد الزوجة، وإذا ألقاه الزوج قالت المرأة إنه لا يحبها، يقولون أنه ما دام في يد الزوج فإنه يعني أن العلاقة بينهما ثابتة، والعكس بالعكس.

فإذا وجدت هذه النية فإنه يشرك الشرك الأصغر، وإن لم توجد هذه النية

ثم ذكر جملة أعتراضية

وهي بعيدة أن لا تصحبها

يعني بعيد أن يلبسوها وهم غير مصطحبين هذه النية فهذا بعيد

قال:وإن لم توجد هذه النية ففيه تشبه بالنصارى فإنها مأخوذة منهم.

إذن التَّولة ممكن أن تكون حقيقية يعني سحر حقيقي، وممكن أن تكون شيء من الأشياء الوهمية التي المجتمع ينصبغ بها، فإذا كان الزوجان يعتقدان هذا الاعتقاد، يعني يربطان المحبة التي في داخل قلب الزوج أو الزوجة بوجود هذه الأشياء:

- إذا اعتقدوا هذا أصبح نوع من الشرك الأصغر.
- وإذا لم يعتقدوا هذا نوع من أنواع التشبه، فانتهى الأمر بتركها.

- الدليل الثالث

انتهينا من هذا ننتقل الآن:

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعًا : " مَنْ تعَلَّقَ شَيْئًا وُكِّلَ إِلَيْهِ " رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

ننظر الآن لسبب هذا الحديث؛

عن محمد بن عبد الرحمن ابْنُ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ أَخِيهِ عِيسَى ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُكَيْمٍ -راوي الحديث الصحابي- ، وَبِهِ حُمْرَةٌ،

حمرة مرض مثل الحصبة، فيه احمرار للجلد وحرارة شديدة

فَقُلْتُ : أَلا تُعَلِّقُ شَيْئًا ؟

يعني ألَّا تعلق شيء تدفع به المرض.

فَقَالَ : الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ ،

يعني أموت ولا أعلق شيء، ثم قال عبد الله بن عكيم :

قَالَ النَبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَنْ تعَلَّقَ شَيْئًا وُكِّلَ إِلَيْهِ ".

اتضح الآن السبب، سبب نقله لهذه الجملة أنهم قالوا له في مرضه ألَّا تعلق شيئًا لتدفع هذا؟ فهو رد عليه فقال الموت أقرب من هذا، يعني أنني أموت ولا أفعل هذا الفعل، لما أعلم من خطره.

الآن، ماذا يُفهم من الحديث" مَنْ تعَلَّقَ شَيْئًا وُكِّلَ إِلَيْهِ "؟ يعني أن من تعلق بالله، وأنزل حوائجه به، والتجأ إليه، وفوض أمره إليه، ما النتيجة؟ كفاه الله وقرب إليه كل بعيد، ويسر له كل عسير؛

ومن تعلق بغيره أو سكن إلى رأيه، وعقله، ودوائه، وتمائمه؟ ماذا يحصل له؟ وَكَّله الله إليها، وخذله، فما ظنك بمن وُكِّل إلى خرقة، أو إلى خرزة!.

يعني انت الآن على قدر ما تتعلق بالله على قدر ما يكون معك، وإذا تعلقت بغيره وُكِّلت إلى غيره.

ما وجه الشاهد في الحديث؟ وجهان نفس القصة شاهد، أنهم قالوا له علق شيء من التَّمائم حتى يذهب عنك هذا المرض فناسب رده أن نفهم نحن **أن الذي يعلق شيء يوكَّل إليه، من تعلق شيء أكيد سيتعلق قلبه بهذا الشي الذي سيعلقه.**

الدليل الرابع

نأتي إلى حديث رويفع.

وَعَنْ رُوَيْفِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا رُوَيْفِعُ ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ تَطُولُ بِكَ ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ " . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

هذه الصياغة "فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ" تدلَّ على ماذا؟ **هذه من الألفاظ التي تدلَّ على أن هذا الفعل أو القول من الكبائر، وأنه يُرتب عليه وعيد شديد.**

الآن النبي صلى الله عليه وسلم بريءٌ من الفعل، وبريءٌ من الفاعل، ففي هذا وعيد شديد، ودليل على تحريم هذا الفعل؛

الآن أي فعل سيكون محرمًا وشاهد لنا؟ كل الأفعال التي ذكرت في الحديث محرمة، لكن الشاهد لنا ما هو؟ تقلد وترا، فالنبي صلى الله عليه وسلم بريءٌ ممن تقلد وترا، فدلَّ على حرمة هذا.

لماذا يتبرأ النبي صلى الله عليه وسلم ممن تقلد وترا؟ لأنه تعلّق بغير الله، واعتقد أن غير الله يمكن أن ينفعه أو يضرّه؛

فإذا كان هذا فيمن تقلد وترا، فكيف بمن تعلّق بالأموات وسألهم قضاء الحاجات؟!، يعني إذا كان الوتر تعلقه واعتقاد أنه يدفع الضر النبي صلى الله عليه وسلم بريء منه، فكيف بمن يتعلق بالأموات الصالحين على اعتقاد أنهم ينفعون ويضرون، سيكون حاله أكثر براءة منهم.

❖ الدليل الخامس

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : "مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً عَنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ " .

أولًا سعيد بن جبير هذا من كبار التابعين، وهذا الحديث منه عند أهل العلم له حكم الرفع، لأن عدلًا مثله لا يُتصور أن يقول هذا برأيه فهو من مُرسل التابعين؛

ما معنى مرسل؟ هذا مصطلح في الحديث مرسل يعني أن هذا التابعي قال كلامًا لم يذكر لنا مَن الصحابي الذي سمع منه، مباشرة قال لنا النص.

المرسل أصلًا في أصله ضعيف، ولا يؤخذ به، إلَّا من كبار التابعين، والذين يعتبرون ثقات، فتصحح مراسيلهم، فتصحح مراسيل الكبار من التابعين.

فأول شيء سعيد بن جبير من كبار التابعين، صحب ابن عباس زمنًا طويلا، وهو ممن مات في القرن الأول، يعني مات عام ٩٥، فهو من القرون المفضلة، ولا يتصور أحد في مثل عدالته أن يأتي بكلام من عنده.

المهم ما هو هذا الكلام الذي قاله؟ والذي نتصور أنه له حكم الرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟

قَالَ : "مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً عَنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ " .

لماذا؟ لماذا من قطع تميمة يصبح كمن أعتق رقبة؟ لأن من قطع تميمة أحسن إلى هذا العبد بأن أعتقه من الشرك، فأنقذه من النار، مثل من أعتق رقبة من الرق، أحسن إلى المعتوق فحرره وأزال عنه رق الدنيا.

مرة أخرى؛ من قطع تميمة أحسن بأن أعتق –هذا المقطوع عنه التميمة– من الشرك، فأنقذه من النار، ومن أعتق رقبة من الرق، أحسن إليه بأن أعتقه من رق الدنيا، لأجل ذلك كان جزاء من قطع تميمة من رقبة إنسان من جنس فعله؛

فكما أعتق رقبة هذا المسلم من النار أثيب بأن له مثل إعتاق رقبة من الأجر، أثيب بنفس فعله، الجزاء من جنس العمل، **هو أعتقه من النار فكتب له كأنه أعتق رقبة في الدنيا**.

❖ الدليل السادس

وله عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمائم كُلَّهَا ، مِنْ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ .

وله : المقصود به وكيع، وكيع هو الذي خرج الدليل الماضي

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : "مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً عَنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ " .[رواه وكيع].

ثم : وله : أي ولوكيع عن إبراهيم : المقصود به إبراهيم النخعي، وإبراهيم النخعي من تلاميذ ابن مسعود.

انظر هناك سعيد بن جبير من تلاميذ ابن عباس، يرى أن التَّمائم لو قطعت من أحد تميمة كان كعدل رقبة؛ وهنا إبراهيم النخعي من تلاميذ ابن مسعود يقول: كانوا وكانوا يقصد بها عبد الله بن مسعود وأصحابه، كانوا يكرهون التَّمائم كلها؛

يعني عبد الله بن مسعود الصحابي وأصحابه من كبار التابعين، يعني القوم الذين تعلموا عند عبد الله بن مسعود، عبد الله بن مسعود وأصحابه من كبار التابعين ما بهم؟ كانوا يكرهون التَّمائم كلها، يكرهون يعني حكم الكراهة **لكن لا بد أن تفهم أن المكروه في لغة القرآن والسُّنة وكلام السلف هو المحرم؛**

مثل آية الإسراء بعد أن ذكر الشرك وقتل النفس، ثم قال الله عز وجل: ﴿كُلّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْد رَبّك مَكْرُوهًا﴾[١٧٠] فصارت كلمة مكروه تعني محرم، فلما يقول مثلًا الإمام أحمد : أكره هذا، معناه أنه محرم؛

المكروه في لغة القرآن والسُّنة، وكلام السلف هو المحرم ثم المعصرون أخذوا كلمة مكروه بمعنى آخر، لكن أنا أتكلم عن الأوائل؛

فهذا كلام ابن مسعود من القرون الأولى، فلما قال إبراهيم النخعي كانوا يكرهون التَّمائم كلها، ماذا تفهمين من يكرهون؟ على مصطلحنا اليوم أم على مصطلح الأوائل؟ على مصطلح الأوائل، يكرهون بمعنى يحرمون.

إذن مذهب ابن مسعود وأصحابه منع تعليق التَّمائم كلها ولو كانت مكتوبة من القرآن، يحرمون ذلك؛

على هذا قس من يضع مصحفًا في السيارة معتقدًا أن المصحف له أثر في رد العين عن السيارة، ماذا تقولون؟ هذا محرم؛ لماذا؟ لأن هذا نوع من أنواع التَّمائم، وإن كانت من القرآن، لكنها تعتبر تميمة.

باب من تبرَّك بشجرةٍ أو حجرٍ ونحوهما؛ وقول الله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى)[١٧١] الآيات.

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ، قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى حُنَيْنٍ ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا ، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، قَالَ : فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، " اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُ أَكْبَرُ ! إِنَّهَا السُّنَنُ ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ : (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) ، قَالَ : إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ " [رواه الترمذي وصححه].

أولًا سنبدأ بالعنوان **"باب من تبرَّك بشجرة أو حجر ونحوهما"**

هناك اختلاف في المتون، منها من قال **"بشجر"**.

انظري إلى العنوان: "من" أداة شرط من تبرَّك بشجر أو حجر أو نحوهما، ماذا يحصل له؟ انت عندما تقولين : من يزرع يحصد، أي مَن لها فعل شرط، ولها جواب شرط.

من : أداة شرط، ولها فعل، ولها جواب؛

الآن انظري للجملة : من تبرَّك بشجر أو حجر أو نحوهما ماذا يحصل له؟ جواب الشرط محذوف؛ يعني ما قال "فقد أشرك" لكن انت ستصل إلى هذا عن طريق الأدلة.

وهذا أحد أساليب الشيخ في تقرير المسائل بأسماء الأبواب، ففي باب يقول لك فيه الحكم من الشرك لبس الحلقة والخيط، وباب يقول لك ما جاء في كذا، وباب يذكر لك فعل الشرط ويتركك انت تبحث في جوابه عن طريق الأدلة.

نبدأ بـ : "من تبرَّك"، ونناقش مسألة التبرك، نأتي بالمعنى اللغوي للبركة.

⇦ البركة لغة : هو النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة.

⇦ وقول : ﴿رَحْمَةُ اللَّه وَبَرَكَاته عَلَيْكُمْ﴾[١٧٢] قالوا البركات السعادة.

---

[١٧٠] الإسراء:٣٨

[١٧١] النجم:١٩

⇦ ومن معاني البركة في حديث الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، " وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد" أي : أثبت له، وأدم ما أعطيته من التشريف والكرامة.

⇦ فملخص الكلام: **البركة يدور معناها حول معنيين** :

- الثبات والدوام.-لأننا قلنا أثبت له وأدم ما أعطيته-
- النماء والزيادة.

التبرك : التبرك آت من البركة؛ التبرك هو طلب البركة، مادام انت عرفت أن البركة هذان الأمران **إذن من يطلب البركة يطلب ماذا؟**

- يطلب ثبات النعمة ودوامها.
- ويطلب أيضًا زيادتها ونماءها.

نحن الآن عندنا ثلاثة مفاهيم مرتبة على بعضها:

⇦ المفهوم الأول: البركة ما هي؟ يدور معناها حول معنيين [الثبات والدوام / والنماء والزيادة].

⇦ المفهوم الثاني : التبرك آت من البركة، والتبرك هو طلب البركة، وهذا المفهوم الثاني.

⇦ المفهوم الثالث : اشرح ما معنى طلب البركة، ما معنى أن تطلب البركة؟ تطلب أمرين ما هما؟

- ثبات النعمة ودوامها
- ونماءها وزيادتها.

يأتي على هذا الآن سؤال إذا علمت أن التبرك هو طلب البركة، وطلب البركة يعني طلب ثبات النعمة ودوامها وطلب زيادتها ونماءها؛

فممن تطلب البركة؟ لا يقدر على إعطاء البركة إلَّا الله عز وجل، فلا أحد حولك يستطيع أن يثبت عليك نعماء، ولا أحد حولك يستطيع أن يزيد لك في النعمة؛ لا ينميها، ولا يزيدها، ولا يثبتها.

وارجعوا إلى أول دليل في باب من الشرك لبس الحلقة والخيط، أول دليل كان ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلًا﴾[١٧٣] لا كشف الضرّ ولا تحويله؛

انظري لعكس هذا لا ثبات النعمة، ولا زيادتها يستطيعها أحد غير الله عز وجل؛ إذن طلب البركة يكون ممن؟ من الله عز وجل، طلب البركة لا بد أن يكون من الله عز وجل.

إذن هذا أول مفهوم: **لا تطلب البركات إلَّا من الله.**

لماذا لا تطلب البركات إلَّا من الله؟ لأن البركة معناها طلب ثبات النعمة، وطلب نماءها، فلا الثبات، ولا النماء أمر يستطيعه أحد غير الله.

إذن طلب البركة عبادة، كما أن الدعاء عبادة.

---

[١٧٢] هود:٧٣

[١٧٣] الإسراء/٥٦

إذن التقرير الآن أن طلب البركة نوع من أنواع العبادة، وهي داخلة في الدعاء، لأنك تطلب والطلب هذا دعاء، فدعاءك نوع من أنواع العبادة؛ الآن طلب البركة قُرر أنه عبادة؛

والعبادة من أجل أن تصح لها شرطان : ❖ الإخلاص ❖ والمتابعة.

إذن طلب البركة عبادة، من هنا سيبدأ كل النقاش الباقي، ما دام أنها عبادة، العبادة لا بد فيها من شرطين وهما الإخلاص والمتابعة.

سنرى الإخلاص والمتابعة، هذه المعلومة موجودة في ذهنك دائمًا، **الإخلاص والمتابعة في كل عمل مختلف عن الآخر؛**

فعندما أقول لك : كيف تكون مخلصا في وضوئك؟ الجواب لن يكون عندما أسألك كيف تكون مخلصا في صومك.

انت في الوضوء ما معنى أن تكون مخلص؟

- ❖ تجمع قلبك على أنك تتوضأ ائتمارًا بأمر الله.
- ❖ امتثالًا لأمر الله.
- ❖ متابعة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.
- ❖ رجاء الأجر المترتب على الوضوء.

⇦ هذا معنى الإخلاص، أنك تجمع قلبك على هذه المسائل؛

- ❖ أنك لا تريد بوضوئك التبرد، ولا النظافة.

تريد من هذا الأجر من الله، ومتابعة سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وتريد الأجر الذي رُتّب على الوضوء، هذا معنى الإخلاص في الوضوء.

لكن نحن نسأل الله فقط أن يغفر لنا، وإلَّا مواطن للأجور متعددة بعدد الثواني متروكة، غافلون عنها، ولا تسألوني الآن بدون هذه النية كذا وكذا، لا تسألوا هذا السؤال! يجب أن تفهم أنك كلما جمعت قلبك كلما زادت درجة إيمانك، زادت درجة انتفاعك بما تعمل فزاد إيمانك من ثَمَّ.

وهذا مختلف عن الصيام، في الصيام لك نية مختلفة، وهي أن تجمع قلبك على إرادة مرضاة الله في منع نفسك من الأكل، والشرب، والملاذ، ومريدًا بعد هذا الأجر المرتب على هذا العمل الذي تقوم به.

إذن هناك تريد شيء، وهنا تريد شيء، وإن كان الإطار العام واحد؛ لنرى الإخلاص الآن في طلب البركة، **ما إخلاصك؟**

الإخلاص هو أن لا تطلب البركة إلَّا من الله عز وجل، أليس طلب البركة عبادة؟ والعبادة لا بد فيها من شرطين لقبولها؟ ما هما؟ الإخلاص والمتابعة؛

⇦ أمَّا الإخلاص بأن لا تطلب البركة إلَّا من الله، وهذا مبني على اعتقادك أن الله سبحانه وتعالى هو المالك لجلب النفع ودفع الضرّ، هذه مسألة الإخلاص.

⇦ تعال نناقش المتابعة : المتابعة ستكون في طلب البركة بأمرين:

- ❖ الأمر الأول: التبرك بشيء ثبت في الشرع أنه مبارك.
- ❖ الأمر الثاني: أن يلتزم الصفة التي شرِّعت في التماس البركة منه.

إذن إجمالًا كم شرط أصبح عندي؟ ثلاثة شروط:

- أن لا تطلب البركة إلَّا من الله وحده. [شرط الإخلاص].
- أن لا تتبرَّك إلَّا بشيء ثبت في الشرع أنه مبارك.

[شرط المتابعة]

- وأن تلتزم الصفة التي أتت الشريعة في التماس هذه البركة.

إذن هذا يسمى التبرُّك المشروع.

سنفرق الآن بين التبرُّك المشروع والتبرُّك الممنوع.

التبرُّك المشروع كما اتفقنا فيه ثلاثة شروط؛ كل شرط هات نقيضه فتعرف التبرُّك الممنوع.

إذن التبرُّك الممنوع :

- أن تطلب البركة من غير الله.
- أن تتبرك بشيء لم يثبت شرعًا أنه مبارك.
- أن يتبرك بالأمر المشروع لكن بطريقة غير شرعية.

نأتي بأمثلة : لنتكلم عن بماذا نتبرك؟ يعني ماذا أوردت الشريعة من أشياء يُتبرَّك بها؟ تبرك بالأفعال، وبالأقوال، وبالأشخاص، والأزمنة، والأمكنة، والمأكولات، وما في حكمها.

نبدأ بالأزمنة والأمكنة

الأزمنة مثاله: شهر رمضان، الصور المشروعة في التبرك به القيام، لأن التبرك معناه طلب الزيادة، فشهر رمضان شهر مبارك، فماذا تفعل لتطلب البركة من شهر رمضان؟ أي أن في شهر رمضان ماذا تفعل لتكتسب البركة؟ "مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا "، "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا"

- إذن من صور طلب البركة الصيام والقيام، وقيام ليلة القدر، كل هذه مشروعة.
- ومن صور التبرك غير المشروع في رمضان الاحتفال بليلة السابع والعشرين من رمضان، فيعتبرونها ليلة القدر، يحتفلون أي لا يقومون الليل، بل يحتفلون، فيجتمعون ولهم أفعال معينة، هذا من التبرك غير المشروع، إذن الزمان صحيح، لكن الفعل غير صحيح.

الأمكنة والجمادات: أحسن مثل يُضرب عليه الحرم

- من صور التبرك المشروع بالحرم الطواف، والسعي في الحرم كما ورد في الحديث : " وَأَمَّا طَوَافُكَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ بَعْدَ ذَلِكَ كَعِتْقِ سَبْعِينَ رَقَبَةً "، ماذا يحصل لك من بركات؟ هذا العجب الذي ذكر هذا في العمرة.
- ومن صور التبرك الممنوع بالحرم تقبيل نوافذ المسجد الحرام، والتمسح بالأعمدة، والتمسح بمقام إبراهيم الآن المسجد الحرام مبارك، لكن كيف تنتفع منه؟ لا بد بالطريقة الشرعية.

إلى الآخر كل هؤلاء نضرب عليهم أمثله.

جزاكم الله خيرًا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسر لنا هذا اللقاء، واسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاء مباركًا مرحوما.. اللهم آمين.

هذا هو لقاءنا الأخير في هذه الدورة المباركة بالنسبة لمادة التوحيد للمرحلة الأولى من الفصل الدراسي الأول؛ اسأل الله عز وجل أن ينفعكم بها.

سأقول سريعًا حتى تعرفن بناتي سنة أولى كيف تذاكرن: ستختبرون في ثلاثة أمور:

- **أولًا:** المتن، لا بد أن يكون المتن محفوظًا إلى درجة الإتقان.

وهذا أول سؤال: سيطلب منكم كتابة المتن كاملًا، يعني ستكتبون من كلمة كتاب التوحيد إلى آخر التبرّك وإن كنا سنأخذ الذبح لكن مع الحفظ سنأخذ إلى التبرّك فقط.

- **ثانيًا:** التقريرات على كل دليل، فكل دليل ماذا خرجت به؟ ماذا قرر لك؟!.

""إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ" الرُّقى ما هي،كم أقسامها،ما هي المعارضات التي في الرُّقى، ألف لام في الرقى ماذا تعتبر، ما هي التَّمائم، إلى آخره، يعني كل المباحث التي بحثت داخل الدليل تعتبر تقريرات على الدليل.

- **ثالثًا:** إشكالات وحلها، سؤال الإشكالات وحلها سيكون من الخارج، نأتيكم بأدلة من الخارج يمكن أن يكون بينها شيء من التعارضات وانت تحلين الإشكالات بناء على ما درست في كتاب التوحيد.

نبدأ بالأسئلة ثم ننتقل إلى باب التبرك.

أول سؤال بعيد عن التوحيد عمومًا لكنه ينفعنا كلنا؛ **سؤال من الحاضرات:** أجد في قلبي ألم مما ألقاه من قبل بعض أهلي، أصبحوا ينظرون لي نظرة مختلفة عن الباقين، ولا أعلم ما هي تظرتهم، أذم وإن كنت على الحق والصواب، ويمدح غيري وإن كانوا على خطأ وضلال، إن سئلت فتكلمت اعتبروها أحيانا فلسفلة، لذا صرت ألتزم الصمت على قدر استطاعتي وإن كانوا على خطأ، النتيجة أريد توجيهًا ونصيحة لي ولغيري الذين قد يكونون في ظروف أشد من هذه.

رد من الأستاذة: هذا الكلام تأكيدًا على أنه لا بد من الصبر على الأذى فيه، هذه القاعدة العامة، أول ما نسمع هذا الكلام نقول لا تتصور أن الإنسان سيخرج من الخسر بثمن رخيص ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [١٧٤]

- فانت أصلًا تحتاج إلى التواصي بالصبر حال التعلم.
- وتحتاج أن تتواصى بالصبر حال العمل.
- وتحتاج أن تتواصى بالصبر حتى في حال الدعوة.

فأصبح الصبر نقطة البداية ونقطة النهاية، فانت دائر في فلك الصبر، حاملًا معك الصبر، لن تستقيم أصلًا إلَّا بالصبر، "الشجاعة صبر ساعة"، فكان الناتج ماذا؟ مادام انت تحتاج إلى الصبر إذن لابد أن تبقى متيقنًا أنه لا بد أن يأتيك ما تحتاج معه إلى الصبر،

[١٧٤] العصر:١-٣

فانت عندما يقال لك لا بد أن تصبر، معناه أنك ستتعرض لشيء تحتاج معه مادة الصبر، إذا ما بليت في الخارج تبلى في الداخل، إذا ما بليت بناس من الخارج تبلى بناس من الداخل، ولا تتصور أبدًا إلَّا أنك تبلى من الخارج وتبلى من الداخل لا تتصور أبدًا أن مادة واحدة من إثنين تقع لك، أبدًا، لا بد من بلاء في الخارج يوافق بلاء في الداخل، يعني انت أصلًا عندك ضعف في شيء معين، ويأتيك بلاء من الخارج يوافق هذا الضعف؛

مثلًا انت شخص حساس تجاه فلنفترض مسألة الجهل والعلم، في المجتمع الآن الشخص المتعلم له قيمة، والشخص الجاهل ليس له قيمة، والمجتمع يرفضه، فانت تشعر من الداخل أن عندك نقص هذا بلاء عليك، فتختبر بأحد من الخارج يضغط عليك بهذا البلاء، انت الآن شخص ابتليت بنقص من جهة صورتك، شكلك، أو بنقص من جهة قدرتك على الكلام، أو بنقص من جهة قدرتك على التعبير، أو من جهة قدرتك على الاختلاط مع الناس، **نقائص من جهة نفسك، ويأتي في المقابل بلاء من الخارج، لا بد أن يأتي العاملان،** على كل حال ما دمت تعلم أن الحياة كلها ابتلاء، إذن لا بد أن تقابله بالصبر.

إذن هذه القاعدة لا بد أن تصبر، هذا البلاء موجود وخصوصًا كلما استقمت ابتليت لا بد أن تفهم هذا الأمر، والله عز وجل يختبرك، هل انت صادق؟ صادق في استقامتك؟ صادق في إرادة الحق؟ صادق في كذا؟، **كل هذا الذي تدّعيه ستبتلى فيه،** هذه القاعدة.

تحت القاعدة لنناقش ثلاثة نقاط [تحت قاعدة أن الأصل في الاستقامة الصبر] هناك ثلاث نقاط خصوصًا لمن يحتك بالمجتمع:

- **النقطة الأولى:** عندما المجتمع يرفضني أول شيء فتش في نفسك قبل أن تفكر في المجتمع، قد يكون في قلبك إرادة علو، وتشعر نفسك أنك أحسن منهم، يكفيك هذا مصيبة تكون حاجزًا بينك وبين الناس حتى لو ما شعر أحد، فانت تقول أنا ما قلت ولا كلمة تجعل من أمامي يشعر أن عندي إرادة العلو! نقول هل تتصور أن علاقتك بالناس يحكمها تصرفاتك وكلماتك؟ لأ، بل يحكمها أن علام الغيوب يعلم ما في قلبك، فيجعل مثل هذا مؤثر على الشخص الذي أمامك.

أليس عندما أتى أحد الصحابة فنظر في وجه النبي صلى الله عليه وسلم قال "فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ[١٧٥]"، فقط نظرًا بدون أن يسمع أي كلمة من كلامه؛ معنى ذلك أن الله عز وجل يضفي على العباد.

إذن نظرت في نفسي، وقد يكون في قلبي إرادة للعلو، وقد يكون في قلبي كبر، وقد يكون احتقار للناس، ومصائب كثيرة طويلة عريضة، ممكن تكون موجودة في قلبي وهي سبب نفور الذي أمامي، هذه النقطة الأولى؛

- **النقطة الثانية:** انت صالح، وقلبك مريد للخير، لكن الذي أمامك هو الذي به مشكلة، قلب الذي أمامك هو الذي فيه الإشكال، قلبه مريض، والقلب المريض يبغض الاستقامة وأهلها فأحيانًا تقابل أناس هم عندهم إرادة العلو، هذا ليس شرطًا أن يكون العامي، حتى طالب العلم زميلك، ممكن أن يكون عنده إرادة العلو، فيفرح ويطير فرحًا بنقصك، وتجده يتهلل سرورًا عندما يعرف عيوبك، لأن في قلبه إرادة العلو، فيتمنى دائمًا أن تكون أقل منه، فإذا كنت مثلًا ممدوح عند أستاذك أو عند مجتمعك، وهو زميلك أو صاحبك، ويسمع عنك النقص فيفرح أنه اكتشف فيك نقائص حتى يستمتع أنه لا أحد أعلى منه! **مثل هذا عندما**

[١٧٥] عَنِ التِّرْمِذِيِّ ، وَابْنِ قَانِعٍ ، وَغَيْرِهِمَا بِأَسَانِيدِهِمْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ جِئْتُهُ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ .

تسير معه وتزامله دائمًا يعترض عليك ويدفعك، هذا طالب علم مثلك، فما بالك بالعوام لما يكون عندهم إرادة للعلو ماذا سيفعلون؟! من المؤكد أنهم سيسكتوك طوال الوقت، يقول لأ، لست انت من تقول الكلام الصائب، كلامك ليس صحيحًا، **ليس كراهية حتى لنفس ما تقول من كلامٍ صائب بل كراهية لك انت، وحتى ليس كراهية لشخصك إنما حب لأنفسهم، يبغضون أن تعلو عليهم فيبذلون جهودهم أن لا تعلو.**

من أجل ذلك نُهي في الحديث عن التجسس والتحسس، لأن التجسس والتحسس إشارة إلى مرض داخل القلب، مادام انت تفتش معناه أنك تريد شيء، وأهم شيء تريدها ماذا؟ النقائص والعيوب، يعني هل تنقب – ما شاء الله – عن الكمالات؟ من المؤكد أنك تبحث عن النقائص والعيوب.

طبعًا هذا مرض قد نصل أن لا نستثني أحد منه وهو "محبة أن تكون أعلى من كل أحد"، إلَّا من تعلم ففهم فعالج، قبل العلم لا تعرف أن تفسر هذا الذي في داخلك، ويأتي أحد يطبطب عليك في إرادة العلو ويقول لك طبيعي، طبيعي كل الناس يحبون أن يكونوا متميزين! •لأ• من قال أنه طبيعي؟ وعند من تحب أن تكون متميز؟ وعند مَن ترجو أن تكون عاليًا؟ وعلى مَن وبأي طريقة؟!؛ كل هذه كأنها تحتاج إلى شيء كثير من الصدق مع النفس، أنني ماذا أريد؟!، طبعًا لا تجسس، ولا تحسس، وهذا كلام واضح أنه ممنوعٌ عليك أن تفتش عن العيوب؛ غير أن واحد ممكن يبتلى وتأتيه إلى عنده عيوب الناس – هذه أيضًا قضية أخرى– يصارع الإنسان فيها داخل نفسه إرادة العلو، لأنه سيستجيب مباشرة لإرادة العلو.

هو الآن يقول لك أنا ما فتشت أنا أتتني عيوب الناس!، وممكن لأن بداخلي إرادة علو أول ما يأتيني الكلام، لو ما كان في قلبي إرادة علو –يعني دون مشاعر إرادة العلو– ومجرد الكلام لا يمكن أن أصدقه، لكن لأن في قلبي إرادة علو وأتاني كلام مباشرة ختمت على أنه صحيح وصادق! لأن في القلب مشاعر إرادة العلو.

فانت مجتمعك الذي حولك قد يرفضك ليس لأن فيك بلاء، أو لأنك ناقص، بل لأنهم هم في أنفسهم إرادة العلو، وهذا لا تتصوره لعوام الناس فقط بل في خواصهم هذا الأمر موجود، وطبعًا في منافقيهم وهذا كلام أخر، في منافقيهم بالطول والعرض في قلوبهم إرادة إظهار النقائص وإرادة العلو، حتى أن أحدًا طوال الوقت يشعرك أنك لا تفهم، انت ناقص، وانت ليست عندك قدرة عقلية.

سمعتم أمس خطبة مكة وخطبة الشيخ عبد العزيز، كلاهما متكاملان، وإن كان الشيخ عبد العزيز كان يتكلم عن الانتحار، لكن في داخله كان الكلام حول الرضا، يعني حتى الكيّس الذي يستطيع أن يدبر الأمور والثاني الذي لا يستطيع حتى هذا عطاء من الله.

فانت الآن انتبه يا طالب العلم، لا تكن كيّس تحطم الذين أمامك الذي لا يكون بهذا الوصف، أحيانًا يكون أمامك ناس لا يعرفون كيف يسألون، ولا يعرفون كيف يتصرفون، مثلًا تقوم واحدة من مكانها فتجدينها تكسر أشياء معها وهي تسير، فانت طوال الوقت ليس عندك إلَّا التعليق عليها، كل هذا تنفيس عن إرادة العلو الكامنة في داخلك.

وهذا الذي أتاك ليس بكيّس هذا أعظم ابتلاء عليك، الله وضعه في طريقك، فانت كيّس، فطن، عندك قدرة على التفكير، هل تعرفون ما معنى كيّس؟ يعني شخص عاقل، مدبر، عنده تفكير والآخر يكون عكسه، ليس غبيًا لأ ليس هذا المعنى، لكنه بتعبيرنا ليس كثير التدبير، أو تعبيرات مثل فوضوي، إلى آخره.

فانت يا كيّس يأتي في طريقك هذا الناقص ليظهر ما قام في قلبك من نقائص، يرفعه الله بكلامك، تكون انت له سلمًا للإرتفاع عند الله!، انظروا كيف نحن نجرم في أنفسنا، كيف نعمل جرائم في حق أنفسنا، يبتلينا الله بشخص ناقص فنكون نحن سلم له للإرتقاء، يصبر علينا وعلى كلامنا وعلى تنقيصنا، وهو الله الذي ابتلاه! انت تعتقد أنك كيّس بقدرتك؟ ليس إلَّا أن الله أعطاك!، لكن لأن في قلبك إرادة علو، أتى الله بمثل هؤلاء في طريقك، ولما أتى بمثل هؤلاء في طريقك ظهر ما قام في قلبك من إرادة العلو؛ فدائمًا الكيّس الذي يكون في قلبه خبث يفرح بالناقصين من حوله، حتى يستمتع بأنه هو وحده الذي يفهم والباقين لا يفهمون، يستمتع بذلك.

مثل ذلك المجتمع، ومن أجل ذلك يجب أن يستكتك طوال الوقت، لا بد أن يظهر أنك لا تفهم، وإذا ظهر أنك تفهم هذه مشكلة بالنسبة له، فممكن يكون المجتمع هكذا، ولا تنسوا الكلام الأول قد تكون انت عندك هذه المشكلة إرادة العلو، أو المجتمع يكون فيه مرض إرادة العلو، يعني إمَّا انت بنفسك، أمَّا أنك مختلط بناس عندهم إرادة العلو.

إذا تبيَّن هذا بعد أن فتشت نفسك وأصلحتها، ووجدت أن المشكلة ليست قائمة عندك بل قائمة عند غيرك من إرادة العلو.

النقطة الثالثة : تمسك بالصدق، ليس عندك حل، تمسك بالصدق، لن أقول لك تكلم أو لا تتكلم، لن أقول لك هذا الكلام، سأقول لك تمسك بالصدق، كن صادقًا، ستنكشف الحقيقة ولو بعد حين لكن انت تمسك بالصدق.

فيه موقف شخص يعتبر نفسه كيّس، ومعه شخص ربما يُتصور أنه أقل من هذا، وكلاهما طالب علم، فالكيّس طلب من الثاني أن يأتي له بكتب، يشتري له كتب، وقال له انظر هذه مكتبتي وانظر ما هو غير الموجود وهذا المبلغ خذه واشتره لي، فذهب الأقل درجة واشترى كتب مكررة، موجودة، فالأول الذي يعتبر نفسه كيّس قال كلام لا ينبغي أن يقال، أو حتى فكر، وليس شرط أنه تكلم، والثاني غير الكيّس الذي اشترى برر موقفه بكلمة بأن هذه الطبعة أحسن من هذه الطبعة، هذا الذي استطاع أن يقوله، وهذه هي الحقيقة الذي يرى نفسه كيّسًا ما اقتنع بهذا الكلام، رأى أنه تكرار وانتهى، لذلك نقول لك "استصحب الصدق"؛ المهم هذا الذي رأى نفسه كيّسا دار عليه الموقف قريبًا وليس بعيدًا، ثم فتش يبحث في الكتب فبحث في الطبعة الأولى التي في بيته ما وجد مراده، فعاد للطبعة التي رأى أنها مكررة، فوجد مراده في الطبعة الثانية.

فماذا تعلم؟ انظر انت يا من تتهم بأنك أقل كياسة، انت صادق، تصرفت وانت صادق لا عليك، ماذا سيحصل؟ سيبيِّن الله الأمر، انت فقط كن صادق، عامل الله، عن قريب أو بعيد سيظهر الله الحقيقة.

ومثل هذا لا بد أن يكون مكرر في أذهانكم حول كل ما تواجهونه من إشكالات تتصل في معاملة الناس:

⇦ ضع قاعدة واحدة:" **كن مع الله صادقا**"

⇦ ثم : "**لا تبالِ**" بمعنى هذه الكلمة لا تبالِ، فلو أردت أن تسترضي وتقنع كل الناس ستجد أنك أنفقت من العمر زهرة الشباب ولن يرضى عنك أحد!، لأن الله عز وجل يعاقب العباد على ما قام في قلوبهم، وهذا الكلام ليس له علاقة أبدًا بدفع الشبهة عن نفسك، هناك فرق بين دفع الشبهة، وبين الإبتداء بالعناية، يعني أنك تبتدئ بالعناية بالناس، هذا فرق بينهما.

على كل حال كل من وقع عليه احتقار وهو مستقيم ⇦ راجع قلبك، انت قد يكون في قلبك إرادة علو على الناس، من أجل ذلك عاقبك الله، وجعل الناس ينظرون إليك باحتقار، أو إذا راقبت قلبك ووجدت أن هذا الأمر خلِّي من قلبك، أو انت تبذل جهودك أن تخليه ؛ لاحظ أن الناس قد يكونون هم من ابتلوا بهذا الأمر.

ما المخرج؟ هات رقم ثلاثة، ثلاثة هذه ستحل رقم واحد واثنين:

- إذا كان عندك إرادة العلو كن صادقًا في إرادة وجه الله، وادفع عنك مثل هذا.
- وإذا كانوا هم من عندهم إرادة العلو كن صادقًا مع الله وسيدفع الله عنك وينتهي الأمر.

لكن لا تحطم نفسك، لا تحطموا أنفسكم، ولا تشعروا أن المجتمع ومقياسه أمر مهم، مادام انت مشتري الآخرة دع عنك أهل الدنيا، كن مع الله ولا تبال، هذا هو الاختبار، نحن لا ننكر أننا نعيش مختلطون، ومتأذون أيضًا، نعم لكن هي خطوة واحدة: "إصلاح النفس والصدق مع الله":

- يعني كن صادقًا مع الله في إصلاح نفسك.
- وكن صادقًا مع الله وقت معاملة الناس.

فهذا الذي كان سالب سيصبح موجبًا، وبعد أن كان ضدّك سيكون معك، لأن الله سخره، لأنك طلبت من يملك قلبه، المهم انت لا تتوجه له هو، ليس هو الذي تتوجه له، هذا هو المهم.

على كل حال أنا الآن لا أستطيع أن أقول لك اعتزل، أو تكلم، أو اترك الكلام، ولا يعني شيء، هذه الوصفة صعبة، صعبة، صعبة أن أقول تكلمي أو لا تتكلمي، اعتزلي، أو اختلطي صعب، فلو قلت مثلًا اعتزلي، سيأتي موقف أهلنا وأقرباءنا وأرحامنا، فافترضي أن العزلة نفعت، لكنك ستدخلين في مقاطعة الأهل، والأرحام، ستدخلين في كبيرة قطيعة الرحم، سأصف لك وصفة مميتة لا تحييك.

الحل ماذا؟ الحل : كن صادقًا ستوفق، لو كنت صادق سيهيأ الله عز وجل لك أوضاع وأحوال وأشخاص، وسيغير قلوب الناس، هل رأيتم في موقف الكتاب؟ لأنها كانت صادقة مع الله، اشترت ولو كان مكررًا، لكن اشترته على أنه نافع، أول الكلام أتاها الإيذاء، ثم الله هو الذي وضع الأول الذي يرى نفسه كيسًا، وضعه في موقف وجعله يفهم حقيقته، فالله عز وجل هو الذي حرك ودبر الأمر ووصل الذي يرى نفسه كيسًا وضعه في مكانه الصحيح.

فانت لا تستطيع أن تدير الناس!، لا يديرهم ولا يدبرهم إلَّا رب الأرباب، فكن معه صادقًا، ثم ماذا تفعل مع الناس؟ انتظر سيهيء الله لك الأسباب، لكن اصبر، وكن صادقًا، فنحن أحيانًا نأتي في مواقف ونريد أن نظهر نحن، وآتي بمائة عذر شرعي، وهذا هو معنى كلمة "كن صادقًا" لا تأتي بأعذار شرعية وانت إرادتك نفسك.

وفي الذاكرة أمثلة كثيرة، طويلة عريضة، لكن لا داعي، ستأتي مثل هذه الأمثلة، أنني ما كان قصدي وكان قصدي، انت كن مع الله صادقًا وانتهى الأمر.

سؤال من الحاضرات: أحد يقول انتم مرة تقولون أن من يخالط الناس ويصبر على آذاهم خير ممن لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم، ومرة تقولون صاحبوا الناس، وأصحابكم والخيرين والطيبين، فماذا نفعل؟

رد من الأستاذة: لا بأس، انت اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم، الله عز وجل قال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾[١٧٦]، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: "" الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهِمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لا يُخَالِطُ

[١٧٦] الكهف:٢٨

النَّاسَ ، وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهِمْ "[١٧٧] يعني قيل لك : اصبر، وخالط الناس، معناه أن هناك أذى، لكن خالطهم أحسن من أنك لا تخالطهم، واصبر على أذاهم خير من أن لا تصبر على أذاهم، **يعني المصالح التي تأتيك من مخالطهم والصبر على الأذى أحسن من المصالح التي تأتيك من العزلة**، لكنك ليس عندك استعداد، يعني نحن بقدر ما نحب أنفسنا، قدر ما لا نحب لأحد أن يقترب منا، هذا هو الإشكال لذلك انت مطلوب منك أن تحب لقاء الله والله راض عنك، فأحد طرق الوصول إلى هذا الصبر على معاملة الناس.

أنا أقول على قدر علمي بالنساء، على قدر الخلطة مع النساء، أنا أسمع الشاكي والمشكي منه، كلاهما يشتكي من بعض، فهذا يقول هذا آذاني والآخر يقول هذا آذاني، فتجدين وتنظرين للمسألة فتري حقيقة معنى كلمة الإبتلاء؛

كلنا نفوسنا فيها حساسية من الإحتكاك، لكن انت زد إيمانك بالله، وكن صادقًا، لا يقع السهم في أعماقك، عندك شيء يرده، قوِّ إيمانك – الله يقوي إيماننا– .

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: سؤال من سنة ثالثة [جماعة المشاريع] كأنهم فهموا أن المشاريع ضدّ العلم، يعني ضدّ الطلب، سأقرأ السؤال، نحن ننتظر اليوم الذي سنجتمع فيه لموضوع المشاريع، ثم كلام بما معناه أننا لا نحب أن لا ننقطع عن العلم؛ المقصود الآن، أنه لن يحصل في المشاريع انقطاع للعلم، نحن اتفقنا أن هناك يومين دراسة وثلاثة أيام في المشاريع، والباقي يأتي فيما بعد إن شاء الله.

انتهى النقاش.

[١٧٧] رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

بدأنا في **"باب من تبرّك بشجر أو حجر ونحوهما"**

بدأنا تكلمنا عن مسألة البركة.

"**من تبرّك** " من أين أتت؟ كلمة تبرّك من أين أتت؟ تبرّك أتت من طلب البركة.

البركة نفسها ما معناها؟ على معنيين:

- الثبات والدوام.
- والنماء والزيادة.

يعني أنك تريد أن يبارك الله لك في إيمانك، ما معناه؟ المعنيان:

- كأنك تسأل الله الثبات والدوام للإيمان.
- وأيضًا النماء والزيادة للإيمان.

شخص يطلب البركة لماله، أمران: يطلب الدوام والثبات للمال، والنماء والزيادة أيضًا.

وعلى هذا قس كل شيء، شخص يطلب البركة في عمره، يعني : يطلب النماء والزيادة، وماذا عن الثبات؟ ممكن أن يكون الثبات على الطاعة، يعني تأتي كلمة البركة مناسبة لكل سياق، لكن المهم مجمل معناها أنك تطلب الثبات والدوام، والنماء والزيادة.

إذن التبرّك طلب البركة، طلب ثبات النعمة ودوامها، وطلب نماءها وزيادتها، فإذا أتيت إلى دعاء الذي يكون فيه طلب توريث السمع والبصر، عندما نقول "وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا" هذا ما معناه؟ طلب للبركة في الصحة، وفي العمر، بحيث أن تبقى هذه الأشياء بعدنا، "الْوَارِثَ مِنَّا" يعني بمعنى أننا نموت وهي سليمة.

انتهى الأمر أن التبرّك هو طلب البركة، وتبيَّن لنا أن البركة ما يأتي بها إلَّا الله عز وجل، إذن طلب البركة سيكون عبادة، ما دام طلب البركة عبادة – وهذا الكلام ناقشناه سابقًا– أهم جملة خرجنا بها أن طلب البركة عبادة؛ ما دام طلب البركة عبادة، إذن تحتاج إلى شرطين للقيام بها:

- الإخلاص
- والمتابعة.

طلب البركة مثل الدعاء يعني، فعندما أقول لك: "الدعاء عبادة"، ما شرطه من أجل أن يقبل؟ الإخلاص والمتابعة.

وأأتي أقول لك "طلب البركة عبادة" ما شرطه؟ الإخلاص والمتابعة.

ما معنى الإخلاص في طلب البركة؟ أن لا تطلب إلَّا من الله.

ما معنى المتابعة في طلب البركة؟ فيها شرطان:

- أن لا تتبرّك إلَّا بشيء ثبت في الشرع أنه مبارك.
- أن لا تطلب البركة إلَّا بالطريقة الشرعية، إلَّا بالطريقة التي شرعت.

فانتهى الأمر على أنهم ثلاثة شروط:

- أن لا تطلب البركة إلَّا من الله.
- ثم اعلم أن الله عز وجل جعل لطلب البركة مواطن وأزمنة وأمكنة ومأكولات وأفعال وأقوال، كل هذه أشياء جعلها الله لطلب البركة، إذن لا تطلب البركة إلَّا بأشياء شرع أن تطلب البركة فيها.
- ثم لا تطلب البركة من هذه الأشياء إلَّا بالطريقة الشرعية.

الآن ضربنا مثال، أسهل أمثلة تضرب على الأزمنة والأمكنة، مباشرة نستوعب ما معنى التبرّك.

الآن نقول شهر رمضان مثلًا، نحن نقول أن رمضان شهر مبارك؛

- من الذي ينزل البركات فيه؟- وهذا أول شرط- لا ينزلها إلَّا الله.
- من الذي جعل هذا الشهر مبارك؟ الله عز وجل، وهذا الشرط الثاني.

إذن شرطان: هذا الشهر مبارك لأن الله عز وجل هو الذي جعله مبارك، والبركة التي تنزل فيه أنزلها الله.

الآن كيف تُطلب البركة؟ بالطريقة الشرعية، يعني بالأعمال التي شُرعت.

وما هي الأعمال التي شرعت؟ الصيام، والقيام، وتلاوة القرآن، إلى آخره.

الآن أفهميني ما هي البركة في هذا الموطن، في رمضان ما معنى البركة؟ وقوع النماء والزيادة، يعني انت نفس عمرك، ونفس أيامك، أربع وعشرون ساعة، والشهر ثلاثون يوم نفسه، لكن الثلاثين يومًا والأربع وعشرين ساعة وضعها مختلف من جهة الأجور، الصيام هنا ليس مثل الصيام فيما قبله، والقيام هنا ليس مثل القيام فيما قبله، إلى آخره، فتجد أن هناك نماء وزيادة، فمن هنا أتى أنه شهر مبارك، يعني أن ينمو لك الأجر، وأن تعيش نفس الأيام وتفعل نفس الأفعال، فكثير من الناس يكونون من أهل القيام طوال السنة، فلما يأتي رمضان يكون قيامهم مبارك، نفس القيام الذي كانوا يصلونه في السباق لكن هنا في رمضان مبارك ماذا مبارك، ما معني مبارك؟ النماء والزيادة؛ **هذا بالنسبة للزمان.**

والمكان؟ البيت الحرام، يعني انت تصلي الظهر الآن قبل حدود الحرم، على قول أن حدود الحرم كلها تعتبر داخلة في الحديث: "الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ " هذا رأي، وهذا هو الرأي القوي، أن كل حدود الحرم الأعمال فيها مضاعفة ومن بينها الصلاة.

فتصور بينك وبين الحدود نصف متر، قبل الحدود انت صلاتك عادية، وبعد الحدود تضاعف إلى مائة ألف صلاة، فهذه أرضٌ مباركة، يجب أن يقع في قلبك محبتها الشديدة، وتراها في نفسك غير كل الأراضي، وترى كل شيء فيها له لون وطعم مختلف، يجب أن تشعر بهذه المشاعر من سكناها.

انت الآن عندما تذهب، لو كنت بعيد قبل أن تصلها، الناس يعشقون التوافه، انت املأ قلبك حب لهذا المكان المبارك من بعيد، يعني الناس الآن يشتهون أن يسافروا ويذهبون ويأتون، انت اجعل في قلبك حب هذا المكان المبارك، يعني في شعاب قلبك، في الداخل، ترى أن أنفاسك لها طعم مختلف لما تصل إلى هناك، ترى كل شيء بلون آخر، كل شيء، والله حتى اللقمة الواحدة في هذه البلد ليس مثلها في أي مكان آخر، لكن على حسب القلوب، نحن لا نعرف الشوق، لا يعرف الشوق إلَّا من عاش في الحرم، ثم انتقل عنه؛

يعني الناس يجلسون بالشهور يملون، يملون من بيوتهم، لكن انت تعيش في الحرم لا تمل، لا تمل مهما تكرر ارتيادك له، الله عز وجل جعل الأنفس تهوي إليه، فإذا لم تجد في قلبك أنك تهوي إليه إذن راجع نفسك، راجع نفسك، انظر ماذا في قلبك؟!، ليس مكان مثل باقي الأماكن أبدا، بل هذا مكان يسري الحنين إلى البقاء عنده، وكل بعد يجذبك مرة أخرى إلى الذهاب.

على كل حال مثل هذه المشاعر يجب أن تكون واصلة عندك إلى درجة الغليان، خصوصًا نحن-نسأل الله أن يجعلنا من الشاكرين – ما بيننا وبين الحرم؟!، فقط نسأل الله أن يغفر لنا تقصيرنا-على قدر ما في قلبك، وعلى قدر صبرك ربي يوصلك.

المهم بعد كل هذه المشاعر، ومحبتك لهذا المكان؛ لا تجعلك محبتك تتبرّك به تبركًا غير شرعيًا، هذا هو الإشكال، تحبه مثل هذه المحبة الشديدة، وترى أن نفسك هناك غير نفسك في أي مكان آخر، لكن عندما تصل يجب أن لا تتبرّك به إلَّا التبرّك الشرعي.

أنا وصلت الحرم الآن – نسأل الله أن يقرب لنا المسافات – بعد أن وصلت الحرم، ماذا أفعل؟ كيف أتبرّك به؟ كيف يكون سبب للنماء والزيادة عندي؟

- طف، طف، كرر الطواف ما استطعت، الطواف كأنه صلاة، كرره ما استطعت.
- الخلوة، الخلوة بالنفس في مثل هذه الأماكن مباركة.
- عليك بقراءة القرآن.
- عليك بالصلاة.
- عليك بالعمرة "وَالْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا".
- الإحسان إلى المخلوقين.

إلى آخر الأعمال، وتعرف أنها في هذا المكان ليست مثلها في يعني مكان آخر، لكن احذر أن تتمسح بالجدران، أو تتمسح بما لم يؤمر لك بمسحه، كل هذا لا بد أن يكون عندك حالة من التوازن، مع قوة عاطفتك، ومع حبك للمكان لا يحولك إلى أن تتبرّك به تبركًا غير شرعي.

الآن لا تبرد مشاعركم، لما أأتي أكلمك عن التبرّك غير الشرعي لا ينتقل عقلك إلى أنه ما دام كذلك أحسن أن نبتعد!، أو تجد البرود، البرود، تجاه الحرم أو تجد الناس موجودين في الحرم يجلسون من العصر إلى العشاء والطواف سهل خصوصًا في مثل هذه الأيام، الطواف سهل، ولا يحركون ساكنًا، جالسين مكانهم،! يتكلمون وكأنهم في تمشية، يقولون نحن لا نريد أن نصل إلى درجة الغلو، نحن أمَّا سلب مفرط، أو إيجابا مفرط، لا هذا ولا هذا، المسألة تحتاج إلى وسطية والتزام بالنصوص، لا تبرد قلبك تجاه الحرم، انت في نعمة عظيمة!، عندما تصل إلى الحرم انت في نعمة عظيمة!، شيء يتمناه الناس، يكادون يختنقون بكاء، وينتظرون أن يصلوا إلى مثل هذه الأماكن، وهو الحكيم سبحانه وتعالى، ابتلانا واختبرنا بالقرب؛ هذا كان في الأماكن والأزمنة، ذكرناه المرة الماضية.

ننتقل الآن إلى الأفعال.

من الأفعال المباركة التي تسبب البركة: الاجتماع في حلق العلم مثلًا، هذا من الأفعال المباركة.

من أين عرفت أن الاجتماع في حلق العلم من الأفعال المباركة؟ من النصوص.

تعليم الناس الخير من الأفعال المباركة، ما وجه بركتها؟ لما يأتيك الحديث: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ"[١٧٨]، فترى أن هذا عمل مبارك، يعني سبب لنماء وزيادة أجرك، يعني انت تستغفر، تطلب من الله الرحمة، لكن عندما تجد في الحديث: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا

[١٧٨] سنن الترمذي» كتاب العلم» باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة(٢٦٨٥)

وَحَتَّى الْحُوتَ" كلهم يصلون على معلم الناس الخير، فتجد أنك تقوم بعمل بسيط، ولا يأخذ منك إلَّا ساعات قصيرة، وفي مقابله أجور مضاعفة، ونماء عجيب.

إذا كان الله عز وجل يصلي على معلم الناس الخير إذن هو في حال خير عظيم، من أجل ذلك لا تبخل على نفسك، تمنى على الله أن تكون ممن يعلم الناس الخير، لأنك إذا علمت وانت صادق تكون وليّ من أولياء الله الصالحين، فتضاعف لك الأجور، وحتى تصبح معلم الناس الخير ليس شرط أبدًا أن تأتي إلى التجمعات الكبيرة وتعلم الناس الخير، ليس شرطًا أبدًا، ولا في أي نص، لكن معلم الناس الخير أقرب ناس لك، أقرب ناس ولو خادمك في البيت يصلح على يديك، لأن ربُّ درهم سبق ألف درهم؛ المهم على قدر الحاجة، وعلى قدر صدقك، وعلى قدر عملك، فهذا من الأفعال المباركة.

الصدقة، القرض، يعني انت تجد أن هذه الأعمال المباركة عبارة عن عمل بسيط ويحصل معه النماء والزيادة، هذا هو المقصود، المضاعفة والنماء والزيادة.

الآن أيضًا من الأقوال المباركة: مثل الذكر، الذكر من الأقوال المباركة.

مثلًا " مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ"[١٧٩] طبعًا هذا على حسب ما قام في قلبك لا تنس هذا الكلام، على حسب جمعك على قلبك، هذه قاعدة، قلبك أين هو ؟ على حسبه تأتيك الأجور، لكن المهم أن تفهم أن هذا فعل ما نوعه؟ مبارك، لأن انت تأخذ زمن لنقل عشر دقائق، هذه العشر دقائق ما وراءها؟ وراءها ما وراءها من مغفرة الذنوب، أمر يرجوه العبد، فأصبحت بهذا بركة؛ وهذا مثال على بركة الأقوال.

نأتي الآن عند الإشكال: **مثال على بركة الأشخاص.**

سنقسم الأشخاص إلى قسمين:

- القسم الأول: النبي صلى الله عليه وسلم، يعني اعتقادنا في بركة النبي صلى الله عليه وسلم مختلف عن اعتقادنا في بركة غيره.
- القسم الثاني: العلماء، من الأشخاص الذين لهم بركة العلماء.
  - الآن نقول أن النبي صلى الله عليه وسلم له بركة في حياته.
  - وله بركة بعد موته صلى الله عليه وسلم.

⇦ **أمَّا البركة في حياته** فتكون بركة بذاته، وبركة بسنته، يعني التبرّك بذاته، والتبرّك بسنته، هذا في حياته والتبرّك بذاته كما ورد عن الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم "وَإِذَا تَوَضَّأَ اقْتَتَلُوا عَلَى وَضُوئِهِ" هذا في حياته.

⇦**وبعد مماته** صلى الله عليه وسلم كيف تكون البركة؟ إذا بقي من آثاره شيء، شعرة مثلًا، السيف، هذا لا بأس بالتبرّك به، وهو ما انفصل عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل [الشعرة، وسيفه] لكن اليوم عندما تنظرين في الواقع، تجدين أنه لا يوجد دليل أبدًا على بقاء مثل هذا إلى الآن.

وإن كان أحد متاحف تركيا يذكرون بقاء سيف النبي صلى الله عليه وسلم، وبقاء شعرة له، يذكرون ذلك، لكن المحققين من أهل العلم ومن بينهم الشيخ الألباني ذكر بكلام واضح أنه لا دليل على صحة نسبة هذه للنبي صلى الله عليه وسلم.

[١٧٩] صحيح البخاري» كتاب الدعوات» باب فضل التسبيح (٦٠٤٢)

فالآن انت في موقف:

▪ لو ثبتت الصحة جاز التبرُّك. ▪ لو ما ثبتت الصحة لم يجز التبرُّك.

كيف يكون التبرُّك؟ مثل ما كانت إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم تضع شعرة النبي صلى الله عليه وسلم في شنة، يعني في جلجل، يعني في أداة فيها ماء، تضع عليها ماء ثم تشرب منها، هذا نوع من التبرّك، لكن هذا الآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد مماته إذا بقي من آثاره؛ **والمعلوم الآن أنه لم يبق شيء من آثاره صلى الله عليه وسلم**، هذا هو المعلوم القاطع لكل وهم، هذا المعلوم المتفق عليه.

إذن بعد موته، لو لم يكن هناك آثارًا من بدنه، يبقى التبرّك بماذا؟ بمتابعة السُّنة.

هذا الكلام الحقيقة يطول، قد كفانا أمس الشيخ الشريم الكلام عنه، في كلامه عن الرضا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن بكلمات مختصرة، فقط بكلمات مختصرة نقول:

"طلبك لبركة السُّنة معناه أن تعمل الأعمال التي ثبتت على السُّنة معتقدًا أنها تكفيك، وتوصلك إلى الله، وترفعك عنده، وأنك في حال خير من حال أهل البدعة وإن كثرت أعمالهم."

يعني تعتقد ثلاث اعتقادات:

- أولًا: أن السُّنة تكفيك.
- ثانيًا: أن السُّنة توصلك إلى الله وترفعك عنده.
- ثالثًا: وأنك في حال خير من حال أهل البدعة، يعني لا تتصور مساواتك معهم، ولا أنك أقل منهم أبدًا، لا تغرك دموعهم، ولا يغرك كثرة ذكرهم، ولا صلاتهم، لا يغرك مثل هذا كله، هم الآن ما أكتفوا بالسُّنة، فالذي ما أكتفى بالسُّنة ما حقق شهادة أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فانت تقول في الشهادة: **أنا أشهد أنك يارب وحدك الذي تستحق العبادة، وأشهد أن لا طريق يوصلني إليك إلى طريق النبي صلى الله عليه وسلم.**

هؤلاء ما حالهم أهل البدعة؟ ما حققوا شهادة أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يقع في قلبك أنهم أكثر حبًا للنبي صلى الله عليه وسلم، إنما هؤلاء قوم غرهم الشيطان.

على كل حال ليس موضوعنا أن نتكلم عن موضوع السُّنة هنا بقدر ما انت تتصور أن بركة السُّنة تقع عليك، فعندما تصلي كما ورد في الشرع كما ورد، وتتابع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ترى أن هذه الصلاة تنفعك عند الله، وعندما تصوم كما ورد في الشرع فانت الآن مثلًا تجد القوم يصومون يوم السابع والعشرين من رجب مثلًا، أو يقومون ليله، إلى آخر الأيام التي يخصصونها بقيامٍ أو صيام، انت تجد نفسك ما صمت مثلهم، ولا صليت مثلهم، هم في نظرك أنهم فعلوا أحسن منك، لا بد أن تتصور أن تركك للصيام ينزل عليك البركات ؛ لأن فيها قناعة بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

يعني السُّنة تباركك، عندما تفعل السنن، سنة النبي صلى الله عليه وسلم لا تتصورها ضدّ الفرض، المقصود بالسُّنة يعني كل منهج النبي صلى الله عليه وسلم، واعلم أن متابعة سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم سبب للبركات تنزل عليك.

هذا كل الذي تكلمنا عليه تبرّك شرعي؛ أمام كل واحد منها سنأتي بالتبرّك الغير شرعي.

القسم الثاني : التبرّك بالعلماء والصالحين.

من صور التبرّك الشرعي بالعلماء الصالحين: "الأخذ من علمهم، والاستفادة منهم، فتصور فقدهم، وكيف سيكون حال الناس بدونهم"

يعني انت الآن كيف تتعامل مع العلماء؟ تتعامل معهم من جهة اعتقاد أن الله جعلهم مباركين، سبب للبركة، سبب لصلاح الناس، سبب لتوجيههم، سبب لكذا وكذا ؛ فيكون طلبك للبرك أنك تنهل من علمهم.

وتصور لو أنهم غير موجودين ؛ ماذا سيكون؟ سيعم على الناس الجهل، فتصورك لعدم وجودهم يجعلك تطلب بركتهم.

ما بركتهم؟ طلب العلم، هم ما فائدتهم أصلًا؟ تعليم الناس، فمن هنا تؤخذ بركاتهم.

" أيضًا تؤخذ منهم بركة أخرى وهي الاقتداء بهم، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ"".

الآن نمر على التبرّك الغير مشروع.

بدأنا أولًا بالأزمنة، الآن التبرّك المشروع انتهينا منه، نقول التبرّك الممنوع.

نبدأ بالأزمنة من أول الكلام:

- قلنا مثال في التبرُّك المشروع: في رمضان بقيام الليل وصيام النهار.
- ومثال على التبرُّك الممنوع: الاحتفال بليلة القدر، الاحتفال بالإسراء والمعراج، هذا كله تبركات غير شرعية.

الأمكنة والجمادات.

التمسح بجدران الحرم مثلًا، التمسح بقبر النبي صلى الله عليه وسلم.

في الأفعال.

- مثال على التبرُّك الغير ممنوع: طلب العلم على أيدي الراسخين هذا من الأفعال، تعليم الناس هذا من الأفعال، أتكلم عن نفس الفعل وليس العلماء.
- في التبرّك الممنوع: مثلًا أنهم يعتقدون أنه لا يتم الحج إلَّا بالذهاب إلى المدينة، هذا تبرُّك بالمدينة غير مشروع.

في الأقوال.

الذكر الجماعي، الذكر البدعي عمومًا.

وهذا سيخرجنا بنتيجة الآن النبي صلى الله عليه وسلم من التبرُّك الممنوع به: التبرُّك بتراب قبره، المسألة سلسلة من الخرافات مع الاستغلال، يأتي أحد يقول أنا مستعد أن آتي لك تراب من قبر النبي بمائة ألف، ولا يكون كاذب، بل يذهب، وغير الفاهم تأتي له المشكلة، فهو أصلًا لا يصل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم!، نفس قبر النبي صلى الله عليه وسلم مصمت من كل الجهات، من الأعلى ومن الجنوب، يعني من جانبيه مصمت من الأعلى، انتهى الأمر، لا يدخل للقبر!

هناك توسعة أولى، تم توسع المكان ثانية وثالثة، فهو يدخل في هذه الأماكن، وهي عبارة عن المسافة بين الحديد وبين القبر، ثم يأخذ من هذا التراب ويأتي به ويبيعه، يعني حفنة بقدر اليد بمائة ألف؛ تحزنون على المائة ألف ولا تحزنون على الشرك؟! — الله المستعان –

على كل حال المقصود الآن أن مثل هذا مروَّج له، ويأتوك ناس يقولون لك نحن نعرف ناس يدخلونا إلى القبر، ويحلفون أيمان أنهم دخلوا إلى القبر، وهم بينهم وبين القبر مسافة، لكن لأن المسألة مسألة خداع، – سأتكلم عن الذين يمسكون المسألة– هذا يخادع وهذا جاهل، فاجتمعا، فهذا المخادع يقول للآخر أن الوهابيين لا يتركونا ندخل، ولا يسمحون لنا، ولو عرفوا عنا كذا وكذا، ولا تتكلم وسر، لتبقى المخادعة أصلًا، من أجل أن يبدأ يخادعه يجب أن يقول له مثل هذا الكلام، على الأقل من أجل مسألة ابتزاز الأموال ستحصل مشكلة، بغض النظر حتى لو كان القائم لا يهمه الشرك، لكن مسألة ابتزاز الأموال هي التي ستأتي بالمشكلة، فانت تجد أنهم يفعلون هذا الفعل، واحد مخادع، يعني لص بهذا التعبير، وآخر جاهل، فيجتمعان فتأتي هذه المشكلة، المشكلة التي تعتبر عظيمة، ونحن نرى تفشيها، وزيادتها.

ثم يأتي يقول لك الآن كأس ماء به ملعقة من تراب قبر النبي صلى الله عليه وسلم تشفي!، وتأتي المسائل الشركية الأعلى!، لا تبقى حتى عند حد التبرُّك الممنوع فقط إلى أن يصل إلى الشرك وسنرى الآن أنه بذلك سينقسم التبرُّك الممنوع إلى قسمين.

وهذا مروَّج له وأهل الحجاز يعرفون هذا الكلام جيدًا، وكيف أنه يأتي الناس الآن الفقراء ويقولون لك نحن ليس لنا نصيب في قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويتركوه فقط للأغنياء؟!، هذه المشكلة! ويتصورون أن المسألة فيها طبقية، وأن الأغنياء يستطيعون لأنهم يدفعون، والفقراء لا يستطيعون الدخول لأنهم لا يدفعون!، وندخل في منظومة جديدة من المفاهيم. – والله المستعان–.

الغبار الذي يمر يمسحونه ويأخذونه، ويأتون لهم بالغبار، ويقول لها أن هذه الفترة مشددين علي!، هكذا يقولون، وهذه مواقف حقيقية يقولون هذه الفترة مشددين علي لا أستطيع أن أدخل وأفعل شيء، فقط ألم لك الغبار!، والله هذا كلام ومواقف حقيقية. هذا مثله غسيل الكعبة، ومثله تقطيع الكسوة، كل هذا مثل بعضه، كلها تبركات غير شرعية، وكلها موجودة وتتوزع وتباع، ويغتني الناس من وراء هذه البدعة والشرك –الله المستعان، نحن نشتكي إلى الله–.

لذلك نشر العلم لا يجعل لهؤلاء سوق أبدًا، لا يستطيعون أن يقنعوا الناس بخداعهم، على كل حال الله يعين الناس الذين لهم علاقات من هذا النوع، لأن في النادر أن مثل هؤلاء الذين جربوا هذه التجارب، في النادر أنهم يقبلون هذا الكلام، نسأل الله أن يشرح صدورهم.

كسوة الكعبة في مصنع نسيج، ما الذي حصل بها؟!، مثل العواميد التي في الحرم التي تكون في مصنع حديد ويأتون به، يعني مرة من المرات رافضية، واقفة عند باب الحرم المدني أيام التوسعة، وأتوا بالعواميد الحديد ولم توضع في البناء بعد، فهذه الرافضية مجتهدة في أن تمسح هذه العواميد، فالرجل يقول لها هذه آتية من المصنع، آتية من المصنع!، يعني يريد أن يقنعها أنها ليس لها علاقة حتى الآن بالحرم؛ يعني هذا الترويج الذي يحصل على الحجاج وعلى المعتمرين، انظري الآن كيف يبيعون دينهم، وهؤلاء من أهلنا، من الذين تربوا على التوحيد!، يذهبون للبقيع ويبيعون للناس تراب البقيع، والله شيء يشتكى إلى الله، فقط نشتكي إلى الله أنه كيف الطمع بالدنيا أوصل الناس إلى الاستهانة بمثل هذا؛ – الله المستعان–.

نأتي الآن للكلام حول العلماء من صور التبركات الممنوعة: الشرب بعد شربهم طلبًا للبركة، إلى آخره من التمسح بأبدانهم، ومما تجدينه في الغالب عند الصوفية والروافض، **لكن أهل السُّنة والجماعة لا بد أن يكونوا على حذر، يغلقون هذا الباب على أنفسهم تمامًا؛**

إذا أردت أن تنتفع من العلماء فانتفع بأمرين:

- انتفع بعلمهم.
- وانتفع بالاقتداء بهم.

ولا تعرض نفسك ولا غيرك إلى مسألة تتصل بهذا التبرُّك غير المشروع.

والتبرّك غير المشروع بأهل البيت من التمسح بهم، وهذا الكلام يقال لآل البيت، لا بد أن يكونوا على حذر من مثل هؤلاء، لأن هؤلاء القوم من آل البيت لابد أن نعرف أن لهم حقوق مختلفة عن باقي الناس، هذا الأمر كلنا يجب أن نتفق عليه، **بل نحن نتقرب إلى الله بحب آل البيت، ولو وجدت أحدا حولك من آل البيت لا بد أن يقع في قلبك حب له،** خصوصًا لو كان مستقيمًا، تحبه لأمرين:

- لاستقامته
- ولأنه من آل البيت.

ولو لم يكن مستقيمًا اجعل في قلبك طلب الاستقامة له، حُبّ أن يكون مستقيمًا أكثر من حبك لغيره أن يكون مستقيما، المهم هؤلاء لهم حقوق مختلفة، مع الاستقامة طبعًا.

الآن أنا لن أخاطب الباقي، سأخاطب آل البيت، القوم الذين يعرفون أنهم من العوائل التي تعود إلى آل البيت لا بد أن يحافظوا على توحيدهم، وعلى توحيد من حولهم، ولا بد أن تتصور أنهم قد يكونون سليمين في توحيدهم لكن يجتمع عليهم قوم يحولونهم من التوحيد إلى ضدّه.

ونحن نشهد على قوم، على شخص بعينه، على امرأة بعينها، كانت من أهل التوحيد لدرجة أنها كانت أول من أهدت لأحد طلاب العلم أشرطة العقيدة الواسطية، في وقت ما كان هناك أحد يعرف الكلام عن العقيدة أبدًا، يعني يمكن قبل عشرين سنة تقريبًا، أهدت أشرطة العقيدة الواسطية في وقت ما كان أحد يعرف أصلًا الكلام عن العقيدة، أهدت له أشرطة في شرحها، ثم بعد أقل من خمس عشرة سنة، أصبحت ترى نفسها وليّة، ويُتمسح بها أو ما حول هذا!

فتصوروا التحول الشديد من أن تكون سببًا لنشر التوحيد لأن تكون سببًا لنشر الشرك، وتستعجب – سبحان الله– كيف أتى البلاء، كيف أتى البلاء؟ أتى البلاء من جهة أن أحدًا دخل حياتهم معظمًا لآل البيت تعظيمًا بدعيًا، فوقع في نفوسهم هذا الشخص وكلامه، فتحولت بالتدريج من التوحيد إلى مثل هذه البدعة – والله أعلم الأمر وصل إلى أين– لكن على الأقل نحن نرى ما هي عليه من تحول من التوحيد إلى البدعة!، أقل كلمة تقال البدعة

– عسى الله أن يردهم ردًا جميلًا إليه، اسأل الله عز وجل بمنه وكرمه أن يردهم إليه ردًا جميلا–

من أجل ذلك لا بد أن يكون لكم علاقة بهذا الموضوع أن تحرصوا من الناس، انتم قد يكون آل البيت أسلم نفوسًا لكن مشكلتهم ليست في نفوسهم بل في الناس من حولهم، فيغرونهم، ومثل هذا نقول لطلاب العلم وللعلماء ولكل واحد له مكانة.

ومثلًا يعتقدون في إمام الحرم، فهو إمام الحرم ويسير بحاله ومع هذا يأتون ويتمسحون به!، آتين بمعتقداتهم.

على كل حال أصبحت المصيبة في مَن؟ أصبحت المصيبة في الناس، هم يأتون لك بمثل هذا، يدخلون على قلبك بمثل هذا – الله المستعان –.

وجه المقارنة		التبرُّك المشروع	التبرُّك الغير مشروع
الأزمنة وكيفية التبرُّك بها.		في رمضان [بقيام الليل وصيام النهار].	الاحتفال بليلة القدر، الاحتفال بالإسراء والمعراج.
الأمكنة وكيفية التبرُّك بها.		البيت الحرام [الطواف، الخلوة بالنفس، قراءة القرآن، الصلاة، العمرة،الإحسان إلى المخلوقين]	التمسح بجدران الحرم مثلًا، التمسح بقبر النبي صلى الله عليه وسلم.
الأفعال وكيفية التبرُّك بها.		الاجتماع في حلق العلم، الصدقة، القرض.	اعتقاد أنه لا يتم الحج إلَّا بالذهاب إلى المدينة.
الأقوال وكيفية التبرُّك بها.		الذكر "مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ"	الذكر الجماعي، الذكر البدعي عمومًا.
الأشخاص وكيفية التبرُّك بهم.	النبي صلى الله عليه وسلم	⇦**أمَّا البركة في حياته** فتكون بركة بذاته، وبركة بسنته، يعني التبرّك بذاته، والتبرّك بسنته، هذا في حياته والتبرّك بذاته كما ورد عن الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم "وَإِذَا تَوَضَّأَ اقْتَتَلُوا عَلَى وَضُوئِهِ" هذا في حياته. ⇦**وبعد مماته** صلى الله عليه وسلم: ▪ إذا بقي من آثاره شيء، شعرة مثلًا، السيف، هذا لا بأس بالتبرّك به،والمعلوم الآن أنه لم يبق شيء من آثاره صلى الله عليه وسلم. ▪ متابعة السُّنة.	التبرُّك بتراب قبره، التمسح بعواميد مسجده صلى الله عليه وسلم.
	العلماء والصالحين	الأخذ من علمهم، والاستفادة منهم، والاقتداء بهم.	الشرب بعد شربهم طلبًا للبركة، إلى آخره من التمسح بأبدانهم.

الآن انتهى الكلام على الصورة الممنوعة، على هذا انتهى الكلام على أن " التبرُّك الممنوع ينقسم إلى قسمين:

- تبرّك شركي.
- تبرّك بدعي.

"**أمَّا التبرّك الشركي**: هو أن يعتقد المتبرَّك أن المتبرَّك به وهو المخلوق يهب البركة بنفسه، فيبارك في الأشياء بذاته استقلالًا، وكونه شركًا لأن الله تعالى وحده موجد البركة وواهبها، فقد ثبت في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " البركة من الله "، فطلبها من غيره، أو اعتقاد أن غيره يهبها بذاته شرك أكبر"

فهذا تبرُّك شركي، لماذا؟ لأن الله عز وجل وحده هو موجد البركة، وهذا الشخص يعتقد أن هذا الشيء بنفسه هو الذي يعطي البركة، هم يعتقدون أن هذا الشيء هو الذي يثبت عليك النعمة ويزيدها لك.

فيأتون مثلًا هذا الشخص يبني عمارة، ويريد أن تأتي بسعر عال في البيع، يعني يريد لها النماء والزيادة، فيأتي بشيء مما يعتقد أنه مبارك، مثلًا ممكن يكون ملابس شيخه –وهذا العمل تقوم به الصوفية بكل وضوح– فيأتي بها ويضعها في البيت الذي يريد أن يبيعه، أنا أكلمكم الآن عن مسائل واقعية، أو مثلًا هذا مكتبه ويريد أن يُبارك مكتبه، حتى عندما يخطط ويكتب يكون هناك نماء وزيادة في عقله، فيأتي مثلًا بشيء من ملابس شيخه مثل غترته، أي شيء يأتي به ويضعه في الدرج، أو صورة الشيخ، يضع شيء من هذا على أنه سيحل البركة بنفسه، يعني هذا الشيء الذي هو جزء من شيخه سيحل به البركة؛ فأصبح هذا النوع من التبرُّك تبرك شركي.

"**التبرُّك البدعي** – وهذا ذكرناه في التمائم التبرُّك البدعي–: وهو التبرُّك بما لم يرد دليل شرعي يدلُّ على جواز التبرُّك به، معتقدًا أن الله جعل فيه بركة، أو التبرُّك بالشيء الذي ورد التبرُّك به في غير ما ورد في الشرع التبرُّك به فيه"

– يعني يتبرّك بشيء ورد في الشرع لكن في غير ما ورد فيه، سنرى الآن مثاله؛ هذا يعتبر تبرّك بدعي.–

" وهذا بلا شك محرم، لأن فيه إحداث عبادة لا دليل عليها من كتاب أو سنة، ولأنه جعل ما ليس بسبب سببًا، فهو من الشرك الأصغر، ولأنه يؤدي إلى الوقوع في الشرك الأكبر."

ما معنى التبرّك البدعي؟ له صورتان:

❖ الصورة الأولى: أن تتبرّك بشيء لم يدلُّ دليل شرعي على جواز التبرّك به، هو شيء موجود لكن ما قالت لك الشريعة تبرّك به، انت ماذا تفعل به؟ تفضله، وترفعه، وتجعل له مكانة ما جعلتها له الشريعة له، وعلى هذا قامت بدعة الرفض وبدعة الصوفية، على هذا الأمر بالضبط، وانظر في النهاية أوصلهم إلى ماذا؟ إلى الشرك الأكبر!.

"**يعني بدعة الرفض تقوم في أصلها على تفضيل ما لم يفضله الشرع، وبدعة التصوف قامت على إضفاء القداسة على المشايخ والأقطاب.**

الأقطاب: هذا مصطلح باختصار مقصود به أناس له مكانة عالية.

مما أدى إلى تفضيل أزمنة، وأمكنة، وأعمال، وأحوال لم يأذن بها الله"

مثل يوم عاشوراء، يوم عاشوراء بالنسبة لأهل السنة متابعون فيه النبي صلى الله عليه وسلم، النبي هو الذي أمرنا بهذا، يأتون إلى هذا اليوم ويجعلون فيه نوع من العبادة– عبادة عامة الآن– هم الآن أفعالهم التي يفعلونها في يوم عاشوراء يتقربون بها إلى الله، من منظومتها الضرب لأنفسهم، لكن هي منظومة طويلة؛

النهاية الآن أنهم أتوا إلى أيام وإلى أفعال ماذا فعلوا بها؟

- أولًا بدأ التفضيل، فضلوا علي رضي الله عنه عن بقية الصحابة.
- ثم ارتفعوا في ذلك إلى وصلوا إلى تأليهه.
- ثم وصل بهم الأمر مع الحسين بنفس الطريقة.
- ثم لا تسأل بعد ذلك عن منظومة الشرك الأكبر التي حصلت!، حتى أنهم يحجون إليه، ويسمونه "النجف الأشرف"، الأشرف أي الأشرف على التفضيل.

فنحن نقول الحرمين الشريفين، يعني هذا لكم أنتم، لكن هو النجف الأشرف منكم يعني، فانظري الآن كيف تُفضل أرض على الحرمين !!، وكيف العتبات التي هي المقابر أصبحت "العتبات المقدسة" عندهم، كيف أصبحت أماكن على أماكن، وأشخاص على أشخاص، من هنا أتت التبركات البدعية، أنهم يعتبرون أن هذا مبارك، أبرك من هذا، أحسن من هذا، فأتى التفاضل.

يجب أن تتصورا ماذا فعل التبرّك للأمَّة عندما كان غير شرعي، يعني منظومة الشرك الواقع سواء عند الصوفية أو عند الروافض، ما الذي أتى بها أصلًا؟ ما أتى بها إلَّا التحول من التبرّك الشرعي إلى التبرّك البدعي، هذا الذي أتى بها، ثم أتى الشرك بعد هذا.

لا بد من تصور أن العالم الإسلامي في مقصلة الآن بين الروافض وبين الصوفية، لابد أن تفهم هذا جيدًا، **الروافض والصوفية وجهان لعملة واحدة**، بالضبط، إلى درجة أن النصوص نفسها تجد في كتب هؤلاء يعني هم الآن من النسخة؟ الصوفية، فالروافض كانوا الأصل والصوفية نسخة من الأصل، لكن هناك نسخة مركزة، ونسخة مميعة، في نسخة تجد كتب الصوفية بالضبط منسوخة نسخًا من الروافض، وهناك كتب ميعت من الصوفية، فأصبحت أخف وما بقي الأمر إلى هنا، مثل الحلاج وغيره، هؤلاء قوم ارتفعوا، وصلوا إلى درجة الحلول والاتحاد!، سقوط التكاليف، والحلول والاتحاد المصيبة العظمة!!! فلا تأتي إلى التبرُّك وتعتبره أمرًا هين!، فهو نقطة بداية يأتي وراءها بلاءات عظيمة.

– نسأل الله عز وجل أن يحفظ قلوبنا على التوحيد، ويحفظ قلوب أبناءنا–

لأن الشعور بأن هذا له بركة، أمر تستعجبينه، تصوري أن امرأة من الدول الأجنبية كانت تقرأ في تاريخ إبراهيم عليه السلام، ومعلوم أن تاريخ إبراهيم عليه السلام تاريخ اليهود والنصارى، كلهم يستقطبونه على أن هذا أصلهم، يعني أن إبراهيم عليه السلام هو أصل دينهم، إلى أن أتت إلى باكستان، يعني رحلت رحلة إلى باكستان، ورأت القوم أهل الشعوذة، الذين يذكرون أذكار ويدخلون في النار، ثم أتى منها كلام تصريح تقول فيه: كنت أقرأ أن إبراهيم عليه السلام ألقي في النار ولم تحرقه، ولم أدر ما السبب، إلى أن علمت أنه نادى اسم الحسين من أجل ذلك لم تحرقه النار مثل هؤلاء!؛ انظري كيف؟!؛

الآن تعال إلى الصوفية، ماذا يرون؟ يرون أن الدنيا خلقت للنبي.

تعال إلى الروافض يرون أن الدنيا خلقت لعلي والحسين.

ومن ثمّ لا يوجد ترتيب زمني، ولا فيه أي شيء من أجله خلقت الدنيا!

هل اتضحت هذه الانقلابات الفكرية؟ !! سبحان الله، أمر عجيب، لكن مثل هذا يكرر، أنك تجد ناس يخرجون من الضلال إلى الأضل!؛ يعني كانت في النصرانية وآخر يدعوها إلى الإسلام، فتخلي أن الذين دعوها هم الروافض، فلما خرجت من النصرانية والشرك الذي فيها دخلت إلى الرفض والشرك الذي فيه! — الله المستعان —.

على كل حال؛ قلنا أن التبرّك الممنوع قسمين:

- تبرّك شركي. - وتبرّك بدعي.

والبدعي معناه أن يتبرّك بشيء لم يرد في الشرع دليل على التبرّك به، فيرفعون أشياء لم ترد في الشرع.

- هناك نوع آخر في التبرّك البدعي: الصورة الثانية : وهو أن يتبرّك بشيء ورد في الشرع لكن بطريقة غير شرعية، يعني ورد في الشرع التبرُّك به لكن هم تبركوا به بطريقة غير شرعية.

نضرب مثال على أسماء الله؛ ماذا تتصورون؟

أول شيء ما التبرّك الشرعي في أسماء الله؟ كيف يكون؟ الدعاء بها، تفهمها، تتعلمها، هذا من التبرّك الشرعي، آثار أسماء الله عز وجل عليك شيء كثير في صلاح قلبك، تدعو بها، تعتقدها في الله، كلما تعلمت عن الله وعن أسمائه وصفاته كلما حسن ظنك بالله، وكلما وقع في قلبك خوف؛ كل هذا اسمه تبرّك شرعي بأسماء الله.

خرجت ورقة ليست قريبًا لكن هي كل مرة ترجع من جديد، يمكن لهذه الورقة عشر سنوات، مكتوب فيها "العلاج بطاقة اسماء الله" أي قرروا أن الأسماء لها طاقة، وأن هذه الطاقة يُتعالج بها، ثم وصفوا لك أوصاف، قال لك عندما تؤلمك أذنك وقل اسم السميع ٤٤ مرة، إلى أخره، وهكذا وضعوا أسماء، ووضعوا أمراض، حتى أنهم خططوا الإنسان تخطيط ووضعوا على كل منطقة يحصل فيها أ لم اسم تقوله بعدد من المرات.

الآن اسماء الله عز وجل تتبرّك بها، لها بركة، أدعو بها، أتعلمها، من أحصاها دخل الجنة، كل هذا من بركتها، هذه الطريقة التي ذكروها هل وردت فيها دليل؟ لأ

الآن الاسماء يتبرَّك بها لكن هل بهذه الطريقة؟ الجواب لأ.

إذن صار خطأهم في الطريقة التي تبركوا بها، فأقل ما يُقال عنها أنها محرمة، وتبرُّك بدعيّ.

المشكلة وانت تناقشين الناس يقولون لك هذه أسماء الله، ويقولون لك ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون بدعة؟!، هؤلاء ناس لا يفهمون ما هي السُّنة.

لنعود إلى أسماء الله، أريدكم أن تتصوروا كيف هذا سيؤدي إلى الحرام، وكيف سيؤدي إلى الشرك، مؤخرًا في أحد المجلات التي تصدر في المملكة، صورة امرأة تفننت في إخراج اسماء الله عز وجل على حلي تُعلّق وتلبس، أقراط وحلي تعلّق وتلبس، والآن أتوا بها على أنها مبدعة، ثم المصيبة أين؟ أنها أتت إلى أسماء الله، ومثلت كل اسم، بمعنى اسم الملك مثلًا شكلته على صورة تاج بعقد من الألماس، إلى آخره، شكلته بالذهب على صورة تاج، وإلى آخر ما تتصور، وهي في المقال كتبت وصوروا جزء من الإنتاج، ومشروع العمر بالنسبة لها أن تُخرج كل الأسماء بهذه الصورة!؛

- من هنا سيأتي الشرك هذه نقطة بداية فقط وسيُلبس.
- وسيُعتقد في الصورة الموجودة في الاسم المرسوم.
- ثم ماذا سيحصل في المستقبل؟ سيتبركون به، ويعتقدون فضله، إلى آخر ما تتصور من بلاءات بعد ذلك.

من أجل ذلك نحن نعيد ونزيد، ونقول أننا مر علينا قبل عشرين سنة أو أقل حالة من الصمت الطويل على باب الاسماء والصفات، وكان مضروب عليه ضربًا، لا أحد يتكلم فيه أبدًا، كأنه باب ليس من الدين ثم انكشفت الغمة بحمد الله خلال الخمس عشرة سنة الماضية بالتدريج، لكن نعود لنفس المشكلة، أن الشيء الذي لا يُبنى على علم تكون نهاياته مثل هذه التي نعيشها الآن، من عند

ورقة الاستشفاء بطاقة الأسماء، إلى هذه الحلي التي فيها استهانة بأسماء الله، فيها تمثيل للأسماء، وفيها فتح لباب البدعة والشرك والتبركات غير الشرعية

– لكنا نسأل الله عز وجل بمنه وكرمه أن يرد عنا هذه المصيبة العظيمة–

طبعًا عند الناس لا يتصورون أن مثل هذا أمر سيأتي بمصائب بعد ذلك، لكن إذا أردت أن تدخلي للناس وتكلميهم عن هذا الأمر من المحيطين بك كلميهم عن التعظيم على الأقل، أن مثل هذا يخالف تعظيم الله، هذا يُخالف تعظيم الله ،كيف ستمثل الأسماء؟!، هناك مفاهيم سهلة يمكن تمثيلها، لكن هناك مفاهيم أعلى منها وأصعب، يعني لا أقول يمكن تمثيلها يعني يجوز لها، لكن أقول استطاعت أن تفعل هذا وتصل للناس بهذا وماذا عن الباقي؟ ماذا ستفعل؟ لا بد أنها ستخترع!، ولابد أن يدخل من هنا نوع من وقوع الجحود في أسماء الله عز وجل وصفاته والتحريف، لا بد!، لن يسلم لها الأمر!.

مثل هذا لا بد أن يكون في قلوبنا يقظة تجاهه، قبل أن تحركي ساكنًا توسلي إلى الله أن يدفع شر مثل هؤلاء، والكلام الذي أقوله هذا لا أقصد به شخصًا بقدر ما أقصد فكرًا، فإذا ما كان [س] يكون [ص]، وإذا لم يكن [ص] يكون [ع]، ليس مشكلة الشخص إنما المشكلة أن هذا الفكر ينتشر، فكر أننا نتقلد أسماء الله، وإذا انتشر لا بد من محاربته بعد انتشاره، لكن قبل أن ينتشر لا بد من الكلام لدفعه، علينا الآن بالدعاء، بالدعاء ووعظ الناس.

هذا الكلام كله قبل أن ندخل إلى أدلة الباب، نبدأ الآن بالأدلة.

انتهينا من التبرُّك الممنوع والتبرُّك المشروع.

والتبرّك الممنوع ينقسم إلى قسمين: تبرّك بدعي وتبرّك شركي.

هذا كله الآن داخل بين أمرين:

- بين العلانية والسر في مثل، هذا هذا أمر.
- وبين النصوص التي تمنع على العموم وتسمح على الخصوص.

يعني مثلًا المدح: النصوص عموما تدلّ على منعه، فيبقى الأصل منع المدح.

أمَّا الثناء على عطاء الله فهذا أمر آخر، يعني تأتي لطالب علم أو لعالم وتقول له: الله أعطاك قدرة على تفهيم الناس، لا تبخل بما أعطاك.

انت الآن أثنيت على مَن؟ على عطاء الله، وليس عليه هو، فهو بنفسه ليس فاعل، إنما الله عز وجل هو الذي وهبه، لكنك تريد انت ذكره، لأن مثلًا افترض الشيخ القرعاوي من المشايخ الذين نزلوا إلى جيزان في فترة الظلمة الشديدة، مسألة الجهل والشرك، وذهب إلى أحد القرى، ودفعه أهلها، اجتمع بشباب وأخذوا منه، وبقية البلد رفضته، ثم ذهب إلى أمير المنطقة وقال له، هؤلاء فعلوا بي كذا وكذا، فأشر علي، فأشار عليه أن ينتقل إلى جزيرة فرَسان ويترك هذه المدينة التي وقع منها ما وقع، فكتب أحد طلابه، وسبحان الله هذا الطالب مشلول لكن كان له خير كثير على أهل بلده، فكتب إلى أمير المنطقة يثني على الشيخ القرعاوي، ويقول له فعل وفعل وفعل، من أجل ماذا؟ من أجل أن يعود، فكان هناك مناسبة أن يقول له هذا الكلام، فهذا الكلام عُرض على الشيخ، ولما قرأه وقع في قلبه أن يعود لطلابه فهنا يوجد مناسبة، وليس يبتدؤون هكذا دون مناسبة، انت وانت ولو ما كنت في البلد لا يكون • لا • ليس بهذه الصورة، هذا موقف.

موقف آخر: الشيخ شعر أنه لا فائدة من تعليمه للناس، فتأتي تقول له: تعليمنا هذا التعليم له أثره فحصل لنا كذا وكذا.
فالأصل منع المدح، لكن إذا ما أردت مدحًا بل أردت بيان حقيقة لأن هذه الحقيقة سيكون وراءها قرار هذا أمر آخر، وأيضًا وانت تتكلم تحرج من كلمات الثناء، لا تكن لأخيك قاتلا، تحرّج من كلمات الثناء، وركز على عطاء الله، أن الله هو الذي أعطاك، والله عز وجل وفقك وأجرى على يديك الخير، لا تحرم نفسك ولا تحرمنا، انت الله وهبك كذا وكذا، يعني ذكر شيخك بنعمة الله عليه، بمنة الله، وليس هو ، هذا أمر.
نأتي لمسألة التقبيل: مثلًا تقبيل اليد، هذا أمر جائز شرعًا [للوالدين، للكبار، للعلماء الذين لهم فضل] جائز شرعًا، لكن انظر للمجتمع الآن الذي انت فيه، قد يكون في مواطن بمجرد أن يروك تفعل هذا، مباشرة تصبح صوفي وهم صوفيون، وندخل في منظومة الغلو في نظر الناس، فمثل هذا يُترك من أجل درء الشبهة، لكن لو انت في مجتمع كله عنده نفس الثقافة أن مثل هذا لا بأس به، يعني هناك قبائل معينة أصلًا سلامهم بهذه الصورة، المسألة عرفية هذا من جهة.
ومن جهة أخرى من جهة الجواز جائز، لكن لا تذهب إلى وضع الناس في تفكيرهم أن الذي يفعل كذا معناه كذا وتفعل أمامهم هذا الفعل، **المسألة كلها تحتاج إلى قياس: انت أين فماذا تفعل**.
على كل حال الغلو فيهم أمر يحتاج إلى ضبط، الدعاء لهم من ورائهم أحسن بكثير من الدعاء لهم أمامهم، السر والعلانية، أقصد هذا الأمر.
مثلًا أنا مع طلابي في المعهد مختلف عندما يأتي درس الخميس، لماذا؟ لأنني أستطيع أن أوجه، أو أفهم، هناك علاقة واضحة، أعرف أردهم لو حصل لهم إشكال، لكن عندما يأتون في درس مفتوح كل أحد يأتيه، قد يرى أحدهم موقف فيفهم منه الغلو، ويفهم منه كذا.
يعني مثلًا يأتي بعض طلاب العلم مثل الشيخ ابن باز رحمة الله عليه، الشيخ ابن باز ما كان أحد يناديه يا شيخ، كانوا ينادونه "يا سماحة الوالد"، كل الناس، القريب والبعيد يقول له هذه الكلمة، لما له من صفة الوالد بكل معنى هذا الكلام، حتى أن مقدم نور على الدرب يقول له هذا الكلام، يقول له "يا سماحة الوالد"؛ فواقع في قلوب الناس حوله أنه والد، فحبهم له وعلاقتهم به ليست مثل علاقة غيره من العلماء، يعني لو أردنا أن نقارن بين العلماء نفسهم وأشخاصهم ستجد أن بين العلماء فوارق، أصلًا هم بينهم فوارق، فلا تضع واحد مقياس لك، هناك علماء الله عز وجل الله جبل نفوسهم على الحزم، حازمين، إلى هنا وتقف.
يعني لو أردت مثلًا أن أقارن بين الشيخ محمد والشيخ ابن باز: الشيخ ابن باز دائما يُذكر أنه لا يأكل وحده، أبدًا، لا إفطار ولا غداء ولا عشاء، أبدًا، بيته مفتوح طوال الوقت في مقابل أن هذا لا يُذكر عن الشيخ محمد، أن طلابه في العادة إلى باب البيت فقط، إلى هنا وانتهى الأمر بينه وبينهم.
الآن لا تستطيع أن تقول هذا صح أو هذا صح، هذا له مشاعره وأحاسيسه وأسلوبه، وهذا له مشاعره وأحاسيسه وأسلوبه، فصارت المسألة تختلف، انت مَن؟!، المهم أن لا نصل إلى حد الغلو، والتعدي على الشريعة.
لذلك هم الآن في الأبحاث العلمية، عندما يقدم أحدهم ماجستير ودكتورها، يقولون له وانت تكتب يجب أن تظهر صبغتك الخاصة، لأنه صحيح مهما كان انت تأخذ من منبع واحد، لكن انت تضفي على الكلام الذي تعلمه صبغتك التي تخصك، المهم

أن يبقى الحدّ أن لا نتعدى بالعلماء حدّهم فنجد أنهم هم الذين امتنوا علينا •لأ• الله هو الذي امتن عليهم بالعلم، وعلينا بالاتصال بهم، وإلَّا هم بنفسهم ليسوا بشيء.

وهذا الكلام لا بد أن يبقى يقينًا في عقولنا من أجل أن تتزن علاقاتنا بالعلماء وبطلبة العلم، وأيضا تتزن علاقتنا وقت الطلب بالذي يهبّ العلم، الذي يهبّ العلم هو الله!

لذلك تجد نفسك، تجد أنك تأتي إلى درس لا تريد أن تسمع يعني شيء إلَّا هذا الموضوع، تريد أن تسمع هذه الكلمة، في نفسك إشكالات، يسوق الله عز وجل لك هذان الكلمتان، وتكون لا علاقة لها بالدرس ولا يعني شيء، الشيخ يدخل عرضًا فيها، لكن مَن الذي يسوقه ويسوقك؟ الله، فهو الذي يجري على يديه الرزق، يجب أن تستوعب هذا الأمر، لكن نحن نحسن الظن بهم.

ونقول أن أحدًا مثل الشيخ ابن باز رحمة الله عليه خير كثير جرى على يديه يخصّ البلاد ويخص العالم الإسلامي، ويخصّ المسلمين في كل مكان، الذي يقرأ سيرته يرى كم له من آثار رحمة الله عليه أجراها الله على يديه، فلما ترى أن الله خصّه بذلك تعلم أن فيه من الخيرية ما يجعل الله يخصّه بذلك، فانت تحسن الظن به، أن الله عز وجل ما أجرى على يديه هذا الأمر إلَّا لخيرٍ في قلبه أجرى الله هذا الخير على يديه؛ انت الآن عندما تجد واحد بأمَّة، ما معناه؟ أن فيه من الصلاح ما يعدل أمَّة.

نسأل الله عز وجل أن يصلح قلوبنا، وأن يجعلنا مباركين أيّنما كنا.

باب من تبرَّك بشجرةٍ أو حجرٍ ونحوهما[١٨٠]

نبدأ بالدليل الأول

◆ الدليل الأول.

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّات وَالْعُزَّى﴾[١٨١] الآيات.

ما المقصود بالاستدلال بهذا الدليل؟ نحن في باب: "من تبرَّك بشجر أو حجر ونحوهما"

من أجل أن تفهم ما دلالة الدليل لابد أن تعلم: **ما هي "اللَّات"، وما هي "العزَّى"، وما هي "مناة".**

◆ **نبدأ ما هي "اللَّات"**: صنم في الطائف لبني ثقيف، وفي تفسيرها للعلماء قولان – نريد أن نعرف ما أصلها لأن أصلها سيفهمنا ما علاقتها بالباب —

- القول الأول: أن اللَّات اسم حجر أملس كانوا يتبركون به، ويطلبون منه قضاء حاجاتهم، وتفريج كرباتهم.
- القول الثاني: أنه رجل صالح كان يلتُّ السَّويق للحجاج، وكان يطعم الحجاج من هذا الطعام تقربًا إلى الله عز وجل، فلما مات عكفوا على قبره يتبركون به.

— يلتُّ بمعنى يعجن–

على القول الأول ماذا يكونون؟ هو حجر، فتبركوا بالحجر.

وعلى القول الثاني يكونون تبركوا بقبر.

"العزَّى": صنم لأهل مكة وهي عبارة عن شجرات، وكانت قريش ومن حولها تعظم العزى، ويحلفون بها، وكانوا يتمسحون بتلك الشجرات، ويتبركون بها، ويعكفون عندها.

العزَّى عبارة عن شجر، اللَّات عبارة عن حجر على القول الأول.

"مناة": صنم قريب من المدينة، وهي بناية كانت خزاعة، والأوس والخزرج يعظمونها، ويهلّون منها بالحج والعمرة، وقيل سُمِّيت بذلك لكثرة ما يُمنى عندها.

يمنى : يعني يُراق من دم القرابين، التي يتقربون بها الحجاج.

انتهى الأمر في مناة على أنه حجر، فأصبح [اللَّات والعزَّى ومناة] عبارة عن [حجر، وشجر] إذن هذا مبدأ المسألة، أن تفهم أن [اللَّات، والعزَّى، ومناة] حجر، وشجر.

ماذا كان العرب يفعلون بها؟ يتبركون بها، يعني يطلبون منها، ويعكفون عندها، إذن من أول ما تنظري إلى آية النجم، تقولين أن التبرُّك بشجر أو حجر ماذا سيكون؟ ماذا سيكون [من آية النجم مباشرة]؟ شرك؛ لأنه لو أتيت تحلل حال من اتخذ اللَّات والعزَّى ومناة، ما حاله؟ اتخذ شجرًا، أو حجرًا تبرّك بهم.

---

[١٨٠] تم قراءة المتن في اللقاء السابق.

[١٨١] النجم:١٩

ماذا يعني تبرّك بهم؟ يعني طلب منهم البركة.

كيف طلب منهم البركة؟ كانوا يأتون إلى هذه الأماكن يتمسحون بها، ويعكفون عندها، ويطلبون منها.

إذن آية النجم بينت أن كفار قريش شركهم إنما هو بطلب البركات من الأشجار والأحجار، فمن طلب البركة من الشجر أو الحجر فعل مثل فعل كفار قريش.

مرة أخرى؛ من طلب البركة من الأشجار والأجار، كيف؟ بكلمتين:

- الكلمة الأولى: بالتمسح والعكوف.
- الكلمة الثانية: بالطلب.

التمسح والعكوف هذه أفعال، ومراده الطلب منها.

إذن من تبرّك بأشجار وأحجار فعل مثل ما فعل كفار قريش، لأن كفار قريش اتخذوا اللَّات والعزَّى ومناة – وهي أشجار وأحجار– اترك كلمة أصنام، نحن فسرناها ووصلنا إلى أن اللَّات والعزَّى ومناة عبارة عن شجر أو حجر؛ يعني اللَّات ومناة حجر؛

- اللَّات على قولين : إمَّا صخرة، وإمَّا الرجل الصالح

  فإمَّا صخرة حجر أو تراب قبر.

- والعزَّى شجر.
- ومناة بناية حجر.

فأصبح هؤلاء يتعاملون مع الشجر أو الحجر، يتعاملون ماذا يفعلون؟ يأتون إليها، يطلبون منها، يتمسحون بها، ويعكفون عندها.

هذا الكلام معناه التبرُّك، يعتقدون أنها تعطي البركة، تهبها، تزيدهم، تنميهم، تثبت ما عندهم، هذا هو اعتقادهم؛ ففي النهاية أن كفار قريش كانوا يتبركون بالأشجار والأحجار.

إذن مَن فعل فعلهم أشرك مثلهم، إذا أتى إلى شجر أو حجر يطلب منها، إذن فعل مثل كفار قريش.

- الدليل الثاني.

نأتي إلى حديث أبي واقد الليثي سيتبيَّن لك الأمر جيدًا

وعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ، قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى حُنَيْنٍ ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا ، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، " اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُم ذاتِ أَنْوَاط ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُ أَكْبَرُ ! إِنَّهَا السُّنَنُ ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ ، قَالَ : إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ " [رواه الترمذي وصححه].

هم مروا أولًا بسدرة للمشركين، يقال لها "ذَاتَ أَنْوَاط" ماذا يفعل المشركون بها؟ يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم.

ينطون : يعني يعلّقون عليها أسلحتهم؛ **ويعكفون** : يعني يقيمون عندها للتعظيم.

بعد أن مر المسلمون، ولاحظي أن هذا في غزوة حنين، والصحابي أبو واقد الليثي اعتذر عن نفسه وعن من معه، فقال: " وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ"، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة دخل أناس كثيرون في الإسلام، ثم دخلوا في جيش النبي صلى الله عليه وسلم، فأصبحوا من جيش حنين، فأناس كثيرون قريبي عهد بالكفر؛

كلمة "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى حُنَيْنٍ ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ ": يعني قريبا تركنا الكفر، هذا عذره الآن الذي اعتذر به.

وهم سائرون مروا على سدرة للمشركين هم يعكفون عند السدرة وينوطون أسلحتهم، يقال لها "ذَاتَ أَنْوَاط".

السؤال : لماذا ينوط المشركون أسلحتهم بها؟ هم يعتقدون أن هذه الشجرة التي هي "ذَاتَ أَنْوَاط" عندما يعلّقون عليها أسلحتهم الشجرة تعطي أسلحتهم قوة، **ذات أنواط شجرة يعلّق عليها المشركون أسلحتهم طلبا لأن تكون أسلحتهم أمضى**، يعني أقوى، تمضي في العدو، فهم قبل أن يدخلوا الحرب يعلقون أسلحتهم على الشجرة، ويطلبون من الشجرة أن تعطي أسلحتهم القوة.

هذا منظر مر عليه المسلمون حدثاء عهد بكفر، وهو أمر أصلًا معروف عندهم، وليس غائبًا عنهم، فهم يعرفونه، لما مروا بالسدرة هذه سدرة معروفة عند العرب أنهم يعلّقون عليها فمروا بها، وبعد أن تعدوها مروا بسدرة، شجرة خالية : قال "فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، " اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُم ذاتِ أَنْوَاط" ما معناه؟ يقصدون أن النبي صلى الله عليه وسلم مبارك، فيأتي إلى هذه الشجرة فيجعلها مباركة تنفعهم.

ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ "فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُ أَكْبَرُ !"

رده هذا يدلّ على ماذا؟ على تعظيم ما طلبوه، على تعظيم هذا الأمر وتهويله، وأن ما طلبوا يعتبر مصيبة.

قال لهم: "إِنَّهَا السُّنَنُ" يعني أن هذا الأمر هو نفسه الذي يحصل دائمًا.

" قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ " ماذا قالت بنو إسرائيل لموسى؟ ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ ، قَالَ : إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ".

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ".

لماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم قولكم مثل قول اليهود؟ ما وجه الشبه؟

اليهود قالوا : ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾.

لنقارن بين:

⇦ فعل المشركين في زمن موسى صلى الله عليه وسلم مع الصنم.

⇦ وفعل المشركين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم مع السدرة أولًا، ثم نرى فعل الصحابة.

الآن المشركون في زمن موسى ماذا كانوا يفعلون عند الصنم؟ يعكفون، يتبركون، ويطلبون، لما موسى وقومه مروا على المشركين وجدوهم عاكفين على الصنم، إذن المشركين في زمن موسى مع الصنم كانوا يعبدونه، يعكفون عليه، يطلبون منه.

المشركون في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ماذا كانوا يفعلون مع السدرة؟ يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يعني يطلبون البركة على أسلحتهم.

ما موقف قوم موسى لما مروا على هؤلاء القوم؟ طلبوا منه أن يجعل لهم إلها كما لهؤلاء القوم إله.

ما موقف حدثاء عهد بكفر لما مروا على السدرة؟ شابهوا اليهود، طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط.

ما مراد قوم موسى لما طلبوا؟ يريدون أن يتخذوا إلها يعبدونه.

ما مراد حدثاء عهد بكفر؟ هم مشكلتهم في الأسلحة، يريدون أن تصبح أسلحتهم أمضى.

⇦ أولئك يريدون أن يتخذوا إلها.

⇦ وحدثاء عهد بكفر يريدون أن تصبح أسلحتهم أمضى.

فتصور أصبح الاثنان مثل بعضهم البعض الذي يتخذ من دون الله إلها ماذا يريد منه؟ يريد منه أن ينفعه.

لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال : "قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾".

الآن أصبح حكم اتخاذ إله مع الله شرك، وهذا نفس حكم التبرُّك بالشجر، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : "قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾". وحكم اتخاذ إله من دون الله شرك، فحكم التبرُّك بالشجر سيكون شرك.

أولًا من الذي شبّه فعل طلب ذات أنواط بفعل اليهود؟ الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا أول الأمر، ما معناه؟ معناه أن اليهود لما طلبت إله وقعت في الشرك، النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن طلب ذات أنواط، قال له فعلت مثل ما فعلت اليهود، **يعني كونك تبحث عن أحد غير الله يهبّ لك البركة، ويجعل سلاحك أمضى، ويجعل حالك أحسن معناه أنك طلبت من غير الله شيء لا يستطيعه إلَّا الله معناه أنك وقعت في الشرك**، طلبهم هذا مضمونه أنهم يريدون إله غير الله ينفعهم.

إذن في كلا الطلبين منافاة للتوحيد:

⇦ لما طلبوا إله غير الله يعبدونه هؤلاء بني إسرائيل، نافوا التوحيد.

⇦وأيضًا لما حدثاء عهد بكفر طلبوا التبرُّك بشجر هذا أيضًا نافى التوحيد.

انظر الآن أين الفرق:

⇦ الفرق بعد ذلك ما هو موقف قوم موسى بعد أن علمهم موسى عليه السلام؟ تركوه يذهب ثم عبدوا العجل.

⇦ لكن الحدثاء عهد بكفر انتهوا ولم يقوموا بالفعل والحمد لله.

إذن هذا هو الفرق بين حدثاء عهد بكفر وبين بني إسرائيل:

⇦ بني إسرائيل وقع في قلوبهم إرادة عبادة غير الله.

⇦ في مقابل أن الصحابة ما أن تُهوا حتى انتهوا رضي الله عنهم.

	قوم موسى عليه السلام [اليهود]	الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم [حدثاء عهد بكفر]
فعل المشركين	المشركون في زمن موسى مع الصنم كانوا يعبدونه، يعكفون عليه، يطلبون منه.	المشركون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يعكفون عند السدرة، وينوطون بها أسلحتهم، يعني يطلبون البركة على أسلحتهم.
موقفهم من المشركين	طلبوا منه أن يجعل لهم إلها كما لهؤلاء القوم إله.	شابهوا اليهود، طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط.
طلبهم	يريدون أن يتخذوا إلها يعبدونه.	يريدون أن تصبح أسلحتهم أمضى.
حكمه	كلا الطلبين بهم منافاة للتوحيد – شرك	
موقفهم بعد التعليم	تركوه يذهب ثم عبدوا العجل	انتهوا ولم يقوموا بالفعل والحمدلله.

"في الحديث دليل على أن التشبه بالكفار هو الذي يحمل الإنسان على هذه النهاية، فقد يتصور الجاهل أن هذه المشابهة لا تضرّ –يذهب ويشابه الكفار بفعل ويتصور أن المشابهة لا تضرّ–، ثم يقع في الشرك من حيث لا يدري"

لنرى باختصار أربعة أسباب للوقوع في التبرُّك الممنوع.

- السبب الأول: التشبه بالكفر وهو موجود هنا في الحديث، فهم مروا بسدرة يعكف عليها المشركون ويعلقون عليها أسلحتهم، ثم مروا بسدرة خالية، فقالوا: " اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُم ذاتِ أَنْوَاط" فأصبح أول شيء يأتي بالتبرُّك الممنوع التشبه بالكفار.
- السبب الثاني: تعظيم الآثار تعظيم الآثار من أسباب التبرُّك الممنوع، ومثل هذا موجود، ومكرر، يعتقدون أن الآثار لها بركات، مثل مقام إبراهيم، لكن على الأقل مقام إبراهيم مكشوف فالناس يمنعون ذلك، لكن انظر في عرفات أو في منى، تبيَّن لهم مسجد له آثار من الدولة العباسية، مشكلتك ليست في الفساق ولا في الناس العاديين، لكن لما يأتي شخص من الصالحين والذين عندهم دين، ويقول لك لا بأس من بقاء الآثار وإحاطتها والعناية بها، ويقول لك الناس تطوروا — –انظري الآن هذا التفكير– يقول لك أن الناس تطوروا، وما أصبحوا في حال ممكن أن يقعوا في الشرك بالأحجار!، أنا أكلمك فقط عن الواقع وعن الهندوس، الهندوس هم القوم الذين يعبدون البقرة، الذين عندما أتاهم زلزال ومعهم كل الآلات الحديثة، كانوا يمسكون بقرتهم ويسيرون بها في أماكن الدمار لتدلهم على مكان الأحياء!، ومن أجل أن تنزل البركات على الأموات!، تخيل!!، يعني جولة مع البقر!، هذه هي الحقيقة!. هؤلاء الهندوس نفسهم هم أشهر ناس في استخدام والإنتفاع بالإنترنت، والقنبلة النووية، إلى آخره فتصور الآن يسيرون في خطين عكسيين، فلا تقل الناس تطوروا ولن يمسكوا بحجر ويتبركوا به، نحن اليوم نشهد، تخيل أين غار حراء، الذي يعرف غار حراء يعرف ما معنى الصعود إليه، انت ترينه من الحرم، من شدة علوه وبروزه، ثم يصعدون هذا كله من أجل أن يتمسحوا بحجارة الغار!، انظري

كيف يتكبدون هذه المشاق من أجل أن يصلوا إلى مسحة، والحرم عندهم يطوفون فيه يتركونه!، غير طبعًا ما تجده من آثار أخرى يفعلون تجاهها أسوأ من هذا، إلى آخره.

فالمعنى الآن أن مثل هذه الآثار لا بد من استعمال التوحيد معها، معرفة أن هذه نهايتها هذا، ولا تكلمني عن التشدد، كلمني عن التخلف الذي يصيب عقول الناس وهم متطورون، مهندسون وأطباء، ويأتي طبيب ويبني بيت، ويأتي مهندس يقول له بعد أن تبني الأساس تعال اذبح للجن على أساس البيت!، هؤلاء أعلى ناس في المجتمع، طبيب ومهندس!، ماذا نفعل إذا كان هؤلاء بهذه الطريقة؟!، على باب أن الناس وصلوا إلى حالة من الثقافة تمنعهم من التبرّك بالحجارة، أو اعتقاد أنها تنفعهم! لا يغركم هذا الكلام أبدًا؛ الناس كلما تطوروا كلما خلت نفوسهم من الركائز الأساسية التي تثبتهم، فتشوقوا لما وراء المادية، يعني ما امتلؤوا بالتوحيد لكن تصبح عقولهم متشوقة لما وراء المادية، فتجدينه متطور في المادة وشاعر بالفراغ، يريد شيء يغطي اللامادية في داخله، فيتجه إلى مثل هذه الأشياء.

وإلَّا كل ما يُكتب عن مثلث برمودا مثلًا، المنطقة كما يسمونها الخالية، مثلث الشيطان، ويتكلمون عن أن الطائرات إذا مرت عليه يجذبها، وكلام طويل عريض، لا تعرف صدقه من كذبه، ولا تدري لماذا هذا الإيمان الشديد به؟!، ولماذا الكلام عنه؟!،ولماذا هؤلاء المثقفون المتعلمون يتكلمون عن مثل هذا؟!، إلَّا وفي النفس مشاعر رغبة في الشيء اللامادي، فيأتون إلى مثل هذه الأماكن وتُعظَّم، فلا يغرك ما يكتب في الجرائد والصحف، ضع بينك وبين هذه المصيبة حاجز، أنكر أن تبقى الآثار لها قيمة.

ونحن لنا في هذا سلف، **ألَّا ترى إلى عمر رضي الله عنه أتى إلى الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم تحتها الصحابة وقطعها لما رأى الناس يترددون عليها**، بمثل هذا تُحل هذه المشكلة، تنتهي والآن يقولون لك لننظم رحلات لمدائن صالح، مدائن صالـح؟ !! عند من لعنوا؟ عند القوم الذين لعنوا؟ ماذا تريد أن تفعل بهم؟!، لماذا تريد أن تراهم؟!، إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم تجاوزهم!، إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يُشرب من مائهم، ولا يعجن بمائهم عجين[١٨٢]، وانت ترى أن زيارة لمثل هذه الأماكن اللمعونة، الملعون أهلها ممتعة؟!، انقلاب!! انقلاب!.

ومثل هذا تأتي الرحلات السياحية من الخارج، ويقولون رحلة العمرة، يعني رحلة سياحية، يأخذون منهم عليهم أموال زائدة، لماذا؟ يقولون لهم سنأخذكم للحرم، ونسكنكم في فندق كذا، ونأخذكم للمناطق السياحية في مكة فتأتي إلى جانبك الحاجة وتقول لك، نحن ذاهبون الساعة السابعة إلى رحلة سياحية في مكة !! إلى أين ذاهبون رحلة سياحية في مكة؟!! أنا بقدر ما أرتاد مكة لا أعلم أن فيها أماكن سياحية؟!، تقول : لأ بل فيه وفيه وفيه، وبيت خديجة!، أين بيت خديجة؟!، بيت خديجة لا بد أن يكون محيط بالحرم، أنا لا أعرف أين يكون مكانه؟ تقول لأ فيه، تقول أوصفيه؟ يمين، يسار، أين مكانه بيت خديجة؟ علامة استفهام كبيرة!، تعرف أن القضية مركب فيها غشش على غشش!، فقط تلاعب بالناس، هؤلاء الذين اعتقادهم من أجل المال، لا تفهم إلَّا هذا الشيء فقط.

---

[١٨٢] عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ { أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضَ ثَمُودَ الْحِجْرَ وَاسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا وَاعْتَجَنُوا ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئَارِهَا ، وَأَنْ يَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ }

ثم تعوم في دائرة، تسأل من المشرف السياحي لديكم؟ من الذي قال لكم هذا الكلام؟ اسأليه، تسأله وهو لا يدري، هو بنفسه لا يعرف!، هو بنفسه مغرر به، ثم ترين تركيبة من الغرر، والتقليد، وفي النهاية تجدهم، يعني هذه الآن في الصباح وقت الفجر قالت أنا ذاهبة الساعة السابعة للرحلة، ونحن في مكة، وانت متخيلون كيف هي مكة، الآن في الشتاء والمرء بالكاد يسير في النهار، وهذا الكلام كان في الصيف، أتت صلاة الظهر وهي غير قادرة على الوقوف للصلاة، من طول ما أصابتها الشمس، يعني أهلكوهم وهم يتصورون أنهم بمثل هذا سيجدون أجورا، أنهم يصلون هنا ركعتين ، وهنا ركعتين!، بهذه الصورة!!، فتخيلوا هذا الغرر!!، يعني تغرير الناس وخداعهم.

-الله المستعان، نشتكي إلى الله-.

- السبب الثالث : الجهل بالتوحيد، هذا من أسباب التبرُّك الممنوع، من أجل ذلك لا بد من نشر التوحيد، وكلما اتسعت دائرة النشر للتوحيد كلما تقلصت دائرة التبرُّك الغير الشرعي.
- السبب الرابع : الغلو في الصالحين، وأعلم أن قومًا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقع منهم مثل هذا الأمر، مَن بعدهم من باب أولى.

هذه معلومة غاية في الأهمية، أن تفهم كيف أن النفوس متعلقة بأي شيء مادي، فبني إسرائيل الآن بالكاد نجوا من فرعون ومن عمله، نجاهم الله ثم يقولون ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ فوصفهم بأنهم قوم يجهلون.

فالآن لا تعتمد على القوم، وعلى نفسياتهم، وعلى منطقهم، خصوصًا لو اختلطوا بأهل الشرك، وهذه مسألة غاية في الأهمية، **غاية في الأهمية شخص انتقل من الباطل إلى الحق لا تأمنه أمانًا تامًا كاملا إلى أن يتعلم**، فنحن دائمًا نُغر بهذه المسألة، فتجد مثلًا التائبين، أو تجد الكفار الذين دخلوا في الإسلام، هو كافر دخل في الإسلام يحتاج إلى أن يتعلم، تصدره على أنه عالم لماذا؟ أحيانا في برامج إشهار الإسلام، وهذا أمر جيد أن يعلم الناس أن الناس دخلوا إلى الإسلام، وأن يكلموك كيف انتقلوا من الباطل إلى الحق، جميل، إلى هنا جزاه الله خيرا، ونفع بكلامه المسلمين، وحمّسهم إلى أن يدعوا إلى الإسلام، فقط إلى هنا، لكن بعد ذلك انتهى الموضوع بعد ذلك انتهى الموضوع، بعد ذلك لابد من برامج له، هو الآن المستهدف أن يُعلَّم، لا أن يُنظر له على أنه يُستقى منه الدين خطأ!، هذه نظرة خاطئة مقلوبة، قصة إسلامه لا بأس، مثل ما انتشر في الفترة الأخيرة قصة إسلام أحد اليهود، خرج من اليهودية إلى الإسلام، وقال ما الأسئلة التي كانت تدور في خياله ثم لم يجد لها إجابة، ثم وجد الإجابة في الإسلام.

فانت تبيَّن لك فالناس الذين لهم نشاط في هذا المجال يستفيدون من هذا الكلام، والذين ليس لهم يزيدهم هذا ثباتًا وإيمان إلى هنا الحمد لله، أكثر من هذا معناه أنك رفعت الشخص عن مكانه، ومثل هذا الكلام عن التائبين والتائبات، يعني أنهم يكونون مشاهير وتابوا، تابوا جزاهم الله خيرا، تابوا نسأل الله لهم الثبات، نسأل الله عز وجل أن يزيدهم إيمانا، انتهى إلى هنا، أكثر من هذا يكون معناه تضليل للناس.

المنتقل من الباطل إلى الحق لا يؤمن إطلاقًا، لا تأمن جانبه إطلاقًا، ففي أحد المواقف هذا الذي انتقل من الباطل إلى الحق – وكان فنان – فسألوه، وبعد كلام طويل من انتقاله من الباطل إلى الحق، وفي وسط الكلام قال لهم : ما مضى من تاريخي لا أحتقره إطلاقًا ! ⇦أتى ناقض التوبة الآن، أتى ناقض التوبة لأن التوبة عمادها الندم، إطلاقًا، انت تندم على كل مافات فتأتي تقول : لا أحتقره إطلاقًا لكن فيه أشياء، فكأن نفس التوبة هذه فيها اهتزاز، فانت تقدمه على أنه شخص كذا وكذا، وهو في النهاية يكون

سببًا في تشويش الناس، لكن الناس يلفت نظرهم اللمعان، أن أشخاص لهم قيمتهم ويتحولوا، فيأتي يقول لك هذا سبب ليثبت الشباب لا بأس، أنا مؤمنة أن القدوة دائمًا تكون مؤثرة، لكن إلى حد أنني كنت في باطل وانتقلت للحق.

اسأل الله أن يثبتكم على الحق، وأن يثبتهم هم أيضًا وانتهى الأمر إلى هنا، لكن أكثر من ذلك لا يأخذون مجالا.

على كل حال اسأل الله عز وجل أن ينفعنا وينفع المسلمين بتعلم التوحيد، واسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الشاكرين على هذه النعمة.. اللهم آمين.

جزاكم الله خيرًا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مر معنا في كتاب التوحيد بفضل الله ومنته الكلام حول مدخل لهذا الكتاب، والمدخل تضمنه خمسة أبواب، خمسة أبواب تضمنت المدخل.

❖ كان الشيخ يقول: **كتاب التوحيد وقوله تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١٨٣].

بيَّن في هذا الباب العلاقة بين التوحيد والعبادة، **وبيَّن أن العبادة التي من أجلها خلق الخلق هي التوحيد.**

❖ ثم بيَّن أن لهذا التوحيد فضل عظيم، وسبب لكفارة الذنوب، وأن من حققه دخل الجنة بغير حساب، فعلمنا عن فضل التوحيد وعلمنا عن مراتب الناس في التوحيد، فهذين البابين المنفصلين استفدنا منهما استفادتين:

- فضل التوحيد.
- ومراتب الناس في التوحيد.

وكيف أن الناس قد يكون منهم الموحد ليس معه إلَّا ذرة من التوحيد، وقد يكون بلغ الحد الأعلى في تحقيقه للتوحيد لدرجة أنه يترك الأسباب التي قد تكون سببًا في إشكال في قوة تعلّقه بالله عز وجلّ، فيترك كل الأسباب التي يمكن أن تكون سببًا لذلّه لغير الله، ويترك الأسباب التي يمكن أن يلتفت بسببها قلبه لغير الله، هذه إذا كانت الأسباب حقيقية، أمَّا الأسباب الوهمية فهو تمامًا تارك لها.

وبذلك فهمنا أن الناس مختلفون في توحيدهم، وهذه المعلومة من أهم المعلومات التي تحل الإشكالات، فانت كلما تقدمت في علم التوحيد وفي فهمه، وفي فهم أسماء الله عز وجلّ وصفاته، وما يلزمك من توحيد نتيجة علمك عن الله، كلما تقدمت في هذا العلم، وتبيَّن لك أن قلبك يجب أن يكون لواحد، تفهم أن الناس مراتب فإن لم تستطع الأمر لا تنف وجوده، لا تنف القدرة عليه.

وإذا نظرت إلى غالب حال العوام رضوا بأحوالهم التي هم عليها لأنهم يوهمون أنفسهم أن هذا أمرًا خياليًا لا يمكن الوصول له، بدل من أن يفهمون أن الجنة درجات، وأن الناس كلما علّوا توحيدهم وإيمانهم وتقواهم، استطاعوا أن يتعلوا المراتب في الأعمال؛

- وإذا تعلوا المراتب في الأعمال زادهم الله عز وجلّ إيمانًا وتقوى.
- وزادهم قوة نظر ثاقب إلى المسائل.
- رضى عن الله.
- توكل عليه.

كل هذه الأمور العالية تبلغها كلما تمسكت أكثر بحبل الله، لا تستبعدها وتجعلها مستحيلة، فإذا استبعدتها وتصورتها مستحيلة لن تبذل جهودك لتصل إليها.

---

[١٨٣] الذاريات:١

❖ ثم بعد هذا المفهوم تبيَّن لنا أن ضدّ التوحيد إلَّا وهو الشرك أمرٌ يُخاف منه، خاف منه الأولياء والصالحيه، وخاف منه الأنبياء على أنفسهم وذراريهم، خاف منه الأنبياء على أصحابهم، وحقّ لهم أن يخافوا، فذنبٌ لا يغفر، وذنب من أرتكبه كان خالدًا في النار، من الطبيعي أن يقع في قلب الإنسان الخوف منه.

إنما الإشكال في من لا يخاف، الإشكال في شخص مات قلبه فلا يخاف من هذا الذنب العظيم، مشكلة هذا الذنب سرعة وقوعه مع عدم ملاحظة الوقوع فيه، ومع عدم ملاحظة خطورته، يعني بسرعة يقع الإنسان في الشرك ولا يلاحظ الخطر.

الآن اسمع من يقسم بغير الله، أصلًا لا تجد عقولهم فيها تركيز حال القسم، إنما هو أمر معظم داخل نفوسهم وهذا انعكاس التعظيم، وتكلموا مباشرة بدون من أن يشعروا بأنفسهم، **فهذا ما يخفيك، أن الشرك سريع الدخول، سريع الوقوع، قليل الإحساس بخطره.**

لذلك لا بد من أن نناقش ونعيد ونزيد، ونعيد ونزيد، في المسائل المخالف، لا بد، حتى ينبت في قلوبنا نبتة الخوف، انظروا إلى ما اعتدناه من أفعال، انظروا إلى ما اعتدناه من أقوال، انظروا لما اعتدناه من تطبب، ترى أن القوم يتعاملون مع كثير من المسائل على أنها شيء طبيعي، ويمكن للإنسان فجأة أن يكتشف أنه كان يتطبب زمنًا طويلًا بالشرك!.

يعني لما تأتيني طالبة تقول لي نحن عندنا تبنة اسمها [كلمة تتصل بالفتح، ربما فتاح، أو فاتحة]، هذه النبتة عندما توضع في الماء تُفتح، فيضعون ماء، ويضعون هذه النبتة، ويضعون معها مسامير من الحديد، ويضعون معها قطن، ومفتاح، ويتركونها أيام، ثم يستعملون ماءها للغسل، من يستعمله؟ يستعمله من يُرى أنه تعقدت عليه دنياه، فتكون سببًا للفتح!

فتصور مثل هذا موجود، وممكن أن يكون واحد بلغ أن يكون طالب علم، كما يحصل في مدارس التحفيظ، يحفظ كتاب الله، وقد يكون سار في مستويات التجويد، ثم أصبح معلمًا، وفي نهاية المطاف مثل هذا، لا يُضرب مثل هذا المثال، لا يُضرب، لأنه لا يكون في ذهننا أن مثل هذا يحصل، ثم يأتي إلى باب الرُّقى والتَّمائم، أو الباب الذي قبله – باب الحلقة والخيط–، وفي الباب يكتشف أنه كل ما مضى هذا كان مشركًا بالله عز وجلّ، وتبيَّن له أنه تطبب بأمرٍ شركي، وأنه اعتقد أنه لو اغتسل بهذا الماء فُتحت له دنياه! انظري لهذا التصور!، هو يقول: أين كان عقلي؟!، من المؤكد أن هذا سؤال استفهام يأتي أنه أين كان عقلي عندما كنت أستعمل هذا كله وأنا اقرأ كتاب الله، وأعلم أن الله عز وجلّ وحده الرزاق، وحده مالك الملك، فمن أجل ذلك لا تملّوا من تكرار الكلام عن المخالفة، لا تملّوا، من أجل أن تستطيعوا أن تقيسوا تفاصيل الحياة.

فهي تكون شابة في البيت وهذه أمها، وهذا تفكيرها، وتفعل وتفعل، ثم تقول لها لو أردت أن أرضى عليك اغتسلي بهذا، وهي الآن تريد أن تُكفى الشر، وتريد أن تنتهي من الكلام الطويل العريض ومن المناقشات فتفعل!، تفعل أمر ليست متصورة مقدار خطورته.

وانت انبش في حياتك، وابحث عن مظاهر للشرك صغيره أو كبيره دخلت فيه وانت غير شاعر بما وقعت فيه، وانظروا إلى أشكال وألوان من المخالفات العقدية التي نعيشها لولا أن الله تداركنا برحمته، وعاملنا بحلمه، وإلَّا كنا متنا على هذا الشرك، ونحن نردد " يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا"، ونقول هذا الحديث على أننا متأكدون أننا ليس لنا علاقة بالشرك، انظروا إلى هذا الموجود ترى عجبا!، ثم يشتعل في قلبك نار تقول لك لا أتعلم إلَّا التوحيد، لا بد أن تأتيك هذه

المشاعر تأتيك لحظة تقول: لا أريد أن أتعلم ولا شيء، أريد فقط أن أخرج من الدنيا موحد، أخرج فقط موحد، حتى كثير صلاة وصيام، ترى نفسك غير أهل لها، بالكاد نخرج بهذه الذرة من التوحيد التي ليس فيها شرك.

فمن أجل ذلك لا بد أن تشعر بأهمية دراستك للتوحيد دراسة تفصيلية، لا تملّ أبـدًا من الإعادة والزيادة، انت لا تتصور أن كل إعادة تفتح ذهنك كأنك ما درست، وكأنك ما تعلمت، وكأنه كلام جديد تمامًا، وأنا أقول هذا الكلام وأنا أشكر نعمة الله عز وجلّ التي أنعمها علينا، أن جعلنا من أهل التوحيد، ومن خاصة أهل التوحيد، وممن يُعَلِّم كتاب التوحيد، أقول هذا الكلام، وقد تكون هذه المرة العشرين التي أدرس فيها كتاب التوحيد بفضله ومنته وحده سبحانه وتعالى، ومع ذلك أرى كأننا أول مرة نقرأ حروفه، كأنه أول مرة بهذه المشاعر!.

من أجل ذلك لا تملّوا من دراسة التوحيد، ليس لأنه كتاب لشخص، لا ليس بهذه الصورة، بل لأنه كلام الله، لأن هو الموضوع المهم، ونحن الله عز وجلّ يسر علينا، وسخر لنا من جمع لنا النصوص والمفاهيم في مكانٍ واحد، وإذا كنت تدرس كلامًا غير كلام الله، أو كلام رسوله لا تدرسه، لكن انتم تعلمون أنكم لا تدرسون إلَّا قال الله، وقال النبي صلى الله عليه وسلم،وهذا من منة الله عز وجلّ أن حررنا من متابعة أي أحد غير كتابه، وغير سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

فإذا وقع في قلبك هذا الخوف العظيم من الشرك؛ كنت من المؤكد ممن يحب الدعوة إلى التوحيد.

❖ ولذلك أتى بعد هذا الباب **باب شهادة أن لا إله إلَّا الله**، وعُلم أن كل داع يخرج للدعوة عندما يمتلئ قلبه علمًا بالتوحيد، وخوفًا من الشرك فهذا أكثر شيء يحرص عليه ⇦ أن يكون الذي أمامه موحد، حتى أن المعاصي والذنوب تأخذ مكانها في عقلك، لا تتوسع وتكبر أكثر مما يجب أن تكون.

ثم تبدأ تلحظ المعاصي التي تكون هي سبب للدخول في الشرك؛

- تلحظ العجب مثلًا الذي يجعلك تشرك مع الله نفسك.
- تلحظ الرياء الذي يجعلك تشرك مع الله غيره.

فتبدأ حتى المعاصي يصبح لها ميزان مختلف، والكبائر يصبح لها ميزان مختلف في عقلك، فانت عندما تتعلم التوحيد وتبدأ تدعو إليه أول ما تهتم به – تهتم بتعليم التوحيد–، حتى عندما تأتي تحذر من المعاصي، تبدأ المعاصي نفسها يصبح لها موازين مختلفة في ذهنك، فتبدأ بالمعاصي القلبية، الكبائر القلبية، وترى ما أثرها في فساد القلب.

تأتي تشرح مثلًا "كبيرة المنّ" عندما تناقش كبيرة المنّ لا يأتي في قلبك أن تناقش كبيرة المنّ على أنها عمل تقوم به، يعني واحد يقوم بالمنّ، وانت تريدين أن تقنعيه أنه يقوم بالمنّ، فتقولين له أن هذا دليل على أنك غير كريم، ودليل على أنك فيك خساسة أخلاق، هذا طرح، هناك طرح من نوع آخر؛

- مَن المنان على الحقيقة؟ "الله"
- مَن الذي أعطك على الحقيقة؟ "الله "
- كيف تمنُّ بشيء ليس ملكك أصلًا؟ أين توحيدك؟
- أين شعورك أن هذا الأمر أصلًا أعطاك الله إياه؟
- أين شعورك أن الله تفضل عليك وجعل لك اليد العليا وليست اليد السفلى؟.

حتى مناقشتك للكبائر والذنوب، حتى هذه المناقشة تصبح أمر أخر، **فتصبح كل قضيتك متى تصبح انت واحد لواحد**، يعني متى تكون كذلك، لا يُشكل عليك فتعظِّم نفسك وتجعل نفسك شريك مع الله، يعني حتى الذنوب والمعاصي بتحرر منها ما يخدش توحيدك.

لذلك كان من شعر بعظمة التوحيد وخاف من ضدّه كان من أصفى من يدعو إلى الله، لأنه يدعو إلى الله وليس إلى نفسه، لذلك عندما تكون موحد وتدعو إلى الله دائمًا كأنك تتصرف بيديك الاثنين:

- فبيدك اليسرى كأنك تدفع الناس عنك لا تتعلقوا بي.
- وبيدك الأخرى تجذبهم إلى باب الله.

فتكون حريص وانت داع إلى التوحيد أن تدفع الناس عن شخصك.

فيأتي أحد يقول لك أنا كيف أربّي أولادي؟ في وسط هذه الغابة من الفتن العظيمة التي أصبحت تؤرقنا، الأمهات والآباء الآن الذين عندهم حياة في قلوبهم، حقيقة وضعهم أنهم لا يتهنون لا بنوم في الليل ولا في النهار، هذه حقيقة أوضاعهم!، من كل شيء يخافون ، يغلقون غرفهم، يغلقون أجهزتهم، يغلقون كل شيء ممكن أن يُغلق، ثم فجأة يجدون أولادهم يقرؤون رواية، فجأة يجدون أولادهم يتكلمون بكلام وألفاظ ليست من تفكيرهم، يفتحون باب للحصانة يُفتح من ورائه بلاء طويل، إلى آخر هذا كله الذي يعيشونه، ثم يأتيك يائسًا ماذا أفعل في وسط هذه الدوامة من الغابة حقيقة، الغابة من الفتن؟ ماذا أفعل؟!

وأنا الكبير بنفسي أعرف نفسي كيف أنني ضعيف أمام الشهوات، فكيف أطلب من مراهق عمره أربع عشرة، أو سبع عشرة، أو عشرون سنة، أن يجاري كل هذه الفتن، فلا تقل له افعل وافعل، قل له عند باب الله قف، به استعن، انت أصلًا تربيه بعاملين:

- بلسان تعلم الحكمة من كلام الله.
- وبقلب علم أن الدعاء هو الذي يأتي بالنتائج.

وانت ترى يا أب ويا أم الله عز وجلّ جعل بينكم وبينه حبلٌ موصول لا ينقطع أبدًا "الدعاء المستجاب" لك انت بالذات، من دون الناس لأبنائك دعاءك مستجاب، ماذا تريد أكثر من ذلك؟!، ثم علمك في كتابه، ماذا تقول، وماذا تفعل، وبماذا تأمر، فتجد نفسك طوال الوقت وانت تدعو إلى الله، **لا تقول للناس تعالوا أنا أعلمكم، لأ**

- ⇦ قل لهم قفوا عند باب الله يعلمكم.
- ⇦ قفوا عند باب الله يفهمكم.
- ⇦ قفوا عند باب الله يهيئ لكم الظروف التي بها تحصل أحسن الأحوال.

فهذا حال من علم قيمة التوحيد، أنه حتى عندما يتكلم ويدعو إلى الله ليس همّه أن يجذب الناس لنفسه أبدًا، بل طوال الوقت يدفعهم إلى باب الله، يرى أنه لا يستطيع تحمل مسؤولية الناس، إنما خالقهم هو الذي سبحانه وتعالى يربيهم بفضله ومنه ومنته وكرمه عليهم، فيعلّقهم بالله، ولا يعلقهم بنفسه وهذا لا يأتي إلَّا من موحِّد خلُص توحيده، فخرج بالدعاء إلى الله.

إذا فهمت هذا جيدًا؛ ستبحث الآن، بماذا أفسر التوحيد؟ لو أردت أن أكون شخص موحد ماذا أجمع في قلبي بالضبط؟ وماذا أقول للناس اجمعوا في قلوبكم بالضبط؟

❖ **جاء باب تفسير التوحيد،** هذا الباب من أهم الأبواب، لا بد أن يبقى في ذهنك دائمًا، وكلما تقدمنا لابد أن نعود له ونراجع عليه.

هذا الباب فيه خمسة أدلة مرت معنا المرة الماضية، ماذا تعتقدون أنه تفسير للتوحيد؟ بماذا يُفَسَّر التوحيد؟ ماذا تفهم من التوحيد؟

أول دليل: لا أحد يستحق أن تتعلّق به أو تعظمه مهما كانت منزلته، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، لا أحد غير الله، لا أحد يستحق التعلّق والتعظيم إلَّا الله، مهما كان هذا الأحد غير الله، [ملك مقرب، أو نبي مرسل]، النتيجة أنه لا أحد يستحق التعلّق ولا التعظيم إلَّا الله.

وعلى هذا كل أحد غير الله تنظر له بنظرين:

- النظر الأول: آيتي الإسراء: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾[١٨٤] إذن كل العباد إطلاقًا على حدٍ سواء، بدون أي مناقشات، كلهم متساوون في عدم استحقاقهم للعبادة، متساوون في عدم النفع منهم أو الضرّ ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ هذا من جهة.
- انظر لهم من جهة أخرى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ إذن من جهة أخرى هم متفاوتون في قوة قربهم من الله عز وجلّ، ومنزلتهم عند الله، وبهذا يستقر في قلبك العلاقة بينك وبين أي أحد حولك.

من جهة مهما كانت له مكانة لا ينفع ولا يضرّ.

ومن جهة أخرى الناس عندك متفاوتون، فولاؤك وبراؤك يعتمد على قوة إيمانهم وتقواهم.

تأتي مباشرة آية إبراهيم عليه السلام فتضبط لك مسألة الولاء والبراء.

انت إذا كنت موحدا على الحقيقة ماذا يجب أن يقع في قلبك؟ انت الآن فهمت الميزان، أن الناس عندك مختلفون على حسب قوة إيمانهم، وعلى حسب قوة تقواهم، كلما قوي تقواهم كلما زاد ولاءك وبراءك، لكن قاعدة الولاء والبراء تبنى على ماذا؟

- أول الأمر أنني أتبرأ من كل ما يُعبد من دون الله، كل ما يُعبد من دون الله عندي نوع واحد من المشاعر تجاهه: أنني براءٌ منه.
- ثم يأتي في آخر الباب أنني كافر به، سيأتي في نفس الباب في النهاية كلمة الكفر به.

فانت في الأول تتبرأ منه، أي تعلن أنك لست عبدًا إلَّا لله عز وجلّ، وكل أحد غير الله انت معتقد أنك بريء منه، بريء من التعلّق به، بريء من تعظيمه، تبرأ؛ إذا تبرأت إذن اطرد من قلبك يا متبرئ أي تعلّق وتعظيم بغير الله، المتبرئ طارد لمشاعر التعلّق والتعظيم بغير الله.

لما تقول أنا تبرأت من غير الله: أي أنني أطرد من قلبي أي مشاعر إلتفات لغير الله، أو تعلّق بغير الله.

إذن انت ما موقفك؟ إذا أردت أن تفسر التوحيد، ما معنى أن تكون موحد؟ معناه أنني أتبرأ من كل أحد غير الله، أن يكون لي ملجأ أو معاذًا، أو ملاذًا، أو محبوبًا، أو مطاعًا، سيأتي بعد ذلك تفصيل للبراءة من غير الله، **يعني تتبرأ من غير الله وتثبت كل الولاية لله.**

[١٨٤] الإسراء:٥٦

فإذا أثبت كل الولاية لله ما معناه؟ يأتي بعدها فلا محبوب في قلبك – تأتي آية سورة البقرة – يملأ جوارحك، ويسيطر على تفكيرك واهتماماتك ويكون همّك الذي تحمل همّ رضاه، ليس عندك أحد بهذا الوصف إلَّا الله، أمَّا كل أحد غير الله فقد تبرأت أن يكون حالك معه هو هذه الحال، انت تبرأت، انت قلت أنا بريء، بريء من أي أحد غير الله.

ما معنى بريء؟ بريء من ماذا؟

بريء من أن يلتفت قلبي إليه.

بريء من أن أتعلّق به.

بريء من أن تمتلئ جوانحي به.

بريء من أن يكون حبي كله له.

بريء من أن ألجأ إليه وقت المصاب.

بريء من أن يكون رضاه غاية أمانيي.

كل هذا أنا متبرئ منه، إذن البراءة ستُسحب على ما بعدها، ستتبرأ من قوة التعلّق بغيره، تتبرأ أيضًا من تعظيم غيره.

كيف تتبرأ من تعظيم غيره؟ تأتيك آية التوبة: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١٨٥]، الآية التي قال فيها عَنْ عُدَيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُلْتُ لَهُ : إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ ، فَقَالَ : " أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ " ؟ قَالَ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : " فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ "، يعني الطاعة أصبحت العبادة، **إذن انت بريء من أن تعظم غير الله فتطيعه طاعة مطلقة**، إنما طاعتك لكل أحد تبع لطاعة الله، فإذا عارضت طاعة الله؛ لا تقع منك الطاعة إلَّا لله عز وجلّ.

فإذا امتلأ قلبك بهذا، وظهرت منك هذه البراءة، فلا تتعلّق بغيره، ولا تعظم غيره فتطيع غيره، ماذا يكون الناتج؟ أنك ستقول: **لا إله إلَّا الله ، وتكفر بكل أحد غير الله ، تكفر به كفرًا صريحا**.

يعني يخرج على لسانك أن كل أحد غير الله لا يستحق لا أن تقف ببابه، ولا أن تتعلّق به، مهما كان هذا الأحد، مهما كانت الصورة أنه يملك، مهما كانت له سلطة، مهما كان في قلبك له من ودّ، انت لا يقع منك أن تتعلّق به تمام التعلّق، ولا أن تعظمه تمام التعظيم.

هذا الباب من أهم الأبواب، لا بد أن يبقى في ذهنك دائمًا.

ماذا قال الشيخ؟.

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

بدأ بعد ذلك يشرح هذه الترجمة.

[١٨٥] التوبة:٣١

بدأنا بالنقطة التي هي حال الإنسان، الله عز وجلّ في سورة البلد وصف الناس، وصف بأنه خلقهم في كبد، فإذا علمت أن العباد خلقوا في كبد فاعلم أن هذا الكبد هو اختبار التوحيد، فالعبد يتقلب بين أمراض، وهذا أولًا نقص في الصحة، ونقص في الأموال والأولاد، ونقص في عطاياه سبحانه وتعالى، **هذا الكبد الذي خلق فيه الإنسان إنما هو اختبار لتوحيده.**

كأنه يقال هكذا إذا نقص عليك أمر ماذا ستفعل؟ عندما نأتي هنا نقول: الله عز وجلّ لما خلق الإنسان في كبد، واختبره ماذا يفعل عندما تضيق عليه الأمور: **أوضح له أسبابًا تدله على مراده، وهذه الأسباب محاطة بالمحاذير.**

يعني لما وهبك الأسباب؛ وهبك الأسباب اختبارا، لأن هذه الأسباب محاطة بالمحاذير، مختصر المحاذير، سنقول نوعين من المحاذير:

- النوع الأول: أن تأتي لأسباب لم يجعلها الله أسبابًا فتجعلها انت سببًا
- النوع الثاني: أسباب جعلها الله أسباب، ولكن انت تتعلّق بها.

الآن في أول الكتاب بدأ بالنوع الأول الذي شرحناه، وهو أن تتخذ سبب لم يجعله الله سبب، ثم تعلّقك بالأسباب سيأتي في آخر الكتاب الكلام حول تعلّقك بالأسباب.

سنبتدئ الآن بالباب الأول.

- طبعًا معنى أنك تتخذ سببًا ليس بسبب هذا سيدخلك في الشرك الأصغر.
- أمَّا إذا اعتقد أنها بنفسها فاعلة فهذا يدخلك في الشرك الأكبر.

الآن الأسباب هذه معناه بهذه الصورة سنناقشها بالشرك الأصغر، لماذا بدأ بالشرك الأصغر؟ انت سترى عندما تتتابع عليك الأسباب يعني بدأ بقطع علائق قلبك بالأصغر من المسائل، حتى تتصور أن الأكبر من المؤكد أنه لا بد من قطع علائقك به، يعني إذا كان خيط من حمة يُقطع، يقطعه الصحابي، ويقول: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[١٨٦] إذا كان هذا خيط، فما بالك بالتمسح على الأضرحة والطلب منها؟ سيكون بقياس الأوَّلى أكيد أنه ممنوع، فأراد الشيخ تثبيت قاعدة الأوَّلى، يعني إذا كان هذا ممنوع وهو الأقل، فما بالنا بالأعلى؟!.

الآن سنراجع الجزء الماضي؛ سأسألكم وانتم تقولون الأدلة من الباب، من هنا سنبدأ المراجعة من هنا نحن أخذنا ثلاثة أبواب، أخذنا باب من الشرك لبس الحلقة والخيط، ثم باب ما جاء في الرُّقى والتَّمائم، وباب من تبرك بشجر أو حجر.

[١٨٦] يوسف:١٠٦

يُفترض أن تكونوا حافظين للمتن؛

تسميع الدليل الأول من الباب الأول للطالبات.

الدليل الأول: **من باب من الشرك لبس الحلقة والخيط**

﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَو أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[١٨٧]

ما وجه دلالة الدليل الأول؟ -كونك تقول على الدليل هذا الشاهد - ما وجه هذا الدليل بالشاهد؟ المقصود ما علاقته بالباب؟ ما دلالته على الباب؟

من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لدفع البلاء أو رفعه.

المشركون الآن أخذوا هؤلاء المدعوين من دون الله ماذا يريدون منهم؟ كشف الضرّ.

إذن كل من اتخذ أحد يكشف الضرّ، إذن ماذا فعل به؟ دعاه.

عندي عمليتين:

- عندي دعاء.
- عندي مراد من الدعاء، وهو كشف الضرّ.

الآن كل أحد توجه إليه قلبك لكشف الضر إذن انت تدعوه، تدعوه يعني تعبده، لأن الدعاء في كتاب الله معناه العبادة.

مرة أخرى؛ كل أحد توجه قلبك إليه طالبًا منه كشف الضرّ، ماذا يكون؟ هذا معناه أنك تدعوه، فمادام توجه قلبك إليه طلبًا لكشف الضرّ فهذا معناه أنك تدعوه، والدعاء عبادة ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾

لماذا قلت هذا الكلام؟ أصلًا هذه الآية في سياق تهديد قريش للنبي صلى الله عليه وسلم، أن آلهتهم تضرّ النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا أتى في سياق الرد عليهم، أن الذين تدعونهم من دون الله، وترغبون أن ينفعوكم، أو يدفعوا عنكم الضرّ لن يفعلوا، هذا التقرير الكامل.

انظري للتقرير: **" أن من تدعونهم من دون الله وترغبون منهم كشف الضرّ وجلب المنفعة لن يفعلوا."** هذا التقرير الكامل؛ لكن ما هو الجزء من التقرير الذي هو شاهد عندي؟ الشاهد من التقرير: أن الناس يدعون من يعتقدون أنه يكشف الضرّ - إذن بفهم عكسي- كل من تعتقد أنه يكشف الضرّ فانت في حقيقة أمرك تدعوه.

نعيد هذا الدليل بالذات يحتاج كل مرة أن يُعاد عليكم، هذا الدليل هنا وتفسير التوحيد نفسه كل فترة لا بد أن يُعاد ليتعمق في أذهانكم فهمه.

آية الزمر الشاهد فيها بدلالة اللزوم وليس بدلالة المطابقة، يعني دلالة هذه الآية على الباب بدلالة اللزوم وليس بدلالة المطابقة، ما معنى بدلالة اللزوم؟ يعني بعد أن تفهمي الآية تفهمين أن هذا يلزم الأمر.

---

[١٨٧] الزمر:٣٨

انظري: عندي ثلاثة عناصر في الآية في التقرير:

العنصر الأول: دعاء ، قوم يدعون ، في ماذا يرغبون؟ كشف الضرّ، وجلب النفع.

ماذا قيل لهم في الآية؟ أنهم لن يكشفوا ضرّا، ولن يجلبوا منفعة.هذا كل تقرير الآية ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ هذا كل تقرير الآية.

من هذا التقرير الثلاثي أحتاج معلومتين فقط -أحتاج القوم الذين يدعون يريدون كشف الضرّ-

سنقرأ الجملة بطريقتين:

⇦ القوم يدعون غير الله ماذا يريدون منه؟ كشف الضرّ، هذه قراءة بهذا الاتجاه.

⇦ وباتجاه عكسي سنقول: كل من أراد كشف الضرّ وتوجه إلى أحد يكشف الضرّ ويجلب المنفعة معناه أنه دعاه، لأن الله عز وجلّ يقول: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ – ما بهم؟- إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ معنى ذلك أنهم دعوا غير الله ليكشف عنهم الضرّ، إذن كل من توجه بقلبه لأحد ليكشف عنه الضرّ إذن هو يدعوه، هذه دلالة الالتزام.

انت أحد يأتي فيقول لك: أبدًا أنا ما ذهبت إلى المقبرة، ولا ذهبت إلَّا فلان، ولا أخذت الحديدة ولبستها، ما عبدتها، سنقول الآن: كل أحد توجه قلبك إليه تريد كشف الضرّ معناه أنك دعوته، فمثل ما قال عدي بن حاتم للرسول صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ"، وهذا نفس المفهوم الآن، يلبس حلقة أو خيط، أو يأتي إلى أسباب ليست شرعية ولا قدرية، فتقولين هذا شرك، فيقول لك ما عبدناه!، نقول يجب أن تفهم القاعدة: **كل أحد تتوجه إليه طالبًا منه كشف الضرّ وجلب النفع غير الله معناه أنك دعوته.**

يأتي يقول لكن أنا أخذت بالأسباب، نقول إذا كانت أسباب سببها الله، فانت ستخرج من هذه الدائرة **بشرط أنك عندما تأخذ بالأسباب التي سببها الله لا تطلب إلَّا الله**، فأخذك للأسباب ليس عملا قلبيًا، أخذك للأسباب عمل جارحي، ففي النهاية استقر الأمر أنك حتى لو أخذت بالأسباب التي سببها الله لابد أن يكون قلبك مع الله.

لو أتى قال لك أنا طلبت كشف الضرّ وجلب المنفعة بالسبب الذي سببه الله، نقول انظر قلبك لابد أن يكون عند الله، وأما جوارحك فلا بأس، تأخذ بالأسباب على أن الله هو الذي يكشف الضرّ.

أمَّا إذا أخذت أسباب ليست شرعية، وليست كونية فقد أتيت بالطامة، لماذا؟ لأن قلبك مال إلى هذه الأسباب التي لم يسببها الله على أنه تجلب النفع، وتدفع عنك الضرّ، فأنك دعوتها من دون الله، هنا الشرك ما نوعه؟ أصغر، القاعدة كلها في الدليل.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: هل قريش تعترف الآن أن أصنامها لا تكشف الضرّ؟ نحن في أول الكلام قلنا أن هذا الدليل فيه ثلاثة عناصر، ما هي الثلاثة عناصر؟

- قوم يدعون من دون الله ماذا يريدون؟ كشف الضرّ وجلب المنفعة.
- ماذا قيل لهم؟ قيل لهم لن تنفعكم.

هنا في الباب ليس لي علاقة بالعنصر الأخير، هذا التقرير الذي الله عز وجلّ قرره لهم، أنه لن تنفعكم، لكن هم ماذا يعتقدون؟ هم يعتقدون أنها تنفعهم.

من أول الكلام قلت لك أن الآية فيها ثلاثة عناصر، الذي سيستخدم هنا في النقاش في هذا الباب عنصرين فقط:

- أنهم يدعون من دون الله.
- ويرغبون في كشف الضرّ .

كونها لا تنفعهم هذا جواب الله لهم، هو وصف لحالهم، بدليل أنه في أول السياق، هذه الآية أول سياقها الكلام حول أنهم يريدون من آلهتهم أن تضرّ النبي صلى الله عليه وسلم، فهم معتقدون أنها تضرّ، فالجواب جواب أهل التوحيد، أنها لأ لن تكشف عني ضرًا ولن تجلب لي نفعًا.

سؤال من الطالبات: هل يمكن أن يتعلق القلب بالرقاة؟

رد من الأستاذة: نعم يمكن أن يتعلق القلب بهم، ويصبح أول الأمر سيدخلون في المسألة التي ذكرناها في باب من حقق التوحيد دخل الجنة من غير حساب، فسيدخل في أن هؤلاء إن تعلّق بهم سينقص التوحيد، ثم ممكن أن يصل إلى الشرك الأصغر، ثم يصل إلى الشرك الأكبر.

لماذا تتخيلون أنه لا يحدث؟ بلى يحدث!، خصوصًا لو حصل الشفاء، الإشكال هنا أن قلبك حال قيامك بالفعل متعلّق بمَن يكشف الضرّ ويجلب النفع؟ لو جعلتيه بالله فانت في أهل التوحيد، لو اعتقدت أن هذا الشيء بنفسه ينفع أو يضرّ صار ماذا؟؛ ذكر نفسك طوال الوقت أن الله جعل هذا سببًا، فتوسل إلى الله أن ينفعك بالسبب ولا يكلك عليه، ما دام الله عز وجلّ سخره لك خذه، لكن اطلب من الله أن ينفعك به ولا يكلك إلى السبب.

نحن الآن كلنا فينا هذه الحالة، أن نأخذ الأسباب وفي قلوبنا مشاعر أن الله عز وجلّ هو المعطي وهو المانع، ووقت أخذ السبب يصبح عندنا شيء من الاهتزاز، نتذكر أن الله هو الفاعل لكن وقت أخذ السبب نتأثر، نتأثر بنفس السبب مع بقاء اعتقادنا، فنخرج في النهاية لا نعرف هل كنا خالصين في توكلنا على الله أم مهتزين؟!، لا بأس، هذه حالة طبيعية ، انت كلما توسلت وكلما زدت إيمانًا وتقوى كلما شرح الله صدرك.

تسميع الدليل الثاني في الباب.

عن عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ، أَنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأى رجلًا بيدِهِ حَلَقَةً من صُفْرٍ ، فقال: "ما هذه ؟"، قَالَ : مِنَ الوَاهِنَةِ ، قَالَ : انزعْها فإنَّها لا تَزِيدُكَ إِلَّا وهْنًا ، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وهيَ عليكَ ما أَفْلَحْتَ أبدا". رواه أحمد بسند لا بأس به.

وله عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رضي الله عنه مرفوعًا:" مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً ، فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً ، فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ " . وفي رواية: "مِنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ".

هذه هي الرواية المهمة الشاهد هنا.

هذه الأدلة كلها واضحة ومررنا عليها وعرفنا وجه دلالتها

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾[يُوسُفَ : ١٠٦].

⇦ مسألة القطع هذه تحتاج إلى شيء من الحكمة على حسب أوضاع الناس، وأحوالهم، وعلى حسب علم الناس، يحتاج أن تعلمهم أولًا ثم تتعامل معهم.

تسميع باب ما جاء في الرُّقى والتَّمائم.
تسميع باب باب من تبرَّك بشجر أو حجر.

لاحظي أن الشيخ انتقل من الكلام عن الاستشفاء والرُّقى والتَّمائم، يعني الأعمال التي يقوم بها العبد منتفعًا بها من الشريعة، الآن ذكر الشيخ الأعمال التي يقوم بها العبد منتفعًا من الشريعة، لأن الرُّقى والتَّمائم منتفع بها من الشريعة، التبرّك منتفع به من الشريعة، لأن البركة تأتي ممن؟ كما في صحيح البخاري "البركة من الله" فهذه أعمال يقوم بها العباد منتفعين بها من الشرع، يعني مستفيد منها.

من الذي يستفيد من الرُّقى والتَّمائم؟ العبد.

والتبرّك وحصول البركة مَن الذي يستفيد منه؟ العبد.

البركة مثلًا في ليال رمضان، وكذلك البركة الحسية، البركة في زيت الزيتون والتين والمأكولات وما في حكمها، مِن أين أتت البركة؟ أليست من الله؟، انت درست في الباب أن البركة كلها من الله، وأن الله عز وجلّ هو الذي يعطي البركة المعنوية والمادية، لكن البركة من أين مادية؟ هناك أشياء مادية، البركة تنزل في أشياءمادية، لكن البركة ليست مادية، البركة كلها أمر معنوي.

إذن كل الذي مر كلام عن أشياء يقوم بها العبد، ويستفيد بها من الشريعة، ويحتاج فيها أن يكون موحدًا.

نأتي هنا إلى العبادات، بدأنا من هنا الكلام حول العبادات، خرج الشيخ من الشرك الأصغر إلى الكلام حول الشرك الأكبر، لو انتبهت إلى قيد الشرك الأصغر والأكبر.

- ستجدين أن الأكبر دائمًا لا يأتي إلَّا بعبادة، في مقابل الأصغر يأتي في أعمال يقوم بها العبد في حياته وصفتها الشريعة.
- الشرك الأصغر في الغالب أنه يأتي في أعمال يقوم بها العبد في حياته، يمارسها العبد في حياته، هذه الممارسة التي يقوم بها؛ الشريعة وصفت له الممارسة.

انظري الآن إلى الحلف؛ الحلف بالله، هذه عبادة أم ممارسة الأنسان يعيشها في الحياة ويستعمل فيها الأمر الشرعي؟ ممارسة، شيء يمارسه، فلما يريد أن يعظم أمر يحلف، فهي شيء من حياته أصلًا، لكن الشريعة أمرته بأوامر فيها، فعندما يحلف بغير الله يكون قد وقع في الشرك، لكن أي نوع من الشرك؟ الأصغر، **معنى ذلك أن الحلف بغير الله ليس صرفًا للعبادة لغير الله، ولكن ممارسة يجب أن يظهر فيها تعظيم الله، وما أظهر هو فيها تعظيم الله في حياته.**

فالآن لو ما حلف نقول له انت آثم؟ لو ترك أصلًا مسألة الحلف هل نقول له انت آثم؟ لأ.

لو ترك مسألة التطبب؟ لا أخذ السبب الشرعي ولا أخذ السبب الكوني؟ ليس عليه شيء، لا نقول له يجب عليك أن تفعل، إلَّا على رأي من رأى أن التطبب من الواجبات، وهناك خلاف إذا كان التطبب من الواجبت أم لأ، المقصود هذا أمر مختلف عن العبادة.

سؤال من الطالبات عن مسألة التطبب رد من الأستاذة: ليس عليه إثم لأن هناك قولان:

- قول يرى أنه لا إثم عليه تطبب أو لم يتطبب لا إثم عليه.
- وهناك قول يقول أنه لا بد أن يتطبب.

لابد أن تفهموا الآية: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[١٨٨] هذا في ترك الجهاد والنفقة، الآية هذه في ترك الجهاد والنفقة، فهذه الآية لا بد أن تعودي إلى معناها في التفسير من أجل أن تفهمي ما معنى أن تلقوا بأيديكم في التهلكة.

على كل حال هذا رأي، وليس موضوعنا موضوعنا الآن أن تعرفوا أن غالب الشرك الأصغر دائر في ممارسات وصفتها الشريعة لا بد أن تتعامل معها كما أمرتك الشريعة، أمَّا الشرك الأكبر فهو عبارة عن عبادات يجب صرفها لله فصرفت لغيره.

هنا الآن بدأ الشيخ بانتقال من الأصغر إلى الأكبر، لكن انتقل بأسلوب **لطيف فلو سألت ما العلاقة بين التبرّك بشجر أو حجر، وبين الذبح لغير الله؟** لو نظرتم إلى اللَّات والعزَّى ومناة ستجدون أن مناة هذه كانت بناية سميت مناة من كثرة ما يُمنى عندها من الدماء، أي من كثرة ما يراق عندها الدماء، فهي موطن للذبح، **فالمواطن التي يُتبرك بها في العادة يكثر الذبح عندها.**

لذلك انتقل من التبرّك إلى الذبح انتقال مناسب بصورة لطيفة، لأن في العادة الناس عندما يتبرّكون بشيء يذبحون.

عنده الآن نريد أن نرى الأدلة، ثم نرى أسلوب الشيخ في هذه الأدلة باب.

[١٨٨] البقرة:١٩٥

باب ما جاء في الذبح لغير الله وقول الله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ)[١٨٩] الآية، وقوله: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)[١٩٠].

عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ: "لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ".[١٩١] [رواه مسلم].

عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ،أَنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ ، قَالُوا : وَكَيْفَ ذَلِكَ يا رسول الله ؟ قَالَ : مَرَّ رَجُلانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ ، لا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالُوا لأَحَدِهِمَا : قَرِّبْ ، قَالَ : لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ ، قَالُوا : قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا ، فَقَرَّبَ ذُبَابًا ، قَالَ : فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ ، قَالَ : فَدَخَلَ النَّارَ ، وَقَالُوا لِلآخَرِ : قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا ، قَالَ : مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ ، قَالَ : فَضَرَبُوا عُنُقَهُ ، قَالَ : فَدَخَلَ الْجَنَّةَ " [رواه أحمد].

انظري الآن إلى طريقة الشيخ في هذا الباب، تختلف عن الأبواب الماضية.

- الدليل الأول.

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾[١٩٢] الآية

انظري لآية الأنعام ماذا تقررين منها؟ هل يتكلم عن الشرك أم يتكلم عن العبادة؟ عن العبادة.

انظري آية الكوثر؟ أيضًا عن العبادة.

إذن هذان الدليلان استعمل الشيخ فيهما أسلوب إثبات أنها عبادة، إثبات أن الذبح عبادة، وانت معلوم عندك بالقاعدة العامة أن ما كان عبادة صرفه لغير الله يكون شركٌ أكبر

انت أخذت من أول الباب ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[١٩٣] فإذا ثبت شيء لك أنه عبادة، فإن صرفه لغير الله سيكون شرك.

لو سألت الآن ما طرق معرفة العبادات؟ طرق معرفة العبادات كثيرة سنذكر طرفًا منها:

كل فعل عظمه الله ورسوله، أو أمر به، أو مدحه، أو مدح فاعله لأجله [أي لأجل أنه فعل هذا الفعل]، أو فرح به، أو أحبه سبحانه وتعالى، أو أحب فاعله، أو رضي به، أو رضي عن فاعله، أو وصفه بالطيب أو البركة أو الحسن، أو نصبه سببًا لمحبته، أو لثوابه العاجل، أو الآجل .. إلى آخره؛ كل هذه تعتبر طرق لمعرفة العبادة.

إن شاء الله يوم الثلاثاء سنقوم بورقة عمل نذكر فيها أدلة وانتم تذكرون كيف أثبتنا أن هذه عبادة.

---

[١٨٩] الأنعام:١٦٢،١٦٣

[١٩٠] الكوثر:٢

[١٩١] صحيح مسلم» كتاب الأضاحي» باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله(١٩٧٨)

[١٩٢] الأنعام:١٦٢،١٦٣

[١٩٣] النساء:٣٦

مثال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[١٩٤] نقول أن هذا أمر اغسلوا وجوهكم، فهو أمر فعرفت أنها عبادة.

﴿ فَاصْبِرْ﴾ : أمر.

﴿ وَاسْتَعِينُواْ﴾ : أمر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[١٩٥] إذن التوكل عبادة، لأن الله عز وجلّ أخبر أنه يحبه، وطرق كثيرة يُعرف بها من كتاب الله أنها عبادة.

انظري لآية الأنعام وقولي كيف هي عبادة؟

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾: هذا وجه شاهد، أي أنني مأمور هذا بالتصريح الآن.

- اللام أيضًا في "لِلَّهِ " ستكون لام الاستحقاق في الصلاة والنسك.
- ولام الملك في " وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي" هي صحيح لام واحدة لكن لها معنيين.

اللام أصلًا في اللغة تأتي لها استعمالات كثيرة، منها أن تكون للملك، وللاستحقاق.

- هنا "لله" في الصلاة والنسك ستكون اللام للاستحقاق، ما معنى للاستحقاق؟ أي لا يستحقها إلَّا الله، يعني عبادة لا يستحقها إلَّا الله.
- "وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي " للملك، يعني لا يملك ويدبر حياتي ومماتي إلَّا الله.
- ⇦ إذن " لله" الصلاة والنسك، فهذا فيه توحيد الألوهية.
- ⇦ ولله الإحياء والإماتة فيه توحيد الربوبية.
- ⇦ أيضًا في الدليل ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ فعلم أنه أمر، يعني أنه عبادة، إذا كان أمر إذن فهو عبادة.

إلى هنا عرفنا أن الصلاة والنسك عبادة ما معنى النسك؟ **"**النسك: العبادة والطاعة، وكل ما تُقُرِّب به إلى الله عز وجلّ، وعلى الخصوص النسك: الذبيحة، لأن التقرب بالدماء في الضحايا، والهدايا من أعظم القرُب إلى الله.**"**

- يعني كلمة نسك لها **معنى عام** كل عبادة وطاعة وتقرب إلى الله عز وجلّ لذلك نقول مناسك الحج، ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ يعني تعبداتنا، هذا المعنى العام لكلمة نسك.
- ثم يأتي **المعنى الخاص** لكلمة نسك بمعنى الذبح، لماذا بمعنى الذبح؟ لأنها من أعظم القربات إلى الله عز وجلّ، فأطلق على الذبح والدماء "النسك".

أولا اتفقنا على أن الصلاة والنسك عبادة، ثم اتفقنا على أن النسك هو الذبح.

السؤال كيف تظهر العبادة في الذبح؟ أو كيف أتعبد بالذبح؟ **"**لا يخلو الذبح من العبادة حتى لو قُصد به الانتفاع الدنيوي من أكل وتجارة، أمَّا في العبادة كذبح الأضحية والهدي، والعقيقة فتجتمع فيه عبادتان: عبادة الاستعانة باسمه تعالى، وعبادة التقرب

---

[١٩٤] المائدة:٦

[١٩٥] آل عمران:١٥٩

والتعظيم له وقد تنفرد فيه العبادة – أي عبادة؟– كل ذبح لابد أن يكون فيه عبادة إمَّا أن تجتمع عبادتان معًا – عبادة الاستعانة، وعبادة التقرب والتعظيم– أو تنفرد عبادة الاستعانة.“

ما هي عبادة الاستعانة؟ عبادة الاستعانة هي التسمية على الذبيحة، التسمية من جهة المعنى تسمى استعانة، يعني إذا سمى العبد الله عز وجلّ فإنه استعان به في أمر الذبح.

إذن الذبح لا بد أن يكون عبادة، لا يخلو من أن يكون عبادة، لكن قد تجتمع عبادتان مع بعضهم أو تكون عبادة واحدة.

متى تجتمع؟ مثلًا في الأضحية، وفي الهدي، وفي العقيقة، في الصدقة، هذه كلها تجتمع فيها عبادتان، أمَّا كل ما يتصل بأمر الانتفاع الدنيوي فهذا يسمى ذبحًا لكن فيه تحقيق لعبادة واحدة وهي عبادة الاستعانة.

يأتي هنا سؤال لماذا الذبح فيه عبادة التقرب والتعظيم؟ ” لأن التقرب بالدم من الأمور العظيمة في نفوس أهلها، فالذي يُربي إبلًا أو بقرًا أو غنمًا ثم يذبحها تقربًا إلى الله لا بد أن يكون الله في قلبه معظم، والذي يشتري بماله هذه الأشياء، ثم يذبحها لا بد أن يكون في قلبه الله عز وجلّ معظم.“

أحوال الناس في ذبح التقرب والتعظيم.

هناك أربعة أحوال.

لاحظي أن عندي أمرين، عندما يكون عندي تقرب وتعظيم عندي نوعين من العبادة:

- عبادة التسمية. وعبادة التقرب.

يعني يقصد ماذا، ويسمي بماذا، سنذكر أربعة أحوال سنعمل جدول [سنذكر الحال ، والمثال، والحكم]

- **الحالة الأولى**: يذبح باسم الله، يقصد بذلك التقرب إلى الله.

مثال: أن يقول بسم الله، ويذبح أضحيته، هذا يعتبر موحد في القصد والتسمية.

الحكم: التوحيد بالعبادة والاستعانة.

- **الحالة الثانية**: يذبح باسم الله، يقصد بذلك التقرب لغير الله.

مثال: أن يقول بسم الله، لكنه يريد أن يذبح للقبر، وماذا يريد؟، يذبح عند باب المنزل الجديد، ماذا يريد؟ استرضاء الشيطان هذه عبادة لابد أن يحررها ماذا يريد.

متى تصبح شركًا؟ عندما يذبح عند باب البيت، لهم طقوس معينة لكن يذبح ويولم على العشاء وليمة، هذا لا بأس به، فهذا نوع من أنواع الشكر، وفيما بعد سنناقش هذا الذبح ينفع في مثل هذه الأشياء وإلَّا من الأفضل تركه، وهذا قد يشتبه على من يراه.

مرة أخرى؛ هؤلاء يذبحون عند أبواب البيوت استرضاءً للجن، فيأتي إلى باب البيت ويلطخ الباب بالدماء، لطخ أو لم يلطخ النتيجة واحدة، هو الآن وقع في الشرك.

إذن المثال يذبح عند باب المنزل الجديد استرضاءً للشياطين، ويقول بسم الله، لكنه يقصد غير الله.

الحكم: شرك في القصد، يعني شرك في العبادة.

- **الحالة الثالثة**: يذبح باسم غير الله، يقصد بها التقرب إلى الله.

مثال: يذبح باسم صاحب القبر أو الوليّ، على أن هذا الوليّ له مكانة عند الله، ويقصد بها أن يتقرب إلى الله، يعني يقول: باسم علي، باسم الحسين، ثم يقول اقبل منا يا الله!، هذا تجدونه عند الروافض، يستعينون باسم غير الله متقربين بذلك إلى الله.

الحكم: هذا شرك في الاستعانة.

- **الحالة الرابعة:** يذبح باسم غير الله، يقصد بها التقرب لغير الله.

مثال: يقول باسم المسيح، وهذا شرك الاستعانة، ويقصد بذلك الاستعانة، ويقصد به المسيح، هذا شرك في العبادة فأصبح شركا في العبادة والاستعانة.

أحوال الناس في ذبح التقرب والتعظيم.

	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة
الحالة	يذبح باسم الله، يقصد بذلك التقرب إلى الله.	يذبح باسم الله، يقصد بذلك التقرب لغير الله.	يذبح باسم غير الله، يقصد بها التقرب إلى الله.	يذبح باسم غير الله، يقصد بها التقرب لغير الله.
المثال	أن يقول بسم الله، ويذبح أضحيته	يذبح عند باب المنزل الجديد استرضاءً للشياطين، ويقول بسم الله، لكنه يقصد غير الله.	يذبح باسم صاحب القبر أو الوليّ	يقول باسم المسيح ويقصد به المسيح
الحكم	التوحيد بالعبادة والاستعانة.	شرك في القصد، يعني شرك في العبادة.	شرك في الاستعانة.	شرك في العبادة والاستعانة.

انظري مرة أخرى للأربعة أحوال وانظري كيف تفاوتت، المسألة تتفاوت بين توحيد في العبادة والاستعانة، إلى شرك في العبادة والاستعانة.

يعني نوع من أنواع الشرك؟ سيكون شركًا أكبرا.

الآن ماذا نقرر على الدليل الأول؟

- أن الذبح عبادة يجب صرفها لله.

لو قيل لك أنا الآن أذبح لضيوفي، لو أحد قيل لك أنا أذبح لضيوفي ماذا ستقولين له؟ نقول نعم اذبح لضيوفك لا بأس، هذا ليس تقربًا إلى الله، لكن تبقى معك عبادة الاستعانة، يعني انت الآن لا تطلبين أن يذبح الناس كلهم بنية التقرب، **لكن أي ذبح لا بد أن تكون فيه عبادة الاستعانة لابد أن يكون هناك عبادة في الذبح، لا يخلو الذبح من عبادة فإذا ما كانت فيه عبادة التقرب، ففيه عبادة الاستعانة.**

إذن يمكن أن يأتي الشرك من الذبح من جهتين:

- ممكن أن يأتي حال الاستعانة، وهذا معناه أنك لو ذبحت لضيوفك أو ذبحت لأهل بيتك، أو ذبحت الأضحية ممكن أن يدخل في إي واحد منهم هذا النوع من الشرك.
- أمَّا شرك القصد – ماذا تقصد– هذا لا يحصل إلَّا إذا كنت تنوي بهذه الذبيحة تعظيم أحد، ليس إطعامه، بل تعظيمه.

ما الفرق بين التعظيم والإطعام؟ إكرام الضيف ليس شرط أن يكون فيه الذبح، يعني الذبح بنفسه وقت الذبح لا علاقة له بنية عبادة الإكرام، الذبح كذبح وقت قيامك بهذا الأمر لن يقع في قلبك أن هذه هي العبادة، انت قد تتقرب إلى الله بإكرام الضيف بأن ترسل أي أحد يذبح لك أي شيء، ولا يكون قائم في قلبك أن الذبح هو القربة إلى الضيف، لأ، وانت ممكن أن تكرمه بأي شيء، ليس شرطًا هذا الأمر.

التعظيم؛ أصلًا الذبح لا يكون إلَّا تعظيمًا لله، أو يأتي الذبح لأي مقصد آخر ليس فيه تعظيم، يعني للأكل.

انظري الذبح لأحد أمرين:

- إمَّا تذبح للأكل، سواء كان هذا الآكل ضيفك، أهل بيتك، أي أحد.
- أو تذبح للتعظيم، يعني لو ذبحت للضيف تعظيمًا له ستدخل في الشرك.

لابد أن تفهم أن الذبح ليس تعظيمًا إنما للأكل، إذا كان للضيف فهذا للأكل، وليس لتعظيمه.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: هذا من باب المجاملات، المهم أن لا يقع في قلبك أنك تريد التعظيم.

الآن سنقرأ فتوى بما يسمى بـ **"ذبح الصلح"** وكيف أنه يُعتبر من الشرك.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: هناك فرق بين الإكرام والتعظيم هل تعرفين عندما تذبحين لشخص كبير في العائلة لماذا تذبحين له؟ تذبحين له لأنك تريدين أن يأكل أحسن ما يمكن، فانتهى الأمر أنه للأكل، لو الآن المجتمع عنده في عاداته إكرام غير الذبح، مثلًا في بعض المجتمعات أن تعزمه على مطعم فاخر هذا هو الإكرام، هناك مجتمعات كثيرة الآن كذلك، فليس شرطًا هذا النوع الذي هو الذبح حتى يحصل الإكرام، حتى في العادات، ففي النهاية انت تريد أن تؤكله طعامًا جيدًا، فانت تفكيرك في الأكل.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: أخر كل هذا الكلام أن يأكل أكلًا فاخرًا، هي هذه الحقيقة، فانت بما ستطعمه هذا دليل إكرامك له، فنحن نعبر عن إكرامنا للضيف — وهذا هو الطبيعي — بالإطعام، المهم في النهاية للإطعام، هذه هي القضية للإطعام، للأكل، بدليل أن الناس عندما يكون عندهم رجال ونساء، لا بد أن يدخل للرجال طبق فيه كذا وكذا وكذا من المواصفات، لأنهم هم المراد إكرامهم، القضية في نهايتها الأكل.

متى يكون للتعظيم؟ عندما يذبح أمامه، ويريق الدم أمامه، هذا الذي يكون للتعظيم، وهذا موجود بالنسبة لنا في المملكة، كثير من القبائل تستعمل هذا الأسلوب – أسلوب الذبح أمام الضيف– وإراقة الدم عند أقدامه دليل على الإكرام، أو ذبح الصلح، ويمكن غالب الموجود ما يسمى بذبح الصلح، موجود حتى في الجزيرة العربية فيها هناك مناطق، لو كان هناك خلاف بين الرجل والمرأة، وذهبت إلى بيت أهلها، وأراد الرجل الصلح مع المرأة؛ يأتي إلى بيت أهلها ويذبح أمامهم، ويريق الدم عند بابهم، هذا يدخل في التعظيم، ما دام فيه إراقة دم إذن هذا يدخل في التعظيم.

كل شيء يدخل فيه دم يدخل في مشكلة التعظيم، كل شيء يدخل فيه اللحم تدخل قضية الأكل ⇦ هذا القانون حتى لا تشوشوا أنفسكم، كل ما يدخل فيه اللحم، لذلك العلماء عندما تقرئين في شروحهم تقرئين يقول لك – يقصد اللحم– فقصد اللحم هذا يدل على الانتفاع، يريد أن ينتفع به، فعندما يكون عند الشخص رجل له مكانة، فيذبح له مثلًا حاشي ، إلى آخره، يرفع مكانه، لكن في النهاية ماذا يريد بهذا؟ يريد الأكل، يريد الانتفاع بنفس اللحم.

القضية الخطيرة هي عندما يريد الدم، عندما يريد الدم ثم بعد ذلك يلحقه اللحم، هذا هو الذي يأتي فيه التقرب، وهذا الذي يكون من هنا الشرك، **يعني إرادة الدم في الذبح لا بد أن تكون داخلة تحت التقرب.**

الآن حتى تفهمي هذه المسألة أكثر؛ اقرئي في طريقة "عبدة الشيطان"، أقل كلمة يقال أنه شيء يُشعر بالغثيان، لأنهم يتكلمون عن الدماء بصورة متكررة، يعني لهم طقوس تتصل بالذبح، يبدؤون بالحيوانات وينتهون ببني آدم والأطفال إلى آخره!، هذه الطقوس يتقربون فيها بالدماء للشيطان لذلك اللون الأسود والأحمر معظَّم عندهم.

- أمَّا الأسود فهو نتيجة علاقتهم بالشيطان طبعًا.
- وأمَّا الأحمر فهذه صورة الدماء التي يتقربون بها.

– نحن نسأل الله أن يحفظ أولادنا وشبابنا، الله المستعان–

على كل حال؛ المقصد: **أن التقرب بالدم يُراد به التعظيم** ، فافهم هذا الأمر جيدًا، فكلما وجدت تقرب بالدم تصور أن هذا تعظيم، **إذا ما كان لله فسيكون لغيره، وإذا كان لغيره دخل في الشرك.**

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: أين سيذبح؟!، نحن نقول لك انظري للدم، إذا تعامل مع الدم إذن معناه أنه داخل في التعظيم، تعامله مع الدم أي أنه يأتي عند بيتها – زوجته – مثلًا ويذبح، يريق الدم عند باب بيتها وكل الناس يعرفون أنه صالحها، ومن صلحها أتاها معظمًا لها، وأتى بكذا وكذا وذبحه عندها، انت ضع مقياسك الدم حتى لا يقول لك أحد نحن ليس قصدنا التعظيم لأنهم لا يعترفون أبدًا، حتى ذبح الصلح عندما نأتي بالفتوى للناس، لا تتخيلين كيف يضجون، ويرفضون تمامًا أن يكون شركًا، لأنهم يضعون المقاييس التي يريدونها.

انت ضع القانون: **أي ذبح تُلاحظ فيه استعمال الدم، افهم أن هذا ذبح لغير الله** لكن لابد أن تحرر الحالة، وإلَّا كيف ستقول؟ حرر الحالة، وافهم الصورة التي أتت.

لا تستهينوا؛ لأن هذا منتشر جدًا، بصورة فوق الملاحظة، سنقرأ الآن فتوى للشيخ صالح آل الشيخ، ونقرأ كلام للشيخ حمد بن عتيق رحمه الله.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: ماذا فعل؟ أحك تمامًا ماذا فعل؟ أي حال الذبح ماذا فعل؟ في المطبخ، عند الطباخ، إذن هذا بعيد عن الدم هذا أهم شيء، لا يُستعمل.

عندما أحكي لكم صورة ذبح الصلح ستتصورون.

سؤال من الطالبات: الذبح عند باب البيت لإرادة البركة في البيت بالإضافة إلى اللحم

رد من الأستاذة:ماذا يعني إرادة البركة؟ ماذا يعني؟ هل هذا من أسباب البركة الشرعية؟ لا، ما دام ليس سبب من أسباب البركة الشرعية وهناك ذبح مباشرة تعرف أن المسألة ذهبت إلى الشرك، لأنهم يقولون لك للبركة، وفي الحقيقة هم يلتمسون البركة من الشيطان.

هذه المسألة داخلة فيها العادات، ولأن هذه داخلة في العبادات لذلك الناس يفعلون ولا يفكرون، لا يتخيلون أن هذا من ورائه جن، واسترضاء له، ودفع له، الله المستعان.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: هذا أصل أمر شرعي، وورد في الحديث أن أول قطرة لا تنزل إلى الأرض تنزل عند الله عز وجلّ، فهذا أصلًا ينوي بكل وضوح أن يعظم الله في الأضحية بذبحها، فإراقة الدم حقّ لله فقط، حقّ لله أن يُعظم، بل من السُّنة أن تُذبح ويُرى دمها، والأبناء يرونها، هذا من السُّنة.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: ليس قصدهم التعظيم، هذا واضح أنه ليس قصدهم التعظيم، لا تخلطوا على أنفسكم، من الزمن القريب أصبح هناك مذابح ومسالخ في الخارج، ولكن منذ القدم والناس يذبحون في بيوتهم.

- الدليل الثاني.

سنأخذ الآن دليل ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ هذه الآية واضح فيها الأمر بالنحر.

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾.

ما نوع الفعل في انحر؟ فعل أمر، إذن النحر عبادة، صرفها لغير الله شرك.

لاحظ أن الآية تجمع بين عبادة بدنية، وعبادة مالية:

- أمَّا العبادة البدنية فهي الصلاة.
- وأمَّا العبادة المالية فهي النحر.

انظر إلى الأمر في الآية بالإخلاص "لربك" يعني له خاصة، وليس لغيره، فهو المستحقُ لها.

- الدليل الثالث.

الحديث الذي بعده نأخذ فقط الشاهد منه:

عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ: "لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ .."

أي عمل قُرن باللعن ماذا سيكون؟ كبيرة من كبائر الذنوب، إذا دلّ الحديث على أنها كبيرة من كبائر الذنوب ونحن مر معنا أنها شرك أكبر، سيكون هناك تعارض؟ لأ، لا تعارض.

ما وجه كونه لا تعارض؟ ومن هذا المفهوم ممكن أن ندخل، وتقول:

" أن الشرك الأكبر من أكبر الكبائر فلما لعن الله من ذبح لغير الله؛ لا يعني فقط أنه من الكبائر لأ، بالأدلة السابقة تبيَّن أنه شرك، وهذا الدليل سيتبيَّن لك به أنه من الكبائر، وأكبر الكبائر الشرك. "

❖ الدليل الرابع.

الدليل الأخير؛ أولًا نعلق على السند؛ هذا الحديث حديث طارق بن شهاب.

مَن يكون "طارق بن شهاب" ؟ هو صحابي جليل، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم لكن لم يسمع منه، إذن سيسمع ممن إن لم يسمع من النبي؟ من الصحابة.

على ذلك يكون حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم سيكون "مرسل صحابي"، ومراسيل الصحابة مقبولة.

لأن هناك نقاش حول ثبوت هذا الدليل، انت بدون ثبوت الدليل، يعني بدون أن تنظر لحديث طارق بن شهاب؛ انظر إلى الأدلة السابقة متبين لك أن الذبح عبادة بالدليل الأول والثاني، وبالدليل الثالث ما دام الذبح عبادة إذن صرفها لغير الله شرك ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[١٩٦].

الدليل الثالث: الذي هو الحديث تبيَّن لك منه أن الذبح لغير الله من كبائر الذنوب، وكبائر الذنوب ليس معناها أن حكمه ليس شرك، لأ، انت مر معك أن الشرك أكبر الكبائر.

نحن الآن متبيِّن تمامًا لنا أن الذبح لغير الله شرك، هذا الدليل الآن – دليل طارق بن شهاب – لو افترضنا أنه غير صحيح؛ هل سيختل معنى الباب؟ هل سنخرج بدلالة مختلفة؟ لأ، أقول لكم هذا الكلام لأن كثير ممن يطعن على كتاب التوحيد، يأتي بحديث طارق بن شهاب ويقول هذا حديث ضعيف، وإذا كان ضعيف كيف يُستدل به كتاب التوحيد، إذن هناك في كتاب التوحيد أشياء ذكر بأنها شرك وهي ليست بشرك!، إلى آخر هذا الكلام.

نقول الآن بغض النظر عن حديث طارق بن شهاب الأمر متبيِّن لك أن الذبح عبادة، وفي القاعدة العامة: صرفها لغير الله شرك.

الآن نناقش حديث طارق بن شهاب؛

عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ،أَنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ ، قَالُوا : وَكَيْفَ ذَلِكَ يا رسول الله ؟ قَالَ : مَرَّ رَجُلانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ ،

الآن مرورهما على هذا الصنم كان ابتلاءً لهما، اختبار لتوحيدهما، واعلم أن حياتك كلها اختبارات للتوحيد .

كيف هذا الاختبار؟ هذا الصنم ما به؟

لا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا

يقرب لمن؟ للصنم.

فَقَالُوا لأَحَدِهِمَا : قَرِّبْ ، قَالَ : لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ ،

احتج بأن ما عنده شيء، فلو كان عنده شيء كان سيفعل، بدليل أنهم قالوا له:

قَالُوا : قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا ، فَقَرَّبَ ذُبَابًا ،

هل الذباب يقرب؟ لأ، كأنه بفعل القلب فقط، لأنه بفعل القلب حصل منه إرادة القربة.

انظري الآن للمشركين حريصون على أن يتقرب ولو بذباب، أي حريصون على إقامة الشرك، حريصون على تعظيم هذا الصنم.

---

[١٩٦] الجن:١٨

قَالَ : فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ ، قَالَ : فَدَخَلَ النَّارَ ،

إذن لا تغرك المظاهر، في الدنيا تتصور أنك رابح، وتكون في الحقيقة خاسر، لأن هذا خلوا سبيله فكانت النتيجة أنه دخل النار.

ثم انظر للثاني:

وَقَالُوا لِلآخَرِ : قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا ، قَالَ : مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ ، قَالَ : فَضَرَبُوا عُنُقَهُ ، قَالَ : فَدَخَلَ الْجَنَّةَ "

أقسى ما يكون هو أن يقتلوه، هذا أقسى ما يكون في توحيدك انت تخسر شيء من الدنيا، انت في اختبارات التوحيد أقصى شيء سيحصل لك أن تخسر شيء من الدنيا، وأعلى شيء ممكن أن تخسره من الدنيا حياتك، **ومع ذلك اعلم أن خسرانك للحياة – لو اختبرت باختبار من هذا النوع – هو كسبك للآخرة.**

يمكن أن يأتي في أذهانكم سؤال أن حديث طارق بن شهاب رضي الله عنه دال على أن من فعل هذا الفعل يدخل النار مع الإكراه؟ في ظاهره يدلّ على ذلك!، أنه هو الآن أُكرِه، فلماذا يدخل النار؟

في هذه المسألة أجوبة منها:

⇦ إمَّا أن ليس في شريعة الرجلين عذرٌ بالإكراه، يعني أننا في شريعتنا هناك عذر بالإكراه، لو كنت مُكرها تُعذر، المهم أن قلبك مطمئن بالإيمان، هذا في شريعتنا، ولكن ليس شرطًا في شريعة من قبلنا يكون هذا الأمر، لأنكم تعلمون أن هناك فارق بين شريعتنا، وشريعة من قبلنا فارق، في التوبة، وفي مسائل تتصل بالإكراه وعدمه.

⇦ أن حديث طارق بن شهاب رضي الله عنه **لا يدخل** في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[١٩٧] فسياق حديث طارق بن شهاب ليس فيه ما يُعين أنهم هددوه بالقتل.

فظاهر قوله: " لا يَجُوزُهُ أَحَدٌ " أنهم لا يأذنون بأحد بمجاوزة ذلك الطريق حتى يُقرب، وهذا ليس إكراهًا ، إذ يمكن أن يقول سأرجع من حيث أتيت، ويتخلص من أذاهم.

أمَّا الرجل الذي قُتل فإنهم أيضًا لم يُكرهوه حين أراد المجاوزة، ولكنهم قتلوه لأنه أهان صنمهم فماذا قال لهم؟ "مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ عز وجلّ"

على كل حال؛ **لاحظ هنا من الحديث أن عمل القلب هو المقصود الأعظم**، فحتى عند أهل الشرك، لا يريدون منه شيء، يريدون منه فقط أن يُعظم صنمهم، فالأول كان مستهينًا في مسألة تعظيم الصنم.

وهذا يعيدنا لأول الكلام أنه لا بد أن تفهم تفاصيل المسائل الشركية، فقد تستهين، قد تأتي مسألة شركية وانت مستهين بها، ذبابة، وماذا يعني ذبابة؟!، ماذا ستفعل بهم الذبابة؟!، لكن لا يوجد تعظيم لحق الله، ولا يوجد تصور أن الذبح هذا حقّ لله فقط، ولو كان لن يحصل بعينه، أي أنه ماذا سيفعل بالذبابة، سيذبحها؟ لن يذبحها، لكن حقّ الله بأن يكون هو فقط له التعظيم بالذبح، حتى قلبك لا يميل لغيره.

[١٩٧] النحل:١٠٦

سأنقل لكم الآن جزء من فتاوى أهل العلم حول مسألة الذبح لغير الله.

سئل الشيخ ابن باز رحمه الله السؤال التالي:

إذا تخاصم قبيلتان، أو شخصان، وحكم شيخ القبيلة على المدعى عليه بعقائر – يعني مذبوح من عقر– البعير أو الفرس من الإبل أو الغنم تُعقر، وتُذبح عند من له الحق، فما حكم ذلك؟

فأجاب رحمه الله: الذي يظهر لنا من الشرع المطهر أن هذه العقائر لا تجوز لوجوه:

- أولها: أن هذه من سنة الجاهلية، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم "لا عُقْرَ فِي الإِسْلامِ"[١٩٨].
- والثاني: أن هذا العمل يُقصد منه تعظيم صاحب الحقّ، والتقرب إليه بالعقيرة، وهذا من جنس ما يفعله المشركون من الذبح لغير الله، ومن جنس ما يفعله بعض الناس من الذبح عند قدوم بعض العظماء، وقد قال جماعة من العلماء أن هذا يُعتبر من الذبح لغير الله، وذلك لا يجوز، بل هو في الجملة من الشرك، ثم استدل بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

قال:و النسك هو الذبح، قرنه الله بالصلاة لعظم شأنه، فدلّ ذلك على أن الذبح يجب أن يكون لله وحده، كما أن الصلاة لله وحده، وقال: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[١٩٩]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ"[٢٠٠] – استدل بأدلة الباب–

- والوجه الثالث: أن هذا العلم من حكم الجاهلية، والكلام حول شيخ القبيلة الذي قضى قال:أن هذا العمل من حكم الجاهلية، وقد قال الله سبحانه: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ وفيه مشابهة لأعمال عباد الأموات والأشجار والأحجار كما تقدم، فالواجب تركه، وفيما شرع الله من الأحكام ووجوه الإصلاح ما يغني ويكفي عن هذا الحكم، والله وليّ التوفيق.

متبين لكم كيف حكم عليه؟ حكم عليه أنه شرك.

أضاف الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى في سؤال مشابه ما يلي.

قال:و يمكن للإخوة الذين يشيع عندهم في بلادهم، أو في قبائلهم مثل هذا الفعل المسمى "ذبح الصلح" ونحوه أن يبدلوه بخير منه، وهو أن يجعلوه وليمة للصلح، فيذبحون للضيافة، يعني يذبحون لمن يريدون إرضاءهم، ويدعونهم ويكرمونهم، ولا يكون هذا بحضرتهم، – يعني لا يذبحون في حضرتهم – أمامهم، وهذا من الأمر المرغب فيه، ويكون الذبح في هذه الحال كما يذبح المسلم عادة لضيافة أضيافه ونحو ذلك.

---

[١٩٨] رواه أبو داود في الجنائز برقم ٢٨٠٥، وأحمد في باقي مسند المكثرين من الصحابة برقم ١٢٥٥٩.

[١٩٩] الكوثر:١،٢

[٢٠٠] رواه مسلم في الأضاحي برقم ٣٦٥٧، و٣٦٥٨، والنسائي في الضحايا برقم ٤٣٤٦.

نقرأ أيضًا كلام الشيخ سعد بن حمد بالذات في الذبح عند المريض.

قال:**فصل: الذبح عند المريض بغير مقصدٍ شرك.**

قال: وإذا عرفت أن الذبح عند المريض على هذا الوصف الذي ذكرناه من الشرك المحرم، فاعلم أن من الناس من يذبح عند المريض لغير مقصد شرعي، وإنما يقصد بالذبح التقرب إلى الله بالذبيحة، والصدقة بلحمها على من عنده من الأقارب والمساكين وغيرهم.

يعني أن هناك أولًا صورة شركية، وهي أن يذبح عند المريض لكن يقصد استرضاء الجن، على أن الجن هي التي آذته.

الآن لا يقصد الذبح عند المريض لمقصدٍ شركي، وإنما يقصد بالذبح التقرب إلى الله بالذبيحة والصدقة بلحمها

قال: ولا يخفى أن قاعدة سد الذرائع المفضية إلى الشرك ودرء المفاسد يقتضي المنع من فعل ذلك والنهي عنه، لأن ذلك ذريعة قوية، وفتح باب لفعل الشرك المحرم.

يعني حتى لو كان هذا المريض لا يقصد بذبحه التقرب إلى غير الله، إنما أهله يقصدون التقرب إلى الله، قال لهم من باب سد الذريعة اتركوه.

قال: بما قد عرفناك أن كثيرًا من الناس يذبح عند المريض بقصد التقرب إلى الجن ولكنه يخفي قصده عن الناس يذبح عند المريض.

يذبح عند المريض ويكون شيخا – وليّ – ويأتي يزوره، ويقرأ عليه ثم يقول اذبحوا له.

كلمة اذبحوا له هذه ماذا تعني؟

- إذا كان يقصد الجن سنكون شاركناه في الشرك الأكبر.
- وإذا لم يقصد من باب سد الذرائع تركه.

قال: ولكنه يخفي قصده عن الناس خوفًا من العقوبة الدنيوية، وبعضهم يبيِّن قصده بالضبط بالذبح، ويظهر نيته لإخوانه، وأخدانه من شياطين الإنس، وهذا يعلمه من عرف أحوال الناس.

يعني أن بعض هؤلاء عندما يقول لك اذبح، يبينون لك، أن الجن عالين ، كلمات من هذا النوع ويردد هذا الكلام، يقال الدم ولا الندم، يعني أذبح له وأدفع عنه الشياطين وإلَّا تندم يأخذونه، ويفعلون به ويفعلون به.

قال: وقد حدثني من لا أتهمه أن من هذا الجنس من أتى إلى مريض زمن وأشار بأن يذبح عنده ذبيحة، ثم لما تفرق الناس عنه ولم يبق عنده إلَّا ذلك الرجل الذي حدثني أسرّ إليه وأشار أن الذبيحة لغير الله، وبذلك يُعلم أن المتعيِّن النهي عن الذبح عند المريض، وإن حسن قصد الفاعل، سدًا لباب الشرك وحسمًا للذرائع والمواد التي تجر إليه.

يعني غالب الذي يقول لك اذبحي للمريض، هذا إمَّا يفهم جيدًا أنه يذبح للجن، أو مقلد وغير متصور ماذا يفعلون، يعني ماذا يقصدون من وراء الذبح، فعلى الأقل سدًا للذريعة يُترك الذبح عند المريض.

قال: فإن العمل وإن كان أصله قربة وفعله طاعة، فقد يقترن به ما يوجب بطلانه، ويقتضي النهي عنه ولحوقه بالمنهيات كأعمال الرياء، وتحري الدعاء والصلاة لله عند القبور.

يعني أن العمل يكون صالح يدخل عليه الرياء يصبح منهي عنه، والدعاء والصلاة مأمور بهما لكن يصلي عند القبر يصبح منهي عنه.

قال: والصلاة غير ذوات السبب في الأوقات التي نُهي عن الصلاة فيها، والنحر لله في أمكنة أعياد المشركين، ومواطن أوثانهم قبل زوالها وبعدها.

كل هذا يريد أن يقول لك أن العمل قد يكون في أصله صالح، لكن تقترن معه أحوال تجعله ممنوعًا.

قال: وفي حديث ثَابِتُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، قَالَ : نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْحَرَ بِبُوَانَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ ؟ ، قَالُوا : لا ، قَالَ : فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ ؟ ، قَالُوا : لا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْفِ بِنَذْرِكَ ، فَإِنَّهُ لا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَلا فِيمَا لا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ " فسأله صلى الله عليه وسلم: هل كان في ذلك المحل وثن من أوثان الجاهلية، أو عيد من أعيادهم، وقوله بعد ذلك: فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله يفيد أنه لو كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، أو عيد من أعياد الجاهلية لكان الوفاء بالنذر لله فيه معصية، وهذا بيّن واضح.

يعني الآن الذبح عند المريض أو للمريض ماذا تقولين في حكمه؟ تركه سدًا للذريعة.

هما حكمان:

- حكم لو كنا نعرف نية صاحبه ماذا يريد، فلو كان يتقرب للجن شرك.
- ولو كنا لا ندري عن نيته سنقول سدًا للذريعة يُترك.

سيأتينا الكلام عن الذبح بعد شفاء المريض.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا هو المقصود بالضبط، أنك تذبح في الخارج، وهنا لا علاقة له بالدم، لكن هنا مجرد الذبح للمريض، يعني أنك ستستعمل الحديث: " دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ"، نحن نقول لك على هذا الكلام، هات كل أنواع الصدقات وافعليها ما عدا الذبح، لا تفعلي.

فهذه المشاعر تجاه الذبح دونًا عن بقية الصدقات يخيفك، ويجعلك تنتقلين من مشاعر أن هذه قربة لمشاعر أنه ممكن يكون وراءها ما وراءها من الاعتقادات التي توارثناها ونحن غير شاعرين، لأن غالب أهل البلد عندهم اذبح، عندهم هذه الكلمة مباشرة، لماذا؟ ما الذي في ذهنك؟!، ماذا تريد من ورائه؟!، الصدقة، لا بأس، تقرب بأي صدقة، فكما لو كانت هذه منطقة موبوؤة، انت أبعد نفسك عنها.

وذكر الشيخ في كلامه أن الأعمال قد تكون محبوبة، لكن تتحول في مواطن وتصبح مشبوهة تخيفك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لو تريدي تستعمل حديث "داووا مرضاكم بالصدقة"، تصدقي بأي شيء ما عدا الذبح، أنا أسألك الآن، في الواقع هل الناس بحاجة الذبح؟ أم بحاجة للسيولة؟ السيولة انتهى، إلَّا تريدين أقرب شيء؟ وأنفعه للناس؟ والذي يكون أنفع للناس يكون أكثر بركة، وأكثر أجرا؟ إذن استعملي السيولة.

الآن قبل أن تقنعي أهلك وأي أحد، لنركز نفهم نحن أنفسنا، اتفقنا أن التوحيد هذا فيه صعوبة حتى أقوم أنا أولًا بهذا العمل، مثل هذا الكلام الذي هو مسألة أن الذبح للمريض يُترك خوفًا من أن يكون فيه ذريعة، حتى مناصحة الآن لا تتكلمي به، التزمي الصمت، حتى يتبيِّن لك تمامًا، وحتى ينتشر هذا الأمر بين الناس، ويُتكلم عنه في الدروس.

مثلًا هذا الدرس، ممكن أن أعطيه في المعهد وأقول هذا الكلام كله، لكن في لقاء مثل اللقاء الذي كنا فيه في الدورة لا يمكن ستتشتت أذهانهم، وسينتقلون لانتقالات غير صحيحة، فالمسألة بالهيّن، المسألة تحتاج أن يتعلمها المجتمع كله.

ونحن سنبذل جهودنا الفترة القادمة – اسأل الله أن ينشر الحقّ –بالذات في الحجاز مسألة الذبح هذه لها أثر خاص، ولها علاقة خاصة ،كل شيء يفزعون فيه إلى الذبح، فنأخذ هذا الكلام ونرتبه ونهذبه، وننزله في المواقع، وننزله في مراكز الإفتاء، نطلب إفتاءات معاصرة، إلى أن ينتشر بين الناس.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا واضح أنه للجن بدون مناقشة، فهذه مسألة البيضة إذا لم يكن عندك دجاجة، يستعملون البيضة ماذا يفعلون بها؟ في الرقية ، الرقية الشركية طبعًا، يعملون لها طقوس هذه البيضة، وأين توضع، وأين يكسرونها، وتبات يوم وليلة في مكان – الله المستعان –

باب عظيم من البلاء هذا الذبح، والشرك فيه متغلغل ونحن غير شاعرين به، وتفتش في العوائل تجد شيئا كثير منه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: على نية الميت، لا بد من التفتيش، فصرنا جدًا حذرين في مسألة الإفتاء بأن نقول أن هذا مثلًا يصح لا إشكال فيه، في مسائل تتصل بالذبح، خصوصًا لاحظي المناطق، فهذا كلام مَن؟ يعني مَن هم الذين يتكلمون بهذا الكلام؟، فأهل الحجاز متأثرون جدا بمسألة الذبح ولها رواسبها، ولها ماضيها، فيها اعتقادات.

والخلف الذين جاؤوا ليس شرطًا أن يفهموا كل ما كان عليه السلف الذين سبقوهم، ليس شرطًا، لكنك تجد أناس معينين فاهمين، فيقولون لك نحن نذبح من أجل كذا وكذا، وآخرون يقولون: نحن لا نذبح بهذه الطريقة، فنقول له لو ما كنت تذبح بهذه الطريقة فاترك ذلك سدا للذريعة وانت يا من تفهم لا بد أن تتوب وتستغفر.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ذكرت معلمة أن تنظر إلى العضو المريض، فتتصدق بنظيره من الأعضاء في بهيمة – هذه مشكلة– ثم تقول: أهم شيء أن يكون العدد سبعة أي نفس العضو في البهيمة يكون سبع مرات، انظري الآن إلى هذه البدع، وتتصل بالذبح أيضًا، بدع وتتصل بالذبح، – الله المستعان–، لا بد الآن أن يصبح عندنا حالة من ترتيب الأفكار، ومعرفة الواقع بالتفصيل، ثم لا تذهبي لأي أحد تقولين له هذا الكلام.

يعني نتكلم عن الذبح لنتكلم عن جدة، حتى في جدة يظهر لك، يمكن تذهبين إلى الشمال، أو الشمال الشرقي، تذهبين للجنوب، والوسط، يجب أن تتصوري هؤلاء غالبهم من يكونون، ليقال لهم كلاما يناسبهم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نحن لا نقول إلَّا أنهم تملكهم الشرك، ثم يعودون مرة أخرى يأتي حديث أنس، ويقولون: "" يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا"، ويرون أنفسهم أنهم ممن لا يشرك به شيئا – الله المستعان–

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نعم يكون البلاء على توحيدك، عليك وعليهم أمَّا عليهم؛ فاعلم أن الله عز وجلّ يريد أن يزيد ضلالهم، وهذا هو الموجود، وقد تعرفين أن هناك مناطق كثيرة في العالم الإسلامي بالذات بعد أحداث العراق، فتنة الشرك ضربت أصقاع العالم الإسلامي فمن جهة الروافض، ومن جهة حتى أهل السُّنة، أهل السُّنة يأتون ويقولون لك نحن رأينا كرامات الجيلاني أيام الحرب أن الجيلاني مر على بيوتهم وأعطاهم، أن الجيلان فعل فتجد – سبحان الله – عندما الناس تأتيهم الكربة تتصور أنهم إلى ربهم يلجؤون، – الله المستعان–

على كل حال؛ انتم لا بد أن تشعروا أن فتنة الشرك هذه قريبة جدًا، وموجودة في أفكار أناس كثيرين، وإذا تكلمنا عن الشرك الأصغر وجدناه، وإذا تكلمنا عن الشرك الأكبر وجدناه، فمعناه أين خلو العالم من الشرك؟!، وأين انتظار النصرة لقوم مشركين في تفاصيل حياتهم؟!، الناس يتصورون يعني ماذا أن نشرك؟ يعني أننا طوال الوقت نكون عند القبر!، حتى عندما صاروا يتكلمون عن القبور، يعني حتى عندما عرف الناس أن القبور موطن للشرك؛ أيضًا صار في ذهنهم أنني لا أكون مشرك إلَّا إذا اتجهت للقبر، إلَّا إذا صليت عنده، إلَّا إذا تمسحت به، غير متصورين أنه لأ هناك أفعال خفية خفية في ذهنك وتوارثتها، ولا فككتها قبل أن تتعامل بها، المسألة تحتاج إلى إعادة تحرير.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: انظري، أولًا هذا ليس من السُّنة، هذا لم يرد في السُّنة، بقي أن نحرر لماذا يقولون هذا الكلام؟، يعني لا نغتر بما يقولونه من أول كلامهم، وإذا كان قصدهم أن هذه صدقة، فهل لا يوجد إلَّا هذا النوع من الصدقة؟!، هذا يعيدنا مرة أخرى لنفس المشكلة ماذا يريدون من وراء هذا؟!.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لو ما أكلت منها، معناه افعلوا عليها طقوس هذا الذبح للميت بعد موته، بدأ أنه من أجل أنه تقرب إلى الله، وانتهى في كونك ستحاسبين عند الله إذا ما أكلت منها،كيف هذا الكلام؟!، على أقل تقدير سيقال عنها بدعة، ثم انظر ماذا يأتي وراءهم من بلاءات، المهم أنها كلها على بعضها بدعة بدون تفصيل، مشكلة وانتهى، – الله المستعان–

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة:الله المستعان، ابحثي هل هذا سبب شرعي أم لا، يأخذون بالدليل العام ويرتبون عليه أفعال خاصة، هذا من البدع.

على كل حال انتهى هذا الباب.

جزاكم الله خيرًا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الحمد لله الذي يسر لنا هذا اللقاء، واسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاء مباركًا مرحوما .. اللهم آمين.

لا زلنا في شرح كتاب التوحيد، مر معنا شرح **"باب ما جاء في الذبح لغير الله"**، وعن الشرك.

- الشرك الأكبر: هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجلّ.
- في مقابل أن الشرك الأصغر، كيف تعرفينه؟ الشرك الأصغر له ضوابط مختلفة.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: ليست التي أمرت الشريعة بممارستها، إذا الشريعة أمرت بممارستها لأصبحت عبادات، كما أن الشريعة أيضًا لم تحث عليها و[كل ما كان وسيلة للشرك الأكبر] هذه معلومة انتم أخذتموها سابقًا، لكن في اللقاء السابق أخذنا معلومة جديدة بها الشرك الأصغر حول الأمر.

السلسلة الصحيحة هي الأعمال التي يقوم بها العبد، وتكون هذه الأعمال من الشريعة؟ لأ ليست من الشريعة- يجب أن تكون هناك كلمة ضابطة من أجل أن تحل المشكلة، ولا أيضًا كلمة حثت عليها لأ - **لكنها ممارسات من العادات وصفت الشريعة طريقة ممارستها**، الشريعة وصفت لك طريقة الممارسة.

انت الآن عندما تمارسها بالطريقة المعتادة يمكن أن تكون قصرت في سنة؛ هذه حالة، وقد تكون ارتكبت محرم، وممكن تكون وصلت إلى أن ترتكب شركًا أصغر، **الشيء الذي يتصل بالعادات ووصفته الشريعة لا توصليه للشرك الأكبر أبدًا.**

ولا بد أن تعرفوا معلومة سابقة لهذه المعلومة، أن الشرك الأصغر نفسه له تعريفات متعددة، له طرق متعددة للتمييز؛

- **كل وسيلة للشرك الأكبر يسمى شرك أصغر**، هذا نوع من أنواع التعريفات، الضوابط التي تعرفين بها أن هذا شرك أصغر.
- أيضًا هناك ضابط آخر؛ الآن الممارسات العادية، ماذا فعلت الشريعة بالممارسات العادية التي يمارسها الإنسان في الحياة؟ وصفت له طريقة للممارسة، مخالفة هذه الطريقة للممارسة قد يوصل الإنسان إلى ماذا؟ قلنا ثلاث جمل سابقًا:
  - قد توصله إلى أن يكون قصّر في سنة.
  - قد توصله إلى أن يكون ارتكب محرمًا.
  - قد توصله إلى الشرك الأصغر.

⇦ نضرب مثال؛ الآن النوم من العادات أم من العبادات؟ من العادات، النوم من العادات، الشريعة ماذا فعلت؟ وصفت لك طريقة كيف تنام، النوم على الشق الأيمن يعتبر سنة، وتركه يعتبر تفريط في سنة، **النوم عادة، والنوم على الشق الأيمن سنة، وتركه تفريط في السُّنة، ترك للسنة.**

⇦ الشرب هذا من العادات وليس عبادة، والشرب باليد اليمنى هو المأمور به شرعًا، والشرب باليسرى محرم، فبترك هذا الشيء الذي وصفته الشريعة وهو الشرب باليمنى، وانت شربت باليسرى تكون ارتكبت محرمًا، برغم أن هذا ليس له علاقة بالعبادة، لكن له علاقة بالعادة.

- **إذن النوم عادة، والشرب عادة، وتركك للنوم على الشق الأيمن ترك لسنة.**

▪ **وتركك للشرب باليمين، والشرب باليسار تكون قد وصلت إلى درجة أنك ارتكبت محرمًا.**

⇦ الحلف لتعظيم المحلوف عليه هذا من العادات، فالحلف ليس بنفسه عبادة، لكن الحلف شيء من العادات الناس يستعملونه ليستوثق بعضهم ببعض.

▪ حلفك بالله تكون وافقت ما وصفت لك الشريعة، فالشريعة وصفت لك عندما تمارس تعظيم أمر لا تعظمه إلَّا بالله.

▪ ولما تحلف بغير الله تركت ما أمرتك به الشريعة وارتكبت شركًا، لأنك أشركت مع الله غيره من جهة التعظيم.

لكن هذا الشرك حصل في العادات أم حصل في العبادات؟ في العاداتز

▪ ما دام حصل في العادات إذن هو شرك أصغر وليس أكبرًا.

▪ لو حلف أحدهم وهو يعتقد أن غير الله أعظم من الله هذا شرك أكبر.

انت ستقولين لكن هذا أيضًا من العادات؟! نقول: لأ، **هو أصلًا إشكاله واقع من تعظيمه لغير الله أكثر من تعظيمه لله**، بدليل أننا ما حكمنا على اللفظة، سألناه قلنا له هل تعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من الله؟ إذا اعتقدت هذا إذن انت ستصبح مشركًا شركًا أكبرًا ليس لحلفك، ليس لنفس الحلف، بل لاعتقادك هذا الاعتقاد أصبحت مشركًا شركًا أكبرا.

⇦ الآن لبس الحلقة والخيط، والاستشفاء، من العادات أو العبادات؟ من العادات، يعني من الأشياء التي يمارسها الإنسان عادة، **ولا تفهموا العادات بـ "العادات والتقاليد"؛ عادات يعني التي يمارسها الإنسان عادة.**

التطبب من العادات التي يمارسها الإنسان عادة، **فكونه يتطبب بشيء لم تأمر به الشريعة، يعني أتى إلى العادة وخالف الأمر الشرعي**، وخالف ما وصفت له الشريعة أن يفعل، هذا أصبح شرك أصغر؛ لماذا؟ لأنه ليس في العبادات، إنما في العادات.

قد تقولين لو اعتقد أن هذه الحلقة تشفي بنفسها أصبح شركًا أكبر، نقول: نعم، نقول مرة أخرى: **لماذا أصبح شركًا أكبرًا؟ لاعتقاده.**

متى نعرف هذا الأمر؟ عندما نسأله: هل تعتقد أن غير الله يملك الشفاء؟ إذا قال نعم؛ فمن هنا أتى الإشكال، وليس من مجرد لبس الحلقة، **لأنه حتى لو ما لبسها وقال هذا الكلام يصبح مشركًا شركًا أكبرًا حتى لو لم يلبسها**، حتى يصبح عندكم تمييز.

• انتبهوا • هذا نوع من أنواع التمييز فليس هذا هو الضابط الوحيد للشرك الأصغر، لأ، فعندما يأتينا مثلًا – "ما جاء في التغليظ في من عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟" – الصلاة عند قبر رجل صالح يعتبر من الشرك الأصغر.

على أي قاعدة اعتبر من الشرك الأصغر؟ لأنه وسيلة إلى الشرك الأكبر.

فضابط الشرك الأصغر يختلف من موطن لموطن، فكلما تقدمنا كلما تكلمنا عن الضوابط.

إذن في الاستشفاء عندك بابين " باب ما جاء في الرُّقى والتَّمائم، وباب لبس الحلقة والخيط" بقيت الرُّقى والتَّمائم والحلقة والخيط دائرة في الشرك الأصغر.

لماذا دائرة في الشرك الأصغر؟ لأنها ممارسات، في العادة الإنسان يمارسها في الاستشفاء، **لما خالف الشريعة ودخلت المخالفة في باب التعظيم والتعلّق من هنا دخلت باب الشرك.**

هذه الإضافة الآن تفهمك ؛ هل مخالفة الشريعة في الممارسات دائما تصبح شركا أصغر؟ لأ، إنما الممارسات التي تدخل في باب التعلّق والتعظيم.

مثل الاستشفاء بالحلقة؛ ماذا يكون في نفس صاحبها عندما يلبس الحلقة؟ قلبه ما به؟ متعلّق، فالأشياء التي تدخل في التعلّق والتعظيم هذه تدخل باب الشرك.

يعني انت الآن تقولين أن لبس الحلقة حرام، لماذا حرام علل؟ لأنه اتخذ ما ليس بسبب سبب، فلما اتخذ ما ليس بسبب سبب جعل نفسه مع الله مشرعا، وقع أثر هذا أن قلبه أنه أصبح بغير الله متعلّقا، ولغير الأسباب التي جعلها الله عز وجلّ سببًا مستعملا؛ فأتى بمشكلتين:

- أتى بمشكلة استعمال شيء ما أمر الله به.
- أتى بمشكلة التعلّق به.

فدخل الباب من جهة التعلّق والتعظيم.

على كل حال؛ حتى لو كنتم الآن ترون الأمر الضابط فيه شيء من الصعوبة، لا بأس، مع كثرة مناقشة الموضوع يتبيَّن لكم.

إلى هنا:

✹ **كل شيء يتصل بالعبادات افهمي أنه مباشرة شرك أكبر.**

✹ **وكل شيء يتصل بالعادات لن يكون شركًا أكبرًا.**

على الأقل اخرجي بهذا الضابط، فكل شيء يتصل بالعبادات سيكون شركًا أكبرا، يعني المخالفة فيه من جهة صرف العبادة لغير الله يعتبر شركًا أكبرا.

انظر للعادات؛ كل شيء يتصل بالعادات ويحصل فيه شيء من التعلّق والتعظيم بغير الله لن يكون شركا أكبرا، يخرج من كونه شرك أكبر.

إذن الشرك الأكبر محصور في العبادات، لأن العبادات ترمز إلى تمام التعلّق مع تمام التعظيم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: يكون محرم، التعلّق به واعتقاد أنه نافع دون أمر الله هذا يمكن أن يصل إلى حدّ الشرك الأكبر، لأنه جعله هو بنفسه نافعًا له، لكن هذا أمر لا يُتصور، فلا أحد يذهب يشرب ماء زمزم، ويعتقد أن ماء زمزم هو الشَّافي، ربما يغيب عنه أن الله عز وجلّ هو الشَّافي، لا يستحضره وقت شربه، لكن مستقر في قلبه أن أصلًا ماء زمزم ما أصبحت له هذه المكانة إلَّا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر عنه.

هذه الصورة تكاد تكون مستحيلة، أن شخصًا يذهب إلى ماء زمزم ويقع في قلبه أنه هو الشَّافي، **لكن لابد أن تفرقي بين استحضار المسألة وبين غيابها**، فقد نشرب ماء زمزم وقلوبنا شاعرة أنه الحمد لله أننا وصلنا إلى السبب، ولا نستحضر أن الله عز وجلّ هو الذي ينفع، فقد أشرب ولا انتفع به، يأتي في بالك عندما تشربه أنك **أكيد** ستنتفع، "أكيد" هذه هي المشاعر التي تأتي فأشرب ماء زمزم وأنا معتقدة يقينًا أنه سيحصل الشيء الذي أريده، على أنك متصور أن أي أحد يأخذ بالسبب الشرعي لا بد أن تكون له النتيجة! لست تتخيل أنه لأ قد تأخذ بالسبب الشرعي وتأتي من نفسك موانع، أصلًا لست متعلّقًا تمام التعلّق بالله.

يعني نحن نذهب إلى زمزم متخيلون أنه مادام الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ"[٢٠١] إذن انتهى ما دام أخذت هذا السبب من المؤكد أنني سأصل إلى مرادي، هذا فيه نوع تغييب لاختلاف الناس أصلًا، هل انت متأكد أنه سيحصل لك مرادك؟ من قال لك هذا الأمر!، على حسب أصلًا درجة يقينك بالله، **وممكن أن تأخذ الأسباب الشرعية، وتأتي منك موانع تمنع السبب الشرعي من أن ينفعك.**

مثلًا مثل من يقرأ آية الكرسي قبل أن ينام، وهو لا يفهم شيء منها، ولا معتقد فيها، ولا جامع قلبه على المعاني التي تكون موجودة في الآية، لكنه هو متأكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ قَرَأَ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَثَلَاثًا مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَمْ يَقْرَبْهُ وَلَا أَهْلَهُ يَوْمَئِذٍ شَيْطَانٌ "، ومنتظر أن لا يقربه شيطان، لكن هو أصلًا لن يقربه شيطان على قدر يقينك بهذا الكلام، هو تركيزه في الوعد فقط، وليس له تركيز في كيفية العمل، هذا الذي في قلوب الناس.

تصوري أن الناس يشربون ماء زمزم معتقدين الشفاء فيه بدون إذن الله! لأ، لا تتصوري هذا أصلًا عن الناس، لابد أن تعرفي كيف تترجمين أحوالهم، هناك أوضاع مستحيل أن تكون، مستحيل أن يكون واحد أتى معتقد أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبره عن ماء زمزم، ثم يعتقد أنه بنفسه يشفي! هذا يدخل في باب الشرك الأصغر.

الممارسات وليس العبادات تدخل في الشرك الأصغر، الممارسات ليس لها علاقة أبدًا بالشرك الأكبر.

إذن الممارسات عندما أخالف فيها، كل مخالفة في الممارسة ستكون شركًا أصغرا؟ لا، قد تكون مخالفة للسنة، ترك للسنة، أو حرام، أو شركًا أصغرا.

متى تكون شركًا أصغرًا؟ إذا دخلت باب التعلّق والتعظيم.

وضربنا ثلاثة أمثلة:

- شخص لا ينام على جنبه الأيمن.
- شخص يشرب باليسار.
- شخص يحلف بغير الله.

من في هذه الأمثلة الثلاثة يدخل في مسألة التعلّق والتعظيم؟ الحلف، يدخل في مسألة التعظيم، لأن الإنسان يحلف بمعظم عنده.

- لكن تركه النوم على الجنب الأيمن ليس فيه تعظيم لغير الله.
- وشربه باليسار ليس فيه تعظيم لغير الله.
- حلفه بغير الله فيه تعظيم لغير الله.

إذن من الثلاثة هذه من فيهم ستأخذين وتقولين هذا سيدخل في باب الشرك الأصغر؟ الحلف، لماذا؟ لأن فيه إشارة لتعظيم غير الله.

---

[٢٠١] أخرجه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم، ١٠١٨/٢، برقم ٣٠٦٢، ورواه الحاكم في المستدرك (٤٧٣/١) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١٨٣/٢، وإرواء الغليل، ٣٢٠/٤.

نحن ناقشنا أيضًا هذه النقطة، يمكن قد تجيبين فتقولين إذا اعتقد أن المحلوف أعظم من الله أصبح شركا أكبرا، نقول صحيح، لأن أصبحت القضية لم تعد في نفس الحلف، بل أصبحت في نفس اعتقاده.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: يقينك بالله، ما معنى يقينك بالله عندما تشربين ماء زمزم؟ معناه أني أنا أعتقد أنه الله عز وجلّ الشَّافي – الذي سبب أسبابًا للشفاء– أرجوه أن يجعل شربي هذا سببا للشفاء، وأن لا يكلني عليه، كل هذه المسائل أن يبقى تفكيرك في الله، وليس فيما بينك وبين الله من سبب.

الماء هذا في الوسط، إذا قلبك التفت له يختلف عما لو التفت قلبك إلى الله، **فلحظة الشرب لا يكون تركيزك على الماء، لا، بل يكون يكون تركيزك أن الله ينفعك به**، قلبك ملتفت إلى الله.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نعم، لا بأس، في الله، كله في الله، حسن ظن في الله، والله عز وجل ما دام يسر لك السبب، فهو سبحانه وتعالى ينزل فيه الشفاء.

انظري كلامك عن الله مختلف عن كلامك عن زمزم، هذا الذي في الوسط يجب أن تفهموا أن هذه هي التفاتة القلب، حتى في الأسباب الشرعية.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: جمع القلب له أسباب كثيرة من أهمهما تعلم التوحيد، والطلب من الله والاستعانة، أسباب كثيرة على رأسها العلم والاستعانة.

سؤال من الحاضرات: ما حكم من كسرت بيضة أمام غرفتها لأنها غيرت أثاث بيتها، تقصد اتقاء العين أو حصول البركة على أثاثها.

رد من الأستاذة: هذا شرك أصغر، ويصل إلى أن يكون شركًا أكبرا، كسر البيضة نموذج مصغر من الذبح، أصلًا أهله يعتقدون هذا، حتى لو لم تكوني فاعلة هذا الفعل، هذا الكلام منتشر جدًا، بصورة غير متخيلة، حتى في بيوت الصالحين، أبناءهم بالمزاح أحدهم يشتري شيء جديد قد تقول لها اكسري عليه بيضة، وليست متخيلة أنها تصل إلى درجة الذبح لغير الله، هذا يحتاج إلى كثير من التوعية.

على كل حال نعود إلى موضوعنا ؛ تكلمنا المرة الماضية عن الذبح، واتفقنا أن بهذا بدأ الشيخ الكلام حول الشرك الأكبر، وخرجنا بنتيجة وهي: أن الذبح عبادة لكن هناك نوعين من الذبح، ما هما النوعان؟

- ذبح للأكل أو للانتفاع باللحم.
- ذبح للتعظيم.

أو نقول ذبح للحم، وذبح للتعظيم.

اذكري العبادات التي في النوع الأول، والعبادات التي في النوع الثاني؟ ما هي العبادات؟

- في الذبح للحم عبادة الاستعانة.
- وفي الذبح للتعظيم الجمع بين إثنين [الاستعانة، وقصد التقرب].

فاتفقنا أن الشرك ممكن أن يقع في النوعين؛

- يقع بالاستعانة هذا لو كان للحم.

- ويقع بالاستعانة وبالقصد لو كان للتعظيم.

والباب يسمى " **باب ما جاء في الذبح لغير الله**".

قولي كيف يمكن أن يُذبح لغير الله؟ متى يكون ذبحًا لغير الله؟ اكتبوا أمام دفاتركم جواب هذا السؤال مستعملة الكلمتين [الاستعانة والقصد].

يكون ذبحًا لغير الله إذا استعان بغير الله، ومتى استعان تفهمين أن ذلك يكون في البسملة.

أيضًا متى يكون ذبحًا لغير الله؟ في حالتين:

- إذا كانت استعانته بغير الله.
- وإذا كان قصده غير الله.

متى يكون الذبح لا يعتبر "لغير الله"؟ هل شرطًا أن يكون لله؟ أي متى أقول أن هذا الذبح لا أعتبره لغير الله، مع أنه ليس لله؟ هو لا يُعتبر لغير الله؛ الآن الذابح لم يقصد غير الله، وأيضًا ما قصد الله – ما قصد التعظيم لله– ؛ **يعني لا قصد تعظيم غير الله، ولا قصد تعظيم الله**، ما قصد الاثنين ومن ثمَّ لا يُعتبر شركًا.

هو لم يقصد تعظيم غير الله، ولم يقصد أيضًا تعظيم الله؛

متى هذه الحالة؟ لو ذبح باسم الله يريد اللحم.

ما هي هذه الحالة؟ أولًا: لم يقصد تعظيم الله، أنا لا أتكلم عن الاستعانة، بل أتكلم عن القصد، الاستعانة انتهينا منها.

الآن نتكلم عن القصد، في التعظيم، عندما يذبح شخصًا للحم لبيته.

⇦ هل قصد تعظيم الله؟ لا.

⇦ هل قصد تعظيم غير الله؟ لا.

إذن انتهينا، ما دام لا قصد تعظيم الله ولا تعظيم غيره إذن خرج من كونه شركًا، لا يعتبر شرك، ومع ذلك لا يُعتبر أنه عبادة لله.

لا يعتبر عبادة، ولا يعتبر شرك.

السؤال يقول: هات حالة لا يعتبر فيها هذا الذبح لغير الله، متى لا يُعتبر لغير الله؟ انتهينا من التسمية، نأتي للقصد الآن:

عندما يقصد اللحم هل هذا فيه تعظيم لله؟ لا.

هل هذا فيه تعظيم لغيره؟ لا.

إذن هذا شخص لا يعظم الله في ذبحه، ولا يعظم غيره.

ماذا تقولين عنه؟ هل هذا مشرك؟ لا.

إذن ماذا تقولين؟ هذا هو السؤال ⇦ ليس بمشرك، ومع ذلك ذبح لغير الله، ذبح لغير الله أين؟

للحم، اللحم أمر مشروع أصلًا، فكونه مشروعًا إذن هذا أخرج الحالة من كونها شرك.

فكون قصدك للحم أمر مشروع من المباحات، **قصد اللحم من المباحات**، أن يذبح الذبيحة بقصد اللحم، يعني الشريعة ما قالت لك كل ذبيحة تذبحها يجب أن تذبحها تعظيمًا لله.

هل الشريعة قالت لك كل ذبيحة تذبحها اذبحها تعظيما لله؟ لا، **إذن هناك ذبح ليس لله، وفي نفس الوقت ليس شركًا.**

متى يكون الذبح ليس لله ولا يعتبر شرك؟ إذا ذبح بالطريقة الشريعة، لكن يقصد الانتفاع باللحم.

فهذا ماذا يكون؟ **يكون ليس لله، وفي نفس الوقت ليس لغيره، إنما قصد مباحًا، وقصد المباح من المؤكد أنه لا بأس به.**

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذه الذبيحة ما تصح، لم تصبح طريقة شرعية، تكون الذبيحة محرمة، تخرج من كونها مباح إلى محرم، انت مركزة أن الإشكال في توحيد الألوهية،أنا أصلًا اتكلم عن الشرك، الأصل أن نتكلم عن شرك الألوهية.

إذن اشرحي الآن "باب ما جاء في الذبح لغير الله"؟ لماذا لم يقل "باب من الشرك"؟ هذا كله حتى أصل إلى هذه النتيجة؛ لماذا لم يقل الشيخ "باب من الشرك الذبح لغير الله"؟

== هناك في بعض النسخ فيها: "باب من الشرك الذبح لغير الله".

لكن النسخة الصحيحة: "باب ما جاء في الذبح لغير الله" ==

لم يذكر الحكم في العنوان، مع أننا أول ما تناقشنا تكلمنا عن الشرك في الذبح، وهذا الذي يأتي في الذهن مباشرة، عندنا نتكلم عن الذبح مباشرة يأتي في الذهن أن الذبح لغير الله شرك، وهذا من دقة المؤلف، يريد أن يفهمك، وهذا هو الجواب؛

الجواب: أن هناك ذبحًا لغير الله لكن لا يُعتبر شرك، أن يذبح بالطريقة الشرعية **– الطريقة الشرعية هذه هي الكلمة المهمة–** قاصدًا الانتفاع باللحم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: سيذبح من أجل ماذا؟ لا بأس هذا اسمه الانتفاع باللحم، هل سيذبحها ويرميها؟ سينتفع باللحم ولو بالبيع، ولو بالأجرة على الذبح، كل هذا اسمه للحم نفسه.

== هذا الكلام الذي نقوله في اللقاء، ثم لا تكتبونه، وتختلط أفكاركم بعد اللقاء، ويأتي في الاختبار كلام آخرًا مختلف عن الذي اتفقنا عليه بالإملاء، أكون في اللقاء أمليته إملاء يأتي السؤال يبين أننا ما الذي يحصل؟ ركزوا بناتي حين تأتي مسألة الكتابة، لن تجدوا هذا الكلام نصًا عند أحد، عندما أقول لك اكتبي هذا الكلام معناه لن تجديه نصًا عند أحد، فاحرصوا على أن تكتبوا بالذات الكلام الذي نقول لا بد من كتابته.==

الآن اشرحي أريد العنوان فقط "باب ما جاء في الذبح لغير الله" ماذا تقولين ؟ تقولين المؤلف ماذا فعل في التسمية؟ أريدك أن تشرحي الاسم أولًا سنقول: باب ما جاء يعني أن موضوع الذبح فيه تفصيل، الذبح لغير الله فيه تفصيل، لأن كل "ما جاء" معناه أن فيها تفصيل.

⇦ عندما قلنا " باب – ما جاء – في الرُّقى والتَّمائم" معناه أن الرُّقى والتَّمائم فيها تفصيل.

⇦ "باب – ما جاء – في الذبح" معناه أن الذبح لغير الله فيه تفصيل.

ما هو التفصيل؟ الذبح لغير الله نوعان:

- نوع يعتبر من الشرك، وهو جملتان هنا :
  - إذا استعان بغير الله.
  - أو قصد غير الله.

هذا هو السؤال الأول الذي ذكرناه، الذبح لغير الله فيه نوعان: ذبح يعتبر شرك، متى يعتبر شرك؟ إذا استعان بغير الله، أو قصد غير الله.

== إذا قلت قصد غير الله، أو قصد تعظيم غير الله النتيجة واحدة، هو هذا المسمى بتوحيد الطلب والقصد، ماذا تقصد؟ تقصد تعظيم غير الله، التعبيران صحيحان.==

أنا عندما أتكلم بالإجمال أبني على تفصيل عندك، لا تأتوا وقت الإجمال تناقشوا شيء أصلًا مفصلًا عندكم، ألم نتفق على أربعة حالات وناقشناها وعملنا جدول، يجب أن تستوعبوا أن هناك موطن يكون الكلام فيه مجمل، وهناك موطن فيه مفصل، انت ماذا تحمل أصلًا طوال عمرك في الدراسة؟ **تحمل المجمل على المفصل**، وإلَّا معناه أننا لن نكتب في حياتنا المفاهيم بجملة واحدة، فهذا القانون يجب أن تنتبه له أنه بعد التفصيل الطويل، يجب أن أكتب جملًا في عقلي مختصرة، وهذه الجمل المختصرة هي عبارة عن تعليق للشيء المفصل.

فعندما أقول لك: [الذبح لغير الله يكون شركًا إذا فقد أحد نوعي العبادة "الاستعانة، أو القصد" يعني استعان بغير الله أو قصد غير الله] **هذه الكلمة الإجمالية**.

فتقول سأشرح لك هذه الجملة؛ هذا متن، ستشرحينه ماذا ستفعلين؟ تقولين: سأفعل جدول، تقولين:

[▪هناك أناس يستعينون بالله ويقصدون غير الله أشركوا بالقصد.

▪ وهناك من يستعينون بغير الله ويقصدون الله، وهؤلاء أشركوا بالاستعانة.

▪ وأناس جمعوا بين الاثنين هذا فعل كذا.

▪ مَن الصحيح؟ إذا جمع بين الاستعانة بالله وبين قصد الله.]

كل هذا الذي مضى كان تفصيلا.

الآن الإجمال ؛ نرجع مرة أخرى "باب ما جاء في الذبح لغير الله" لماذا قال المؤلف – ما جاء– ؟ لأن الأمر فيه تفصيل.

⇦ فهناك يكون الذبح لغير الله شرك إذا استعان بغير الله، أو قصد غير الله. انتهينا.

⇦ ومتى يكون الذبح لغير الله ليس شركًا؟

▪ إذا استعان بالله ولم يقصد الله عز وجلّ – هذا تعبير: لم يقصد الله أو لم يقصد غيره–.

▪ أو استعان بالله وقصد اللحم.

⇦ الجملتان صحيحتان، لكن من الأفضل أن تكتبي " **استعان بالله وقصد اللحم**".

متى يكون الذبح لغير الله ليس شركًا؟ إذا استعان بالله – أي استعمل الطريقة الشرعية – وقصد اللحم.

إذا قصد اللحم: لم يقصد تعظيم الله، ولم يقصد تعظيم غيره.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نقول هذا الكلام كله لنصل إلى هذه النتيجة: ليس كل الذبح عبادة، ولكنه لا يخلو من عبادة، أي ليس كل ذبح يكون مقصدك فيه العبادة، لكن كل ذبح لا يخلو من عبادة، على الأقل يكون فيه عبادة الاستعانة.

الآن يهمني أن تصلوا إلى هذا المستوى من الفهم، بعد ذلك ابحثوا.

هل تبيَّن لكم لماذا قال – ما جاء– ؟ أي أن هناك ذبح لغير الله ولكن لا يعتبر شرك، متى؟ عندما يذبح بالطريقة الشرعية ويقصد الانتفاع باللحم.

انتهينا الآن من الذبح، نأتي الآن لمسألة تابعة لمسألة الذبح، وتبيِّن لك أهمية وخطورة مسألة الذبح.

أتى قال الشيخ: **"باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله"**.

هنا سيأتينا المكان والزمان؛ هذا هو الباب الجديد الآن، أولًا نعلق على اسم الباب.

ما العلاقة بين هذا الباب وبين الباب السابق؟ أنه يمكن أن يكون ذبح الإنسان بالطريقة الشرعية، ومستعينًا بالله، ويقصد اللحم أو يقصد تعظيم الله – لا بأس – لكن اختل شيء خارج الذبح أثر على حكم الذبح.

كثرة خطورة مسألة الذبح، تصور أن نفس الذبح يكون شرعيًا لا إشكال فيه، سواء كان ذابحًا للحم، أو ذابحًا لتعظيم الله، وأتى بالصورة الشرعية، لكن هناك مؤثرات خارجية تحول هذا الذبح من الجواز إلى التحريم.

ما هي المؤثرات الخارجية؟ تأثره بعاملي الزمان والمكان؛ يعني الزمن الذي يذبح فيه، والمكان الذي يذبح فيه.

هذا إذا دلك بدلالة بعيدة، سيبيِّن لك ماذا؟ أن مسألة الذبح أخطر ما تكون، لا يُستهان بها لدرجة أن عوامل خارجية عن الذبح تؤثر في جواز أو حرمة الذبح.

ما هو العامل الخارجي الآن؟ الزمان والمكان.

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله وقول الله تعالى: (لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا)[٢٠٢] الآية.

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَسَأَلَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ ؟" قَالُوا : لَا . قَالَ : "فَهَلْ كَانَ فِيهِ عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ ؟" قَالُوا : لَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ بِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ" . [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا].

باب لا يُذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله.

يتكلم الآن عن الأماكن.

"ولا يُذبح": يعني يُحرم الذبح، لا يُذبح بمعنى يُحرم الذبح.

أين؟ **"بمكان يُذبح فيه لغير الله."**

مكان يذبح فيه لغير الله يعني أن هذا اشتهر عند الناس أنه يُذبح فيه لغير الله.

ما ضابط "اشتهر"؟ أي كيف تعرفين اشتهر؟ هل شرط أن يكون لا زال موجودًا؟ يعني هل شرط أن يكون من يذبحون لغير الله موجودين؟ لا، ليس شرطًا، ولو فيما مضى من زمن.

[٢٠٢] التوبة:١٠٨

ماذا يعني؟ يعني أن هذا المكان مثلًا هنا في البلد هناك أماكن معينة معروف أنهم يذبحون فيها للجن، يذهبون إلى براري معينة يذبحون فيها للجن، هذا الأمر اختفى الآن وليس موجودا الآن، هذا الكلام قبل ستين، سبعين سنة، واليوم ناس كثيرون يخرجون إلى البراري في الشتاء من باب النزهة، وعندما يقصدون نفس الأماكن المعروفة في تاريخ العائلة، إذ كانوا يأتون إلى هذا المكان، في الطائف في وادي كذا وكذا مثلًا، هذا معروف، أنهم في وادي معين كانوا يذبحون، فهو يذهب يتنزه في نفس الوادي، وهذا الولد عنده وعند أبيه وعند أجداده معروف أن هذا المكان يُذبح فيه لغير الله، ليس شرطًا باقي المجتمع، لكن هم كعائلة يعرفون هذا الأمر، ثم يقولون لبعض هذا كان قبل ستين سنة، الموضوع انتهى!

⇦ لا، لا يجوز، حتى لو كانوا الآن لا يفعلون هذا الفعل، **فمجرد اشتهار المكان بالذبح لغير الله يكفي لمنعه،** حتى لو لم يكن هذا الأمر يُمارس قريبًا.

فيصبح ما هو ضابط الاشتهار؟ ضابط الاشتهار هو بقاء المعرفة بأن هذا المكان ذُبح فيه لغير الله، حتى لو لم يكن الذبح قريبًا.

مرة أخرى؛ لا يُذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله، هذا المكان الذي يُذبح فيه لغير الله ما وصفه؟ وصفه أنه اشتُهر بالذبح لغير الله، ولو كان فيما مضى من زمان، المهم أنه لا زال معلومًا أن هذا المكان ذبح فيه لغير الله، لازال معلوم في ذاكرة ولو جزء من المجتمع ولو أشخاص معينين.

❖ الدليل الأول.

استدل الشيخ على هذه المسألة بدليلين:

❖ أحدهما دليل صريح تمامًا وهو حديث ثابت بن الضحاك.

لكن العجيب أنه قدم له بآية سورة التوبة وهي ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ ومعلوم أن هذه الآية نزلت في مسجد الضرار، عندما اجتمع المنافقون وبنوا مسجدًا لهم، ادّعوا أنهم بنوه ليحميهم من البرد، والحر، والمطر، إلى آخره، بين مكه والمدينة، هذا المسجد مع أنه يصلى فيه، يعني أن المقصود هو أن يُصلى فيه، لكن النبي صلى الله عليه وسلم نُهي عن أن يصلي فيه، بل أمر بأن يهدمه.

إذن ماذا تفهمين من هذا الأمر؟ هذا مسجد، فماذا تفهمين، قيل للنبي صلى الله عليه وسلم﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ﴾ فماذا تفهمين؟ **أن المعصية تؤثر في الأماكن وكذلك الطاعة،** نحن الآن نتكلم عن الطاعة والمعصية، أمر معنوي إذن المعصية قد تؤثر في الأرض، في المكان، وأيضًا الطاعة.

السؤال من أين أتينا بهذه الدلالة؟ من "مسجد الضرار".

وكيف أتينا بهذه الدلالة؟ أن مقصد أصحاب مسجد الضرار جعل المسجد مكان للمعصية وليس للطاعة، فنُهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوم فيه.

فإذا كانت المقاصد تؤثر هذا التأثير، المقاصد المحمولة في القلوب تؤثر هذا التأثير، فكيف بالأعمال؟!، هذا الأمر لا بد أن يدخل إلى أعماقكم، فهذا المفهوم يجب أن يدخل إلى أعماقكم، فانتم الآن في بداية الطريق في الطلب، يجب أن تفهموا أن مقاصدكم التي تحملكم على القيام بالعمل تؤثر فيكم، **تؤثر فيكم فتنزع منكم البركات، أو تحل بسبب مقاصدكم البركات يجب أن تراجعي نفسك.**

إن كان في تفكيرك الخروج والإتيان إلى الدراسة والطلب والعلم، هنا أو في أي مكان، من أجل أن تعلو على الناس، أو من أجل أن تلهو مع الناس، أو من أجل أن تقضي زمنًا فارغًا في حياتك، كل هذه حواجز لأن تكون مباركًا، تنزع من نفسك البركة، **انت تقوم بنزع البركة من نفسك بسبب ما قام في قلبك.**

ما يقوم في القلب سبب للبركة، سبب للشؤم على الشخص نفسه وعلى المحيطين به.

فلا تسأل عن بركات نُزعت بخاصة، أي هو فقط، والباقين ينتفعون لكن هو فقط يكون المتضرر، هذه البركة التي تُنزع من الأشخاص، لو كانت تقف إلى حد أنها تُنزع منهم هم فقط ولا يتأثر بهم أحد نقول انتهى، شأنك،لكن اعلم أنها لا تقف عند حدّ الشخص المنزوع منه، مع الأيام ماذا يحصل؟ لابد أن يكون بسببه نزع لبركة المكان، نزع للبركة من الناس الذين حوله، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم نُهي أن يقوم في مسجد الضرار، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم مُبارك، لأن مقاصد أصحابه ليست سوية نزعت البركة من المكان، نزعت الخيرية من المكان، فحتى المبارك الأوْلى له أن لا يُقارب أماكن منزوعة البركة، معلوم مقاصد أصحابها.

على ذلك فتش نفسك في أحيان كثيرة – أنا أقول لكم هذا الكلام عن تجربة منذ فتح المعهد إلى الآن – في أحيان كثيرة يكون الطلاب في الدفعة مباركين، تأتيهم الأرزاق من حيث لا يحتسبون فتكون الخطة فيها، مثلًا افترضي في الفصل الدراسي فيه ست مواد، وبالكاد الوقت يكفي المواد الست مواد، ربي ييسر لهم، ويفتح عليهم أرزاق من كل مكان، بالإضافة إلى المواد الست ممكن أن يحضروا ورش ودورات خارجية، تأتيهم أرزاق، ويُنظم لهم جدول وربي ييسر لهم، وهناك ناس في نفس السنوات موادهم نفسها ما استطاعوا إكمالها، كل ما اتفقنا مع أحد يعتذر، يأتي الأسبوع الكامل من أوله إلى آخره ربما لا يأخذون إلَّا درس واحد، والباقين يعتذرون.

هذه مواقف حقيقية وأناس بأنفسهم يأتون في فصل يكونون مباركين، ويأتون في فصل يكونون منزوعة منهم البركة، هذا ليس كلام حتى نعتذر عن أخطاء، هذا الكلام انت تستعجب كيف ربي يصرف عنهم القلوب، الأول نتفق معه وينصرف، والثاني نتفق معه وينصرف، تتكرر المسألة فتفهم أن المسألة ليست طبيعية، أناس منزوع منهم البركة، وأناس – سبحان الله – هم أنفسهم يأتون للفصل الثاني أو الثالث – والله أعلم – صدقوا الله فصدقهم الله، أعطاهم من حيث لا يحتسبون، ففتحت لهم أبواب ما فتحت لمن سبقهم.

على ذلك يجب أن تفهم أن العلم رزق، قد تكون لست مفتشا جيدًا، أو تكون عندك إعاقات، نقص في تفكيرك، فلست فاهمًا أصلًا انت ماذا تريد، يجب أن يكون واضح تمامًا انتم ماذا تريدون، يجب أن يكون واضح تمامًا في شاشة تفكيركم أنكم تريدون أن

تتقربوا إلى الله بهذا الطريق، ليس عندكم شيء أخر، مكان ما يأخذكم هذا الطريق تذهبون، لأن مقصدكم واضح في ذهنكم، أن تتقربوا إلى الله.

كل إرادات أخرى تدخل على قلوبكم أثناء الطلب، افهموا مباشرة أنك تمر على قلبك هذه الإرادة، ثم تسكت عنها، ولا تدفعها، وتستسلم لها، فتنعكس عليك أولًا، تنعكس عليك فتنزع منك البركة، ثم تنعكس على كل دفعتك، وقد تكون سببًا لمنع الخير عن باقي الناس.

ألم تسمع إلى حديث موسى عليه السلام؛ عندما الرجل صاحب الذنب كان بسببه منع القطر من السماء؟!، فلا تستعجب أن واحد فيه إشكال، شخص واحد يكون سبب لمنع البركة لكن لا أريدكم أن تخرجوا من هذا الكلام بنتيجة سلبية، أن تقول أنا منزوع البركة في نفسي وسأنزع البركة من الناس فلأجلس في بيتنا! ⇦ ليست هكذا القضية لا بد من التفتيش والإصلاح، لا تأخذوا الكلام بالعكس، فتجدون منفذا، فتذهبون ! لا، ليس بهذه الصورة!

بالعكس، المفروض لو كنت صادق صحيح لا تتخلى عن طريق فتحت لك إلى باب الله، لا تبطلوا أعمالكم، لا تبطلوا أعمالكم، من النعم أنه فتح لكم باب الطلب، – وأذكركم فقط بهذا الكلام – ليس لأحد منّة عليكم ليس المعهد، ولا جدرانه، ولا الناس الذين يعلمون فيه، لا أحد، لا أحد له منة عليك إلَّا الله، كما أنكم طلاب للعلم، فانتم بالنسبة لكل المعهد نعمة، فالمسألة عكسية، انتم النعمة علينا وليست القضية بالعكس، فانت لا تتصور أن هذا الكلام آت من باب المنّ! أبدًا، أصلًا ليس لأحد منة عليك إلَّا الله، لكن أنا أكلمكم حتى تكونوا شاكرين على الحقيقة، أتت المنة إلى عندك ولم يمتن عليك إلَّا الله، فيكون ردك أن تكون خبيث المقاصد، وردك أن تكون كسلان، وردك أن لا تعطي كل أحد حقه؟!

لا تفكر في نفس المعلمين، لا تتصور أنك عندما تحل واجبك لأن المعلم يقول، أبدًا!، تعرف أنه حتى معلمك عندما يكون بذل الجهد وأعطاك وانت تعرف كلمة "حقوق"، كلمة "حقوق" هذه ما معناها؟ أننا لن نتحاسب في الدنيا، ولو استطعت أن أستغفل أي أحد وآخذ حقه، سينتهي الموضوع! ⇦ لا، الحقوق معناها أنك ستقف بعد القنطرة، وكل واحد يأخذ حقه.

انتم كونكم أتيتم، واجتمعتم، وفرِّغ لكم طلاب علم، أو فرِّغ لكم مكان، أو فرِّغ لكم مشايخ، هذا معناه أنكم تعاقدتم هذا العقد من ورائه حقوق، وهذه الحقوق وراءها حساب، لا تتصور أن الحساب يعني أنني استطعت في الدنيا مثلًا نسي شيخي أو أستاذي الواجب أو نسي أن يكلمني عن الموضوع؛ أو سأضرب لكم المثال بصورة أخرى انتم في شبكة تليفونية، أي أن شيخًا يدرسكم من وراء، لا يعلم عنكم إن كنتم مركزين أم لا، لا يعلم عنكم إن كنتم تكتبون أم لا، لا يعلم عنكم داخلين خارجين أم جالسين في أماكنكم مثلًا، كل التصرفات بتفاصيلها عند الله مكتوبة، ثم يأتي يوم القيامة تُحاسب أن جاء شخص حبس نفسه ليعلمك، وانت في مقابل هذا ما أعطيته أي شيء من حقوقه، انت عندما تفكر لا تفكر في الشخص الذي أمامك هذا معناه أننا ما تعلمنا التوحيد!، فلا تفكر في الذي أمامك، بل فكر أن وراء هذا الذي أمامك حساب عند الله، فالذي تحمل همّه أن المطلع عليك يراك، يراك ماذا تفعل، يرى قلبك أين يتحرك، اعط للأمر حقه.

انت الآن لو ذهبت إلى كل التعليم، كل أنواع التعليم الموجودة في العالم، ابحث عن مكان تحيط به الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده، كيف يصبح في أنفسنا التعليم العام، المدارس، والمديرات، والمراقبات، والدرجات، أعظم في الاحترام، وأعظم في أداء الحقوق من مجالس تحيط بها الملائكة ويذكرها الله فيمن عنده، كيف يصبح هذا أعظم من هذا؟! إلَّا من ضعف الإيمان!.

يعني لا يصبح مثل هذه المسائل التي تتصل بالدنيا أعظم من المسائل التي تتصل، انت تعلم يقينًا أن الملائكة تحيط بك، يجب عندما تأتي للمكان تفهم هذا الأمر، وهذا لا يشعر به إلَّا طالب العلم الذي يميز بين أن يقرأ كتابًا وحده، وبين أن يأتي ويسمع درس، فعندما يسمع درس يقول أنا أفهم شيئا ما كنت أفهمه، ويقول هذا لأن شيخي ممتاز لا، من أهم انشراح الصدر في الطلب الاجتماع في الحلق؛

⇦ فالاجتماع تحفه الملائكة، ⇦ والملائكة تستغفر لك، ⇦ وإذا استغفرت لك زالت عنك ذنوبك، ⇦ وإذا زالت عنك ذنوبك انفتح قلبك، ⇦ وإذا انفتح قلبك فهمت.⇦ فصار هناك أثر من اجتماعك.

وهذا الأمر انت فقط قارن وستجد، وهذا الكلام لا أقوله على الطلاب، حتى على المعلم، فعندما يأتي المعلم تكون هناك مسألة مستغلقة – يعني اكتبها جملة– لكن أن أفهم تفاصيلها وأنا أكتب، لا لكن عندما آتي اللقاء أفهمها بالتفصيل، كأن أحدا فتح لي تمامًا قراءة الجملة وتفاصيلها.

– اسأل الله عز وجلّ أن يشرح صدوركم ويجعلكم على الثغرات– غدًا عندما تصبحون على الثغرات سيتبيَّن لكم هذا الأمر تفهمون، كيف أنك صحيح تبذل الجهد وتجمع وتكتب، صحيح أجمع وأكتب وأفعل كل شيء وأضعه أمامي، لكن عندما أنظر إليه أقول الآن كيف أربط هذا الكلام مع بعضه، وكيف أوصله بعمق، آتي فأجد جمل صعب أصلًا أن أستطيع شرحها لأحد أمامي، فعندما آتي اللقاء يُفتح فتحًا عجيبا، ليس من فطنة الشخص، إنما لأن هذه المجالس خيِّرة.

فانتم عظموا في قلوبكم إحاطة الملائكة بكم، يجب أن تعظموا في قلوبكم أن الله عز وجلّ ينظر عليكم، يجب أن تعظموا في قلوبكم أن الملائكة تبحث عن مجالسكم، كل هذا ليس له قيمة؟!.

لا بد أن تتصور أن الحساب وراء هذا الأمر عظيم، الحقوق وراء هذا الأمر عظيمة، عندما تفتح لك الأبواب لا تصدّها، لا تعطيها ظهرك، لا تقل لا، أنا أخاف أن أكون مشؤومًا، **كن مباركًا أيّنما كنت، وأعظم أسباب البركة، أعظم أسبابها أن تتعلم.**

وتعلم لتفتش قلبك، تخرجه، اطرد من قلبك إرادة العلو، اطرد الكبر، اطرد العجب، اطرد الرياء، اطرد إرادة الدنيا، اطرد كل هذا من قلبك، وهو يمر في خاطرك، لا بد أن يمر، لا بد، لأن الشيطان متربص بك، ادفعه دفعا، واعرف حجمك، عندئذ ستعرف الحقوق التي لك والحقوق التي عليك، لكي تكون سببا لبركة المكان بناتي، حتى لا تأتي لحظة تكون انت الشخص الذي تسبب ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، يصبح مجلسك مجلس المفروض أن يتحاشاه الإنسان.

على كل حال؛ أنا أتوسل إلى الله عز وجلّ أن يشرح صدوركم ويجعلكم مباركين أينما كنتم.

درَّ هذه الأرزاق في الطلب نحن نشهد الله على أننا ليس لنا يد فيها، أقول هذا الكلام من أجل أن تتصوروا المسألة، فهذه الأرزاق تأتي من عند الله من حيث لا نحتسب، أذكركم بالدورة الماضية، الدورة الماضية ما كان هذا أسلوبها، ولا كان الأسبوع الذي كان، ما كان هذا أسلوبها، ولا كان هذا المراد منها، ولا كنت أتصور أن نبدأ بهذه الصورة، لولا أن الله عز وجلّ لحظة بداية اللقاء، أنا ما كنت سأراجع، لحظة بداية اللقاء قالت لي إحدى الأخوات أن الجماعة التي معنا من الدار غير موجودين، لحظة البداية قالت أن الجماعة التي معنا من حائل غير موجودين اليوم، قلت ما داموا غير موجودين سأأجل الدرس إلى غد، وماذا سأفعل اليوم؟ سأراجع، راجعت اليوم الأول كما رأيتم، في اليوم الثاني قالت لن يكونوا معنا، فأكملنا المراجعة، وانتم رأيتم، عندما فتحنا باب المراجعة تغير حتى الأسلوب وحتى الطرح، تغير لماذا؟ هذه ليست مهارة عند الشيخ، هذا رزق للطلاب.

لذلك توسلوا إلى الله أن تكونوا مباركين، يفتح الله عليكم ويرزقكم من حيث لا تحتسبون، يأتيكم من طلاب العلم من ينفعكم، يأتيكم كلام يزيدكم إيمانا، فكل هذه أرزاق، كلها أرزاق، اطلبها من الله عز وجلّ الرزاق، هذه النعمة العظيمة، اسأل الله عز وجلّ أن يجعلنا مباركين، هذه النعمة العظيمة، نعمة الاجتماع للطلب، أنا أسال الله عز وجلّ أن لا يدخل في قلوبكم البطر عليها، فالبطر أمر عجيب يمحق النعم، نحن من ١٤١٩ أو حتى من ١٤١٨ كان درس الخميس مفتوح، وله الآن أكثر من ١٢ سنة، ما تخلف إلَّا في سنة واحدة وهي سنة ١٤٢١، لنقل منذ أحد عشرة سنة وهذا الدرس مفتوح، وكان بدون أي مقدمات تعرقلت الدنيا وتعرقلت الأماكن، وصرنا غير قادرين على إقامة الدرس فماذا نقول؟! فقط نفتش أنفسنا، قد يكون من بطر وقع في قلوبنا على مثل هذه النعم – كون اجتماع الناس وتعليمهم – من أجل ذلك الله عز وجلّ عاقبنا بهذا من في النفوس؟ أنا أم الحاضرين؟ من الذي يتعاقب بهذا الأمر؟ الله أعلم، لكن في النهاية، انظري في يوم وليلة حصل هذا الموقف، كنا نظنّ أن هناك درس الخميس، إلى مساء الاثنين تبيَّن أننا لن نستطيع إقامة الدرس الخميس، ولا الخميس القادم، والله أعلم متى سيكون !

فالشيء الذي يعمل ويستمر إحد عشرة سنة ينتهي مرة واحدة تفهم أن القضية ليست بهذه السهولة، القضية ممكن أن يكون وراءها عقوبات، أو لا ننكر، فيجب أن تفهم أن العقوبات هذه لو حصل منها توبة، تصبح العقوبات سبب للفتح، يعني في أول الأمر تكون العقوبة، تتوب، تستغفر، تفتش في نفسك، فتتوب وتستغفر، فيأتي من ورائها الفتح، – أسأل الله عز وجلّ أن يجعلنا من التائبين – خصوصًا من هذا الذنب الدقيق، وهو ذنب البطر على النعم.

يمر في خاطرك لو كنت لا أستيقظ كل يوم في الصباح، كان من الأفضل أن يكون المعهد عصرا، هذا الذي يمر يجب أن يكون وراءه حرمان، أن يمر وتسكت له ! لا تتصور المطلوب عدم مروره، لكن المطلوب لما يمر المفروض أن تدافعه، قل الحمد لله، الحمد لله أنني أجد مكانا أدرس فيه، الحمد لله أن هناك صحبة تدرسني، الحمد لله أنني قادرة على أن أصل للمكان، أنا أتكلم عن المكان هذا أو أي مكان، أفهموا على القاعدة العامة، لا تفهموا أن المقصود هو الارتباط بمكان، فهذا أكثر شيء نحاربه أن ترتبطوا في العلم بمكان معين.

المقصود أنك تستطيع أن تصل لمكان العلم هنا أو في أي مكان، **عندنا تكون قريب من الطلب والعلم ويسر الله لك السبيل لا تبطر، لا تبطر، تصبر على عدم البطر**، تصبر على عدم البطر، فالبطر يحتاج إلى صبر حتى أسأل الله عز وجلّ أن يشرح صدوركم لشكر هذه النعمة العظيمة.

على كل حال؛ كل الكلام حول ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، ونرى كيف أن الإنسان بما يحمل في قلبه من اعتقادات، ونيات، يكون سبب شؤم على الأماكن أو سبب البركة عليها تصور هذا باعتقاده، فكيف بعمله إذا كان فقط في قلبه هذه المشاعر، وأتى إلى المكان، أتى إلى المكان يريد العلو، أتى إلى المكان يريد أن يظهر على زملائه، حتى وانتم تشتغلون بناتي، ليس شرطًا وانتم تدرسون، حتى عندما تتعرضون غدا للعمل، قد تأتي إلى مكان وانت قصد أن – أنا أفضل منكم – وهذا يحصل دائما عندما تذهب بناتنا اللاتي يطلبن العلم يذهبن إلى أماكن ليس فيها طلبة علم، مثل مدارس التحفيظ، فانت تذهب ومعك مشاعر أنك أفضل من غيرك، أو تريد أن تجعل الدفة في يدك، وانت مقنع نفسك – لأنني فاهم، لأنني طالب علم، لأنهم غير فاهمن – مشاعر خبيثة، خبيثة، تسبب سرعة معارضة الطرف الثاني لك، وعدم انتفاعك بكل الإمكانيات الموجودة.

ماذا تفعل؟ حسِّن نيتك، عالج أمراض قلبك، ثم اخرج انفع الناس، عندما تخرج ليس معناه أنه لن يعارضك أحد، لا، تحصل معارضات، لكن تحصل المعارضات وانت زاكٍ، يختلف عندما تحصل المعارضات وانت خبيث، وانت خبيث تستحق ما يأتيك، ويأتيك أكثر أيضًا، **وانت زاكٍ يدفع الله عنك، زكِّ نفسك يدفع الله عز وجلّ عنك.**

فأول ما تأتيكم مشاكل بناتي في المجتمعات، وفي خلطة الناس وقت تعليمهم، سواء كنتم ستعلمون في المساجد أو في المدارس، أول ما تأتيكم مشاكل لا تشير بإصبع الاتهام إلى غيرك ! أول شيء فتش نفسك، ماذا قام في قلبك حتى تبتلى بواحد مثل هذا؟!، فإذا زكيت، وفي ممارستك ابتعدت عن العجب وعن إرادة العلو وعن وعن، يصلح الله بك.

هذا الكلام أقول لك إياه وانتم تعاملون أهل بيتكم، من أزواج ومن إخوان ومن أبناء، عندما تأتوا تريدون إصلاحهم أول شيء فتش في نفسك ماذا تريد؟!، أحيانًا ندخل ونحن نعمل في مشكلة، ثم أجد أنني مصرة على رأيي، ولا حتى أسأل نفسي، لماذا أنا مصرّة على رأيي، وفي تصوري فبمجرد أن يسألني أحد – أما أنا لا أفتش في نفسي – فلما يسألني أحدهم لماذا انت مصرّة على رأيك؟ أجاوب مباشرة لمصلحة العمل، مباشرة كلمة محفوظة، ويكون حقيقة أنا ما فتشت في نفسي لماذا أنا أعارضك أو أوافقك لماذا!، ثم تتحول المسألة في الغالب في الأعمال إمَّا معي أو ضدّي، لا يوجد حل وسط، إمَّا تكلمني وتصبح معي أو تصبح مع الطرف الثاني، يعني أصبحت سياسة!

هذا موجود، بيننا وفي مجتمعاتنا الخاصة، تنصح المرأة زوجها وفي قلبها إرادة العلو، وتشعر أنها أحسن منه، ثم يمر في خاطرها تفكير يا ترى سيأتي معي في الجنة أو لا يأتي؟!، على أنني أنا ماذا؟!، هذا يمر في الخواطر، يتعامل الناس به وهم غير شاعرين، خصوصًا الزوج يحصل معه ذلك عندما يكون غير مستقيم، وانت لا تتخيل أنه ربما في قلبه من الذلّ والانكسار الذي يرفعه عند الله ولا يرفعك انت!

مثلًا لو أن أزواجكم سمحوا لكم بالإتيان للدراسة، وهو عنده الغنيمة الباردة، لماذا؟ لا يجاهد في نية، ولا يتعب في طلب، ولا يفعل أي شيء، جالس ويأخذ أجرك، ألَّا تريدين أن يأخذ أجرك؟!، هناك في النفوس شيء غير مضبوط، فهناك بخل حتى في أن يأخذ الأجر، هل لو حبسك كان هذا أحسن؟!، انت الآن فتش في نفسك، ماذا ترى نفسك بالطلب؟

يقال: **كن مثل النخلة إذا ازدادت ثمارها، ازدادت قربًا من الأرض،** لماذا ازدادت قربًا من الأرض؟ لأنها تثقل فتميل إلى الأرض، انت يفترض كلما ازددت علما كلما ازددت ذلًا وانكسارا.

الآن فتش في قلبك، بدل من أن تكون طالب علم مشؤوم على مجتمعك، مشؤوم على بيتك، ذهبت وطلبت ورجعت لهم بالعجب، والكبر، وترى نفسك عليهم، وتكلمهم من علو، كل هذا دليل على أنك دخلت في الشبر الأول من العلم، لأن العلم ثلاثة أشبار: **"من دخل في أوله تكبر، ومن دخل في ثانيه تواضع، ومن دخل في ثالثه علم أنه لا يعلم"**، فلا تعش الشبر الأول كثيرًا، بسرعة افهم أنك لست بشيء.

ويكفيك أن تنظر نظرة في المكتبة، يكفيك انظر في الكتب وانظر كم واحد انت تعرفه، عده بأصابع يدك، كم واحد انت تعرفه ليس قرأته، ثم عندما تعرف كم واحد تعرفه تعرف حجمك الطبيعي، من انت بالضبط!، ليحضر لكم أحد قوائم الكتب الدينية التي في معرض الكتاب في الرياض، وانظروا فقط للقوائم، انظروا لها لتعرفوا الحقيقة، يجب أن تزدادوا ذلًا، لا بد أن تزداد ذلّ، ولو معك علم كلمة واحدة صحيحة مع قوة الذل تكون مباركًا، وتنفع الناس ويعلمك الله.

فلا تصلوا لدرجة أن تجعلوا المكان ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، فانتم الذين تفعلون هذا الفعل، وطبعًا هذا الكلام لا يعني أن بقية الطاقم الإداري وهؤلاء الناس لا يُخاطبون بهذا، كل واحد في المكان يُخاطب بهذا المكان، [طالب، معلم، إداري] كلهم ممكن أن يكونوا سببًا للبركة، أو سببًا للشؤم.

واعلم أن في طريق البركة لا بد أن تبتلى بأحد يخرجك عن أن تكون مباركًا، لابد، لابد أن يكون هناك أحد بعينه مشكلة عليك، يستفزك، تقوم فيأخذ مكانك، أنا أقول لكم بالمواقف والأحداث.

على كل حال؛ وانظري لأنواع البلاءات، في النهاية تجد نفسك طوال ما هذا موجود انت مُستفَز، لا بأس، ابذل جهودك أن تطلب من الله عز وجلّ أن يشرح صدرك، ويدفع عنك البلاء، ولا يجعل هذا الشخص سبب منعك من البركة إلى آخره.

أنا أقول هذا الكلام خصوصًا أنه مر عليكم الفصل الدراسي الماضي، وعلى كل حال السنة الأولى من الطبيعي أن يحصل هذا مشوشون وإلى الآن لم تتبيَّن لكم الأهداف بوضوح، وتأتي الاختبارات فتعمل لكم هزة، مع أننا مئات المرات تكلمنا أن الاختبارات هذه لا قيمة لها، لا قيمة لها حتى لو أتينا في النقاشات وقلنا لك هذا سيأتي في الاختبار وهذا لن يأتي في الاستخبار، هذا لمجرد استفزاز مشاعر الاهتمام، وإلَّا في الأصل لا قيمة للاختبار، انت أهم شيء عندما تقف بين يدي الله ماذا تقول؟ أهم شيء أن تستعد [مَن ربك، ما دينك، من نبيك] هذا هو الذي من المهم أن تستعد له، أمَّا كل الباقي هذه وسائل للوصول.

فردة فعل البعض على الاختبارات، وإن كان لم يأتيني تفصيل في ردود الفعل لكن إجمالًا ربما أحد شعر أنها صعبة، طويلة إلى آخر العيوب التي تجدونها عيوب، انت لماذا أتيت؟ يجب أن تراجع نفسك، مثل هذه الأشياء لا تعني شيئًا، تجاوزها أمر سهل، لا تتكلم كلامًا وقت ما ترى أنها شدة يجعلك لست مباركًا، اصطبر، من الفصل الدراسي الماضي اتفقنا أنه في الحلق يكون هناك تسميع للمتن، تسميع شفوي، أنا سآتيكم يوم أتخصص وأسمع لكم بنفسي.

اللقاء الماضي سمعنا جزء من المتن، انت الآن اهتم، صحيح أن دور المعهد المفروض أن يهيئ لكم الظروف من أجل الحفظ والدراسة، سنبذل جهودنا.

انتهينا من التعليق على ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، فيكون هذا القول بمثابة القاعدة، يعني أن هذه الآية بمثابة القاعدة: **أن المعصية قد تؤثر في الأرض.**

على هذه القاعدة أتى بالحديث.

الدليل الثاني.

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ،

بوانة: مكان من جهة ينبع، وقيل أن بوانة هي المنطقة المرتفعة، يعني ليس مكانًا بعينه، لكن مكان مثل التل، وقيل أنها اسم لهذا المكان بين المدينة وبين ينبع.

فَسَأَلَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ ؟ "

هذا الاستفصال من النبي صلى الله عليه وسلم يدلك على ماذا؟ على أن جواب النبي صلى الله عليه وسلم وإذنه معتمد على جواب هذا السؤال، فلما سأل " هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ ؟ " دليل على أنه لو كان هناك وثن لمنع من الذبح، **لأن مكان اشتهر بالذبح لغير الله يُمنع فيه الذبح لله**، فكان جوابهم هم.

قَالُوا : لَا .

لم يشتهر عن هذا المكان.

قَالَ : " فَهَلْ كَانَ فِيهِ عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ ؟ "

لماذا هذا السؤال؛ واضح من الأول أنه لو كان وثن يعبد أنه يُذبح للوثن، لكن العيد ما علاقته بالذبح؟

⇦ تصوري أن أعياد المشركين ممنوع الاحتفال بها.

⇦ ممنوع ممارسة العبادات في الأماكن التي يُحتفل بها.

فعيد المشركين ليس ممنوع الاحتفال به، لو كانت أعيادهم لها أماكن معينة لها أماكن معينة، لها طقوس معينة، لها لبس معين، .. سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الزمن انتهى، العيد هو في الزمن، لكن هذا ما يلحق العيد، من لبس، أكل، شرب، ممكن أيضًا عبارات معينة، رموز، ألوان، كل هذا يلحق بالتحريم، لا تستعمل ما خصّهم في الأعياد.

يعني الأعياد نفسها محرم الاحتفال بها، ومحرم استعمال الأماكن التي يُحتفل فيها، أو كل ما يلحق بهذا الاحتفال.

انظري الآن الاستهانة الحاصلة في العالم الإسلامي – دعي عنك الفاسقين– لنرى الصنفين الآخرين: الصلاح والعوام؛ فنحن عندنا أن العوام نفسهم فيهم فاسقين، وفيهم ليسوا بفاسقين، ولا صلاح.

انظري للصلاح وانظري للعوام غير الفاسقين في موقفهم من مثل هذه المظاهر؛ انظري لمطارات العالم الإسلامي وقت الكريسماس مثلًا انظري ماذا فيها، كأنك في دولة تنتظر نزول المسيح عليه السلام، تنتظر أن يأتي المسيح لإنقاذهم، تنتظر أن ينزل المسيح في تلك الليلة، من كثرة انتشار شجرتهم – شجرة الميلاد– ومن كثرة إنارتها وإضاءتها، وعند أبوابها، كيف؟ أين؟ هذا عند النصارى أم عند المسلمين؟!، هذا الأمر بسبب سكوت الصلاح، الصلاح سبب في هذا، عدم إنكارهم، عدم إعلان مثل هذا، عدم الإنكار القلبي، عدم الدعاء أن الله عز وجلّ يزيل المنكرات لابد أن ينهض في قلوبكم الدعاء، لا بد، فعندما تقومون الليل، لا بد أن تجعلوا من دعائكم نصيبا لشباب المسلمين وشاباتهم أن الله عز وجلّ يصلحهم ويصلح البلاد، ويصلح العباد، ويصلح أولياء الأمور في العالم الإسلامي من أعلاهم إلى أدناهم، أن كل هذه عبارة عن قرارات يسمح بها بكذا وكذا.

الآن مثلا في المملكة عيد الحب وقته يمنع استعامل اللون الأحمر في الأماكن وبيع الورد، يمنع هذا كله، والذي يقوم على المنع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – أسأل الله عز وجلّ أن يسددهم ويبارك فيهم – لكن عندما يأتي صلاح تسمع منهم كلمة "الحرية الشخصية" هذه الكلامات تخوفكم، تصدر من شخص صالح يقول لا، المسألة صحيح أنه محرم وصحيح عيدهم، لكن ليس بهذه الدرجة نعامل الشباب!، يجب أن نقنعهم!، نقول **ما لا يُنزع بالقرآن يُنزع بالسلطان**، لا بد أن يكون المسألة فيها ضرب بيد من حديد – الله المستعان–

انتم لو رأيتم مثل هذا المنظر ستفهمون ماذا أقول لكم، لو رأيتم المطارات العربية، مطارات الخليج وقت الكريسماس تفهمون ماذا أقول لك، لا تتصورون كيف أن كل زاوية من المحلات، الذي يبيع والذي لا يبيع، شجرة مع من يمثلها، وكيف أنها مضاءة غاية المضاءة، تخيلي نفسية الطفل الصغير عندما يمر ويرى مثل هذا الأمر المدهش، كيف ستكون الصورة في قلبه!، وكم ستبذلين من جهد لتفهميه أن هذا محرم!، وأن هذا من فعل الكفار، وإلى آخره، بعدما جذبت عينه الأنوار! لا بد أن يكون هناك يد من حديد.

انتم الآن مطلوب منكم أن تتوسلوا إلى الله أن يقوي هذه اليد التي من حديد من أجل أن تضرب على هؤلاء الفساق، فشبابنا اليوم ضائع بهذه الصورة، غدًا يهتدي ويبتعد عن هذا، لكن بعد ماذا؟ بعدما نشر هذا الباطل، واستهان به الناس، وأتى الجيل الذي بعده من الأطفال قابلين لمثل هذا، وينتهي الأمر!

وانظري إلى غير ذلك الآن؛ الآن اذهبي إلى المستشفيات، وانظري لما فيها من منكرات، وانظري إلى المرأة بكامل حجابها، وأقل كلمة تقولين على طفلها أنها في حال من العُري، هذه أقل كلمة، أليس هذا منظرا مكررا؟!، أنا الآن لا أعاتب الفاسقين، أنا أتكلم الآن عن الصلاح، لا تكلموني عن الفاسقين، الفاسقين لن يسمعونا انتم تقولون هذا الكلام، مع أنه في أحيان كثيرة هؤلاء الفاسقين يأتي منهم ليّن، لا بأس، أنا أتكلم عن الصلاح انت الآن أم، وعمة، وخالة، وجارة، متى تكلمت؟ ومتى قلت لابنة الجيران –للأم– لا تخرجيها بهذا العري على الأقل حالات الاغتصاب كذا وكذا، على أقل تقدير قولت هذا الكلام متى؟ كم مرة؟ عندما تكونين خالة سهل أن تكلمي أختك بهذا الكلام حتى لو ما عجبها، عندما تكونين عمة لا بأس تكلمي فانت لا تحسبي حساب العوائل، احسبي حساب أنك ستتحاسبين عند الله على هذا المنظر الذي ترينه من الصلاح، وليس شرطًا أن يكون أبوها وأمها صلاح، انت الآن شخص صالح في داخل البيت، يجب أن تنهي عن المنكر، تكلمي حتى لو ما استجابوا لك.

كلمي الطفلة الصغيرة، كلميها، قولي لها: هذا لا يليق بك، هذا كذا وكذا، من الكلمات التي تناسب السن، يجب أن يكون هناك تحرير، فانت تستعجبين، كيف انت بكامل حجابك يا أم، وهذه أقل كلمة تقال فيها أنها عارية البنت، كيف!، كيف يحصل هذا التناقض؟!، لا تقولي لي لا ترضى تسمع الكلام، هذه طفلة صغيرة يمكن التحكم فيها..

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا، لا بأس، كلميها، كلمي البنت لا يشكل عليكم أن تحصل مثل هذه الكلمات، المهم فتش قلبك ماذا تفعل.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الله المستعان، ماذا نفعل؟!، هذه الصور متكررة ونراها، لكن كلها هذه الآن بسبب سكوت الصلاح، لا تضعوا على غيركم الملامة، المشكلة فينا، يعني انت عندك ولد أخ، وولد أخت، وعندك بنت الجيران، كل هؤلاء أناس قريبون ممكن أن يكونوا بسببك صلاح، قولي الكلمة، ألقيها في قلوبهم وانت صادقة يغير الله بها.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: رلا بأس أنا أقول لك، اسمعي هذا الكلام وارميه في البحر، تكلمي وبقدر ما تستطيعين فتشي في قلبك أثناء الكلام، فتشوا في قلوبكم حتى يسددكم الله ماذا تقولون، المهم أن يكون هناك حرارة، يجب أن تقولي: يا رب أنا لا أرضى بهذا المنكر.

تكلموا انتم في بيوتكم، فنحن عندما نذهب إلى المستشفيات مثلًا، أو نذهب إلى الأماكن العامة، نكلم من ولا من؟ نكلم من لا من؟!، إذن يجب على الناس في بيوتهم أن يقوموا بهذا العمل، لا بد من نشر الصلاح في الصغار.

من أجل ذلك إن شاء الله سيكون خلال هذا الصيف إن شاء الله – نسأل الله أن يسددنا– برنامج يخصّ رياض الأطفال، يعني بعد أن تبدأ الإجازة سنحاول أن نأخذ مكانا كبيرا، ونحاول أن يتدرب الراغبات منكم في هذا البرنامج نأخذ مكانا كبيرا، مدرسة كبيرة، ويكون كل المهم في هذا البرنامج مخاطبة الصغار، يعني أقل من رابع ابتدائي، هذه المرحلة نأخذهم ببرنامج صيفي مفتوح، لعل هذه الأيام والليال التي سيقضونها في مثل هذا البرنامج تكون سببًا لإصلاح نفوسهم.

المعنى أن اهتمامنا بالصغار الفترة القادمة يجب أن يكون أكثر من اهتمامنا بالكبار، لا بد، أهبوا نفوسكم لتقديم برامج للصغار، والصغار يتمتعون بالبرامج العملية، يتمتعون، لا تتصوروا أنهم سيتعقدون، لا لا يتمتعون بالبرامج العملية، والذي دخل في هذا سابقًا يعرف هذا.

على كل حال؛ ذهبنا بعيدًا عن موضوعنا نعود.

قَالَ : " فَهَلْ كَانَ فِيهِ عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ ؟ " قَالُوا : لَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ بِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ " .

سنناقش مسألة النذر في الباب الذي بعده لكن هنا ماذا مقصودنا؟

- أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سألهم هذه الاسئلة تبيَّن أنه لو كان هناك وثن من أوثان الجاهلية يُعبد لكان منعه النبي صلى الله عليه وسلم من الذبح.
- ولو كان فيها عيد من الأعياد، لكان منعه النبي صلى الله عليه وسلم من الذبح.

على ذلك: لا يُذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله.

إذن المنع من الذبح إذا كان هناك وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله.

" المنع من الذبح في مكان فيه وثن من أوثن الجاهلية ولو بعد زواله، ومثله منع الذبح في مكان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله.

وعلى هذا تفهم التحذير من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصد المشابهة "

حتى لو قال لك أنا لا أقصد أن أشابههم، نقول ما دمت أخذت مظهره، مظهر المشابهة للمشركين تكون داخلا في المنع، وإن لم ترد في المشاركة المشابهة لهم؛ فمثلًا يباع في الكريسماس ورأس السنة أشياء تُباع تخصهم، فتأتي إحداهن تقول لك أنا ما اشتريتها احتفالًا بها، لكن لأنها جذبتني نقول تعبدًا تترك مثل هذا، لا تشتريها، حتى لو كان ليس لك قصد المشابهة.

يجب أن تكونوا مشحونين بهذه المفاهيم جيدًا، لذلك لا بد أن تقرؤوا، اقرؤوا عن أحكام الاحتفال بأعياد الكفار، مظاهر الاحتفال، فتفهم أن هذا مظهر هذا، لأننا عندما نكون منفصلين وغير فاهمين، تدور حولنا مظاهر لا نشعر بها، لا نفهم أن القوم محتفلون بكذا وكذا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نعم وينطبق عليه الاحتفال بالمولد النبوي، هذا من باب البدعة، الأسبوع الماضي خطبة الجمعة الشيخ عبد العزيز – حفظه الله– تكلم عن هذه المسألة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا يأتي بنفس اليوم ويتكلم، يتكلم سابقًا، غير لما يكون يتكلم في نفس اليوم ويتكلم يقصد تحذيرهم الجاهل يتفطن، كأنه سينبه أن اليوم عيد يعني.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نفس اليوم؟ كأنه عملية اشتهار، نعم، هو لا بد من مثل هذه السلبيات أن تقع، لا بد من إخفاء المظاهر بيد من حديد حتى لا تدخل في نفوس الناس ويصبحون من الخارج – مثل الاحتفال بعيد الحب – في الخارج ممنوع في المحلات، والأماكن ممنوع تمامًا، في المملكة ممنوع إظهار أي نوع من أنواع تخصيص الأماكن بالبيع، إلى آخره لكن في الداخل؟ بين البنات؟ والعلاقات المحرمة؟ موجود هذا الشيء!، انت على الأقل الآن نحتاج من الخارج أن نضرب بيد من حديد، حتى يصعب عليهم ممارسة هذا الأمر إلى أن مع الأيام يبدأ يختفي.

إذن ماذا يعتبر الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله؟ شركًا أصغرا لأنه وسيلة.

ننتقل الآن إلى الباب التالي: **باب من الشرك النذر لغير الله**

باب من الشرك النذر لغير الله وقول الله تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ)[٢٠٣] وقوله: (وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ)[٢٠٤].

وفي الصّحيح عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، أنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: "مِنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِي اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ"[٢٠٥].

الأدلة في هذا الباب تشبه أي باب؟ أنا لا أتكلم عن الاسم بل عن طريقته في الاستدلال، قرر أنها عبادة، طريقته في الاستدلال لم يتكلم عن الشرك، إنما قرر أنها عبادة، فإذا قرر أنها عبادة، عُلم من ذلك أن صرفها لغير الله شرك.

قارني بين عنوان هذا الباب، وبين عنوان باب الذبح؟

- في باب الذبح قال " **ما جاء**" دليل على أن المر فيه تفصيل.
- وفي باب النذر: قرر أنه "**من الشرك**"، دليل على أنه لا يوجد فيه تفصيل، أن النذر لغير الله ليس فيه تفصيل، أي نذر لغير الله مباشرة يعتبر شرك.

أولًا نتفاهم: ما معنى النذر؟ **"** هو إلزام المكلَّف [الحر، البالغ، الرشيد] نفسه ما لم يجب عليه شرعًا تعظيمًا للمنذور له.**"**

هذه هي الكلمة المهمة التي تجعل النذر يدخل في باب العبادات، أن النذر أصلًا ما معناه؟ إلزام المكلف نفسه، بماذا؟ بما لم يجب عليه شرعًا، ماذا يقصد بإلزام نفسه؟ تعظيم المنذور له.

⇦ على ذلك يخرج بهذا التعريف الأطفال، فلو جاء الطفل وقال لله علي أن أقوم الليل؛ نقول لا، الطفل لا ينعقد نذره.

⇦ أو يأتي واحد ويقول لله علي أن أصوم شهر رمضان؛ نقول هذا لا يدخل في النذر لأن شهر رمضان أصلًا واجب.

⇦ لكن النذر مثلًا أن يقول لله علي أن أعتكف العشر الأخيرة ؛ الاعتكاف أمر مشروع ولكنه ليس واجب.

---

[٢٠٣] الإنسان:٧

[٢٠٤] البقرة:٢٧٠

[٢٠٥] البخاري: الأيمان والنذور (٦٦٩٦، ٦٧٠٠) ، والترمذي: النذور والأيمان (١٥٢٦) ، والنسائي: الأيمان والنذور (٣٨٠٦، ٣٨٠٧، ٣٨٠٨) ، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٨٩) ، وابن ماجه: الكفارات (٢١٢٦) ، وأحمد (٣٦/٦، ٤١/٦، ٢٠٨/٦، ٢٢٤/٦) ، ومالك: النذور والأيمان (١٠٣١) ، والدارمي: النذور والأيمان (٢٣٣٨)

الدليل الأول.

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾

في سورة الإنسان، سياقها أتى في ماذا؟ في أي سياق أتت هذه الآية؟ في وصف للأبرار، إذن الآيات تتحدث عن الأبرار.

أول وصف مُدحوا به هؤلاء الأبرار أنهم ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾.

القاعدة تقول:

"كل أمر مدحه الشارع، أو أثنى على من قام به، أو أمر فهو عبادة."

إذن هذا سيكون ماذا؟ سيكون عبادة، إذن هذه دلالة أول دليل.

كيف تبينت لك دلالة أول دليل؟ تابعت أولا سياق الآيات، فوجدت أن هذا هو وصف الأبرار، ثم أتيت بالقاعدة التي تقول **أن كل أمر مدحه الشارع، أو مدح أصحابه دليل على أن هذا العمل عبادة، إذا ثبت أنه عبادة إذن صرفه لغير الله شرك.**

الدليل الثاني.

نأتي لآية سورة البقرة الآية ٢٧٠.

وقوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ﴾

انظري إلى وجه الدلالة في السياق وجه الدلالة في نفس الآية.

الآية معناها: " أن جميع ما يفعله العاملون من الخيرات سواء كان من النفقات التي فرضها الله عليهم، أو النذور التي أوجبوها على أنفسهم فإن الله يعلمه.

– ما معنى يعلمه؟ – أي يحفظه حتى يجازيكم به ."

كيف عرفنا أنه عبادة؟ عبادة لماذا؟ لأن الله رتب عليه الجزاء.

أين ترتيب الجزاء؟ ما دام أن الله أخبر أنه يعلمه، إذن سيجازيك عليه، وإذا كان سيجازيك عليه إذن هو عبادة.

علمت أن الله قرر عليه أنه يعلمه، **يعلمه في هذا السياق أي سيجازيك عليه، وإذا كان سيجازيك عليه إذن هو عبادة،** محل الجزاء.

هذان الدليلان اللذان يدلان على أنها عبادة، إذن صرفها لغير الله شرك.

الدليل الثالث

وفي الصّحيح عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: " مِنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِي اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ "[٢٠٦] .

" وفي الحديث أمر من النبي صلى الله عليه وسلم ونهي ؛

⇦ ما هو الأمر؟ الإيفاء بالنذر؛ أمر أن يوفي من نذر بالطاعة نذره

⇦ والنهي؟ نهى من نذر بالمعصية عن الوفاء.

وهذا دليل على ماذا؟ لما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بنذر الطاعة، انظري "أمر بالوفاء"، هذا دلَّ على أن النذر عبادة. "

وهكذا انتهينا ونفهمنا من الأدلة الثلاثة أن النذر عبادة، إذن صرفها لغير الله شرك.

سنناقش نفس موضوع النذر من جهة الله عز وجلّ له، وعدم محبته.

نقول أن النذر لله نوعان: – وهذا نذر الطاعة –

نذر مطلق. نذر مقيد.

اعملوا جدول؛ فيه النذر المطلق والنذر المقيد.

سنعرف ثلاثة أمور: تعريفه، ومثاله، وحكمه.

التعريف.

تعريف النذر المطلق: هو أن يُلزم العبد نفسه بعبادة لله عز وجلّ بلا مقابل.

تعريف النذر المقيد: هو أن يلزم العبد نفسه بعبادة لله عز وجلّ مقابل شيء، ومقابل شيء هذه فيها – أ ؛ ب –

- مقابل أن يعطيه الله عز وجل شيء أو يمنع عنه شيء.
- يفعل هو شيء، أو يمتنع هو عن شيء.

الأول واضح؛ هو أن يقول يا رب لو أعطيتني كذا نذر علي أن أفعل كذا وكذا.

الثاني: هو أن يقول نذر لله علي إن أنا تركت كذا وكذا، تركت الدخان مثلًا أصوم ثلاث أيام، أو إذا دخنت أصوم ثلاث أيام، هو الآن يتكلم عن نفسه، فيقول أنا لو وقعت في التدخين – قيد النذر بفعله هو – قال لو وقعت في التدخين نذر لله علي أن أصوم، فقيد سبب الوفاء بالنذر بفعله هو نفسه.

فهذا النذر المقيد أن يقيد نذره بفعل، إمَّا بفعل الله أو فعل من غير الله.

فأقول لو فلانة أتت بيتنا نذر علي أن أصوم ثلاثة أيام، فصار ليس من فعله هو بل من فعل غيره، هذا فلان الذي أتى، فالمقيد يكون من فعل الله، أو من فعل غير الله.

يعني متى يوفي نذره؟ إذا حصل الأمر الذي قيده.

[٢٠٦] البخاري: الأيمان والنذور (٦٦٩٦، ٦٧٠٠) ، والترمذي: النذور والأيمان (١٥٢٦) ، والنسائي: الأيمان والنذور (٣٨٠٦، ٣٨٠٧، ٣٨٠٨) ، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٨٩) ، وابن ماجه: الكفارات (٢١٢٦) ، وأحمد (٣٦/٦، ٤١/٦، ٢٠٨/٦، ٢٢٤/٦) ، ومالك: النذور والأيمان (١٠٣١) ، والدارمي: النذور والأيمان (٢٣٣٨)

الأمر الذي قيده من فعل من؟ قد يكون من فعل الله، وقد يكون من فعل غير الله؛ هذا المقيد.

النذر المطلق كما اتفقنا، كيف؟ مثلًا شخص يدخل على الأشهر الحرم مثلًا، ويسمع محاضرة في تعظيمها، فيقول نذرًا علي أن أعتمر في هذه الأشهر، أو أن أختم القرآن ثلاث مرات في هذه الأشهر، تعظيمًا للزمن، لكن لا ينتظر مقابل من الله عز وجلّ، يعني لن يوفي بنذره عندما يعطيه الله عز وجلّ، لأ بمجرد دخوله في الأشهر سيقوم بالعمل؛ فهذا هو النذر المطلق.

المثال.

مثال النذر المطلق: اتفقنا قولنا عليه؛ كأن يقول شخص أنا سأختم القرآن في شهر، أو كل عشر أيام، هذا مثال النذر المطلق.

مثال النذر المقيد: عندنا [أ ؛ ب].

- إذا شفى الله مريضي صمت ثلاث أيام.
- يقول المدخن لو دخنت سأصوم ثلاثة أيام.

الآن حكمه.

قبل أن نتكلم عن حكمه، هذه المسألة فيها خلاف طويل في الكلام حولها، تفريعات كثيرة في الكلام حولها، سأذكر لكم ما يتبيَّن لي، ثم انتم إذا أردتم المسألة بالتفصيل من الأفضل أن تراجعوا كلام أهل العلم فيها، وإذا أردتم مرجعًا ارجعوا إلى الفروع "فروع ابن مفلح" إن شاء الله تجدون غايتكم.

هذا الموضوع يُناقش في موطنين، لا يُناقش في كتب العقيدة، بل يُناقش في كتب الفقه، الدخول في تفاصيل لكن نريد أن نرى حكم ابتدائه.

حكم النذر المطلق: ابتداؤه ممدوح، والوفاء به واجب.

النذر المقيد: ابتداؤه مذموم، والوفاء به واجب.

لماذا ابتداؤه مذموم؟ أي: من أين لي أن أقوم أن ابتداءه مذموم؟ من الحديث: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إِنَّهُ لا يَرُدُّ مِنَ الْقَدَرِ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ"[٢٠٧].

يستخرج به ماذا؟ الطاعة، تُستخرج الطاعة من البخيل، يُستخرج نذر الطاعة من البخيل، هو بخيل على نفسه أن يرتفع الدرجات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن من ظنَّ أنه لا تحصل حاجة من حاجاته إلَّا بالنذر، فإن اعتقاده هذا محرم.

هنا اعتقاده يصبح محرم لو شعر أن حاجاته لا تُستخرج إلَّا بالنذر.

لأنه ظنَّ أن الله لا يُعطي إلَّا بمقابل، وهذا سوء ظن بالله، وسوء اعتقاد فيه، بل هو المتفضل، المنعم على خلقه.

فالنذر لا بد فيه من عقد، حتى لو ما كان هناك تلفظ، لا بد فيه من عقد، يعني ألزام النفس بهذا الشيء لكن الغالب أن النذر لا بد فيه من أصل، لأن ليس هذه هي الطريقة الشرعية.

هل هذه هي الطريقة شرعية أم هذه طريقة بدعية؟ ما دامت ليست شرعية إذن ستكون بدعية.

"ب" – في الحالة الثانية– صحيح أنه لا يُستخرج الحديث لكنها في نفس الوقت ليست طريقة شرعية، فيدخل هنا في كونه بدعي.

---

[٢٠٧] صحيح مسلم/كتاب النذر/ باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئا ١٦٣٩

النذر لا بد من التلفظ فيه، ربما من أجل ذلك أقول لك أن هذه المسألة فيها تفاصيل.

نوع النذر	تعريفه	مثاله	حكمه
النذر المطلق	هو أن يُلزم العبد نفسه بعبادة لله عز وجلّ بلا مقابل	كأن يقول شخص: نذر علي أن أختم القرآن في شهر، أو كل عشر أيام	النذر المطلق ابتداؤه ممدوح، والوفاء به واجب
النذر المقيد	هو أن يلزم العبد نفسه بعبادة لله عز وجلّ مقابل شيء أ: مقابل أن يعطيه الله شيئا، أو يمنع عنه شيئا ب: مقابل أن يفعل هو شيء، أو يمتنع هو عن شيء	[أ] إذا شفى الله مريضي صمت ثلاث أيام [ب] يقول المدخن: لو دخنت سأصوم ثلاثة أيام	النذر المقيد ابتداؤه مذموم ، والوفاء به واجب

ما علاقة من الشرك النذر لغير الله مع باب الذبح؟ العلاقة واضحة في الباب الذي في الوسط، وهو بباب لا يُذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله، لاحظي الرجل ماذا فعل؟ نذر أن يذبح إبل ببوانة، **فمن أنواع الذبح "أن ينذر الناس أن يذبحوا"** يعني الذبح يكون للتعظيم، ويكون للحم، دائمًا انتم عندما تضربون أمثلة للتعظيم تقولون [ذبح الأضحية، ذبح عقيقة، ذبح الهدي] الآن لا بد أن تتصوري أن من أنواع الذبح التي يكون فيها التعظيم [الذبح إيفاءً للنذر] من أنواع الذبح، ما الإشكال؟! ألم تقرؤوا أن رجلا نذر أن يذبح إبلا ببوانة؟ ماذا فعل هذا؟ نذر، نذر أن يذبح إبل ببوانة.

إذن معناها من أنواع الذبح للتعظيم النذر أن يذبح.

عندما آتي أقول لك اضربي أمثلة على الذبح للتعظيم – عندك ذبح للحم وعندك ذبح للتعظيم– قولي لي أمثلة للذبح للتعظيم [العقيقة، الهدي، الأضحية، إيفاء بالنذر].

على ذلك لو أن شخصا نذر أن يذبح لغير الله، سيأتي الشرك من أي باب؟ **سيأتي له الشرك الأكبر من بابين:**

- من باب أن النذر نوع من أنوع العبادة يجب أن لا ينذر إلَّا لله
- ومن جهة أخرى أن الذبح نوع من أنواع العبادة لا يُعظم بها إلَّا الله

هذا كله في باب النذر الآن، اكتبي هذا المثال: **رجل نذر أن يذبح لغير الله.**

ما حكمه؟ نقول: وقع في نوعين من الشرك، وكله شرك أكبر:

- نذر أن يتقرب لغير الله، وهذا شرك.

ثم المنذور ماذا؟ الذبح، **والذبح لا يكون إلَّا لله، النذر أصلًا عبادة ويجب أن لا ينذر إلَّا لله.**

- المسألة الثانية: نفس الأمر المنذور به أصلًا عبادة يجب صرفها لله عز وجلّ، وهو صرفها لغير الله فسيكون شركًا أكبر.

إذا رجعنا مرة أخرى سيتبيَّن لكم الأمر أكثر.

الآن باب"من الشرك الاستعاذة بغير الله"

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله وقول الله تعالى: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)[٢٠٨].

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ: " مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَلْيَقُلْ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِك"[٢٠٩] .[رواه مسلم].

هذا مثله مثل الذي سبق التصريح بأنه شرك ما علاقة هذا الباب بما سبقه؟ سنربط الاستعاذة بالنذر.

" من نذر لغير الله تكثبر في نفسه مسألة تعظيم المشْرَك به مع الله حتى يتعلّق به في دفع الضرّ، وتكون صورة تعلّقه الاستعاذة به من دون الله"

هو الآن عندما يبدأ ينذر لغير الله، ينذر للشجرة، ينذر للوليّ، ينذر للقبر، بأن يفعل كذا وكذا فينذر أن يشتري زيتًا لمصابيح المقبرة؛ المشكلة الآن في ماذا؟ في النذر، نذر لمن؟ لغير الله، نذر تعظيمًا لغير الله.

نذره هذا الذي فيه تعظيم لغير الله دليل على ماذا؟ على أنه معظِّم صاحب القبر، لدرجة أنه نذر أن يفعل من أجله أشياء، ألزم نفسه بذلك ألزم نفسه كما يلزم المسلم نفسه بالعبادات المفروضة، من هنا تأتي المشكلة؛ تأتي أنه عندما ينذر لغير الله معناه أنه يلزم نفسه بهذا الفعل إلزاما مثل العبادات المفروضة، وهذا دليل على تعظيمه لهذا الذي نذر له.

بلوغ هذا الشخص، أو هذا القبر، أو هذا الضريح هذه المنزلة في قلبه **معناه أنه عندما يأتيه الضرّ سيفزع قلبه لمَن؟ سيفزع قلبه لهذا الذي أصلًا من أفعاله أنه ينذر له.**

كأنني أقول لك هذه خريطة حياة شخص واقع في قلبه تعظيم هذا الضريح، فأقول لك ما خريطة أعماله، ما خريطة حياته؟

- **أول شيء من البداية تجده متبركًا.**
- **وله ذابحًا.**
- **ومن أجله ناذرًا.**
- **ثم ماذا؟ وبه مستعيذًا.**
- **مستغيثا.**

فصارت خمسة أبواب انظري كيف العلاقة الآن تأتي؛ كأنني أصف لك حياة شخص عظم غير الله، وتعلّق بغير الله، كيف تصبح حياته؟ كيف مسيرة هذه الحياة؟ يجد أن البركة تأتي من هذا الضريح، فيأخذ من ترابه وينثر عليه وعلى نفسه وعلى أولاده، هذه حقيقة، يعني يأتيه ضيوف من الكرم لهم أنه يأتي فينثر عليهم تراب من مقبرة الوليّ.

---

[٢٠٨] الجن:٦

[٢٠٩] مسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٨) ، والترمذي: الدعوات (٣٤٣٧) ، وابن ماجه: الطب (٣٥٤٧) ، وأحمد (٣٧٧/٦، ٣٧٨/٦، ٤٠٩/٦) ، والدارمي: الاستئذان (٢٦٨٠)

أمَّا مصيبة المصائب الآن مؤخرًا –كأننا ينقصنا بدع – في الهند، في الهند تخيلي يشترك الهندوس مع المسلمين – انظري كيف– حتى تعرفي أن الشرك مرجع الكل ويمكن ذكرنا سابقًا – حتى اليهود مع المسلمين يشتركون في ضريح يتعبدون عنده–، والآن الهندوس والمسلمين، وهذا معبد شيخ معين، يأتون ويصعدون إلى أعلاه، ويأتون يلقون الأطفال الذين أعمارهم تقل عن سنة، يعني من رضيع عمره شهر إلى طفل عمره سنة، يلقونهم من الأعلى، والباقي في الأسفل يتلقونهم، يضعون شيء يستقبلونهم عليه؛ لماذا؟ يقولون أن إلقاؤه من هذا الضريح من أعلى يكسبه القوة والشجاعة!

هذا خبر جاء في الأخبار!، أتوا بالصورة، وهذا الأمر يحصل سنويًا وهذا له قصة وهذا له قداسته، يرمونه من الأعلى على العالم الإسلامي، كل يوم تكتشف مظاهر الشرك عند المعابد ما لا تتصوره هذه المعابد ليست معابد الكفار، لا، هذه أصلًا مسلمين، لهم ضريح هنا بُني عليه مسجد، الهندوس – انظري الهندوس– يأتون على ضريح المسلمين ويلقون أولادهم كما يلقي المسلمون أولادهم، وكل هذه مظاهر تبتدئ من عند التبرُّك – انظروا– يعني مبدأ المسألة أنهم يتبركون، هذه مثل "ذات أنواط"، يبدؤون في المسألة أن هذا المكان لو فعلت فيه كذا يحصل كذا وكذا.

ابتدأنا بالتبرُّك؛ بعد التبرُّك ماذا سيحصل؟ من المظاهر الطبيعية للمكان الذي يتبركون به أن يذبحوا فيه، وأن ينذروا له!، مكان عظيم عندهم، هل رأيتم صناديق النذور في العالم الإسلامي؛ هذه صناديق النذور يسرقون ميزانية دولة، دولة من أكبر الدول، مَن الذي يسرقها؟ القائمون على الضريح؛ يقال له هات، وضع في الصندوق، فالوليّ كل يوم يلتقي بالله! يقولون هذا الكلام وأكثر منه! فأنا أقول أقل جملة تقال!

بل أنهم يعتقدون أنك لو أتيت يوم الجمعة، ويقول له احرص أن يكون هذا قبل العصر، اخرج تزور سبعة، ويحدد له في بلد من بلدان العالم الإسلامي الذي تنتشر فيه الأضرحة، سبعة أضرحة أو حولها، فيقول له احرص أن تفعل هذا قبل العصر، تمر على كل هذه الأضرحة وتصدق طبعًا، ضع في صناديقها، ثم يصف له ماذا سيحصل بعد ذلك؛

ماذا سيحصل؟ سيجتمع هؤلاء الأولياء في غار حراء، لماذا؟ ليرفعوا لله حاجات المتوسلين بهم هذا كلام صريح!، سيرفعون لله حاجات المتوسلين بهم ماذا يعني؟ ماذا تعتقد في الله عز وجلّ، أنه غير مطلع على العباد ويأتي هؤلاء يعني أن الله عز وجلّ يحتاج إلى من يرفع له حاجات العباد؟؟! تعالى الله.

دليل على أن ما قام في قلوبهم من اعتقاد في الله فاسد، والذين يذهبون لهم يرون هؤلاء فيهم من الخشوع، والبكاء ما يجعل أهل السُّنة يتمنون أحوالهم، فعندهم وجد، ويجدون في أنفسهم ما لا نجدهم في نفوسنا! والله ما يجدون في أنفسهم إلَّا فعل الشيطان.

هكذا انتم يا أهل التوحيد يجب أن يتبيَّن لكم الأمر جيدًا، كيف يدخلون على الناس بمثل هذا الكلام، كل القضية دائرة في أن القوم ما قدروا الله حق قدره، هذه هي النتيجة؛ النتيجة أن القوم عندما ما قدروا الله حق قدره تكلموا أن أولياءهم الصالحين يجب أن تكون لهم مكانة عندك أكبر من مكانة الله، هم يتكلمون عن الأولياء الصالحين أكثر مما يتكلمون عن الله، يتكلمون عن صفات الأولياء الصالحين أكثر مما يتكلمون عن الله.

لا بد من تمييز الحقوق، لا بد من تمييز الحقوق؛ إذا أردت أن تكلم الناس، كلمهم عن حق الله، وحق النبي صلى الله عليه وسلم، وحق الأولياء.

قل هؤلاء أولياء، نحن نعتقد يقينًا أن لهم حقّ مختلف، لكن لا يمكن أن يكون في قلوبنا أن حقهم هو حقّ الله، لا يمكن، فافهم من أين أتى الاختلاط، أتى الاختلاط من جهة الخلط بين حق الله عز وجلّ وحق الأولياء والصالحين والنبي صلى الله عليه وسلم، وأول ما تتكلم قل لهم انتم لا تعرفون لا بد أن تميز حقّ الله، وحقّ رسوله صلى الله عليه وسلم، وحقّ الأولياء الصالحين.

قل له كن صادقًا واقرأ كلام الله، فقط، انتهى، ليس بيني وبينه إلَّا كلام الله، إذا كان حقيقة صادق سيبيِّن الله له الحقّ، فهناك كثيرون كانوا صادقين، ووقفوا بين يدي الله وانتقلوا، من بينهم الشيخ محمد خليل هرّاس انتقل من الباطل إلى الحقّ.

على كل حال؛ تبينت لكم الآن العلاقة ابدئي بأسماء الله الحسنى، انت فهمت الآن أين المشكلة، **المشكلة هي الخلط بين حقّ الله وحقّ نبيه صلى الله عليه وسلم وحقّ أولياء الله الصالحين**، هذه هي المشكلة، هذه هي المشكلة التي فيها انتشار الأولياء.

تعال انظري إلى المجتمعات التي لا ينتشر فيها الأولياء، وحقّ النفس؛ الخلط بين حقّ الله، وبين حقّ النفس مَن الذي أعطاك القوة؟ مَن الذي أعطاك القدرة؟ مَن؟ اختلط على الإنسان بين ما يأتي منه وما يأتي من الله.

في النهاية المشكلة كلها دائرة في أن القوم ما قدروا الله حق قدره، فأول حل هو أن تفارق بين الحقوق، إن كنت تتكلم عن أولياء وصالحين وفارق بين العطايا، مَن الذي أعطاك، إن كنت تتكلم عن شخص معجب بنفسه.

في العالم الإسلامي عندنا نوعان من الشرك:

إمَّا شرك الأولياء أو شرك النفس.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ابدئي بالكلام عن أسماء الله وأنا سأختصر لك فيما بعد حال العالم الإسلام.

ما حال العالم الإسلامي؟ فيه نوعين من الشرك، إذا ما كان شرك الأولياء، هناك شرك النفس، انت أيا كانت النتيجة الحل واحد "الكلام عن أسماء الله عز وجلّ وصفاته" بحيث أنه يُعظم الله عز وجلّ في قلوبهم، ثم بعد ذلك كل شيء سيصبح تحته، نفصل في الباقي.

الآن نناقش ما معنى كلمة الاستعاذة.

الاستعاذة: طلب العوذ.

المستعيذ: هو المحتمي والمستجير والخائف، يقال استعاذ: أي لاذ بالشيء واحتمى به وتحصن، وتحفظ عن الشر الذي يخافه ويحذر منه.

المستعاذ به: هو الذي يحفظه من ذلك الذي يخاف منه، هذا المستعاذ به.

والمستعاذ منه: هو ذلك الشر الذي يحذره العبد ويخافه.

هذه اسمها أركان الاستعاذة؛ **ما هي أركان الاستعاذة؟**

- مستعيذ.
- مستعاذ به.
- مستعاذ منه.

وصف المستعيذ: المستعيذ لا يكون إلَّا عاجزًا عن مقاومة الشر الذي يخافه، لذلك يعوذ بغيره.

وصف المستعاذ به: لا يكون المستعاذ به إلَّا قادرًا على دفع الشر ورده.

أولًا: ما هو فعل الاستعاذة أصلًا؟ السين سين الطلب، طلب العون.

ثم اتفقنا على أركان الاستعاذة؛ ما هي أركان الاستعاذة؟ [مستعيذ، مستعاذ به، مستعاذ منه].

ما وصف المستعيذ؟ عاجز.

ما وصف المستعاذ به؟ قادر على ذلك.

في الاستعاذة أولًا لابد أن نبدأ بالمستعيذ؛ الركن الأول هو المستعيذ، نبدأ به وصفًا، فمن ثمَّ إذا علمت أن المستعيذ شرطه أن يكون شاعرًا بالعجز، شاعرًا بخطورة عدوه، إذا علمت بهذا أتيت بأول وصف للمستعيذ وبقي وصفًا أخرًا لنفس المستعيذ.

كأن هناك وصفان للمستعيذ:

- أولًا: أنه شاعر بعجزه، ونقصه، وخطورة عدوه واستعداد هذا العدو له.

لذلك كما ذكر الشيخ السعدي:

فلتلبسوا له لأمة الحرب[٢١٠].

تلبسوا له أي تلبسوا لعدوكم، ما هي لأمة الحرب؟ يعني الدرع، تلبسوا لعدوكم لمن تشعر أنه عدو، هذه المشاعر لابد تكون عندك أنك تلبس لأمة الحرب، لأمة الحرب يعني لباس الحرب، بحيث أن الناتج يكون أن الشخص الذي يلبس لأمة الحرب دائمًا تكون حالته حالة الاستعداد، هذا أول وصف للمستعيذ.

- ثانيًا: بقي وصف آخر في المستعيذ: يعرف بمَن يستعيذ، انت الذي خائف انت المستعيذ في حال خوف لابد أن تعرف بمن ستسعيذ، الثقة بالمستعاذ به، الذي ستستعيذ به لابد أن تكون في تمام الثقة به.

صفي تمام الثقة؟ يعني كيف يكون الإنسان تام الثقة؟ لا بد أن تثق أن المستعاذ به يكشف الضرّ، ويجلب النفع، ويعلم حالك، وتثق أنه لا يخذلك.

كأننا نقول عنصرين: اعتقاد كمال الصفات، مع حسن الظنّ.

يعني ماذا يكون في قلبك؟

أولًا: اعتقاد كمال الصفات، يعني هو الذي ينفع، وهو الذي يدفع الضرّ، هو الذي يسمعك ويعلم حالك، وحكيم في أفعاله معك.

---

[٢١٠] هناك نقص بالتسجيل؛ وهذا ما قاله الشيخ السعدي كاملًا في تفسير الآية.

يقول تعالى، محذرًا لبني آدم أن يفعل بهم الشيطان كما فعل بأبيهم: { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ } بأن يزين لكم العصيان، ويدعوكم إليه، ويرغبكم فيه، فتنقادون له { كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ } وأنزلهما من المحل العالي إلى أنزل منه، فأنتم يريد أن يفعل بكم كذلك، ولا يألو جهده عنكم، حتى يفتنكم، إن استطاع، فعليكم أن تجعلوا الحذر منه في بالكم، **وأن تلبسوا لَأْمَةَ الحرب** بينكم وبيْنه، وأن لا تغفُلوا عن المواضع التي يدخل منها إليكم [تفسير السعدي سورة الأعراف].

ثانيًا: تحسن الظنّ به أنه لا بد أن يدفع عنك الضرّ.

الآن ما وصف المستعاذ منه؟ وصفان:

- فيه قوة على المستعيذ.
- وهو تحت المستعاذ به.

مثلًا الشيطان ماذا تعتقدين فيه؟

⇦ له قوة كما وصفناه: يجري من آدم مجرى الدم، يوسوس له، شديد العداوة والكراهية، هذا وصف من جهتك أنت المستعيذ.

⇦ أمَّا من جهة المستعاذ به، فهو في ملكه، وتحت قهره وسلطانه، قهر وسلطان الله عز وجل على هذا.

بعد أن عرفت هذه الأركان؛ **اجمعي الأركان الثلاثة "في شرح معنى "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"** أي : ألوذ وأحتمي – ثم صفي نفسك، وصفي المستعاذ منه، وصفي المستعاذ به، رتبوا الكلام على بعضه– يعني ألوذ وأحتمي بمن أعتقد أنه قادر على دفع الضرّ عني، وجلب المنفعة، وهو سبحانه وتعالى عالم بحالي، مطلع، كامل الحكمة – يعني صفي الله، وإلى هنا الكلام عن وصف الله – وأنا عاجز، ضعيف، لا أملك أن أدفع عني شر الشيطان أن يضرّني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه، وأعلم أن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلَّا الله، فالعباد ومنهم الشيطان تحت ملكه سبحانه وتعالى وسلطانه."

على ذلك الآن تجد أن الاستعاذة عبادة قلبية، لأنها تجمع مجموعة اعتقادات:

- تعتقد ضعفك.
- تعتقد كمال صفات الله عز وجل.
- تعتقد ضعف المستعاذ منه، وأنه تحت قهر الله وسلطانه.

⇦ في النهاية فهمت أن الاستعاذة عبادة قلبية، أركانها الأساسية عبادة قلبية، ثم يُعبر عن هذه العبادة القلبية بقول اللسان.

من أجل ذلك قيل لك ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ لكن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ تنفع كل أحد؟ لا تنفع كل أحد، لا تنفع إلَّا من كان قلبه ممتلئًا باعتقاد كمال الربّ، وضعف النفس، وخطر العدو مع ضعفه، يعني العدو خطير لكن ضعيف.

فيما ورد من أخبار أن في أفريقيا قبيلة وثنية تعبد الأوثان، تردد قبل منامها المعوذات، أناس يرددون قبل منامهم المعوذات، توارثوها بالاحتكاك، فهل تتصور مثل هؤلاء ستنفعهم قراءة المعوذات؟ لا، لأنه لا بد أن يكون هذا الكلام الذي يقال لا بد أن يكون معتمدًا أو تعبيرًا عن اعتقاد القلب، وهذا ليس تحجيرًا لواسع، فلو أتاك كلام بغير لغتك، أتاك كلام بغير لغتك وصرت ترددينه وأنت لا تفهمين أي شيء منه كيف تتصورين أنه ينفعك؟! لا ينفعك!، إنما هذه أصبحت مثل التَّمائم والرُّقى في حقهم هم، أنهم لا يفهمونها.

على كل حال؛ اتفقنا الآن أن لفظة كلمة استعاذة تدلّ على الطلب، أين الطلب؟ يستعيذ به.

فإذا قال العبد : **"أعوذ بالله" يعني أطلب من الله أن يعيذني، حقيقة معناها الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه.**

نبتدئ أولًا بشرح الأدلة ثم نناقش هل الاستعاذة تنقسم إلى أقسام أم لا.

الدليل الأول.

أولًا نبتدئ بالأدلة.

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

السؤال هذه الآية في سياق ماذا؟ مرروا على أذهانكم أوائل الآيات؛ أولًا هذا كلام الجن عندما استمعوا للقرآن.

كيف وصفوا القرآن؟ ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ﴾ هنا القضية أنهم بعد أن سمعوا، وبعد أن وقع في قلوبهم قالوا : ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ **لما أخذوا على نفسهم عهد ألَّا يشركوا بربهم أحد أتى منهم نوع من أنواع العبادة العظيمة وهو الاعتراف بالذنب**، والاعتراف بالحال التي يطلب غفرانها، وهذه حالة معلومة.

انت الآن لما تأتي إلى أحد تريد أن تشرح قول يونس عليه السلام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، ماذا تقول له؟ أن من القرب إلى الله أن تعترف بظلمك، ونقصك.

عندما تشرح لأحد سيد الاستغفار مثلًا: "اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ".

إذن أنت معتقد أن هناك شر صنعته، لا أن تقول هذه الكلمة وأنت ترى نفسك لم تصنع شرًا إنما "أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ".

وعندما تقول "أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ" انظر ماذا تقول بعدها "أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ" يعني أنا فعلت شرًا وفي المقابل أرى آثار نعمتك علي، وأرى آثار معاملتك لي بالحلم، حلم الله أمر عجيب كلنا نعيش تحت ظله، وفي المقابل مطلوب منا أن نعترف بشر ما في نفوسنا؛ أعوذ بك مما أوقعته أنا من شرور.

ثم مرة أخرى "وَأَبُوءُ بِذَنْبِي" مرة أخرى، يعني هناك موطنان تعترف بذنبك.

هذا أمر لا بد أن يكون في مقدمة طلب الغفران، في مقدمات طلب الغفران، مثل سيد الاستغفار، ومثل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

انظري لموقف الجن الآن : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ يحكون حالهم طلبًا لغفرانه، نوع من أنواع التقدم بين يدي طلب الغفران هذا فهم.

وفهم آخر؛ الإنسان عندما يدخل في النعم، من شكره للنعمة أن يذكر حال الغفلة، من أجل أن ينبه نفسه، أنه سبحان من عاملك بحلمه ورحمته وأوصلك إلى هذه الحال.

وهذا أمر ضروري يبقى في نفوسكم، دائمًا ذكروا أنفسكم بحال كدنا فيها أن نهلك، لكن لولا أن الله عاملنا بحلمه ما كان نجانا، خصوصًا في حال تتعلمين شيئًا كنت تخالفينه فيه، بالذات في مسائل تتصل بالتوحيد وبأعمال القلوب، هناك أشياء كثيرة تعتبر كبائر في شرع الله، نحن بالنسبة لنا أمر حتى لا نستحي أن نقوله، بكل سهولة نقول عن أنفسنا مثل إرادة العلو مثلًا، إرادة العلو هذا وصف يخالف وصف المتقين، لأن الله عز وجل وصفهم بأنهم ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[٢١١]

[٢١١] القصص:٨٣

فإذن الذي يريد العلو هذا شخص فيه نقص شرعي، يرتكب كبيرة تخالف وصف المتقين.

انظري كيف يدخل علينا إرادة العلو بالكلام المتكرر عن التميز، ودائمًا أريد أن أكون فوق الناس الذين حولي، تحت اسم "الطموح"، هذه الكلمات تقال، **هناك فرق كبير بين أنك تريد أن تنجح، وبين أنك تريد أن تفوق من حولك**، تريد أن تنجح انجح لا أحد قال لك لا تنجح، لكن تفوق من حولك وكل أحد يصبح تحتك هذه إرادة علو، عشنا زمنًا طويلًا ونحن في نفوسنا هذه المشاعر ونرى أنها شيئًا طبيعيًا كل المجتمع يعينك عليه!

لما تعلمنا وبيّن الله لنا كل ما نفعله أننا نذكر أنفسنا بزمن طويل عشناه تحت هذه الكارثة وفي أحيان كثيرة تُنظم أعمال، وتُبذل جهود، وتُدفع أموال ثم ما ينجح المشروع ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ لأن نفوس الناس الذين عملوا في هذا المشروع تريد أن تعلوا على مشاريع مثل هذا، لا أتكلم عن مشاريع أهل الدنيا، أنا أتكلم عن المشاريع الشرعية، تُبذل لها أموال، وتُفتح لها أماكن، لكن يكون في النفس إرادة العلو على الناس، وإذا كان في قلبك إرادة العلو على بقية المشاريع، وعلى من ينافسك من أسماء، فلو تكلمنا مثلًا عن المعاهد أو عن مراكز التحفيظ، كل واحد يريد أن يفوق الثاني!، لا تسأل بعد ذلك ما سبب الفشل، وسبب عدم التوفيق ما دام في القلوب مثل هذه الإرادات.

المقصد الآن أنت تعيش زمنا طويلا وأنت في هذه الحالة، وربّي يعاملك بحلمه إلى أن يُعلمك، أول ما يعلمك المفروض أن تبقى ذاكرًا لنعمائه، مذكرًا نفسك بحالك التي مضت، وهذه هي حال الجن يعني إمَّا أن يكون بين يدي طلب المغفرة، أو ذكرًا لما مضى وشكرًا لما هو واقع فيه.

- أول الأوصاف التي قالوها – نسير بترتيب الآيات – ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ تخيلي أول شيء بعد سماعهم لكتاب الله ولكلام الله، أول شيء وقع في قلوبهم تعظيم الله ﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.

معناه أنهم ماذا كانوا يعتقدون؟ أن له شريك، أن له صاحبة، وأن له ولد هم كانوا يعتقدون أن له ولد، متبعين في ذلك النصارى.

- ثم ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللّهِ شَطَطًا﴾ ماذا كان يقول؟ أن الله له ولد – تعالى الله –

يأتي موطننا الآن، تأتي مسألة الاستعاذة، أن هذه من صور الشرك التي كانوا واقعين فيها، كانوا يعتقدون أن الله له ولد، وكان يقول سفيههم على الله شططا، كان ينسب إلى الله الصاحبة والولد.

وأيضًا من صور الشرك التي كانت تقع استعاذة الإنس بهم، لما آمن الجن وتبرؤوا من الشرك أنكروا بعضًا من أحوالهم الشركية التي كانوا عليها قبل الإسلام، ومن هذه الأحوال الشركية الاستعاذة بغير الله.

الآن وصف حالهم كيف كان؟ هذا الوصف هو سبب نزول الآية، وصف لحال الجن مع الإنس؛

" كان جهلة المشركين إذا سافر أحدهم ونزل في مكان فيه خوف يقول : "أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن، من سفهاء قومه"، يستعيذ بكبير الجن من سفهاء الجن، فيبيت قلبه مضطرب، يخشى ألَّا يعيذه، فيكون هو الذي يزيده رهقا".

أين أركان الاستعاذة الشركية التي حصلت هنا؟

- المستعيذ: هو هذا الرجل من المشركين.
- المستعاذ به: سيد أو كبير الجن.
- المستعاذ منه: سفهاء الجن.

ما هي النتيجة؟ ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

الآن سنناقش ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾؛

اختلف العلماء في قوله تعالى : ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ويظهر الاختلاف بناء على الضمائر في قوله ﴿فَزَادُوهُمْ﴾.

كم ضمير عندنا؟ إثنان [واو الجماعة، وهاء الغيبة].

ما إعرابهم؟

- واو الجماعة فاعل.
- هاء الغيبة مفعول به.

ماذا سيحصل؟ زاد الفعل، ثم الواو تعود على الذي فعل فعل الزيادة، زادوا مَن؟ هم، الهاء هي التي وقع عليها فعل الزيادة.

سنرى الآن؛ حصل خلاف في معنى ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ بناء على الاختلاف في تفسير الضمائر.

على ذلك نعمل جدول أفضل شيء.

	﴿فَزَادُوهُمْ﴾		معنى ﴿رَهَقًا﴾	المعنى العام للآية.
	واو الجماعة	هاء الغيبة		
الاحتمال الأول	الفاعل:الإنس.	المفعول به: الجن.	طغيانًا وتكبرا.	زاد الإنس الجن طغيانًا وتكبرا.
الاحتمال الثاني	الفاعل:الجن.	المفعول به: الإنس	ذعرًا وتخويفا.	زاد الجن الإنس ذعرًا وتخويفا.

الاحتمال الأول.

أن تكون واو الجماعة الفاعل: الإنس.

هاء الغيبة: الجن.

الفاعل زاد الإنس الجن.

رهقا: الإنس زادوا الجن رهقا؛ سيكون معناها طغيانًا وتكبر، وهذا بخلاف المعنى المشهور الذي في عقولنا، يعني أنهم كل مرة يستعيذون بهم كل مرة يزيدونهم طغيانًا وتكبرا، الإنس هم الذين فعلوا هذا الفعل في الجن.

الاحتمال الثاني.

واوا الجماعة: الجن.

هاء الغيبة: – المفعول به — الإنس.

رهقا: ذعرًا وتخويفا.

زاد الجن الإنس ذعرًا وتخويفا، متى حصل هذا؟ عندما رأوهم يستعيذون بهم زادوهم تخويفًا ليزيد لجوءهم إليهم.

لماذا؟ ما الفائدة؟ افتحوا مصاحفكم الأنعام الآية ١٢٨.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٢١٢]

ماذا يتبيَّن لك من آية الأنعام؟ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ مَن هم جميعا؟ الجن والإنس، ماذا يقول لهم؟

أول شيء يخاطب الجن فيقول لهم ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ ماذا فعلتم؟ ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ﴾، مَن هم أولياؤهم؟ الذين وقع عليهم فعل الاستكثار، قالوا : ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾.

السؤال كيف يستمتع الجن بالإنس، والإنس بالجن؟ سأنقل لكم كلام الشيخ السعدي.

يقول الشيخ السعدي:

فالجني يستمتع بطاعة الإنسي له، وعبادته، وتعظيمه، واستعاذته به، والإنسي يستمتع بنيل أغراضه، وبلوغه بحسب خدمة الجني له بعض شهواته، فإن الإنسي يعبد الجني فيخدمه الجني أي وبلوغه بعض شهواته لكن بحسب خدمة الجني له.

إذن أصل المسألة أن الإنسي يعبد الجني، هذه أصل المسألة؛ الجني ماذا يفعل؟ يخدم الإنسي.

هذه هي المسألة : **الإنسي يعبد الجني، ثم الجني يخدم الإنسي.**

إذن استمتاع الجني بالإنسي دائر حول تعظيمه، تعظيمه إياه، يعني الاستمتاع آت من جهة نفسية، الجن يحبون أن يعظموا، كما أن هذا الأمر موجود في الإنس أيضًا، فلو نظرت جيدًا الإنسي ماذا يريد من الجني بالضبط؟ هذه تختلف طبعًا، تختلف الحاجات، لكن في مواقف كثيرة يريد أن يعظُم على غيره من بني جنسه، فالكاهن والساحر، هؤلاء كلهم الذين يقدمون عبادات للجن، ماذا يريدون من وراء ذلك؟ أن يعظموا في نظر الإنس، فانتهى الأمر بنفس الطريقة، لكن تلك عبادة صريحة، وهذه إعانة، يعني آتية من جهة إعانتهم على ما لا يقدر عليه إلَّا الله، يعني يتصورون، يأتون بالأخبار، إلى آخر ما هو معروف، فكونهم يطلبون العون في شيء لا يقدر عليه إلَّا الله معناه أنهم دخلوا في الشرك أيضًا.

على كل حال؛ الجن يخدمون الإنس بناء على ماذا؟ على عبادتهم.

أين الاستمتاع في العبادة؟ التعظيم.

أين استمتاع الإنسي بالجني؟ قضاء الحوائج.

هات مثال لبعض الحوائج؟ إخباره بشيء من المغيبات، هذا نوع من أنواع الحوائج.

سؤال تمر أحيانًا أحوال أن أحدًا يكون مصابًا بمس من الجن، وهذا المس من الجن بين الحقيقة وبين الدعوى، يعني كثيرون داخلين تحت هذا النوع من باب الكذب وليس من باب الصدق، لا يكون حقيقة واقع لهم هذا الأمر إنما هم كاذبون، وشاهدون على أنفسهم أنهم أهل ذنوب ومعاصي، الجن يتلبس الإنسان الذي فيه ضعف في إيمانه، وضعف في يقينه، لا بأس، العين مرض كبقية الأمراض يصيب الإنسان، لكن هنا فرق بين العين وبين المسألة التي تتصل بالمس.

على كل حال؛ هناك من يصاب بالمس، بعد أن يصابوا بالمس ماذا يحصل؟ تبقى فترى تكون مصابة، ثم هي تبدأ تعالج الناس.

[٢١٢] الأنعام:١٢٨

فهذا أحد أمرين إمَّا كذب، وهذا أكثر من كثير، ففي كل عشر حالات دعوى مس حالة واحدة تكون صادقة والباقي كله كذب، وهذا بالمعرفة اليقينية، المعرفة اليقينة يعني بعد تجارب كثيرة في مجتمعنا، المجتمع النسائي، كان من كل عشرة حالات تظهر حالة صحيحة، هناك علامات تظهر في الوجه – حتى أنها ليست خفية، تظهر في الوجه – وفي العينين تظهر إذا كان صادق أم كاذب، فبمجرد أن يأتيك أحد وإذا كنت مبتلاة بأحد مثل هذا، ستعرفين مع الأيام كيف تكتشفين الحقيقة، والكاذب من الصادق في مثل هذا، هؤلاء يظهر في وجوههم، ألم يرد في الحديث الجارية التي فيها سفعة في وجهها؟ وهنا قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالقراءة، فهناك علامة في الوجه ظاهرة، وهناك علامة في العين أيضًا تكون ظاهرة، في نفس ثبوت النظر، يعني حتى لو استطاع أن يمثل علامة النظر، يمثلها لأن هناك من يستطيع أن يمثل حتى علامة العين هذه، لكن لا يستطيع تمثيل السفعة هذه، فالسفعة هذه مميزة وواضحة، فيكون الإنسان ليس له لون واحد، فقسمي وجهه ليس له لون واحد، يظهر هناك فرق بين لوني الجسم، كأنه مثل صفعة الكف تظهر على أحد الشقين.

أنت الآن بين أمرين عظيمين: بين كيف الشخص يدّعي على نفسه، ويبلي نفسه مثل هذه البلوى العظيمة، وبين كيف يشهد على نفسه أن فيه من ضعف الإيمان! يعني هو أحد أمرين إمَّا ابتلاء وإمَّا ضعف إيمان، وأحيانًا يشترك الاثنان، يعني واحد يكون ضعيف الإيمان ثم يبتلى بهذا، ثم الله يقوي إيمانه نتيجة هذا البلاء.

وهناك فرق بين المس وبين العين؛ أنا أتكلم عن المس، فهؤلاء لا يسكنون إلَّا الأماكن الخبيثة، تعرفين أن الجن لا يسكنون إلَّا الأماكن الخبيثة.

على كل حال؛ المقصد الآن عندما تأتي حالة مثل هذه وهي أول شيء أنها كان بها مس، ثم أصبحت تقرأ على الناس هذا أحد أمرين:

- إمَّا كاذبة من أول الموضوع.
- إمَّا أنها استخدمها الجن، فأصبحوا يستخدمونها فتقرأ عليهم رقى غير شرعية في الغالب، وإلى آخر هذه الدوامة التي بمعنى كلمة دوامة، وقل من يدخل هذه الدوامات ينجو منها، هذه الدوامة لا ينتهي منها –الله المستعان–.

لا أريد أن أدخل في تفاصيل، أنا يمكن في يومٍ من الأيام سأكتب مذكراتي على هذا الموضوع فقط من كثرة ما رأيت وسمعت، ولا أنكر أن هناك حالات – على كثرة ما مر علي من حالات – تُعد على الأصباع، تكون واضحة تمامًا في الكلام، عدم قدرة على التحكم في الحركات الإرادية، الإرادية عند الناس تصبح عندها لا إرادية، أشياء معينة، وأشياء لا تجدونها إلَّا نادرًا، الشيء الذي تجدونه مباشرة يظهر، يصبح مميز أن هذا حقًا شخص غير طبيعي، لا يمارس الحياة بالسهولة التي تتخيلونها.

وهذه الدعوى أخذت كثير من الشباب،وهذه ظاهرة لماذا دائمًا في مدارس التحفيظ؟ لماذا دائمًا في مثل هذه الأماكن؟ لماذا؟ بالعكس! المفروض أن من في قلبه إيمان وتقوى وقرآن لا يدخله، كيف يجتمعان؟!، بالمنطق والعقل، وهذا ليس إنكارًا للمس، أبدًا لا تفهموا أن هذا إنكار للمس، المس موجود، لكن ليس بهذه الظاهرة الموجودة، وفيه دعاوي وانظري المراهقات ماذا يفعلن!.

على كل حال؛ هذا موضوع أنا لا أحب أبدًا أن أتكلم فيه، لأنك تواجهي في المجتمع وإلَّا أني أريد تحصينكم، وأريد أن لا أحد يغشكم بسهولة، فهؤلاء يحتاجون من الجلسات في العلاج النفسي الشيء الكثير، فهذه تتحول مع الأيام هذه الدعوى يتحول إلى مرض نفسي، تصبح مريضة نفسيًا!.

طبعًا يجب أن تتصوروا مرض الفصام؛ "الفصام في الشخصية" هذا المرض – نسأل الله أن يسلمنا، نسأل الله أن يسلمنا — هذا شخص راهب في الليل، فاجر في النهار، هكذا شخص بهاتين الشخصيتين ، أو بالعكس، ليس شرطا، يعني يأتي الدرس، يشار إليه بالبنان، ثم تسمع وترى من أحواله الخاصة، لا تعرف أنه حتى هذا شخص عادي وليس مستقيم، يعني حتى ليس عادي، فلو عبرنا عنه بكلمة فاجر هذه الكلمة في حقه صحيحة، وهذا نوع من الفصام، غير شاعر بالفارق، ولا يشعر بتأنيب الضمير، إلى آخره إلى آخره.

المهم المقصد أن كثير من الأمراض النفسية طلاب العلم لابد أن يكون لهم علم بها، حتى يرون أنفسهم هم أين، يعني أنت نفسك ممكن أن تكون مصاب بشيء من الفصام وأنت غير شاعر به، وهذا الشيء من الفصام يعالج أولًا بالتقوى، بالتقوى، قبل أن يكلمني أحد عن العلاج الطبي والدوائي لكن إذا كانت حالة متقدمة لا بد من العلاج الدوائي، والعلاج الدوائي له أماكنه، وهناك أناس موثوقون يُعالج عندهم النساء والرجال، يا رب يزيد عدد الناس الذين يعالجون وهم ثقة، لأن المرض منتشر.

طبعًا هذا كله نتيجة حب الظهور، تخيلي كل القصة نعود لنفس المشكلة حب تحقيق الذات كما يعبرون، فتحقيق الذات قد يكون إيجابي أو سلبي، يعني تلفت إليها النظر، وتجعل أهلها رهن إشارتها، مرت معي مواقف مع مراهقات – هي ليست مراهِقة– بل فوق المراهِقة، لكن هذه مراهقة، إلى الستين أصبحت المراهَقة عندنا – الله المستعان – المهم، ماذا تريد؟ تريد أن تستمر في الضغط على أهلها، ويصبحوا رهن إشارتها، وهذه المواقف تخيلي أنا رأيتها وسمعتها مباشرة، ورأيتها وسمعتها في الأماكن التي يجتمعون فيها للقراءة، يعني حتى الأماكن هذه التي يجتمعون فيها للقراءة مخالفة للسنة، هناك أشياء كثيرة مخالفة للسنة تحصل في أماكن الرُّقية، مخالفات كثيرة للسنة مرة أو مرتين حضرت مثل هذه المجالس، ورأيت الكذب الصريح موجود في الخارج قبل أن يدخلوا للشيخ رأيت الكذب الصريح!.

وأيضًا لو جاورت انت أحد يقول لك انتبهي على نفسك، يبدو أنك معيونة، أيضًا هؤلاء ناس وجدناهم في هذه الأماكن نسألها ما الذي أتى بك يا أمي؟ تقول جارتي قالت لي أنت شكلك غير طبيعي، وحالتك ليست جيدة مع زوجك من المؤكد أن هناك كذا، فالأولى تقول لك ذلك، والثانية تقول لك ذلك، والثالثة كل هذا بالمشاورة أن أحد قال لهم هذا الكلام!

فنحن في أحد أمرين : إما كذابين أو أن أحد أوهمهم بهذا الوهم.

ثم في هذه الجلسة الأولى — أتصور هذا والله أعلم عن الحق — يمكن المجلس فيه مائة شخص، صحيح أنني ما مررت عليهم كلهم، لكن مررت على أغلبهم الذين كانوا موجودين لم أجد في كل الموجودين حالة واحدة حقيقية، في كل من مر علي!، لنقل مر من المائة خمسون، والله أعلم الخمسون الأخرى ما حالهم، لكن تصوري!، وهذا جعل هذا الانطباع نخرج به إلى الخارج ونبحث عن الحقيقة، ونجد كل مرة كذب، كل مرة كذب، لدرجة أن هناك حالة مرت – إذا كان أحدكم يذكر– حصلت حالة في مسرح الحديقة مرة من المرات، المهم كان لها تفاصيلها الطويلة وفي النهاية نجد أن محيط المسألة وهم، شخص موهوم، فتصوري إلى هذه الدرجة ممكن أن يحصل، أمام الناس، ولا يبالي، الذي يدفعهم للكذب حب الظهور ولفت النظر، أمراض نفسية أحيانًا، دائمًا أهل الزوج – دائمًا يأتي في الفتاوى– أنهم هم المتهمون بأعمال السحر، انظري إلى أي درجة يصل الأمر، إلى تهمة الناس، – الله المستعان والله نشتكي إلى الله– **لكن كل هذا سببه شيء واحد " غياب التوحيد "**.

عندما يغيب التوحيد تأتي مظاهر كثيرة من هذه المظاهر، والشياطين تستمتع، تستمع بأن الإنسي يكون بهذه الرهبة منها، الآن الذي يمثل الدور ليس خائف، لكن مَن الذي خائف؟ الناس المحيطون به، فيصبح في نفوس الناس رهبة من الجن فيستمتع الجن بهذه الرهبة الموجودة في قلوبهم، تخيلي أن يكون الشخص منا يكون داعيًا إلى داعي الجن.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا بد أن نتكلم عن التوحيد، لا تكلميها عن نفس الموضوع، هي الآن مصابة بمرض علاجه صعب، ذهبت لأحد الرقاة، والظاهر أنه كاهن، فقال لها – وانظري للحكم – أن الله عز وجل مسخر لك الجن!، لو قال لك أحدهم أن الجن مسخر لك ماذا سيقع في قلبك من إحساس أنك لك كرامة عند الله، ثم يتصور الإنسان أنه يستطيع أن يحكم بكذا وكذا، ويفعل كذا وكذا، ماذا سيحصل في الناس المحيطين؟! من الخوف ومن الطاعة العمياء ومن ومن، – الله المستعان– لذلك لا بد أن نتكلم عن التوحيد، دون أن تخاطبوهم في نفس الموضوع، لا تذكروا الجن أبدا في الموضوع، أبدًا، **لا تكلميها عن نفس الموضوع لأنه هذا بالنسبة لها نقطة ضعف لكن كلميها عن التوحيد**، رأينا مثل هذا كثير، ناس — سبحان الله —كانوا في حلق العلم والطلب، فتنهم هذا الأمر وخرجوا وما عادوا مرة أخرى.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة : العين شيء مختلف تمامًا عن المس، قصة العين هذه تحتاج إلى نقاش أكثر، وإلى فهم أكثر، وإلى معرفة كيفية التعامل، فلو أصبت بالعين كيف تتعامل معه، وهو ابتلاء من بين البلاءات، مثل لو كنت سائرًا واصطدمت بالباب، مثل لو كنت سائرًا ووقعت، ستتعالج، تعالج بالصورة المقبولة عقلًا تعالج بها.

واليوم يوجد نظام وهو نظام تشغيل الإعاقات الجزئية، أي البسيطة، فتكون مثلًا يد تتحرك وأخرى لا تتحرك — أسأل الله أن يحفظنا ويحفظ ذرياتنا — المهم عندما تجدين مثل هؤلاء أصحاب الإعاقات الجزئية يعيشون حياتهم، ويخدمون أنفسهم، ويعملون في أماكن، هو عنده إعاقة جزئية ظاهرة ويعمل، ويعيش حياته بصورة طبيعية، أنت يا مَن عندك هذا الإشكال أيضًا ستعيش حياتك بصورة طبيعية.

يعني هناك شباب صغار، الآن مثلًا انتشار مرض السكر بين الأطفال، هذه ظاهرة، أول الكلام قبل عشر سنوات كنا نظنّ أن مثل هذه الظاهرة لا تأتي إلَّا من شيء غير طبيعي، لكن الآن هو مرض منتشر، وكثير من الأطفال أصبح مرض السكر بالنسبة لهم شيء عادي – طبعًا هو ليس شيء عادي– لكن أقصد أنه مرض موجود ومنتشر، وليس ذا بال، ولا تتصور أن الطفل فيه ميزة لذلك نُظر إليه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة : المس يحتاج إلى كثير من الاختبارات والتحريات ليُتأكد من ذلك لكن لو أردتم نصيحتي، غالب الموجود إذا كان فيه أثر حقيقي فهو من وسواس الشيطان، أو من الحالات النفسية التي ممكن أن تؤثر على الإنسان، **مقاومتها بدراسة التوحيد، لا يوجد حلا إلَّا دراسة التوحيد كلما امتلأ قلبك إيمانًا وعلمًا بالله كلما قويت على الخارج ثم بالتدريج، كل الأشياء تحصل بالتدريج، الشفاء يحصل بالتدريج.**

على كل حال؛ كل شخص تجدونه بهذه الإشكالات كلموه عن التوحيد، ولا تخاطبوه عن قضية تخصه هو مباشرة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة : تلجأ إلى الله، تقول يا رب، اتركوا عنكم كل هؤلاء.

سمعتم الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، في مرة من المرات في " نور على الدرب" كل الحلقة، ثلاثون دقيقة ما تكلم إلَّا عن الرقاة نصحهم نصيحة طويلة إن شاء الله نستطيع إخراجها من البث المباشر، هذه الحلقة موجودة، نصحهم نصيحة لمدة ثلاثين دقيقة : اتقوا الله، اتقوا الله، فعلتم أفعال في الناس جعلتموهم معطلين، معطلين نفسيًا، داخلين في الوهم – الله المستعان– حالة مبكية حقيقة إلَّا أن أتت اقتراحات بأن نفتح دور للرقى، كل هذا مخالف للسنة.

على كل حال انتهينا الآن من الدليل الأول؛ وخرجنا من الدليل الأول بنتيجة وهي:

" أن الآية تدلّ على ذم المستعيذين بغير الله، وهذا يدلّ على أن الاستعاذة عبادة، وصرفها لغير الله شرك".

- الدليل الثاني.

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ: " مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَلْيَقُلْ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلك"[٢١٣].[رواه مسلم].

هذا النص مركب على النص الماضي، لذلك ستجد النتيجة الإجمالية من الدليلين مع بعض.

القاعدة الأولى التي سنتكلم عنها تقول:

" الشرع لا يُبطل أمرًا من أمور الجاهلية إلَّا ويذكر ما هو خير منه، ففي الجاهلية كانوا يستعيذون بالجن، فشرع الله للمسلمين أن يستعيذوا به أو بصفاته".

إذن هذا الدليل الآن مبني على الدليل الماضي، يعني أنت عندما تنظرين إلى أدلة هذا الباب لا يوجد إلَّا دليلين:

- دليل في سورة الجن يدلّ على الاستعاذة الشركية.
- ودليل يدلّ على الاستعاذة الشرعية.

انت عندك ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ لماذا لم يأت بها الشيخ ليدلّ على أنها عبادة؟ وإذا كانت عبادة فصرفها لغير الله شرك وانتهى الموضوع؟ هذه الطريقة واضحة يقول ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فتعرفين أنها عبادة ومن ثم صرفها لغير الله شرك وانتهى الموضوع!

لكن حتى يعلمك يا طالب العلم كيف تستنبط:

- أتى بآية سورة الجن؛ وقال لك هذه الحالة التي كانوا يستعيذون بها.
- وانظري الآن إلى حديث خولة بنت حكيم.

قارني بينهم ؛ الآن نعمل جدول مقارنة [بين حال القوم الذين وُصفوا في سورة الجن، وبين ما أمرت الشريعة في حديث خولة بنت حكيم]

في أول جهة من المقارنة سنقارن بماذا؟ بثلاثة عوامل:

- أولًا : المكان الذي يُستعاذ فيه.

[٢١٣] مسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٨) ، والترمذي: الدعوات (٣٤٣٧) ، وابن ماجه: الطب (٣٥٤٧) ، وأحمد (٣٧٧/٦، ٣٧٨/٦، ٤٠٩/٦) ، والدارمي: الاستئذان (٢٦٨٠)

- ثانيًا: لفظة الاستعاذة.
- ثالثًا: الأثر.

هذه الثلاثة عامودي.

الآن أفقي:

- الاستعاذة الشركية التي وصفت في سورة الجن.
- الاستعاذة الشرعية التي أتت في حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها.

نبدأ بالمكان الذي يُستعاذ به.

في الاستعاذة الشركية، نحن اتفقنا في سبب النزول أنه ينزل منزلًا يخاف منه.

إذن المكان الذي يستعاذ فيه في الاستعاذة الشركية عندما ينزل منزلًا يخاف منه، وكان هنا في سورة الجن الوادي.

وفي الاستعاذة الشرعية البديلة: أيضًا ينزل منزلًا، ولابد أن يخاف منه، أيضًا يكون الوادي، أيضًا يكون الأودية، عندما ينزل منزلا في الحديث، عندما تنزل منزلا تقول: "أَعوذُ بكَلِماتِ الله التَّامَّاتِ مِن شَرّ ما خلقَ".

لكن أنت في نفسك من المؤكد أن هناك مشاعر الخوف، يعني ليس منزلك الذي تنزله دائمًا، ليس بيتك فبيتك عندما تدخل تقول : "بسم الله ولجنا"، لكن هنا عندما تنزل منزلًا ليس بيتك المقصود نفس الأمر، فالمكان الذي يُستعاذ فيه بالاستعاذة الشركية هو نفسه الذي يُستعاذ فيه بالاستعاذة الشرعية، نفس المكان.

لفظة الأستعاذة.

لفظة الاستعاذة الشركية: "أعوذ بسيد هذا الوادي".

لفظة الاستعاذة الشرعية البديلة : "أعوذ بكلمات الله التامات".

الأثر.

الأثر في الاستعاذة الشركية : ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

الأثر في الاستعاذة الشرعية: لم يضرّه شيء.

إذن الاستعاذة المشروعة هي ما كانت بالله، أو بأسماء الله وصفاته، فإذا علم الله من عبده يستعيذه ويأوي إليه، وعلم أنه ما استعاذ به إلَّا وقد عظم قدر ربه في قلبه، فعند ذلك يعيذه ويحميه من المخاوف، وينصره.

	المكان الذي يُستعاذ فيه	لفظة الاستعاذة	الأثر
الاستعاذة الشركية التي وصفت في سورة الجن.	عندما ينزل منزلا يخاف منه	أعوذ بسيد هذا الوادي	زادوهم رهقا
الاستعاذة الشرعية التي أتت في حديث خولة بنت حكيم –رضي الله عنها–	عندما ينزل منزلا يخاف منه	أعوذ بكلمات الله التامات	لم يضره شيء

كيف يدلّ الدليلان على أن الاستعاذة بغير الله شرك؟

- الدليل الأول في سورة الجن يدلّ على أنه من أفعال الشرك.
- والدليل الثاني دلّ على أن من أفعال التوحيد الاستعاذة بالله عز وجل.

الآن أنت تعرفين أنا لله عز وجل أبدلنا بالاستعاذة الشرعية عن الاستعاذة الشركية، دليل على أن ما مضى من استعاذة نوعها شركي، **فالله عز وجل أمر أن نستعيذ به، ونترك الاستعاذة بغيره.**

أمرنا بالاستعاذة به في حديث خولة بنت حكيم، ونهانا عن الاستعاذة بغيره لما أتى في سياق الذم.

حديث خولة بنت حكيم قد أأتي أقول أن الله أمرنا أن نستعيذ به، فعندما ننزل منزل نقول" أَعوذُ بكَلِماتِ الله التَّامَّاتِ مِن شَرّ ما خلقَ" فيقال لك نعم أمرنا أن نستعيذ به، لكن ما نهانا أن نستعيذ بغيره؟! فتأتي بآية سورة الجن لتفهم أنه نهانا أن نستعيذ بغيره، بل أتى في سياق الذم أن يُستعاذ بغيره.

الثلاث الخانات التي في الجدول تبيِّن لك الأمر جيدًا، وفي نفس الأماكن ؛ يعني الإنسان لو نزل أي منزل يقع في قلبه الخوف، فماذا يفعل؟ يستعيذ بالله من أجل أن يأمن، ويُمنع من الاستعاذ بغيره، لأنها أتت في سياق الذم، من أفعال أهل الجاهلية ويعلم أنه لو استعاذ بغيره ماذا يحصل؟ يزيده رهقا.

تأتي هنا مشكلة هي مشكلة هل الاستعاذة بغير الله كلها شرك؟ هذا تكليف عليكم، فالمسألة ليست خلافية بمعنى كلمة خلافية، لكن فيها أقوال، ابحثوا فيها، وأفضل شيء في كتاب التوحيد، ابحثوا في شرح كل من شرح كتاب التوحيد واخرجوا بجدول، قولوا مثلًا : الشيخ الفوزان قال كذا، الشيخ ... قال كذا، الشيخ صالح قال كذا، ما تستطيعون انقلوه واكتبوه خلف الدرس مباشرة، اتركوا صفحتان بعد الدرس، واجمعوا كل ما تجدونه، ثم إن شاء الله في لقائنا القادم تقرؤون ونتناقش وتخرجون بنتيجة تكتبونها في دفاتركم.

انتهينا الحمد لله من الباب هذا.

ننتقل الآن " باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره".

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره وقوله تعالى: (وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ)[٢١٤] الآية. وقوله: (فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ)[٢١٥] الآية. وقوله: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ)[٢١٦] الآيتان. وقوله: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ)[٢١٧].

[٢١٤] يونس:١٠٦،١٠٧

[٢١٥] العنكبوت:١٧

[٢١٦] الأحقاف:٥

[٢١٧] النمل:٦٢

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ: أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: " إِنَّهُ لاَ يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ عز وجلّ"[٢١٨].

أولًا نوجد العلاقة بين الاستعاذة والاستغاثة لربط هذا الباب بالباب السابق.

- ما هي الاستعاذة؟ الاستعاذة هو طلب دفع بلاء قبل وقوعه.
- الاستغاثة: طلب رفع البلاء بعد وقوعه.

ولا تنسي أن السين تدلّ على سين الطلب، ولا تنسى أن الطلب نوع من أنواع الدعاء، مباشرة هذه يتضح بها مباشرة أنها عبادة.

الاستغاثة السين سين طلب الغوث، طلبها سيكون فيه نداء، نداء مَن؟ نداء مَن يخلص من شدة.

ماذا في قلب المستغيث؟ الثقة بالمغيث.

هذا كله شرحنا **"من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره"**.

" الآن سؤال ما الفرق بين الاستغاثة والدعاء؟ قال بعض أهل العلم الفرق بين الاستغاثة والدعاء أن الاستغاثة لا تكون إلَّا من المكروب، أمَّا الدعاء فإنه أعم من ذلك إذ كان من المكروب وغيره، فبينهما عمومٌ وخصوص مطلق، يجتمعان دعاء المكروب.

– ما هما اللذان يجتمعان؟ الاستغاثة والدعاء يجتمعان في دعاء المكروب.–

وينفرد الدعاء عنها غير ذلك، **فكل استغاثةٍ دعاء وليس كل دعاءٍ استغاثة."**

سيكون هذا من باب عطف العام على الخاص.

- مَن العام؟ الدعاء.
- على الخاص: الاستغاثة.

الآن كم نقطة ناقشناها؟

⇦ ناقشنا أول شيء العلاقة بين الاستغاذة والاستغاثة.

⇦ ثم بدأنا في الاستغاثة، السين سين الطلب ومعناها طلب الغوث، معناها نداء، معناها نداء مَن يخلص من شدة، ويكون في قلبه الثقة في هذا المخلص.

⇦ ثم عدنا على اسم الباب قلنا " **من الشرك من يستغيث بغير الله أو يدعو غيره**"كونا علاقة بين الدعاء والاستغاثة.

انتهينا الآن من العنوان ومن ربطه بما مضى.

الآن نناقش الأدلة بالتفصيل.

[٢١٨] أخرجه الطبراني، كما في «جامع المسانيد» لابن كثير (١٤٠/٧)، من طريق سعيد بن عفير عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح عن عبادة به.

❖ الدليل الأول.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾[٢١٩] الآية.

انظري إلى الآية؛ الله عز وجل ماذا يقول؟ ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ما وصفه؟ ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾

إذن عندي أداة نهي "لا"؛ مَن المخاطب بالنهي هنا؟ الرسول صلى الله عليه وسلم، إذن نُهي النبي صلى الله عليه وسلم.

ما هو الشيء المنهي عنه في الآية؟ أن يدعو من دون الله.

ما علّة النهي؟ لماذا نُهي عن هذا؟ لأنه لا ينفع ولا يضرّ، وهذا هو وصف كل مخلوق، وصف كل مخلوق أنه لا ينفع ولا يضرّ.

ما نتيجة من خالف النهي؟ انظروا الآية ﴿ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ هذا النهي إن فعلته تكن من الظالمين، هل هذا الأمر ..، لا، لا يخصه، إنما هذا خطاب من بعده، في الآية تخويف لتعظيم من هو دونه.

هذه الآية الآن تتكلم عن دعاء أم تتكلم عن الاستغاثة؟ عن الدعاء بوضوح.

نناقش مسألة الدعاء كيف تكون عبادة وكيف تكون شركًا.

أولًا لابد أن تعلم أن الدعاء لما يرد في كتاب الله عز وجل يكون معناه دعاء العبادة ودعاء المسألة.

سأذكر لكم كلام ابن تيميه الذي ينص على هذا المعنى.

قال ابن تيميه – رحمه الله تعالى –: "الدُّعَاءِ وَالدَّعْوَةِ فِي الْقُرْآنِ يَتَنَاوَلُ مَعْنَيَيْنِ: دُعَاءَ الْعِبَادَةِ، وَدُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ"[٢٢٠].

إذن انظروا للآية ؛ ماذا يقول الله عز وجلّ؟ ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ بماذا تفسرينها؟ دعاء المسألة أم دعاء العبادة؟ دعاء العبادة.

نقرر القاعدة التي بعدها.

❖ أولًا فهمنا القاعدة الأولى التي ذكرناها في مسألة الدعاء؛ أن لفظ الدعاء في كتاب الله يتناول معنيين.

❖ القاعدة الثانية دعاء العبادة ودعاء المسألة متلازمان، وقد ورد المعنيان جميعًا لقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ ماذا يجيب النبي صلى الله عليه وسلم؟ ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٢٢١] هذه الآية بماذا يفسر الدعاء هنا؟

- قيل المعنى أعطيه إذا سألني.
- وقيل أثيبه إذا عبدني.

والقولان متلازمان.

نرى كلمة متلازمان؛ متلازمان يعني ستأتي كلمة الإسلام.

⇦ فدعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، يعني أن من صلى فيلزم من إنشاءه الصلاة يسأل الله القبول، ويسأل الله الثواب.

⇦ ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، يعني مَن سأل الله عز وجلّ شيئًا فهو داعٍ دعاء مسألة، وهذا متضمن لعبادة الله، لأن دعاء المسألة أحد أنواع العبادة.

---

[٢١٩] يونس:١٠٦،١٠٧

[٢٢٠] مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية" (١٠/ ٢٣٧ - ٢٤٠)

[٢٢١] البقرة:١٨٦

إذن لما تأتي إلى الآيات وتجدي فيها كلمة دعاء بماذا تفسريها؟ ستقولي أن دعاء العبادة ودعاء المسألة متلازمان.

الآن نقارن بين دعاء المسألة ودعاء العبادة.

"من جهة التعريف والمثال والكيفية"، وهذا كله بين يدي الآية، يعني من أجل أن نفهم الآية جيدًا نفهمها على دعاء العبادة وعلى دعاء المسألة.

- تعريف دعاء المسألة: طلب ما ينفع الداع لجلب منفعة أو كشف مضرّة وطلب الحاجات، هذا تعريف دعاء المسألة.
- تعريف دعاء العبادة: هو كل ما يتقرب به إلى الله من الأعمال الصالحة، طلبًا للثواب وخوفًا من العقاب.
- ومثال دعاء المسألة: أن يطلب من ربه صحة في بدنه، يطلب من ربه مثلًا مال، صلاح في ذريته.
- مثال دعاء العبادة: الصلاة، الذبح، النذر.
- كيفية دعاء المسألة: دعاء ربه وطلبه بلسان مقاله.
- كيفية دعاء العبادة: دعاء بلسان المقال فيه وصف للحال، واحد يقول "ربِّ إني لما أنزلت إلي من خير فقير"، هذا اسمه دعاء بلسان المقال فيه وصفٌ للحال، لكن الذي يدعو لسانك، دعاء بحالك يعني انت تكون منكسر، ذليل، مصلي، صائم، ترجو الثواب، وتخشى العقاب، تسأله القبول وأن يثيبك على فعلك.

وجه المقارنة	دعاء المسألة	دعاء العبادة
التعريف	طلب ما ينفع الداع لجلب منفعة أو كشف مضرّة وطلب الحاجات، هذا تعريف دعاء المسألة.	هو كل ما يتقرب به إلى الله من الأعمال الصالحة، طلبًا للثواب وخوفًا من العقاب.
مثال	أن يطلب من ربه صحة في بدنه، يطلب من ربه مثلًا مال، صلاح في ذريته.	الصلاة، الذبح، النذر.
كيفية الدعاء	دعاء ربه وطلبه بلسان مقاله.	دعاء بلسان المقال فيه وصف للحال.

الآن ننظر إلى الآية؛ نرى الآية لنرى ما وجه الشاهد، الشيخ يقول " **من الشرك أن يستغاث بغير الله، أو يدعو غير الله**" الآن سيظهر لنا أنه من الشرك أن يدعو غير الله في الآية، الله عز وجلّ يقول في هذه التي معنا ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أتى النهي الآن، ما وصفه أنه لا ينفع ولا يضرّ، ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ الظالمين هنا ما معناها؟ انت تعرفي أن الظلم له معاني:

- يظلم الإنسان نفسه بالشرك.
- أو يظلم نفسه بالمعاصي.
- أو يظلم غيره.

هنا سيكون ظلم لنفسه بالشرك، لماذا قلتم أنه يظلم نفسه بالشرك؟ الآية التي بعدها تدلّ؛ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾:

- ﴿وَإِن﴾ هذه أداة شرط.
- ﴿يَمْسَسْكَ﴾ فعل الشرط.
- لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ هو لرفع الفاعل.

﴿بِضُرٍ﴾ هذه نكرة في سياق الشرط، انت تعرفي أن النكرة في سياق الشر تعمّ، سنرى ماذا تعمّ.

أين الشرط وأين فعله وأين جوابه؟

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ هذا الشرط.

﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ هذا هو جواب الشرط.

﴿بِضُرٍ﴾ هذه نكرة، ليس إعرابها، أنا الذي يهمني الآن أنها أنك تعرفي أنها نكرة، نكرة في سياق الشرط، ماذا سيكون الناتج؟ تعمّ، تعمّ أنواع الضرّ سواء كان ضرّ في الدين أو ضرّ في الدنيا، في الدنيا من جهة الأبدان، من جهة الأموال، من جهة الأولاد، من جهة الأعراض، أي ضرّ في الدنيا أو في الدين مَن الذي يملكه؟ أنواع الضرّ كلها لا يملك كشفها إلَّا الله عز وجلّ.

إذن معنى ذلك؛ – هناك فعل شرط وهناك جواب شرط- ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ فقررت الآية أن الخير والشر والنفع والضرّ راجعٌ كله إلى الله، لا يشاركه في ذلك أحد كائنًا من كان، ولا يشاركه أحد أيضًا بكشف الضرّ على الحقيقة، ليس على الحقيقة أحد كاشف للضرّ إلَّا الله، لذلك أتى النهي عن دعاء غيره.

أين أتى النهي عن دعاء غيره؟ الآية التي مضت، الآية التي مضت الله عز وجلّ نهي النبي صلى الله عليه وسلم؛ الآية تقول ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ وصف من تدعو –كل أحد تدعوه – وصفه أنه لا ينفع ولا يضرّ، إذا فعلت ودعوته تكن من الظالمين، إذن إلى أين يتجه قلبك [وقت ما تصاب، وقت ما تريد، وقت ما تحتاج]؟ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ **مادام إذا مسك ضرّ لا يكشفه إلَّا الله إذن انت إذا مسك ضر لا تدعو إلَّا الله**، يعني انت تعرف هذه المعلومة أنه إذا مسك ضرّ لا يكشفه إلَّا الله إذن لا تدعو إلَّا الله.

انظري مرة أخرى للآيتين معًا وقولي لي هذه الآية تنفع في الدعاء أم تنفع في الاستغاثة؟

انتم اخذتم الأول الفرق بين الدعاء والاستغاثة:

⇦ إذا قلتم أنها نفعت في الدعاء ليس شرطًا أنها تنفع في الاستغاثة.

⇦ لكن لو قلت نفعت في الاستغاثة ستكون تنفع في الدعاء.

إذن ماذا ستقولون؟ هذا دليل على الاستغاثة، لأنه يتكلم عن الضرّ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ هذه الآية فيها توجيه لمن أصيب بكرب أنه لا يستغيث ولا يدعو إلَّا الله، لماذا؟ لأنه لا يكشف الضرّ إلَّا الله، فإذا كان لا يكشف الضرّ إلَّا الله – هذا وصف الله – إذا كان كل أحد غير الله لا ينفع ولا يضرّ إذن دعاءك لغير الله – يعني دعاءك لمن لا ينفع ولا يضرّ – ماذا سيكون؟ ظلم، أول شيء لابد أن نبدأ بكلمة ظلم – الآية واضحة في الترتيب المنطقي، أكملوا هذه الجملة ثم نرجع للآية-

سيكون دعاءك لمن لا ينفع ولا يضرّ ظلم، لماذا ظلم؟ لأنه وضع الشيء في غير موضعه، الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ماذا مطلوب منك الآن؟ أن تضع كل شيء في موضعه، تعال فكر في الحياة كلها؛ انت لما الله عز وجلّ يعطيك نعم تضعها في غير موضعها تكون ظلمت نفسك، بماذا ظلمت نفسك؟ بالمعاصي، استعنت بنعمة الله على معصيته، أين معصيته؟ أن الذي أعطاك إياه من نعمة وضعته في غير موضعه.

تعال الآن **انظر إلى نوع أخر من الظلم؛ تأتي إلى وصف الناقص وتطلب منه ما لا يطلب إلَّا من الكامل وتترك الطلب من الكامل**، هذا ظلم، أين الظلم؟ أنك ساويت الناقص بالكامل، ساويته من أي جهة؟ من جهة طلبك انت، عندما طلبت من الناقص ما يطلب من الكامل ساويت الناقص بالكامل.

انظر إلى الآية مرة أخرى؛ الآية ماذا تقول؟ تنهاك ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ لا تطلب من أي أحد غير الله، ما وصف كل أحد غير الله؟ وصفه أنه لا ينفعك ولا يضرّك – هذا وصفه –، إذا فعلت هذا الفعل انت ظالم، لماذا انت ظالم؟ لأنه ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ فإذن انت لو وقعت في ضرّ لا تدعو من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرّك، اطلب ممن يكشف الضرّ على الحقيقة، ممن أوقعه أبتلاءً وكشفه رحمه.

لابد أن تتصور هذا؛ أن الله عز وجلّ أوقع الضرّ عليك إبتلاءً وكشفه لك الضرّ رحمة، وعلى هذا تفهم ما هي الحياة، الحياة كلها اختبار لتوحيدك، اختبار التوحيد لما ينزل عليك الضرّ – أيّان كان الضرّ– تعلم أنه لا كاشف للضرّ إلَّا الله، ولا تطرق باب أحد غيره، ولا تزيد هموم نفسك بطرق باب غيره، ولا حتى تزيد هموم غيرك.

== ما سأقوله الآن استطراد، لكن استطراد مهم ليفهمك المعنى ==

الآن نحن متفقين أن كل كشف ضرّ لا يكون إلَّا من الله، لكن لما تأتي إلى أرض الواقع قد تتصور خلاف هذا الأمر، أو قد لا تظهر لك هذه الحقيقة هذه جيدًا، وهذا الذي حاصل لكثير من الناس، أنه ليس ظاهرًا لهم حقيقة أنه لا كاشف للضرّ إلَّا الله، **من أجل أن تتبيَّن لك هذه المسألة جيدًا أعلم أن طرق كشف الله للضرّ بين التسخير والألطاف**، ما معنى هذا؟

سنرى الآن التسخير ما هو؟ بأن يلهم الله العبد طريقًا لكشف الضرّ، لما يلهمك طريق لكشف الضرّ – نسأل الله عز وجلّ أن يكشف الضرّ عن المسلمين، وأن يرفع عنهم جهلهم وينشر بينهم العلم والتوحيد وأن يجعلني ويجعلكم سببًا لذلك اللهم آمين – لما يكشف الضرّ انت تكون دخلت في التخطيط، يعني مثلًا تخطط لمسألة فتأتي تتصور أنك انت الذي كشفت عن نفسك الضرّ، لا ، يجب أن تفهم أن الله عز وجلّ هو الذي قدح في عقلك هذه الفكرة، ثم نأتي نبني للمجهول هذه الفكرة، ونقول تعابير – قدحت في عقلي فكرة – قدحت في عقلك فكرة من قدحها؟!، لما تتكلم لا تفكر هذا التفكير، لما تقول أتى في عقلي فكرة – كما تعبرون – أتى في عقلي فكرة فمن الذي أتى بها؟!، جاء هذا فعل يعني أتت على رجليها؟ كيف جاءت؟!، لابد أن تفكر، مثلما نقول قلبي يدق، الرئة تتنفس، هذه الأفعال يجب أن تبحث ما وراءها، لا تجعلها مسلَّمات عندك ولا تفتش وراء هذه الأفعال، وتجعل أفعال كثيرة مبنية للمجهول، أو مبنية للا معقول، كيف القلب يدق، ثم أنه لو توقف عن الدق لا يستطيع، كيف جاءت الفكرة؟!، من أين أتت لك الفكرة؟!.

إذن أعرف أن الله عز وجلّ يكشف الضرّ بالتسخير، التسخير ما معناه؟ يأتي في عقلك فكرة يلهمك الله إياها فتجعل لك مخرجا.

الناس يضاربوك لما تقول لهم فوض أمرك لله، لما يأتيك الضرّ فوض أمرك لله، فوض أمرك لله يلهمك الله رشدك، تريد أكثر من إلهام الرشد؟!، لكن الناس مستعجلين، يعني غالب هؤلاء الناس راسبين في التوحيد، لما يأتيهم الضرّ لا يشعرون أنه لا كاشف للضرّ إلَّا الله، هذه الآية لا يملّ من شرحها بالتكرار، لا يملّ، نحتاج كل وقت أن نضع أمام أعيننا أنه لا كاشف للضرّ على الحقيقة إلَّا الله ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ هو الذي ابتلاك بنزول الضرّ اختبار إلى مَن ستلجأ؛ هذا نوع التسخير.

النوع الثاني: بالألطاف.

ما معنى بالألطاف؟ بأن يلطف الله بالعبد فيسوق إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر، وإذا أردت على هذا مثالًا فانظر إلى يوسف عليه السلام، فترى في تنقلات حياته من ذلٍ إلى عز، ومن رقٍ إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماعٍ وائتلاف.

إذن متبيِّن لكم أنه لا كاشف للضرّ إلَّا الله، لكن كشفه سبحانه وتعالى للضرّ يكون بصورتين:

- أمَّا أن يسخر لك.
- وأمَّا أن يعاملك بلطفه.

⇦ التسخير: نوع من الألطاف، لكن التسخير يظهر فيه كأن هناك واحد في الوسط، كأن هذا العبد قام بهذا الفعل.

⇦ والألطاف: ليس فيه لأحد يد، ألطاف الله تأخذك من هنا إلى هنا وتنشرح صدور الناس وتفتح الأبواب بدون أن تشعر، لكن لا يغرك لما يأتي التسخير لا تتصور أنك انت الذي أتيت بالفكرة!.

التسخير نوع من أنواع معاملة الله عز وجلّ بلطفه، نوع من أنواع الألطاف، يعني يجتمع، يلطف بنا يعني تتوالى النعم علينا.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: تسمعون هذا السؤال؟ واحد ظلمنا، هذه الصورة متكررة، نحن بين أمرين: بين أن نطلب منه مباشرة وبين أن نطلب ممن يملك قلبه، كلما قوي توحيدك كلما تركت مطالبة الناس ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾يزيد قوتك هذا الأمر.

ومن أجل هذا أقول لكم هذه الآية تحتاج منك أن ماذا تفعلين؟ ابحثي عن معانيها في التفسير واجمعيه في دفتر خارجي، يعني أريدك الآن وانتم في سنة أولى مشوارنا طويل، العلم هذا بحر، تعرف ما معنى بحر؟ يعني تسبحي ولا تعرفي إذا انت تمكنتي من السباحة أم لا، لا بأس اترك وراءك، اقول لكم هذا الكلام اترك وراءك، لا تعرفوا من ينتفع بكم، مَن يحتاج لكم، متى يحتاج لكم، هذا كله انتم لا تعرفوه، ولا تشعروا أنفسكم أنكم غدًا سنكون دعاه، لا، هذا الكلام أجعلوه بعيد عن أذهانكم، اجعلوا تركيزكم أنكم تبنون أنفسكم وربنا سيسددكم للمكان المناسب في الوقت المناسب.

من بين الأفكار المهمة لطالب العلم وهو سائر في الطلب أن يعمل لنفسه دفتر محاضرات مهمة أو مواضيع مهمة تصبح بعد ذلك محاضرات، اجمع فيها ما تستطيع واترك مثلًا ١٥ صفحة لكل موضوع، حتى إذا ما أكتمل ١٥ صفحة اتركيه، ثم ضعي فاصل وابدئي في الموضوع الثاني الذي تريه مهمًا، هذا الآن مثلًا أول موضوع تضعيه تفسير هذه الآية اكتب قوله تعالى ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ وأخرجيها من التفاسير التي تيسرت لك، واتركيها، كلما أتى حول هذا الموضوع كلام لأهل العلم أو مثلًا وجدتي عبارة اذهبي ضعيها في نفس هذا المكان بدون ترتيب، ليس له علاقة بالترتيب الآن، فقط اجعليه مكان تستفرغي فيه كل ما تجديه حول هذا الأمر، وستنتفعي انت قبل أي أحد، وربما تركتيه وراءك فانتفع به غيرك.

كتاب التوحيد أصلًا عبارة عن مذكرة للشيخ، في أحد الأقوال أن كتاب التوحيد هذا عبارة عن أنه كان يدرس كتاب التوحيد نفسه فكان عبارة عن مذكرة فيكتب أن هذه الأدلة سأناقشها مع طلابي ثم تأتي المسائل، سأشرح لهم كذا، سأقول لهم كذا، سأبيِّن لهم

كذا، هذه المذكرة انظري لها الآن ماذا تعتبر! أمر عجيب!، لكن هو على قدر الصدق والإخلاص، فانت لا نريدكم تنتفخوا ولا نريدكم تستقلوا، كونكم تفهموا آية من كتاب الله ستدخلون تحت " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً"، فالتبليغ الآن بالكتابة أمر سهل، اكتب واجمع لك دفترًا خاصًا بهذا اجمعي فيه قدر ما استطعتي.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: قلت لك من أول الكلام لا بأس خذي بالسبب، الناس مستويات ودرجات، **كلما زاد توحيدك كلما ذهبت إلى ربّ الأسباب**، تأتي لحظات من الظلم يصبر الإنسان ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾[٢٢٢] ويتقيّ ويصبر وينتظر فرج الله، لما ينتظر فرج الله سيأتيه أحسن مما كان راسمًا ومخططا، عندما يكون عجول انتهى يستاهل ما يأتي له.

ثم أن الدنيا – سبحان الله – يوقع الظلم عليك ما أوقع الظلم عليك إلَّا وفي قلبه فيه جبروت كيف ترجع تخافه؟!، كيف؟!، نادرًا ما تأتي منه استجابة، سيسير على نفس المنوال وإذا ما كان أكثر أيضًا عنادًا وظلما، لماذا تعرض نفسك لمثل هذا؟!، قف عند باب الله، انتم كونوا أكثر ثقة بالله، مشكلتنا أننا أقل ثقة، كلما مدى ما قلت ثقتنا بالله عز وجلّ وتزيد ثقتنا بالأسباب.

نأخذ إلى الدليل الثاني، ومازال عندنا نفس السؤال؛ ما حكم الاستغاثة بالمخلوقين لكن ليس الآن بل في نهاية الباب، نحن نسير إلى أن نمتلأ من الأدلة، ثم لما نمتلأ من الأدلة ثم نبدأ نستطيع أن نتوازن ونفهم ماذا يكون في قلبي، ونفهم كيف الاستعاذة بالمخلوقين تكون.

❖ الدليل الثاني.

وقوله: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾[٢٢٣] الآية.

وهذه الآية تحتاج إلى نشر متكرر، اليوم انت تسمعين عن البطالة، وعن الشباب الذين ليس لهم أعمال، لا تتحسري كثيرًا عليهم بل تحسري على توحيدهم وتوحيد أهلهم، هذا الذي يُتحسر عليه، أنه طوال الوقت يكلموك أنه ليس عندهم أعمال إذن ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ هو الذي يعطي الرزق.

ماذا تقولين في قوله تعالى ﴿فَابْتَغُوا﴾ هذا فعل أمر، فعل أمر مادام ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ يعني أمرك بذلك يعني عبادة من العبادات أن تبتغي من عنده الرزق.

﴿فَابْتَغُوا﴾ مَن الذي يبتغي؟ كل العباد يبتغون عند الله الرزق.

أصل الجملة هذه كيف؟ "أبتغوا الرزق عند الله"، ماذا حصل؟ قدم الظرف، ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ قدم، تقديم ما حقه التأخير في اللغة ماذا يفيد؟ الحصر، تقديم ما حقه التأخير في اللغة يفيد الحصر والاختصاص.

مثل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢٢٤] هي نعبدك نستعين بك، فلما قدمت حصرت:

- يعني ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني نعبدك وحدك.
- ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يعني نستعين لك وحدك.

---

[٢٢٢] يوسف:٩٠

[٢٢٣] العنكبوت:١٧

[٢٢٤] الفاتحة:٥

إذن إذا قدم ما حقه التأخير وأفادنا الأختصاص، فالجملة معناها: **انتم مأمورون بأبتغاء الرزق، وخصّوا الله بهذا الابتغاء**، يعني لا تبتغوا الرزق إلَّا عند الله.

والرزق – نعلق على الرزق الآن – ورزق الله لعباده نوعان:

- رزقٌ عام: وهو يشمل البر والفاجر، والأولين والأخرين، وهو رزق الأبدان بالصحة، والأولاد، والمال، وكل ما يحتاجه الإنسان لمعايشة الحياة.
- رزقٌ خاص: رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان، والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين. – يعني الرزق الخاص رزق القلوب والرزق الحلال، نوعان من الرزق–.

مرة أخرى؛ رزقٌ خاص هو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان، والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين وهذا خاص بالمؤمنين على مراتبهم منه، يعني المؤمنين لهم مراتب أصلًا في رزق القلب بالإيمان، ولهم مراتب في رزق الحلال.

ما علاقة هذه الآية بالدعاء والاستغاثة؟ الاستغاثة والدعاء هما أعظم ما يتعلّق به حال طلب الرزق، لأن طلب الرزق قوام حياة البدن فيصل العبد في حاجته للرزق حال الاستغاثة.

– يعني يمر على حال الدعاء ويصل إلى حال الاستغاثة، يعني في طلب الرزق الإنسان يمر بالحالتين من طلب الدعاء إلى الاستغاثة –

انظر إلى حال المستسقين فإنهم يستغيثون طالبين الغيث، حتى المطر اسمه غيث، نوع من أنواع الاغاثة، فأصبح فهم الشيخ أنه أتى بالرزق في باب الاستغاثة، لأن الإنسان في حاجة إلى طعامه وشرابه وما يقوم بدنه لدرجة أنه يستغيث من أجله، فتأتي صلاة الاستسقاء نوع من أنواع الإغاثة، اغاثة يطلبون الرزق، فمن أجل أن يفهمك أنه المفروض أن لا تدعي إلَّا الله ولا تستغيث إلَّا بالله أتى بقوله تعالى ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ما علاقته بالاستغاثة؟ لأن طلب الرزق أعلى مواطن الدعاء والاستغاثه، يعني الدعاء والاستغاثة تعملان في طلب الأرزاق.

يبقى تنبيه لكم – بناتي – في مسألة الأرزاق أنه من أكثر تقصير يحصل عند طالبات العلم قلة دعاءها واستغاثتها بالله أن تطلب زوجًا صالحا، يعني مما يعيب طالبات العلم أنهن قليلات الدعاء والطلب للزوج الصالح، إذا ما استغثت الله طالبة الزوج الصالح سيأتيك الزوج الغير صالح، أو ستترك هذه المنفعة العظيمة التي من وراءها أبناء، وراءها نشر التوحيد، الأسر الصغيرة التي هي أسر النواة التي بعدها يأتي الخير الكثير.

لا تنظر إلى الزواج بالنظرة العامة التي ينظرون لها الناس بها، لا يدخلك بينك وبين الله الحياء في طلب هذا ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾لابد أن تظهري حاجتك إلى زوج يكون سببًا لنشر الدين على الأقل في هذه الخلية الصغيرة، اطلب من يعينك على أمر الدين بدل ما يأتيك واحد لا يعينك لا على أمر الدين ولا على أمر الدنيا، استغيثوا بالله، لأن قلة صلاح الرجال مع قلة صلاح النساء أورث الخلل الذي نراه الآن!، انظري المراهقين في عمر ١٤ و١٦ وانظري لحالهم في الأسواق، انظري لأحوالهم شيء مبكي لماذا؟ لأنه لا أب ولا أم.

فإذا انت ما اجتهدتي في الدعاء أمَّا واحد من اثنين أمَّا لا يحصل لك هذا الأمر ويفوتك خير كثير، لا تشعري نفسك لا أنك مستغنية عن مثل هذا الأمر، لا تشعري نفسك بهذا، الزوج نوعًا من الأرزاق، والله عز وجلّ الذي جعله فطرة، فطرة النساء مبنية على هذا، وفطرة الرجل أيضًا مبنية على هذا.

لا أعرف بماذا يفسر هذا استغناء عن الله، أم برود، أم إحساس أن هذا أمرٌ معيب، أم شوق إلى هذا ورغبة فيه لكن بدون دعاء، كل هذا أمور معيبة، إذا كنت ذات زوج استغيثت بالله يصلحه لك، إن لم تكوني ذات زوج اطلب من الله، استغيث، ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ اطلب منه، لأن الأزواج الصالحين الآن بركة، بركة على المرأة، وبركة على أولادها، وبركة على أهلها، وهي تصبح – المرأة الصالحة – بركة على أهل زوجها، وعلى الرجل تأتي من وراءه الخيرات، لا تضعوا الصلاح في الرجل على أن يكون طالب علم، لا تضعوا الصلاح على هذا، هذا خطأ، هذه من المقاييس الفاسدة، لك رزقك هو الخير والبركة انت فقط اطلب الله، اطلب من الله، اطلب منه أن يرزقك زوجًا يعينك على أمر دينك ودنياك، إذا طلبتيه بهذه الصورة سيأتي الذي يناسبك سواء كان طالب علم أو غير ذلك.

ربما في أحيان كثيرة انت لا تستمري في الطلب إلَّا إذا كان الطرف الأخر ليس طالب علم، أو بالعكس هناك ناس لا يستطيعون أن يستمرون بالطلب إلَّا إذا كان زوجها طالب علم يدفعها من وراءها إلى أن تستمر، كل واحد فينا حالته مختلفة.

لكن لابد – وانظروا فعل الأمر ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ فابتغوا يعني انتم مأمورين أمرًا أن أرزاقكم تطلبوها من الله، والزوج هذا واحد من الأرزاق، لا تستبعديه ولا تعاملي الله عز وجل باليأس، هذا كله خطأ، إذا الله عز وجل لم يكن كاتبًا لك زوج في الدنيا، دعاءك نفسه هذا نوع من أنواع القربة إلى الله.

لا تكونوا من طالبات العلم اللاتي يعبن عليهن تركهن للمهمة الأساسية، لا تتصوري أبدًا أبدًا أبدًا أن الطلب يزاحم الزواج، لا يزاحمه أبدًا، بالعكس الزواج أحد من أسباب ترتيب أوراق طالبة العلم، بدل ما انتم ضائعين وفي البيت لستم مسؤولات عن أحد تصبحوا ضائعين حتى في الطلب تصبحون ضائعين، لكن لما تأتي المسؤوليات لا تتصورون كيف تأتي البركات من الله عز وجلّ.

ليس أمر مستعبد، بالعكس، في هذا الوقت ستكوني انت في حرقة شديدة على أوقاتك، حتى عطائك للناس يكون مختلف، حتى مشاعرك تجاه الناس يختلف من تحمل المسؤولية، الإنسان الذي يبني بيت يتحمل مسؤولية، وإنسان لما يخرج يذوق طعم عدم تحمل المسؤولية.

على كل حال؛ مسائل لا تعد لطالبة العلم خصوصًا، زائد عن غيرها، يعني المجتمع كله بحاجة إلى الزواج والزواج المبكر أيضًا، لكن انتم يا طالبات العلم الحاجة أخصّ لكن، كونكم تطلبون من الله هذا الأمر هذا سبب – اسأل الله عز وجل أن يجعله سببًا لكم لزيادة بركتكن–، وإن كان لا بأس في أول وثاني سنة لا تكون الحياة متزنة ذاك الاتزان، وتشعري كأنك تشتتي، لا بأس، هذا لكن هذا فقط كأن واحد يخرج من الشاطىء يركب قارب، ركوب القارب دائمًا لا يكون متزن، والذي يفهم هذا الشيء يعرف المعنى تمام، أول قدم تضعيها في القارب لا تكن متزنة، إلى أن تقفي وتتزني ثم ستعودي مادام صحيح في قلبك محبة للطلب.

اسأل الله عز وجل أن يرزقكن أزواجًا صالحين يكونوا سبب لاعانتكن على دينكن ودنياكم، واسأله سبحانه وتعالى أن يجعلكن لبنة جيدة لبناء مجتمع لأن إذا الصلاح ما عندهم أبناء وما ربوا أبناء، مَن الذين سيربون الأبناء؟!، ليس شرطًا أن يكون طالب علم، انت الآن انظري للمجتمع، يادوب واحد يصلي جزاه الله خير، هذا أأتوا به فقط.

شرح كتاب التوحيد ١٤٢٩هـ.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٢٢٥].

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اسأل الله عز وجلّ أن يجعلنا من الشاكرين الذاكرين على نعمائه، وأخصُّ النعم أن يعلمك الله عنه، وأن يجعل قلبك لا يلتفت لغيره.

نسأله سبحانه وتعالى أن يجعل تعلمنا للتوحيد سببا لعدم التفات قلوبنا إلى غيره .. اللهم آمين.

من نعمة الله أننا لازلنا ندرس كتاب التوحيد؛ لازلنا ندرس باب **"من الشرك أن يستغاث بغير الله أو يدعى غيره"**؛ وهذا الباب جمع فيه المؤلف بين الاستغاثة والدعاء.

السؤال ما السبب الذي من أجله يُجمع بين الاستغاثة والدعاء؟ بصورة أخرى هذا السؤال معناه: ما العلاقة بين الاستغاثة والدعاء؟

رد من الطالبات: هذا من باب عطف العام على الخاص.

قالت الأستاذة – حفظها الله – : من باب عطف العام على الخاص.أم الخاص على العام؟ أصلًا لا تقولوا هذه العبارة، تخيلي شخص أول مرة يسمع هذا الكلام، لماذا تقولين له العام على الخاص، أو الخاص على العام، نحن عندما شرحنا هذا الكلام، شرحناه ثم بعد ذلك ذكرنا العام على الخاص والخاص على العام في النهاية لكن أفهميني كأنني أول مرة أسمع الكلام؛

أفهميني ما العلاقة بين الاستغاثة والدعاء؟ الاستغاثة نوع من أنواع الدعاء، فالدعاء يكون في الشدة ويكون في الرخاء أيضًا، **في وقت الشدة الدعاء اسمه استغاثة**، هذا بصورة عامة.

فنحن طوال الوقت نقول لك: ادع، أي شيء تريده وترجوه من أجل أن تحصله مطلوب منك تدعو، وعندما تصاب بضرّ ماذا يحصل منك؟ استغاثة.

على كل حال هذا الباب – الله اعلم، هذا في وجهة نظري – أنه من أهم الأبواب التي يجب أن تطرح على عامة الناس لذلك يجب أن تستوعبيه، ونقضي فيه الزمن المناسب، وحتى لو كان طويل نسبيًا لا بأس، المهم أن تستوعبوه بتفاصيله، فنحن بأمس الحاجة إليه، وأيضًا لا بد أن يدخل إلى أعماقك لتستطيع إرساله بسهولة.

هذا أول تعليق على اسم الباب: **"من الشرك أن يستغاث بغير الله أو يدعى غيره"**، كونت علاقة بين الاستغاثة والدعاء، انت الآن مأمور عبادة مأمور بها، أن تبقى داعيًا لله، طالبًا منه، إذا تركت الدعاء غضب الله عليك، فلابد طوال الوقت يجب أن يكون حالك [داع، طالب] طوال الوقت وهذا من عجيب المسائل أنك مأمور أن تطلب طوال الوقت.

نضرب مثال انت مثلا تصعدين على الدرج – مع الفوارق في العمر – الشاب يشعر أنه يستطيع أن يصعد، والأكبر قليلًا يجد نفسه فيه شيء من الصعوبة، فانت سواء كنت شابًا أو كبير لابد وانت صاعد – وانت تطلع الدرج، تصوري هذه الصورة- المفروض أنك تستعين، وتطلب من الله العون.

الآن انت تكتب؛ سواء كنت من طلبة العلم اليسيرة عليهم الكتابة، ولهم سنوات يكتبون، أم سواء انت مبتدىء، الكتابة فعل لا بد فيه من الاستعانة، **الاستعانة هي طلب العون، يعني دعاء.**

---

[٢٢٥] بداية لقاء جديد لاحق لتكملة الباب؛ تم جمع التسجيل بهذه الطريقة لمواصلة الباب كله وعدم تجزئته.

فانت الآن لا تغضب الله عليك، لا تفعل هذا الفعل في نفسك وتغضب الله عليك، وتشعر نفسك أنك في غنى عنك، **هذا عدوك الذي يشعرك أنك في غنى عن الله**، الذي يقول لك هذا موضوع تافه، لا يستحق أن تحمل همّه وتقول يا رب ⇦ أول ما تسمع هذا الكلام مباشرة استغفر، وعُدّ إلى الله، وتبّ إليه، وقل يا رب أنا فقير ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٢٢٦]، املأ قلبك بالاستعانة، اطلب العون في هذا الأمر عندما تشعر نفسك أنك في غنى في هذه اللحظة لا بد أن تستعين مباشرة.

فعدوك بين أمرين:

⇦ بين إغفالك: يغفلك عن طلب العون.

⇦ أو يشعرك أنك في غنى عن الله، يوقع في قلبك الاستغناء، بأن هذه المسألة سهلة، هذه مسألة بسيطة، لا أحتاج أن أستعين فيها.

طلب العون هو الدعاء الدائم الذي انت فيه، لا تكن سفيهًا مثل ما يقول السفهاء دعونا ودعونا!، لا تكن سفيهًا، عندما تأتي تقول أنا دعوت! لا ليست هكذا القضية، لابد أن تبقى داعيًا بعدد تقلباتك، بعدد تقلبك.

انظري لآية محمد يقول الله عز وجلّ فيها: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[٢٢٧] يجب أن تفهم الرابط بين المفاهيم الثلاثة:

- تعلم أنه لا إله إلَّا الله.
- تستغفر لذنبك.
- وأيضًا تفهم أن الله يعلم متقلبك ومثواك.

كل هذه مفاهيم على بعض، لا تعظم إلَّا هو، لا تتعلق إلَّا به، والعمل: استغفره، والعلم: أنه يعلم متقلبك في النهار ومثواك في الليل، علمه هذا يجعلك ماذا تفعل؟ تبقى له طالبًا، اطلب منه أن يعينك، اطلب منه أن يوفقك، اطلب منه أن يسددك، اطلب منه أن يغفر لك، لأنك تأتيك اللحظات الطويلة في متقلبك ومثواك غافل.

على كل حال؛ لا بد أن يقع في قلوبكم قيمة الدعاء، ولا بد أن تخرجوا أنفسكم من وصف الخاسرين، المستكبرين؛ ما وصف الخاسرين المستكبرين؟ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ هذان مفهومان لا بد من بقائهما في ذهنك فعلك ﴿ادْعُونِي﴾ وعطاء الله ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

هذا الذي يجب أن تعتقده: **انت عليك فعل الدعاء، والله عز وجلّ وعدك بالإجابة.**

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ إذن هذا هو فعل الخسار، ترك الدعاء دليل الاستكبار، فالاستكبار مبني على الاستغناء، وهذه مشكلتنا عندما تأتينا النعم، تعرف لما تأتينا النعم؟ صفي شخص سفيه لا يعرف ربه إلَّا وقت الحاجات، صفي كيف يكون تصرفه أول ما تأتيه النعمة؟ يفرح بها، أفهميني ما معنى يفرح بها – قولي لي عن دقائق مشاعره– ؟ يشعر أن هذه النعمة فرح بها بمعنى أنها أورثته مشاعر الاستغناء، وأتاه مراده، فيدعو الله يقول له ماذا؟!، لا يحتاج لذلك، لا يحتاج أن يدعو الله، فمراده وصله،

---

[٢٢٦] القصص:٢٤

[٢٢٧] محمد:١٩

فعندما يسجد يشعر أنه لا يوجد شيء!، أكيد هذه المشاعر تمر على العبد، من المؤكد أنها تمر على العبد، أنه انتهى، كان عنده همّ ثم ذهب فانتهى الموضوع، **من أجل ذلك كان الفرح كبيرة – المسمى بالفرح المذموم –** لأنها تورث ماذا؟ لأن هذا الفرح عبارة عن مشاعر إظهار السرور ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾[٢٢٨] فكل تفكيره في الدنيا، ثم بعد أن كان في أهله مسرورا ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾[٢٢٩] يعني ظنّ أنه لن يعود إلى ربه، كيف يركب هذان المعنيان معا؟ لماذا يأتي بعد ﴿مَسْرُورًا﴾ أن في ظنه واعتقاده أنه لن يعود إلى ربه؟ لأن الإنسان يكون شاعر أن هذا الأمر الذي يحبه هو الذي يحتاجه في الدنيا، فعندما يتحصل له يدخل إلى قلبه السرور، وعندما يدخل إلى قلبه السرور يشعر أنه لا يوجد شيء آخر يحتاج إليه، فمعناه إذا كان يشعر أنه لا يوجد شيء آخر يحتاج إليه، وماذا عن الآخرة؟!، ونعيمها؟! هذا من جهة، ومن جهة أخرى والآخرة؟!، وعذابها؟!، أين همومك في هذه؟ أين همومك؟!، فكأن هذا الفرح المذموم يكشف عن الهموم، يكشف عن همومك ما هي؛ **فانتبه عندما تأتيك نعمة كنت تنتظرها زمنًا طويلا – انتبه لمشاعرك لحظتها– لا تدخل عليك مشاعر الفرح المذموم**، بل انظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما انتصر هذه كانت غاية الآمال أن تفتح مكة، مكة هي بلد النبي صلى الله عليه وسلم المحبوبة، موطنه، ثم إن مكة ليست كأي مكان، بالإضافة إلى أنها موطنه، هي ليست كأي مكان، ففيها بيت الله، وفيها المشاعر الحرام، المهم أن فتح مكة كان غاية الأماني، انظري كيف عندما أتت غاية الأماني.

صفي كيف دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة لما بلغ غاية الأماني؟ مطأطأ رأسه، انظري هذه المشاعر هي زيادة الذلّ، فانت عندما يأتيك ما تحبه، لا تنكد على نفسك – لا تفهموا خطأ– لا تأتي لنفسك وتنكد عليها لا، بل يزيد ذلك لله وانكسارك، تتملكك مشاعر شدة حاجتك لله، وتبقى متفكرا، سبحان مَن منّ، سبحان مَن لطف، سبحان مَن دبر، سبحان مَن سخر، وهذه النعمة التي وصلت يكون تعاملك معها تعامل مَن وهبه سيده نعمة فبقي قلبه معلقٌ بشكر سيده.

الآن لو أتيت لك بهدية بيدي اليمين، الأدب عندك وعند الناس، هو أن لا يلتفت نظرك للهدية، بقدر ما يلتفت نظرك علي أنا من أعطيتك، أليس هذا الأدب؟ وتبقى لي شاكرًا، ثم حتى لو أخذت الهدية ماذا تفعل بها؟ تضعها جانبًا وتنتظر لتشكرني، أليس هذا الأدب؟!، تصور هذا في عطايا الله؛ لو أخذتها من يدي وذهبت، أليس هذا سوء أدب؟! هذه نفس المشاعر، الذي يهبه الله عز وجلّ هدية – يهبه عطاء– بدل من أن يكون لربه شاكرًا، ذليلًا، متفكرا؛ يكون عنه معرضا.

لذلك مشاعر كونك تدعو، ودائمًا تسأل، ودائمًا تطلب، هذه مشاعر لا تنفك عنها، وإلا إذا انفككت عنها ستدخل في التكبر، لا تنفك أبدًا عن مشاعر أنك محتاج.

لذلك انظر؛

- فلان نقص عليه نقص في أولاده، لماذا؟ ليبقى محتاج إلى الله.
- فلان نقص عليه في ماله، لماذا؟ ليبقى محتاج إلى الله.
- فلان الشيطان وسوس له وتملكه، لماذا؟ ليبقى منكسر بين يدي الله.

---

[٢٢٨] الانشقاق: ١٣

[٢٢٩] الانشقاق:١٤

⇦ وفلان حصل له كذا، لماذا؟ ليبقى منكسر.

تعال خذ الناس كما يعبرون بشريحة عرضية في حياتهم وانظر مَن هذا الذي لم يُصب بأذى؟!، لا تقل أبدًا لو كان بلائي مثل بلاء فلان لكنت صبرت! ⇦ لا تقل هذا الكلام، لأن بلاءك الذي جاءك في نقطة ضعف لك، وهو بلاءه الذي جاءه في نقطة ضعف، فكما أن بلواك في نقطة ضعفك، أيضًا بلواه في نقطة ضعفه، فهي نفس درجة الألم؛

- إلَّا أن شخص يقوي نقطة ضعفه بقوة تفويضه إلى الله
- وآخر يترك نقطة ضعفه كما هي.

لذلك لا بد أن تبقى لاهجا، بماذا؟ بـ "يا رب، يا رب" طوال الوقت، وهذه من أعظم أنواع الذكر، من أعظم أنواع الذكر أن تبقى داعيًا، منكسرًا، متذللًا، محتاجا.

انظري لموسى عليه السلام، انظري لهذا الدعاء: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ انظري كيف تصف حالك أنني أنا فقير يا رب، **فطوال الوقت يجب أن تشعر أنك فقير، ولا يأتيك عطاء من الله، وبعد أن يعطيك الله، فتفرح الفرح الذي يجعلك تستغني عن الله**، هذا المفهوم لا بد أن يتكرر على أذهانكم، لأن هذه هي الحياة، الحياة كلها اختبار للتوحيد، كل الحياة كما اتفقنا اختبار توحيد.

الآيات تدلّ على ذلك؛ أول آية استخدمها الشيخ في المتن، أورد قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ هذه الآية؛ حتى أن في بعض المتون، كأن الآيتين منفصلتين، في يونس [الآية ١٠٦ والآية ١٠٧]في بعض المتون كأن الآيتين منفصلتين، يعني أن قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وقوله ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ فكأنه يريد أن يقرر معنيين:

ما هو المعنى الأول﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ ؟ انت منهي عن دعاء أي أحد غير الله، لماذا لا تدعو أي أحد غير الله؟ لأن أي أحد غير الله وصفه أنه لا ينفعك ولا يضرّك، بل أي أحد انت تدعوه من دون الله تكون ثقل عليه، لو كان آدمي انت ثقل على أي أحد تطلب منه، وهذا من نعمة الله عليك!، من نعمة الله عليك أن يثقل على الناس سؤالك، لماذا؟ حتى لا تذهب لأحد، حتى تغلق الباب بينك وبين الناس، **الأولى فيها نهي عن دعاء غير الله، لأن كل أحد غير الله له وصف واحد، ما وصفه؟ لا ينفع ولا يضرّ**.

- تعالي إلى قاعدة الاختبار في الدنيا، هذه قاعدة، هذا هو الاختبار في الدنيا ⇦ اختبار التوحيد؛ اختبار التوحيد فيه سؤالان: القاعدة في الاختبار ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ وفيها السؤالان، ما هما السؤالان؟

السؤال الأول: انت تعلم أن الله هو الذي مسك بالضرّ، فهل انت راض عنه؟ هو الآن لما مسك بالضرّ هل يريد تعذيبك؟ أبدًا، لكنه **لما مسك بالضرّ فمن أجل أن يرفعك عنده**، هذا هو اختبار الدنيا.

انتم عندما تأخذون أبناءكم للمدارس وتأتي أيام الاختبارات، أليس الاختبارات ضرّ؟ نعم، ضرّ بكل معاني كلمة ضرّ، لماذا؟ لماذا نتعب أنفسنا وندخل أنفسنا هذا الضرّ؟ عندنا كلام كثيرًا نقوله: من أجل أن ينجحوا، ومن أجل أن مستقبلهم، ومن أجل أن

يتعلموا، ونرضى على أنفسنا أن نجلس في هذا الكرب كله، أسبوعين وثلاث أسابيع، ثم انظري كم ابن عندك في المدرسة، وكم نفسية عندك، وكل هؤلاء بنفسياتهم تعيشين تلك الأيام، ثم في النهاية ينجحوا وكل واحد يذهب في طريق ولا أحد يدري عنا!، أليس كذلك؟!، ومع ذلك نحن قابلين بهذا ونسير طوال السنة هكذا وليس عندنا إشكال؛ بهذا المفهوم الذي نحن نقبل به على شيء متصل بالدنيا، أعظم منه بالنسبة لأمر الآخرة، **أن يمسك الضرّ في الدنيا وسيلة إلى أن تربح في الآخرة.**

لكن هل كل من مسه الضرّ نجح؟ لا، أول سؤال: انت تعلم أن الله هو الذي مسك بالضرّ، لأن لا أحد يستطيع أن ينفعك أو يضرّك إلَّا الله، هل انت راض عنه؟! ؛ هذا أول سؤال في الاختبار " فَمَنْ رَضِيَ، فَلَهُ الرِّضَا" هذا الآن الجزاء، لو رضيت عنه وعلمت أن هذا الضرّ وراءه مصالح في الدنيا قبل الآخرة، ففي ظاهر المسألة أنها ضرّ، مثلما لما آخذ ولدي وأذهب به للاختبارات، في ظاهرها أنها ضرّ، لكن في حقيقتها هي خير، مثلما عندما آخذ ولدي وأجري له عملية، عندما تجرين له عملية انت تأخذينه للأطباء ليشقوه، يشقوا لحمه، ويستخرجوا أعضاءه، وانت بنفسك ذهبت به! انت تقولين لا، انت لست فاهم الموضوع، هذا في ظاهره ضرّ، لكن في حقيقته خير.

إذن ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾، أين الاختبار؟ هل انت راض عنه؟ **إذا رضيت عن الله فلك الرضا.**

كل المشكلة أننا سفهاء، هذه هي الحقيقة، عندما يأتينا الأمر الذي ظاهره ضرّ، ليس عندنا الإيمان أن الله [حكيم، عليم، رحيم، لطيف] ففي ظاهر الأمر ضرّ وفي باطنه الخير الكثير، لا ليست عندنا هذه المشاعر، ماذا يحصل؟ نأتي لأنفسنا بالعذاب نسخط " وَمَنْ سَخِطَ، فَلَهُ السُّخْطُ".

يعني الضرّ بنفسه وراءه خير، لكنني أنا الذي أحول الضرّ إلى سخط، هذا أول سؤال في الاختبار، كل الناس داخلون في هذا الأمر، كل الناس، انت لا بد أن يمر على خاطرك أن كل الناس مصابون بضرّ في أنفسهم، في أموالهم، في أولادهم، أي شيء لكن كلهم داخلون هذا الاختبار، ما هو الاختبار؟ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ افهم أن الله هو الذي مسك بالضرّ، هل انت راض عنه؟ إذا رضيت فلك الرضا، وإذا سخطت فلك السخط، وهكذا وهكذا، والذي بعده، والذي بعده من البلاءات، نفس السؤال يُطرح عليك.

وطبعًا نحن على حسب درجة إيماننا؛ هناك وقت يكون عندنا الرضا ونتصبر، ونقول سنرى الخير سنراه، ثم من عظيم لطف الله – لكن المشكلة في العمى – من عظيم لطف الله عندما تأتيك مشكلة كبيرة، ثم يطول زمن حلها، يبتليك الله عز وجلّ بمشكلة صغيرة – تحصل مشكلة– ثم تلجأ إلى الله، ثم تحل المشكلة الصغيرة، ليقول لك الله عز وجلّ مثل هذه الصغيرة ستُحل الكبيرة، كل العباد الله عز وجلّ يعاملهم بهذه الطريقة، لكن لا أحد ينتبه أن الله عز وجلّ يقول لك أن مثلما هذه الصغير حُلت مثلها الكبيرة لأنه لا كبير على الله.

ألَّا يقول الله عز وجلّ في آية الكرسي: ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ وفي آخرها ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[٢٣٠] وفي آية لقمان يقول عز وجلّ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[٢٣١] انت الآن لماذا تتعلق بالله وحده؟

---

[٢٣٠] البقرة:٢٥٥

[٢٣١] لقمان:٣٠

لأنه هو وحده العلي الكبير، هو وحده العلي العظيم، لا شيء كبير على الله، ولا شيء عظيم على الله، والصغير من المواقف يفهمك أنه مثلما يعامل الله هذا الصغير ويخرجك مثله يعامل الكبير ويخرجك.

يعني يأتي الأمر الصغير، وتكون تراه شرا، ثم تفوض أمرك لله، وهو شيء صغير ولا تشعر بأثره، وترى أن الشيء الكبير أهم من الصغير فتفوض فيه، فيكشف لك صفحة خير لم تكن تنتظرها، كأنه يقال لك مثل هذا افعل مع الكبير، وهذا من عظيم لطف الله وحلمه ومعاملته لخلقه، لكننا نشتكي من العمى، هذه هي الحال الصعبة – العمى الذي نعيش فيه –، الجهل، الجهل عن الله حتى عندما نتعلم لا نفعل ما تعلمناه في قلوبنا، نشعر أنه بعيد ليس على المواقف ننزله.

المهم هذا هو السؤال الأول في الاختبار وهو ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ هل انت راض عن ربك؟.

▪ يأتي الآن الاختبار الثاني: لما مسك بضرّ إلى من يفزع قلبك؟ لا تكلمني الآن عن جوارحك ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ السؤال: إلى من يفزع قلبك وقت ما مسك بضرّ؟!، على حسب جوابك يكون حالك، فإذا فزعت إلى الله ولا مفزع غيره كُشف عنك ضرّك ولو بعد حين، فلا كاشف له إلَّا هو، **هذا هو الاختبار الثاني "إلى من يفزع قلبك وقت المصاب"**.

كل الناس داخلون هذين الاختبارين؛ هذا اسمه اختبار التوحيد، الحياة كلها اختبار التوحيد " يَا ابنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقِرَابِ الأَرْضِ خطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لاتُشْرِكُ بِيْ شَيْئًا "– يعني نجحت في اختبار التوحيد ماذا يحصل له؟ – "لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً" فباب المغفرة مفتوح، حتى لو وقعت في معاصي، وهذا ليس تهوينًا للمعصية، لكن لتفهم حقيقة الاختبار **[ارضَ عن الله، وافزع إلى الله]** هكذا تنجح.

كيف تنجح في الاختبار طوال الحياة؟ ارض عن الله، وافزع إلى الله والله يربيك، هو الربّ سبحانه وتعالى يربيك.

احفظ هاتين الكلمتين [ارض عن الله، وافزع إلى الله].

إذن هذا معنى الاستغاثة.

صفي المستغيث بربه؟ أول الأمر **أن المستغيث في حالة شدة وكرب معتقد أن الله عز وجلّ ابتلاه، وهو راض عنه، وقلبه فزع إلى الله.**

هذا المعنى لا يغيب عن بالك أبدًا، نحن نعيد ونكرر، ونعيد ونكرر في المعنى إلى أن يدخل إلى جذر قلوبكم، لأن هذا هو النجاح الآن في الحياة.

ما النجاح في الحياة؟ بلوة تقع عليك بالقضاء والقدر، بالقضاء والقدر وليس بغيره، الله الذي يجري عليك الأقدار، لا تأتي عندما يمسك ضرّ تقل ليتني لم أفعل، ولو فعلت ولو ما فعلت!، لا تقل هكذا عن الله ولا عن أقداره، **كل ما مضى مكتوب من قبل أن يخلق الله السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ليس لك علاقة أن تقول لو فعلت ولو ما فعلت!**، أنا لا أكلمك عن المستقبل لكن أكلمك عن الماضي، إذن الماضي هذه هي نظرتك له ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[٢٣٢] يعني لا تستغنوا عن الله في الشيء الذي يأتيكم.

[٢٣٢] الحديد:٢٣

انت الآن مسك الضرّ، ماذا يجب أن يكون في قلبك؟ هذا هو السؤال، – هذا اختبار التوحيد الذي كل الناس يدخلون فيه – مسك الله بضرّ، لم يمسك بالضرّ غيره، انت تعلم هذا الأمر، فهو الذي قدر عليك وقضى، لكن ماذا يريد منك، هل يريد أن يعذبك؟ لا، لا يريد أن يعذبك، بل يريد أن يرفعك، لك مكانًا عنده ما تبلغه بعملك، لكن تبلغه بهذا البلاء.

كيف أنجح في هذا الاختبار وأرى مقعدي من الجنة وأكون من أهلها، ولا أكون من أهل مقعد النار؟! – انتم تعلمون أن لكل عبد مقعدين، مقعد في الجنة، ومقعد في النار– كيف أنجح؟

أولًا: أرض عن الله في كل أقداره، رضِ نفسك عن الله، ولا تعذب نفسك بالسخط " فَمَنْ رَضِيَ، فَلَهُ الرِّضَا. وَمَنْ سَخِطَ، فَلَهُ السُّخْطُ" ارض عن الله، اعلم أن الله عز وجلّ [حكيم، عليم، رحيم، لطيف]

تأمل في يوسف؛ **يُلقى في الجبّ في مكان ضيق، ثم يكون هذا المكان الضيق إلى سعة الدنيا والآخرة، فهذا المكان الضيق هو طريقه للملك.**

لو قيل لك ألق نفسك في بئر وبعد ثلاثين سنة سنجعلك ملك، هل تذهب؟ فتقول لا بأس، أن أجلس شهر، يوم، يومين، أسبوع في البئر، ثم الثمن أن أكون ملك؟ لا إشكال، فهذا زمن قصير يعتبر بالنسبة لما ستحصِّله، فانت الآن ستبتلى بهذا الضرّ، يوم، يومين، سنة، سنتين، لكن بعد ذلك سيرفعك الله، فتنظر إلى الماضي كيف كان نعمة عليك.

واعلم أننا كلنا بدون استثناء، لو كشف لنا القضاء والقدر ما كنا طلبنا غيره، طبعًا المقصود القضاء والقدر في الدنيا والآخرة متصلان، فانت ترى أن هذا وهذا وهذا، هذه الآلام التي هذه ستكون في أسبوع، وهذه في شهر، وهذه في سنة، وهذه في ثلاثة شهور، وهذه في خمسة، ثم تموت، ثم تدخل الجنة، وانتهى تقول المهم أن المآل يكون كامل، هذا هو التفكير العاقل.

المهم الاختبار الأول ماذا يكون في قلبك؟ رضا عن الله.

تريد أن تزيل الضرّ ولا أحد يقول لك لا تزيله، فكيف تزيله؟ افزع إلى الله، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ افزع إلى الله.

وأين أخذ الأسباب؟ نقول افزع إلى الله، والله عز وجلّ هو الذي يسخر لك الأسباب، وهو الذي يلطف بك من حيث لا تحتسب.

إذن الفزع إلى الله حال من التفويض، أي تفوض أمرك إلى الله، فترى نفسك غارق وتستغيث بمن تعلم أنه هو فقط الذي يغيثك.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: هل رأيت عندما يقع على أحد مصيبة ويأتي يقول ألفاظًا فيها سب للرب – تعالى الله – فيقول مثلًا لماذا أنا يا رب، ولماذا الناس عندهم وأنا ما عندي، وحتى لو ما تلفظ، بداخله هذا الكلام، لذلك ابذل جهودك أن ترضي نفسك عن الله سيأتينا عامل مهم سنقوله الآن.

الآن انت أول ما يقع عليك البلاء، تفهم أن المطلوب منك أن ترضى عن الله، فترى في أول الأمر، ثم تجد نفسك بعد ذلك بدأت تسخط، ماذا تحتاج؟ ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾، تحتاج التَّقوى والصبر، فإذا طالت عليك المدة هذا زيادة للرفعة.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: **يتقيّ سخط الله بأن لا يسخط على الله، ويصبر.**

لذلك اطلب من الله أن يجعلك من الصابرين، من الصابرين على الطاعة، من الصابرين عن المعصية، من الصابرين عن البطر على النعم، من الصابرين على الأقدار.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: ليس إلى هذه الدرجة، خصوصًا لو كان في أمر دينه، بالعكس يتوسل إلى الله أن لا يفتن في دينه، أمَّا في أمر الدنيا فهو محتاج أن يبقى راضيًا عن ربه، وليس عن نفس الأمر الذي أصيب به، يعني مثلًا فقدك لأبناء، فقدك لزوج، فقدك لأموال، لا يقال لك قل من الأحسن أنني فقدتهم، لا يقال لك ذلك، **لكن قل بما أن الله هو الذي أخذه مني إذن هذا الذي ينفعني**، بهذه الصورة، فانت أصلًا راض عن الله، ولست راض عن نفس المسألة.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: نفس الكلام، التعلم من المقدور، هل يعتبر سخط؟، نفس هذا المعنى، نفس المفقود هذا لا يقول لك أحد أن لا تتألم منه، لكن عندما تفكر في ربك ارض عنه.

هل فهمتم الفرق؟ انت عندما تفكر في الله ارض عن الله، وخصوصًا مع طول المدة، فعندما تكون المسألة وقعت من سنة أو سنتين **لا تحرك مشاعر الحزن في قلبك، ذاك الوقت نخشى أن يكون سخطًا على الله**، يعني أحيانًا المسألة يكون لها سنين، وانتهت، المفروض أن تكون في مثل هذه الحالة بردت هذه المشاعر، يعني امرأة مثلًا تطلقت، أو امرأة مثلًا فقدت زوجها موتًا، أو فقدت ابنًا لها، المفروض بعد سنين يكون الأمر برد، انت لا تحرك حرارة المشاعر هذه فيك أحيانًا، لا تحركها، نحن نخشى أن بعد سنين بقاء حرارة المشاعر يدلُّ على سخطك على الله، هذا الذي نخشاه.

لأنه انت في أول الأمر لا تلام، لكن فيما بعد الله يعالج الجروح، مثلما الجسم تتعالج جروحه مع الزمن، أليست الأبدان عندما تُجرح تعالج مع الزمن؟ إذن الأرواح المفروض بنفس الطريقة، النفوس بنفس الطريقة، فانت لا تجرح نفسك كل فترة، تعيد مرة أخرى وتنكت على نفسك الجرح، بالعكس سكن آلامك.

لذلك كثير من النساء أو الشابات الصغيرات يفتحون لأنفسهم باب الآلام ببقاء بعض الأشياء كذكريات، هذا من أفسد ما يكون، خصوصًا لو كان شيء يحزنك، لا المفروض أن لا تفعل ذلك، المفروض أن لا تبقي في ذاكرتك إلَّا ما يزيدك رضا عن الله، لا أن تجمعوا أغراضكم التي كانت في مواطن الأحزان وتضعوها أمامكم، وتحزنوا أنفسكم طوال الوقت!، هذه مشكلة!، هل تعرف أن هناك فرقة بهذه الطريقة؟!، جماعة نريد أن نعرفكم بها لابد، لكن في وقت مناسب، أنسب من هذا؛ المهم أن هناك جماعة منتشرة، وتعرفون بسبب وجود الإنترنت والإعلام دخلت حتى في بلدنا، وهذه الجماعة معتمدة على تكوين عالم خالص للمراهق والمراهقة، والشاب والشابة، عالم من الأحزان يسمون أنفسهم اسما معينة، والغرض تدمير النفسيات، لا نرى وراءها غرض.

سنتكلم عنهم بالتفصيل عندما نجمع معلومات كافية عنهم، لكن المهم أن تسمعوا عنهم من أجل أبنائكم في البيوت، لأنها منتشرة بين البنات والأولاد خصوصًا لهم علاقة بالإنترنت، وخصوصًا من – مسنجراتهم – مفتوحة طوال الوقت وهناك إضافات تأتيهم من أي أحد، فيدخل عليهم مثل هؤلاء، نهايتها ليست سهلة، نهايتها هناك موت وأشياء من هذا، التشريط الذين يشرطون أنفسهم حتى يصلوا إلى الوريد، طبعًا هذا يحدث بالخطأ، ممكن أن تشرط وريدها وتموت، وهذه حالة حصلت في البلد، حصلت حالة من هذه الحالات، في النهاية انتحرت، شابة بالغة، انظري للمشكلة – الله المستعان –.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: هذه فرقة، لكن كتابة الأحزان هذه لماذا تكتب؟!، انتم تعرفون أن الشيطان ﴿ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٢٣٣]، فانت لماذا تكتب أحزانك؟ إمَّا تكتب ما يسرك، أو لا تكتب جزاك الله خيرا، وإلَّا فانت تنكب نفسك، ثم مع الزمن وكلما تعلمت عن الله ستجد أن من المؤكد أن هذه الكتابات التي كتبتها فيها كلمات سخط على الله، لا بد، فالذي منكم عنده أشياء على الماضي، لأن كل المراهقين يرون أنفسهم منبوذين، ويرون أنفسهم مظلومين، ويرون آباءهم وأمهاتهم فعلوا وفعلوا بهم كأنهم – نستغفر الله العظيم – هذا من البطر على النعمة، أولادنا يرون أنفسهم كأنهم في السجون، وكأننا السجانين لهم، ويكتبون كلام – الله المستعان فقط، نسأل الله عز وجلّ أن لا يؤاخذنا بما يقوله السفهاء منا– وإلَّا نحن في نعم عظيمة، يكفي نعمة الأمن والأمان، مَن منا الآن يبحث عن سرداب ليدخل تحته، مَن؟ مَن يخاف على أولاده؟!.

الآن انظروا لإخواننا في العراق كيف حالتهم؟!، كل هذه السنين، هل انتم متخيلون لهم كم سنة وهم في هذه الحالة؟!، إلى الآن من اسمه عمر ومن اسمه أبو بكر لا يستطيع أن يصرح باسمه خوفًا من الروافض –حاربهم الله – انظري الآن الحالة نحن الحمد لله في خير كثير، لكن أولادنا – الله المستعان، نسأل الله عز وجلّ أن لا يعاقبنا ببطرهم فقط، الله المستعان–.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: نحن أولًا يجب أن نخرج من قلوبنا هذه المشاعر، النساء في البيت أكثر ناس الذين عندهم قدرة على صبغ البيت بالانشراح والقبول بقضاء الله وقدره، أو بالعكس؛ بالتسخط على الله والتسخط على أقداره، النساء في البيت هم السبب، كوني صادقة مع نفسك، الأب مهما كانت له علاقة بأولاده لكن ليس له تلك الصبغة عليهم مهما كان، إلَّا أنك تلصقي أولادك فيه غصبًا حتى يكون لهم صبغة، وفي العادة لا يحدث هذا، مهما حاولت أن تجعلي أولادك مع أبيهم ما يحدث هذا معنا، وإذا كانوا بنات فلا علاقة لهم، فقط من بعيد، هذا ما يحدث أن البنات لا تكون لهم علاقة بأبيهم بتلك القوة، وعلى ذلك إذا كانوا أولاد أو بنات فهم قريبون منكِ، انت القلب النابض في البيت.

انظري كيف انت قلبك راضٍ عن الله، انظري كيف باستمرار تقولين لهم قولوا الحمد لله، احمدوا الله على ما انتم فيه، فيخافون، نحن كثرة كلامنا في هذا الموضوع تجعل في نفوسهم عقدة تمنعهم من كلمات البطر، ومن كلمات الحزن، فيشعرون أنهم ما يستطيعون أن يقولوا هذه الكلمة من كثرة ما نكرر عليهم.

أمَّا إذا أنا كنت طيلة الوقت أقولها ويظهر في كل تقاسيم وجهي عدم الرضا عن الله، إذن فمن المؤكد أن هؤلاء سينصبغوا بهذه الصبغة، لذلك لابد يا أمهات أن تتقين الله في أبنائكن، لأنه حتى هذه المشاعر تنتقل لهم رغمًا عنا، –نسأل الله أن يغفر لنا تقصيرنا وإسرافنا في أمرنا وما نصنعه فيهم، الله المستعان–

المشكلة عندما يكون الأبناء شاعرين بمشاعر عدم رضا آبائهم ورفضهم لوجود أبنائهم!، هذا موجود!، تكون الأم رافضة لأبنائها ثم تقول لابنتها أو لولدها أنا فعلت وفعلت حتى أنزّلك وما نزلت!، نحن نعيش مواقف مثل هذه، أن الأم تكون رافضة إلى هذه الدرجة أبناءها، فكيف سيشعرون في الحياة عندما يشعرون أن أقرب الناس لهم الذين تغذوا منهم رافضين لوجودهم؟!،كل هذا موجود في المجتمع، ولابد من عمليات معالجة، لا بد.

[٢٣٣] المجادلة:١٠

لذلك نقول أن هذا الباب يحتاج منكم إلى كثرة تكرار على نفوسكم، وكثرة بحث في تفاصيله، وقراءة في تفاسير للآيات، وأخذ كلام لأهل العلم عن هذه الآيات لتحفظيها وتكون بالنسبة لك سندًا معنوي، تغذين نفسك به.

على كل حال؛ وقوله: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ يأتي الآن الاختبار الثاني.

الاختبار الأول: تعلم أن الله هو الذي أصابك بالضرّ، فارض عنه، ولابد أن يفزع قلبك له فلا كاشف له إلَّا هو، وإذا كان لا كاشف له إلَّا هو لا يغرك ما يحصل حولك من كشف، إذ يأتي فلان يعطيك، أو فلان يكلمك، كل هؤلاء ربنا سخرهم لكشف الضرّ عنك، ولتسرع لنفسك كشف الضرّ، مباشرة افزع إلى الله؛ هل هذا فقط؟ لا، بل أيضًا استمر في الفزع له، ابق به مستغيثا، يعني لا أن تكون المصيبة كبيرة ثم تقول يا رب فرج عني وانتهى! كلمة واحدة! ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾[٢٣٤] هل تعرف ما معناها؟ اقرأ وصفها في السيرة، عندما النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر رفع يديه مستغيثًا بربه، حتى أن أبا بكر رضي الله عنه وقع في قلبه الشفقة على النبي صلى الله عليه وسلم، من كثرة قوة استغاثته، هذه مرحلة الاستغاثة؛ **الاستغاثة قوة إظهار الفقر**.

فهناك فرق بين الدعاء والاستغاثة، الاستغاثة أخف من الدعاء، فمشاعرك يا مستغيث أكثر حرارة، أكثر إلحاحًا، وأكثر إظهارًا للفقر، وأكثر إظهارًا لحاجتك لربك.

فهناك ثلاثة عناصر فيك:

- العنصر الأول: الإلحاح في الدعاء.
- العنصر الثاني: إظهار الفقر والحاجة.
- العنصر الثالث: قوة الذلّ.

هذا أمر فوق مجرد الدعاء، بل بالإلحاح، والإلحاح يكون إذا مسك الضرّ ممكن، أو إذا كنت في شدة حاجة، قد تسألينني الآن ما الفرق بين أن يمسني ضرّ أو أن أكون في شدة حاجة؟ مثلًا انت تشعر أنك بحاجة شديدة لحفظ القرآن، فتدعو الله، وتريد أن تحفظ القرآن من أجل أن تدعو إليه بكتابه، وما تجد في نفسك قوة على هذا ⇦ استغث، اشعر أنك في كربة لأن ليس لك قدرة على الحفظ واستغث بالله عز وجلّ ليأتي هذا.

الاختبار الذي بعده؛ وهو في آية العنكبوت ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ هذه الجملة تدلّ على ماذا؟ ما هو الاختبار؟ هناك ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ يعني عندما تأتيك حالة طارئة ويأتيك ضرّ، لكن هنا ليست حالة طارئة وضرّ، هنا الكلام حول حاجة تحتاجها كالرزق، فالرزق من الحاجات التي نحتاجها سواء كان الرزق المادي أو الرزق المعنوي.

- الرزق المعنوي: من بينه العلم، ومن بينه حفظ كتاب الله.
- أو الرزق المادي: الأكل والشرب والبيت.

هذه كلها أرزاق، نحن أول ما يتبادر في أذهاننا أن – رزق – يعني — سعي- ، لا بأس اسعَ بقدميك ليس هناك إشكال، لكن قلبك أين مكانه؟ عند الله – هذا هو المهم- المهم أنك كلما تذكرت حاجتك لمال لا يلتفت قلبك يمنة ولا يسرة، أبدًا، أبدًا لا تلتفت، مباشرة ابتغِ عند الله الرزق.

---

[٢٣٤] الأنفال:٩

نعود مرة أخرى ونقول؛ وماذا عن الأسباب؟ **عندما تبتغي عند الله الرزق ستطلب منه أن يهيئ لك الأسباب**، ألَّا تقول في دعائك قبل النوم "أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَاغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ" انظري لهذا المعنى العظيم، يعني انت الأول يارب مهما أخذتُ من أسباب لا يمكن أن تنفعني، لا يمكن!، حفّظوا أبناءكم هذا الدعاء، مع تكرار ملاحظة كلمة "اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَاغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ"، دائمًا قولي له أنه لا يقضي الدين إلَّا الله، ولا يغني من الفقر إلَّا الله، ولا يعطينا إلَّا الله، كرريها، ستصبح في قلبه معقودة عقدًا وترى آثار هذا.

الاختبار الأول: عندما يمسك الضرّ.

والثاني: عندما تحتاج إلى حاجة، لما تحتاج إلى حاجة يعني رزق، لأن كل حاجاتك إنما هي أرزاق تساق لك، ماذا تفعل؟ ماذا تقولون؟ فابتغِ عند الله الرزق، تبتغونه عند الله ولا تبتغونه عند غيره.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: لا تأتي على شيء وتعتقدي أننا لا يحتاج أن نقول لهم عاملوا الله، **في كل شيء اطلبوا منهم أن يعاملوا الله.**

سأذكر لكم كلام لابن رجب عن الآية السابقة –كلام جميل يكتب بماء الذهب –

يقول ابن رجب –رحمه الله تعالى–: فَلَوْ حَقَّقُوا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ بِقُلُوبِهِمْ ، لَسَاقَ إِلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ مَعَ أَدْنَى سَبَبٍ– يعني مع أقل سبب –، كَمَا يَسُوقُ إِلَى الطَّيْرِ أَرْزَاقَهَا بِمُجَرَّدِ الْغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الطَّلَبِ وَالسَّعْيِ ، لَكِنَّهُ سَعْيٌ يَسِيرٌ .

ما هو هذا الذي هو نوع من الطلب والسعي؟ الغدو والرواح نوع من الطلب والسعي، لكنه سعي يسير لا يوجد به جهد وتعب.

وهو يقول لو حقق العباد التوكل على الله بقلوبهم لساق الله إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب يأخذونه، مثل ما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، **والغدو والرواح نوع من أنواع السعي لكنه سعي يسير**، المهم أن تفهم في هذا أنه لابد أن يختبرك الله فيك صدق توكلك، وليس انت الذي تختبره!، يعني ماذا يحدث؟ هو أن يقول أنا سأتوكل وأرى هل يعطيني مع توكلي أو لا يعطيني نقول: هذا مانع لك، مباشرة!، **لابد أن تتوكل وانت متيقن، ثم لابد أن تفهم أن يقينك هذا يُختبر**، فتكون متوكلًا وتقول: لن أطلب، ولن أسأل الناس، ثم في لحظة ينفلت منك هذا التوكل، فتطلب الناس، ولما تطلبهم يمنعونك، ويأتي الرزق من مكان لم تطلب منه، فتستحي من ربك أنك تعجلت عليه.

لذلك لا تعرّض نفسك لمثل هذا الموقف، قوّ توكلك وأسأله أن يسخر لك الأسباب، اسأله، وكن في دائرة العبادة طيلة الوقت، خصوصًا مع فقدنا للأسباب، يعني اليوم الذي يكلمك عن البطالة كلميه عن التوكل، قولي له توكل على الله حقّ توكله والله عز وجلّ سيفتح لك أبواب الرزق، وسيبارك في المرزوقات، وسيفتح الأبواب، اليوم نحن نسمع عن أناس رواتبهم خيالية – بهذه الكلمة – وآخرين رواتبهم – ماذا أقول!– عند هؤلاء أصحاب الخيالية لا شيء!، وانظر لحال هؤلاء، وانظر لحال وهؤلاء! انظر للبركة عند هؤلاء، وللمصائب عند هؤلاء!، انظر هؤلاء أين ينفقون أموالهم! وانظر إلى مستشفيات عامرة بمن، وانظر أين تنفق مثل هذه الأموال، وانظر للآخرين الذين كفاهم الله عز وجلّ شر الأمراض، وكفاهم شر الأسهم وخساراتها، يعني انظر إلى من تُكِب في

الأسهم، ما تُكِب في الأسهم إلَّا من عندهم أموال، ذهبت عليهم أموال بالملايين، وباتوا في حسرة، والآخرين ليس عندهم بائتين مطمئنين، لابد أن تختلف مقاييسكم، التوحيد يغير مقاييس العبد.

المهم أهم علاج اليوم للبطالة مع الشباب أن يقع في قلوبهم قوة توكل حقيقي على الله، مع القبول بأدنى الأسباب، يقبلوا بأدنى الأسباب فيأتي من ورائها البركات.

❖ الدليل الثالث.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ﴾[٢٣٥] الآيتان.

هذه آية الأحقاف، أو آيتي الأحقاف، المكتوب آية لكن في آخرها مكتوب

الآيتان.

افتحوا مصاحفكم لنرى الثانية ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾.

انظروا للسياق في الآية التي قبلها، ماذا تجدون؟ الله عز وجلّ يصف ماذا؟﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾

يعني هل لهم خلق في الأرض؟ أحضروه.

هل لهم شرك في السماء؟ ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا﴾ نزل عليهم، يدلّ على أن لهم شرك في السماء.

﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ ما معناه؟ يعني أثر شيء باقي وهو علم يدلّ على أن لهم شرك، هذا الأثر ورد عن الرسل الذين أرسلوا إلى للناس.

هل الرسل التي أرسلت للناس قالت أن غير الله مالك أو خالق؟ الجواب: لا.

عُلم أن المشركين في شركهم غير مستندين على برهان ولا على دليل، يعني لا برهان موجود في السموات وفي الأرض، ولا دليل جاءهم من علم، إنما اعتمدوا على ظنون كاذبة، وآراء كاسدة، وعقول فاسدة، هذا ما اعتمدوا عليه.

⇦ لأنهم قيل لهم في الآية ٤ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ هذا الآن برهان، إن خلقوا من الأرض شيء، فسيصبح هذا برهان أنهم يستحقون العبادة.

⇦ وانظر إلى السماء ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ ليس لهم شرك في السموات.

⇦ إذن بذلك انقطع برهانهم.لا في السماء ولا في الأرض.

نأتي الآن إلى دليلهم: هل عندكم دليل من الرسل أن غير الله يستحق العبادة؟ الجواب: لأ.

إذن المشركين غير مستندين على برهان ولا على دليل، لكن استندوا على ظنون، على آراء، على عقول، هذا الذي استندوا إليه، إذن هم ضُلال بناءًا على أن لا برهان معهم ولا دليل، ضُلال، وصْفُهم الضلال.

[٢٣٥] الأحقاف:٥

لماذا ضُلال؟ كأنه يقال لك انظر واستقرئ أحوالهم، وتتتبع علومهم أعمالهم، وانظر حالهم كيف أفنوا أعمارهم يعبدون من لا يفيدهم لا في الدنيا ولا في الآخرة.

لهذا قال الله عز وجلّ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ﴾، الآن كيف انت يقع منك هذا الأمر؟ ليس عندك دليل ولا عندك برهان على أن هؤلاء يستحقون الطلب ولا الدعاء، بل لو انت إذا نظرت لأحوالهم تجد أفسد ما يكون، لأنهم يطلبون من لا ينفعهم ولا يفيدهم لا في الدنيا ولا في الآخرة.

إذن هل هناك أضل من هؤلاء؟ لا أضل من هؤلاء، ماذا فعلوا؟ ﴿مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ يعني لا يسمعون منهم دعاء، ولا يجيبون لهم نداء، هذا حالهم في الدنيا.

يوم القيامة ماذا يحصل؟ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[٢٣٦]، قال الله عز وجلّ: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً ﴾ يعني يلعن بعضهم بعضًا، ويتبرأ بعضهم من بعض ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ هذا حالهم في الدنيا، وهذا حالهم في الآخرة.

نقرر هذه المسألة بالتفصيل؛" تناولت آيتي الأحقاف وصْف كل من دعا غير الله عز وجلّ، ووصف كل مدعو من دون الله."

إذن وصفت الآية كل من دعا غير الله، وكل مدعو من غير الله.

- نبدأ بوصف كل داعٍ لغير الله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ وصفته أنه ضالّ، وأجهل الجاهلين، لماذا؟ لأنه أفنى عمره في سؤال وطلب من لا ينفعه.
- كل مدعو من دون الله: كل مدعو سواء كان من الملائكة أو الأنبياء أو الأشجار أو الأحجار، أيًّا كان.

في الدنيا.

- الوصف الأول: عدم استجابتهم لدعاء من دعا.
- الوصف الثاني: أنهم عن دعائهم غافلون.

إذن عدم استجابتهم للدعاء، وأيضًا أنهم عن دعائهم غافلون.

في الآخرة.

- الوصف الأول: أنهم يكونون أعداءً لمن عبدوهم.
- الوصف الثاني: أنهم يكفرون ويتبرؤون من عبادتهم وينكرونها.

معنى ذلك أن دعاء غير الله عز وجلّ، ما وصف صاحبه؟ ضالّ، أفنى عمره في السراب، وهذا مرّ معكم في المثَل الذي ضُرب في سورة النور وهو يمثّل الضالين.

سورة النور فيها ثلاثة أمثال:

[٢٣٦] فاطر:١٤

▪ مَثَل النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[٢٣٧] وهذه الآية تمثّل نور الله عز وجلّ في قلب المؤمن.

▪ الآية الثانية ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ وهذه الآية تمثّل الضالين الذين يعملون أعمال ويعتقدون أنها تنفعهم، وفي النهاية يأتي يوم القيامة ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾[٢٣٨].

▪ الآية التي بعدها ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ تمثّل المغضوب عليهم، والمغضوب عليهم ما حالهم؟ عندهم علم ثم أدخلوا أنفسهم في الظلمات بالعمل ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾[٢٣٩] بسبب ما في قلوبهم من هوى.

فالأمثال الثلاثة في سورة النور تمثل الفرق الثلاثة التي في سورة الفاتحة.

هؤلاء الضالين هنا يمثّلون الشخص الذي يعمل أعمال ثم يجدها سرابًا، لأن هؤلاء لا يستجيبون لهم إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون، انظري للغفلة! يتولون عنهم!، فهم يتصورون أنهم دعوا وأنهم توسلوا وأنهم ذبحوا!، يتخيلون أن ذبحهم عند الأولياء وعند الصالحين سينفعهم، وأنهم سيجدونه يوم القيامة، فيجدونه سراب، بل وجدوا الله عنده فوفاهم حسابهم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا هو الاتجاه الخطير، إذا كان هذا الكلام صحيح ينسب لهذا الشخص الذي تذكرينه فهذا كلام مخالف للنصوص، يخالف النصوص، انت أجرِ على ذهنك النصوص التي تدلّ على أن الله عز وجلّ يحب من عباده الدعاء، ثم ورد عن الصحابة أنهم كانوا يسألون الله شراك نعالهم، أن يقال لك لا تدعو الله إلَّا في الملِّمات معنى ذلك أن تستغيث فقط ولا تدعو، لأن الدعاء في الملِّمات معناه استغاثة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هناك فرق تقول "عظموا الله فلا تسألوه، واسألوا الوسائط"، هؤلاء الصوفية، لكن السنَّة والكتاب يدلان على سؤال الله عز وجلّ في صغير الأمر وكبيره،إذن أولئكم في كلمة واحدة المغضوب عليهم.

هذا كلام لابن تيمية يدخلنا في مفهوم جديد أو يجعلنا نتناقش في قضية تحت هذه الآية:

وَالْمَرَاتِبُ فِي هَذَا الْبَابِ ثَلَاثٌ : إحْدَاهَا أَنْ يَدْعُوَ غَيْرَ اللَّهِ وَهُوَ مَيِّتٌ أَوْ غَائِبٌ سَوَاءٌ كَانَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَوْ غَيْرِهِمْ فَيَقُولُ : يَا سَيِّدِي فُلَانٌ أَغِثْنِي أَوْ أَنَا أَسْتَجِيرُ بِك أَوْ أَسْتَغِيثُ بِك أَوْ انْصُرْنِي عَلَى عَدُوِّي . وَنَحْوُ ذَلِكَ فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ بِاَللَّهِ . وَالْمُسْتَغِيثُ بِالْمَخْلُوقَاتِ قَدْ يَقْضِي الشَّيْطَانُ حَاجَتَهُ أَوْ بَعْضَهَا وَقَدْ يَتَمَثَّلُ لَهُ فِي صُورَةِ الَّذِي اسْتَغَاثَ بِهِ فَيَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ كَرَامَةٌ لِمَنْ اسْتَغَاثَ بِهِ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ دَخَلَهُ وَأَغْوَاهُ لَمَّا أَشْرَكَ بِاَللَّهِ كَمَا يَتَكَلَّمُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَصْنَامِ وَفِي الْمَصْرُوعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَمِثْلُ هَذَا وَاقِعٌ كَثِيرًا فِي زَمَانِنَا وَغَيْرِهِ[٢٤٠].

---

[٢٣٧] النور:٣٥

[٢٣٨] النور:٣٩

[٢٣٩] النور:٤٠

[٢٤٠] مجموع فتاوى ابن تيمية» العقيدة» كتاب توحيد الألوهية» رسالة في التوسل والوسيلة» فتوى شيخ الإسلام وهو بمصر سنة ٧١١ ه في التوسل بالنبي» دعاء الغائب للغائب أعظم إجابة من دعاء الحاضر الحاشية رقم ١٨

يعني الآن لو أن أحدًا قال لك أنا استغثت بميت فرأيته! أو أتاني في الهواء، أو صافحته، أو قضى لي بعض حوائجي!، كيف تفهم كل هذا؟ أنه الشيطان، وافهمي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٢٤١].

بل إن أحدى أخواتكم في دفعة ماضية تذكر أنه في أحد بلدان الجزيرة ظهر من يدّعي أنه المهدي المنتظر- من بلد آخر - ثم أتوا إلى هنا، ليس شرطًا الذي يدّعي، فهذا الشخص مدَّعٍ وحوله من يدعو إليه، فواحد ادعى أنه المهدي المنتظر والباقي يدعون إليه، فهذه كانت لها موجودة في البلد ثم ذهبت، فاتصلت بها من تلك البلد وقالت لها ظهر المهدي المنتظر وهو فلان، قالت لها استهدي الله، المهدي المنتظر له علاماته، وله وقت معين.

المهم ثم أتت من بلدها إلى هنا وقالت لها انت ما عليكِ إلَّا أن تطلبي من الله أن يهديكِ، قالت أنا سأطلب من الله علامة إن كان صادقا أو كاذبا، هم خرجوا الآن، هم كانوا ثلاثة [الطالبة التي في المعهد، مع أختها، مع الفتاة التي أتت من تلك البلد] فخرجوا من جدة إلى مكة، وفي الطريق تقول هذه صاحبة الادّعاء - التي تقول أنها تريد الحقّ - أنها رأت في السماء غيمة باسم الرجل، وقالت لها ذلك الوقت انظري الآن للسماء، فنظرت أختها وهي تقول منعت نفسي لكي لا أفتن، فأنا أعلم يقينًا أنه ليس حقًا، لكن انظري كيف الآن أن الأخت صرف الله عنها الشر، بقيت الثالثة التي هي صاحبة الدعوى نفسها - التي رأت-، فتصوري مثل هذا كثير كثير منه، أقصد هذا أمر معاصِر وقد نعايشه ونحن لا نشعر.

المعنى أن الشيطان يوقع لابن آدم ما يغرّه، فلا تعتمد على لا الرؤى، ولا الأحلام، ولا مثل هذه الشواهد، لا تعتمد على مثل هذا، ولا تجعله بمثابة الدليل أبدًا، **الأدلة لا بد أن تكون صريحة**.

اليوم نحن نواجه في العالم الإسلامي - في بلدنا وغيره من دول الخليج- مسألة منتشرة وهي "بلوى الرؤى"، هذه بلوى عظيمة، حتى أن الشيخ عبد العزيز آل الشيخ — حفظه الله — في الأسبوع قبل الماضي يتكلم عن الرؤى، ثم سأله المذيع المقدم في نور على الدرب، قال له يا شيخ ما تقول في النساء اللاتي يطلبن تفسير الرؤى؟ قال لا يطلبنها، كلّها أحاديث نهار.

هذه هي الصبغة العامة عند النساء، كلامه صحيح، كلها أحاديث نهار، ثم انظري ماذا يحصل بسبب الرؤى من الفتن؟!، ماذا يحصل؟!، شيء غير طبيعي، ويمكن قد تذهبين لزيارة لأحد مثلًا، لابد أن يُفتح موضوع الرؤية، لا بد تقول لك رأيت رؤيا.

الآن الرؤى أصبحت عند أناس كثيرين سبب لتحريك الحياة، حتى أن ناس فتنوا لدرجة أنهم يفتحون مشاريع ويغلقون بناء على الرؤى، مشاريع تتصل بحياتهم أو بالدعوة، وانظري لتلك المخطوبة، يخطبونها وهي لا تريد، قائم في قلبها عدم الإرادة، تنام وتصبح صباحًا فتقول رأيت رؤيا فيها شر، وترفض الرجل!.

سنعاقب يوم القيامة على مثل هذا الكلام، هذا من الكبائر،إذا لم ترى الرؤيا تصبح من الكبائر، فيؤمر يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين ولا يستطيع[٢٤٢]، هي ما تريده، فتصبح الصباح في اليوم الثاني فتقول أنها رأت رؤيا، وهي كاذبة، لم ترى رؤية ولا شيء، فقط لتوهم أهلها، ويكون الأهل من الناس الذين يتأثرون بالرؤى.

---

[٢٤١] الصف:٥

[٢٤٢] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا وَلَيْسَ بِنَافِخٍ (صحيح البخاري» كتاب التعبير» باب من كذب في حلمه) برقم:٦٦٣٥

المشكلة عندما تأتيني أم تقول حتى أمنع ولدي من أصحابه أخبرته أنني رأيت رؤيا في أصحابك، وكذا وكذا، كل هذا لا يجوز، ولا يصح، ولا تعتمد الحياة على الرؤى، أصبح الناس أنبياء، أخذوا جزءًا من النبوة.

على كل حال؛ لابد أن تعرف أن الشيطان يتخبط ببني آدم وخصوصًا النساء، جهل، بالإضافة إلى عاطفة، بالإضافة إلى هوى يغلبهم، وكل هذا المزيج يخرج هذه النتائج، أنك تجد أن الناس حتى يتعالجون بالرؤى!، تصبح الصباح تقول لك خذي الدواء الفلاني!، تقول لك هذه متخصصة في الرؤى، هذه مشكلة حقيقية.

ونحن نرجو الله أن ييسر لنا درسًا عن الرؤى، لكننا نشعر أنه هنا في البلد ليس منتشرًا بقوة، لكن رياحه قريبة وليست ببعيدة، وبدأت تظهر الظاهرة، وهذا بسبب الاتصالات أيضًا القوية.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: ماذا أقول؟!، ابتلاءات فقط ابتلاءات، المهم إذا كنتم ترون أن الموضوع قريب، نرتب مع مركز الأبحاث بحث يتكلم عن الرؤى وكلام السلف عنه، ونطبعه وننشره بينكم وانتم تنشرونه، لنلحق النساء قبل أن تصيبهم هذا الرياح ولا نعود قادرين على أن ندركهم، سيفتتنون.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: هي ستموت ستموت سواء رأت الرؤيا أم لم تراها، نستغفر الله أصبح هذا ادعاء لعلم الغيب!، – مصيبة والله، الله المستعان–.

دعوا موضوع الرؤى وسنعمل له يوم منفصل نناقشه بعد أن نبحث فيه ونتكلم ونتناقش، ومن أجل أن تنفعوا الناس أيضًا، حتى لا يُفتح علينا هذا الباب، ويُفتن به طلبة العلم، ويفتن به عوام الناس، هذه مشكلة حقيقة.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: لا، أي برنامج لتفسير الرؤى، لا تسمعوه، لأن هذا باب من الفتنة العظيمة، لدرجة أنه دخل فيه كلام حول ادعاء علم الغيب حتى عند المفسرين.

واسمعوا كلام الشيخ؛ الشيخ عبد العزيز آل الشيخ – حفظه الله – تكلم عن الرؤى والرقاة، بلوتان نعيشهما الآن الرُّقى والرؤى، الآن مسألة الإصابة بالعين والسحر إلى اخره متداخلة مع مسألة الرؤى جدًا، فكلاهما أطبق على نَفَس الصُلاّح قبل الطالحين، وهذا الذي يحزننا، أن الصُلاّح هم المتضررون، يعني الصُلاّح ملتهون في رؤاهم ورقاهم، وأهل الدنيا ملتهون في دنياهم، وانتهى الموضوع !، لا ذكر، لا دعاء، لا صلاة، لا صيام، لا استقامة، ولا أي شيء! فقط أنهم ملتهون في رؤاهم ورقاهم، والآخرون ملتهون في زهرة الدنيا، ثم لا تجد في المجتمع إلَّا فساد فوق فساد!.

لذلك لا تستغرب أن في مجتمعنا، في مجتمع المسلمين عبدة الشياطين، ما كنا نستغرب، إذا كان الصلاح في كل مكان مشتغلون بالرؤى والرُّقى وانتهى الموضوع!، ثم لماذا لا تقوم الليل؟!، لماذا لا تصوم النهار؟!، لماذا لا تفعل؟ الجواب إنا مصابون بكذا وكذا وكذا! — مشكلة – يجب أن نفهم أننا غمرنا انفسنا تحت الأرض، من المفترض أن الذي معه دين، وقوة إيمان قوة إيمانه يرفعه ويزيده ثباتا في المواقف –كما ذكرنا سابقًا – حتى مع اعتقاد وجود هذه الأشياء، من المفترض أن يزيد إيمانك من أجل أن تدفع مثل هذه الأشياء.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: لا بأس، اصبري حتى نبحث، لن أتكلم الآن، فهذا موضوع شائك، إذ يحتاج أن آتي لك من كلام السلف ما يدلّ، لأنكم لستم فقط من تسمعوني، هناك من يسمعني من الخارج فقد يفتن، فلابد أن نأتي بكلام وكلام مرتب لنعرف ما موقفنا من الرؤى من كلام السلف إن شاء الله.

انتم ستصابون بالدهشة عندما تسمعون كلام السلف وكيف كان موقفهم من الرؤى، وكيف أنها بلوى متكررة من الزمن الماضي وليست من الآن، خصوصًا التي تشهد بالصَّلاح، خصوصًا هذا النوع من الرؤى.

نعود إلى موضوعنا.

أن تعلموا أن كثير من الناس قد يُلبس عليهم الشيطان، فيظهر لهم كما يتوقعون أو كما يتصورون صلاحا، وأنهم ينفعونهم، ويضرونهم، ويكلمونهم، ويخبرونهم أين مكان الأشياء، فيدخلون في شيء من الكهانة، ويدخلون في شيء من العرافة، وهم غير شاعرين بأنفسهم!أجيب على سؤالين:

سنجيب على سؤالين.

الأول: احتاج شخص إلى مال، وطلب من الناس دَيْن ويريد رده مع توكله على الله، هل فاته الكمال؟

الجواب: لا، لم يفته الكمال، انت لو كنت صاحب دين، وفزع قلبك إلى الله، وطلبت من الله أن يسخر لك، ثم ربنا يسّر لك وذهبت لواحد وشرح الله صدرك أن تطلب منه، ما فاتك الكمال، فهذا نوع من التسخير، لكن لا يكن عقلك غير ملتفت إلى الله وملتفتًا للناس! لذلك في آخر المطاف سيأتينا كلام حول الاستعانة والاستغاثة بالناس هل تصح أم لا.

يعني لو أن شخصًا في وسط البحر سيقول " أنقذوني " سيقول هذه الكلمة، لا إشكال، لكنه ماذا يشعر بداخل قلبه؟ لمن فزعه؟ إلى الله، وطبعًا الذي يكون في عَرض البحر سيظهر منه ذاك الوقت هو إلى من يفزع، لأنك تعرف أن الذي يتيه في الغابات، أو يتيه في البحر، ويتيه في مثل هذه الأماكن؛ قد تمر عليه طائرة الإنقاذ ولا تراه!، وأحيانًا عندما يكتب الله عز وجلّ لأحد الابتلاء، تكون الدنيا صحوا، ثم يتيه وسط البحر، وتجتمع الغيوم، فلا تستطيع أصلًا طائرة الإنقاذ أن تقوم له!، هذا موجود؛

وهذا قريب قبل أكثر من شهرين، كانت مجموعة من الشباب في رحلة بحرية ففُقدوا، بعد ثلاثة أيام فقدهم أهلهم، هم في جدة أصلًا، وتخيلي أن أناسًا تمكنوا من السباحة إلى الليِّث، وهذه الليِّث لا تتصورون طول الشاطئ بيننا وبينها، أربع ساعات سيرًا بالسيارة بين جدة وبين الليِّث ، فتصوري أربع ساعات سباحة ليس أمر سهل وهم في عرض البحر، يعني حتى يخرجوا إلى طرف الساحل ثم يسيرون هذا كله! – سبحان من نجاهم –، والباقون مفقودون، ماذا الذي حدث؟ تاهوا، ثم لما شعروا بفقدهم أخرجوا لهم طائرات إنقاذ، وطائرات الإنقاذ واجهت جو لا يسمح بالإنقاذ، فما استطاعوا أن ينقذوهم!، مع أنه واحد وإثنان وثلاثة وأربعة، وأكثر من مرة بلغوا عنهم، أي كل العوائل في النفس التوقيت، فقد كانوا مجموعة من الشباب، فقدوا، انتهى الأمر!، ما وجدوا إلَّا الاثنين اللذين على الليِّث فقط والباقي مفقودين وهم أكثر من سبعة!

ماذا تقولين؟! في المقابل – سبحان الله – شخص في حفر الباطن بسيارته – الجيب الكبيرة– ثم خرج، وانتم تعرفون أن تلك المنطقة قريبة من أن تكون زراعية، وفيها مرتفعات ومنخفضات، فصار يرتفع ويرتفع على التل بحثًا عن شبكة الجوال في الليل، ثم هوى في الأسفل فدخل بئر بالسيارة، كل السيارة دخلت إلى الأسفل إلى الأعماق!، وهذه الصور موجودة في الدفاع المدني.

المهم إلى الأسفل وقع في الليل وصار يكشف بجواله فلم ير شيء، ولم يعد الجوال يعمل ولا أي شيء يعمل، إلى أن سخر الله له شخص في النهار، ماذا فعل؟ رأى أثر عجلات السيارة سائرة بسرعة عجيبة إلى أن انتهت عند البئر، **وانظري كيف سخر الله هذه الفكرة في عقله،** بأن ألقى حصى فوقعت على زجاج، فانتبه أنه يوجد أحد بالداخل، فلما ألقى الحصى ناداه صاحب السيارة، ثم

ربّي يسّر قدوم الدفاع المدني، وهذا البئر في منطقة أصلًا ليست قرية، فالقرية هجرت المكان فصارت بعيدة عن هذا المكان، لكن ربّي يسخر له شخصًا ينتبه لأثر عجلات السيارة، ثم يأتي في باله أن يرمي حصى، ثم يناديه فيرد عليه، ثم يأتي بالدفاع المدني، ثم يحملونه!، ولو رأيتم صورة السيارة ما تتخيلون أن شخصًا حيّ بداخلها، مصدومة من كل جهة! لكن ربي أحياه وخرج سليما! تستعجبين كيف الله عز وجلّ يغيث عباده! فمن في تلك اللحظة يغيثك؟!، فلما تكون داخل البئر ستنادي مَن؟! لا يوجد إلَّا مالك الملك!.

ثم سبحان الله في أقل من ثمان ساعات، يعني دخل البئر وخرج منه في أقل من ثمان ساعات!، لأن الله عز وجلّ يريد نجاته، فوقت الاستغاثة لا تقل عندما أكون في البحر من الطبيعي أن أنادي الناس، لا تقل ذلك، ليس من الطبيعي أن تنادي الناس!، فأنا لو حكيت لكم قصص من الغرق في المسابح وليس في البحر! تقولين سبحان الله!، إخوانها وأخواتها يسبحون معها وما شعروا بها!، وانتهت في قاع المسبح!.

فلا تتصور إنني عندما أكون غارقة لابد يكون قلبي موافق للساني، ويكون كل تفكيري في هذا الشخص، لا، غير صحيح، بل انت تعلم يقينًا أن وقت الغرق، ووقت الحرق، ووقت هذه المصائب قد ينادي لسانك الناس، لكن بداخل قلبك يجب أن لا يكون عندك إلَّا الله، لأنك تفهم أنهم ينظرون إليك وهم غير شاعرين، فهل تعرفن كيف تحدث حالات الغرق؟ يكون الشخص مثلًا يرى أخاه ويتصور أنه يلعب، وهو في الحقيقة يغرق، ولا يشعر به! إلى أن يصل للأسفل، وقد يكون عندئذ توقف عنده جهاز التنفس! إلى أخره، و كم سمعنا! وكم وكم .

لذلك لابد أن يستقر في قلبك إنه ليس وقت الشدة من المؤكد أنني سأنادي الناس، لا، ليس كذلك، هذا غير صحيح، يجب أن تفهم أن في وقت الشدة قد يكون الناس أقرب ما يكونون ولا يشعرون أصلًا بأنك في وقت شدة، اسألوا الناس الذين مرت عليهم هذه الحالات.

مثل شخص في إحدى الدول الخليجية أصيب ببلوى أنّ كاهنة قالت له ولدك أو بنتك تموت في الغرق. وسافر في رحلة إلى أستراليا، وهناك أصرّت ابنته أن تلعب في هذا المسبح، وهو منتبه لأنّ هناك من قال له أن ابنتك ستموت في الغرق، ومركز على أن لا يتركها، ثم خرجت وجففها وانتهى كل شيء، ثم تحرك من جانبها وذهب ليرد على الهاتف، وإذا بالبنت ترمي بنفسها بلباسها وتدخل في قاع المسبح بمقدار الدقيقة التي ذهب ليرد فيها على الهاتف وعاد، عاد فوجدها في قاع المسبح، ماتت! لكن هذا ابتلاء حتى يحرر الإنسان نفسه من مثل هؤلاء.

على كل حال؛ المقصد أن لا تتصور أنك لو دخلت أزمة أو غرق أو حرق ستستغيث، فيوافق قلبك لسانك! لا، بل **ستستغيث وانت يائس من الناس، طالب من الله أن يسخر لك**، وانتفع من القصص والحكايات، انتفع حتى إذا ما أتتك الأزمة تكون في مكانك المناسب، وهو أنه قد تكون كل طائرات الإنقاذ حولي ولا أحد ينفعني أحد.

مثل العبّارة المصرية، عندما تسمعين قصص الناس وكيف كانت حالتهم، تعرفين أنه لا أحد يغيثك، فهؤلاء ما كانوا بعيدين كثيرًا عن شاطئ السعودية، فسبحان الله كان من الممكن أن يعودون، ولو أنهم سبحوا بالاتجاه الصحيح لكانوا وصلوا، وممكن لو أنهم اتجهوا الاتجاه الصحيح لوصلوا إلى الشعب المرجانية التي ترفعهم، لكن كل واحد سخر الله عز وجلّ له طريق وكتب له نوع نهاية مختلفة.

حتى تفهموا أن الناس لا ينجونك، ولا يفعلون لكِ شيئًا، حتى لو كنت تراهم بعينيك! لا ينجونك، ولا يعطونك، فإذا استغثت بلسانك لا بأس أبدًا، لكن المهم أين استقرار قلبك، افزع إلى الله في أول الأمر، ثم لا بأس، لا بأس، نسأل الله أن يحفظنا من المصائب والحرائق وإلى أخره، لكن انت عندما ترى نار قد اشتعلت، استغث بالله عز وجلّ أن ينجيك، ثم ناد الجيران، لا بأس، ثم اتصل بالإطفاء، خذ التصرف السليم الذي يهديك له الله، تأمل في "يهديك" من أجل ذلك يجب أن تفزع إلى الله مباشرة.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: نعم تخاف، لا بأس، ولكنك في الأصل ماذا يقع في قلبك؟ أن يارب سخر الناس وهيئ الأسباب، اطلب من الله أن يأتي بالأسباب، فانت لست ممنوع من الخوف في مثل هذه اللحظة، نحن لم نقل لك لا تخف، بل على العكس، الخوف هو الذي سيأتي بالاستغاثة بالله، لكن عندما تكون آمنا ولا تشعر سينتهي موضوعك وانت لا زلت آمنا، وما استغثت بالله ولا بغيره، هذا شخص قلبه ميت، ونحن لا نقول بذلك، بل نقول أنه لابد أن يقع في قلبك الخوف.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: أمَّا عما مضى فنسأل الله عز وجلّ أن يغفر لنا التفاتنا للناس.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: اطلبي من الله أن يقبل منكِ دعاءك وأن يغفر لكِ إن وقع منك التفات قلب إلى غيره، أمَّا على ما هو آت فابذل جهودك، فانت ما تُوَفَّق من أول مرة، انت ابذل جهدك، لكن هل ستكتب تقييم عن نفسك بعد نهاية المشكلة؟! لا! لم يقل لك أحد ذلك! انت فقط اطلب من الله أن يسدد ثغراتك، وأخطاءك، وما وقع منك، والذي يوفقك فيه خير وبركة.

سؤال من الطالبات رد من الأستاذة: لا، هذا ليس معناه أن القلب ميت، ولكن حرك قلبك، فلا تصل إلى حد تتصور إنه قد قُبل منك، لا تدخل في هذا الغرر الثاني، بأن يكون عندك حرارة في أول الدعاء وأول المصيبة وتستغيث وتدعو ثم تبرد!، فنقول أنك بهذا البرود ممكن أن تكون عندك مشاعر بأنه قد قُبل منك وانتهى الأمر وربنا سوف ينجيك، كن واثق من الله واجعل سبب ثقتك إلحاحك، لا تنسوا بأن الإلحاح تقرّب.

❖ الدليل الرابع.

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[٢٤٣].

هذه الآية التي في سورة النمل تحتاج منك تتبع للسياق كله، لكن "مجمل المعنى أن المشركين من العرب قد علموا مَن هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ومَن هو الذي يكشف السوء، ومَن هو الذي يجعلكم خلفاء، لأن السؤال استنكاري ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾، فأنكر الله عليهم أن يتخذوا إلهًا معه يدعونه ويتوجهون إليه في كشف الضرّ، لما قال لهم ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ يعني أإله مع الله يفعل ذلك [يجيب المضطر ويكشف السوء]؟!.

فإذا كان لا ينقذكم من الشدائد إلَّا الله باعترافكم، فكيف تشركون به في حال الرخاء؟!، هل هذا إلَّا تناقض؟!."

قصة عكرمة رضي الله عنه شاهد مناسب لهذه الآية؛ "وَأَمَّا عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ رِيحٌ عَاصِفٌ ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ لأَهْلِ السَّفِينَةِ : أَخْلِصُوا فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لا تُغْنِي عَنْكُمْ هَاهُنَا شَيْئًا ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي فِي الْبَحْرِ إِلَّا

[٢٤٣] النمل:٦٢

الإِخْلاصُ لَمْ يُنَجِّنِي فِي الْبِرِّ غَيْرُهُ ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ" فنجاه الله عز وجلّ فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم.

هذه القصة كيف تنتفعين بها في شرح الآية؟

أولًا القصة فيها عدة أدلة:

▪الدليل الأول: أنهم كانوا يقولون "أَخْلِصُوا فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لا تُغْنِي عَنْكُمْ هَاهُنَا شَيْئًا" إذن هم يعلمون ويؤمنون بأنه لا يجيب المضطر إذا دعاه إلَّا الله.

▪ الدليل الثاني: القصة تدلّ على أن من له عقل سليم سينتفع من هذه الحقيقة؛ أنه لا ينجي في الشدائد إلَّا الله، فإذا علمت أنه لا ينجي في الشدائد إلَّا الله؛ إذن لا تدعو في الرخاء إلَّا الله.

إذن نحن نحتاج العقل السليم، هذا الكلام يدلك على أننا نحتاج العقل السليم، فالذي يكون عنده عقل سليم ينتفع من تربية الله، فهذا الموقف لعكرمة رضي الله عنه كان نوع من التربية، أن يختار في هروبه البحر، وأن يركب البحر فتأتي العاصفة، وأن أهل السفينة يقولون هذا الكلام، انظري كيف يهيئ الله الأسباب من أجل أن تتربى انت.

فمن فوائد هذه القصة أن تعلم أن الله يعرض عليك الهداية في المواقف والأحداث التي تدور حولك، فلا تكن صلبًا لا تهتدي، بل تحرك علّ الله عز وجلّ أن ينفعك بتربيته، انتهينا من القصة.

إذن إذا كان لا يجيب المضطر إلَّا الله ولا يكشف السوء إلَّا الله؛ فلا تدعو ولا تستغث إلَّا بالله.

الاستغاثة بغيره وقت الاضطرار ما حكمها؟ يعني أن قلبك يستغيث بغير الله، ماذا سيكون هذا؟ شرك، لأن الله عز وجلّ يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾، إذن هو وحده الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، إذا كان هذا وصفٌ يخصّ الله إذن طلب كشف السوء من غير الله نوع من الشرك.

مرة أخرى؛ انظروا لكل الأدلة، وليس هذا الدليل فقط، بل انظروا لكل الأدلة.

⇦ نقول "خلاصة الباب": ❞ إذا كان لا يكشف الضرّ إلَّا الله، ولا يُبتغى الرزق إلَّا عند الله، ولا يجيب المضطر إلَّا الله، فإذا دُعي غير الله كان هذا من الظلم الأكبر ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ لأن وصف غير الله أنه لا ينفع ولا يضرّ ولا يستجيب، بل هو غافل ويتحول إلى عدو يوم القيامة.❝

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة:الظلم ظلمان:

- ظلم الإنسان لنفسه.
- وظلم الإنسان لغيره.

ظلم أكبر بالشرك.

أمَّا ظلم الإنسان لنفسه

ظلم بالمعاصي.

نأتي إلى آخر جملة في التقرير؛

" ووجه كون الاستغاثة بغير الله شرك؛ أن المستغيث بغير الله يصف غير الله بصفات الله – وبعبارة أدق– يصف غير الله بصفات خاصة بالله. "

هذه العبارة دقيقة، فالإنسان مثلًا يمكن أن يوصف بأنه حليم ورحيم، ممكن أن يوصف الإنسان بهذه الصفات، لكن هناك صفات لا يمكن أن يوصف بها أحد غير الله، وإن كان الإنسان عندما يوصف بالرحمة والحلم لا يوصف بها على الإطلاق كاملة، لكن يمكن أن يوصف بها.

فنحن نقول هنا ما وجه كونه شرك؟ أنه يصف غير الله بصفات خاصة بالله، فمن هنا أتى الشرك، يعني أنه أتى الشرك من جهة أن الإنسان يعطي غير الله صفات تخص الله، فإذا أعطاه صفات تخصّ الله ماذا يحصل بعد ذلك؟ بدأ الشرك بالأسماء والصفات، وانتهى بشرك الألوهية.

يعني يبتدئ بأن يعطيه صفات خاصة بالله، ثم يتعلّق به، يتعلّق بغير الله، يصفه بصفات كمال ثم يتعلّق به، وهذه مصيبة الشرك في كل مكان، أنهم يصفون غير الله بصفات الله التي تخصّه ثم يتعلّقون به، يتصور أن مديره هذا رازقه، وأن فلان هذا الرزق عنده، وأن سعادتي بيد فلان، مع أنك تسمع أنه ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[٢٤٤]!.

وتشعر أن حياتك رهن للطبيب، مع أنك تعرف أنه ﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾[٢٤٥]، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[٢٤٦]!.

انظري من أين تأتي البلوى، تأتي البلوى في شرك الألوهية بعد وصف غير الله بصفات خاصة بالله.

❖ الدليل الخامس والأخير

نأتي إلى الدليل الأخير، الدليل الأخير فيه معنى يزيد على المعنى الذي مضى..

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ: أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: " إِنَّهُ لاَ يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ عز وجلّ"[٢٤٧].

معنى الحديث واضح، أن الاستغاثة هنا استغاثة من ضرر معنوي، لأن الاستغاثة ممكن أن تكون من ضرر مادي، أو من ضرر معنوي؛ ضرر معنوي مثل السب، والشتم، هذا نوع من الضرّر المعنوي الذي يأتينا من الخارج، من الناس، وممكن أن يكون وسواس من الشيطان، فالوسواس من الشيطان ضرر معنوي، وعندما يأتيك وسواس من الشيطان ليس لك حل إلَّا الاستغاثة بالله، إذن تستغيث بالله من الضرّر المادي، ومن الضرّر المعنوي، وهذا زيادة في المعنى على ما مضى.

---

[٢٤٤] النجم:٤٣

[٢٤٥] النجم: ٤٤

[٢٤٦] الشعراء:٨٠

[٢٤٧] أخرجه الطبراني، كما في «جامع المسانيد» لابن كثير (١٤٠/٧)، من طريق سعيد بن عفير عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح عن عبادة به.

إذن قرِّر في ذهنك أن الاستغاثة تكون من ضرر مادي وضرر معنوي، وكما ذكرنا سابقا أن الأمراض النفسية أصبحت مثل الأمراض البدنية في انتشارها، وفي إصابة الناس بها، فهي تُعَالج كما تُعَالج الأمراض البدنية.

⇦ فإذا عولجت الأمراض البدنية بالرُّقى والأدوية – يعني بالسبب الشرعي أو السبب الكوني–.

⇦ فكذلك الأمراض النفسية تُعَالج بالسبب الشرعي، وبالسبب الكوني.

من الأسباب الشرعية في الرُّقى وفي الأمراض:" الاستغاثة بالله"، تستغيث بالله أن ينجيك، تستغيث بالله أن يكشف عنك الضرّ، تستغيث بالله أن يدفع عنك الشيطان، عندما يكون العبد مصاب بوسوسة، أو مصاب بإكتئاب، ومصاب هذه الأمراض النفسية؛ فتلح في الدعاء، وترى نفسك غريق ما ينجيك إلَّا الله.

حتى لما تصاب بنوع من الفواحش، أو نوع من الذنوب العظيمة [مثل الكبائر] فتجد نفسك لا تجلس في مجلس إلَّا وتغتاب، وقدر ما تربّي نفسك تشعر أنك غير قادر على تركها، أو تجد في نفسك النظرة المحرمة، تنظر إلى الحرام، أو تجد في نفسك شيء من الانحراف، ولست مستقيم، أو تجد أن نفسك قد تحدثك بالسرقة، أو تحدثك نفسك بالزنا – نسأل الله السلامة – **هذه كلها أنواع من الأمراض المعنوية، فلما تجد نفسك تحت هذه مباشرة لا بد من الاستغاثة،** يعني حتى أنه ليس دعاءً، ليس دعاء، لابد من الاستغاثة.

لأن الناس إمَّا مصابين بوسواس أو باكتئاب، أو مصابين بمرض يصيب قلوبهم من حبهم للخبائث، وحبّ الخبائث موجود، واحد يحب الشيء الذي لا يحبه الله، ولابد أن تخاف، لأنه لو أصبح بالنسبة لك إرادة مستقرة حب الشيء الذي هو من الفواحش أو الكبائر لو أصبح بالنسبة لك أمرًا محبوب، وأصبحت هذه إرادة مستقرة في عقلك؛ عليه تكون الخاتمة! لذلك لا بد أن يكون في قلبك حال من الاستغاثة، أي أنك غارق، "لا تنجيني إلَّا انت يارب"، أو أحيانًا نجد مثل هذا وقع فيه أبناؤنا، مثل حبهم لشيء من الفواحش، وحتى لو كنت تقول فترة وتمر عليهم، لا بأس، أيضًا استغث لهم، استغث لهم أن ينجيهم الله.

هنا أيضًا يوجد فارق في هذا الحديث عما مضى: أن استغاثة الصحابة بالرسول صلى الله عليه وسلم كان في أمرٍ يقدر عليه، فانت استغاثتك بلسانك بأحد في أمر يقدر عليه في أصلها جائزة، جائز مثلًا أن تصاب بحريق – نسأل الله أن يسلمنا – أو تصاب بغرق – نسأل الله أن يحفظنا ويحفظ ذرياتنا – فتقول مثلًا أنقذوني وساعدني، كل هذه الكلمات لا بأس بها، المهم أن يكون قلبك عند الله؟ عند الله، هذا هو المهم، أنك ترى أن الله هو الذي يسخر لك.

والآن لو نظرت إلى هذه الحال التي أمامك في الحديث ستجد أن الصحابة استغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم استغاثة نوعها أنها جائزة، لأنهم طلبوا الإغاثة من النبي صلى الله عليه وسلم فيما يقدر عليه النبي صلى الله عليه وسلم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قادرًا في مقامه على إغاثتهم، بأن يأمر بقتل المنافق، أو يأمر بمنعه، فهو ولي الأمر.

فلماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لهم: " إِنَّهُ لاَ يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ عز وجلّ"؟ لعدة أسباب:

- حماية لجناب التوحيد.
- وسدًا لذرائع الشرك.
- وتحذيرًا للأمة من الوقوع في الشرك سواء كان في الأقوال أو الأفعال.
- وذلًا وتواضعا منه صلى الله عليه وسلم لربه.

إشكال وجوابه.

أمامك دليلان على حكم إطلاق لفظ الاستغاثة على المخلوق فيما يقدر عليه، كيف تجمعين بينهما؟

- الحديث الذي تعرفيه هنا؛ قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: " إِنَّهُ لاَ يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ عز وجلّ"
- الآية: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[٢٤٨] والله عز وجلّ ما أنكر على المستغيث بموسى عليه السلام.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ليس موسى عليه السلام هو من استغاث، من الخطأ أن تقول أن موسى عليه السلام هو الذي استغاث، لماذا خطأ؟ لأنه لو ركز في عقلك أن موسى هو الذي استغاث ستصير من سنة الأنبياء!، وستقولين في نفسك في لحظة من اللحظات أن الأنبياء فعلوا ذلك!، **فلابد أن تكونوا دقيقين في تعليق المعلومة في عقولكم.**

ستحملين كل من الدليلين على ماذا؟

- الدليل الأول: قول النبي صلى الله عليه وسلم، ستحملينه على أنه سد للذريعة، وطلب للكمال، وتأدب مع الله، وفعل الأوْلى، طلب للكمال وفعل الأولى عبارة عن كلام واحد.
- الدليل الثاني: ستحملينه على ماذا؟ على الجواز.

انتهى الباب.

الآن نعود مرة أخرى نقرر من أين أتى الشيخ بـ "الشرك"؛ قال **"من الشرك أن يستغاث بغير الله وأن يُدعى غيره".**

سأقول كل الاستدلالات من الأدلة على أنه شرك

- نبدأ بالجملة الأولى؛ الدعاء والاستغاثة من أنواع العبادة التي تصرف لله وحده، ومن صرف منها شيئًا لغير الله فقد أشرك، فقد نهى الله أن يُدعى من دونه ما لا ينفع ولا يضرّ، لأنه لا يكشف الضرّ ولا يجلب الخير إلَّا الله تعالى.
- وأمر بتوحيده في ابتغاء الرزق لأن الرزق على الحقيقة ملك لله عز وجلّ، فإذا كان ملكًا له فلا تستغث بغيره، أنه لما أمرك بالتوحيد يعني نهاك عن الشرك.
- ووصف الله تعالى من دعا غيره بأنه أضلّ الضالين ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ يعني لا أحد أضلّ منه، فالواجب على العبد أن يوجه السؤال إلى الله عز وجلّ، لأنه لا يجيب المضطر ولا يكشف السوء إلَّا هو سبحانه وتعالى.
- لذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستغاثة به حال حياته حمايةً للتوحيد، وسدًا لذرائع الشرك.

هكذا يكون انتهى الباب.

[٢٤٨] القصص:١٥

هناك سؤال يقول: أيُّهما أعظم عبادة الدعاء أم عبادة الاستغاثة؟

الجواب: كل شيء في زمنه يكون أعظم، فالدعاء والاستغاثة طريق واحد، لكن الدعاء يكون في الرخاء، والاستغاثة تكون في الشدة.

سؤال: الاستغاثة كيف تكون؟ أي في الدعاء؟ أم في السجود؟ أم في الوتر؟ أم متى؟ الجواب: الاستغاثة تستلزم منك الإلحاح، وهذا أهم شرط، والإلحاح معناه كثرة الدعاء مع حضور القلب، وفي كل مناسبة، في أوقات الاستجابة [بين الأذان والقامة، وفي آخر الليل، وفي الساعة الأخيرة من يوم الجمعة]، وهذه أوقات الاستجابة، وفي سجودك، وقبل سلامك، ثم يأتي الإلحاح في كل وقت إطلاقًا، يعني أنك تهتم بأوقات استجابة الدعاء، وفي المواطن التي يستجاب فيها الدعاء.

أوقات استجابة الدعاء مثل [بين الأذان والإقامة، والثلث الأخير من الليل، وعند نزول المطر، وساعة الاستجابة يوم الجمعة].

أيضا هناك أحوال [في سجودك، وقبل السلام] هذه أحوال تدعو فيها.

وأيضًا من زيادة عنايتك بهذا الأمر واستغاثتك بالله؛ كل ما حضر قلبك وشعرت بالحاجة تستغيث، **أهم شيء في الاستغاثة قوة الإلحاح وحضور القلب، قوة الإلحاح، أظهر لله عز وجلّ أنك مصاب حقيقة، وأنك إليه فقير**، وتكلم بكلام أنك فقير محتاج إلى ربك.

سؤال: قد يخاف الإنسان من شيء أو يتعرض لشيء مخيف فيستغيث يقول مثلًا يا أماه، بلسانه غير معتقد بقلبه؟ الجواب: كونه غير معتقد بقلبه جميل، لكن لا أن يكون شخصا مثلًا في مدرسته ونحن في البيت، ولما يصيبه شيء يقول: يا أماه، لا، هذا سيكون غير قادر، في البيت ممكن، أنا موجودة معه، وهناك شيء أنا قادرة عليه، فيناديني مثلًا لأنه قد سقط عليه شيء، أو سقط من شيء، أو خائف من شيء، أو رأى شيء، وأنا معه، لا بأس، لكن عندما لا أكون موجودة معه؟!.

لذلك أفضل شيء أن تستعملوا معهم الحديث " إِنَّهُ لاَ يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ عز وجلّ"، سدًا للذريعة طبعًا هنا، حتى لا نقع في مشكلة أن يناديك وانت غير موجودة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: في الاستغاثة ليس هناك إشكال أن تطلب الدنيا، لكن الإشكال أن يكون كل همّك الدنيا ولا نسمع منك ولا كلمة على الآخرة، ولا تقول يا رب نجني وأدخلني الجنة وكل شيء هنا في الدنيا، هذه هو الإشكال.

جزاكم الله خيرًا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسر لنا هذا اللقاء واسأله سبحانه وتعالى أن يجعله مباركًا مرحومًا ..اللهم آمين.

من أنواع القُرب إلى الله التقرب بطلب العلم، فاجمع قلبك على أن تجعل مثل هذه المجالس سببًا للقربة من الله عز وجلّ، واجمع قلبك على أن تجعل هذا العمل خالصًا لوجهه سبحانه وتعالى، فلا تريد إلَّا أن يرضى الله عنك.

وإذا عَظُم في قلبك كثرة ذنوبك فاحتسب على الله أن تكون هذه الدقائق عمل تطلب به المغفرة، نسأل الله عز وجلّ أن يجعلنا ممن يقال لهم قوموا مغفورًا لكم .. اللهم آمين.

نحن نجتمع على أعظم مقصود –كما تعلمون – نسأل الله عز وجلّ أن لا يحرمنا من هذه النعمة العظيمة وأن يجعلنا من الشاكرين له، نجتمع على أعظم مقصود الذي من أجله خلق الله الخلق وقام سوق الجنة والنار ألَّا وهو التوحيد.

وكما تعلمون التوحيد هو مقصد القرآن من أوله إلى آخره، **القرآن من أوله إلى آخره كما يقول ابن القيم: كله توحيد.**

وهذا هو المقصود من وراء ذكر قصص الرسل وأقوامهم.

وهذا هو المقصود من وراء ضرب الأمثال في كتابه.

وهذا هو المقصود من وراء ذكر الجنة وذكر النار.

فالمقصود أصلًا أن تكون لله موحدًا، وهذا ما ترونه في كتاب التوحيد، فانتم لا تجدون في كتاب التوحيد الذي أنعم الله عز وجلّ به علينا إلَّا أنه جَمْعٌ لما تفرق من آيات تدلُّ على معاني التوحيد، ولو كنا شديدي التنبه ونحن نقرأ كتاب الله ما كانت فاتتنا هذه الآيات ولا هذه الدلالات لكن انتم تعلمون ما في الناس من جهل، ومن نقص علم، ونقص عناية، ونقص تدبر، ونقص تركيز، ونقص في علم اللغة، كل هذا جعلنا في النهاية نحتاج إلى أن نفرد دروس نتكلم فيها عن التوحيد.

ومر معكم في دروس التفسير؛ أن من أنواع التفسير ما يسمى **بـ "التفسير الموضوعي"، والتفسير الموضوعي هو جمع الآيات التي تتكلم عن موضوع واحد،** فكتاب التوحيد بهذه الصورة، كأنه تفسير موضوعي يجمع كل الآيات التي تتكلم – طبعًا ليس كل – ليس على باب الاستقراء، وإنما ما يكون فيه دلالة واضحة وإشارة، يعني أنه استعمل أسلوب الإشارة، يعني أن هذا الدليل يشير إلى كذا وكذا وأمثاله يشير إلى نفس المعنى، فمثلًا: آية ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾[٢٤٩] من سورة يونس التي مرت معكم في الاستغاثة، مثلها في أول سورة الأنعام، فانتم الآن كأنه يشار لك أن هذه الآية التي في يونس وأمثالها، وهذا نوع من أنوع الاستقراء الموضوعي.

المعنى الآن أنك إذا أحببت أن تدرس كتاب مثل كتاب التوحيد، هذا ليس لأنك متعصب لصاحبه، وليس لأنك في قلبك غلّ على غيره، أبدًا!، وإنما لأن هذا الكتاب يجمع لك من آيات كتاب الله ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ما يجعلك تحرر الموضوع الواحد، تحرر الموضوع الواحد، كما أنك لو خططت بيمينك مثلًا بحث في التفسير عن الأمثال –كما مر معكم سابقًا – فانت الآن عندما تخط بيمينك وتجمع بنفسك ثم تحضرّ وتدرس أحد سيحصل لك انتماء لأوراقك، لماذا؟ لأنها تحمل كلام الله وليس

[٢٤٩] الأنعام:١٧

لأنها أوراقك، فلا تلّوموا أنفسكم ولا الناس الذين يجدون في نفوسهم محبة لدراسة التوحيد، هذا هو المقصد أصلًا، هذا هو المقصد أن تكون في نهاية الحياة واحدا لواحد، هذا هو المقصد.

وعندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ"، وعندما مر عليك من آيات كتاب الله النصوص الكثيرة التي تدلك على أن القلب يمرض، وعلى أن السمع يُصم، وعلى أن العين تعمى، عندما تدرس التوحيد تفهم هذا المعنى، وتفهم ما معنى أن يكون على القلوب غشاوة أو أكنة، وتفهم ما معنى أن يكون على الأعين غشاوة أو تعمى، وما معنى أن تصم الآذان، تفهم هذا المعنى، وتفهم ما معنى أن القلب يمرض، وما معنى القلب يشفى.

نسأله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه كما نزل للناس في هذا القرآن شفاء أن يجعله لقلوبنا شفاء، اللهم آمين.

نبتدئ بمجموعة جديدة في كتاب التوحيد نقدم هنا بالكلام حول علاقة هذه المجموعة بكتاب التوحيد.

أولًا ما هي هذه الأبواب التي ستكون "مجموعة جديدة"؟

- **ابتداء من باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.**
- **وباب قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾.**
- **وباب الشفاعة.**
- **وباب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.**

كل هذه الأبواب تعتبر مجموعة واحدة، ما المقصود بها؟ماذا يقصد بهذه المجموعة؟ نبتدئ أولًا بالعودة إلى الخلف، **انتم تعلمون أن أغش عباد الله لعبيد الله هو الشيطان**، وانتم تعلمون أن الشيطان لا ينقل الناس من الحقّ إلى الباطل مرة واحدة، إنما يدعوهم بالخطوات، ماذا يقال لك؟ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ﴾ بماذا وصفه الله عز وجلّ؟ ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٢٥٠].

ننظر الآن إلى خطوات الشيطان التي بها يحول الإنسان من الحقّ إلى الباطل؛ فلو نظرت للأبواب السابقة، كأنك تنظرين إلى الخطوات، أمر يكون صغير ثم يعظم.

من خطواته أنه يتدرج مع ابن آدم في اعتقاد ما ليس بسبب سببًا لجلب نفع أو دفع ضرّ خصوصًا في لحظة المرض، ويوهمه بأشياء بأن لها بركات، بأشياء، وبأماكن، إلى آخره —كل ما درسناه– [أشياء هذه إشارة إلى كل شيء: هناك أشياء مادية، وهناك أماكن، وهناك أزمنة] فإذا تبرك بشيء وعظمه؛ يسول له صرف شيء من أنواع العبادة.

من أنواع العبادة أي ماذا يفعل؟ يبدأ بالذبح متقربًا له طالبًا لبركته، ثم يتحول إلى النذر، ثم إلى الاستعاذة، ثم إلى الاستغاثة في وقت الشدائد، مع أنه كان الواجب على العبد أن يوحد الله، ولا يتوجه بقلبه متعلقًا معظمًا إلَّا الله، لأن كل من كان له عقل يعلم أنه لا يُرجى، ولا يُخاف، ولا يُدعى إلَّا من يملك.

وفي كلام لابن تيمية:" الاسْتِغَاثَةُ بِالْمَخْلُوقِ كَطَلَبِ الْغَرِيقِ مِن الْغَرِيقِ والْحَبيس مِن الحبيس".

مر معنا في الاستغاثة أنك لا بد أن تتصور جيدًا أن قلبك لا ينبغي يلجأ لهذا أبدًا، وإن كان من الممكن أن تطلب طلبك للإغاثة عمل باللسان لكن ليس عمل بالقلب، لماذا؟ لأن الذي يغيثك لا يملكك، هذه حقيقته، فهل انتم تعيشون الآن في الحياة وانتم

[٢٥٠] البقرة:١٦٨

متصورون أن من حولكم لا يملك؟! نتفاوت في هذه المشاعر، نتفاوت في قوتها على حسب قوة درجة علمنا، ونتفاوت على حسب درجة إيماننا، هذا هو التفاوت بيننا، ثم نحن بأنفسنا نتفاوت في المواقف، فانت عش على أنه لا أحد يملك شيء إلَّا الله، هذه المعيشة ماذا تفعل بك؟ تقطع حبائل رجاء غير الله.

إذا انتفى ملك كل أحد غير الله للنفع والضرّ انتفى استحقاقه للتعلّق به، فتصور هذه المسالة تصورًا جيدًا، وعش في الحياة على أنه لا أحد يملك نفعك ولا ضرّك، صعبة أليس كذلك؟ تجدون أنها صعبة؟ نعم، لا بل وفي أحيان كثيرة، خصوصًا إذا قَلّت خبرتك وتجربتك ومعايشتك للحياة، فتجد قلبك يفزع إلى هذا وهذا لكن **لما تتعلم التوحيد، وتزيد تجربتك وخلطتك – أي عاملان معًا – يولدان نضج في الفكر.**

وأذكركم مرة أخرى، أن بلوغ سن الأربعين، من المفروض أن يكون في وقت تكون فيه نفسيتك قد اتزنت، توحيد مع تجارب، فتبيَّن لك الحقيقة بأنك عشت زمنًا طويلًا تعرف أن لا هذا ينفع، ولا هذا ينفع، ولا هذا يشفع، ثم تبدأ تُقطِّع علاقاتك، في مقابل أن تجارب بدون توحيد تجد آثارها موجودة من أحقاد.

مثلًا شخص غير موحد ويدخل في تجارب، فيخرج ممتلىء بالأحقاد، وهذا دون توحيد طبعًا، لأنه يقول لك –كما يعبر هؤلاء – الذين يكتبون في الجرائد، ومنهم من يكتب شعرًا، ومنهم من يكتب نثرًا، ومنهم من يكتب مقالات، وكلهم يدورون حول مفهوم واحد، وهو أن [الزمان سيء، وأهله سيؤون، والناس غدارون، والزمن غدار، وإلى آخر ما يصفونه من صفات] فالحقيقة لأنه ليس معك توحيد، فعندما يخذلك هذا، وهذا يبعد عنك، وهذا وقت الحاجة يتركك، وهذا لا يوفق أن يتصرف معك كما ينبغي، فانت على حسب قوة توحيدك ستفسِّر المواقف.

⇦ واحد مع قوة توحيده ماذا سيقول؟ سيقول ما صرف الله عني القلوب إلَّا لحكمة، إلَّا لذنب، إلَّا لأن هذا هو الأصلح لي.

⇦ وآخر يقول أصلًا الناس لا خير فيهم، ولو كان فيهم خير لما كانوا في هذا الوقت يفعلون كذا وكذا.

من أجل ذلك تجد أناس كبارًا وشخصيات، وغالب الليبراليين كما يعبرون، والليبرالية كلمة تشبه كلمة العلمانية، مع زيادة تثقيف، ثم يأتي واحد في مقابلة في التلفاز: أنا ليبرالي إسلامي!، انتم بحاجة إلى أن تقرؤوا في هذا المصطلح، من المهم أن تفهموا هذه المصطلحات لأنها موجودة الآن، تجدونها في الجرائد، وتجدونها في كل مكان، فيجب أن تفهموا ما معنى ليبرالي، وما وراء أفكاره.

المهم أن تفهموا أنها صورة من العلمانية.هؤلاء الليبراليون تجد كثير منهم فارغين، حتى كلمتين على بعضهم لا يستطيع أن يقولهم، لكن فقط ممتليء بالأحقاد!، فتصوروا في نقاش مع أحدهم يتكلم عن الروافض – حاربهم الله، اسقط عليهم من فوقهم اللهم آمين–، عليكم بالدعاء فالمسألة ليست سهلة كما تشعرون، ووالله ما زادوا قوة إلَّا لأننا ضعفنا في دعوتنا إلى التوحيد، وضعفنا في قوة لجوئنا إلى الله، لكن لا تَدَعوا هذا الكلام يخذلكم، هؤلاء الروافض مثل فقاعة الصابون، ليسوا بشيء، إلَّا أن الله عز وجلّ يزيلهم، ولا يقوون إلَّا عندما نضعف نحن في التوحيد، اقرئي التاريخ وانظري متى تصبح لهم مكانة، أصلًا ظهورهم وارتفاعهم مباشرة دليل على ضعف التوحيد في نفوس المسلمين، اسأل الله إلَّا يسلطهم علينا ولا على ذرياتنا،آمين آمين.

المهم؛ لتري كيف هي الأحقاد، هو الآن ليبرالي منفصل ذهنيًا عن الدين، ففي نقاش حول الأحداث التي حدثت قريبًا سواءً كانت في البقيع أو سواءً كانت في بريطانيا في المظاهرة التي قاموا بها، فيقول نحن ننتظر اليوم الذي يتمكنون فيه – انظري هو من أهل

السُّنة- حقدًا على مَن؟ ليس حقدًا على أهل السُّنة، بل حقدًا على السلطان!، حقدًا على الدولة، سواء هنا أو خارج المملكة، انظري؛ إلى هذه الدرجة ينسلخ الإنسان من فكره لأنه فاقد للتوحيد.

ثم عندما تنظرين إلى حالة هذا الليبرالي تتساءلين هل ينقصك مال؟ لا لا ينقصك مال، هل ينقصك جاه؟ لا لا ينقصك جاه، إذن ما الذي يجعل قلبه ممتلئ بهذه الأحقاد؟ يريد أن يزيلهم ويجلس مكانهم.

فلما يقال: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾، ولا تتصور أن أحدًا قد وضعه، أحدًا يعني: س أو ص أو ع، بل الله هو الذي ملكهم الملك، وسواء في بلدنا – نسأل الله عز وجلّ أن يحفظها ويزيدها توحيدا – أو في أي مكان، ما ملكهم الملك إلَّا الله، فلو كنت موحدًا حقيقة ستعلم إن هذا الملك "إتيان"، فلما طُلب منكم طاعة وليّ الأمر، تفهمها عندما تفهم الحديث، وإن كان في سند الحديث اضطراب واختلاف، لكن خرجه أبو عاصم في السنة: "السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي الأَرْضِ"، ولما تفهم هذا النص تفهم كيف تتصرف، لا يقال لك ظل الله في الأرض إلَّا لأن الله هو الذي آتاه الملك!

⇦ فعندما يملك هو الملك إذا كان من أهل الكفر الفسوق اطلب من الله أن يزيله.

⇦ وإذا كان من أهل التوحيد اطلب من الله أن يزيده إنارة لقلبه وبطانة صالحة.

أم أن القضية حسد، وتريد أن تكون مكانه، يقول لا، أنا لا أريد أن أكون مكانه، أنا أريد أن يعمّ العدل، و من قال لك أنك إذا توليت سيأتي العدل، من قال؟!، أصلًا انتم وأمثالكم – الليبراليون – لو توليتم سنرى آثار الفساد، سنراها واضحة!

لسنا بحاجة إلى هذا الكلام، هذا تقرير لما هو في الأصل مقرر، لكن والله لا نشتكي إلَّا إلى الله، أناس مصلون صائمون لكنهم تصوروا يتمنون أن يعلو أهل الشرك على أهل التوحيد، ثم هل هو شاب صغير؟! هذا شخص عمره ستون سنة، نقول سبحان الله، الإنسان عندما يصبح عمره أربعين سنة من المفروض أن ينضج فكريًا ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾[٢٥١]، هذا شخص عمره ستين سنة، وغير شاعر بالنعمة لا عليه ولا على أهله، ولا شاعر بأي نعمة، لكنه شاعر بأنه يريد أن ينزع منهم السلطان نزعا، قلبه يغلي يغلي، فلما يفتح الموضوع تجد في أنفاسه سموما، ولماذا كل هذا؟!، يقول أنا لست مثلكم ضعيف الشخصية، نقول: انت سوف تموت، عمرك الآن ستون سنة كم بقي لك في الحياة؟! ستموت بالحقد الذي تحمله في قلبك، ومثلك أصلًا لا يُخاطب للعلاج، نحن لا نيأس من رحمة الله لكن عسى الله أن يردك إليه ردًا جميلًا لكن ما في قلبك من حقد يثقل على الجبال حمله، إذا كنت في نهاية الأمر تتمنى أن يأتي أهل الشرك والرفض وانت لو قرأت في تاريخهم هم، وليس تاريخنا نحن، لو قرأت تاريخهم هم وماذا يكتبون في تاريخهم؛ سترى كيف يعيثون في الأرض فسادًا، لكن الله المستعان!.

حتى أنه في نقاش عقلي قيل له إذا دخل هؤلاء الروافض أهل الأموال سوف يطيرون بطياراتهم الخاصة وانت الذي ستجلس ويقبضون عليك، فهو يقول إن شاء الله يأتون وأراهم بعيني، نقول له لا بأس الذين تبغضهم وتكرههم سيطيرون بطياراتهم الخاصة انت من سيأخذونك ويسجنونك، كأنه يقال له انت الذي ستتأثر لا أحد غيرك! لكن عقول ناقصة سبحان الله.

المهم اعلموا أن التوحيد إذا فقد من القلب حتى التجارب تُتَرجم بترجمة مختلفة، وحتى المواقف والأحداث تترجم بترجمة مختلفة، ولو سمعتم قصة البخاري وكيف أنه مع مكانته العلمية طُرد في نهاية المطاف، ومات فردًا، مات وحيدًا في قرية نائية صغيرة غير مشتهرة

[٢٥١] النمل:١٩

بالعلم، وصلى عليه عدد من الأنفار، لكن رفع الله ذكره، فهذا يفهمك أنه عليك أن لا تأبه، لا تأبه حتى بما يحاك لك، إنما عليك أن تبقى عند باب الله.

فكلما ازددت تجربة كلما اكتشفت شرورا في نفوس الناس، وعندما تكتشف شرور في نفوس الناس، لا تكتئب، لا؛ بل تزداد توحيدًا، الموحد التجارب تزيده تعلّقًا ورجاءًا، في مقابل أن غير الموحد التجارب تزيده أحقادا.

هل تفهمون هذا؟ هذه جملة تقريرية: **الموحد التجارب تزيده تعلقًا ورجاءًا بالله**، ويرى نقص المخلوقين، وليس عندما يعتدي أحد عليه يفكر في هذا الأحد، انت الآن تأتي زميلتك وتأخذ دفترك، وتقول لك أعطني إياه لأنقل منه، هذا موقف حصل في إحدى الدفعات طالبة قالت لزميلتها أعطني دفترك أنقل منه، وهي صادقة تريد أن تنقل منه وتنتفع، وانت أعطيتيها إياه لتنتفع منه، فتركب سيارة نقل عامة وتضع الدفتر وتنساه، هذا الموقف ماذا ستقول فيه؟ عندما تستقبل الخبر وانت صاحب الدفتر ماذا تقول؟ " اللهم أجرني في مصيبتي "، هي مصيبة، مصيبة، لكنك تفهم أن هذا من الله ابتلاء، فإليه الجأ أن يعوض عليك، ولا تفكر كيف يعوض عليك، هناك أحد يُعتبر أنه أخطأ، لا تظنُّوا أننا لن نسميه مخطىء، سوف نسميه مخطئ، لكن هناك فرق بين أن تسميه مخطئ على السطح، وبين أن تعتقد أنه مخطئ إلى الأعماق، هو مخطئ، لن نقول أن ما فعله صوابًا وندافع عنه، لكن في نفس الوقت وانت موحد ماذا يكون في قلبك من مشاعر؟ أنْ انتهى الأمر، هذا أمر الله، فتتصبر الآن، لأن الفلاح لا يأتي إلَّا لـ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٢٥٢] فيجب أن تفهم أنك حتى تبقى معتدل في فكرك يجب أن تستعمل الصبر، الصبر هذا يُبنى على ماذا؟ **ليس على الصبر وانت تحقد، أو الصبر وانت تحسد، أو الصبر وانت تغتاب!، هذا ليس صبر، الصبر وانت موحد**، تعلم أنك لا ترجو نفعًا ولا دفع ضرّ إلَّا من الله عز وجلّ.

لا بد أن تتصور هذه المسألة، لا بد أن تتصور أن **زيادة ترجمتك للمواقف بالتوحيد تهون عليك أمراض قلبك**، تكون سببًا لصلاح قلبك، لكن هناك أناس يعيشون في أحضان التوحيد، ويسمعون عنه، ويتكلمون به، ثم لا تجد له على نفوسهم أثرا؛ بهذه الكلمة "لا تجد له على نفوسهم أثرا"، حتى أنهم يفرحون – والله أنا أقول لكم هذا الكلام من واقع – أنهم يفرحون بانخفاض دين النبي صلى الله عليه وسلم بأي الصورة!، بأي صورة يفرحون بها، هم الآن يحسبون أنفسهم من أهل التوحيد، سلفيين، يحبون الدين، ثم إذا قيل لهم مدرسة تحفيظ أغلقت يفرحوا!، لماذا؟ لأن في نفوسهم على صاحبها مرض، ماذا نقول!، – الله المستعان– من أجل أن تتصور كيف أنه مع فقدان التوحيد تصبح التجارب سبب لزيادة مرضك وليس سبب لزيادة رجاءك وتعلّقك، وكل الذي مضى من [التبرُّك، والاستعاذة، والاستغاثة] أحد أهم عوامل الوقوع فيها التجربة من أهم أسباب الوقوع في التعلّق بغير الله "التجربة".

هل فهمتم ما معنى التجربة؟ مر معكم في الاستغاثة، في أخر كلام قلناه في الاستغاثة، قلنا كيف يأتي عطاء الله وقت الطلب من غير الله ابتلاءًا.

كل هذا الكلام من أجل أن تتصور كيف أن الشيطان يأخذك بالخطوات، **المفروض أنك كلما ازددت توحيدًا كلما زادت ترجمتك للمواقف بالتوحيد**، يعني إذا أتاك رزق، أتتك محبة، أتتك أموال، تعلم أنها من عند الله، والعكس؛ لو أتاك ما لا

[٢٥٢] العصر:٣

يناسبك، يعني لو أتاك عكس ما تحب تعلم أيضًا أنه من عند الله تكفيرًا لذنوبك، دعني أقول لك بسبب ذنوبك، لأفترض هذا الافتراض، ما تكره سبب كفارة لذنوبك، فإذا وقع عليك وصبرت كفر الله عنك ذنوبك ورفع درجاتك، فهذا هو التوحيد؛ أن تعلم أن كل شيء من الله، فتعامل الله حال وقوع الشيء عليك، **عامل الله في الناس، يعني إذا عاملك من لا يتقيّ الله انت اتق الله فيه.**

على كل حال؛ اتضح لكم أن القلوب قد تميل إلى غير الله طلبًا للنفع ودفع الضرّ، فإذا لم تجد ما تريد، ماذا يحصل لها؟ حقدت ومرضت أمراضًا، لكن ماذا لو وجدت ما تريد؟ أتاها مرض أكبر من مرض الحقد والحسد، جاءها مرض التعلّق بغير الله، ماذا تفعل الآن انت؟ عش الحياة قاطع علائق قلبك بغير الله.

يأتي السؤال كيف أقطع علائق قلبي بغير الله؟ الجواب: اعلم أن غير الله لا يملك لك نفعًا ولا ضرًّا، تعلم عن أوصاف المخلوقين، وتعلم عن أوصاف الربّ.

الآن ستأتي أربعة أبواب تصف لك مَنْ؟ تصف لك كل من عُبِد من دون الله.

باب قول الله تعالى: (أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا) [٢٥٣].

وقوله: (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ)[٢٥٤].

وفي الصّحيح عَنْ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فَقَالَ: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ"، فَنَزَلَتْ: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ)[٢٥٥].

وَفِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الآخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ، : "اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلانًا وَفُلانًا، بَعْدَ مَا يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ). الآية. وَفِي رِوَايَةٌ: يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فنزلت هَذِهِ الآيَةُ: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ).

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)[٢٥٦] قَالَ: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا".

نبدأ بدلالة نصوص الباب، يعني ماذا يريد أن يبيِّن لنا الشيخ من خلال نصوص الباب؟ نمر عليها مرور سريع ثم نأتي عليها بشيء من التفصيل.

انظري لآية الأعراف فيها وصوفات مَن؟ وصوفات مَن يعبد من دون الله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾[٢٥٧]

⇦ أولًا: أنه لا يخلقون، لا يملكون، لا يستطيعون النصر.

وآية فاطر: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٢٥٨]

---

[٢٥٣] الأعراف:١٩١،١٩٢

[٢٥٤] فاطر:١٣،١٤

[٢٥٥] آل عمران:١٢٨

[٢٥٦] الشعراء:٢١٤

[٢٥٧] الأعراف:١٩١،١٩٢

[٢٥٨] فاطر:١٣،١٤

⇦ لا يخلقون، لا يستطيعون النصر، لا يملكون، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ سنرى ذلك بالتفصيل.

إذن: لا يملكون، ولا يسمعون الدعاء – نحن الآن نعُدها فقط – مِن هؤلاء الذين لا يملكون؟ النبي صلى الله عليه وسلم، قيل له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ فهذا حديث أنس الذي في الصحيح، وحديث ابن عمر كلاهما يدلّ على نفس الدلالة؛ إذ قيل له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وهو في حال يدعو فيها على أهل الكفر قيل له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

الآن في النبي صلى الله عليه وسلم أتى مفهومان: وهو يدعو ويودّ هلاك أهل الشرك، فلما دعا وودّ هلاك أهل الشرك قيل له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وفي موطن آخر؛ أيضًا النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه وهو يخاطب أقرب الناس إليه: "وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ".

⇦ يعني قيل له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

⇦ وهو قال لخاصة أهله: "لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ".

فإذن هذا وصف عام لكل أحد غير الله، كلهم على حدٍ سواء:

- لا يخلقون.
- لا يستطيعون النصر.
- لا يملكون.
- لا يستجيبون الدعاء.

⇦ فليس لهم من الأمر شيء، ولا يغنون من دون الله شيئا.

أتى بالصفات أولًا ثم أتى بالدليلين ليفهمك أنه ما دامت هذه صفاتهم إذن ليس لهم من الأمر شيء، فهذه نتيجة أنهم ليس لهم من الأمر شيء، **إذن إذا كان ليس لهم من الأمر شيء، فهم إذن لا يغنون من الله شيئا.**

و انتم سمعتم في آية الإسراء ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾[٢٥٩]

قلنا أن آية الإسراء بمثابة القاعدة، يعني انظر إلى كل المخلوقات بنظرتين:

⇦ كل المخلوقات مشتركين في عدم استحقاقهم للعبادة، لماذا في عدم استحقاقهم للعبادة؟ لأنهم كلهم على حدٍ سواء ليس لهم من الأمر شيء، ولا يغنون عن الله شيء.

⇦ ثم في النظرة الثانية: فاوت بينهم، فهم متفاوتون في عبادتهم وقربتهم؛ [فمنهم الكافر، ومنهم المؤمن ضعيف الإيمان، ومنهم المؤمن كامل الإيمان، ومنهم الرسل] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، يعني أن بينهم تفاوت وتنافس.

آية الإسراء هذه بمثابة القاعدة التي يمر عليها كل الناس مرة واحدة، كل المخلوقات، فكل المخلوقات لهم نفس الأوصاف أنهم:

[٢٥٩] الإسراء:٥٧،٥٦

- لا تخلقون.
- لا يستطيعون نصر.
- لا يملكون.
- لا يستجيبون الدعاء.
- فليس لهم من الأمر شيء، ولا يغنون من الله شيء.

هذا الكلام بصورة عامة، يأتي الآن كل دليل بشيء من التفصيل.

◄ الدليل الأول.

باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾[٢٦٠]

انظروا في مصاحفكم سريعًا لتعرفوا أول السياق.

السياق يصف ماذا؟ يوبخ مَن؟ المشركين.

الذين ماذا يفعلون؟ ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي أن الله عز وجلّ وبّخ المشركين على جهلهم وضلالهم، وبيَّن عجز المعبودات من دونه وصفهم بأربعة أوصاف، وهذه الأوصاف دليل على أنها لا تصلح أن تكون معبودة.

◄ **الوصف الأول**: عدم القدرة على الخلق، عجزهم عن الخلق ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ شيئا هنا نكرة في سياق النفي، أي أنها تعمّ، ﴿لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ نفى أنهم يخلقون شيء، فالنكرة في سياق النفي تعم، فهم لا يخلقون أي شيء.

◄ **الوصف الثاني**: أنهم هم بأنفسهم مخلوقين.

◄ **الوصف الثالث**: لا يستطيعون لأحد نصرا.

◄ **الوصف الرابع**: هم بأنفسهم لا ينصرون أنفسهم.

هذه أربع أوصاف.

وإذا تأملت الوصف الأخير ﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسهمْ يَنْصُرُونَ﴾ انظري إلى ﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ على ماذا تدلّ ؟ أي: لو قيل "لا ينصرونهم"، لكان المعنى أنه ربما يستطيعون، **لكن نُفيت الاستطاعة على النصر، يعني ربما رغبوا في نصرتهم لكن لا يستطيعونها، يعني أنهم يُمنعون**، فانت عندما تنتصر بأحد غير الله، الله يمنعه من أن ينصرك، قد يكونون راغبين لكن تأتيهم من الحواجز والموانع ما لا تتصوره.

مثلًا انظر عندما تريد أن تسافر أو أن تنتقل من بيتك، أي حالة من هذه الحالات التي نحتاج فيها مساعدة الناس، وهناك من يقول لك طيلة الوقت يقول لك: لا عليك، انت فقط خذ القرار، وأنا آتيك وأساعدك، هذا الذي طيلة الوقت يعد بهذه الوعود؛ في

[٢٦٠] الأعراف:١٩١،١٩٢

النهاية لا يأتي!، وانتم لو جربتم سترون هذا، هل تعرف ما الذي رده؟ ما رده إلَّا أنه هو بنفسه لا يستطيع أن ينصرك وإن كان راغبا في نصرتك.

لذلك أقول لك تعلم التوحيد، حتى تعرف كيف تفسر أحوال الناس، لا تأتي لمثل هذا وتقول له – على حد تعبيرنا – انت "بياع كلام"، فقط تتكلم وفي النهاية ما فعلت شيئا، لا، افهم أن هذه الحالة جزاءها يأتي مباشرة، يكون في قلبه محبة ورغبة في نصرتك ومساعدتك، وانت تعلّقت به، وهو تعلّق بقدرته، الله عز وجلّ يخذلكم كلكم، وهذا حاصل ومتكرر، لذلك التوحيد جنة العبد في الدنيا، مريـــح،لا يضارب، ولا يعاتب، مرتـاح.

الله عز وجلّ ينصرك، ويعطيك انت القوة على أن تساعدني، وأحيانًا يأتي لك بكل الموانع حتى أننا في أحيان كثيرة يأتي في بالنا ونقول مَن يتصور مثلًا هذه أختك الشقيقة – فتقولين مَن يتصور أنني أنا في هذا الوقت لا أكون معها، هكذا نقول!، لأننا نتصور أنه من الطبيعي أننا لا بد أن نكون، ونقول انت افعلي كذا ولا عليك، وانظري كيف سنقف إلى جانبك، يأتي هنا الخذلان لذلك لا يستطيعون نصرهم، قد يكونون راغبين في نصرهم، لكن يمنعهم الله، يأتي لهم من الأحوال التي يخفى ترتيبها وتدبيرها عليهم في زمن النصرة فلا يستطيعون ذلك.

يبقى ﴿وَلَا أَنْفُسهمْ يَنْصُرُونَ﴾؛ انتم تعرفون قصة عمرو بن الجموح؛

" عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ أَحَدِ الصَحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ لَهُ صَنَمٌ – قبل إسلامه – يُقَالُ لَهُ مَنَافٌ ، وَكَانَ فِتْيَانُ بَنِي سَلِمَةَ قَدْ آمَنُوا ، فَكَانُوا يُمْهِلُونَهُ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ اللَّيْلُ دَخَلُوا بَيْتَ صَنَمِهِ فَيَطْرَحُونَهُ فِي أَنْتَنِ حُفْرَةٍ مُنَكَّسًا ، فَإِذَا أَصْبَحَ عَمْرٌو غَمَّهُ ذَلِكَ ، فَيَأْخُذُهُ فَيَغْسِلُهُ وَيُطَيِّبُهُ ، ثُمَّ يَعُودُونَ لِمِثْلِ فِعْلِهِمْ ، فَأَبْصَرَ – أبصر يعني بقلبه – عَمْرٌو شَأْنَهُ وَأَسْلَمَ ، وَقَالَ أَبْيَاتًا مِنْهَا :

وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسْطَ بِئْرٍ فِي قَرَنْ أُفٍّ لِمَثْوَاكَ إِلَهًا مُسْتَدَنْ"

قَرَنْ: يعني حبل، يعني مربوط انت وكلب ميت في هذا البئر، فأبصر – سبحان الله – أنه تكون على عينه غشاوة، فوقعت البصيرة في قلبه.

هذا النوع من الأدلة، ما نوعه؟ الدليل الذي أمامك ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُق شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ هذا يسمى دليل نقلي عقلي.

مثلما نتكلم عن دليل في توحيد الربوبية، نقلي عقلي في توحيد الربوبية نقول: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[٢٦١] هذا دليل نقلي من الكتاب، لكنه عقلي.

إذن هناك أدلة في كتاب الله تعتبر عقلية، فأصبحت نقلية عقلية، وهناك في كتاب الله أدلة خبرية، تعتمد فقط على أنك تُخبر عن شيء لا تدركه.

وهذا كلام مهم، لأن الأبواب الأربعة التالية عبارة عن أدلة نقلية عقلية تدلُّ على بطلان عبادة غير الله.

إذن عندما تبدئين في كتابة الملخص عن هذا الدليل، ماذا ستقولين؟ تخاطبين مَن؟ ستقولين: "كل ذي عقلٍ يعلم ثم تقررين"، لأن هذه الأدلة نقلية عقلية.

الدليل الأول: **" كل ذي عقل يعلم أن انتفاء نفع المعبود وظهور حاجته؛ يتضمن بطلان عبادته وإنكارها."**

[٢٦١] الطور:٣٥

❖ الدليل الثاني.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[٢٦٢].

انظري إلى سورة فاطر الآية ١٣ كاملة والآية ١٤ كاملة أتت، هذه الآيات كلها في أي سياق؟

انظري من الآية ١٠:

مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ فانت من أين لك أن تصبح عزيزًا مرتفعا؟ العزّة أحدى الحاجات النفسية الملِّحة، ما معنى الملِّحة؟ يعني أن الإنسان يحرص على تحقيقها، فإذا لم يحققها انقلبت مشاعره إلى العدوانية، يعني أصبح عدواني، وعندما تجد أحد وضيع وخبيث أكثر شيء يسبب خبثه أنه يرى حاجته للعزّة ويجد أنه لم يحققها فينقلب خبيثًا، ويبذل جهوده بأن ينتزع عزته بطرق ملتوية، فتجده ينخر في المجتمع نخرا.

لذلك تجد الناس الذين ليسوا بأسوياء تمامًا، يعني الذين لديهم مشاكل، مثلًا الذين عاشوا فترة طويلة من حياتهم تحت إهانات، وتحت أوضاع ليست متوازنة، تجدهم يعبرون عن رد عزتهم بأنهم أصحاب مشاكل، في كل مكان تجدهم أصحاب مشاكل، كما ترون مثلًا أناس مضطهدين، لكن أول ما يفتح لهم مجال تجدهم أصحاب إشكالات واضطرابات، على كل حال؛ أمثلة هذا كثيرة ولا مجال للتوسع فيها

المهم انت الآن وانت موحد ماذا يقع في قلبك؟ تعلم أن العزَّة لله، فإذا طلبتها اطلبها من الله.

انظر ماذا قيل بعدها خبرًا عن العزّة؛ قال الله عز وجلّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ هذا مناسب جدًا لمسألة العزّة، يعني هذان هما سبب العزة.

وانتم إذا قرأتم في تفسير الآية هناك اختلاف في عود الضمائر، لكن في نهاية المعنى، أحد المعاني المذكورة؛ أن الإنسان من أسباب رفعته وعزته أن يعزه الله بما معه من عمل صالح إذا كان خالصا.

---

[٢٦٢] فاطر:١٤،١٣

يأتي في مقابله الكلام عن الذين يمكرون السيئات؛ أولًا الله عز وجلّ هددهم ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يعني من المؤكد أن مكر الذين يمكرون السيئات بالرسل وبأتباعهم من المؤكد أن مكرهم يبور.

لماذا من المؤكد أنه يبور؟ يعني هم مهما مكروا ومهما كادوا يبور كيدهم، لا قيمة لهم، لكن الله عز وجلّ تركهم يمكرون مكرًا بهم، ما معنى أن الله عز وجلّ يمكر بهم؟ يعني من يمكر يمكر الله به، فهذه من الصفات المقيدة ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾[٢٦٣].

كيف يمكر الله بهم؟ يتركهم يمكرون، ويمكرون، ويبذلون، ويدفعون الأموال، إلى آخره، ثم مكر أولئك هو يبور، لكن هل انت متأكد يا أيُّها المؤمن أن مكرهم يبور؟ نعم، وانظر إلى دلائل الربوبية التي تدلك على أنه مدبرٌ لكل شيء، عالمٌ بكل شيء، قادر على كل شيء [مدبر، عالم، قادر]. [مدبرٌ لكل شيء، عالمٌ بكل شيء، قادر على كل شيء]

ومر في النصوص؛

- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾.
- والآية التي بعدها ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾.
- والآية التي بعدها ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾.

⇦ كل هذه دلائل الربوبية التي تدلك على أن العزّة لله، ولمن استقام على دينه، وكل أحد غير الله لا يستحق العبادة، وكل أحد يمكر برسل الله وبأتباع الرسل مكره يبور.

لماذا؟ لأن كمال العلم، وكمال التدبير، وكمال القدرة كلها وصف لله عز وجلّ في آخر آية ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾، ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ يعني أن تمام الملك لمن؟ لله عز وجلّ.

إذن لا بد أن تعلم أن العزة كلها لله، لأن الله عز وجلّ الموصوف بكل صفات الكمال له ماذا؟ له الملك انظر الآن لكل من يدعو من دونه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ لا يملكون!

إذن لا تطلبوهم، لا تعبدوهم، لا تتوسلوا إليهم، لا تنتظروا منهم العزة، لا تقفوا عند بأبوابهم من أجل أن ينصروكم أو يعطوكم لا تفعلوا هذا ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ ما حالهم؟ ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾!!، انتم جهال، لذلك عندما يأتيك الخبر من الله يصف لك الحقيقة لا بد أن تنكشف عنك الغمّة ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

أتى بعدها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

إذن انت ابدأ المفهوم من عند ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ هو سبحانه وتعالى له العزّة جميعا، [تريد أن ترتفع، تريد أن تنقضي حوائجك، تريد أن تبقى سالما غانمًا في الدنيا] لا بد أن تتصوروا أن العزة حاجة، حاجة حقيقية يحتاجها الإنسان ﴿الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ ثم أشير إليك إلى الطريق.

---

[٢٦٣] التوبة:٤٠

المهم أن في سياق هذا أخبرت أن الملك كله لله عز وجلّ، وأي أحد غير الله لا تتوجه له، ولا تطلب منه العزّة، ولا تطلب منه حاجاتك أبدًا، لماذا؟ لأنه ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ هذا أول وصف.

إذن ماذا تقولين في آية فاطر؟

" يخبر تعالى عن حال المدعوين من دونه من الملائكة، والأنبياء، والصالحين، وغيرهم مما يدلُّ على عجزهم وضعفهم.

- **الوصف الأول**: أنهم لا يملكون حتى القطمير، والقطمير هو القشرة التي على نواة التمر، ولا يغرّك أنهم يملكون الأرض، ويملكون النخل فهم في الحقيقة لا يملكون شيئا، بل لو تأملت قصة صاحب الجنة في سورة الكهف، وأيضًا قصة أصحاب الجنة في سورة القلم

– ماذا ستجد؟ هل يملكون أم لا يملكون؟ لا يملكون، هذه هي حقيقتهم أنهم لا يملكون –

فإذا تأملت في قصة صاحب الجنة في الكهف، وفي قصة أصحاب الجنة في سورة القلم ستعلم أنهم حقيقة لا يملكون، فلا تغتر.

–الآن سنقرر ما يتعلق بالتوحيد–

فإذا كانوا لا يملكون هذا الشيء مع حقارته؛ فلمَ يُسألون؟!.

- **الوصف الثاني**: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ إذن الوصف الثاني هو أنهم لا يسمعون الدعاء، لأنهم ما بين ميت، أو غائب، أو مشتغل بما خلق له، مثل الملائكة، هم غائبون، وفي نفس الوقت مشتغلون بما خلقوا له.
- **الوصف الثالث**: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾، هذا على سبيل الفرض، يعني لو فرض أنها سمعت، ما الناتج؟ ما استجابت لأنها لا تقدر على ذلك.
- **الوصف الرابع**: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ماذا يحصل؟ ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ ويتبرئون منكم، ومن عبادتكم إياهم.

– هذه الأوصاف الأربعة دليل على ماذا؟ –

دليل على أنهم لا يستحقون التعلّق بهم، والرغبة فيما عندهم، فليس عندهم شيء."

سنناقش مسألتين فرعيتين.

مر معكم الآن في الدليل أدلة تنفي السمع عن الموتى؛ ماذا قال الله عز وجلّ؟

- ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾.
- وأيضًا ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ هذا طريق أن الأموات لا يسمعون.

أنا سأناقشكم في هذا لأن هذا الكلام تقوله الصوفية، تقوله الصوفية في أي وضع؟ عند القبور والأضرحة، وبالذات عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، يقولون أنهم يسمعون، ويستعملون الدليل، ونحن عندنا أدلة تنفي السمع عن الميت، وأدلة تثبت لهم السمع في بعض الحالات كقوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ"

– نسأل الله أن يثبتنا في هذا الموقف؛ آمين آمين –

ماذا تفهم الآن من هذا النص؟ أنهم يسمعون.

أولًا: سنقسم السمع إلى:

- سمع إدراك.
- وسمع قبول وامتثال.

سمع الأدراك.

- **وصفه:** أنه سمعٌ مثبتٌ للموتى.
- **المراد به:** أن الميت يسمع ما ورد بالدليل الثابت على أنه يسمعه في أحوالٍ خاصة، فلا يثبت له السمع دائمًا.
- **دليله:** الذي مر معنا؛ الحديث: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ".

سمع القبول والامتثال.

- **وصفه:**سمعٌ منفيٌ عن الموتى.
- **المراد به:** أن الميت لا يمكن أن يسمع من خاطبه، ولا امتثال ما أُمر به، ونُهي عنه، أو ما طلب منه.

يعني هذا النوع الثاني سمع القبول والامتثال هم يقولون أنهم يسمعون بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ".، نقول: **نحن نثبت سمع، لكن ما دلَّ الدليل على أنه سمع، وننفي أن يكون هذا السمع سمع استجابة**، لذلك عندما يُسأل العلماء دائمًا أن البعض يأتون عند القبر ويلقنون الأموات، فيقولون: يا فلان لو قيل لك [مَن ربك: قل ربي الله]!، الناس يتصورون أنهم ينفعون الميت بهذا!، وهم لا يدركون أنه لا يسمعهم سمع امتثال واستجابة، يعني يمكن أن يكون سمع إدراك فيسمع قرع نعالهم، لكن أن يمتثل كلامهم، أو أمرهم له بشيء، أو نهيهم له عن شيء، أو هو الآن يطلب منه، فيقال له يا فلان أعطنا، فيمتثل لأمرهم! **كل هذا ما وصفه؟ منفي.**

- **دليله:** ما دليلك على أن هذا النوع منفي؟ الآية التي وجدت هنا، وأيضًا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ الآية صريحة في نفي أن يسمع من في القبر.

ومثل هذا القتلى في القليب وأنهم اسمع بي منكم، يعني أنهم يسمعونه، لكن هذا كله اسمه سمع إدراك، ومختلف عن سمع القبول والامتثال.

	وصفه	المراد به	دليله
سمع إدراك	أنه سمعٌ مثبتٌ للموتى.	أن الميت يسمع ما ورد بالدليل الثابت على أنه يسمعه في أحوالٍ خاصة، فلا يثبت له السمع دائمًا.	الذي مر معنا؛ الحديث: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ"
سمع قبول و امتثال	سمعٌ منفيٌ عن الموتى.	أن الميت لا يمكن أن يسمع من خاطبه، ولا امتثال ما أُمر به، ونُهي عنه، أو ما طلب منه.	الآية التي وجدت هنا، وأيضًا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ الآية صريحة في نفي أن يسمع من في القبر.

فقد أتتك نصوص تدلُّ على أنهم يسمعون، ونصوص تدلُّ على أنهم لا يسمعون، فماذا تقولين؟

- النصوص التي تدلّ أنهم يسمعون فهذا سمع الإدراك.
- والنصوص التي تدلّ على أنهم لا يسمعون هذا المقصود به سمع القبول والامتثال.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا يقبلون، ولا يمتثلون لك أمرا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا موجود، وهذا على كل حال أتانا من الخارج، ولم يكن موجود عندنا سابقًا، بل كانت موجودة صور أخرى من المعاملات مع القبور، لكن الآن الناس تأثروا بالتلفاز والأفلام فأتاهم هذا الفكر الوافد، فيذهب إلى أبيه في المقبرة ويحكي له قصة حياته، هذا موجود، – الله المستعان–.

ينقصنا نحن مصائب — سبحان الله – ، يعني نحن مع ضيق الزيارات عندنا في المملكة للقبور، ومع منعهم لها، ومع هذا كله..!، حتى أنهم في اللحد لهم طريقة معينة بحيث أنك لا تستطيع أن تجلس، يعني المسافات تعتبر بسيطة بين القبور فليس هناك مجال للجلوس، ومع ذلك هم إذا أرادوا أن يخترعوا يخترعوا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: سيأتينا فيما بعد في موطنه الكلام حول شبهتهم في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما يُصلى عليه تُرد عليه روحه فيرد السلام؛ وماذا نقول في فهمنا لهذا.

على كل حال؛ افهمي هذا؛ هل يترك أحد المحكم ويذهب للمتشابه؟!، هذا يكفيك فهمًا وثباتًا، وكلما فهمت أن الله عز وجلّ ابتلى الناس بأمور متشابهة يختبرهم في تمسكهم بالمحكم تفهمين القضية، يعني انت دائمًا رددي على نفسك آيات آل عمران، أن الله عز وجلّ قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[٢٦٤] لا يوجد أكثر من هذه الآيات وضوحًا، يعني أنا أترك كل النصوص

[٢٦٤] آل عمران:٧

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[٢٦٥] أترك هذه الواضحة، وأقول أن الرسول حيّ، لماذا؟ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال بما معناه أنه لو صلى عليه ردت إليه روحه فرد السلام.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: إذن كيف قيل فيه ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾؟! ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ هذا كلام واضح!، وكلام أبي بكر رضي الله عنه: "من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات" صلى الله عليه وسلم، الكلام واضح واضح لكن من أجل أن تفهمي أنهم يأخذون بالآيات المتشابهات.

حتى أن أحدهم في أحد كتب الصوفية يقول: "دخل علي أحد كبارهم – يقصد أحد أتباعهم الكبار – فدخل فقال: انتم الوهابيون، وانتم كذا، كيف تجرؤون أن تقولوا على الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ميت؟، فقال له: لست أنا من قال!، الله عز وجلّ في كتابه قال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ فيقول: بُهِت، بُهِت أن هذه آية في كتاب الله!، فإلى هذه الدرجة هم مغيبون.

على كل حال؛ من درس الأصول الستة – أنا أرجو الله أن يتيسر لكم وقت يا بناتي أن ندرس الأصول الستة، مهمة جدًا لطالب العلم – في الأصل السادس يتكلم الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن حالة الآن نجدها واضحة، وإن كنت سابقًا وأنا أشرح الأصول الستة لم أكن أتصور وضوحها، لكن مع زيادة الأحوال والاختلاط مع بعض المفاهيم تبيَّن الأمر واضح.

ما هي هذه الحالة؟ أن أناسًا كثيرين يقال لهم انتبه من أن تفهم القرآن!، يُحَذَّر من القرآن كما ما يحذر من كتاب أفجر الناس!، لماذا؟ يقولون أنه لا يفهم القرآن إلَّا الكبار في العلم، ويقولون لهم عبارات مثل: ستدخلون أنفسكم في متاهات انتم غير قادرين عليها!، هؤلاء الذين ينشرون هذا الكلام معروف فكرهم، النسخة الأخرى من الرفض وهم الصوفية، الصوفية هؤلاء مترئسون هذا العمل، فكل واحد يقال له انتبه انتبه، ونحن يؤسفنا أن هذا الفكر دخل على أهل السُّنة وهم لا يشعرون، وفتحت مدارس طويلة عريضة على مستوى المملكة، وعلى مستوى العالم الإسلامي، فقط يرددون الحروف، ثم يحتجَّون بأن الكلام في التفسير أمر لا يمكن الخوض فيه!، لا يمكن الخوض فيه هذا تسمعينه بكلام واضح.

نحن لا ننكر أنه أمر لا يمكن الخوض فيه؛ لكنكم تبذلون الجهود لتخرجوا الحروف، والمعلمات هؤلاء كم سنة يأخذون دورات ليخرجوا الحروف!، وكم مرآة تحمل معها المعلمة حتى ترى الحرف خرج أم لم يخرج!، وإذا أردت راجع كلام الشيخ التويجري في كتابه "إتحاف الجماعة بأشراط الساعة" واقرأ النصوص الصريحة التي ما بين حسن وصحيح، وأنه من علامات يوم القيامة التشدد في تدريس التجويد، من علامات يوم القيامة!، فانتم لما تفتحوا مدارس، ودورات إعداد معلمات

– وأنا أسأل الله عز وجلّ أن يجعلني صادقة مخلصة والله ما أرجو إلَّا الإصلاح، الله المستعان، ماذا نقول –

فكما يُبذل الجهد لتخريج معلمة تتقن الحروف، ابذل الجهد وخرّج معلمة تتقن التفسير على منهج أهل السُّنة الجماعة،

وكما تأتون بمشيخة عالية لترفعوا السند، وتبقى الطالبة ذاهبة آتية موسوسة – الله المستعان–

وانتم تسمعون أئمة الحرم، وتسمعون كلامهم في الخطب كيف يهتز له الوجدان، أليس كذلك؟ أليس هذا الذي يقع في قلوبكم؟ سمعتم بالأمس الشيخ –صالح حفظه الله–، وسمعتم الأسبوع الماضي الشيخ الشريم –حفظه الله–، هل سمعتم الكلام عن الأرزاق

[٢٦٥] الزمر:٣٠

والإيمان بالأقدار؟ وبعد كل هذا العلم المتين تأتي امرأة في رمضان وتجلس بجانب امرأة عامية فتقول لها عن أئمة الحرم: هؤلاء لا يعرفون أن يقرؤوا!، انظري للكلام!، ماذا أقول؟!، إنما أشتكي إلى الله، والله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله!.

انظري إلى هزة الثقة هذه، ولا تتصور أن هذا الكلام ليس له أثر، لا تتصوري، – سبحان الله – الكلام الباطل يدخل إلى القلب عندما يكون الإنسان ضعيف، ويتم تناقله، ثم تأتي هذه العامية التي لا تعرف شيء وتنقل إلى التي بجانبها، والتي بجانبها كانت طالبة علم، فقالت لها أنا لن أقول لك إلَّا شيء واحد؛ انت يوم القيامة هل تستطيعين أن تقفي أمام الله وتقولي أن هذا لا يعرف أن يقرأ؟ فقالت: لا لا، أنا ما قلت هذه امرأة قالت لي! فقلت لها: لا، كلمة واحدة، انت إن كنت تعتقدين ذلك تكلمي، وإن لم تكوني تعتقدين ذلك لا تتكلمي!.

انظري الآن كيف تكون الإصابة في مقتل، كنا نقول أن تجرأهم على طلبة العلم؛ وتجرأهم على الشيخ محمد، لأن الشيخ محمد حتى في دروسه – وفي كثير من دروسه– كان يتكلم عن التشديد في مسألة التجويد، ويقول أن النبي صلى الله عليه وسلم علم الأعجمي والعربي، والصحابة علموهم وما فتحوا هذا كله، نعم نريد أن نقرأ القرآن غضًا طريًا كما نزل، لا بد، لا بد، ونحن تحولنا إلى أعاجم ولا بد من تعديل ألسنتنا، لا بأس، نحن لا ننكر هذا!

⇦ لكن انتبهوا للفرق بين أن لا يحصل لحن في القراءة وأن تأخذوا الأسس في مسألة التجويد، وبين أن تتحول المسألة إلى هوس، وقد ذكرت لكم سابقًا أن إمام في أحد المساجد من قوة إتقانه للتجويد أعاد ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ أكثر من ثلاث أربع مرات، والناس من خلفه يرددون "آمين آمين آمين" ثلاثة مرات، لماذا؟! لأنه يريد أن يخرج الضاد من مخرجها الصائب ويعطي المدّ حقه، **ثم تقول لك: التجويد "فرض عين"! أليس التجويد هو التحسين؟ من قال لك أن التحسين فرض عين؟ القراءة بدون لحن هي التي فرض عين، أما التجويد والتحسين؛ انت بنفسك تقول التجويد والتحسين، ثم تعتبرين التحسين فرض عين، وفهم كلام الله ليس فرض عين؟!**

انقلابه!، وهذه الانقلابة ليست على مستوى مثلًا جدة أو على مستوى المملكة، بل اذهبي لبلاد المسلمين شرقها وغربها، وذكرت لكم سابقًا أن امرأة تتصل من المغرب العربي على المملكة في أيام رمضان، وتقول أنا آتية لتأدية عمرة، ابحثوا لي عن شخص أقرأ عليه كذا وكذا، يعني شيء من التجويد.

الآن، تأتين من بلدك، وبدلا من أن تتعلمي ما معنى كلام الله؛ تريدين أحد يرشدك إلى هذا؟!، **ثم إن هذا الفن بالذات أول من أدخله، ما أدخله إلَّا هؤلاء الصوفية، صحيح أن بعد ذلك تلقاه أهل السُّنة وطاروا به، لكن أول من أدخله الصوفية**، وانظري إليهم الآن في بلدانهم كيف يهتمون بالتجويد، وانظري لرؤوسهم كيف يهتمون بالتجويد من أجل أن تفهمي!

ثم انظري ومن له علاقة — بالمسنجر– يرى، تكتب لك في الأعلى مكان اسمها – عاشقة القرآن– سكتنا على ذلك وإن كان هذا التعبير لا يصّح، ثم بعد ذلك؟ عاشقة القرآن ماذا فعلت؟ كل مرة تنزل إعلانات في مسنجرها عن دورة كذا وكذا في التجويد، ودورة كذا وكذا في التجويد، فانظري كيف حصلت المخادعة!، فانت عندما ترين هذه الصورة تفهمين كيف حصلت المخادعة!.

هل يستطيع أن يقول أحد لأحد لا تكون علاقة بالقرآن؟ لا أحد يستطيع أن يقول ذلك، ثم بعد ذلك تكتشف ما نوع العلاقة، أنها إخراج للحروف!، **هذه أعظم صور المخادعة، أن تكون لك علاقة بالقرآن، وتكون علاقتك بالقرآن ليست في مكانها!.**

فلا أحد يستطيع أن يقول لأحد لا تذهب إلى مدرسة تحفيظ، وفي نفس الوقت تذهبون إلى مدرسة تحفيظ ماذا تفعلون؟ كل هذه السنوات ذاهبون آتون ونحن في نفس المستوى الإيماني ويمكن ننحدر!، ماذا نفعل؟!، لا أحد يفهم كلام الله، وتُمضى الأوقات!، ثم ترى عجب بأنهم يستخسرون الوقت في التفسير – شيء يؤلم القلب –كيف تستخسرون الوقت في التفسير؟!، فتقول لك لا، هذا سيأخذ من وقت الحصة!، أمَّا هذا هو المقصد! المقصد أن تفهم كلام الله.

والأعجب من ذلك أن يأتي أحد كان على النصرانية، والتثليث، ثم عندما يدخل الإسلام يأخذونه، ويحفظونه كيف تخرج الحروف، وهو غير عربي، يعني أنه من الصعوبة أن يخرج كثيرا من الحروف، ثم يقومون بإنجاز، ما هو هذا الإنجاز؟ أن فلان هذا الذي كان كافر وأصبح مسلمًا، لم يحفظ فحسب بل أخذ إجازة في القراءات!، على أن هذا هو أكبر إنجاز فعلناه!.

هذه انقلابة للموازين، وهذا إنما هو إذا كنا نتكلم عن خطط اليهود؛ نحتاج بعد فترة قليلة أن نتكلم عن خطط الصوفية وأنا حقيقة أنوي هذه النية صادقة – اسأل الله أن يسددني لذلك – أن نكتب ما استطعتنا في تخطيط الصوفية، فانتم لا تتصورون كيف يخططون على المدى الطويل، ودخلوا في أعماق أهل السنة بصورة، فبعد أن كنا نقول أن الصوفية هم الوجه الآخر للروافض، الآن تفرجي على أهل السُّنة وانظري إليهم، تجدينهم نسخة طبق الأصل من الصوفية، ولا تعرفين الفرق، إلَّا في نقاط معينة في قبولهم لأمور، صحيح أنها أمور تعتبر فاصلة لكنها تتميع.

فكثير من الناس الذين ما كنا نتصور – وإن كانوا ليسوا سلفيين– ليسوا سلفيين بشكل صحيح لكنهم ليّنين، لا هم سلفيون، ولا هم صوفية، في الوسط، وفجأة بدؤوا يحتفلون بالمولد النبوي!، انتم الآن لستم صوفية، وتعلمون أن هذا بدعة، يقولون لا شيء في ذلك!، واسمعي مثل هذا الكلام، وطوال الوقت يقول لك لا شيء في ذلك، وهذا نوع من الذكر، ونحن جربنا وجربنا، ووجدنا أن العلم جافّ، ووجدنا كذا وكذا، إلى آخره!

هؤلاء الصوفية نحن حفظنا منهم الكلام، لكن المشكلة ليس في الصوفية، المشكلة في هؤلاء، الجنس الجديد، الذين لم يطلبوا العلم واستقاموا بدون طلب، فيجدون أي ناعق يذهبون معه!، في النهاية اعلم أن قطع العلائق مع القرآن هو سبب انتكاستنا، فلا بد أن تهبّ قلوبكم، وأنا بالذات أقول للناس الذين تمكنوا من علم التجويد، أننا لا نريد أن نقوم بانقلابة ليست صائبة، بل على العكس، نريدكم أن تتمكنوا من التجويد، وعندما تتمكنون من التجويد وتعلموا التفسير يعني تعلم التجويد بكل إتقان تريد أن تصل إليه، لكن في مقابله اجعل على الأقل معه خط للتفسير.

سؤال من الحاضرات: أنه لا يوجد وقت كاف لشرح المعنى، فطالباتها يقرؤون عليها ويثبتون حفظهم والوقت ضيق، لا يوجد وقت للشرح؟

رد من الأستاذة: لا بأس، ليس شرطًا أن تشرحي كل صغيرة وكبيرة، على أقل تقدير قفي عند آيات التوحيد، على أقل تقدير، عظيهم في ربهم، عظيهم في أسمائه وصفاته – الله المستعان–.

الله المستعان؛ عندما تدخل إحداهن تدخل في نقاش، وتتكلم عن إحدى المنظومات المحفوظة في التجويد وتتكلم عن تفاصيلها، ثم تقولين لها أن هذا علم لا أفقهه، لكن أشعر – تقولين فقط كلمة أشعر فقط – أن الناس بحاجة لأن يعلموا ما معنى الصمد، فهم يقرؤونها في الإخلاص، وما معنى أوائل الحديد، وأواخر الحشر المحفوظ، فتقول لا لا، لا تفعلي هذا الفعل!، سترتكبين منكر في الناس! انظري [سترتكبين منكرا في الناس]!

حتى أن إحدى الطالبات في بداية فتح "التعليم المستمر" وحضرت اللقاء وسمعت في اللقاء كلمة " الربّ" ، هي وقتها ما تكلمت، لكن بعد سنة أتت تقول لي أنا عشت طيلة السنة خائفة أجلس في اللقاء، خائفة أن يقع علينا السقف، فقلت لها لماذا؟ فقالت لأنك تقولين كلمة "الربّ"، وكلمة " الربّ" هذه خاصة بالنصارى، تقول: كنت أعتقد أن كلمة "الربّ" هذه كلمة لا تقال إلَّا عند النصارى!

إلى هذه الدرجة هي غير مركزة في الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، إلى هذه الدرجة! والله هذا موقف حقيقي، فكانت ترى أننا سيسقط علينا السقف لأننا نقول " الربّ" ونحن مسلمون، ويجب أن لا نشابه النصارى!، وتقول كأنها تمر عليها آيات منع مشابهتنا وموالاتنا للنصارى، تخيلي إلى هذه الدرجة!

فانظري إلى هذا الجهل، ثم إنها ليست امرأة عامية أو ليست متعلمة، هذه امرأة عندها درجة علمية، صحيح أنها من خارج المملكة لكن تقرأ الفاتحة وتصلي!، هل تشعرون إلى أي درجة؟!، كأننا نقرأ طلاسم بالنسبة لهم، لا كأنهم يقرؤون كلام الله وكلام عربي، لكن ماذا نقول إلَّا أننا نشتكي إلى الله عز وجلّ.

لذلك – بناتي – يجب أن يكون في نفوسكم شيء من قوة الحرارة تجاه بث معاني كلام الله ومعاني أسمائه، وكونوا متقنين، يعني لا تتخبطوا، كونوا متقنين، لا تتعالموا، ولا ترفعوا أنفسكم عن مكانها، هل اطلعتم على كتاب "فقه الأسماء الحسنى" للشيخ عبد الرزاق البدر، هذا الكتاب نريد منكم أن تنظموا فيه جدول كما حصل في الدفعة الماضية.

ماذا ستفعلون؟ هذا الجدول يكون عبارة عن توزيع كل اسم عليكم، بحيث تحضروا هذا الاسم، تقرؤونه هذا الاسم من كلام الشيخ عبد الرزاق، ومن كلام غيره، لكن المرجع لكم هو كلام الشيخ عبد الرزاق البدر، والباقي سيكون بالنسبة لكم زيادات، ثم تعطون أول ربع أو نصف ساعة من يومي الأحد والثلاثاء، ثم كلمي زميلاتك واشرحي لهم الاسم؛

- فمن جهة تتقاربون معًا في فهم الأسماء.
- ومن جهة أخرى أيضًا لو أصبح استعمالكم للكتاب جيدًا تستطيعون أن تكتبوا رسائل، سواء كانت الرسائل البريدية، سواء كان رسائل بالجوال، ومن يعمل على الانترنت بسهولة يمكن أن يتعامل مع العالم كله، أو برسائل الجوال لا بأس، لكن على الأقل تنتشر معاني أسماء الله بكلام صحيح.

لابد أن تشعروا أن عليكم مسؤولية، وإلَّا الناس يرددون آية الكرسي لا يفهمون منها شيء، وفي خمس دقائق فقط تقولين لإحداهن ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ هل تعرفين لماذا ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾؟ لأنه الحيّ القيُّوم الذي..، هذا الربط فقط يقلب تفكيرها الناس بحاجة شديدة، وصحيح أنكم في بداية المطاف، بل في بداية بدايته، لكن عسى الله أن ينفع بكم.

وكما تعلمون أن التبليغ نوعان:

- تبليغ نصي.
- وتبليغ تفهيمي.

"نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ، وَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا"، على الأقل ادخلوا في هذا – في تنضير الوجه– أمر مرغوب، ادخلوا على الأقل في هذا.

تكليف: النقطة التالية التي كنا سنتناقش فيها سأمليكم إياها، فاجعلوها مبحثًا، كان هناك نقطة سنتناقش فيها لكن ذهب الوقت؛

- سورة الأحقاف الآية ٦.
- سورة يونس الآية ٢٨
- سورة مريم الآية ٨١ ، ٨٢.
- سورة البقرة الآية ١٦٦.

هذه آيات تصف موقفًا واحدًا للمعبودات من دون الله بصور مختلفة، انقلي تفصيل هذا الموقف، يعني أنه هو موقف واحد أنها لا تنصر، لكن ذُكرت صورٌ لهذا الموقف.

الدليل الثالث.

وفي الصّحيح عَنْ أَنَسٌ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ ، فَقَالَ : "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ" ، فَنَزَلَتْ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٢٦٦].

وَفِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الآخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ ، : " اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلانًا وَفُلانًا ، بَعْدَ مَا يَقُولُ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ" ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾.الآية.

وَفِي رِوَايَةٌ: يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، فنزلت هَذِهِ الآيَةُ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

هذا الدليل الثالث يدور حول أحداث غزوة أحد، والنص يبيِّن فعلهم بالرسول صلى الله عليه وسلم المشركون في غزوة أحد، ماذا كان فعلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم؟ شجُّوا رأس النبي صلى الله عليه وسلم وكسروا رباعيته.

شجُّو النبي صلى الله عليه وسلم: يعني جرحوه، الشجّ هذه كلمة تعبر عن الجرح في الرأس أو الوجه.

وكسروا الرباعية: يعني كل سن بعد الثنية سواء من اليمين أو اليسار.

مِن رؤوس هؤلاء المشركين في غزوة أحد ذُكروا في الدليل أيضًا وهم: صفوان ابن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام.

هؤلاء رؤوسهم ماذا فعلوا في الحرب؟ هم حرضوا المشركين، وجيّشوا الجيش لحرب النبي صلى الله عليه وسلم، من أجل ذلك دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنهم هم الذين يحرضون المشركين.

انظري لموقف الرسول صلى الله عليه وسلم منهم؛ ما هو موقفه منهم؟

أولًا يئس من صلاحهم، واستبعد فلاحهم، فماذا قال؟ "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْم".

هذه الحالة كانت من كل قريش وليس فقط من رؤسائهم، حالة استبعاد فلاحهم "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْم". قوم، أي: كلهم، أن هذه الحالة كانت من كل قريش، يعني من المشركين في غزوة أحد.

[٢٦٦] آل عمران:١٢٨

ما موقفه من رؤسائهم؟ جعل يدعو على رؤسائهم الذين عددناهم سابقًا.

ومتى كان هذا الدعاء؟ كان بعد الرفع من الركوع في صلاة الفجر، يعني في القنوت، يعني أنه كان يقنت، لأن مصيبة قد نزلت على المسلمين وهي الهزيمة في أحد، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقنت بعد الرفع من الركوع في صلاة الفجر.

ماذا كان رد الله عليه صلى الله عليه وسلم؟

- أولًا: قال له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾، إذن هذا من تربية الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، فالله عز وجلّ أنكر على رسوله نفيه الفلاح عنهم، وعاتبه.
- ثانيًا: نهاه عن الدعاء على أشخاصهم باللعنة، فأنزل تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾، لا أمر النصر، ولا أمر الهزيمة، ولا أمر التوبة، ولا الهداية، فعواقب الأمور وحُكم العباد بيد الله عز وجلّ، فامض انت لشأنك، ودُم على طاعتك.

هذا الدليل عبارة عن سببين نزول لآية واحدة، وهذا وارد ستدرسونه إن شاء الله في أصول التفسير، لكن المهم الآن أن **هذا الدليل فيه أكثر من دلاله على أن غير الله لا يستحق شيئًا من التعلّق أو التعظيم، يعني سنقول أن فيه دلالتين:**

- الدلالة الأولى المشهورة الواضحة: أن الله عز وجلّ خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم وقال له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾، وإذا كان النبي يقال له ليس لك من الأمر شيء فغيره من باب أوْلى، وهذا هو اعتقادك في النبي صلى الله عليه وسلم أنه ليس له من الأمر شيء – أمر الهداية–.
- الدلالة الثانية على بطلان عبادة غير الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم شجّ يوم أحد وكسرت رباعيته، وهذا دليل على أنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الضرّ.

هل تتصورين أن هذا النص قدحًا في النبي صلى الله عليه وسلم؟ لا ؛ ليس قدحًا، فالنبي صلى الله عليه وسلم أعظم أوصافه أنه عبد ورسول، وقد وصف الله الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبودية في أعظم المقامات:

- في مقام التحدي.
- وفي مقام الإسراء.
- وفي مقام إنزال القرآن.

مطلوب منكم تكليف: المطلوب هو أن تأتوا بهذه المواطن، أضيفوها لما سبق.

بقيت نقطة أخيرة في هذا الدليل تزيد الأمر وضوحًا؛ سهيل بن عمرو الذي دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم لما قام في مكة وهو كافر، وقد كان سهيل بن عمرو هذا خطيبًا وعنده قوة بلاغية، فقام في مكة وهو مشرك فحض على النفير، فقال:

يَا آلَ غَالِبٍ ،– وهذه من الفخوذ المعروفة – أَتَارِكُونَ أَنْتُمْ مُحَمَّدًا وَالصُّبَاةَ يَأْخُذُونَ عِيرَكُمْ ؟ مَنْ أَرَادَ مَالًا فَهَذَا مَالٌ ، وَمَنْ أَرَادَ قُوَّةً فَهَذِهِ قُوَّةٌ .

عمرو بن سهيل نفسه أسلم، وقام خطيبًا عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في أهل مكة يثبتهم على الإسلام، فقال لهم:

"يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، لَا تَكُونُوا آخِرَ مَنْ أَسْلَمَ وَأَوَّلَ مَنِ ارْتَدَّ" [٢٦٧]

فكانت – سبحان الله – كلمة ثبتت أهل مكة، فهذا مما يدعوك للعجب، أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليه باسمه، ونُهي عن ذلك، ثم أن هذا الذي دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم باسمه دخل في الإسلام!. هذا ماذا يفهمك؟ أنه ليس لك من الأمر شيء.

واليوم تسمع عجبا، فهناك اليوم موضة جديدة تقول أن هذا يملك الصُلاح مِن الجن، وهذا يملك ملوك الجن، هذا يملك .. إلى آخره، وإن كنتم لم تسمعوها منتشرة لكنها قوية في الدخول علينا، وهذا تدرج متوقع بعد كثرة الكلام حول القراء، وحول المس، وحول الجن، فالآن يكلمونك عن مشاريع إصلاح – يعبرون عنها بهذا – مشاريع إصلاح بماذا؟ بالجن الصُلاح!.

على كل حال؛ هذه المسألة ستجعلكم مرة أخرى تعودون لنشر تفسير سورة الجن، فسورة الجن فيها من دلائل التوحيد الكثيره، التي تحتاج أن تكرر مرار وتكرار، والنساء بحاجة إلى أن يحددوا معتقدهم في الجن من سورة الجن، وليس من الآراء والتخاريف، فمن لها سابق علم وتجد أن عندها علم تبدأ بتحضير سورة الجن، حضريها واجمعي بنفسك إلى أن يمكنك الله فتستطيعين الكلام بما تحفظين من كلام أهل العلم في سورة الجن.

ويكفيك أنه لو فتح لك أحد الموضوع قولي له إن اعتقادنا في الجن لا يأتي من كلام فلان وعلان مهما علا، فالجن عالم غيبي أخبرنا الله عز وجلّ عنهم، سنأخذ ما أخبرنا الله عنهم، وانتهى الأمر، أكثر من ذلك لا شأن لنا به، فكلامهم عن الجن الصلاح واستخدامهم هذه فتنة جديدة ستأخذ بألباب العالم، كهنة مغلفون هؤلاء.

خلاصة الدليل الثالث:

" من كان له عقل وتأمل حال أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم، وعدم قدرته على دفع الأذى عن نفسه، وأنه ليس له من الأمر شيء؛ علم أنه لا يستطيع دفع الضرّ عن غيره، ولا جلب مصلحة لهم. "

❖ الدليل الرابع.

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [٢٦٨] قَالَ : "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا".

---

[٢٦٧] نص كلامه – رضي الله عنه- كاملًا: يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، لَا تَكُونُوا آخِرَ مَنْ أَسْلَمَ وَأَوَّلَ مَنِ ارْتَدَّ ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ كَمَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ قَائِمًا مَقَامِي هَذَا وَحْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ : قُولُوا مَعِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَدِينُ لَكُمُ الْعَرَبُ ، وَتُؤَدِّ إِلَيْكُمُ الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ ، وَاللَّهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - فَمِنْ بَيْنِ مُسْتَهْزِئٍ وَمُصَدِّقٍ ، فَكَانَ مَا رَأَيْتُمْ ، وَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ الْبَاقِي . فَامْتَنَعَ النَّاسُ مِنَ الرِّدَّةِ .

[٢٦٨] الشعراء:٢١٤

"هذا الدليل زمنه وقت أمر الله لرسوله بإنذار قرابته لأنهم أحقّ الناس ببرّه،
– يعني أن الله عز وجلّ أمره بأن يخاطب قرابته لأنهم أحقّ الناس ببرّه –
وإحسانه الديني والدنيوي فقام النبي صلى الله عليه وسلم ممتثلًا أمر ربه."
السؤال كيف أنذرهم؟ انظري للجملة التي كانت في النذارة، ماذا قال؟

- "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ" ⇦ قومه.
- "يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" ⇦ عمه.
- "وَيَا صَفِيَّةُ" ⇦ عمته.
- "وَيَا فَاطِمَةُ" ⇦ ابنته.

إذن [معشر قريش، وعمه، وعمته، وابنته] كلهم في جملة واحدة مشتركة بينهم: " لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا".
" إذن إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم في حال نذارة أقربائه، قبيلته، وعمه، وعمته، وابنته، صلى الله عليه وسلم يقول: " لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا" فما بالك بمن هم أبعد، لا شك أن عدم إغنائه عنهم شيئا من باب أوْلى."
فما معنى اشتروا أنفسكم؟ يعني خلصوا أنفسكم من عذاب الله بأن تكونوا موحدين.
وما معنى " لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا" ؟ يعني لا أنفعكم بدفع شيءٍ عنكم دون الله، لأن الأمر بيد الله، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: "ومن بَطّأ به عمله لم يسرع به نسبه"، وانت تجد أبو لهب مثالًا مناسبًا على هذا.

لا بد هنا من مناقشة مسألة موقفنا – أهل السُّنة والجماعة – من أهل البيت، وموقفنا من الصحابة، فهذان موضوعان لهما صلة ببعض، فنسأل الله عز وجلّ أن ييسر لنا قريبًا لقاء منفصلًا عن التوحيد نتكلم فيه عن موقفنا من أهل البيت، ثم تكون هناك سلسلة ولو مسائية نتكلم فيها عن موقفنا من الصحابة، وماذا يجب أن يكون في قلوبنا تجاه الصحابة، خصوصًا مع هذه الحملة الشرسة على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وخاصة من ناصر النبي صلى الله عليه وسلم.
و على رأي أحد الروافض – هو بنفسه يقول –: بحثت في دين كل أحد لم أجد دينا يعتمد على السب إلَّا دين الروافض!.
يعني أن الروافض منذ أن يصعد الإمام منبرهم إلى أن ينزل وهو يسب، فهو يقول أنا بحثت في كل الأديان فما وجدت دين يدور حول السب إلَّا الروافض، وهذا كان رافضيًا واهتدى، وهذه حقيقة، فهم الآن لا يقدرون لأحد قدره، لا من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ممن جاء بعدهم من السلف الصالح.
على كل حال؛ بهذه الصورة انتهى الباب.

نقرر الآن آخر تقرير في الدليل.

" من كان له عقل لا بد أن يتصور أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك نفع أحد، فلقد صرح بأنه لا يملك نفع أقرب الخلق."

باب قول الله تعالى: (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) [٢٦٩].

وَفِي الصّحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ قَالَ عَلِيٌّ وَقَالَ غَيْرُهُ صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، حَتَّى فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ ، وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ ، فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا ، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ ، فَيُقَالُ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا ، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ "

وعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً ، أَوْ قَالَ : رَعْدَةً شَدِيدَةً خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صُعِقُوا ، وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا ، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا : مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ : قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ . فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ "

هذا هو الباب الثاني في أدلة بطلان عبادة غير الله.

في الباب السابق؛ ما البراهين التي كانت فيه؟ إن كل أحد غير الله، ما أوصافهم؟ لا يخلقون، لا يملكون، لا يسمعون، لا يستجيبون، ومهما كان هؤلاء الذي هم غير الله حتى النبي صلى الله عليه وسلم.

" بعد أن تكلم عن النبي في الباب الماضي هنا تكلم عن الملائكة، لأنهم يعتقدون أن من ارتفع شأنه عند الله خُصَّ بمزايا، فصحَّ صرف التعلّق به"

هكذا اعتقدوا، أن من ارتفع مكانه عند الله – انظري: هذا هو الرابط لذي أوقع عندهم الإشكال، هذا هو جوهر الرابط المشكل – أن أي أحد يرتفع مكانه، ويعبد الله، وله مكانة عند الله يساوي عندهم أنه يستحقّ أن يُتعلّق به.

نعود مرة أخرى لآية الإسراء ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ فهذه هي القاعدة:

[٢٦٩] سبأ:٢٣

" أن الارتفاع عند الله عز وجلّ سبب لزيادة الذلّ من المرتفِع، **فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف**، فالملائكة مع أنهم مقربون، إلَّا أن شدة معرفتهم بربهم زادتهم ذلا".

..نقص بالتسجيل..

نقرر التقرير الأخير: " فإذا كانوا أكثر ذلًا لربهم فلا يُتصور ممن يرى حالهم إلَّا أن يقارنهم، يشابههم، في شدة ذلهم."

فانت عندما ترى أن المقربين شديدي الذلّ، الذين لهم مكانة شديدي الذلّ، الذين يسبحون الله الليل والنهار دون أن يقع لهم فتور شديدي الذلّ لربهم، فمن باب أوْلى انت الضعيف، ماذا يجب عليك ان تفعل؟ أن تكون أشد ذلًا.

❖ الدليل الأول مع الدليل الثاني.

نبتدئ أولًا بالآية: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

الحديث الذي في الصحيح؛ في الرواية الثانية رواية النواس بن سمعان كلاهما تفسير لهذه الآية، سنفسر الآية بالحديثين.

أولًا نرى ما معنى ﴿فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾؟ فُزِّع أي: أزيل الفزع من القلوب، وهذا معروفٌ في العربية فمثلًا يقال: هَجَدَ فلان إذا نام، وتهجد إذا استيقظ للصلاة، ويقال: أَثِمَ فلان إذا وقع في الإثم، وتأثَّم فلان إذا تجنب الإثم، يعني يتأثم خائفًا من الإثم فيتجنبه.

فهذا في موجود في لغة العرب؛ أن يكون اللفظان مادتهم واحده، لكن معناهما متضاد:

- فهجد بمعنى نام، وتهجد بمعنى قام.
- أثِم يعني وقع في الإثم، وتأثم يعني ترك.
- فَزِع معناها خاف وذعُر، وفُزِّع عنه، تعني: انكشف عنه الفزع، انكشف عنه الخوف، كُشِف عنه الفزع وأزيل.

اتضح أصل الكلمة؟ من المهم جدًا ضبط هذا الكلام في عقولكم وفهم معناه.

﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ متى انكشف عنهم الفزع ؟ انظري للحديث، وُصف لك متى وقع الفزع ومتى انكشف.

❖ نبدأ بحديث النواس بن سمعان ففيه تفصيل أكثر.

وعَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحِي أَخَذَتِ السَّمَوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً ، أَوْ قَالَ : رَعْدَةً شَدِيدَةً خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلّ ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صُعِقُوا ، وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا ، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلائِكَةِ كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلائِكَتُهَا : مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ : قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ . فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلّ "

ما حال السماء عند سماع كلام الربّ سبحانه وتعالى؟ أخذت السموات منه رجفة، أو رعدة شديدة، لماذا؟ لمعرفتها بعظمة الربّ سبحانه وتعالى.

وما حال الملائكة عند سماع كلام الربّ؟ صعقوا، يعني غشي عليهم من الخوف من الله عز وجلّ والهيبة والإجلال، وأيضًا خروا لله سجدا تعظيمًا له سبحانه وتعالى.

من أول من يرفع رأسه؟ جبريل عليه السلام.

ماذا يقال له؟ يكلمه الله من وحيه، يعني سواء كان هذا الوحي مقصود به الآيات الشرعية، أو التدبير الكوني، يعني إمَّا ما قضاه شرعًا، أو قضاه كونًا.

متى تسأل الملائكة جبريل؟

"ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلائِكَةِ كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلائِكَتُهَا"، يعني عندما يريد جبريل النزول لينفذ أمر الله تسأله الملائكة.

ما هو سؤالهم ؟ "مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ ؟".

ما هو جوابه؟ " قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ".

ماذا يقولون؟ "مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ".

الآن أين ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾؟ سنعود للدليل الأول لنعرف أين ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾.

حديث أبو هريرة.

" إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ قَالَ عَلِيٌّ وَقَالَ غَيْرُهُ صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ،

"يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ" يعني يمضي إلى داخل قلوبهم .

أولًا سنشرح "كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ"

" شبه الرسول صلى الله عليه وسلم ما يحصل لهم من الفزع عندما يسمعون كلام الله عز وجلّ بفزع مَن يسمع سلسلة تُجرُّ على حجر أملس، **وهذا تشبيه الفزع بالفزع**، وليس تشبيه كلام الله، أو صوت الله، إنما هو تشبيه الفزع الذي يقع في قلوب الملائكة بالفزع الذي يقع في قلب من يكون في موطن هاديء ليس فيه ضجيج، ثم يسمع صوت سلسلة تُسحب على صخره، ما بها؟ على صفوان أملس، فتحدث ضجيجًا يثقب القلب، طبعًا لن تشعري بهذه المشاعر في وسط الضجيج، لكن المقصود أن تكوني في حالة من السكون ويحدث مثل هذا."

إذن هذا ليس فيه تشبيه لصوت الربّ، إنما هذا تشبيه الفزع بالفزع.

"يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ" يعني يمضي في قلوبهم.

"حَتَّى فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ" يعني زال الفزع،

فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ ، وَوَصَفَ سُفْيَانُ

فيسمع الكلمة مسترق السمع ثم وصف سفيان، والمقصود هنا [سفيان بن عيينة] أحد رواة الحديث؛ ماذا يقول؟ يقول:

هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ ، وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ ، فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ،

"وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ" يعني يضع كفًا فوق كف.

"فَحَرَفَهَا" يعني ليست فوق بعضها.

"وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ" يعني يفتحها.

مَن هم هؤلاء؟ مسترقو السمع.

فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ،

يعني أن المختطف لكلام الملائكة من الشياطين ماذا يفعل؟ يلقيها لمن تحته،

حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا ، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ ،

مسترقي السمع.

فَيُقَالُ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا ، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ"

الجزء الثاني هذا ليس موضوعنا، ركزوا على ما وقع في قلوب الملائكة، ماذا وقع في قلوب الملائكة؟ الفزع.

إذن ما حال الملائكة حال سماعهم كلام الربّ سبحانه وتعالى؟ وقع عليها الفزع، وهو ما اتفقنا عليه في الحديث الثاني: "صُعِقُوا ، وَخَرُّوا".

وما حالهم بعد أن انكشف عنهم الفزع؟ الآن ظهر خوف الملائكة من الله بطريقتين:

- بالفعل.
- وبالقول.

- بالفعل: وقت ما سمعوا صوت الربّ، ماذا حصل لهم؟ صعقوا وخروا لربهم..
- وعندما فُزِّع عنهم وانكشف ماذا حدث؟ بقي في قلوبهم الخوف، فكانوا يسألون جبريل: "مَاذَا قَالَ رَبُّنَا" فهذا دليل على ماذا؟ على تعظيم الملائكة لله عز وجلّ، وهيبتهم منه سبحانه وتعالى.

فإذا كانت هذه حالتهم؛ عرف أنهم عباد مخلوقون، **فإذا كانوا عبادا مخلوقين، فإذن لا يستحقون أن يُتعلق بهم ولا أن يرجوهم أحد،** – وهذا ما أراده الشيخ – أراد أن يبيِّن أن الملائكة بنفسهم عباد، مربوبون، مخلوقون، من شدة معرفتهم بربهم يخافون حال سماعهم لصوته سبحانه وتعالى.

" إذن العاقل ماذا يقع في قلبه؟ لا يتعلق إلَّا بالله لأنه يجد أن المخلوقات العظيمة في غاية الرهبة من الله، فلا تتعلّق بمن يخاف، وتعلق بمن يخافه كل شيء. "

هذا هو العاقل، إذ كيف تتعلّق بواحد بنفسه خائف، لكن تعلّق بمن يخافه كل شيء فلو تعلقت بشخص يخاف، ماذا سيحصل؟!، متى سيؤمنك؟!، من المؤكد أن وقت الفزع الأكبر سيكون خائفًا مثلك، إذن تعلّق بمن يخافه كل شيء، وهو لا يخاف من شيء سبحانه وتعالى.

إذن هذه أدلة ما نوعها؟ أدلة نقلية عقلية.

انتهى الباب، انتهينا من بابين، وبقى لنا بابان، نسأل الله عز وجلّ أن ييسره لنا.

جزاكم الله خيرًا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اسأله سبحانه وتعالى بمنّه وكرمه أن يجعلنا من الشاكرين الذاكرين .. اللهم آمين.

لا زلنا في هذه النعمة العظيمة التي اسأله سبحانه وتعالى أن يديمها علينا وهي نعمة دراسة التوحيد؛ ومرّ معنا الكلام حول أهمية التوحيد في خمسة أبواب، ثم فُسِّر لنا التوحيد، ثم بيَّن الشيخ تفسير التوحيد بضدّه، فبدأ بالأدنى ثم ترقى إلى الأعلى، **بدأ بالشرك الأصغر الذي يخالط العبد كثيرًا خصوصًا في مسألة مثل مسألة الاستشفاء**، ثم ترقى من الأدنى إلى الأعلى؛ **تحول من الشرك الأصغر إلى الشرك الأكبر**، تحول من التعاملات المخالفة للعقيدة السليمة إلى العقائد المخالفة للمنهج السليم.

ثم بعدما بيَّن كيف أن الناس تدرج معهم الشيطان وخطا خطواته في لفت قلوبهم لغير الله، ثم في تسهيل عبادة غير الله؛ بيَّن أن عبادة غير الله عز وجل باطلة، **فأتى إلى أربعة أبواب يبيِّن فيها بطلان عبادة غير الله.**

فكأنه يقول: **"** إذا كنتم تعلمون أنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء؛ فلم تصرفون العبادة لغيره؟!**"**.

الآن بيَّن لك أن الله ليس كمثله شيء، بيَّن هذا لك في أربعة أبواب، مر معنا بابان:

- **باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُق شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾**[٢٧٠].
- **باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾**[٢٧١].

هذان البابان الجملة الإبتدائية فيهما **" اعلم أنه ليس كمثله شيء سبحانه وتعالى، فإذا كان ليس كمثله شيء بَطلت عبادة كل شيء غيره."**

فإذا سألك سائل؛ بيَّن لي كيف ليس كمثله شيء؟ ماذا تقول؟ ابدؤوا بالباب الأول هنا في أدلة البطلان، يعني أدلة بطلان عبادة غير الله أربعة أبواب.

⇦ الباب الأول: باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُق شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

أنا أقول لك الآن بيِّن لي كيف ليس كمثله شيء؟ صفي العباد، قولي: **" كل أحد غير الله لا يخلق، لا ينصر، لا يستطيع أن ينصر نفسه ولا أن ينصر غيره"**.انتهى الدليل الأول

وأيضًا: **" لا يملك شيئًا، إذا دعوته لا يستجيب، لا يدفع عن نفسه الضرّ، كل أحد غير الله ليس له من الأمر شيء."**

فانت الآن تصفين كل أحد غير الله، ثم تقولين: في مقابل أنه سبحانه وتعالى ما به؟

" هم لا يخلقون شيئا ⇦ والله سبحانه وتعالى وحده الخالق.

هم لا يستطيعون نصر أحد ولا نصر أنفسهم ⇦ وهو سبحانه وتعالى الوليّ، الوكيل، الناصر لعباده، العزيز، أمره نافذ."

---

[٢٧٠] الأعراف:١٩١

[٢٧١] سبأ: ٢٣

فرأس المسألة الآن أن تتصوري أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ سبحانه وتعالى، فكلما قيل لك عن أوصاف المعبودات من دون الله قارنيها بأوصاف الله.

فقولي: **"** كيف يتعلق قلبي بمن لا يخلق شيئًا وأترك من خلق كل شيء، وهو القادر على أن يخلق ما يريد،كيف أتعلق بمن لا يملك شيئًا وأطلب منه وأتوسل إليه وأرجوه ويكون كل رجائي به واترك من يملك كل شيء؟!.**"**

سأسألكم في الاختبار القادم السؤال التالي: بيِّن ما معنى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ مما درست من أدلة بطلان عبادة غير الله.

فماذا ستفعلين؟ اعملي جدول واكتب فيه كل الصفات التي مرت عليك في المعبودات من دون الله، في الأبواب الأربعة كلها- نسأل الله أن ييسر شرح البابان القادمين- ثم في مقابلها اكتب أوصاف الرب سبحانه وتعالى، ولا بأس أن تتناقشوا سويًا إلى يوم الاختبار؛ إلى أن تتفقوا على صيغة تكتبون فيها العمودين:

- **وصف الربّ سبحانه وتعالى بوصف الكمال.**
- **ووصف كل أحد دونه.**

حتى تمتلئ قلوبكم معرفة ببطلان عبادة غير الله، لا بأس بالتوسع، لكن الحد الأدنى هو مما مر معكم، أهم شيء أن تأتوا بصفات الله عز وجل التي تعتقدونها في مقابلة هذه يعني:

- إذا علمتم أن كل أحد غير الله لا يملك شيئًا بدليل الآية، هاتوا ما يدلّ على أن الله يملك كل شيء.
- وإذا علمتم أن كل أحد غير الله لا يخلق شيئا، هاتوا الأدلة التي تدلّ على أنه سبحانه وتعالى وحده يخلق.
- وهكذا؛ إذا علمتم أن كل أحد غير الله لا ينصر، هاتوا الأدلة التي تدلّ على أنه سبحانه وتعالى ينصر.

كل الصفات التي تذكرين أنها صفات نقص في المخلوقين، تكلمي عن كمالها في الله عز وجل، وكلما عددتم الأدلة في أوصاف الكمال كلما أحسنتم، يعني الإحسان أن تأتوا بمجموعة من الأدلة في مقابل وصف المخلوقين بالنقص، هذه ستكون الخطوة الأولى تجاه مشروع لا بد أن يكون في أذهانكم بعد أن درستم التوحيد، فلا بد في أي مجلس تستطعين أن تقولي: "كيف تتركون مالك كل شيء، وكيف تطلبون ممن لا يملك قطمير، تتركون مالك كل شيء الذي وصف نفسه بكذا وكذا وكذا"، بسهولة أن يقال هذا الكلام لكل أحد، بسهولة، لكن مشكلتنا أننا غير مستحضرين للأدلة.

فنحن سنحاول في هذه الأبواب الأربعة أن يكون جهدنا كله مصبوب على أن أخرج نفسي فاهمة بوضوح وحافظة بوضوح أن أي أحد يكلمني عن غير الله، أو عن الأسباب، فغير الله عندنا هنا في البلد [الأسباب]، **الأسباب ⇦** أصبحت شيء غير طبيعي، الناس لا تكلمينهم عن التوكل إلَّا ويكلموك عن الأسباب، بسبب انفصال في عقولهم، يتصورون أن الأسباب شيء مختلف عن التوكل، أصلًا التوكل هو سؤال الله الفتاح أن يفتح لي أسباب الرزق، أن يهيئ لي أسباب الزرق، سؤال الله الأول الذي ليس قبله

شيء أن يهيء الأسباب، وانتم أي أحد يكلمكم عن الأسباب، قولوا له: أيُّهما أسبق في عقلك الله أم الأسباب؟ هل تعتقد أن الأسباب تسبق الله؟

⇦ إذا اعتقدت ذلك إذن انتهى الأمر ولا نقاش بيني وبينك.

⇦ أمَّا إذا اعتقدت أن الله هو خالق الأسباب فليفزع قلبك إلى خالقها أن يهيء لك السبب.

أليس هو الفتاح الذي يفتح مغاليق الأمور؟!، فمهما كانت أمورك معقدة، اطلب من الفتاح أن يفتح عليك!، لماذا هذا الهجر لباب الله؟!، **هجر باب الله سببه أن الناس استولت عليهم الحضارة، وعندما تستولي الحضارة على قلوب الناس تقطع علائقهم بالله**، هذا الذي يخيفنا، أننا كلما أصبحنا نستطيع أن نتصل- خصوصًا - الآن مع ثورة الاتصالات، فثورة الاتصالات أحدثت انقلاب في عقول الناس، فكل شيء يستطيعون أن يأتوا به، انت الآن وانت في مكانك تستطيعن أن تكلمي أبعد شخص في العالم بكل يسر وسهولة، وإذا لم يعمل الجهاز، أو لم يعمل الانترنت نزلت عليه اللعنات، وكأنهم غير متصورين أن هذا أصلًا رزق من عند الله عز وجل!، وصار الناس بدلًا من أن يقولوا "بسم الله" عندما ينقطع عليهم شيئا، صاروا يلعنون الأشياء!،كل هذه انقلابة، كل هذا مؤذ، يفهمك أن الناس ينسلخون من التوحيد انسلاخًا، إذا كنا نعاني في توحيد الألوهية في زمن في زمن طويل مضى، اليوم سنصل إلى أن نعاني حتى في توحيد الربوبية -الله المستعان-.

المقصد الآن أن تشبعوا أنفسكم بهذه المعاني، بالذات هذان البابان وهما:

- باب قول الله تعالى ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.
- وباب ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾.

لا بد من حفظ المتن جيدًا ثم القيام بهذا الجدول الذي اتفقنا عليه.

الآن الشيخ بعد أن بيَّن صفات المخلوقين من دون الله - المعبودين من دون الله- وبيَّن أنهم مهما تعاظموا يبقى لهم وصفًا واحدا ألَّا وهو أنهم عباد ضعفاء لا يملكون أن ينفعوا أو يضرّوا؛ رد على حجة يستظهرها كثير ممن يتعلق بغير الله، **ما هي هذه الحجَّة؟** الحجَّة هي أننا لا نريدهم خالقين، ولا مُعْطِين، إنما لأنهم صُلاّح مُبارَكون نريد منهم أن يشفعوا لنا.

هذه حجة يتعاملون بها، يعني أنك عندما تقولين لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٢٧٢]، والملائكة الذين تعظمون هي بنفسها تفزع عند سماع صوت الربّ من شدة تعظيمها لربها، فكيف إلى هؤلاء تلجؤون وهذه أوصافهم - ليس لهم من الأمر شيء- وهم شديدو الخوف والرهبة منه سبحانه وتعالى، فيقولون: نحن لا نريد منهم أن يخلقوا أو يرزقوا ولا نطلب منهم حاجاتنا، إنما لقربهم وصلاحهم نطلب منهم أن يشفعوا لنا عند الله؛ **هذه الحجة أيضًا ردها المجمل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** ، فما أتاكم هذا التفكير إلَّا لأنكم اعتقدتم أن الله مثل خلقه - تعالى الله عما تقولون - فملوك الخلق يحتاجون شفعاء، ويحتاجون وُسطاء يرققونهم[٢٧٣]، وينقلون لهم الحاجات، إلى آخره.

وانت ماذا تعتقد؟ **أنه سبحانه وتعالى علام الغيوب، قريب، على كل شيء قدير، مُطَّلِع، لا يُشَبَّه بخلقه الناقصين.**

---

[٢٧٢] آل عمران:١٢٨

[٢٧٣] تقصد الأستاذة من الترقية – أي يرفعون مكانتهم -

نحن إن شاء الله سنناقش المسألة أكثر، لكن المهم أن تتصوروا هذا الأمر كيف هو مبني، فنحن الآن عندما نناقش مسألة الشَّفاعة، **أول كلام لا بد أن تفهمه أنه ليس كمثله شيء**، وأنك أصلًا ما تكلمت عن هذا الأمر إلَّا لأنك شبَّهت الله بخلقه، فكأنه يرد علينا يقول: هل تنكرون الشَّفاعة؟ نقول: انت إذا أشركت أصلًا لا تصلح للشفاعة، ونحن نثبت الشَّفاعة، لكن انت بوصفك هذا لا تصلح أن تدخل تحت الشَّفاعة.

سنرى طريقة الشيخ في طرحه لهذا الباب، لأن هذا الباب من الأبواب المميزة في نقاشها، يعني أن نفس الأدلة بدون أن نشرحها يجب أن نفهم تمامًا أنها عبارة عن مجموعات، يعني الأولى يثبت فيها كذا، والثانية ينفي فيها كذا..؛ سنرى.

باب الشَّفاعة وقول الله تعالى: (وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ)[٢٧٤].

وقوله: (قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا)[٢٧٥]. وقوله: (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ)[٢٧٦].وقوله: (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى)[٢٧٧].وقوله: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ)[٢٧٨] الآيتين.

قال أبو العباس[٢٧٩]: نَفَى الله عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْ الْمُلْكِ أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلَّهِ وَلَمْ يَبْقَ إلَّا الشَّفاعة ؛ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { وَلَا يَشْفَعُونَ إلَّا لِمَنِ ارْتَضَى } فَهَذِهِ "

---

[٢٧٤] الأنعام:٥١

[٢٧٥] الزمر:٤٤

[٢٧٦] البقرة:٢٥٥

[٢٧٧] النجم:٢٦

[٢٧٨] سبأ:٢٢

[٢٧٩] قوله (قال أبو العباس) هذه كنية شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، إمام المسلمين رحمه الله. مجموع فتاوى ابن تيمية» العقيدة» كتاب الإيمان» كتاب الإيمان الكبير» فصل إذا أطلق ظلم النفس تناول جميع الذنوب» الإيمان قول وعمل.؛ ونص كلام أبو العباس كالآتي:

{ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفاعة عِنْدَهُ إلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } فَنَفَى عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْ الْمُلْكِ أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلَّهِ وَلَمْ يَبْقَ إلَّا الشَّفاعة ؛ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلَّا بِإِذْنِهِ } وَقَالَ تَعَالَى عَنْ الْمَلَائِكَةِ: { وَلَا يَشْفَعُونَ إلَّا لِمَنِ ارْتَضَى } . وَقَالَ: { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } . فَهَذِهِ " الشَّفاعة " الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ ؛ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا [ص: ٧٨] الْقُرْآنُ . وَأَمَّا مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَكُونُ . فَأَخْبَرَ: { أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفاعة أَوَّلًا . فَإِذَا سَجَدَ وَحَمِدَ رَبَّهُ بِمَحَامِدَ يَفْتَحُهَا عَلَيْهِ ؛ يُقَالُ لَهُ: أَيْ مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَك وَقُلْ تُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أُمَّتِي فَيَحُدُّ لَهُ حَدًّا فَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ .وَكَذَلِكَ فِي الثَّانِيَةِ وَكَذَلِكَ فِي الثَّالِثَةِ وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِك يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ: مَنْ قَالَ: لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ }

فَتِلْكَ " الشَّفاعة " هِيَ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللَّهِ لِيَسْتَ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاَللَّهِ وَلَا تَكُونُ إلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ . وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ الشَّافِعِ الَّذِي أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ لِيُكْرِمَهُ بِذَلِكَ وَيَنَالَ بِهِ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ والآخرون صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا يَسْتَسْقِي لَهُمْ وَيَدْعُو لَهُمْ وَتِلْكَ شَفَاعَةٌ مِنْهُ لَهُمْ فَكَانَ اللَّهُ يُجِيبُ دُعَاءَهُ وَشَفَاعَتَهُ .

وَمَقْصُودُ الْقُرْآنِ يَنْفِي الشَّفاعة نَفْيَ الشِّرْكِ وَهُوَ: أَنَّ أَحَدًا لَا يَعْبُدُ إلَّا اللَّهَ وَلَا يَدْعُو غَيْرَهُ وَلَا يَسْأَلُ غَيْرَهُ وَلَا يَتَوَكَّلُ عَلَى غَيْرِهِ لَا فِي شَفَاعَةٍ وَلَا غَيْرِهَا ؛ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى أَحَدٍ فِي أَنْ يَرْزُقَهُ وَإِنْ كَانَ اللَّهُ يَأْتِيهِ بِرِزْقِهِ بِأَسْبَابِ . كَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ فِي أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَيَرْحَمَهُ فِي الْآخِرَةِ وَإِنْ كَانَ اللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ وَيَرْحَمُهُ بِأَسْبَابِ مِنْ شَفَاعَةٍ وَغَيْرِهَا فَالشَّفاعة الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ مُطْلَقًا ؛ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ وَتِلْكَ مُنْتَفِيَةٌ مُطْلَقًا ؛ وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفاعة بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ وَتِلْكَ قَدْ بَيَّنَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ فَهِيَ مِنْ التَّوْحِيدِ، وَمُسْتَحِقُّهَا أَهْلُ التَّوْحِيدِ .

الشّفاعة " الَّتي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ ؛ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ . وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ لَا يَبْدَأُ بِالشّفاعة أَوَّلًا . ثم يُقالُ لهُ ارْفَعْ رَأْسَك وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ.
وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِك؟ قَالَ: مَنْ قَالَ: لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ . فَتِلْكَ " الشّفاعة " لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاَللَّهِ. وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللَّهَ سبحانه هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ لِيُكْرِمَهُ وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ. فَالشّفاعة الَّتي نَفَاهَا الْقُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ ؛ وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشّفاعة بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ وَقَدْ بَيَّنَ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ. انتهى كلامه.

الآن الشيخ بعد أن أتى بالأدلة، وصل إلى دليل آية سبأ، ونقل على دليل سبأ كلام أبي العباس، وهو ابن تيمية، وكلام أبي العباس "ابن تيمية" يفهمك اختيار الشيخ للأدلة، وقبل أن نشرح بالتفصيل معنى كلمة الشَّفاعة وما تدلّ عليه، انظري للأدلة.

- أولًا: آية الأنعام

آية الأنعام تثبت أم تنفي الشَّفاعة؟ **آية الأنعام تنفي الشَّفاعة**، لماذا؟ ماذا يقول الله عز وجل؟

يقول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ يعني القرآن، ينذر مَن؟ ما وصفهم؟ ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾، يعني يخافون أن يحشروا إلى ربهم وهم يعتقدون أنهم ليس لهم من دونه سبحانه وتعالى وليٌّ ولا شفيع، يعتقدون أن لا أحد سينفعهم، ولا وليٌّ ولا شفيع سينصرهم.

هل تذكرون آية الزمر التي مرت معنا في التفسير؟ ليست التي كنا نشرحها، بل التي استشهدنا بها، ماذا قال الله عز وجل فيها ؟ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾[٢٨٠] ثم ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾[٢٨١].

إذن انتم الآن افعلوا الطاعات وتقربوا إلى ربِّكم من قبل أن يأتيكم يوم لا ينفعكم فيه أحد ﴿ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾، إذا أتاكم العذاب لا تنصرون، من يمكن أن ينصرهم؟ يعني الإنسان الآن يلعب ويلهو في الدنيا وهو متصور أن من سينصره؟ ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾، إذن لن تنصر، وليس لك وليّ عند الله، ولا شفيع يشفع لك.

ما معنى أن يشعر الإنسان أن له ناصر عند الله؟ يعني يعتقد أن له وليّ يتولاه ويدافع عند الله عنه، أو شفيع يشفع له عند الله ثم إذا شفع له قَبِل الله عز وجل ويدخل الجنة، يعني أنه يلعب في الدنيا معتمدا على وليّ أو شفيع، مطمئن ومعتمد على الوليّ والشفيع، فأتت آية الزمر تقول له: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ يعني لا أحد سينصركم، لا وليّ، ولا شفيع.

إذن انظري لآية الأنعام، تتكلم عن الأتقياء، أنا لا أريد أن أشرح الآيات الآن لكن نمر عليها باختصار؛

- الآية الأولى: آية الأنعام ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾ تدلّ على نفي الشَّفاعة.
- الآية الثانية: آية الزمر ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ تدلّ على إثبات الشَّفاعة.

---

[٢٨٠] الزمر:٥٣

[٢٨١] الزمر:٥٤

▪ الآية الثالثة: آية البقرة ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ تدلّ على إثبات الشَّفاعة بالإضافة إلى الإذن.

▪ الآية الثالثة: آية النجم ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ أضافت الرضى، فالإذن موجود من الأول.

▪ الآية الرابعة: آية سبأ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ آية سبأ عامة، صحيح أن فيها الشَّفاعة والأذن، لكن عندما نشرحها ستتصوروا كيف أنها عامة، أتت بالمفهوم كله [نفيًا واثباتًا].

مرة أخرى؛

- آية الأنعام ⇦ نفت الشَّفاعة .
- آية الزمر ⇦ أثبتت ملكية الله للشفاعة .
- آية البقرة ⇦ أثبتت أن الشَّفاعة لا تكون إلَّا بإذن.
- آية النجم ⇦ أثبتت أن الشَّفاعة لا تكون إلَّا بإذن ورضى.
- آية سبأ ⇦ جمعت بين كل ما مضى من المفاهيم، وبينت كيف تنفى وكيف تثبت.

ثم أتى كلام ابن تيمية يبيِّن آية سبأ الجامعة للمفهوم، سنشير إشارات إلى هذه المعاني.

نبتديء أولًا باسم الباب

"باب الشَّفاعة"

" معنى كلمة شفاعة: الشَّفاعة في الأصل مأخوذة من الشفع، والشفع ضد الوتر.

والشَّفاعة في الاصطلاح: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرّة، وسميت بذلك لأن طالب الحاجة كان منفردًا في الأول ثم لما انضم إليه الواسطة شَفَعَهُ في الطلب.

– يعني أنه كان في البداية لوحده وترًا، وذهب يطلب لوحده، فلما انضم إليه أصبح شفعًا، شفعا يعني اثنان، عدد زوجي – ولذلك سُمي شافعًا، وسُمي هذا العمل شفاعة. "

انتهينا من معنى كلمة شفاعة؛ الآن كم ركن للشفاعة؟ ثلاثة:

- الشافع. - المشفوع له. - المشفوع عنده.

ماذا كان يعتقد المشركون في مسألة الشَّفاعة؟ انظروا [سورة يونس: آية ١٨]؛

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

الله عز وجل يصف مَن هنا؟ ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ مَن هم الذين يعبدون؟ المشركون، يعبدون مَن؟ يعبدون من دون الله من وصفه أنه لا يضرّ ولا ينفع.

إذا قيل لهم أنه لا يضرهم ولا ينفعهم، ولا يملكون شيئًا، مثل ما قيل لهم في البابين السابقين، ماذا يقولون؟ ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني نحن لا نعبدهم إلَّا ليقربونا إلى الله زلفى كما في كلامهم في مواطن أخرى، هذا الكلام الذي تكلموه من أين أتوا به؟

هل لهم في هذا برهان؟ لا ؛ بدليل أن الله عز وجل قال لهم في الآية: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، يعني انتم اخترعتم هذا الاختراع أن هؤلاء شفعاء فتنبئون ربكم بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض؟!، إذن كم جريمة هنا ارتكبت؟

- أنهم اتخذوا من دون الله عز وجل معبودين.
- وأنهم افتروا على الله كذبا فقالوا: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فنزه نفسه سبحانه وتعالى عما يعامله به المشركين.

ماذا كان يعتقد كفار قريش وغيرهم؟ كانوا يعتقدون أن المعبودات من دون الله لا تنفع ولا تضرّ، لكنها تشفع عند الله.

هل كلهم كانوا يعتقدون هذا الاعتقاد؟ الجواب: لا ؛ ليسوا كلهم يعتقدون ذلك، فهم متفاوتون في شركهم.

قولهم هذا مبني على ماذا ؟ قولهم هذا مبني على قياسهم الله عز وجل بملوك الأرض، **وهذا القياس من أفسد الأقيسة**، ويتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق.

الآن سنقوم بمقارنة بين صفات المخلوق وبين صفات الخالق التي بها يتبيَّن أن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى الشفعاء من أجل نقل أحوال العباد

نعمل جدول: نكتب فيه: وصف المخلوق / وصف الخالق.

- **الصفة الأولى: العلم.**

وصف الملوك: يحتاجون الوسائط بينهم وبين رعاياهم لأنهم لا يعلمون أحوالهم، فيحتاجون من يُعلمهم بأحوالهم.

وصف الربّ: وأمَّا الربُّ تعالى فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها، الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته وعباده.

- **الصفة الثانية: الرحمة.**

وصف الملوك: الملوك ربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيحتاج إلى تعطيفهم واسترحامهم .

وصف الربّ: الله تعالى أرحم الراحمين لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحمًا لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته.

- **الصفة الثالثة: العزة.**

وصف الملوك: الملوك يحتاجون إلى الشفعاء والوزراء يخافون منهم فيقضون حوائج من توسطوا لهم، مراعاة لهم ومداراة لخواطرهم.

وصف الربّ: جميع العباد والشفعاء منهم يخافونه، فلا يشفع منهم أحد إلَّا بإذنه، وله الشفاعة كلها.

- **الصفة الرابعة: الغنى**

وصف الملوك: ملوك الأرض جميعًا فقراء قد يَمنعون لِما هو قائم في قلوبهم من خشية الفقر.

وصف الربّ: فهو الغني الذي له الغنى التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل منهم ما سأل وتمنى لم ينقص من غناه شيئًا، فلا ينقص مما عنده إلَّا كما ينقص البحر إذا غُمِس فيه المِخْيَط.

الصفة	ملوك الأرض	الربّ
العلم	يحتاجون الوسائط بينهم وبين رعاياهم لأنهم لا يعلمون أحوالهم، فيحتاجون من يُعَلِمهم بأحوالهم.	هو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها هو الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته وعباده.
الرحمة	ربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيُحتاج إلى تعطيفهم واسترحامهم.	الله تعالى أرحم الراحمين لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحمًا بعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته.
العزة	يحتاجون إلى الشفعاء والوزراء ويخافون منهم فيقضون حوائج من توسطوا لهم، مراعاة لهم ومداراة لخواطرهم.	جميع العباد والشفعاء منهم يخافونه، فلا يشفع منهم أحد إلَّا بإذنه وله الشَّفاعة كلها.
الغنى	ملوك الأرض جميعهم فقراء قد يمنعون لما في قلوبهم من خشية الفقر.	هو الغني الذي له الغنى التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم لآخرهم في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد ما سأل وتمنى لم ينقص من غناه شيئًا، فلا ينقص مما عنده إلَّا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط.

هكذا انتهى الكلام عن المقارنة، **لكن هذه الفروق تبيِّن لك جهل المشركين وسفههم وشدة جرأتهم على الله.**

إذن قارنا بين المخلوق والخالق في [صفة العلم، وصفة الرحمة، وصفة العزة، وصفة الغنى]، **وحول هذا تدور حجة من يطلب الشَّفاعة أو من يعتقد أن الشَّفاعة أمر لا بد من وقوعه وحدوثه**، وأن الله عز وجل لما شَّرع الشَّفاعة شَّرعها لهذا، يعني قاسوا تشريعه للشفاعة على تشريع الشَّفاعة في حياة الخلق.

السؤال: هل نُثبت الشَّفاعة أم ننفيها؟ ماذا سنجد في النصوص؟ جاءت النصوص الشرعية بذكر نوعين من الشَّفاعة:

- النوع الأول: الشَّفاعة المنفية.
- النوع الثاني: الشَّفاعة المثبتة.

سنرى بالأدلة ثم نجمع بينهما.

﴿ الدليل الأول.

انظروا آية الأنعام؛ نشرحها باختصار ثم نقرر ما ورائها من جهة مسألة الشَّفاعة

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾[٢٨٢].

- ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ وأنذر بماذا؟ أنذر بالقرآن.
- من هم المنتفعون بالنذارة من الآية؟ ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ﴾.
- معتقدون ماذا؟ ما سبب خوفهم؟ سبب خوفهم أنهم لما اعتقدو أنهم سيحشرون إلى ربهم وهم متأكدون أنه ليس لهم من دونه وليٌّ من الخلق يتولى أمرهم وينصرهم، وليس لهم شفيع يشفع لهم باختيارهم فيُخَلِصهم من عذاب الله، وهذا مبني على اعتقادهم أن الخلق كلهم ليس لهم من الأمر شيء.

في آخر الآية الله عز وجل قال ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ ما معنى ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؟ يعني يعملون عملًا ينجيهم الله به من عذابه يوم القيامة، ويتركون التعلّق بالشفعاء وغيرهم.

يعني أنذر هؤلاء الذين يخافون أن يلقوا ربهم وهم معتقدون أنهم لا يُنصرون -كما في آية الزمر ﴿ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾- يعني ليس لهم لا وليّ ولا شفيع، لا وليّ ينصرهم ولا شفيع يشفع لهم عند الله، فإذا استظهروا هذا المعنى بتكرار؛ ماذا يحصل لهم؟ ﴿يَتَّقُونَ﴾، يعلمون أنهم سيدخلون إلى قبورهم وحدهم منفردين، فيسألون عن: [من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟] وحدهم سيلاقون ربهم ليس بينهم وبينه حجاب، فهذا يَنزِع الطمأنينة من قلوب الناس، ويُوّلِد في قلوبهم تقوى هذا اليوم، **لكن القلوب قست وماتت بسبب عدم ذكر الموت،** بسبب عدم استشعار قرب الموت، بسبب عدم استشعار أنك لما تُنزع من الحياة لن يكون لك هذا الذي تعيشه، هذا الذي تعيشه يعني [من صحبة تناصرك، أو من أموال تنفعك، أو من أولاد يعينوك، أو من وضعٍ مريح في بيتك]كل هذا سيذهب ثم تتبدل الأحوال غير الأحوال، وتصبح في حال ليس لك فيها لا ناصر ولا شفيع، إلَّا انت منفردا، انظر كيف دائمًا حرصنا على ألَّا نكون وحدنا، نحن دائمًا حريصون على ألَّا نكون وحدنا، يعني نادرًا أن نطلب لنفسنا الخلوة، ولكن دائمًا نشعر أننا بحاجة لمن يؤنسنا ومن يكون معنا - بهذه الصورة- ، فتجد أن النفوس وقع فيها الإطمئنان بسبب الحياة الدنيا.

انتم الآن عندما تقرأوا في سورة الكهف عن الرجل صاحب الجنة؛ ماذا قال؟ ما الذي أكفره؟ ماذا قال؟ ﴿وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾[٢٨٣]، هذا ليس كلامه وحده، فانت لو فتشت في نفسك جيدًا ستجد أنك لست خائف أن يسلب منك كل شيء، تتصور أنك ستكون كما انت هنا في الدنيا، تعطى وحولك أبناء، أو حولك إخوان، أو حولك من حولك، تتصور أنك في الآخرة ستكون بنفس الصورة!، فليس متحرر عندنا أننا لن يكون معنا لا ناصر ولا قريب، أبدًا أبدًا! - بهذا المعنى - فهم يسرعون بك لتبقى وحدك، ويتلاوم الناس أنهم ما أسرعوا في دفنك، **بل تصبح بين أهلك، وتمسي في قبرك،** فمثل هذا لا بد

[٢٨٢] الأنعام:٥١

[٢٨٣] الكهف:٣٦

يحرك النفوس، **أنه ليس لك وليّ ولا شفيع من دون الله**، وقد أنذرك الله ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ ؛ سيأتي لابد أنه سيأتي، وستكون أعمى لو لم تسمع عن الموتى الذين يموتون، الذين يخرجون من بيوتهم ثم يموتون، ستكون أعمى لو ما رأيت عدد الحوادث التي تحدث بالسيارات، والطائرات، وأدوات النقل الحديثة، والناس في بيوتهم يموتون بالسكتة القلبية، لا تتصور زمنًا معينا ولا حالة معينة، لا تصدق الشيطان إذ يقول لك: لازال الوقت مبكرًا!، لم يحن بعد وقتك!، ليس الآن!

⇦ في الدفعة الماضية في أقل من ثلاث سنوات أكثر من أربع حالات أو ثلاث حالات وفيات من بين طالبات المعهد، **لا تتصور أن هناك حال يجب أن تنهيها ثم تموت، لا تفهم الأمر بهذه الصورة!، انت في وسط حالتك التي انت فيها سوف تموت!**ليس شرطًا أن تنهيها.

⇦ فلا طالب العلم ينتظر أن ينتهي من الطلب من أجل أن يموت.

⇦ ولا عروس تنتظر أن تنتهي من زواجها من أجل أن تموت.

⇦ ولا حامل تنتظر أن تلد ثم تموت.

⇦ ولا أحد ينتظر حال معينة أن تنتهي ثم يموت، لا، ليس بهذه الصورة!

⇦ لا بد أن تحركوا قلوبكم للموت، لأنه هذا هو الغائب، هذا الغائب الذي لم تلتفت له القلوب فأورثها قسوتها، وما التفتَّ أنك ستكون لوحدك!، فاستثمر ما أعطيت من أجل أن يؤنسك، ابذل جهودك أن لا تقوي أُنسك بالناس، لا تجعل كل أنسك بالناس، نحن لا ننكر أن الناس لهم النصيب الأكبر من الأنس، لكن يجب أن لا يكون لهم النصيب الأكبر من الأنس، انت الآن في الحياة مختبر أنك في وسط جماعة ثم تأتيك بعدها الحقيقة، أنك ستخرج!.

الموت ما الفرق بينه وبين الحياة؟ الفرق بينه وبين الحياة أنك في الحياة تكون في وسط الجماعة، **والموت ماذا يفعل؟ ينزعك من الجماعة**، لكنك ستبقى حيًا، وليس معنى أنك ستموت أنك لن تشعر! لا انت ستبقى كما انت إلَّا أن بدنك سيفارق روحك، ستبقى كما انت، وتشعر بكل شيء!

⇦ لكن في الدنيا داخل الجماعة [بدن وروح].

⇦ وفي القبر [روح لكن منفردة خارج الجماعة]؛ وهذا هو الاختبار.

يعني كأنه يقال لك؛ عندما تكون في وسط الجماعة لا تنشغل بها ستأتي اللحظة التي ستخرج بها من هذه الجماعة وتكون فيها وحدك، فمن الآن، لا يغرك الاجتماع، استعد للحظة التي ستكون فيها وحدك، ثم تأتي بعدها الأهوال التي لا زلت ستكون فيها وحدك، ثم — نسأل الله من فضله – يجمع بينك وبين من تحب، فإذا كانت الدنيا دار اجتماع لكنها دار اجتماع زائل، كل من تحبهم ارجُ الله أن يجمعك بهم في جنته، واعمل انت من أجل أن تجتمع معهم في جنات عدن، فهذه فقط مسيرة من أجل أن تجتمع، لكن فكر في حقيقة المرحلة التي في الوسط.

– نسأل الله عز وجل أن يثبت قلوبنا ويشرح صدورنا للفهم عنه، نسأله سبحانه وتعالى أن يجعل أنسنا به وبكتابه– من أجل أنه لما تأتي وحشة القبر لا تكون علينا وحشة، بل تكون لنا أنسا.

– نسأله من منه وكرمه أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، من أجل أننا لو انفردنا عن أهل الدنيا يكون هو أنسنا، نسأله سبحانه وتعالى أن يقبل دعائنا .. اللهم آمين –.

الآن؛ "هذا النص: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾ بيّن ماذا؟ بيّن أن الشَّفاعة لا تنفع، فهي منفية عن كل أحد سوى الله."

يعني أن هذه الشَّفاعة لا تنفع، أي نوع من الشَّفاعة التي لا تنفع؟ الشَّفاعة المنفية عن كل أحد سوى الله، الشَّفاعة المنفية لا تنفع.

◄ الدليل الثاني.

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفاعة جَمِيعًا﴾[٢٨٤].

ما أصل هذه الآية؟ **هنا يوجد "تقديم ما حقه التأخير"**، فأصل تركيب الكلام هو: "قل الشَّفاعة لله جميعا"، لأن لفظ الجلالة "لله" جار ومجرور في محل رفع خبر، لكنه خبر مقدم؛ "قل الشَّفاعة لله"، قاعدة: تقديم ما حقه التأخير [يفيد الحصر – يفيد الاختصاص] كلها كلمات مترادفة، إذن إذا كان تقديم ما حقه التأخير يفيد الاختصاص، يفيد الحصر، إذن ماذا ستفهم؟ **أن الله وحده مختص بالشَّفاعة كلها.**

انظروا الآية في مصاحفكم، لتروا ماذا أتى بعدها؛ ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفاعة جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾

يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفاعة جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

ما معنى ذلك؟ لماذا ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفاعة جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؟ ما علاقتهما ببعض؟

أجابت إحدى الطالبات: أن الشَّفاعة من الملك.

فعلّقت الأستاذة: ما رأيكم؟ الآن الشَّفاعة تحصل على يد مَن؟ يعني مَن الشافع؟

الآن نحن عندنا ثلاثة أركان:

◄ الشافع ◄ والمشفوع له. ◄ والمشفوع عنده.

املؤا هذه الأركان الثلاثة:

◄ المشفوع عنده ⇦ هو الله عز وجل العلي العظيم.

◄ المشفوع له ⇦ هم العباد، فيما بعد نرى ما وصف هؤلاء العباد.

◄ الشافع ⇦ مَن أذِن الله له، وهذا الشافع أليس عبدًا؟ أليس في ملك الله عز وجل؟ بلى، فمن أجل ذلك أتت الآية: **قل لهم لله الشَّفاعة جميعا لأن الأمر كله لله، وكل شفيع فهو يخافه سبحانه وتعالى، ولا يقدر أن يشفع عنده أحد إلَّا بإذنه.**

[٢٨٤] الزمر:٤٤

ففهمت: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفاعة جَمِيعًا﴾ لما قال الله عز وجل ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي أن الشَّفاعة كلها لله، كما أن السماوات والأرض ملك لله، فالذي سيكون شافع أليس هو في ملك الله؟ بلى، الذي سيكون شافع هو في ملك الله، فإذن الشَّفاعة ملك لله، فجميع ما في الأرض من الذوات والأفعال والصفات ملك له سبحانه وتعالى، فالواجب أن تطلب الشَّفاعة ممن يملكها، **معنى هذا أن هذه الآية قررت أن الشَّفاعة بجميع أنواعها، ملك لله، وتطلب من الله .**

⇦ الآية الأولى – آية الأنعام– دلّت على نفي الشَّفاعة، فالمتقين يعتقدون أنه ليس لهم من دون الله وليّ ولا شفيع.

⇦ أتت آية الزمر تثبت أن الشَّفاعة ملك لله، لأن الله عز وجل له:

- ملك السماوات والأرض.
- والشافع وصفته.
- والمشفوع له.

⇦ كل هؤلاء في ملك الله

نأتي الآن إلى الدليل الثالث؛ آية سورة البقرة.

⇦ الدليل الثالث.

وقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[٢٨٥].

انتم تعلمون الجملة في الآية التي تسبق هذه؛ ما هي؟ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فلا زال الكلام حول الملك، إذا فهمت هذا فاعلم أنه لكمال سلطانه جل وعلا لا يستطيع أحد أن يقترح عليه في ملكه، ولا أحد يتكلم عنده سبحانه وتعالى ولو كان بخير إلَّا بعد إذنه.

ولو نظرتم الآن إلى حال أهل الدنيا والشَّفاعة فيها؛ يعني نحن عندما نشرح آية الكرسي، نقول إن آية الكرسي ممتلئة بوصوفات الكمال، ونفي وصوفات النقص.

فمن وصوفات الكمال ⇦ أن له ما في السموات وما في الأرض.

ومن وصوفات النقص ⇦ أن يشفع عند أحد بدون إذن

أريد منك أن تتصوروا كيف تكون هذه المسألة؛ الآن هذه لو أن زوجة الملك، أتى إليها شخص وقال لها: توسطي لنا عند الملك في فلان المسجون، هي ماذا تفعل؟ تدخل على زوجها وتتكلم مباشرة، ولا تستأذن منه، أنني أريد أن أشفع لفلان لكن مباشرة تقول ما عندها، ثم هؤلاء أهل المسجون يأتوا إلى الوزير ويطلبون منه – نفس الأمر – اشفع لنا عند الملك أن يخرج فلان، ويدخلون عليه في مكتبه ويقولون له نريد أن نكلمك في موضوع، أخرج فلانا.

[٢٨٥] البقرة:٢٥٥

بماذا يشعر الملك الآن؟ يشعر الملك بالضغط، ممكن أن يقبل الضغط وممكن أن لا يقبله، لكن في النهاية ضُغط عليه، نحن الآن لا نتكلم عن كونه يقبل أو لا يقبل، إنما نحن نتكلم عن نقص الملك، فمن نقص ملوك أهل الدنيا أنه ممكن أن يُضغط عليهم، ويُمكن أن يُقترح في ملكهم، فهذا من نقص ملكهم، **لكن الربّ سبحانه وتعالى كامل الملك، ومن كمال ملكه أنه لا أحد يستطيع أن يقترح في ملكه اقتراحا**، بل النبي – صلى الله عليه وسلم – يسجد عند العرش، فماذا يقول؟ يثني على الله ويحمده، يقول النبي – صلى الله عليه وسلم: " ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ ، وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي" ثم يقال له: " ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهُ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ".

إذن النبي صلى الله عليه وسلم ما ابتدأ بالطلب، إنما أُذِن له أن يطلب، وهذا دليل على كمال ملك الله عز وجل؛ فلا يستطيع أحد أن يقترح في ملكه شيئا، إلَّا أن يأذن الله له أن يتكلم.

إذن اتضح هذا الدليل؛ أنه سبحانه وتعالى من تمام ملكه أن لا يشفع في ملكه أحد إلَّا بإذنه، وهنا تبيَّن لنا أن الشَّفاعة موجودة بعد إذن الله عز وجل.

نأتي الآن إلى الدليل الرابع.

♦ الدليل الرابع.

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى﴾[٢٨٦].

آية النجم تتكلم عن مَن؟ عن الملائكة.

ما حال الملائكة في باب الشَّفاعة؟ ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾.

﴿إِلَّا﴾ إذن هناك استثناء، ﴿إِلَّا﴾ بشرطين، ما هما؟

- الأمر الأول: الإذن للشافع أن يشفع.
- الأمر الثاني: الرضى عن الشافع والمشفوع له.

إذن ماذا نستفيد من آية النجم زيادة على ما مضى؟

- الرضى.
- وأيضًا نستفيد شيء مهم؛ أنه إذا كان هذا حال الملائكة مع علو منزلتهم – لا تنفع شفاعتهم شيئًا إلَّا من بعد أن يأذن الله لهم بالشَّفاعة ويرضى عن المشفوع له– فكيف يشفع من هو دونه؟!، إذن هذه حجة باطلة بأن يقولوا الشَّفاعة.

[٢٨٦] النجم:٢٦

✷ سنذكر الآن شبهة ✷

إذا قال قائل أنا أعلم أنهم لا يشفعون إلَّا بإذنه، ولكن ادعوهم ليأذن الله لهم في الشَّفاعة لي، بماذا نرد عليه؟ – ادعوهم يعني اطلبهم هم مباشرة – ماذا تقولون؟

هو يقول: أنا اعلم أن هؤلاء الملائكة مثلًا أو النبي صلى الله عليه وسلم لا يشفع إلَّا بإذن الله، ماذا يريد أن يفعل؟ يريد أن يطلب من النبي أو من الملائكة أن يطلبوا له الإذن في الشَّفاعة، يقول: ادعوهم ليأذن الله لهم في الشَّفاعة، يدعو النبي يقول يا محمد اشفع لي، من أجل أن يأذن الله له في الشَّفاعة؛

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا هم يتوجهون إلى النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، أو يتوجه إلى الملائكة مباشرة [يا ملائكة الله اشفعي لي، يا نبي الله اشفع لي] فهو يقول أنا أعلم أنه لا يشفع إلَّا بإذن الله، فأنا اطلب منهم هم الشَّفاعة وهم يطلبون الإذن من الله، سنرى كيف نرد عليهم.

ما هي الشبهة؟ **أنه يقول: أنا اعلم أنهم لا يشفعون إلَّا بإذنه، فانا سأطلب من النبي نفسه صلى الله عليه وسلم الشَّفاعة، والنبي صلى الله عليه وسلم يطلب من الله الإذن**، فيقول: يا رسول الله اشفع لي، ويقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو يذهب إلى الله سبحانه وتعالى ويطلب منه الإذن بالشَّفاعة – هذه دعوته– هذا الكلام هو الذي يقوله، انت تقولين كيف يقول مثل هذا الكلام؟! هو يقول أنا أعلم أن الإذن مشترط، فأنا اطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم والرسول يأتي لي بالإذن، وهذا كله مبني على تشبيه الله عز وجل بخلقه، مثل عندما تأتي تريدين أن تدخلي على وزير الداخلية مثلًا، فماذا تفعلين؟ تأخذ واسطة معك، وهذه الواسطة هي التي تأتي بإذن الدخول، ثم أن هذه الواسطة أيضًا تتكلم؛ هكذا يقصد،كل هذا مبني على القياس، قياس الله عز وجل بخلقه.

ما هو الرد على هذه الشبهة؟

تكليف: اكتبوا في رد هذه الشبهة باستعمال هاتين الآيتين:

- [يونس: آية ١٠٦].
- [آل عمران: آية ٨٠]

❖ الدليل الخامس.

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[٢٨٧] الآيتين.

انظروا آية ١٢٢؛ وآية ١٢٣؛ في سبأ.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفاعة عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

ماذا يقول الله عز وجل؟ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

[٢٨٧] سبأ:٢٢

ما وصفهم؟

- الوصف الأول: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾.
- الوصف الثاني: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾.
- الوصف الثالث: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾.
- وأيضًا الوصف الرابع: موطن الشاهد: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفاعة عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.

السؤال في هذه الآية ذكرت الأسباب الواهية التي يتعلّق بها المشركون في عبادة غير الله، عددي هذه الأسباب الواهية؟

- السبب الأول: **الملك**.

أول سبب واهٍ هو الملك، كيف سنناقش هذا السبب؟ الله عز وجل نفاه، **فهم لا يملكون من الكون مثقال ذرة ملكا مستقلا،** إذن أول سبب واهٍ هو الملك، كيف أصبح سببا واهيًا؟ فهم لا يملكون من الكون مثقال ذرة ملكا مستقلا.

- السبب الثاني: **الشرك**.

يعني أن يكونوا شركاء مع الله، وهذا كيف أصبح سبب واهي؟ بأنهم **ليس لهم في الكون أدنى شِركة مع الله**.

- السبب الثالث: **الإعانة**.

﴿ظَهِيرٍ﴾: أي معين، ماذا تقولين؟ **ليس منهم أحد يعين الله في تصريف الأمور**.

- السبب الرابع: **الشَّفاعة**.

لا يقدرون على التقدم بين يديه تعالى في الشَّفاعة لكم إلَّا أن يأذن الله، وهو تعالى لا يأذن بالشَّفاعة لمشرك.

الله عز وجل تَنزّل معهم في الآية؛ كيف؟ يعني أن هذا المعبود إما أن يكون مالكًا لما يريده عابدوه منه، وهم ليسوا مالكين.

⇦ فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك؛ وهم ليسوا شركاء لله عز وجل.

⇦ فإن لم يكن شريكًا له، كان على الأقل معينًا وظهيرا، وهم ليسوا معينين ولا ظهيرين لله.

⇦ فإذا لم يكن معينًا ولا ظهيرا لله كان على الأقل شافع، وهم ليسوا شفعاء.

⇦فكل الأربعة منتفية، يعني تنزّل معهم.

هل ما تعبدون مع الله مالكا؟ ⇦ فإذا لم يكن مالك، هل هو شريك؟ ⇦ وإذا لم يكن شريكا، هل هو معين؟ ⇦وإذا لم يكن معين، هل هو شافع؟ ⇦ ولا واحدة من هذه ⇦⇦ إذن بطلت دعوى التعلّق بغيره، فهم لا يملكون ملكًا مطلقًا، ولا شركاء في الملك، ولا معينين، ولا شفعاء!.

وهذا الكلام لا تتصوري أننا بحاجة إليه مع القبورية فقط، فنحن اليوم بحاجة إلى هذا الكلام حتى مع أهل المادية والأسباب، فنقول لهؤلاء: هذه الأسباب التي جعلتها لك ربًّا من دون الله هل هي تملك نفسها؟! هل هي شريكة مع الله؟! هل هي معينة له؟! هل هي شافعة عنده؟!

الجواب: لا، فإذا كانت مجرد مخلوق لا يملك، وليس بشريك مع الله، وليس بمعين ولا نصير، ولا هذه الأسباب هي التي تشفع عند الله أن يؤتيك.. ؛ يعني مثلًا لو كان عندك مال، سيشفع لك أن تنجح في المشروع؟ هل اتضح معنى كيف أنها تشفع لك؟ يعني أن الشخص الذي معه مال يقول مادام معي مال إذن لا بد أن أنجح في المشروع، إذا ذاكرت لا بد أن أنجح.

⇦ نقول: هل المال مالِك مع الله؟ لا

⇦ هل هو شريك يأتي لك بمرادك؟ لا

⇦ هل هو معين يأتي لك بمرادك؟ لا

⇦ هل مالك الذي معك يذهب فيشفع لك عند الله على قضاء حاجتك؟ لا

إذن كيف يتعلّق به قلبك؟!، لا بد أن تتصور أن هذا الكلام ينفع في كل شيء استعبد الناس، كل شيء الناس وضعوا رجائهم فيه، **وأعظم ما استعبد الناس اليوم:**

- هو التعلّق بالأولياء والصالحين، هذا من وجه.
- ومن وجه آخر؛ التعلق بالمال.
- التعلّق بالأسباب.

وانتم مرت معكم كلمة "الليبرالية"، ما هي الليبرالية؟ هي التحرر التام –كما يعبرون – **التحرر التام من الإكراه الخارجي**، وهم يقصدون ⇦ **التحرر التام من القيم والمباديء الدينية**، الانفلات من القيم والمباديء الدينية، الليبراليون عمومًا يرون أن الناس الذين عندهم قيم دينية سلسلوا أنفسهم.

وأحد مظاهر الليبرالية التي لم تتبيَّن لصلاّح كثيرين – للأسف – هي هذه الدورات التي طرحت زمنًا طويلًا في تعظيم الذات، ودائمًا يقال لك لا تخف، انت بداخلك بركان قوي، فجر قدراتك، وأخرج طاقتك، وكلام عن العملاق الكبير الذي في داخلك، كل هذا يُشعرك دائمًا بأنك مكبوت ويجب أن تخرج إلى الخارج، فهذه إشارة من بعيد إلى الليبرالية بدون أن يُحس أو يُشعر بها، وأنا أثق يقينًا أن الصُّلاح – والله أعلم – الذين اخذوا مثل هذه الأفكار ونشروها، ما نشروها إلَّا من حسن ظنهم، وإلَّا لو تبيَّن لهم هذا المعنى لا أظن أبدًا أن ينشروها، لكن تأملي جيدًا في مثل هذه الأفكار، ستجدينها دائمًا تريد أن تحررك من أي شيء، فتأتي إلى جماعة مختلفي الثقافات، ويحضرون مثل هذه الدورات، ويقال مثلًا لإحدى الحاضرات: واجهي نفسك بالأشياء التي في داخلك وانت مرتبطة بها، وفككيها واشعري نفسك أنك لست دائمًا بحاجة إلى مثل هذا، يقال لها: – أعيدي برمجة نفسك– دائمًا هذا التفكير – أعد برمجة نفسك– !

الكفار هم الذين يقال لهم ⇦ "أعد برمجة نفسك"، لكن انتم يا أهل الإسلام، يا أهل المعتقد الصائب، يا من درستم التوحيد منذ نعومة أظفاركم، تعيد برمجة نفسك فماذا تفعلين يعني؟! أرمي التوحيد وراء ظهري؟!، أرمي القيم الدينية وراء ظهري؟!، والله ما رأينا منهم إلَّا آثار السَّفه، هؤلاء ما رأينا من ورائهم إلَّا السَّفه، فالذي يخرج من دوراتهم في الغالب إذا اقتنع وامتلأ بها أصبح سفيهًا، إلَّا أنها تصلح للمرضى النفسيين – أنا لا أنكر هذا– فلو أن شخصًا مريض نفسيًا يحتاج إلى أن يذهب إلى طبيب نفسي – وليس

أيضًا كل المرضى النفسيين – ويحتاج إلى نوع من المصحات؛ ممكن أن تنفعه هذه الدورات، لأنها تعيد برمجة نفسيته التي اختلت، لكن نفسية سوية آتي لها بالاختلال؟ لماذا؟! إلَّا لأحد أمرين:

- إمَّا فكر وافد تقبله المجتمع بسبب عدم ظهور قوة الاعتقاد، فالمستَقبل ليس عنده قوة اعتقاد لذلك تقبله.
- أو – وهذا الأغلب –؛ الضخ المالي، الأموال، لأن هذه دخلت على ناس كونت ثروات لناس كثيرين، فربما نُغَلِب الجانب الآخر، فأصبحت نوع من أنواع المخدرات لكن بصورة. – والله المستعان –

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نعم للترغيب، يرغبون في مثل هذا بصور كثيرة.

كلام من الحاضرات رد من الأستاذة: نعم، احتفظي به ولا تتكلمي عنه، لأن هذا نوع من النشر لفكرهم – الله المستعان–.

على كل حال؛ ذكرت لكم المرة الماضية **أن أحدهم يقول: أنا ليبرالي إسلامي**، هذه صورة من تلفيق المصطلحات، وإلَّا ما معنى ليبرالي إسلامي؟!، ليبرالي يعني أنك تريد أن تتحرر من كل شيء، وإسلامي يعني ماذا تريد أن تفعل؟!، إلَّا أننا نسأل الله عز وجل أن يثبت علينا عقولنا.

أهم شيء هو أن تنظروا للشباب من حولكم، أهم شيء؛ إلى أولادكم، إلى من حولكم، لا تضغطوا عليهم، وأنا أقول لكم هذا الكلام وانتم اتقوا الله واطلبوا منه أن يسددكم، **فدائمًا نقول للأمهات: "اهتموا بعقائد أبنائكم"**

اهتموا بالسلوك لا بأس، لكن مثلًا لو أتاني ولدي وشعره – المأساة التي ترونها–، نعم أنا أستاء منه وأقول له افعل وافعل، لكن لا تدعي هذه الجريمة تساوي جريمة الزنى أو جريمة بقدرها، يعني انبذي هذا السلوك، وأظهري له أنه خطأ، وادخلي عليه بالاقناع، واجعليه يشمئز من نفسه، أحضري له المرآة واطلبي منه أن يرى نفسه، وكلام من هذا النوع؛ كلميه الكلام الذي فيه نوع من أنواع الرفض لكن ليس وكأن على رأسه سيف، لكن احرصوا على عقائدهم، فممكن أن يكون مرتبًا وله مظهر جيد تفتخرين به عند الناس، لكن من الداخل – خرابة – ، ليبرالي في نهاية الأمر.

وأنا لا أقول بأن نقلل من أهمية السلوك – أريدكم أن تفهموني جيدًا –، فأهم شيء اجلسي معه وكلميه عن اعتقاداته التي ليس فيها مخالفات، يعني لا يحدث بينك وبينه اصطدام، وكلميه عن القيَّم العليا – واقبلي شكله كما هو– وكلميه عن القيَّم العليا، فقط دعيه يمر بهذه الفترة الصعبة، عنق الزجاجة، اتركيه، مدّي يدك له ودعيه يمر بهذه الفترة الصعبة، واقبلي منه، تنازلي، على الأقل سيكون أحسن السيء، و اعلمي أنه مع الأيام لا يضيع دعاؤك، ولا رجاؤك ولا انكسارك، لا يضيع!

فانت عيشي بعاملين:

- عامل الانكسار.
- وعامل غرس الاعتقاد.

فتكلمي وتكلمي، ودائمًا ناقشيه، وكوني انت السابقة للمفاهيم عنده، ودائمًا كوني مثقفة بدرجة ثقافته، أي لا تقولي: أنا لا أفهم هذه الأشياء، بل تخطيه، دائما تخطيه في درجة الثقافة، لا تنزلي نفسك عنه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا تشعري أنك لست قادرة، يجب أن يشعر أنك معاه، ومتصورة العالم المحيط به، وهم مختلفون، فالذي تحت السيطرة ليس كالذي فوق السيطرة، فهناك فئة يصبحون فوق السيطرة، بسبب شخصياتهم وأعمارهم،

فأحدهم مثلًا عمره عشرون سنة أو واحد وعشرون سنة هذا رجل يفتح بيتًا، لكن لأننا لا نقبل أن نفتح له بيت فهو يخرج لنا كل قدراته، كل هذه أخطاء.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا الصغير بقدر استطاعتك اغرسي فيه الصواب وامنعيه عن الخطأ. ردت صاحبة السؤال: لا يسمع الكلام! أجابت الأستاذة: لا بأس، انت لا تقولي له أفعل ولا تفعل، بل أجلسيه أمامك وتناقشوا في أي موضوع، هذا الخطأ، نحن ليس لنا علاقة الآن بـ "حرام".

أحيانًا انتم تكلمونهم عن مسائل تعتبر من باب ترك التنزيه، لا تكلموهم عن مثل هذا!، طبعًا الكبير غير الصغير، فالصغير معاملته شيء والكبير معاملته شيء، لكن المهم أنه مثلًا: **كلمة " لا يليق" هذه كلمة مناسبة، أفضل من كلمة "حرام" في مواطن كثيرة**، فمثلًا عندما يسألك عن شعره هذا الذي متسبب في مشكلة في بيوت كثيرة، لأنها موضة وكثير من الأمهات يشتكون، نقول: الآن اتركي شعره وأهم شيء قلبه، قلبه هو المشكلة، لا تكلميني عن هذا، فهو شاعر أنكم تعادونه في هذه النقطة، فيصبح هذا الولد مثل البنت، يذهب إلى المرآة ذاهب وآت، وإذا أراد الخروج؛ يصلح هيأته بصورة لا تستساغ، ليست مستساغة، لكن عنادًا لكم وعنادًا للمجتمع، إلى درجة أن هناك شاب أكلمه فيقول لي: انتهى، انتهى، أنا اتفقت مع أصحابي – أي أنهم عملوا مؤامرة – اتفقت مع أصحابي أن نحلق شعورنا آخر الشهر، عندهم موعد، "اتفقت مع أصحابي" هذه الكلمة تلفت نظرك، أن الجماعة عملوا عصابة، وطبعًا الحمد لله أن هذه العصابة أتت على هذا الشيء، وليس على مصيبة أكبر منها.

إذن اعطوا كل شيء حجمه، اعطوا كل شيء حجمه، لا تفجروا البيوت وتحولوها إلى مكان إلى النكد دون أن تصلوا إلى نتيجة، ولا أقول تنازلوا عن القيم، لكن أقول لكم كونوا مرنين، سيكبرون وينضجون، ويصبحون أحسن ما يكون، على قدر صدقكم ودعائكم ومحاولة أن تسددوا وتقاربوا، سددوا وقاربوا.

و هو طيلة الوقت يقول لك: انت لا تعرفين وضع الشباب في الخارج كيف، وطوال الوقت يقول لك هذا، لا بأس، قولي له: قل لي، ما هو وضع الشباب؟ وهو يستحيّ أن يتكلم ويقول لك أن غالبهم واقع في الزنى وأنه كذا وكذا، لا يستطيع أن يقول لك هذا الكلام، لكن انت اتركي كل هذه الأعمال التي يعرف موقفك منها ويعرف أنها جريمة، وكلميه في الفراغات التي في داخله، حتى لا يأتي أحد قبلك ويكلمه فيلتقطه!.

وركزوا في شخصيته، فهناك شخص متلاعب، ملتوٍ، متلون، يكون في البيت أحسن ما يكون، وأدين ما يكون، فمثلًا هو وإخوته في البيت، وإخوته يكلمونه بكلمات احتقار، ليس لأنه متدين، بل لأنهم يعلمون أنه في الظاهر شيء وفي الباطن شيء آخر، فيذهبون ويأتون ويقولون: نحن على الأقل أحسن من المنافق، نحن على الأقل واضحون، هذا الكلام لا تغفليه، بل انتبهي له، افهمي أن من وراء الكلام كلام، فخاطبي هذا الذي يظنونه منافقًا، أو الذي معناه أنه في الظاهر شيء وفي الباطن شيء، والذي يتلون على حسب المواقف، وخاطبي هؤلاء الذين يرون ردة فعل على أخيهم الذي يتلون، فهم صاروا يتبجحون ويظهرون المنكر، فكلمي هؤلاء وكلمي هؤلاء.

لكن أهم شيء تكلمينهم فيه؛ انظري الآن لو قلت لهم انظروا إلى العالم الإسلامي مثلًا ممتلئ بالقبور وهناك أناس يذهبون يتمسحون عندها ويتوسلون بهم، فسيشعرون بشعور أنه لماذا يفعلون ذلك؟!؛ ثم قولي له: ما رأيك؟ ماذا نفعل بهم؟ سيقول لك: يا أمي اتركيهم، لا بأس: أنا أريد أن أسمع أنهم مجانين، أريد أن أسمع ذمهم، فذمهم مريح لأنه يفهمك أنه سائر بشكل صحيح، زيدي انت من الكلام، وهو سيغيب باله، فهو لن يشعر بأن هذا الموضوع مهم بالنسبة له، **لكن انت بالنسبة لك هذا أهم موضوع، أن يرى أن التعلّق بغير الله باطل.**

تعال قولي له مثلًا "الليبرالية"، لنفترض أنه في المعهد طلب منك أن تكتب مقال ردًا على من يقول كذا وكذا، انت فكري واستخدمي كل الوسائل، وقولي له: طُلب مني مقالًا أرد فيه على من يقول أنه يجب علينا أن نتحرر من كل القيَّم أو كلام مثل هذا، تعال قل لي ماذا أقول؟!، فهو سيقول لك: أنا لا علاقة لي بهذا الكلام، فقولي له: تعال رتب أفكاري، هو لن يرد عليك، لكن ارمي له سهما بأن هناك من يقول كذا، وقولي كلمتين بحيث تتكون فكرة، فإذا تكونت فكرة أصبحت مانعة، ولو كانت كلمتين تصبح مانعة، فإذا أتى أحدهم وقال له ليبرالية، أو يقول له أحد أي كلمة من هذه تكون – الفكرة المانعة – موجودة عنده وليست علامة استفهام ويقبلها.

نحن لا نريده أن يجلس على طاولة الحوار ويصبح مثقف ويجيبنا، لا، لكن أريده مع كونه مندفعًا ولا يرد علي وغير فاهم، أن أقول له كلام فقط يكون عنده بمثابة "حائط صدّ"، ولو كان هذا الحائط رقيقًا، لكن مع الأيام سيظهر له.

قوُّوا في قلوبهم الغيرة على أخواتهم، لا تميتوا الغيرة، فلو ماتت الغيرة أول بلاء سيقع عليكم انتم، اتركيه يخاصم أخته لأنها تنظر من الشباك، أو رفعت يدها في السيارة، أو فعلت، قوّوا في نفوسهم ذلك، فالشباب تموت في نفوسهم الغيرة، ونحن ندفع ثمن ذلك، وانتم تعلمون وتسمعون، فقوّوا في النفوس الغيرة، ولا تتركي البنت تضغط عليك، الآن – للأسف – النساء صاروا يستجيبون لبناتهم، يضغطون على إخوانهم، وكل هذا باطل!.

لا بد أن تشعروا أبناءكم أنه لا بد أن تسير الأسرة في الطريق الصحيح السليم الفطري، لا بد أن تتحمل انت مسؤليتنا، وعندما تحصل مصائب مثلًا في المجتمع في الخارج، ويتردد كلام بأنهم خطفوا كذا وفعلوا كذا؛ لا توفري عليه، بل كلميه، قولي له: البنات يحصل لهم كذا، وأخواتك ممكن أن يتعرضوا لكذا، بحيث يتحمل المسؤولية ولا يشعر أنه ليست له علاقة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نحن نتوازن بقدر المستطاع، لكن هذا ليس ممنوع ذاك المنع، لا بأس أن تكون إحدى بناتي ضحية في مقابل أن يبقى غيورًا، هذا صحيح، لأننا دفعنا ثمن الغياب، دفعنا ثمن عكس ذلك، وحتى تتأدب هي أيضًا، فانتم ترون أنه لا أحد يحكم البنات.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا بأس لتحسب مائة حساب قبل أن تلتفت يمنة أو يسرة.

الآن شابة في ثالث متوسط لسبب أو لآخر أهلها أعطوها جوال، وذات مرة في الليل دقّ جوالها، فقامت فزعة، واتضح أنه شاب، فبقيت تبكي من الليل إلى الفجر خوفًا من وليّ أمرها، وفي اليوم الثاني قالت له: أنا مستغنية عن الجوال، خذه، أراحت نفسها.

فهذا الخوف مفيد، أحسن من الجرأة، دعوها تحسب حساب إخوتها، وأخوالها، وأعمامها وأبيها، دعوها تحسب حساب الرجال في البيوت، لا يصّح هذا الاستهتار الحاصل – والله المستعان – حقيقة نحن في مجتمعنا ليس هناك استهتار بالرجال، إلَّا ما دخل علينا، نحن دخل علينا الاستهتار بالرجال، وإلَّا في الأصل هو غير موجود، والمرأة كلما تعلمت وتثقفت وصارت تخرج للعمل استقوت،

واستقوت على الباطل، فأول من دفع ثم استقوائها بناتها وأولادها، انظري إليها وهي تخرج محتشمة ومتغطية وانظري إلى بناتها كيف هي أشكالهم!، كل هذا بسبب ماذا؟ بسبب ان الرجل لم يأخذ مكانه

نغلق الآن النقاش.

مررنا على آية سورة سبأ، نعود إلى كلام ابن تيمية هنا، انظروا إلى كلام ابن تيمية، ستجدونه مرتبًا على آية سورة سبأ، ماذا يقول؟

قال أبو العباس: نَفَى الله عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْ الْمُلْكِ

كما في الآية:﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ .

أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلَّهِ

﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾

وَلَمْ يَبْقَ إلَّا الشَّفاعة ؛ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { وَلَا يَشْفَعُونَ إلَّا لِمَنِ ارْتَضَى }

أتى بآية الأنبياء.

فَهَذِهِ " الشَّفاعة " الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ ؛

أتى الآن بأنواع الشفاعة؛ جمع كل ما مضى من الآيات.

هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ .

ما هي الشَّفاعة المنتفية يوم القيامة؟ التي في آية سبأ – ابن تيميه يناقش آية سبأ– أي أن الله عز وجل يبطل ما تعلّق به المشركون، بماذا تعلّقوا؟

تعلّقوا بأربعة أشياء:

- أنهم يملكون.
- أنهم شركاء.
- أنهم معينون.
- أن لهم الشَّفاعة.

فعلى هذه الشَّفاعة التي تعلّق بها المشركون قال ابن تيمية:

هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ .

الآية تقول: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، إلى هنا لا تنفع الشَّفاعة، يعني أن الشافعة لا تنفع [إلَّا لمن أذن له الله]– وهذا هو الشرط– يأذن لمن الله عز وجل؟ **يأذن للموحدين ولا يأذن للمشركين**.

تبيَّن هذا في آية الأنعام بأن الشَّفاعة منفية، صح تبينت في آية الأنعام لكن ابن تيمية أصلًا يناقش آية سبأ.

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفاعة أَوَّلًا .

لا يستطيعها.

ثمَ يُقالُ لهُ ارْفَعْ رَأْسَك وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ}.

إذن هذا اثبات للشفاعة، يعني نفيت الشَّفاعة التي ظنها المشركون، ولكن أثبتت للنبي صلى الله عليه وسلم.

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِك؟ قَالَ: مَنْ قَالَ: لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ . فَتِلْكَ " الشَّفاعة " لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللَّهِ

إذن ستكون لمن؟ لأهل الإخلاص.

وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاَللَّهِ.

إذن هو يشرح هنا الاستثناء، فالآية تقول ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ وهذا هو الأصل أن الشَّفاعة لا تنفع، إذن الشَّفاعة منفية لا تنفع، ثم أتى الاستثناء ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.

ابن تيمية الآن يشرح لك مَن الذي أذن له؟

- النبي صلى الله عليه وسلم.

⇦ أخبرك أن النبي صلى الله عليه وسلم يؤذن له بالشَّفاعة، فأتى بالحديث الذي يدلّ على أن النبي صلى الله عليه وسلم يؤذن له بالشَّفاعة، **وذكر لك الشَّفاعة الكبرى.**

⇦ ثم أخبرك أن النبي صلى الله عليه وسلم له أيضًا شفاعة أخرى غير الكبرى، يشفع فيها لمن؟ هنا السؤال؛ لما سأله أبو هريرة رضي الله عنه، قال: " مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ"، إذن هذا الذي يُشفع له.

أصل الآية النفي ثم الاستثناء:

- ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ لا تنفع، إذن الشَّفاعة منفية.
- ثم أتى الاستثناء ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.

مَن هو الذي يؤذن له؟ هنا أتى بحديث الشَّفاعة العظمى التي فيها دليل على أن الله يأذن للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يبتديء بالشَّفاعة؛ إنما أولًا يأذن الله له ، إذن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم العظمى داخلة تحت الاستثناء ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، **فانظر النبي صلى الله عليه وسلم لم يشفع إلَّا لما أُذِن له،** بدليل أنه " أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفاعة".

أرأيتم جملة " لَا يَبْدَأُ بِالشَّفاعة "؛ **إذن الشَّفاعة لا تنفع عند الله، ومنفية، إلَّا لمن أذن له،** والنبي صلى الله عليه وسلم ما ابتدأ الشَّفاعة إنما سجد وحمد ربه ثم قيل له: " ارْفَعْ رَأْسَك وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ " بعدما سجد، ولم يتقدم بالشَّفاعة أولًا. إذن معنى ذلك أن الأصل أنهم لا يشفعون عنده، والشَّفاعة في الأصل منفية، ثم أتى الاستثناء، أتى الاستثناء هنا لمن؟ للنبي صلى الله عليه وسلم، بدليل الشَّفاعة العظمة، لكن ليس شرطًا للنبي فقط، ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، لمن يؤذن؟ أتى ابن تيمية بالحديث الذي يدل أن ممن يؤذن له بالشَّفاعة؛ النبي صلى الله عليه وسلم، سيشفع لمن؟ فابن تيمية لما تكلم قال:

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفاعة ؛ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ

كما في آية سبأ، و أضاف أيضًا إضافة؛ قال:

{ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى }

فأتى بالشرطين وهما: - الإذن. - والرضى.

⇦ "الإذن" في سورة سبأ.

⇦ "والرضى" في سورة الأنبياء.

و انت عندك في المتن أصلًا في آية النجم مجتمع "الإذن والرضى".

سؤال من الحاضرات: عن معنى كلمة "كما قال"

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفاعة ؛ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ **كَمَا قَالَ** تَعَالَى: { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى }

رد من الأستاذة: "كما قال"، فهذا من أدوات العطف

فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ

"أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ" ⇦ هذه الجملة ستحمل معنيين:

- إذن للشافع.
- وإذن للمشفوع له.

⇦ فأتى بمثال على المشفوع له فقال: { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى }.

⇦ وأتى بمثال على الرضى عن الشافع فأتى بكلام عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

يعني هنا آية سبأ تدلّ على ماذا؟ ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، هذا يكون لمن؟ هذا يكون للشافع والمشفوع له.

المشفوع له ⇦ من هو الذي سيؤذن له؟

- أتت آية الأنبياء: ﴿لِمَنِ ارْتَضَى﴾.
- وأتى حديث النبي صلى الله عليه وسلم، من أسعد الناس بشفاعتك قال: " مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ".

هذا كله وصف لمن يؤذن له – "المشفوع له"–.

مرة أخرى؛ آية سبأ: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفاعة عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، اتفقنا أن إذن الله عز وجل سيكون لمن؟ سيكون للشافع والمشفوع له.

ما وصف "المشفوع له" الذي سيأذن الله له ؟

- آية الانبياء: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾.
- حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي أتى عن أبي هريرة يبيِّن لك من يرتضي الله، مَن يرتضي؟ " مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ".
- وحديث النبي صلى الله عليه وسلم يبيِّن أن الشافع أيضًا لا يشفع إلَّا بإذنٍ من الله.

سؤال من الحاضرات: هل الإذن للشافع والرضى للمشفوع له؟

رد من الأستاذة: "الإذن" كلمة تنطلق على الإثنين: - إذن للشافع. - وإذن للمشفوع له.

⇦ أمَّا إذن الشافع فهو بأن يشفع.

⇦ وأمَّا إذن المشفوع له فهو أن يرضى الله عنه.

فأتت آية الأنبياء تبيِّن لك أن الله يأذن للشافع أن يشفع فيمن ارتضى الله عنه.

يأتي حديث النبي صلى الله عليه وسلم، مَن هو الذي ارتضى الله عنه؟ " مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ".

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: كل هؤلاء يخرجون من كونهم يدخلون في الشَّفاعة، لذلك أتت آية سبأ مبطلة لهم.

▪ لأن أولها: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذه الشبهة الأولى عندهم.

▪ ثم﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ وهذه الثانية.

▪ والثالثة ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾، ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفاعة عِنْدَهُ﴾ لا تنفعهم

ثم اتى الاستثناء ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، يأذن لمن؟ يأذن لعنصرين:▪ للشافع. ▪ والمشفوع له.

أمَّا الشافع فيأذن له بالشَّفاعة، وأمَّا المشفوع له فلا يأذن الله إلَّا لمن ارتضى

من الذي يرتضيه الله؟ هو الذي جاء في حديث أبو هريرة: " مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ".

قال:

وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللَّهَ سبحانه هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَن أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ

إذن يتفضل على أهل الإخلاص، وليس أي أحد، بل أهل الاخلاص، يتفضل عليهم بماذا؟ بالمغفرة، بواسطة ماذا؟ بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع.

بيَّن ابن تيمية هنا سبب أن يجعل هذا واسطة، قال:

لِيُكْرِمَهُ وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ.

هذه الجملة لا بد تفهميها من الجهتين؛ ما معنى "لِيُكْرِمَهُ"، ليكرم مَن؟ الشافع، "وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ" طبعًا هنا المقصود به النبي صلى الله عليه وسلم، **لكن عمومًا أي شافع جعله الله شافعًا ليكرمه –** افهمي هذه الجملة جيدًا–

إجابة على السؤال الذي ممكن أن يأتي: لماذا لا يغفر الله لي وينتهي الموضوع؟ لماذا يكون هناك شافع؟ انظري إلى كلمة "لِيُكْرِمَهُ"، هذه تبيِّن لك المعنى، **انت تفكر دائمًا أن الذي يُكرَم هو الشافع، ولا تفكر في نفسك أيُّها المشفوع له،** انت الآن في الدنيا لما يقال لك: القرآن شافعٌ لك، ماذا يقع في قلبك؟ يقع في قلبك إكرام للقرآن وتعظيم له، وتعظيمك للقرآن وإكرامه أليس من مصلحتك؟ نعم، **كل شيء أخبرت عنه أنه شافع لك المقصود من إكرامه ورفعه لترتفع انت به،** يعني أنك ترشد إلى وسائل الرفعة عند الله، فيبيِّن لك الله الأسباب التي تيسر الوصول له، ويبيِّن لك ما هو كريم عند الله، **يعني يبيِّن لك كل ما هو عظيم عند الله، فانت تعظم الله، وتعظم كل ما يعظمه الله،** فعندما يقال لك القرآن شافع لك، أو الشهيد شافع في سبعين من أهل بيته، فماذا يكون شعورك تجاه الشهيد؟ ترى أن الشهادة في سبيل الله أمر يُحض عليه وليس أمرا تخَذل الناس عنه، طبعًا كما تعلمون أن الجهاد نوع من أنواع العبادة العظيمة التي يجب فيها الاخلاص ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم،[فلا يعتبر جهاد إذا لم يحقق الشرطين].

وإن شاء الله عما قريب – نسأل الله عز وجل – أن نبتدئ السنة القادمة ويكون أحد مباحثنا التي نتكلم عنها الجهاد، لأن هذه المسألة كثر الكلام والاتهامات فيها، والناس يتكلمون بما لا يفقهون، فلا بد من فهمها من جهة السُّنة، من أجل أن لا يأتي هذا التخبط في التفكير الذي يعيشون فيه.

المهم؛ انت الآن عندما يأتيك الشافع وتعلم عنه أنه شافع، ماذا تقول؟ يعني عندما تعلم أنه شافع ماذا يقع في قلبك؟ يقع في قلبك تعظيمه وتكوين العلاقة معه، فإذا كونت العلاقة مع هذا الشافع على ما يحبه الله ويرضاه، ماذا يكون؟ من الذي سينتفع؟ انت.

⇦ متى سيشفع لك القرآن؟ لما تكون له تاليًا بلسانك، ومتابعًا له.

فانت في الحياة ستكون علاقتك بالشافع كما يحب الله ويرضى، فيجعله الله لك شافعا.

⇦ الصيام يأتي شافعًا لصاحبه، فماذا ستفعل بالصيام؟ ستصوم، وستكثر من الصيام..

⇦ النبي صلى الله عليه وسلم شافع لأمته، فماذا ستفعل؟ ستتابعه

⇦ لكن أهم شيء هو إلَّا تختلط عليك الحقوق؛ نعم، الله عز وجل جعل هؤلاء شافعين من أجل أن ترتبط بهم وتعظمهم لأن الله عز وجل عظمهم، لا أن تعظمهم أكثر من الله، أو تعظمهم فتغلوا في تعظيمهم، فاحذر أن تنحرف معك المسألة، وهذا حال من نظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم على أنه شافع.

ما حالهم هؤلاء؟ ماذا فعلوا؟ غلوا في النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذوه من دون الله مطلوبًا، فطلبوه من دون الله، وسألوه من دون الله، ورجوه من دون الله، مع أنه لما قيل لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لكم من أجل أن تصلح علاقتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم كما يحب الله؛ فماذا فعلوا؟ غلوا.

لذلك نعيد ونكرر هذ القاعدة العظيمة:

✷ مشكلة العالم الإسلامي اختلاط الحقوق، فدخل الغلّو على الحقوق ✷

لا تنسوا هذه الجملة لأنها هي التي ستدخلنا إلى المجموعة القادمة، ستفهمون كيف وقع الشرك بعد كل أدلة البطلان هذه، كيف وقع الشرك؟ ما وقع إلَّا من باب الغلّو.

⇦ قلنا لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم شافع ونحن نؤمن بذلك، فطلبوه بدلا من أن يطلبوا الله.

⇦ وقلنا لهم أن القرآن شافع، فعظموه ووضعوه في المجالس وزينوه وكتبوه بماء الذهب، ثم لم ينتفعوا به قراءة ومتابعته، اختلطت الحقوق!.

⇦ وقلنا أن الصالحين لهم وجه شفاعة، فماذا فعلوا؟ عظموهم وطلبوهم من دون الله.

⇦ وهكذا، دوامة اختلاط الحقوق، الغلّو في الحقوق.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هل تقصدين يا رب شفع فيّ نبيك؟ هذا مبحث دقيق، فلو سمعتي أحدهم يقول: "يا رسول الله اشفع لي"، قولي له: لا تقل ذلك، تريد أن يشفع لك النبي صلى الله عليه وسلم، قل: يا رب شفع فيّ نبيك.

لكن هل من السُّنة أن نطلب هذا الطلب؟ فهذه الجملة – "يا رب شفع فيّ نبيك" – تعديل لشخص مشرك، لكن هل من السُّنة طلب هذا الطلب؟ ومتى يكون من السُّنة؟! إحداكن تتبرع فتبحث لنا، هذا تكليف، المبحث: **هل من السُّنة أن نطلب الله ان يُشَفِع فينا نبيه.**

ماذا ستفعلين؟ ابحثي في النصوص، خصوصًا في الأدعية، وانظري هل ورد أن نطلب من الله أن يُشفع فينا نبيه صلى الله عليه وسلم، لأن في الحديث المشهور أنك بعد أن يؤذن المؤذن فتقول كما هو معلوم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: " حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[٢٨٨]

فانت في الدعاء ما دعوت "يا رب شفع في نبيك صلى الله عليه وسلم"، إنما دعوت دعاء للنبي صلى الله عليه وسلم، فوجبت من هنا شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، هذا الذي يظهر لي أنا، الذي يظهر لي أنك لا تبتديء الدعاء، ولكن هذا من بحث قاصر، فالمسألة تحتاج إلى بحث، فابذلوا في جهودكم في البحث عسى الله أن يبيِّن لنا الحقّ، واقرئوا في كلام السلف، يعني اقرئي في كلام ابن تيمية وابن القيِّم في الشَّفاعة ربما تجدين في كلامهم ما يدلنا إن شاء الله.

باب قول الله تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) [٢٨٩] الآية.

وفي الصحيح عَنْ ابْنُ الْمُسَيِّبِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعِنْدَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبَو جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ : " يَا عَمِّ ، قُلْ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ" ، فَقَالا لَهُ يَا أَبَا طَالِبٍ ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعادا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ : هو عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ" ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ)[٢٩٠] الآيَةَ ، وَأَنْزَلَ فِي أَبِي طَالِبٍ : (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)[٢٩١]

في هذا الباب وجهان لبطلان التعلّق بالنبي صلى الله عليه وسلم من باب العموم، ما هما؟

من وجهين يبطل التعلّق بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك الهداية؛ هذا الوجه الأول، انظري ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم، "لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ "، والاستغفار هذا أليس شفاعة؟ فنهي عن الشَّفاعة.

يعني يبطل التعلّق بالنبي صلى الله عليه وسلم من وجهين:

- أولًا: لأنه لايملك الهداية لأحد، فلا تتعلّق بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإذا كان لا يملك الهداية لخاصة قومه، ولخاصة أهله، ولخاصة من يحب، فكيف يملكها لغيرهم؟!.

---

[٢٨٨] من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة" الراوي: جابر بن عبدالله المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: ٤٧١٩خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

[٢٨٩] القصص:٥٦

[٢٩٠] التوبة:١١٣

[٢٩١] القصص:٥٦

لكن هذا الوجه أصلًا جاءنا في الباب الأول، أليس النبي صلى الله عليه وسلم نادى عمه وعمته وابنته وقال لا أغني عنكم من الله شيئا؟، فهذا المعنى تبيَّن في الباب الأول، فسيصبح هذا الباب لاحقًا بمسألة الشَّفاعة، فيقال لك تخصيصًا وإظهارًا أن النبي صلى الله عليه وسلم نُهي عن أن يشفع لعمه.

وهذا النهي دليل على ماذا؟ دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك الشَّفاعة مطلقًا.

أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك الشَّفاعة مطلقا.

هذا على وجه العموم، نرى على وجه الخصوص.

أولًا لو لاحظتم في الباب السابق أن الشيخ أورد [ذكر الملائكة، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم] وأن كلاهما لا يملك الشَّفاعة؛ ففي آية النجم: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ فهذا ذكر للملائكة بأنها لا تغني، لأن الملائكة في نظر أناس كثيرين أنهم يملكون، فيطلبون منهم الهداية، ويطلبون منها الشَّفاعة، يطلبون منهم إنزال المدّد.

⇦ فيُرد عليهم بالباب الذي مضى الذي هو – **باب ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾** –.

⇦ ويُرد عليهم أيضًا بباب الشَّفاعة، أنهم لا يملكون الشَّفاعة، فلا يملكون أن يعطوكم ولا يملكون أن يشفعوا لكم.

⇦ وهكذا النبي صلى الله عليه وسلم في – **باب ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾** – أظهر الشيخ الأدلة على أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيئًا، لا الهداية ولا غيرها، [لا الهداية، ولا دفع الضرّ، ولا جلب المنفعة].

وفي باب الشَّفاعة أيضًا بيَّن لك أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يستطيع الشَّفاعة ابتداءًا، وإنما يُؤذن له، هذا في باب الشَّفاعة.

⇦ وهنا في هذا الباب يزيد البيان؛ يزيد بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك الشَّفاعة، وقد يشفع لأحد فلا تقبل شفاعته.

و هذا الأمر لا يخصّ النبي صلى الله عليه وسلم في أنه ترَد شفاعته؛

⇦ فانتم تعلمون أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم استغفر لأبيه فرُدّ استغفاره.

⇦ وأيضًا تعلمون أن نوح صلى الله عليه وسلم طلب نجاة ابنه فلم ينفع ابنه هذا الأمر، يعني لم ينفعه طلب النجاة والهداية، ولم يهتد.

يعني أن إبراهيم عليه الصلاة السلام لم يستطع هداية أبيه، ونوح عليه الصلاة والسلام لم يستطع هداية ابنه، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يستطع هداية عمه.

ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنَّكَ لَا تُخْزِينِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ . فَيَقُولُ اللَّهُ : إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ " فماذا يتبيَّن لك؟ أن ابراهيم تشَفع لأبيه، فلم يشفع له.

على هذا؛ إذا كان هذا حال خواص الخلق أنهم لا يملكون لأحد نفعًا ولا ضرًّا حتى هداية القلوب ومغفرة الذنوب، فمن المؤكد أن التعلّق بهم والطلب منهم سيكون باطل.

وإن قال قائل: أنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن عمه: " لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ النَّارِ". أليست هذه شفاعة؟ نقول له: **هناك فرق بين شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أن يغفر له، وبين أن يخفف عنه من العذاب.**

ما الفرق؟

أولًا فرّق؛ ما مراد الشافع؟ مراد الشافع هو أن يُخفف عنه العذاب وليس منعه.

ماذا يترتب على التخفيف؟ بقاؤه في العذاب، في مقابل منعه الخروج إلى الجنة.

هل قبلت شفاعته أم لم تقبل؟ يعني أولًا هذه الشَّفاعة في أن يخفف عنه العذاب، هل نتيجتها أن يتحول جزاء الكافر من كونه في النار إلى الجنة؟ لا، لازال في النار لم يتغير حاله، فهل انتم عندما تطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم هل تريدون منه أن تبقو في النار وتخفف عنكم؟! لا، انتم مرادكم أن تخرجوا من النار، ثم، هل قبلت الشَّفاعة أم رُدت؟

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نعم لا بأس، النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي"، "لعله" هنا تدلّ على الترجي، فبقي أن تبحثوا في هذا الدليل، **ماذا قال أهل العلم؟ هل "لعله" دليل على أن الشَّفاعة قبلت أم لا، لنرى بالنص ماذا قال أهل العلم.**

الدليل الأول.

نبتدأ بأول دليل.

باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[٢٩٢] الآية.

يخبر تعالى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يستطيع هداية أحد ولو كان من أحب الناس إليه، فإن هذا أمر غير مقدورٍ للخلق.

فلو قال قائل أن الله عز وجل قال عن نبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٢٩٣]؛ **فكيف نجمع بين نفي الهداية عن النبي صلى الله عليه وسلم واثباتها له؟**

أولًا: سنقرر أن الهداية نوعان:

- هداية توفيق.
- وهداية بيان وارشاد.

ثانيًا: نعمل جدول.

ما معنى هداية التوفيق؟ هداية التوفيق هي خلق الإيمان في القلب والتوفيق للعمل الصالح.

في المقابل هداية البيان والارشاد ماذا تكون؟ توضيح وتعليم الحقّ والترغيب فيه والتنفير من ضدّه.

كم فعل؟ ▪ بيان الحقّ وتوضيحه. ▪ وتعليمه. ▪ والترغيب والترهيب يُعتبر فعل واحد.

فأصبحت هداية البيان والإرشاد تدور حول ثلاثة: بيان الحقّ وتعليمه والترغيب فيه والترهيب من ضدّه.

---

[٢٩٢] القصص:٥٦

[٢٩٣] الشورى:٥٢

إذن انت تعلم الناس الحقّ وتبينه لهم وترغبهم في الطريق أو ترهبهم من ضدّه، فهذا هو دور من دعى إلى الله: ▪ أن يعلم الناس الحقّ. ▪ أن يبينه لهم. ▪ أن يرغبهم ويرهبهم.

مالك هداية التوفيق: الله سبحانه وتعالى

مالك هداية البيان والارشاد: النبي صلى الله عليه وسلم، وكل من دعا إلى الله

الدليل في هداية التوفيق: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾

الدليل في هداية البيان والارشاد: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

	هداية التوفيق	هداية البيان والإرشاد
معناها	خلق الإيمان في القلب والتوفيق للعمل الصالح	▪ توضيح وبيان الحقّ. ▪ تعليم الحقّ. ▪ الترغيب فيه والتنفير من ضدّه.
مالكها	الله سبحانه وتعالى	النبي صلى الله عليه وسلم وكل من دعا إلى الله
دليلها	﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾	﴿و إنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾

◄ الدليل الثاني.

الدليل الثاني عبارة عن سبب نزول هذه الآية.

وفي الصحيح عَنْ ابْنُ الْمُسَيِّبِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ

المقصود بحضرت الوفاء يعني أتت علاماتها.

جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعِنْدَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ وأَبَو جَهْلٍ،

جلوس هؤلاء عنده قدر قدره الله، وابتلاء ابتلى به الله عز وجل عمه، والنبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا الأمر لا بد أن تتصوروه؛ أن العبد عندما يقبل على طريق الهداية لا بد أن يُبتلى بموانعها، قرينة بها،كل من فُتح له باب الهداية لا بد أن يبتلى بموانعها مقرونة بها، فانت تجد طالب العلم يُفتح له باب الطلب، وتنفتح معه الفتن، والمثقلات، والمثبطات، والمضيعات للوقت، والصحبة التي قد تشغلك عن الطلب، وقيل وقال وكثرة السؤال،كل هذا يدخل قرينًا مع الطلب.

فإذا أعرضت عنه وأقبلت إلى الله ⇦ أقبل الله إليك.

و إذا استحييت من الله واستحييت من الناس ⇦ استحي الله منك فأبقاك الله لكن على ضعف، يعني تبقى في الطريق لكن تكون ضعيفًا.

وإذا أعرضت عن الطريق ⇦ أعرض الله عنك.

انتم لا بد أن تتصوروا ما تمرون به.

مرة أخرى؛ انت الآن وانت في طريق الطلب ماذا يحصل لك؟ كل طرق الهداية مقرونة بالابتلاء، لا يمكن أن تخلو، فإذا تبيَّن لك ذلك – أن الهداية لا تخلو من الابتلاء– ولو قلنا أن الطلب من أنواع الهداية، فقد يُبتلى الإنسان وهو طالب علم بقيل وقال من صحبه، وبكثرة السؤال من الناس الذين من حوله، لو فسرنا كثرة السؤال بهذا المعنى الذي نفهمه، أو يُبتلى بأصحاب يثبطونه، أو يبتلى بأصحاب يؤذونه وهم في الطلب، أو يكون مع ضعف الإيمان شديد الحساسية، لأن ضعف الإيمان يتسبب في أن يصبح الإنسان شديد الحساسية لكل شيء، فيشغل نفسه بتوافه الأمور، فتجده حول نفسه يدور، لا يستزيد من لياليه وأيامه.

السؤال الآن: ما هو موقفك بعد هذا؟ إذا أقبلت على الله وطرحت هذا وراءك؛ أقبل الله عليك، وإذا استحييت – ما بين استحياءك من الله ومجاراتك لهذه الأمور– استحيى الله منك، فأبقاك ولكن على ضعف، ومن أعرض؛ أعرض الله عنه، فتَرَك هذا الإنسان طريق الاستقامة؛ فصرفه الله، فلا بد أن يكون هناك ما يصرفك، لا بد.

ولذلك تجد أحيانًا أناس يتعذرون بكلام طويل لتركهم للاستقامة، فتقول إلَّا أن الله عز وجل ابتلاكم فما صبرتم، يعني أن الله عز وجل ابتلاكم أن تثبتوا على الاستقامة فما صبرتم.

على كل حال؛ نسأل الله عز وجل أن يثبتنا ويجعل ما نجده من ضغوط داخل نفوسنا، ومعارضات من داخلها، ومعارضات من خارجها؛ – هذه المعارضات الداخلية والخارجية للبقاء في سلك الطلب وسلك الاستقامة– هذه المعارضات إن دافعتها زاد أجرك، كما ذكر الشيخ السعدي:

"أن من أسباب مضاعفة الأجور: المعارضات الداخلية والخارجية"

كما سمعتم، هذه سبب من أسباب مضاعفة أجورنا، فكلما ثقلت نفوسنا، وكلما وجدت من يؤذيك، وكلكم مستقيمون، وكلكم تحبون الدين، لكن – سبحان الله – كيف يسلط ربي شخصا على شخص آخر، برغم أن كلاهما مستقيم، ومهما حاولت فض الإشكال تجدين أنه لا يوجد حل، فهذا يقول لك تفاصيل دقيقة، والآخر يقول لك تفاصيل دقيقة، وفي النهاية لا نستطيع أن نحكم بينهما، إلَّا أن الله ابتلى هذا بهذا ليرى صبر هذا وهذا، **فكلما زادت عليك المعارضات كلما زاد أجرك لو ثبتّ**.

فكل واحد منا لو لم يكن عنده معارضات خارجية، هناك في داخله معارضات داخلية [من الكسل، ومن حب الراحة، ومن المشغلات]، فمثلًا تستيقظ صباحا فتقول: لا لا، ليس لي طاقة، ماذا عندنا اليوم؟ هذا وهذا، لا بأس، إذن سوف أعوضه، كل هذا الكلام معارضات ومخذلات، لكن لا بد أن تفهم: **"من أعرض أعرض الله عنه"**، هذا الذي لا بد أن تفهمه.

فانت الآن لو أتيت وما حصلت إلَّا بركة الاجتماع، واستغفار الملائكة، خير وبركة، وأنا أكرر عليكم – بناتي – أنا لا أقصد هنا، لكن أقصد في أي مكان تلتزم فيه وتتعلم، لأن هذا العلم الذي انقلبت مفاهيم الناس حوله، وأصبحوا يقولون لك: انتم تذهبون وتتعبون أنفسكم لماذا؟! هل عندكم شهادة معترف بها؟! فانتم طبعًا ستجيبون: معترف بها أين؟ في التعليم؟ الحمد لله نحن ليس معترف بنا، وفي وزارة العمل؟ الحمد لله غير معترف بنا، وفي التعليم العالي؟ بفضل الله غير معترف بنا.

إذن ماذا ستفعلون؟ وأيضًا اليوم بعد أنه صرنا نبيِّن لطلابنا – انظري للأسف الشديد – في كل الدفع الماضية، نحن بالنسبة لنا هذا شعار المعهد، **أننا نحن نفتخر بأننا ليس معترف بنا**، ولا في أي مكان، أي أن شهادتنا هذه التي تحصلين عليها لا قيمة لها في سوق العمل، أبدًا، إلَّا أن ييسر الله لك العمل فتعملين، فهذا رزق من الله عز وجل أولًا وآخرا، فلما أصبحنا نقول هذا أصبح في المقابل آخرون يقولون: تعالوا إلينا، نحن معهدنا معترف به، وأنا اقول لكم يا بناتي؛ لا يوجد معهد من المعاهد الشرعية داخل

المملكة – على الأقل أنا أتكلم – معترف به في وزارة التربية والتعليم التي هي بالنسبة لنا تعتبَر في المملكة الشهادة، ولا في وزارة التعليم العالي، ولا في وزارة العمل، فلا أحد يغرك أحد بقوله: تعالي نحن معترف بنا، إن أردت أن تذهبي اذهبي، لكن لا تذهبي على أن هناك أحد مُعترف به، يقصدون بمعترف به، يعني يقصدون من الجهة التي تعلوهم مباشرة، والتي ليس لها علاقة بوزارة التربية والتعليم.

المقصد الآن هو أن الناس عندما يقللون من قيمة العلم، ويكون غير معترف به في نظرهم – وهذه هي الحقيقة إن كان هذا في نظر الدنيا – لكن ربِّ الأرباب هو الذي إلى هذا هداك، وهو الذي سلك بك هذا الطريق، فلا تكن مثل الثالث؛ ألم يكونوا ثلاثة نفر الذين مروا على مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، فانتم مثلوا أنفسكم بهذا المجلس، وكل مجالس العلم.

لا زلت أذكركم، أنا لا أقصد أن يُبنى في داخلكم شيء من التعصب لمكان، في هذا المكان أو في أي مكان تتعلمون فيه الحقّ على منهج السلف، انتم الآن تصوروا مجالسكم هذه مثل المجلس الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم، أن ثلاثة نفر مروا على مجلس يُذكر فيه الله[٢٩٤]، أحدهم رأى فرجة فأقبل إليه" متقدما مشتاقا محبا، فأقبل الله عليه، والثاني استحى، يعني أن داخله تردد بين أن يسير وبين أن يلتحق بالمجلس فجلس، يعني أنه وفقه الله فجلس لكن على استحياء، وهذا الاستحياء يعني أنه لا يوجد في قلبه لا شوق ولا قوة تعلّق بالمكان أي بالعلم، لكن الله عز وجل استحيى منه، والثالث أعرض فأعرض الله عنه، والله عز وجل يعاملك على ما قام في قلبك.

سؤال من الحاضرات: كيف يكون اقبال الله على العبد؟

رد من الأستاذة: هذا أمر فوق الوصف، فوق الوصف، يشرح صدرك، يعلمك، يثبت قلبك، باسمه الفتاح يفتح لك مغاليق قلبك، باسمه المنان يمنّ عليك بعلمٍ لا تتصوره ولا يدركه عقلك، يوفقك لردود فعل وتصرفات وأحوال، وينجيك من المهالك التي تهلك إيمانك، يسددك في مواقف تسديدًا لا تستطيع إدراكه، ومع هذا كله لا يمكن أن يفارقك البلاء، لا يمكن أن يفارقك البلاء، افهم هذا.

يعني انت الآن إذا كان كل شيء مجود عندك، مثلًا عندك مواصلات، فهناك أناس ربي ابتلاهم بالمواصلات، دائمًا مشكلتهم في المواصلات، وأناس ربي ابتلاهم بالكسل والنوم، وهؤلاء لديهم مواصلات وكل شيء حاضر، لكن يجدون أنفسهم أنهم ينزعون أنفسهم نزعا، ويبدأ يفكر وهو نائم بطريقة تعويض الدروس، لا يفكر أن يقوم بل يفكر بكيفية تعويض الدروس، وآخر مشكلته ليست لا في سيارته ولا في نومه، بل مشكلته أنه عندما يأتي لا يجد نفسه يفهم ما يقوله الناس، يعني يجد الناس كأنهم يتكلمون بالطلاسم.

فلا تمنعْك كل هذه المعارضات، لأن مشكلة الطلب ليست أن تكتب، **مشكلة الطلب هي قلبك، هو الذي يُكتب في داخله**، فانت في أول الأمر وفي أول سنة، لو أتيت بربع الكلام خير وبركة، وثلاثة أرباعه يذهب عنك، لا بأس، نحن لسنا في

[٢٩٤] عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ قَالَ فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ

مسابقة، ولا نجري لنحصل على شهادة، نحن نريد أن تنفعنا كل لحظة نكون فيها هنا في قبرنا، هذا هو الذي نحمل همَّه، وأن تنفعنا كل لحظة هنا لما نلقى الله، وسيسألكم الله[لماذا تعلمتم؟ لماذا بذلتم؟]، فلهذا السؤال استعدوا.
لذلك حركوا قلوبكم للإخلاص، "إني لا أريد إلَّا وجهك يا رب، لا أريد ثناء الناس ولا أريدهم أم يمدحوني، ولا أريد أن يقولوا عني طالبة علم، وأعرف أن أفهم وأشرح".هذا الذي تحمل همَّه، أمَّا دراستك وكتابتك وجدك واجتهادك فهذا مرفع لك، لكن الأصل أن تكون لربك مخلصًا.

على كل حال؛ أنا مقصدي أن تعلم أنك كلما أردت أن تستقيم، الاستقامة لا بد أن تصاحبها ابتلاءات، ففي مجلس عم النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة ابتلاه الله أن يكون عبد الله بن أمية وأبو جهل حاضرين، زيادة في البلاء.
فالنبي صلى الله عليه وسلم قال له:

" يَا عَمُّ ، قُلْ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ" ، فَقَالَا لَهُ – هذا هو البلاء هنا– يَا أَبَا طَالِبٍ ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟

فماذا فعلا به؟ كانا مثل الشيطان، ولا تنسي أن معه الشيطان أصلًا، وهذا الشيطان يأتي لابن آدم لحظة الموت يسيطر عليه، في لحظة المصاب يسيطر عليه، فإذا كان الشيطان معه، ومعه أيضًا في المجلس اثنان من شياطين الإنس، فتسلطا عليه، والنبي صلى الله عليه وسلم ما استطاع أن يرده عن هذا.

فَأَعَادَ عَلَيهِ النَّبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَال: هو عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ،

وهذه الجملة – "هو عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ"–

قال الحافظ: الظاهر أن أبا طالب قال "أنا" فغيره الراوي بلفظه "هو" استقباحًا للفظة المذكورة.

يعني أصل الجملة "أنا" لكن الراوي كره أن يقول "أنا" استقباحًا لهذه الجملة فقال: "هو عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ"، وأبى أن يقول "لا إله إلَّا الله".

- **إلى هنا ظهر لنا الشاهد الأول**: أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك الهداية لأحد
- **ويظهر الآن الشاهد الثاني**:

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ" ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾[٢٩٥] الآيَةَ ، وَأَنْزَلَ فِي أَبِي طَالِبٍ : ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[٢٩٦]

" إذن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له، فنُهي عنه، فإذا نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يستغفر لعمه، دلّ ذلك على أنه لا يستطيع أن يشفع لمن مات مشركا، وعلى قدر حرص النبي صلى الله عليه وسلم على نفع عمه فهو الذي اجتهد

[٢٩٥] التوبة:١١٣

[٢٩٦] القصص:٥٦

في دلالته في حياته، فلم يتيسر له، واجتهد في أن يرشده عند موته فلم يتيسر له، فأراد أن ينفعه بعد موته، - بماذا؟ - بالاستغفار، والاستغفار نوع من أنواع الشَّفاعة، فلم يؤذن له، بل نهاه الله عن الاستغفار للمشركين.

فلو علمت ذلك؛ فلا بد أن تتصور أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستطيع الشَّفاعة لمن كان يَحُوطه ويحميه، فنفيها عن غيره من باب أولى.“

إذن بذلك انتهينا من أدلة بطلان عبادة غير الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

الحمدلله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا من الخالصين المخلصين الذين لا يريدون إلَّا وجه والدار الآخرة ..اللهم آمين.

لازلنا في هذه النعمة العظيمة ألَّا وهي دراسة التوحيد، **مر معنا الكلام حول "أدلة بطلان عبادة غير الله عز وجل".**

تدور أدلة البطلان حول ماذا؟ كلها تدور حول ماذا – جملة واحدة – حول ماذا؟ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، لكن من وجه أخر وصف المعبودات من دون الله عز وجل، نقصها، وحاجتها، وضعفها، إلى أخر الوصوفات التي تكون سببًا في عدم التعلّق بها أو تعظيمها، فالأمر دائر حول محوران:

- وصفها بما ينفي استحقاقها للتعلّق.
- وصفها بما ينفي استحقاقها للتعظيم.

تذكروا النصوص وتذكروا الأبواب وقولي لي في أي أبواب فيها نفي لاستحقاقها للتعلّق وفي أي أبواب فيها نفي لاستحقاقها للتعظيم؟ – استعملوا النصوص أفضل، اتركوا الأبواب واستعملوا النصوص؟ – يعني سمعي لي المتن وقولي لي هذه الآية كذا وكذا– سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُق شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[٢٩٧] كل هذا تقطع التعلّق.

يعني نحن نقول الآن أدلة بطلان عبادة غير الله دائرة حول محورين، هي أصلًا في جملة مختصرة فيها وصف المخلوقات بالنقص، وإذا وصفت المخلوقات بالنقص يكون الناتج أنها لا تستحق التعلّق ولا التعظيم، ونحن نريد أن نمر على الآيات الآن – النصوص التي درسناها– ونرى كل نص يقطع في قلبي ماذا؟

- النص الأول ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُق﴾ يقطع في قلب الموحد التعلّق بغير الله.
- ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾[٢٩٨] إذا كان لا يملكون شيئًا فهذا هذا قطع للتعلّق.
- وفي الصّحيح عَنْ أَنَسٌ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ ، فَقَالَ : "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ" ، فَنَزَلَتْ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٢٩٩].تقرر قطع التعلّق حتى للنبي صلى الله عليه وسلم.

هذا الدليل ألَّا تستطيعين أن تنظري له نظرًا أخر؟ قطع أيضًا التعظيم، فهم يعظمون النبي صلى الله عليه وسلم معتقدين أنه ينفعهم ويدفع عنهم الضرّ فيتعلّقون به.

يعني دائمًا عندما يأتيك الكلام عن أحد له مكانة عند الله مثل النبي صلى الله عليه وسلم ومثل الملائكة مباشرة لابد أن يلتفت نظرك أن هنا فيه تعظيم هو الذي أتى بالتعلّق، فيرون أن النبي صلى الله عليه وسلم له مكان عند الله فمادام له مكان عند الله إذن ماذا يعتقدون؟ أنه ينفع ويضرّ فيتعلّقون به.

---

[٢٩٧] الأعراف:١٩١

[٢٩٨] فاطر ١٣

[٢٩٩] آل عمران:١٢٨

وعلى كل حال؛ التعلّق والتعظيم يصبان في بعضهما، فعندما يتعلقوا بأحد يأتي لهم بتعظيمه، الآن عندما يتعلّقون بأصحاب القبور على أنهم ينفعون مع الأيام يعظمونه، مثل ما يحصل عند قبر هود، ماذا يعتقدون في هود؟ يعتقدون فيه أنه ينفع ويضرّ، فيحجون إلى قبره معظمين له، فانت تجدي أن كلا التعلّق والتعظيم يصبان في بعضهما، فلو نظرتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم هم عندما يبتدأوك النقاش يبتدأوك من جهة التعظيم، ماذا يقولون؟ أن النبي صلى الله عليه وسلم له مكانة عند الله، والله عز وجل أنزل عليه الكتاب، تعظيمًا له يصل حالهم إلى التعلّق، انت ترين أنهم يرفعوه عن مكانة في التعظيم فبدل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم رسول يوصل إلى الناس مراد الله؛ يتحولون فيقولون أن الله خلق الكون من أجل الرسول!، انظري إلى هذه الإنقلابة الآن، كل هذا بسبب ابتداء الأمر بإنحرافهم في التعظيم!.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: على حسب نوع التعلّق، هناك كل الأنبياء والمرسلين والمعظمين نقطة البداية فيهم تعظيمهم، ثم يتحول من تعظيم إلى تعلّق، أو يقارنه.

تعال انظري بالعكس؛ ناس يكونوا ليس لهم قيمة ولا معظمين ثم يهيأ الشيطان للناس أن هذه الشجرة تنفعكم، أن هذا القبر ينفعكم، أنه حصلت أحداث خيِّرة جانب القبر، جانب الشجرة، ويبدأهم بالتعلّق أنهم ينفعون ويضرّون ثم يتحول معهم إلى التعظيم.

⇦ يعني من له مكانة مثل الملائكة والأنبياء والعلماء يبدأهم بالتعظيم.

⇦ والشيء الذي ليس له مكانة مثل الشجر والحجر هذا يبدأهم بالتعلّق وينهاهم بالتعظيم.

⇦ لكن كلاهما يصبان في بعضهما.

وانت إذا نظرتي إلى المسألة جيدًا تجدين أن نقطة البداية تكون شيء مقبول؛ تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم أليس شيئًا مقبولًا؟ وعدم اعتباره مثل أي أحد؟ شيء مقبول!، **لكن هذا المقبول ماذا يحصل فيه من أجل أن يصل إلى هنا سيقول لك الشيخ في الثلاثة أبواب التي بعدها**، يعني نقطة البداية شيء مقبول ليس فيه إشكال، لكن يتحول مع الأيام فيصبح غير مقبولًا، حلقة سواء ابتدئت من التعلّق، أو ابتدئت من التعظيم النتيجة واحدة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: فقط التعلّق بالأشجار والأحجار، " اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ" هذه ما نقطة البداية فيها " اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ "؟ التعلّق، ثم يأتي التعظيم، هو الخلاف من أين تبدأ القضية؟ [الأنبياء المرسلين العلماء الملائكة] بدأت من التعظيم، لكن الأشجار والأحجار من التعلّق أنها تنفع.

سؤال من الحاضرات – الظاهر أنها تحكي عن قصة تحول شخص من أهل السُّنة والجماعة إلى البدعة؛ رد من الأستاذة: مَن الذين يتعبون؟ أهل السُّنة، يخصصوا يوم الأربعاء لذكر النبي صلى الله عليه وسلم ويسموه مولدًا كل أسبوع؟!، يوم أربعاء ويوم اثنين، كان من أهل السُّنة والجماعة ثم أصبح منهم، مثل هذا لما يدخل إلى القلب – وسيأتيك في الثلاثة أبواب القادمة – أين الإشكال؟ يعني من أين تدخل هذه القضية إلى القلوب؟ انت يجب أن تفهمي أن هذه القضية تبدأ من أين؟ أهم شيء أن تفهم أنها تبدأ بنقطة مقبولة [حب النبي، تعظيم الملائكة] نحن نتكلم على الأشخاص التي يتعلّقون به ويعظمونه.

✷انتهينا من هذا الباب وهذا الباب فيه حديثين؛ ويأتي الباب الذي بعده **باب ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾** هذا الباب يدلك على ماذا؟ على التعظيم، ما معنى التعظيم؟ يعني هذا الدليل يدلّ على قطع عروق التعظيم المطلق لغير الله، كأنه يقال هؤلاء الملائكة الذين تعظمونهم هذا التعظيم وتتخذوهم مع الله شركاء انظروا لحالهم حال سماع صوت الربّ سبحانه وتعالى.

✷ أتى الباب الذي بعده **– باب الشفاعة –** ؛ ماذا تقولون فيه؟ التعظيم أم التعلّق أو كلاهما؟ أول شيء التعظيم، لأنهم ماذا يعتقدون؟ أن الرسول صلى الله عليه وسلم له مكانة عند الله، أن هذا المقبور له مكانة عند الله، فيقولون نحن عندما نأتي نتمسح عند المقبور ليس قصدنا أن ينفعنا أو يضرّنا، لا لا، نحن نقول له مكانة عند الله، فإذا كان له مكانة عند الله فيشفع لنا، والشفاعة نفع، معناه أنهم متعلّقون به أنه ينفعهم، لكن تعلّقهم به أن ينفعهم مبني على تعظيمهم له.

✷ وفي النهاية؛ **باب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾**[٣٠٠] لازال تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم، قطع بأن لا يستطيع ولاية أحد ولا يستطيع نفع أحد، إذا ما كان أستطاع نفع عمه، ولا أستطاع أن يخرجه من النار، فكيف سيفعل هذا مع غيره؟!، يعني النبي صلى الله عليه وسلم مُعظَّم، له مكانه، لكن لا تتصور أن مكانه سيتعدى به على الله بالعكس سيزيده ذلًا لربه وإنكسارًا وضعفا بين يديه.

الآن نقول: مع بيان أدلة بطلان غير الله لماذا وقعت العبادة لغير الله؟ أو كيف وقع الناس في الشرك؟ يجيب الشيخ هذا السؤال في الباب الذي سنبتدأ به الآن؛ ماذا قال؟ **أنَّ سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلوّ في الصالحين.**

باب ما جاء أنَّ سَبَب كُفر بَني آدم وتركهم دينهم هو الغلوّ في الصالحين وقول الله عز وجل: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ)[٣٠١].

وفي الصحيح عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قَول اللَّهُ تَعَالَى: (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)[٣٠٢] **قَالَ: هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ؛ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا فِي مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ؛ فَفَعَلُوا، وَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ.**

وقال ابن القيم: قَالَ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ، فَعَبَدُوهُمْ.

وعَنْ عُمَرَ، أنّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ" [أخرجاه].

وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أُهْلِكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوِّ".

ولمسلم عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ" قَالَهَا ثَلَاثًا.

---

[٣٠٠] القصص: ٥٦

[٣٠١] النساء: ١٧١

[٣٠٢] نوح: ٢٣

اسأل الله أن يشرح صدوركم.

أولًا نقرر على اسم الباب

باب ما جاء أنَّ سَبَب كُفر بَني آدم وتركهم دينهم هو الغلوِّ في الصالحين

"**ما جاء**" ما معناها هنا؟ هنا ليس معناها كما مر معكم فيما سبق، انتم فيما سبق "**باب ما جاء في الرُّقى والتَّمائم**" الأمر فيه تفصيل، لأن كلمة "**الرُّقى والتَّمائم**" ليس فيها أي تقرير، لكن قال لك "**باب ما جاء في** يعني ما جاء من أدلة فيها تفصيل للأمر.

انظري إلى هنا، احذفي كلمة "**ما جاء**" ؟ "**باب أنَّ سَبَب كُفر بَني آدم وتركهم دينهم هو الغلوِّ في الصالحين**"، جملة تامة ومفهومة، وتقرير.

التقريرات عندما يسبقها "**ما جاء**" ماذا يقصد بها الشيخ؟ يقصد ما جاء من الأدلة التي تؤيد هذا المعنى، أو تؤيد هذا الاستنباط، أو تؤيد هذا الاستنتاج.

إذن ماذا سيفعل الشيخ؟ سيأتي بأدلة، على ماذا سيستدل؟ الآن سنشرح الجملة التي سيستدل عليها الشيخ – التي سيستدل عليها يعني لم نأتي بأدلة نفس الباب بعد– إنما ما هي الجملة التي سيستدل عليها؟

- أن سبب كفر بني آدم –كفرهم هذا واحد –
- وتركهم لدينهم.

⇦ **وإذا تأملتي جيدًا هناك فرق بين الكفر وترك الدين: فإذا عطفتا على بعض تغايرتا**، ما الفارق؟

- الكفر معناه الخروج من الملّة الصائبة إلى الملّة الفاسدة.
- ترك الدين يعني الدخول في الابتداع، ترك ما يجب أن تدين به فدخل من ثمَّ في الابتداع.

انت ستقولين الابتداع سيؤدي إلى الكفر!⇦ يؤدي إلى الكفر، لا بأس، لكن هم عندما عطفتا الجملتين على بعضهما أصبح أن ترك الدين هنا والابتداع هنا ليس الابتداع الذي **– يؤدي –** إلى الكفر لأنه قال: سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الذي أمروا به هو الغلو في الصالحين، سببه الغلو في الصالحين.

إذن ماذا حدث أولًا؟ كفر بني آدم وترك دينهم، الكفر وترك الدين.

ما سببه؟ الغلو في الصالحين.

اقرئي الجملة بالعكس؟ الغلو في الصالحين يؤدي إلى كفر بني آدم وتركهم دينهم.

اكتبي جملتين لتقريرها؛ستقولين:

✷ كفر بني آدم وتركهم دينهم سببه الغلو في الصالحين، يعني انت بهذه الطريقة تعلمي ما مضى.

وبالعكس؛ تكلمي عن الواقع ماذا تقولين؟

✷ الغلو في الصالحين يؤدي إلى غلو بني آدم وتركهم دينهم.

فانت انظري إلى الواقع هناك ناس غلو في الصالحين ووصلوا إلى حال كفروا، وناس وصلوا إلى حال أنهم تعمقوا في البدعة إلى أن تجد غالب حياتهم مخالفة للسنة وداخلة في البدعة، وهذا الواقع، ليس كل من غلا دخل في الكفر، هناك من وقع في الغلو وكان حدوده البدعة، لكن البدعة التي صاحبها على شفا حفرة من الهلاك.

يعني مثل هؤلاء يجتمعون طوال الأسبوع يتعلمون ويأتوا كل أربعاء أو كل اثنين ويعملون لهم مولد، يذكرون فيه النبي صلى الله عليه وسلم ويصلون على النبي، الآ، انت لما تنظرين تعرفين أنها بدعة، لكن هل تجرأين على الحكم عليهم بالكفر؟ لا، لا تجرأين، فرق هنا، الكفر هذا الحكم عليه يحتاج إلى كثير من دراسة الملابسات المحيطة بالشخص إلى أن أستطيع أن أقول عن هذا كافر، من أجل ذلك هناك جملتين: الغلو يؤدي [إلى الكفر - وإلى ترك الدين]

لما يترك الدين يجلس بدون دين؟ لا، يترك الدين يعني يترك السُّنة ويتحول إلى البدعة، إذن ترك الدين — والله أعلم- يظهر لي أن معنى كلمة ترك الدين هو ترك متابعة السنة والتحول إلى البدعة وهذا باب خطير، لأن التحول إلى البدعة مؤذن بترك الدين كله.

الآن تفكيرنا سيكون أولًا في السبب الذي هو " **الغلو**"، ثم نرى ما دليل الشيخ على أن هذا الغلو سيؤدي إلى الكفر، ويؤدي إلى ترك الدين.

بيِّن لي ما معنى الغلو؟ لأن الغلو هذا شيء يمارس في الحياة ونحن لا نشعر، **الغلو معناه تجاوز الحدّ**، في اللغة:

- غلا السعرُ وغيره غلوًا.
- وغلاءً زاد وأرتفع.
- وغلا جاوز الحدّ.
- وغلا فلان في الأمر والدين معناه: تشدد فيه وجاوز الحدّ وأفرط.
- وغلا بالسهم رفع به يديه يريد أن يبلغ به أقصى العلو.

المادة تدور حول مجاوزة الحدّ.

إذن الآن ماذا تحتاجين أن تعرفي في هذا المقام من أجل أن تعرفي الغلو؟ أولًا ما هو الحدّ، انت من أجل أن تعرفي أن هذا غلو أم لا فكري في نفس الحدّ، ثم نتناقش في مجاوزة الحدّ.

الآن أكتبوا أمامكم اسم الباب مرة أخرى وقولي لي سنبحث في أي حدّ؟

باب ما جاء أنَّ سَبب كُفر بَني آدم وتركهم دينهم هو الغلوّ في الصالحين

سنبحث في أي حدّ؟

إحد الحاضرات: حدّ الصالحين.

رد من الأستاذة: ما معنى حدّ الصالحين؟!، صح حدّ الصالحين لكن فكروا قبل أن تتكلموا، أي حدّ للصالحين؟!، أريد جملة مفيدة.

إحد الحاضرات: حدّ محبة الصالحين.

رد من الأستاذة: ممكن نقبل هذه - حدّ محبة الصالحين -، ومن أجل أن تستعملوا كلمة حدّ يجب أن تأتوا بكلمة بعدها صحيحة.

إحد الحاضرات: حدّ مكانة الصالحين.

رد من الأستاذة: حدّ مكانة الصالحين؛ تقبل هذه أيضًا، حقوق الصالحين، موالاة الصالحين.

إحد الحاضرات: تعظيم الصالحين.

رد من الأستاذة: تعظيمهم هذه كلمة مطلقة، ونخشى من هذه الكلمة أصلًا.

اريحوا أنفسكم: **حدّ معاملة الصالحين.**

الباب يقول: **"باب ما جاء في أن سبب كفر بني آدم وتركهم لدينهم الغلو في الصالحين"** فقلنا أن الغلو معناه مجاوزة الحدّ، والآن ركزنا أن كفر بني آدم وتركهم دينهم سببه الغلو في الصالحين

⇦ يعني أنا الآن أتكلم عن الماضي أقول سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الغلو في الصالحين.

⇦ وفي الواقع سأقول: أن الغلو في الصالحين يؤدي إلى كفر بني آدم وإلى تركهم دينهم.

يعني هذه الجملة تنفع في تفسير الماضي وتنفع أيضًا ليس تفسير الحاضر، لكن التحذير في الحاضر، يعني في الماضي هذه الجملة تنفع في تفسير الماضي، وإذا فسرت في الماضي ماذا تفعل فيه في الحاضر؟ تحذر من نفس الأمر.

الآن ماذا خرج لنا ؟ أن سبب هذه المشكلة الغلو في الصالحين، فهمنا كلمة الغلو ما معناها، ما معناها كلمة الغلو؟ الغلو معناه مجاوزة الحدّ، هي المشكلة كلها في الغلو، حصل غلو، هكذا انت تقولين: حصل غلو من أجل ذلك كفروا الناس وتركوا دينهم من السنة إلى البدعة.

غلو ما معناها؟ تجاوزوا الحد، أول سؤال يجب أن يخطر في بالك؛ **ما هو الحدّ؟** الحدّ في ماذا؟ الحدّ في معاملة الصالحين، لأن الغلو في الصالحين هو الذي أتى بالمشكلة، لكن أنا قبل أن أتكلم عن الغلو مع الصالحين لابد أن أفهم حد معاملة الصالحين، لأني أقول – الغلو– الغلو في معاملة الصالحين هو الذي أدى إلى الكفر؛ إذن قولوا لي **ما هو حدّ معاملة الصالحين من أجل أن لا يقع مني الغلو؟!.**

يعني الآن أريد أن أعالج مشكلة مستقبلية؛ أنا فهمت من الماضي أن كفر بني آدم وتركهم دينهم سببه الغلو في الصالحين، إذن في الواقع اليوم ما سبب ما يحصل في العالم الإسلامي؟ سبب ما يحصل في العالم الإسلامي هو الغلو في الصالحين، إذن الغلو في الصالحين هو الذي يؤدي إلى الكفر، إذن ما هو الحل؟ هذا الذي يهمّك ومن أجل ذلك انتم تدرسون التوحيد، من أجل أن لا يقع الناس في المخالفات.

ماذا سنقول؟ سنقول تجاوز الحدّ هذا ما معناه؟ معناه: **أن هناك حقوقًا أمر الشرع بها وتجاوزوها.**

ما الحل ماذا سنفعل؟ نعلم الناس الحدّ في معاملة الصالحين، [إذا علمتيهم الحدّ في معاملة الصالحين، علمتيهم الحدّ في معاملة الأنبياء، علمتيهم الحدّ في معاملة الملائكة] ماذا سيكون الناتج؟ سيبقى حقّ الله عز وجل لا يقربه أحد، **لكن مشكلة العالم الإسلامي اختلاط الحقوق** لا تنسي هذه الجملة:

مشكلة العالم الإسلامي اختلاط الحقوق

انت الآن رويدًا رويدًا على الناس، هم يتصورون أن حقّ الصالح هذا أن تتمسح به، وحقّ النبي صلى الله عليه وسلم أن تطلبه، هم يتصورون هذا الباطل!، فأي كلام عن أن لا تفعلوا هذا، لا تتمسحوا عند قبر النبي ولا تفعلوا ولا تفعلوا يتصورونه تنزيل لحقّ النبي

صلى الله عليه وسلم عن مكانه، فنحن لا ننكر لابد من إنكارًا باليد وهذا ما يحصل في الحرم، لكن أتكلم عن الذي ليس في يده إنكار باليد، إنكار باليد لابد أن يسبقه إنكار بالعلم.

فعندما تتكلمين مع أحد الآن عن النبي صلى الله عليه وسلم وانت تعلمين أن في قلبه تعلّق بالنبي صلى الله عليه وسلم ماذا تقولين؟ كلميه عن حقّ النبي صلى الله عليه وسلم، الصلاة عليه، اعتقاد أن سنته هي الباقية، واعتقاد أن متابعة سنته هي سبب النجاة، الشرب من حوضه معتمد على متابعة السُّنة، اشعريه أن هناك رابط بيني وبينك هو "حب النبي صلى الله عليه وسلم". بعد ما تغذيه بهذا كله، وتفهميه عن الكلام على أنه رسول، تقول فاعلم أنه عبد، انتم الأسبوع الماضي كان التكليف هاتوا المواطن التي ورد فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالعبودية، هذه المواطن لابد دائمًا تكون مدخلك للناس، تقولين أن النبي صلى الله عليه وسلم في أعظم المقامات وصف بالعبودية.

- في مقام الإسراء، ماذا قال الله عز وجل؟ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾[٣٠٣].
- وفي مقام التحدي، ما هو مقام التحدي؟ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ﴾[٣٠٤] في مقام التحدي الذي فيه سينصر الله عز وجل نبيه ومع ذلك سماه عبد.
- وفي المقام الثالث تنزيل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[٣٠٥] إلى أخر المواطن.

جواب من إحد الحاضرات: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[٣٠٦].

رد من الأستاذة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ نعم صحيح كان في مقام الدعوة، لكن يحتاج مراجعة، هو في مقام الدعوة، نص عليه أحد من أهل العلم؟ قرأتم أنه في مقام الدعوة؟

جواب من إحد الحاضرات: في السبت الفريد – وعلّقت بشيء أخر –

في مقام العبودية ظاهر العبودية، لا بأس، الثلاثة مواطن المقصود بها مواطن التشريف والرفعة، في أعظم مواطن ماذا قال؟ أنه عبد، [إنزال الكتاب، الإسراء، التحدي]، في كل المواطن وصفه الله عز وجل بأنه عبد، فانت من هنا من كلام الله، لا تكلمي الناس بكلام أي أحد غير كلام الله، ومن أجل ذلك امتلئوا بالأدلة، امتلئوا بالأدلة، لأن الأدلة هي الرابط بينكم وبين الناس، من أجل ذلك انتم لا تجدون في أنفسكم حرج من كثرة مراجعة المتن، والمتون التي تدرسونها، لا تجدوا في أنفسكم حرج، بالعكس؛ هذه المتون تجعلك لا تقول كلمتين من كلامك إلَّا وتجد لها دليل واضح في ذهنك وواضح وجه دلالة الدليل وكل شيء ظاهر في ذهنك ولا تضيع.

---

[٣٠٣] الإسراء:١

[٣٠٤] البقرة:٢٣

[٣٠٥] الملك:١

[٣٠٦] الجن:١

المقصد الآن أن العالم الإسلامي لو بث فيه حقوق النبي صلى الله عليه وسلم وحقوق الصالحين كما وردت في الكتاب والسُّنة ماذا يحصل؟ ما هي النتيجة؟ يبقى حقّ الله سالم، ويسهل عليهم توحيد الله في حقوقه.

الآن قبل أن نبدأ في حقوق الصالحين فلنناقش مسألة الغلو أصلًا ثم نتكلم عن حقوق الصالحين، أمثلة أخرى ثم نضرب مثال لحقوق الصالحين.

لو أنا أقول لك مثلًا أحد تجاوز الحدّ في الطبيب، يعني الغلو في الطبيب، صفيه لي؟ دائمًا لما أقول لك غلو كلميني أولًا عن الحدّ الصحيح ثم كلميني كيف تجاوزه، والغلو هو مجاوزة الحدّ، وأنا من أول الكلام أقول لكم قبل أن تتكلم عن الغلو وأن الناس غلو في الصالحين كلميني أولًا ما هو الحدّ أصلًا ثم كيف حصل الغلو.

الحدّ في معاملة الطبيب أن الله عز وجل جعله سببًا للشفاء، هذا حدّه، اشرح لي أكثر سببًا للشفاء لأن المسألة فيها تجاوز للحدّ، فأريد أن أفهم الحدّ جيدًا، ماذا تقولون؟ اشرحي لي سبب للشفاء؟

رد من الحاضرات ثم رد من الأستاذة: سبب كوني ما معناه؟ تريد تشرح لشخص أمامك ماذا ستقولين له بكلام واضح؟ ستقولين: الله عز وجل جعل لكل شيءٍ سببا ثم آتى الأسباب بعض عباده، هو الذي أعطى عباده الأسباب لا يملكونها من غير إذنه، ولا ينتفعون بها بغير إذنه.

عندك دليل؟ عندنا دليل؛ كل يوم جمعة نقرأ قصة ذي القرنين، كيف وصفه الله عز وجل؟ ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلّ شَيْء سَبَبًا﴾[٣٠٧] هو ما فعله؟ هو ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[٣٠٨].

إذن معنى ذلك أن مَن الذي آتي العباد الأسباب؟ الله عز وجل، الآية واضحة، أين الواضح فيها؟ ﴿وَآتَيْنَاهُ﴾ مَن آتاه؟ الله عز وجل آتي ذي القرنين من كل شيء سبب، لكن الطبيب هل آتاه الله عز وجل سبب من كل شيء؟ لا، فقط في مسألة التطبب أعطاه سبب.

هل ينتفع الطبيب بالسبب دون أن ينفعه الله؟ لا.

هل المريض ينفعه بالسبب دون أن ينفعه الله؟ لا.

إذن الطبيب ما أصبح طبيبًا إلَّا لأن الله آتاه السبب، الكليات والجامعات هي السبب الذي أعطاه الله إياه، والأدوية هي السبب الذي أعطاه الله إياه، والقدرة في ذهنه على التركيز والفهم والتشخص هذه كلها أسباب، وهو أتبع سببا، الطبيب أتبع سببا.

وإذا أردت مزيد وضوح لذلك فاضرب لهم مثال الملك والبواب.

هذا الملك انت تعمل عنده.

وهذا البواب لا يخرجك إلَّا بإذن من الملك.

هذا الإذن من الملك ماذا تعتقد في الموظف الذي عند الباب؟ أنه مجرد منفذ، الملك أعطاه هذا الزر يتحكم فيه – يضغط فيفتح الباب، يضغط فيغلق الباب– هل يملك شيئا؟ لا لا يملك شيئا، وإذا ما كان هذا الحارس فغيره، وإذا ما كان هذا الشخص فغيره.

---

[٣٠٧] الكهف:٨٣

[٣٠٨] الكهف:٨٤

إذن الله عز وجل هو الذي يسخر لعباده – ولله المثل الأعلى – الله عز وجل هو الذي يسخر للعباد والعباد مجرد آلة لنفع الناس، ليسوا بشيء، وبهذا يتبيَّن له الحدّ، وبهذا تجمع قلبه على أن التعلّق كله لله عز وجل، فإذا كان التعلّق كله، أين يأتي تجاوز الحدّ للطبيب؟ التعلّق كله بالله في الشفاء، اشرحي لي كيف التعلّق كله بالله في الشفاء؟ يعني انت تعتقدي أن الله ماذا سيفعل لي مع الطبيب؟ سيرشدني أولًا إلى الطبيب المناسب، ثم يفتح على الطبيب أن يكتب لي دواء مناسب، ثم يرزقني الدواء – بالتفصيل مع الأمر – أصلًا الذي أشتريه، ثم ينفعني بهذا الدواء، ينفعني بهذا الدواء يعني يعطيني الشفاء من أخذي لهذا الدواء، **فهو الذي يهبّ لعباده الشفاء، ويجعل الشفاء له أسباب**، أصبح كل القضية دائرة حول الله، دائرة حول تعلّقك وتمسكك بالله.

فانت الآن وانت ذاهب إلى الطبيب قلبك معلّق بالله أن يرزقك طبيبًا مناسبا، يعني انظروا نحن ندعو إلى الله أننا لما نذهب إلى المستشفى أن لا يكون هناك زحمة، ولا ندعو الله أن يلهم الطبيب هذا التقدير المناسب أو التشخيص المناسب، يعني نحمل همّ الزحمة ولا نحمل همّ التشخيص المناسب، يعني نعرف أن ربنا هو الذي يفرج الزحام لكن لا نفهم أن ربنا هو الذي يرزق العباد ويشفيهم وييسر لهم!، هذا الذي موجود في القلوب، فتجد نوع تنافر، ماذا تعتقد؟ الله وكل الطبيب هذا على الشفاء وتركك له؟!، والزحام هو الذي صعب عليك ولا أحد يحله فتدعو الله عز وجل أن يحله؟!، لابد أن تفكك ما في قلبك، لابد من تفكيكه، وترى كيف أن هناك عملية تناقض في التعامل مع الله.

على كل حال؛ تعال صف لي تجاوز الحدّ في الطبيب؟ كيف يتجاوز الحدّ؟ يعني ماذا يكون في قلب العبد؟

- يكون في قلب العبد أولًا طول ذكر للطبيب، كثرة استحسان له وتكلم عنه، وعن فهمه.
- ثم ارتباط بشخصه أنه لا يعالجه إلَّا هذا الطبيب – أنا أتكلم عن درجات الغلو التي ستحصل–
- ثم ربط مصير صحته بالطبيب.
- ثم الخوف من فقد الطبيب، يعني يحمل همّ أن الطبيب يسافر، أن الطبيب يموت، ويفاجأ لو سمع أن الطبيب مريض، يتفاجأ يعني منتظر أنه لا يمرض!، موجود في داخلنا هذا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: إذا جلستي بالانتظار في العيادات تسمعي هذا الكلام كله، وتسمعي كيف واحدة جديدة وواحدة أصلًا هذه طبيبتها أو هذا طبيبها انظري كيف يثني عليه، وكيف يقول أنا درت وذهبت وذهبت ولم أجد مثله إلى أخر الكلام الذي يقال.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: واحدة تمدحه وواحدة تذمه، حتى من تذم يقولون هؤلاء ناس لا يحبون الناجحين، لهذا الدرجة، لا يريد يسمع الإنسان أي شيء عن هذا الشيء المعظم عنده، هذا من طبيعة الإنسان.

إلى أن يرى أن موت طبيبه موتٌ له وإنهاء لحياته، وموجود هذا!، وأنا لا أكلمك عن الأمراض السارية لكن أكلمك عن الأمراض التي يسمونها مستعصية، ويكون مثلًا طفلة صغيرة بدأت تتعاجل، أو أمراض كثيرة لا داعي للكلام عنها، وخصوصًا الأمراض التي تتصل بخلايا المخ، التي يكون فيها علاج طويل المدى، ودقيق، ويقول لها بالسنين مثلًا هذا الدواء تأخذيه، مثلًا عشر سنين و١٨ سنة، فهي تذهب وتأتي، تسافر من بلدها، هذا موجود دائمًا أن تسافر من بلدها وتذهب له كل ثمانية شهور أو عشرة شهور تسافر له.

وأنا أتكلم عن حالة واقعية امرأة عندها ٢٢ سنة الآن وجاءت تحجز في المستشفى من أجل أن تأخذ موعد وتسافر، فصعقت أن الطبيب مات، فماذا شعرت؟ أنها انتهت حياتها!، بهذه المشاعر، ومن حولها جهال مثلها، فأصبحوا يقولون لها ليس هناك مشكلة، وكلام بما معناه أن الطب تقدم، وانت لست بحاجته، والآن نبحث عن واحد أخر، وفي نفس البلد ليس هناك مشكلة، وبسرعة نتصل على المستشفى نبحث عن بديل، ألم يأتوا ببديل له؟!، يعني انظري لهذه المشاعر الآن! يعني سيبدلونها من أهل الدنيا أيضًا، إذا مات هو إذن بدلوه، وبدأت تمر بحالة نفسية لكن رحمة من الله بها أن أماته وهي تعيش، لتفهم هي مَن، لتفهم مقدار تعلقها، المشكلة عندما ينتقل هذا الخبر لأحد في الخارج وينتقل له هذا الكلام فيقول طبيعي!، مشاعرها هذه طبيعية، ولو كنتم في مكانها ستصبحون بهذه الصورة، وبدأت يصبح الغلو شيء طبيعي، أنه طبيعي أن تشعر هذا.

وطبعًا ربما حملهم على ذلك ترحمهم على حالها، وأن هي ترى أن اتزان وضعها كان بسبب الأدوية التي يعطيها إياها، بالسنين، يعني من ٨ سنوات إلى ٢٢ سنه كيف غرس التعلّق بغير الله، وهي تقول ما يخطر على بالي أنه يموت!، ما يخطر على بالها!، سبحان من حولها بسبب هذه المشكلة من هذا إلى دراسة التوحيد، شيء عجيب، أن الله عز وجل يريد أن ينقي عباده من أجل أن يتصورون ما حالهم، وما حال قلوبهم، وما حال تعلّقاتهم، واحد يقول الحمدلله أنا أصلي وأصوم ولا يفهم أنه —كما مر معنا في التفسير — يعيش في شركاء متشاكسون، ليس متصور كيف حاله، وكيف أن قلبه متشتتا مع غير الله عز وجل.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا بأس ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أهم شيء لا يتعلّق قلبك به، أنا الآن وصفت لك ماذا تعتقدين، لا بأس نتجاوز مع الناس في هذه الألفاظ، انت إذا تريدين أن تتكلمي عن الألفاظ الشرعية أن الطبيب أتاه الله سبب، مثل ما وصف الله ذي القرنين لكن الناس يستعملوا كلمة طبيب شاطر، طبيب ماهر، هذه الكلمات لا تلومي الناس عليها، المهم خرجي من قلوبهم التعلّق بغير الله.

انصحكم أن فيكم أصلًا دخل هذا المجال وله مدرسة تحفيظ أو مسجد يدرس فيه، وخصوصًا أنكم مقبلين على أسبوع الإجازة انظري إلى ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[٣٠٩] اشرحي هذه الآية للناس، لأن الناس الآن قلوبهم متعلّقة بمسألة الطبب غير متخيلة، يعني صورة لا تتخيلها، أصبح كل المجالس الناس يتكلمون على ترك الطب الكيميائي والتحول إلى الطب البديل، ولا يعبر عنه بالشعبي إنما الطب البديل بالأعشاب، وطوال الوقت مناقشات وجدل حول الموضوع، وطوال الوقت هم يكلموك عن الصحة، ولا يفكر في صحة قلبه، **والله شيء يحزن أنه كيف يكون هناك حرص على صحة الأبدان وليس هناك حرص على صحة القلوب**، ونحن لا نقول للناس لا تهتموا بصحة أبدانكم، لكن والله أبدانكم لا تكون صحيحة إلَّا إذا صحت قلوبكم، لابد من تصور هذا، الله الذي يعطي الحول والقوة لو تعلّقتم به، أعطاكم، لكن ماذا نقول! إلَّا والله الشكوى لله مما نرى من زيادة تعلّق الناس بالدنيا وبمالها وبالصحة وبالخوف من الأمراض.

وانت لو دخلتي مجتمع هؤلاء تشعري أن لهم..؛ انت تعرفي ما الجلطة القلبية أو الدماغية؟ قطعة دم مثل رأس الدبوس تجتمع فتسبب جلطة، مادام انت تفهم هذا مَن الذي سيحميك؟! مهما فعلوا مَن الذي سيحميك؟ ما يحميك إلَّا الله، ما يجبرك إلَّا الله، ما يدفع

[٣٠٩] الشعراء:٨٠

عنك إلَّا الله، لكن سبحان الله – كلما زاد الله عز وجل عليهم البلاءات كلما زادوا إصرارًا على التعلّق بالدنيا، على كل حال؛ نحن تكلمنا في هذا بما فيه الكفاية، ونحن ندرس في أول ثلاثة أبواب،فلنتكلم الآن على مسألة الغلو.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الآن سنضرب أمثلة، أريد أفهمك مسألة الغلو نفسها فهمًا جيدًا، من أجل لما أكلمك عن الغلو في الصالحين تتصوري أنك بعيدة عن هذا الكلام، الغلو هذا داخل في غالب تعاملاتنا ونحن لا نشعر، لكن كل واحد عنده نقطة ضعف يدخل فيها الغلو وهو لا نشعر.

أنا اشعر دائمًا أن الطواغيت والغلو هذا الكلام غير واضح في الأذهان، يعني لما تسمعي كلمة الغلو تفهمي كلمة طاغوت معها، ما هو الطاغوت؟ بمعنى الطغيان وهو تجاوز الحدّ، الآن الطبيب عند هذا المريض، عند المريض يعني الطبيب بنفسه، هو ما دعا إلى عبادته، المريض عنده الطبيب طاغوت لأنه تجاوز به الحد واستعمل معه الغلو.

نحن لا نقول على الطبيب أنه طاغوت إنما عند هذا الشخص طاغوت، جعله في حياته طاغوتًا بغض النظر عن الطاغوت.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الناس لا يعرفوا، انت ماذا دورك يا طالب العلم؟ ولماذا إذن نحن نطلب العلم؟ ولماذا ندرس التوحيد؟ ولماذا حريصين على دراسة التوحيد؟، والله أعلم أني أرى أن أي مكان يدرس العلوم الشرعية ولا يدرس التوحيد كأنه يبني هيكل بلا قلب، لأنه ماذا يريد من طالب العلم حافظ نصوص ويعرف يستنبط مسائل فقهية، ويعرف يخرج حديث من الكتب الستة أو الكتب التسعة وهو ليس لديه قلب يعيش به!، هو العلم أين مكانه؟! أين إناؤه؟! أليس قلبك هو الذي يحمل العلم؟!.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نحن من أول ما بدأنا المعهد، ومن أول ما جاءت دفعتكم وأول ما تكلمنا – تتذكروا هذا الكلام – قلنا الناس مهتمين بالكلام حول الأخلاق وغير متصورين أن الأخلاق أصلًا منبعها الاعتقاد، انت لما تتخلق تعبدًا وانت في نظرك أنك لا تنتظر الأجر من أي أحد إلَّا من الله، غير ما تتخلق تملقًا من أجل أن تكسب من حولك، إذن تكسبهم ثم أين تأخذهم تذهب بهم؟!، ماذا ستستفيد منهم؟!، انت تريد الدنيا؟ إذن كن من أهل الدنيا!.

على كل حال؛ هذه القضية ليست في خارج المملكة فقط، هذه القضية منتشرة للأسف في الداخل وتجدين ناس يكتبون في المعاهد برنامج طويل عريض في المعهد ويخرج طالب علم لكن طالب علم بلا قلب، فارغ، دراسة التوحيد يعتبر صلب دراسة العلوم الشرعية الباقية، وانتم ترون، أنا اسألكم الآن هل تدرسون في التوحيد شيء غير قال الله وقال رسوله؟!، كل الذي تفعلينه أنك تفهمين كلام الله لكن – الله المستعان فقط الشكوى إلى الله –.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أنا أذكر في ١٤١٩ أول مرة أعطي دورة عقيدة في مكان، أول مرة في هذا المكان، وكان هؤلاء الجمعة كأنه مركز صيفي والناس تعودوا على .. انتم تعرفون ما هي هذه المراكز وماذا يشعرون، تشعر أنك داخل ..

رد من الحاضرات: منتزه.

ياريت منتزه – الله المستعان – كأنك داخل معهد للتدريب على التمثيل والغناء – الله يغفر لنا ويغفر لهم يارب – المهم؛ فأول مرة أشرح معنى كلمة عقيدة، اشرح مدخل، كلام بسيط في المدخل، وكنت استعمل السبورة، وكان الموجودين ليسوا طالبات بل معلمات للمركز، وكانت هذه التي ستكون معها القصة طالبة في قسم الكيمياء في جامعة الملك عبد العزيز وقسم الكيمياء يأخذون مادة اسمها "complex" ، اسم المادة "complex" يعني معقدات، فأنا الآن لي ١٥ دقيقة أشرح والوقت ٣٠ دقيقة، وأشعر والله أعلم الآن أن الخطأ خطأي وليس خطأهم، لكن تعلمت من الموقف، كان المفروض لا أدخل بهذه الصورة، يعني أنا دخلت على

ناس في تصوري أنهم يرغبون وهم في الحقيقة لا، هم كانوا يكتشفون ما هو هذا الشيء، المهم بعد مضي ١٥ دقيقة من الدرس، هذه الطالبة التي في قسم الكيمياء، وبكل ما تملك من صوت وكنا يمكن أكثر من ٢٥ شخص في الغرفة وبكل ما تملك من صوت قالت عقدتينا، هذا ليس الدين وكلام من هذا النوع.

وانظري كيف الشيطان يركب لك رد، انظري الآن ماذا رديت، – واتكلم عن نفسي كيف ركب لي الرد – قلت لها انت طالبة كيمياء وتدرسين مادة "complex" في الجامعة ومادة معقدات وتنظري بالمجهر وتنظري إلى المواد التي في داخلها وتقولين عن هذا الكلام الذي يجب أن تعتقديه أنه معقد!، أنا أرى أن هذا الرد كان غير موفقًا، صحيح أن رديت هذا الرد لكن أراه غير موفقًا، المفروض أن الناس يتعامل معهم باللّين والهدوء خصوصًا مع اعتقادهم؛ يعني ناس كثير فهموا ناس أن الدين سهل، ولا تتعب نفسك، الدنيا فقط هي التي صعبة، لكن الدين أمر سهل، فبقاء كلمة سهل سهل أشعرتهم أنهم لما يأتون يفهمون شيء المفروض يكون سهل، ويغيبوا نصف الوقت يسرحوا في اللقاء ويرجعوا يجدوا مكانهم محفوظ، لم يضيعوا وما فاتت عليهم معلومة ولا شيء، وهذا الذي يحصل، فنحن لابد من التوازن مع المجتمع.

شاهد هذا الكلام أنه لابد إلى التوازن، المجتمع محتاج إلى التوحيد وفي نفس الوقت خائف منه، فلا تهاجموهم، ولا تكلموهم بالتوحيد بصورة تزيد تعقيدهم من التوحيد ومن العلم، لا ، كلموهم بأبسط ما يكون، اقول لكم – بناتي – لا تقول ابن القيم ولا قال ابن تيميه وانت تكلم العامة، ولا فلان وعلان، ليس هناك إلَّا قال الله وقال رسوله، ولابأس أن تقولي قال المفسرين، أو غالب الناس يعرفون ابن كثير، فقولوا قال ابن كثير في تفسيره للآية كذا وكذا، قال الشيخ في السَّعدي في تفسير الآية كذا وكذا، وتركيزك على الكلام ليس تركيزك على الشيخ.

يجب أن تعرفوا كيف تخاطبون الناس لأنه لما أصبحتم طلبة العلم أصبحتم تفرحوا بكلام العلماء الذي يفهمك، العامة عكسك تمامًا، لا يريدوا أي كلام، فقط يريدون كلام الله وكلام رسوله، هذا لمن سلمت فطرته، وغالب الناس – ونحن نتكلم في مجتمعنا – بفضل الله فطرتهم سليمة وإن كانت فيها من الدنيا، فلا تُكونوا حاجز، أقول لكم لا ترتكبوا نفس الخطأ الذي أُرتكب وأنا أرى نفسي في رأس المسألة، في أول نشر التعليم هنا في جدة أرتكبت مجموعة أخطاء جعلت هناك حاجز بين طبقة معينة وبين العلم، بالإضافة طبعًا إلى أن الشيطان كاد لنا وكاد لهم كيدا.

فأصبحت المسألة أحيانًا تدخل فيها الأشياء الشخصية، يعني تريدي تثبتي لهم أنكم انتم خطأ، وتثبتي لهم أنكم لستم على صواب، فتدخلي اللقاء وانت غير صافية النية، المفروض تدفني نفسك، لا تدخلي اللقاء وانت غير صافية النية، أنا أقول لكم هذا الكلام لتتعظوا وتنتبهوا أن في مخاطبة الناس وفي معاملتهم مسألة تحتاج قوة تعلّق بالله، وتصفية قوية للنية، من أجل أن يقع في نفوس الناس التوحيد كما ينبغي، لا نخوفهم من التوحيد ويجدونه كلام معقد، هناك مسائل أصلًا لا يحتاج نقولها، انظروا كيف تدرسوا المرحلة المتوسطة التوحيد، لو فيه معلمة هداها الله ونفع بها لا يأتون لها بالمسائل التي فيها إشكالات، فقط يبنوا فيهم الاعتقاد السوي وهم يدرسون نفس الكتاب.

فعامة الناس اعتبروهم كأنهم المرحلة المتوسطة، وكلميهم عن التوحيد بكلامٍ إجمالي يفهموا مراد الله وفي نفس الوقت يترقوا والمجتمع يترقى، لأن قبل ٣٠ سنة كم عدد الحافظات في المجتمع؟ كم عدد القراءات قراءة جيدة لكتاب الله؟ ناس يتعدوا على الأصابع، في أقل من ثلاثين سنة أصبح ثلاثة أرباع الناس الذين يقرءون القرآن تعتبر قراءتهم فائقة في الجودة في ثلاثين سنة، هذا يعتبر قفزة،

فالمجتمع يكون أحسن لما يكون من يقوده نفسياته أسلم، انتم سلموا قلوبكم سيسلم الله لكم أعمالكم، اسأل الله أن يصلح بكم وأن ينفع بكم وأن يجعلكم مباركين أينما كنتم..اللهم آمين.

نرجع مرة أخرى للكلام حول الغلو، الآن ضربنا مثال في غلو الطبيب، نضرب مثال أيضًا في الصحبة؛ الصحبة أو بتعبيركم الأخوة لها حدّ طبيعي، ما حدّها الطبيعي؟ من كثرة الموضوع ما هو مختلط غير واضح الحدّ الطبيعي من تجاوز الحدّ!، أنا قصدت أصلًا ضرب هذا المثال؛

هذا مبحثًا لكم، أريد أن تكتبوا تقريرًا مؤيدًا بالنصوص، لا أريد إلَّا نص وكلمتين عليه، يعني أأتي بصفحة صفحتين ثلاثة أربعة أهم شيء مليئة بالنصوص وأمامها تقريرات، وارجعي إلى قال الله وقال رسوله، مثلًا خذي **"كنز العمال"** للمتقي الهندي، هاتوا هذا الكتاب وافتحوا باب الصحبة، افتحوا في كتب الأحاديث وخرجوا النصوص التي تتكلم عن هذا وانظروا ماذا يجب أن تعتقدوا، سيوصف لك في النصوص الحدّ الصحيح ويوصف لك مجاوزة الحدّ، ثم نفرد يوم خارج اللقاءات نتكلم فيه عن هذا الموضوع إن شاء الله.

على كل حال؛ ربما تبيَّن لكم ما معنى تجاوز الحدّ؟ يعني شيء يكون له حد مقبول، يعني هذا الشيء أصلًا مقبول ثم يتجاوز الحد، فانت الآن الممنوع عليك تجاوز الحد أما نفس الأمر فهو مقبول، تعال نرى معاملة الصالحين.

أولًا: أكلمك عن أقسام الناس في معاملة الصالحين.

- الصنف الأول: أهل الجفاء الذين يتنقصون الصالحين ويجحدون فضلهم ولا يقومون بحقهم من الحبّ والموالاة لهم والتوقير.
- الصنف الثاني: أهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها فيجعلون لهم شيئًا من حقوق الله الخاصة به، فيعظمون قبورهم بدعاءها والذبح لها، والطواف حولها.
- الصنف الثالث: أهل الحقّ الذين يحبونهم ويقتادون بهم في أقوالهم وأعمالهم الصالحة، ويدافعون عنهم، ولا يرفعونهم فوق المنزلة التي أنزلهم الله إياها.

بهذا الكلام ماذا ترين حقوق الصالحين؟ ستكون حقوقهم محبتهم، موالاتهم، الاقتداء بهم في الأقوال والأعمال الصالحة، الدفاع عنهم عندما يعتدي عليهم أحد، مع اعتقاد أنهم عباد، يعني الآن لو جئت أقول ما حقوق الصالحين؟ سأقول:

- حقوق في الاعتقاد القلبي.
- وحقوق في المعاملة.

نبدأ بالحقوق في الاعتقاد القلبي.

ماذا تعتقدين في الصالحين؟ أنهم عباد رفعهم الله لما في قلوبهم من صدقٍ وإخلاص، مع أعتقاد أنهم لا ينفعون ولا يضرّون إنما صلاحهم ينفعهم.

– صلاحهم لا ينفع غيرهم؟ – وينفع غيرهم إذا أتبع غيرهم الطريق الصحيح للإنتفاع.

هذا الذي نعتقده أن هذا الصالح عبد؛ عباد رفعهم الله لماذا؟ لما في قلوبهم من الصدق والإخلاص، يمثلون الحديث: "أووا إلى الله فأواهم الله، اقبلوا على الله فاقبل الله عليهم"[٣١٠] ورفع مكانه عندهم وعند العباد، يمكن أن تستشهدي هنا بحديث: " إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ"[٣١١] راجع صحيح البخاري كتاب الأدب باب المقة من الله، المقة يعني المحبة.

إذن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله عز وجل عليمٌ حكيم، وهذا الفضل له أسباب، ما أسبابه؟ أن العبد نفسه هناك في قلبه الصدق والإخلاص.

وعلى ذلك انت تعتقدين أن ولاية الله – هو صالح الآن يعني وليّ من أولياء الله الصالحين – أن ولاية الله تكون على قدر تقوى العبد، **إذن كل تقيّ هو لله وليّ، ترتفع ولاية الشخص على قدر تقواه.**

يعني هذه قاعدة غاية في الأهمية، من أجل أن لا أحد يتصور أن أولياء الله الصالحين ناس مختلفين، لا ، ما الذي رفعهم أصلًا؟ تقواهم، فكلما زادوا تقوى كلما زادوا ولاية، فأي أحد ممكن أن يكون وليّ، ولابد أن تتصوري أنه ليس هناك وليّ يأتي يقول لك أنا وليّ الله الصالح لأنه خالف قاعدة ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾[٣١٢] وإذا قال لك أنا وليّ فهو هتك ستر الولاية ومن ثمَّ خرج منها، لأن هذا ليس حال المتقيّ، المتقيّ ذليل، منكسر، غير معجبا بنفسه، لا يرى نفسه عند الله شيء، ومن أجل ذلك السلف كانوا يقولون: **من كان عند نفسه شيء فهو عند الله لا شيء**، إذا رأيت نفسك انت شيء [عابد، متقيّ] فانت عند الله لا شيء.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا سيأتي في اعتقادانا الآن، لكن أولًا من هو الوليّ؟ التقيّ، إذن الوليّ هو الشخص التقيّ، كلما زاد تقوى كلما زاد ولاية.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: كنت أقول لك هو لا يقول على نفسه.

سؤال من الحاضرات أنا ممكن أقول عنه؟ رد من الأستاذة: نعم، انت ممكن أن تقولين عنه، خصوصًا الأموات، والأحياء لا تأمن عليهم الفتنة، لكن للأموات نعم، ليس فيه إشكال، لكن أنا أتكلم نفس الشخص لا يقول لك أنا وليّ، لأنه إذا قال لك أنا وليّ ماذا يريد يعني؟ يريد أن تعطيه يعني؟!، يريد أن تعظميه؟ معناه قلبه ألتفت لغير الله، معناه طاع الله ليكون له مكان في الدنيا.

مما تعتقدينه أيضًا في الوليّ أن له حرمة عند الله، ما حرمته؟ " مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ"، ومن أوصاف الأولياء الغالبة أنهم أخفياء.

ما معنى أخفياء؟ لا يظهروا للناس، من أجل ذلك انتم الآن وخصوصًا وانتم في بلد الإسلام وتعرفوا أن غالب الناس بفضل الله على ربهم مقبلين خصوصًا كلما كبروا في السن، فتجدي في الحرم أحيان كثيرة كبار في السن أو تجدي أحيانًا ناس يظهر عليهم مظاهر

---

[٣١٠] عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ نَفَرٌ ثَلَاثَةٌ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ قَالَ فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ (صحيح مسلم» كتاب السلام» باب من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم (٢١٧٦)

[٣١١] صحيح البخاري» كتاب الأدب» باب المقة من الله تعالى (٥٦٩٣)

[٣١٢] النجم:٣٢

[الإنكسار، الذلّ، الضعف، الفقر]، كل هذه المظاهر تجعلك تقولين الله أعلم هذا ما مكانه عند الله، ربما معه قلب راضي عن الله، فمنع الله عز وجل الدنيا ليكون في أعالي الجنات في الآخرة، فمثل هؤلاء أحسني إليهم إحسانا، ليس رغبة في أن يدعو لك ولا رغبة في التمسح بهم ولا التبرُّك لا، لكن تقربًا إلى الله بمحبتهم وشعور أن هؤلاء لما أنقص الله عليهم الدنيا وهم هنا في الحرم ومنكسرين ومصلون فلمَّا أنقص الدنيا كأنه فتح لهم باب الآخرة، فكأنك تفهمين من هذا أن الله عز وجل إلَّا سيرفع مكانهم، ما يجمع عليهم ضرّين، وهذا لايعني أن ليس لهم ذنوب، لا يعني هذا، لكن افهموا أن الله لما يمنع الدنيا عن الناس ثم يقبلوا هم على الآخرة هذه إشارة ولاية.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذه الكلمة لها معناها، كلمة — درويش – معناه أنه فاقد عقله غير متزن، أنا لا أتكلم عن هذا، أنا أتكلم عن ناس أسوياء لكن يظهر عليهم علامات الفقر ونقص الدنيا، أتكلم عن هذا، ومع هذا هم مع ربهم مقبلين وتجدونه يطوف ويطوف ويذكروا الله ولا تنزلي في ساعة إلى الحرم إلَّا تجديه يطوف، فانت تشعري أن هؤلاء سبحان الله كيف نقص عليهم الدنيا والله عز وجل فتح عليهم باب الآخرة.

مثل ما يأتيني شاب وفي حالة من الفقر لكنه حافظ لكتاب الله فتجده – هو شاب سبحان الله — نذر نفسه أن يعلم أبناء الحي، يعني في أحياء جدة، ويدرس في بيته الذي هو عبارة عن غرفة واحدة أكثر من ١٢٠ شخص بالتقسيم، يعني عشرة يأتون له هنا، وكلهم أطفال من الحي يعلمهم القرآن فانت تقولي سبحان الله مثله حتى لو كان فقير يجري وراء الدنيا،وانتم ترون كيف كيف يجرون وممكن أن ينحرفوا وممكن أشياء كثيرة، لكن سبحان الله كيف الله عز وجل أنقص عليه الدنيا وفتح له باب الآخرة وتجد وقته مغمور من بعد صلاة الفجر، قيلولة فقط من بعد صلاة الفجر، ثم .يرسلوا له الأولاد الصغار، وحتى البنات الصغار دون الثلاثة والأربعة ما كان عندهم إمكانيات أن يذهبوا بهم إلى روضة إلى أخره فيذهبوا بهم إليه، وسبحان الله هذا شاب عنده رغبات ويريد ويريد وهذا الله عز وجل فتح عليه باب الآخرة، هذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

المهم؛ مقصدي الآن أن هؤلاء الأتقياء الأخفياء هم الأولياء، لا يأتي في عقولكم الأولياء شيء مختلف ولهم كرمات، هؤلاء لهم كرامات، هؤلاء يطعمهم الله ويسقيهم وانتم لا تشعرون بهم.

لا يجوعوا ولا يشتهوا من الدنيا ولو أخذتيهم معك فانت تشعري سبحان الله أنهم لا يستمتعون بأمور الدنيا، وليس تمثيلًا، انتم تستطيعوا أن تميزوا بين الصادق والذي يتلاعب وينتظر من الناس أموال، وينتظر منهم مكانه، فهؤلاء سواء شباب أو كبار في السن مثل هؤلاء منَّ الله عز وجل عليهم بالتقوى والخفاء، يكرمهم الله ويشبعهم الله ويغنيهم عن الدنيا، ألم تسمعي في الحديث " الغنى غنى النفس" ما معناه؟ يعني الناس تكون أصلًا مستغنية عن سفاسف الأمور، ثم تجدي واحد يتكدر ليله ونهاره لماذا؟ لأنه لم يأكل كذا، ولم يشتري كذا، أو لا أحد قال له كذا، أو فلان لم يبتسم في وجهه، أو فلان ما أعطاه، تفهمي أن الله عز وجل شغله في سفاسف الأمور، ومثل هذا ذهب، لا تسأل عنه ولا تسأل عن قلبه كيف مشتت!

استحوا من الله، لابد من الحياء من الله، فتش في قلبك ما الذي أحزنك، ما الذي كدر خاطرك، ما الذي ينقصك من أجل أن يكدر خاطرك، نحن نتقلب في النعم، وهذا ينقص ولايتنا، ينقص تقوانا، ينقص مكاننا عند الله، عش وانت راض عن ربك، من رضي فله الرضا، ماذا تريد؟ ماذا تريد إلَّا أن تقبض روحك والله عز وجل راض عنك، ألست تعلم أن هؤلاء أهل الجنة وصفوا بأنهم

ماذا من جهة رضاهم؟ ﴿رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾، فهم عاشوا دنياهم راضيين عن ربهم، ليس هناك ما يستحقّ أن يكدر خاطرك.

نرى الآن التصرفات.

بعد هذه الاعتقادات تأتي التصرفات، هذا ما تعتقده في الصالحين، تصرفاتك الآن مع الصالحين؟ لما ترى هؤلاء على العبادات منكبين ماذا ستفعل انت؟ تنكب على العبادات.

تقول هذا جائع في النهار ومع ذلك طائع إلى ربه، قليل النوم في الليل ومع ذلك قائم صائم فانت تجد أن هؤلاء قدوتك في الطاعة، ترى طوال سجودهم وكثرة ذكرهم وتسبيحهم فيصبح لسانك لاهج، انت تراقبهم من بعيد، أنا أكلمك عن حالات كثيرة تأتي في الحرم، ترى هؤلاء كيف كبار في السن ومع ذلك فيهم من الطاعة والخشوع والإنكسار، والذي تعطيه إياه يأخذه ويأكله ولا يرى في نفسه ..، يعني حتى لا يلتفت لك انت مَن!، إذا وضعت أخذ منك ولا يلتفت انت مَن، يعني حقيقة تأتي مواقف تشعر أنه يقول أنا مستغني عنك، حقيقة مستغني عنك، فهذا كله مشاعرك تشعرك انظري كيف موقف الواحد عندما يكون مستغني عن الناس، انظري كيف الغنى فانت تفهم واقعيًا ما معنى الغنى غنى النفس، ليس مثلك محتاج لا ينام إلَّا إذا كان كذا وكذا الوضع، ولا يأكل إلَّا إذا كان فيه مواصفات كذا في الأكل، هو استغنى عن ما انت عبدٌ له.

نحن وضعنا نفسنا في عبودية طويلة عريضة، انتم الآن لما يأتيكم الصيف كل واحد فيكم يفكر يقول المكيفات يريد لها صيانة، والذي عطلان نقوم بتغييره، ثم يمر على خاطركم القوم الذين ليس عندهم فتقولي الله يعينهم مساكين، ثم يأتي علامة الاستفهام من بالضبط المسكين؟ هم أم انتم؟ في الحقيقة نحن المساكين، لأن هؤلاء يعيشوا هذا الوضع وهذه الحرارة بكل سهولة يعيشون متآلفين معها، أبدانهم أعانهم الله على معايشة مثل هذه الأوضاع، أصبح من المسكين؟ الذي لو أنقطع عنه التيار الكهربائي مات، أو من أنقطع عنه هذا النوع من الطعام انتهى!، هذا هو المسكين، الذي هو عبد لهذه الأشياء.

المهم خذهم قدوة إذا كانوا أهل عبادة، فتعلم منهم وانظر قوة صبرهم على الطاعة وإن كانوا أهل علم تعلم منهم وانتفع بصحبتهم حتى ولو كان من بعيد، يأتي طالب علم يستفيد من الشيخ ابن باز – رحمه الله – وهو علمه غزير فيستفيد منه ماذا؟ يمكن ذكرت لكم هذه المسألة سابقًا، لكن الحقيقة هذه المسألة مؤثرة جدًا، الشيخ ابن باز كما تعلمون ضرير، لا يرى، وهم يضعون المسجلات أمامه، فانتهت المحاضرة وتوقف عن الكلام، والسائل يريد أن يسأل، فهو يسجل في المسجلات يهجو بالتسبيح وراء بعض وراء بعض يسبح يسبح، من أن توقف من أخر كلمة في المحاضرة إلى أن بدأ الشيخ مرة أخرى يجيب على السائل، هذه المسافة كلها وهو ذاكر والتسجيل يسجل لما نقلت المحاضرة فتسمعي صوت همهمه هذا صوت الشيخ وهو يسبح، ولا يتوقف، انتهى واجاب وبدأ السائل يسأل وهو باقي يسبح إلى أن يجيب، تري عجبا!، إلى هذه الدرجة!.

يعني تخيلي الآن تصوري هذا إنسان عبارة عن أنه أمَّا يقول الحقّ بالمحاضرة وأمَّا يسبح وأمَّا ينفع الناس بالفتوى، ثم يسبح ثم ينفع الناس بالفتوى يعني ما يقطعه عن الذكر والتسبيح إلَّا النوم فقط!، فتصوري حياة مثل هؤلاء، من أجل ذلك تعرفي كيف رفع الله هؤلاء وطيب ذكرهم حتى بعد موتهم، ما طيب ذكرهم إلَّا لأنهم طيبوا ألسنتهم وأبدانهم بذكر الله والتعلّق به.

وانتم ترون كيف الشيخ ابن باز رحمة الله عليه، يقول كلامًا مختصرا لكنه ينفذ إلى القلوب نفاذا، شيء عجيب، حتى في المؤتمرات، يعني عندما تسمعي سيرته حتى في المؤتمرات وكيف يأتون بكل واحد من دولة يتكلم ويفتي ويفتي في مسألة، ثم يأتي دور الشيخ

ويتكلم – وهذا موقف حدث في أحد المؤتمرات في الهند، كان مسألة يريدون نقاشها فالمفروض أنهم ٣٩ دولة، فتقدمت قبل المملكة أربعة دول ثم أتى الشيخ تكلم، المفروض ينتظروا باقي التسعة والثلاثين، فعندما أتى الشيخ وتكلم طلبوا التصويت على المسألة على كلام الشيخ، وكلهم صوتوا راضيين، يعني ما قالوا نقول وجه نظرنا في الموضوع، فترى كيف كتب الله له القبول، هذه ولاية عجيبة.

انتم إذا أردتم اقرءوا عن مثل الشيخ ابن باز رحمه الله وما له من مكانة، تعلموا منه حتى الذكر – سبحان الله – تسجيل مثل هذا التسجيل من أجل أن يبقى أثره إلى قيام الساعة على الناس الذين يسمعون فيفهمون ويتأثرون، فانظري كيف الله رفع ذكر مثل هؤلاء، المهم انتفع بهؤلاء الانتفاع الصحيح، اجعلهم قدوتك، تذكرهم في المواقف، الله عز وجل جعل مواقفهم وأحداثهم تنقل لك وتسجل لتكون لك بمثابة المرشد فأعتني بها، واحمد الله عز وجل أن سخر لك عباد مثلك يكونوا على منهج أهل السُّنة فتتابعهم.

على كل حال حقوق الصالحين يطول المقام فيها، إلى هنا يكفينا في الكلام حول حقوق الصالحين، فلنتكلم الآن عن تجاوز الحقوق.

نأتي الآن إلى تجاوز الحقوق.

المشكلة أنه كله قيد شعرة، يعني التجاوز قيد شعرة يحصل، انت رأيتهم ورأيت عباداتهم وطاعاتهم وعلمت أن أكيد لهم مكان عند الله، فماذا تفعل؟ لما تنقلب القضية تذهب فتتبرّك بهم، التبرُّك بأبدانهم هذا من الغلو، أيضًا سؤالهم الحاجات، مسألة طلب الدعاء منهم تحتاج إلى نقاش لكن باختصار شديد الأوْلى ترك طلب الدعاء منهم.

هذا إجابة على سؤال يقول هل أطلب منهم الدعاء؟ نقول الأولى ترك الدعاء، لأنه مر معكم لا يسترقون، يعني لا يطلبون الدعاء من أحد، لأن الاسترقاء طلب الدعاء، انت لما تأتي تطلب من أحد ان يرقيك ماذا تطلب منه؟ أن يأتي فيدعو لك، يضع يده ويقول رب الناس اذهب الباس هذا دعاء، حتى قراءة المعوذات بمقصد، وقراءة الفاتحة بمقصد طلب الشفاء، هذا يعتبر دعاء، فالأولى تركه.

سؤال من الحاضرات: وسؤالهم الحاجات؟

رد من الأستاذة: كيف سؤالهم الحاجات؟ ليست حاجات يستطيعها؟ لا، سؤالهم الحاجات لما تأتي تقولي له يا وليّنا مثلًا لا أحمل، ادعو لي هذا تدخل في النقاش السابق، سؤال الحاجات بمعنى سؤال الحاجات لكن هذه حالة عالية في الشرك، لا يمكلها، سؤال الحاجات يعني الذي لا يملكها، يعني امرأة تقول له لا انجب، ومن أجل ذلك كثير من رؤوس الصوفية حلّلوا لأنفسهم الزنا لأنهم لما تأتيهم حالات مثل هذه تقول له لا أنجب انظري ماذا يقول هذا ويفعل معها، وموجود هذا ومكتوب، هم كتبوا على أنفسهم – الله المستعان –.

المهم؛ **"** تجاوز الحدّ الآن بهم بعمل القلب أيضًا التعلّق بهم ورؤية أن العلاقة بهم سبب للنجاة يوم القيامة.**"**

يعني يأتون إلى الوليّ يقولون له يا شيخ لما تدخل الجنة لا تنسانا، ضامنين له دخول الجنة ولا تنسانا أيضًا!.

سؤال من الحاضرات أحد يقول: "أشهد لنا عند الله" رد من الأستاذة: هذه ليست لفظة شرعية، كل هذا خطأ، وابحثي وانظري مثل هذا الكلام شرعي؟!.

الآن مجاوزة الحد تكون بهذه الطريقة، وكثرة ذكرهم نوع من تجاوز الحدّ، كل هذا يحتاج إلى ضبط وفهم.

سنبدأ بأول آية؛ آية النساء.

❖ الدليل الأول.

وقول الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾[٣١٣].

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾

ماذا يأمر الله عز وجل؟ أولًا يأمر مَن؟ أهل الكتاب، أهل لكتاب سيكون اليهود والنصارى، إذن ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يقصد بها اليهود والنصارى.

- أتت أداة نهي "لا" المخاطب بالنهي هم أهل الكتاب، نهوا عن ماذا؟ ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ بأي نوعٍ من أنواع الغلو، ويدخل في ذلك الغلو في الصالحين.
- النهي الثاني: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.

ما العلاقة بين النهي عن الغلو وبين النهي عن قول على الله بلا علم؟ ما العلاقة؟

أجابت أحد الحاضرات ورد من الأستاذة: يعني أن القول على الله بلا علم سببٌ للغلو؟ يعني القول على الله بلا علم سبب للغلو.

انظري عندما أقول لك اليهود قالت عزير ابن الله، لماذا قالت عزير ابن الله؟ عزير هذا اسم رجل منهم، وسبب إدعاءهم أنه ابن الله أنه لما سلط الله الملوك على بني إسرائيل ومُزقوا كل ممزق وقتلوا حملة التوراة وجدوا عزير حافظًا لأغلبها، فاستنسخوها منه، يعني أملاها عليهم، فلما أملاها عليهم وأنه يحفظها قالوا عنه ابن الله، بدأ من هنا الكلام على الله بلا علم، ثم غلو فيه يعني نفس قولهم أنه ابن الله نوع من أنواع الغلو فيه، يعني هو الآن عزير نفعهم في دينهم، كيف نفعهم في دينهم؟ املا عليهم التوراة التي رأوا أنها ذهبت، فمن فرحهم بإملائه بالتوراة عليهم غلوا فيه، قالوا على الله بلا علم، قالوا أنه ولد الله، هذا هو الغلو فيه.

إذن القول على الله بلا علم سببٌ للغلو.

بجملة أخرى؛ الغلو يأتي كيف؟ ما سبب وجوده؟ سبب القول على الله بلا علم.

ثم بيَّن الله عز وجل ما وقع فيه اليهود والنصارى من القول على الله بلا علم والغلو، كلمهم عن المسيح، وبيَّن لهم مَن يكون المسيح، مَن يكون المسيح؟ ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ما حاله؟ ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ هذا كله لبيان – تفسير– لحاله التي أشكلت عليهم، انتم مر معكم تفسير هذه الحال، وأن كلمة وروح منه يعني روح من الأرواح التي خلقها الله عز وجل أضيفت له تشريفا.

أمرهم أن يفعلوا ماذا؟ ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ﴾ إذن نهاهم عن الغلو وأمرهم بالإيمان بالله.

---

[٣١٣] النساء:١٧١

اليهود كيف وقع منهم الغلو في عيسى؟ النصارى كيف وقع منهم الغلو؟ قالوا ابن الله.

اليهود كيف وقع منهم الغلو؟ الغلو أتى في البنوة؛

⇦ فأمَّا النصارى قالوا ابن الله.

⇦ وأمَّا اليهود غلو فقالوا أنه ابن زنا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الغلو هو مجاوزة الحدّ سلبًا أو إيجابًا، يعني ليس غلوًا شرط بالتكريم، الآن لو جئت أقول لك الخوارج الآن، أو القوم الذين يفجرون الأجانب، وقعوا في الغلو أم لم يقعوا؟ وقعوا، لأنه صحيح أنه علي معاداة الكفار، لكن ليس المطلوب مني أن أذهب أقتلهم وهم مستأمنين، لا أقاتلهم إلَّا بالجهاد الشرعي لكن بهذه الصورة مسألة لم يأمر الله عز وجل بها ولا رسوله، هذا غلو في موقفنا من الكفار.

سيكون الغلو سلبًا أو إيجابًا:

⇦ إيجابًا يعني زيادة في المحبة إذا اعتبرتم أن المحبة إيجاب.

⇦ والسلب معناه زيادة الكراهية.

فلا زيادة المحبة ولا زيادة في الكراهية، كلاهم غلا، انت انظري الآن الذين يقاتلون أو يقتلون الكفار في بلاد المسلمين غلو، والذين يناصرون الكفار ويجعلون لهم يدًا على المسلمين غلو أيضًا، فلا هؤلاء صواب ولا هؤلاء صواب.

نهاهم الله عز وجل قال ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ إذن ينهاهم الله عز وجل عن قول أنهم ثلاثة.

- إذن قالوا أن المسيح ابن الله ⇦ ماذا قال الله عز وجل ردًا عليهم؟ ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾
- قالوا عنه أنه ثالث ثلاثة ⇦ رد الله عز وجل عليهم قال ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾.
- قالوا عنه أنه ولد الله ⇦ ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

إذن ماذا تعتقدون في عيسى يا أهل السُّنة؟

الأمر الأول: نعتقد أنه عبد الله، يعني عابدٌ مملوكٌ لله، لا مالك.

الأمر الثاني: تعتقدون أنه رسول، يعني بُعث بما أوحى الله إليه.

الأمر الثالث: ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ ما كلمته؟ كن فيكون، أي خلقه الله بكلمة "كن".

الأمر الرابع: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ يعني روح من الأرواح التي خلقها الله.

الآية قررت سبب الغلو في الدين ⇦ وهو القول على الله بلا علم.

الآن مطلوب منك أن تطابقي بين عنوان الباب وبين الآية.

عنوان الباب: أنَّ سَبَب كُفر بَني آدم وتركهم دينهم هو الغلوِّ في الصالحين.

ماذا تقولين؟ من الآية كلها ماذا تقولين؟ أنا يهمني كفر بني آدم، هات من الآية ما يدلّ على كفرهم؟ هذه اللفظة أو ما يضادّها، يعني كفر أو إيمان ⇦ ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾.

لماذا قيل لهم ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾؟ يعني لما تقولوا أنه ثلاثة – لما تغلو في دينكم وتقولوا أنه ثالث ثلاثة– ضدّ أمركم بالإيمان.

الآية ماذا تقول؟ ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ﴾ آمنوا بالله فقط؟ المطلوب منكم الإيمان بالله ورسله، وضدّ الإيمان بالله ورسله ⇦ ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ إذن آمنوا ولا تقولوا ثلاثة، ولو قالوا ثلاثة كفروا.

ما علاقته بالغلو؟ قولهم ثلاثة هذا أليس من الغلو؟ نعم قولهم ثلاثة من الغلو، نحن اتفقنا النصارى غلو في عيسى [أنه ولد الله، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه ليس برسول] هذه كلها أنواع من الغلو، ماذا قال الله لهم؟ ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ﴾ أمرهم بالإيمان، ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ إذن آمنوا بالله هذا أمر ويقابله نهي، مثل ما نقول الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

- ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ﴾ يقابلها الإيمان بالله.
- ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ هذا كفر بالطاغوت.

نحن نريد أن نصل إلى كلمة"كفر بني آدم وتركهم دينهم ما سببه؟ الغلو في الصالحين"، من أين أتينا أن كفر بني آدم سببه الغلو؟ أول شيء ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ هذه الكلمة نفسها غلوًا، ضعي في ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ﴾ ضعيها أمامك ونرى أين الشاهد، ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ﴾ هذا ضعي عليها أنها غلو.

أمروا بماذا؟ ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ﴾ **أُمروا بالإيمان بالله ونهوا على أن يقولوا ثلاثة**، قول ثلاثة ضدّ الإيمان بالله، أليس ضدّ الإيمان بالله؟ نعم، إذن إذا ما آمنوا؛ ضدّ الإيمان الكفر، وهنا ضدّ الإيمان أن يقولوا ثلاثة، وأن يقولوا ثلاثة غلو.

مرة أخرى؛ الآن الآية أمامك، ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ﴾ هذا أمر، قولي لي الآن آمنوا ضدّ قول ثلاثة، هذا إيمان وهذا كفر، يعني إذا كنتم حقيقة مؤمنين لن تقولوا ثلاثة، وإذا قلتم ثلاثة كفرتم، انتهينا من هذا الأمر.

عرفنا أن قول ثلاثة يعتبر كفر، وفي أول الكلام وانت تعدي أنواع الغلو التي وقع فيها النصارى ماذا قلتي؟ قلتي أنهم من الغلو أنهم قالوا ثلاثة، وأنهم قالوا أنه ولد الله، فعلى ذلك عندما قيل أن قول الثلاثة كفر؛ ما سبب هذا الكفر؟ أنهم غَلو، قولهم ثلاثة هذا كفر، كفر من أين؟ لأن الله أمرهم بالإيمان به ونهاهم عن أن يقولوا ثلاثة، فعُلم أن قول ثلاثة كفر، قول ثلاثة الآن في حكمه كفر، لكن لو توصفيه من جهة الكفر قول ثلاثة أتى من غلوهم في عيسى، إذن ما الذي أوصلهم لقول ثلاثة؟ غلوهم في عيسى.

اكتب الجملة هكذا : **الذي أوصلهم إلى – قول ثلاثة – غلوهم في عيسى.**

احذفي ثلاثة وضعي مكانها كفر، أليس قولهم ثلاثة كفر؟ اقرئي الجملة؟

الذين أوصلهم إلى – الكفر – غلوهم في عيسى.

من هنا خرجت النتيجة، أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الغلو في الصالحين.

ننتقل إلى الدليل الثاني.

الدليل الثاني.

وفي الصحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[٣١٤] قَالَ : هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ؛ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا فِي مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ؛ فَفَعَلُوا ، وَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ.

هذا كلام ابن عباس تعليقًا على سورة نوح.

كان الناس على التوحيد عشرة قرون منذ أن أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام إلى الأرض، حتى حدث الشرك، عشرة قرون والناس على التوحيد، حتى حدث الشرك.

السؤال كيف حدث الشرك؟ وذلك أن ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرا كانوا رجالًا صالحين، أهل علمٍ وفضلٍ ودين، ولهم أتباع يقتدون بهم.

قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ؛ فَلَمَّا هَلَكُوا

ما معنى هلكوا؟ يعني عندما ماتوا.

ماذا وقع في قلوب أصحابهم؟ حزن اتباعهم على فقدهم، وصاروا يترددون على قبورهم، فسول الشيطان إلى قومهم المعظمين لهم أن أنصبوا إلى مجالسهم.

ما معنى ذلك؟ يعني أمرهم أن يصوروا صورهم في المجالس التي كانوا يجلسونها لأجل الذكرى والاقتداء.

يعني إلى هنا معناه أنه واقع في قلوبهم أن هؤلاء الصالحين قدوة، وإلى هنا معتقد صحيح أن تعتقد أن الصالحين قدوة ويذكروك بالله، لكن انظري فعلهم هذا جرهم إلى ماذا، المهم فعلوا.

ففعلوا وهذا كما هو معلوم من مكر الشيطان ليوقع من بعدهم في عبادة غير الله، فكانت هذه الصورة أو هذه الصور التي صوروها وسيلة وسببًا إلى عبادتهم في المستقبل.

كيف؟ لما هلكوا – من هم الذين هلكوا؟ الأتباع المعاصرين لهؤلاء الصالحين –

لما هلكوا والعلم نسي بموت العلماء الذين يحذرون من الشرك، وجاء أقوام لا يميزون بين التوحيد والشرك، جاءهم الشيطان فصور لهم اعتقاد أن من سلفهم ما عكفوا على قبورهم وصورهم — على قبور وصور الصالحين — إلَّا أنهم بهم يسقون المطر وبهم تنعم حياتهم.

ماذا كانت النتيجة؟ أنهم عبدوا من دون الله سبحانه وتعالى.

في هذه الأثناء لما حصل هذا ارسل الله سبحانه وتعالى نوح صلى الله عليه وسلم فدعاهم للتوحيد، فقال ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ كيف كانت ردت فعلهم؟ تناصحوا بأن لا يتركوا عبادة الأصنام.

إذن سبب الشرك قديمًا وحديثًا هو الغلو في الصالحين، فإن الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم.

---

[٣١٤] نوح:٢٣

لو أردت منك الآن أن تصوري لي أستدراج الشيطان كان على مَن وكيف؟ نعمل جدول.

الجيل الأول والجيل الأخر.

الأول: نقصد أتباع الصالحين.

والأخر: الذين أتوا بعدهم.

نذكر ثلاثة نقاط:

- استدراج الشيطان لهم. ▪ وموقفهم من هذا الاستدراج. ▪ ومقصدهم.

الجيل الأول.

كيف استدرجهم الشيطان؟ ماذا قال لهم؟ استدرجهم من جهة أن تصوير الصور سبب لزيادة عبادتهم لله، فيتأسوا بهم ويتذكروا أفعالهم، فيجهتدوا كأجتهادهم.

هذا استدراج الشيطان لهم أن تصوير الصور سيكون لصالح طاعتكم، وهذه الجملة دائمًا اجعليها على بالك؛

- السُّنة من جهة.
- وما تتصورين أنه في صالح عبادتك من جهة.

ما معنى هذا؟ يعني الشيطان يأتي يصور لك أن هذا الذي تفعلينه مخالف للسنة في صالح العبادة، وتدخل القياسات العقلية تقول لك نعم، عندما أذكر ١٣٥٦ مره مثل النائم وتارك الذكر؟!، هكذا تقولين، وعندما نجتمع لذكر النبي صلى الله عليه وسلم أليس أحسن مما نهجر ذكره، فتدخل القياسات العقلية، فتجد الشيطان يأتي عند العابد ويصور له البدعة خير من السُّنة، أن هذا العمل سيكون في صالح طاعتك، وهذا الذي فعلوه فيهم، يعني الجيل الأول كيف أتوا بهذه المصيبة؟ الشيطان ألقى في قلوبهم اعتقاد أن التصوير سبب لزيادة طاعتهم.

ما موقف الجيل؟ استجابوا.

- الفعل الأول: صوروا صورهم في المجالس، هذا فعل.
- والفعل الثاني: أنهم عكفوا على قبورهم.

ماذا كان مقصد الأوائل؟ مقصد الأوائل زيادة العبادة.

انظري الجيل الذي بعده.

كيف استدرجهم الشيطان؟ قالوا ما عظم آباؤنا هذا إلَّا وهم يرجون شفاعتهم عند الله.

ما موقفهم لما اعتقدوا هذا الاعتقاد؟ لما اعتقدوا هذا الاعتقاد عبدوهم.

ما مقصدهم من العبادة؟ رجاء شفاعة القوم لهم.

	الجيل الأول "أتباع الصالحين"	الجيل الأخر "الذين أتوا بعدهم"
استدراج الشيطان لهم	استدرجهم من جهة أن تصوير الصور سبب لزيادة عبادتهم لله، فيتأسوا بهم ويتذكروا أفعالهم، فيجتهدوا كأجتهادهم.	قالوا ما عظم آباؤنا هذا إلَّا وهم يرجون شفاعتهم عند الله.
موقفهم	استجابوا ⇦ ▪ الفعل الأول: صوروا صورهم في المجالس، هذا فعل. ▪ والفعل الثاني: أنهم عكفوا على قبورهم.	عبدوهم.
مقصدهم	زيادة العبادة.	رجاء شفاعة القوم لهم.

⇦ انظري كلام ابن القيم.

وقال ابن القيم: قَالَ غَيْرِ وَاحدٍ مِنَ السَّلَفِ ، لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ، فَعَبَدُوهُمْ.

هم فعلوا فعلين: كانوا يذهبون أولًا إلى مقابرهم يعكفون عندها، ثم أوحى إليهم الشيطان أنه أنصبوا في مجالسهم الصور، **الجيل الأول ما قصد عبادتهم أبدًا، أبدًا**، الجيل الأول كان له مكانان القبور والمجالس، المجالس نصبوا فيها صور، والقبور كانوا يزورونها تذكرهم إياهم، أصبحوا بين القبور وبين المجالس.

لكن مقصدهم اتفقنا ماذا كان مقصد الجيل الأول؟ الجيل الأول كان مقصدهم زيادة التأسي بالصالحين والعبادة.

الجيل الأخر كان ما مقصدهم؟ رجاء شفاعة القوم لهم، لأن الشيطان صور لهم أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها رغبة في شفاعتهم.

الآن هذا النص أمامك يبيِّن لك أن الغلو يأتي بأسباب، هناك خرجتي واحد من الأسباب في الدليل الأول؛

- ما السبب الذي خرج معك من الدليل الأول؟ ما سبب الغلو؟ القول على الله بلا علم.
- هنا ما سبب الغلو؟ نسيان العلم، ومتابعة خطوات الشيطان.

ساقرأ عليكم فتوى من الشيخ محمد رحمة الله عليه لتتصوروا مثل هذا المفهوم في الواقع.

سئل الشيخ رحمه الله إذا توفي أحد المشهود لهم بالصلاح والعلم يكثر زوار قبره زيارة شرعية، – يكثر الزوار لقبره لكن هذه الزيارة شرعية– ولكن بعض طلبة العلم سدًّا للذريعة وخوفًا من الشرك، فما قول فضيلتكم في هذا؟

أجاب رحمه الله الذي أرى ما ذهب إليه بعض طلبة العلم وهو أن الأكثار من زيارة أهل العلم والعبادة — يقصد بعد موتهم – ربما يؤدي في النهاية إلى الغلو الموقع في الشرك، ولهذا ينبغي أن يدعى لهم بدون أن تزار قبورهم على وجهٍ كثير، والله عز وجل إذا قبل الدعوة فهي نافعة للميت سواء حضر الإنسان عند قبره ودعا له عند قبره أو دعا في بيته أو في المسجد، كل هذا يصل إن شاء الله، ولا حاجة إلى أن يتردد إلى قبره، لأن المحظور الذي حذره بعض طلبة العلم وارد ولا سيما وإن تطاول الزمان.

على هذا يفتوا أهل العلم أنه حتى معاصرًا لما يأتي أحد يموت وهو من أهل الخير والصلاح انهى عن كثرة زيارة قبره لأنه يؤدي إلى ما رأيناه، يعني هذا الشيء موجود، مرئي، وانت تجد صور في الانترنت وإلى أخره تجد صور لأشخاص كانوا محبوبين مقبولين عند الناس فمع كثرة الزيارة ماذا حصل؟ علا البنيان وأصبح ضريحًا.

الآن في الواقع أظهر الشيطان للإنسان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، أظهر لهم الإخلاص بالله، أظهره لهم في صورة أنه إذا كنت مخلصًا لله ماذا تفعل للصالحين؟ تنقصهم من مكانهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين وأتباعهم.

يعني تعال انظر موقف الناس من النبي صلى الله عليه وسلم، الشيطان أظهر لهم أن ما تفعله مثلًا الدولة السعودية من منع الناس من التمسح بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنع النساء من التمسح بالقبر أوهم لهم أن هذا تنقص الصالحين، ومن أجل ذلك – نسأل الله أن يحاربهم، يحارب هؤلاء ويقضي عليهم وعلى فتنتهم- يعني الآن يقولون نحن نريد تأميم مكة والمدينة، تعرفون ما معنى تأميم مكة والمدينة؟ يعني أن تصبح مدينتين كما يعبرون دوليتين، دولية بمعنى ..

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا، ليس عندهم مشكلة، هم في الغالب سيحظرون دخول الكفار

لكن ستأتينا المصيبة العظيمة تبقى لها كأنها حكومة منفصلة وسياسة منفصلة تحكمها كل الدور العربية مرة واحدة!، ماذا تنتظرين من مثل هذه المصيبة إلَّا البلاءات، وطبعًا من سيكون على رأس من سيخوض في هذا؟!، إذا كان أمَّا الروافض أو وجههم الأخر الصوفية.

من أجل ذلك لا تستهينوا بالأمر؛ أكثروا من الدعاء، أكثروا من الدعاء، اسأل الله عز وجل بمنه وكرمه أن يحفظ علينا راية التوحيد المرفوعة، وأن تبقى بمنه وكرمه مرفوعة على هذه الديار وعلى ديار المسلمين كلها.

نبدأ في الدليل الثالث.

❖ الدليل الثالث.

وعَنْ عُمَرَ ، أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا : عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ" [أخرجاه].

ما معنى الإطراء؟ معناه إذا مدحه بما ليس فيه، وأيضًا أطرى إذا زاد في الثناء، يعني في لسان العرب قال الإطراء وأطرى فلانًا فلان لها معنيان: إذا مدحه بما ليس فيه وأيضًا إذا زاد في المدح.

على ذلك ما معنى أطرت النصارى المسيح؟ أنهم مدحوه بما ليس فيه، ماذا قالوا؟ ثالث ثلاثة، أو ابن الله، كل هذا من ألفاظ الإطراء، لماذا تعتبر ابن الله وثالث ثلاثة في المسيح من الإطراء؟ لأنهم أثنوا عليه بشيءٍ ليس فيه، من أجل ذلك سمي إطراءً، **إذن يلزم من الإطراء الكذب، الإطراء يلزم منه الكذب.**

انظري إلى الحديث وأذكري لي الأمر المنهي عنه بعد ما فهمتي كلمة الإطراء؟ ينهى عن ماذا النبي صلى الله عليه وسلم؟ يعني يقول لهم لا تجاوزوا الحدّ في مدحي فتصفوني بما لا ينبغي ولا يحقّ إلَّا لله.

ضرب للصحابة مثال ما هو؟ قال لهم: "لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى"يعني كما فعلت النصارى في نبيهم، فذلك يأول إلى ماذا؟

ردت أحدى الطالبات: إلى الغلو.

رد من الأستاذة: إلى الغلو؟!، هو أصلًا الإطراء نفسه الغلو.

هذا يأول إلى العبادة، إلى عبادته صلى الله عليه وسلم، كما آل بالنصارى حينما أطرت المسيح فأدعو فيه الألوهية، النبي صلى الله عليه وسلم ضرب لهم مثال، ما هو المثال؟ النصارى.

فقال لهم لا تفعلوا كما فعلت النصارى في نبيهم، ما هي النتيجة التي حصلت؟ عبدوهم من دون الله، فكذلك خاف النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه أن يعبدوه من دون الله، وأرشدهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكمال في حقه، ما هو الكمال في حقه؟ "فَقُولُوا : عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ"، وهذا أشرف المقامات كما مر معنا.

إذا نظرتي إلى هذا الدليل ماذا ستقولين؟ ما علاقته باسم الباب؟ كيف فهمنا أن الغلو يأتي بالكفر؟ستضعين لك مثل النصارى، ستقولين غلو النصارى في مدح عيسى فرفعوه فوق منزلته التي أنزله الله إياها، فأدّعو فيه الربوبية فقالوا [ابن الله، ثالث ثلاثة] فعظموه وصرفوا له ما لا ينبغي أن يصرف إلّا لله، وقعوا في الشرك الأكبر في الكفر، لذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يطرى مثل ما أطرت النصارى عيسى ابن مريم.

لكن هذا الأمر وقع، يعني نهي النبي صلى الله عليه وسلم لا يعني الخبر بعدم وقوعه، نهى لكن القوم خالفوا، فانت ترين الآن الصوفية لا ترتضي بما وصفه الله عز وجل أو بما ارتضاه الله عز وجل من صفات لرسوله أنه عبد ورسول، فأدعو في حقه أنه يعلم الغيب، أنه يتصرف في الكون، أنه يفرج الكرب، النتيجة أن هذا الغلو الذي فعلوه أوصل الأمة إلى أن يقع كثير منهم في الكفر.

الآن حكمهم كفار أو غير كفار ليس موضوعنا، هذا يبحث في موطنٍ أخر في عقيدة أهل السُّنة والجماعة ماذا يعتقدون في الكافر إذا كان جاهلًا أو ليس جاهلًا لكن المهم أن تفهمي أن هذا الإطراء عندما يتجاوز عن حدّه لما رفع صرفوا له صفات الربّ أعتقدوا انه يعلم الغيب ويفرج الكرب، لما تصوروا أن له هذه الصفات ماذا وقع في توحيد الألوهية؟ وتعلّقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وألهوه وعظموه وتعلقوا به تعلّقهم بالله.

يأتي الدليل الذي بعده.

❖ الدليل الرابع.

وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أُهْلِكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوّ".

هذا واضح جدًا؛ النهي عن الغلو، النهي عن الغلو على أنه سبب للهلاك في الدنيا وفي الآخرة.

ولاحظ هذا الحديث أتى في رواية ابن عباس في الحج، أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر ابن عباس في غداة العقبة أن يجمع له حصيات، فأتى ابن عباس للرسول صلى الله عليه وسلم، فجعل ينفضها ويقول: " أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا " ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ " .

إذن انت أجعل نفسك على حذرٍ شديدٍ من الغلو، فالنفوس السوية لا تتحمل الغلو، وعلى هذا الغلو يكون في المعتقد وفي العمل، في أمر الدنيا وأمر الآخرة.

يعني لو سألتك مثلًا في أمر الدنيا؛ النظافة أمر مطلوب محبوب، لكن الغلو فيها وسواس، ونفس الكلام؛ الترتيب والعناية بالمنزل أمر محبوب يتبع النظافة لكن الغلو فيه أيضًا وسواس يهلك النفس، وعلى هذا قس أن الغلو في أمر الدنيا أو أمر الآخرة كله يهلك

صاحبه، حتى حب الأبناء، حتى حب الزوج، حتى حب الآباء والأمهات، حتى الأرتباط بالأماكن أو بالأشخاص، كله يجب أن لا يتجاوز الحدّ، انتبه تكون تغلو، ضع هذه قاعدة أمامك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: في أمر الدين يعني؟ الغلو في كل أمر يتصل بالدنيا أو الآخرة، الدنيا؛ النظافة، حب الزوج الأبناء إلى أخره، يتصل بالدين يعني الطاعات والعبادات التنطّع فيها، سيأتي بعدها يبيّن لك الأمر.

الدليل الخامس.

ولمسلم عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ" قَالَهَا ثَلَاثًا.

ما معنى التنطّع؟ التعمق، وهو مأخوذ من النطّع وهو الغار الأعلى في الفم، - تأخذوه في التجويد-.

ما علاقته؟ لأن التنطّع أصله التنطّع في الكلام، يعني شخص يخرج كلامه من – هذه المنطقه – يعني التكبر على الناس، كلمة التنطّع أصلًا تطلق على التنطّع في الكلام، ما هو التنطّع في الكلام؟ يعني يخرج كلامه بأسلوب مبالغ فيه، يرفع نفسه بذلك على الناس.

لا تحمل همّ كيف، هذه حالة تأتي إلى الناس يصابون بها، هذه في لغة العرب، لما يتكلم يتكلم بأسلوب معين، كأنه يخرج الكلام من .. بأسلوب معين.

نطّع من أعلى غار في الفم ومنها جاءت كلمة التنطّع، وهي التعمق في كل شيء.

وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا عَجَّلْتُمُ الْفِطْرَ وَلَمْ تَنَطَّعُوا تَنَطُّعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ .

الآن هات صور التنطّع.

- لو أكلمك مثلًا عن علم الفلسفة؛ ماذا تقولين؟ سنقول أن هذا تنطّع في دخول علم لا حاجة إليه لا في الدنيا ولا في الآخرة.
- السؤال عن وقت الساعة هذا يعتبر تنطّع، لماذا؟ لأنه بحث في المغيبات، والبحث في المغيبات يعتبر تنطّع.
- التعلّق بالصالحين في الشدائد ماذا يعتبر؟ تنطّع وتكلف في محبة الصالحين.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا أتكلم عن مسألة شرك الأحكام أنا أتكلم عن التنطّع كيف يكون، أريد أأتي بصور واقعية.

- مثلًا الاحتفال بالمولد النبوي يعتبر تنطّع في محبة النبي صلى الله عليه وسلم.
- السؤال عن الحكمة في كل عبادة، مثل هنا جاءت ورقة فيها كلام عن ما هو سر مواعيد الصلوات الخمس، لماذا حدد الله عز وجل الصلوات الخمس في مواعيدها التي نعرفها، فيأتي يقول صلاة الفجر مثلًا لأن الشمس إذا طلعت طلعت بين قرني شيطان، ولأن صلاة الظهر لأنها الساعة التي تسعر فيها جهنم، وصلاة العصر لأن الساعة التي أكل فيها آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة، والمغرب لأن آدم تاب فيها، والعشاء لأن في القبر ظلمة ويوم القيامة ظلمة، المهم أنه كلام مرتب، ومثل هذه توزع، وهذا من التنطّع.

واتفقنا أن التنطّع والإطراء الغلو كلها لابد أن تأتي معها كذب، والغلو هذا أكل قلوب الناس وهم لا يشعرون.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هي التي تأتي بدليل!، - الله المستعان - المسألة مقلوبة، انت تأتي تقول – انظري كيف الافتراء على الله بلا علم – انت تقول أن الله حدد صلاة الفجر من أجل كذا وتريد أنا أأتي بدليل على البطلان؟!، هي التي تأتي

بالدليل، الأصل في العبادات المنع إلا أن تأتي بدليل، انت التي تأتي بدليل لا أنا التي أأتي بدليل، كلام ملفقّ!، أصلًا الكلام ملفق واضح.

وهذا سنعود ونرجع نقول هذا لأن الناس لم يشغلهم الحقّ، هذا بسبب أن الحقّ لم يُشغل، لأن هذه تعرفين من أين أتت بها؟ من البريد الإلكتروني وصل لها، طبعته وأرسلته، انتم المفروض عندما يأتيكم بريد إلكتروني وفيه مثل هذا وفيه بدع لا تحذفيه وتنسي الموضوع!، اعملوا بينكم – بالذات الذين لهم علاقة بالبريد الإلكتروني- اعملوا بينكم فريق عمل وردوا على هذه المبالغات، وردوا أنه لم يثبت، لأن غالب الذي يمرر البريد الإلكتروني لا يدري، ويرسل وانتهى، ارسلوا الحقّ، أنا لما أفتح بريد أجد عشرين رسالة اثنان تهمني، و١٨ رسالة باطل، اقول اثنان تهمني و١٨ رسالة باطل ولا رسالة واحدة حقّ! مشكلة!، يجب أن تكونوا فريق، وغالبكم عنده قدره، وعندكم علم، وعندكم طلاب العلم، ستفتحين مثلًا كتاب الرقاق كل يوم نزلي منه حديث ونزليه للناس كلهم الذين في قائمتك، ماذا سيحصل لك؟!، بكل سهولة لكن بكل كسل، وهذه المشكلة!.

وانتم انظروا بأنفسكم كيف تجلسون على أجهزتكم، بالذات الناس الذين لهم تعامل مع الانترنت كم ساعة يجلسون على الأجهزة؟!، اعملوا فريق!، حتى الناس الذين لا يشتغلون على الأجهزة، من لا يشتغل على الأجهزة اجعلوهم هم المادة العلمية، ولا تبدأوا بالاختيار اليومي اختاروا لثلاثين يوم مرة واحدة، وعلى ملف نصي اكتبوا كل الذي تريدونه وكل صفحة ارسلوها في يوم، ثلاثين ملف نصي يرسل في ثلاثين يوم أو الناس الذين يشتغلون – أنا لا أريد أتكلم في التفاصيل لكن اسأل الله أن يجعله في ميزانكم، أو لا تستخدموا الملفات النصية لأن كثير من الناس يتكاسلوا في فتح الملفات النصية، استخدموا نفس صفحة البريد نفسها، وفي بطاقة مقاسها معتدل يناسب صفحة البريد ببرامج مثل "فوتوشوب" إلى أخره، وصور على الصفحة حديث، وممكن حتى أن تجعله خلفية لشاشتها، يعني أشياء كثيرة وفرص أمامكم ماذا نقول فقط!، إلَّا ما عندنا إلَّا الكسل والتقصير، هات نصوص، النصوص كثيرة ونافعة وموجودة في كتب أهل العلم والناس لا يدرون، الله المستعان، الله يغفر لنا تقصيرنا.

الآن نخرج بنتيجة؛ النصوص الأخيرة التي مرت معنا فيها إشارة يعني [إياكم والغلو، إنما أهلك من كان قبلكم الغلو، وهلك المتنطعون] فيها إشارة إلى أن التنطع والغلو سبب للهلاك وأعظم هلاك هو الكفر.

إذا سألت ما الفرق بين التنطّع والغلو؟ في موطنا هذا فقط في موطنا هذا يكاد ينطبقان، الغلو والتنطّع يكاد ينطبق على بعضهما، لكن غالب كلمة التنطّع تأتي في الكلام، فتجدوا أنه يبحث مباحث ويتكلم في أمور كلها ليس له علاقة بها، وتأتي هذه في الكلام حول مكانة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الله خلق الأرض والسماء من أجله وأنه نور وأنه كذا، فتجده يتكلم بكلام ليس له أصل هذا هو التنطّع، يتكلم أو يكتب كلام ليس له أصل.

قضينا طوال اليوم في بابٍ واحد، لكن على كل حال هذا الباب غاية في الأهمية، لأن الغلو أمر منتشر وغالبنا يقع فيه بدون أن يشعر.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا غلو، تسمعون هذا الكلام؟ وجدت في بيت إحداهن لوحة مكتوب فيها للنبي صلى الله عليه وسلم تسعة وتسعون اسما، هذه إشارة تدلك على أنهم ماذا يعتقدون؟ هذا يدلك على مساواة في اعتقادهم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا فعل عمر ابن الخطاب يريد له مراجعة أولًا، ثم طلب الدعاء مر معكم في لا يسترقون، ابحثي واقرئي، وقتها اتفقنا أن أرجعوا اقرءوا في التوسل والوسيلة، في التوسل والوسيلة يناقش غالب جوانب هذا الموضوع ارجعوا له.

سؤال من الحاضرات: إذا أحد طلب من أحد أن يدعو له فيقول له لا يجوز ..

رد من الأستاذة: نحن قلنا لا يجوز؟ - اللهم اجرني في مصيبتي – انظري هذه لا يجوز تأتي بإشكال كبير، هو لا يفهم من كلمة لا يجوز إلَّا لا يجوز، ليس هناك تفاهم عنده، انت لما أحد يطلب منك الدعاء وهو مبتدأ وبعيد ولا يعرف الطريق، ادعي له، واسأل الله له الهداية وأوصيه هو بالدعاء، بدون أن تتكلمي أي كلمة عن هذا الموضوع، وكأننا لم نناقش لا يسترقون، ولا كأننا ما تكلمنا وقتها، وكأننا ما قلنا أن هذا طلب الدعاء لا تقولي عنه أي كلمة من جهة انه لا يجوز لكنه من جهة كمال التوحيد، لا تكلموا الناس عن الكمال، كم مرة قلنا لا تكلموا الناس عن الكمال؟!.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا ترددي عليه مرار وتكرار ادعي لنفسك.

جزاكم الله خيرًا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

الحمدلله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لازلنا بفضل الله ومنته ندرس في كتاب التوحيد، وصلنا بعد أن اتفقنا على أدلة بطلان عبادة غير الله؛ بدأنا نتكلم عن السبب في كفر بني آدم مع ظهور أدلة البطلان، يعني مع ظهور أدلة بطلان عبادة غير الله، كيف وقع الناس في عبادة غير الله؟ ذكر أهم الأسباب الشيخ؛ أهمها الغلو في الصالحين قال: **أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.**

وتناقشنا في مسألة الغلو في الصالحين؛ ما هو الدليل الذي أورده الشيخ في باب أن سبب كفر بني آدم؟

- أولًا أتى بآية النساء التي فيها نهي عن الغلو، ماذا قال الله عز وجل؟ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾[٣١٥] ثم اتفقنا أن المنهي عنه في الغلو أمَّا الغلو في المدح وأمَّا الغلو في الذم، لكن المقصود هنا الغلو في المدح.
- ثم أتى بقصة قوم نوح وكيف أن الكفر الذي وقعوا فيه كان بسبب غلوهم في الصالحين.

انتهينا الآن من تقرير أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الغلو في الصالحين، ضرب لك مثال بقومين:

- النصارى وغلوهم في عيسى.
- وبقوم نوح وغلوهم في الصالحين.

⇦ كانت النتيجة أنهم عُبدوا من دون الله.

⇦ ثم أتى كأنه يقول كيف يصل الناس إلى هذا الغلو.

يعني كان الباب الأول فقط ضرب مثال كأنه يقول هذا دليلي على أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم ⇦ الغلو في الصالحين: المثال الأول: دليلي ما ورد في وصف النصارى، وكيف أن الله عز وجل عندما أراد أن يقرر لهم المعتقد الصائب في عيسى، ماذا قال؟ نهاهم أولًا عن الغلو ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ ثم وصف لهم ماذا يجب أن يعتقدوا في عيسى، هذا المثال الأول.

المثال الثاني: آية سورة نوح في قوم نوح، وكلام ابن عباس في تفسيرها.

إذن كأن هذا الباب يقول لك سأضرب لك مثالين يدلانك على أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الغلو في الصالحين، أنا أقول هذا الكلام من أجل أن لا تتصوروا أن الأبواب فيها تكرار، هذا من الأخطاء دائمًا لمن يشرح كتاب التوحيد، دائمًا يتصور هذا، ليس فيه تكرار، هذا الباب فقط فيه إشارة إلى نموذجين، كأنه يضرب لك مثل، قال لك سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الغلو في الصالحين مما يثبت هذا قوم عيسى وقوم نوح.

كأنه يأتي سؤال ما الذي يوصل الناس إلى هذا الغلو؟!.

نبدأ بإجابة هذا السؤال بالباب الذي بعده.

---

[٣١٥] النساء:١٧١

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده.

ظاهر هذا الباب ما مقصوده؟ مقصوده إجابة سؤال كيف وصل الناس إلى الغلو في الصالحين، بدأ يذكر لك أول خطوة في الغلو في الصالحين.

من اسم الباب ما هي الخطوة؟ عبادة الله عند رجل قبرٍ صالح.

الآن تعال إلى العنوان ونحلله.

ماذا تقولين؟ **باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح.**

الفاعل من هو؟ العبد.

ما عمل العبد؟ عمل العبد عبادة الله.

ما نيته في العبادة؟ التقرب إلى الله، لا يريد أحد غير الله.

ما المكان الذي قصده بالعمل؟ عند قبر رجل صالح.

ما موقف الشريعة من هذا الفعل؟ التغليظ، كما ذكر في اسم الباب.

ما معنى التغليظ؟ يعني [التشديد، الزجر، الوعيد الشديد] ممن فعل هذا الأمر، لأن حكمه محرم.

الجملة الأخيرة "**فكيف إذا عبده**": تدلك على إحد القواعد الشرعية، ما نسميه بقياس الأوّلى.

ما قياس الأولى؟ إذا كان أتى التشديد والتغليظ والزجر في أن يعبد الله عند قبر رجل صالح فماذا تتصورون عبادة نفس الرجل الصالح ماذا ستكون؟!، إذا كان عبادة الله عند رجل قبر صالح ممنوعة فكيف تكون عبادة نفس الصالح؟!.

القوم ماذا يقولون؟ ماذا يكون في نفوسهم؟ يقولون أن عبادة الرجل الصالح أو التقرب إليه حقّ من حقوقه، ونحن نقول الآن ورد في النصوص تحريم عبادة الله عند قبر رجل صالح، فكيف تقولون أن عبادة الرجل الصالح أو التقرب إلى الرجل الصالح حقّ من حقوقه.

إذن العنوان نفسه جملة لابد من حفظها لكي تعاملي من يخاطبك بأن حقّ من حقوق الصالحين التقرب إليهم بالعبادات؛ نقول: ورد في الشريعة التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!.

يعني الجملة نفسها ترتبت على جملة مهمة من قواعد الشرع التي تسمى قياس الأوّلى، وقياس الأولى من الحجج العقلية، ما معنى الحجج العقلية؟ يعني عندما تأتي إلى أحد وتريدين أن تخاطبيه بعقله، تقولي تعلم أن الشريعة نهت عن عبادة الله عند قبر الرجل الصالح بل غلظت فيها، أي شددت، انت الآن بعقلك عندما يكون عبادة الله عند قبر رجل صالح هذا الزجر كله لها فكيف بعبادة نفس الرجل الصالح كيف ستكون؟!.

انظروا إلى الأدلة جيدًا من أجل أن تستعمليها في إثبات هذا، وهذا ما نريده منكم الآن، نريد منكم أن تحولوا نفس الأبواب المحفوظة تحوليها إلى كلام مسرود تستطيعين أن تتكلمي به، يعني كلامك ومعه أدلة.

لو أتيت وقلت لك نأتي إلى أحد مثلًا واقع في قلبه تعلّق بغير الله، وتريدي أن تقولي له أن هذا أو أي أحد غير الله لا يستحق أن تتعلّق به، ما الذي ترى في صفات من أمامك من أجل أن تتعلّق به؟ صيغي الكلام الآن مع أستدلالات، تريدي تنفريه من التعلّق بغير الله؟

واحد له حاجة فذهب تعلّق بحجر أو بشجر ماذا تقولين له؟ هذا الذي تعلّقت به ما الصفات التي رأيتها فيه من أجل أن تتعلّق به؟!.

ثم تستدلين بهذا الباب؟ لا، باب ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُق شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ تبيِّن له أن هؤلاء يستطيعون أن يخلقوا شيئا؟!، يعني الناس الذين يعانون من عدم الإنجاب، وعدم الإنجاب هذه قضية فيها خلق، أن يخلق الله في رحم المرأة الجنين، انظروا لهم يذهبون إلى الأطباء، ويذهبون إلى التلقيح الصناعي، كيف تكون قلوبهم؟ معلّقة، وطبعًا ليس شرطًا كلهم، لكن أقول لو وجدتي أحد بهذه النفسية، يعني الآن عندما نذهب نحجز عند أحد الأطباء، فيذهب ليحجز فيجد الطبيب هذا إلى شهرين ليس عنده حجز معناه القوم كثير، على الأقل كثير، كثير يعني أن له أشخاص كثير يراجعوه، وطبعًا تخيلي هؤلاء الكثير يعني تفاوتهم في معتقدهم وتعلّقهم. هذا الذي تتصورينه من تفاوت أكيد أن هناك في أصل معتقداتهم وتفكيرهم، أريد منك أن تتصوري أنك في مجلس وواقع في قلبها هذه المشاعر، أنها تمدح فلان، أن فلان هذا كل واحدة تذهب له كذا وكذا أنها تنجب، ماذا تقولون لها؟ كلميها، ماذا تعتقدين في هذا؟ ماذا تقولون؟ قولي الأدلة التي تستعملينها؟ قولي لها تعلّقك به كأنك تعتقدين أنه يستطيع أن يخلق في رحمك شيء ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُق شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، أريد منكم أن تتصوري أن هذا المحفوظ يدخل في سياقات، انتم دربوا أنفسكم على هذا.

هذه المرة ماذا سيكون شكل الاختبار أو التمرين؟ أننا سنكتب لك حالات، تصوري امرأة مثلًا هذه حالتها، رجل هذا حالته، ماذا ستقولين له، فتصيغين الكلام مع الاستدلالات.

من أجل أن تتمرنوا على كونكم تستعملوا ما تعلمتم من توحيد في معاملة الناس، وأهم شيء أنكم لا تستعجلوا في الحكم على الحالة، لأن الاسئلة ستأتي بهذه الصورة، لأن هناك حالة قد تتوهمين أنها خطأ!، فتقرأيها جيدًا من أجل أن تفهمي هل هي هذه الصورة أو هي أخذ بالأسباب طبيعي، لأن هذا ما يحدث الآن، أمَّا أني لا أتذكر الأدلة ولا أعرف كيف أرد على الناس، أو أن أي حالة تمر علي أجعلها خط واحد أنها تعلّق بغير الله.

نعود هنا الآن؛ نقول هذا العنوان من باب قياس الأوّلى، اتفقنا على هذا.

أيضًا لو سألتك: ما علّة أن يغلظ هذا الفعل؟ وسيلة إلى الشرك الأكبر صحيح، لكن ماذا تقولين كقاعدة؟

✷ أن الوسائل لها أحكام المقاصد.✷

إذن هذا الفعل وسيلة إلى الشرك الأكبر، **كل ما أدى إلى محرم فهو محرم، فوسائل الشرك محرمة لأنها تؤدي إلى الشرك.**

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

فِي الصّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، أَنّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَتْهَا فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ ، فَقَالَ النَّبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : " أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهَا تِلْكَ الصُّوَرَ ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ " . فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولَهُمَا عَنْها قَالت: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ:"لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلا ذَلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتّخَذَ مَسْجِدًا [أخرجاه].

وَلِمسلِمٍ عَنْ جُنْدَبٌ بن عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ ، وَهُوَ يَقُولُ : " إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ ، أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا ، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا ، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ " .

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن ـ وهو في السياق ـ من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبْنَ مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجداً، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً، كما قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا".

ولأحمد بسند جيّد عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: "إِنّ مِنْ شِرَارِ النّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَالَّذِينَ يَتّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ" [رواه أبو حاتم في صحيحه].

◄ الدليل الأول.

نبدأ بالحديث الأول.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَتْهَا فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ ، فَقَالَ النَّبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : " أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهَا تِلْكَ الصُّوَرَ ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ" .

انظري كلام ابن تيميه بعدها؛

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

نبتدأ الآن بهذا الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها، تحكي عائشة عن أم سلمة، فهي أيضًا من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ممن هاجرن إلى الحبشة.

تحكي للنبي صلى الله عليه وسلم تصف له ماذا؟ كنيسة، كنيسة بمعنى معبد النصارى.

رأتها في أرض الحبشة وقت الهجرة، تصف له ما فيها من الصور، الصور التي تُمثل مَن؟، النبي صلى الله عليه وسلم فسَّر لها هذه الصور تمثل مَن، وماذا يعتقدون فيها.

وهذه الطريقة أو القصة أو الحال التي وصفت لنا من الحديث من أجلّ أحوال المتعلم، يعني أحسن أحوال من يريد أن يتعلم، ما هي أحسن أحواله؟ أنه لو رأى ما يستغرب من أحوال لا يستطيع تفسيرها ينقلها إلى من يعتقد أنه يفسرها بعلم، لأن تجاهل ما ترى وتسمع نقص، لما تسمع وترى أشياء مهمة وصور مهمة وتتجاهلها، ولا تسأل عن تفسيرها، ولا تهتم بتعبيرها، ماذا يحصل لك؟ تصبح جاهلًا.

وهذا الذي يحدث في أحيان كثيرة؛ أنك ترى ظواهر تظهر في المجتمع، وأحوال تحدث بعد أن لم تكن موجودة ونستسلم لها دون أن نسأل هل هذا يصّح أو لا يصّح، وهذا الكلام الآن على ما حدث جديد، يعني أي شيء يحدث جديد، وأيضًا على ما مضى من العادات والتقاليد، في هذا وفي هذا، لابد أن تكون باحثًا عن من يفسر لك إذا كان هذا التصرف سليم أو غير سليم، صحيح أو غير صحيح، هذه الحالة تدلّ على شيء جيد أو ليس كذلك، هل لها مصداق في السنة أو ليس كذلك.

وفي كثير من عاداتنا التي تخصّ البلاد أو عامة على بلاد المسلمين، كثير منها تُلقيَّ من الخرافات، وإذا أرض فيها استعمار تلقوها من الاستعمار، يعني العالم الإسلامي بين قسمين:

- قسم تلقى من الاستعمار ثقافته.
- وقسم من الخرافة تلقى ثقافته.
- وبلدان جمعت بين الأمرين: بين الاستعمار وبين الخرافة.

الخرافة واضح ما المقصود بها؟ خصوصًا في البلدان التي انتشرت فيها الصوفية انتشرت الخرافة، وانتشرت الأشياء التي ليس عليها أدلة، وأفعال لم ترد بها الشريعة، ويقابلها أيضًا الثقافات الأجنبية الناتجة عن الاستعمار.

مثلًا اضرب لكم مثال: كلمة "امسك الخشب" هذه ناتجة عن الاستعمار، لأن الاستعمار عندما كانوا يلبسون صلبانهم التي من خشب، فلمَّا يخافوا على أنفسهم الحسد ماذا يفعلون؟ يمسكوا الصليب إشارة إلى طلب الحماية من الصليب للشخص أو لما يملك أو للشيء الذي يخاف عليه الحسد.

فانتشرت الكلمة بدون أن يلتفت أن هذه أصلها من التغريب، أو من – كما يعبرون – الاستعمار، وانتشرت على العالم الإسلامي بدون من أن يفكر أحد أن هذا ليس من اعتقادنا، بالعكس أن هذا اعتقادنا.

أيضًا لو نظرتي إلى الجهة الأخرى؛ لو تنظري مثلًا إلى الخرافة كيف فعلت بنا، اضرب لك مثال بسيط جدًا، الآن في كثير من الكتب يكتبون " **علي كرم الله وجهه" مع أن هذه اللفظة ليست اللفظة الشرعية المتداولة، بل الترضي عن الصحابة هو الأمر الشرعي**، لكن من أين أتت لنا هذه؟ من خرافات الروافض.

وطبعًا الروافض لهم وجه علينا؛ ما وجههم علينا؟ الصوفية، هم وجهان لعملة واحدة، الصوفية والروافض وجهان لعملة واحدة، بل بقليل تحري وحتى ليس بكثير تحري إنما بقليل تحري خذي كتاب أي واحد من كبار الصوفية وخذي كتاب من كبار الشيعة – الروافض – وضعيهم مع بعضهم سترين كيف الاقتباس والنسخ كلام هذا من كلام هذا، وطبعًا معلوم أن الصوفية ولادتها أتت بعد

الروافض، فمعلوم أن الصوفية هم الاستنساخ من الرفض، المهم انظري إلى أننا نردد كلمات لا نعرف لها أثر، مثل هنا [امسك الخشب]، ومثل هنا [علي] – رضي الله عنه المفروض–، مثله مثل بقية الصحابة هذا ما نعتقده.

على كل حال؛ هذه فائدةفي الهامش، انظري كيف استفدنا واستفادت أم سلمة رضي الله عنها عندما عرضت للنبي صلى الله عليه وسلم ووصفت له الحال الذي رأته، ماذا كانت النتيجة؟ أن هذه الحال فسِّرت لها، فمثل هذا عندما تكون انت في بلادك، في قبيلتك، في قريتك، أحوال الناس يفعلونها وانت لا تعرف سلامها وصحتها لابد أن تبحث عن أحد من أهل العلم في بلدك وبالذات في بلدك لأنهم أفقه بالصورة، ويعلمون مثل هذه الصور.

مثل عندما تأتي في قرى معينة يصفون لك طريقة معينة للدفن في المقابر، فانت الآن من بعيد لا تتصور ما هذه الطريقة، ولا تتصور ماذا يقصدون بها، لكن عندما يكون طالب علم في نفس القرية يكون فاهم ماذا يريدون، لماذا يتجهون بها أولًا إلى هنا، يعني يأتون يأخذوا الميت ويذهبون به إلى أماكن معينة ثم يدفنوه في قبره، لماذا؟ وماذا تعتقدون؟ عندهم اعتقادات معينة.

من الذي يفهم هذا؟ لما تأتي إلى أحد تقولي له عندما يموت الميت يأخذوه ويدفنوه في بلد إلى شمال القرية وغربها مثلًا ثم يدفن، سيجيبه ويقول لا، أن هذا ليس من السنة، والسنة أنكم تدفنوه مباشرة وإكرام الميت دفنه وانتهى، الذي من القرية نفسها أو من البلد نفسها يفهم هم ماذا يقصدون بهذا، فيعرف يفهمها أن هذا له مقاصد أخرى ويقصد كذا وكذا.

يعني حتى لا ننصح أنك تأتي بما يدور في قريتك أو بلدك أو عشيرتك وتنقله إلى أحد لا يفهم، مهما كان كبير في العلم، المقصود أنه لابد من الصورة الواقعية، إلَّا أن كثير من العلماء حفظهم الله في هذه البلد المبارك مع اختلاطهم بالناس في الحرم بالذات فتجد أنه عنده صورة تقريبًا في كل الأحوال، هذا فتح من الله من كثرة من أن الناس يسألوه، ويستفتوه، ويحكي له فيفهم الصورة، فيفتيك بنفس الصور إن كانت قريبة من بعضها.

على كل حال؛ أولًا " أُولَئِكِ " هذه اللفظة إذا خوطبت بها الأنثى تُكسر همزتها.

فسَّر لها، هؤلاء القوم ماذا يحصل لهم أو ما هذه الصور التي عندهم؟ كان الجواب: "إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ – كان هذا الظاهر شك من الرواي – بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا".

لاحظ أن أم سلمة تصف للرسول صلى الله عليه وسلم كنيسة أي معبد النصارى، والنبي صلى الله عليه وسلم قال:"بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا" ، فماذا تفهمين من هذا الكلمة؟ **أن كل مكان عبادة يسمى مسجد**، وهذه المعلومة مهمة جدًا ستفيدنا عندما نتقدم في الأدلة؛

✷ كل مكان يتخذ لعبادة الله عز وجل يسمى مسجد.✷

الآن الكنائس الواقعية تتخذ لعبادة غير الله، لكن انت انظري للنبي صلى الله عليه وسلم ماذا قال؟ " أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا" لماذا بنوا على قبره مسجدا؟ يعبد " الله" عند قبره، يعبد "الله " ولذلك قال: "مَسْجِدًا"، يعني كل مكان تسجد فيه لله أو تعبد الله إطلاقًا يسمى مسجد.

"وَصَوَّرُوا فِيهَا تِلْكَ الصُّوَرَ" إذن الآن عندك أمرين:

- إذا مات بنوا على قبره، بناء على القبر هذه أول مشكلة.
- الأمر الثاني: نفس المقبور يصوروا له صورة في المكان الذي سيعبدون الله فيه.

إلى هنا تبيَّن لكم كيف أنهم عبدوا الله عند قبر رجل صالح.

نرى أين التغليظ أتى؟ "أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ" هذا هو التغليظ، يعني أشد الناس شرًا، لماذا هم أشد الناس شرًا؟ لأنهم فتحوا باب الشر على الناس.

لو سألتك ماذا يفعلون النصارى بأمواتهم الصالحين- هذا كله استنباطًا من الحديث- ؟ أولًا يبنوا على مقابرهم مساجد، ماذا يفعلون بها؟ فلنذكر الأمران اللذان يقعان فيه ثم نذكر السبب.

- **الأمر الأول**: أنهم يبنوا على قبورهم مساجد.
- **الأمر الثاني**: يصوروا صور.

السبب الذي من أجله فعلوا هذا؛ لماذا فعلوا هذا الفعل؟ **يفعلوه من أجل أن يتعبدون الله عنده معتقدين أن العبادة في هذه الأماكن خير من العبادة في غيرها**.

لو سألتك: ما السبب الذي من أجله فعلوا ذلك؟ جلسوا في هذا المكان وفعلوا هذان الفعلان من أجل أن يتعبدوا الله، معتقدين أن عبادة الله هنا أفضل من غيرها، ومن هنا تبدأ المصيبة، يكفيك أنهم يصَّلون لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا" المسجد ما هو؟ مكان عبادة الله، عند النصارى يسمى كنيسة.

عندما تعرفي الكنيسة ماذا تقولين؟ معبد النصارى، معبد النصارى يعني مكان عباداتهم، لو كانوا يعبدون الله كنا سنقول عنه مسجد، لأنه مكان السجود والعبادة لله، لكن هم في الحقيقة لا يعبدون الله.

وصف من فعل ذلك ماذا وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم؟ "شِرَارُ الْخَلْقِ".

ما علّة هذا الوصف؟ لأن عملهم هذا فتح لباب الشر وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر.

انظري ماذا قال ابن تيمية قال:

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

فتنة القبور واضحة في كونهم بنوا على القبر، فتنة التماثيل في التصوير.

هاتان الفتنتان تجتمعان وتفترقان:

- بمعنى أنها تجتمع عند أقوام فيبنون على المقابر مساجد ويصورون صورة الميت، وهذا الأمر حديثًا أصبح سهلًا، يعني فيما مضى كانوا ينحتون، الآن بكل سهولة يفعلون هذا الفعل، وانتم تعرفون هذا الشيء، يعني الذي يرى في أماكن كثيرة موجودة في العالم الإسلامي، والآن حتى أنها تصور في الإعلام، وترى صورة الشخص وقبره – مكان القبر – ثم كيف أنهم يتمسحون وكيف أنهم يصَّلون إلى أخره، أو يضعوا الصور في نفس المسجد لو كبير، بحيث أنك تفهمي أن هذا مسجد فلان، هذا اجتماعهما.

❖ أمَّا افترقهما فظاهر؛ أن يكون على قبره مسجدا، وأن تكون صوره عند أتباعه يجلونها ويضعونها في أماكن بارزة، يكونوا أتباع لمذهب معين، أتباع لشخص معين.

الآن هؤلاء الصوفية الأمر عندهم واضح، تدخل بيوتهم تجد صور في بيوتهم تقول من هذا؟ يقول لك شيخ الطريقة فلان الفلاني، إلى درجة أنهم ممكن أن يضعوه حتى في محافظهم تقديسًا وتعظيمًا له وإحساسهم أنه عندما نراه نذكر الله، هذا الكلام هم يقولوه، ويأتون بتلفيق من نصوص وأحاديث أن من الناس من إذا رأيته ذكرك الله، ويعتبرون أن هذا من بين الطرق التي بها نذكر الله، على كل حال لابد من بيان بدقة الرد عليهم، الآن أريد منكم أن تتصوروا أن هاتان الفتنتان تجتمعان وتفترقان.

لو فكرتي في قوم نوح ماذا تقولين على هاتان الفتنتان؟ اجتمعت في مكان واحد أم تفرقتا؟ راجعوا مرة أخرى من أجل أن يتبيَّن لك من الحديث إذا هم افترقتا – يعني وجدا متفرقتان– أم اجتمعوا في مكان واحد؟ انظري النص، في نفس المكان؟ لا؛

- الصور في مجالسهم، والمساجد عند قبورهم هذا فهم للنص.
- أو يمكن أن يقال أن مجالسهم دفنوا فيها ونصبوا فيها الصور فاجتمعا.

لا بأس لكن المهم أنك تفهمي أن هاتان المصيبتان قد تجتمع وقد تفترق، وفي النهاية المصيبة موجودة.

وهذا يؤهلكم أن تفهموا عندما ندخل باب ما جاء في المصورين، يعني بهذه النفسية أدخلي باب ما جاء في المصورين، لا تدخلي بنفسية عموم البلوى، يعني التصوير مما عمّت به البلوى صحيح، والنقاش فيه يصعب الآن مع الناس لكن بهذه النفسية أدخلي باب ما جاء في المصورين، وتصوري المسألة، وتصوري بعدها، وتصوري عند قوم ماذا سيحصل به بعد مائة سنة ماذا سيحصل به، القوم لا يفكرون في عوامل تكوين الاعتقادات، **يعني الزمان والمكان من عوامل تكوين الاعتقادات**، والاعتقادات يبدأ نقطة ثم ينتشر، وإذا نظرتي إلى المولد النبوي تفهمي هذا جيدًا، تفهمي أن المولد النبوي كان اجتماع بين عدد يعد على الأصابع ثم انظري ماذا حصل في نهايته!

كيف اليوم يؤسفنا كثير من التقويمات[الهجري أو الميلادي] بكل أشكاله وطبعًا هذا ليس في المملكة، لكن نسأل الله أن يدفع عنا وعن بلاد المسلمين، تجدي في التقويم مكتوب عيد مولد النبي، هذا اليوم يعني، على أنها مناسبة دينية محضة، في الحرم الآن عندما نجد أحد في أيام عيد الحج وعيد الفطر تجد القوم لا يستشعرون، فلنقل عيد الفطر في شوال، تجد القوم لا يستشعرون مشاعر العيد، وتعال أيام ربيع في ربيع الثاني وقت ما يعتقدون المولد تجد أحد يقول لك نحن كل سنة في العيد نأتي!.

فتسأليها في رمضان في الحج؟ لا، تقصد هذا الزمن، في هذا العيد، طبعًا هذه مسألة إذا نظرتي تلوم الناس؟! تلوم أهل الدين؟!، تلوم مَن في هذه البلوى العظيمة؟!، على كل حال المقصود الآن أن مثل هذه البلاءات [مسألة التصوير ومسألة المولد النبوي] تبدأ صغيرة ثم تكبر، فلا تستهيني، ليس لأن عمّت به البلوى تنظري للمسألة بسهولة ويسر، وسيأتينا – إن شاء الله – النقاش في باب ما جاء في المصورين، ويأتيك كلمة "كل مصور في النار"، و "كل" هذه ألفاظ العموم التي استثنائها بعيد، يعني كون أن تخرجي منها شيء أمر بعيد، لكن على كل حال نتناقش فيها عندما نصل، الآن هنا تصوري كيف أن التصوير أورث الناس الوقوع في الشرك.

ساملیكم كلام لان تيميه ثم ننتهي من الحديث ثم افتح لكم باب النقاش.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس بخشبة أو حجر ولذلك تجد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلوها في بيوت الله ولا في وقت السحر، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد، فلأجل هذه المفسدة حسم النبي صلى الله عليه وسلم مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقًا وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد.

يعني المساجد لها بركة، ما بركة المساجد؟ مضاعفة الأجور فيها، والمساجد التي فيها حلق، وفيها ذكر روضة من رياض الجنة، لكن المقابر لا يعتقد فيها أبدًا هذا الاعتقاد.

صوري لي الفتنة لبناء المساجد على المقابر؟ كيف تكون فتنة؟

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: خطوات، وهذا الذي لابد أن تتصوره، أن المسألة لا يأتي مرة واحدة.

صوروا لي فتنة بناء المساجد على القبور، كيف تأتي الفتنة؟ سينغر الناس، سيقع الناس في غرر، لأن هذا مسجد الآن على قبر ونحن نعبد الله، يبقى في أذهانهم أنهم يعبدون الله عز وجل فيرون أن عبادة الله عند القبور لا بأس فيها أصلًا، ثم يلبس عليهم الشيطان فيجدون في نفوسهم وقت الصلاة في هذه المساجد ما لا يجدونه في غيرها.

وهذا الكلام ذكرناه الأسبوع الماضي أن يقع في نفوسهم الرغبة والخشية ما لا يجدوه في مكان أخر، ثم انت ترى أن عابري السبيل وغير المستوطنين يمرون على المسجد فيدخلونه وهم لا يعلمون، واضح أين الفتنة؟ يعني الفتنة لمن يعلم والفتنة لمن لا يعلم، كلا الطرفين له هذه المسألة فتنة.

صوري الفتنة الموجودة في الصور؟

سؤال من الحاضرات: شخص لا يعلم ودخل صلى هل عليه ذنب؟ رد من الأستاذة: هذه مسألة أخرى، لا ابتداءً ليس عليه ذنب، لكن لو علم، ولو وقع في قلبه بعدما علم أنه تقرب إلى الله بهذا العمل، ولو خرج إلى قرى أخرى وقلد عملهم ستجد وراء هذه المسألة مسائل.

الآن ما الفتنة في التصوير؟ كيف يفتتن الناس بالمصورات؟ ماذا يحصل في قلوبهم؟ يتعلّقون بالصورة، يتعلّقون بنفس الصورة، وهذا ما تجده دائمًا، أن الناس إذا توفى لهم محبوب وبقيت صوره انظر ماذا يفعلون، يتكلموا معهم ويخرجوا لهم شيء كثير من مشاعرهم عندما يروا صورهم – نسأل الله عز وجل أن يثبتنا – لأن فقد المحبوبين خصوصًا من الأبناء والأزواج والآباء والأمهات، أمر غاية في الصعوبة خصوصًا عندما يكون هناك ارتباط شديد، فيعوضوا هذا الأرتباط بالصور، بدل من أن يعوضوه بالدعاء وسؤال الله لهم الرحمة ،يعوضوه بالتعامل بالصور، وعندما يكون هؤلاء طلاب ولهم شيخ، عندما يكون عابد وهم يتعلمون منه، وعندما يرون أن الله عز وجل كان يرزقهم بسببه، هذا كله أنواع من الارتباط، عندما يموت يشعرون بفجوة في قلوبهم، فيسدوا هذه الفجوة بالصورة بدل من أن يسدوها بالصبر وبالدعاء وبسؤال الله أن يجبر قلوبهم، **فانت ترى أن الصور نوع من أنواع الجبر للقلوب الضعيفة التي إذا جبرت على هذا تعلّقت بغير الله وماتت.**

ما معنى هذا؟ نحن لا ننكر أن صالحًا يُفقد هذه ثُلمة – نقص – في جدار الإسلام كله، العلماء موتهم نقص – ثلمة – أمر لا ننكره، السؤال الآن وانت موحد لا تنكر أنه نقص وثلمة **إنما تختلف مع غيرك في طريقة جبر هذا النقص**، كيف تجبر النقص؟

انت كيف تجبر النقص عندما يموت لك طالب علم أو يموت لك عالم أو عابد؟ تسأل الله الجبار أن يجبر قلبك، ويجبر قلب المسلمين، ويجبر ثلمة الإسلام بهذا الذي مات.

لكن هم ماذا يفعلون؟ يصورون من أجل أن يجبرون النقص الذي وقع عليهم، فإذا جبرت قلوبهم على هذه الصورة لا تسأل بعدها ماذا يحصل لهم من موت قلوبهم وقوة تعلّقهم بالصورة!.

إذن نحن لاننكر أن موت الصالحين فجيعة، فجيعة يفجع بها المسلمين، لكن الحل لجبر هذه المصيبة عند أهل السنة دعاء الله وسؤاله أن يبدلنا خيرًا منهم، وأن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين وهكذا.

هل لديكم سؤال على ما سبق؟

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أجبنا هذا السؤال، هو هل يأثم؟ هو يفتن، يمكن أن يفتن، قلنا كيف يفتن؟ يستحسن المسألة، ينقلها إلى قريته إلى بلده، يرى مما يوقع الشيطان في قلبه، هو لا يقصد شيئًا، عابر سبيل يدخل يصلي عندما يخرج يقولوا له هذا مسجد فلان الفلاني، فيقول نعم ولهذا وجدت في قلبي خشوع وخضوع فيفتن!، حتى وهو عابر سبيل يفتن!.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نبقى على نفس المصيبة؛ أن هذا نوع من أنواع تعليق القلب بالصور، لكن هو حيّ، بدل ما تتعاملي مع الصور تعاملي مع الحيّ!، لكن هذا من تلبيس الشيطان عليهم، وهذا موجود كثير.

لكن انت الآن يجب عليك أن تعتقدين أن مثل هذه حيلة من الشيطان، لأن والديك أو من تحبين ليسوا بحاجة أن تتأمليهم في الصور، من تحبين بحاجة إلى دعاءك، إلى سؤالك لهم الله عز وجل بأن يرحمهم، يعني مثل هذه الحيل من الشيطان الغير متصورة، مثل الحيلة الأخرى عندما يموت ميت فيتنشر بين أفراد الأسرة أن وجهه كان منيرًا، أن حمله كان خفيفًا، أن قبره كان سريعًا ثم تهدىء نفوسهم ولا تسمعي أحد يدعي إلى الميت، ويشعروا أنه أحسنت خاتمته فانتهى الموضوع!، وهذا موجود، انت لو كنت في هذا الموقف ماذا تكون مشاعرك؟ تشعري بهدوء أنه ربنا أحسن خاتمته فالحمدلله والله يسهل له.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: من جهة البكاء صحيح، إلى هنا صحيح، لا تبكي عليه، انت ابكي على نفسك الآن، انظر انت الله أعلم ماذا يكون لك، وإن كان الدموع لا بأس بها، لأن هذا نوع من أنواع الرحمة التي وضعها الله في قلب العباد لا يمكن أن نتجاهلها، لكن الإشكال في البرود الذي يحصل تجاهه، أنه لا ندعو له، أمَّا البكاء – ليس هناك كلام فيه – فلا بأس به، يعني كونك تستبشر أن هذا من رحمة الله بي أنه حصل له كذا وكذا الحمدلله، ثم ترى أنه إلى ربه مقبلا، وأنه إلى عالم أحسن من عالمك ارتاح، وارتاح منا ومن التعب، صح، هذه مشاعر صحيحة، لكن انت ادعو الله، حسن الخاتمة هذه واحدة من العلامات، أو حتى لا يكون علامة، ثم أن الناس يغروا الناس، يعني لا يكون بهذه الصورة التي وصف، هناك مبالغات كثيرة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أنه يحصل له هذه الأشياء، انت الآن أمره إلى الله لكن هذه الاستبشارات الزائدة التي تمنعك من نفعه اتركها، يعني نحن نُغر، بأشياء كثير نسمعها نُغر بها.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نعم، هذه التهمة من زمن طويل ونحن نسمع أن عدم احتفالكم بالمولد النبوي لأنكم لا تحبون النبي صلى الله عليه وسلم، حتى هذا الكلام وجه للشيخ بن باز، وعندما سمعه بكي الشيخ بن باز في نور على الدرب، عندما سمع بكى، نحن لا نحب النبي صلى الله عليه وسلم؟!، حب النبي صلى الله عليه وسلم يعني إحياء سنته، حب النبي صلى الله عليه وسلم يعني العلم عن ما أتى به، انت اسأليهم ماذا تعرفون عن صحيح البخاري وعن صحيح مسلم، ماذا تعرفون عن سنة

النبي صلى الله عليه وسلم، انتم لا تتذكروا النبي صلى الله عليه وسلم إلَّا يوم في السنة في هذا اليوم الذي تذكرونه، وكله مدائح بكلام لم يرد في وصفه، ثم أن غالبكم عندما تجتمعون في المولد النبوي؛ غالبهم – أي غير المتشددين منهم – غالبهم يجتمعون لما سيأكلون ويشربون ويفعلون فيه لا ما يذكرون فيه!، وهم يفهمون هذا الشيء!

وهم بأنفسهم يسمون جماعة منهم مرتزقة لأنهم لا يأتون إلى هذه الأماكن إلَّا لمجرد أن يأكلوا ويشربوا، ثم اليوم تراه في أماكن فخمة، وفي فنادق، وطبعًا هذا كله بالباطل طبعًا في المملكة بالباطل يحدث، فتراه كأنه احتفال عادي، ويأتون ببطاقات، لماذا يأتون ببطاقات؟ لأنهم يعرفوا أن من سيأتون لا سيذكرون ولا سيفعلون، يعني بالله تذهب إلى فندق أو إلى قاعة أفراح ويذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم؟!، قولي لي بأي صورة؟!، يعني من يدخل عليهم لا يفهم إلَّا أن هؤلاء فرقة من فرق الغناء محتفلة وهؤلاء الناس يشاركونهم الاحتفال، هذه حالتهم، يغنون ويرقصون ويأكلون وكل واحد يذهب بيته!، ما هذا التعظيم العظيم؟!؟!

أي واحد يراهم من بعيد يفهم جيدًا أن لا يمكن أن يكون هذا هو الإسلام، أصلًا لعلمك الصوفية سبب لارتداد ناس كثير عن الدين الإسلامي في أمريكا، لأنهم خرجوا من خرافة إلى خرافة، حتى أن لهم منظمة لها اسم معين، إن شاء الله نتكلم عن هذه المنظمات الصوفية التي تدعو إلى الإسلام في أمريكا، وفي العالم الغربي، وكيف أنهم بسببهم وبسبب تعريفهم للإسلام بالصورة التي عرضوها ارتد ناس كثيرين على الدين، ارتد بعد دخولهم وناس لم يدخلوا أصلًا، بمعنى أنهم صدوهم لم يدخلوه.

بسبب ماذا؟ بسبب دين الخرافة الذي يتكلمون عنه، انتم تعرفون عنهم شيء غير الغناء في المولد والرقص والذكر الجماعي الذي يتمايلون فيه، ثم الأكل والشرب بعدما تحضر روح النبي على ما يقولون، طبعًا ليس كلهم يقولون هذا المقطع، مقطع حضور روح النبي ليسوا كلهم، لكن في النهاية نموذج واحد، وهو اسمه احتفال.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا يغرك لأنهم في أول الأمر يكون هذه صورتهم، صورة الجلوس والخشوع، وأنا اقول لك النهاية ماذا تكون، لأن في البلد عوائل معينة هي التي تفعل هذا الفعل، هذه العوائل المعينة عندما كانوا أهل فقر وليسوا أهل غنى كان فيهم هذا، أنهم يلبسوا الطرح البيضاء، ويجلسوا في مكان، ويجلسوا جلسة معينة، وخشوع ومنزلين رؤوسهم، عندما أعطاهم الله المال خرجوا إلى القاعات، تطوروا، لكن هؤلاء لسه في المرحلة الأولى وسيتطوروا.

أمرهم معروف، على مستوى العالم الإسلامي امرهم معروف، بمعنى أن كل واحد فيهم لا يقف مكانه، أصلًا عندهم برامج لتطوير المولد النبوي، اسألوا ماذا فعلتم في السنة الماضية، وبماذا أتيتم من ورد جديد ومن ورد قديم، ثم انظري هم من التجانية، أو النقشبندية، وانظري أيضًا هم يعودون إلى مَن، لأن شيخ الطريقة عندما يتجدد ويأتي الذي بعده فيأتي لهم بوصوفات جديدة، وانظري من شيخهم، ومن أي بلد يأتي، على حسب؛ إذا كان من اليمن سيكون لهم طريقة، إذا كان من مصر مثلًا سيكون لهم طريقة، تخصصات المسألة!– الله المستعان – .

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نحن لو نريد نتكلم عن هؤلاء لن ننتهي منهم، لكن نتعلم التوحيد هذا هو المهم ثم اقرئي في كتبهم.

أنا أنصحكم الآن ألَّا تواجهوا هذه الجماعات مواجهة، ولا تدخلوا في نقاشات حول المولد، انتم عليكم بالتمسك بالسنة حقيقة، انتم ماذا تحبون؟ إلَّا تحبون النبي صلى الله عليه وسلم؟ من هو الذي سيذكر النبي ليلًا ونهارًا؟ الذي ينام بعلم، ويصحو بعلم، ويأكل بعلم ويشرب بعلم ويفعل تفاصيل حياته بعلم، هذا الذي يحب النبي صلى الله عليه وسلم، لأن أول شيء سيأتي في ذهنه

أن النبي عندما تعارى من الليل ماذا قال، وإذا تقلبت ماذا تقولين، ومن أين لك هذا الذي ستقولينه؟ من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وإذ فتحت عينيك ماذا ستقولين، إذا قمت ماذا ستقولين، إذا استعملتي دورة المياة ماذا ستقولين، إذا خرجتي، إذا دخلتي بيتك، هذا الذي يحب النبي صلى الله عليه وسلم!، اتعلم بالتفصيل ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم – لكن الله المستعان.-

الدليل الثاني.

وَلَهُمَا عَنْها قَالت: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يعني نزل ملك الموت ليقبض روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم.

طَفِقَ

طفق بمعنى جعل.

يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ

الخميصة كساء فيه خطوط.

فَإِذَا اغْتَمَّ

أي أصابه الغمّ بسببها

كَشَفَهَا فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ:

"وَهُوَ كَذَلِكَ" يعني هذا الكلام الذي سيقوله النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حالة الاحتضار.

"لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا،

يعني تحذيرًا لأمته من أن تصنع ما صنعوا، سنفهم بعد ذلك هذا الكلام.

وَلَوْلا ذَلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ ،

أبرز يعني أخرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيته ودفن في البقيع مع أصحابه، يعني لولا هذا لأخرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيته ودفن في البقيع مع أصحابه.

غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا [أخرجاه].

أخرجاه: المقصود به البخاري ومسلم.

بهذا انتهى البعيد، وهذا الكلام بعد كلام النبي صلى الله عليه وسلم كلام عائشة رضي الله عنها، من عند"يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا" هذا إدراج في الحديث من كلام عائشة رضي الله عنها.

إذن ما هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم؟ : "لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"، عائشة رضي الله عنها فهمت منه وهي معه، فهمت منه معنى تحذيره في هذا الوقت، والنبي صلى الله عليه وسلم يحتضر يقول: "لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" ماذا تفهمين؟ أن كلامه هذا زيادة توقيع وهو يحتضر نوع من أنواع التحذير، فقال عائشة: "يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا" ولا يمكن أحد يفهم أحسن من فهمها، لأنها مع النبي صلى الله عليه وسلم، لأنها حضرت الموقف، لأن هذا وجة النبي صلى الله عليه وسلم، هذا كله أسباب تجعل فهمها هو الصائب على فهم أي أحد يأتي بعد ذلك، لأن هذا الحديث أتوا به

وجردوه من كلام عائشة وقالوا "لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" كيف فسره الذي تكلم؟ قال مساجد يعني يسجدون عليها، وهذا مفتي أحد الدول!، تصوري المعنى!، سيكون معناه أن الذي ممنوع عليك السجود عليها، وماذا قالت عائشة رضي الله عنها؟ هذا الإدراج يبيِّن لك، ماذا قالت؟ "يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا" يعني هذا القول لتحذير لأمته أن تصنع مثلما صنعوا،"وَلَوْلا ذَلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ" ، ما معنى أبرز قبره؟ أي خرجوا به من بيته إلى البقيع، "غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا" إذن هذا السبب الذي لأجله لم يخرج قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

سنأتي بعد ذلك حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول أن الأنبياء يدفنون حيث يقبضون.

بقي علينا أن نعرف "غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا" :

- وردت لفظة "خُشِيَ"بالضم، أي على صيغة المجهول.
- ووردت أيضًا بالفتح "خَشِيَ" على صيغة المعلوم.

إذن ورد لفظ خشى بضبطين: بفتح الخاء وبضمها.

- بفتح الخاء ما هو المعنى المناسب؟ أن الذي "خَشِيَ" هو الرسول، يعني الرسول صلى الله عليه وسلم خشى وأمرهم بعدم إبراز قبره وإنما بالقيام بدفنه في المكان الذي قبض فيه.
- ولو كان بالضم "خُشِيَ" سيكون عائشة رضي الله عنها والصحابة رضي الله عنهم هم الذين خشوا وخافوا أن يقع ذلك من بعض الأمَّة فلم يبرزوا قبره، وإنما دفنوه في مكانه الذي قبض فيه.

وكلا الفهمين صحيح.

إذن لو أتينا بحديث أبو بكر رضي الله عنه عندما مات النبي صلى الله عليه وسلم واختلف الصحابة في دفنه ماذا قال أبو بكر رضي الله عنه؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ ، قَالَ : " مَا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ " . – ثم قال لهم – ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ".

ماذا تفهمين؟ أن النبي صلى الله عليه وسلم خَشي، وأن الصحابة أيضًا وقع في قلوبهم الخوف من ماذا؟ من أن يفعل بقبر النبي صلى الله عليه وسلم كما فعل بقبور من قبله من الأنبياء، إذن هذا السبب الأول لدفنه في موضعه، السبب الثاني ما ذكر من حديث أبو بكر رضي الله عنه.

إذن لو سألتي ما سبب دفن النبي في بيته؟ هناك سببان:

- السبب الأول: أن الصحابة أو النبي صلى الله عليه وسلم خافا من إبراز القبر، النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة على حسب ضبط خَشى أو خُشى.
- السبب الثاني: الحديث الذي ذكره أبو بكر رضي الله عنه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة:" مَا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ" هذا سبب أن يدفن في بيته، لم يذكر لنا سبب لماذا يدفن في المكان الذي يقبض فيه، لم يذكر في الحديث، لكن الحديث سبب للدفن.

الآن تبيَّن لنا من حديث عائشة رضي الله عنها خطر اتخاذ القبور مساجد،"لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"، والوعيد الشديد عند الله عن من فعل ذلك، وهذا طبعًا بسبب اللعن.

لكن السؤال الآن ما علاقته بالباب؟"اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"، هذا الشاهد هنا: "اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" كيف يكون إتخاذها مساجد؟ الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها، الآن عندما يريد أن يصلي ماذا يفعل؟ سيسجد هذه صورة، الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها ورد حديث واضح؛ قَال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، " لا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلا تُصَلُّوا إِلَيْهَا" أنا الآن أكلمكم عن صور إتخاذ المقابر مساجد.

الصورة الأولى: الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها، ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ "لا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلا تُصَلُّوا إِلَيْهَا"هذا الحديث أخرجه مسلم.

وأيضًا حديث أخر: " لا تُصَلُّوا إِلَى قَبْرٍ ، وَلا تُصَلُّوا عَلَى قَبْرٍ " هذا حديث أخرجه الطبراني.

وسنفهم ما معنى "إلى" الآن.

الصورة الثانية من صور إتخاذ القبور مساجد: السجود إليها، ليس عليها ، إنما "إليها"، يعني تكون هي في القبلة، واستقبالها للصلاة والدعاء.

الصورة الأولى: الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها، يعني سيكبر ويصلي أين سيسجد؟ عليها مباشرة، تكون تحته، الصورة الثانية السجود إليها.

- الأولى السجود عليها.
- الثانية السجود إليها.

ما معنى إليها؟ أي تصبح في قبلة المسجد، ولذلك تجدون أن العلماء عندما أحد يسألهم دائمًا في نور على الدرب يأتي هذا السؤال، أنه يسأل أن في قريتنا هناك مسجد فيه قبر، أول سؤال هل في القبلة أم ليست في القبلة، لماذا؟ لأن النص واضح: "لا تُصَلُّوا إِلَى قَبْرٍ ، وَلا تُصَلُّوا عَلَى قَبْرٍ" إلى قبر أي يكون في قبلتكم.

الصورة الثالثة من صور إتخاذ القبور مساجد: بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها.

- عَنْ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ".

ثلاثة: أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه.

- وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدري، قَالَ : " نَهَى نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبْنَى عَلَى الْقُبُورِ ، أَوْ يُقْعَدَ عَلَيْهَا ، أَوْ يُصَلَّى عَلَيْهَا " .

هذا الحديث فيه الاثنين أن يبنى على القبور أو يصلي عليها، يبقى لنا الثالث: الصلاة إليها، واضح الأدلة.

- حديث عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : " كُنْتُ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْ قَبْرٍ ، فَرَآنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : " الْقَبْرَ الْقَبْرَ "، ماذا يقصد؟ التحذير له، " الْقَبْرَ الْقَبْرَ "يقصد التحذير له.

إذن الآن لو أريد منك أن تصفي لي من يدخل في اللعن في الحديث؟ لأننا نقول " **باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده**" التغليظ هو باللعن في هذا الحديث، هذا اللعن أتى لمن؟ لمن أتخذ القبور مساجد، من الذي أتخذ القبر مسجدا؟ واحد عبد الله، أتى عبد الله لكن [صلى على القبر، أو صلى إلى القبر، أو بنى المساجد على القبور] هذه ثلاثة حالات.

ما هي الثلاثة حالات؟ من أتخذوا القبور مساجد:

- صلى على القبر.
- أو صلى إلى القبر.
- أو بنى عليها مسجدا.

يعني ليس شرطًا أن يبني، لأن الحديث أتخذوا"اتَّخَذُوا"، ما معنى "اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"؟

- بنوا عليها هذا أشهر مفهوم.
- صلوا عليها.
- صلوا إليها.

يعني جعلوها بينهم وبين القبلة أو صلوا على نفس القبر، أو بنوا عليه، كل هذه أحوال.

كيف تردين على من يصلي عند القبور رجاء بركتها زاعمًا أن أحاديث النهي خاصة بمن بنى على القبر مسجدا؟

ماذا تقولون؟ "اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" لا تعني بنوا، لكن هذا أحد المعاني، فالأتخاذ معناه [الصلاة على القبور، الصلاة إلى القبور، بناء المساجد عليها].

سؤال من الحاضرات: تسأل أنه فسِّر الحديث بأنهم: عبدوا أنبيائهم بإتخاذ قبورهم وليس المقصود أنهم عبدوا الله في هذه المساجد لأنها لم يرد لفظة عبادة.

رد من الأستاذة: سيأتينا الكلام عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم، كلام منفصلا.

لكن يبقى هنا الكلام حول أنهم أتخذوا قبور أنبيائهم مساجد من أين فهمنا أنهم عبدوا الأنبياء؟ أين الجملة التي فهمنا منها أنهم عبدوا الأنبياء؟ هم أتخذوا قبورهم مساجد كلمة مساجد هذه يسجدوا فيها لمن؟ يسجدوا فيها لله، لا يصلوا لنفس المقبور، على كل حال سيأتينا بيان في الحديث الذي بعده أيضًا.

انظري الحديث الذي قبله: " أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهَا تِلْكَ الصُّوَرَ ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ " ماذا فعلوا هؤلاء؟ إذا مات ماذا يفعلون؟ بنوا على قبره مسجدا، وصوروا له تلك الصور.

سؤال من الحاضرات: يقال صوروا في هذا المسجد إذن هم يجلوا هذا العبد الصالح – تقصد ليس لعبادته –

رد من الأستاذة: سنرى الآن هل هذا هو الفهم الصحيح للنص أم لا، سيأتيكم بعدها.

قبل أن ننتقل لهذا هناك حجة أخرى يحتجون بها على هذه الأحاديث؛ يقولون أن اللعن الذي ورد في إتخاذ القبور مساجد لأجل نجاسة المكان بصديد الموتى؟

لو نظرنا "اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" هذه الجملة يقولون أن اللعن بسبب النجاسة، ماذا نقول؟ لأن لو أنا انظر الآن"اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" والأنبياء الأرض لا تأكل أجسادهم، يعني أن قبور الأنبياء من أطهر البقاع، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم، يعني هذه ليست العلّة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هم أتوا إلى هذا الحديث، هم لو قالوا غير هذا على غيره نقول الكلام أتى على الأنبياء والانبياء ليس فهم هذه العلّة التي تذكرونها.

الدليل الثالث.

ننتقل إلى الدليل الذي بعده.

وَلِمسلِمٍ عَنْ جُنْدَبٌ بِن عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ ، وَهُوَ يَقُولُ : " إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ ، أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ ،

الخلة شدة المحبة، أعلى درجات المحبة، الصحبة لا بأس بها، لكن الخلة هي التي نفاها النبي صلى الله عليه وسلم.

فَإِنَّ اللَّهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا ، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا ، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا،

هذا الكلام قبل موته بخمسة أيام إشارة إلى خلافة أبو بكر رضي الله عنه،

أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ ".

إذن هنا نفس العبارة: "فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ"

تتذكروا أحاديث التي مضت؟ اشرحوا "أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ" من الأحاديث، ليست في نفس الباب لكن التي أمليناها، التي في مسلم والطبراني، النبي صلى الله عليه وسلم ماذا قال؟ "لا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلا تُصَلُّوا إِلَيْهَا" هذا الحديث رواه مسلم.

إذن ماذا تفهمين "اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"؟

"لا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ" النهي عن الجلوس.

"وَلا تُصَلُّوا إِلَيْهَا" لا تصلوا إليها أي لا تجعلوها قبلة.

إذن هذا يبيِّن لك معنى "اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" أو النهي عن اتخاذ القبور، لأن أحد يقول لك هم عبدوا نفس القبر نقول النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلا تُصَلُّوا إِلَيْهَا" وفي الرواية الثانية: " لا تُصَلُّوا إِلَى قَبْرٍ ، وَلا تُصَلُّوا عَلَى قَبْرٍ".

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هم فهموا من الحديث أن اللعن لأنهم عبدوا غير الله، نحن نقول الآن أولًا: عبادة غير الله هذا لا يأتي بمسألة اللعن، ستأتي بالكفر، وإن كان الكفار يأتي عليهم اللعن، نحن نريد أن نفهم ما معنى أتخاذ القبور مساجد المنهي عنه؟ افهمي معنى اتخاذ القبور من نصوص أخرى، لم يرد في مسلم أتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ليست فيها هذه الكلمة، لكن فيه كيف تعامل القبر، كأنك تقول هذا: كيف تعامل القبر؟

أولًا: ورد في مسلم "لا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلا تُصَلُّوا إِلَيْهَا"؛ ما معنى "إِلَيْهَا" أي لا تجعلوها قبلة.

ثانيًا: جاء في الطبراني: " لا تُصَلُّوا إِلَى قَبْرٍ ، وَلا تُصَلُّوا عَلَى قَبْرٍ"، يعني هنا قيل لك كيف تتعامل مع القبر، كيف تتعامل مع القبر هو تفسير هذا، أي لا تفعلوا هذا.

ثالثًا: ثم ورد الحديث الذي في مسلم أيضًا كتاب الجنائز، "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ ..". ما معنى أن يجصص؟ يعني يرتفع عن الأرض، يصبح بارزًا، هذا الحديث في مسلم "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ".

هذا كله واضح، هل هناك أحد الآن يستطيع أن يقول شيئا على هذه النصوص؟!، النصوص واضحة، فانت الآن عندما تأتي تريد أن تفسر "اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" تقول أنا لا أريد أن أتخذ قبور الأنبياء مساجد ماذا أفعل؟ نقول السُّنة وصفت لك ماذا تفعل مع القبر:

▪ لا تصلي إليه. ▪ لا تصلي عليه. ▪ لا تبني عليه.

من أين لكم هذا؟ من هذه النصوص، يعني أصلًا تفسيرًا "اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" مبني على النصوص الأخرى التي تفهمك كيف تتعامل مع القبر.

هم يقولون "اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" يعني عبدوا نفس الأنبياء، لو عبدوا نفس الأنبياء سيكون حكمهم أنهم كفروا، خرجوا عن الملّة، لكن نحن نقول لا تعبد الله عند قبر رجل صالح، لماذا لا تعبده؟

- لأن النبي صلى الله عليه وسلم كما أورد مسلم قَالَ: "لا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلا تُصَلُّوا إِلَيْهَا"
- الطبراني: " لا تُصَلُّوا إِلَى قَبْرٍ ، وَلا تُصَلُّوا عَلَى قَبْرٍ"
- وكما أورد مسلم " نَهَى نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبْنَى عَلَى الْقُبُورِ ، أَوْ يُقْعَدَ عَلَيْهَا ، أَوْ يُصَلَّى عَلَيْهَا".

كل هذه الثلاثة ممنوعة عليك: - لا تصلي إليه. - لا تصلي عليه. - لا تبني عليه.

لا تصلي إليه أي لا تجعله قبلة لك.

سؤال من الحاضرات – فيما يبدو عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم – رد من الأستاذة: سيأتي هذا نقاشه وكيف تعرفين أننا لم نبنى عليه، ولا صلينا إليه لأنه ليس في القبلة ولا صلينا عليه، فانتفت الثلاثة، الآن عندك ثلاثة أشياء لا تفعليها: لا تبني عليها، القبر الآن موجود في الحجرات، والحجرات ماذا حصل لها؟ أغلقت، يعني النبي صى الله عليه وسلم مدفون في الحجرات، الحجرات أغلقت من جميع الأبواب، الذي حصل أن الحجرات دخلت إلى المسجد، لا أن أتينا فبنينا المسجد عليه، ومع هذا سيأتينا نقاش طويل كيف أن كثير من التابعين رفضوا هذا الأمر.

الآن انظري الدولة السعودية وسعت كل التوسعات أين؟ في الوراء، عند الحجرات في نفس مكانها، انت عندما تدخلين من الباب تعرفي أن المسافة قصيرة لتصلين إلى القبر، فانت تفهمين جيدًا أن هذه بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، أي واحد يدخل فاهم أن هذه بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، ليس أن المسجد بُني عليه، إنما بُني مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بعيدًا عن القبر، بُني مجاور للحجرات، ثم عندما تقولين هل تقولين دخلت قبر النبي صلى الله عليه وسلم أم تقولين دخلت حجرات بيوت النبي صلى الله عليه وسلم؟ نعم،دخلت حجرات زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، يعني دخلت البيوت، والنبي صلى الله عليه وسلم دفن في مكانه.

نرى الآن؛ عندما أدخلوا الحجرات إلى المسجد ماذا فعلوا؟ إحاطوه ببناء مثلث بحيث أنك لا تستطيع أن تقف أمامه ويصبح قبلتك، قاعدته من جهة – الآن واقعيًا – قاعدته من جهة الرجال، ورأس المثلث من جهة دخولنا نحن النساء، هو من الداخل مثلث، ثم ثلاثة مرات بُني عليه، أي بُني عليه ثلاثة أسوار من الخارج مربع، لكن من الداخل لابد أن تفهموا أن هذه المساحة كلها

ليست مساحة بيوت النبي صلى الله عليه وسلم إنما هي أصغر بكثير من هذه الصورة، يعني بُني أولًا مثلثًا ثم مستطيل ثم مستطيل ثاني ثم مستطيل ثالث.

فمن الداخل الآن لو وقفتي أمام القبر ليس الآن إنما على بنائه الأساسي، لن تستطيع أن تقفي بحيث أنك تستقبليه، هو مثلث قاعدته إلى الشمال ومن الجنوب رأسه، وعندما تقفين في القبلة لا تستطيعي أن تقفي أمامه لأنه هو في الوسط، القبر في الوسط، والقاعدة في هذه الجهة شماله وجنوبه رأس، فلا يمكن أن تستقبليه لأنه هو في الوسط، فلو وقفتي هنا لا تستقبليه، ولو وقفتي من الجهتين لا تستقبليه، يعني المثلث هذا ماذا يفعل بك؟ يبعدك عن أن تكوني في القبر، لأن الحجرات الآن[حجرة عائشة في الأول ثم باقي الحجرات] عندما بُني الشكل مثلث حوله ماذا حصل؟ لو وقفتي هنا لن تكوني أمام القبر ستكون قبلك الحجرات، ومن الجهات الأخرى ماذا سيحصل لك؟ ستبعدي، يعني المثلث سيبعدك عن أن تستقبلي القبر، هذا المثلث منع أن تجعل قبر النبي صلى الله عليه وسلم بينك وبين القبلة، طبعًا بعد ذلك صوروه مربع فانت في كل الحالات لا تستطيع أن تجعله قبلتك، هل يُصلى عليه؟ لا يصلى على قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى كل حال انت تستعجبي هذا الذي حصل وإدخال القبر لماذا يحدث؟ تعرفي تجيبي بكلمة واحدة " فتنة" ، ابتلاء واختبار للأمَّة، لأنك تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بُعث من أجل أن يتمم توحيد الربّ سبحانه وتعالى، لا يمكن أن يكون الرسول الذي قيل له ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٣١٦]،وهو وقف ينادي عشيرته الأقربين ويقول: "يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا"، لا يمكن من بُعث بهذا أن يكون بيننا وبين الله واسطة، كان لأهله وخاصته واسطة، كان لخاصة أهله واسطة ليس لنا، لكن هذا ما تلبس على الأمَّة.

على كل حال؛ **قبر النبي صلى الله عليه وسلم دخوله إلى المسجد لم يبنى المسجد عليه، ولا يصلى إليه، ولا يصلى عليه،** هي فقط التي فيها مشكلة " يصلى إليه" هذه التي بها مشكلة أن تفهم أنك لا تستطيع أن يكون بينك وبين القبلة، هذه التي فيها إشكال، لكن الباقي واضح، يعني من جهة أنه لا يصلى عليه ولم يبنى المسجد عليه واضح، إنما أدخل مع ما ورد عن سعيد ابن المسيب وغيره من الأعتراض على التوسع من جهة حجرات النبي صلى الله عليه وسلم.

هم لما أتوا يوسعوه في الدولة الأموية أصروا على إدخال البيوت داخل المسجد، فالذي حصل دخول بيوته إلى المسجد، وليس بناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم على القبر، المنهي عنه الآن البناء على القبر، انت الآن لا تبني على القبر ولا تصلي إليه ولا تصلي عليه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: دفن في بيته وليس في المسجد، الذي ممكن أن يحصل فيه اغترار أن تتصور أنه دفن في المسجد، هو لم يدفن في المسجد هو دفن في البيت، ورد في الحديث أنه كان يكشف بينه وبين المسجد، معناه أن مسجده ملاصق تمامًا لبيته، تمامًا.

[٣١٦] آل عمران:١٢٨

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لذلك في مرض موته صلى الله عليه وسلم فتحت له فتحة في بيته تدخله على المسجد، تُيسر له الدخول، وفي روايات أخرى أن أصلًا هذه كانت موجودة، مثل في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يدخل رأسه عندما كان معتكفًا، هذا يبيِّن شدة التصاق بيته بمسجده.

على كل حال؛ هو – سبحان الله – ربما نقول مع أنها فتنة لكنها نعمة من جهة أخرى، لأنه لو كان في الخارج كان ماذا يحصل؟ كان سيصبح مزارًا !، كما هو واقع في البقيع وفي بدر وفي غيره، لكن اسأل الله عز وجل أن يرفع هذه الدولة ويقيمها ويقيم التوحيد، لأنكم لا تعلمون من زمن ماضي ماذا كانوا يفعلون، يعني إلى عهد قريب إلى عهد الشيخ ابن باز كانوا ماذا يفعلون بعض الطوائف؟ كانوا يأتون لقبر النبي صلى الله عليه وسلم ويطوفون حوله!، يطوفون!، فأتى أمَّا في أخر عمر الشيخ محمد ابن إبراهيم أو أول حياة الشيخ ابن باز أو أقصد أول ما تولى منصب المفتى العام، في ذاك الزمن، المهم أتى أمر بإغلاق المنطقة من جهة الغرب – الظاهر– ، أغلقوها بحيث أن لا أحد يستطيع أن يكون له لفة كاملة، وطبعًا هناك أسوار كثيرة بينك وبين القبر أصلًا، يعني بينك وبين القبر هناك كذا سور إلى أن تصل إلى القبر.

ولا تنسوا أن البطانة هي المشكلة، والناس القريبين من الحرم هم من فيهم المشكلة، لأن كثير ممن يشتغل هناك، يبيع للناس بمئات الآلاف تراب قبر النبي صلى الله عليه وسلم!، انت تدور وتجد المسألة كلها وراءها تجارة، كلها وراءها أموال، يبيعون الدين بهذه الأموال.

سؤال من الحاضرات –الظاهر كان على أحد الأقوال للروافض – رد من الأستاذة: أول شيء كذب، ثم أساسًا حجرة عائشة رضي الله عنها أصبحت مصمتة، هم لم يكن لهم سقف، ثم بعد وفاة عائشة أو قبلها – لا أعلم – المهم أنهم أصمتوا السقف أولًا، بعد وفاتها أغلقوا الباب أصمتوه أيضًا، فأصبح مصمتًا لا يستطيع أحد أن يدخل إليه أصلًا، ثم وضع السور المثلث هذا، ثم أتت أحد الدول – لم أراجع المسألة قريبًا– لكن المهم بَنَت سور ثاني، ثم سور ثالث، ثم الدولة السعودية بَنَت سور رابع، أصبحوا أربع أسوار بينك وبين الحجرة أصلًا، فهم يلّمون من عند الأسوار التي في الخارج، – الله المستعان – الله يكفينا شرهم، هؤلاء أكثر ناس أتوا لنا وهم شرار الخلق من شدة ما يفعلون من ترويج هذا الفكر.

نعد إلى الباب.

هنا كلام الشيخ محمد عبد الوهاب وهذا من تقرير ابن تيمية على أدلة الأبواب، يعني هذا كلام الشيخ محمد عبد الوهاب لكنه مأخوذ من كلام ابن تيمية.

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن . وهو في السياق . من فعله،

يعني في الأحاديث التي مرت معك، لأن الحديث الذي سبقه ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه؟ "لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"، وهنا قال: أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ".

فقد نهى عنه في آخر حياته،

وهذه معلومة مهمة أنه في أخر حياته، من أجل أن لا يأتيك أحد يقول دخل النسخ على الحديث، أي نُسخ.

ثم إنه لعن – في الحديث السابق – . وهو في السياق . من فعله، والصلاة عندها من ذلك،

ما معنى "والصلاة عندها من ذلك"؟ من أتخاذ القبور مساجد.

وإن لم يُبْنَ مسجد، وهو معنى قولها: خُشي أن يتخذ مسجدًا، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا، كما قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا".

الآن الشيخ محمد عبد الوهاب يعلّق على مجمل الأحاديث، عندما أتى في حديث عائشة :"لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلا ذَلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا، لو قلنا أن الصحابة هم الذين خافوا؛ خافوا من ماذا الصحابة؟ أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم يتخذ مسجدا، فسري لي ما معنى أن يتخذ مسجدا في زمنهم؟ يعني هل معناه أن يبنى عليه؟ لا، يصلي إليه، هذا الذي خافوه، فمادام هذا معناه إذن الصلاة إليه أو الصلاة عليه هذا يعتبر داخل في اتخاذ القبور مساجد، لماذا؟ لأن اتخاذها مساجد ليس شرطًا بناء مسجد عليها لكن يكفي في ذلك الصلاة إليها، ثم إذا سمعت بناء مساجد فهمت أن مادام هي مساجد إذن يصلي فيها لله عز وجل.

لكن يصلون فيها لله والقبر موجود يصلون إليه أو عليه، اتفقنا على هذه الجملة من أول الكلام، قلنا ماذا تقولون على المساجد؟ ما هي المساجد؟ الأماكن التي يعبد فيها الله عز وجل، فهم أتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يعني صلوا إليها أو عليها أو بنوا عليها، بنوا عليها ماذا يريدون؟ أن يصلوا لله عز وجل، من كلمة مساجد.

سؤال من الحاضرات: نحن عندنا في مصر نبني القبر على سطح الأرض ليس داخل الأرض

رد من الأستاذة: لا بالعكس، انتم تنزلون إلى الداخل ثم تبنون تحت، هذا فيه نقاش طويل حول كونه موافق للسنة أو غير موافق للسنة، فيه نقاش طويل، هناك وضعهم مختلف تمامًا ليس هناك مجال للنقاش، فيه نوع التربة ودعاوى كثيرة يحتاج الذي يتكلم فيها يكون يفهم نفس الدعاوى والأحوال، لأنهم يقولون أن الأرض لا تمسك الجثث، هذا كلام وأهله أخبر به.

نتنقل الآن إلى الحديث الذي بعده، كنت انتظر في الكلام حول شبهة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والمسجد النبوي، اقرءوا الكلام جيدًا ثم نتناقش فيه، سنناقش المرة القادمة مسألتين السؤال حول الأحوال؛ ماذا تقولين حول الأحوال التالية، ونأخذ السؤال الثاني شبهة قبر النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده.

❖ الدليل الرابع.

نأخذ الدليل الرابع.

ولأحمدٍ بسندٍ جيّد عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: "إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ" [رواه أبو حاتم في صحيحه].

أين التغليظ؟ "شِرَارِ النَّاسِ".

من هم شرار الناس هنا؟ نوعين:

- مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ.
- وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ.

لماذا؟ لأن في الحديث: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهَ اللَّهَ " يعني لا تقوم الساعة حتى يأتي الزمن القوم لا يقولون أبدًا الله، لا يعرفون الله، أمَّا المؤمنون ماذا يحصل لهم؟ فتقبض أرواحهم قبل ذلك بالريح الطيبة.

أين الشاهد؟ "وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ".

لماذا هم من شرار الخلق؟ لأنهم يتسببون في وقوع الناس في الشرك والبدع والباطل، فمن كان سببًا في الباطل كان من شرار الخلق، لماذا؟ لأنهم يتسببون في وقوع الناس في الشرك والبدع والباطل.

ما وجه هذا؟ أن الناس إذا رأوا القبور مبني عليها والأنوار مسرجة انبهرت نفوسهم فدعو واستغاثوا.

لو سألتك رجل تصدق عند قبر كم حالة تحتمل هذه؟ على حسب نيته، أريد أن أعرف كم حالة؟ حالتان:

- الحالة الأولى: إذا كانت نيته التبرُّك بالمكان، هو تصدق لله لكن نيته التبرُّك بالمكان، ما الحال إذا كانت نيته التبرُّك بالمكان؟ سيدخل في نفس النهي [وسيلة إلى الشرك] سيكون كأنه أتخذ القبر مسجد، لماذا؟ لأن المقصود مكان المساجد مكان عبادة الله.
- الحالة الثانية: لو كان لا يقصد هذا وكان مجرد توفر فرصة للصدقة ماذا نقول؟ نقول أن الأصل ليس عليه شيء، لأنه لم يكن يقصد.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: ما أن يذهب إلى هناك ويتصدق مُتعني انتهى، انظري إذا تصدق على أحد داخل المسجد معتقدًا أن الصدقة داخل المسجد هذا أو حوله تقبل ولها بركات أكثر أو تصدق على روح هذا المقبور، أو تصدق للزيت الذي يسرج، أو —الآن – الكهرباء التي تدفع للأنوار، كل هذا تدرج في المنكر، يعني يتصدق على أي أحد داخل المسجد على أن صدقته ستقبل عن الخارج من هنا دخل التحريم، إذا تصدق على روح هذا الميت أو تصدق من أجل الإسراج هنا سينتقل من كونه تصدق لله إلى أنه تصدق في دعم هذا المنكر.

لأنهم الآن يتصدقون من أجل الله هذا نوع، ومن أجل المنكر نفسه، البدعة نفسها، من أجل أن يرضى عنهم الوليّ نفسه، هذا سيدخلهم في باب الشرك الأكبر، نحن لم نقصد هذا، نحن قصدنا الصدقة هناك على أي أحد، سيأتينا الكلام عنه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: مكان للتبرُّك الشرعي، انت كيف تقارنين بين الحرم وبين المسجد الذي بني على قبر؟ لا مقارنة بينهم، الحرم مكان للبركة الشرعية، القراء فيه أجرهم أعلى لأن الأعمال هناك مضاعفة، والنفوس فيه مختلفة والخشوع فيه مختلف، وحضور القلب فيه مختلف، هذا كله كلام عن الحرم ليس له علاقة بغيره، انظري للمكان إذا التبرك به مسموح كان بها، إذا التبرُّك فيه ممنوع أصبح ممنوعًا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: تصدقي عليه في أي مكان، لماذا تذهبون إلى هناك؟!، أهم شيء لا تعتقدين أن الصدقة عند القبر أفضل من الصدقة عند غيره، هذا أهم شيء تعتقدينه.

لم أأتي إلى الصدقة التي بمعنى أن أعطي مثلًا السدنة الذين على القبور من أجل أن يرضى مولاهم، من أجل أن يرضى سيدهم، من أجل أن يرضى الصالح، هذا انتقلنا من الوسيلة إلى الشرك الأكبر، من أجل ذلك لا أريد منكم أن يختلط عليكم الأمر، هنا هو

تصدق من أجل أنه يعتقد أن الصدقة هنا لها بركات، تصدق لله لكن يعتقد أنها لها بركات، وهذا الأمر طبعًا غير شرعي، تعال للأمر الشرعي؛ لو تصدقتي في الحرم أو تصدقتي في رمضان ليس كما تتصدقين في غيره الجواب نعم، لكن هذا خاص بالحرم، خاص برمضان، لا يعطى لمثل هذه الأماكن.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا بأس، أنا أتكلم عن واحد لم يقصد وحصل منه هذا الأمر، طبعًا نحن نقول لا تتصدق هنا تصدق في أي مكان أفضل لك، لكن هل حكمه مثل حكم الأول؟ لا، هذا المقصود.

كم لفظة تغليظ أتت في أحاديث الباب؟

- الأول: " أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ " .
- الثاني: "لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى"
- الثالث: "فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ " .
- الرابع: "شِرَارِ النَّاسِ"

ننتقل إلى الباب الذي بعده.

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله.

⇦ أذكركم مرة أخرى أن الباب الأول كان بمثابة الإشارة للسبب مع نماذج تدلّ على أن هذا هو السبب، ما هو السبب؟ الغلو في الصالحين، والباب حوّى نموذجين ما هما؟ قوم عيسى عليه السلام، وقوم نوح عليه السلام.

⇦ ثم كأنه قيل كيف وصلوا إلى الغلو في الصالحين؟ قال وسيلتهم إلى ذلك عبدوا الله عند قبر رجلٍ صالح.

⇦ عندما عبدوا الله عند قبر رجل صالح هل الأمر وقف إلى هنا؟ أولًا ماذا تسمين عبادتهم الله عند قبر رجل صالح؟ غلو في حقهم، كأني اسألك هل عبادة الله عند قبر رجل صالح حق من حقوق الأولياء والصاحين؟ هل اعتقادك أن عبادة الله عند قبر رجل صالح خير من عبادتك الله في مكان أخر هذا حقّ من حقوق الصالحين؟ الجواب لا، إنما هو غلو.

⇦ إلى أين أوصلنا هذا الغلو؟ أوصلنا إلى أن جعل قبور الصالحين – صيريها- أوثانًا تعبد.

مرة أخرى؛

- الباب الذي مضى فهمتي منه حكم عبادة الله عند قبر رجل صالح، اسألك الآن؛ هل تعتقدين أن من حقوق الصالحين أن تعبدي الله عند قبورهم؟ لا.
- إذن ماذا تعتقدين في عبادة الله عند قبورهم؟ نوع من أنواع الغلو في حقهم، وليس حق من حقوقهم، إذن عبادة الله عند قبر رجل صالح ليس حقّ من حقوقه إنما غلو.
- يأتي سؤال إلى أين أوصلنا هذا الغلو؟ أوصلنا هذا الغلو إلى أن تصير قبورهم التي كان الناس يعبدون الله عندها تصير قبورها بنفسها أوثان تعبد من دون الله.
- ابتدأت بكونهم يعبدون الله عندها وانتهت بكونها أوثان تعبد من دون الله والسبب أنهم عبدوا الله عندها متصورين أن هذا حقّ للصالحين، وفي الحقيقة أنه غلو، إلى أين أوصلنا هذا الغلو؟ إلى أن تصير هذه القبور أوثانًا تعبد من دون الله.

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ".

ولابن جرير بسنده عَنْ سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ)[٣١٧] قَالَ: كَانَ يَلُتُّ لَهُم السَّوِيقَ فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ. وكذلك قَالَ أَبو الْجَوْزَاءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ .[رواه أهل السنن].

❖ الدليل الأول.

روى مالك في الموطأ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ".

رأيتي العلاقة هنا؟ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ ".ثم بيَّن كيف يكون وثنًا يعبد: "اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ".

سؤال: اضربي مثال لنوعين مما يفعل عند القبور؟ عندي نوعين مما يفعل عند القبور كلاهما محرم؛ لكن واحد وسيلة للشرك وواحد شرك.

إذن سنقول الممنوع مما يفعل عند القبور نوعان:

- النوع الأول: محرم، ووسيلة للشرك كالصلاة عندها وكإسراجها، والبناء عليها، وتعليق الصور عليها.
- النوع الثاني: شرك أكبر كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم، وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم.

إذن ما يفعل عند القبور ممنوع نوعان كلاهم محرم: **وسيلة للشرك، والثاني شركًا.**

هنا الكلام عن النوع الثاني؛ في هذا الحديث الذي رواه الإمام مالك فيه دعاء من النبي صلى الله عليه وسلم؛ أولًا ما هو الدعاء؟ "اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ".

ما مراد النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الدعاء؟ ألَّا يتخذ قبره وثن.

ما سبب الدعاء؟ خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته.

ما معنى الوثن؟ هو كل ما قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله.

---

[٣١٧] النجم:١٩

فعباد القبور يصرفون شيء من عباداتهم معظمين بهذا الصرف صاحب القبر، ومعنى ذلك أنهم لا يصرفون كل عباداتهم، يعني في هذا المقام لا يشترط صرف كل العبادة، فممكن أن يصرفوا الذبح فيقصدوا الأضرحة ومعهم أغنامهم وأبقارهم، ماذا يريدون؟ يريدون من صاحب القبر تفريج الكربة، فبعد صلاتهم لله يخرجون فيذبحون لصاحب القبر!.

ماذا تفهم من حالهم؟ – نأخذ هذه الحالة الآن – عندهم كربة فيأتون بأغنامهم وأبقارهم إلى القبر، وهذا وقت فريضة، فيدخلوا يصلوا في مكان محدد عندهم يذبحون، صرفوا كل العبادة لغير الله؟ لا، وهذا الذي يأتي دائمًا بمشكلة، يقول لك لا يمكن أن الله يضيع صلاتهم!، لا يمكن!، هم يصوموا لله، كل الذي فعلوه أنهم ذبحوا للمقبور، حللي الموقف بحيث تقنعي الذي أمامك أن هذا كافي لأن يكونوا مشركين وترد عليهم أعمالهم.

إجابة من الحاضرات: أن هذا شرك.

رد من الأستاذة: هم الآن لا يشعرون أن هذا شرك، حددي لي أين جهة الشرك؟

اوصف لك حالتهم مرة أخرى، عندهم كربة يريدون كشفها، لا تنسي من هنا يبدأ الكلام من أدلة بطلان عبادة الله، عندهم كربة يريدون كشفها، فيأتون بقرابينهم إلى المقبور.

رد من الحاضرات ثم الأستاذة: ماذا تقولين أولًا؟ أريد أبيِّن له الآن لا أريد أن امنعه، أريد أن أبيِّن له أن هذا شرك، يعني أنا الآن أمامي شخص يقول تظلموا الناس بعد أن يصلوا ويصوموا ومن أجل أنهم ذبحوا تعتبرونهم كفار ولا تنفعهم صلاتهم ولا صيامهم، أريد أن افهمه أن هذا شرك، وإذا أتى الشرك تأتي هذه الأدلة، تأتي أدلة أنه يحبط العمل، تأتي أدلة أنه يصبح عمله هباء منثور، يأتي دليل " أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ "كل هذه الأدلة تأتي في المرحلة الثانية.

المرحلة الأولى أريد أن أفهم أين الشرك أصلًا؟ نقطة البداية كشف الكربة، من هنا نقطة البداية، تقولين الإنسان عندما يصاب بكربة يلجأ لمن يعتقد أنه يكشف الكربة، يتعلّق بمن يعتقد أنه يكشف الكربة، إذا اعتقد أن الله كاشف الكربة له يجب أن يعتقد أن الله وحده كاشف الكربة.

إذا تريد تتكلم عن الموحد، الموحد لا يعتقد أن له أحد يكشف الكربة إلَّا الله، تريد أن أوصف لك من هو المشرك؟ المشرك هو الذي يعتقد أن أحدًا مع الله الجأ إليه وقت الشدة والكربة يعطيني غير الله، هذا هو المشرك، لماذا؟ لأن الله قال في كتابه ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾[٣١٨] فلابد أن تعتقد أن لا كاشف للضرّ إلَّا الله.

يقول لك هؤلاء أولياء صالحين لهم مكانهم!، وهو يعلم أن لا كاشف للضرّ إلَّا الله لكنه يعلم أن هؤلاء أولياء صالحين لهم مكانهم إذا تقربت إليهم وصلوا حاجتي إلى الله، نقول هذا هو عين الشرك لأنهم بماذا كان يحتج المشركين على عبادتهم للأصنام؟ كانوا يقولون ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[٣١٩] فهل انت تعتقد أن العظيم الكريم الذي أحاط بكل شيءٍ علما السميع، البصير، الحكيم، الرحيم بحاجة إلى واسطة بينك وبينه؟!.

- ماذا تعتقد في هذه الواسطة؟ إذا اعتقدت أنها بنفسها تأتي لك بمرادك إذن أشركت من جهة اعتقادك أن غير الله يعطيك مرادك.

---

[٣١٨] الأنعام:١٧

[٣١٩] الزمر:٣

▪ وإذا أعتقدت أنها بينك وبين الله واسطة إذن أشركت من جهة تصورك أن الله مثل البشر يحتاج إلى واسطة ثم أخذت هذا واسطة بينك وبين الله.

لأن الله لا يقبل من الأعمال إلَّا ما كان خالصًا، كربتك لا يكشفها إلَّا الله، هو الذي أبتلاك وهو الذي أمرك أن لا تدعو غيره، فانت مصلي، ففي صلاتك قل يارب، لكن تأتي إلى الحسين أو إلى السيدة زينب أو إلى ما يأتون إليه، اسماء كثيرة، يأتون إلى هذا ويعتقدوا أنهم لو ذبحوا له هو أن الله يكشف الكربة، فاتت المشكلة من عند اعتقادك مَن الذي يكشف عنك الكربة!.

هو لن يأتي يذبح لمجرد التقرب، هو ذبح لأنه يعتقد أنه لو ذبح هنا ستنكشف الكربة، لماذا تعتقد هذا الاعتقاد؟!، هل تعتقد أن الحسين سيكشف عنك الكربة؟ إذا اعتقدت هذا فانت مشرك، يقول لك لا، أنا لا أعتقد أن الحسين يكشف الكربة، لكن أنا أعتقد أن الحسين يقول للربّ، نقول سبحان الله!، وهل أمرنا إلَّا أن نوحده، وهل أتى النبي صلى الله عليه وسلم إلَّا لإزالة هذا المفهوم من عقلك؟!، كيف تعتقد الله عز وجل مثل ملوك البشر يحتاج إلى واسطة!!، يجب أن تقوّ أنفسكم في مسألة النقاش، هذا أهم شيء التوحيد أن دليلك يكون علاج لجروحك وجروح المجتمع، هذا هو المقصود، انت الآن تتعلم من الأدلة ما تدلك ويرشدك إلى الصواب الذي يجب أن تعتقده.

انظري إلى حالة أخرى؛ هناك من يطوف بالقبر ويتمرغ بترابه ويتمسحون بالضريح ويقبلونه طلبًا للبركة، عندما تنظر لهذه الحالة ماذا تقول؟ عندما تنظر لأناس يطوفون حول القبر ماذا تقول؟ ستقول الطواف بنفسه عبادة يجب صرفها لله في المكان الذي أمر الله.

تسألهم ماذا تريد بطوافك؟ يقول لك أنا أريد أن أتقرب إلى هذا المقبور، لماذا؟ يقول لك لأن رضا الله من رضاه!، يعتقد أن رضا الله من رضا هذا المقبور، ماذا تقول له؟ من قال لك أن رضا الله من رضا هذا المقبور؟! من قال لك؟! رضا الله أن لا تعبد أحد غيره رضا الله ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٣٢٠] الدين يكون له خالص وليس لغيره.

انظري هذه الإشاعات التي أتت بهذا المردود، أن الله يرضى عليك إذا أتيت إلى هذا وطفت عنده، والله يعطيك حاجتك لو ذبحت لهذا إلى أخره، هذه الإشاعات وهذا الكلام تحول وأصبح معتقدات، وتحول فأصبح سببًا لصرف العبادة لغير الله.

لازلنا نشرح "اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ"؛ إذن النبي صلى الله عليه وسلم دعا من أجل أن لا يكون قبره وثن يعبد، ما صورة أن يكون وثنًا يعبد؟ أن يؤتى إلى قبره لأنه قال:"اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ" ما صورته؟ أن يؤتى إلى قبره فيطلب منه ويُسأل ويتمسح بقبره ويطوف حول قبره.

سؤال: هل استجاب الله دعوة نبيه؟ نعم، سنقول: لم يتخذ قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولله الحمد وثنا، كما أتخذ قبر غيره، بل ولا يتمكن أحد من الدخول إلى حجرته بعد أن بُنيت الحجرة، لكن من الجهال من يصلي إلى حجرته يعني لا يصلي على قبره أو عند قبره، لا، يصلي إلى الحجرة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الناس يفهمون أن الحجرات هذه هي القبر، غير متصورين أن هذا كله عبارة عن الحجرات. لكن من الجهال من يصلي إلى حجرته أو يرفع صوته، وهذا كله حول الحجرة، وليس عند القبر.

---

[٣٢٠] البينة:٥

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: من جهة الوقوع في الشرك هو وقع في الشرك بنيته الآن الكلام حول قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

لكن من الجهال من يصلي إلى حجرته أو يرفع صوته، وهذا كله حول الحجرة، وليس عند القبر، فلا يمكن أحد قط أن يدخل إلى قبره فيصلي عنده، لا يمكن لأن الحجرة أغلقت، أصبحت مصمتة، ولا يمكن لأحد أن يدعو عند قبره.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : بَالَغَ الْمُسْلِمُونَ فِي سَدِّ الذَّرِيعَةِ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فَأَعْلَوْا حِيطَانَ تُرْبَتِهِ ، وَسَدُّوا الْمَدْخَلَ إِلَيْهَا ، وَجَعَلُوهَا مُحْدِقَةً بِقَبْرِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ثُمَّ خَافُوا أَنْ يُتَّخَذَ مَوْضِعُ قَبْرِهِ قِبْلَةً إِذَا كَانَ مُسْتَقْبِلَ الْمُصَلِّينَ ، فَتُصَوَّرُ الصَّلَاةُ إِلَيْهِ بِصُورَةِ الْعِبَادَةِ ،

يعني إذا كان مستقبل أمام المصلين ستتصوري الصورة بصورة عبادة،

فَبَنَوْا جِدَارَيْنِ مِنْ رُكْنَيِ الْقَبْرِ الشَّمَالِيَّيْنِ ،

الشماليين من جهة الرجال من هناك.

وَحَرَّفُوهُمَا حَتَّى الْتَقَيَا عَلَى زَاوِيَةٍ مُثَلَّثَةٍ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ ؛ حَتَّى لَا يَتَمَكَّنَ أَحَدٌ مِنَ اسْتِقْبَالِ قَبْرِهِ.

إذا تيسر لنا اللقاء القادم نحاول نأتي لكم بصورة مرسومة لكي تتصوروها، كروكي، إن شاء الله يتيسر ذلك.

إذن هذه صورة من صور استجابة الله عز وجل لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم.

"اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"يعني ماذا فعلوا؟ كأن النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم عن الوسيلة التي بها يصبح القبر وثنا، أن يتخذوا قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسجد يصلى عليه أو إليه أو يبنى عليه، وإذا قلنا يبنى عليه معناه أنه يصلي إليه أو عليه.

نأتي إلى الدليل الذي بعده.

❖ الدليل الثاني.

ولابن جَرير بسنده عَنْ سُفْيَانُ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾[٣٢١] قَالَ : كَانَ يَلُتُّ لَهُم السَّوِيقَ فَمَاتَ ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ. وكذلك قَالَ أَبو الْجَوْزَاءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقِ لِلْحَاجِّ.

كأن الشيخ يقول من الصور التي هي دليل على أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من الصور اللَّات.

كأنه يقول لك أتعرفين اللَّات؟ رجل كان يلتّ السويق فمات، ماذا فعلوا؟ عكفوا على قبره، ثم أصبح إلهًا يعبد، إذن كان يلتّ لهم السويق أي للحجاج، كأن هذا إشارة إلى بره وكرمه بالحجاج، يعني هو عبدٌ صالح، فلمَّا مات ماذا فعلوا فيه؟ عكوفهم على قبره دليل على غلوهم فيه، هو يريد أن يبيَّن لك هذا رجل صالح عظموه وعكفوا على قبره ماذا كانت النتيجة؟ أن اللّات أصبحت أحد الإلهة التي عبدت من دون الله عز وجل.

[٣٢١] النجم:١٩

إذن الآن عندما نظرتي إلى هذا ورأيتي أن هذا رجلٌ صالح ابتدء الأمر بتعظيمه والعكوف على قبره ثم عبادته، **إذن ماذا نفعل شرعًا في مثل هذه الأوضاع؟** يعني ترى أن هناك آثار للصالحين موجودة [قبورهم آثار لهم، مجالسهم، مواضع صلاتهم] هذه كلها آثار للصالحين، **الشريعة أمرتنا بعدم تتبعها**، لماذا؟ لأن هذا ليس حقًا لهم، ليس حقًا لهم أن تتبع مواطن صلاتهم، أو مواطن عباداتهم، أو مواطن عباداتهم، وهذا الأمر لو فعلته مع كونه غلو سيؤدي إلى عبادتهم.

ومن أجل ذلك لا يغرك الدعوات على مسألة الآثار، لأن كثير من الناس اليوم فتنوا بمسألة الآثار، يعني يبحثون عن الموطن الذي كان فيه النبي صلى الله عليه وسلم يصعد إلى غار حراء، وعن الموطن الذي سار فيه في كذا وكذا، هذا كله الآن يعتبرونه نوع من أنواع الترف، وبعضهم يعتبرونه نوع من أنواع التعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم، **لكن سينتهي الأمر على عبادة هذه الأماكن.**
سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا الأمر فيه حرج، لكن ليس هذا المقصود بالضبط، المقصود إتيان هذه الأماكن وإصباغها بصبغة التعظيم، الإتيان إلى هذه الأماكن وجعلها مكان الناس يرتادونه، سنأتي بالنصوص التي تبيِّن لكم ماذا يجب أن يكون موقفنا، ومنها ستظهر لك لماذا الصحابة فعلوا هذا الفعل، ومن ثمَّ ستفهمي ما هو الممنوع.
سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: إلى مدائن صالح هذا كلام أخر.

امليكم بعض النصوص التي تدلّ على موقفنا من تتبع آثار الصالحين.

قال ابن وضاح سَمِعْتُ عِيسَى بْنَ يُونُسَ يقول: " أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِقَطْعِ الشَّجَرَةِ الَّتِي بُويِعَ تَحْتَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَطَعَهَا لأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَذْهَبُونَ فَيُصَلُّونَ تَحْتَهَا ، فَخَافَ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ ".

ظاهر النص؟ ماذا فعلوا؟ كانوا يصلوا تحتها معتقدين أنها مكان مبارك.

أيضًا من النصوص؛

لما فتح المسلمون بلاد فارس وجدوا في بيت مال الهرمزان.

الهرمزان الكبير من ملوك العجم.

سريرًا عليه رجلٌ ميت، يقال له دانيال، تغلو الفرس فيه، كان إذا حُبس المطر أبرز سريره فسُقوا.

أي يخرجونه يستغيثون به.

فأمر عمر رضي الله عنه أن يحضر له ثلاثة عشرة قبرًا نهارًا ثم يدفن في أحدها ليلًا، ثم تسوى القبور كلها حتى يخفى أمره على الناس، فلا يفتنوا به.

واضح وجه الدلالة أنه من أجل أن لا يغتر به الجهال فيعبدوه.

عَنْ قَزَعَةَ ، قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ آتِي الطُّورَ ؟

أي أذهب إلى الطور.

قَالَ : " دَعِ الطُّورَ وَلَا تَأْتِهَا ، وَقَالَ : لَا تَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ " .

واضح وجه الدلالة أن هذه أماكن مباركة قد يظنّ فيها الشخص أن عبادتك فيها تعتبر أفضل من غيرها.

الدليل الثالث.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ .[رواه أهل السنن].

هذا الحديث فيه لعن لثلاثة أصناف:

الأولى: زائرات القبور، لماذا؟ سدًّا للذريعة، فإن المرأة ضعيفة رقيقة العاطفة، قليلة الصبر، فيخشى أن تكون زيارتها سبب في فعل غير المشروع.

الثانية: أيضًا لُعن المتخذين على القبور المساجد، لماذا؟ لأنه يؤدي إلى تعظيمها، وبالتالي إلى عبادتها.

الأمر الثالث: نُهينا عن إسراج القبور، لماذا؟ لأن هذا يؤدي أيضًا إلى تعظيم القبور، الإسراج يؤدي إلى تعظيم القبور، يوقع في النفس لها رهبة، ومكانة.

ما وجه دلالة الدليل الأخير على اسم الباب؟

الدليل الأول واضح: النبي صلى قال "اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" ثم ذكر السبب "اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" إذن وثن يعبد هذا دليل على أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد.

الدليل الثاني: كلام مُجَاهِدٍ قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ واضح؛ أن اللَّات رجل صالح غلو فيه إلى أن أصبح إله، نحن نعرف اللَّات أنهم أتخذوه إله من دون الله.

الدليل الثالث: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ "ما وجه دلالته؟ ما وجه أنه أوثانًا تعبد؟ كأنه يقال لعن المتخذ عليها مساجد والمتخذ السرج لأن هذا يورث تعظيمها، وتعظيمها مفتاح للعبادة.

استعدوا إلى المرة القادمة راجعوا الأربعة أبواب السابقة مع هذه الأبواب، يعني ستكون المرة القادمة بها سبعة أبواب — إن شاء الله — .

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هم إشكالهم ليس في أن الذبح عبادة، إشكالهم في أن تعلّقهم في كشف الكربة.

انتهى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لازلنا بفضل الله ومنته ندرس في كتاب التوحيد مر معنا في لقاءنا الماضي الكلام حول سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم، ودار الكلام حول ثلاثة مفاهيم، ما هي الثلاثة مفاهيم؟

ثلاثة مفاهيم في ثلاثة أبواب:

- أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الغلو في الصالحين.
- الغلو في الصالحين من أين أتى؟ من عبادة الله عند قبر رجل صالح، عندما عبدوا الله عند قبر رجل صالح وقع الغلو.
- عندما وقع الغلو؛ صير الغلو القبور أوثانًا تعبد.

إذن الغلو هو السبب الرئيسي، ما صورته؟ عبادة الله عند قبر هذا الرجل، ما وجه الغلو في حال عبادة الله عند قبر هذا الرجل؟ أنه يعبد الله! ما وجه الغلو في هذه المسألة؟ لأنهم اعتقدوا أن عبادة عند القبر خير من عبادته في مكان أخر، يعني أن العبادة عند القبر لها فضل، من هنا أتى الغلو في اعتقاده.

كيف ينتشر مثل هذا؟ ماذا تتصورين؟ كيف تنتشر مثل هذه المفاهيم؟

- الجهل من جهة.
- ومن جهة أخرى؟

إجابة الحاضرات ورد من الأستاذة: عدم معرفة الحق هذا هو نفسه الجهل، والقول على الله بلا علم، وأكبر مشكلة يعيشها العالم الإسلامي أنهم أهل نقل كلام، ثرثارون، الثرثرة، فأحدهما يرى فضلًا وقد يكون موهومًا أصلًا فماذا يفعل؟ ينشر، ويتكلم مع هذا ويتكلم مع هذا، يوقع في قلبه وفي قلوب الناس القلوب الضعيفة، يوقع في القلوب الضعيفة تعظيم هذه الأماكن ومن ثمَّ التعلّق بها، ومن ثمَّ الحكايات الباطلة، الكلام الذي لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة وليس له أصل واقعي يصدق.

وهذا المفهوم – مفهوم الثرثرة – قابلته الشريعة بالتحريم، "كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ" فقيل وقال داء إذا أصاب الأشخاص أو الجماعات أو الأمم هلكت، هلكت بهذا المعنى!، من بينهم ما نراه اليوم من تعظيم كثير من المقابر، الآن عندما تأتي تسأليهم قبر الحسين أو قبر النبي يحيى، كم قبر للحسين مثلًا؟ في مصر واحد، في الشام واحد، في العراق واحد، ثلاثة قبور لشخص واحد، ويقول لك هنا دفن رأسه، وفي مصر عن الحسين أيضًا يقولون دفن رأسه، وفي الشام دفن رأسه، فانت تضعين علامة استفهام ما بهم القوم؟!، كم رأس له من أجل أن يكون الناتج ثلاثة أماكن؟!، لا تتصوروا أنهم لا يردون عليك! هم يردوا! يقولون الأرض لأجساد – لا تكتبوا هذا كلام باطل، لا تكتبوه[٣٢٢] – يقولون الأرض لأجساد الأنبياء كالماء للسمك، فترى السمك يومًا هنا ويومًا هنا! ينتقل بكل سهولة!.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ليس شرطًا الأولياء، هم قالوا كالسمك سيقولون نبي أو وليّ أو تقيّ سيأتوا بما يريدون.

[٣٢٢] نهي من الأستاذة للحاضرات بعدم كتابة الكلام لأنه باطل وإذا كُتب يعتبر نشر للباطل، وما نقلته إلَّا لتوضيح المعنى وإتمامه لمن يقرأ وإلَّا فينهى نشره تمامًا.

رأيتم كيف قيل وقال ماذا أخرها؟! الكذب الصريح!، وانتم الآن لابد أن تتصوروا أن المعتقدات السليمة تنتقل بنشرها بالكلام وكذلك المعتقدات الباطلة، فالوهم أخذ من الناس كل مأخذ، والمعتقد الصحيح ممكن أن يأخذ منهم كل مأخذ عندما ينتشر بالكلام.

لابد أن تعطوا هذا الموضوع ثقله، وتفهموا أن الذي يفسد الأشخاص، ويفسد الجماعات، ويفسد الأمم [قيل وقال]، هذا أمر مكرر، فعليكم بالحذر من الكلام الذي ليس وراءه طائل ومجرد كلام، وينقل من هنا إلى هنا بدون أي فوائد إلَّا أن يأتي بعده منكرت من القول، لابد أن يأتي بعده من القول، يعني يبدأ الكلام ليس وراءه طائل، وينتهي بمنكرات من القول.

إذن هذه أسباب انتشار مثل هذا: [الجهل، القول على الله بلا علم، الثرثرة، كثرة الكلام] وهذا الأمر –كثرة الكلام – لابد أن تتصوروا آثاره وبعده على الأمَّة.

وطبعًا هذا الكلام إشارة أيضًا لما ذكره أمس الشيخ الشريم في الخطبة؛ أمس أشار إلى مسألة الإعلام، والأمن الفكري، وكيف أن الأمن الفكري سبب أنواع الأمن الباقية، وهذا الكلام واضح كالشمس، اليوم كل الوسائل الحديثة تنشر الشرك بكل أنواعه، يعني السحر مَن الذي نشره؟ الإعلام، الإعلام واحد من أسباب نشره بل من أهم أسبابه اليوم.

ما الذي أوصل الأمر إلى الإعلام؟ ثم لما أتى الإعلام مَن الذي نشره بين البيوت؟ ولماذا الناس كلهم عرفوا هذه المسألة؟ من أين؟ من الكلام، تتصورون كيف الأمن الفكري مرتبط بترك قيل وقائل التي ليس من ورائها طائل؟!.

وأنا أشير لك في هذا الكلام أن واحد من أسباب انتشار المنكرات؛ الكلام على المنكرات ووصفها من باب الإنكار أمام أشخاص ليس بيدهم الإنكار، هذا نوع من أنواع نشر المنكرات!، لما أأتي عند شابات في بيوت صالحة، وأأتي أقول انظروا ماذا حصل عند البحر، وماذا حصل عند الكبائن، وماذا حصل في كذا؟!، هذا الكلام الآن أقرب إلى نشر الفاحشة منه إلى الإنكار.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا تتصوروا ما آثاره، انت الآن شابة متدينة عندها مجموعة غرائز في نفسها، فتأتي تكلميها عن الشباب وكذا، أصلًا يمتعهم هذا الكلام، فانت دخلتيهم فيما يمتعهم أصلًا، وندخل أيضًا في دوامة الكذب على النفس!.

يعني لاحظنا في بعض المواقف أن الشابة تتكلم عن المسائل بإنكار وبكثرة!، أصلًا انتهينا سمعنا منك مرة وسمعنا الثانية لماذا تتكلمين بهذه الصورة؟! – فالظاهر والله أعلم هذا تصوري– أن وراء هذا متعة أصلًا في الكلام، فتستمتع على وجه أنها تنكر، مَن أورثها هذا؟ أورثها الكبار الذين لا يركزون وهم يتكلمون، أنه أصلًا هذا ليس إنكارًا، تريد تنكر ما هو واقع في أماكن انت لا تذهب إليها ارفع لوليّ الأمر، ارفع لأقرب واحد يمكن أن ترفع إليه، حتى وإن كان لإمام المسجد الذي عندك وإمام المسجد يعرف طريقه، لكن كونك تنقل للشباب والشابات أشياء أصلًا لم يروها.

لاحظنا أن هناك بنات مثلًا صغار نحن نعرف تمامًا عوائلهم، ونعرف أن من المؤكد أن مثل هذه الأشياء لا يعرفوها، لكن تتكلم عنها بالتفصيل كأن واحد عاش مع هؤلاء، ويعود الأمر أن الأم تجلس مع زميلاتها أو تجلس مع أي أحد وتنكر، أو يأتي واحد من الخارج وينكر، ذهب إلى هذه الأماكن التي غالب العوائل المحافظة لا تذهب إليها ويأتي يحكي لهم بالتفصيل، فالبنت تلتقط كل التفصيل وتعيش خيالها وتأتي تقول لصديقاتها.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: مادام هذه الأماكن أصلًا لا تقربيها وتمنعين أبناءك عنها لا تتكلمي عنها!، ما السبب أو ما العلّة أنك تتكلمي؟! المنكرات عمومًا تتكلمي عنها بدون تصويرها تصويرًا يلفت النظر، يعني لا أريد أن أتكلم كلام حتى لا أكون

أنا أيضًا أنشر الفاحشة، لأن هناك كلمات تثير البنت وهي تسمع، انه كذا وكذا وفي المكان كذا، وأعطي كذا وأخذ منها كذا، لماذا؟!، فالبنت في هذه السن مهما كان عندها تقوى سيقع في قلبها أن هؤلاء يعيشون..

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ويوصفوا وصفًا دقيقًا! خطأ!! ليس إنكار هذا!!، هذا نوع من أنواع إشاعة الفاحشة لأنه بالتفصيل بالتفصيل، وأصلًا شيء لا يخطر على بالك، انت من المؤمنات الغافلات، غافلة عن هذا الشيء ولا تعرفيه، ولا تعرفي ماذا يفعلون، فيأتي واحد يوصف لك بالتفصيل؟! ما الداعي؟!.

وإن كان أحيانًا أولياء الأمر؛ مثلًا ثقافة الإيمو المنتشرة في المدارس، تأتي بملابس سوداء، وشعرهم ينزل على أعينهم، وتشعري فيهم ملامح الحزن، هذا موجود، مرة واحدة مثل شعلة النار في الهشيم انتشر!، ثم أنهم مجموعة يلبسون ملابس سوداء واضح أنهم مختلفين، سواء كان المرحلة المتوسطة أو المرحلة الثانوية، فنأتي نسأل الإدارة والمعلمات، المعلمات لا أحد يفهم لماذا هذا الزي بالذات؟!، هذه هي ثقافة الإيمو!، وهذا ما ورائها، وهناك أمور أأتي أفهمها أنت اداري أنت معلم انت أم يحصل كذا وكذا، لكن عندما يكون صغير ويسمع هذا الكلام ممكن أن يكون أصلًا غافل عنه فيتعلمه!.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الآن أنا ماذا أقول لك؟ أقول لك أنا كمعلم، أنا كإداري، أنا كأم يجب أن أفهم هذه الأشياء، وأنا كناصح أذهب إلى الأمهات أقول لها انتبهي هناك مجموعة أمور لو لاحظتيها معناها البنت سارت في هذا النوع من الثقافة.

المقصد الآن أن كثرة الكلام حتى على وجه الإنكار سيكون نوع من أنواع نشر الفاحشة، لذلك الآن من الأصول الشرعية مثلًا طاعة وليّ الأمر، هذا من الأصول الشرعية المهمة طاعة ولي الأمر على اختلاف مراتبه طبعًا، هذه الطاعة تورث أنك لا تقوم بتصرفات فيها نوع خروج على وليّ الأمر، لكن هناك منكرات؟ نعم ماذا تفعل في المنكرات؟ توصلها إلى ولي الأمر، لا أستطيع إذن أقرب واحد يستطيع أن يوصلها إلى ولي الأمر، إذا لم أجد؟ إذن يارب انتهى، إلى هنا وانتهى دورك، لكن أن تنشرها في المجتمع على أن المجتمع سينكرها؟! لأ المجتمع سيقبلها!، الآن أقول لك الآن عندما أحد يحكي لك عن الشواطىء وماذا يحصل فيها، أو عن كما نعبر الكبائن، لما أحد يحكي لك عنها ثم تذهبي إليها هل المنكر يكون في قلبك مثلما تصادفيها؟! لأ!، لأنه برد في قلبك، بل تنظري إليهم وتقولي أنا أنتظر أكثر من ذلك، فأين الفائدة الآن؟!، كثرة الكلام تورث البرود تجاه المنكر.

المهم أن نشر مثل هذه البلاءات؛ يعني نشر الكلام عن الوليّ وعن مكانته وعن ماذا وجدوا عنده، والرائحة الطيبة التي وجدوها، وكذا وكذا، هذه الثرثرة أورثت لهذا الوليّ مكانة، أورثت لهذا القبر مكانة عند الناس، كيف؟ بالوسائل الإعلامية، ما هي الوسائل الإعلامية؟ الناس الذين هم حول القبر، الناس الذين لهم علاقة به، ثم يأتي الإعلام بكل مراتبه، وهذا الكلام يؤيد ما ذكره أمس الشيخ الشريم في الكلام حول الأمن الفكري، فنحن الآن كلما كثر كلامنا فيما لا فائدة وراءه كلما أهتز الأمن الفكري، وأصبح الناس عرضة لثقافات متعددة تنقل الباطل في ثناياها.

أريد منكم أن تراجعوا أنتم بأنفسكم مشاكلكم الخاصة بينكم وبين زميلاتكم، بينكم وبين أهلكم، المشاكل التي تحصل بين العوائل، المشاكل التي تحصل بطريقة ثنائية، راجعوا وقولوا لي هل هناك شيء غير رئيسي غير قيل وقال هو الذي يكبر المشاكل؟!، هو، ليس هناك غيره، فقط قيل وقال هي ما تأتي بالمشاكل!، فلو ألتزم الناس الصمت في مواقف كثيرة وكانوا من الكاظمين الغيظ

ومن العافين عن الناس وكان ممن يأخذ من الناس ما عفت عنه أخلاقهم، لو كان بهذه الصورة وألتزم الصمت كانت هناك أشياء كثيرة ما كانت تضخمت إلى هذه الدرجة إلى أخره، لكن المهم أن قيل وقال رأس الإشكال.

حتى لو أريد أن أقول المشاكل التي تتصل بالدعوة عبر كل السنين الماضية، ليس عندنا ناس يخرجوا ويتركوا الدعوة، ويتركوا طريق الطلب إلا بسبب قيل وقال! بنفس الطريقة، وينظروا يثنوا على مَن ليبقوا وهؤلاء لا يبقوا، وهؤلاء يتعلموا وهؤلاء يبغضوا العلم، بسبب ماذا؟ بسبب قيل وقال!، الشخص لا يفكر أن هذه الكلمة التي يلقيها ماذا ستكون ورائها من إشكالات في نفس المستقبل، إذن ثقافة حتى كما يعبرون ثقافة الإلحاد أنه ليس هناك ربّ كما يظن هؤلاء السُّفهاء حتى ثقافة الإلحاد ما سببها؟ قيل وقال!، لم ينتشر هذا المفهوم إلا بهذه الوسيلة.

على كل حال؛ المقصد من أجل أن يندفع مثل هذه الكرامات الباطلة، ويندفع مثل هذا الوهم في نفوس الناس لابد من ترك نقل الكلام ولو على وجه الحكاية.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نحن نسأل الله عز وجل من فضله، وأنا أريد منكم أن نعمل نموذج للإشكالات التي يورثها التراسل بالبريد، يعني – الإيميلات – الآن مورثة لناس كثير مشاكل بدون أن يشعروا، الباطل ينتشر فيها، البدعة، الخرافة، بالإضافة إلى الفسق والفجور، بالإضافة إلى التعلّق بالدنيا، أشكال كثيرة، فأريد من الناس الذين عاشوا مشكلة مراسلة البريد أو لهم علاقة بهذا، أن يأتوا بنماذج مثل هذه الإشكالات ويعلّقوا عليها، يعني قولي لي وصل لي بريد ينشر فيه البدعة ومثاله هذا البريد، وصلني بريد ينشر فيه كذا ومثاله هذا البريد.

انتهينا من الثلاثة أبواب الماضية؛ ملخص الكلام الذي مضى بيَّن لك أن سبب الغلو في الصالحين سببه كثرة تناقل الناس ما وجدوه عند قبور الصالحين من رائحة زكية أو من نور يخرج من القبر إلى أخر هذه الأباطيل، فتنشر ويقع في قلوب الناس أن هذه الأماكن أوْلى بالعبادة، فيخصّوا هذه الأماكن بعبادة الله، ثم يلقى الشيطان في قلوبهم من الرغبة والرهبة والخوف والرجاء ما يجعلهم يزيدون تعلقًا بالأماكن ثم يستدرجهم من حيث لا يعلمون، فيعظمون ويتعلقون بصاحب القبر.

بهذا انتهينا من سبب كفر بني آدم، فهمنا بعدما ظهرت أدلة بطلان الشرك فهمنا ما سبب كفرهم.

الآن يأتينا باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسدّ كل طريق يوصل إلى الشرك.

نبدأ بالعلاقة بين هذا الباب وبين الأبواب الثلاثة التي مضت، انتم متصورين العلاقة بين الأبواب الثلاثة نفسها فالآن الأبواب الثلاثة وهذا الباب، وأفضل ستظهر العلاقة بعدما نتناقش في الباب، وأصلًا فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم يحمي جناب التوحيد، سنتناقش في ذلك.

باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك
وقول الله تعالى: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ)[٣٢٣].
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ " .رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.
وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ ، أَنَّهُ رَأَى رَجُلا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ ، وَقَالَ : أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي ، عَنْ جَدِّي ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ " . [رواه في المختارة].

نبدأ بشرح العنوان ونطبق عليه الأدلة.

"باب ما جاء" بمعنى ما ذكر من الأدلة.

هذا نوع جديد من كلمة " ما جاء"، لأن مر معنا " ما جاء" بمعنى أن الأمر فيه تفصيل، هنا ما جاء ما جاء من الأدلة، ومع التمرين ستستطيعون أن تفرقوا بين "ما جاء" أي هناك التفصيل، وبين "ما جاء" أي من الأدلة.

"في حماية" يعني في منع ودفع النبي صلى الله عليه وسلم كل ما يوصل إلى الشرك، أو كل ما يخدش التوحيد.

"وسده كل طريق يوصل إلى الشرك"يعني لم يدع صلى الله عليه وسلم الأبواب مفتوحة يلج إليها من يشاء وإنما سدّ وأغلق كل طريقٍ يوصل إلى الشرك ولو من بعيد.

❖ الدليل الأول.

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[٣٢٤].

انظروا الآن ما دليل الشيخ على أن الرسول صلى الله عليه وسلم حمى جناب التوحيد؟ انظري الأدلة وقولي لي ما وجه الترتيب فيها؟ الدليل الأول آية التوبة ما التقرير فيه؟ له علاقة بالشرك؟ لا، له علاقة بوصف النبي صلى الله عليه وسلم.

يعني أول الأمر أسس الشيخ وصف علاقة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته، وأن هذه العلاقة لابد أن يكون وراءها من الأوامر والنواهي ما يدلّ عليها.

كيف؟ ما هي العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم وأمته؟ أولًا ما وصفه؟ ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني من جنسكم، من جنسكم هذا ممكن أن تفهم:

- من جنسكم يا عرب
- أو من جنسكم يعني با بني آدم.

يعني ليس ملكًا إنما إنسي مثلكم، وليس مثلًا جنيًا وإنما إنسي مثلكم.

---

[٣٢٣] التوبة:١٢٨

[٣٢٤] التوبة:١٢٨

أيهما أقرب أن يكون من بني آدم أو من العرب؟ في السياق الظاهر أنه أقرب أنه يكون من العرب، لماذا؟ لأن هذا في سياق المنة، حتى من بني آدم أيضًا في سياق المنة، لكنه أقرب أن يكون من العرب، لماذا؟ لأن منة الله عز وجل على عباده المؤمنين ببعثة النبي الذي من أنفسهم أظهر في كونهم يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه.

يعرفون حاله من جهة أنه أمين، ومن جهة أنه صادق، من جهة صفاته، فيمكنهم أن يأخذوا عنه، وأيضًا هذه الجملة نفسها أن الله عز وجل أمتن عليهم بالنبي فيمكنهم بالأخذ عنه أيضًا تصلح أن من جنسكم يعني من بني آدم فتستطيعون أن تتلقوا منه لأن له صفات البشرية على كل حال المعنيان متقاربان.

- إذن المنة الأولى: على أهل الإسلام أن بعث الله فيهم رسول منهم، الصفة الأولى للنبي صلى الله عليه وسلم أنه منهم.
- الصفة الثانية: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يعني يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم، ويؤذيكم ويضرّكم.
- الصفة الثالثة: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ يعني شديد الحرص عليكم فيحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم للإيمان، ويكره لكم الشر ويسعى جهده في تنفيركم عنه.
- الصفة الرابعة: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يعني شديد الرأفة والرحمة لأمته، وبالمؤمنين خاصة منهم، أرحم بهم من والديهم.

هذه الآية في وصف النبي صلى الله عليه وسلم ما علاقتها بالباب؟ كأن الشيخ يقول لك هذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم أنه حريص عليكم، هذا وصفه، وهذا أحد صور حرصه، يعني النبي صلى الله عليه وسلم من وصفه أنه حريص عليكم وأحد صور الحرص الحرص على توحيدكم، كأنك تقولين أن هذه الصفات التي وصف بها النبي صلى الله عليه وسلم من المؤكد أن يكون نذارته لأمته من الشرك وتحذيرهم منه أشد ما يكون، لماذا؟ لأن هذا هو المقصود الأعظم في رسالته.

يعني الآن عندما يوصف النبي صلى الله عليه وسلم أنه يشق عليه ما يشق على المسلمين، وفي نفس الوقت حريص عليهم، وفي نفس الوقت أنه رؤوف رحيم بهم، وفي أول الصفات هو رسول من أنفسكم، ثم أنه وصف أنه ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يعني يشق عليه ما يشق عليكم، ووصف أنه حريص عليكم وأنه رؤوف رحيم، أريد منك أن تتصوري هذه الصفات، كونه رسول إذن سيُبلغ بما ينجي الناس، سيبلغ في الرسالة بأسباب نجاتهم، وبأسباب أيضًا هلاكهم.

إلى هنا واضح لأنه رسول، هذه أسباب النجاة وأسباب الهلاك كيف سيبلغها النبي صلى الله عليه وسلم؟ ما صورة تبليغه لأسباب النجاة وأسباب الهلاك؟ لاحظ أنه ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ كيف ستكون؟ الرحمة فقط؟ لا، يعني كونه ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يعني ما يوقعكم في المشقة سيكون هذا سبب في أن يحذركم من أعظم ما يحذر منه.

الآن هو رسول أتاه الخبر بالمسائل العظيمة الممنوعة الموجبة للنار، والمسائل العظيمة المأمور بها الموصلة إلى الجنة، وأتاه الخبر عن بقية التفاصيل في سلوك طريق الدين، الآن من أوصافه أنه يشق عليه ما يشق عليكم، كيف تفهمين هذه؟

- يعني هو الآن لو أمركم بأمر لن يشق عليكم فيه، يشق عليه ما يشق عليكم، هذا فهم، أنه لو أمركم بأمر لن يأمركم بشيء يقع مشقة عليكم، مثل حديث السواك: "لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ"، إذن لا يأمركم إلا بما تستطيعون، هذا من جهة.
- من جهة أخرى: أنك تفهمين كراهيته أن يشق عليكم أنه يمنعكم من الأمر الذي لو دخلتم فيه دخلتم في المشقة، ضعي خط على هذه الجملة.

إذن الوصف الأول: ﴿رَسُولٌ﴾

الوصف الثاني: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.

الوصف الثالث: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.

نرى الوصف الرابع: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ ما وصف الذي يحرص على غيره؟ يأمره بأعظم ما ينجيه، وينهيه عن أعظم ما يهلكه، ضعي خط أيضًا تحت هذه الجملة.

انظر الوصف الخامس: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ من كان في قلبه رأفة ورحمة ماذا يفعل؟ الرأفة والرحمة تورث ماذا؟ الرأفة والرحمة تورث العبد أن يدلّ من يحب على ما يحب لهم من أسباب النجاة، ومن الهلاك.

نرجع إلى صفات النبي صلى الله عليه وسلم من أولها.

الآن هو رسول؛ مادام أنه رسول إذن عليه تبليغ الأوامر، ومن أعظم الأوامر النهي عن الشرك ووسائله.

تعال إلى الوصف الثاني ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ لا يأمرهم بما يشق عليهم، ويمنعهم من الأمر الذي إذا دخلوه شق عليهم.

ما الأمر الذي إذا دخلوه شق عليهم؟ في رأسه الشرك، هناك أمثلة كثير على هذا النوع، مثلًا الربا، الربا ممنوع في الشرع، النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه، في الكتاب وفي السنة النهي عنه، من أي نوع نهى عنه؟ من شفقته ورحمته ومن حرصه على أن لا تدخلوا في المشقة منعكم من الربا الذي لو دخلتموه دخلتم في المشقة، لكن على رأسه الشرك.

الوصف الثالث: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ من حرصه أنه ينهاك عن أعظم ما يهلككم، ما هو أعظم ما يهلكهم؟ الشرك، حريص عليكم أي أنه يدعوكم إلى كل ما ينجيكم، يأمركم بكل ما ينجيكم، وينهاكم عن كل ما يهلككم من حرصه عليكم.

اضرب مثال على نهيه عن كل ما يهلككم؟ الشرك من الأمثلة، بل من أعظمها ورأسها.

الوصف الرابع: أيضًا رأفته ورحمته بالمؤمنين تورث النبي صلى الله عليه وسلم الخوف عليهم من الشرك.

الذي يهمنا في هذا الموطن أن تفهمي أن هذه الآية قاعدة في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع أمته، وهذه القاعدة تفسر لك لماذا وهو يحتضر يقول: "لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"، فتقول عائشة رضي الله عنها: "يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا"، لماذا؟ هذا من شدة حرصه على أمته، أنه خاف أن تقع أمته في الشرك كما وقع من قبلهم عن طريق القبور، فهذا يبيِّن شدة الحرص.

الشيخ وضع هذا الباب من باب وضع القاعدة أن هذه علاقة النبي بمن؟ بأمته، فمن أهم دلالة أنه رسول، ومن أهم دلالة أنه يشق عليه ما يشق عليهم، ومن أهم دلالة حرصه عليهم، ومن أهم دلالة رأفته ورحمته بهم أنه نهاهم ليس فقط عن الشرك وحتى عن وسائلة، الشرك ووسائله المورثة له.

❖ الدليل الثاني.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ " .رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

بعدها مباشرة في الدليل الثاني بدأ بصورة من صور حرصه صلى الله عليه وسلم على أمته، ولابد أن تعلمي أن الرؤوف الرحيم الحريص الذي يشق عليه ما يشق على أمته سيظهر من حرصه سدّه لكل طرق توصل إلى الباطل.

يعني لا يكفي فقط منعه عن الباطل إنما أيضًا سدّ الطرق الموصولة إلى الباطل، ومن المعلوم أنها كلما زاد سدّ الطرق كلما ظهر خطورة الطريق، لأن عندما تجدي نصوص كثيرة تنهاك عن شيء معين تفهمي أن وراء هذا الشيء خطر عظيم، لما يتكرر في كلام النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته – ولاحظ كله قبل موته – في حديث أم سلمة لما كانت تحكي عن الكنيسة التي في الحبشة: "أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْق" ماذا كانوا يفعلون؟ " إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنُوا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهَا تِلْكَ الصُّوَرَ" وصفهم"أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْق" انت تفهم أن هذا الوصف لهم من أجل أن تحذر انت أن تفعل مثلهم.

الآن ثلاثة أبواب كلها تدور حول نفس المفهوم، وهذا الباب الرابع أيضًا يدلك على نفس المفهوم، كأنه يقال لك كما قال عمر ابن الخطاب: "القبر القبر" يعني احذر، احذر من القبور احذر لأنها من أعظم أسباب هلاك الناس.

انظري الحديث: " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ "

نبدأ بمناقشة جملة: " وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا" ثم بقية الحديث إنما نبدأ بهذا لأنه موطن الشاهد.

ما معنى "عِيدًا "؟ هو ما يُعتاد مجيئه وقصده من زمانٍ ومكان والغالب أنه يعود بفرحٍ وسرور، يعني لا يقال عن شيء عيدا – الغالب عليه – إلا معه فرح وسرور، لكن الأصل فيه ما يعتاد المجيء إليه سواء كان المجيء إليه زمانًا أو مكانا، هذا معنى عيد.

انظري إلى الحديث: " وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا" المعنى لا تجعلوا قبري مكانًا يعتاد المجيء له بتخصيص زمان معين للاعتياد أو بتكرار أعتياد المكان، يعني على قبر النبي صلى الله عليه وسلم يصلح أن يكون أمرين:

- يصلح أن يكون اعتياد من جهة اعتياد زيارة المكان.
- وممكن يكون الأعتياد من جهة تخصيص زمن معين لاعتياد قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

لو قيل لك أن معنى: " وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا" أي لا تخصصوا له زمنًا معينًا يكون مثل العبد بل عليكم بمعاودة الزيارة وعدم قطعها بأستمرار؟ لو قيل لك هذا الكلام ماذا تقولين؟ سأذكر لك قاعدة اجعليها منك على بال: القاعدة تقول:

لا يستدل بدليلٍ صحيح على معنىً باطل إلا كان الرد من نفس الدليل.

الدليل الذي أمامكم صحيح، فماذا تقولين؟ لابد أن يكون الرد في نفس الدليل، انظري للدليل وردي؟ ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ " وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ"عندما يقول لهم " وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ" دليل على أنه لا تأتوا إلى قبري، هذا معناه، لا تأتوا إلى قبري إنما "وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ" يعني فلا مزية لمن صلى عليه أو صلى عند قبره، كما قال الحسن البصري رحمه الله: ما انتم ومن بالأندلس إلا سواء.

يعني انتم الآن من تصلون هنا أو من صلى على الرسول صلى الله عليه وسلم في الأندلس سواء "فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ" فالفوارق المكانية والزمانية ملغية إنما القضية بالقلب على قدر صدقتك في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم على قدر ما تبلغ النبي صلى الله عليه وسلم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: بمعنى أن هؤلاء القوم عندهم ليل وأن هؤلاء القوم عندهم نهار، هذا كله ملغي، غير موجود، يعني العالم البرزخي وبرزخ الأنبياء مختلف، أولًا العالم البرزخي مختلف تمامًا عن الدنيا، يعني السنن الموجودة في الدنيا تنتهي بمجرد

الموت، ندخل إلى سنن جديدة، ثم ما يخصّ الأنبياء في هذه الحياة يختلف عن ما يخصّ غيرهم، الأنبياء والشهداء يختلف مايخصّهم على ما يخصّ غيرهم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أصلًا ليس هناك علاقة نهائيًا بين السنن التي تتصل بالدنيا وبين السنن التي تتصل بالحياة البرزخية، ليس لها علاقة نهائيًا، يعني الآن في حديث الملكان أجلساه، انت كيف تفهمي أجلساه؟ مثل ما انت جالسة، هذه الصورة المفروض لا تخطر على بالك بالنسبة للحياة البرزخية، لأنك لا تفهمين كيف ستكون، ثم أحد يأتي يقول لك القبر كله ليس هناك مجال للجلوس فيه كيف أجلساه؟!، كيف يكلموه ويكلمهم، كيف يفتح باب إلى الجنة، وكيف يفتح باب إلى النار، وكل هذا الكلام!.

لابد أن يدخل إلى أعماقكم مشاعر أن هناك قانون أخر تمامًا لا تقيسيه بقوانين الدنيا وسننها أبدًا!، لأن الذي جعل سنن الحياة كما هي هو الله، وهو القادر على أن يجعل غيرها مختلفة، وهذا من ضعف يقيننا باسم "القادر القدير المقتدر" أننا نتصور أن سنن الحياة هنا هي نفسها سنن الحياة البرزخية هي نفسها سنن اليوم الآخر!، لأ، أبدًا، هذا أمر أخر تمامًا.

لا تفكري بتفكير الجهال الذين جعلوا السنن تحكم أفعال الله، بل الله عز وجل هو الذي جعل في الأرض سنن وهذه السنن كلها ستنتهي، تنتهي الآن في الحياة البرزخية ولما تقوم القيامة تنتهي هذه السنن أيضًا ولا ترى من آثارها شيئا، فإذا سمعت الحديث الذي ورد في مسلم " " تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَتَكَفَّأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ" فكيف الشخص يتكفأ – يعجنها – خبزته في السفر؟ الأرض كلها يتكأفها في يمينه سبحانه وتعالى وتكون طعامًا نُزلًا لأهل الجنة، يعني أهل الجنة يأكلوا من الأرض، تكون نُزلًا لهم، وأختلف أهل العلم هل نُزلًا في العرصات أم حال دخولهم إلى الجنة – نسأل الله من فضله –.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا قوانين، لا سنن، السنن لابد أن تفهموا أن السنن تخصّ الأرض، وفي الأرض يحصل لها كثير من الخرق، حتى في الأرض يحصل لها كثير من الخرق، فما بالك عندما تنتهي هذه الأرض وتنتهي انت حياتك في الأرض وتدخل في قوانين أخرى، او تنتهي الأرض وتدخل إلى قوانين أخرى.

ولذلك لابد أن تعيشوا مع اليوم الآخر بمشاعر مختلفة، لابد أن تعيشوا مع الحياة البرزخية بمشاعر مختلفة لا مشاعر من يقيس المسألة بعقله كما هو موجود!، ولذلك لما نأتي إلى الأطفال ونعلمهم [من ربك، ما دينك، من نبيك] خصوصًا هذه تسألها في قبرك لابد أن يفهم أن حفظه هنا ليس هو الذي سينفعه، وليس المسألة كما تدخل أي اختبار وإن كانت المسألة اشتركت في المسميات لكن هناك حياة أخرى، مسألة أخرى، صورة أخرى من الحياة مختلفة عن مقاييسك التي في الدنيا.

لذلك لابد ونحن نبني في أنفسنا ونبني في أبناءنا أن نخلل في قلوبنا اليقين العميق بالسنن، يعني نحن لدينا يقين بالسنن الكونية، بمعنى: النار تحرق، هذا لا أحد ينكره، لا أقول لك أنه غير موجود لكن بأمر الله، وهذا الأمر، هذا القانون، هذه السنة انتهت عندما إبراهيم ألقي في النار، انتهت وأصبحت شيء أخر، أصبحت برد وسلام، إذن لا تجعلوا القوانين هي التي تحكم فعل الله، هذا من أسوء المعتقدات التي تورثك ضعف في التعلم عن الله، وليس هناك أحد يحمل همّ يوم القيامة، لا تشعري أن الناس يحملون همّ يوم القيامة، لا يحملون همّ الحقوق، ولا همّ أن تنشر السجلات، ولا همّ ان تلقى ربك، ولاهمّ أنك ستسأل عن كل فعل، ولا همّ أنك ستسأل عن كل نية وعن كل حركة قلب، ليس هناك هذه الهموم، لأن القوم يعاملون ربهم بالسنن التي موجودة في الأرض!.

لذلك الآن عندما نتكلم عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الحياة البرزخية وعن أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء هذا كله لعلمنا أن الله عز وجل قادر قدير مقتدر يفعل ما يريد، فلا تجعلوا ما تعلمون من السنن حاكمًا على أفعاله سبحانه وتعالى.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا يوجد النهي، هنا " وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا" يعني تعتادوه، هذا المنهي عنه، ليس هناك تكرار زيارة القبور، الحديث: " نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ " زوروها، السماح بالزيارة غير السماح بالتكرار، هذا أمر، وأمر أخر من هذا الذي يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويتذكر الآخرة؟! الذي يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم عنده معتقدات على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الحديث إطلاقًا عام للزيارة عمومًا، يعني ليس هناك تعارض.

أولًا النبي صلى الله عليه وسلم نهانا عن أمرين: " لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا"يعني نهانا عن إتخاذ البيوت قبور.

ما معنى" وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا"؟ هذا يكون بترك الصلاة في البيوت، فتفهمي بدلالة الألتزام أن القبور الصلاة متروكة فيها.

بهذه المناسبة أريد منكم أن تحلوا هذا الإشكال لو قلت لأحد أن الصلاة ممنوعة في القبور فيسألك يقول لك وصلاة الجنازة كيف سمح بها؟! ابحثوا وجاوبوا، أريد كلام لأهل العلم لا رأيكم.

إذن "لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا " أتفقنا بعدم الصلاة فيها ومن ثمّ ها يدل على أن القبور يمنع فيها الصلاة.

"وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا " معناه مما تعتادون المجيء والقصد له.

ما علّة النهي عن الثاني؟ لماذا نهانا النبي صلى الله عليه وسلم من أن نجعل قبره عيدا؟ لأنه من الطرق الموصلة للشرك، وهذا هو الشاهد على حرصه صلى الله عليه وسلم على أمته، هذا النهي.

ما هو المأمور به؟ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، ومن أفضلها كما هو معلوم: " اللَّهمَّ صلِّ على سَيِّدِنا محمد وعلى آل سَيِّدِنا محمد كما صلَّيت على سَيِّدِنا إبراهيم وعلى آل سَيِّدِنا إبراهيم ، وبارك على سَيِّدِنا محمد وعلى آل سَيِّدِنا محمد كما باركت على سَيِّدِنا إبراهيم وعلى آل سَيِّدِنا إبراهيم في العالمين..إنك حميد مجيد" هذا من أفضل صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

السؤال ما العلاقة بين الأمر والنهي؟ فيه توضيح لأداء حق النبي صلى الله عليه وسلم، كيف تؤدي حق النبي صلى الله عليه وسلم؟ بالصلاة عليه، أين؟ في أي مكان، إذن منعك من إتخاذ قبر النبي صلى الله عليه وسلم عيدًا لا يعني أن تجفو النبي صلى الله عليه وسلم – أي تقع في الجفاء — بل تقرب إلى الله بالصلاة والسلام عليه أينما كنت.

وفي هذا دليل على أن الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم تبلغه سواء كنا عند قبره أو لم نكن، فلا ميزة لمن سلم أو صلى عليه عند قبره.

أريد منكم أن تراجعوا كتاب: "جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام"، ثم تسجلون في هذا دفاتركم في هذا المكان تسجلوا أهم ما تقرأون من الفوائد في الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا الأمر له مقصد مهم أنكم لا تتصوروا أن النهي يورثكم الجفاء، لأن كثير من النفوس غير المعتدلة لما تنهى عن شيء لا تفهم منه الأعتدال إنما تفهم منه الجفاء، أو تفهم منه المنع.

واضرب لكم مثال منتشر في المجتمع، أي واحد تكلميه عن طاعة ولي الأمر، مباشرة يناقشك في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لماذا؟ ماذا يتصور؟ لماذا يكلمني مباشرة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ لأنه يتصور أن طاعة ولي الأمر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هكذا يتصوروا، لو قلت له طع ولي الأمر يعني يساوي أنه أترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني

لما أقول له طع ولي الأمر وعليك بطاعته وعدم الخروج عليه وعدم انتقاده لأنه ما معنى الطاعة؟ الطاعة أي عدم انتقاده ولا تتكلم في المنابر، منكرت لا أحد ينكرها أنها منكرات.

كما ورد في الحديث: "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ" ٣٢٥أمور تنكرونها نجد في الجرائم ونجد أشياء منكرة، ثم تأتي بأشياء منكرة، وتجد أشياء تثيرك أنهم تركوا كذا أو فعلوا كذا إلى أخر ما يثيرون الناس بعضهم به، فأقول له لا تتصور أن الطاعة تنهاك عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل أؤمر بالمعروف وانهى عن المنكر وإذا أردت أن تنتقد ولي الأمر أو انتقادك هذا في مكانه أي أمر بالمعروف وليس مجرد كلام إذا أردت وانت صادق فكما ذكرنا في أول الأمر ابحث عن الوسيلة التي توصلك إلى من يوصل، وليس شرطًا أن تكون انت الموصل إنما ابحث عن من يوصل من أجل أن لا ندخل في قيل وقال، ومن أجل في نفس الوقت أن لا تتصور أن تركنا للكلام عن ولي الأمر وانتقاده يعني ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أمرنا بأن لا نجعل قبر النبي صلى الله عليه وسلم عيدًا ليس معناه ترك الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم أو ليس معناه ترك محبته.

هذا الكلام نتهم به من الصوفية أنكم لا تحبوا النبي صلى الله عليه وسلم، ولما تسمعوا مني هذا الكلام لا تفهموا خطأ، ونحن نرى من أهل السنة آثار من عدم العناية بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فكأنه لما يقال لك اترك عنك التعلق بالنبي واترك عنك التمسح بقبره واترك عنك إتخاذ قبره عيدا لا تستهوي النفوس فتذهب إلى الجانب الأخر جانب الجفاء، وهذا ما نخافه، يعني لما يتكلموا عنا الصوفية لا يهمنا أن يتكلموا أو لا يتكلموا نحن يهمنا أن لا نقع نحن في خطأ الجفاء الحقيقي.

فلا أجد في نفوس الطالبات ولا نجد في نفوس البنات في المدارس لما يذكر النبي صلى الله عليه وسلم أننا نحتسب الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم قربة إلى الله، ولا نرى أنه أحد أبواب الخير العظيمة التي فتحت لنا، ليس واقع في قلوبنا مثل هذا، فهذا أيضًا نوع جفاء!.

فالآن لا نريد غلوهم ولا نريد الجفاء، ودائمًا يشكل علينا الاعتداء الفكري، وحتى لما تتعاملوا مع بعض أو تتعاملوا مع إدارة المعهد أو تتعاملوا غدًا لما تمسكوا أماكن – اسأل الله أن يسددكم ويفتح عليكم ويشرح صدوركم ويسد بكم الثغرات – لابد أن تفهم أن هذا من أعظم العيوب في الشخص، أنه ممكن يكون عنده علم وناس كثير عندهم علم كثير، والحمدلله هذا من فضل الله البلد مليئة بالناس عندهم علم لكنهم ليس عندهم اعتدال في نفسياتهم، فعدم الاعتدال في النفسية يورث أنه أصلًا لا يستطيع أن يتحمل الناس، ولو أحد أشار له أنه ألزم خط اليمين مثلًا تجده من شدة لزومه لخط اليمين أنه سيخرج عنه!، من كثرة أنه ليس هناك اعتدال في النفسيات، فلازلنا نخاف أن تكون التهمة التي وجهت لنا حق أننا وصلنا إلى حد الجفاء في التعامل مع النبي صلى الله عليه وسلم.

وانا اسألكم الآن كم لكم نصيب من قراءة سنة النبي صلى الله عليه وسلم وانتم طلاب علم؟! قراءة خاصة لا التي تأخذوها في مادة الحديث إنما أريد قراءة خاصة؟ ما علاقتكم بصحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داوود؟! كم وأين هو؟! لابد، انا أرى والله أعلم أنكم تعطوا نفسكم ساعة على الأقل في الأسبوع، تفتحوا كتاب واحد ولا أريد أن أعدد عليكم، إنما واحد كتاب الأدب المفرد مثلًا وخذوا عليه أحد الشروح التي علقت على صحته، أو نفس الأدب المفرد معلق على صحته أو الشروح، لا بأس،

٣٢٥ "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ "

وأستعمل الكتاب بالترتيب، يعني اقرأي بالترتيب وضعي صح مكان ما تقرأي، أنا لا أريد منك أن تحفظي! إنما أريد منك فقط أن تقرأي فقط.

الآن لو سألتكم اسئلة كثيرة ماذا يجب علي أن أفعل في كذا، وماذا يجب علي أن أفعل في كذا، وماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في كذا وحتى ليس شرطًا أن تأتي بالمنطوق لكن بالمفهوم انتم تعرفون أنه لن يكون عندكم إجابة، وهذا ما يؤسفنا!، هذا نوع الجفاء المرفوض، لابد أن يكون عندكم توازن.

محبة النبي صلى الله عليه وسلم عبادة نتقرب بها إلى الله، فأكثروا من الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم، وأكثروا من مراجعة الكتب التي جمعت فيها السنن، وهذه من أعظم المنن علينا ما نجده من منة الله عز وجل أن أتينا في زمن الكتب يسيرة وطباعتها واضحة وفي متناول اليد وانت تطلبي والناس يأتوا لك لعندك، وبأسعار زهيدة، بل من لا يستطيع هناك من يقول له خذ، تقدروا تنكروا نعمة الله؟! ماذا نقول بعد ذلك لربنا؟!.

لابد أن نستحي خصوصًا في هذا الباب، عليكم بتلاوة كتاب الله كل يوم، لابد أن يكون لكم حزبًا لا تتركوه ثم أجعلوا في الأسبوع على الأقل ساعة واحدة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم هذا وانتم طلاب علم وإن كان المرجو منكم أكثر من ذلك.

وإذا كنتم ممن يستعمل البريد الإلكتروني أجعل أحد أعمالك المهمة أن ترسلي كل يوم أو كل أسبوع مما صح من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، يعني خذي كتاب واحد وامشي عليه وارسلي منه، خذي صحيح البخاري مثلًا كتاب العلم كتاب الأأدب، كتاب الاعتصام بالسنة، كتاب الفتن، وسرّ عليه كل يوم أقرأيه واقرأي شرح مختصر له ثم ارسليه لكل الناس الذين في قائمتك البريدية، خير وبركة، لا تعرفوا إلى أي درجة خير وبركة، والناس من ليس لديهم بريد إلكتروني أنصحهم الآن أن ينتفعوا من وجود البريد الإلكتروني، الانترنت الآن أصبح من الوسائل المهمة لإيصال الحق، القوم قدر ما استعملوه في الباطل لكن سبحان من سخره لنشر الحق، سبحان الله ليس بحولنا ولا بقوتنا وصل إلى أبوابنا من أجل أن ننشر الدعوة في سبيله.

فاليوم انت تجد أن كثير من المنحرفين كان أحد أسباب هدايتهم كان بسبب بريد إلكتروني وصل إليهم فكان سببًا لهدايتهم ووصول الحق إليهم، وكثير من الناس اليوم الذين نراهم مخالفين أو أهل زيغ أو أهل فسق أو ممن يكتبون في الجرائد كلامًا لا يصلح يكتبوا في أخر كلامهم بريدهم الإلكتروني مثل هؤلاء ينفع معهم الوعظ، ينفع معهم الكلام الطيب، ينفع معهم المناقشة الهادئة، وكل هذا وانت بعيد ولا أحد يعرف من انت وارسل واحتسب الأجر.

على كل حال عليكم بملازمة السنة علمًا وعملا، لا تكونوا مما جفا فيصح فيهم التهمة، الآن ما كتابكم الذي تدرسوا فيه الحديث؟ مختصر صحيح مسلم، نعمل مشروع لقراءة صحيح البخاري، أول خطوة سنوزع عليكم كلكم صحيح البخاري، بعدما نوزع صحيح البخاري نعمل خطة طويلة المدى، مثلًا لمدة سنة، انتم عندكم استراحة في الغالب إذا كانت لقاءات في الباكر هناك نصف ساعة قبل وانتم تخرجون أليس وقتًا؟ سياراتكم أليست وقتًا؟!، لابد أن لا تغفلوا هذا البرنامج، وسأبدأ بما استطيع وأوزع عليكم كلكم صحيح البخاري، ثم لا تخرجيه من شنطتك وترد علي وتقولي لي ثقيل! لأن هذا نوع من أنواع التعبد والتقرب إلى الله عز وجل، بحيث أنه كلما استطعت وأتتك فرصة اجعليه هدف في ذهنك، اجعليه هدف أمامك، أو نأتي بالجيب الصغير لكن الصغير ليس هناك إلا المختصر، التجريد، على كل حال لن يكون هذا الإشكال، احمدوا الله هناك ناس ..-الله المستعان — .

المهم لو حملتيه في كل مكان ستري ما أثر هذا لو كنت صادقة طبعًا وأردتي الحق، لابد أن تتصوري أن قراءة من هذا النوع تورثك علم جم، واسألوا الله البركات في الأوقات.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لما تكوني متأكدة تمامًا أن هذا باطل، هذا من باب النصح والإرشاد، هذا ما يتداول كثير خصوصًا مع النساء، تقول كلام ولاحظ الكلام الباطل غير الأخطاء، غير وجهات النظر، غير أن هذا أمر جزئي ممكن أن يحصل فيه الخلاف، هناك درجات مختلفة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا بأس، اقصد أن هذا قانون ضعوه في أذهانكم، أحيانًا يكون في نفسي شيء على الإنسان من يتكلم، وانتظر منه الخطأ، وأصلًا أذهب بهذه النفسية، أذهب لانتظر منه الخطأ، مثل هذا أصلًا لا تنصحيه ولا تكلميه، لأن ليست النفسية السوية للنصح، هذا نوع من أنواع اصطياد الأخطاء، هذه النفسية لا تصلح للنصح ولا هذا الذي أمرنا به ولا هذا الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر.

والعواطف عواصف؛ ونحن يؤسفنا أنه أحيانًا يكون هناك شباب عندهم حب للانتقاد، يحبوا ينتقدوا أي شيء، هؤلاء جماعة، وجماعة أخرى يرفعوا الراية البيضاء لا يريدوا أن ينتقدوا أي أحد ولا أي شيء، نفسيتان مختلفتان لا هذه سوية ولا هذه سوية، وجماعة في الوسط ربي أعطاهم أن يكونوا أسوياء لكن يتأثروا بأصحابهم، انت لما تعيش مع واحد ينتقد تتأثر به غصبًا عنك.

الجماعة أهل النقد يأتوا أولًا في مسائل لا تعتبر مسائل الأم أي ليست أصول ويتكلموا عن مسائل تعتبر في حكم أقل من أن تكون فرعية ويقولوا قالوا كذا وفعلوا كذا وتركوا كذا، ويفرحوا بذلة أي أحد وينشروها وتجد ليس عندهم قضية إلا نشر الذلل وأخطاء الناس، فجماعة لا يريدوا أحد يخطأ في مجال الدعوة وليس عندهم أخطاء، فعكسين، ضدين، فالاعتدال ما هو؟ أصلًا أنك تستطيع أن تحكم وأنت لا شيء في العلم أولًا هذا أمر معيب، يعني عيب أن تأتي تحكم على أحد وانت أصلًا هذه المسألة لم تبحثها، واحد يقول لي سمعت منها حديث عمري ما سمعته، وانت أصلًا كم عمرك؟!، هذا مقياس أفسد ما يكون!.

أما العامة لا أقول لهم هذا الكلام، أنا أقول لطالب العلم، عيب أن تقول هذا الكلام، يعيبك هذا الأمر، هذا الحديث الذي سمعته سمعت من رواه؟! سمعت من أخرجه؟! لم تذكر لا من رواه ولا من أخرجه، ألفاظه؟ أو بعض ألفاظه؟ أذهب وانت تعرف تبحث في المعجم المفهرس، ابحث فيه وانظر ماذا درجته، وانظر ماذا قال العلماء عنه، تقول هناك أحد يقول أنه ضعيف لكن هناك من يحسنه، لأن هذه الدعوة نفسها حتى على كتاب التوحيد يقولونها؛ أنه أستشهد الشيخ عبد الوهاب بأحاديث ضعيفة في كتاب التوحيد، وهذا كلام باطل، وأصلًا فهمك لمعنى الأحاديث الضعيفة فاسد، أصلًا لا تفهم ما هي الأحاديث الضعيفة التي لا يجب أن لا يستشهد بها، وإذا استشهد على أصل موجود في الشرع من باب الاستئناس فلا بأس، هذا الكلام باتفاق العلماء، الشرط عدم الإنفراد.

على كل حال مثل هذا يدل على نفسية الشخص، العلم إناؤه القلب والقلب هو ما يشكل النفسية، فلما يكون قلبك أصلًا ليس جاهزًا وتريد تمحي كل الناس من الوجود وكلهم لا ينفعوا، وكلهم أهل باطل، أو بالعكس؛ كلهم طيبين وكلهم كلامهم جيد وتقبل أي خلق أو لا تقبل أي أحد، هذا باطل وهذا باطل، المسألة يحتاج لها أعتدال، يحتاج لها سؤال الله، يحتاج لها استخارة، يحتاج لها التوسل إلى الله، انتظار ساعات الإجابة، هذا كله من أجل أن تأتي إلى أحد تقول له انت وقعت في خطأ من نوع كذا وكذا وكذا، خصوصًا لو أريد أجرمه أقول له انت تخالف المنهج الصحيح، تارك الكلام حول المسائل الأصلية، تارك للكلام حول التوحيد المهم،

تارك الكلام حول ولي الأمر وطاعته، تارك الكلام حول القرآن وتفسيره، لما أقول كلام مثل هذا ليست المسألة خط عشوائي ويأتي أصحابك ويحمسوك وتذهب تتكلم وينتهي الأمر!، كل هذا من ضعف فهم مسؤولية الكلمة وهذا من قيل وقال.

إذن نتركهم؟! لأ!، أنا لا أريد هذا الوجه ولا أريد هذا الوجه، لا الناس الذين يرون أن كل أحد صح ولا الناس الذين يرون كل أحد خطأ؛ فإلى أن تتأكد أن هذه بدعة وأنها ليست صحيحة وبعدما تجتهد وتدعو وتسأل الله عز وجل ثم تتقدم فتكلم.

على كل حال؛ كان كلامنا حول عدم الاعتدال في استقبال المفاهيم اتفقنا أننا سنراجع كتاب جلاء الأفهام وتكتبوا من فوائد الصلاة على الرسول صلى الله عله وسلم، وتعبدوا الله بهذا العمل، خصوصًا الناس الذين كتبهم ستكون مرجعًا، سنري أثر هذا الكلام لما تقرأيه بعد زمن.

النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ" إذن أمرنا بالاكتفاء بتكرار زيارة قبره بالصلاة والسلام عليه في أي مكان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " " إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِيَ السَّلامَ" ولا تتصور أن كل أعمال الأمة تبلغ النبي بل هذا العمل – وهو الصلاة والسلام – خص بالتبليغ من أعمال الأمة، هذا النهي يفهمك أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى حمى التوحيد وحرس جنابه.

متداول بين الناس إرسال الصلاة والسلام للرسول صلى الله عليه وسلم مع الذاهبين إلى المدينة؛ ماذا تقولين لهم؟

أول شيء تقولي هذا الأمر لا أصل له ولم يكن من فعل السلف، لماذا لم يكن من فعل السلف؟ لأنه صلى الله عليه وسلم يبلغ صلاة أمته وسلامها عليه، إذن التعبد بإرسال السلام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بدعة.

مرة أخرى؛ "لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا" دلالة المطابقة ما معناها؟ دلالة المطابقة بترك الصلاة فيها.

وبدلالة الألتزام فهمنا أن القبور لا يصلى فيها، – يقصد في المقبرة نفسها –"لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا" أي لا تجعلوها مثل المقابر أي بهجر الصلاة، الوافل طبعًا، أي لا تتركوا صلاة النوافل في بيوتكم، وحتى هذا الكلام يخاطب به الرجال حتى مع تأديتهم الفرائض في المساجد مطلوب منهم أن يصلوا النوافل في بيوتهم.

دلالة الألتزام أن المقابر لا يصلى فيها.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا من الكلام البدعي الذي أصلًا يأتي على لسان الصوفية وغيرهم، اسأليها أصلًا ماذا تقصدين بكلمة "نور النبي"، لأن اتفقنا أن قاعدة أهل السنة أن تسألي "ماذا تقصد"، فماذا تقصد بنور النبي؟!، اسأليها.

من في قلبه ضيق يقول قلت كذا وكذا والذي في قلبه سعة ويريد الناس أن يهتدوا يقول لهم ماذا قصدتم بما تقولون، انت كلمة واحدة ماذا تقصدين بنور النبي؟ أصلًا هي لا تعرف ماذا تقصد، قولي لها هذه اللفظة "لفظة: نور النبي" لفظة لم ترد عند السلف، وهناك ناس في عقلهم نور النبي نورًا حسيًا وأن له نور ولا يعلمه إلا من حضر الحضرة إلى أخر الكلام الذي يقولونه، فهذه الكلمة ليس لها وجه أخر إنما هي فقط ممنوعة، لماذا؟

- لم ترد أصلًا في وصف النبي صلى الله عليه وسلم.
- والأمر الثاني أن أهلها لهم ورائها مقاصد منها.

الدليل الثالث.

ننتقل إلى الدليل الثالث.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ ، أَنَّهُ رَأَى رَجُلا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو ، فَنَهَاهُ ، وَقَالَ : أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي ، عَنْ جَدِّي ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ" . [رواه في المختارة].

= لِيَبْلُغُنِي أو يَبْلُغُنِي = لابد أن أراجعه واختلاف الطبعة تشير إلى أنه يمكن أن يكون هناك تغيير.

من هو علي ابن الحسين؟ هو علي ابن الحسين ابن عليه ابن أبي طالب، سيكون جده علي رضي الله عنه.

انظري هذه قصة روى فيها الحديث، يعني لو سألتك عن سند هذا الحديث ماذا تقولين؟ عن علي بن الحسين، "أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي ، عَنْ جَدِّي ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" يعني عن العلي بن الحسين عن الحسين عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا سند الحديث.

لماذا يتكلم عن سنده؟ لأن أولى الناس به وأكثرهم حبًا للنبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك انظري ماذا يقولون وكيف كانوا ينصحون الناس.

نفهم القصة الآن.

قبر النبي صلى الله عليه وسلم كما هو معلوم في بيته، في حجرة عائشة رضي الله عنها، وكان في أحد الجدران فتحة، فانتهز أحد الرجال فرصة وجود هذه الفتحة فصار يتردد ويدخل منها، ويدعو عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم – هذا أصل القصة – فكان موقف السلف من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم من فعل هذا الرجل كالتالي:

أولًا نهي الرجل عن التردد على قبر النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء عنده.

بماذا استدل؟ "لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا"، لأنه كان يعتاد، فنهاه عن أعتياد التردد عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم بدليل"لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا" وأيضًا؟

اجابت إحدى الطالبات: "وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا"

رد من الأستاذة: اتركوا "وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا" هذا من السند من الحديث.

وأيضًا "وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ".

ما سبب فعل علي ابن الحسين – رحمه الله – ما سبب نهيه للرجل؟ ما يعلمه من المفاسد العظيمة التي تأتي من وراء هذا الفعل، وما يُعلم من أن البدع تبدأ بهذه الصورة، وتنتهي بأن تتحول هذه البدعة إلى سنة، إذن لابد من ملاحظة المخالفات الصغيرة التي تتصل بالتوحيد خاصة.

كوني دقيقة جدًا في المسائل التي تتصل بالتوحيد لأن أي ظاهرة تظهر مخالفة لفعل السلف لابد أن تعلم أنها تبدأ بفعل شخص وشخصين وثلاثة وتنتهي بأن تكون سنة، وأحسن مثال لكم المولد النبوي، وانظروا ما فيه من بلاءات حصلت على الأمَّة، وبدايته المخالفة، إذن المخالفة بنفسها ممنوعة حتى ولو لم يظهر آثارها البعيدة.

إذن أين ظهر حماية النبي صلى الله عليه وسلم في حماية حمى التوحيد؟ نهى أن يتخذ قبره عيدا.

انتهينا من هذا الباب الذي يلحق ما سبق من الأبواب وكأنه فيه جواب لسؤال: أن سبب كفر من مضى هو الغلو في الصالحين لكن هذه الأمَّة مرحومة مدفوع عنها الوقوع في الشرك؛ فكيف يكون في هذه الأمَّة وقوع الشرك؟

يعني هذا سؤال أحد يوجهه لنا، يستدل بهذا يقول ورد في الحديث "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ" فهذا ما ذكرتم أن الغلو في الصالحين ويصيرها قبورًا تعبد فيما مضى في قوم نوح وفي القوم الذين سبقونا، أم نحن فلا، هم يقولون هذا الكلام، دعوة يدعوها علينا يقولون أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الغلو في الصالحين، ووقوع الشرك سببه الغلو في الصالحين.

يقول هذا فيما مضى أمَّا نحن فالنبي صلى الله عليه وسلم قال عنا "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ"ماذا نقول له؟ نجيبه بإجابتين:

- الإجابة الأولى: أن النبي صلى الله عليه وسلم حَمى حِمى التوحيد لعلمه بهذه الحقيقة، فأن الطريق إلى الشرك هو تعظيم القبور. – هذا الجواب الأول وهذا الباب هو الجواب.–
- الإجابة الثانية: وأنه صلى الله عليه وسلم كما أخبر أن الشيطان يعبد في جزيرة العرب أخبر أيضًا أن بعض هذه الأمَّة يعبد الأوثان.

أن بعض هذه الأمَّة يعبد الأوثان كما أخبر أن الشيطان يأس أن يعبد في جزيرة العرب، هذه الجملة الصحيحة، كما أخبر أن الشيطان يأس أن يعبد في جزيرة العرب أخبر أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.

هذا جواب على سؤال أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين هذا فيمن مضى أما نحن فالشرك عنا بعيد، لماذا؟! لأنه يعتقد بحديث: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ"، نقول له:

الجواب الأول: النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ان القبور سبب للوقوع في الشرك فحمى حمى التوحيد بأن قال: " لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا" هذا جواب.

والجواب الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال أن الشيطان يأس أن يعبد في جزيرة العرب أخبر أن هذه الأمَّة تعبد الأوثان.

ما تخريج الحديث على هذا؟ يعني كيف نفهمه؟ يحمل على ماذا أن الشيطان يأس أن يعبد في جزيرة العرب؟ ماذا تكتبين العنوان هنا؟

على ماذا يحمل حديث: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ"؟

اليأس الذي وقع في قلب الشيطان لما رآه من انتشار التوحيد، وانكسار الشرك وأهله، فلم يخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يأسه، إنما أخبر أنه هو الذي يأس، فإذا كان هو الذي يأس هذا لا يمنع أن يعود إليه الأمل.

اليأس حالة نفسية تصيب الجن والإنس كما أن الأمل حالة نفسية تصيب الإنس والجن، كما أن الغضب حالة نفسية تصيب الإنس والجن، كما أن الرضا حالة نفسية تصيب الجن والإنس، فهذا لا يحمل على أنه لا يحصل، هناك من الأجوبة العديدة على ذلك منها أن هذه القضية إذا خصت جزيرة العرب لا تخص غيرها، لأن الحديث يقول: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ" فمعنى ذلك إذا افترضنا أن معناه الحماية سيكون خاصًا بجزيرة العرب والباقي سيقع فيه، لكن أصلًا هذا ليس مقصود الحديث إنما الحديث إشارة إلى انتشار الدين.

اتفقنا على سبب ورود البابين؟ ما سبب ورود البابين؟ بعد ما ذكر لنا أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الغلو في الصالحين وكل ما أتى في الأبواب الماضية؛ أتى قوم نوح وأولئكِ شرار الخلق على النصارى في الحبشة، ""لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"، ثم أتينا إلى اللَّات، فكل النصوص تدلّ على أن من وقع عندهم الشرك هم من مضى، فكأن قائلٍ يقول سبب كفر من مضى هو الغلو في الصالحين أمَّا نحن فلا نقع أصلًا في الشرك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ"، نقول لا ليس صحيحًا هذا الكلام، النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن هذا الأمر واقع ويقع بسبب القبور بدليل أنه قال: " لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ "معناه أنه صلى الله عليه وسلم سدّ علينا هذا الباب، سد علينا باب الشرك من باب الدخول من باب المقابر.

ففهمنا هذا يجعلنا نعلم أن الأمر قابل للوقوع، أي أمر؟ أمر الشرك بالقبور قابل للوقوع، سنرى أيضًا رد على من قال هذا الكلام نقول:

وأيضًا النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الشرك يقع في هذه الأمَّة، نناقش الآن الباب الذي بعده، ركزوا معي لأن طريقة هذا الباب مختلفة عن طريقة كل الأبواب التي مضت – باب ما جاء أن بعض هذه الأمَّة يعبد الأوثان — يختلف عن كل الأبواب التي مضت في طريقته.

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)[٣٢٦]. وقوله تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ)[٣٢٧].

وقوله تعالى: (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا)[٣٢٨].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ " . قُالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ : فَمَنْ".أخرجاه.

ولمسلم عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا " .

ورواه البرقاني في صحيحه ، وزاد : " وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ ، وَإِذَا وُقِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلا تَقُومُ السّاعَةُ حَتّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَام مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله تبارك وتعالى".

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان.

ما جاء من الأدلة أن بعض – وهذا معناه ليس الكل إنما بعض – ما الذي لا يقع؟ في الحديث الأخير جواب: "وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ".

السؤال الآن؛ من المقصود بالأمة؟ هل هي أمة الدعوة أم أمة الإجابة؟ الجواب في نص حديث مسلم: "وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ"، "وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَام مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ"، "وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ"، "وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي" ؛" من أمتي" كل هذا تفهمي منه أن أمتي معناها أمة الإجابة.

أصلًا ما الفرق بين أمة الدعوة والإجابة؟

---

[٣٢٦] النساء:٥١

[٣٢٧] المائدة:٦٠

[٣٢٨] الكهف:٢١

- أمة الدعوة كل الناس بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم اسمهم أمة الدعوة، يعني أرسل النبي صلى الله عليه وسلم، مسلمهم وكافرهم، عربهم وعجمهم، إنسهم وجنهم، هذه كلها أمة الدعوة.
- ما أمة الإجابة؟ الذين استجابوا.

هنا ما المقصود – باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان-؟ أمة الإجابة طبعًا، لن يكون هناك مكان لأمة الدعوة، إنما أمة الإجابة وواضحة في الحديث الأخير.

ماذا تفعل هذه الأمة؟ – ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان – ما هو الوثن؟ كل شيء يتوجه إليه الناس بصرف نوع من أنواع العبادة أو كل من يصرف له تمام التعلق وتمام التعظيم.

نرى كيف يستدل الشيخ على هذا التقرير؛ ما هو التقرير؟ أن بعض هذه الأمة يعبد الاوثان.

كيف يستدل عليه؟

- الأسلوب الأول الاستنباط.
- والأسلوب الثاني الأسلوب المباشر، سنرى كيف يكون هذا.

سأشرح في هذا اللقاء هذا الباب مختصرًا لتفهموا الطريقة ثم نتناقش فيه إن شاء الله بصورة أوسع.

نبدأ بآية النساء

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[٣٢٩].

﴿أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي أوتوا نصيبًا من العلم بالكتاب، المقصود علماء اليهود، والآية لها سبب نزول يبيِّن ذلك، المطلوب هات سبب النزول.

ما حال العلماء؟ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ ما حالهم؟ ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ أي يؤمنون:

بالجبت المقصود به السحر.

والطاغوت اسم لكل من يعبد من دون الله.

آية النساء تصف علماء أهل الكتاب بأنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت أي واقعين في الشرك.

إذن آية النساء تصف علماء أهل الكتاب.

وانظري إلى آية المائدة

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[٣٣٠].

آية المائدة تحتاج أن تفتحوا مصاحفكم لكي تنظروا إلى السياق؛ انظروا السياق.

---

[٣٢٩] النساء:٥١

[٣٣٠] المائدة:٦٠

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نحن قلنا هناك طريقتان، وسؤالك صحيح في مكانه أننا نتكلم الآن عن أمة النبي صلى الله عليه وسلم فما علاقتنا بالنصارى واليهود، اصبري وسنرى كيف هو استعمل الأسلوب الاستنباطي، ولأجل ذلك هذا الباب لابد أن يدرس اولًا إجمالًا مرة واحدة ثم ندرسه مرة أخرى بالتفصيل، نسأل الله أن يفتح علي وعليكم، هو الذي علمنا سبحانه وتعالى، نسأل الله أن يشرح صدورنا ويفهمنا.

سنبدأ من آية ٥١ لنعرف السياق:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾

آية ٥١: نهي عن إتخاذ اليهود والنصارى أولياء.

آية ٥٢: ماذا يفعلون؟ ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ أي أن هؤلاء المسلمين سيكون حالهم إلى الضعف، إلى الهوان، تصيبنا دائرة أي تدور علينا الدوائر ويظهر ضعف المسلمين.

آية ٥٣: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ من هم الذين معكم؟ هذه الآية فيها اليهود والنصارى أهل الكتاب من جهة، والمنافقين من جهة، والذين آمنوا من جهة.

هؤلاء اليهود والنصارى ما حالهم مع دين النبي صلى الله عليه وسلم؟ ماذا يعتقدون فيه؟ من تعتبرونهم المنافقين ماذا تعتقدون؟ ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ أي يصيبهم الضعف، يعني كونهم أن يؤمنوا مع النبي صلى الله عليه وسلم هذا سيورثهم ضعفًا لأنهم يعتقدون أن هذا الدين ليس هو الحق، وإنما أهله لابد أن يهزموا.

هم متصورين أن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم إنما هي نوع من أنواع سجال الحرب وليس بسبب نصر من عند الله، هذا ما يعتقدونه، فيتصورون أن المؤمنون سينهزموا وتدور عليهم الدائرة، ماذا قال الله عز وجل؟

آية ٥٤: الآن اليهود والنصارى والمنافقين؛ المنافقين خائفين من المسلمين تدور عليهم الدائرة فتصبح القوة لليهود والنصارى، فهم مذبذبين يريدون فقط من ينتصر، لا يهمهم ما هي القيم إنما يريدون فقط من ينتصر، الله عز وجل حكم على هذا بأنه نوع ارتداد، وأن االمرتد لن يضر الله عز وجل شيئا.

آية ٥٦:ثم لازال الكلام حول﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ هذا إثباتًا أنه لا يمكن أن تدور الدائرة على المؤمنين لابد أن يكونوا هم المنتصرين، لكن الانتصار له شكلين:

- هناك انتصار بالعدد والعدة والظهور.
- وهناك انتصار المبادىء.

فانتصار المبادىء هذا ملازم للمسلمين دائمًا، لأن القوم يدورون ويضعون نظريات مالية واقتصادية ونفسية، يدورون ثم يعودون إلى الإسلام، ومن كان منهم عالمًا صادقًا في بواطنهم يؤمنون يقينًا أن العزة للمؤمنين.

آية ٥٧: لازال السياق يتكلم عن المسلمين واليهود والنصارى والمنافقين، من أنواع الحرب النفسية أنهم يتخذوا دين المسلمين هزوًا ولعب، هذا من أنواع الحرب النفسية أنهم يأتون إلى شعائر المسلمين فيستهزأوا بها، وهذا حال عامتهم أنهم يأتون بسفهائهم وعمتهم ويشكلوا في نفوسهم أن هذا الدين باطل، فتجد مثل ما يحصل اليوم من تصوير لمقدسات المسلمين بصورة شنيعة، من كلام عن النبي صلى الله عليه وسلم، من اتخاذ رموز المسلمين هزوًا ولعب، كل هذا لأنه استقر في نفوسهم أن الإسلام دين باطل.

آية ٥٨: ثم يقول الله عز وجل ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ التي هي من شعائر الدين ﴿اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾

آية ٥٩: ماذا قال الله عز وجل؟ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ ماذا في قلوبكم؟ ﴿هَلْ تَنْقِمُونَ مِنّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ لماذا تنقمون منا؟ نحن لم نكفر بما عندكم انتم من كفرتم بما عندنا، نحن آمنا بما عندنا وعندكم.

آية ٦٠: ثم أتت الآية التي هي موطن الشاهد؛ كيف تفهميها من خلال السياق؟ لاحظ أن الآية التي قبل فيها إخبار أنه لماذا تنقمون منا؟ نحن آمنا بما معنا وبما معكم، هم الآن يصورون الدين أنه باطل وأن مصير أهل هذا الدين إلى النار، وهم يؤمنون بالنار والجنة، أهل الكتاب يؤمنون بالجزاء والحساب والنار والجنة، يؤمنون بهذا كله، لكن يعتقدون أن دين المسلمين باطل وأن دينهم هو الصواب، واليهود تعتقد أنها إذا مستها النار تمسها أيام معدودة، لكن لاحظ الفرق بينهم وبين غيرهم من البوذية والوثنية أن الباقي لا يؤمن باليوم الآخر ولا يؤمن بالجنة والنار، لكن أهل الكتاب يؤمنون بالجنة والنار، ويؤمنون باليوم الآخر، ويؤمنون بالحساب، كل هذا يؤمنون به لكن ينظرون إلى دين الإسلام أنه باطل، لما ينظرون على أنه باطل ينظرون أن أهله سفهاء وأن مصيرهم إلى النار.

هذا هو موطن الشاهد؛ ماذا يقول الله عز وجل؟ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ يعني هل أنبئكم بالسفهاء حقًا بشر مما تصفون، من؟ ﴿بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً﴾ يعني مثوبة ستكون أشر مما تقولون، ثم عدوا صفاتهم:

- كان وصفه أنه ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أي أبعده من رحمته.
- ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ أي عاقبه في الدنيا والآخرة.
- ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ الطاغوت بمعنى الشيطان وكل من عبّد من دون الله.

إذن لما قدحوا في المؤمنين معتقدين أن المؤمنين على شر رد الله عز وجل عليهم قال هل أخبركم بمن هم حقيقة أهل الشر، أو ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ كيف تفهمي هذا المعنى؟ هذا من باب التنزّل معهم.

يعني انتم تقولون أن أهل الإسلام شر فسأنبئكم بمن هم شر من ذلك، شر ممن نقمتم عليهم، وهذا يسمى أسلوب التنزّل مع الخصم، يعني هذا لا يعني أن المسلمين أهل الشر لكن هم وصفوهم بأنهم أهل شر فقال لهم الله عز وجل: هل أنبئكم بشرٍ من

ذلك مما تعتقدون من فعل الله بهم كذا وكذا، هذا الكلام وصف لأهل الكتاب عامة أهل الكتاب دخلوا في هذا الباب؛ أن من هم القردة ومنهم الخنازير ومنهم من عبد الطاغوت.

"أولئك" أي المذكورين بهذه الخصال شر مكانًا من المؤمنين الذين رحمة الله عز وجل قريبة منهم.

إذن هذا وصف عامة أهل الكتاب أنهم عبدة للطاغوت، لاحظ أننا نتكلم عن أهل الكتاب مع أن هذا الباب في المسلمين.

انظري الدليل الثالث؛ هذه في سورة الكهف:

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[٣٣١].

هؤلاء كما هو معلوم الأمراء الذين كانوا في زمن أصحاب الكهف، إذن تنظر إلى هؤلاء الأمراء وقعوا أيضًا في الشرك، أتخذوا قبور هؤلاء الصالحين مساجد، إذن وقعوا في الشرك الذي يورثهم من المؤكد.

انظري في الثلاثة آيات مرة أخرى:

- وصفت علماء أهل الكتاب.
- وصفت عامة أهل الكتاب.
- وصفت أمراء من سبق.

- عامة أهل الكتاب وقعوا في الشرك.
- علماء أهل الكتاب وقعوا في الشرك.
- أمراء من سبق أيضًا وقعوا في الشرك.

وانظري إلى الحديث الذي بعده؛

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ " . قُالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ: فَمَنْ".أخرجاه.

لن أشرح الحديث لكن الآن فقط نتيجة؛ ماذا تفهمين؟ هذا الدليل الرابع بمثابة القاعدة كأنه يقول لك أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه سيكون هناك متابعة شديدة بالتفصيل لمن كان قبلنا، يعني حتى أنه وصف أنه "لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ، قُالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ: فَمَنْ" يعني هذا دليل على أنهم اليهود والنصارى.

ماذا تستفيدين من هذا الدليل الرابع؟ ربط كل ما سبق؛ كأنه يقال لا تظن أنك لا تقلد من سبق بل التقليد أقرب إليك من عدم التقليد، وقد وصفت لك من سبق.

- فإن كنت من العلماء فهؤلاء علماء أهل الكتاب وقعوا في الشرك.
- وإن كنت من العامة فهؤلاء عامة أهل الكتاب وقعوا في الشرك.
- وإن كنت من الأمراء فهذا حال من قبلنا وقعوا في الشرك بل أمروا بأسبابه.

[٣٣١] الكهف:٢١

فإذا رأيت الواقع هل تراه مخالفًا لما ذكر لك؟! لأ! انت تجد الآن علماء كبار لهم من القوة في العلم ثم تجده في باب التوحيد ممن يطوف على القبور، ممن يتمسح بها، ممن يسمح بها، ممن يأتي إلى النصوص فيجعلها دالة على الشرك.

وانظر أيضًا إلى عامة الناس؛ فانت ترى حجهم إلى قبر هود، حجهم إلى قبر النبي يحيى في الشام، حجهم إلى قبر الحسين وكربلاء، فترى عامة الناس يحجون إلى غير الله بل ويكتبون مناسك للحج لغير الله، وتجد أن ميزانيات صندوق النذور في بلدان العالم الإسلامي تشكل أعلى من ميزانيات الدول نفسها!، يعني صندوق النذور في الدول ميزانيته عدد الدخل فيه أعلى من ميزانية نفس الدولة!، إلى هذه الدرجة، بل عدوها قريبًا بمئات البلايين، فماذا تقول؟! إلا أن البلاد والعباد تعاني من آثار الشرك.

ثم انظر إلى الأمراء وأولياء الأمور في العالم الإسلامي تجد أن كثيرًا منهم يسمح بأبواب الشرك علانية ولم يشارك في الدول الأجنبية العالم الإسلامي في عيد ودفعت لهم أموال إلا في المولد!، لماذا؟ وبقية الأعياد؟! إلا لأنهم يعلمون أن مثل هذا يوقع في الأمة الشرك.

ولذلك انت لا تستغرب الحملة الشديدة على المملكة، من كل جهة أي شيء يتهمونه من أجل أنهم بسبب معرفتهم أن بقاء سلامة التوحيد في الدول سبب إلى استقرارها وهذا الاستقرار أول عدو لهم، لأن الحرب لما تكون داخلية العدو يأتي يتهمك بكل سهولة، وهم يعلمون أن التوحيد أول سبب للاستقرار فهذا الذي يزعزع الآن، يعني الآن الجهد مبذول في زعزعة الأمن الداخلي لأنهم يخافون من صحوة التوحيد ولا يخافون من غيرها، ولا يغرك كلامهم عن المنظمات الإرهابية!، لا يغرك، هم في الأصل أكثر شيء يخافوه يخافوا الدعوة إلى التوحيد.

وربما لا تظهر لكم هذه النظرة منهم لأنهم سياسيين، والسياسي لا يبين أوراقه فلابد أن يغمي عليك من أجل أن أن لا تعرف النقطة القوة عندك، ومن ثم تضعف نقطة القوة عندك وهو يستغلها، لكن لو انت قرأتي في المحافل الدولية ليس هناك موضوع يمكن أن يطعنوا فيه إلا ويضعوا اسم المملكة أول أسم من أجل أن يطعنوه، ولا تفهم أن هذا الكلام تعصبًا! أترك عنك التعصب، الآن الكلام حول التوحيد!.

ولذلك انتم لا تتصوروا، انتم بعيدين، لكن القريب من هذه الأمور يرى إلى أي درجة ناس موجودين في الإعلام في الصحف والمجلات يناموا فترة ويرجعوا يكتبوا كتاب التوحيد في المرحلة المتوسطة كذا وكذا، كتاب التوحيد في المرحلة الثانوية كذا وكذا، يأتوا يعملوا مناظرة أنه ماذا فيه من أخطاء، وماذا فيه من معتقدات.

أيام ما صارت الأحداث ٢٣ و٢٤ خرجوا من كتاب التوحيد أحاديث وقالوا هذه هي سبب ظهور الخروج!، يعني تجد المسألة منظمة! لا يمكن أن تأتي كل هذه السلسلة صدفة! أنهم يعودوا ويدوروا ويرجعوا مرة أخرى إلى تدريس التوحيد وأنه ليس لنا حاجة له! ويأتي واحد أخر يكتب: تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية واسماء وصفات ابتداع فعلتم مثلما فعلوا النصارى بتقسيم دينهم!، تصوروا كيف! يقيس توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات مثل الثليث الذي عند النصارى!، ويدوروا ويكتبوا من جديد!.

ثم كان أحدهم شخص معروف له مكانته وهو طبيب ويكتب مقالات فكتب مرة إشارة إلى التوحيد وإلى أهميته، وهو ليس طالب علم إنما مثقف لكنه ربي تربية جيدة، فلا تتصوروا الردود عليه كيف كانت!، وانت يا فلان الفللاني طبيب ومقالاتك جميلة ابقى في علمك، اترك عنك!، الآن لما أثنى على التوحيد أصبح طبيب وليس له علاقة بالموضوع وانتم تتكلمون في كل شيء؟!.

فترى أن المسألة غير هينه، يعني المسألة ليست سطحية كما تتصورون إنما لها عمقها، والحرب واضحة، وإبراز المزارات واضحة، الآن هذه المزارات يدفع لها من الدول الأجنبية مساعدات، مساعدات للمزارات؟! ساعدوا الذين لا يجدون ما يأكلوا وتساعدوا المزارات وأهلها؟! أمر عجيب تفهم أن ورائه ما ورائه!.

فلابد أن يتبيَّن لكم أن كل الهيجان الذي يحصل تجاه التوحيد لا يأتي إلا من أحد يفهم أن التوحيد سبب الترابط، التوحيد سبب بقاء الأمة، التوحيد سبب نصرة الله عز وجل لعباده.

ثم أعلم أن القوم أخبث مما تتصور فهم يزعزون الأمن بزعزعة الفكر، ومرة أخرى نعود لنفس المفهوم؛ زعزعة الأمن بزعزعة الفكر، فأول ما بدأوا في المملكة أول ما بدأوا بنشر ثقافة الفصل بين الناس وبين علمائهم، ويعني يقولون عن علمائنا أنهم علماء الحيض والنفاس!، تحقيرًا لهم، وإذا أردت أن تفهمي هذه المسألة جيدًا أو أردتي أن تحآجي أحد جيدًا نقول هذه المرأة التي تشغلكم طوال الوقت وتحرير المرأة والمرأة اليست برحمة الله بعباده أن هناك علماء يهتموا بحيضها ونفاسها؟! ألا تريدون أحد يهتم بالمرأة؟! ها هم اهتموا بها وإلا هو اهتمام على كيفكم وكما تريدون؟!.

يعني حتى تهمتهم أتفه من أن تناقش، لكن انظري الآن ما في أذهانهم؛ يأتون بأمر على أنه شيء حقير ولا يستاهل البحث وكأن عبادة المرأة وصلاتها ليست أمرًا مهمًا!، لكن تكلم من! تكلم من فسدت عقولهم وفطرهم أصلًا ولم يريدون من المرأة إلا أخراجها ونزع دينها ثم استعمالها فيما يريدون!.

وإلا انظر للنصارى الذين يتكلمون عن تحرير المرأة؛ انظر أنفلوانزا الخنازير وأتت في دولة مصر أرادوا أن يقتلوها فأول ما قرروا هذا تخيلي ممثلة في هوليوود تقول هذا قرار جبان، ثم انتهينا منها وهي ماذا تكون؟!، ثم يأتي أحد رموزهم في الكنائس وهو طبعًا يتكلم عن الأقباط إذا قلتم أن الخنازير نجسة ثم عدمتوها فعلى ذلك أنه يجب عليكم أن تعدموا المرأة أيضًا لأنها نجسة! فانظر وكان هذا عتلى الهواء قال هذا الكلام وطبعًا هذه فلتة لسان!، لأنهم لا يظهرون هذا ولا يظهروا أن المرأة عندهم في دينهم نجسة، بل يمحو هذا الكلام كله والآن مع دعوة تحرير المرأة ومع أن هذا الكلام مكتوب في كتبهم عند اليهود وعند النصارى أن المرأة نجسة، هذا ما يعتقدون، فهذه المرأة النجسة التي تريدون أن تخرجوها وتحرروها وتفعلوا وتفعلوا، لما أتى الموقف على المحك أخرج ما يبطن قال إذا كنتم تروا أن الخنازير نجسة ويجب قتلها يجب أيضًا عليكم أن تقتلوا المرأة عندكم لأننا نعتقد أنها نجسة! ماذا تقولون إلا أن الله عز وجل يخرج ما في نفوسهم!، ثم ولا تعليق ولا كأن أحدًا تكلم!، فقط صمت!، وهذه هي سياستهم، هذا من سياسة الإعلام.

ولهذا من أراد تطهير نفسه فليقاطع الإعلام، الإعلام لا نجد منه الآن إلا اللوثات حتى المسائل المجردة التي هي مجرد خبر حتى هذه لابد من تلويثها، مثل أنفلوانزا الخنازير هذا وباء ابتلاهم الله عز وجل به لكن في أصله هو من التلاعب في الهندسة الوراثية، الهندسة الوراثية يأتون إلى الجينات ويتلاعبون بها،و هي أصلًا كما من مصادر هي أصلًا كانت استعداد للدخول في تكوين سلاج بيلوجي!.

ما معنى سلاح بيلوجي؟ أي يكونوا فيروسات مرض ويذهبوا يحاربوا بلد وينشروه فيها، هذا كان مقصدهم!، وخلال تكوين السلام البيلوجي خرج هذا المرض!.

وهذا مثله حصل في أسبانيا في ١٧١٨ في الحرب، ماذا فعلوا؟ أتوا إلى هذه الهندسة الوراثية وأتوا لجنودهم ولقحوهم المصل مخففًا من أجل أن لا يقعوا فيه، ثم ألقوه على أسبانيا ثم مات من مات بهذه الأنفلوانزا، وجنودهم سليمين!، انظر كيف التلاعب ثم يأتوا

يقولون لك تحرير الدول العربية وتحرير الدول التي تحت الاضطهاد والمرأة والمرأة، والتلاعب العظيم العميق، لكن فجروا وسيأخذهم الله عز وجل وسيزلزل من تحت أرجلهم نحن نثق بالله عز وجل يقينًا!.

لكن إلى أن يظهر هذا ماذا يجب أن يقع في قلوبكم؟! يجب أن يقع في قلوبكم حقيقة أن التوحيد هو الحل الوحيد، ليس هناك غيره!، ونحن ما بنا من أمن وأمان ورغد العيش؛ تعرفوا ما رغد العيش؟ والله لو خطيتم خطوة واحدة فقط خارج البلاد خطوة واحدة فقط يمنة أو يسره تعرفوا ما معنى رغد العيش الذي نعيشه!، وتعرفوا ما هي الأسعار وغلوها، نحن لا نعيش الغلو الأسعار كما يعيشوه الشرق والغرب وكل الناس المحيطين بنا لكن نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الشاكرين!.

والله هذا البرود الذي في قلوبنا هو ما يخيفنا تجاه التوحيد، وتجاه النعمة التي نحن فيها، أمس الشيخ الشريم وكيف كان مخنوق في كلامه من كثرة أنه مثلما يكون واحد بارد وهادىء ولايدري وواحد يعيش الموقف ويفهمه في الأعماق.

فلابد أن تلزموا ثلاثة أمور الآن:

أولها وأهمها الإقلاع عن الذنوب لابد أن تتدخلوا في توبة عامة، لأن القوم الآن إذا أصيبوا سيصيبوا بذنوبنا، ذنوب الخاصة تقضي على العامة لابد أن تتصوروا أن التوبة مطلب اليوم، مطلب منا جميعًا، مهما شعرتم أن ليس لكم كبائر! والله أعلم ماذا يكون في الداخل لكن ألزم التوبة، على ما مضى، على ما كان، على ما هو موجود في قلوبنا.

الأمر الثاني عليكم بالدعاء، بالدعاء للبلد وللمسلمين، ولولاتها عامة أن يجعل الله عز وجل لهم بطانة صالحة، بغض ولي الأمر ليس أمر يحل لك المشكلة لكن الدعاء له بالهداية والدعاء أن يرشد الطريق، والدعاء أن يكون له بطانة صالحة هذا هو الأحسان.

إذا كان الإمام أحمد حملوه وداروا به في بغداد كلها وجروه في الأرض بعدما فعلوا به أعظم ما تتصوروا وبعدما جلدوه جلدًا أغمي عليه فيه أكثر من مائة مرة بعدما فعلوا هذا كله به خرج من السجن وسأل قال يا إمام ماذا تعتقد؟ قال: لو كان لي دعوة مستجابة لدعوتها إلى الإمام، هكذا السنة لما تدخل إلى الأعماق، القضية ليست قضية شخصية! وليست قضية أموال ورغد عيش، القضية أن المسلمين الله عز وجل لما أمرهم بأعمال أمرهم بطاعة ولي أمرهم، أمرهم بطاعة الوالدين، امرهم بكذا وكذا أختبرهم بهذه الأوامر، انت لو رضيتي عن ولي أمر يعطيك كل شيء إذن أين الاختبار أصلًا؟! لابد أن يخالف رأيك!

ثم أن مخالفة هذا الرأي مسألة نسبية يعني انت ترى هذا الرأي فأأتي أقول لك هذا الموضوع الذي قلت رأيك فيه هل درسته هل فهمته هل كذا ويكون لا يكون عندك خلفية، حتى مخالفتك لولي الأمر ليست عن خلفية علمية، غير طبعًا المنكرات الشرعية هذا كلام أخر.

على كل حال عليكم بالدعاء للبلاد وللعباد، ولبلاد المسلمين كلها، أكثروا وألحوا على ربكم، أظهروا من أنفسكم حقيقة حرقة قلوبكم على بلاد المسلمين، اشعروا أن ظهور الشرك يؤذن بالفناء العام للتوحيد لا للأشخاص، الأشخاص موجودين لكن فناء التوحيد، نحن شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا ترى الشرك، تري عجبًا!، يكفيكم زيارة قبر هود!، ويكفيكم زيارة قبر يحيى!، يعني في الشام قبر النبي يحيى، وفي الجنوب في اليمن قبر هود، وانظر ما تنظر من صرف الأموال وإلى أخره من المعتقدات التي تلحقه.

النقطة الثالثة: "العلم" ، بذل الجهد فيه، وبذل الجهد في نشره، ترك الدوران حول النفس، تعرفوا الدوران حول النفس ما معناه؟ الدوران حول النفس انشغالكم بمسائل تافهة ليس لها قيمة، فلانة قالت لي، فلانة عادت لي، حصل كذا وذهبنا لكذا!، أتركوا هذا، هذا أكثر شيء يعطلكم!، قد هيأوك لأمر لو فطنت له فأربأ بنفسك أن ترع مع الهمل، لابد أن تتصور أن الله عز وجل مادام فتح

لك هذا الباب لا تكن من أشد الناس حسرة يوم القيامة، من فتح له باب العلم فتركه، لابد أن تبذلوا جهودكم، تعلموا وعلموا واشعروا الناس بقيمة التوحيد.

أصلًا أسهل شيء أن تعلمهم التوحيد تقول لهم عندك مشكلة ليس عندك أحد إلا الله ما لك إلا الله مالك الملك، تعلم أن الله على كل شيء قدير ألا تراه قال للنار كوني بردًا وسلامًا فكانت بردًا وسلاما، ألا ترى أنه فعل لقارون وبعدما ملك ما ملك خسف من تحت قدميه الأرض؟!، ألا ترى ألا ترى؟!.

بسهولة تقنع الناس – خصوصًا في هذه البلد المباركة – بسهولة تقنعهم أن ليس لهم حل إلا ربهم، ولو أتوك بالأسباب قل لهم: أليس الله هو الأول الذي ليس قبله شيء، أليس الله هو الآخر الذي ليس بعده شيء، ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ الحمدلله انتم تعلمون يقينًا أن القوم يعظمون الدليل، تعلمون يقينًا هذا الأمر، يعني لا تأتي لأحد بدليل وتقولي له هذا معناه إلا يقبله.

واترك عنك من سالت أقلامهم في الباطل ومن خرجوا وغسلت أدمغتهم، ليس لنا علاقة بهؤلاء خذ اللينين الهينين، خذ الأطفال، خذ الصغار، خذي المرحلة الابتدائية المهملة، خذ رياض أطفال الذين لا يفكر فيهم أحد، خذي من تأخذي، والله ليأتي نشأ يدفع من قبله ويكون أحسن ما يكون بما يحمل من توحيد واعتقاد في ربه، لكن المهم انتم تشعرون أنكم مسؤولون، لا تدوروا حول أنفسكم وحول مشاكل تافهة لو تركت ولم تناقش لا يحصل شيء إلا ويأتيك العوض العظيم.

ورد في الحديث عن أحد الصحابة والصحابة من حرصهم على أن يتصدقوا كان أحدهم يخرج فيحتطب الحطب من أجل أن يأتي بالدينار للنبي صلى الله عليه وسلم ويتصدق به فيقول الراوي: ولقد رأيتهم وعندهم آلاف الدنانير، بعد أن صبروا وأتقوا الله عز وجل وبذلوا جهودهم عوضهم الله عز وجل، كل الذي في الدنيا لما تتركه من أجل الله سيفتح الله لك في مقابله أبواب لا تنتهي، لكن انتم لابد أن تؤمنوا أن الله يختبركم، كل ما ترتفع يجب أن يأتيك عائق ينزل بك إلى الأسفل، وعائق تافه فلانة قالت وعلانة عادت، وقبلوا ولم يقبلوا، كل هذا الكلام لا قيمة له!، لا تضعوا أنفسكم تحت سقف تافه مهما عظم الأمر عندك، مهما تقولي لي أنا في مشكلة عظيمة، أقول ليست مشكلة إلا أمامها واحد حيّ ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ كلكم سمعتم هذا الكلام، وكلكم مقتنعين به، فلا تتعاملوا مع الحقائق المادية إلا بما تتعلمون من توحيد، وإذا فهمتم هذا الأمر ستجدوا أن كل عائق سيكون بالنسبة سبب زائد للارتفاع عند الله.

قلوبكم ضاقت، على مواقفهم، على أحداث تدور، حساسين، عندكم مشاكل في استقبال التصرفات، اسأل الله أن يوسع قلبك أن يجبر قلبك، لديك من اسماء الله عز وجل وصفاته الكثير الذي تتعامل فيه مع ربك.

المهم بناتي لابد أن تشعروا بالخطر القادم، لا تتعاملوا مع العلم ومع التوحيد بالذات ببرود، البرود هو الذي يأتي بأعظم المشاكل!، تذهب النعم بسبب البطر.

على كل حال – أعذروني – لن أستطيع أن أجيب على أي سؤال.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمدلله الذي يسر لنا هذا اللقاء ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاءٍ مباركًا مرحوما.

هذه هي دورتنا المكثفة الثانية لسنة أولى.

وصلنا إلى **باب ما جاء أن بعض هذه الأمَّة يعبد الأوثان**، وشرحنا هذا الباب شرحًا إجماليًا، ماذا يقرر هذا الباب؟ يقرر في عنوانه أن بعض هذه الأمَّة يقع منه عبادة الأوثان، ماذا تتصورين سبب ورود هذا الباب؟ يعني لماذا عقد المؤلف هذا الباب؟ خصوصًا أنه أتى بعد الأبواب التي فيها دلالة على حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، وهذا الباب – حماية النبي صلى الله عليه وسلم حماية التوحيد– أتى تابعًا للأبواب التي تدلّ على أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الغلو في الصالحين، يعني المجموعة السابقة كلها كلام عن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم، ثم ختم في هذه المجموعة السابقة بفعل النبي صلى الله عليه وسلم من جهة حمايته لجناب التوحيد، ثم قرر الشيخ أن بعض هذه الأمَّة يعبد الأوثان.

الآن السؤال ما العلاقة بين ما مضى وبين هذا الباب؟ كأننا نتصور قائلًا يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خطب الناس بعرفه فقال: ""إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ" وهذا الحديث ورد في صحيح مسلم، فهذا دليلٌ صريح صحيح في أن الأمَّة في جزيرة العرب لن تقع في عبادة الأوثان.

يعني قائلًا يقول هذا الكلام، يقول النبي صلى الله عليه وسلم خطب وهذا الحديث الذي أورده صحيح وأيضًا صريح، في أن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، فإذا كان الأمر بهذه الصورة معناه الشرك لن يكون، هذه الدعوة التي يمكن أن تستقر في ذهن أحد يقرأ الحديث وينظر له على ظاهره، ماذا تقولين؟ أو بماذا أجاب الشيخ؟ أجاب بهذا الباب، أتى بأدلة تدلّ على أن بعض هذه الأمَّة يعبد الأوثان.

نبدأ أولًا بالرد أو بنقل معنى الحديث ثم بالدلالة على أن هذه الأمَّة يقع فيها عبادة الأوثان، يعني عندما يأتيك حديث مثل هذا كيف تفهميه؟!، في أحيان كثيرة يأتي حديثًا صريحًا يعارض حديث صريح أخر فعندما تحصل المعارضة يشك الشخص في أحد النصين، أو في نص ومفهوم، هنا نص وهنا مفهوم.

- النص: قد أيس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب.
- المفهوم: كلام النبي صلى الله عليه وسلم عن الشرك وتحذيره منه، وما أتى في كتاب الله، وما أتى في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، كلها تدلّ على وقوع الشرك.

قاعدة عامة؛ لو أتى نص يعارض نص ماذا أفعل؟ كيف يكون الجمع بينهما؟ أولًا لكل نص أمامك أأتي بشواهد تثبت معناه أو تبيِّن معناه، ثم إذا تبيَّن لك المعنى في الغالب لن تجدي تعارض.

المشكلة في مفهوم نفس النص، لأنك تنظر أحيانًا إلى النص بالظاهر، تنظر له ظاهريًا، فعندما تنظر له ظاهريًا يتبيَّن لك كأن هناك تعارض، عندما تفهم النص يزول التعارض.

الآن نرى كيف نحل هذا الإشكال، أن قائلًا يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ" ففهم من هذا أنه دليل صريح على أن الأمَّة في جزيرة العرب لن تقع في عبادة الأوثان، **نبدأ أولًا بالرد على الاستنتاج،**

نرد على الاستنتاج الذي خرج به من الدليل، لأن ليست مشكلتنا الدليل، مشكلتنا الاستنتاج الذي خرج منه، ما هو الاستنتاج؟ أنه لن يقع الشرك، سنرد على هذا الاستنتاج، ثم في نهاية ردنا على هذا الاستنتاج نبيِّن معنى الحديث.

ما الطريقة للجمع بين مفهومين حصل بينهم تعارض؟ أولًا هذا الدليل وخرج منه استنتاج، نأتي بهذا الاستنتاج ونرد عليه، إذا كان الاستنتاج خاطىء نرد على الاستنتاج الخاطىء ثم نبيِّن معنى الدليل الصحيح، لأن هو فهم من الحديث، **هو الذي فهم من الحديث أن الأمَّة لا يقع فيها الشرك لكن ليس نص الحديث أن الشرك لا يقع،** من ثمَّ يتبيَّن لك أنه ليس هناك تعارض أصلًا ، لكن من استقبل الدليل هو الذي فهم الدليل بهذا الفهم، ومن ثمَّ خرج نتيجة، وأخذ هذه النتيجة وعارض بها أدلة صحيحة، الإشكال في الاستنتاج.

الخطوة الأولى الصحيحة: أن تأتي إلى النتيجة وتردي عليها، هو يقول أن الأمَّة لا يقع فيها الشرك، ننظر إلى الأدلة ونرى هل يقع الشرك أو لا يقع في جزيرة العرب، سنجيب هذا أولًا، ثم في نهاية النقاش نأتي نقول والفهم الصحيح للدليل كذا وكذا وكذا.

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان وقول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)[٣٣٢]. وقوله تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ)[٣٣٣]. وقوله تعالى: (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا)[٣٣٤].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ " . قُالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ: فَمَنْ".أخرجاه.ولمسلم عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ".ورواه البرقاني في صحيحه ، وزاد: " وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ ، وَإِذَا وُقِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله تبارك وتعالى".

---

[٣٣٢] النساء:٥١

[٣٣٣] المائدة:٦٠

[٣٣٤] الكهف:٢١

نبدأ الآن بمعرفة الأدلة التي تدلّ على أن الشرك يقع.

❖ الدليل الأول.

نبدأ بالدليل الأول آية سورة النساء.

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[٣٣٥].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ **الله عز وجل يذكر صفات أهل الكتاب، كم صفة إلى نهاية الآية؟ ثلاثة صفات:**

▪ الصفة الأولى: ﴿أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾، ما معنى أوتوا نصيبًا من الكتاب؟ يعني اعطوا علمًا من كتاب الله عز وجل [التوراة والإنجيل]، والتوراة والإنجيل أصلًا فيها بيان للحقّ، وهذا قبل التحريف، هذه الصفة الأولى لأهل الكتاب.

▪ الصفة الثانية: أنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ أي يؤمنون بالباطل من عبادة الأصنام والكهانة والسحر ويطيعون الشيطان في ذلك.

▪ الصفة الثالثة: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ﴾ هؤلاء إشارة إلى الذين كفروا، ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ ما معناه؟ أي يفضلون أهل الباطل – الذين هم عبدة الأصنام– على أهل الحقّ.

كم صفة لهم؟ ثلاثة صفات، الصفة الأولى المفروض أنها تحملهم على الإيمان، على الاستقامة، ومع ذلك حملتهم أخلاقهم على أنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت وعلى أنهم يفضلون أهل الباطل على أهل الحقّ، حملتهم أخلاقهم على هذا.

مر معنا سبب نزول الآية، ما سبب نزول الآية؟

عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ : – في سبب نزول آية النساء– جَاءَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ ، وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ ، إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَقَالُوا لَهُمْ : – أهل مكة قالوا لهم – أَنْتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ الْقَدِيمِ ، فَأَخْبِرُونَا عَنَّا وَعَنْ مُحَمَّدٍ ، – يعني عن حالنا وحال الرسول صلى الله عليه وسلم أينا أفضل المقصود– فَقَالُوا – من قالوا؟ رد حييّ ورد كعب–: مَا أَنْتُمْ وَمَا مُحَمَّدٌ ؟ –كأنهم لا يعلمون حالهم، يعني قريش تقول للحبرين من أحبار اليهود قالوا أيُّنا أفضل نحن أم محمد، فقالوا اشرحوا لنا حالكم وحال الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا من أول الأمر واضح فيها النزاهة الكاذبة، يمثلوا النزاهة، لم يبادروهم بالحكم، لم يقولوا انتم أضلّ حتى لا يظهر في مظهرهم أنهم متبعين للهوى لكن هم يعلمون بما أوتوا من كتاب أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الحقّ ولا يحتاج أن يسألوا ما انتم وما محمد، أتى الجواب:

قَالُوا –كفار قريش – : نَحْنُ نَنْحَرُ الْكَوْمَاءَ –والكوماء وصف للنوق العظيمة– ، وَنَسْقِي اللَّبَنَ عَلَى الْمَاءِ ، وَنَفُكُّ الْعُنَاةَ. يعني الأسرى، هذا في وصف أنفسهم، الآن يصفون النبي صلى الله عليه وسلم.

وَمُحَمَّدٌ صُنْبُورٌ– ضعيف ذليل لا أهل له – قَطَعَ أَرْحَامَنَا وَاتَّبَعَهُ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ بَنَوْ غِفَارٍ ، فَنَحْنُ خَيْرٌ أَمْ هُمْ ؟ –بماذا ردوا؟ الأحبار – قَالُوا : أَنْتُمْ خَيْرٌ وَأَهْدَى سَبِيلا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ – ما بهم؟–

▪ أول حال: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾.

---

[٣٣٥] النساء:٥١

▪ الحال الثانية: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا﴾.

نشير إشارة إلى معنى الإيمان بالجبت والطاغوت، وسيتبيَّن لكم أكثر في الباب الذي بعده.

ما معنى الجبت والطاغوت؟

▪ التصديق به واعتقاد عدم بطلانه.

▪ والمعنى الأخر الذي يظهر هنا موافقة أصحابه دون الإنكار مع اعتقاد بطلانها.

يعني لما اسألك ما معنى أن أحد يؤمن بالجبت والطاغوت؟ أحد حالتين:

▪ أمَّا أن يصدق ويعتقد بقلبه صحة الجبت والطاغوت، وسيأتينا بالتفصيل ما هو الجبت والطاغوت.

▪ أو الشيء الثاني الإيمان يمكن أن يكون بمعنى الموافقة، الموافقة لأصحاب الجبت والطاغوت دون الإنكار مع اعتقاده أنه باطل، يعني يعتقد أنه باطل لكن يبقى موافق لهم، لا ينكر عليهم، فالموافقة لأهل الباطل دليل على إيمانه بالباطل، صورة من صور الإيمان بالباطل موافقتك لأهل الباطل على ما هم عليه، أحيانًا تقولين أنا لا أستطيع أن أغير الباطل غصبن عني سأوافق؟! نقول لا، انت تملك أن تنكر بقلبك، هذا لا يمكن أن تكون لا تملكه، لا يمكن، وهو إشارة الإيمان، أضعف ما يكون من إيمان في قلبك أن يحصل منك إنكار قلبي.

إذن هذه الآية تقرر " أن أهل الكتاب مع علمهم منهم من يؤمن بالجبت والطاغوت"

هذا تقرير جزئي ثم سيتبيَّن لنا جمع الأدلة مع بعضها ستخرجنا إلى ماذا، لاحظي أن الباب يتكلم أن بعض هذه الأمَّة يعبد الأوثان، والدليل يتكلم عن أهل الكتاب، وطبعًا المرة الماضية عندما قرأناه قراءة سريعة تبيَّن لنا لماذا يستدل على أهل الكتاب وهو المقصود به بعض هذه الأمَّة، سيتبيَّن لنا بعدما نجمع الثلاثة الأدلة الأولى.

الدليل الثاني.

نناقش الآن الدليل الثاني.

أيضًا الدليل الثاني في آية المائدة تبيَّن لنا في السياق ما معناه.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[٣٣٦].

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ شر من ماذا؟ عندما قرأنا في السياق أهل الكتاب ماذا كان في حالهم؟ كانوا يحسدون الذين آمنوا – هم أضاعوا دينهم – ويحسدون الذين آمنوا ويعيبون عليهم دينهم ويقولون سيكون أهل الإسلام أهل النار، فرد الله عز وجل عليهم تنزلًا معهم ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ بشر مما تقولون، ﴿مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني جزاء عند الله يوم القيامة، من هم أشر مثوبة — أشر جزاءًا–؟ من كان وصفه: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾.

إذن هؤلاء هم شر مثوبة عند الله، كأن الله عز وجل يقول لهم أخبركم بمن ينال شر الجزاء عند الله يوم القيامة، من هم؟ هم انتم أيُّها اليهود المتصفون بهذه الصفات، ما هي الصفات؟

[٣٣٦] المائدة: ٦٠

- الإبعاد عن رحمة الله.
- نيل غضب الله.
- ما وقع عليكم من مسخ صوركم الظاهرة.
- وما وقع عليكم من مسخ باطنكم أنه وقع منكم عبادة الطاغوت، لأن طائفة كثيرة من عبادهم – من عباد بني إسرائيل – عبدوا الطاغوت من دون الله، [ذبحوا ونذروا واستعانوا] وصرفوا كثير من العبادات لغير الله سواء للعجل في أول أمرهم أو لغيره في نهاية أمرهم، إذن هؤلاء هم أشر مكانًا.

نخرج بنتيجة أن اليهود والنصارى ما حالهم؟ وقع منهم عبادة الطاغوت، يعني طائفة من أهل الكتاب – من عبادهم – عبدوا الطاغوت، الطاغوت كما مر معنا كل ما تجاوز به العبد حدّه أيان كان[متبوع مطاع إلى أخره].

إذن الدليل الثاني خرجنا منه بنتيجة: أن الله أخبر عن أهل الكتاب أنهم وقع منهم عبادة الأوثان، الله عز وجل يصف عامتهم، عامة عبادهم ما حالهم؟ أنهم وقع منهم عبادة الطاغوت.

❖ الدليل الثالث.

نأتي إلى آية سورة الكهف.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[٣٣٧].

هذه الآية في سياق القصة في أخرها، عندما أكتشف الناس أمر أصحاب الكهف، ماذا يريدون بهذا؟ ماذا يريدون بإتخاذ المسجد عليهم؟ هم لا يريدون ابتداء عبادتهم إنما إرادة تعظيمهم، يعني هم الآن رأوا المعجزة العظيمة أنه بعثهم بعد ثلاثمائة وتسع سنين اختلفوا ماذا يصنعون من أجل أن يعطوهم ما يتصورون أنه حقهم، فماذا فعلوا؟ أولًا تنازعوا، ثم الذين غلبوا على أمرهم، ماذا يقصد بالذين غلبوا على أمرهم؟ أصحاب النفوذ، أصحاب السلطان، ماذا كان رأيهم؟ أن يبنوا عليهم مسجدا، هؤلاء القوم الذين ظهر عندهم أصحاب الكهف كانوا من النصارى، أصحاب الكهف هؤلاء بعد ثلاثمائة عام عندما أكتشفوهم كانوا نصارى، فالله عز وجل يعيب عليهم إتخاذهم مسجدًا على قبورهم، هذا المسجد أتى بقوة السلطة لا بقوة الحجة.

في الهامش: هذه الآية ممكن أن يأتي أحد فيقول ظاهر الآية الرضا والتقرير لصنيعهم – لصنيع من أتخذ عليهم مسجدا– ماذا ستقولين لو أحد قال لك هذا الكلام؟

سنقول أن هذه الآية من المتشابهات، لماذا اعتبرتها من المتشابهات؟ لأن هناك من الأدلة الصريحة التي تمنع هذا الفعل، تمنع فعل البناء على القبور، ونحن مر معنا قريبًا في الأبواب السابقة، عندما أم سلمة رضي الله عنها وصفت للنبي صلى الله عليه وسلم الكنيسة في أرض الحبشة، كيف وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم؟ شرار الخلق "" أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهَا تِلْكَ الصُّوَرَ ، أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ" إذن وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم شرار الخلق، والحديث صحيح، فإذا أتينا إلى هذا واعتبرنا أن هذا تقريرًا لحالهم سيحصل تعارض بين دليلين صريحين، والدليل

[٣٣٧] الكهف:٢١

هناك ليس الدليل الوحيد على هذا الفعل!، "لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا" كما قالت عائشة رضي الله عنها.

إلى أخر ما مر معنا في الأربعة أبواب الماضية من الكلام حول التحذير على البناء على القبور، فهذا وصف للحال وليس تقريرًا لهم، إنما عندما قال الله عز وجل عنهم أن الذي أخذ هذا القرار الذين غلبوا على أمرهم تبيَّن لنا أن أهل السلطة من أهل الكتاب يقعون في أسباب الشرك.

عندما النبي صلى الله عليه وسلم قال:" أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ"، ماذا يفعلون؟ " إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ".

إذن هذه الأدلة الثلاثة كلها تبيِّن حال أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

- الدليل الأولى: بيَّن حال علمائهم.
- الدليل الثاني: حال عامة عبادهم.
- الدليل الثالث: حال أمرائهم.

- إذا أردتي أن تصفي حال علماء أهل الكتاب ماذا تقولين؟ أنهم يعبدون الجبت والطاغوت، وعبادتهم للجبت والطاغوت بأحد أمرين: أمَّا عبادتهم فعلًا أو موافقتهم لمن يعبد، وهذا موقف العالم في الغالب أمَّا أن يفعل هو الخطأ أو يوافق أهل الخطأ، هذه الحالة الأولى – حال علماء أهل الكتاب–.
- الحالة الثانية حال عبادهم؛ ما حالهم؟ في عبادة الطاغوت، وصفهم الله عز وجل أنهم عبدوا الطاغوت.
- آية الكهف تدلّ على امرائهم، ما حالهم؟ وقعوا في أسباب الشرك، هم أمراء ما حالهم؟ تقرير أسباب الشرك، لأنهم أمروا ببناء مسجد على القبر.

يأتي الآن الذي يجمع هذه الأدلة مع العنوان، لاحظ أن العنوان **باب ما جاء أن بعض هذه الأمَّة يعبد الأوثان**، والكلام عن هذه الأمَّة وكل الثلاثة أدلة أتت تتكلم عن أهل الكتاب، أتى هذا الدليل يبيِّن لك كيف تحمل هذا المعنى، أو كيف تستفيد من الآيات التي سبقت.

الدليل الرابع.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ. قُالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَ: فَمَنْ".أخرجاه.

النبي صلى الله عليه وسلم أقسم أن هذه الأمَّة تتبع طرق ما كان مَن قبلها من الأمم، وهذا الإتباع ما وصفه؟ شديد المشابهة والمساواة، حتى أنه شبه بأن الإتباع " حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ".

ما المقصود بهذا التشبيه؟ تعرفي السهم، السهم له نصل من الإمام، النصل الذي يخترق، وله ريش من الخلف، من أجل أن يتزن هذا السهم وقت رميه في الاتجاه المرمي له لابد أن تكون الريش الأعلى مساوية تمامًا للسفلى، لابد، من أجل أن يبقى متوازنًا، فالصانع للسهم يطابقهم تمامًا على بعضهم ثم يجعلهم في السهم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا تعرفي شكل السهم؟ السهم له ريش من جهتين، النصل هو الذي في الإمام هو الذي يخترق الصيد، من الخلف الريشة من جهتين، إذا لا تتخيليه ابحث عن صورة له.

له من جهتين، وهاتين الجهتين لابد أن يكون تمامًا متساوي، متطابق تمامًا، – لن يتخيلوه لابد من رؤيته نفسه – المهم لابد من تطابقهم تمامًا من أجل أن يبقى هذا السهم متوازن، يصل إلى مرماه، فعندما وصف النبي صلى الله عليه وسلم الحال بين المسلمين واليهود والنصارى وصفها مثل هذه القذتين، تسمى قذة الطرف الواحد، " حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ " يعني شدة التطابق، هذا الوصف الأول.

ثم أتى وصف ثاني: "لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ" لماذا الضب بالذات؟ لأن الضب يحفر جحرًا من أعسر أنواع الجحور، وأكثرها تعرجًا، وأكثرها ردائة، فتصور حال مشابه لهم مثل حال من يدخل جحر ضب، يعني حتى لو دخلوا في الأحوال العسيرة والأحوال الضيقة ماذا يكون حال المسلمين؟ يدخلوا معهم، هذا من أجل المبالغة في تصوير مدى التقليد.

ثم أننا نرى في الواقع التطابق بل وترى كأن معلمًا يرشد طلابه فكم من تلميذٍ فاق أستاذة، يأتي أهل الكفر يعلموا المسلمين قضية في الإنحراف الخلقي فتجدي المسلمين يفوقوهم!، بعد التطابق يأتي التفوق، وهذا أمر لا يحتاج إلى شاهد، لكن أهم شاهد لنا الآن – نرجع إلى الوراء ونأخذ الأدلة الثلاثة – أهم شاهد لنا نراه الآن ما نراه في علماء المسلمين وفي عبادهم وفي أمرائهم.

في الثلاثة أحوال ماذا نرى؟ انظري أهل الكتاب ما بهم؟

- علماء أهل الكتاب يقعون في الجبت والطاغوت.
- وعامة عباد أهل الكتاب يعبدون الطاغوت.
- والأمراء وأصحاب النفوذ من أهل الكتاب يبنون المساجد على القبور ويأمرون بأوامر – خصوصًا هؤلاء أصحاب النفوذ والأموال – تجد من سلطتهم أنهم يبنون ويفعلون ما يزيد الشرك.

إذا نظرت إلى أهل الإسلام ستجد الأمر بنفس الصورة!

- علماء يخرجون إلى الناس يدعونهم إلى الشرك، طبعًا هم في صورة علماء.
- وأيضًا انظر إلى عامة عباد المسلمين ستجد أن عامة العباد يعبدون الطاغوت.
- ومثلهم أصحاب النفوذ والأمراء تجد كثير ممن هم أصحاب أموال – وهذا واقع – تجدهم ينفقون على كل ما يعظم الشرك [من موالد، ومن حج إلى غير بيت الله، إلى أخره]، واحتضان لهؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم رؤوس ومشايخ في الطرق الصوفية، يعظمون أنفسهم لدرجة أن الناس يصرفون لهم أنواعًا من العبادة، فيجمع في قلوب الناس أنهم أصحاب سلطة دينية وأن ورائهم أصحاب نفوذ ومال.

على كل حال؛ المقصد أن جمع الأدلة الثلاثة مع هذا الدليل الأخير يبيِّن لك أن هذه الأمَّة يقع فيها عبادة الأوثان، وهذا ما يسمى بالدليل العقلي النقلي، أين الدليل العقلي النقلي؟ ورد لك أن هذه الأمَّة يحصل بينها تشابه بينها وبين الأمم السابقة، مادام قيل لك أنه يحصل بينها تشابه بينها وبين حال الأمم السابقة انظر إلى حال الأمم السابقة، [انظر إلى حال علمائهم، إلى حال عامة عبادهم، إلى حال ذوي السلطة والنفوذ والمال]، ماذا كان حالهم؟ سيكون حال هذه الفئات نفس الحالة، هذا الاستنتاج.

الدليل الخامس.

نأتي إلى الدليل الصريح الذي يدلّ على أن هذه الأمَّة يقع منها عبادة الأوثان.

ولمسلمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا

ما معنى زوى؟ جمع، زوى بمعنى جمع

وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ

المقصود بهم كنز كسرى ملك الفرس، وكنز قيصر ملك الروم.

الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ

لماذا سمي الأحمر والأبيض؟ لأن الغالب عند كسرى الفضة، والغالب عند قيصر الذهب.

وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ

ما المقصود "بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ " ؟ الجدب، يعني الأمَّة لا تهلك بجدبٍ عام، لكن ممكن أن يكون بجدب في بعض نواحيها.

وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ

يعني من الخارج ليس هناك عدو يتسلط عليهم لكن هم إذا تسلطوا على بعضهم يمكن أن يدخل عليهم الذي من الخارج، يعني مادام هم مجتمعين لن يتسلط عليهم، ما أن يفترقوا إلَّا ويحصل بينهم، ويحصل التسليط عليهم.

فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ

ما معنى بيضتهم؟ ساحتهم أو جماعتهم.

وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا

يعني طالما هم مجتمعون لن يتسلط عليهم أحد، ما أن يفترقوا إلَّا يكونوا أهلًا للتسلط.

حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ".

ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: " وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ ،

يعني هذا الحديث ورد في مسلم وأيضًا ورد في البرقاني.

البرقاني صنف مسندًا ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحين وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة.

" وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ ،وَإِذَا وُقِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،

ما معنى إذا وقع السيف؟ يعني إذا وقعت الفتنة والقتال بينهم.

وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ،

ما المقصود بالحي؟ قبيلة، حتى تلحق القبائل من أمَّة النبي صلى الله عليه وسلم بالمشركين.

وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَام مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ ،

فئام المقصود بها الجماعات.

هنا وجه الشاهد:

وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ،وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَام مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله تبارك وتعالى".

إذن ما هو الشاهد في هذا الحديث؟ "وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ ،وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَام مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ ،" هذا دليل صريح عى أن هذه الأمَّة يقع فيها الشرك.

طبعًا الحديث طويل لو اردتم مراجعة شرحه تجدونه إن شاء الله في الشروح، سواء الشروح في كتاب التوحيد في موطنه أو الشروح في مسلم أو غيره.

نأتي إلى الشاهد ونناقشه.

ما معنى "يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ"؟ يعني يخرجون من ديار المسلمين إلى ديار الكفار، لكن ما فعلهم مع هذا؟ أرتدوا برغبتهم عن الحقّ، ثم لحقوا بأهل الكفر.

يعني أرتدوا وخرجوا من بلاد المسلمين، والأرتداد في حالهم نوعين: ارتداد بالظاهر والباطن، بمعنى أنهم معترفين بإرتدادهم، أو بإرتداد بالباطن دون الظاهر، فتراهم يقولون على أنفسهم أنهم مؤمنين مسلمين وتجد في قلوبهم بغض للدين، وكلام في تحقيره، وتفضيل للكفر وأحوال أهله على أحوال المسلمين.

"تَعْبُدَ فِئَام مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ" فئام المقصود بها جماعات مختلفة، من يعبد الأوثان يبقون في دار المسلمين، يبقون على شعائر الإسلام لكنهم يعبدون القبور ويعظمون أصحابها، ويطلبون منهم قضاء الحاجات.

لو أردنا أن نقارن بين خطر النوعين: [النوع الذي يلحق بالمشركين والنوع الذي يعبد الأوثان] أيُّهما أخطر على الأمَّة؟ النوع الثاني الذي يعبد الأوثان، ما العلّة؟ لأن من خرج من ديار المسلمين إلى ديار الكفر واضح عليه إنسلاخه، فليس مظهرًا للدين ولا لشعائرة فلا أحد يغتر به، المشكلة فيمن يبقى في ديار المسلمين مظهرًا شعائر الإسلام وهو في الحقيقة عابد للأوثان.

اتضح لنا التقرير سواء بالاستنباط من الأدلة أو بالتصريح، لكن لا يقع في نفوسكم اليأس، ففي ختام الحديث ختم النبي صلى الله عليه وسلم ببشارة تبيِّن لك أنه حتى لو انتشروا هؤلاء لازال سيبقى الحقّ، ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث؟ " وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله تبارك وتعالى" وفي روايات أخرى " حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ".

إذن هذه بشارة تبيِّن لك أنه نعم سيحصل هذا وهذا وسيقع عبادة الأوثان في فئامٍ كثيرة من الأمَّة، يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال " تَعْبُدَ فِئَام"وفئام جماعات، يعني جماعات مختلفة، لكن هذا لا يوصلك إلى حال اليأس، في نفس النص بُيِّن لك أنه " وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ".

هذا أول رد على الدعوة الأولى التي ابتدئناها، اتفقنا أننا سنجيب بطريقتين:

الطريقة الأولى نرد على الاستنتاج، يعني صاحب الاستنتاج قال: لا يقع الشرك في جزيرة العرب، لا يقع الشرك من المسلمين، نرد عليه نقول أن هذه الأدلة كلها تدلّ على وقوع الشرك سواء بدليل عقلي نقلي أو بدليل نقلي صريح.

وهذه ليست الأدلة الوحيدة ولذلك سأطلب منكم أدلة تزيد هذا الأمر وضوحًا، ما هو الأمر؟ أن المسلمين يقع فيهم الشرك.

رددنا على استنتاجه الذي يقول أن الأمَّة لا تقع في الشرك، نرد الآن بأسلوب أخر: نبيِّن معنى الدليل.

نقول " أولًا أن هذا الحديث صحيح، وللحديث عدة معاني صحيحة تكلم بها أهل العلم منها أن إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بيأس الشيطان لا يدلّ على عدم وقوع الشرك، بل يجوز أن يقع على خلاف ما توقعه الشيطان، لأن الشيطان عندما حصلت الفتوحات وقوي الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا يأس أن يُعبد سوى الله في هذه الجزيرة، فالحديث خبر عن ما وقع في نفس الشيطان ذلك الوقت، ولكنه لا يدلّ على انتفائه في الواقع، فقد أرتد عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعض قبائل العرب الساكنين الجزيرة، حتى قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه، بعد أن حكم هو والصحابة بكفرهم، ولاشك أن ذلك الأرتداد كان من عبادة الشيطان.

من المعاني أيضًا التي ذكرها أهل العلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد بذلك الصحابة لأن في الرواية أن يعبده المصلون، والمصلون [ألف لام – ال] هنا للعهد، أي الصحابة، فقد يأس من رجوع الصحابة إلى الشرك والكفر."

إذن رددنا على هذا القول أو على هذا الاستنتاج الذي يقول أن الشرك لا يقع وجميع المظاهر التي تراها من الشرك يقول لك لا هذا ليس شركًا، لماذا ليس شركًا؟ يقول لأن النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في مسلم أخبر أن الشيطان يأس أن يعبد في جزيرة العرب، نقول لا ليس صحيح هذا المعنى، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن هذه الأمَّة يقع فيها عبادة الأوثان، وبدليل أن هناك متابعة من المسلمين لأهل الكتاب في أحوالهم، هذا أول أدلة، والأمر الأخر أنك فهمت الدليل بمعنى قاصر، ليس هذا معنى الدليل.

بهذا انتهى الباب.

ننتقل الآن إلى الباب الذي بعده: **باب ما جاء في السحر.**

ما علاقة هذا الباب بالباب السابق؟ ما علاقة باب السحر بباب أن بعض هذه الأمَّة يعبد الأوثان؟ الكهنة والسحرة ما بهم؟ من أهم الصور لعبادة الأوثان الجبت والطاغوت، كما أشير لك في بداية الباب الذي مضى، علماء بني إسرائيل يؤمنون بالجبت والطاغوت، فهذا على رأس عبادة الأوثان.

والجبت اسم عام يشمل أشياء كثيرة من أبرزها وأظهرها السحر، وهذا ما تجده منتشرًا عند المسلمين، تراه منتشرًا عند المسلمين كأنه يقول هذه الأمَّة تعبد الأوثان تقريرًا وسأظهر لك بعض الأمثلة التي تدلّ على وقوع عبادة الأوثان في هذه الأمَّة، من الأمثلة السحر.

نأتي الآن نناقش السحر في الشريعة، في اللغة وفي الشرع.

في أول الأمر احتاج للسحر في الشرع هنا في هذا الباب، وعندما يأتينا الباب الذي بعده سأحتاج المعنى اللغوي.

السحر في الشريعة ينقسم إلى قسمين، يعني لا أقول عليه سحرًا ويؤخذ الحكم الشرعي في السحر ينقسم إلى قسمين:

- القسم الأول سحرٌ حقيقي.
- والثاني سحر تخيِّلي.

نبدأ نتكلم عن الحقيقي وعن التخيِّلي.

ماذا نقصد بكلمة الحقيقي؟ المراد به سحر له تأثير حقيقي واقعي مؤثر بإذن الله عز وجل، وهو عبارة عن عمل يؤثر على بدن المسحور أمَّا بالموت أو بالمرض، أو يؤثر على العقل بأن يخيل إلى الإنسان أنه فعل شيئًا وهو لم يفعله، أو يؤثر على القلب فيورث به كراهة أو محبة غير طبيعيين، وهذا ما يسمى بالصرف والعطف، بأن يعطف الإنسان ويحدث فيه محبة غير عادية لبعض الأشياء، أو بعض الأشخاص أو كره غير طبيعي ليس له أسباب واضحة، هذا يسمى سحر حقيقي له أثر على البدن أو العقل أو القلب والعواطف والأحاسيس.

نأتي إلى السحر التخيِّلي، السحر التخيِّلي سحر ليس له حقيقة وإنما خيال وشعوذة جرى مجرى التمويه – التمويه يعني التلبيس – جرى مجرى التمويه والخداع وهو ما يؤثر في الأبصار والأنظار، فترى الشيء على خلاف ما هو عليه.

سأذكر لك بعض الأدلة وانت قولي لي هذا يصلح دليل على الحقيقي أم التخيِّلي:

في قوله تعالى ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾[٣٣٨] : حقيقي.

سحرة فرعون: تخيِّلي.

إذن لو أردت منك بناء على قوله تعالى ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أردت منك وصف السحر الحقيقي ماذا تقولون؟ ما هي النفاثات؟ جمع لنافثة، ما هي النافثة؟ الساحرة تعقد العقد وتنفث، هذه الصورة لابد أن تتصور ما وراءها، يعني انت تقول تعقد العقد وتنفث وانتهى الأمر؟ أم ماذا تقول؟ سنقول أنها تركيبة، أولًا هذا الإنسان الذي يكون حاله النفث والعقد لابد أن يكون خبيث، وخبيث هذا تعبير لا تقوله إلَّا على واحد يتقرب لغير الله.

[٣٣٨] الفلق:٤

هذه المرأة النافثة لابد أنها تتقرب إلى جن وإلى شياطين، فتبلغ من حال الخبث ما يجعل نفسها خبيثة، تقول بلسانها كلام خبيث، فتخرج نفسًا خبيثًا، ماذا تفعل بهذا النفس الخبيث؟ تعقد وتنفث على العقد، انت انظر ضد هذه الصورة تمامًا، نفس طيبة عابدة لربها تقول كلامًا طيبًا، تخرج نفسًا طيبًا فتنفث على نفسها وتمسح، فلنتكلم عند النوم سيكون سببًا للتحصين والحفظ.

صورتين ضدية، انت لابد أن تتصور أن هذا النفث له أثر حقيقة، فممكن أن يكون له أثر خير عندما تكون انت نفس طيبة، وتقول كلام طيب ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فتكون تقول كلام طيب ونفسك طيبة، مؤمنة، عابدة، طائعة، تخرج نفسًا طيبًا، فإذا نفثت على شيء سترى آثار الطيب منك، والعكس بالعكس.

لذلك هناك حالة في الوسط لابد من ملاحظتها، هي حالة ضعف الإنسان بسبب ذنوبه، نفسه لا تكون طيبة مائة في المائة، يكون ضعيف كثير الذنوب، كثير الغفلة، ترى كثرة الغفلة وكثرة الذنوب مؤثرة على نفسِه ونفَسِه ونفثه، ستكون مؤثرة عليهم، ومن ثمَّ ترى أحد ينتفع بتطبيب نفسه مرة، لو قرأ على نفسه مثلًا الفاتحة وقت الألم، يرى أنه ينتفع بتطبيب نفسه مرة ومرة لا ينتفع، والعلّة؟ ضعف القلب، ضعف الإيمان.

إذن هذا الجزء من التذكير لابد أن يكون ظاهر في ذهنك، لأن غالبنا عندما يأتي ينفث على نفسه في النوم أو ينفث على نفسه وقت التطبب، ينفث إمتثالًا وهذا أعلى درجة، لكن مع الامتثال لابد من الاعتقاد، عندما تنفث لابد أن تعتقد أن طيب ما فيك من اعتقاد سيكون سببًا للشفاء، سببًا للحماية، جعله الله سبب، وافهم هذا بالعكس، عندما تفهم النفاثات في العقد: نفس خبيثة، وتعرف كيف تكون النفس خبيثة، خبث بالذنوب والمعاصي وأعلاها على الإطلاق الشرك، ستقول كلام خبيث فيه استدعاء للجن وطلب منهم، أو تقول في نفس كلامها أن فلان هذا نريد منك أن تفعل به كذا أو تفعل به كذا، وهذا كله كلام خبيث، طلب البلاء على الناس كلام خبيث، إذا كان انت ممنوع في دعاءك أن تدعو عمل أحد، يعني تطلب من الله أن يفعل بأحد شيء فكيف بمن يطلب الجن وغيره، يجمعون بين الشرك والاعتداء، ماذا سيخرج من نفس مثل هذه؟ سيخرج نفسًا خبيثًا وسيأتي نفثًا خبيثًا، إذن هذا حقيقة وسيؤثر في بدن أو عقل أو قلب المسحور.

نأتي إلى التخيِّلي.

مثل سحرة فرعون، ماذا فعلوا سحرة فرعون؟ سحروا أعين الناس، يعني ماذا فعلوا لهم؟ استخدموا الجن في إيهام الناس، فيخيل إلى موسى من سحرهم أن العصى والحبال تسعى وتتحرك وتمشي، شرطًا في هذا النواع التخيِّلي أن يكون هناك جن؟ لا، ليس شرطًا، النوع التخيِّلي ليس شرطًا أن يكون هناك جن فيه، تأتي الحيلة.

لذلك بعض أهل العلم قالوا أن العصى التي كانوا يستعملونها السحرة عند فرعون فيها زئبق، فالزئبق كان يتحرك في وسط العصى فيتخيل للرائي أنها تسعى، والسحرة يعرفون الزئبق لكن الناس لا يعرفونه، فانت عندما تعرف شيء ستتصور أنه نوع من أنواع السحر، وهذا الذي يحصل!.

يعني في أواخر القرن الثامن عشر، أوائل التاسع عشر، أو في أواسط التاسع عشر، المهم في الشام كان الاحتلال الفرنسي، ففي أثناء احتلال الفرنسي كان في زمن خروجهم، وكانوا يريدون قبل أن يخرجوا أن يبقوا شيء من الولاء لهم بإظهار شخصية يرتبط الناس بها، وهذه الشخصية تلقي عليهم أحكامًا يسيرهم كما يريدون ومن هنا كان مبدأ الفرقة الدرزية، المهم أول مبدأهم أنهم أتوا

بشخص وألبسوه –كانت البطاريات لم تعرف بعد، وألبسوه مثل الأنوار الصغيرة التي توجد في محلات الزينة – ألبسوه هذه الأنوار كاملة، ثم ظهر عليهم، وكان عندما يتكلم يضغط على البطارية فتضيء نورًا، فلما أضاءت سجدوا له!!.

انت الآن متخيلة المسألة على حسب معرفتك، أنك تعرفي هذه الأشياء، لكن هم لم يعرفوها، ولا كان الإضاءة غير الشمس والقمر معروفة وإضاءة المصابيح، غيرها لم يكن معروف، لا البطاريات ولا الكهرباء ولا أي شيء، نحن نقول أواخر القرن الثامن عشر أوائل التاسع عشر، يعني قبل أكثر من مائة عام، بل أو أكثر من مائة وعشرين عام، المقصد أن مثل هذا نوع من أنواع السحر، ما وجه كونه سحر؟ شيء انت لا تفقهه، لا تفهمه، تخيِّلي، يموه عليك، حكمه شرعًا يعتبر سحر.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة:سيأتينا السيرك ومثله، سأضرب الآن مثال عليه.

مثلما يأتوا مثلًا بدولاب ومقسم ثلاثة أقسام له ثلاثة أبواب، ويفتحوه على أن شخصًا موجود فيه، ثم بعد قليل يقصه، فيخرجوا الدولاب على أنه ثلاثة أقسام، وانت تفهمين أن الرجل في الداخل، وهم في الحقيقة يخرجونه من الخلف بصورة أو بأخرى بحيلة، أهم شيء انت الآن عندما رأيتي ماذا تصورتي؟ أنهم حقيقة فعلوا، إذن هذا ما يسمى السحر التخيِّلي.

إذن سحر التخيِّل سحر ليس له حقيقة، وإنما خيال وشعوذة جرى مجرى التمويه والخداع، وهو ما يؤثر في الأبصار والأنظار، فترى الشيء على خلاف ما هو عليه، إذن هذا السحر تخيِّلي ليس له حقيقة، إنما كل القضية خفة يد، تصرفات، خداع، يخدعوك مثل ما يحصل في السيرك وغيره، سنرى ما واجبنا تجاه هذا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة:كل هذا ممنوع شرعًا نوع من أنواع السحر، وسنرى حكم النظر لها، وحكم انتشارها، وماذا يجب علينا تجاهها في النقاش، لكن المهم أن تفهم أن هذا نوع من أنواع السحر، ولذلك بدأنا بالكلام من أوله أن هناك سحر تخيِّلي وسحر حقيقي، لأن لو لم تتصور أن هناك سحرًا تخيليًا ستأتي إلى هذا كله وتقولين هذا ليس سحر، هم لم يستخدموا الجن! نعم لم يستخدموا الجن والله عز وجل ذكر عن سحرة فرعون أنهم سحروا أعين الناس.

الآن اضرب لك أمثله وانت فرقي هذا النوع ماذا يكون.

التوفيق بين الزوجين بالسحر: سيكون سحرًا حقيقيًا.

أن تري ما ترينه من رجل يخرج من فمه طائرًا وبيضة: هذا تخيِّلي.

أوراق مكتوب عليها جداول وكلمات غير مفهومة: هذا سحر حقيقي.

ننتقل الآن إلى الكلام حول أقسام السحر الحقيقي.

السحر ينقسم إلى قسمين: حقيقي وتخيِّلي، الحقيقي ينقسم إلى قسمين، لا تختلط عليكم الأقسام.

نأتي الآن إلى أقسام السحر الحقيقي.

- النوع الأول: سحر باستخدام عقد ورقى وعزائم، وكلام يتكلم به، أو كتابة يكتبها، وفيه استعانة بالشياطين وتقرب إليهم.
- النوع الثاني: سحر باستخدام أدوية وعقاقير وأعشاب وتدخينات، من الدخان، يعني يعطيه ورقة ويقول له أحرقها وأبصق عليها، وليس فيه استعانة بالشياطين.

نعمل جدول حتى لا تختلط عليكم المفاهيم.

جدول ثلاثة خانات [تعريفه / حكمه / العلّة].

القسم الأول: سحر باستخدام عقد ورقى وعزائم، إلى أخره.

الثاني: باستخدام أدوية وعقاقير وأعشاب وتدخينات.

ما حكم الأول؟ مادام فيه استعانة بالشياطين إذن شرك أكبر منافي للتوحيد.

حكم الثاني: حكمه فيه تفصيل، سنتكلم الآن عن الساحر أم طالب السحر؟ سنتكلم عن طالب السحر، إن أعتقد أن هذه الأخلاق تنفع وتضرّ بذاتها سيكون حكمه شرك أكبر منافي للتوحيد، لماذا شرك أكبر؟ لأن النفع والضرّ بيد الله، إذن هذه العلّة لأن النفع والضرّ بيد الله.

ننتقل الآن إلى الحالة الثانية:

- قلنا أن الحكم فيه تفصيل إن أعتقد أن الأخلاق تنفع وتضرّ بذاتهاحكمها شرك أكبر.
- الحالة الثانية إن أعتقد أن هذه الأخلاق تنفع وتضرّ بذاتها سيكون حكمه كبيرة من كبائر الذنوب منافي لكمال التوحيد، ما العلّة؟ لما فيه من الظلم والعدوان.

ما هو الظلم والعدوان الذي سيحصل؟ هو الآن طالب السحر يطلبه لأحد، يعني هذه امرأة مثلًا تطلب لزوجها سحر أن يفعل كذا أو لا يفعل كذا، أو يتغير مزاجه أو يحصل في نفسيته حالة من التغيير، فيحصل عدوان على الشخص، يعني تغيير مزاج أحد أو محاب أحد أو أحوال أحد بدون رغبته سيكون هذا نوع من أنواع الظلم والعدوان، لذلك دائمًا في المستشفيات عندما يريدوا أن يقيموا عملية أو خطوة في العلاج يجب أن يكون هناك وليّ أمر إذا ما كان نفس الشخص يكون هناك وليّ أمر يوافق، لا يحركوك خطوة إلَّا وانت موافق عليها، أمَّا أن يغير حالك وانت لا تعرف هذا نوع من أنواع العدوان، وطبعًا هذا أقل درجة أنه يغير حالك وانت لا تعرف، غير الذي ممكن أن يصل إلى حدّ الموت، إلى حدّ القتل، يأكله شيء يجعله يموت، يسري في بدنه فيموت، أو يأكله شيء يجعله دائمًا في حاجة إلى فلان، تتصورون هذا النوع الذي فيه مأكول وتدخينات؟ العقد واضحة معروفة فيها استعانةا بالجن، يبقى هذا النوع الذي فيه أدوية وعقاقير، الأدوية والعقاقير شيء ربما لا تتصوره، الذي يعرف الأحوال يتصور هذا النوع، سأضرب لك مثالًا، مثال بعيد من أجل أن تتخيل كيف الحالة.

	أنواع السحر الحقيقي	
	النوع الأول	النوع الثاني
تعريفه	سحر باستخدام عقد ورقى وعزائم، وكلام يتكلم به، أو كتابة يكتبها، وفيه استعانة بالشياطين وتقرب إليهم.	سحر باستخدام أدوية وعقاقير وأعشاب وتدخينات، وليس فيه استعانة بالشياطين.
حكمه	شرك أكبر منافي للتوحيد.	حكمه فيه تفصيل. ▪ الحالة الأولى إن أعتقد طالب السحر أن هذه الأخلاق تنفع وتضرّ بذاتها سيكون حكمه شرك أكبر منافي للتوحيد. ▪ الحالة الثانية إن أعتقد أن هذه الأخلاق تنفع وتضرّ بذاتها سيكون حكمه كبيرة من كبائر الذنوب منافي لكمال التوحيد.
العلّة	فيه استعانة بالشياطين.	الحالة الأولى: لأن النفع والضرّ بيد الله. الحالة الثانية: لما فيه من الظلم والعدوان.

انتم تعرفون المخدرات – نسأل الله أن يحفظ أولادنا وبناتنا، اللهم آمين، ويرد على البلاد والعباد ما يراد بها – الآن هذه المخدرات لو اتكلم على مبدأ حالتها وكيف أتت إلى البلاد كانت عبارة عن أشياء تأتي واستخدمها في الأصل السحرة، كيف يستخدمونها لو أرادوا إهلاك أحد يضعون له في أكله، يأكل شيء ويصبح حالة حالة أخرى، يعني غالب هؤلاء – مستخدمي المخدرات – تجد نفوسهم على أهليهم فيها شدة بغض وكراهة، فيها اعتداء على الأهل، واعتداء على أي أحد يقف في طريقه، فتجد مثل هذه الأشياء عندما تؤخذ – وطبعًا سيظهر لنا الآن في النقاش أن هؤلاء يمثلون دور الطبيب الشعبي- فيأتي له المعالج على أنه يتطبب فيعطيه جرعة ويذهب، ويعطيه جرعة ويذهب،فيزيد حالته إلى أن يهلك، أين وجه السحر؟ أن هذا المأكول سبب في تغيير عقله، في تغيير ما يسمى بالمزاج، في تغيير بدنه، في التأثير على البدن، هناك أشياء مما تأكل تغيير المشاعر [المحبة الكراهية] يبقى كاره لمجتمعه، كاره لزوجته، لبيته، لأولاده.

مثل ما يحصل في أنواع من المخدرات، لكن الفرق اليوم أن المخدرات – نسأل الله أن يحفظنا ويحفظ ذرياتنا – يتعاطونها أختيارًا، وفي أصل المسألة كانت تحشى بها بعض الأطعمة، يوصوه أن تأكل كذا وكذا، ويعملوا له أقراص من الخبز ويقولون له يجب أن تأكل هذه صباحًا كل يوم، ويعطيه كمية بحيث أنه عندما تنتهي لا يستطيع أن يعيش لابد أن يرجع له، وهو يتصور نفسه في علاج وهو في الحقيقة في انهيار، طبعًا هذا أول مبدأ المسألة ثم انتشرت وجاءت التجارة في المخدرات، وانتشرت بهذه الصورة.

إذن هذا النوع أمَّا شيء يتنفس، ومن أجل ذلك تجد أحيانًا عندما يكون عندهم أحد يقصدونه يستخدموا البخور، يدخنون هذا الشيء الذي يريدوا سحره به، لكن التدخين في الغالب لا يكون إلَّا من خاصة، لأن لو دخنوا كلهم موجودين سيصابون كلهم، ففي الغالب أن هذا الذي يدخنه يكون من خاصته، يضعوا أيضًا في المكيفات، في بعض أدوات التكييف، مثلًا هذه غرفة – وهذا كلام حقيقي واقع – يكون هذا طالب مثلًا في سكن داخلي في غرفته أو ابن هذه غرفته فيضعون المراد استنشاقه في المكيف فأول ما يفتحه يستنشقه!، إلى أخر أنواع المكر الذي يوجد في هذا الباب.

والمشكلة أن هذا المكر غالبة يأتي من النساء، يعني هذا النوع أمهر ما يكون فيه – حتى النوع الثاني – والله عز وجل يقول في كتابه ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ النساء المقصود، لكن كلا النوعين، ويظهر مكرهم بقوة في الثاني، كيف أنهم يمكرون ويرتبون كيف يوصلوا هذا المأكول أو المشروب إلى هذا المسحور.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هم في الغالب يمكرون حتى يصيبون الفرد الذي يريدونه، في قصة أن هذا طالب في سكن، فذهبوا للشخص الذي ينظف، وطلبوا منه أن يضع هذا في مكيفه.

إحدى الحاضرات تحكي قصة عن ذلك الأمر ورد من الأستاذة: هذا إدمان، لابد أن يكون هناك مرحلة سابقة له. – الله المستعان– هذا من أعلى أنواع البلاءات، يعني هم أولًا يجهزوا بدنه ثم يستعملوا معه هذا الأسلوب الطويل.

على كل حال؛ لا ينتهي حالتهم هذه، انت افهمي النوعين على وجه العموم أن هناك سحر باستخدام عقد ورقى وهناك سحر باستخدام أدوية وعقاقير وأعشاب وتدخينات، ولا تتصوري أنه لا تجتمع الاثنين، لا تجتمع الاثنين، يعني يمكن أن يفعلوا هذا وهذا، يجمعوا بين هذا وهذا، بمعنى أنهم يعقدوا وينفثوا على المسحور ثم يستخدمون معه أشياء من التدخينات والمأكولات والمشروبات لإبقاء سحرهم كما هو.

انت أول ما ترى أن الحالة غير طبيعية من جهة المحبة والكراهة والميول مباشرة افهمي أن هذا غير طبيعي، في صورة يمكن وصل لبعضكم هذه الصورة، فيلم مصور في أحد الدول العربية، لشاب من شبابنا، الله المستعان شيء لا يوصف!، يكلم هذه المحبوبة، والمحبوبة أصلًا دخلته تحت السحر، في أحد الدول العربية المعروفة باستخدام السحر، هو الآن مسحور تخيلي ماذا فعلوا، هي وصديقتها يصوروا المنظر، وهو يكلمها ويدور، ويدور، يترجاها يعني، في الأخير قالت له إذا كنت تحبني القي نفسك من النافذة!، وتخيلي صوروا المنظر وهو يجري جري ويلقي بنفسه من أعلى!، ثم تصوره وهو في الأسفل شيء لا يقبله عقل!، ولسه تصور!، وشاب!، الله المستعان!

يعني ليس تمثيل، حقيقي، واضح أنه تصوير داخلي، وكيف منظر الأرض ودمه يسيل، ثم ماذا فعلوا؟ نزلوا هذا المقطع في أحد المواقع!، لولا أن المنظر به أشياء لا تليق لكنت أريتكم إياه لتتصوروا إلى هذا الدرجة السحر يفعل في الناس!، ثم يموت مقتولًا وابحثوا عن السبب، المهم عندما نزل هذا المنظر كان سبب لإلقاء القبض عليهم، لكن بعد ماذا؟!، بعد ما انتهى شاب وقع تحت تأثير السحر، وهذا كله طبعًا بسبب السفر، السفر هو الذي يوصل في الأخير إلى حال مثل هذه الأحوال، الله المستعان.

على كل حال؛ المقصود فهمنا الآن نوعين من السحر الحقيقي:
سحر بالرقى والعزائم وهذا في الغالب يكون استعانة بالجن.
والنوع الثاني بالأدوية والعقاقير.
نبدأ الآن في دراسة الأدلة؛ أولًا عندكم اسئلة من أجل أن ينتهي الأمر من ذهنكم، أريد أسئلة لا أريد أمثلة.
سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ما الرأي في مثل هذا؟ سيأتينا، هذا يعتبر قارىء ويبيِّن لك مرضك، انت الآن تذهب تشتكي وهو قال لك خذ هذا وهذا وهذا، العسل والزيت وكبسولات، وكبسولات المريض لا يعرفها، لا بأس، نناقش في أخر الباب كيف يظهر السحرة، يعني هل ممكن أن يكون هذا ساحر أو ما حاله، ونناقش أيضًا مفاسد كثيرة واقعة اليوم في مسألة الرقية والتجاوزات فيها.
سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: من أول الأمر نقول أن السحر ليس شرطًا أن يكون فيه شياطين، أول أمر عندنا شيء تخيِّلي لا يظهر حقيقة، وشيء حقيقي، الحقيقي ينقسم إلى قسمين باستخدام الجن والثاني باستخدام العقاقير، العقاقير هذه ليس لها علاقة بالجن، نفس العقاقير والأدوية لها تأثير وضربت لك مثال المخدرات.
أنا أقول لك في أول الأمر عندما جاءت المخدرات كان ما نوعها؟ كانوا يستخدمونها هؤلاء من يتكلموا عن الطب الشعبي، من صورتهم أنهم كانوا يطببون طب شعبي كانوا يستخدموه، وهذا ليس في بلادنا، لكن في البلاد أصلًا التي كان ينمو فيها هذه الأعشاب، ثم المسألة عندما دخل فيها الإدمان أصبحت تجارة، لكن هذا الذي يستخدم المخدرات لأنه يشتريه بنفسه أصبح ليس اسمه سحرًا، لكن – نسأل الله السلامة– عندما يكون هناك ناس – ولا أريد أقول هذا الكلام الذي لا يصور بعض المجتمعات صورة الكراهية والحقد —
يعني هي الآن بغضت أحد الأشخاص حولها من أقاربها، أحد الشباب فماذا تفعل به؟ كيف تسحره؟ استخدمت له المخدرات، يعني أتت له بالمخدرات ووضعتها في أكله إلى أن أدمن، وبالنسبة له تعتبر سحر، هي ماذا استخدمت؟ هي تتعامل مع تاجر مخدرات، تأخذ منه الأشياء وتضعها في أكل الشاب، انظري كيف الحسد!، لا أريد أقص القصة لكن في النهاية أولادها غير ناجحين وولد فلانة ناجح، وولد فلانة هذا من الأقارب ليس واحد بعيد!، لدرجة أنه يزاورها وتزاوره، يعني محرم لها، لكن الحقد الموجود في القلب جعلها تستخدم المخدرات في فعل هذا، فلم تتصور أن المخدرات ممكن تموته، فوصل الحال إلى أن يكون غير طبيعي، غير طبيعي، ووصل الحال إلى أن ترك الدراسة إلى أن مات في نهاية الموضوع، فهي لم تفيق إلَّا لما مات، لما مات جائت تسأل أنا فعلت وفعلت ماذا أفعل؟!!، تصوري هذه الحالة!!
هي لم تذهب إلى سحرة، تقول لي أنا لست كافرة، لم أذهب إلى ساحر!، هي ماذا فعلت؟ استخدمت المخدرات لكن في حقّ الشاب وحقّ أهله الذين خرجوا به في كل مكان، ولم يأتي في بالهم أبدًا أن يحللوا له مخدرات، هم عندما مات حللوا له ليعرفوا سبب الوفاة، قالوا جرعة مخدر عالية، فتصوري جرعة مخدر عالية ماذا يقولون! ولدنا لا يستخدم مخدرات!، ولا أصلًا عنده أموال يستخدم بها مخدرات!، فكيف ممكن أن يكون هذا؟!، فتصوري كيف بالنسبة له للشاب ولأهله سحر، بالنسبة لها هي يعتبر استخدام للمخدرات، هي في النهاية قتلته، لكن كيف قتلته؟ باستخدام المخدرات بالنسبة لهم يعتبر قتل بالسحر، هذا المقصود، أنه بالنسبة للشخص نفسه يعتبر سحر.

لأن هؤلاء ماذا يفعلون؟ يخرجون إلى البراري، غالبهم أصلًا له علاقة بالبراري ولهم علاقة برؤوس الجبال وسفوحها، فيخرجوا يبحثوا عن نباتات، ويعملوا تجارب على الحيوانات، ثم يأخذوها ويعطوها لبني آدم، وتأتيهم ثقافات من هنا ومن هنا، ولذلك دول معينة في العالم الإسلامي معروفة بأنها بها سحرة، النوعين، لماذا؟ لأن أرضهم تنبت مثل هذه النباتات الغريبة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذه أدوية وعقاقير وتدخينات، سحر يعتبر، ليس من الناحية اللغوية، أكلته أكل معين، بالنسبة للمرأة وبالنسبة لفاعل السحر عمومًا لا يعتبر السحر الذي فيه استخدام للجن، لكن هو أكله أكل غير مزاجه، كان سببًا لقتله في نهاية الأمر!، سحر لأنه خفي وفيه تغيير وتأثير.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أنا لا أتكلم عن الطب الشعبي، في نهاية الموضوع سنقول أن هؤلاء السحرة كيف تكشفهم وما هي علاماتهم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: يمكن أن تذهب له على أنه ساحر، ويمكن أن تذهب له على أنه طبيب، ثم يظهر أنه ساحر بعد ذلك، انت يجب أن يكون عندك معلومات لتفرق بين الطبيب والساحر.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أنا الآن لا أتكلم عنك انت، أنا أتكلم عن الحالة، الحالة يكون داخل تحتها سحر.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: من ناحية تأثيرها الخفي يكون هذا الأكل الذي يأكله يكون مسبب لتغيير حالته فيسمى الانتقالة في حالته يسمى سحر، لأنه غير فاهم ما الذي سبب له، في مقابل أنه لو تطبب بدواء وظهر أن الدواء هو سبب ظهور كذا وكذا، عندك سبب واضح يبيِّن لك أن هذا كان الناتج له هذا، لكن في الغالب الذي يستعمل الأدوية أو الذي يأتي بالأدوية كان مقصده إيذاء هذا الشخص.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذه نقطة حاصل فيها خلاف، السؤال تقول أننا نعرف أن العقد والنفث فيها تغيير المزاج، لو كان يحب أحد يكرهه، ولو كان يكره أحد يحبه، والمأكول والمشروب يمكن أن يغير عواطف الإنسان ويجعله يحب ويكره؟ انت كلما ازددت تجربة ومعرفة بالواقع سيتبيِّن لك الأمر، على حسب ما أعرف وإن كان كثير يخالفوني، وأقصد يخالفوني على قدرنا يعني جماعة جربوا وجماعة رأت وجماعة لم ترى مثل هذا أن الأدوية والعقاقير تغير المزاج وتغير المحبة، لكن دائمًا يأتي سؤال لماذا تحب يقع فيها بغض للزوج أو لشخص معين ولا يقع لشخص أخر؟ طبعًا هذا فيه تفاصيل كثيرة تعتمد على مزاج نفس الشخص، وربما يثيروا فيه شيء معين لا يجده إلَّا في هذا الشخص، المسألة داخل فيها تفاصيل، المهم أن الذي يظهر أن الأدوية والعقاقير لها تأثير ما يشابه تأثير العقد والنفث، وإن كان العقد والنفث أسرع من جهة المردود، يعني مثل الهواء في سرعته، يعني يتغير تغيير سريع وجذري.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: سيأتينا هذا في أخر الكلام، الكلام عن الرقية الشرعية وكيف نستعملها.

باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ)[٣٣٩]. وقوله: (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)[٣٤٠].

قَالَ عُمَر: الْجِبْتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ، وَقَالَ جَابِرٌ: الطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، كَانَ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٍ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: "الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ".

عَنْ جُنْدُبٍ مَرْفُوعًا "حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ" رواه الترمذي، وقال: الصَّحِيحُ أَنَّه مَوْقُوفٌ.

وفي صحيح البخاري عَنْ بَجَالَةَ بْنَ عَبْدَةَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ.

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا بِقَتْلِ أَمَرَتْ جَارِيَةٌ لَهَا سَحَرَتْهَا، فَقُتِلَتْ. وكذلك صَحّ عَنْ جُنْدُب. قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

❖ الدليل الأول

نبدأ بالدليل الأول، افتحوا مصاحفكم آية ١٠٢ و١٠٣ في سورة البقرة ليظهر لنا كيف نحكم على السحر بالكفر.

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾[٣٤١].

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

هذا الدليل الأول ورد فيه ما يدلّ على كفر المتعامل بالسحر، المتعلم والعامل.

في خمس مواطن ظهر في الآية:

- الموطن الأول: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ نفي الكفر عن سليمان يدلّ على أن السحر كفر.
- الموطن الثاني: مما يدلّ على أن السحر كفر تصريح الآية بكفر الشياطين بسبب تعلمهم السحر ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

---

[٣٣٩] البقرة:١٠٢

[٣٤٠] النساء:٥١

[٣٤١] البقرة:١٠٢

▪ الموطن الثالث: موقف الملائكة حيث قالت لا تتعلم السحر فتكفر ﴿حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

▪ الموطن الرابع: مما يدلّ على أن السحر كفر مصير الساحر في الآخرة، أنه ليس له نصيب من الجنة ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

▪ الموطن الخامس: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ جعل ضدّ الإيمان فعل السحر، فأنه لا يقال للمؤمن المتقي [ولو أنه آمن وأتقى] إنما يقال ذلك لمن كفر.

في الآية أيضًا تصريح بأن ما شاء كان وما لم يشأ لن يكون، وأن الساحر ابتلاء على الناس، دليل ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

◄ الدليل الثاني.

نرى وجه الدلالة في الدليل الثاني.

آية النساء هي نفسها الآية في الباب الذي سبق.

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[٣٤٢].

قَالَ عُمَر : الْجِبْتُ : السِّحْرُ ، وَالطَّاغُوتُ : الشَّيْطَانُ ، وَقَالَ جَابِرٌ : الطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، كَانَ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِد.

نرى تفسير الجبت والطاغوت.

الجبت: اسم للأفعال الرذيلة، مثاله كما ذكر عمر رضي الله عنه السحر.

الطواغيت: والطغيان من مجاوزة الحدّ، مثاله كما ذرك عمر رضي الله عنه الشيطان، وجابر رضي الله عنه ذكر مثال أخر وهو الكهان.

ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت؟ مر معنا في الباب الماضي معنى الإيمان بالجبت والطاغوت، ما معناه؟ التصديق بالجبت والطاغوت واعتقاد القلب عدم بطلانها، ضعي هذه الجملة على المثال ماذا تقولين؟ التصديق، الجبت ما هو؟ فسريه بالمثال التصديق بالسحر بالشياطين أو السحر والكهان واعتقاد القلب بعدم بطلانها، هذا معنى.

المعنى الثاني: موافقة أصحابها دون إنكار مع اعتقاد البطلان، يعني ماذا ستقولين بالمثال؟ موافقة أهل السحر والكهان مع اعتقاد بطلانهم.

الأولى ماذا ستقولين مرة أخرى؟ التصديق بالسحر، والشياطين والكهان، واعتقاد القلب بعدم بطلانهم.

بصورة أوضح للأمثله سنقول:

▪ التصديق بأن الساحر له القدرة على النفع والضرّ بذاته.

▪ التصديق بأن السحر يؤثر أستقلالًا.

▪ اعتقاد أن الشيطان والكاهن يعلمان الغيب.

---

[٣٤٢] النساء:٥١

هذه كلها أمثلة على النوع الأول، يؤمنون بالجبت والطاغوت أي يصدقون بالجبت والطاغوت مع اعتقاد القلب بعدم بطلانها، ماذا فعلنا؟ أخذنا تفسير عمر رضي الله عنه وجابر رضي الله عنه للجبت والطاغوت ووضعناه مكانها فقلنا التصديق بالسحر والشياطين والكهان، واعتقاد القلب بعدم بطلانها، وضحنا المسألة أكثر قلنا التصديق بأن السحر يؤثر إستقلالًا، التصديق بأن السحر له القدرة على النفع والضرّ بذاته، اعتقاد أن الشيطان والكاهن يعلمان الغيب، هذا كله معناه الإيمان والتصديق بالجبت والطاغوت.

نضرب مثال على الثاني – موافقة أصحابه دون إنكار مع اعتقاد بطلانه – :

- مشاهدة برامج عن السحر للتسلية مع اعتقاد بطلانها.
- فتح مشاريع استثمارية ترفيهية مبنية على السحر التخيّلي.

هذه كلها من القسم الثاني، يعني هو الآن لا يعتقد أن هذا حقّ، لا، يعتقد أنه باطل لكن يوافقه من أجل مصلحته أمَّا للتسلية، وأمَّا للدخل، مشروع استثماري، وهذا دائمًا الذي يحصل في الأماكن الترفيهية، في الأماكن الترفيهية يأتون بمثل هؤلاء أهل السيرك وأهل السحر التخيّلي ويستعملونهم من أجل أن يزيد إقبال الناس عليهم.

السحر التخيّلي – تسميته بالسحر – من أين لك به؟ من القرآن، يعني لا تسألوني لماذا سمي سحرًا هذا السؤال خطأ لأن الله هو الذي سماه سحرًا، فهو بحكم الشرع سحر، لكن صاحبه ليس مستخدمًا للشياطين، لكن الله عز وجل سماه سحرًا وحكم على أصحابه أنهم سحرة، فلا تأتي تقولين أن لا إيذاء فيه، لا ضرر فيه، نقول الله عز وجل سماه سحرًا.

◄ الدليل الثالث.

نأتي نرى دلالة الدليل الثالث.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ " . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : " الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ " .

في هذا الدليل يتبيَّن لنا محافظة الشريعة على الحقوق البشرية، وتحريم الاعتداء عليها، وللإعتداء أنواع:

- اعتداء على حق الله، كيف؟ بالشرك، بإتخاذ الأنداد.
- اعتداء على النفس، كيف الاعتداء على النفس؟ بقتل النفس، قتل المسلم والذمي والمعاهد والمستأمن إلا بحقه طبعًا.
- اعتداء على المال، هنا في الحديث أين اعتداء على المال؟ أكل الربا، وأكل مال اليتيم.
- اعتداء على العرض، قذف المحصنات الغافلات.

لما تنظري إلى السحر ماذا تجدين؟ السحر فيه جمع بين أنواع الاعتداء، الاعتداء على حق الله بالشرك، اعتداء على النفس بالقتل، يأكلوه أو يفعلوا به ما يؤدي به إلى القتل، اعتداء على المال سواء بأكله حرامًا، لأنهم لا يفعلون هذه الأفعال إلَّا بأموال طائلة، أو بسحره من أجل الاعتداء على ماله، يعني يسحروه ويأخذوا منه مال.

مثل السحر التخيّلي؛ أن يقول له هات نوع معين من أنواع الأحجار، أأتي بها في حقيبة وأنا أحولك إياه إلى دولارات، ويقول له عاوضني، انت اعطيني هذا المبلغ وأنا أحول لك إياه إلى دولارات، وهو غباء، يعني هو ما كان يفعل لنفسه دولارات يعطيك انت

لماذا؟!، لكن هو في الغالب يعاوضوه بأعيان، يعني يعاوضوه بسيارة، يعاوضوه بقطعة أرض، ببيت، لا يعاوضوه في الغالب بسيولة، فيكون يملك هذا عين ويكون هذا يملك – على ما يتصورون – يكون يملك أن يحول هذا إلى مال، فيعوضوه بهذه الصورة، فعندما يفتحوا الحقيبة يروها أموال، فحتى عندما يمسكونها ويقلبوها يجدوها مال، ثم أول ما ينتهي بينهم البيع والشراء ويذهب كل واحد لحاله يجدها أوراق بيضاء، وهذه المسألة تكرر وعلى قدر تكررها على قدر ما هي موجودة، والناس يقولون لا تعرفوا هذا عنده، وهذا له قدرة، يعني يبيِّن له أن له علاقة بالبنوك، يعني ليس مثل الكلام الأول يقول له هات أنا أحول لك، لا، يبيِّن له أن له علاقة بالبنوك، وأنه سيأتي له بالمال من جهة البنوك لا من جهة السحر أو من جهة تحويل، فانت تتصوري الآن أن الناس المفروض يكونوا على وعي، لكن المسألة كما هي، تتكرر كما هي بالضبط، وناس مثقفين وفاهمين، الله المستعان.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: بعد ما تنتهي القصة؟ انتهى سيذهب عن عينه السحر وسيستطيع أن يرى أنها أوراق، هي أوراق بيضاء.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: كيف يتجنب الموقف؟ لا يتعامل أصلًا مع هؤلاء، لأن هو أصلًا مبني على خداع، وهذا كثير ما يكون في البلدان التي تحتاج عملة، كما يعبرون العملة الصعبة، يعني العملة ليس سهل تداولها في البلاد، فيقول له أنا أريد دولارات مثلًا، فيأتي يقول له أأتي لي بكذا وكذا، أأتي لي بحجر معين، هذا في الزمن الأول كانوا يقولون هات حجر معين وفي حقيبة وفي نفس الحقيبة أحول لك، لكن الآن لا يفعلوا هذه الطريقة، يقولوا عاوضني، اعطيني سيارة وأنا أعطيك حقيبة فيها كذا وكذا، وسأنتظر حتى تعدها، ويعدها، ثم أول ما ينتهي بينهم اللقاء تتحول إلى أوراق بيضاء، هو يكون خسر سيارته، عاقده على مثلًا بيع أرض، إلى أخره.

إذن فيها اعتداء على حق الله وعلى النفس وعلى المال وعلى العرض.

على العرض من أي وجه؟ كيف يحصل اعتداء على أعراض الناس عن طريق السحر؟ لأن هناك أنواع من السحر كما هو معلوم مثلًا تأتي بالمرأة، فالمرأة هي التي ترتاد..يعني هم الآن يريدون امرأة بعينها، يريدون أن تقع في الزنا مثلًا، أو أن يكون لها علاقة بشخص معين، أو شخص معين يريد هذه المرأة، فماذا يفعل؟ فيأكلها أو يشربها أو يرسل لها من يأكلها أو يشربها أو يرسل لها من يأكلها أو يشربها، إذا كان مأكول أو مشروب، إذا لم يكن عن طريق الأدوية والعقاقير يكون عن طريق استعمال العقد والنفث فتقع في .. فيكون هناك اعتداء على العرض، أو يفعل لها هذا الفعل وتكون هي متزوجة من أجل أن يطلقها من زوجها!، هذا نراه كثيرًا – الله المستعان – أن يكون هناك ناس بهذه الحقارة!، يعني يعقد ويربط لها بحيث تنصرف هي أو يصرف زوجها عنها، من أجل أن تطلق من أجل أن لا تجد إلَّا هو في نهاية المطاف.

وطبعًا هؤلاء في يغتروا، لأن في نهاية الأمر لابد أن يأخذوا زواجهم في الدنيا قبل الآخرة، لابد، والذي يعرف الواقع يفهم هذا الأمر جيدًا، يعني انت ترى ناس سلطت عليهم أنفسهم، يعني سحر، وفعل ما يريد، وأخذ مال من فلان، واعتدى على عرض فلان وفعل كل ما يريده، ثم لا ترى أن الله عز وجل أنزل عليه عقوبة، من الخارج لا ترى عليه عقوبة، لكن عندما يأتي يكلمك يقول أنا لا ليلي ليل ولا نهاري نهار، لا أستطيع أن أجلس لا أستطيع، طوال الوقت – هذا طالب السحر – من كثرة الاعتداء عذبه الله عز وجل بنفسه، وهناك حالات طبعًا نجدها فيها انتحار في نهاية المطاف، انتحار وقتل النفس، فلابد أن يتعاقب في الدنيا قبل الآخرة

بعد كل الاعتداءات، والاعتداءات التي حصلت مكنه الله إبتلاءً، لا تتصور أنه يستطيعه من دون أمر الله، نتكلم عن طالب السحر لم نتكلم بعد عن نفس الساحر.

إذن كما هو ظاهر لكم أن الشريعة تحافظ على هذه الحقوق البشرية فيأتي السحر يكون من أعظم الموبقات بعد الشرك لأنه يجمع بين هذه الأنواع: بين الاعتداء على حق الله، والاعتداء على المال، وعلى العرض، وعلى النفس، فتجد أنه رأس الشرور، وأعظم الشر الموجود فيه أن الإنسان يصبح عابد للشياطين، عابد لغير الله.

ما دلالة الدليل؟ اقترانه بالشرك، ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم السحر بعد الشرك، لأن الغالب أنه منه، لأنه عبادة للجن، واستعانة بهم، وتقرب إليهم بالذبح والدعاء والاستغاثة.

❖ الدليل الرابع والخامس.

نأتي إلى الدليل الرابع والخامس الأخير في هذا الباب.

عَنْ جُنْدُبٍ مَرْفُوعًا "حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ"

عندكم في متونكم ضربه أم ضربة؟ المتون مختلفة، ما عليها تعليق فتح المجيد ضربه بالسيف، إذن المشهور ضربة بالتاء، المتن هذا فيه لفظين، [**ضربه** بالسيف - **وضربة** بالسيف]، على كل حال المقصود نفس المعنى لكن هذا نوع من ضبط المعنى.

رواه الترمذي، وقال: الصَّحِيحُ أَنَّه مَوْقُوفٌ.

يعني جندب رضي الله عنه رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، الترمذي يقول الصحيح أنه موقوف، حتى لو كان موقوف على الصحابي سيكون حكمه حكم الرفع، لماذا يكون حكمه حكم الرفع؟ لأنه في أمر لا يمكن أن يتكلم فيه الصحابي برأيه.

وفي صحيح البخاري عَنْ بَجَالَةَ بْنَ عَبْدَةَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ . قَالَ : فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ . وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا بِقَتلِ أَمَرَتْ جَارِيَةٌ لَهَا سَحَرَتْهَا ، فَقُتِلَتْ . وكذا صَحَّ عَنْ جُنْدُب. قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا الحديث يقرر عقوبة الساحر المحدودة شرعًا، ما عقوبته؟ ضربه بالسيف، وقد ثبت هذا عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:

- عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.
- وحفصة رضي الله عنها.
- وجندب رضي الله عنه.

الآن نناقش مسائل حول هذا الباب.

المسألة الأولى: توبة الساحر.

سأنقل لكم فتوى للشيخ بن باز رحمه الله في مسألة توبة الساحر تقبل أو لا تقبل، قال الشيخ رحمه الله:

إذا تاب الساحر توبة صادقة فيما بينه وبين الله نفعه ذلك عند الله، فالله يقبل التوبة من المشركين وغيرهم، قال جل وعلا: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾[٣٤٣] لكن في الدنيا لا تقبل.

هنا يقصد الشيخ بعدما تمكنا منه، لأن هناك فرق بين من تتمكن منه وبين من لم تتمكن منه، قبضنا عليه وهو ساحر، مثل ما تجدون في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عندما يأتي تقارير أنهم قبضوا على ساحر، قبضوا على ساحرة، بعد القبض يأتي النقاش.

نقاشنا هنا بعد أن نقبض عليهم يقول أنه تاب ماذا نفعل؟ نقول له إذا توبتك إلى الله صادقة، نحن نعظه، هم في الغالب عندما يقبضوا عليهم لابد أن يقوموا له بمجلس وعظ، هم في النهاية سيقتلوه – ستسمعي الآن – في النهاية سيقتلوه لكن هم يوعظونه من أجل أن يموت على الأقل تائب، لاحظي أن معه علم، فعلمه هذا بالتوبة ماذا سيحصل له؟ هل بالتوبة سيمحى علمه؟ لا، لن يمحى علمه، علمه أي قدرته على استجلاب الشياطين والعقد إلى أخره، لن يمحى بتوبته، سيبقى العلم موجود، فنحن نقول له تب إلى الله، الله عز وجل يقبل التوبة، ونرغبه في التوبة، ونفهمه أن توبته هذه لن تكون حائلًا بينك وبين إقامة الحدّ عليه.

نكمل كلام الشيخ؛ لكن أريد أن أنبهكم أن هذا بعد القبض عليه، لكن إذا لم يقبض عليه وهو تاب وحده وترك في هذه الحالة بعد إعلان توبته ليس لنا علاقة به، لكن إذا تاب بعد أن قبض عليه.

لكن في الدنيا لا تقبل الصحيح أنه يقتل، فإذا ثبت عند حاكم المحكمة أنه ساحر يقتل، ولو قال أنه تائب، فالتوبة فيما بينه وبين الله صحيحة إن كان صادقًا تنفعه عند الله، أمَّا في الحكم الشرعي سيقتل، كما أمر عمر بقتل السحرة لأن شرهم عظيم، قد يقولون تبنا وهم يكذبون، يضرون الناس فلا يسلم من شرهم بتوبتهم التي أظهروها ولكن يقتلون، وتوبتهم إن كانوا صادقين تنفعهم عند الله.

انتهينا من نقاش أول مسألة حكم توبة الساحر.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: السؤال يقول: الساحر آذى الناس عندما يتوب ما الذي سيسقط عنه؟ سيسقط عنه الشرك، حق الله، لكن حقوق الآدميين تبقى يوم القيامة.

المسألة الثانية: علامات إذا وجدت واحدة منها في أحد حتى لو أظهر الصلاح فهو ساحر بلا أدنى ريب.

الأولى: أن يسأل المريض عن اسمه واسم أمه.

الثانية: أن يأخذ أثرًا من آثار المريض [شعره، ثوبه، منديله، صورة له].

الثالثة: أن تكون قراءته على المريض غير مفهومة، وربما قرأ بعض آي القرآن ليموه على الناس.

[٣٤٣] النور: ٣١

الرابعة: أن يعطيه تمائم تحتوي على حروف مقطعة، وعلى مربعات وبعض الرسومات، وربما كتب معها شيء من القرآن لإيهام المريض أن ما يقوم به أنه من الشرع علمًا بأن هؤلاء السحرة يعطون الناس الأحجبة مغلفة، ويحذرون من فتحها.

الخامسة: أن يطلب من المريض أن يذبح حيوانًا وقد يأمره بأن لا يذكر اسم الله عليه.

السادسة: أن يعطي المريض أشياءً يدفنها في الأرض.

السابعة: أن يعطي المريض أوراقًا يحرقها ويتبخر بها، أوراق أي ليست نباتات، بل أوراق مكتوب عليها أشياء يتبخر بها.

الثامنة: أن يخبر المريض أحيانًا باسمه واسم أمه – مَن يخبر؟ الساحر – ومشكلته التي جاء من أجلها، يستبقوا يعني يقول انت فلان ولد فلانة وحصل لك كذا وكذا.

التاسعة: أن يشتمل كلامه على استغاثات شركية.

المشكلة أن هذه النقطة الأخيرة – الاستغاثات الشركية – تكون أحيانًا منتشرة في المجتمع، يعني نفس الاستغاثة الشركية منتشرة مثل طلب علي رضي الله عنه، يقولون [يا علي، يا عبد القادر، يا حسين]، أو يكون منتشر في المجتمع اسماء للجن، انتشر استخدامها، وانتشر الدعاء بها، والمجتمع غير متصور أن هذا استخدام للجن، فعندما يأتي يقول هذه الكلمات – الساحر – لا تستنكر عليه، لا يتأذى منها ومن سماعها.

المسألة الثالثة: قد يظهر الساحر بعِدَة مظاهر تغش الناس فمن الواجب ملاحظة ما سبق من علامات.

من هذه المظاهر:

الأولى: ظهوره على أنه راقي.

الثانية: ظهوره على أنه طبيب يعالج المرضى بطريقة الطب العربي.

ثلاثة: يظهر بمظهر الرجل صالح.

الرابعة: يظهر بمظهر إمام مسجد، لا تستنكره.

الخامسة: يظهر بمظهر المعتكف على العبادة في الحرمين أو في المساجد الكبيرة، يشبه رجل صالح لكن كيف مظهر الصلاح هذا يختلف، لأن هناك ناس كثيرين عندما يجدوا مثل هذا في الحرم يعتبرون أنه في الحرم إذن صالح، ولا يفكروا في بقية العلامات، هم يبحثون عن أي صورة ممكن أن يصلون بها إلى قلوب الناس.

السادسة: أن يظهر بمظهر المعالج بالطب البديل، وطبعًا الطب البديل هذا أمر له قيمته، واقعيًا له أثره لكن عندما يكون صحيح الطب البديل، الطب البديل معناه ترك المعالجة بالأدوية الكيميائية والاتجاه للمعالجة بالغذاء وبالأشياء الطبيعية، هذا الطب البديل، نفس الطب البديل ليس عليه غبار، لكن ناس كثيرين أخذوا الطب البديل لنشر مثل هذه البلاءات – السحر وأشكاله – يعني الساحر لا تتخيله على الصورة القديمة أنه في مكان مظلم، وفي أماكن ضيقه، لا، انتهت هذه الصورة، تكاد تكون انتهت في غالب المجتمعات الراقية، وإن كان هناك بقية لكنها ليست كثيرة، اليوم هم باختصار على صورتين:

- أمَّا أن يأخذوا مسلك الدين راقي، رجل صالح عابد معتكف في الحرمين أو في المساجد الكبيرة، إمام مسجد هذا اتجاه.
- اتجاه ثاني أماكن مرتبة للاستشارات النفسية، أماكن مرتبة للطب البديل، لطب الأعشاب إلى أخره.

هذه صورة وهذه صورة، في النهاية لم يصبحوا أولئك القوم المختفين، وتذهب لهم على أنهم ساحر،لا، لهم هيئة مختلفة توافق طبعًا حالة المجتمع، ومثلهم طبعًا الكهنة، وسيأتينا هذا الكلام عند الكهان، وهذا لا يمنع بقاء الصورة الأخرى الساحر بمعنى الساحر.

بقي أن أنبهكم أن من أهم أهداف السحرة المال والمكانة الاجتماعية، يعني الساحر يريد مال، هذا أول شيء يهمه، وقد يغض الطرف أحيانًا عن المال في مقابل المكانة الاجتماعية، يحب أن يجد الناس في حاجة له، منكسرين عنده، يستمتع بهذه المشاعر، يحب أن يلفت الأنظار له.

ولذلك لابد من التنبه لبداياته في الأطفال، انت ترى أنه من الطبيعي – وهذا أمر طبيعي – أن يحب الطفل لفت الانتباه له، يحب أن يهتم به، لكن عندما تجده دائمًا يستعمل أشياء تكون خارقة وخارجة عن العادة من أجل أن يلفت نظرك تبدأ من هنا أن تشعر بمشاعر الخوف، هناك حد طبيعي ليس فيه إشكال، الطفل من طبيعته أن يحب أن تكون الأنظار ملتفتة له، لا يحب الإهمال، لكن هناك حد طبيعي وهناك حد فوق الطبيعي، الفوق الطبيعي هذا دائمًا تجديه يأتي باختراعات، كلما كبر كلما أتى لك باختراع، بكذب، بأشياء، وأحيانًا كثيرة يحب يستخدم مع الأم مسألة التخويف، الترهيب، يخوفها أن يرمي بنفسه، أو أن يفعل كذا، أو ممكن أن يحمل السلاح، يحمل السكين، فيه من مظاهر العدوانية مع حب الظهور، مع بعضهما مختلطتان.

هذه كلها أمور تخيفك، يجب سرعة المعالجة، طبعًا أعظم طريق للمعالجة الدعاء ثم يلي هذا محاولة إشعار الطفل أنه ليس بهذه الصورة تكون بارزًا، لا تضغطي عليه وتقولي له أنا لا أحبك، هذا أحد أسباب ظهور المشكلة أصلًا أنه أول ما يفعل فعل خاطىء تقولي له لا أحبك، فهذه من الأساليب الضاغطة التي تورث الطفل بحث عن مشاعر المحبة فعندما لا تأتي يأتي بالاختراعات، ويأتي بالأشياء الغير متصورة، مثلًا انت تفهميه أن هذا الشيء إذا وضع في كهرباء ٢٢٠ سينفجر، فيحمله ويضعه في ٢٢٠، من أجل أن هذا الانفجار الذي يحدث حوله مشاعر تهدئه، لابد من ملاحظة مثل هذا.

لأن هؤلاء الذين أصبحوا في النهاية سحر أكيد تربوا في بيوت، وهذه البيوت غذت فيهم مشاعر أنه يحب أن يشعر أن له سلطان على الناس أدنى منه، أو يريد أن يكون الناس أدنى منه ويصبح له سلطان، لابد من توجيه هذه المشاعر بأستمرار.

المسألة الرابعة: سنتكلم عن الوقاية من السحر.

قبل أن اتكلم عن الوقاية من السحر أريد أن أبيِّن لكم خصوصًا في الأيام المعاصرة وسواس دخل إلى كثير من الناس، وسواس أنه مصاب بالسحر، مصاب بالأحوال الشيطانية، هذا الوسواس يتحول فيصبح مرض نفسي، يعني لا تتصوري أن صاحبه مدّعي فقط بمعنى واحد كذاب، لا، تبدأ القضية بالوهم وتنتهي بمرض نفسي.

وفي الغالب أنه يتصف – هذا المريض نفسيًا بهذا النوع من الوسواس – بثلاثة صفات:

الوصف الأول: التخيل، والتخيل هذا فيه ربط أحداث وأوضاع يربطها مع بعضها فيخرج بنتيجة أنه مصاب، أن هذا من فعل الشيطان، أنه كذا وكذا، أني أرى، أني أسمع، أني ألاحظ، هذا أول وصف.

الوصف الثاني: يمكن أن يعبر عنه بالإصرار على الرأي في هذا الأمر، بمعنى أن الموضوع عنده غير قابل للنقاش، دائمًا يستعمل مع الأطراف الناصحة انتم لا تروا ما أراه، انتم لا تعرفوا ما أعرفه، دائمًا يستعمل هذه الألفاظ التي تكون حائط صدّ بين الناصح وبين

المنصوح، حتى أنها تصل إلى درجة أحيانًا في بعض المعالجات ربما نقول هذا وصل حد العناد، وهو في الغالب من ضغط الوسواس، من ضغط الوسواس يصل إلى حدّ رفض النقاش حول هذا، كل علته أنكم لا ترون ما أرى.

الوصف الثالث: أنه كثير التنقل والتردد في إتخاذ قراراته، قراراته دائمًا متردد فيها متنقل، مع قوة شخصيته، يعني لو أتكلم عن واحد قوي الشخصية سأجد فيه هذه الإشارة أيضًا، ثم يعلل تصرفه هذا بتعليلات غير مقبولة.

هذه الثلاثة صفات تزيد من حجم المشكلة، يعني المشكلة إذا تريد تعبر عنها واحد تحت سيطرة مشاعر أنه غير طبيعي، هذه المشكلة، مسيطر عليه مشاعر أنه شخص غير طبيعي، هذا الذي يسيطر عليه، وأنه يؤآذى، وأنه يدفع إلى أعمال أو يدفع إلى أحوال لا يريدها،هذا الذي مسيطر عليه، مثل هذا يمكن أن يعالج، يمكن، بجلسات نرى هل هو حقيقة أو وهم، لكن الذي يصاب بالوسواس وخصوصًا الناس الذين في أصلهم أسوياء وأقوياء تجد هذه الصفات بمثابة الحاجز بينك وبين علاجهم، مصّرين، يتصرفون من تلقاء تصورهم وانتهى، ليس هناك نقاش أبدًا، انت لا تفهم، انت لا تعرف، وخصوصًا عندما ينتقل الأمر إلى تفسير احوال الغير أيضًا، يعني لا يفسروا أحوالهم فقط بل أيضًا يفسروا أحوال غيرهم إلى درجة يشلوا أنفسهم عن الإنتاج ويشلوا غيرهم.

المشكلة الحقيقة أنك تجد مثل هؤلاء إذا دخلوا في مثل هذا الباب لم يخرجوا منه، وإذا دخلوا هذا الباب تدهور حالهم تدهورًا حولهم من الإنتاج إلى الصفرية، يصبح لا قيمة لهم، بعد أن كانوا منتجين، معطيين، يصبح لا قيمة لهم.

فقبل أن اتكلم عن الوقاية من السحر اتكلم عن هذا الوهم الكبير الذي أخذ ناس منتجين، وهذا طبعًا ليس شرطًا على مستوى التعلم الشرعي، لا، حتى الدنيوي، حتى الناس في جامعات، في علوم دنيوية، هذا وصفهم، أنه ممكن أن يدخلوا في مثل هذا، افهمي مثله "العين"، يأتي أحد موهوم بهذا، ثم لو أتيتي تفكري أنه فهمني ماذا يوجد عندك يمكن أن تُعيّن بسببه ويحصل الحسد، أو من لك أعداء يوقعوك تحت السحر؟ ستجد أنه في نقاش أنه كثير والنفوس الخبيثة كثيرة، لكن ليس هناك كلام واضح، ليس هناك تفسير واضح أنه فلان أو حصل كذا أو شربنا كذا.

هذا الكلام كله لا أنكر، لا تفهموا إنكارًا لوجود السحر، أو إنكارًا لوجود العين لكن ليس بالطريقة الحاصلة والمنتشرة، وأنا أقول لكم هذا الكلام لأن هذا الأمر لو دخل على طلبة العلم أفقدهم صوابهم، فيكونوا من الظاهر طلبة علم، ومن الباطن قوم يعيشون في عالم بعيد، في حقيقتهم، بعيد عن الله، وبعيد عن التوكل عليه، وبعيد عن الإنابة إليه، طبعًا نحن لا ننكر كما ذكرنا في أول الكلام هذا نوع من أنواع الأمراض النفسية " الوسواس بالأحوال الشيطانية"، وهذا من أنواع الوسواس القهري، يعني الوسواس القهري يكون في الأعمال العادية، الإنسان الموسوس وسواس قهري – نسأل الله أن يحفظنا ويحفظ ذرياتنا- في الأعمال العادية، في الأعمال الدينية يعني [في الوضوء، في الصلاة] في العبادات، يوسوس في الأحوال الشيطانية أيضًا.

انتم تلاحظوا الناس الذين يقولون عين سحر، هؤلاء عندهم وسواس، ليسوا مرضى بالعين، ولا بالسحر، هم مرضى بالوسواس أصلًا، وسواسهم أتى ما صورته؟ صورته ترجمتها أنهم يخافون من هذا ومن هذا، فترى حياتهم منغصة، لماذا منغصة؟ لأن كل شيء يخافوا منه، مثل وسواس النظافة، يعني الوسواس القهري مرض يصيب الناس ويخرج بمظاهر مختلفة.

طبعًا لابد أن تتصوري أن هذه المظاهر المختلفة تتبدل أيضًا مع الخبرة يعني يبدأ صغير عنده وسواس من قصص وحكايات حصلت حوله، مثل الوسواس في العفة، الوسواس في العفة، ووسواس العفة هذا يكون للبالغة، عندما تعيش في مجتمع ويتكلموا فيه عن

الاغتصاب، وعن فقدان العذرية، ناس كثيرين يتكلمون هذا الكلام، فهي يصيبها وسواس في فقدان العفة، فتجد أحد مظاهره رفضها للزواج، أحد مظاهر هذا رفضها المستمر للزواج، وهي تكون أصلًا مصابة بوسواس قهري في هذه المسألة.

ثم إذا حصل وأنها أقدمت على هذه الخطوة تجدها مكتئبة، حزينة، كثيرة البكاء، يوم زواجها هذا يوم أسوء ما يكون، إلى أن تتعدى هذه المسافة ويتحول الوسواس إلى أمر أخر، يتحول وسواس في العقد نفسه، يقول لك أنا عقدت وأنا كنت حجيت في نفس السنة ولم أطف طواف الإفاضة، هذه حالة مرت، يعني هي أصلًا بدأت مشكلتها مصابة بالوسواس القهري بدأ بالعفة، شاكة في نفسها، تقول ماذا يحصل لو طلعت كذا وكذا بعد الزواج، ثم تزوجت الحمدلله وانتهت هذه الفترة، بعد ثلاثة أربعة شهور تقول أنا حججت في نفس السنة، أنا لا أذكر أني طفت طواف الإفاضة، وإذا ما طافت طواف الإفاضة معناها العقد باطل، ومعناها نعيد العقد من جديد، ومعناها أنها مرت بفترة وزوجها ليس حلال لها، هذه وقائع موجودة، قدر ما كلموها أهلها أننا طفنا طواف الإفاضة وأننا انتهينا، ثم ما الذي ذكرك أصلًا بطواف الإفاضة!، إلى أن هدأت وزوجها وأبوها قالوا لها إذا لم تطوفي طواف الإفاضة نعمل عقد جديد، وذهبوا طبعًا صوريًا وكتبوا عقد جديد، وانتهينا، ثم بقيت أربعة خمسة شهور وابتدئنا بالطهارة، الوضوء، الصلاة!.

فقضية من أكثر القضايا ألمًا لأن هي طبيعية عادية ليس فيها أي شيء، تريها إنسانة سوية لكن في الحقيقة تعيش في مجموعة آلالام نفسية، مثله بالضبط أن يأتي إلى هذا الشاب أو الشابة مشاعر بالوسواس لأحوال شيطانية، وسيأتينا في الكهانة أيضًا أن هذا الوسواس يصيب بعض الناس فيأتي الشيطان يستغله، يخبره عن أحوال ناس، يخبره عن الغيب الجزئي، فيستغله، ويزيد في رأسه أنه إنسان غير طبيعي.

إلى أن واجهت شخصية تجلس مع الناس ملتزمة الصمت ثم عندما تخرج تقول كل الذي قالته فلانه عرفت أنها ستقول، إلى هذه الدرجة، وهي لم تعرف أنها ستقوله أو لا، لكن من كثرة الوسواس يشعرها الشيطان أنها سمعت هذا الكلام سابقًا وتعرف فلان كيف يفكر، تعرف علان ما قراراته، طبعًا يأتيها بشيء من هنا أو هناك من الأخبار التي توصلها إلى هذه الحالة.

المهم الآن نتفق على أن هناك مرض عظيم لابد أن نتعوذ منه – مرض الوسواس– ، وهذا الوسواس علاجه قوة التوكل على الله، وعندما يأتي في الكهانة سنرى أن الشيطان يعرض عليك الأحوال الشيطانية، فإذا انت اعرضت عنه وآويت إلى الله آواك الله، كل المشكلة في الاستسلام، وطبعًا هذا لا يخرج إلى الخارج إلَّا بعد ست سبع ثمانية سنوات، يعني هي لا تتكلم بوضوح وتقول أنا أرى، وأنا أسمع، وأشعر أن فلان كذا، وأن فلان كذا، إلَّا بعد أن يكون اختمر هذا الأمر في نفسها أصلًا خمسة ست سبع سنوات، ثم تخرج هذا الأمر إلى الخارج، وهذه هي المشكلة أننا لا نقدر نكتشفها، إلَّا أننا نسأل الله أن يحفظهم بحفظه وأن يكلئهم برعايته.

كل هذه التخوفات لابد من ملاحظاتها في الصغر، فرقوا بين الإنطواء والحياء، هذا الكلام على أبنائكم، على أخوانكم، فرقوا بين الإنطواء والحياء، فرقوا بين الغياب الطويل من الاحتكاك بالعائلة وبين الانشغال بشيء مفيد، فرقوا بينهم، يعني أحيانًا هو ينشغل بشيء مفيد وانت تتصوري أنه مريض وهو لا، ينشغل بشيء مفيد، فرق بين هذا وبين غيابه، أنه غائب دائمًا عن الأحداث، غير متصل بأحداث العائلة، هربان، مصاب بالخوف، لا تستهيني بمخاوفه، لا تستهينوا بمخاوف الصغار، يخاف مثلًا من العلو، يخاف من السقوط، هذه كلها مخاوف يمكن أن تجتمع وتكون حزمة وسواس في نفسه.

على كل حال؛ نقاش مسألة الوسواس القهري تحتاج إلى نظرة علمية أكثر، أنا فقط أريد منكم أن يلتفت ذهنكم إلى أن الوسواس من أعظم الأمراض، وكونه من أعظم الأمراض يحتاج منا إلى كثرة تعوذ وملاحظة.

ما علاقته بكلامنا هذا حول السحر؟ قبل أن أتكلم عن الوقاية من السحر لابد أن أتكلم عن الوقاية من الوسواس الذي يصيب الإنسان بأنه مسحور أو تحت الأحوال الشيطانية، أو أن له علاقة بالشيطان، أو أن الشياطين تؤذيه، كل هذا يحتاج منا زيادة تبصر وبيان وعدم إدخال أنفسنا في أحوال يمكن أن تكون سببًا لتدمير طاقاتنا، وهذه هي الحقيقة أن الطاقات تدمر نتيجة هذا الأمر.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الوسواس يأتي كما ذكرنا في الطهارة، في الوضوء، في النظافة، ليس له علاقة مسحور أو محسود، المقصود أن هذا الوسواس يأتي في الطهارة والنظافة إلى أخره، ويأتي في العين أو في السحر، يأتي في أي نوع من هذه الأنواع، يعتقد الإنسان أنه مسحور، أنه معيون، وأكيد – أنا متأكده – أن غالبكم مر بحالة من هذا، رأى وسمع مثل هذا، أو هو مر عليه زمن يشعر هذا، لأن هذه الدعوة عبارة عن منظومة أحداث مع بعضها، تجد مسألة تعقدت عليك وراء بعضها، فانت يأتي على بالك أنك مسحورة أو معيونة، فترجمة الأحداث بهذه الصورة هي التي تأتينا بالمشكلة، لا يوجد إيمان بالقضاء والقدر، وهذا أكثر شيء يألمنا، أنك عندما تكلمي هذا تجدي مفهوم الإيمان بالقضاء والقدر غائب، وكل كلامه انسحرت، انحسدت، انعيت، ليس هناك إيمان بالقضاء والقدر فتجدي ركن مهم ضائع عليك، لابد أن الإنسان يخرج نفسه ما أستطاع إلى ذلك سبيلا من الوسواس.

على كل حال؛ لا تفسروا المواقف، ولا تربطوها، ولا تعايشوا وتجاوروا – وهذه معلومة مهمة جدًا – من أسباب الإصابة بهذا الوسواس مجاورة وملازمة مصابين به، انت لو في مجتمع طوال الوقت يقال لك عين، وسحر، وحسد، تخرجي بماذا؟ أكيد ستخرجي بمثل هذا.

أيضًا من أسباب الوقاية من هذا البلاء – الوسواس – كما اتفقنا عدم ترجمة الأحوال كمنظومة، إنما النظر إلى أقدار الله، تعرفوا ما معنى كمنظومة؟ يعني تأتي إلى مجموعة أحوال وتربطيها مع بعضها وتقولي هذه إشارة أني كذا.

مثلًا أضرب لكم مثال؛ النعاس وقت قراءة القرآن، إذا أحط مقياس على السحر والعين سنصبح كلنا مسحورين – ماشاء الله!- ستكون هذه النتيجة، لأن هذه أحد عوامل ضغط الشيطان على الناس، أنه عندما يقرءوا الشيطان ينعسوا، هذا أمر واضح، كيف تجعلوا هذا الأمر المشترك بين الناس كلهم إشارة إلى السحر.

والتعثر في الأعمال مثلًا، دائمًا تجدي الأعمال مغلقة عليك، أين الذنوب؟!، أين المعاصي؟!، أين عدم الاستغفار؟!، أين أقدار الله؟!، أين هذا كله؟! تترك هذه التفسيرات كلها وليس عندك إلَّا اتجاه واحد أنه بسبب السحر، مثلًا تأخر الإنجاب، تأخر الإنجاب عند ناس كثيرين يعتبروه إشارة إلى الحسد والسحر، مع أنكم تعلمون أن هذا الأمر موهبة من الله، يهبّ لمن يشاء الإناث ويهبّ لمن يشاء الذكور، انت تفهم أن هذا من موهبة الله لعباده، أيضًا تأخر الزواج أو أن هناك صورة من الصور تجد الناس يرغبونها، ويسألوا عنها، لكن لا تتم المسألة، هذه ليست علامة أبدًا!، أبدًا ليست علامة، لأن مثل هذا من تصاريف وتقادير الله عز وجل، لا يمكن أن تعتبرها علامة، فسترجع تراجع كل العلامات المستخدمة تجدها وهم.

ناقش العلامة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم للمسحورة التي رآها، الجارية، سفعة في الوجه، يعني لهذه الدرجة، في الغالب أن السحر له أثر في الوجه، له أثر على العيون، في الغالب، فمن لم يجد في نفسه هذا الأمر فليحمد الله، لماذا تأتي لنفسك بالبلاء أو تأتي بالبلاء لنفسك؟!، إلَّا أننا لا نستطيع أن نفسر هذا إلَّا أنه أصيب بالوسواس.

هناك حالات طبعًا في الوسط ليست مصابة ولا مسحورة على الحقيقة إنما تستجدي أهتمام أو مشاعر، أو مظلة لبعض مصالحها التي لا تصلها إلَّا بهذا الوصف، يعني تريد شيء من زوجها ولا تعرف كيف تصل له، مثلًا هي سيئة الأخلاق مع زوجها وتريد تفسر سوء الأخلاق تقول له أنا مسحورة، أنا معيونة، أنا كذا، لا تريد أن يزعلها فتقول على نفسها هذا الكلام، أما هذا فرأيناه وسمعناه أكثر مما تصوروا، لدرجة أنه أحد المواقف – ربما حكيت هذه القصة لدفعة ١٤٢٥ سابقًا- لسبب أو لأخر ذهبت إلى المكان الذي يقرأ فيه على المرضى- الله المستعان-، المهم فتاة تقول أمها لا يأتي الأربعاء ولا الخميس ولا الجمعة إلَّا وتأتيها هذه النوبة، نوبة أنها مصروعة ومسحورة، بالنقاش والكلام ترى البنت جاهلة، وأمها ايضًا جاهلة، بدليل أن مجرد مناقشة بسيطة مع البنت بدون دخول في التفاصيل خرجنا بنتيجة مهمة، أنها تفعل هذا الفعل من أجل أن تضغط على أهلها من أجل أن يذهبوا بها إلى صديقاتها!

فتصوري الحال التي أوصلت أهلها إليه ويجلسوا بالساعات ينتظروا دورهم ليقرأ عليها، وهذا الكلام قبل أكثر من خمسة عشرة سنة يعني قبل أن تصير الفتنة الآن، فتنة القراءة الجماعية، عندما كان الناس بالدور يدخلوا، فتصوري كان أهلها يأتون كل سبت واثنين وأربعاء من أجل أن يعالجوها وهي أصلًا كاذبة ولها مقصد من وراء هذا، وانظري إلى الأم التي لا تنام الليل من أجل ابنتها، ومن أجل أنها تشعر بالذي مصابة به، وانظري الدعاء كيف تدعو لها، وكل هذا الكلام من أنواع المخادعة، طبعًا هذا موجود لا نستطيع أن ننكره، لكن ننزه طالبات العلم أن يصابوا بمثل هذا، – نسأل الله ذلك –، مسألة التخفي تحت هذه المسائل من أجل الوصول إلى المراد.

بقي واحدة من حالتين أمَّا الإصابة الحقيقة، وأمَّا الوسواس، والذي يظهر لي أن الوسواس بدأ يغلب كثير من النساء، لأن الوسواس أصلًا لا يحكم إلَّا النساء، الرجال الوسواس القهري فيهم لا لا تتخيلي قدر تدنيه، الوسواس القهري سواء بالجلسات الكهربائية يعني الوسواس الذي يصل إلى هذا الحد – أن يعالجوا بالجلسات الكهربائية وبالأدوية – غالبة عند الأطباء يكون النساء.

المهم عندما يتبين لكم هذا الأمر تعرفوا تعالجوا الناس أمامكم، غذوهم بالكلام عن الله، بملاحظة تربية الله، بعدم تفسير المواقف على أنها منظومة، كل هذا يخفف عليهم ما هم به، خصوصًا عندما يتعلموا عن اسماء الله عز وجل وصفاته، عندما يتعلموا عن اسماء الله عز وجل وصفاته يتبيَّن لهم كيف أن الله عز وجل لا يخذل عباده، وكيف أنه لو ابتلاهم ببلاء لابد أن يخرجهم منه إلى أن يميزوا بين السحر والوسواس، هم لو في بداية الأمر اعترفوا أنه وسواس سيبدأ العلاج، لكن عدم اعترافهم أنه وسواس هو الذي عقد المسألة، لأن الذي يعترف أنه وسواس أمَّا نستعمل معاه الجلسات، جلسات التغذية النفسية أقصد من أجل أن يعالج، أو الدواء الطبي، يأخذ حبوب، لكن هو لا يعترف، هو يقول لك أنا مسحور، أو أنا لي قرناء وأتعامل معهم ويؤثروا علي وأأثر عليهم، يعني مشكلتنا أصلًا الوسواس.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة:هذا من النوع الكاذب، حتى مع الرفاهية، أنا أريد منكم أن تتصوروا ما هو حاصل في المجتمع بالذات لفئة الشابات، من الفراغ وعدم تحمل المسؤولية، من أجل ذلك نحن ننادي بالزواج المبكر، لأن الزواج المبكر حتى لو عندها مشاكل مع زوجها، حتى لو انجبت وتعبانة مع أولادها اسمها مشغولة في شيء طبيعي ووراءه نتيجة إذا لم نستغل هذه الطاقة ستذهب في مثل هذا؛ أمَّا تذهب مع جماعة الإيمو، أمَّا تدخل على الشات والمنتديات وانظري ماذا تفعل وعلى ماذا تسهر، وأمَّا

علاقات وشذوذ، وأمَّا مثل هذا جنون وتصوير لفقدان العقل، كل هذا لأن في الداخل طاقة عند المراهق، لابد أن تخرج بطريقة وتخرج بالطريقة التي توافقه أو التي تظهر له، وانظري هي من تصاحب.

لأن في أحد الحالات واحدة حافظة كتاب السحر..اعترفت أنها كاذبة، وليست مسحورة ولا شيء، أقول كيف أتتك الجراءة أن تفعلي تقول كل القضية افتتحت الكتاب وقرأت ما مظاهر السحر، ماذا يحصل عندما يقرؤوا عليه، اتفرجت على بعض المقاطع الموجودة، وانتهى، عندي مهارة، .. وتقول على أهلها يستاهلوا، يستاهلوا لماذا؟! ولو أقول لكم الأسباب والله نبكي على بناتنا، وعلى أهاليهم الذين يعذبوا عذابًا، انت لا تتصوري الأم لا تنام، لا ليلها ليل، ولا نهارها نهار، لا تنام، يعني الأم هي التي أصيبت بالمرض من كثرة خوفها على بنتها، وكلما أرادت شيء تضغط عليهم.

على كل حال هذا كلام مؤسف أن يكون هذا بين بناتنا، لكن الذي يؤسف أكثر لو كانت طالبة علم شرعي، هذا الذي يشعرنا أنه ليس هناك ثقة في أحد، عندما تكون واحدة تعلمت عن الله، وعن أقداره، وعن أفعاله، ثم تفعل مثل هذه الأفعال، خصوصًا بدلا من أن تبر والديها توقعهم في كل هذه الآلام النفسية، وانت "أف" ممنوعة عليك، كيف تمرضهم هذا المرض، وكيف تشعرهم هذه المشاعر؟!، وكل هذا الكلام لا يعني أنها لا توجد حقيقة، كل هذا الكلام الذي أقوله لا يعني أنه ليست هناك حالات حقيقية، هناك حالات حقيقية لكن الذي يفهم جيدًا هو الذي يستطيع أن يميز الحالات الحقيقة بما تظهر عليها من علامات.

كما اتفقنا أن من أهم العلامات "سفعة في الوجه"، آثار على العين، هذه من أهم العلامات، من أهمها وأظهرها بحيث أن يكون غالب المصاب يكون فيه هذا الأمر، إذا كان مصاب وليس فيه هناك بعض الاختبارات الأخرى، التي لابد أن تكون على يد صادق.

ستأتيني المشكلة بعد ذلك سنناقش الرقية، وسأجد أيضًا عندي مشكلة ليست في المرضى إنما سأجد مشكلة في المعالج أيضًا، سيصبح عندي تركيبة اجتماعية [مريض كذاب،ومعالج كذاب]، وتكبر القضية وأنا لا أقول كلام خيالي، أنا أقول كلام من الواقع أكثر من مؤسف، ولا نريد نظهره هذا الإظهار، لكن يجب أن تفهموا أن كثير ممن يدّعي أنه راقي في أصله كذاب، ووراءه مصالح، ومهنة امتهنها، ومال دخل عليه، ومصالح أخرى، مصالح نفسية أنه يجد الناس محتاجين له،-الله المستعان – وأحيانًا الذي يعالج النساء أيضًا عنده مشاكل نفسية، بعض الذي يعالج النساء له مقاصد نستحي أن نتكلم عنها.

المهم ستجد تركيبة مليئة بالأخطاء، واحد مريض موهوم، ويأتي هذا الراقي يثبت عليه الوهم، وفي الوسط يأتيك ماشاء الله مساعدين، واحد رأى له رؤية، والثاني يقول له وأنا داخل بيتكم رأيت حشرة كذا وكذا وهي لا تأتي إلَّا في بيت المسحورين، كل هذه خدمات، وزيادة بلاء.

أمَّا الرؤيا وما أدراك ما الرؤيا، هذه خرجت نصف البلد سحرة والنصف الثاني مسحورين، وانظري هذه لمن تدافع أهل زوجها، وتدافع عماتها وخالاتها، لماذا؟ بسبب أن فسر الراقي أن هذا فلان الذي سحر!، الله المستعان نشتكي إلى الله!.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الموسوس تأتي له من الأوهام ما لا تتصوري، ومنها الرؤى، منها ما يتصور أنه رؤى، وهي في الحقيقة مجرد أضغاث أحلام وتلاعب من الشيطان بابن آدم.

خصوصًا لو كان فيه اتهام للناس، يعني انت بنفسك احذري من رؤية يكون في داخلها اتهام لأحد، هذا من أعظم أنواع البلاءات التي تؤدي إلى الظلم الخفي، ونقول لها لماذا تعاملي فلانة بكذا؟ تقول رأيت فيها رؤية!، استغفر الله! عندما تقفي عند الله ماذا

ستقولي؟!، من قال أنك منزل عليك الوحي من أجل أنك عندما تري رؤيا تفسري هذا التفسير، ثم أن الرؤيا عبارة عن رموز، كيف تقولي أنك رأيتيها في رؤيا أنها تفعل كذا وكذا، مادام تفعل كذا وكذا هذه من أضغاث الأحلام، هذا واضح، يعني الصورة أنها تفعل نفس الفعل الرؤى لا تأتي بهذه الصورة.

الرؤى مجرد رموز يفسرها من يفسرها، والذي يفسرها يكون عنده علم بالتأويل، وأهم شروط الذي يعلم بالتأويل أنه عنده علم بالقرآن وبالأمثال في القرآن، وباللغة ومعانيها، شروط قد لا تجديها في أحد اليوم، وتكلم صحباتها ونفسياتهم تشبه بعض ولهم نفس النفسية تجاه فلانه فيفسروا لبعضهم وانظري إلى الأحقاد، وتقاطع أم زوجها من أجل انها رأت رؤيا أن أم زوجها هي التي سحرت لها وفعلت لها، وهذا الكلام أكيد أنكم تسمعوه في السؤال على الهاتف، ونور على الدرب، دائمًا تسمع مثل هذه الاسئلة، أنه تحصل مقاطعات بناء على الرؤى، ويحصل حتى تنبئات بناء على الرؤى.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة:لا تربطيه، نخشى أن يدخل في الوسواس، لأن واحد يقول أنا سأذهب إلى الساحر وأريك شغلك يهددني، ولا يذهب، ثم أنا تحصل لي أحوال فماذا أفعل؟ انسبها، أنت عندما يهددك ويخوفك بغير الله يجب هنا أن تظهر إيمانك، ولابد هنا عندما تأتي الأحداث تقول لا قل لن يصيبنا إلَّا ما كتب الله لنا، في هذه الأحداث يظهر إيمانك المفروض، هو عندما يهددك ويحدث؛ هذه المشكلة، أن الموافقات هي الاختبار، يعني ظهروا اليوم جماعة الآن يخوفوا الناس أنهم يعينوهم، أنه لو نظرت إلى حقيبتك، نظرت إلى سيارتك، نظرت إلى كذا والله لا تمشي بها، هذا كله من الترويج لهذا المفهوم، وإلَّا لا يستطيع الأمر إلَّا بإذن الله.

المهم هؤلاء أصلًا كيف أصبح لهم سوق؟ بالتخويف، يخيفك فيختبرك الله بما قال، تعرف الأمر من عند الله أم من عند فلان؟!، ومَن هو فلان، ماذا يساوي!، عندما يهددك – انت ستدرس على كل حال، سيأتينا بعد هذه الأبواب الكلام عن المحبة، وعن التوكل، وسنرى علاقته بمجموعة السحر والكهانة، إن شاء الله نستطيع أن نصل إلى هذا الموطن – المهم أنك ستجد أنه إذا خوفوك الناس بغير الله المفروض يكون ردك أن تعلم أن الله هو حسبك ونعم الوكيل، هذا ما تعتقده.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: واحد يعلم الناس صفة الوضوء، معلم لهم، ثم فجأة انقلب وأصبح معه وسواس، طبعًا هناك أسباب كثيرة، على كل حال؛ أنا — والله أعلم – أرى أنه أهم سبب الثقة أني لا أصاب، هذه أكثر الأسباب المنتشرة بين الناس الخيِّرين، الوسواس ليس لهم على بال، الشيطان أصلًا يجربك على عضو معين، عضو فقط، في جزء من وجهك مثلًا، وتجد نفسك ترجع تمسحه مرة ثانية، ومن هنا تبدأ المشكلة، ويدخل عليك.

وعلى كل حال الشيطان يجرب في كل الناس، الذي يدخل عليه هو الذي يقع في المشكلة، وهناك طبعًا عوامل وراثية، الوسواس القهري له عوامل عدة، حتى من العوامل الوراثة، فالذي في عائلته أحد مصاب بالوسواس القهري يكون معرض للوسواس أكثر من غيره، لأنه عبارة عن نقص في الاتزان العقلي.

عليكم بالدعاء أن يصرف الله عنكم الشر، عليكم بالتوكل، عليكم بالسؤال، عليكم عدم الإحساس بأنكم بعيدين، لا تأمنوا أنفسكم، اسألوا الله عز وجل أن يثبتكم، نسأل الله من فضله.

نرجع مرة أخرى إلى العنوان:

الوقاية من السحر.

أولًا اتفقنا الوقاية من الوسواس، يعني اجعل نفسك باذلة جهدك أن تتقيّ الوسواس في هذا الأمر.

الآن نتكلم عن الوقاية من نفس السحر.

- **أول خطوة:** قوة القلب، من أجل أن تتقيّ السحر عليك بقوة القلب، ما الطريق إلى قوة القلب؟
  - قوة القلب تأتي بالعلم عن الله العلم اليقيني.
  - أعمال القلوب كلما زادت كلما قوي القلب، كلما زاد الرهبة، الرغبة، الخوف، الإلتجاء، كلما القلب أصبح أقوى.
  - الثقة بالله، ثقة تحمل العبد على أن لا يلجأ إلَّا إليه وأن يعلم أن الأمر بيديه سبحانه وتعالى.

يقوي القلب بكثرة الذكر القلبي واللساني، والذكر المقصود به التعظيم والتعلّق بالله عز وجل، واللساني معروف.

إذن هذا رقم واحد، كيف الوقاية من السحر، رقم واحد قوة القلب، قوة القلب لها طرقها، من بينها ما ذكرنا، ونحن سيتبين لنا قوة القلب إن شاء الله بعد أن ننتهي من هذه المجموعة، سيأتي الكلام عن المحبة، عن التوكل، عن الصبر، كل هذه المجموعة تبيِّن لك كيف يكون قلبك قوي، وهي مجموعة من العبادات تحارب هذا البلاء [السحر، الكهانة، التنجيم، التطير] كل هذه من الأمراض علاجها قوة القلب، قوة القلب ستأتيك بعد هذه المجموعة.

- **الخطوة الثانية:** كثرة الذكر، وبالذات أذكار الصباح والمساء، وتحت كثرة الذكر [افهم عن قراءة القرآن، الانشغال بحلق العلم، وبالطلب] كل هذا يدفع عنك السحر وأهله.
- **الخطوة الثالثة:** طرد الخوف من السحر ومن أهله، لأن أحيانًا يكون مثلًا جيران تكتشف أنهم يتعاملون بالسحر، أو في أحياء معينة تعلم أن هؤلاء عندهم وكر للسحر، فماذا يقع في قلبك؟ الخوف، الخوف أحد أسباب وقوعك في الوهم، أمَّا تقع في الوهم وأمَّا تقع في الحقيقة، فانت أبعد عن نفسك الخوف – طرد الخوف – من السحر وأهله بالإيمان بالقضاء والقدر.

وهذا أضعف شيء عند المتصل بالأحوال الشيطانية، سواء الواهم أو الكاذب منهم، يعني من تكلم عن نفسه أنه مسحور وكذا وكذا وهو كذاب، أو المتوهم، كلا الأثنين أضعف شيء في إيمانهم بالقضاء والقدر، لأنك لا تجده ينسب شيء من الأفعال إلَّا لهؤلاء، لا تجده يتكلم عن القضاء والقدر كما ينبغي، طبعًا هذا كله يدور ويرجع إلى بدايتها، عقيدة ضعيفة، ضعف في الاعتقاد، قلة علم عن الله واسمائه وصفاته، ولذلك لا تستغرب أن ناس ممكن أن يكونوا في سلك الطلب ويقع عليهم مثل هذه الأوهام، لماذا؟ لضعف في اعتقادهم.

- **الخطوة الرابعة:** عدم مصاحبة من يظهر عليهم عنايتهم بالسحر، أو بالأحوال الشيطانية سواء على وجه الحقيقة أو على وجه الوهم.

يؤثروا عليكم الناس، الصحبة معهم يجعلك تفكر نفس تفكيرهم، وتفسر الأحوال التي تجري عليك بنفس تفسيرهم، احذر من أن تصاحب واحد له نفس الوهم، لأن الوهم ممكن أن يتحول إلى مرض يصيبك كما أصابه.

انتهينا من هذا النقطة – الوقاية من السحر – هذا ما تيسر الكلام عنه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: يعني انت ممكن أن تكون ضعيف في قلبك تستمر تزيد قوة، النقطة الرابعة عدم مصاحبة من يظهر عليه آثار الكلام حول السحر، لا أقصد المسحور، يعني واحد حقيقة مسحور لا تصاحبه، لا تفهموا هذا الفهم، أنا أقصد الذي يكثر كلام أن كل شيء عنده سحره وفعلوا كذا وكذا، مثلما أنصحك أن لا تصاحب أحد طوال الوقت يتكلم عن الرؤى والأحلام، هذا لا تصاحبه، لأن غدًا يرى فيك رؤية يخرجك من الموضوع، احذر منه.

أنا أتكلم جادّه أن واحد طوال عمره يفكر بالرؤى، ويأتي موقف يرى رؤيا وممكن أ، تكون شيطانية، ويرتب عليها كلام، كن حذرًا، واحد يتكلم عن الرؤى والأحلام ويعيش تحت ظلها كن على حذر، والله أنا أكلمكم أريد منكم أن تحذروا لأن مثل هذا يمكن أن يدخل حتى في سمعة الأشخاص، يعني ممكن يكون أمر خفي، ويأتي أحد يتهمك في عرضك لماذا؟ رؤية رآها، وانت مسؤول عن رؤية رآها!، من أجل ذلك أنا احذركم من صحبة أحد يعتمد على الرؤى، إذا كان من المقربين أدعو الله أن يسلمك من رؤآه، أنا أحذركم لأن هذا موجود

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: على وجه الحقيقة هو ليس واهم، هو يتكلم عن السحر، ولا يتكلم عن نفسه، ويعرفه بالتفصيل، ويعرف سحره، ويمكن أن يمارس، وممكن أن يقول لك هذه الرسمة ما معناها، هذه كذا وكذا، لأن هناك ناس عندهم هذه الثقافة، وانتم تعرفون أن إلى المملكة يهرب كتاب شمس المعارف من غرب أفريقيا، يهرب إلى المملكة وعندما يهرب إلى المملكة – تعرفون كتاب شمس المعارف؟ هذا كتاب عبارة عن دورة بعده يكون الشخص ساحر– وموجود عند بعض البيوت خصوصًا من يرتادوا هذه الأماكن، يهرب إلى المملكة.

حتى أن المواقع التي تحمل هذا الكتاب محجوبة، بالنسبة للمملكة محجوبة، لكن إذا خرجوا إلى أي مكان فقط خارج حدود المملكة يستطيعوا أن يحملوها من الانترنت ويأتوا بها، يعني حتى ليس شرط أن تحمله كتاب ليس شرط أن تهرب كتاب، الآن على ناقل ممكن أن يحملوا هذا الكتاب، ولا تتخيلوا كيف، ويطبعوها ويوزعوها، وهي بها رسومات وأشكال، فانت احذر عن من تكلم عن السحر بصورة حقيقة أن هذا كذا وشكله كذا وهذا معناه كذا، أو بصورة وهمية يكلمك أن هؤلاء أكيد مسحورين، وهذه انفصلت عن زوجها لأنه مسحور، وهذه بنتها لم تتزوج من أجل أنهم سحروها، فطوال الوقت يكلمك على أن كل البلد مسحورة، وكل الناس تحت آثار السحر، ولا يكلمك عن القضاء والقدر إلَّا فيما ندر، إذا انت كلمته عن القضاء والقدر بالكاد يردك كلمة معها، وأنا متأكده أنكم مر عليكم مثل هذه الحالات من كثرة وجودها، المهم لا تصاحب مثل هؤلاء في المقابل صاحب أهل الإيمان بالقضاء والقدر، هذا إكمال للنقطة الرابعة، في المقابل صاحب أهل الإيمان بالقضاء والقدر.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هو مصاب لماذا تخافي منه ؟!، انت تتصوري انه بالعدوى السحر؟!، إذا كنت تتصوري أنه بالعدوى فلا عدوى ولا طيرة ولا صفر، لا لاتخافي، قوي قلبك، المسألة على أن القلب يكون ضعيف أن يكون هناك خوف، تحقق الرؤى نوع من أنواع الإبتلاء، كل هذا سيأتينا في الكهانة، سيأتينا هذه الصورة، تصوري أن هذه الرؤى تصل إلى حد الكهانة، أن الشيطان يمرنك على الكهانة.

انتهينا من هذا.

المسألة الخامسة: نناقش مسألة الرقية.

ماذا نقول في الرقية التي هي عبارة عن علاج للمصابين بالسحر؟

-سأبدأ مثلما بدأت في الوقاية من السحر-

في الرقية أنا أقول لك كن على حذر من أغلب الراقين، الرقاه اليوم إلَّا من رحم ربي المسألة عندهم تجارة، مبنية على الجهل، على الجهل من جهتهم، على الجهل من جهة الناس، عندي عاملين في حالة جهل:

- الناس جهال.
- ونفس الراقي جاهل.

يصل بهم الحال إلى إدعاء علم الغيب مع الرقاه أقصد.

كيف يأتي هذا؟ تقولها أو يقول لأن عندنا الآن رجال وعندنا نساء أيضًا رقاه، وصلنا إلى هذا الحد، وموجودين معروفين، المهم تقول أو يقول انت مصابة بسحر، انت مصابة بعين، هناك أحد حسدك، وهذا الكلام في مجلس عام تأتي تقرأ عليهم كلهم ثم واحدة تقول لها انت مصابة بكذا وانت مصابة بكذا، مع أن في الحقيقة تمييز مثل هذا صعب!، فجهل قد يصل الأمر إلى إدعاء علم الغيب، ماذا وراء هذا كله؟ المال!

هو جاهل ليس عنده علم، يكون صوته جميل ويقرأ جيدًا ثم يصبح راقي، ويكون لا يفهم الأعمال القلبية، ولا فيما يجب اعتقاده، ولا في أي شيء، فترى كل واحد دخل هذا السلك وهو جاهل من الرقاه أخرج لنا نظريات لا تمت للدين بصلة، ثم يستشهدوا في مواطن كثيرة أن الراقي فلان قال أن الذي يحصل له كذا وكذا معناه كذا وكذا، الذي يقول كذا وهو كذا يكون مصاب بكذا، كل واحد يخرج بنظرية لأنهم جهال!، لا يعلمون على الله ما يجب أن يعلموه، لا يعلمون ماذا يجب أن يكون في قلب المعالج، والمعالج.

نفس الرقية نفسها تكون في أحيان كثيرة بآيات لم يرد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بقراءتها بهذا العدد، بهذه الكيفية، بهذا التقطيع، لأنهم يقطعون الآيات أيضًا، وتجده ينتقل من سورة إلى سورة، من سورة إلى سورة، لدرجة أنك تسمع أنها في سورة واحدة، وهي في سور متعددة، ويعتمد على قوة ما معه من جمال في الصوت، من قوة شخصية، فهذا كله يحتاج منكم أن تكونوا على حذر، كونوا على حذر في هذا الباب، وبدون كثير كلام اقطعوا علائقكم بهؤلاء قطعًا تامًا، ليس في هذا نقاشات كثير، لأن أصلًا التعلق بالرقاه مما ينقص كمال التوحيد.

يبقى ماذا أفعل لو قطعت علاقتي بالرقاه؟ تعلم انت كيف ترقي نفسك، ونرجع من جديد نقول الرقية نوع من أنواع العلاجات تحتاج إلى قوة قلب، يعني انت تنتفع من رقياك لنفسك على حسب قوة قلبك.

واتفقنا أن نفسًا طيبة مستقيمة طائعة منكسرة ذليلة لله عز وجل، تقول كلام طيب تفهم وتعتقد من الاستعاذة ومن الاعتصام بالله، يخرج منها نفس طيب، وهذا النفس الطيب عندما تنفثه على مكان ألمك سيكون الناتج أن الله عز وجل لن يخذلك.

طبعًا هناك من أنواع العلاجات فك نفس السحر، وفك نفس السحر سيأتينا عندما نتكلم إن شاء الله على النشرة كيف يمكن التعامل معها، والآيات التي تقرأ إلى أخره هناك كتب متخصصة لأهل العلم اقرأ منها، المهم في هذا كله الذي تقرأه لن تخرج أبدًا عن أن يكون أهم شيء تقرأه [آية الكرسي، والمعوذات، والفاتحة] لن يخرج عن أن يكون هذا الإيطار المهم، فقوة قلبك ستنفعك بهذه السور، وانت تقرأ هذه السور بحيث أن تكون قربة لك إلى الله.

نترك الباب هذا تقريبًا انتهينا منه ننتقل الآن إلى باب بيان شيء من أنواع السحر.

باب بيان شيءٍ من أنواع السحر

قال أحمد: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ حَيَّانَ بْنُ العلاء حَدَّثَنِي قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنْ الْجِبْتِ".

قَالَ عَوْفٌ: الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ فِي الْأَرْضِ، وَالْجِبْتُ: قَالَ الْحَسَنُ رَنَّهُ الشَّيْطَانُ

إسناده جيد ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، المسند منه.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ". [رواه أبو داود] وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ"

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ". [رواه مسلم].

ولهما عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لسِحْرًا"

باب بيان شيء من أنواع السحر.

ذكر الشيخ في هذا الباب أنواعًا أطلق عليها أنها سحر، أو فلنقل أُطلق عليها، لأن في النصوص الشرعية نقول أُطلق عليها، لماذا أُطلق عليها أنها سحر؟ لأنها تشارك السحر أمَّا في المعنى اللغوي فهي تشبه السحر في تأثيره الخفي على الناس، أو أنها تشارك السحر في حكمه، والمراد من ذلك أن يتعرف عليها المؤمن ليكون على حذر.

❖ الدليل الأول.

نبدأ الآن بالدليل الأول.

قال أحمد: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ حَيَّانَ حَدَّثَنِي قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنْ الْجِبْتِ".

قَالَ عَوْفٌ: الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ فِي الْأَرْضِ، وَالْجِبْتُ: قَالَ الْحَسَنُ إِنَّهُ الشَّيْطَانُ

إسناده جيد ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، المسند منه.

هذا حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ذكر فيه ثلاثة أمور أنها من الجبت، الجبت أي أنها من السحر، من أعمال السحر.

ما هي الثلاثة أمور؟ العيافة، والطرق، والطيرة.

قَالَ عَوْفٌ- أحد رواة الحديث في تعريف العيافة-: الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ

الزجر بمعنى التهيج.

وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ فِي الْأَرْضِ،

ثم الآن عوف ينقل عن الحسن، قال:

وَالْجِبْتُ: قَالَ الْحَسَنُ رَنَّهُ الشَّيْطَانُ

الآن نتعرف على كل واحدة من هذه الكلمات، لماذا تتعرفي عليها؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال على عن هذه كلها أنها من أعمال الجبت أي من أعمال السحر.

نبدأ بالعيافة.

ماذا قال عوف فيها؟ "زَجْرُ الطَّيْرِ".

ما معناه؟ أهل الجاهلية كان أحدهم إذا خرج لأمر زجر طيرًا؛ فإذا أخذ ذات اليمين مضى في حاجته، وإذا أخذ ذات الشمال رجع.

فالعيافة نوع من أنواع التشاؤم، أو التفاؤل بالطير، وإدعاء معرفة الأمور من كيفية طيران الطير، إذا طار على اليمين بسرعة معناه أن الأمر سينجز بسهولة، ولو بطيء على اليمين سينجز لكن بصعوبة، وهكذا، يترجمون حركة الطير على الأقدار، أيضًا من ألوان الطير، من أسماءها، كل هذا يجعلون له أثر في الأحداث، وستجدي أن هذا قريب من التطير، لكن التطير أوسع منه.

نأتي إلى الطرق.

ماذا قال عنه؟ "الْخَطُّ يُخَطُّ فِي الْأَرْضِ"، أي خطوط متنوعة يخطها في الأرض، ليس لها عدد، ولهم مع هذه الخطوط أحوال يفسرون بها الخطوط، يستعملون معها شيء من رمى الحصى، - يعني يخطون ثم يرموا الحصى، وعلى حسب ما توافق العصى الأماكن يفسرون-.

المهم لهم أحوال لا داعي لمعرفتها، لكن تصورها مثل مثل ما تتصور قراءة الفنجان، مثل ما تتصور قراءة الكف، والصدف، عندما يلقوا الصدف، الصدف هذا منتشر في الحجاز، في المناطق البحرية بصورة قوية، يجمعون الصدف ويلقوه وعلى حسب ما يتشكل يتكلمون، في أكثر المناطق البحرية موجود هذا الأمر.

وهذا قد يكون من العبث أحيانًا، وقد يكون تخيلا، وهو في الحقيقة خدمة للشيطان وأخذ بقوله وطاعته، ودعوة عن الغيب وهذا كله كذب، لكن الإشكال في تأثيره الخفي على قرارات الناس، على قرارات المقروء له.

الطيرة هو التشاؤم والتفاؤل بمعلوم مرئيًا كان أو مسموعًا، زمانًا كان أو مكانًا، والطيرة أعم من العيافة.

الجبت.

وَالْجِبْتُ: قَالَ الْحَسَنُ رَنَّةُ الشَّيْطَانُ

أي صوته ووحيه، والمقصود من وسوسة وشعوذة الشيطان، وهذه الجملة – رنَّة الشيطان – سنستعملها في الأبواب القادمة وبالذات في باب الكهانة، لأن الشيطان له رنة، له صوت، يعامل به؛ يجرب أولًا أهل الإيمان يجربهم، فإذا وجد إليهم سبيلًا يزيد عليهم هذا الأمر.

مر معك سابقًا تفسير لمعنى الجبت:

- فسره عمر رضي الله عنه ماذا قال؟ الجبت السحر.
- والحسن رحمه الله ماذا قال هنا؟ رنَّة الشيطان.

كيف تجمعين بين القولين؟ هذا تفسير على باب التنوع وليس التضاد، يعني عندما تفسري الكلمة بأكثر من معنى لا تتصوري أن المعاني متضادة وأن عليك أن تختاري أحد المعاني،لا، هناك أختلاف في التفسير يسمى اختلاف تنوع، فيمكن أن تستعملي قول عمر رضي الله عنه مع قول الحسن رحمه الله في جملة مفيدة.

اكتبوا جملة مفيدة مكونة من تفسير عمر رضي الله عنه ومن تفسير كلام الحسن رحمه الله أولها الجبت ما هو؟ السحر، والسحر من وحي الشيطان أو من رنة الشيطان.

إذن نقول: الجبت هو السحر، والسحر من وحي الشيطان، قررنا بهذا أن الشيطان له صوت، وصوته كل صوت يدعو إلى الباطل، كل صوت محرم من صوت الشيطان[النائحات، الملاهي، والمعازف] كل هذا يعتبر من صوت الشيطان.

السؤال الآن لماذا كانت العرب تستعمل العيافة والطرق والطيرة؟ لماذا كانت تستعملها؟ كانت تستعملها كعامل من عوامل إتخاذ القرار، خصوصًا وقت الحيرة، **بدلتها الشريعة بالأستخارة والأستشارة**، فالعيافة والطرق والطيرة سنة جاهلية جاء الإسلام بنفيها وإبطالها، وحكمها التحريم وهي من الشرك.

السؤال لماذا هي من الشرك؟ هناك ثلاثة أسباب:

- السبب الأول: إدعاء علم الغيب، وعلم الغيب هذه من الأمور التي اختص الله بها، فدعوة مشاركة غير الله لله في علم الغيب هذا يعتبر شرك.
- السبب الثاني: الذي يجعل هذه الأمور شركًا تعلق القلب بغير الله في جلب النفع ودفع الضرّ، هذا مما يجعل العيافة والطرق والطيرة شرك، لأن فيها تعلق بغير الله في جلب المنفعة ودفع المضرة.
- السبب الثالث: الاعتماد على ما ليس بسبب لا كوني ولا شرعي، وهذا أيضًا من الشرك، في أول ما بدأنا في الأبواب.

السؤال من جهة المعنى اللغوي؛ هل هناك علاقة بين العيافة والطرق والسحر؟ من جهة الحكم لهم علاقة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم فيما ثبت عنه مرفوعًا ذكر "إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنْ الْجِبْتِ"، لكن السؤال الآن هل هناك علاقة لغوية بين العيافة والطرق والطيرة والسحر؟ العيافة والطرق والطيرة إستناد على أمر خفي لا حقيقة له، أثر على النفس تأثيرًا خفيًا.

إذن العيافة والطرق والطيرة من السحر لأنه استناد على أمر خفي لا حقيقة له أثر على النفس تأثيرًا خفيًا.

مثاله؛ أن يخرج الإنسان من بيته متوجهًا إلى عمله فيرى غرابًا، يمكن أن يرده، ويمكن أن يشعر بالأكتئاب، فعندما تسأله ما الذي حصل لك؟ ما الذي جعلك في هذه النفسية؟ ما الذي ردك؟ في الغالب أنه لا يستطيع أن يقول، أو لو قال ترد عليه تقول ما علاقة الغراب؟!، هل له علاقة بإتخاذ القرار؟ لا ليس له علاقة بإتخاذ القرار، أي واحد عنده منطق يعلم أن الغراب ليس له علاقة بإتخاذ القرار، لكن أثر علي نفسه تأثيرًا خفيًا.

هذا غير أن يتصل أحد عليه فيقول له لا تأتي الدوام مثلًا إدراة المكان قائمة بحملة تفتيش، وهو لا يريد أن يكون في حملة التفتيش فيرجع، فعندما رجع السبب واضح ما هو، لكن انت ترى غرابًا هذا ليس له علاقة بقرارك الذي أتخذته.

الأسباب الواضحة تؤثر في القرار لا تكن سحرًا، لكن الأسباب التي ليس لها علاقة بإتخاذ القرار وتؤثر عليك هذه التي تكون بمثابة العيافة والطرق والطيرة من السحر.

أحيانًا تأتي إلى مكان فتري شخص بعينه وانت تتصوري كلما كان هذا الشخص في المكان كلما تأذيت، فتسأله تقولي له يعتدي عيك بالكلام؟ لا، يكلمك أصلًا؟ لا، ترى منه نظرات تؤذيك؟ لا، ما السبب ما العلّة؟ ترد عليه تقول أنا أخشى أن يكون هذا تطيرًا، لأنه ليس هناك سبب واضح يجعلك تفعل هذا الفعل.

ومثل الجملة المعتاد الناس أن يقولونها عندما لا تستوي أمورهم كما يريدون فيقولون رأينا من اليوم، إلى أخره، على كل حال المقصد هذه المشاعر أصلًا أنك تتصور أنك عندما ترى أحد يكون مؤثر في حياتك تكون واحد بعيد عن القضاء والقدر في جهة أخرى، لا إيمان بالقضاء والقدر ولا إيمان بكمال صفات الرب، ولا إيمان أنه وحده الفعال لما يريد، تكون في جهة أخرى تمامًا.

﴿ الدليل الثاني.

ننتقل إلى الدليل الثاني.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ ، فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ " . [رواه أبو داود] وإسناده صحيح.

الدليل الماضي سيأتينا باب نتكلم فيه عن التطير، وهنا سيأتينا أيضًا باب نتكلم فيه عن التنجيم، فكأن الشيخ هنا في باب بيان شيء من أنواع السحر، سيجمع لك أمور التي تكون متصلة بالتوحيد سيعود ويفصلها، والتي لا تكون متصلة بالتوحيد إنما هي سلوك سيشير إليها هنا إشارة وينتهي.

فالذي سبق – التطير – سيأتينا الكلام عنه، وهنا الكلام حول التنجيم، وطبعًا سنفصل عندما نصل إلى هنا، لكن هذا الحديث لابد أن نفهمه لأنه سيكون مستندنا في باب التنجيم.

لو سألتك الآن من الحديث ما العلاقة بين التنجيم والسحر من الدليل؟

مَنِ اقْتَبَسَ: بمعنى تعلم.

شُعْبَةً:بمعنى قطعة، طائفة.

فيكون المقصود: من تعلم شيء من التنجيم فقد تعلم شيئًا من السحر، وكلما زاد تعلمه من التنجيم زاد تعلمه من السحر، وزاد من إثمه، إذن الحديث بيَّن أن التنجيم من السحر.

عندما نصل إلى باب التنجيم واسألك ما علاقة التنجيم بالسحر ماذا تقولين؟ التنجيم من السحر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ ، فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ " يعني كلما زاد من الأولى كلما زاد من الوصف الثاني، إذن التقرير أن التنجيم من السحر من النص النبوي.

بقي أن نفهم الآن نفس التنجيم، نفس التنجيم ماهو، الشخص الذي ينظر إلى النجوم يسمى منجم.

السؤال ما معنى أن ينظر إلى النجوم؟ أولًا ما هي النجوم؟ النجوم تطلق على أمرين:

- على الكواكب، الكواكب تسمى نجمًا.
- وتطلق أيضًا على منازل القمر.

بماذا نقصد بمنازل القمر؟ المواقع لها أسماء، سيأتينا الأبراج هي نفسها منازل القمر، فيصبح النظر فيها مثل السحر، تنجيم مثل السحر.

إذن الذي ينظر في منازل القمر وفي الكواكب ليستدل بها على الحوادث الأرضية يسمى منجمًا.

ما معنى أن يستدل بها على الحوادث الأرضية؟ يربطها بالأقدار القادمة أم السابقة أو ماذا؟ الأقدار القادمة هذا هو المشهور، أن يأتي في الأبراج التي يكتبوها في بعض المجلات والجرائد كلام أنك اليوم سيكون حظك كذا وكذا، وهذا نوع من أنواع السحر.

لكن ليس هذا هو الوصف الوحيد للتنجيم، أيضًا التنجيم يدخل في مسألة الشخصيات، يقولون لك الذي يولد في برج كذا يكون وصفه كذا، الذي يولد في برج كذا يكون غنيًا، يمر في حياته بمشاكل عاطفية.

ينظر إلى منازل النجوم، ويقول الذي في برج العقرب، الذي في برج الثور، إلى أخره، هذه الاسماء، شخصيتهم كذا، حظهم كذا، أيضًا في الشخصيات؛ يقول كل الذين ولدوا في برج كذا عاطفيين، أو جافيين، أو إلى أخره، طباعهم كذا وكذا بالتفصيل، الذي يخيفنا أنك تجد على هذا شاهد أو شاهدين أو ثلاثة وتصدق!، لو كنت صادقًا لابد من الاستقراء لكل الناس الذين ولدوا في نفس التوقيت من أجل أن تقول أن هؤلاء بنفس الشخصية!، وطبعًا هذا كذب!

إذا كانوا توأم يخرجوا من بطنٍ واحدة وأكيد من برج واحد على تفكيرهم، لا يتشابهان في شخصياتهم وفي طباعهم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نحن نتكلم على الأبراج الآن، في نفس البرج، في نفس التاريخ، مشكلتهم في نفس التاريخ.

وهذا أبسط كلام يرد عليهم، أنه إذا كان توأم يولدان في نفس الوقت ولا يخرجان بنفس الطباع والشخصيات، وانت ترى آثار هذا، فماذا تقول؟!، إلا أنه كذب وتلاعب بالناس وتلاعب بنفسياتهم ومحاولة موافقة للهوى إلى أخره.

سيأتينا الكلام بعد ذلك حول التنجيم، وأنه نوعان:

- علم يسمى علم التأثير.
- وعلم يسمى علم التسيير.

وسنتناقش بالتفصيل عندما نأتي في باب التنجيم.

ننتقل إلى الدليل الثالث، هذا من الكهانة، وانت ستجدي أن التنجيم يقترب من الكهانة، ستجدي بعدما ندخل ستجدي أن الكهانة كأنها أم هذه البلاءات، وتحتها التنجيم إلى أخره.

❖ الدليل الثالث.

وللنسائي من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا ، فَقَدْ سَحَرَ ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ "

هذا من أنواع السحر، عقد العقد والنفث فيها.

كيفية العقد: عقد عقدة في خيط ونحوه، والنفخ في تلك العقدة نفخًا مصحوبًا بالريق مستصحبًا مرادات خبيثة، متكلمًا بشيءٍ منها مستعينًا بالشيطان.

ما حكم هذا؟ "فَقَدْ أَشْرَكَ" مَن ينفث سحر، ومَن سحر فقد اشرك.

يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى –: والنفث فعل الساحر، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة، نفخ في تلك العقد نفخًا معه ريق، فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى مقترن بالريق الممازج لذلك، وقد تسَاعَدَ هو والروح الشيطانية على أذى المسحور، فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدري.انتهى كلامه.

سنذكر سؤال هنا: ما فائدة العقد؟ فائدة العقدة عند السحرة أنه لا ينحل السحر مادامت معقودة، فينعقد الأمر الذي أراده الساحر بشيئين [بالعقدة وبالنفث بالعقدة]، قد يمر هذا الفعل على بعض الناس من باب اللهو – العقد والنفث – ويكون أحد أسباب إنحراف الشخص.

يعني تبدأ القضية لعب، تسلية، ثم يجد آثارًا، فعندما يجد آثارًا يبدأ ينحرف، من أجل ذلك ممنوع أي كلمة من هذا النوع تتردد في البيت، لا يسمح بها أبدًا، ولا يسمح لأحد من الأطفال يقول أنا سأسحركم، أو يأتي بخيوط ويربطها وينفث فيها، وإن شاء الله غدًا أو بعد غد سنشير إلى لعبة انتشرت وفيها تمرين على السحر.

على كل حال؛ إلى هنا نتوقف نسأل الله عز وجل أن ينفعكم بما سمعتم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٣٤٤].

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لازلنا ندرس في "**باب بيان شيء من أنواع السحر**"، وهذا الباب ملحق لباب ما جاء في السحر، تكلم الشيخ في باب ما جاء في السحر؛ تكلم عن حكم ماذا؟ انظروا للمتن وقولي لي أهم شيء جاء في باب ما جاء في السحر؟ آية البقرة، وآية النساء، وحديث أبي هريرة، وما نقله عن جندب رضي الله عنه، وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وعن حفصة رضي الله عنها.

كل هذا ماذا تفهمين منه؟ حكم استخدام السحر وحكم الساحر، هذا الذي ناقشه في باب ما جاء في السحر.

إذن باب ما جاء في السحر يقرر حكم استخدام السحر، وحكم الساحر، وانتهينا من هذا وانتقلنا إلى الباب اللاحق به باب بيان شيء من أنواع السحر، ماذا يريد أن يقول لنا الشيخ؟ ماذا يقرر لنا؟ أنواع أطلق عليها أنها سحر.

لماذا أطلق عليها أنها سحر؟ لأنها تشارك السحر:

أمَّا في حكمه، ليس في تأثيره.

أو تشاركه في المعنى اللغوي.

فهي تشبه السحر في تأثيره الخفي على الناس، إذن الباب الأول يبيِّن لك ما حكم السحر، ثم ما هي الأنواع التي تلحق السحر، وممكن أن تكون تلحقه من جهة الحكم، أو تلحقه من جهة المعنى اللغوي.

بدأنا بالنص الأول؛ دخل في السحر بحكم مَن دخل؟ يعني من قال لك أن هذا سحر؟ بحكم مَن؟ بحكم النبي صلى الله عليه وسلم، يعني النبي صلى الله عليه وسلم حكم على العيافة والطرق والطيرة أنها سحر، جبت معنى سحر، ومر معنا ما معنى العيافة والطرق والطيرة.

ثم أتاك الكلام حول التنجيم، بحكم مَن علمتي أن التنجيم من السحر؟ بحكم النبي صلى الله عليه وسلم، لماذا؟ ماذا قال لك؟ " مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ ، فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ " بهذا عرفتي أن التنجيم من السحر، لماذا؟ النبي صلى الله عليه وسلم حكم بذلك.

يعني الحديث الأول حكم لك أن التطير من السحر، لأن العيافة نوع من أنواع التطير، لكن أضيق، الطيرة أعم منها، التطير لكن ليس تطير بمعنى أنه يمتنع، إنما كأنه نوع من أنواع قراءة المستقبل وعلى أساسه يأخذ قراره، فهو يشبه التطير من جهة، أن قراره مبني على شيء وهمي.

- فالحديث الأول أشار لك أن التطير من السحر.
- الحديث الثاني أن التنجيم من السحر، واتفقنا أن الشيخ سيأتي بعد نهاية هذا الباب يفصل هذه الأنواع.
- ننتقل إلى الدليل الثالث؛ ماذا قرر الدليل الثالث؟ الدليل الثالث كأنه يبيِّن الطريقة التي يكون بها السحر، ما هي الطريقة؟ عقد العقد ثم النفث فيها.

ما علاقته بشيء من أنواع السحر؟ هذا واضح، هذا بعينه سحر، لكن هذه صورة وقوع السحر.

---

[٣٤٤] بداية لقاء جديد لاحق لتكملة الباب؛ تم جمع التسجيل بهذه الطريقة لمواصلة الباب كله وعدم تجزئته.

بقي جملة "وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ "، إلى هنا نحن وصلنا، هذا أخر تقرير في الحديث.

ما المقصود "وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ "؟يعني من تعلّق قلبه بشيء بحيث يتوكل عليه ويرجوه، وكله الله إلى ذلك الشيء، فإذا توكل العبد على الله كفاه ووقاه وحفظه.

ومن ذلك دعاء الخروج:" بِسم اللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ " ماذا يرد عليك الملك؟ كم وعد؟ "هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ"، هذه الوعود الثلاثة مبنية على توكلك انت على الله.

عندما تقول "حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" ما يكون أثر هذا؟ "كَفَاهُ اللَّهُ مَا أَهَمَّهُ"، الجمل ما معناها؟ الجمل معناها أن قلبك تعلق بالله، مادام تعلقت بالله سيكفيك الله، وفي رواية "حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ " وردت جملة: "صَادِقًا كَانَ بِهَا أَوْ كَاذِبًا " يعني الذي يقول "حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا أَهَمَّهُ صَادِقًا كَانَ بِهَا أَوْ كَاذِبًا " يعني صادق في هذه الكلمة أو كاذب، بمعنى حاضر القلب تمامًا أو غائب كفاه الله ما أهمَّه، هذه الجملة من الحديث تحتاج إلى مراجعة لفهم أهل العلم لها.

لكن تصوري إذا كان هذه الجملة على معناها الظاهر معناها لو كان قلبك معلق من الكفاية معناه سيكون أعلى وأعظم، المهم أن يجتمع في قلبك الشعور بكمال صفات الرب – هذا التعلق – الشعور بكمال صفات الرب المورث لترك كل أحد غيره.

يعني لا يكفيك أن تعتقد أن الله كامل الصفات!، لابد أن يأتي المعنى الثاني؛ سلب كمال الصفات عن غيره، هذا لو تعلق بالله.

ومن تعلق بالسحر والشياطين وكله الله إليهم فأهلكوه في الدنيا والآخرة، وهذه سنة الله في عباده التي لا تُبدل، ومن تأمل ذلك في أحوال الخلق بعين البصيرة رأى ذلك عيانا.

ماذا يرى؟ أن كل من تعلق شيء وكل – ترك – إليه، وهذا تفهميه بصورة أنك عندما تتعلق بشيء وتترجم مشاعرك واتجاهاتك لهذا الشيء تُرسم لك صورة، بمعنى لو جئت أتكلم عن التنجيم، القوم الذين تعلقوا بالنجوم وبتفسيرات النجوم، وكما ذكرنا أنه يأتي يقول الذي يولد في البرج الفلاني تكون له شخصية كذا وكذا، ويتعلق بهذا المفهوم، ويأتيها عريس تقول فلنرى انت في أي برج وعلى هذا الأساس سأحدد، "وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ " يوكلها الله إلى هذا، وتدخل عليها كما تصورت هي أن هذا البرج به كذا وكذا وكذا، وهم عندما يأتوا بالإيجابيات يأتوا بالسلبيات فتطوال الوقت تقول نعم صحيح الذي قالوه في البرج كلام صحيح، أن أمثالكم كذا وكذا.

ويبقى الإنسان يفسر طوال حياته على أساس ما تعلق قلبه به، وعندما تناقشيه مناقشة بسيطة جدًا – كما ذكرنا – تقولي له أن التوأم يخرجوا من بطن أمهاتهم في نفس الوقت مختلفين في نفسياتهم وطباعهم النفسية وشخصياتهم ألم يولدوا في نفس البرج وفي نفس الوقت؟!، كيف يمكن أن تقدر هذا التقدير على غيرهم؟!، يقول أنا الواقع يشهد لي كل واحد يكون برجه كذا يكون صفاته كذا؟ نقول نعم، "وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ "، ما معنى وكل إليه في هذه الحال؟ معناه سيترجم كل شيء بما تعلق به والله عز وجل يزيده! لماذا؟ هذه سنة الله، أنه لو وقع في قلبك أن غيره فاعل، أو أن غيره كامل، أو أن غيره كذا من صفات الكمال، أو أن غيره يعلم الغيب أو أن غيره صفاته تشارك صفات الله بصورة أو بأخرى وكلك إليه ثم أذاقك المر.

تصور واحد يقول هذا الرجل من برج كذا صفاته كذا ممكن طوال عمره أن يقول يارب عدل صفاته؟ لا، لأنه متصور أنه مادام هذا برجه وهذه صفاته ولا يمكن تغييرها، ومن ثمَّ تنقطع السُبل بينه وبين إصلاح الحال!.

ومثله عندما تأتي إلى عباد القبور ويقولون لك نحن رأينا السيد فلان يخرج يده ويطعمنا!، رأينا السيد فلان سمعنا صوته يقول كذا وكذا!، يأمرنا كذا وكذا، انت وما معك من إيمان تعلمين قطعًا أن هذا الكلام ليس صحيح، هل هو كذب أم حصلت المخادعة لهم؟ على حالتين:

قوم كاذبين أصلًا لا سمعوا ولا رأوا.

وقوم لا، الشيطان أسمعهم وأراهم وتلاعب بهم غاية التلاعب، مبني على نفس القاعدة "وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ "، طبعًا معلوم هذا لا يأتي ولا يعامل الله عباده بهذه المعاملة إلا بعد أن يعرض عليهم الحق مرارًا وتكرارًا، ثم إذا أعرضوا زادهم.

على كل حال؛ المقصد الآن أن تحذر من أن تتصور أن السحر يأتي لك بخير أو أن تتعلق أن الساحر يحل لك المشكلة، وإذا رأيت العامة يتجهوا لمثل هذا أنهم يريدون من شدة عذابهم في بعض المواقف أنهم يريدوا من الساحر أن يحل المشكلة فاعلم أنهم فقدوا صبرهم، في الغالب استعمال الساحر للناس الذين أصلًا في معتقداتهم سليمة، أصلًا سليمة، ثم تأتي عليهم من البلاءات ما تحملهم على استعمال السحرة افهم أن الفجوة التي حصلت في الوسط " العجلة" ففقدان الصبر يورث الإنسان الطيش، فعندما يطيش تذهب حتى اعتقاداته، لذلك علينا بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

وانت عندما تجدي أحد وقع تحت هذا الأمر بصورة أو بأخرى ابذل جهودك أن تذكره بوعد الله، ﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾[٣٤٥] ، ذكريه وقولي له وعد الله يأتي بعد عقبة تقتحمها وصبر يظهر منك، لأن عندما تأتي أم الزوجة مثلًا ترى بنتها زوجها يعذبها بصورة أو بأخرى فما معها من مشاعر تجاه بنتها يحملها على إرادة تغيير حالها، نقول لها ادعي، قولي يارب، تقول لي أربع وخمس سنين وأنا أدعي، هذه مشاعر الاستبطاء تورث الإنسان طيش، تحملها على التعامل مع السحرة.

وهذا الكلام ليس خياليًا، بل موجود بالذات سحر العطف، سحر العطف أكثر شيء منتشر، وطبعًا إذا تصورتم هذا السحر فيه معاملات خفية حتى بالبريد، يعني يستعملوا البريد، وهذا طبعًا غير ما في داخل البلاد، الذي في خارج البلاد يطلب منها صورته، أو شعره، أو أي شيء من آثاره، فترسله في طرد أو إلى مكانه، يستلمه فيقوم بفعل السحر ويرسله لها، ولذلك أحيان كثيرة تجدي أنه ترسل طرود خفيفة جدًا يعني تلاحظي أن المرسول كله صورة!، وعلى حسب التطور الآن لا أعرف أين وصلوا!.

المهم أقول لك على وقائع حاصلة، المهم مثل هذا الآن لم يعيقهم شيء فيه، فسحر العطف وأقول لكم هذا لأنه تكون هذه الممارسات دائمة بينكم وبين النساء، لأن يأتيهم وقت ويفقدوا صبرهم، وتأتي واحدة تشعرهم أنها ليست جريمة، انت هذا زوجك ومن حقك أنك تبقي محافظة عليه، ومن أجل أن تستطيعي أن تطيعه، ولا تتصوري كيف يدخلوا الشرع في المسألة، وانت لن تأذيه، تقول لها هذا – الواسطة في الغالب– وأنما كل الذي سيحدث أنه سيزيد حنانًا عليك ويزيد محبة لك، وتتأكدي أنه لا يفلت يمين ولا يسار لأن كل تفكيرها الآن أنه مثلًا سيعدد، سيتزوج عليها فأصبح هاجسها، فتفقد دينها من أجل هذه الأفكار!.

ثم أن هناك من الوسائط في هذا الفعل ما لا تتصورون، لأن المسألة بالنسبة، يعني لو دفعت مائة ألف على هذه، هي لها – الوسيط – على الأقل عشرة آلاف!، فمن أجل ذلك يغرهم في غالب المجالس وهذا أصبح غير خفيا، لأن في غالب المجالس تأتي واحدة بجانبها وتكلمها هذا الكلام أني أعرف طريقة ليسهل عليك، تصوري كيف يروج السحر وفي مجتمع فيه المحافظة على الدين

[٣٤٥] الروم:٦

والصلاة، وتصبح المرأة صاحبة تفكير واحد، كل تفكيرها أنه يبقى، وتخسر دينها ليس هناك إشكال، لكن يجب أن تفهمي أنها لا تفهم أنها ستخسر دينها، هي تفهم أن هذا حل لمشكلة تعيشها، خصوصًا الواسطة يكون عندها شيء من الأساليب التي تقنعها أننا لن نؤذيه، لن نفعل شيء.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: وهذه قضية أخرى الأتصال من الخارج، أنه يتصل ويقول أنا رأيت فيك رؤيا أنك معيون، أنك مسحور إلى أخره.

على كل حال؛ "وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ " هذه الجملة دائمًا رددها في مثل هذه المواقف، من أجل أن يفهم الشخص لماذا يحصل معه كذا، لماذا يحصل معه أنه عندما يتعلق شيء ظهر أن تعلقه صائب ثم يغرق تحته.

انتهينا الآن من الثالث ننتقل إلى الرابع.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: سيأتينا في أول الكهان الكلام عن هذا، عن الصلاح، وعن الكرامات، سأتكلم في أول الكهان عن هذا، أنه كيف يبدو الصلاح، بل يبدو عليه أيضًا شيء من الكرامات، وأمس على كل حال تكلمنا على هذا، أشرنا إليه أنه كيف يظهر السحرة.

❖ الدليل الرابع.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ " . [رواه مسلم].

حديث ابن مسعود ماذا يقرر؟ من أين لك هذا التقرير أن النميمة من أنواع السحر؟ من أين لك التقرير؟ انظري للدليل وقولي لي من أين لك التقرير أن النميمة مثل السحر؟ المعنى اللغوي لكلمة العضه، ما معناها؟

قال الفراء: العضون في كلام العرب السحر.

فهذه اللفظة تعبيرًا عن السحر، النبي صلى الله عليه وسلم فسره بالنميمة.

ما وجه التشابه بين النميمة والسحر؟

قال يحي ابن كثير: يفسد النمام في ساعة ما لا يفسده الساحر في سنة.

ما وجه هذا؟ لماذا؟ لأن النميمة تؤثر في التفريق بين القلوب والإفساد بين الناس على وجهٍ خفي، وهي أشد من السحر.

لماذا أشد من السحر؟ أشد من السحر لثلاثة أسباب.

- السبب الأول: السرعة.
- السبب الثاني: عدم القدرة على التخلص، يعني في السحر واحد يقرأ على نفسه وواحد يكتشف أين مكان السحر ويفكه، يقرأ على نفسه فيكشف، وواحد أخر يكتشف مكان السحر ويفكه.

في النميمة انتهى يكون القلب امتلأ، وعندما تأتي عليك النميمة وأحد ينقل لك كلام، هذا الكلام نفسه إذا تريدي تعود مرة أخرى تقولي لمن تكلم عليك أنه تكلم انت في نفسك مشاعر أنك لو قلتي له سينكر، يعني أتى أحد يقول لك فلان قال عليك كذا وكذا، فوقع في قلبك وحجزت شعوريًا بينك وبينه، حصل حاجز شعوري، فأول مشاعر تأتيك أنه أذهب إلى فلان وقل له

قلت أم لم تقل، أول مشاعر تأتيك أنه حتى لو قلت له سينكر!، ماذا سيقول!، انت في تفكيرك هذا التفكير، أنه أكيد سيكون كذاب، أني سأذهب أقول له وهو سيكذب، فتشعري أنه ليس هناك خلاص، فتذهب تقول انت قلت يا فلان كذا وكذا يقول أنا اقسم بالله أني لم أقل، فتكون تجلس في مجلس فعندما تخرج تقول لا هو ممكن يستخدم التوريه، وقبل ذلك عشت معه وأعرف أنه يوري، أنه يقسم على شيء ليس الذي تكلم به، نقول هو كذاب؟ لا هو فقط يوري، المهم تخرج أنه كذاب بأي صورة!، فتصوري أين الحل الآن؟ في النميمة ليس فيه حل!، في مقابل أن السحر الحل القراءة، الانتشار، فك السحر بعينه فتجدي أن النميمة أخطر من السحر من هذه الجهة لعدم القدرة على التخلص من آثار النميمة.

▪ السبب الثالث: أنها تصيب عدد غير محدود، في مقابل أن السحر شخص واحد مقصود بالسحر يسحر، لكن النميمة تجر ورائها قبيلة، على حسب الأوضاع.

بمعنى أننا نأتي ننقل كلام من هذه العائلة إلى هذه العائلة في مجلس، فلان رمز لعائلة "أ"، وفلان رمز لعائلة" ب"، ننقل من" أ" إلى ب كلام، والحاجز سيكون بين" أ " و "ب" أم عائلة أكلها وعائلة "ب" كلها؟ بين العائلة، وانتم أكيد في أذهانكم صور من هذا.

من أجل ذلك كانت النميمة أشد خطرًا من السحر، وصفوف المسلمين الآن وصفوف طلاب العلم أكثر شيء يؤثر عليها نقل الكلام، ونقل الكلام حاجة في داخل النفس تحتاج إلى إيقاف، إلى كبح.

يعني انت تنظري لمن أمامك وهو يتكلم عن موضوع ولا يفهم يقول مثلًا تثني على سين من الناس تقولي ما شاء الله عليها، طيبة ومباركة، وانت تعرفين أن سين لا تحب المتكلم، من مدحها، المتكلم لا يعرف ويثني على سين، وأنا في الوسط انظر إليه، وأنا عارفه أن سين لا يحبه، فأشعر أن قلبي يؤلمني، لا أريده يمدح أحد لا يحبه، مع أني لو التزمت الصمت لم يكن لشيء يحدث، لكن أأتي أقول لها أريد أن أقول لك كلمة لكن بينك وبينك.

– وبيني وبينك هذه لا أدري ما بها، ليس لها حدود، تخرب بسبب بينك وبينك، ولهذا قيمة كتمان الأسرار تكاد تصل إلى أن تكون مفقودة بين طلبة العلم، بين المجتمع كله وطلبة العلم المنتظر منهم أن يكون عندهم قيم عليا تكاد تكون مفقودة. — المهم فتقول لها أن هذه فلانة التي تثني عليها تقول عنك كذا وكذا، الآن ما الذي حملك أن تقول هذا الكلام؟! النصح؟ النصح ليس مكانه هنا، خصوصًا في مسائل تتصل بالمشاعر والأحساسيس، في مسألة المحبة وكراهية، في مسألة قبول وعدم قبول ليس هناك أي نوع من أنواع النصح فيها، لا تتكلم، لا تنقل كلام من هذا النوع.

متى تنقل كلامًا ويكون هذا ليس نمًا؟ سيأتينا في باب الاستهزاء قيده، عندما استُهزء بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأتى الصحابي ونقل الكلام، ونقله لمن؟ نقله لوليّ الأمر، حتى عندما ترى مفسدة لا تنقلها لأي أحد!، تنقلها لوليّ الأمر، صاحب القرار، لا تنقلها ويكون قبل أن تصل إلى وليّ الأمر يكون عشرين واحد سمع هذا الكلام!.

على كل حال؛ هذا جرح يحتاج إلى معالجة، وقيمة عالية تكاد تكون مفقودة، وكل هذا الكلام مبني على حسن الظن ولم أكن أقصد، فكبيرة النم من الكبائر التي دخلت في العادة.

واضح ما معنى العادة؟ يعني أصبحت من عاداتنا، كبيرة أصبحت من العادات، الغيبة والنميمة أصبحت من العادات، وكل هذا مبني على أن بيني وبينك علاقة، وبيني وبينك ودّ، فأصبح مصب عليك، كل الذي يدور في عقلي وخاطري ويدور حولي أصبه عليك، لا أتقيّ ما ينفع أن أكلمك فيه، وما أترك الكلام عنه، عندما واحدة تفتح سماعة وتتصل على صديقتها وكل شيء ينفع أو

لا ينفع أن يقال تقوله، ثم لا تتصور أنها أمانات ضاعت، نفوس تُشحن بسبب الكلام، وفي النهاية تعتذر بعذر تقول والله ما في قلبي على لساني، وهذا عذر موجود ومتكرر.

ومثل هذا من يقول لك هذا الكلام وتفهمي منه هذه الطريقة أحسن حل معه خرجيه تمامًا تمامًا من أن تعامليه بمسألة فيها سر أو فيها خصوصية تمامًا، لأن مثل هذا عندما تصبح نقل الكلام من عادته ليس هناك حل معه!.

المشكلة لو كان مسؤول، المشكلة لو كان تحت يده مسؤوليات، وفي النهاية تحدي تفكير، يعني أنا أأتي أفكر مع مسؤول في قضية نفعل أو لا نفعل، وقبل أن تطبخ هذه القضية وقبل أن تصل إلى حدها المطلوب أجد الخبر منتشر، من المؤكد أن هذا يؤثر على إتخاذ القرار!، يعني تصوري عندما تكون فقط فكرت في مسألة ثم من أجل ملابسات كثيرة رجعت فيها، وقلت لهذا قبل أن ترجع فيها، فيأتي أحد من الخارج يقول ماذا فعلتم في موضوع كذا وكذا؟! ماذا يكون موقفك؟!.

مثل هذا مكرر للأسف في بيوتنا، وكم للنساء كانوا سبب لخراب أعمال تجارية للرجال، فترة بيع الأسهم وانخفاض وارتفاع كم بيت خرب من نقل الكلام؟!، لأن تعرف أن زوجها سيذهب يشتري أسهم من كذا وكذا، فتقول لصحبتها، وصحبتها تذهب تقول لزوجها، الزوج الثاني يذهب يقول لأصحابه أن فلان سيذهب يشتري من كذا، يصبح الصباح فيذهب إلى المكتب فيجد أصحابه يعرفون أنه أخذ قرار أنه سيشتري أسهم من كذا وكذا، مَن قال؟ ليس هناك إلا زوجته التي تعرف!

فتصوري مثل هذا الخراب الذي يأتي به الأستجابة للحاجة الغير مقننة، يعني في نفوسنا كلنا حاجة للكلام لابد من العناية بهذه الحاجة، قل خيرًا أو أصمت، واعرف انت تكلم مَن، واعرف متى تتكلم، وفي ماذا تتكلم، لا تكون مثل الصنبور المفتوح، لا أحد يضع فيك شيء إلا تخرجه.

وربما نحن ناقشنا في هذا مع ثالث ومركز الأبحاث وتناقشنا في مسألة كتمان الأسرار وقلنا أن هذه القيمة العليا يحتاجها طالب العلم لأنه سيصبح في المجتمع مثل الطبيب، فعندما يصبح مثل الطبيب إذا لم يستطيع أن يغلق فمه عن أسرار القوم لا يتعرض لمثل هذا لأنه سيكون باب ذنب وليس باب عافية.

❖ الدليل الخامس.

ولهما عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لسِحْرًا"

ماذا يقرر النص الأخير؟ "إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لسِحْرًا" ما المقصود بالبيان؟ الفصاحة، الفصاحة والبيان من نعم الله على عباده إذ يستطيع الإنسان أن يعبر عن ما في نفسه ويظهر حاجته، وإذا أردت أن تتصور المسألة انظر إلى الرضيع يبكي لا تدري ماذا يريد، فعندما يبدأ بالكلام يصبح مريح.

يعني هو رضيع يبكي لا تدري ماذا يريد عندما يبدأ يكون فصيح يستطيع أن يتكلم يصبح مريح، إذن لابد أن تتصور أن الفصاحة والبيان من نعم الله على عباده.

أن البيان له نوعان:

- النوع الأول: ما يبيَّن به المراد بأي وجهٍ كان، يعني تتكلم من أجل أن تخبر من أمامك ماذا تريدين، هذا النوع الأول.
- النوع الثاني: تحسين اللفظ حتى يستميل قلوب السامعين.

الأول أي كلام عادي هذا نوع من البيان، الثاني تحسين اللفظ حتى يستميل قلوب السامعين.

النوع الثاني فيه صورتين سيترتب عليه حكمين:

- إن أراد أن يوضح للناس الحق ويقرره ويبطل الباطل ويبينه كحال الرسل وأتباعهم فهذا بيان ممدوح.
- إن أراد أن يحسن للناس الباطل ويظهره في صورة الحق ويقبح الحق ويظهره في صورة الباطل بحيث يموه على السامع ويلبس عليه حتى يقبل الباطل وينكر الحق، كحال الدعاه إلى الشرك والبدع والمعاصي، فهذا بيان مذموم.

بناء على هذا التقسيم ما المقصود بالحديث "إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لسِحْرًا" ؟ مقصود النوع الثاني – تحسين اللفظ –

لكن أيان من النوعين؟ هذه الجملة "إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لسِحْرًا" أتت في سياق الذم أم في سياق المدح؟ هي تحتمل الاثنين، محتملة أن تكون في سياق المدح ومحتملة أن تكون في سياق الذم، لكن الأميل بالقرائن أنها في الذم، لأن الشيخ استعملها في باب بيان شيء إلى أنواع السحر، فهو يشير إلى هذا الفهم.

ما هو الفهم؟ أن تشبيه البيان بالسحر ما وجه الشبه؟ لو في قوة تأثيره سيرجع يحتمل الاثنين مع بعضهم، لكن لو قلنا أن تشبيه البيان بالسحر لأن السحر فيه قلب للحق وتمويه وأخذ ما ليس بحق فيكون البيان هنا المقصود به البيان المذموم.

هناك لو كان على وجه المدح ما وجه الشبه سيكون؟ ما وجه شبه البيان بالسحر؟ في قوة تأثيره، **يعني البيان مثل السحر في قوة تأثيره.**

وهذه الجملة على وجه المدح لا بأس تعتبر صحيحة، يعني البيان له أثر مثل السحر في قوة تأثيره على الناس.

لماذا أقول لكم هذه الجملة؟ لأن أحيان كثيرة يكون منكم من أعطاه الله القوة على إظهار الحق، وتهدئة النفوس فنبخل بهذه القوة على من يحتاجها، تكون له جارة، صديقة، لا أريد علاقات الهوى الآن ، لا أتكلم على علاقات الهوى، أنه أصلًا تحبيني وأنا أصلًا أحبك وبيني وبينك علاقة أنك تهدئيني، لا أريد أناقش هذه الحالة، لأن هذه الحالة حتى لو ما كان الكلام أصلًا له قيمة سيكون له أثر، لا أريد حالة الهوى.

أريد حالة أن الله عز وجل أعطى الإنسان القدرة يكلم أي أحد، ليس شرطًا محبوب له، وعندما تكلمها في مشكلتها الزوجية مثلًا تستطيع الثانية أن تتكلم بكلام علم مع بيان، معها علم ومعها قدرة على البيان، تستطيع أن تحاور، تعيد وتزيد، تأتي من هنا وتأتي من هنا، توضح لمن أمامها حقيقة الموقف، كثير بيوت أصلحت عن طريق الكلام، في جلسات الإصلاح غالبها كلام أصلًا، كلام تكلميها من أجل أن تهدىء نفسيتها، وتكلميها عن البلاء وأن الله عز وجل يختبرك إلى أخره، كثير طلاب العلم، لكن قليل من يستطيع أن يستعمل هذه القدرة في امتصاص الذي أمامه.

ماذا أريد منك الآن؟ أن تتصوري أن العلم وحده لا يكفيك، تحتاج إلى نوع من أنواع البيان، تدربي على البيان، استفيدي من ما تسمعين من الناس الذي ترينهم عندهم قدرة على التأثير، وإذا كان الله عز وجل أعطاك البيان لا تبخلي به.

مثلًا تأتي واحدة تقول لك هذه امرأة عندها مشكلة زوجية وتريد أحد يكلمها عن الصبر لأنها فاقدة لصبرها، تقولي لها كلميها انت!، هي أصلًا لم تختارك إلا لأنها تشعر أن لك تأثير فانت تقولي بكل بساطة انت كلميها، ألست تعرفي الصبر؟! اقرئي الآيات في الصبر وقولي لها، فلا يكفي العلم، هناك علم وهناك بيان، لو أعطاك الله بيانًا وقدرة على التأثير لا تبخلي بهذا أن تتقربي به إلى الله.

ولابد أن تتصوري أن هذا البيان يكون له أثر السحر في خفائه، وكثير من الرجال يأتون يكتشفون يقولوا لها جلستي مع مَن؟!، من كلمك هذا الكلام؟!، تكون غير مقتنعة وضاربته ثم تذهب وتشاور وتأتي وتستسلم، فيكون فاهم أن أحد أثر عليها، لابأس مادام في صالحه لن يقول لا هو، مادام في صالحه لا اعتراض، لكن المقصد المهم لو أعطاك الله هذا واكتشفتي هذا الأمر لا تبخلي به، بل غذيه.

يعني المشاكل الزوجية مثلًا احفظي الآيات التي في سورة الطلاق التي تتكلم عن أنه كيف أن هذا عهد وميثاق، كل النصوص التي تتكلم، من أجل عندما تتكلمين تؤيدي كلامك بمزيد بيان، هذا يساعد على البيان، أنك تأخذي منها المشكلة ثم تعطيها وقت من أجل أن تتكلمي معها من أجل أنك تحضري نفسك، هذا في بداية الدربة ثم لا، مباشرة ستستطيع أن تعبر.

طبعًا من عنده بيان سيكون واضح أن عنده بيان، الذي ليس عنده يدرب نفسه على البيان، وأهم شيء أن من أعطاه الله البيان لابد أن يكون فيه صفة الصبر، لأن البيان يحتاج إلى كثير من العرض، يعني تعرض عليها كذا، ترد عليك كذا، فتعرضي عليها كلام جديد إلى أن يتبيَّن لها، وطبعًا الصدق والاستهداء إلى أخر الصفات التي يجب أن تكون في الداعية.

المهم أن تعلمون أن المنطق أحد المواهب، ناس كثيرين فاقدين له، ويتكلموا في الوقت الغير مناسب، وهذا يستفز كثير من المتعايشين معك، خصوصًا الأمهات والأزواج، يعني من فقدانك للمنطق أنك تقول كلام ربما يكون مناسب لكن في وقت أخر لكن الآن ليس مناسب أن تتكلم هذا الكلام فتأتي تتكلم به، ثم تأتي الشكاوى أننا مرفوضين والناس لا يحبونا، ونشعر أنفسنا ثقيلين على الناس، لا، انت عد مرة أخرى وابحث عن منطقك، وهذه ظاهرة موجودة، ظاهرة فقدان المنطق ليس عندك قدرة على الكلام أو التعبير الجيد في المكان الجيد.

المهم أنه لو اكتشفت هذا تعالج، المشكلة لو لم تكتشف ذلك، ومن العلاج الدعاء أن الله عز وجل يرزقك منطقًا جيدًا، المنطق الجيد له آثاره، يعني انت يمكن أن تكون طالب علم وتعطي الناس المحاضرة، وكل كلامك في المحاضرة جميل لأنك حافظة، لكن إلى هنا جزاك الله خير ثم مباشرة اذهب إلى منزلك، لا تكلمهم، لا تجلس معهم جلسات خاصة، لو سألوك لا تجيبهم، .أو ربما هناك إجابات ممكن أن تخرج منك، لكن لا تستطيع أن تجلس جلسات خاصة، لماذا؟ لأنهم سيكتشفون أنه ليس لديك منطق، ولا تعرف تتكلم الكلام المناسب في الوقت المناسب.

ولذلك ننصح طلبة العلم عندما يكونوا مبتدأين في معاشرة الناس أن يلتزموا حدودهم في المعاشرة، يعني دعيت إلى محاضرة اذهب، وفي الغالب نحن في مدارس التحفيظ وإلى أخره تعال في إدارة اجلسي، إذن اجلس بدون أي كلام، لا تتكلمي، لأن الكلام يفقدك هيبتك، خصوصًا لو لم تعطي منطقًا، لا أريدكم تشكوا في أنفسكم لكن هذه ظاهرة موجودة يريد لها شيء من القياس العقلي من أجل أن تكتشفوا.

انتهى الباب.

- ظهر لنا من أنواع السحر أن العيافة والطرق والطيرة[من التطير] من السحر.
- ظهر لنا أن التنجيم من السحر.
- ظهر لنا أن العقد والنفث من السحر لما فيه من الاستعانة بالشياطين.
- أيضًا أن النميمة من السحر لاشتراكها في التأثير لكن لا يعتبر النمام ساحر.

⇦ الخامسة من أنواع السحر البيان لكن صاحب البيان لا يعتبر ساحر.

⇦ الأولى والثانية والثالثة يعتبر صاحبها ساحر.

⇦ الرابعة والخامسة يعتبر صاحبها ليس ساحر.

والساحر سيأتينا بعد ذلك أنه تدخل تحته كلمة المنجم، كلمة الكاهن، العراف، ستدخل تحتهم، لكن هذا على الاسم العام.

ننتقل إلى باب ما جاء في الكهان ونحوهم.

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا".

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". رواه أبو داود.

وللأربعة، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، "مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفًا.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" رواه البزار بإسناد جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: "وَمَنْ أَتَى.." الخ.

قَالَ الْبَغَوِيُّ: الْعَرَّافُ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ، وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وقيل: هو الكاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيَّةَ: الْعَرَّافُ: اسْمٌ لِلْكَاهِنِ وَالْمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ.

وقال ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ أَبَا جَادٍ، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ، : "مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلَاقٍ".

هناك أختلاف[٣٤٦]؟ الظاهر أن هذا المتن المعتمد، خلال النقاش ننبه على الأختلاف الحاصل.

أولًا نبدأ نقرر هنا مسألة علم الغيب.

ورد في كتاب الله ما يدلّ على أن علم المغيبات من أختصاص الله تعالى، فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وحده، والأدلة على ذلك كثيرة:

منها قوله تعالى ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[٣٤٧] هذه آية النمل.

أيضًا في الأنعام ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾[٣٤٨].

[٣٤٦] تقصد الأستاذة اختلاف في المتون.

[٣٤٧] النمل:٦٥

إلى أخر الأدلة.

- هذا التقرير الأول: أن علم الغيب من خصائص الله.
- التقرير الثاني: قد يختلف المراد بكلمة الغيب، فالمراد ما غاب عن الناس من الأمور المستقبلية والماضية وما لا يرونه، وعلى ذلك يكون له نوعان.

كلمة الغيب يكون لها نوعان:

- غيب مطلق، غاب علمه عن جميع المخلوقين فلا يعلمه إلا الله.
- وغيب نسبي غاب علمه عن بعض المخلوقين دون بعض، فهو غيب عن من غاب عنه، وليس غيبًا عن من شهده سواء كان من [الملائكة، أو الجن، أو الإنس].

- الغيب المطلق ما هو؟ غاب عن كل الناس، استأثر الله بعلمه.
- الغيب النسبي هو الذي يغيب عن بعض المخلوقات دون بعض، الغيب النسبي بالنسبة لك يعتبر غيب، وبالنسبة لغيرك يعتبر شهادة، الغيب النسبي هو ما غبت انت عنه، لكن عندما يكون غيرك حاضر له يعتبر بالنسبة له شهادة.

سنرى ما الفائدة من هذا التقسيم، من أجل أن نرى كيف يتأثرون الناس بالغيب النسبي ويتصورون أنه الغيب الكلي.

- التقرير الثالثة: إذا علمت أن الله هو المتفرد بعلم الغيب، فما حكم من أدعى مشاركته في شيء من ذلك، ما حكمه؟ حكمه مشركٌ كافر، لماذا؟ لأنه يدّعي مشاركة الله فيما هو من خصائصه، ولا تأثير لاختلاف طريقة الإدعاء، فالنتيجة واحدة.

يعني إدعاء علم الغيب يعتبر شرك، ولا تأثير لاختلاف الطريقة التي بها يدعون علم الغيب.

اضرب أمثله على الطرق التي يدّعى بها علم الغيب: [قراءة الفنجان، قراءة الكف، الصدف، الخط في الأرض، التنجيم، إلى أخره] كل هذا يعتبر من طرق إدعاء علم الغيب، فليس لها أثر الطرق المختلفة، في النهاية صاحبها يعتبر وقع في الشرك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الرؤى هذا باب أخر.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نعم يدخل فيها، كل أنواع إدعاء علم الغيب سواء الذي يتصل بالشخصية، أو مثلًا يقول له – وهذا يدخل في التنجيم – نكتشف شخصيتك من خطك، أسهل رد ترديه على هؤلاء أنه لو دخلت دورة تحسين خطوط ما الذي سيحصل في شخصيتي؟!، يعني هذا الكلام نوع من أنواع الإدعاءات، لأنه يأتي يقول شخصيتك كذا وكذا وستفعل كذا وكذا، والمشكلة أنه يأتيك بكلام عام، فانت تقولي صح كلامه، يعني في بيئات معينة هناك صفات شخصية منتشرة، مثلًا في النساء يوجد صفات مشتركة، أنها لو أتاها خبر مفرح يحصل لها كذا وكذا، وأصلًا هذا مشترك بين كل النساء، المهم لهم طرق في المخادعة، ويكون أيضًا عندهم شيء من الفراسة، سنرى الآن.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: بنات أولى ابتدائي إلى المرحلة المتوسطة يأتون بأوراق ويكتبون، وتقول اختاري اسم واختاري كذا، ثم تقول لها انت ستتزوجين كذا وستفعلين كذا، وجاءت واحدة في الثانوي تخاصم أختها الصغيرة في الابتدائي، تقول لها عيب، لا يصح أن تقولي ستتزوجي، يعني هي الآن تزعل من هذه الكلمات أنها فيها سوء أدب، والمشكلة ليست في أنك

---

[٣٤٨] الأنعام:٥٠

ستتزوجي المشكلة أن هذا ضرب من ضروب الكهانة، تزعل من أجل الأدب فتزعل من هذه الكلمات، وهي أصلًا ضرب من ضروب الكهانة، لأنها تقول لها ستتزوجي واحد اسمه كذا، وسيأتيك بأولاد اسمائهم كذا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لابد أن تقولي له هذا شيء من الكهانة، الشيطان يأتيك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: يتوب الله على ما مضى، استغفروا الله على ما مضى، وانتبهوا لأولادنا، انتبهوا للصغار أن هذا ضرب من ضروب الغيب، لأن انتم ماذا كنتم تقولون؟ قولي لي ماذا كنتم تقولون؟ ألستم كنتم تقولون سيحصل كذا، وسيأتيك كذا، وبيتك كذا، انت تفهمين أنها لعبة، لكنها نوع من الكهانة، ضرب من ضروب الكهانة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا واضح فيه استجلاب الشياطين.

سيأتينا التنجيم وكلام طويل فيه، قليلًا قليلًا سيتبيَّن لكم الأمر وتضعوا قواعد في البيت لابد من استعمالها في التربية.

طرق إدعاء علم الغيب في الناس.

الطريقة الأولى: الكذب والدجل بأن يستند مدّعي الغيب إلى الظن والتخمين وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة تكرار الأمر وممارسته، يعني الله عز وجل يبتليه بالموافقات، هذا نوع.

الطريقة الثانية: الاستعانة بالجن والتقرب إليهم، فيستخدم مدّعي الغيب الجن ويسألهم عن بعض الأشياء التي قد يعرفونها، كيف يعرفونها؟

أمَّا من جهة أستراقهم السمع.

أو من جهة تجوالهم في أقطار الأرض فتخبرهم بما خفي عنهم مما قرب أو بعد، ويكذب معها الجني أو مدّعي الغيب مائة كذبة أو أكثر.

إذن هناك نوعان لطرق إدعاء علم الغيب في الناس:

- النوع الأول: طريقة الكذب والدجل، هذا لا يستعمل الجن، هذا يكذب ويدّعي أنه يعلم الغيب، وهذا مبني على الظن والتخمين ثم مع كثرة الممارسة للكذب يجعل الله عز وجل له قوة يوافق بها الحقيقة، طبعًا هذا نوع من أنواع الابتلاء عليه وعلى الناس.
- النوع الثاني: فيه استعانة بالجن يأتون له بالأخبار، يأتي السؤال الآن الأخبار التي يأتون بها ما شكلها؟ بها نوعان:
  - نوع غيب جزئي، غيب جزئي نتيجة تجوالهم في الأرض، ونتيجة تنقلهم السريع، يأتون بالأخبار التي لا تعرفها نتيجة المسافات.
  - أو أنهم يستعملون مسألة إستراق السمع.

هذا التقسيم مهم جدًا يبقى في ذهنك من أجل أن تفهمي كل الذي يأتي من إدعاء علم الغيب صاحبه ممكن أن يكون كذاب، دجال، أو مستعين، وعندما يستعين ممكن أن يأتي بخبر فيه غيب جزئي وممكن أن يأتي بخبر يعتبر من إستراق السمع.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: كيف عَرَفَت هذا الأمر؟ طبعًا هذا باستعمال الجن من المؤكد.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نفس السؤال هنا أنه كيف يكون واحد معه قرآن ومعه دين ويظهر عليه مظاهر الصلاح ويظهر معه هذا الكلام، سيأتينا في نهاية باب الكهان مبحث في مسألة الكرامات.

حكم [الكهانة والعرافة والخبط في الرمل والكتابة على الخشب]: كفر وشرك أكبر إذا كان صاحبه استعان بالجن وتقرب إليهم، وفيه إدعاء مشاركة الله في علم الغيب الذي اختصّ عز وجل بعلمه، وهذا يدخل فيه مدّعي الغيب حتى لو كان دجالًا كذابا.

على ذلك ستقولين أن حكم [الكهانة والعرافة والخط] كل أنواع وصور إدعاء علم الغيب سواء كان صاحبها كذاب ودجال بمعنى أنه لا يستعمل الجن أو كان صاحبها مستعين بالجن في كلا الحالتين يعتبر مشرك، لماذا يعتبر في الحالتين مشرك؟ لأنه أدعى علم الغيب.

الحالة الثانية تزيد عن الأولى أنه استعان.

فجمع الشرك من جهتين، من هو الذي جمع الشرك من جهتين؟ المستعين بالجن هو من جمع الشرك من جهتين، أمَّا المدّعي وهو كذاب أيضًا وقع في الشرك، ما وجه وقوعه في الشرك؟ إدعاءه علم الغيب.

هذه كلها مقدمة تكلمنا فيها عن نفس إدعاء علم الغيب.

فصل في خوارق العادات.

وسيتبيَّن لكم لماذا سأتكلم عن خوارق العادات.

أول سؤال: لماذا نتكلم عن خوارق العادات؟ لأن مدّعي علم الغيب الذين نسميهم الكهان يظهرون بمظهر الصالحين وأصحاب الكرامات، ويلبّسون على الناس دينهم من هذا الوجه، على طالب العلم أن يكون لديه أداة التفريق بين الكذب والدجل وبين الكرامة.

نبدأ تعريف المراد بخوارق العادات.

هو ما يأتي على خلاف العاده الكونية التي اعتادها الناس:

- مثل قلب عصى موسى عليه السلام إلى حية.
- مثل قصة أصحاب الكهف ونومهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين ولم تتغير أجسامهم.

إذن هذا كله يعتبر خارق للعاده.

سؤال: هل كل خوارق العادات إشارة إلى مكانة صاحبها عند الله؟ سنقسم خوارق العادات إلى ثلاثة أقسام:

- الأولى: معجزات – آيات – ، لأن المعجزات المقصود بها الآيات التي يأتي بها الأنبياء لأقوامهم.
- الثاني: الكرامات.
- الثالث: الأحوال الشيطانية.

في هذه الثلاثة اسماء يحصل خوارق للعادات: في [المعجزات في الآيات، وفي الكرامات، وفي الأحوال الشيطانية].

سنعرف ثلاثة أمور عنها : صاحبها / الغرض من هذه الخارقة للعاده / مثالها.

صاحبها.

المعجزات من صاحبها؟ الأولياء الصالحين.

الكرامات من صاحبها؟ المؤمن التقيّ.

الأحوال الشيطانية الفجار، ستصفي عكس المؤمن التقيّ، فاجر بأي صورة.

الغرض من هذه الخارقة للعاده.

الغرض منها: يعني لماذا الله عز وجل يجري على يد الأنبياء المعجزات؟ التأييد له والتحدي لأقوامهم.

في الكرامات: أيضًا التأييد له والإكرام لمتابعته للنبي.

الأحوال الشيطانية: ابتلاء وفتنة، الله يمكنه إبتلاء وفتنة.

مثالها.

مثال على المعجزات لخوارق العادات:

إنظار الله عز وجل لإبليس يعني أنه لا يموت مثل ما يموت باقي الناس، أو باقي الجن، هذا نوع من أنواع خوارق العادات، لأن كل شيء في الحياة يموت، يولد ثم يموت، لكن إبليس بقاء حياته من أن خلقه الله إلى أن تقوم الساعة هذا يعتبر خارق للعاده، فإعطاء الله عز وجل لإبليس هذه الخارقة هل دليل على مكانته؟ لا، ليس دليل على مكانته، إنما هذا فتنة وإبتلاء، الجن يموتون لكن إبليس لا يموت.

فصل في خوارق العادات.			
نوع الخارقة	المعجزات [الآيات]	الكرامات	الأحوال الشيطانية
صاحب الخارقة	الأولياء الصالحين	المؤمن التقيّ	الفجار[عكس المؤمن التقيّ،فاجر بأي صورة]
الغرض من هذه الخارقة	التأييد له والتحدي لأقوامهم.	أيضًا التأييد له والإكرام لمتابعته للنبي.	ابتلاء وفتنة
مثالها	إنشقاق القمر، وأقرب منه إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار ثم تحول النار إلى برد وسلام	مثل ما قال عمر ابن الخطاب: يا سارية الجبل، أو الصحابي الذي كان أسيرًا في مكة، قباب ابن عدي، عندما كان يأكل العنب وفي مكة لا يوجد.	"إبليس"، عندما أنظره الله.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: انت لا ترى هذا، ليس لك علاقة.

أريد شيء خارق للعاده الناس كلهم عاشوه ولمسوه، أريد مثال من هذا النوع، كل الناس عاشوه ولمسوه، أو تيقنوا به، أو جائهم الخبر به، هذا كله الذي تقولونه لو جئت اشرحه لأحد كيف تريد أن تبيِّن له أن خارق العاده لا يدل على المكانة.

- في الأول كنت أريد أن أبين لهم أن هذه أمارة وعلامة على صدق الأنبياء أتينا بموقف إبراهيم عليه السلام.
- وفي الكرامات كنت أريد أن أبيِّن أن هذا دلالة على مكانة هذا الشخص عند الله.
- في الثالث أريد أن أبين أن هذا فتنة وابتلاء، فأمر مشترك الناس كلهم يشعرون بها، فإنظار إبليس مع أن ذريته كلها تموت، ومع أن آدم مات وذريته تموت، هذا خارق للعاده المقصد منه الفتنة والإبتلاء وليس المقصد منه المكانة.

الظاهر أن مسألة الجن تموت غير مؤسسة في أذهانكم، الجن يموتون مثل الإنس لكن إبليس أعطي خارق للعاده فلا يموت إلا مع قيام الساعة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أليس خارقًا للعاده؟ خارقة العاده يعطيها الله للعبد، خارقة العاده الإنسان لا يستطيعها إلا إذا أعطاه الله إياها، حتى لو كان على يد الجن، يعني طيرانه في السماء وسيره على الماء، هل يستطيعه إلا أن يأذن له الله عز وجل قدرًا؟ لا، إذن انتهى الأمر، لكن الظاهر أنه غير ملتفت نظركم له أصلًا، يعني غير ملتفت أن هذا خارق للعاده، خارق للعاده لأن الجن يموتون مثل الإنس،آدم وحواء ماتوا لكن إبليس أعطاه الله عز وجل هذه الخارقة للعاده، كما أعطى الأنبياء الخوارق للعادات، كما أعطى الصالحين خارق للعاده.

- ⇦ لكن عندما أعطى الأنبياء خارق للعاده أعطاهم تأييدًا.
- ⇦ وعندما أعطى الصالحين خارق للعاده أعطاه إياه تأييدًا.
- ⇦ وعندما أعطى الله إبليس خارق للعاده أعطاه إياه إبتلاء وفتنة.

الآن اسألك إبليس له فراسة أم ليس له فراسة؟ الفراسة التي تسألوا عنها، الفراسة بمعنى الفراسة، ماذا قال الله عز وجل؟ ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيس ظَنَّهُ﴾[٣٤٩] ما معنى ﴿ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيس ظَنَّهُ﴾ يعني تفرس فيهم أنه سيأتي من ذرية آدم من يطيعه وصدق ظنه.

إذن حتى وصف الفراسة ممكن أن يعطيه الله عز وجل لفاجر، ولهذا نحن نتكلم على خوارق العادات، لماذا نتكلم عن خوارق العادات؟ لأننا في تصورنا أن خارق العاده لا يمكن أن يجري الله عز وجل على يديهم خارق للعاده! لا يجري على يديهم خارق للعاده فتنة وابتلاء.

ومن أجل ذلك تأتي قواعد أهل السنة في معرفة الأولياء، في معرفة خوارق العادات متى تكون كرامة ومتى تكون إبتلاء، كما يقول أهل السنة لو رأيت الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء لا تبال به حتى ترى متابعته لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ليس بشيء حتى ترى متابعته لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[٣٤٩] سبأ: ٢٠

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: كلمة شيطان، الجنس كله اسمه جن منهم الشيطان، كل الجنس اسمه جن، لماذا سمي شيطانًا؟ لفعله، لأنه شطن، بمعنى بعُد، بعد عن الخير، فكل واحد من جنسه - يجب أن تأتي لي بالقيد —كل واحد من جنسه بعُد عن الحق يسمى شيطانًا، هو فقط الذي يسمى شيطان؟ انت في الآية ذكر لك أن هناك شياطين الإنس، من هم شياطين الإنس؟ من جنس الإنس بعدوا عن الخير، حتى الحيوانات فيها شياطين من نفس جنسها، لا أن يتلبسها الشيطان كما تتصورون، لا، من نفس جنسها.

النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الكلب الأسود شيطان، ما معنى أنه شيطان؟ ليس معناه أنه تلبسه الشيطان فيأتي منكم أنكم تقرؤوا آية الكرسي عليه وتفعلون هذا الفعل!!، لا ليس هذا المعنى، المعنى أن من هذا الجنس — جنس الكلاب — أكثر شرًا، هو من جنس الجن، وهذا يعتبر شيطان رأسهم، وأصبح اسم علم عليه، اختلط عليكم أنه أصبح اسم علمًا له، فاختلط عليكم بين اسم العلم واسم الجنس.

كلمة شيطان اسم جنس لكل من بعد عن الحق من جنسه، بعد عن الخير من جنسه، فهناك شياطين الإنس، وهناك شياطين الجن، وهناك حتى شياطين في نفس الحيوانات، أنه به إيذاء إلى أخره.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: كل الذي يكلمك عن هذا ولا يأتي بأدلة على هذا يلتزم الصمت، لأن واحد يتكلم عن مخلوق من مخلوقات الله لابد أن يكون عاشرهم، وعاش معهم من أجل أن يتكلم عنهم، بمعنى أنه لو أتى أحد يتكلم عن الحيوانات في غابات أفريقيا مثلًا، نقول هل أنت باحث فيها أو قارىء عنها؟ يقول نعم أنا قرأت عن الناس الذين عاشوا معها هناك واكتشفوا، واحد يتكلم عن النباتات نقول هل درست أو قرأت نقول نعم، أمَّا درست أو قرأت ممن درس.

تعال إلى الجن؛ عالم عندك أخبار وردت في القرآن والسنة عنهم، إلى هذه الأخبار وفقط، هذا حدنا، التطاول أكثر من هذا في هذا الموضوع في الغالب لا يأتي إلا ممن يريد أن يسيطر عليك فكريًا، فيفهمك أنه يفهم شيء انت لا تعرفيه، ويتكلم ويأتي لك بقصص وحكايا وكلام لا تعرفي له إثبات وفي نفس الوقت أوقع الرعب في قلبك، وهذه سياسة الضغط على الناس.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أنا أقول إذا كان هناك خبر، معتمدين على خبر سمعنا الكلام، ليسوا معتمدين على خبر نترك هذا، عندما يتكلمون على الإنسان أليس عندهم أدلة تدل على أن الإنسان من طين وأنه كذا وأنه كذا، وهذا موجود في القرآن، الخبر عن خلق الإنسان من طين أتى، الخبر عن خلق الجن أتى في كتاب الله، أنا لا أنكر هذا الخبر، أنا أنكر الكلام أن هناك كذا وكذا من أجناسهم، من أين لكم هذا الكلام؟!.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: اترك هذا الكلام، هذا الكلام له استنباطه، فلنبقى في مكاني الآن، أنا أقول لك كون الإنسان يستطيع أن يدرس الناس وصفاتهم أمر ممكن، لا بأس، يتكلم عن الناس ممكن أن يعرف صفاتهم، عاشرهم من جهة وأيضًا استنبط من النصوص، هناك كلام صريح وهناك استنباط، إذا استنبط عن الجن تكون مجرد استنباط ليس لها استدلال، سيقبل استنباطه إلى حد، لا يقبل إلى درجة أني أعايشه.

على كل حال من أدخلكم إلى هذا؟!، هم معلومتان وانتهي الموضوع، أن الأحوال الشيطانية يمكن أن يكون فيها خارق للعاده، هذا الذي نريد أن نصل إليه، باقي الكلام هذا ليس له داعي.

المهم تفهموا أن كثير ممن يدّعي الكلام حول الأحوال الشيطانية ويكلمك عنه كثير منهم في حقيقتهم جهال، وممكن يريدوا أن يسيطروا عليك شخصيًا أو يكون سُيطر عليهم بالتفكير فيوصلوا لك إياه، انت لا تتكلم في شيء لا تفقهه، ولا تقبل الكلام بدون دليل.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الدجال عندما يعطى خارقة العاده هذا أيضًا من الابتلاء والفتن والامتحان.

انتهى الوقت على كل حال.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٣٥٠].

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمدلله الذي يسر لنا هذا اللقاء ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاءًا مباركًا مرحوما.. اللهم آمين.

تكلمنا عن باب ما جاء في الكهان، وبدأنا في الكلام حول الكرامات، وكلامنا حول الكرامات وخوارق العادات علاقته بالكهانة واضحة، لأن المتكهنين – أهل الكهانة – الذي وظيفته أن يكون كاهن لا يعبر عن نفسه بهذا الاسم، إنما يعبر عن نفسه بأنه الشيخ الصالح، التقيّ، الوليّ، أن هذا بعض كرامات الأولياء، هذا حال حافظ القرآن، أن حافظ القرآن يفتح له.

هم يعبرون عن أنفسهم بهذه الطريقة، لا يأتي الكاهن يقول لك أنا كاهن، إلا في البلدان أو الأوضاع أو الأحوال التي مسخ فيها الدين، التي لا قيمة للدين فيها، مثلًا في بعض الانتخابات في الدول الديمقراطية كانوا يستعينون بالكهان، يعني ينزلوا الانتخابات ثم يسأل كاهن هل سأفوز أم لا، هل اللقاء الجماهيري أفعل أو لا أفعل، وواضح بالنسبة لي أنه يستشير كاهن، هذا في الدول أو الأماكن التي فقد فيها الدين، لكن الدول والأماكن التي فيها دين الغالب أن الكاهن لا يقول عن نفسه أنه كاهن، إنما لابد أن يوجد صلة بينه وبين الدين [شيخ، قارىء للقرآن، إمام مسجد] بحيث أنه يصور لك الكهانة على أنها كرامة.

وهذا المقصود الآن فهمه، لماذا نناقش في باب الكهانة الكرامة – خوارق العادات – لماذا نناقشها؟ من أجل أن يكون عندك انت تمييز، فلا تكون ممن أنكر الكرامات إنكارًا تامًا، ولا تكوني ممن أثبت شيء يكون وسيلة إلى الشرك، تثبتي لأشخاص كرامات ثم تكون هذه الكرامات وسيلة إلى الشرك.

ناقشنا أن خواراق العادات ممكن أن تظهر بثلاثة صور: [معجزات، وكرامات، وأحوال شيطانية].

ما هي خارق العاده؟ شيء يحصل على خلاف السنة الكونية.

خارق العاده عندما يحصل على خلاف السنة الكونية يسبب إبهار للناس، يبهروا الناس، ومن هنا يبدأ يصبح للشخص مكان عند من يخاطبهم، عندما يبهروا بما أتى به من خارق للعاده يقع في قلوبهم أن هذا له مكان، لكن لابد أن تفهمي أن ليس كل خارق عاده يدل على أن صاحبها صاحب مكانة عند الله.

الآن نقرر: أنه على المسلم أن لا ينخدع بكل ما هو خارق للعاده، فإن خوارق العادات كما تحصل لأولياء الرحمن فربما تقع بعض خوارق العادات لأولياء الشيطان.

يعني تقع لأولياء الرحمن، وتقع لأولياء الشيطان، أولياء الشيطان المقصود بهم [السحرة، الدجالين، المشعوذين] هؤلاء كلهم يمكن أن تقع منهم خوارق للعادات، مباشرة لو سألتي لماذا؟ فتنة وإبتلاء.

---

[٣٥٠] بداية لقاء جديد لاحق لتكملة الباب؛ تم جمع التسجيل بهذه الطريقة لمواصلة الباب كله وعدم تجزئته.

سنقارن الآن بين كرامات الأولياء والأحوال الشيطانية.

كأن أول خانة في التفريق بين كرامة الأولياء والأحوال الشيطانية من أين تأتي.

من أين تأتي

كرامة الأولياء تأتي من الله، الأحوال الشيطانية من الشيطان، وطبعًا الشيطان ليس خالقها إنما هو الذي يلقيها في قلبه ويمكنه الله عز وجل من ذلك.

أهلها

كرامات الأولياء ما سببها؟ الإيمان والتقوى والعمل الصالح.

ما سبب الأحوال الشيطانية؟ سببها ما نهى الله عنه ورسوله من الشرك والظلم والفواحش.

أهل كرامات الأولياء مختصة بأهل الاستقامة، والأحوال الشيطانية مختصة بأهل الضلال.

أماكنها.

كرامات الأولياء من أعظم ما يقويها أو يسببها العلاقة بالقرآن سماعًا وتلاوتة والعمل به، فكرامات الأولياء تقوى بذكر الله وتوحيده، أيضًا من أعظم أسباب الكرامات لزوم المساجد التي هي بيوت الله.

بالنسبة للأحوال الشيطانية أعظم ما يقويها سماع الغناء والملاهي، المهم سماع الأنغام سواء كانت هذه الأنغام عبارة عن أغاني، أو ما يسمونه بالوجد، الوجد ما هو؟ ما يجدونه في نفوسهم من طرب أثناء قول الأذكار الجماعية التي فيها لحن، الأذكار الجماعية فيها لحن وفيها طبول، فهم يجتمعون على أنهم يذكرون وهم في الحقيقة يطربون.

فأصبحت الأحوال الشيطانية ممكن أن تكون لأهل الضلال من جهة فجورهم وحبهم للدنيا، وممكن لأهل الضلال أهل البدعة، لأن من أهم ما يقويها السماع، كلمة السماع يدخل داخلها سماع الأغاني والملاهي، وهذه الأغاني والملاهي ممكن أن تكون على وجه الفجور، يعني يسمعوا كلامات الحب وإلى أخره، والسماع أيضًا ممكن أن يكون ما يسمى بالوجد، الوجد ما هو؟ ما يجدونه من مشاعر داخل نفوسهم، مشاعر طرب أثناء الذكر الجماعي، يتحلقون ويذكرون ويستعملون الطبول، ويدخل فيها أنهم يرقصون إلى أخره، ففي هذه الحال – أي في وقت السماع – يكون فيهم الأحوال الشيطانية.

هناك عندما قلنا أهلها أهل الضلال يجب أن تفهمي مَن هم أهل الضلال، مَن هم أهل الضلال يقصد بهم مَن؟ أهل الفسق وأهل البدعة أيضًا، أهل البدعة من نوع معين، نوع معين من البدع يكون داخل في هذا الباب، من لهم أذكار ولهم وجد ولهم ما يسمون بالتتريب والسماع، هذه كلها – التتريب والسماع – هذه كلمات كلها في الزمن الأول، هذه كلها كلمات لها نفس المعنى المقصود هنا عبارة عن الوجد، يسمعون على أنهم يذكرون وهم يستعملون الطرب، هذه صورة واضحة تجدها عند الصوفية بوضوح، أكيد أنكم رأيتم وسمعتم مثل هذا، لها اسماء مختلفة عبر التاريخ.

أيضًا مما يقوي الأحوال الشيطانية الإنقطاع في المغارات والبوادي والجبال والصحاري، يعني سماع يقابل سماع، يعني كرامات الأولياء تأتي من سماع القرآن وتلاوته، والأحوال الشيطانية تأتي من سماع الغناء والطرب به سواء على وجه الفجور أو على وجه البدعة.

ثم – انظري للنقطة الثانية– لزوم المساجد سبب لكرامات الأولياء، والإنقطاع في البوادي والسحاري سبب للأحوال الشيطانية.

فانت تري أن المسألة متقابلة بالضبط، هؤلاء السماع يؤثر فيهم وهؤلاء السماء يؤثر فيهم، هؤلاء المكان الذي هم فيه يؤثر فيهم وهؤلاء أيضًا المكان الذي هم فيه يؤثر فيهم.

والله عز وجل عاب على المشركين في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً ﴾ ما المقصود بمكاء؟ التصفيق، ﴿وَتَصْدِيَةً﴾[٣٥١] التصفير، فهذه كانت عبادة المشركين، وعاب الله عز وجل عليهم عبادتهم، الآن من يعبد الله بنفس الطريقة حتى لو قال أنه من أهل الإسلام فيه شبه من أهل الجاهلية.

موقف أهلها منها.

الآن عندما تظهر هذه الخوارق للعادات ما موقف أهلها منها حال ظهور الخارقة؟ ما موقف أهلها منها؟

انظري للأولياء: لا يستغلون ما يجريه الله على أيديهم من الكرامات للنصف والاحتيال، ولفت أنظار الناس إلى تعظيمهم، وإنما تزيدهم تواضعًا ومحبة لله وإقبالًا على عبادته.

أهل الأحوال الشيطانية ماذا تفعل بهم خوارق العادات؟ يستغلون خوارق العادات للنصب والأحتيال، ولجلب الناس إلى تعظيمهم والتقرب إليهم، حتى أنك تجد في نهاية الأمر أن كل واحد من هؤلاء كون جماعة باسمه، لها طريقتها، ثم تجد منتشرًا بين الناس عبارة تقول: "لكل شيخٍ طريقة"، والمقصود "لكل شيخٍ طريقة" أن هؤلاء أصحاب الأحوال الشيطانية يجعلون لهم منهجًا وطريقة تخالف السنة، تخالف الشريعة، ثم يجعل الناس يتابعونه بما يجري على يديه من خوارق العادات

انتهت المقارنة.

نذكر كلام للإمام أحمد – رحمه الله – لمنهج أهل السنة والجماعة في هذا، يقول:

إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تعتدوا به، حتى تعرضوا أعماله على الكتاب والسنة.

يعني عندما يأتيك هذا الذي يدّعي علم الغيب أو يأتيك بالأخبار حتى لو أخبرك عن كرامات أو لم يخبرك، أهم شيء عندك ما مقدار استقامته، وتمسكه بالسنة.

طبعًا النقاش يطول حول الكرامة، لن ينتهي عن نفس الكرامة، لكن بهذا وصلنا إلى مقصدنا، فهمنا أنك لا تتصور أن خوارق العادات لا تأتي على الفجار، بل تأتي، وتأتي ابتلاء، انت فرق بينهم، من يأتي على يديه خوارق العادات وهو غير مستقيم ماذا يفعل بهذه الخارقة؟ يطير بها، يستغلها، يجعل الناس يعظمونه، يبتدع أشياء في مسلكه وطريقته يكون مخالف للسنة، كل هذا يحصل منه.

في موضوعنا نحن – الكهانة – ماذا يفعل؟ يدّعي علم الغيب، يعني يجعل من كراماته أنه يعلم الغيب، بمعنى أنه يأتيك يقول لك الله عز وجل أعطاني خارق للعاده أن أعلم ما في نفسك، أعطاني خارق للعاده أن أعرف ما هو موجود في بيتك، على أن هذا بسبب طاعته واستقامته ودينه، وهذا كله كذب، لأن خوارق العادات أو الكرامات لا يمكن أن يثبت بها حكم شرعي، ولا أن تخالف حكم شرعي، فعلم الغيب أمر لا يعلمه إلا الله عز وجل، فكونه يدّعي أنه دائمًا يستطيع أن يعرف أحوال الناس وما بهم،

[٣٥١] الأنفال:٣٥

هذا كله سيعارض أن الله عز وجل – خصوصًا لو كان يتكلم على غيب كلي – يقول أنا من كراماتي أني سأعرف ماذا سيحصل لك، هذا سيعارض حكم شرعي، مسألة شرعية واضحة أنه لا يعلم الغيب إلا الله.

على كل حال المشكلة الآن أنه لابد أن تميز بين الكرمات والأحوال الشيطانية من أجل أن لا يغرك هؤلاء الذين يظهرون بمظهر أن لديهم كرامات، ولابد أن تتصور أن من كان تقيًا على الحقيقة المفروض أنه يخفي الكرامة، لا يكون منه أن يبديها للناس ويجعلهم رهناء له تحت مسألة الكرامة.

ما معنى لا يثبت بها حكم شرعي؟ يعني لا يأتي واحد يقول أنا رأيت في السماء مثلًا أو سمعت في السماء صوتًا يقول لي رفعت عنك التكاليف، هناك من رأى مثل هذه الرؤية، ما رأى رؤية في المنام، بل رآها بعينيه، سمع صوتًا يقول له في السماء – يروى أن هذا الإمام أحمد – سمع صوتًا في السماء يقول له يا أحمد أنا ربك رفعت عنك التكاليف، إنشقت السماء ورآه، قال له كذبت يا عدو الله.

بماذا استدل الإمام أحمد؟ قال إن الله لا يُرى في الدنيا، فالذي نجاه من هذا البلاء ما معه من علم يقيني أن الله لا يرى في الدنيا، فهنا ستجدي صورتين لمسألة أن الكرامات لا يمكن أن تخالف الشرع.

المسألة الأولى: أن لا يمكن أن تأتي الكرامة ضد ما ثبت في القرآن والسنة من أن الله لا يرى في الدنيا.

المسألة الثانية: لا يمكن أن تأتي الكرامة فتسقط التكاليف عن أحد، الكرامة المفروض أنها سبب لزيادة إيمانك، ولزيادة أعمالك، لا لإسقاط التكاليف عنك.

وانت عندما تسمعي عن غالب الطرق الصوفية غالبها لا تسمعي إلا أنه سقطت عن شيخهم التكاليف، بل من كراماته أنه يجوز له [الزنا، اللواط، شرب الخمر] كل هذا من كراماته!.

على كل حال لا نريد ندخل في هذا الباب لأنه سيحصر الكرامة الشيطانية في فئة معينة، لكن الكرامة الخارقة الشيطانية هذه في هذه الفئة وفي غيرها، ليس شرط أن يكون دخل هذه الطرق، الطرق، ليس شرطًا، ليس كل من معه خارقة للعاده شيطانية يكون دخل هذه الطرق، هناك غيرهم لم يدخلوا هذه الطرق ولا اقتربوا منها لكن أستعملوها مباشرة في الكهانة والتنجيم، وأهل الطرق لهم هذا ولهم هذا، لهم في الطرق ولهم أيضًا في الكهانة والتنجيم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ليس لها علاقة هنا بالسحر، هي خارقة للعاده حقيقة وليس لها علاقة بالسحر، الشيطان يستعمله وهو يستعمل الشيطان، السحر ما هو؟ السحر أثر على شخص.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هل الأحوال الشيطانية فيها السحر التخييلي على أعين الناس؟ لا، خارقة بمعنى خارقة، اتفقنا وضربنا مثلين: ضربنا مثل للشيطان وأن الله عز وجل أنظره، هذه خارقة، ومثل أخر الدجال، وكيف أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت وكل هذا على وجه الحقيقة، ليس على وجه التمويه على الناس.

من أمس ونحن نريد نبيّن هذا الأمر، أن الخارقة يعني خارقة حقيقية، ليس خيالية تخييليه، تخييليه لم نزيد عن ما مضى من نقاش شيء!، كأننا رجعنا مرة أخرى للسحر التخييلي، هذا ليس له علاقة، هنا حقيقة يحصل له خارقة للعاده.

لكن السؤال: هل كل خارق للعاده يدلّ على أن صاحبه صاحب دين؟ يعني هل كل خارق للعاده كرامة؟ الجواب لا، ليس كل خارق للعاده كرامة، بل يأتي من –كما اتفقنا – من السماع ومن الاختلاء، فيصبح له أحوال شيطانية ثم يفعل أشياء خارقة

للعاده، الناس يروه يطير في الهواء، يطير حقيقة أو لا يطير؟ إذا أقول على هؤلاء من عندهم خارق للعاده نقول يطير حقيقة، وإذا أريد أن أقول على السحر التخييلي سأقول لا، هذا يوهم الناس.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هو لا يستخدمهم لكن هم يخدموه، نتيجة السماع، ونتيجة الإختلاء، ثم تجد غالبهم عباد للقبور، عصاة، أهل فواحش، معصيتهم جعلت لهم القدرة على فعل مثل هذه الأفعال، ما رأيكم تجعلوا الدجال مثال لكم، من أجل أن تفهموا المسألة جيدًا، الدجال هذا معه من خوارق العادات ما معه وهو عاص لله!، كافر!، لكن بلاؤه فتنة على الناس.

السحر التخييلي شيء أخر، هذا يكون ساحر ويتقرب إلى الشياطين ثم الشياطين تخدمه بأن تموه على الناس.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: يكون هذا الشخص له علاقة بالشياطين من جهة المعصية، من جهة التعامل مع القبور، هذا الشخص الذي تأتيه الأحوال الشيطانية ويعمل أعمال خارقة للعاده.

الظاهر مسألة خوارق العادات نفسها ملتصق في أذهانكم أنها لا تأتي إلا من الأولياء، وهذا الذي سبب مثلًا عندما تكلمنا على الشيطان وأنه كيف أعطاه الله عز وجل خارق للعاده بالنسبة إلى بقية جنسه في أنه انظر إلى يوم القيامة، الدجال واضح بالنسبة لكم، الدجال معه خارق للعاده، يقول للسماء امطري فتمطر، يقول للأرض انبتي فتنبت، هذا أليس خارق للعاده؟!، وهو كافر والله أبتلى به الناس، الدجال واضح حالته، في الوسط بين الشيطان والدجال هناك أحوال للناس، يكونوا هم بأنفسهم عصاة، عصاه هذا مسكلهم أنهم عصاه، سواء معصيتهم في الفجور، أو معصيتهم عبادة القبور التي تصل إلى حد الشرك.

ثم الله عز وجل ابتلاء للناس يجري على أيديهم خارق للعاده، وهذا الخارق للعاده يوهم الناس أن هؤلاء صالحين، أين موقف الشيطان هنا؟ الله عز وجل يجعل الشيطان معينًا لهذا، فتأتي خوارق العاده من إعانة الشيطان له، بمعنى أن الرجل لا بنفسه يتعبد الشيطان، لا، لا يتعبد الشيطان، إنما الشيطان يحضر له ويقدم له خدمات، المعونة، بدون من أن يطلب منه أو يتعبد الشيطان.

لا تتكلموا أبدًا عن السحر التخييلي، فلنبقى في مكانكم هنا، لأن هذا سيرجع مرة أخرى يأتي باللبس.

الآن ماذا تقولون في خوارق العادات التي نسميها الأحوال الشيطانية، صاحبها ما به؟ عاص، فاجر، ماذا حصل له؟ الشيطان أصبح في خدمته، الله عز وجل سخر له الشيطان يجري على يديه أشياء من خوارق العادات، كيف مكنه الله عز وجل؟ مكنه الله عز وجل إبتلاءً واختبارا، افهموا المسألة إلى هنا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: له ولمن حوله، والشيطان أصلًا يجربك، يجرب الناس، يعني الشيطان يأتيك أحيانًا ببعض الأخبار يقول لك الآن سيأتي على الغذاء مع زوجك ضيوف، يأتي يقول لك الآن زوجك عند الباب، الآن أولادك سيدخلون، الآن مثلًا سيرن الهاتف، اليوم لن تذهبي إلى مكان كذا، اليوم أولادك سيرجعون من كذا.

وكل يوم مع يوم تجدي أنه أصبح عندك في الداخل حدس تخمين ويصدق، وكل واحد يسميه كما يريد، الذي يسميه الحادسة السادسة إلى أخره.

كل هذا ماذا يحصل وراءه؟ إذا استسلمت له استعملك الشيطان، كيف تستسلم له؟ تأتي تقول الظاهر أني عندي شيء ليس عند الناس، الظاهر أني لي مكانة، إلى أخر هذه التعبيرات، إلى أخر كل الظنون التي ممكن أن تقع في نفس الإنسان حول هذا الأمر، النتيجة تبدأ من هنا الأحوال الشيطانية، ومن هنا يبدأ الشيطان يستخدم ابن آدم.

وتبدأ تقول للناس أنه سيحصل كذا وكذا، ويصيب ظنك وهذا طبعًا في الغالب يكون غيب جزئي، أو من إستراق الجن، إستراق السمع، لكن لاحظ هنا انت ليس لك علاقة، انت في مكانك، لا عبدت ولا طلبت، ولا أي شيء، الشيطان عرض عليك وانت استجبت، استجابتك هذه سبب لزيادة الأحوال إلى أن تبدأ تكاد أن تسمع كل يوم أخبار ستحصل، إلى أن تصبح رهين لمثل هذه الأشياء.

كيف تدفع مثل هذه الأشياء؟ الاستعاذة المباشرة، عدم إلتفات النظر لها، وغالب الناس يمر عليهم هذه الفترة، وتعرض عليهم هذه المشكلة في فترة من حياتهم ثم الموفق من يدفعها عن نفسه ولا يغتر، وتزيد طبعًا للناس الذين أصلًا عندهم معاصي، يصعب التخلق منها للناس الذين لديهم فسق وفجور، تصبح أصعب التخلص منها، من هذه الأحوال الشيطانية وبالذات مسألة الأخبار التي تأتيك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا من الأحوال الشيطانية أيضًا، أنك تأتي في موقف وتشعر كأنك عشته سابقًا، هذا كله أيضًا من الأحوال الشيطانية، وهذا غالب الناس يمروا به، مع كثرة الاستعاذة والصلاح تجده مدفوع عنك.

وانت لا يستوقفك مثل هذا، لأن هذه مشاعر يلقيها الشيطان في قلبك، وطبعًا لها بعض التفسيرات العلمية، ممكن تكون سبق العين، **ما معنى سبق العين؟** يعني عين ترى المواقف قبل العين الأخرى، في أجزاء من الثواني، فيخزن الدماغ الصورة ثم تعود تعيشيها من جديد ببصرك التام، فيكون معناه كأنك عشت الموقف مرتين، في السابق وفي اللاحق.

على كل حال سواء كان هذا التفسير صحيح أو غيره، هذا نوع من أنواع البلاءات التي لا دفع لها إلا بالاستعاذة، لأن الاستجابة تسبب الزيادة، والزيادة ترهقك نفسيًا وتجعلك مرهون بشيء قد يوصلك إلى الأختلال العقلي، وهناك أشخاص انفصلوا عن المجتمع والحياة بسبب الحالة السابقة، بسبب أن كل الأخبار تأتيهم، وكلما أستستلمت كلما زاد عليك الشيطان، وهذا الذي يجعل نساء كثيرة في البيوت كهان وهم لا يشعرون، تكون كاهنة!، لماذا كاهنة؟ الشيطان يمشي معها ويقول لها سيحصل لك كذا من الغيب الجزئي ويحصل، وسيحصل لك كذا ويحصل، وسيحصل لك كذا ويحصل، ثم هي تتكلم فيشعر أهلها بصدق كلامها، ثم تأتي أحوال تقول لهم لا تفعلوا سيحصل كذا وكذا، لا تخرج أنا أشعر أنه سيحصل كذا وكذا، فيبدأ يأتمرون وينتهون بكلامها!، ثم ماذا يحصل؟ ينتشر في حيهم، وينتشر في مدينتهم، الكلام عن سين أو صاد من الناس وكيف أنه يعلم مستقبل الأمر.

ومن هنا يأتي أنهم يأتون يستشيرونها، وعندما يستشيروها الشيطان يساعدها، يوحي لها، ومن زيادة البلاء أنها توافق الواقع الذي يحصل، وهذا كله بدون طلب.

الشيخ عبد الكريم – حفظه الله– يحكي عن شاب بقي في هذه الحالة ١٥ سنة، ١٥ سنة ووصل إلى حد أن يكون كاهن في مجتمعه، ثم أتت الشياطين بعد ١٥ سنة وهو يقول على هذا الشاب بلسانه، قالت له – طبعًا أصبح له مكان والناس أصبحوا يأتون له من كل فج – ثم أتت الشياطين قالت له أمَّا تسجد لنا أمَّا تنزل عن مكانتك!، كأنه استدراج للوصول إلى مثل هذه الأحوال، وانت تسمع من مثل هذا عجب!.

على كل حال إلى هنا انتهى كلامنا عن مسألة خوارق العادات ومتى تكون كرامة، ومتى تكون من الأحوال الشيطانية، المقصد أن لا تغتر، لأن غالب هؤلاء الذين يلعبون دور الكهان يوصلوا للناس عن طريق الكرامات.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة:هل يمكن أن يتعرض للأطفال سؤالك؟ يمكن أن يتعرض للأطفال.

❖ الدليل الأول.

نبدأ بالدليل الأول.

روى مسلم في صحيحه، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا " .

حديث أم المؤمنين حفصه بيَّن أن هناك فعل يترتب عليه الوعيد، ما هو الفعل؟ إتيان العرافين، وإتيانهم ممكن يكون حتى عن طريق المكاتبة أو المهاتفة، لا تتصور أن شرط الإتيان السير على الأقدام، لا، ليس شرطًا الإتيان السير على الأقدام، ممكن عن طريق المكاتبة أو المهاتفة.

أتى الكاهن فسأله، وهنا لم يتبيِّن لنا هل صدقه أم لم يصدقه، بالمقارنة بالحديث الثاني سيتبيَّن لنا أنه هنا لم يصدقه، ما هو الوعيد؟ " لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا "

رواية مسلم التي فيها " لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا " ليس فيها كلمة "فصدقه"

روى مسلم في صحيحه، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا " .

هذه هي رواية الحديث، وهناك خلاف طويل حول هذه المسألة، والرواية التي موجودة عندكم هي رواية الإمام أحمد وليست رواية مسلم، فنحن سنبقي أنها رواية مسلم ونحذف كلمة "فصدقه".

يعني هناك طريقتان للتغيير:

- أمَّا نغير رواه مسلم ونضع مكانه رواه الإمام أحمد.
- أو نقول رواه مسلم بدون كلمة فصدقه.

نميل إلى أن نترك الرواية من مسلم ونحذف فصدقه لأنها ستحل المشكلة بينها وبين الحديث الذي بعده.

"مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ" "عن شيء" هذه نكرة في سياق الشرط تدلّ على العموم، يعني سواء سأله في شيء مضى أو شيء لاحق، أي سؤال يسأل فيه إشارة إلى كهانته، إلى شعوره أنه كاهن، أي سؤال يعتبر صاحبه داخل في الوعيد.

السؤال: ما معنى هذا الوعيد؟ ما معنى عدم قبول الصلاة؟ عدم قبول الصلاة معناها عدم ترتيب الثواب عليها، أمَّا الصحة فالعبادة في نفسها صحيحة إذا استكملت شروطها الشرعية، ونحن نعلم أن الطاعات لها درجات في القبول:

- الدرجة الأولى صحة العمل، أن يكون العمل صحيح، وهذا فيه درجة إسقاط الواجب.
- الدرجة الثانية أن يكون العبد له نصيب من الأجر في عبادته في صلاته.
- الدرجة الأعلى أن يكون له الكمال في الأجر والمضاعفة.

يعني عندما تنظري للصلاة الآن تضعي ثلاثة مراتب لها:

عندما أقول لك في الحديث: " لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ" تدخل في الدرجة الأولى صحة الصلاة، "لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ" يعني هي ليست صحيحة، لكن نحن ندور حول كلمة مقبولة، ما معناها؟ القبول لها درجات أصلًا:

الدرجة الأولى: إسقاط الفرض عنك، عندما قال الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ" هنا" لَا يَقْبَلُ" ما معناها؟ يعني هذه الصلاة غير صحيحة، لا تسقط عنك الفرض، هذه الدرجة الأولى.

في الحديث: "مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا" أو هنا " مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ".

كيف تفهمي القبول هنا؟ مثل القبول الأول؟ لا، يعني انت تصلي وصلاتك إسقاط للواجب لكن ليس لك نصيب من الأجر، لأن الأول " لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ" معناها لو صليت أو لم تصلي سواء، صلاتك باطلة لابد أن تتوضأ، إذن عدم قبولها معناها أنها لم تسقط عنك الفرض، في الحالة الثانية عدم قبولها معناها أنه لم يكتب لك نصيبًا في الأجر.

الفارق في الواقع أن لو أحد أتى إلى هذا الحديث " مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا "قال مادام لا تقبل صلاتي إذن لن أصلي، نقول له كفرت، لماذا؟ لأن تركك للصلاة كفر، يقول لا تقبل صلاتي!، نقول معنى القبول هنا الثواب لكن لا يقصد به عدم إسقاط الفريضة.

صلاتك صحيحة من جهة أنها استكملت شروطها الشرعية، لكن الثواب حرمت منه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: افهميها بالطريقة الأولى لو تركها يصبح كافر، وعندما صلاها أسقط عن نفسه الفريضة، أسقط عن نفسه الفريضة أي قام بما يجب عليه، لكن ليس له ثواب عليها، لأن أصلًا عملك الصالح له درجات:

- إسقاط الفريضة.
- أخذ الأجر عليها.
- وصولك إلى درجة الكمال في الأجر والمضاعفة.

❖ الدليل الثاني.

وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: " مَنْ أَتَى كَاهِنًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . رواه أبو داود.

وللأربعة، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ: " مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفًا.

هذه الأحاديث لازال فيها [فعل ووعيد مرتب على هذا الفعل]، ما هو الفعل؟ لازال إتيان الكاهن حتى لو كان هذا عن طريق المكاتبة أو المهاتفة، أتى ثم سأله وصدقه، وهذا الفرق بين هذه الأحاديث والتي قبلها.

ما هو الوعيد؟ "كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ".

السؤال: لماذا يكفر الذي يصدق؟ هو كفر بما أنزل على محمد؛ سنقول:

❖ أولًا مما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم أن الله أختصّ بعلم الغيب ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هذا الخبر جاءك؛ أنه لا أحد يلم الغيب إلا الله، عندما يصدق الإنسان الكاهن يكون كذب بهذا الخبر.

الآن أأتي بخبر بما أنزل على محمد وأقول لك ماذا فعل به، من الأخبار التي أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم أن الله قد أختصّ بعلم الغيب، مثل آية النمل، آية النمل بينت أنه لا يعلم الغيب في السماوات والأرض إلا الله، الذي يصدق الكهان يعتقد أنهم يعلمون الغيب، ويرضى بذلك، من هنا أتى كفره بالخبر الذي جاء في القرآن، القرآن يقول لك أنه لا يعلم الغيب إلا الله، هو يذهب إلى الكاهن ويعتقد أن الكاهن يعلم الغيب، من هنا كفر بالآية.

- أيضًا مما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بالإيمان به وحده والكفر بالكهانة والسحر والعرافة، فقال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾[٣٥٢] ومن المعلوم أن الكهانة والسحر والعرافة من الطواغيت، الله عز وجل وصف بني إسرائيل أنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت، إذن ما وجه كفره؟ **أن تصديق العراف أو الكاهن فيه عدم كفر بالطاغوت، بل فيه إيمان بالطاغوت.**
- أيضًا مما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبر أن الكاهن والساحر والعراف لا يفلحون، كما أخبر في طه ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[٣٥٣] وهذا الذي يصدقهم يتصور أنهم يفلحون وهو يفلح معهم، فقد كَذّب الله عز وجل عندما أخبره أنه لا يفلح، يعني الله عز وجل يقول له ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ وهو يذهب له يتصور أنه يفلح هو ومن عامله، فهذا تكذيب، يعني يقول لك الله أنه لن يفلح، وتذهب له على أنك ستفلح في معاملتك معه، هذا تكذيب.
- أيضًا ورد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم أن الكهان والسحرة والعرافين يكذبون ولا يصدقون، قال صلى الله عليه وسلم في حديث إسترق الشيطان للسمع " حَتَّى يُلْقِيهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا ، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ" هذا خبر أتى من النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يذهب إلى الكاهن مصدق له معناه كذّب خبر النبي صلى الله عليه وسلم الذي فيه أن الكاهن كذاب، فهو ذهب له وهو مصدق أنه صادق.

هذا كله فيه بيان أن الذاهب إلى الكاهن المصدق له أنه كفر بما أنزل على محمد:

- جاء الخبر في كتاب الله أنه لا يعلم الغيب، وهو ذاهب متصور أن الكاهن يعلم الغيب.
- أُمر أن يكفر بالطاغوت ومن الطواغيت السحرة والكهنة إلى أخره، تجاوزوا الحدّ، طغوا، ادعوا أنهم يعلمون الغيب، هو بدلًا من أن يكفر بالطاغوت آمن به.
- أخبر أن الساحر لا يفلح وإذا كان لا يفلح أكيد من تابعه مثله لا يفلح، يذهب إلى الكاهن على أنه سبب لفلاحه.
- أخبر أن هؤلاء الكهنة كذابين، يكذبون مع الخبر الواحد مائة كذبة، يذهب له وهو معتقدًا صدقه.

هذا كله إشارة إلى أنه كذب على ما أنزل على محمد، من هنا أصبح حكمه الكفر، لأنه كفر بما أنزل على محمد وصدق هذا الكاهن، ولذلك هناك فرق بين الذي يذهب يسأله بدون تصديق، وبين الذي يذهب يسأله وهو مصدق.

---

[٣٥٢] البقرة:٢٥٦

[٣٥٣] طه:٦٩

الدليل الثالث.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " رواه البزار بإسناد جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: "وَمَنْ أَتَى.." الخ.

إذا نظرتي سيظهر هنا في الدليل طرفين، الدليلان اللذان مضيا دليلان على من أتى الكاهن، لكن نفس الكاهن؟ هذا الحديث ماذا يثبت لك؟

"لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ" يعني هو فَعَل فعل الطيرة أو أحد فعل له.

"أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ" من هو الذي تكهن له؟ الذي تكهن له هو نفسه الذي أتى الكاهن في الأحاديث التي مضت.

لاحظ كلهم يدور حكمهم حول"لَيْسَ مِنَّا".

"لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ" ثم في أخر جملة في الحديث " وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ".

ما هي المنهيات الثلاثة في الحديث؟

- الطيرة.
- الكهانة.
- السحر.

ما وعيد الفاعل؟ "لَيْسَ مِنَّا".

ما معنى "لَيْسَ مِنَّا"؟ عندما يقول النبي صلى الله عليه وسلم "لَيْسَ مِنَّا"؟ هات أحاديث من ذاكرتك فيه "لَيْسَ مِنَّا"؟

"لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا".

"مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا".

هذا كله ماذا تفهمين منه؟ ليس كامل الإيمان، – لا تكتبوا، لأن هذه الأحاديث ليست موضوعنا – لأنه هناك نوع "لَيْسَ مِنَّا" فيها دلالة على نفي كمال الإيمان، وهناك نوع فيه نفي الإيمان بالكلية.

إذن انت الآن كيف تفهم "لَيْسَ مِنَّا" ؟"لَيْسَ مِنَّا" مثل "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ".

لا يؤمن على ظاهرها نفي الإيمان تمامًا، كيف تفهمها "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" معناها نفي كمال الإيمان.

"لَيْسَ مِنَّا" كيف تفهمها؟ على حسب العمل، يعني ترجع تنظر إلى العمل، إذا كان العمل مثل الغش، مثل عدم توقير الكبير، هذا فيه إشارة إلى نقص الإيمان.

وإذا "لَيْسَ مِنَّا" مثل الطيرة ومثل السحر والكاهنة التي لها أحكامها أصلًا فتفهم أن ليس هنا نفيًا للإيمان.

"لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ" إلى هنا أنتهى المقطع الأول، ثم: "وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " هذا تقرير أخر.

التقرير الأول الذي فيه "لَيْسَ مِنَّا" فيه التطير والتكهن والسحر، انتفى عنه الإيمان.

المهم أنك ستأخذي كلمة "لَيْسَ مِنَّا" وتفهميها على حسب العمل الموجود:

⇦ فإذا كانت مثل الغش ومثل عدم التوقير تفهمي أنها إشارة إلى نقص كمال الإيمان.

⇦ وإذا كانت المسألة التي فيها عبارة "لَيْسَ مِنَّا" أصلًا لها أحكام الشرك والكفر مثل السحر ومثل الكهانة ومثل التطير فهذا معناها نفي الإيمان.

على كل حال منهج أهل السنة والجماعة في كلمة مثل "لَيْسَ مِنَّا" أن هذا من نصوص الوعيد التي تجرى على ظاهرها، ليكون ذلك أبلغ في الزجر.

يعني عندما يأتي أحد يقول لك ما معنى "لَيْسَ مِنَّا" ؟ نقول: هذه من نصوص الوعيد التي تجرى على ظاهرها.

نجريها على ظاهرها لأنه سيدخلها نقاش طويل هل معنى ذلك ينتفي الإيمان أو يبقى؟!، المهم هذا نوع من أنواع الوعيد، تتبيَّن لك المسألة عندما تعرفي الشيء الذي توعد عليه الإنسان بهذا الوعيد.

⇦ كأنك تأخذ التطير نفسه وتذهب تبحثه، ما حكمه؟ سيكون حكمه أنه شرك أصغر، إذن هذا نقص لكمال التوحيد الواجب.

⇦ تعال إلى الكهانة وإلى السحر، الكهانة إذا صدق كفر بما أنزل على محمد، إذن "لَيْسَ مِنَّا" معناها الكفر هنا، وإذا لم يصدق معناها نقص كمال التوحيد أيضًا الواجب.

⇦ لو أتينا إلى السحر: السحر كفر، "لَيْسَ مِنَّا" معناها خرج من الدين.

يعني تأخذي كل كلمة من هذه الكلمات التي تحت "لَيْسَ مِنَّا" وتفهميها بالأدلة الأخرى، هذه من نصوص الوعيد التي لابد على إجرائها على ظاهرها.

نقرأ الآن كلام البغوي في تعريف هؤلاء.

قَالَ الْبَغَوِيُّ : الْعَرَّافُ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ ، وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وقيل: هو الكاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيَّةَ : الْعَرَّافُ : اسْمٌ لِلْكَاهِنِ وَالْمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ ، وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ .

نأتي إلى هذه الأقوال ونفهمها.

نبدأ بالقول الأول: قول البغوي:

الْعَرَّافُ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ ، وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

ما معناه؟ هذا يدّعي معرفة الغيب بأمور يستعملها تُفعل أمام أعين الناس، مثل [الضرب بالحصى، مثل الخط في الرمل، أو الخط في أوراق، أو قراءة الكف والفنجان، أو نثر السُبح، يأتي إلى السبحة يفرطها وينثرها، أو اسماء ينطق بها حتى يستحضر الشياطين] كل هذه الأفعال يستدل بهذه الأمور في نظره على المسروق والغائب، "الْعَرَّافُ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ".

يعني تأتيه المرأة تقول له ضع علي كذا، يخرج سبحته ويفطرها وينثرها على أنه الآن سيعرف مكان الضالة من خلال هذه السبحة!، من خلال نثرها، وهو أصلًا الشياطين توحي له، فأمام الناس نثر السبحة هو الذي دله، وهو أصلًا يوحي إليه من فعل الشياطين أين مكان المسروق "الْعَرَّافُ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ"

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الغيب الجزئي، هي سرقت، فالجن عندها قدرة على التجول فتعرف مكان المسروق، أو مكان الضالة، فهو يدّعي أن نثره مثلًا لهذه الحبوب أو خطه في الأرض هو الذي دله على ذلك، مع أن لا علاقة لهذا بهذا، لكن يغر الناس أن هذا هو الطريق لمعرفة مكان الضالة أو مكان المسروق.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: بمقدمات يعني هذه الأفعال التي يفعلها، أمام الناس يفعلها، مثله قراءة القرآن، لأنك عندما تقرأ القرآن من قال لك أن هذه طريقة لمعرفة مكان الضالة!، من قال لك هذه الطريقة!، إنما هذا كله لمجرد التمويه.

ننظر إلى القول الثاني، من هو العراف؟

الكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل،

هذا القول معناه أن العراف والكاهن اسمان لشيء واحد، لأن كُلً منهما يخبر عن الأمور الغائبة، يخبر عن الأمور الغائبة بواسطة الشياطين، ويخبر بما سيحدث في اليوم الفلاني، أو متى يقدم الرجل من سفره، أو ماذا ستلد المرأة، كل هذا من أخبار الغيب الجزئي.

الآن مثل هذه الأمور لم تصبح غيبًا جزئيًا، لأن المسافر مثلًا معه من الأدوات الحديثة التي ممك أن نعرف بها متى سيأتي، والمرأة هناك من الأجهزة ما تبيَّن متى موعد الولادة تقريبيًا، نوع الجنين، وكله فيه أخطاء طبعًا، لكن المقصد أن الأدوات الحديثة كسرت كثير من أنواع الكهانة، لأن أنواع الكهانة أصلًا السابقة معتمدة على قوة الاتصال، يعني البشر عندهم ضعف في الاتصالات في الزمن الماضي، والجن عندهم قوة اتصال، وسرعة تجوال، فسرعة التجوال وقوة الاتصال بالنسبة للجن جعلت الإنس رهناء لهم.

اليوم انت عندما تنظر للعالم اليوم تجد أن سرعة الاتصال كسرت شيء كثير من الكهانة، فسرعة الاتصال التي وصلنا لها الآن تعتبر عند الجن حدث قديم، عندهم هذه القدرة من الزمن الأول، نحن الآن أستطعنا أن نتواصل بهذه السرعة، ولازالت السرعة ضعيفة بالنسبة لهم، فلازال هناك أمور غيبية يمكن أن يحصل فيها شيء من الكهانة.

اليوم مثلًا تسقط طائرة –كما سمعتم في الأحداث الماضية – تسقط طائرة يبحثون عنها ولا يجدونها، ومع وجود الأقمار الصناعية والكشف الدائم ومع وجود هذه المواقع التي أطلقوها في السماء مع ذلك لا يستطيعون أن يدركوا كل شيء موجود في الأرض، في المقابل أن الجن عندهم القدرة على إدراك غالب الأماكن والدخول فيها، فقوة اتصالاتهم أقوى من قوة أتصال البشر، ومن هنا أتت الكهانة أسرع لهم، يعني هم يستخدموا في الكهانة والغيب الجزئي أسرع.

المهم كلما وجدتي الحضارة ترتفع وطرق الاتصالات تنتشر كلما وجدتي أن الكهانة تنخفض، لماذا؟ لأن أصلًا الكهانة عبارة عن استخدام قدرة الجن في الاتصالات السريعة والحركة السريعة للإتيان بالأخبار.

مثلًا عندما تجدي في كتب ابن تيميه يأتي يقول لك عبارة ربما تستغربينها، كلام معناه **"من الكهانة التسعير"**، فيأتي سؤال ما معنى "من الكهانة التسعير"؟ التسعير بمعنى السعر، فكيف من الكهانة؟ التسعير بمعنى انخفاض سعر المنتج أو ارتفاعه.

كيف يكون من الكهانة؟ نعم يكون من الكهانة، لماذا؟ لأن مثلًا في الزمن الماضي هذه المدينة يؤتى لها مثلًا بالزيتون من الشام، يكون في المدينة شيء من الزيتون، فجأة يرتفع سعره، لماذا رفع التجار سعره؟ لأن أتتهم أخبار عن أن الزيتون في الشام مثلًا أتته آفة، محصول الزيتون أتاه آفة، فالسنة لن يأتوا لكم بالزيتون، فالذين في المدينة يرفعون سعره لأنه لن يأتي.

الخبر هذا ممكن أن يأتي عن طريق مثلًا التجار القادمين وهذا سيأخذ زمنًا، وممكن أن يأتي عن طريق الجان، الكهنة، فيذهب التاجر إلى الكاهن ويسأله أبيع بهذا السعر أو أغلي، فيأتيه الجان يخبره بأنه فإذا كان سيأتي كمية كبيرة فيخفض السعر ويبيع المنتج الذي عنده، أو إذا كان سيأتي زمن قحط أو آفة، فيخزن ما عنده ثم يخرجه يبيعه بسعر عال، هذا كله يستعمل في الكهانة، لأنه لو كانت بقوافل التجارة سيأتيه الخبر متأخر يكون نفذ ما عنده من كمية، أو علم كل الناس الأمر.

الآن هل نحتاج إلى كهانة للتسعير؟ لا، لا نحتاج إلى كهانة، لأن كل يوم البورصة العالمية تبيِّن لك أسعار كل شيء موجود، والأسهم وارتفاعها وانخفاضها إلى أخره.

ومن ثمَّ تفهم اليوم أن كثرة الاتصالات، كثرة المواصلات نوع من أنواع كسر الكهانة، والعكس بالعكس؛ كلما قلت قوة الاتصال عند البشر كلما زادت قوة الكهانة في المجتمع.

القول الثالث في العراف:

وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

يعني يخبر عن ما في النفس ولا يعلم ما في القلوب إلا الله، لكن الشيطان قد يعرف شيئًا من هواجس الإنسان لأنه هو الذي يوسوس للإنسان.

يعني هو الذي يهمس له بالفكرة ثم يأتي الرجل عند العراف فالعراف يقول للإنسان في ماذا كان يفكر، من الذي ألقى الفكرة أصلًا في عقله؟ الشيطان، ثم الشيطان يقولها للكاهن أو العراف، والعراف يقولها له.

انظروا المثلث: يبتدأ الشيطان رأس المشكلة يقولها للإنسان، ويقولها أيضًا الشيطان للعراف، يعني الرأس الشيطان يقولها للإنسان ويقولها للعراف، ثم العراف يقولها للإنسان، فيتصور الإنسان أن العراف يعرف ما في ضميره.

ومن أجل ذلك عندما أتى السؤال أمس في الألعاب تأتي تقول لها خمن رقم في عقلك، ثم الثانية تقول لها الرقم، أصلًا كيف هذه اللعبة تأتي؟ الشيطان يلقي أصلًا الرقم في ذهن الأولى – ارسموا مثلث لتتصوروا المسألة جيدًا– رأس المثلث الشيطان، يلقي الرقم على " أ " التي طُلب منها أن تخمن رقم، ويلقي نفس الرقم على "ب" التي طلبت التخمين، هذه لعبة، واحد يقول لواحد خمن رقم في عقلك ويخمن، من الذي يلقي الرقم في عقلك أصلًا؟ الشيطان، كأنه مثلث رأسه الشيطان:

"أ "التي طلب منها أن تخمن.

"ب" الطالبة.

الشيطان كأنه فوق يلقي الرقم في" أ"، ويلقي نفس الرقم في عقل "ب"، ماذا يفعل "ب"؟ "ب" الذي قال له خمن وأنا أقول لك الرقم، يقول لـ "أ "الرقم، ومن أجل ذلك تصوري الإنبهار الذي سيحصل؟!، أنه كيف تعرف ما في عقلي ولم أقل لأحد!، وتخيلي هذه اللعبة يلعبوها الأطفال في الابتدائي، من أجل أن تتصوري قوة حرص الشيطان على نشر الكهانة، لابد أن تتصور أن الشيطان

يعرض على الناس الكهانة، يقوي فيهم هذا الأمر، لأن تخيلي شعور من تطلب ويبهر من أمامها تخيلي ماذا يأتيها مشاعر؟ أنها سيطرت على الذي أمامها، فتقوى فيها مشاعر حب الارتفاع على الناس، ومن ثمَّ يسيطر عليها الشيطان.

إذن الذي يخبر عن ما في الضمير اتفقنا أنه لا يعلم ما في القلوب إلا الله، لكن الشيطان قد يعرف شيئا من هواجس الإنسان، لأنه هو الذي يوسوس للإنسان ولأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فيعرف الشيطان من الإنسان ما لا يعرفه الإنسان من الإنسان، فيخبر بذلك صاحبه من الإنس، فيقول: أراد فلانًا كذا وقصد كذا، فإن أضمر الشخص شيئا يقول له أضمرت كذا وكذا، يعني الشيطان يقول للإنسي الثاني – الكاهن – ثم يطلق على لسانه.

انظري القول الرابع:

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيَّةَ : الْعَرَّافُ : اسْمٌ لِلْكَاهِنِ وَالْمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ ، وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ .

إذن ابن تيميه ماذا يرى؟ أن كلمة العراف عامة، يدخل تحتها كل من يدّعي معرفة المستقبل، سواء بكهانة أو بتنجيم أو بخطٍ في الرمل، فكلهم يتعاملون مع الشيطان ويتقربون إليه.

نشير هنا إلى مسألة متطورة في الكهانة.

هناك أجهزة كمبيوتر يكتب عليها مثلًا جهاز تحليل الشخصية، ماذا يفعل الإنسان؟ يأتي عنده ويدفع مبلغ من المال، ويطلب الجهاز منه اسمه واسم أمه، وأن يضع كفه اليمنى في مكان مخصص في الجهاز، كأنه يلتقط صورة لليد، مثل الـ scan ثم يطبع الكمبيوتر يُخرج معلومات عن هذا الشخص، أنه انت كذا، ووضعك كذا، وشخصيتك كذا، وبرجه، والأيام التي يفضلها!، هو يقول له!، أصبح شيطان مع الكمبيوتر بدلًا من الإنسان!، فمثل هذا كهانة بصورة متطورة، هو حقيقته تحتاج إلى معرفة خلفية واضحة عن طريقة البرمجة وإرسال المعلومات، عن طريق الشبكات، الكاهن وراء السُتر في أي مكان، وهناك شبكة بين هذا الجهاز وبين الكاهن، الكاهن الرجل، فهذا يُدخل معلوماته ويكتب اسمه واسم أمه ويأخذ صورة من كفه، ثم الثاني يكتب له إرسال ويعطيه المعلومات وينتهي الأمر، وهذا يكون أحيانًا في متاحف في دول عربية أو في دول إسلامية،

ممكن أن يكون في أي مكان

المهم كن على حذر، لأن مثل هذه المصيبة أصبحت لها قيمتها من جهة الاستنزاف المادي، وأيضًا أصبح لها قيمتها من جهة مشاعر الناس أنه ليس كاهن، لا تستطيعوا أن تقولوا عنه كاهن!.

الآن في اليابان جهاز ماذا تريد أن تحلم!، يعني ماذا تريد أن تحلم في الليل! هذا حقيقة!، يعطوك ورقة أن تكتب أو ترسم ماذا تريد، ويدخلوا هذه الورقة في الجهاز، يجعلوك نائم في سرير والجهاز أعلى منك، ويدخلوها، مثلما تأخذوا وقت في الأشعة عشرة أو خمسة دقائق ثم يقولون له أذهب إلى بيتك ستحلم هذا الحلم، ويراه!، ماذا تفسرون هذا إلا استعمال من الشياطين طبعًا، أمَّا في الرؤى والأحلام هذا موضوع واضح أن الشياطين لها في هذا الباب، لكن لك أن تتصوري أنهم يشعرون أنهم اخترعوا أن حتى الذي تريد أن تراه في منامك ستراه!، إلى هذه الدرجة!، تخطفهم الشياطين.

مثله التنويم المغناطيسي؛ أفتت اللجنة الدائمة أن التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة حيث يسلطه المَنوِم على المَنوَم، هناك واحد ينوم أخر في التنويم المغناطيسي، المَنوِم يعني الشخص الذي يقوم بالعملية يسلط هذا على المنوَم، فيتكلم بلسانه ويكسبه قوة على بعض الأعمال بالسيطرة عليه، وطبعًا كلما ضعف الإيمان كلما كان أسرع في السيطرة.

انتم تتصوروا ما مصالح التنويم المغناطيسي أصلًا؟ هم يقولون كلام لكن حقيقة في الواقع هم يستخدمون التنويم المغناطيسي لواحد مثلًا له منزلة ويعرف أرقام سرية في وزارة الدفاع، في وزارة المالية، مثلًا اختراقات أرقام سرية، فيأتوا بواحد ويسيطروا عليه ويخرجوا منه الأرقام، هذا في الغالب، لكن في العلاجات النفسية نادرًا أن تجد أن أحدًا يستخدم التنويم المغناطيسي، هذا كلام في الأفلام فقط، لكن في الواقع في العيادات النفسية نادرًا ما يستخدم التنويم المغناطيسي.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: من يستخدمه يكون كاذب، ليس صحيح، التنويم المغناطيسي عملية موجودة.

يبقى هل هو في الطب؟ عندما تجمعي كل المعلومات حقيقة تجدي أنه لا ليس لها علاقة بالطب إنما الحقيقة أنها نوع من أنواع استخدام الجن لأنه في الأصل عندما ترجع لأصل التنويم المغناطيسي ستجديه من آثار الحرب العالمية الثانية، فتجدي أنه أصلًا استعمل في هدف معين ثم بدأوا يتكلموا عنه أنه من أسباب العلاج النفسي، حتى لو استعمل لكن لا يستعمل بالصورة الحقيقة، يعني لا يجدون سيطرة حقيقة على الشخص بدون استخدام الجن لا يستطيعوا أن يسيطروا.

يعني ممكن واحد يقول لك أنا درست نظرية التنويم المغناطيسي وسأنفذه عليك، يستطيع إذا كان قوي جدًا بدون استخدام الجن، إذا قوي جدًا يستطيع أن يصل معك فقط أن يفقدك الوعي أنك تنام، يفقدك الوعي أن تنام لكن أكثر من هذا لا يستطيع إلا باستخدام الجن، وأن تنام أيضًا بقوة إلى أن يستطيع ذلك ليس بعملية سهلة، لكن التنويم المغناطيسي له أهداف أخرى.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أصبحت تشكيله، يقرأ القرآن ويرقي ويستعمل التنويم المغناطيسي، لكن أكيد هذا أقرب ما يكون للدجل، أقرب من أن يكون للصحة، لأن التنويم المغناطيسي كما اتفقنا لابد فيه من استخدام الجن وهذه فتوى اللجنة الدائمة، وانتم تعلمون أن اللجنة الدائمة عندما تفتي بمثل هذه الفتوى لا تفتيها بدون دراسه! لا، لابد من تشكيل لجنة تدرس الأمر من المختصين، ثم اللجنة التي تدرس الأمر هي التي ترفع للجنة الدائمة تقرير ثم اللجنة الدائمة هي التي تفتي عليه، في أي مسألة تخصصية اللجنة الدائمة لابد لها من تقرير لجنة متخصصة، وليس شرطًا أن تكون هذه اللجنة متخصصة شرط أن يكونوا أهل دين، لا، مجرد أنه في تخصصهم، يعني لو مسألة مالية مثلًا، مثل التأجير المنتهي بالتمليك، يأتوا بلجنة متخصصة اقتصادية تشرح الموضوع ثم هم يقرروا عليه، فالتنويم المغناطيسي اللجنة الدائمة ما أفتت فيه إلا بعد دراسة لجنة متخصصة.

❖ الدليل الرابع.

ننتقل إلى الدليل الرابع.

وقال ابْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ أَبَا جَادٍ ، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ ،: " مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلاقٍ " .

في أثر ابن عباس رضي الله عنه نوع من أنواع الكهانة، ما هو؟ وما الوعيد المترتب على هذا الفعل؟ "يَكْتُبُونَ أَبَا جَاد" ليستدلوا بها على الأمور الغيبية ونحوها، وأيضًا "وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ" ليستدلوا بالأحوال الفلكية على الحوادص الأرضية.

ما هو الوعيد؟ " مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلاقٍ " .

نناقش مسألة تعلم حروف أبا جاد.

تعرفون "أبجد هوز"؟ هي هذه "أبا جاد" هي "أبجد هوز"

في ترتيب الحروف الأبجدية، نحن نقول الأبجدية وهي ليست صحيحة، لأن لو تريدين الأبجدية ستصبح [أ ب ج د هـ و ز]، هذه هي الحروف الأبجدية لكن الحروف المحفوظة عندنا [أ ب ت] هذه تسمى الحروف الهجائية، أي بالتهجي، فهناك ترتبان للحروف، ترتيب أبجدي وترتيب هجائي، المستعمل في تعليم الحروف يسمى هجائي، المستخدم في الترقيم أبجدي.

إذن ينقسم تعلم حروف "أبجد هوز" إلى قسمين:

تعلم مباح، وذلك إذا كانت كتابته وتعلمه للتهجي، أو كان لحساب الجمل.

علم حساب الجمل لن أشرح نفس العلم لكن سأقول لك مثال أنهم يعطون مثلًا لكل حرف رقم، فمثلًا يؤرخ به، يقول تاريخ بناء المسجد قول العبد اغفر لنا، تأتي إلى كلمة أغفر لنا وتحسبي أرقامها فتجدي أنه في ١٣٦٢، الآن ليس مطلوب منا أن نعرف طريقة حساب الجمل، أنا أقول لك هذا الكلام من أجل أنه عندما يأتي أحد يقول لك نفس الجمل لا تقولي لا هذا من الكهانة!، أو أستخدام للحروف في غير مكانها.

"أبجد هوز" لها فائدتين:

- الفائدة الأولى: التهجي.
- الفائدة الثانية: حساب الجمل.

ما معنى حساب الجمل؟ نوع من الحساب يجعل مقابل كل حرف من الحروف الأبجدية عدد من الواحد إلى الألف على ترتيبٍ معين.

الآن يعتبر من العلوم التي انقرضت، هذا تعلم مباح، عندما أجد أحد يكتب [فقرة "أ"، فقرة "ب"] هذا مباح طبعًا، حتى على ترتيب [أ ب ج د]، على أبجد هوز ، أو لو وجدتي أحد يقول لك مثلًا أن تاريخ هذا المبنى تاريخ كلمة مثلًا "اغفر لنا" هذا أيضًا أسلوب حساب الجمل ليس فيه أي إشكال.

نأتي إلى التعلم المحرم، ما هو التعلم المحرم؟ ذلك إذا كانت كتابتها أو تعلمها على وجه تعلم علم الغيب والنظر في النجوم لمعرفة الأحوال الأرضية من فقرٍ ومرضٍ وغلاءٍ إلى أخره.

مثلما أحد يأتي يقول لو اجتمع حرف الفاء، وحرف الجيم، في اسم الشخص – أي اسمه الكامل – فإن من أخلاقه كذا وكذا، فيعتبرون أن وجود الحروف في اسمه يدل على شخصيته، هذا يعتبر من الكهانة.

أيضًا استخدام أبا جاد لتدل على مدة هذه الأمَّة، مثلما مر معكم سابقًا في فترة أتوا إلى الحروف المقطعة في القرآن جمعوها وقالوا مجموع هذه الحروف تدل على أن العالم سينتهي في عام كذا وكذا، وتعدى العام وانتهى الموضوع، لكن أقول لك كيف هم يستعملوه، أو يقولوا لأحد اكتب لنا جملة تتردد في ذهنك، فيكتب لهم، فيحسبون الجملة فيقولون إذن ستموت عمرك كذا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هم كيف يستعملوا الحروف؟ هم يحسبون كل حرف بعدد نحن نقول عندما يكون هذا الحساب مثلًا بُني هذا المبني في تاريخ في حساب كلمة "اغفر لنا" إلى أخره هذا لا بأس به، لكن عندما يأتي يقول الأمَّة أو العالم سينتهي عام كذا وكذا، كأنهم كانوا محددين ١٤٢٤ أو رقم مثل هذا، من أين أتوا به؟ أتوا إلى الحروف المقطعة في القرآن، جمعوها

وحسبوها بحساب الجمل وقالوا سينتهي العالم في هذا العام، هذا من الكهانة، أو أن يأتي إلى أحد يقول له قل لي جملة تتردد في ذهنك فيكتب له جملة فيحسبها فيقول له ستموت في عام كذا، ستموت عندما يكون عمرك كذا.

على كل حال اهتموا بالتفاصيل فقط من أجل عندما يأتي أحد يقول لك سنعرف شخصيتك من اسمك، وسنعرف شخصيتك من خطك، وسنعرف شخصيتك مثلًا من كذا وكذا تفهم أن كل هؤلاء كاذبين وضرب من ضروب الكهانة، لا أحد يستطيع أن يتنبأ بحالته هو من أجل أن يتنبأ بحالة غيره، وإذا كان لك طبع اليوم غدًا تغلبه بالتطبع، وإذا كان لك أسلوب في الحياة اليوم غدًا تغلبه بمعاشرة من يغير أسلوبك، أترك عنك هذا الكلام، ولو ترى في نفسك من العيوب ما ترى فتعلق بالله عز وجل أن يصلح لك قلبك وأن يصلح لك حالك.

سنرى الآن التفريق بين ما يدخل في الكهانة وما لا يدخل.

بقي نقطتين، هذا الأمر وبقي نقطة التعامل مع القنوات الفضائية، التعامل مع القنوات الفضائية أصور لكم فتوى – إن شاء الله – غدًا نوزعها عليكم فيها فتوى التعامل مع هذه القنوات الفضائية التي فيها تنشر مسألة الكهانة، يتصلوا على الكهان والسحرة ويسألوهم، سنجيب على هذا السؤال من الفتوى.

بقي نقطة ماذا يدخل في الكهانة وما لا يدخل فيها.

سأذكر لكم أحوال ونقرر هل تدخل في الكهانة أم لا تدخل ثم نقرر.

- رؤية الغيم في السماء وتوقع المطر: هذا لا يعد كهانة، العلّة؟ هو لم يرى المطر، رأى قرينة صحيحة تدرك بالحواس أو بالحساب، بالحواس مثل هذا المثال، سنرى بعد ذلك بالحساب.
- انتظار الكسوف والخسوف في أوقات معينة هل يعد من الكهانة أو لا يعد؟ انت ألا تخبري دائمًا أنه سيحصل كسوف وخسوف ويحدث؟!، كيف هذا يحصل؟ حركة الأرض وحركة الشمس لها حسابات دقيقة، فالحساب عندما يحصل إنحراف بالحساب يفهمون.

انتم تعرفون ما درستوه طوال ما انتم في المتوسط والثانوي في اللوغاريتمات والجا والجاتا وحساب الزوايا هو هذا الذي أتعبتم أنفسكم فيه مثل هذا، أنه يتوقع متى يصل القمر يحجب عنا الشمس، فيحسبوا الزاوية ثم يحسبوا متى يمكن أن يصل القمر فيصبح حاجبًا بيننا وبين الشمس بالحسابات، والحسابات هذه درستموها في جتا وجا، واللوغاريتمات، كل هذه التي تستخدم في المعادلات لحساب التوقيت، وفي الغالب عندما تطبيقيها على أي شيء عندك، أي شيء يسير أقصد، سرعته كذا هنا، متى تتوقعي أن يصل إلى هناك؟ لو كان سرعته ٦٠ كم مثلًا سيصل إلى هناك احسبي كذا وكذا، ٦٠ كم أي أنه في الدقيقة الواحدة يسير كيلو، إذا أنا سأحسب بعد ٦٠ معناه ساعة أخرى، مثل ما انت تحسبي بين الطريق بين جدة ومكة كذا لو سرنا بسرعة كذا سنصل بعد كذا، هذا كله يأتي بالحسابات ليس فيها تكهنات.

وفي هذا كله نقول إذا شاء الله طبعًا، لأننا ممكن أن يأتينا من العوارض الشيء الكثير، وممكن تطوى لنا الأرض طيا، وممكن لا يحصل مثل هذا، فكل أمر بأمر الله لكن الله عز وجل جعل في الأرض سنن، فهذه السنن هي التي تستخدم في مثل هذه

الحسابات، وهذا كله لا يعني أن نحسب وقت الكسوف أو الخسوف لأن مثل هذا يبرد القلوب تجاه الآية، لكن هذا كلام أخر المهم أنه ليس من الكهانة، لأن السؤال من الكهانة أو ليس من الكهانة.

- عندما نأتي إلى شخص مهمل، مثل أبنائنا في البيوت لا يذاكروا، ويذهبوا إلى الاختبار، لو قلتي لهم أتوقع أنكم سترسبون – الله يحفظهم كلهم – هل هذا من الكهانة؟ لا طبعًا هذا ليس من الكهانة، هذا مثل ضوء الشمس من الصراحة، فمثل هذه التوقعات لا تعتبر كهانة، لأن دلائلها واضحة، عقلية كانت أو عن طريق الحساب.

كونك لا تدركين العملية الفلكية أو الحسابات الفلكية هذا لا يعني أنها كهانة، لا تخطأوا هذا الخطأ أن الشيء الذي لا تدركوه مباشرة تحسبوا عليه أنه كهانة، فأصبح الكلام عن الأحوال الجوية عبارة عن كهانة؟ لا، لماذا؟ لأن فيه دراسة للأسباب.

- تبقى حالة واحدة وهذه المسألة شائكة تحتاج إلى شيء من المعالجة من أجل أن نتكلم عنها بوضوح ذكرها الشيخ الفوزان في كتابه في عقيدة التوحيد، انقلها غدًا إن شاء الله لكم ونتناقش فيها، في هذه الحالة في حالة الأرصاد الجوية إلى أخره متى يمكن أن تصبح فيها مشكلة، ننقلها إن شاء الله من كتاب الشيخ الفوزان من عقيدة التوحيد.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مر معنا الكلام حول باب ما جاء في الكهان، تكلمنا أيضًا عن خوارق العادات وكيف نفرق فيها بين ما هو دليل على الكرامة، وبين ما هو دليل على الأحوال الشيطانية، وفي النهاية المؤمن المتقيّ هو الشخص الذي إذا أتته أحوال مخالفة للعاده أو خارقة للعاده هو الذي ممكن أن يعتبر بالنسبة له كرامة، **أي أن ليس كل خارق للعاده كرامة**، انظر إلى حال الذي أتاه الخارق هذا، إذا كان بنفسه مؤمن متقيّ سيكون هذا كرامة، ثم إذا أتت الشخص الكرامة لابد أن يعرف أن لا أحد منتفع بها إلا هو، يعني عندما يأتي لسين من الناس كرامة ليس معناها أن نفعه متعدي، النفع له، والمقصود بعد هذا كله أن يثبت في الدين، المقصود من الكرامات الثبات في الدين.

أيضًا معلومة مهمة في مسألة الكرامات أن الشخص المتقيّ الذي تكثر كراماته وهو مؤمن متقيّ ليس أحسن من الشخص المؤمن المتقيّ الأقل كرامة، أو الذي لا تأتيه كرامات، لأنك لو قارنت بين عهد الصحابة للكرامات وبين ما بعدهم ستجدي ما بعدهم عندهم كرامات أكثر من الصحابة، وما بعدهم أكثر، **فمعنى ذلك أن الكرامة التي أتت بعد الاستقامة ليس شرطًا أن تدل على مكانة العبد عند الله، إنما يمكن أن يكون هناك من هو أفضل عند الله وأقل كرامة**، لكن هذا للتثبيت كما يقول أهل العلم أو للحاجة.

الحاجة مثلًا يكون هذا الشخص في صحراء، منقطع به السبل فيحتاج إلى الماء، فتأتي الكرامة عبارة عن الماء يسقاه، كما وصل لأكثركم القصة التي ذكرها الشيخ عطيه محمد سالم عن الشيخ بن باز، يحكي عن شخص، الظاهر أنه كان في منطقة الخرج، منطقة العيون، المهم أن هذا الرجل الكبير في السن دخل يبحث عن الماء في مغارات، الدخول معناها الضياع، ضاع داخل المغارات، عدد من الأيام الشيخ ذكرها قريب من عشرة أيام، المهم بحثوا عنه إلى أن وجدوه بصورة أو بأخرى.

عندما عاد قال لهم ماذا فعلتم في يوم كذا؟ كان له —الرجل نفسه — له سقيا يسقيها لفقراء من لبن، سقيا يسقيها فقراء من لبن يخصه، فكان كل يوم من تلك الأيام التي في الغار كان يأتيه أحد يصب له لبن ويشرب منه، لأنهم كانوا يسألوه عشرة أيام عشت على ماذا فكان يأتيه في نفس التوقيت أحد يصب له كأس لبن يشرب منه إلى أن أتى ذاك اليوم الذي أبناءه قطعوا اللبن عن الأيتام فقطع عنه هو اللبن!.

فهذا معنى الكرامة للحاجة، ما معنى الكرامة للحاجة؟ أن يكون الشخص في اضطرار وتأتيه كرامة من الماء، من الغذاء من المال للحاجة، أو الكرامة للتثبيت، يعني الكرامة أمَّا للحاجة أمَّا للتثبيت، عندما تكثر ليست دلالة على أن فلان أحسن من غيره، ولا دلالة على أن هذا صاحب الكرامة غدًا يصبح عندنا مفتي!، أبدًا لا تفهموا هذا الأمر!، المهم عندما تأتي الكرامات صاحبها ينتفع منها، إمَّا انتفاعًا ماديًا مثل هذا الذي عاش على اللبن أو ينتفع منها على أن يثبته الله على الدين، والكرامة ممكن أن تكون شيء بسيط خارق للعاده، أو شيء عظيم خارق للعاده.

مثل أحد الأخوات تقول — من باب الحكايا من أجل أن ينتفع الناس — تقول هي مسؤولة عن إنفاق على أسر، فيكون مثلًا ينقصها من المبلغ ١٣٣٨ريال، فيأتيها ظرف فيه ١٣٣٨ ريال هذا على قدر هذا، فتقول عجيب، لا زيادة ولا نقص، بالضبط على القدر تسدّ هذا لهذا، وتقول كل شهر يحصل نقص يأتي هذا الظرف من مكان ما يعني فلان يقول فلان يقول لفلان إلى أن يصل

ويأتي على قدر النقص بالضبط، فهذا شيء بسيط لكنه عجيب ملفت للنظر أن يأتي هذا على قدر هذا، هذه تسمى الكرامة للحاجة، هناك كرامة للحاجة وكرامة للتثبيت.

كرامة للتثبيت يعني واحد يأتي يكون شاكك في تربيته لابنائه مثلًا، أو شاكك في استقامته هو أنه على الطريق المستقيم، ثم يسخر له الله عز وجل موقف أو حدث أو حالة تعتبر خارقة للعادة سبب لتثبيته، سبب لزيادة ثقته أنه على المنهج الصحيح إلى أخره، بعد هذا الكلام كله إذا كانت الكرامة تنفع صاحبها إذن لا مجال أن يأتي أحد ويقول أنا لي كرامات ومن كراماتي أني أعلم الغيب وأنفعكم بها، لا الكرامة تنفع صاحبها، والمقصود بها أمَّا الحاجة وأمَّا التثبيت فمعرفة الغيب لا حاجة ولا تثبيت.

واتفقنا أن الشيطان له مع الإنسان أحوال يختبره بها، ويعرض عليه الكهانة، ألا وهو علم الغيب، ويعرض عليه بالذات في علم الغيب الجزئي، فانت تأتي تقولي هذا علم غيب نقول هذا علم غيب جزئي، علم غيب جزئي أي أحد يعرفه وأحد لا يعرفه، فالشياطين مع كثرة تجوالهم كأنك تقول عندهم أدوات اتصالات سريعة، كأنك تقول هذا، ومن ثمَّ يستطيعون أن يأتوا بالأخبار سريعًا ويستطيعون أن يوهموا الناس أن لهم علم بالغيب.

وإذا أردت الكلام حول هذه الألعاب التي فيها تخمين ثم أجيبك على تخمينك ويكون إجابته صح، إذا أردت الكلام عن هذا النوع فاعلم أنها من إلقاء الشيطان أصلًا، يعني هذا الرقم الذي تخمنه وهذا الشخص الذي تفكر فيه هذا التفكير، أصلًا هذا من إلقاء الشيطان، لذلك الشيطان يخبرك عنه، مثل ما أتى بريد إلكتروني يقول لك اكتب اسماء عشرة أشخاص، واكتب أمام رقم كذا الشخص الذي تحبه، ورقم كذا الشخص الذي تبغضه، إلى أخر الصفات، ثم يُخمن لك اسمه، يعني اكتب الاسماء ثم ارسل البريد بالترتيب لهؤلاء الأشخاص، فيقول لك أمام رقم اثنين سيكون هذا الشخص تحبه لكن هكذا وهكذا مشاعرك تجاهه، طبعًا هذا التركيب نفسي مع شيطاني مع بعضهم، المهم من لا يعرف اللعبة لن يتصورها، المهم اعرف أيضًا ضرب من ضروب الكهانة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أنا أقول له اسمي وهو يقول لي وظيفتي في المستقبل؟ في المستقبل معناه كهانة، لكن هذه كهانة الألعاب، غير أن يأتي أحد لك بخبر حقيقي واقعي، هو هذا ضرب من الكهانة، أن أقول لك اسمي فتقول لي ماذا سيحصل لي، هذا ضرب من الكهانة لكنه مثل ليس الكهانة أن أقول لك اسمي فيتأتي لي بحدث واقعي في حياتي، حدث واقع في حياتي هذا من المؤكد أنه من الكهانة.

على كل حال لابد أن تتصوروا أن الشيطان يعرض الكهانة على الناس ومن استجاب له زاده فكونوا على حذر من الاستجابة للشيطان، واعلموا أن الكهان يظهروا للناس على أنهم صُلاح فلابد من تحرير مسألة المتابعة للسنة، ولذلك لابد من تكرار تعليم الناس أن الاعتصام بالكتاب والسنة هو الاختبار لكل مدّعي، على قدر اعتصامك بالكتاب والسنة على قدر ما يكون لك وجاهة ومكانة خصوصًا في مسائل التي تتصل بإتخاذ القرارات.

يعني هذا رجل نريد أن نجعله إمام في المسجد، مؤذن، ماذا نقيس فيه من أجل أن نتخذ قرار تجاهه أن يكون مؤذنًا؟ على قدر اعتصامه بالكتاب والسنة، وبعده عن البدع، وبعده عن الفسوق والفجور، لأني ما بين الفسوق والفجور و ما بين البدعة، فعلى قدر اعتصامك يكون قراراتنا.

الآن أحد يأتي لك ويقول الظاهر بيتكم فيه عين، الظاهر حاسد لكم، فنأتي لكم بشيخ يقرأ عليكم، هذا الشيخ قبل أن يأتي وقبل أن أتعامل معه لابد أن أرى اعتصامه بالكتاب والسنة، وعلى ذلك ليس بسهولة أن تدخل بيتك أي أحد، ولا بسهولة تتعامل مع

أي أحد على أنه راقي، ولا على أنه طبيب شعبي، ولا على أنه معالج، كل هذا لابد فيه من النظر إلى اعتصامه، إذا قيل لك أن هذا إمام مسجد وهذا مؤذن نقول النفاق لم يترك أحد، وهذا ليس إتهامًا له بالنفاق لكن نحتاج إلى دليل أنه ليس مبتدع ولا منافق، الآن نحتاج إلى دليل خصوصًا الأزمنة المتأخرة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: كنت سأقول هذه الجملة لكن قلت نوفر على أنفسنا هذا النقاش؛
أنه لو واحد أتى لك وقال لك الأصل في المسلمين السلامة نقول نعم الأصل في المسلمين السلامة وهذا مبدأ محترم لكن هذا الأصل استعمله عندما أريد أن أتعامل معاملة بعيدة، لكن عندما أريد الزواج، أو أريد تقليد الشخص منصب، أو أريد أن أثق فيه على دخوله وخروجه على محارمي، يعني أريد أن أأتي بالراقي ليرقي أبنة أو زوجة، لا أنكر أن الأصل السلامة لكن هنا المسألة ستتعدى الظاهر، سيكون فيها حرامات، سيكون فيها قرارات، سيكون فيها أمور تحتاج إلى كثير من الحيطة.
ففرّق بين المعاملة الظاهرة وبين المعاملة التي فيها تفاصيل، وسيدخل علينا من ورائها ابتلاءات، لأن في الزواج لن أقول الأصل فيه السلامة طبعًا، ومثله في كونه إمام مسجد، ومثله في كونه راقي إلى أخره، ومن أجل ذلك النساء لابد أن يخرجوا أنفسهم من هذه القرارات، النساء لابد أن يخرجوا أنفسهم من هذه القرارات، لا قبول لرجل في زواج، مثلًا أنا أم الآن وأتى عريس لبنتي لابد أن أخرج خارج الموضوع، مَن يأخذ القرار؟ الأب، مهما تكلمتي عن أنه لا يفهم ولا يهمه مصلحة أبناءه، وكل هذا الكلام، لكن الرجل هو الذي يستطيع أن يخبر الرجال، لكن المرأة تخدع بكل سهولة مهما كان عندها حنكة ومعرفة للأمور، طبعًا إلا ما ندر من النساء، لكن العامة أن النساء لا ينفع أن يأخذوا قرارات مثل هذه لأنهم بسهولة يخدعوا بالظاهر.
سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا معلوم، الله المستعان، هذا قريب من عمل الروافض، الروافض في ليال معينة نسائهم يأتوا مع الرجال، ويختلطوا، ثم يقع على من يقع من النساء، ثم الذي يُحمل به في هذه الليلة يكون هذا وليّ!، أي من الزنا!، ومثله مثل هؤلاء، حتى القراء عندهم هذا الباب.
سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا، عامة الروافض في يوم معين لهم – الله المستعان –
على كل حال؛ انتم لابد أن تفهموا أن ناس كثيرين أخذوا الدين باب يدخلوا منه إلى مراداتهم وهواهم، سواء كان من المرادات النفسية يعني التعظيم والمكانة، او سواء من المرادات البدنية مثل الوقوع في الفاحشة، الوقوع في المال، لذلك عندما نتكلم في الدعوة نقول كوني شديدة الحذر.
حتى أن أحد العوام يحكي – انظري كيف يفكروا – واحد من العوام يحكي أنه ذهب إلى قاضي من أجل قضيته، والظاهر أنها لم تمشي قضيته، ثم جاء له مرة أخرى كأن هذا العامي جلس يفكر بمكر .. أموال للزكاة، وأنا لا أعرف أحد أريد منك يا شيخ أن تصرفها ممكن؟ قال له نعم، هاتها أصرف لك إياها، ثم هذا الشيخ قال أنا أذكر أن لك معاملة عندنا، قال نعم لي معاملة، قال أتصل على السكرتير اسأله أين وصلت، فهذا العامي يقول للناس أنا رشيته لكن بطريقة غير ظاهرة، انظري لأي درجة!.
عندما سمعت هذا الكلام قلت معنى ذلك أنه عندما أحد يأتي يقول لي أنا عندي زكاة أموال ممكن أن أعطيك إياها من أجل أن أصرفها، وأكون أعرفه، وخصوصًا الشخص عندما يكون له مكانة في المجتمع يكون في الغالب حلقة وصل بين المحتاج وبين أصحاب الأموال، فتصوري كيف المجتمع يصرفها، عندما الشيخ قال له هات أموال الزكاة أنا أيسر لك إياها وأعطيها للمحتاج،

وقال بعدها أنا أذكر أن لك معاملة عندنا ففهم العامي أنه سيأخذ الأموال يضعها الشيخ في جيبه!، وأن اعطاؤه له بهذه الصورة هو الذي ذكره بالمعاملة!، فمن أجل ذلك ماذا نفعل!!.

الحقيقة ضاق علينا الأمر في التعامل مع المجتمع، ولحظة نقول يلاموا، ولحظة نقول لا، أهل الدين هم من يلاموا، لأنهم في مواقف وصلوا الناس أنهم يفكروا بهذه الطريقة، فدخل الصالح مع الطالح، وأصبح الإنسان يتردد كثيرًا في أن يوصل أحد بأحد لأنه يتصور كيف سيفكر هذا الطرف أنها أموال لابد أن تمر على جيبه أولًا، هذا هو التفكير الذي يقع فيه العامة، خصوصًا مع الدعايا السيئة، دعايا سيئة من قِبل المنافقين ودعاوى سيئة من قِبل المستقيمين، خلطة جعلت بين الناس وبين الاستقامة حاجز، ينظروا إلى المستقيمين على أنهم من الظاهر صلاح ومن الداخل خبثاء، لذلك كونوا على حذر، كونوا على أشد الحذر خصوصًا في المواقف وفي الأماكن ومع الأشخاص الذين لا تعرفوهم أو لكم علاقة خفيفة بهم، احذروا تمامًا أن يظهر منكم تصرف ممكن أن يفسر بحال أو بأخر أنه حب للمال، أنه نوع من أنواع الإنحراف، وهذا الكلام أقول له بعد سنين طويلة من التعامل – للأسف أنا أتكلم عن نفسي – من التعامل بدون هذه النظرة، يعني ناس كثير تعاملنا معهم على أنه لا انت تفهم أنه ليس لي علاقة، وأن تصرفي هذا ليس له علاقة بكذا وكذا، وأن ليس وراء هذا التصرف كذا وكذا، ثم انظر كيف هذا التصرف وماذا يقول وماذا يفعل من وراءه، – الله المستعان – .

على كل حال؛ أنا لا أشتكي لكم، الشكوى إلى الله، لكن مقصدي أن لا تقعوا، مقصدي أن تكونوا على حذر، مقصد أن تحذروا من مسائل مثل جمع الأموال، التبرعات، وليست القضية فقط الإرهاب، الإرهاب واحد من العوامل الآن، لأن ممكن أن يستخدموا المرأة في الإرهاب وهي لا تشعر، وهذا حصل أنهم استخدموا المرأة في الإرهاب وهي لا تشعر، لكن قضيتي أيضًا سمعتك، خصوصًا في الأماكن التي ممكن أن يظن فيك أنك ملهوفة على الدنيا، واستعملتي أمر الآخرة للدنيا، هذه الظنون كلها أبعديها عنك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: تأخذي المال من خاصة إلى خاصة لا بأس، يعني تعرفي الطرفين، لأن أحيانًا نفس المحتاج ينظر لك أصلًا أنك تعطيه فتات مما تأخذيه!، وهذا مواقف حقيقية، وهذه مواقف تقال بصراحة أيضًا، فأصبحنا نخاف ممن نطلب منهم الأموال وأصبحنا نخاف ممن نعطيهم، لذلك بدأنا نستعمل الأساليب الرسمية، انت مثلًا لك إيجار، ما هو المكتب المأجر منه، من صاحب الإيجار، هات رقم المكتب، من المعهد، من دار الفتاة، من كذا إلى المكان، ويكون الواسطة عبارة عن سائق يأخذ ورقة إثبات أن المال دُفع وانتهى، احرصوا على هذا الاتجاه، لأن النفوس للأسف من كلا الجهتين أصبح فيها إشكال.

على كل حال؛ نعود ونحن لازلنا في المجموعة التي تتكلم عن السحر، **نعود إلى باب ما جاء في النشرة**.

باب ما جاء في النشرة لماذا أتى بعد باب ما جاء في الكهانة ولم يأتي بعد باب ما جاء في السحر؟ تعرفون ما معنى النشرة؟ النشرة هي حلّ او إزالة السحر عن المسحور، فنحن نتصور أن مكانها الصحيح بعد باب ما جاء في السحر، لكن الشيخ أخرها لبعد باب ما جاء في الكهان، والسبب أن غالب أعمال إزالة السحر – أي النشرة – تكون على يد الكهان، وسيتبيَّن لك الأمر أكثر عندما نفصل.

باب ما جاء في النشرة

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ النُّشْرَةِ فَقَالَ "هي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ" رواه أحمد بسند جيد. وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

وفي البخاري عَنْ قَتَادَةُ قُلْتُ لِابْنِ الْمُسَيَّبِ رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤْخَذُ عَنْ امْرَأَتِهِ: أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ. أ.هـ.

وروى عن الْحَسَنُ أَنّهُ قَالَ: لَا يُحِلُّ السِّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ.

قال ابن القيم: النشرة: حل السّحر عن المسحور، وهي نوعان:

إحداهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، ويبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

نبدأ الآن في فهم ما معنى النشرة.

أولًا من المعلوم المقرر أن السحر داء مؤثر بإذن الله، وتأثيره يكون بالقتل أو المرض أو التفريق بين المرء وزوجه، وإذا ابتلي الإنسان المسلم الموحد بهذا الداء فالواجب عليه أن يعلم أن ذلك بإذن الله الكوني.

يعني ليس بإذنه الشرعي، ما معنى الإذن الشرعي؟ يحبه الله، إنما معنى بإذنه الكوني معناه أن الله عز وجل قدر أن يقع لحكمة وراء وقوعه، وعليه أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطئه لم يكن ليصيبه، وعليه أن يصبر ويحتسب، وعليه أن يسعى في العلاج وهذا من باب الأخذ بالأسباب المؤدية إلى الشفاء، وعليه أن يعلم أن الدعاء من أعظم أسباب الشفاء، والقراءة أيضًا من الأسباب الشرعية، وظنه في القراءة أنها مثل بقية الأسباب ليس من اللازم الشفاء بها إلا إذا أراد الله عز وجل، مثله مثل أي دواء، فالشفاء بيد الله وحده.

انظري ضدّ هذا الواجب ماذا يحصل؟ هات ضدها؟ يعني عندما يقع السحر على بعض الناس يركزون على الفاعل، فيصبح هذا كل تفكيرهم مَن فعل هذا، ويقعون في شيء كثير من الأحقاد والظنون الكاذبة، يعني يقع منهم الحقد ويقع منهم الظنون الكاذبة.

وأيضًا يقع منهم استعمال "لو" التي تفتح عمل الشيطان، وهي ضدّ أن يعلموا أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، ومن المؤكد أن من كان نفسيته بهذه الصورة لابد أنه فاقد للصبر، لا صبر ولا احتساب، يعني بدلًا من المصيبة مصيبتان، مصيبة السحر ومصيبة عدم الرضا بقضاء الله وقدره، فيأتي أحد يقول لك مطلوب مني أن أرضى بما أنا فيه؟! نقول عندما يقع السحر اعتبره مثل بقية الأمراض، أطلب له العلاج بعد إيمانك أن الله عز وجل ابتلاك به، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطئك لم يكن ليصيبك، فتفكيرك لا يكون في الفاعل، لأن ما مكنه من هذا إلا الله ابتلاءًا لك، فدور نفسك حول الإيمان بالقضاء والقدر، قوي في قلبك الإيمان بالقضاء والقدر، لا تستعمل لو، لو ما أكلت، لو ما ذهبت، لو ما فعلت لو ما لبست، ما كانوا فعلوا بي كذا وكذا، فلو هذه إشارة إلى أنك لا تؤمن أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطئك لم يكن

ليصيبك، وأيضًا هذا يورثك عدم الصبر وعدم الاحتساب فتكون هناك مصيبتان بدل المصيبة، ثم بعد هذه الاعتقادات كلها اسعى إلى الأخذ بالأسباب.

هذا الذي لا يصبر ولا يحتسب – العكس – أخذه بالأسباب فيه اعتماد كلي، هذا إذا سلم من أن يأخذ أسبابًا غير شرعية، يعني إذا سعى في أخذ الأسباب الشرعية – إذا سعى هذا الذي ليس فيه صبر ولا احتساب – إذا سعى تجد قلبه معتمد على الأسباب، هذا إذا لم يأخذ أسبابًا غير شرعية، وطبعًا إذا أخذ أسباب غير شرعية دخل هو بنفسه إلى مصيبة عظيمة، إلى مصيبة السحر والسحرة والكهان إلى أخره، ثم من المؤكد أن هذا لا يستعمل الدعاء ويعتقد أن سحر الساحر أو كهانة الكاهن لابد أن تأتي بنتيجة، أو حتى قراءة القارىء عليه يشعر أنه لابد أن تأتي بنتيجة، مع أنه قد تأتي بنتيجة وقد لا تأتي بنتيجة.

إذن عدي لي ماذا يجب أن يعتقد المسلم الموحد لو أصيب بالسحر؟ ست نقاط انظري إلى ضدها:

الأولى: أن يعلم أن ذلك بإذن الله القدري.

الثانية: أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطئه لم يكن ليصيبه، يعني هذا الأمر بإذن الله ولم تكن لتفعل فعل ترد به قضاء الله.

الثالثة: وعليه أن يصبر ويحتسب، يصبر على المصيبة، ويحتسب الأجر عند الله عز وجل على ابتلاءه.

الرابعة: أن يسعى في أسباب العلاج.

الخامسة: أن يعلم أن الدعاء من أهم أسباب الشفاء.

السادسة: أن يعلم أن الأسباب الشرعية مثل القراءة ليس شرطًا أن ترفع عنه إنما مثله مثل أي دواء إذا شاء الله عز وجل جعله نافعٌ له.

واضح هذه الستة وعكسها واضح؛ عكس الأول بدل من أن يعلم أن هذا بإذن الله القدري يكون تفكيره على الفاعل، ومن ثمَّ بدل من أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطئه لم يكن ليصيبه يستعمل "لو" ، ومن ثمَّ ليس بصابر ولا محتسب، ومن ثمَّ يأخذ بالأسباب لكن يأخذها معتمد عليها، هذا إذا لم يأخذ أسبابًا غير شرعية، ولا تسأل عن دعاءه، ثم ترى نظره إلى الأسباب أنها لابد أن تكون فاعل، هذا موقفنا.

تبقى النقطة ما هي الأسباب المؤدية إلى الشفاء.

سنقول السحر مرض كغيره يبحث له عن دواء، **ويطلق على ذلك الدواء إذا وجد النشرة**، إذن ما هي النشرة؟ هو الدواء للسحر.

نرى ما معنى النشرة، سأمليكم كلام من لسان العرب يُعرف فيها ما معنى النشرة.

قال: النُشرة بالضم ضربٌ من الرقية والعلاج، يُعالج به من كان يُظن أن به مسًا من الجن، سميت نشرة لأنه يُنشر بها عنه ما خامره من الداء.

خامره أي خالطه.

قال: أن يكشف ويزال.

ينشر أي يكشف ويزال.

إذن ما معنى النشرة؟ الكشف والإزالة، هذا النشرة في اللغة.

والنشرة في الأصطلاح: حلّ أو إزالة السحر عن المسحور، بماذا؟ انظري لتعريف ابن منظور وقولي لي – ابن منظور صاحب لسان العرب – قال بالرقية والعلاج، إذن حلّ إزالة السحر عن المسحور بنوعٍ من الرقية والعلاج، هذه الجملة مهمة – الرقية والعلاج – لأن سنأتي في كلام ابن القيم نفهم هذه المسألة بصورة جيدة.

❖ الدليل الأول.

نبدأ بالدليل الأول.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ النُّشْرَةِ فَقَالَ "هي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ" رواه أحمد بسندٍ جيد. وأبو داود.

هذه رواية جابر رواها الإمام أحمد.

وقال:

مَن الذي قال؟ أبو داوود، ماذا قال؟

سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

يعني الإمام أحمد هو صاحب هذا الحديث، صاحبه أقصد أخرجه، وأبو داوود أيضًا أخرجه، والظاهر أن شيخه فيها الإمام أحمد، ثم قال أبو داوود :

سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

هذا الدليل الأول، ما التقرير في هذا الدليل؟ أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل عن حكم النشرة، ماذا قال؟ أنها من عمل الشيطان.

انظري أيضًا كلام الإمام أحمد؛ عندما سُئل الإمام أحمد عن هذه المسألة ذكر موقف ابن مسعود، أي ذكر موقف الصحابة، لماذا ذكر موقف الصحابة؟ لأنهم أعلم بمراد النبي صلى الله عليه وسلم.

سئل الإمام أحمد أيضًا عن النشرة، ماذا كان جوابه؟ جوابه أن ابن مسعود الصحابي كان يكره هذا كله، **عندما تسمعي كلمة يكره تفهمي أن الكراهة عند المتقدمين يراد بها التحريم غالبًا.**

ولك على ذلك دليل إذا نظرتي آية الإسراء بعدما قال الله عز وجل ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٣٥٤] ستجدي أن الله ذكر وعدد محرمات، ماذا قال في أخر الآية؟ ﴿كُلّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْد رَبّك مَكْرُوهًا﴾[٣٥٥] فماذا تفهم من مكروها؟ لا شك أن مكروهًا هنا المقصود به التحريم.

---

[٣٥٤] الإسراء: ٢٣

[٣٥٥] الإسراء:٣٨

إذن فهمنا من هذا أنه عندما تأتي كلمة مكروه في كلام الأوائل افهم منها أن مكروه معناه كراهة التحريم، ولذلك عندما تسمع مثلًا حكم حلق اللحى عند الإمام أحمد مكروه، ماذا تفهم؟ محرم، لأن كلمة مكروه عند الأوائل تعني التحريم.

الدليل الأول خرجنا منه بتحريم النشرة وصفها النبي صلى الله عليه وسلم أنها من عمل الشيطان، هذا دلالة الدليل الأول.

الدليل الثاني.

نرى الدليل الثاني.

وفي البخاري عَنْ قَتَادَةُ قُلْتُ لِابْنِ الْمُسَيَّبِ رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤَخَّذُ عَنْ امْرَأَتِهِ:

"بِهِ طِبٌّ" العرب تعبر تفاؤلًا عن المسحور أن به طب، تفاؤلًا أنه سيتطبب، وعن التائه في الصحراء تفاؤلًا يقال عنه في مفازة، يعني لابد أن ينجو منها، في مفازة من الفوز، فهذه من الكلمات التي فيها شيء م التفاؤل، سنرى تفكيرهم هذا عندما نصل إلى التطير، ستفهمي ما معنى أن تستعملي كلمات من باب التفاؤل، المهم رجل به طب أي به سحر.

"أَوْ يُؤَخَّذُ عَنْ امْرَأَتِهِ" يعني سحر الصرف

أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ،

هذا كلام ابن المسيب " لَا بَأْسَ بِهِ"، ابن المسيب يعتبر سيد التابعين في زمانه، وكان ممن برز في العلم، وألتقى بكثير من الصحابة، وكان يقال له فقيه الفقهاء، فله مكانة، فانظري ماذا قال:

لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ. أ.هـ.

في الدليل الأول تبيَّن لك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن النشرة من عمل الشيطان، وهنا ابن المسيب قال: "لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ".

نرى الدليل الذي بعده، كأننا عندنا شيء من التعارض الآن نرى كيف يفك.

❖ الدليل الثالث.

وروى عن الْحَسَنُ أَنَّهُ قَالَ : لَا يُحِلُّ السِّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ.

هذا يبيِّن لك أن رجل به طب ومسحور لم يتعالج إلا من جهة السحر، نرى كلام ابن القيم سيجمع لنا بين هاذين الدليلين ثم نجمع بينهما وبين كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

لو سألتك ما قول ابن المسيب في النشرة؟ "لَا بَأْسَ بِهِ"

ما قول الحسن؟ "لَا يُحِلُّ السِّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ".

يعني إذا كان المسيب يقول نعم لا بأس بها، الحسن يقول أن النشرة لا تكون إلا من ساحر.

أولًا كيف نجمع بين قول المسيب وبين قول الحسن البصري رحمهما الله في النشرة؟ من خلال كلام ابن القيم.

❖ الدليل الرابع.

قال ابن القيم: النشرة: حل السَّحرِ عن المسحور،

هذا معنى النشرة.

وهي نوعان:

إذن معنى ذلك أن كلمة النشرة يمكن أن يكون لها أحد فهمان، أمَّا أن تكون:

إحداهما:حلٌّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن،

إذن ستكون ما حكم هذه النشرة؟ إذن ستقولي النشرة هي حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

نشرة محرمة وهي حل السحر بسحرٍ مثله، وهو الذي من عمل الشيطان.

كيفيته:

فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان — بماذا؟ – بما يحب، – ماذا تكون النتيجة؟ – ويبطل عمله عن المسحور.

النوع الثاني نشرة جائزة، النشرة الجائزة تكون: – أي حل السحر بـ –

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

إذن النشرة هي حل السحر عن المسحور، كم نوع نشرة؟ نوعان:

نوع نشرة محرمة، ونوع نشرة جائزة.

- النشرة المحرمة هي حلّ السحر بالسحر، وهو من عمل الشيطان، ما كيفيته؟ يتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان فيبطل عمل الساحر الأخر.
- أمَّا النشرة الجائزة هي حلّ السحر بالرقية الشرعية وبالأدوية والتعويذات وبالدعوات المباحة.

انظري للدليل الأول لكلام ابن مسعود، على ماذا تحمليه؟ عندما تسمعي قول النبي صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن النشرة قال هي عمل الشيطان، كان المقصود أي نشرة؟ النشرة المحرمة.

على ماذا تفسرين كلمة النشرة [ال] "سئل عن النشرة"؟ عندكم نوعان من [ال]:

- هناك ألف لام العهد.
- وهناك ألف لام الاستغراق.

❖ إذا قلنا ألف لام الاستغراق ستكون كل أنواع النشرة، ما حكمها؟ أنها من عمل الشيطان.

❖ لكن إذا قلت [ألف لام] العهد يصبح المقصود بها أي نوع من النشرة؟ النبي صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن النشرة كانت النشرة مشهورة في الجاهلية، التي هي حل السحر بالسحر، فعندما سئل عن النشرة تفهمي أن النشرة التي قصدت هنا هي النشرة التي انتشرت في الجاهلية.

لماذا تفهمي هذا الفهم؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه سُحر، ثم أتى الملكان كما في الحديث المشهور وقالا أنه رجل به طب، أي رجل به سحر، ومن سحره عبيد ابن الأعصم، ومكان السحر في بئر إلى أخر الحديث، المهم أنهما نشرا يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم انتشر بقراءة الملكان عليه المعوذات، فحصلت النشرة لكن ليست النشرة المحرمة إنما النشرة الجائزة.

فماذا تفهمين من النص"سئل عن النشرة"؟ [ال] هذه ألف لام العهد، أي النشرة التي انتشرت في الجاهلية.
إذن معنى النشرة في الحديث الأول النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها بأنواعٍ من السحر، واستخدامات شيطانية.

ما هي الطريقة لشرح هذا الباب؟

- أول الأمر نأتي إلى الحديث الأول ونقرر أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر أن النشرة من عمل الشيطان، يعني أن حكمها محرم، ثم ننظر إلى كلام الإمام أحمد ونخرج بنفس النتيجة أن حكمها محرم كما ذكر ابن مسعود، انتهينا من هذا النقاش.
- نأتي إلى الدليل الثاني، ستجدي في الدليل الثاني كلام ابن المسيب وكلام الحسن، ستجدي بينهم تعارض، قرري من كلام ابن المسيب أن النشرة لا بأس بها، وقرري من كلام الحسن أن النشرة ممنوعة، من هنا يظهر لك التعارض، فيأتي سؤال هل النشرة مطلقًا ممنوعة أم مطلقًا مسموح بها؟
- فيرد عليك ابن القيم.

نقسم المتن إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الإمام أحمد.
- والقسم الثاني: كلام ابن المسيب وكلام الحسن.
- والقسم الثالث: كلام ابن القيم، الجمع بين الأمرين.

وهذا ليس معارضة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، لأن كما اتفقنا أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما سُحر انتشر، فانتشار النبي صلى الله عليه وسلم دليل على جواز النشرة.
سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نعم، لأنه حرام، لا يحل السحر إلا ساحر معناه أنه ممنوع استخدام الساحر.
سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نقول بينهم تعارض، يعني كلام سعيد ابن المسيب مع كلام الحسن البصري بينهم تعارض، هذا التعارض هو الذي جعلنا نستعمل كلام ابن القيم، عندما استعملنا كلام ابن القيم عرفنا كيف نحمل حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

مما ثبت في طرق النشرة الجائزة ما رواه عبد الرزاق في مصنفه باب النشر وما جاء فيه:

- أن من طرق النشر أخذ سبع ورقات من السدر الأخضر ودقها، وصب الماء عليها، والقراءة عليها بآية الكرسي، وآيات السحر في [سورة الأعراف، ويونس، وطه، والكافرون، والمعوذات].

ثم الشرب منها ثلاثة حسوات والاغتسال بالباقي، هذا مما رواه عبد الرزاق في مصنفه في باب النشر.

- أيضًا روى عبد الرزاق في مصنفه روى في باب الرقى والعين والنفث؛ روى هذه الطريقة [قراءة آية الكرسي وآيات السحر في الأعراف ويونس وطه والكافرون والمعوذات] على المريض مع النفث عليه مباشرة، أو في ماء يشربه.

إذن مثل هذه الطرق من النشرة الجائزة التي رويت عن السلف سواءً كانت مسنودة إلى الصحابة أو سنقول مسنودة إلى السلف الصالح، ثم المسألة تحتاج إلى تحرير أكثر، يعني انتم بأنفسكم راجعوا مصنف عبد الرزاق، من له اهتمام بالمسألة، هذا يعتبر من النشرة الجائزة.

أيضًا من النشرة الجائزة مراجعة الأطباء، أصحاب الاختصاص، مثلًا لو كان السحر سبب لعدم الإنجاب يراجع أطباء في هذا التخصص، يتطبب الإنسان تطبب عادي، يعني يأخذ من الأدوية ما تمكنه من هذا، يعني لا تتصور أن السحر سيمنع التطبب، لا ، التطبب سيمنع أثر السحر.

أيضًا لو أن إنسانًا أصيب بسحر أفقده التركيز العقلي، أو أفقده أحيانًا التوزان النفسي، أو أصيب بمرض الخوف بسبب مثلًا أثر سحر، ماذا يفعل مثل هذا؟ ممكن يذهب إلى الأطباء النفسيين، لأن هذا السحر سبب نقص هرمون معين في دماغه، فيأخذ أدوية يتطبب بها فيرفع هذا الهرمون فتحل المشكلة.

فالتطبب عند الأطباء طريق من طرف المعالجة الشرعية، نوع من أنواع الانتشار، الانتشار كما قال ابن القيم، الانتشار يكون بالرقية، بالمعوذات، وبالأدوية، بالأدوية يعني العقاقير، العقاقير تكون سببًا من أسباب علاج السحر، لا تتصور أن السحر لا يتعالج إلا بالرقية لا بالرقية وبالأدوية أيضًا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نعم عند الطبيب العادي، حتى لو كان الإنسان مصاب بالسحر والسحر له آثار على بدنه يستطيع أن يستعمل الأدوية ويشفى.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: عدم ظهور السبب شيء، وإنكار المعالجة شيء أخر، .يعني إنسان يشعر بصداع مستمر وليس هناك سبب للصداع، نظره جيد، وأسنانه جيده، ليس عنده أي سبب، فالطبيب يعطيه مسكن، هو يبحث عن السبب من أجل أن يحل المشكلة من جذرها، لكن لم يجد سبب سيستعمل معه المسكن ليهدىء هذا، يأتي في منع الحمل مثلًا، هناك أسباب محددة لمنع الحمل، سبب منع الحمل كذا وكذا وكذا، وكل هذا سليم وليس هناك مشكلة موجودة، لا عند الرجل ولا عند المرأة، إذن ما سبب منع الحمل؟ إذا لم نعرف السبب نبدأ بالعلاج حتى لو لم نعرف السبب.

يعني هناك طرق للعلاج تسهل لو عرفنا السبب، لكن لو لم نعرف السبب يمكن أن نعالج مع عدم معرفة السبب، يعني لو واحد أصيب مثلًا بسحر يمنع الإنجاب، هل لو جاءت تسألني تقول لي استعمل طفل أنابيب أو لا أستعمل أقول لها لا تستعملي! لا ليس له علاقة، يمكن أن تستخدم ويكون النتيجة الحمل، لماذا؟ لأن السحر منع الأسباب الطبيعية، لكن ليس معنى ذلك أنك لو تداويت لا تتعالج! هذا فهم خاطىء لأثر السحر.

المرة الماضية شرحنا هذا الموضوع شعروا أنهم غير قادرين أن يدركوه، شعروا أن السحر كالقاصمة، انتهى موضوعه، لو وقع لا تحل المشكلة وها انتم تقرؤون كلام ابن القيم يقول لك والأدوية!، فالأدوية هذه فيها نوع من أنواع المعالجة، يمنع أثر السحر، أو يأتي بالنتيجة من طريق أخر غير الذي مُنع بالسحر، يعني السحر منع طريقًا، الأدوية تفتح طريق أخر.

وانت لا يغرك كلما ذهبت إلى الطبيب وقال لك ليس عندك سبب ظاهر للمرض فتنتقلي مباشرة تنتقلي إلى السحر لا غير صحيح، ممكن أن يصاب الإنسان بشيء خفي، في حكم عقله أنه سحر، لكن ربما يكون مرض خُفي على الأطباء وهذا ما يحصل أنه يأتيك بعد عشر سنين يقول لك حالات كثيرة من الوفاة حصلت بسبب هذا المرض ولم يكتشف إلا بعدما ماتوا هؤلاء

كلهم، فليس شرطًا أن يكون كل ما خفي سببه عن الأطباء يكون في المقابل سحر، والعكس أيضًا؛ ليس كل ما كان سحرًا لا يستطيع الطب علاجه، يعني لا هذا صواب ولا هذا صواب.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: إذا كنت تقصدين سؤال الرَّاقي والذهاب إليه وقراءته عليك نعم هذا ينقص من كمال التوحيد، كما درست في باب أن من حقق الوحيد دخل الجنة بغير حساب، أما إذا كنت تتكلمين عن التطبب فهذا أمر أخر، لأن التطبب عبارة عن طبيب أدفع له الكشف ثم أدفع له مال الدواء، والمفروض لا يكون في قلبك تعلق به، إذا حفظتي قلبك من هذا كله ستبعدين عن نقص التوحيد، لكن في الرقية لابد من الانفعال النفسي في الرقية، التطبب ليس مثل الرقية، التطبب هذا واحد يشخص لك ويعطيك نتيجة، لا يحتاج أن تنفعلي نفسيًا، لكن في الرقية لابد من الانفعال النفسي للراقي، فهذا فارق بين التطبب والرقية.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذه المسألة – مسألة الرقية والقراءة على الناس وخروج الجن من هؤلاء ودخوله إلى هؤلاء – كل هذا الكلام إذا تريدون نصيحتي ارموا به في البحر، لأن غالبه كلام يأتي من الشيطان للناس، يعني الشيطان يزيد تخويفه لهم، أنه لو قلت لأحد سيحصل كذا وكذا لك.

انتم الآن قيسوا أنفسكم ماذا تشعرون تجاه كلمة السحر؟ بخوف، فهذه أحد المصالح الشيطانية، أحد المصالح الشيطانية أنك تشعري أنه من أعظم المخوفات، السحر والجان، هذا الاستمتاع للجن، نوع من الاستمتاع للجن، يستمتع بك أن يجدك خائف منه، وأيضًا يجتمع أمرين: يجتمع مسألة خفية مع النساء، والنساء أصلًا عندهم أستعداد لأي شيء أنهم يخافوا من أي شيء ويأتي فوقه أن السحر مسألة خفية، فخفائها يؤثر عليك، فانت أصلًا امرأة وعندك استعداد للخوف، ومسألة خفية، وأيضًا يأتيك معاونات ومساعادت من الخارج، فمن أجل هذا كله أترك عنك هذا الباب تمامًا.

انتهينا من النشرة وتبيَّن لنا حالها.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: آثار السحر، آثار العين تعالج بالتطبب، يعني من آثار العين مثلًا أنك تفقدي تركيزك في القراءة مثلًا، من آثار العين، هناك جلسات علاجية عند المتخصصين في صعوبات التعلم ترفع كفائتك في القراءة،وتحل المشكلة، هذا نوع تطبب.

آثار العين، آثار السحر، هو أصلًا ما يؤذيك؟ آثاره، مثلًا من آثار العين أنه يظهر عند البعص حساسية، ممكن أن تكون حساسية أو ممكن تكون هذا مرض اسمه حساسية، فمن عنده مرض يسمى حساسية أن عنده عين يكون آثارها الحساسية؛ الاثنين أين يذهبوا؟ إلى الطبيب يتعالجوا، فمخرجهما مختلف لكن علاجهما واحد.

يعني هذا أتته عين في سلامة بدنه، في صفاءه، فماذا كان أثرها؟ الحساسية، ماذا يفعل؟ يتطبب، مثل ما يتطبب واحد أصلًا وراثيًا عنده حساسية، وراثيًا هذا تعبير علمي وإلا نحن نؤمن أن كل شيء بأمر الله، فانتم اعطوا المسألة حقها، داخل فيها شيء من التعظيم الزائد الذي جعل لكم أن هذا واقع تحت عين أو سحر إذن انتهى موضوعه! ليس هناك مجال لعلاجه!، ولذلك عندما يأتي أحد يقول هذا مصاب بالحساسية تقول لا لا هذا يأتي من عين أصلًا، ولا تفكر في علاجه!، نقول إذا كنت تعرف أنه من عين بالعكس المفروض تجتهدي، تقرأي له ليل ونهار وتذهبي به إلى الأطباء لأخذ الدواء الكيميائي مع الرقية الشرعية، المفروض عليك دورين أيضًا لا دور واحد، بل نحن نقول بالعكس، نقول من أتاها مرض الحساسية وراثيًا أو المسألة ليس لها علاقة بالعين نقول

تقربي بها إلى الله لأن من أبواب الاستشفاء الرقية، ارقيه حتى لو ما كان عين عسى الله أن يدفع عنه، فانت تجدي في في النهاية النتيجة واحدة، سواء كان المخرج عين أو المخرج مرض أصيب به من ابتلاهم الله والذي يشفيهم الله، وهو الذي جعل لكل داءٍ دواء إلا الموت، أعطوا المسائل حجمها، لابد أن تعطوا المسائل حجمها.

نتوقف عن الاسئلة.

ننتقل إلى باب ما جاء في التطير.

باب ما جاء في التطير وقول الله تعالى: (أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)[٣٥٦]. وقوله: (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ)[٣٥٧]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ" أخرجاه. زاد مسلم: وَلَا نَوْءَ وَلَا غُولَ.

ولهما عَن أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ" قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: "كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ".

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرْتُ الطِّيَرَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فليقل: اللَّهُمَّ، لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلا أَنْتَ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلا أَنْتَ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: "الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنّا إِلَّا وَلَكِنّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتّوَكُّلِ" رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابْنِ عَمْرٍو، "مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ"، قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: "أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ".

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما: "إِنّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدّكَ".

أولًا لماذا نناقش موضوع الطيرة في مجموعة السحر؟ تذكروا من الأدلة الماضية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنْ الْجِبْتِ"، إذن هذا كله من أشكال السحر، لذلك نتكلم عن التطير، لكن ما العلاقة بين التطير وبين السحر؟ سيتبين لنا العلاقة خلال دراستنا.

نبدأ أولًا بمعنى فهم التطَّيُر في اللغة: التَطَّيُر كما ذكر صاحب المعجم الوسيط: تَطَيَّر: تَفَاءل.

إذن التطير أصله من معنى التفاؤل، وتطير [به ومنه] تشاءم، وأصله التفاؤل بالطير، ثم أستعمل في كلما يتفاءل به ويتشاءم، ويقال أطَّيَر بالقلب والإدغام وأصله تَطَيَّر.

---

[٣٥٦] الأعراف:١٣١

[٣٥٧] يس:١٩

- إذن ما معنى التطير في أصله؟ التفاؤل.
- [تطير به وتطير منه] تشاءم.

ما أصل التطير؟ التفاؤل بالطير ثم استعمل في كل ما يتفاءل به ويتشاءم منه، هذا التطير في المعنى اللغوي، لاحظي أن التطير فيه التفاؤل والتشاؤم.

إذن التطير شرعًا هو التشاؤم أو التفاؤل بمرئي أو مسموع أو معلوم:

- مرئي: يرى طير، يرى أعمى، يرى غراب، فيكون أثره أنه يعدل ويرجع عما كان عاقدًا العزم على فعله.
- مسموع: كأنه إذا أراد أن يسافر أو أراد أن يتزوج يسمع كلمة يا خاسر فيكون أثره عليه أن يرجع عن قراره.

هذه كلها أمثلة نضربها على التشاؤم، لا نضرب على الجهة الأخرى التفاؤل، سنسير على التشاؤم إلى أن يستقر الأمر ثم نضرب أمثله على التفاؤل الغير شرعي، عندما نأتي إلى التفاؤل الشرعي نفرق بين التفاؤل الشرعي والغير شرعي.

- المعلوم مثل التشاؤم بيوم الأربعاء، أو برقم ١٣، فهذه الأشياء معلومة يتشاءم منها الإنسان، يتشاءم منها من كان في قلبه ظن السوء.

نريد نفرق بين التطَّير والطِّيرة.

- التطَّير هو الظن السيء الكائن في القلب.
- والطِّيرة هو الفعل المرتب على هذا الظن.

يعني الفعل الذي يفعله الإنسان بناء على هذا الظن السيء، يعني يكون الإنسان أصلًا متطير، يعني هذه طبيعته، طبيعة تفكيره، لا أنه طبع عليها، لا أن هذا هو اعتقاده أن هناك مؤثرات على قرارة [أشياء مرئية أو مسموعة أو معلومة] إذا رآها أو سمعها أو وجدت معه تغير قراره، فهو في داخله ظن نوعه سيء، ثم الطيرة نفسها هو ذاك الموقف الذي يفعله فيحصل منه طيرة.

التطير هو الظن السيء الكائن في القلب سواء حصلت مواقف أم لم تحصل، إذا حصلت مواقف تصبح الطيرة.

عندي تطير وطيرة؛ ما الفرق بين التطَّير والطِّيرة؟ التطير الظن الذي في القلب، والطيرة هي المواقف التي تحصل، التي يفعلها بعينها موقف موقف، يسمى ردة فعل لما رآه لما سمعه، تسمى طيرة.

نرى الآن الأدلة وكيف أنها تبيِّن لنا أن التطير له أشكال وأوضاع لأني لو سألتك عن التطير دائمًا تكلمني عن التطير في المستقبل، يكون أريد أن أخذ قرار ثم أرى أو أسمع شيء وامتنع عنه، هذا تطير، لكن هناك تطير غائب عن أذهاننا وهو تطير على ما مضى، نرى الآن آية الأعراف.

❖ الدليل الأول.

وقول الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٣٥٨].

آية الأعراف في سياق ماذا؟

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَـٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

ننظر أولًا إلى الآية ١٣٠؛ هذا وصف لحال مَن؟ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ هذا وصف لحال آل فرعون، أن الله عز وجل أخذهم يعني عاقبهم بالسنين، والسنين المقصود بها الجدب، وأيضًا نقص من الثمرات، بعد أن كان عندهم ثمرات أنقصها عليهم لماذا؟ ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يعني العلّة في النقص، في نقص حالك، ونقص ما بك من عطاء الله، العلّة لعلك تتذكر أنه هو الذي امتن عليك وانت تعصيه فيبيِّن لك أنه قادر على أن يأخذ نعمته منك.

انظري بعد أن يربيك الله كيف انت تفهم التربية، انظر قوم فرعون كيف فهموها وناس كثير مثل قوم فرعون يفهموها:

- ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَـٰذِهِ﴾ يعني إذا أصابتهم الحسنة وهي الخير والخصب وسعة الرزق، قالوا نحن أهلها ومستحقوها، ولم يروها تفضلًا من الله فيشكروا عليها، وإنما رأوا أنهم مستحقين لها، وكلمة مستحقين لها؛ لها معاني كثيرة بجوهدهم بتعبهم، هذه الحالة الأولى ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَـٰذِهِ﴾ ما معنى ﴿لَنَا هَـٰذِهِ﴾ لنا هذه؟ يعني نحن أهلها ومستحقوها.
- ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ انظري لتصريف الأمر عندهم، ما تصريفه؟ ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾.

ما معنى ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾؟ يقولون هذا من شؤمه، من وجوده، أو انت تسمع اليوم بلغة أخرى؛ هذا من عين فلان، هذا بسبب حسد فلان، يعني أنهم بعدما يصيبهم النقص يتطيروا هنا قوم فرعون يتطيروا بموسى، لكن كقاعدة عامة يتطيرون بمن يكرهون، أو بمن يسيئون الظن به، يقول هذا عايانا، هذا فعل لنا، هذا حسدنا، هذا دخوله علينا لم يكن طيب.

لذلك تجد عند أهل البلد جملة وهم يخرجون من بيوت بعضهم، تقول لها دخلنا عليك بالصلاة على النبي، يعني هي تخرج تقول دخلنا عليك بالصلاة على النبي، يعني نحن لا نحسدك ولا نحن نريد منك إفساد لحياتك ولا أي شيء، طبعًا هي بعد ذلك أصبحت عادة، هي تقلصت لكن هذا معناها، أنهم يخافون وهم يخرجون من البيت أن يحصل شيء عند أهل البيت فيتطيروا بهم. ومثله عندما تدخل هذه على هذه، مثلًا الحامل على مرضعة أنها تمنع حليبها!، أو مرضع على مرضع أن تمنع الأولى حليب الثانية، يعني الداخلة تمنع حليب الثانية، هذه كلها من أبواب التطير، تأتيك دائمًا تحت هذا الكلام لكن هذا مجرب وعشناه ومواقف رأيناها.

ماذا تقولون لأحد يقول هذا الكلام؟ نبدأ من عند قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ هذا كله لماذا؟ ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فهذا نوع من أنواع الابتلاءات والاختبارات، ونحن قلنا أن التطير أصلًا عبارة عن الظن السيء في القلب، فإذا كان انت أصلًا فيك هذا الظن السيء سيعاقبك الله على ظنك السيء، بما يزيدك خبالا، لأنك تستحق مثل هذا، إذن هذا التطير على ما مضى.

---

[٣٥٨] الأعراف: ١٣١

واضح الفرق؟ أي أن عندي تطير على المستقبل بمعنى عندما أدخل في موضوع وأرى وأسمع كلام امتنع عن إتخاذ القرار، هذا نوع، ليس هذا النوع الذي نتكلم عنه، إنما نتكلم على نوع أخر، التطير على ما مضى، يعني حدث صار فيه نقص، أتى على ما لا يلائم، ماذا أفعل عندما يحصل؟ ابحث عن أي أحد أنا في قلبي عليه أو في سوء ظن به وأقول حصل لي كذا وكذا من شؤم فلان علي.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: حتى لو كان، حتى لو ما كنت أصلًا لست شاكك فيه هذه تأتيك مثل الاختبارات والبلايا. يعني أي قضاء وقدر ينزل عليك لا تعامله بربطه بالناس، على ذلك أصبح إله من دون الله العين والحسد!، يفعل بقوة ويخاف منه أكثر مما نعتقد في الله!، لا تنكروا وجود هذه المشكلة، الناس في نفوسهم خوف من العين وخوف من الحسد يمنعهم حتى من الاستمتاع بما أعطاهم الله!، يمنعهم من أن ينفقوا في سبيل الله!، يمنعهم من أن يتقربوا إلى الله بما رزقهم الله!.

يعني أحيانًا يكون عندك سعة في المنزل، يكون عندك كثرة في الملابس يمكن أن تعطي غيرك، فتخافي أنك تعطي غيرك أو تقولي لها تعال مثلًا أولادها عندهم مناسبة، بناتها عندهم مناسبة وليس لديهم شيء يلبسوه، فتقول بناتي مثل بناتك تعال خذي ما تريدين، فيمنعك من هذا أنك تخافي أن تدخل عليك فترى ما عندك فتحسدك، فانظري هذا الخوف ماذا يورث من منع للقربة إلى الله!.

يأتيك دائمًا كلام أنه طبيعي أن أخاف من العين؟! نقول لا ليس من الطبيعي!، كلما يزداد إيمانك علمت أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، بل أطلب القربة من الله بهذا الفعل، وإذا طلبت القربة أتتك البركة، البركة التي لا يوجد أحد يتكلم عنها اليوم، يعني الناس اليوم لا يكلموك عن البركة لكن فقط يكلموك عن العين التي محقت البركة، لا يكلموك عن الأسباب الحقيقة التي محقت البركة [ذنوب ومعاصي وكبر وإرادة دنيا وحقد] كل هذا يزيل البركة.

يعني في أحيان كثيرة تأتيك لحظة واحدة – لحظة كبر – أنك ستصبح بهذا المال، أو بهذا البيت أو بهذه الشهادة أحسن من غيرك، وانظر ماذا يحصل لك جزاء لذلك، تمحق بركة شهادتك، تمحق بركة بيتك، بركة مالك، بسبب ما وقع في قلبك من كبر، وانت عندك علامة استفهام، ما الذي حصل؟!، لماذا محقت البركة؟!، أكيد فلان قال كذا، أكيد علان قال كذا، هذا وجه.

وجه أخر لابد من التنبيه له كما ذكرنا "المنطق"، صحيح أقول لك لا تعتني بالعين، ولا تعتني بهذا الكلام، كلام صحيح، لكن انت أحيانًا ألفاظك هي التي تأتي بالمشكلة، أريدك أن تلعب الدور الثاني، انت من دخلت علي البيت مثلًا، انت من دخلت على ملابس بناتي، انت من شهدت مثلًا أخذي للمال، أحيانًا لا يكون عندك منطق، لا يكون نفسك خبيثة لكن انت كلامك ليس فيه منطق، تأتي ترى الطفل الصغير يأكل فتقول الأطفال كلهم يتركوا وهذا ينتهي من أكله كل يوم، وليس هناك ماشاء الله، وانت لم تقصد شيء، انت تقول عن نفسك كأنك توصف الحال، لا هذا واحد ليس لديه منطق، يجب التبريك، لابد!، لأن العين تسبق، نحن لا ننكر هذه الجهة الأخرى أيضًا، أنه أحيانًا تكون انت سبب أن تتهم، يكون ليس عندك منطق وانت توصف الأحوال، تأتي للطفل وخصوصًا لهؤلاء مَن يعلموا، تأتي لطالبة ذكية أو فاهمة وتقول هذه ليس هناك مسألة إلا تعرفها.

مثل هذا الكلام مسيء، يزعج، مهما كنت لكنه يزعج، الآن ماذا نريد من الطرفين؟ انت صاحب النعمة كن مؤمنًا بالله، كن مؤمنًا أن الله عز وجل هو الذي أعطاك، وهو الذي يحفظ عليك النعمة، "احفظ الله يحفظك" استعمل هذا، ولا تبخل، ولا تعامل نفسك بمشاعر البخل فتمنع عن نفسك نفع الناس التي بها تتقرب إلى الله.

يعني انت مثلًا تفهم في مسائل، تفهم في العلم، فتخاف تأتي تشرح لأحد يكون رده أن يصيبك بالعين، نقول لا لا تتعامل بهذه الصورة، على هذا لا تستطيع أن تتحرك!، وعلى هذا دخل في قلبك نوع خفي من الشرك، لا، تعامل مع عطايا الله بالإنفاق، أنفقها، علم الناس، ساعدهم، أعطيهم من مالك، وسع عليهم كما وسع الله عليك، ولا يهمك أن الناس يقولوا هذا عنده وعنده، لا يهمك هذا الكلام، بيتك واسع استقبل فيه وأنفع الناس به، علمهم فيه، لا تخاف إذا استقبلتهم تكلموا عنك، مثلًا.

وفي الجهة الأخرى لو انت الرائي أو السامع كن على حذر، فكر قبل أن تتكلم، لا تكون سببًا حقيقيًا في إزعاج المسلمين، لأن هذه الكلمات مؤذية، لو ما كانت صادرة من نفس خبيثة فيها حسد أقل تقدير ستكون نوع من أنواع إيذاء المسلمين، وتأثم بإيذاء المسلمين، ونرجع من جديد أقول نسأل الله أن يزرقنا منطقًا نتكلم به، لأن عدم الإحساس بقيمة الكلام وتجد واحد يتكلم بكل عفوية، في مثل هذا ليس هناك عفوية، يجب أن تكوون على حذر، لا تؤذي أخوانك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: إذا انت السامع أطلب منه أن يقول ماشاء الله، افعلوا ما أردتم الآن أنا أحل المشكلة من جذورها، لو انت متكلم التزم الصمت ولا تقل مثل هذا الكلام، لا تنزل صواعق على من أمامك، كلام لا يقبله النفس.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا كله من الابتلاءات، لأنه لابد من تعقيد، الحسد ليس بهذه السهولة مجرد مرور خاطر على الذهن، وإن كان فيه نوع، لكن الآن أريد منكم أن تستفيدوا من هذا الكلام من الجهتين:

- من جهة "احفظ الله يحفظك" لو كنت مالكًا.
- ومن جهة كونك تستعمل المنطق وانت تتكلم لو كنت رائيًا لملك أعطاه الله عز وجل لغيرك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هناك فرق؛ هذه أحوال تحتاج منك كيف تعرفي أن هذه عين، لكن اتكلم عن مجتمعنا، لا أتكلم عن الحالات النادرة، يعني انت تريد تقنعني أن كل الذي نسمعه من أحوال عبارة عن عين؟!، الناس ينقص عليهم الشيء القليل والكثير تقول لك عين، وليس هناك في التفكير ولا لحظة واحدة ما هي الذنوب التي أقترفتها، مثل قوم فرعون بالضبط، الله عز وجل أصابهم بما كسبوا وكل المقصود من ذلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ وهم دائرين في دائرة أخرى، يفكروا في موضوع أخر، ويأتون طبعًا بالنصوص، ومشكلتنا أنهم يأتون بالنصوص، في مسألة العين يأتيك يقول لك العين حق، والنبي صلى الله عليه وسلم قال وقال لا ننكر، لكن فلنفرض أنها عين، أليس لها دواء؟! لها دواء، دواءها القراءة، دواءها الصدقة، دواءها العمل الصالح، دواءها التوبة، هذه كلها من الأدوية، خصوصًا لو كنت ستتوه وانت تبحث عن من هذا العائن.

ما ينقصنا الآن أعتقاد في القلب أن الله يحفظنا، هذا ما ينقصنا، فتجد الناس في خوف شديد وهناك تفسير لكل شيءٍ تفسير يدل على سوء ظن في القلب.

على كل حال انتهى الوقت.

الحمدلله الذي يسر لنا هذا اللقاء ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاء مباركًا مرحوما.. اللهم آمين.

لازلنا في الكلام حول أبواب السحر، تكلمنا في موضوع السحر أولًا في باب ما جاء في السحر، قررنا في هذا الباب حكم السحر، والساحر، ثم أتينا إلى باب بيان شيء من أنواع السحر قررنا ما يدخل تحت السحر ومن هنا بدأت بقية الأبواب، يعني بقية الأبواب تبدأ من عند بيان شيء من أنواع السحر، هذه الأبواب التي بدأت من هنا ما هي؟ باب ما جاء في الكهان، ما علاقة الكهانة بالسحر؟ كلمة كاهن أو عراف يدور حول مَن؟ الساحر؟ من يدّعي علم الغيب، ما علاقته بالسحر؟ ممكن أن

يكون الكاهن هذا يكون واحد ممن يفك على يديه السحر، يستعين بالشياطين لمعرفة أماكن السحر، يستعين بالشياطين من أجل فك السحر، لكن هذا ليس جوابًا شافيًا، يبقى هذا السؤال؛ ما علاقة الكهانة بالسحر.

يأتي سؤال بعده: ما علاقة النشرة بالسحر؟ النشرة ما معناها؟ حلّ السحر، ماذا تبيَّن لنا من الباب باختصار؟ أن حلّ السحر ممكن أن يكون بسحرٍ مثله، وحلّ السحر ممكن أن يكون بالرقى، وبالأدوية، وبالعقاقير المباحة، إذن هذه نتيجة من باب النشرة.

- خرجنا من باب السحر بحكم السحر والساحر.
- خرجنا من باب شيء من أحوال السحر بأنواع تدخل تحت السحر.
- خرجنا من باب الكهان بماذا؟ انظروا للمتن من أجل أن تقولوا جملة مفيدة، ماذا تقولون؟ ممكن تقولي حكم التعامل مع الكهان.

التعامل مع الكهان وسؤالهم حكمه ينقسم إلى كم قسم؟ قسمين، على أي أساس ينقسم؟

أمَّا أنه سأله فصدقه.

أو سأله مجرد سؤال لم يكن بتصديق.

إذا سأله فصدقه ماذا تكون النتيجة؟ كفر بما أنزل على محمد، اشرحي هذه الجملة "كفر بما أنزل على محمد" ماذا تقولين؟ باختصار ستأتين بآيات ونصوص، بآيات نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم أي من القرآن، أو أحاديث ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، تصديق الكاهن تكذيب لهذه النصوص، لو صدقت الكاهن بما يقول وأنه يعلم الغيب سأكذب بهذه النصوص، إذن هذه نقطة حكم إتيان الساحر.

أيضًا مَن هو الكاهن؟ هذه النقطة الأولى المفروض نتفق عليها، لا أريد جواب لكن فقط نراجع ما درسنا، مَن هو الكاهن هذا أيضًا خرجنا به، من هو الكاهن وما حكم إتيان الكاهن، يبقى عليكم أن تجيبوا ما علاقة الكاهن بالسحر.

مر معنا باب ما جاء في السحر، باب شيء من أنواع السحر، باب ما جاء في الكهان، باب ما جاء في النشرة، إلى هنا كل الأمور التي نوقشت محدده واضحة، ليس فيها إشكال، بحيث أني لو أتيت اسألك: ما حكم إتيان الكاهن ستجيب بالأدلة التي درستيها، نفس النقاط التي ناقشناها المفروض دراستها وهذا الباب الذي درستيه ما أهم نتيجة خرجتي بها منه مع أستخدام الأدلة، بنفس هذه الطريقة مرري الأبواب الماضية، ما سبب كفر بني آدم وغلوهم في الصالحين، وما أدلتك على ذلك؟ كذا وكذا وكذا.

انتقلنا من ثمَّ إلى باب التطير، ما علاقة التطير بالسحر؟ نوع من أنواع السحر، ما وجهه؟ له تأثير خفي في اتجاهات وقرارات الشخص لذلك يعتبر نوع من أنواع السحر.

مر معنا آية الأعراف، وكنا اتفقنا أن التطير هو الظن السيء الكائن في القلب، والطيرة هو ردة الفعل على الموقف نفسه، دائمًا نتصور التطير على أمر مستقبلي، هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم، التشاؤم على ما مضى وعلى المستقبل.

- المشهور على المستقبل، أن واحد تطير أي تطير على مستقبل أمره، يرى شيء، يسمع شيء، فيقع في قلبه أنه في مستقبل الأمر سيخسر وسيحصل له كذا وكذا.
- لكن على ما مضى هي التي تحتاج شيء من البيان، لأن كثير من الناس يقعون في هذا النوع من التطير وهم لا يشعرون، ما هو النوع الذي يقعون فيه وهم لا يشعرون؟ على ما مضى.

اوصفي لي هذا النوع من التطير بالنص؟ في سورة الأعراف في سياق الكلام عن موسى وفرعون، الله عز وجل وصف كيف أنه سبحانه وتعالى رباهم ليعودوا إليه، لعلهم يتذكرون.

- إذا جاءهم ما يحبون نسبوا النعمة إلى أنفسهم.
- إذا جاءتهم السيئة تطيروا بموسى ومن معه.

اوصفي له ما معنى تطيروا بموسى ومن معه؟ تشائموا، اوصفي لي تشائموا؟ اربط بين السيئة وبين التطير ماذا تقولين؟ اعتقدوا أن السيء الذي وقع عليهم بسبب موسى، هذا هو معنى التطير بموسى عليه السلام، ما معنى تطيروا؟ ربطوا بين السيء الذي وقع عليهم وبين موسى عليه السلام.

لو اسألك الآن النساء الذين يضعون تحت ملابس أبنائهم أو تحت أنفسهم قطعة من الألماس أو سكين أو قطعة من الحديد – على حسب العادات– وقت النفاس، أصلًا ماذا يعتقدون أو ما الذي حصل لهم ففعلوا هذا الفعل؟ أريدك تفكري كيف أصلًا تأتي التطيرات، كيف أصولها تأتي، يعني من أين لهم هذه الاختراعات؟ من أين لهم أن مثلًا لو دخلت حائض على نفساء تمنعها؟ وبتعبيرهم "تكبسها"، من أين لهم؟ يأتون إلى مواقف قديمة ويحصل هذا الحال، وبقدر الله تمنع المرأة من الإنجاب، أمر الله، فهم يربطون بين الحدث وبين المنع الذي أتى من عند الله، يفسرون قدر الله على أمور ما أنزل الله بها من سلطان.

قوم فرعون من أين لهم أن يتطيروا بموسى؟ من أين لهم أن يفعلوا هذا الفعل؟ ستقولين وقع في قلوبهم العدواة لموسى، فعندما وقع عليهم شر أعمالهم نسبوها لمن يعادون، وقس على ذلك كل الأحوال الإنسان يمر بها ويجد في بدنه أو في ماله نقص فينسب هذا النقص إلى العين من أشخاص هو يعاديهم، هذا النوع من التطير غير التطير على المستقبل، التطير على المستقبل مثل ما هو مشهور عند العرب، أنهم لو رأوا طيرًا أو أرادوا سفر يزجروا الطير فإذا سنحت يمينًا تفائلوا بها وسافروا، وإذا يسارًا تشائموا، هذا على المستقبل.

إذن عندك نوعان من التطير، تطير على ما مضى من قدر الله، أوصفي التطير على ما مضى من قدر الله؟ مثل ما تقولون على فرعون وقومه، يعني يقع على العبد في جزاء أفعاله، ما معنى جزاء أفعاله؟ المقصود ذنوبه، آثار الذنوب، ومن المعلوم أن الذنوب لها آثار، فإذا وقعت عليه آثار ذنوبه ماذا يفعل؟ كيف يفسر ما وقع عليه من ضرر؟ ينسبها إلى شؤم من يعادي، أو يلقي في قلبه الشيطان أن هذا بسبب فلان وفلان تطيرًا بهم، هذا على ما مضى من أقدار.

هات دليل على هذا النوع من التطير؟ آية الأعراف، هات نصها، هات المقطع الذي يدل على هذا؟ ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ﴾ شاهدنا ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ هنا شاهدنا، ثم رد الله عليهم ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ لكن أنا أتكلم عن حالهم هم ماذا فعلوا؟ إذا جاءتهم السيئة قالوا هذه من موسى، وعلى هذا قس هذا النوع من التطير أن الإنسان عندما يقع عليه قدر الله الغير ملائم بالنسبة له، الذي يكون في الغالب من آثار ذنوبه ماذا يفعل هو؟ يتشاءم ويتطير بالعين والحسد والسحر والناس الذين دخلوا عليه إلى أخره، وهو يكون أصلًا وسواس شيطاني، انتهينا من هذه الآية.

❖ الدليل الثاني.

ننتقل إلى آية يس.

وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾[٣٥٩]

انظروا إلى سياقها؛

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

ماذا قررت الآيات؟ القوم من أتوا إلى هذه القرية، الرسل الذين أرسلوا إلى القرية جاءوا قومهم بالوعظ والتذكير، فكان حال أصحاب القرية المشركين لما كذبوا الرسل وأصيبوا بالبلاء أن تشائموا وتطيروا بهم، مع أنه كان المتصور أن يعودوا إلى الله لما رأوا قدرة الله.

– هم بدلًا من أن يعودوا إلى الله تطيروا بهم، قالوا انتم سبب الشؤم، قلبوا المسألة، انتم سبب البلاء، لم تأتينا عقوبة إلا عندما أتيتمونا —

رد الرسل عليهم أن البلاء الذي أصابهم بسبب ذنوبهم ومخالفتهم الصالحين، فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله، وانت ترى حال كثير من المغرورين إذا وقعت العقوبة نسبها إلى المستقيمين تسكينًا لضميره، وفرحًا بحجة على أهل الدين.

يعني كثير من الناس في المجتمع عندما تنزل عقوبات يلصقها في أي واحد مستقيم، أن فلان السبب، وهذا ممكن يكون من المستقيمين مع بعضهم، يعني جماعة يظهر عليهم علامات الاستقامة يعاقبوا بذنب، مثلًا يحرموا من درس فيتهم بعضهم بعض، أو فلنفترض أنك معلم وذاهب إلى طلابك، ثم يلغى الدرس، فتقول بسببهم، بسبب ذنونبهم، فكن على حذر من أن تلصق في غيرك التهمة، سواء كان بالتشاؤم بمعنى اعتقاد أن الشر يأتي منهم، أو حتى مع أعتقاد أن ذنوبهم هي السبب، لأنك عندما تقول ذنوبهم هي السبب معناه ترى في نفسك الصلاح، ترى نفسك أنك لست انت الخاسر.

انت الآن عندما يلغى الدرس انت واحد من أعظم من خسر، لأن باب طاعة أغلق عليك، فلا تعيشوا هذه المشاعر أبدًا، مشاعر أن تلقوا على غيركم آثار ما تجدونه من ذنوب، وفي نفس الوقت احذروا من ما يسمى بجلد الذات، جلد الذات هذا مثل واحد يكون الناس تقع عليهم ذنوب وهو يرى آثارها وهو يأتي طوال الوقت على نفسه باللّوم، لا هذا ولا هذا، لا تكن واحد تتهم غيرك بالشؤم ولا واحد ترى نفسك طوال عمرك سبب لشؤم غيرك.

قررنا من الآيتين أن من عادة المشركين التشاؤم بالأشخاص الذين ليسوا سببًا للشر، ومن الضلال الإنصراف عن معرفة الأسباب الحقيقية ونسبة المسبَّبات إلى غير أسبابها – المسببات أي النتائج– والآيتان تدلان أيضًا على أن التطير من أمر الجاهلية وليس من أمر الإسلام.

---

[٣٥٩] يس:١٩

بقي أن نجمع بين آية الأعراف وآية يس.

- آية الأعراف: بيَّن الله عز وجل أن ما أصاب الرسل من بلاء هو من عند الله عز وجل بقضاء الله وقدره.
- وفي آية يس: بيَّن عز وجل أن ما أصابهم بسبب ذنوبهم.

كيف نجمع في الأعراف أنها من عند الله بقضاءه وقدره، وفي يس أنها بسبب ذنوبهم كيف نجمع؟ أن أقدار الله تجري بأسباب، وهذا يظهر لكم إن شاء الله عندما ندرس في باب القضاء والقدر، لأن الله بنى الكون كله على التسبب، بل كلٌ ميسر لما خلق له، يعني العباد يسرت لهم أسباب للقربة، والله عز وجل بيَّن من الذي ييسر لليسرى ومن الذي ييسر للعسرى، ماذا قال الله عز وجل؟ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ سيكون جزائه أنه ييسر لليسرى، والثاني بخل واستغنى وكذب بالحسنى، ما حاله؟ سييسر للعسرى، فكل شيء له سبب وأقدار الله عز وجل مبنية على هذه الأسباب، فانت تعلم أن الإيمان والعمل الصالح سبب للجنة، وتعلم أن الفسق والفجور سبب للنار، وتعلم أن من آوى إلى الله آواه الله، ومن فر من باب الله عامله الله بالأسباب لعله يعود، من بين الأسباب أنه يعاقبك بذنوبك لعلك تعود، فعندما تأتي إلى معالجة الله لك وتربية الله لك ألا وهو سبب من أجل أن يردك إلى الطريق فتكون معاملتك مع هذه المعالجة على أنها تطير من أشخاص ستكون بذلك قد أغلقت على نفسك الطريق.

إذن ماذا ستكتبون في الجمع؟ أن أقدار الله تجري بالأسباب.

أريد منكم أيضًا مراجعة كلام أهل العلم في الجمع بين الآيتين من أجل أن يكون عندك معلومة إثرائية من كلام أهل العلم، مهم هذه أن تكون منضبطه من كلام أهل العلم.

الدليل الثالث.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ " أخرجاه. زاد مسلم: وَلَا نَوْءَ وَلَا غُولَ.

نحن مقصودنا في كلمة : "وَلَا طِيَرَةَ" وهذا الدليل واضح نفي التشاؤم بمرئي أو مسموع من الأماكن أو الأشخاص، ولابد من اعتقاد أن الطيرة أمر وهمي، لا أثر له في قضاء الله وقدره.

لكن سأضطر اشرح العدوى خصوصًا اليوم بسبب انتشار الأنفلونزا المشهورة، وما هو واقع في نفوس الناس من خوف، فسأشرح موضوع العدوى بشيء من التفصيل.

من أول الحديث؛ انظري لكل الحديث: "لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ " هذه كلها أمور كانت موجودة في حياة الجاهلية، والجاهلية كانت مليئة بالخرافات والأوهام، وقدر نفى صلى الله عليه وسلم ما كان يعتقده أهل الجاهلية، نفاه وأبطله، نرى بالترتيب: "لَا عَدْوَى":

- ما هو معتقد الجاهلية في العدوى؟ اعتقاد أن المرض يعدي بنفسه.
- كيف تبطلين هذا المعتقد، أو بصيغة أخرى ماذا تعتقدين؟ أن الأمراض لا تعدي بنفسها ولا تنتقل بنفسها وإنما بتقدير الله.

نمر على باقي الحديث كله ثم اناقش المسألة التي دائمًا تدور بالأذهان، لا تعدي بنفسها وإنما بتقدير الله هل معنى ذلك أأخذ بالأسباب حماية أو لا أأخذ؟!، تحتاج المسألة إلى نقاش أوسع، نكمل بقية الحديث ثم نعود نناقش العدوى.

"وَلَا طِيَرَةَ":

- ما هو معتقد أهل الجاهلية؟ التشاؤم بمرئي أو مسموع من الأماكن أو الأشخاص.
- ماذا تعتقدين؟ أن الطيرة لا أثر لها في قضاء الله.

"وَلَا هَامَةَ ": ماذا يقصد بالهامة؟ الظاهر أنها البومة.

- ما هو معتقد أهل الجاهلية؟ التشاؤم بالطيور ومن ذلك البومة، فتزعم العرب أنه إذا قتل القتيل صارت عظامه هامة تطير وتصرخ حتى يؤخذ بثأره.
- ماذا تعتقدين؟ أن الطيور من مخلوقات الله، لا أثر الله في حكم الله وقضاءه.

"وَلَا صَفَرَ":

- ما معتقد أهل الجاهلية؟ التشاؤم بشهر صفر، فقد كان أهل الجاهلية لا يتزوجون فيه ولا يسافرون ولا يتجارون ويعتقدون أنه شهر مشؤوم.
- ماذا تعتقدين؟ الأزمنة لا تأثير لها في تقدير الله عز وجل، فشهر صفر كبقية الشهور لا أثر له في حكم الله تعالى.

"وَلَا نَوْءَ":

- ماذا يعتقدون أهل الجاهلية؟ أن النجوم لها أثر في إنزال المطر، ماذا تعتقدين؟ أن النجوم من خلق الله، لا أثر لها البتة في إنزال المطر.

"وَلَا غُولَ": هذه كلمة مستخدمة عندنا، ماذا يقصد به؟ هذا جنس من الجن والشياطين.

- يعتقدون أنها تضلهم الطريق، وتهلكهم.
- ماذا نعتقد؟ أن الغول لا تستطيع أن تضل أحد أو تهلكه، والمشروع للمسلم الاستعاذة بالله من شرها، وأحد أهم أسباب "الفوبيا"، المرض النفسي المعروف الخوف الشديد من المناطق المظلمة أو من التجمعات، التخويف في الصغر بمثل هذه المخوفات، ويخشى من التخويف بها وقوع شرك الخوف.

لماذا يقع شرك الخوف؟ لأن طوال الوقت يُخوف الطفل بمثل هذه الأشياء، لا تخرج في الخارج يأتيك الغول، لا تفعل كذا يأتيك كذا، ويحملك كذا، بدلًا من أن تقوي إيمانه بالله عز وجل وبحفظه وتستعملي النصوص أن النبي صلى الله عليه وسلم منع الأطفال من أن ينتشروا في وقت المغرب إلى أخره، بدلًا من أن يستعمل هذا يستعمل التخويف إلى أن يصل الحد إلى شرك الخوف، يخافوا من هذه الأشياء أكثر مما يخافوا من الله، ولهذا مسألة التخويف، لابد أن تكون متوازنة جدًا في مرحلة النمو، نميل إلى التطمين عن التخويف، لابد أن نميل إلى التطمين عن التخويف.

وعندنا جريئين هؤلاء أكثر ناس يخوفوا، فانت ماذا تفعلين؟ أكيد هذا الجريء ليس وحده في البيت، أكيد معه أشخاص أخرين، التخويف كله سينزل على الأخرين وهو باقي على نفس درجاته، وربما يؤثر الكلام معه مرة أو اثنين لكن لو جرب ووجد أن كلامك غير صحيح سيبقى كما هو، المشكلة في بقية الأفراد من يسمع هذا الكلام، وهو أيضًا بعد ذلك يستعمل هذا الكلام لتخويف غيره، ثم نخرج ناس جبناء، وهذا الذي نجده، جبناء على جميع الأصعدة!، سواء كانوا رجال أو نساء، وهذا كلام يؤسفنا

أن نقوله، لكن انظري موقفهم الآن من الحشرات الصغيرة، انظري ما موقفهم!، والله كلام يزعل هذا، لأن هذا يدل على ضعف الإيمان، ليست مسألة بهذا الهدوء تأخذوه، وطبعًا هذه نتيجة تربية طويلة على التخويف.

على كل حال؛ المقصد الآن أن كل هذه من اعتقادات الجاهلية، يجب عليك أن تدفعها وتدفع عنك حتى آثارها البسيطة في النفس، يعني لو وجدت في نفسك حركة تجاه أحد هذه الأمور لابد أن تعالج نفسك لأن هذه من اعتقادات الجاهلية، واترك عنك هذه الكلمات التي فيها تعظيم للجن، وأن الجن يفعلون ويستطيعون فيصبح إله من دون الله عند الناس.

نعود لمناقشة بالتفصيل في مسألة العدوى، مقصودنا ظاهر أن الحديث نهى عن التطير [بلفظة لا طيرة وبلفظة لا هامة]، هذان اللفظان يدلان على النهي عن التطير.

نأتي إلى مسألة العدوى.

كما اتفقنا العدوى هو انتقال المرض من المريض إلى السليم، والنبي صلى الله عليه وسلم في الحديث نفى العدوى، قال "لَا عَدْوَى" ، لكن قد يشكل على البعض أن النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا في نص أخر قال: "فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ"، ويمكن أن يقول أحد أن لا مبرر لنهيه صلى الله عليه وسلم إلا خشية انتقال المرض، فما الجامع بينهم؟

سننقل كلام الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ في الجمع بين الأمرين؛ يقول الشيخ:

وقد اختلف العلماء في ذلك

أي في الجمع بين الحديثين.

وأحسن ما قيل فيه قول البيهقي وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح، وغيرهم، أن قوله لا عدوى على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية،

يعني النفي الآن للعدوى على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية.

لا عدوى على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية، من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى

هذا الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية.

وأن هذه الأمور تعدي بطبعها،

لازال تحت النفي هذا كله.

وقد اختلف العلماء في ذلك وأحسن ما قيل فيه قول البيهقي وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح، وغيرهم، أن قوله لا عدوى على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية، من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى وأن هذه الأمور تعدي بطبعها،

هذا كله من اعتقاد أهل الجاهلية.

وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سببًا لحدوث ذلك.

اشرح لي هذه الجملة؟ "وإلا" أتى بالأستثناء مبني على ما مضى، المنفي اعتقاد أهل الجاهلية، ما هو اعتقادهم؟ إضافة الفعل إلى غير الله، وأن هذه الأمور تعدي بطبعها أي بنفسها، ثم أتى بالأستثناء، أو ثم أتى يتميز المسألة قال "وإلا" يعني يقع، ماذا يقع؟ أن

الله عز وجل هو الذي يجعل بمشيئته مخالطة الصحيح للمريض سببًا لانتقال المرض، فالمنفي هنا أنها تتعدى بنفسها، هذا الذي فيه إشكال، إلا الله عز وجل قد يجعل من أسباب انتقال المرض مخالطة الصحيح بالمريض.

يعني انت الآن صحيح اسألك مرض الأنفلوانزا عمومًا كم طريق يمكن أن يصل به إليك؟ لا تتعدي الطرق التي نتيجتها شيء واحد:

- أمَّا أن يأتيني المرض عن طريق شخص الله عز وجل جعله سبب لانتقال المرض.
- أو يأتيني بأمر الله بدون أن يكون هناك سبب ظاهر.

انتم تعرفون الجدري المائي، الجدري المائي في الأشهر القادمة في الغالب أنه موسم انتشاره، الجدري المائي الذي نسميه "العنقز" ، هذا يسمى الجدري المائي، هذا الجدري المائي يأتي في توقيت معين وينتشر نتيجة الأحوال الجوية، يعني أحد أسباب انتقاله ووجوده الأحوال الجوية، ينتقل إلى الناس ولو كانوا في بيوتهم، يأتيهم مع الهواء.

فكم سبب لانتقال الجدري المائي؟ بسبب شخص، أو بسبب أخر الهواء، والذي يفهم هذه المسألة جيدًا من عنده أطفال في البيت، يكونوا كلهم موجودين في نفس السن ويعيشون في نفس البيت يأتي لواحد والثاني لا يأتيه، لماذا؟ لأن الله قدر له أن يصاب بأي سببٍ كان، من العدوى من أصحابه في المدرسة مثلًا، أو بالهواء، هذا سبب وهذا سبب، الآن نفس الكلام في انفلوانزا الطيور، نفس الكلام في حمى الضنك ، نفس الكلام في أنفلوانزا الخنازير، نفس الكلام في كل الأمراض، الأشخاص مجرد سبب من بين الأسباب التي يمكن أن تكون سببًا للإصابة، لكن الأمر أولًا وأخرًا بيد الله سبحانه وتعالى.

فالإصابة إشارة إلى قدرته، والحماية إشارة إلى قدرته، لأنكم لا تتصوروا كيف تأتي الإصابة، تأتي لواحد من دون الجماعة، فهذا دليل على أن هذا الواحد ليس أمرًا كما تتصوره أنه مجرد أنه أتى وسيصيب كل من يصادفه، لا، لا تفكر بهذه الصورة، لأنك لو فكرت بهذه الصورة سيكون الناتج أن تعتقد أن هو بنفسه يعدي، لكن كل واحد أراد الله عز وجل أن يصيبه هذا الوباء الله عز وجل يسبب له السبب الذي به يأتي هذا الوباء له.

لماذا نسميه وباء؟.. انظري هي المسألة أخذت حجم أكثر من حجمها لأن بقليل من الثقافة تجاه التقارير الطبية التي تتكلم عن أنفلوانزا الخنازير، يقول لك أن أنفلوانزا الخنازير أضعف من أنفلوانزا الطيور، ثم أنك عندما تقرأ في تقارير أنفلوانزا الطيور نفسها تجدي أن على مستوى العالم تجدي كم واحد مات؟ قليل!، ٢١٦ شخص، يعني حادثة تحطم طائرة واحدة حصيلة الموت فيها أقل من أنفلوانزا الطيور، ومثلها قولي عن أنفلوانزا الخنازير، بل أضعف منها أيضًا.

النتيجة أنه أول شيء يبدأ يقع في قلبك شك من هذه السياسة، سياسة نشر الأوبئة، لأن هذه نوع من أنواع الحرب، ليست حتى النفسية، إنما البيولوجية التي ستدخل في أبدان الناس، نوع من أنواع الحرب، مع طبعًا الحرب النفسية، ليس فيه إشكال، في مقابل ذلك انت عندك ما يقاوم هذا بكل سهولة، انت فهمت أنه لا عدوى، ما معنى لا عدوى؟ يعني هذا المرض إذا كان من أقدارك أنك ستصاب به، ستصاب به ولو كنت في مغاره!.

ويمكن ربما في دفعة ١٤٢٧ حكينا لهم قصة سابقًا عن امرأة كانت معتزلة الناس تمامًا لفترة من الفترات زوجها مسافر وليس عندها أولاد، لا أحد يدخل عليها ولا أحد يخرج عليها، حزنًا على سفر زوجها قفلت باب بيتها وجلست في البيت، ثم أصبحت الصباح

وجدت نفسها مصابة بالجدري المائي!، من أين؟ لا أحد يدخل ولا احد يخرج، ولا علاقة لها بالمدارس، وليس لها علاقة بأي أحد، هي شخص واحد، من أجل أن الله عز وجل يقدر ما شاء، أراد أن يصيبك سيصيبك.

معنى ذلك أني لا أمتنع؟ يصبح أنك لم تفهم صحيحًا، هذا سبب من الأسباب، الخلطة بالمرضى هذا سبب من الأسباب، هذا السبب ممكن أن يكون مؤثرًا وممكن أن يكون غير مؤثر، فكر فيها جيدًا وانظر الناس الذين عندهم أطفال وياتيهم الجدري المائي، وانظري كيف يصيب واحد والسنة التي بعدها يصيب اخوه، حتى أن كثير من الأمهات يضعوهم من أجل أن يرتاحوا يضعوهم في فراش واحد على أنهم يمرضوا وينتهوا منه، ومع ذلك لا يمرضوا!، من قُدر له هو من يصاب، لأن كثير من الأمهات تقول أنا متعودة من أولادي أن كل واحد في سنة، فمرضهم مع بعض هي تتصور أنه أريح، من أين أريح؟!، لكن الواحد يعترض على قضاؤ الله وقدره بأي صورة، لا أريح ولا غيره.

المهم تتصوروا المسألة كيف تأتي، وهذا الأمر يزيدك توحيدًا، كما أنك عندما تقرأ في قصص الأمم السابقة فتجد أن الله عز وجل يكون اثنين متجاورين كافر ومسلم، يغرق الكافر وينجي المسلم، ويكونوا متجاورين، تنزل الصاعقة تأخذ الكافر وتترك المسلم، من أجل أن تعرف أن يزيدك هذا توحيدًا، وطبعًا هذا لا تقس عليه، ليس معنى ذلك أن الذي يمرض هو وصفه كذا وأن الذي يصح معناه وصفه كذا، لا، معناه أن اختيار الأشخاص يزيدك توحيدًا.

نكمل كلام الشيخ عبد الرحمن علي رحمه الله:

قال: ولهذا قال "فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ"، وقال " لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ "، وقال في الطاعون"إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ" والطاعون هذه كلمة أمَّا معناها مرض معين كما هو منتشر الآن.

الآن منتشر نفس كلمة الطاعون في أفريقيا، أو الطاعون بمعنى الوباء، الطاعون ممكن أن يقصد به الطاعون مرض، مرض اسمه مرض الطاعون، وممكن أن يقصد بمرض الطاعون الوباء، فإذا قصد به الوباء أصبح اسمًا عامًا، اسم جنس لكل مرض حده حد الوباء، ما معنى حد الوباء؟ كثير من يدخل تحت هذا المرض وينتقل عن طريق العدوى.

يقول الشيخ: وكل ذلك بتقدير الله تعالى، ولأحمدٍ والترمذي عن ابن مسعود مرفوعًا: " لا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئًا " . قالها ثَلاثًا . فَقَالُ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النُّقْبَةَ مِنَ الْجَرَبِ –النقبة أي النقطة، المساحة الصغيرة – تَكُونُ بِمِشْفَرِ الْبَعِيرِ ، أَوْ بِذَنَبِهِ فِي الإِبِلِ الْعَظِيمِ فَتَجْرَبُ كُلُّهَا .

يعني تكون عبارة عن نقطة صغيرة في شفاهه أو في ذنبه، وتكون إبل عظيمة وعدد كبير، وهي نفس كل إبل تعتبر من المخلوقات العظيمة، تكون هذه البقعة صغيرة ثم تجرب كلها، كأنه يستدل بهذا على العدوى.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَمَنْ أَجْرَبَ الأَوَّلَ"؟

يعني ما مبتدأ المرض؟!، إذا انت بعينك ترى الانتقال إذن السؤال المهم من أين أتى الابتداء؟!، فهذه قاعدة عقلية تستعملها هنا بالذات مع الأمراض، الانتقال حكمه حكم الابتداء، يعني انتقال المرض من بعير إلى بعير حكمه بالضبط مثل حكم الابتداء.

يعني من أين بدأ؟ من الذي أصاب الأول؟ الذي أصاب الأول هو الذي أصاب الثاني، لكن جعل هذا مجرد سبب، فهذا أمر يحتاج منك قوة إيمان حتى لو رأيت بعينك، يعني الآن من أكثر ناس موسوسين؟ أهل الطب، الذين لهم علاقة بالفيروسات، وأهل المعامل، فهؤلاء بعيونهم المجردة يروا، أقصد بعيونهم التي ليست فيها إيمان، يروا هذا الفيروس أو إلى أخره ما يسموه، ينتقل من

أمامهم من هنا إلى هنا، فتأتي بعد هذا النظر المجرد بأعينهم تريد أن تقعنه أن لا عدوى لا تستطيع، نقول لماذا اتجه إلى فلان ولم يتجه لفلان؟ ومن أين أتى هذا نفسه؟! من أجرب الأول؟!.

فانت استعمل هذه القاعدة العقلية أن حكم الانتقال هو نفسه حكم الابتداء، لأنك ترى مثل ما حصل قبل أربع خمس سنوات، تسقط طائرة بين الجزائر والمغرب يكون فيها ١١٣ شخص، يموت منها ١١٢ ويبقى واحد، لماذا؟! من أنجاه؟ ما أنجاه إلا الله!، ولماذا هذا الواحد؟، وكيف طريقة السلامة، واين كنت جالس؟!، وأحد يسأل هذا السؤال؟!، يعني مكان جلوسه هو الذي أثر على نجاته؟!، تأتي هنا التفكيرات السطحية، أن مكان جلوسه سبب لنجاته، إذن من أتى به في هذا المكان؟!.

مثل امرأة طريق جدة والطائف، هي عندها طفل رضيع في الأمام، هي وطفلها الرضيع، ووراءها أختها معها طفل رضيع، قبل لحظة الحادث بدقيقة واحدة يتبادلوا الأطفال، التي تجلس في الإمام هي الصغيرة، وطفل الصغيرة يبكي، وطفل الكبيرة ساكت، فتأخذ من أجل أن تسكت ولد أختها ويموت ولدها هي!، في دقيقة واحدة!، هذا الذي قدره الله.

ومثله تسمع كثير إلى ما لا نهاية، هؤلاء يموتوا وهؤلاءيبقوا في نفس المكان، في نفس الحادث، ماذا تقول عنه؟ تقول عنه أقدار، لا نفاذ إلا أمر الله، أمَّا أن الأمور تنفذ بنفسها! لا غير صحيح، الآن أحيانًا تمري على بعض السيارات تقولي من المؤكد أن لا أحد خرج من هذه، وتعرف أن أهلها كلهم نجوا ولم يمت أحد!، ثم أنك تسمع، تسمع عن رجل وامرأة، الرجل حصل له كذا وكذا والمرأة لم يمسها شعرة، أو بالعكس ويبقى الناس يقولوا الحادث جاء من جهة الرجل، ونبقى نفكر بهذه التفكيرات، من حفظ هذه هو الله، من أصاب هذا هو الله.

هذا الإيمان بالقضاء والقدر فيه ضعف شديد، ضعف شديد، يظهر عندما تجد الناس في فزع، وعندما تجد الناس يفكروا في الحج والعمرة، إلى درجة أن أم كبيرة، وهذا موقف أصبح في التعليم المستمر أم كبيرة تفكر فيما سنفعل في رمضان، والعمرة وأنفلوانزا الطيور، وأنفلوانزا الخنازير، فطفل صغير عمره عشر سنين في بيتها، ولدها، يقول لها بيت الله يحفظه الله، يعني قانون استطاع أن يستوعبه الطفل ولم يستوعبه الكبار!، على قاعدة أنهم هم مازالوا صغار لا يفهمون الدنيا ومشاكلها!.

على كل حال؛ المقصد الآن أن على قدر إيمانك بالله وقضاءه وقدره على قدر تصورك حقيقة ما وراء الأسباب، على قدر إيمانك بالله وباسماءه وصفاته على قدر تصورك حقيقة ما وراء الأسباب، لأن ما وراء الأسباب، لأن ما وراء الأسباب شيء لا تستطيع وصفه، قدرة الله، ما يغيب عنا الإيمان بكمال قدرة الله، غياب هذا يجعل لنا ملاجأ غير باب الله.

وهذا المرض أو غيره تجد أهل الإيمان في هدوء تام يتعاملون مع كل شيء، فتصور هذه الأنفلوانزا من علاماتها مثلًا، ارتفاع درجة الحرارة، وكل واحد منا يوسوس الآن!، كلما ارتفعت درجة حرارته يوسوس أن هذا إشارة إلى كذا، لأن أول علامة وأهمها أرتفاع درجة الحرارة ثم يأتي الباقي، المقصد أنك إذا معك إيمان بالقضاء والقدر لابد أن تتصور حقيقة ما وراء الأسباب.

نكمل كلام الشيخ:

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَمَنْ أَجْرَبَ الأَوَّلَ ؟ " ثُمَّ قَالَ : " لا عَدْوَى ، وَلا صَفَرَ ، وَلا هَامَةَ ، خَلَقَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ ، وَكَتَبَ حَيَاتَهَا ، وَمُصِيبَتَهَا ، وَرِزْقَهَا " .

فأخبر صلى الله عليه وسلم أن ذلك كله قضاء الله وقدره، والعبد مأمور بإتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية، فكما أنه يؤمر أن لا يلقي نفسه في الماء والنار مما جرت العادة أن يهلك أو يضر فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم والقدوم على بلد الطاعون، فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف، فالله سبحانه هو خالق الأسباب ومسبَبَاتها – نتائجها– لا خالق غيره ولا مقدر غيره.

يعني أن الله عز وجل مثل ما أمرك أن تجتنب مواطن الحريق والغرق لأنها أسباب للهلاك كذلك اجتنابك مقاربة المريض المجذوم، هذا سبب، وهذا سبب، مجرد سبب والله عز وجل مالك الأمر.

لكن انت تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم مدّ يده وأكل مع المجذوم فبماذا تأول هذا؟

قال: وأمَّا إذا قوي التوكل على الله والإيمان بقضاء الله وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتمادًا على الله ورجاءً منه أن لا يحصل به ضرر ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك، لا سيما إذا كانت مصلحة عامة أو خاصة.

وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه أبو داوود والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيده مجذوم فأدخلها معه في القصعة، ثم قال: "كُلْ بِسْمِ اللَّهِ ثِقَةً بِاللَّهِ وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ".

إذن انت لا تعابي إذا كان عندك قوة إيمان لا بأس خالطي من بهم بلاء، وانت فيك قوة إيمان، فيصبح محصلة كلام الشيخ أن النصوص خوطب بها صنفين من الناس: فإذا قيل لا عدوى وقيل لك من أجرب الأول هذا دليل، كُل ثقة بالله هذا دليل، يصبح هذه الأدلة يخاطب بها قوي الإيمان.

وعلى ذلك انت لا يحق لك عندما يأتي أحد ضعيف الإيمان يقول لك معذرة لا أستطيع أن أسلم عليك وانت مزكم، فترد عليه تقول له لا عدوى، لا هذا لا يخاطب به مثل هذا، "فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ": هذا يخاطب به من في قلبه شيء من ضعف الإيمان، لكن انت لا تأتي تقولي لأحد انت ضعيف الإيمان فمن أجل ذلك لست قادرًا على أن تثق في هذه القضية لأنك ضعيف الإيمان، لا لا تقل هذا، لأنك بهذا تصف نفسك بأنك قوي الإيمان فتدخل في الكبر من جهة، ومن جهة أخرى الله أعلم أين ضعفك ظاهر، ضعف إيمانك، ليس شرطًا هنا، ممكن أن تكون شخصًا أصلًا لا تهتم بالصحة، يعني إقبالك على المرضى ليس من باب قوة إيمانك، بل من باب العادة، من باب أنك متعود أنك تختلط بالمرضى، لكن يظهر لك ضعف إيمان في شيء أخر، خوفك على رزقك أو خوفك على ..، الإيمان بالقضاء والقدر ليس فقط إشارة كماله أختلاطك بالمرضى، لأننا خالطنا ناس يقبلوا الخلطة بالمرضى ليس عندهم إشكال، لكن في أقل المواقف الأخرى المتصلة بالأرزاق نجد قلوبهم تفزع.

أو فلنختبر أنفسنا أختبار حقيقي ونرى موقفنا من أولادنا، وخوفنا عليهم، والهواجس التي ممكن أن تدخل علينا تجاههم فتجد ضعف الإيمان بالقضاء والقدر، فالناس ليسوا سواء من جهة عنايتهم، عندما تأتي تنظر إلى واحد دارس ومتخصص في أمور مثل هذه الفيروسات، وطوال الوقت تفكيره أنه لو مسكت كذا يأتيني كذا، ولو مسكت كذا يحصل لي كذا، ولو هذا يصبح كذا، وطوال الوقت هذه معادلات في عقله، واحد يزور مستشفى يعني يلتقط معه ١٥٠٠ فيروس من كذا وكذا، طوال النهار يفكر

هكذا، ولو ذهب إلى كذا يأتيه فيروسات من كذا، ولو مسك عربية السوبر ماركت عليها فيروسات كذا، هناك ناس يعيشون بهذه الطريقة، ثم إذا يريدوا أن يأخذوا فلوس من الناس يخرجوا منديل ثم يأخذوا الأموال، قولي الحمدلله الذي عافانا.

هذا واحد يعيش بهذه الطريقة، وتفكيره ودراسته إلى أخره، تعال انت ابحث عن نقطة ضعفك، انظري في ماذا انت ضعيفة مثله، عندك وسواس في أمر، أصلًا ضربت هذا المثال من أجل أن احوله عليها، أنك في النهاية ستجد عندك من نقاط الضعف ما توازي هذه القضية، انظر ما اهتماماتك، أولادك، أموالك، مستقبلك، شهادتك، درجاتك، فكر، ما الشيء المهم الذي يثيرك، مكانتك عند أحد؟!، أهم شيء عندي مكانتي عند أحد مثلًا، أحد أحبه وأحب أن أحتفظ بمكاني عنده، ويصبح هذا وسواسي الدائم.

على كل حال كل واحد فينا مبتلى بنقطة فيها ضعف في القضاء والقدر، مقصدي أن من منَّ الله عز وجل عليه وقوى إيمانه ويستطيع أن يختلط بهؤلاء لا ينظر لأي أحد من علو، لأنك أكيد مبتلى بشيء أخر فيه ضعف إيمان.

♦ الدليل الرابع.

نأتي إلى الدليل الرابع.

ولهما عَن أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ " قَالُوا : وَمَا الْفَأْلُ ؟ قَالَ : " كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ".

ورد في الحديث محذوران: العدوى والطيرة، اعتقاد أن الأشياء تؤثر بنفسها.

والطيرة معلوم أمر وهمي يكون في القلب لا أثر له في قضاء الله لكن هو يعتقد أنه مؤثر.

ما هو الأمر المرغوب؟ الفأل، كيف فسره النبي صلى الله عليه وسلم؟ الكلمة الطيبة، ونحن نعلم أن النفوس مجبولة على حب الكلمات الطيبة والاسماء الحسنة ومحبة الكلمات الطيبة والنشاط بها، ومحبة الاسماء الطيبة والنشاط بها كله من الفأل.

ومن ذلك ما تجده عند العرب من تسمية اللديغ ⇦ سليم، من اللدغ، لماذا يسموه سليم؟ تفاؤلًا، يستعملوا هذه الكلمة تفاؤلًا، لأن كلمة لديغ تؤثر في النفس، أيضًا تسمية المسحور ⇦ به طب، أيضًا تفاؤلًا.

نريد أن نقارن بين الطيرة والفأل.

من جهة تعريفه/مثال عليه / ضابطه / حكمه / علة ذلك.

تعريف الطيرة: التشاؤم أو التفاؤل بمرئي أو مسموع أو معلوم، ثم أضفنا عليه إضافة: فيما مضى أو ما هو مستقبل.

تعريف الفأل من الحديث: هو التفاؤل بالكلمة الحسنة فقط، وهو بمعنى إنشراح الصدر فقط، ليس أكثر من ذلك، فإن ترتب عليه إقدام أو إحجام فهو طيرة وليس بفأل.

إذن الفأل هو التفاؤل بالكلمة الطيبة فقط، ما معنى التفاؤل بالكلمة الطيبة؟ انشراح الصدر فقط، الذي يأتيك بالنشاط، أريدك تتصوري بناتنا وهم يذهبون إلى الاختبارات، مشاعرهم مشاعر خوف، أو الاكتئاب هذا هو التعبير الجيد عن هذا، عندما تسمع

دعاء بالتوفيق ودعاء بالبركة وكلام طيب ويكونوا هم مشدودين ونحن مشدودين ثم في النهاية لا نجد شيئا، والله غننا نشتكي إلى الله من هذه الفترة في في حياتنا وحياتهم الله المستعان.

المهم عندما تسمعي كلام طيب في وسط هذا الشد يقع في قلبها انشراح، يعني هل كانت مقررة أنها لن تذهب إلى الأختبار وبعد الكلمة الطيبة ذهبت؟! لا، هي في كل الأحوال ستذهب، لكن الكلمة الطيبة انشرح بها صدرها، أهم شيء أن يكون أثره فقط انشراح في الصدر، لا يترتب عليه لا إقدام ولا إحجام، لأن الأقدام نوع من أنواع التشاؤم، لا تتصوروا أن الطيرة دائمًا إحجام، ترك، لا الطيرة أيضًا فيها أقدام، في أخر نص هنا : " إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ " يعني واحد يسمع كلمة قرر أن يفعل بسببها. هذه الكلمة لو لها علاقة بالمشروع، لو لها علاقة بالقرار، شيء له علاقة بالقرار مثل واحد ذاهب يشتري بيت، ذاهب يشتري أسهم، وهو ذاهب سمع عن انخفاض الأسهم، ارتفاع الأسهم، ارتفاع لأننا نقول كلمة تحضه، فواحد يذهب يشتري أسهم وسمع أن هناك أرتفاع، كان سيشتري مائة أصبحت سيشتري مائتين، هذه الكلمة أثرت في إتخاذ القرار ليس فقط شرحت صدره، بل أثرت في إتخاذ القرار، كان مقرر أن لا يشتري، كان مقرر أن يبيع مثلًا، فعندما سمع في الأخبار ارتفاع الأسهم هذه الكلمة أثرت على قراراه، هذا يعتبر تشاؤمًا؟ لا، ولا تفاؤل، هذه أحد المعطيات الأساسية في اتخاذ القرار، معلومة أثرت عليه أخذ بها القرار.

المقصود أن المعلومات التي في صلب الأمر أو في الموضوع نفسه الذي من الطبيعي أن يكون له علاقة في اتخاذ القرار هذه لا تشاؤم ولا تفاؤل، مثلًا واحد امرأته في البيت تقول له اشتري هذه الأرض يقول لها لا، ثم اجتمع مع أصحابه، جاءه خبر من أصحابه أن هذه الأرض ستصبح مثلًا مخطط على كذا، فأتي بدون أن يفهمها وقال سأشتري، بالنسبة له القرار واضح سببه، هذا ليس له علاقة أبدًا لا بالتفاؤل ولا بالتشاؤم.

مهم جدًا تفهموا هذه النقطة، أن كل شيء يؤخذ فيه قرار يحصل فيه تغيير يكون مبني على معلومة لها علاقة بالقرار ليس لها علاقة أبدًا لا بالتشاؤم ولا بالتفاؤل، لأن معلومة من نفس الموضوع، لها أثر حقيقي، واحد داخل يعمل عملية مثلًا، أو متردد يفعل أو لا يفعل، قيل لها أنهم أتوا بجهاز جديد ونسبة نجاح العمليات أصبحت كذا، هذه كلها معلومات لها أثر حقيقي في إتخاذ القرار، هذا كله في الخارج، خارج نقاشنا.

نأتي نرى الآن الطيرة، الطيرة ما هي؟ أن تسمع كلامًا – أتكلم عن المستقبل الآن – أن تسمع كلامًا ليس له علاقة أبدًا بإتخاذ القرار .لكن خارج في الشارع مثلًا وأخطأ في طريقه، وقف عند الإشارة مثلًا وطال الوقت بها، رأى حادث في الطريق، فقرر أن يعود ولا يشتري هذا تشاؤم بمرئي، لماذا؟ لأنه أتخذ قراره على أساس شيء رآه ليس لها علاقة بإتخاذ القرار، وبالعكس خرج ووجد مثلًا المكان الذي سيشتري منه قريب من بستان أخضر وجميل، وهذا مثلًا هذه سوق الأسهم ورأى هذا المنظر أخضر وجميل فعندما رآه قرر أن يشتري، ماذا تقولين؟ هذا طيرة أيضًا، لأن هذا المنظر ليس له علاقة بقرار الشراء.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: تطير هذا، الآن أقرر لكم مسألة المفروض أنك تفهميها، إذا قرر بناء على معلومة لا علاقة لها بإتخاذ القرار يعتبر طيرة من جهة التفاؤل.

المشكلة ليست في التشاؤم، المشكلة في التفاؤل الذي يعتبر من الطيرة، هذا الذي فيه مشكلة، واحدة تقول عندما ألبس هذه الملابس مثلًا يحصل أشياء جيدة، جماعة يقولون عندما يلبسون هذه الملابس تأتيهم الرواتب، وعندما كنا نشرح هذا الدرس في التعليم العام واحدة من المعلمات قالت لي هذا المثل، أنه كلما ألبس هذه الملابس يأتيني الراتب، على أيام الرواتب بالشيكات،

فهذا يعتبر طيرة من جهة التفاؤل، يعني شيء ليس له علاقة بإتخاذ القرار ولا بالحدث، ولا بما هو مقبل من عطاء الله، ولا أي شيء، فتجده يربط بين أمور لا علاقة لها.

مثلًا طالبة متخرجة من الثانوي وذاهبة تسجل في الجامعة، فطلبت الذي يوصلها هذا فلان عمها، لماذا عمك؟ تقول عندما يوصلني في العادة تتيسر أموري، هذا أيضًا طيرة، وهذا الجانب الغامض في الطيرة، الجانب الغامض الذي دائمًا مهمل، طلاب العلم يتصوروا الطيرة بمعنى التشاؤم، لكن لا يتصولوا الطيرة بمعنى التفاؤل، مع أننا عندما خرجنا في لسان العرب أصل كلمة الطيرة التفاؤل.

ثم انت فكري الطيرة عبارة عن زجر الطير، فإذا سنحت يمينًا أقدم، فمن هنا جاء أن الطيرة تفاؤل، وفي الحديث " إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ " ، يعني شيء ليس له علاقة بإتخاذ القرار يكون سبب في إمضاءك أو ردك، ومن هنا يأتي السحر، لأنه ليس سبب حقيقي، مثل واحد خارج مقرر أن يفعل كذا وكذا، يعود من نصف الطريق، لماذا؟ رأى مشلول في طريقه!، رأى أعمى في طريقه!، كل هذه تعتبر طيرة، لأن هؤلاء من مخلوقات الله بل ربما – ولا نريد نأتي بالجهة الأخرى – لكن ربما كان هؤلاء من اولياء الله أصلًا، لأن من أبتلي بشيء في الدنيا وصبر عليه رفع الله مقامه وهو في الدنيا.

واقرءوا في كلام الصحابة والسلف كيف كانوا يرون أصحاب البلايا، كيف ينظروا لهم على أنهم أصحاب بركات، لكن على أنفسهم كما أتفقنا لا على الناس، لا أحد يذهب يتبرك بهم، على كل حال المقصد لا نريد هذا ولا هذا، لا نريد التفاؤل بها ولا التشاؤم بها، خلق من خلق الله.

وعلى ذلك حضروا في أنفسكم أمثلة على التطير التي فيها تفاؤل، من واقعكم، لتقيسوا عليها وتفهموا أن الضابط هو أن يكون هناك محرك لإتخاذ القرار لا علاقة له بإتخاذ القرار.

أحيانًا تقول جائءني ضيق في صدري، وشعرت أني لست مقبلة، لست منشرحة، نقول لابأس هذا الضيق سبب موجود حقيقي، وقت الضيق إذا وجدت في نفسك ضيق أدعي واستغيث واستعيذ فربما اغلق عليك الشيطان، ولا تكن أيضًا ممن تطير في كل حال،تقول مادام شعرت بضيق إذن معناه هذا الموضوع أمر لا يحبه الله، أو أمر لا يريده الله، مثلما دائمًا يحصل في الاستخارة للزواج، تكون هي أصلًا لا تريده، وتستخير وتكون هي رافضة، ثم تقول شعرت بضيق، هو طبيعي أنك تشعري بالضيق، وتكوني كاذبة على نفسك لو لم تكوني دخلتي بهذا الضيق وخرجتي به، فالضيق ليس مقياس، انت لست منزلًا من السماء، ولست مطهرًا من العيب، أن شعورك بالضيق معناه أن هذا الشخص لا ينفع لك، إذن ما هو المقياس لمثل هذه الأحوال؟ سير الأمور أو وقوفها، السير أو الوقوف في الغالب يكون هو المقياس.

تعريفه.

ما هي الطيرة؟ التشاؤم أو التفاؤل بمرئي أو مسموع أو معلوم، فيما مضى أو ما هو مستقبل.

الفأل: التفاؤل بالكلمة الطيبة الحسنة فقط – انشراح الصدر– فإن ترتب عليه إقدام أو إحجام فهو طيرة وليس بالفأل الشرعي.

مثاله.

مثال الطيرة: أن يعزم المرء على سفر أو زواج فيرى أو يسمع ما يكره فتؤثر عليه فيترك ما عزم عليه.

مثال الفأل الشرعي: يسمع كلمة يا سالم لا يعتقد أنه سيسلم ولكن ينشط بكلمة سالم ويتقوى، ويشعر أنها رزق من الله، وإذا سمع يا خاسر لا يعتقد أنه سيخسر ولا ينظر إليها ولا تؤثر فيه، فيكون الفأل مجرد تقوية ونشاط.

من الأمثلة الواقعية على هذا امرأة ضاع لها صبي في الحرم، فبقيت تبحث عنه في أيام رمضان، ثم أقبلت في جهة من الجهات، من جهة المسعى فكان مكتوب باب السلام، فعندما قرأت اسم الباب وقع في قلبها إنشراح وظنت أن هذه الكلمة التي قرأتها رزق من الله يسلم ولدها إن شاء الله، فما وقع في قلبها من إنشراح هذا تقوية ونشاط، اعتقدت أن الله هو الذي سيسلم ولدها، واعتقدت أن الله أرسل لها هذه الكلمة قبل أن تصل ليشرح صدرها ويزيدها ثقة فيه.

فهذا الاعتقاد الدقيق جدًا في التفاؤل، ما هو الاعتقاد الدقيق؟ أن تشعر أن الله لطيف بك يشرح صدرك ويزيدك قوة ونشاطا، فهذه من أسباب زيادة النشاط، لأن النفوس أصلًا مجبولة على حب الكلام الطيب، وتحب تسمع الكلام الطيب، ونحن طوال الوقت نقول لابنائنا أو نقول للمربين شجعوا أبناءكم وقولوا لهم كلام طيب، خففوا عنهم وطئة المستقبل، لا تعظموا لهم أمور لا تستحق التعظيم، هذا نوع من انواع استعمال الكلمة الطيبة مؤثرة، من بين تأثيرات الكلمة الطيبة الفأل.

ضابطه.

ضابط الطيرة: الطيرة يعتمد صاحبها عليها، ويمضي أو يكف لأجلها مع نسيان التوكل على الله.

الفأل: لا يعتمد عليه ولا يكون مقصود، مقصود بمعنى أنه ينتظره، ينتظر أن تأتيه كلمة تشرح صدره، أو تأتيه كلمة تكون سبب لاندفاعه أو إحجامه، بل يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال، فإذا قصده المتفائل – يعني إذا قصدت أن تدخل من باب السلام –كان من الطيرة المنهي عنها.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: سؤال: لو واحد سمع آية قرآنية واعتبر أن هذا من التحذير له أو أن هذا من التبشير له هل يعتبر هذا من الطيرة؟ إذا تقصدها وفتح المصحف أو فتح إذاعة القرآن وهذا في تفكيره هذا يعتبر من الطيرة، لو تقصدها وفتح المصحف وقال عيني ستأتي على أي آية وأرى وضعي هذا طيرة، أو فتح إذاعة القرآن وقال سأسمع أو سأفتح الشريط واسمع على أي آية تأتي لو أتى عذاب النار سأترك ولو أتى الكلام عن الجنة سأذهب، أي شيء تقصده طيره.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا مما انتشر استعماله ولا أحد ينتبه له أن هذا من التطير.

حكمها.

حكم الطيرة: شرك.

الفأل: مستحب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يُعْجِبُنِي الْفَأْلُ"، أمر محبوب.

العلة.

علة ذلك: لماذا الطيرة شرك ولماذا الفأل مستحب؟

بالنسبة للطيرة:

الأمر الأول: سوء ظن بالله تعالى بغير سببٍ محقق، إنما أوهام وخيالات.

والأمر الثاني: أن فيه اعتماد القلب على غير الله فيترك ما كان عازمًا عليه من الأمور النافعة أو بالعكس.

الفأل لماذا مستحب؟ لأن الفأل حسن ظن بالله، أن من لطفه سبحانه وتعالى أن يرزقه مثل أسباب انشراح الصدر، والمؤمن مأمور على حسن الظن بالله على كل حال.

الأمر الثاني: الفأل ليس فيه تعليق القلب بغير الله بل فيه من المصلحة النشاط والسرور وتقوية النفس على المطالب النافعة.

بهذا انتهى المقارنة بين التطير والتفاؤل وانتهى الوقت أيضًا معهم.

	الطيرة	التفاؤل
تعريفه	التشاؤم أو التفاؤل بمرئي أو مسموع أو معلوم، فيما مضى أو ما هو مستقبل.	التفاؤل بالكلمة الطيبة الحسنة فقط – انشراح الصدر– فإن ترتب عليه إقدام أو إحجام فهو طيرة وليس بالفأل الشرعي.
مثاله	أن يعزم المرء على سفر أو زواج فيرى أو يسمع ما يكره فتؤثر عليه فيترك ما عزم عليه.	يسمع كلمة يا سالم لا يعتقد أنه سيسلم ولكن ينشط بكلمة سالم ويتقوى، ويشعر أنها رزق من الله، وإذا سمع يا خاسر لا يعتقد أنه سيخسر ولا ينظر إليها ولا تؤثر فيه، فيكون الفأل مجرد تقوية ونشاط.
ضابطه	الطيرة يعتمد صاحبها عليها، ويمضي أو يكف لأجلها مع نسيان التوكل على الله.	لا يعتمد عليه ولا يكون مقصود، مقصود بمعنى أنه ينتظره، ينتظر أن تأتيه كلمة تشرح صدره، أو تأتيه كلمة تكون سبب لاندفاعه أو إحجامه، بل يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال، فإذا قصده المتفائل – يعني إذا قصدت أن تدخل من باب السلام —كان من الطيرة المنهي عنها.
حكمه	شرك.	مستحب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يُعْجِبُنِي الْفَأْلُ"، أمر محبوب.
العلّة	الأمر الأول: سوء ظن بالله تعالى بغير سببٍ محقق، إنما أوهام وخيالات. والأمر الثاني: أن فيه اعتماد القلب على غير الله فيترك ما كان عازمًا عليه من الأمور النافعة أو بالعكس.	**الفأل** لماذا مستحب؟ لأن الفأل حسن ظن بالله، أن من لطفه سبحانه وتعالى أن يرزقه مثل أسباب انشراح الصدر، والمؤمن مأمور على حسن الظن بالله على كل حال. الأمر الثاني: الفأل ليس فيه تعليق القلب بغير الله بل فيه من المصلحة النشاط والسرور وتقوية النفس على المطالب النافعة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمدلله الذي يسر لنا هذا اللقاء ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاءً مباركًا مرحوما.. اللهم آمين.

لازلنا نتكلم في باب التطير، وهذا الباب من أهم الأبواب من جهة الواقع، لأنه سيأتينا كلام ابن ابن مسعود وكيف أن هذا الأمر خالطنا شدة المخالطة.

ما مضى معك من أدلة في باب التطير بيَّن لك أن التطير فعل أهل الجاهلية، يتطيرون على العموم يتطيرون بالمرئي والمسموع، لكن عندما مر معك بآية الأعراف وآية يس كانوا يتطيرون بالأنبياء.

ما صورة تطيرهم؟ أنهم إذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، بمعنى أن الخيرات التي تنزل مشاعرهم تجاهها أنهم ينسبوها إلى أنفسهم، وعندما يأتي البلاء الذي هو من ذنوبهم ينسبوها إلى الأنبياء، وهذا له صور متكررة في الواقع، ما هي الصور المتكررة في الواقع؟ أن الإنسان يذنب فيصاب بسبب ذنبه فيتكلم عن الحسد وعن العين وعن السحر، بعيدًا عن الكلام عن قدر الله وحول ذنوبه.

هذا أول شيء أتفقنا عليه أن التطير من أمر الجاهلية ليس من أمر الإسلام، ثم أتى حديث: "لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ " وفي رواية مسلم: وَلَا نَوْءَ وَلَا غُولَ" نفى وجود هذه الأشياء.

لو نظرتي إلى الدليل: "لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ " كم أمر منفي فيه دليل على نفي التشاؤم والتطير؟ "وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ ".

لا تعديها كلها، هذه كلها ليست دلالة على نفي التطير، نحن اتفقنا أن هذه الستة تسمى أمر من أمور الجاهلية، وليست كلها في التطير، قبل ما أدخل في أمور الجاهلية شرحت اثنان فقط الطيرة والهامة، قلنا أن الطيرة بمعنى التطير، والهامة يعتقدون أن طيرًا – البومة – إذا مات أحد قُتل..، واتفقنا على هذا.

ثم عدنا مرة أخرى للحديث كله وقلنا هذه من أعمال الجاهلية، نفاها النبي صلى الله عليه وسلم، إذن هذه الأمور منفية، منفية معنى نفي وجود ام نفي أثر؟ متبادلة، هناك نفي وجود، وهناك نفي أثر.

"لَا عَدْوَى" لا عدوى هذا نفي أثر، بمعنى أنها ليست بنفسها معدية، لكن انتقال المرض يحصل من أسبابه التقاءك بمريض، من أسبابه لكن ليس بنفسه يعدي، فهذا نفي أثر، نفي التأثير، وإلا إلتقاءك بمريض سبب من أسباب المرض، لكن لا نعتقد بصورة أو بأخرى أنه ينتقل بنفسه.

"وَلَا طِيَرَةَ" نفي وجود التطير، أن هذا أصلًا غير موجود.

فرق بين نفي التطير وبين نفي العدوى، ما الفرق؟ العدوى موجودة لها أثرها الذي بإذن الله لكن ليس لها أثرها الذي يعتقده الجاهلية.

- إذن سينفى أثرها الذي اعتقده أهل الجاهلية، هذه لا عدوى.
- ولا طيرة: نفيها نفي وجود.
- لا هامة: نفيها نفي موجود.
- لا صفر: هل غير موجود شهر صفر؟ نعم موجود لكن نفي أثره الذي اعتقده أهل الجاهلية.
- نوء: أثر طبعًا، لأن النوء بمعنى النجم، فعندما يكون منفي النجم ليس معناه أنه هو بنفسه غير موجود إنما المقصود أثره.

▪ نفي الغول: هذا الذي ممكن أن يحصل فيه تردد على حسب ثقافتك، ممكن أحد يقول لك أن هذا النوع موجود من الجن، لكن ليس له قدرة على الإضلال فأصبح نفي أثر، وهناك أحد يقول لا أصلًا هذا النوع مخترع غير موجود إنما أهل الجاهلية أوجدوه وسموه، هذا على حسب ثقافة الإنسان معرفته بهذه الأمور، ولا بأس ليس ضروري أن تعرفي هذا نفي وجود أو نفي أثر، المهم الباقي كله.

يعبر عن هذه الكلمة بكلمات أخرى، لو سمعتي أحد يقول عن شهر صفر "شهر الخير"، "صفر الخير" ماذا تعتبرينه؟ أولًا هذه اللفظة بدعة، لم ترد، لكن ماذا تعتقد هل هو تطير أو تفاؤل؟ تطير، لأن التطير هو التفاؤل أو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم. الشهر الآن معلوم من المعلومات، هو يعتقد أن هذا شهر الخير، ميزه عن بقية الشهور بأنه شهر الخير، ولذلك لابد ردود فعلك تكون منضبطة بالشريعة، أهل الجاهلية يعتبرونه أنه شهر الشر، انت ماذا تعتقده؟ شهر من الشهور، لا خير ولا شر.

لو سمعت أحدًا سمع طيرًا فقال: خير خير، هذا تطير، لأن هذا الطير عندما يرى لا خير ولا شر، كاسة أنكسرت في البيت تعبيرات مثل: [انكسر الشر، خير إن شاء الله] هذا يعتبر تطير.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا تستعمليها لأن أصلًا هذه دائرة حولها الشبهة، تريد تعبر أنه لا يستحق الزعل، تريدي تعبر عن هذا التعبير إذن قولي لا يستحق الزعل، لكن لا تقولي خير ولا شر، نفس اللفظة، لفظة خير هذه دائمًا دائرة حول التفاؤل أو التشاؤم.

من أجل ذلك نحن نقول لو أقول أمثله ستجد أنه تعتصر حياتنا بالتطير على الجهتين، مسألة غاية في الخطورة وتحتاج منكم أمرين: الملاحظة مع الكتمان، لا تتكلموا لأحد بما تعلمتم إلا عندما تجدوا كلام لأهل العلم فيه، لأن مباشرة سيقولون لا، ليس هذا قصدنا، وانتم عقدتم الدنيا، إلى أخر ما يتصورون.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا كله من التطير، رفة العين، حكة اليد، أي حركة في البدن ووصفها على أنها خبر آتي هذا يصل إلى حد أيضًا الكهانة والتنجيم، من أجل ذلك تجد أن المسألة متعلقة ببعضها، أصلًا التطير يأتي في باب السحر لماذا؟! لأنه قرار نتيجة حركة خفية، شيء ليس له علاقة فيدخل في الكهانة.

يعني الآن كيف تريد تقنعني عقلًا أن حركة في بدنك إشارة لمسألة غيبية!، ماذا أفهم منها وانت تعلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله؟ لا يغركم حصولها، حصولها هذا من باب الموافقات التي هي ابتلاء أصلًا، انت اخذتي قاعدة واضحة؛ **أن حصول الأشياء ليس دلالة على الاعتقادات الموجودة عند أصحابها.**

انت لو قرأتي رسالة "دمعة عى التوحيد" ستجدون عجائب من الموافقات!، منها أن رجلًا من أحد الطرق الشاذلية أو التيجانية يقول أنا دعوت الله ست سنين أن يأتيني بولد ما آتاني، فطلبت من سيدي الشاذلي، فأعطاني توأم، وأنا لن أحمل الكلام على الكذب بل سأحمله على الصدق،أنه حصل له هذا، ماذا ستفهم؟هذا ما يسمى بالموافقات، **يوافق عطاء الله سؤالهم لغير الله اختبارًا لهم!!**

ربما ذكرت لكم سابقًا أن أحد من أهل البلد يعتقدون أن المرأة إذا كانت ممنوعة من الحمل، لا تلد، إذا مرت على غسول ميت، مرت عليه أي غسول سائل، ماء غسل الميت يسيلوه ثم هي تقفز من فوقه!، إذا مرت على غسول ميت حملت، فتقول هذه المرأة

مات والدها وفعلت هذا الفعل وقلبها شاك في أثره فيقدر الله وتحمل، فيبقى يتردد في بيتها وبيت الناس حولها أن هذا أتى من الغسول!!.

نسأل الله أن يغفر لهم، المهم قدر الله أن هذا الولد الذي حملت به أصيب بماء في الرأس، يعني أول ما جاء طبعًا فرحتهم به كبيرة، وبعد سنين وأتوا به، وفعلوا ما أستطاعوا أن يفعلوا من احتفالات، وأيضًا ولد ليس بنت، فاجتمعت كل شيء لهم، ثم بعد أقل من عشرة أيام بدأوا يشعروا أنه غير طبيعي، أصيب بماء في الرأس ومعروف ما معناه، تتضخم الرأس يكون فيه ماء، والبدن فيه ضمور، ثم يصبح عاجزًا، عاجز بمثابة الثقل على أهله، فانتهينا الآن من الجريمة الأولى جريمة الشرك والتشاؤم، ثم بدأنا الآن في مشكلة أخرى أنه أكيد انعين، أكيد انسحر.

ثم لطف الله بهم أنهم امتنعوا عن هذا الكلام، وحملت مرة أخرى والله عز وجل رزقها أبناء أخرين، ثم توفي هذا الأبن، بعد ١٣ سنة توفى الطفل الأول، وهم لازالوا على نفس التفكير مترددين مشكلتين: بين اعتقاد أن ماء الغسول هو السبب في الأبن الأول، وبين أن هذا الأبن تعرض للسحر أو عين، وأول ما فكروا فيه فكروا في أهل الزوج، فانظري سلسلة من الشرك مع العداوات، واتهام الناس، وتعيش أكثر من ١٤ سنة في دوامة!، في دوامة الشرك وجحيم الخوف من الناس إلى أخره.

ثم بعد هذا العمر كله وانظري حلم الله عليها، بعد ما قبض هذا الولد، وعاشت كل هذا الزمن على الشرك، على الشرك لأنها اعتقدت أن ماء الغسول هو السبب، على الأقل سنقول شرك أصغر، ثم يقدر الله عز وجل لها أن تلتقي بأحد ويقول لها هذا الأبن كان نوع من أنواع العقوبات على ما اعتقدتم، كيف يكون الله هو مَن منَّ عليكم بهذه المنة ثم تنسبونها إلى غيركم، ثم إذا أبتلاكم – وانظري حال أهل الجاهلية – ثم إذا ابتلاكم فيما أعطاكم بدلًا من أن تطلبوه أن يشفيه مرة أخرى تبحثوا عن أحد غير الله يكون سببًا لشفاءه، ثم تتكون العداوات بعد بحث في العائلة واتهامات، تكونت العداوات وتوقفوا هم عن مسألة البحث، يعني رحمهم الله أنهم لم يذهبوا إلى كاهن إلا لساحر.

لكن انظر إلى لطف الله بهم، أرسل لهم عقوبة لم ينتفعوا بها، أخذها الله عز وجل ثم بعد أخذ هذا الأبن كشف عنهم الغمّة بالعلم، يعني في مجلس واحد كل هذه السنين لم يقل أحد لها أن ماء الغسول لا ينفع ولا يضر، وهذا الأبن أتاكم عقوبة، وهذه الاعتقادات تدل على أنكم لا تعتقدوا أن الله مالك الملك، فلما أتى شخص واحد وقال لهم هذا الكلام وافق فطرتهم السوية السليمة وتابوا إلى الله.

معناه المجتمع يحتاج منا قوة توعية في هذا الأمر، لابد أن تشعروا بخطورة هذا الموضوع، ولك أن تتصوري أن هذا الأمر عندما يكون مثلًا في مثل هذه البلد التي فيها انفتاح وفيها علم وفيها أختلاط بالمجتمع المتمدن، فكيف بحال القرى؟!، والهجر؟!، والمناطق التي أقل من أن تعتبر هجرة!، ماذا تعتقد مع الرُحل، المملكة لازال فيها بدو ورُحل، ليس فقط المملكة، حتى ما حولها في الجزيرة، ولازال فيها رحل، وإذا ما كان فيها رُحّل هناك ناس في القرى لكنهم أجهل ما يكونوا بحق الله، كل هذا يزيد الأمر علينا مسؤولية ويشعرنا بأننا لابد أن نحرر مثل هذه المسائل تحريرًا واضحًا بحيث أنه يخرج في النتيجة أن لا يقع مثل هذا من الشرك بالله عز وجل.

الشرك بالله عز وجل أشكال وألوان تجد كيف أن الشيطان غذاها في قلوب الناس، تغذية لكن على صورتين، هناك تغذية وصلت إلى أعماقهم، وهناك تغذية لم تصل بعد، على الأقل انت ادرك ما لم تصل تغذية الشرك إلى الأعماق، نشتكي إلى الله عز وجل ما نراه من آثار مثل هذا الأمر، على كل حال؛ أخذنا من الأمثلة بما يكفي في الواقع.

اتفقنا أن التطير من أعمال الجاهلية، واتفقنا أيضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم نفى وجود الطيرة، وأن لها أصلًا حقيقيًا، وأنها أصلًا موجودة.

ثم انتقلنا إلى المقارنة بين الفأل والطيرة، وهذه المقارنة بين الفأل والطيرة بينت لنا أن التفاؤل إنما هو انشراح الصدر بالكلمة الطيبة، فقط الكلمة الطيبة، لا يترتب عليها إقدام ولا إحجام، إذا ترتب عليها إقدام أو إحجام أصبحت تطير، وعملنا جدول وقارنا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لماذا يمكن أن تدخلي كلمة خير في هذا الأمر؟ ليس له علاقة!، ليس خطأ!، أحيانًا يأتي أحد يحكي لي قصة ثم أرد عليه أقول له خير إن شاء الله، لا يأتيك إلا الخير، هل ستدخل هذه الكلمة فيما ذكرنا؟ لا، ولا بحال، ولا بصورة، انت لا تأتي إلى كلمة خير وتقيس عليها، على ذلك لن أستطيع أن أقول لك كوني مفتاحًا للخير، ولا أستطيع أن استعمل كلمة خير في أي مكان!، ليس بهذه الصورة!.

لابد أن يكون عندكم مقاييس صحيحة، انظر للحدث من أوله، الحديث ماذا حصل فيه؟ من العادة أننا نأتي إلى أشياء أصلًا نحن في قلوبنا خوف منها أو تشاؤم، إنكسار كاسة مثلًا، سفر، أصلًا في القلوب خوف منه، تشاؤم، فمن أجل أن يعالجوا هذا التشاؤم في نفوسهم يستعملون كلمة خير، من أجل أن يردوا مشاعر الشر التي ممكن أن تكون قائمة في نفوسهم، ففي هذه الحالة تصبح هذه الكلمة عندما يكون أصلًا مبني على اعتقاد خاطىء على اعتقاد التطير، لكن استخدام خير في أي موطن أخر لا علاقة لها.

الدليل الخامس.

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : ذَكَرْتُ الطِّيَرَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ ، وَلا تَرُدُّ مُسْلِمًا ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ ، فليقل :" اللَّهُمَّ ، لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلا أَنْتَ ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلا أَنْتَ ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ " .

انظروا إلى الدليل؛ سيكون في الدليل قاعدة تفرق فيها بين الفأل والطيرة وأيضًا ذكر في الحديث العلاج الذي تدفع به الطيرة:

الفرق بين الفأل والطيرة:

- أن الفأل لا يرد مسلم، ولا يسبب في إقدامه، هذا فهم للنص.
- فهم أخر أن المؤمن ما حاله مع الطيرة؟ لا ترده، يعني لو وقع في قلبه شيء من الطيرة لا ترده، يمضي في حاجته، فهذا تقرير أن الطيرة يمكن أن تقع حتى في نفس من كان في قلبه إيمان.

فإذا وقعت كيف يعالجها؟ انظري الدعاء:" اللَّهُمَّ ، لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلا أَنْتَ ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلا أَنْتَ ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ "

وهذا يدل على أن الطيرة في الأمرين، لأننا ندعو نقول "لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلا أَنْتَ" كأنك تنفي أن يكون أحد غير الله يأتي بالخير، انظري هناك نفي وإثبات: "لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلا أَنْتَ ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلا أَنْتَ ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ " إذن نفي وإثبات، حصر على الله، ما هو المحصور على الله؟ الإتيان بالحسنات ودفع السيئات.

ما علاقته بالطيرة؟ علاقته بالطيرة أن الناس بالطيرة يعتقدوا هذان الأمران:

- أن التطير يأتي بالخير.
- أو التطير يأتي بالشر.

فيتطيروا من أجل أن يهربوا من الشر، عندما يتطيروا يعتقدوا أن الشر آتيهم فيهربوا منه، واحد خرج ورأى مجذوم، رأى مشلول، فيقع في قلبه أنه سيذهب فيكون هناك شر فيهرب منه، كيف ترد عنك هذه المشاعر؟ تقول "لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلا أَنْتَ ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلا أَنْتَ" ثم تتبرأ من حولك وقوتك تقول "لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ ""، وهذا الدعاء متضمن للتعلق بالله وحده في جلب النفع ودفع الضر، والتبرأ من الحول والقوة إلا بالله، وعدم الألتفات إلى الطيرة التي قد تكون سببًا لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها.

من عقوبات المتطير أنه يقع الشيء الذي يخاف منه، لماذا؟ عقوبة من الله له، يعني هو يخرج ويرى مثلًا ما يكره فيقول أكيد لن أحل في الاختبار، كيف يعاقبه الله؟ لا يحل، فتأتي المشكلة أنه لما يحصل هذا الأمر ولا يحل في الاختبار يكون ردة فعله أنه طلع أن كلامي صحيح، فيثبت أعتقاده في الطيرة فتصبح دوامة، يتطير أولًا ثم يعاقب على تطيره بما تصور أنه وقع ثم يثبت في ذهنه التطير.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا الدعاء المفروض أول ما يقع في قلبك هذا الشعور، | ليس الكفارة، الكفارة لابد فيها من توبة، واستغفار، وسيأتيك في النصوص الآن ما يزيدك فهمًا لهذه المسألة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا تردوا مسلما، الطيرة المفروض لا ترد مسلما، لو ردتك هذا دليل على ضعف إيمانك، لا تقل هذا خوف طبيعي، مثل من أرسل لي رسالة يقول أن الخوف من الحشرات خوف طبيعي، ما رأيكم؟ هل الخوف من الحشرات خوف طبيعي؟ لا أقول من الحيوانات أنا أقول من الحشرات، يجب أن تفرقوا، هذه تربية على ضعف الإيمان.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الاستقذار شيء غير الخوف، لكن هي تركيبة ونحن لا نشعر.

على كل حال؛ انت مع قوة إيمانك تعلم أنه ليس هناك أحد سيؤذيك، مع ضعف الإيمان ستخاف من كل شيء، لابد أن تتصور أن هناك حدًا طبيعيًا وحد فوق الطبيعي، أنا سلمت أنه للنساء وخصوصًا نساء المدن طبعًا لأنك لو رأيتي إلى أطفال القرى وقارنهم بنساء المدن، سترى عجبا، لكن لا إشكال أنا موافقة أن نساء المدن أكثر رفاهية وأصعب عليهم التعامل معهم، إلى هنا تمام، لكن إلى درجة الصراخ، وإلى درجة نداء الاستغاثة، إلى هذه الدرجة سيبقى إلى هذه الدرجة مازلنا في الحد الطبيعي؟!، يعني أقرف لا أقرب، أخرج، تمر أن هذا نتيجة تركيبة أمرين مع بعض، خوف منها واستقذار لها، تمر إلى هنا، لكن ما تجدونه وما تسمعونه وما ترونه، الله المستعان!.

ردة فعل مبنية على ماذا؟ أليس كل ردة فعل تكون مبنية على اعتقادات في الداخل؟ وهذا أحد الاعتقادات المهمة الخوف المبني على ضعف الإيمان، أنا كنت متأكدة أنها ستزعلكم كلمة ضعف الإيمان لكن هذه هي الحقيقة، لا يصح أن أستر عليكم ولا أتكلم.

ثم أقول لكم من الآن إذا أتصلتم على أحد من المشايخ تسألوه هل الخوف من الحيوانات ضعف إيمان سأشرح لكم ماذا يجب عليكم أن تقولوا له توضيحًا للأمر في فتواكم، لأن أسلوب الغش في نقل الفتاوى يسبب إشكال كبير، لأن من المؤكد أنه سيضرب لك مثال مباشرة كيف أن الخوف من الحيوانات ليس خوفًا طبيعيًا، الخوف من الأسد، الخوف من الثعبان ،الخوف من لدغة العقرب شيء طبيعي، إلى هنا شيء طبيعي، لكن هو لا يعلم الحقيقة التي تحصل أصلًا وليس متصورها، ولذلك سيضرب لك أمثلة بهؤلاء الأسد والثعبان.

وانظري لو ضرب لك مثلًا للصرصار، ابحثوا عن أحد يضرب مثال بهذا، ولا أحد سيضرب مثال بهذا طبعًا!، على كل حال انتم راجعوا أنفسكم وانظروا كيف المشاعر وصلتكم إلى هذه الدرجة، وكيف أنك أم وهؤلاء أطفالك في البيت، الله المستعان!.

ماذا ستكون مشاعر الطفل هذا الذي يتربى تحت يد أم بهذا الجبن، سيخاف من خياله هذا!، وهذه الحقيقة!، انظري كيف أولاد هذا الجيل من خوفهم، ومن جهة ترددهم في اتخاذ القرار، ومن جهة احساسهم أن كل شيء هائل وعظيم، كأننا أصبحنا معجونين بمشاكل كثيرة، الترف من جهة، وليس هناك الخشونة اللازمة للحياة بالإضافة إلى الخوف الشديد من كل شيء، ثم لا تسأل عن أثر هذا في مستقبل الأمر وعدم تحمل المسؤولية، والرهبة من كل أحد، وعدم القدرة على الاختلاط بالناس، كل هذا آثار للتربية الجبانة!، ثم انظر في الشوارع ماذا يقولون عنه يقولون انت تربية — حرمة – ، لماذا؟ لأنه يظهر عليه الخوف، يخاف من كل شيء — الله المستعان –.

على كل حال الاعتدال مطلوب، هناك حد اسمه خوف طبيعي سيأتيني نقاشه، نحن استعجلنا هنا وألا هو في باب الخوف يأتي هذا النقاش بالتفصيل وتجدي أن المفروض أنك تفكري بعقلك، الآن هذه الحشرة ما أقصى ما عندها، أقصى ما تستطيع أن تفعله لو كانت في الأرض ..انت طويل عريض، وهي كلها ماذا!، نقطة!، ثم إذا كانت تطير انت تملك من أدوات قتلها الشيء الكثير، فكر بعقلك، فعل الخوف تطغي على العقل، من أجل ذلك نسميه ضعف إيمان، لأن الذي يكون عنده قوة إيمان يشعر أن المسألة بالتفكير المنطقي تحل، لكن ضعيف الإيمان أصلًا لا يفكر.

الدليل السادس.

الآن ننتقل إلى كلام ابن مسعود، أولًا هذا الحديث مرفوعًا

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: " الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ،

من هنا كلام ابن مسعود

وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ "

هذا إدراج من كلام ابن مسعود.

انظري ماذا قال الشيخ رحمه الله:

رواه أبو داود، والترمذي وصححه،

يعني الذي صححه الترمذي

وجعل آخره من قول ابن مسعود.

أخره من عند "وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ "

هذا الحديث أول فائدة نستفيدها منه أن الطيرة حكمها شرك، لو قلت لك عللي لماذا الطيرة حكمها شرك؟ لما فيها من تعلق القلب بغير الله في حصول خيرٍ أو شر، تعتقد أن غير الله بيده الأمر، من أجل ذلك شرك.

الأمر الثاني: الأعتماد على ما ليس بسبب شرعي ولا كوني.

إلى هنا انتهى كلام النبي صلى الله عليه وسلم، نأتي الآن إلى وصف ابن مسعود حال الناس، ما وصفهم؟ هو قال "وَمَا مِنَّا إِلَّا" هذه الجملة كيف تفهميها؟ ليس منا أحد إلا وقع في قلبه شيء من الطيرة، العلاج التوكل.

كلام ابن مسعود يدل على أن الناس يقع في قلوبهم شيء من الطيرة، اجمعي هذا النص والذي قبله ماذا تقولين؟ نقول فمن وقع في قلبه شيء من الطيرة ولم ترده عن حاجته – هذا ضابط مهم؛ أنه لا ترده عن حاجته – فإن ذلك لا يضره، بل يذهبه الله بالتوكل.

من النص الماضي يعني من الدليل الخامس اوصفي لي التوكل؟ تعبير عن اعتقاد، إذن التوكل عبارة عن اعتقاد وعمل:

- تعتقد أن الله هو مالك الأمر إطلاقًا.
- العمل أنها لا ترده، بل يقع في قلبه المدافعة، ويقع من سلوكه الاستمرار، يعني الاستمرار فيما نوى، المتوكل يعلم أن الله هو مالك الملك، يعلم ذلك ويعتقد، عمليًا لا ترده الطيرة، بل قلبه يدافع وبدنه يسير في حاجته.

٤ الدليل السابع.

هنا أتت الكفارة، كفارة شخص وقع منه التطير.

ولأحمد من حديث ابْنِ عَمْرٍو ، " مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ ، فَقَدْ أَشْرَكَ " ، قَالُوا : فمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : " أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ".

إذن النص يدل على أن من منعه التطير عن المضي فيما يعتزم عليه فقد أتى نوعًا من الشرك، وكفارة هذا الأثم العظيم الدعاء الوارد في الحديث، والدعاء يتضمن الاعتماد على الله والإعراض عن ما سواه.

نشرح تفاصيل الدعاء.

أولًا "لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ": هذا يدل على أن كل خير في الدنيا والآخرة فهو من الله وحده تفضلًا ومنة على العباد، ليس لأحدٍ حق على الله، فلا أحد يجلب الخير إلا هو سبحانه وتعالى.

" وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ": هذا فيه الاعتراف أن الطير خلقٌ مسخرٌ مملوك لله تعالى، لا يأتي بخير، ولا يدفع شر، ولا يحصل إلا قضاء قضاه الله.

"وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ": أي أن الألوهية كلها لله، ليس لأحدٍ فيها شركًا لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فكيف يمكن أن يكون هناك شركا لطيرٍ أو غيره؟!، فلا إله يعظم ويتعلق به ويوصف بالكمال إلا هو سبحانه وتعالى.

إذن إذا شعر الإنسان بأنه فعل شيئًا ينافي التوحيد أو ينقصه فعليه أن يبادر بالكلام عن التوحيد، عليه أن يبادر بتجديد التوحيد في كل مقام بما يناسبه، لذلك من أحسن ما يقول العبد لفظة الشهادة، لأنه من المؤكد أنك تمر عليك في اليوم والليلة من المواقف التي فيها إشارة إلى نقص توحيدك ما الله به عليم، من الاعتراض على القضاء والقدر، من الخوف بغير الله، من رجاء غير الله، من التعلق بغير الله، من انتظار الخير من الناس، من نسبة النعمة إلى غير الله، كل هذا يعتبر نقص في التوحيد، لأن نسبة النعمة إلى غير الله يعتبر نوع من أنواع النقص في التوحيد، التفات القلب اليسير إلى غير الله نقص في التوحيد، كل هذه النقائص في التوحيد أجبرها بترديد الشهادة، وبتجديد العهد بينك وبين الله.

الدليل الثامن.

نأتي إلى النص الأخير في هذا الباب.

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما: " إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ " .

في هذا الحديث ضابط الطيرة الشركية، ما ضابطها؟ ضابطها أن أي شيء يكون سبب في مضيك أو في عدم مضيك، عدم مضيك هذه واضحة، لكن حتى في مضيك يعتبر طيرة.

سنختم الكلام حول التطير بالكلام حول النفسيات المتشائمة.

انتهينا الآن من مناقشة نفس الأدلة، نصل إلى مناقشة النفسيات التي لا أستطيع أن أقول طبعت لكن فيها قوة تشاؤم، سأذكر لك كلام ابن القيم ونناقشه ونرى كيف تكون مثل هذه النفسيات.

قال ابن القيم – رحمه الله – : وأعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف، وأمَّا من لم يبال به ولم يعبأ به شيءٍ، لم يضره البته، ولا سيما إذا قال عند رؤية ما تطير به أو سماعه " وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ " ويقول: " اللَّهُمَّ ، لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلا أَنْتَ ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلا أَنْتَ ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ" فالطيرة بابٌ من الشرك، وإلقاء الشيطان، وتخويفه ووسوسته، يكبر ويعظم شأنها على من أتبعها نفسه، وأشتغل بها، وأكثر العناية بها، وتذهب وتضمحل عن من لم يلتفت إليها، ولا ألقى إليها باله، ولا شغل بها نفسه وفكره.

إلى هنا نقرر من كلامه ثم نأخذ الجزء الثاني من كلامه.

نحن لابد أن نتصور أن النفوس تجاه الطيرة مختلفة، فليست كل النفسيات شديدة التأثر بالطيرة، وإن كان كل النفسيات يقع فيها شيء من التطير كما ذكر ابن مسعود "وَمَا مِنَّا إِلَّا" يعني أن الناس غالبهم يقع في قلوبهم التطير ثم وصف دفعه، لكن السؤال: هل كلنا نتأثر بالطيرة بنفس الدرجة؟ الجواب لا، إذن النفوس مختلفة بتأثرها بالتطير، الاختلاف مبني على ماذا؟ يعني لماذا أحد يتأثر بقوة بالتطير وأحد لا يتأثر؟ هو ذكر هنا على حسب الألتفات إليها، انظري أول جملة قالها:

وأعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف

إذن سيقع ضرر من التطير، هذا الضرر كيف تفسره؟ عقوبة من الله، كيف تفسر الضرر الذي يقع من التطير، من الشيء الذي تطير به؟ عقوبة من الله، يسلط الله عليك من خفته، وهذا مبني على القاعدة التي " مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ " فانت الآن ماذا وقع في قلبك؟ التعلق، والتعلق هذا من جهة الخوف، تعلق أنك سيصيبك كذا بسبب أنك رأيت كذا إذن ستوكل إليه، سيقع عليك ما خفته.

- إذن التطير يضر من أشفق منه.
- الحالة الثانية: أنه لا يبال بما تطير الناس به ولا يعبأ، وهذا من المؤكد أنه لا تضره الطيرة.
- المسألة الثالثة: أن الطيرة تبدأ صغيرة وتكبر بالعناية بها، وبالاشتغال بها، وبربط الحوادث، وبسؤال الناس وبكثرة التفكير، كل هذا سبب لأن تكبر مسألة الطيرة في نفسية الشخص.

وانت تجد أن أشخاصًا ربطوا مصائرهم مع الناس، مع الأعمال مع أزواجهم ربطوها على أساس أنها رأيت ليلة الزفاف كذا وكذا، أو أنه رأى ليلة الزفاف كذا وكذا، بل أحيانًا يكون هذا الرجل متقدم إلى امرأة ثم يموت أحد أقرباء الرجل فيتشائم من المرأة، فنقول هذا

حصل بقضاء الله وقدره فإذا قال لك أنني ضغطت على نفسي وعقدت عليها ثم حصل كذا وحصل كذا نقول نعم، كبرت في رأسك التطير بها فابتلاك الله!

هل هذا يعارض حديث: " الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ : الْمَرْأَةُ وَالدَّارُ وَالْفَرَسُ " ؟ لا لا يعارضه، لأن مقصد الحديث له كلام كثير لأهل العلم حول هذا الحديث، لكن أذكر طرف منه:

- أن المقصود أن الشؤم لو كان في شيء يكون في المرأة والدابة والدار لكثرة الاحتكاك بها، لكثرة الاحتكاك بهم، لكثرة الاحتكاك بهم يمكن أن يكون هناك شؤمًا، ما معنى كثرة الاحتكاك؟ أنك تعيش معه وقت طويل وتعايشه وتحصل احداث، فإذا ستبقى تربط ستجد ما تربطه، وستجد أن دخول هذا عليك حصل منه كذا وكذا، هذا معنى لكلام أهل العلم.
- معنى أخر أن الشؤم هنا شؤم المعصية أو شؤم عدم استعمالها فيما يحب الله، فمن شؤم المرأة أن تكون غير مطيعة، وأن تكون سببًا لنكد حياة الزوج، هذا شؤم، الدابة من شؤمها ألا تستخدم في طاعة الله، إنما تستخدم في معصيته، فتجد أن الدابة أتتك لم تسهل لك طريق الخير، إنما سهلت لك طريق الشر، مثل عندما واحد يشتري سيارة بدلًا من أن تكون هذه السيارة لإيصاله إلى المسجد، تصبح سببًا لإيصاله إلى مثلًا أماكن الفجور والفسوق، فأصبحت هذه السيارة شؤم عليك.

شؤم ما معناها هنا؟ سبب لجلب المفسدة الشرعية، هذه المرأة شؤم عليه، وانت تجدي كثير من النساء شؤم على المستقيمين، تكون تحب الدنيا ومتعلقة بها فتضعف إيمان زوجها أو تبقى مشعرة له أنه أنقص من الناس، المهم أنها شؤم تبعده عن طريق الإيمان، من شؤم البيوت أيضًا، من شؤم الدار أن تكون ضيقة، سببًا لضيق النفس، وعدم انشراحها ومن ثمَّ لعدم النشاط في الطاعة، فالشؤم في ثلاث يحمل على هذا المعنى والله أعلم.

وانت تأتي إلى أحد وتجده صاحب معصية وتجده أنه مكدر فتقول هذا من شؤم المعصية، ماذا تقصد من شؤم المعصية؟ يعني من آثارها، فالمعصية لها شؤم على أصحابها، وعلى هذا شُرح هذا الحديث.

على كل حال؛ المقصد أن النصوص الكثيرة في نفي التشاؤم تدل على أن الأصل نفي الشؤم والتطير، وهذا النص الشؤم في ثلاثة صحيح لكنه من المتشابه الذي يحمل على المحكم، والمحكم نفى التشاؤم ونفى التطير، وإنما تستخدم كلمة شؤم كما تستخدم في مواطن أخرى والمقصود بها أنه الشؤم الذي ممكن أن يكون بسبب ذنب، وأن هؤلاء أقرب إلى الذنوب.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة:بالنسبة للبيت ورد الحديث، وأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بتغيير البيت، لكن علل أهل العلم أمره صلى الله عليه وسلم بتغيير البيت من أجل أن يحفظ عليهم إيمانهم، لأن لو بقيوا في البيت وحصل نقص لهم سيكبر في أذهانهم أن البيت سبب لنقصهم، هذا بالنسبة للبيت، أمَّا بالنسبة للمرأة إنقطاع الخير أو بقاء الخير هذا أمر تقديري.

ما معنى أمر تقديري؟ يعني انت الآن مثلًا في فترة سقوط الأسهم.وسقطت الأسهم سيقول لها بسببك؟ أنهيار السوق السعودي بسببها؟!، مشكلة!، هو تفكيره يكون محدود، مثل هذا غير موجود على الحقيقة، هذه مسألة قياسية، يكون مثلًا تجارة ودخل فيها وخسرت، خسرت لأسباب كثيرة، وافقت أنه خطب، فيضع هذا على هذا، لا تعظم ولا تكبر إلا بسبب الضعف الموجود.

ولذلك تصوري لو أن مرأة بهذه الصورة جاءت قالت لي – وهذا موقف حقيقي – اتخطبت ثم توفى والدها، هذا وقت الخطوبة، أي حددوا موعد للخطوبة ثم دخل الأب في مرض ومات، ثم أتى وقت العقد الظاهر أن حصل حادث لأهلهم، المهم أصبح حدث رقم اثنين في العائلة، والكل مركز أنه بسببك انت، بسبب دخولك علينا، فأصبحت المسألة عكسية الآن، أصبح الرجل هو المتهم،

فما الرأي؟! انت لو كنت مكاني ماذا ستقولين لها؟ يجب أن تسأليها ما نفسيتك، ولهذا نحن بدأنا في هذا النقاش، فوصفت لي أنا أشعر أنه من يوم ما جاء كل شيء اتلخبط وبيتنا، هذه كيف ستعيش؟! على طوال الوقت ستربط في حياتها أنك عندما جئت.. هو لم يحصل بينهم إلا العقد تدخليها حياته ثم تقولي بعد ذلك تحل المشكلة؟! ستكوني ما أحسنت صنعًا، الله أعلم أنك لم تكوني أحسنت صنعا في هذه الحال.

أوعظيها لا بأس، قولي لها أن الأمر بيد الله، وأن انظري إلى ابن مسعود يقول في الحديث " الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، وَمَا مِنَّا إِلَّا" لكن قولي كذا وكذا، تقول أنا مصدقة لكن النبي صلى الله عليه وسلم تقول أنه أخبر أن الشؤم في ثلاثة، هي تستدل بالحديث على نفسها، المهم التي تحدي أن صاحبها وسيأتي كلام أيضًا لابن القيم، وأصلًا كلام ابن القيم سيبين لك أن الإنسان ينظر إلى الخير بعين الشر، يعني تتعقد النفسية زيادة.

المهم انظري في هذا المواقف انظري إلى نفسية الرجل نفسية المرأة إذا وجدتي أنها اصطدمت بمشاعر أن هذا مقدمه علي شر الله أعلم أنك لا تكملي الأمر وتفعلي مثلما أرشدك النبي صلى الله عليه وسلم عندما أمر هؤلاء أن يتحولوا من بيتهم، لكن انت تعلمين يقينًا أن البيت لا علاقة له بالقدر، لكن حفظًا على إيمانك وتقواك، مثلما نقول لك "فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ"، نقول لك أخرج من البيت من أجل أن بقاءك في البيت سيشعرك أن كل شيء بسبب البيت، وعلى هذا تجد أن نفسية هؤلاء لا يفكروا في ذنوب، ولا في معاصي، ولا في بعد عن الله، تجد أصحاب البيت ملأى بالذنوب لكن كل تفكيرهم أنهم عندما دخلوا البيت نقصوا.

الآن في الواقع ترى كثير من البيوت التي بنيت عليها من المشاحه الشيء الذي لا ينقطع، خصوصًا مع النساء العاملات، مالي ومالك، الزوجة والزوج، وطوال الوقت في مشاحه، ثم يذهبوا يسكنوا في البيت ولا يروا خيرا منذ أن يسكنوا في بيتهم، ثم تريد تكلمني عن التطير أو عن الحسد، ليس هناك غير هذا، أمَّا ستطير بالبيت أنه سبب للبلاء، أو أنها حسدت فتشبكه مع التطير طبعًا، سنقول لا انظر انت ماذا فعلتي طوال المدة السابقة لسكناك في البيت، انظري ماذا فعلتي طوال المدة السابقة لسكناك في البيت، انظري كيف كان في قلبك تعلق مثلًا، هذا سبب، أو في قلبك مشاحه وكراهية لزوجك، ولمسألة الاموال وإحساسك أنك مظلومة، والمخاصمات الحاصلة حول البيت، كل هذا مما يقل بركة البيوت.

فهناك عوامل كثيرة لابد من فهمها من أجل إصلاح النفسيات التي تكون فيها ظاهر مسألة التشاؤم، لكن إذا وجدت من أمامك واقع في هذه المسألة لا يكاد ينقطع عنها سواء كان في مسألة فيها أرتباط فيها زوج، فيها بيت، لا، الأولى أن تقطع مثل هذا من أول الأمر، لأننا أحيانًا نأتي في حالات تكون متزوجة منذ ١٢ سنة، وتحكي من أول الأمر كيف أن دخوله على حياتها كان شؤم وكذا وكذا، بعد ١٢ سنة!، وبالعكس طبعًا، يأتي الرجل يقول هذه عندما تزوجتها حصل كذا وكذا، فيكون معدد لما يتشاءم به.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة:يجب أن نحرر، ممكن بسببه لا بأس، لكنه ليس تطيرًا، السؤال: أحيانًا يشعر أن واحد من أولاده سبب بلاؤه سبب شقاؤه، ماذا سنقول له؟ ربما يكون صح سبب لبلاؤه، وسبب لشقاؤه، وممكن أوقات أن لا يكون الأبن هو السبب، ممكن يكون الأب هو السبب، يعني الآن مثلًا الرجال الذي يأتيهم ولد بعد بنات في الغالب أنهم يأتون إلى هذا الولد ويعطوه كل شيء ثم يكبر فيكون سبب لبلاء على والديه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: عندما جاءوها هذان الطفلان ثم حصل الطلاق، الطلاق من أين حصل؟ أليس من الأم والأب ومشاكلهم؟!، هذا لا يمكن أن يدخل في التشاؤم احساس أن وجودهم هو سبب الطلاق، افسد الأولاد لأنهم تحت أمر الطلاق، الأولاد الذين يكونوا كبار وعاشوا في الحياة استقرار ثم حصل طلاق وهؤلاء وجدوا في الطلاق في الغالب أنهم يكونوا أفسدوا الأولاد مقارنة بغيرهم، من المؤكد، لأن تصوري واحد وجد في مسألة الطلاق، كيف سيربيه؟!، هو سيزرع فيه فساد!، المشكلة أننا سنعود مرة أخرى نجد أنفسنا محللين لأنفسنا هذا الفعل الذي نفعله، مثل فرعون، يرى أنه صحيح أنت سبب فسادنا.
سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: صح يصبح تطير لا ننكر، أنا أبيِّن لك أن هناك نفسيات حتى لو نصحتيها لا يصلح معها ما ترتب على الأمر، تطير تطير لا ننكر، ونحن ننبهها نقول "لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلا أَنْتَ ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلا أَنْتَ ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ " تقول انتهى نفسي قفلت عليه، ماذا ستفعلي؟! هل حل المشكلة أنك تقولي تزوجيه؟!، لا أقول لك في هذا الموقف لا تقولي لها هذا، اتركيها، لأن هذا ليس موقف بسيط أقدم عليه وينتهي، هذه ستتزوج وستبقى طوال حياتها تتذكر، ومن أجل ذلك نحن اتينا بهذا الكلام هنا، انت لابد أن تفرقي بين النفسيات التي تعاملها في مسألة التشاؤم، ليس بكل سهولة وهدوء تقولي "لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلا أَنْتَ ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلا أَنْتَ" وتتصوري أنها سترد عليك بالاستسلام وتقبل، لا، الناس مختلفين، بالذات في هذه المسألة، في تفكيرهم، في تصورهم، في نظرهم للأمور، المتشاءم ينظر بعين سوداء لكل شيء، سيأتينا الآن مقطع من كلام ابن القيم يدل على أنه كيف يقلب الحقائق الخير إلى شر.

وصلنا إلى الكلام حول أن الطيرة إنما تضر من أشفق منها، وتبدأ الطيرة صغيرة وتعظم عند من أتبعها نفسه، والذي يتبعها نفسه يستطيع أن يربط من الأحداث ويأتي بها ما لا أحد يتصوره، ومن ثمَّ إذا ربط بين أحداث وجد لنفسه شاهدًا يجعله أكثر تطير.
ننقل لابن القيم كلام في نفس السياق: يقول:

واعلم أن من كان معتنيًا بها – أي الطيرة – قائلًا بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوسواس فيما يسمعه ويراه ويُعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه وينكد عليه عيشه.

نضرب مثال.
يقول ابن القيم:

فإذا سمع سفرجله – نوع من أنواع الفاكهة – أو أهدي إليه تطير به –كيف تطير به؟- قال سفر وجلاء، - يحول نفس الكلمة – يقول سفرٌ وجلاء.

الشيطان يفتح له باب التطير في كل المناسبات، أي كلمة يسمعها أو شيء يراه مباشرة يفسره، فتصبح نفسيته خبيثة، وفيه وسواس.

وإذا رأى ياسمينًا أو سمع اسمه تطير به وقال يأس ومين – ياسمين – وإذا رأى سوسنة – زهرة السوسن – أو سمعها قال سوء يبقى سنة.

هو أكيد يتكلم من واقع، ومثله وقائع نحن نعيشها، لماذا مستبعدين هذا الأمر؟ نحن ضربنا في أول اللقاء أمثلة كثيرة على هذا التطير[كسر الكأس، سماع صوت، حركة في البدن] هذا كله الآن نحن نعيشه، فترى أضعاف هذا، هذا يعتبر قليل مما نعيشه نحن من صور التطير[في الملابس، وفي حركة البدن، وفيما يرى] وتجد أختراعات، يعني تجد أنه أمر حتى لا يكون عام، واحد يخترع لنفسه

اختراع أنه لو مر بجانب مقبرة فمن المؤكد أنه سيحصل له حدث غير ملائم، يعني هذه التشاؤمات ليس شرطًا أن تكون عامة، مثلًا يحصل فيه حركة أو يده عامة عند المتشائمين يفسروها نفس التفسير، لكن لا هناك نوع من التشاؤم يخصّ هذا الشخص بعينه، دونًا عن غيره.

المهم لابد أن تتصور أن الإنسان يتضرر من الطيرة بقدر اعتنائه بها.

تابع لهذا الأمر – تابع لنفسية المتطير – نقول تصور نفسك إذا عزمت على فعل شيءٍ فرأيت أو سمعت ما يكره، ماذا يجب أن يكون موقفك؟ في قلبك ماذا يجب أن يكون؟ سنذكر ثلاثة أمور أصلية ثم نرى موقف الناس عمومًا:

أول أمر: عليك بتصور أن مثل هذا فتنة واختبار ألقي في طريقك اختبارًا لك، فألجأ إلى الرحيم الودود، السميع العليم، الحافظ الحفيظ، أن يحفظ عليك إيمانك ودينك، واعلم أن ضبط النفس في هذا الموقف إيمان يزيد وطاعة تقبل بإذن الله.

انت لابد أن تتصور أن لحظة الأختبار هذه سبب لزيادة الإيمان، وفي هذا ستتعوذ من جهة وستقول الوارد من جهة أخرى: "اللَّهُمَّ ، لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلا أَنْتَ ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلا أَنْتَ ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ " . "اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ".إلى أخر ما ورد.

لا تهملوا ما يرد على نفوسكم، لأن مشكلتنا إهمال ما يرد على نفوسنا، ما يرد على نفوسنا من مثل هذا يحتاج منا إلى معالجة ومن تحويلها من سبب لنقص الإيمان إلى سبب لزيادة الإيمان.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة:ليس لنا علاقة هنا، هنا نناقش مسألة التطير، القربة من المؤكد أنك لابد أن تكون لاجئًا إلى ربك، سائلًا ليس فيها نقاش.

الأمر الثاني: اصرف ذهنك عن التفكير فيها أو ملاحظتها أو ملاحظة ما يترتب من نتائج بعدما سمعت أو رأيت، يعني انت سمعت أو رأيت شيء أوقع في قلبك تطير لا يبذل عقلك في قلق لا، لابد أن تصرف عقلك عن التفكير، ثم إذا أردت إلى ذلك سبيلا – صرف عقلك عن التفكير – من سُبل ذلك وعظ أحد في مسألة التطير، أو كتابة رسالة إلى متطير تنصحه فيها بالتوكل على الله.

أنا يكون واقع في هذه المشكلة فأجمع قوايا أن أوعظ أحد، وأأتي لأحد وأقول له وأنا الآن في داخلي هذا الأمر، كأن في شيء من القلق، أقول له انتشر اليوم في المجتمع التشاؤم من كل شيء، يتشائمون من كذا وكذا، كأنك تطرح المسألة إلى الخارج، اطرحها، خرجها، وناقشها على أنك منتقد لها، بغضها لمن أمامك ولنفسك، وإذا ما استطعت أن تتكلم عامل الورقة والقلم واعظا، وأنه قد يجد الإنسان في نفسه من مشاعر كذا وكذا لكن لابد أن يستعيذ ويستعين ويطلب من الهل، ولابد أن يعلم أن لا شيء ينفع من غير الله، ولا شيء يمكن أن يدفع الضر إلا الله.

استخراج ما في الداخل من اعتقادات أول أذن تسمع ما تقول أذنك، هذا لو كنت صادق أول واحد ينتفع انت، وهذه الطريقة مجدية خصوصًا لطلاب العلم، أهم شيء أن لا يكون في ذلك ثناءً على نفسك، في أمراض القلب الله أعلم أرى هذا علاجًا، والله أعلم، هي مجرد تجربة تجربيها، ترى نفسك عندما تمر عليك لحظة كبر، وتريدي تعالجيها ونفسك تهرب منك، نفسك تهرب منك لا تريدي تواجهي نفسك أنك تكبرتي، أأتي بأي أحد أمامك وأوعظيه في الكبر، وسيكون عقابك كذا وكذا لو تكبرت، فرجع الصدى سيكون عليك، هذا لو كنت صادقًا، لأن شرط مثل هذا الكلام يكون نافع للصادق، سينفعه، لأن أول أذن تسمع أذنه، فينتفع بها، وينتفع بك الناس أيضًا، ثم اجمع قلبك على أن إرادة نفعك للناس تسأل الله أن يكون كفارة لما وقع في قلبك.

أو إذا كنت صاحب قلم اكتب مثل هذا، اكتب أن الإنسان يمر عليه حالات ينظر إلى ما أعطى الله أن غير الله أعطاه، وأن ما منع الله غيره منعه، ومن ذلك ما يقع في النفس من تشاؤم خصوصًا في مجتمعات كذا وكذا، اوصفي حالتك، لعل هذه الكتابة التي تنفع غيرك تكون شفيعة لك عند الله، وبهذه الصورة فكري أننا نريد أن نجمع لأنفسنا ما نستطيعه لنعتذر عند الله به، على كل حال هي مجرد اقتراح.

النقطة الثالثة: خذ بأسباب زيادة الإيمان، كلما وقع تطير كلما أشار إلى ضعف إيمان في الداخل، ضعف توكل، ضعف ثقة بالله عز وجل، فخذ بأسباب زيادة الإيمان لأن تطيرك كأنه ورقة كاشفة لما في قلبك، خذ بأسباب زيادة الإيمان، من أهم أسباب زيادة الإيمان الاجتماع على الطلب التسبيح التكبير، أي الذكر، العلم، الذكر، الصلاة، تلاوة القرآن، تلاوة عبد متدبر له، هناك رسالة لطيفة للشيخ عبد الرزاق حفظه الله اسمها أسباب زيادة الإيمان اقرءوها.

إذن هذه الثلاثة القواعد العامة:

- أول الأمر تصور أنها فتنة واختبار، وإذا تصورت هذا خذ بأسباب خروجك من الفتنة، من الدعاء والاستغاثة واللجوء إلى الله عز وجل، والدعاء بما ورد.
- الثانية: اصرف ذهنك عن التفكير فيها لأن زيادة التفكير يعظم المسألة وهي لا تضر إلا من تابعها بعقله.
- الثالثة: خذ بأسباب زيادة الإيمان، لأن وجود التطير إشارة إلى نقص الإيمان.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: تتصوري أنه ماذا يقع بعدها؟ ربما أن اللون الأسود يكون بالنسبة لبعض الناس .. "الطيرة ما أمضاك أو ردك" هذه القاعدة، هذا يحتاج أن يكون معالجة، وأخشى أن يكون – فقط أخشى أن يكون – وراءه اعتقاد وانت لا تشعر به.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: عقوبته أو ما مصدره؟ تقصدين أن من تطير تشاؤمًا عقوبة أنه يقع عليه ما تطير به لكن من تفاءل؟! هل سيكون عقوبته أنه يقع له؟! لا طبعًا، لكن احتاج أبحث عن ماذا قال أهل العلم عن مثل هذا، وماذا ستكون عقوبته، لكن هو إشارة لك، إشارة إلى ضعف إيمانك، ونحن أصلًا نغفل عن هذا الجزء أن من التطير ما يمضيك أو ما تتصور وراءه شيئًا حسنا.

والمتطير لا يخلو من حالتين:

الأولى: أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل، وهذا من أعظم التطير والتشاؤم، فهذا كما ترى من تعلق قلبه بهذا المكروه غاية التعليق، وعمل عليه وتصرف ذلك المكروه في إرادته وعزمه وعمله، فلا شك أنه على هذا الوجه أثر على إيمانه، وأخل بتوحيده وتوكله، ثم بعد هذا لا تسأل عن ما سيحدثه هذا الأمر من ضعف القلب ووهنه وخوفه من المخلوقين، فتعلقه بالأسباب وبأمور ليست بأسباب وإنقطاع قلبه من تعلقه بالله وهذا من ضعف التوحيد والتوكل ومن طرق الشرك ووسائله، ومن الخرافات المفسدة للعقل.

الثانية: أن يمضي ولكن في قلق وهمّ وغمّ، لاحظ هذا متطير أصلًا وليس سالم، فأمَّا أنه يحجم، أو أنه يقدم لكن في قلق وهمّ وغمّ يخشى من تأثير هذا المتطير به، وهذا وإن كان دون الأول لكنه شر وضرر على العبد، وضعف لقلبه وموهن لتوكله، وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر، فقوي تطيره وربما تدرج إلى الأمر الأول وكلا الأمرين نقصٌ في التوحيد وضررٌ على العبيد، بل انطلق

إلى ما تريد بإنشراح صدر واعتمادٍ على الله عز وجل ولا تسيء الظن بالله، واستعين بما شرعه الله لك من الاستخارة، واجتهد في احضار قلبك والخشوع لله، والصدق في الدعاء، واعمل بما أمرت من الاستشارة بمن تثق بهم من أهل النصح والخبرة، فانت باستشارتك تتعبد، واعلم أن الله لا يخذل من وحده، ومن آوى إلى الله آواه الله، وإنما الطيرة نفورٌ عن باب الله.

على كل حال انتهينا من باب التطير باختصار.

[٣٦٠].....

ما علاقة الكهانة بالسحر؟ أن كلًا من الكهانة والسحر عمل شيطاني ينافي العقيدة ويضادها، هذا رد عام صحيح، والرد الخاص أن الكاهن يجتمع مع الساحر في استخدام الجن، وقد يكون لاستخدامه أوجه، يعني نفس هذا الشخص مع أشخاص يكون كاهن، ومع أشخاص يكون ساحر.

لو أأتي أقول لك مثلًا مر معكم السحر التخييلي والسحر الحقيقي فنفس الشخص ممكن أن يكون مرة سحر تخييلي، ومرة سحر حقيقي، مثل أحد السحرة المشهورين ماذا حصل منه؟ المسرح الذي كان عليه أول مرة كان يقف جهة اليمين من الجمهور وأتى إلى ورقة الكوتشينة، قسمها أقسام ثم أكلها ثم شرب وراءها ماء ثم أخرجها – ليس نفس الورقة – اخرج على صورة أمواس – موس حاد – هذا يعتبر من السحر التخييلي، والسحر التخييلي يراه من أمامه ويراه أي واحد في أي مكان، يعني نفس الكاميرا ستلتقط نفس التخييل، لأن لا أحد يقول أنا لن أرى نفس التخييل! لا، الكاميرا نفسها ستلتقط نفس التخييل، هذا على اليمين، أمَّا على اليسار ذهب إلى مكان تنزل منه ثقالة، يعني هو ممدد في الأسفل، وفوقه ثقالة، ثقالة المفروض تسقط عليه، لحظة سقوطه المفروض الجن سيسحبوه لأنه ربط نفسه.

المشهد ماذا حصل فيه؟ أن الجن لم يسحبوه فقتل بها أمام الناس، وطبعًا مصور وواضح كيف أنه هشم رأسه بهذه الثقالة، فهو نفسه أصبح يسحر سحر تخييلي من جهة، وسحر حقيقي منجهة، بصورتين هنا وهنا يستخدم الشياطين، لكن هنا بالسحر التخييلي وهنا بالسحر الحقيقي، يعني كانت ستحمله حقيقة، كانت ستسحبه، فهو بقي في مكانه على أنها ستسحبه فوقعت عليه وهشمت رأسه.

فالساحر والكاهن أشخاص يلعبوا أدوار مختلفة، افهمي هذا جيدًا، واحد شخص يتعاون مع الجن ثم لا تسأل ماذا يفعل، يوم سحر تخييلي، يوم سحر حقيقي، يوم كهانة، يوم نشرة، وهو نفس الشخص.

فمن أجل ذلك أتى باب ما جاء في السحر، باب شيء من أنواع السحر، باب الكهان.

[٣٦٠] لا أعلم إن كان ينقص من الدرس شيء أم لا، لكن التسجيل بدأ من هنا.

الآن باب ما جاء في التنجيم، انتهينا من التطير وأتانا التنجيم.

باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في "صحيحه": قَالَ قَتَادَةَ: خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا؛ فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. أ.هـ.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "ثَلَاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ". رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

هل هذا أول مره يمر عليك كلام حول التنجيم؟ لا، افترضي أنك تريدين أن تكتب هنا كل ما تعرفيه من نصوص التنجيم، ماذا ستكتبين من دليل؟ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ ، فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ". إذن هذا جواب على سؤال ما علاقة التنجيم بالسحر، كل مجموعة السحر يجب أن تسألي نفسك هذا السؤال – ما علاقة هذا الموضوع بالسحر – لأننا اتفقنا أن كتاب التوحيد عبارة عن مجموعات جزئية تشترك مع بعض في الموضوع، وتشترك مع التوحيد في الموضوع، يعني انت تكوني علاقة بين المجموعة الجزئية وبين نفس كل باب والتوحيد، فإذا كونت بين التنجيم والسحر علاقة سيكون علاقة التنجيم بالتوحيد نفس علاقة التنجيم بالتوحيد على صورة أضيق أو أوسع، بإضافة كلمة أو بإنقاصها، المهم أنه يكون نفس العلاقة.

إذن من ذكر لك أن التنجيم من السحر؟ الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: " مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ ، فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ ".

نبتدأ بالكلام حول معنى التنجيم في اللغة.

يسمى كل منزل من منازل القمر نجم، ويسمى كل كوكبٍ من أعلام الكواكب – أي من المشهور من الكواكب – يسمى أيضًا نجم، فيكون المراد بالتنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

مثاله؛ مثال الأحوال الفلكية [سير النجوم، طلوعها وغروبها، اجتماعها وافتراقها].

يستدل به على الحوادث الأرضية مثل [الإخبار بموت العبد أو حياته، أو سعادته، أو شقاؤه، أو شخصيته، أو ما ينتظره من رزق]، يعني أحوال العبد الغيبية عنه أو عن الناس.

التنجيم فيه إخبار عن أحوال العبد التي تغيب عنه – هو نفسه – أو تغيب عن الناس، مكمونة في صدره، يعني شيء مما أحبه أنا، أو شيء موصوفة به، هذا يعتبر بالنسبة للناس غيب، عندما يأتي أحد يقول انت ولدت في برج كذا – برج كذا هذه منازل القمر – إذن انت شخصيتك كذا وكذا، هذا أمر لو وافق صدقًا، لو وافق صحيح ما انت عليه يصبح فيه كشف لشيء من الغيب الذي

يعتبر غيب جزئي، فإذا كشف شيء من الغيب دخل في الكهانة، لكن هنا كهانة خاصة، هناك في الكهانة يستدل بمقدمات، يعني يخط في الأرض أمامهم، يقرأ الكف يقرأ الفنجان، يرمي الصدف أمامهم، هذه تسمى الاستدلال بمقدمات.

في التنجيم النتيجة واحدة، يتكلم عن شيء غيبي سواء غيب كلي أو غيب جزئي، لكن لا يستدل بمقدمات لكن يستدل بالنجوم، يعني تكاد تنطبق الكهانة على التنجيم، **الفارق بينهم الطريقة:**

- في الكهانة الكاهن يعتمد على مقدمات.
- في التنجيم على منازل القمر وعلى أعلام الكواكب، حتى أنك تستطيعين أن تقولي أن التنجيم أحد فروع الكهانة.

التنجيم والكهانة مسألة مهم أن تكوني فاهمة تفاصيلها، وليس فهمًا فقط إنما ضبطًا، لأنها مثل التشاؤم والتطير مسألة تختلط بالواقع، وذكرنا سابقًا أن لا إعلام ولا بريد الكتروني ولا مخالطة بالناس في الغالب تخلو من دخول شيء من التنجيم والكهانة، وأقصد المجتمعات العامة ففهمك لهذا يجعلك تفهم الحالة التي أمامك ما هي، المسألة تحتاج إلى كثير من البسط من جهة فهمها والضبط بعد الفهم، لابد أن تضبطها.

الدليل الأول.

نبتدأ بالنص الأول الذي ذكره الشيخ في هذا الباب.

قال البخاري في "صحيحه":

هذا قول قتادة رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم

قَالَ قَتَادَةَ:

قتادة من أحفظ التابعين.

خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ:

كأنه يشير إلى الحكمة من خلق النجوم.

زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا ؛ فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ.أ.هـ.

من أين أتى حصر فائدة النجوم في هذه الثلاثة؟ من الآيات.

- سنبتدأ بالاستشهاد على زينة للسماء ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾.
- ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾[٣٦١].
- ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٣٦٢]

إذن حصر قتادة أتى من الاستدلال، هذا الحصر يدل على أن من تعداه – فمن تأول فيها غير ذلك – أي مَن تعدى الثلاثة وزعم أن النجوم شيء لغير هذه الثلاثة أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به.

---

[٣٦١] الملك:٥

[٣٦٢] النحل:١٦

إذن وقع في ثلاثة محاذير:

- اخطأ طريق الحق، لماذا؟ حيث تكلم رجمًا بالغيب.
- وأضاع نصيبه من الدين ومن كل خير لأنه أشغل نفسه بما يضره ولا ينفعه.
- تكلف ما لا علم له به لأن هذا تخمين وظن لا يغني من الحق شيء، فقد تدخل فيما لا يعنيه فإن هذا مما يعلمه الله وحده لا شريك له فيه.

إذن من تأول وزعم في النجوم غير ما ذكر الله في كتابه واعتقد أن النجوم سببًا للسعادة أو الشقاء فقد حكم على نفسه بالضلال، كما ذكر قتادة.

سأنقل لكم كلام للشيخ صالح آل الشيخ – حفظه الله –

تجدوا هذا الكلام في التمهيد.

ومما يدخل في التنجيم في هذا العصر بوضوح مع غفلة الناس عنه ما يكثر في المجلات مما يسمونه البروج.

المقصود به الأبراج.

فيخصصون صفحة أو أقل منها في الجرائد ويجعلون عليها رسم بروج السنة برج الأسد والعقرب والثور إلى أخره، ويجعلون أمام كل برج ما سيحصل فيه، فإذا كان الرجل أو المرأة مولود في ذلك البرج يقول سيحصل لك في هذا الشهر كذا وكذا، وهذا هو التنجيم الذي هو التأثير، والاستدلال بالنجوم والبروج على التأثير في الأرض، وعلى ما سيحصل في الأرض، وهو نوع من الكهانة.

إذن الأبراج من التنجيم والتنجيم من الكهانة.

ووجوده في المجلات والجرائد على ذلك النحو وجود للكهانة فيها، فهذا يجب إنكاره إنكارًا للشركيات.

إذن يجب علينا إنكاره.

والإدعاء معرفة الغيب وللسحر وللتنجيم.

إذن ستنكر الأبراج كما أنك ستنكر الشركيات القبور والتمائم إلى أخر ما عرفت من شركيات ستنكر الأبراج مثلها، ومثل ما تنكر من يدعي علم الغيب ومثل ما تنكر السحرة، ومثل ما تنكر التنجيم، لأن التنجيم من السحر كما ذكرنا.

ويجب إنكاره على كل صعيد، ويجب أيضًا على كل مسلم ألا يدخله بيته.

يعني مجلة أو جريدة فيها تنجيم لابد لك من مقاطعتها بنية أنك لا تُدخل في بيتك شرك.

وأن لا يقرأه ولا يطلع عليه.

ممكن الناس مع بعضهم، ليس في منازلهم إنما في مكاتبهم مع زملائهم.

لأن الاطلاع على تلك البروج وما فيها ولو لمجرد المعرفة يدخل في النهي من جهة أنه أتى الكاهن غير منكرٍ عليه.

إذن التنجيم؛ الاستدلال بالأحوال الفلكية على الأرضية لابد أن يأتي أحد يترجم لك هذه الأحوال يقول لك سيحصل كذا وسيحصل كذا، إتيانك له مباشرة أو عن طريق الهاتف أو عن طريق المواقع، أو عن طريق المجلات يعتبر إتيان للكاهن مع الرضا بحاله.

فلا تقبل الصلاة لأربعين يوم، هذا إذا لم يصدقه، أمَّا إذا صدقه فقد كفر بما أنزل على محمد، وما معنى صدقه؟ معناه أنه ينتظر ما أتى به الخبر في الجريدة.

ما معنى أن تصدق التنجيم؟ يعني تخرج من بيتك منتظر أن يتحقق ما هو في الجريدة، هذا التصديق.

الشك هو أن ترى إذا كان سيحصل أو لن يحصل، هذا يكاد يلحق التصديق في حكمه، لأنك تعرف أن من النواقض الشك!، فانت تشك أن غير الله يعلم الغيب، يعني واحد قرأ في الجريدة وعندما أتى له الخبر لم يصل حد اليقين في عقله، لكن أيضًا لم ينفيه، خرج من بيته يفكر سيحصل ما قرأه أو لن يحصل، ربما سيحصل!، عامله بالشك، لم يعامله بالنفي المطلق، وإذا حصل لن يحصل لأنهم قالوا، إنما سيحصل لأن الله أمر به، والله يختبرنا، فانت من أجل أن لا تدخل نفسك في هذه الدوامة لا تدخل بيتك ولا مكتبك ولا تعامل من يعامل هذه الجرائد، لأن ربما نحن في مجتمعنا غير ظاهرة بقوة لكن في مجتمعات كثيرة عربية مسلمة تجدهم في مكاتبهم عندما يلتقوا في الصباح إذا ما لحق هو أن يقرأ البرج يسأل غيره ماذا قالوا اليوم في برجنا، كل يوم يتغير، أحداث يومية، طبعًا هم أشكال وألوان، الله يعافينا ولا يبتلينا بمثل هذه العبودية والرق، يعني تصور واحد يكون رقيق ورقة في جريدة، ثم من جالس يكتبها؟!، سيأتينا كلام حول نوعي المنجمين.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: في الأبراج أم موطن أخر؟ الأبراج مَن يقرأها تصف ماذا سيحصل، هو يقول من في برج كذا شخصيته كذا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: كيف رددنا عليها المرة الماضية؟ ألم نقل توأم يخرجوا من بطن واحدة، يعني في نفس الوقت على إدعائهم ثم تجد هذا في واد وهذا في واد من جهة شخصيته، رأيتم مثل هذا، مثلًا يقولون مواليد ١٤٠٨ مثلًا، ١٠ منهم أصبحوا وزراء، ٥ منهم أصبحوا علماء، ٤ منهم أصبحوا فاشلين في حياتهم، ٦ منهم أصبحوا كذا، وكل هؤلاء مواليد في سنة معينة وفي تاريخ واحد، فمن يكون خارج في نفس الوقت سيكونوا كلهم سعداء ومن بعده في الأسبوع القادم أو السنة القادمة أو في الشهر القادم سيكونوا كلهم تعساء؟!، إذن ينتحروا ويريحوا أنفسهم!.

ومن أجل ذلك أتى الانتحار، الانتحار أتى لأن أحد قيل له أمامك صفحة سوداء، ليس هناك حل، وكلما تقدم تعثر، فكلما تقدم تعثر وجد أنه صح كلامهم، على تفكيره طبعًا أن كلامهم صح، فماذا يفعل؟ يخلص نفسه بالانتحار! ولذلك عندما تقرأي نسبة الانتحار في السويد، ونسبة الانتحار في السويد ١٠٠% ، يعني لم يتبقى شعب، يعني هم يقصدوا ١٠٠ %، يعني نسبة المفكرين في الانتحار ١٠٠ % ، كل الشعب السويدي يفكر في الانتحار، لماذا؟!، مع أنك تعرفي أن السويد من الدولة المحايدة، الدول المحايدة يعني لا يدخلها الحرب، وأخر المسألة أنها في استقرار ورغد من العيش، ليس هناك أحد في العالم دخله في ارتفاع الدخل الفرد السويدي، ومع ذلك ١٠٠ % الانتحار، واحد من أسباب انتشار الكهانة، أنك ستفشل في زواجك، حبك الذي دخلت فيه سيحصل فيه كذا وكذا، أن من تحب تخونك، مثل هذا! فتجديهم صرعى، بهذا المعنى!.

انظري الفارق الشاسع بين واحد متعلق بالرب كامل الصفات، وبين واحد متعلق بأوراق في جرائد، المهم أنكم تأخذوا هذا الموضوع بجد، وتشعروا أنكم لابد أن تقوموا بحملة على دخول التنجيم والكهانة علينا، اليوم دخول التنجيم والكهانة له عدة أشكال من بينها الكلام حول اعرف شخصيتك من خطك، اعرف شخصيتك من برجك، حتى بدأوا يبعدوا عنا الأبراج، هذه الكلمة أصبحت مثيرة عند ناس كثيرين فأبعدوها عنا وبدأ الكلام حول خطك، حول اسمك، لأن هذه من الكهانة، من اسمك هؤلاء قوم

يتعلمون أبا جاد، لأن من أنواع الكهانة بأبجد هوز أن يقولوا لو كانوا في اسمك حرفين إذن انت من أهل السعادة، حرفين معينين من اسمك، لو كانوا بجانب بعضهم، لو كانوا بعيدين عن بعض، لو كانوا حرفين، لو كانوا أربع حروف، من يقول قصة هذا ماذا فعل؟! ذهب استرق السمع؟ لأ، سيأتي لك الكلام الآن أن منهم من يشتري تضييع الناس وهو ليس له في الكهانة ولا في استعمال الجن ولا شيء إنما يتسلى فيكتب!.

مثل ما تجدي اليوم في المواقع، تجدي ناس ابتلاهم الله بأبتزاز الناس ودخلوا في هذا الباب، نكمل كلام الشيخ وسأقص عليكم قصة واقعية وكيف أن الشيطان يستولي على نفوس الناس في باب الكهانة والله المستعان.

قال: وإذا قرأ هذه الصفحة وهو يعلم برجه الذي ولد فيه أو يعلم البرج الذي يناسبه وقرأ ما فيه فكأنه سأل كاهنًا، فلا تقبل له صلاة أربعين يوم، فإن صدق بما في تلك البروج فقد كفر بما أنزل على محمد.

وهذا يدلك على غربة التوحيد بين أهله، وغربة فهم حقيقة هذا التوحيد حتى عند أهل الفطرة وأهل هذه الدعوة، فإنه يجب إنكار ذلك على كل صعيد، وألا يأثم المرء نفسه ولا من في بيته بإدخال شيء من الجرائد التي فيها شيء من ذلك الأمر، لأن ذلك معناه إدخال الكهانة إلى البيوت، وهذا والعياذ بالله من الكبائر، فواجب إنكار ذلك وتمزيقه والسعي فيه بكل سبيل حتى يدحر أولئك، لأن أهل التنجيم وأهل البروج هم من الكهانة.

إذن معنى ذلك أن الأبراج من التنجيم والتنجيم من الكهانة، ولها حكم الكهانة في أن من قرأ الجريدة غير مصدقٍ لم تقبل له صلاة أربعين يوم، ولو قرأها مصدق كفر بما أنزل على محمد، وأنه يجب علينا الإنكار كما ننكر بقية الشرك.

نذكر أنواع المنجمين.

أنواع الناس من يتكلموا بالنجوم.

النوع الأول: من يستعين بالجن، ويستعين بما كتب من السحرة والمشعوذين في هذا الباب، كتبوا في هذا الباب، كتبوا في عام كذا حصل كذا، فهو يستعين بهم ويكتب، أو يذكر الأحوال، هذا الحقيقي.

النوع الثاني: منجم كذاب في دعواه أنه منجم، وإلا أن كل المنجمين كذابين لكن في دعوى أنه منجم.

وذكرت لي أحد الأخوات أنهم كانوا في بلد من البلدان، الآن تحكي لها صحبتها، الاثنين مجتمعين هنا في البلد، كلهم درسوا في مدارس المملكة، واحدة بقيت موجودة وواحدة ذهبت إلى بلدها، من ذهبت إلى بلدها رجعت في زيارة، فتحكي صحبتها على باب المزاح ماذا حصل منها في يوم من الأيام وكيف أنها استطاعت أن تستخف عقول الناس!.

تقول دخلت بازار – البازارات مثل الأسواق الخيرية – دخلت بازار ولا أملك ولا فلس، ليس عندها مال، وأشتهيت أن أشرب فنجان قهوة فلم أجد معي مال، وبقيت أرى الناس، وطبعًا هذه الأماكن في البازارات يأجروها، فوجدت خيمة فارغة طلبت تأجيرها وقالت لمن تؤجرها أنها ستعطيها المال بعدما ينتهي السوق، وبما أنها فارغة أعطتها إياه، وجلست، وليس معها بضاعة ولا أي شيء.

تصوري ماذا فعلت؟ قامت بدعاية أنها تقرأ الكف، وتعرف الغيب، وتفعل وتفعل، وتقول لا تتصوري كيف اجتمعوا الناس علي، وخرجت بمال دفعت منه إيجار هذا المكان، واشتريت من السوق، وفعلت ما أريد وبقي معي، وهذا كله تحكيه على أنه مزاح!.
يعني تخيلي كفرت بالله لكن السؤال كيف جاءتها الفكرة؟!، هل هي متمرسة؟ ولا متمرسة ولا لها علاقة ولا تعرف ماذا تقول!، لكن اسمعي هذه الجملة المهمة التي ذكرتها، قالت كانت تأتي لي المرأة فتمد لي كفها فأقول لها كلام لا أعرف من أين أتيت به!، لكن نحن نعرف من أين أتى!، نعرف أنه كيف هذه رنة الشيطان، تقول كلام مرتب.
ذكرني هذا الكلام بأن كلام الكهان له سجع، سجعه كاهن، كلام مرتب، ثم دخلت في باب الأبراج وانت ما برجك وكذا وكذا، وسيحصل لك، وانت كذا، وتقول أخمن ويطلع صح!، تصوري!، تخمن أحوال الشخص ويطلع صحيح!، تخيلي هذه الخدمة المجانية التي قدمها لها، طبعًا هي ليست مجانية هي تساوي كفرها، ومازالت تصلي وتصوم وترى نفسها لم تفعل شيء!.
ثم تحكي على أنها استغبت الناس!، هذه هي القصة أنها استغبت الناس وأن مجتمعنا أغبياء ويصدقوا أي شيء، صح لا ننكر هذا الأمر، لكن إذا كانوا هم أغبياء فانت أشد غباءً منهم!، وباعت دينها بعرض لا يستحق ولا شيء يستحق، الدنيا من أولها إلى أخرها لا تستحق بيع دينك!.
هذه القصة الحقيقة كانت أحد أسباب فتح برنامج المتوسط، لأن هذه درست التوحيد في مدارس المملكة وكانت هذه النتيجة، والمسألة تحتاج إلى شدة تعميق، مسؤولية من يدرس التوحيد مسؤولية عظيمة، كنا نقول لمعلمات التعليم العام ادخلي درس التوحيد وانت تري ناس في النار تريدي أخراجهم، بهذا الشعور عاملي البنات، وأن مد يدك لأخراجهم من النار يكون سبب لنجاتك انت.
لذلك أبدًا لا يهمل التعليم، إذا كنا نرى اليوم التعليم مصيبة علينا بسبب احتكاك البنات ببعضهم وانتقال الوباءات القاتلة لا ننكر، لكنها مصيبة وحلت علينا، وللأسف أننا نقول هذا الأمر، لكن وجوده على الأقل فلنستفد منه، اسأل الله عز وجل أن يجعلكم كلكم بدون استثناء خدمًا لهذا التوحيد، توصلونه أولًا إلى خاصتكم ثم إلى عامة الناس.
وأهم العامة الصغار في السن، لأن الشيطان يتخطفهم تخطفًا لا تتصوريه، أكيد أنكم تسمعون عن مسألة رفع البنات لأنفسهم عن اللعبة في التعليم العام، رفع لأنفسهم بالجن، يضعون واحدة ثم يلعبون لعبة وهذه اللعبة أصلًا أتت من الكتاب المشهور شمس المعارف، لها خطوات معينة، خطوات فيها تقرب للجن، فيرفعوها حقيقة، وهذه تكون لطالبات في المرحلة الابتدائية أو المتوسط أو الثانوية، وتصوري كيف الشيطان يعاملهم، تصوري كيف يعلمهم، وبقدر ما تختفي وبقدر ما يكون فيه مراقبات بقدر ما تعود مرة أخرى، فنحن لا ننكر أن المسائل الأخلاقية مهمة وأننا نحافظ على أخلاق البنات مهم لكن ليس أهم من محافظتنا على اعتقادهم.
لذلك اسأل الله عز وجل أن يجعلكم ممن تنذرون أنفسكم لنشر التوحيد وبالذات في هذه المرحلة، هذه المرحلة كما قلت لك، هذه المرحلة فيها المشكلة الأولى أن الشيطان يتخطفهم، الأمر الثاني من كثرة اعراض البنات واعطائهم ظهرهم لمن يعظونه يمل منهم الناس، في المرحلة المتوسطة أوائل الثانوي، يمكن الثانوي المتقدم أحسن من المتوسط، كل الخطر يأتي من المتوسط، كأني أقول من خامس ابتدائي إلى أولى ثانوي هذه خطيرة جدًا في الاعتقاد، والشيطان يتخطفهم غاية التخطف ومن تخطفه لهم في اعتقادهم أنهم يعطون ظهرهم للواعظين، فيجتمع أمران؛ يجتمع أنهم يستقبلون الشيطان مقبلين عليه معرضين عن الواعظ، فيأتي الواعظ مثلكم

يطلب أن يكون من يعظهم مقبلين فإذا ما كانوا مقبلين هو يعطيهم ظهره، خطأ!، المفروض انت مع طالب في المرحلة المتوسطة وفي أوائل الثانوي، أو فلنقل الثانوي كله المفروض يكون موقفك تصور حالته، أن الشيطان أخذه من قبلته، وأنك تبذل جهود من أجل أن تعيده.

لا تطلب أن تعتني بكبار، من رياض أطفال إلى ١٨ – ٢٠ سنة هذه ثروة نادرة الوجود!، انت تعرفي أن العالم الإسلامي بفضل الله إلى نماء، والعالم الغربي إلى اختفاء، واكتبي في جوجل فقط الكثافة السكانية في العالم، فقط اكتبي هذه الجملة، سيخرج لك معروض بشتى أنواع الأرض، كيف أن نسبة الكهولة في الغرب مرتفعة ونسبة الطفولة منخفضة، في مقابل أن نسبة الطفولة في العالم الإسلامي مرتفعة على أن المستقبل للصغار هؤلاء، وأغمض عيونك عن من تعدى العشرين، أنا أوافق، ولا تكلمه ولا تخاطبه، ومن يخرج لك كل يوم باسماء جديدة، وانت لا تعرف مَن هم أولاد أم بنات، وشعرهم ما هو بالضبط، كل هذا لست تتخيله ولا تراه، ومتخيل أن هؤلاء ممسوخين، أتركهم هؤلاء، ارجع إلى الوراء وامسك الصغير منهم، الصغير الصغير، الصغير بمعنى الصغير ٣ –٤ – ٥ –٦ –١٠ –١٢، امسك هؤلاء وبث في قلوبهم التوحيد، درسهم علمهم، حفظهم، اعتني بهم، الصيف آتيكم وأكيد أن لكم جار قريب، أبناء أخ، أبناء أخت، عائلة، لابد أن يكون في داخلهم من هم أهل لأن يخاطبوا، خاطبهم ما استطعت نفذ معهم برامج ما استطعت، حفظهم ما استطعت، ناقشهم ما استطعت إلى ذلك سبيلا، لا يكسلك الشيطان، أمامك أبواب للاجور عظيمة قد تمسح على أحد مسحه تكون حصنًا له من أن يتخطفه الشيطان.

الناس الذين بيوتهم خير البيوت حفظ قرآن، وأبنائهم يتذاكرون هؤلاء ابتدئوا بأنفسهم قبل أن يبتدأوا بالخارج، لأن أحيانًا يكون الظاهر جيد والداخل خواء، فيحفظوا كلام لكن معتقداتهم ليست سليمة، أبذلوا ما استطعتم ثم اسألوا الله عز وجل أن يسخركم لنشر التوحيد، لأن من عظيم منة الله عز وجل على عبده أن يستعمله فيما يحب، وانت تعلم أن أعظم ما يحب الله التوحيد، فلا تستهينوا.

المسألة أخذت أبعاد لا نتصورها،وإلا عندما دخل البرمجة اللغوية العصبية، دخلت وأخذت أبعاد الناس، وانت تعرفي محصلة البرمجة اللغوية العصبية من جهة المال لو تعرفي أنها بلغت عشرين مليون ريال سعودي، هذا في محصلة قبل ثلاثة سنوات، عشرين مليون ريال سعودي ذهبت في جيوب المدربين، لابأس، المشكلة ليست في المال، المشكلة لماذا هؤلاء كلهم لماذا أقبلوا؟ لضعف ما في الاعتقاد، لماذا؟ لأن البرمجة العصبية تعظم الشخص تجعله موجود، وكل الناس يشعرون أنهم غير موجودين، يريدون أن يوجدوا أنفسهم فدخلوا في مثل هذا الباب.

لكن لو كان عندنا بذل للجهد على مستوى أضعف مما يجب أن يكون، كان على الأقل هذا الرقم أتينا بنصفه ومنعنا ناس كثير من أن يدخلوا في مثل هذا، لكن لم يتبين الضعف إلا عندما جاءت هذه الورقة الكاشفة، وتبين أن الناس في قلوبهم اعتقادات وتعلقات بغير الله، أو في قلوبهم فراغ.

المهم لن ننتظر مصيبة جديدة تدخل علينا وتكشف لنا الأمر، لابد أن تتصور أن الاعتقاد هو رأس العبادات، افعلوا ما استطعتم في دعوة الناس وحمايتهم من التعلق بغير الله، ثم انت إذا وضعت قواعد تعامل الشباب والشابات بعقولهم، هم أنضج عقولًا، أنا ذكرت لك كيف أن الطفل الصغير يقول لأمه بعدما ناقشت موضوع العمرة والحج ومسألة الأنفلوانزا كيف أنه يقول لها بيت الله يحميه الله، من أين أتى بهذا المنطق إلا إفراز من تربية سابقة!.

فانت أحيانًا ترمي الأساس لكنك لا تعرف كيف يتفاعل هذا الأساس مع المواقف، وربما من حضر الدرس في رياض أطفال مع البنات وكنا نتكلم عن مفتاح الخير، بنات أكبر واحدة فيهم في ثالث أبتدائي، ابدءي من أولى إلى ثالث، فعندما كنا نقول كيف تكونين مفتاحًا للخير، وهذا كلام جديد عليهم، عمرهم ما سمعوا كلمة مفتاحًا للخير، فردت قالت إحداهن بالتوحيد، كونها تميز أنه بالتوحيد تكون مفتاحًا للخير هذا أمر عجيب عظيم، ثم الثانية نقول لها كيف ستنشري التوحيد تقول بالعلم والدعوة إليه، هي قال الاثنين اسقطت العمل واسقطت الصبر لكن فهمت أنه لا يمكن أن تدعو بغير علم، هذا كله تقولين أنه لا يمكن يضيع ما تلقينه في قلوب من تربين.

المهم أروا الله من أنفسكم خيرا، اظهروا حرصكم على نفع غيركم، ولا أقول لكم أظهروا حصركم على نفع الكبار، لأن الكبار أصحاب عقول متحجرة، مصرين على آرائهم، يريدون أن يعاندوك، يريدوا أن يردوا عليك، لا أريد أن تكلم هؤلاء أتركهم، تقول ليس عندي قدرة على الأخذ والرد إذن اتركهم وأمسك الصغار حفظهم، علمهم، اشرح لهم ما معنى قل هو الله أحد، اشرح لهم ما معنى قل أعوذ برب الفلق، تعرف ما معنى الفلق، تعرف ما معنى النفاثات في العقد، تعرف أنه لا يعلم الغيب إلا الله، تعرف ما معنى أحفظ الله يحفظك، عالج خائف بأحفظ الله يحفظك، عالج ملهوف على أمر بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، ثم سترى عجبا من استخدامهم لهذه المفاهيم التي تعلمهم إياها في مكانها المناسب.

حتى أن طفلة في سيارة وسمعت آية الذاريات ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ فقالت هذه سورة الذاريات، يعني تفهم أن هذا الدليل منصوص عليه في سورة الذاريات، ثم قالت أن الله عز وجل لم يخلق الجن والإنس يريد منهم الرزق، انظري هذه الجملة، يعني الآن انت متصورة أنها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ ربطت بين ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ ربطت بين أن الله ما خلق الجن والإنس يريد منهم أن يرزقوه، مثل هذه المفاهيم تحتاج منا نحن الكبار عمر إلى أن نفهمها، انظر إلى هؤلاء يستطيعون أن يجمعوا ما تعلموه ويعبروا عنه حتى في أوقات لا تنتظرها، انت تقول كلمة وهم يكملوا لك، ومن جرب من المؤكد أنه سيتبين له بأقل تجربة، لكن اعطوا الأمر حجمه في قلوبكم، واحفظوا قلوب الصغار قبل الكبار من مثل هذه المصائب من الكهانة والعرافة التي لا تنتهي أبوابها، لا تنتهي بمعنى لا تنتهي.

ربما ذكرت لكم سابقًا أن هناك بريد إلكتروني يرسل إلى الشخص ثم يقال له وانظري كيف الكهانة، يقال له خمن رقم فيخمنه، ويقال اضغط الزر فيضغطه يطلع الرقم الذي خمنه، مثلما تسحبي ملف عرض تفتحيه ويظهر لك هذا الرجل الساحر، فيكتب يقول لك خمن رقم، فتخمني في عقلك ثم يقال لك اضغطي الزر فيظهر الرقم، جربي مرة ثانية وغيري الرقم سيظهر الرقم الثاني، مثل هذا من أين يأتي؟! إلا من الشياطين، تصوري شاب صغير ليس عنده حصانة فتح مثل هذا ماذا تنتظر منه؟!، من المؤكد أنه سيعظم السحرة، سيعظم الجن، سيجد في قلبه، سيقول لك انت لا تعرفي نحن رأينا، ونرجع إلى نفس الإشكال لأنك لم تقاومي الأمر قبل أن يدخل عليه، ومثل ذلك في مقاطع ترسل إلى الجوالات، الخطر القادم أشد مما مضى لابد من العناية بالتوحيد.

على كل حال انتهى الوقت نسأل الله عز وجل أن ينفعني وينفعكم بما سمعتم، ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن استعملهم في نشر دينه وفي نشر ما يحب، ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الاستعمال سببًا للرفعة عنده وليس بلاء وامتحانا

شرح كتاب التوحيد ١٤٢٩هـ.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاءنا الأخير في هذه الدورة المباركة، نسأل الله عز وجل أن يجعل ما مر معنا سبب لكفارة ذنوبنا، ورفع درجاتنا عنده ونسأله سبحانه وتعالى أن يحسن إلى أنفسنا ما مضى من ساعات في ميزان حسناتنا خالصًا لوجهه، وأن يتجاوز عن إلتفات قلوبنا لغيره، وعن عدم مراعاة حقه حق المراعاة.

لازلنا نتكلم في باب التنجيم، مر معنا الدليل الأول قول قتادة، وهو أحد كبار التابعين، ماذا قرر قتادة؟

إجابة من الحاضرات ورد من الأستاذة: هل كان المقصود الكلام الحكمة عن خلق النجوم أم كان هناك مقصد وراءه؟ حصر المصلحة من خلق النجوم من أجل تصور أن أي شيء وراء هذه المصلحة يعتبر تعدي.

من أين له بذكر المصلحة؟ من القرآن والسنة.

انتهينا من قول قتادة، انتقلنا الآن:

وكَره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

ما المقصود بمنازل القمر؟ ما هي منازل القمر؟ هي التي يكون فيها القمر لمدة ٢٨ يوم، أي أن القمر له منزلة كل ليلة لأن له في كل ليلة منزلة يتنقل فيها حتى يتم ٢٨ ثم يأتي طبعًا فترة المحاق، ثم الولادة الجديدة.

٢٨ يوم يكون موجود القمر ثم فترة المحاق يعني الاختفاء، ثم الولادة الجديدة يصبح هلالًا، هذه الثمانية وعشرون يوما تعتبر منازل القمر، هذه غير الأبراج، له اسماءه الخاصة.

كره قتادة تعلم منازل القمر وابن عيينه أيضًا لم يرخص في ذلك، ابن عيينه يقصد سفيان، ذكره حرب وحرب الكرماني من أكابر أصحاب الإمام أحمد، في مقابل أن الإمام أحمد وإسحاق – إسحاق بن رهويه – الإمام احمد وإسحاق رخصها، تفهمي أنه حصل خلاف في تعلم منازل القمر.

ما معنى تعلم منازل القمر؟ سيأتي السؤال هل يجوز تعلم هذه المنازل – منازل القمر- لمعرفتها من أجل الحساب؟ ما أمامكم قول يقول كره قتادة وابن عيينه، قتادة كره تعلم منازل القمر وابن عيينه لم يرخص، في المقابل أن الإمام أحمد وإسحاق رخصاه، إذن معناه ستقولين هناك اختلاف.

كونك تختاري الأشهر مثلًا، أو تختاري غالب اختيار العلماء هذا لا يأتي إلا بعد تقرير أن هناك خلاف، وإلا ليس هناك فائدة من هذه الجملة التي درستيها، ولذلك عندما تأتي في الأخير وتجدي أحد من اهل العلم ممكن أن يقول لك أن توقعات الطقس يمكن أن تدخل في التنجيم، لا تستسيغي كلامه، لماذا لا تستسيغي كلامه؟ لأنك مباشرة انتقلت من الخلاف إلى الجواز، ولم يمر عليك أن هذه المسألة أصلًا فيها خلاف، ومادام فيها خلاف إذن إذا جاء أحد أخذ بقول قتادة وابن عيينه سيكون أخذ بقول أحد من السلف، ولن يكون أخطًا.

وانتم ولو بحثتم في شرح كتاب التوحيد ستجدون من كبار العلماء من يخالف في هذه المسألة، يعني يميل إلى قول قتادة وابن عيينه على قول الإمام أحمد وإسحاق، خصوصًا ما نراه اليوم من ثقة اليوم في التوقعات، عندما يأتي يتوقع لهم أنه سيحصل كذا وكذا يصبح كأنه قرآن منزل، يقول لك توقعوا، ربما شعرتم بهذا أيام حرب العراق الأخيرة، عندما كان هناك نوع من انواع السيطرة العقلية

على الناس، أنه لا لن يكون ولا شيء في الإعلام، وأنه باقي وأنه لم تسقط ولم يحصل، ولم ولم، وعندما وقعت الهزيمة ناس كثيرين غير قادرين على التصديق، لماذا؟ انحصرت عقولهم على التوقعات، أصبحت التوقعات عندهم بمثابة كأنه قرآن منزل، بحيث أنهم حصروا عقولهم على التوقع.

أقصد انظري كيف موقفهم أيام الحرب العراقية وكيف كانوا يشعرون أن العراق لن تقع نتيجة الإعلام، نتيجة طوال الوقت أنهم يقولون لك أكيد أنكم سمعتم ورأيتم كيف أنهم أشعروا الناس، والإعلام كله بث للسموم داخل أنفسهم، المهم أوصلنا الإعلام لمشاعر أنه لن يقع شيء، وأنهم سيردوا وسيحصل، مثل هذه الصورة ثبتت في نفوسنا، تصوري مثله عندما يأتي أحد يقرأ أحوال الطقس، فماذا سيكون في نفسه؟ انت ستقولين هم يقولون توقعات، لكن انت في نفسك ماذا يكون؟ نختلف، هناك ناس تراها صدقًا أنه لابد أن تقع، وحتى عندما تقولين لها لا ليس هناك غيم اليوم ولا مطر، تقول لك لا قالوا في الأخبار، وهناك ناس نفوسهم تستطيع أن تحتمل أن ما تسمعه توقعات يعني توقعات.

المهم ما جواب هل يجوز تعلم هذه المنازل لمعرفتها من أجل الحساب ما جوابه؟ على قولين، نشرح القولين:

- القول الأول: هو المنع وهو قول قتادة وسفيان ابن عيينه والعلّة عند هؤلاء لأن هذا وإن كان لا شيء في نفسه إلا أنه وسيلة لأن يعتقد فيه ما لا يجوز، ويصبح هذا من باب سدّ الذرائع، فلا يتعلم منازل القمر لأنه ربما يتدرج بصاحبها إلى أعتقاد أنها تؤثر في الكون، ولأنه زائد على الفوائد الثلاثة السابقة.

ولذلك قتادة كرهه، لماذا؟ لأن قتادة قال لك خلق الله النجوم زينة للسماء، رجومًا للشياطين، وعلامات بها يهتدى، فالحساب زيادة عن هذه الثلاثة، ولذلك رأى كراهيته.

- القول الثاني: أنه لا بأس بتعلم منازل القمر وهذا ما يسمى بعلم التسيير ،وهو مذهب الإمام أحمد وإسحاق وقول كثير من أهل العلم، **وهذا هو الصحيح إن شاء الله**، لأجل ما فيه من الفوائد وعدم المحذور.

على ذلك سنشرح ما معنى علم التسيير.

ينقسم علم التنجيم إلى قسمين:

- علم التأثير.
- وعلم التسيير.

- التأثير مر معنا، علم التأثير أن النجوم لها أثر في الحوادث الأرضية وما يتبع ذلك في الكلام حول الشخصيات، حول المخلوقات، حول الأبراج إلى أخره.
- علم التسيير: تعريفه: هو الاستدلال بالنجوم مثل الشمس والقمر والكواكب على القبلة وأوقات الصلاة، والجهات والفصول الزراعية.

مثاله: طلوع النجم الفلاني يدخل وقت الشتاء، كيف نفسر هذه الجملة تفسيرًا دقيقًا من أجل أن لا يقع الخطأ في فهمها؛ سنقول: **دخول الوقت ليس بسبب طلوع النجم**، ليس فيه تسبب، يعني لا تتكلمي عن النجم والشتاء ثم تربطي بينهم بكلمة سبب، لا، **هو ليس بسبب أبدًا**، يعني الشتاء لم يدخل بسبب أن النجم ظهر في هذا الوقت.

إذن ماذا نقول؟ نقول: **حين طلع النجم استدللنا بطلوعه على دخول الوقت، هو مجرد دليل وعلامة.**

يعني درجة الحرارة المرتفعة في بدن المريض ماذا تعتبر؟ دلالة على المرض، هل درجة الحرارة هي سبب المرض؟ لا ليست سبب المرض إنما إشارة إلى المرض، علامة عليه، لأن البدن لا ترتفع درجة حرارته إلا إذا كان مصاب بالمرض، فهو علامة عليه.

انظري إلى النجم؛ النجم له حركة تخصه، والصيف والشتاء والبرد والحر كل هذا يأتي بأمر الله، النجم وقت ظهوره وقت ما يجعل الله في الأرض البرد، **إذن احذري من كلمة سبب، سنستعمل كلمة دلالة أو علامة**، وانت تعلم أن الله عز وجل خلق الكون كله متصل ببعض، ومن اتصاله أنه جعل أشياء علامات على أشياء، وأشياء أسباب إلى أشياء.

تعال انظر إلى النجم والبرد العلاقة بينهم علامة أم سبب؟ علامة وليس سبب.

الشرق والغرب والشمال والجنوب هذه الاتجاهات معلوم تمامًا انك وانت سائر ستعرف شمالك من جنوبك عن طريق ماذا؟ انتم الآن تعلموا الشروق والغروب من أين؟ واضح هذه سهلة، الشروق والغروب عن طريق الشمس، مكان شروقها يصبح هذا المشرق، وغروبها من المغرب، بقي الآن الشمال والجنوب، انتم تصورتم الشرق من الغرب على حسب الشمس.

بقي الآن ما أمامي هو شمالي أم ما أمامي هو جنوبي؟ جواب من إحد الحاضرات: شمالي.

ماشاء الله أول العلامات هذه، من قال لكم أن ما أمامكم هو شمالكم!، أصلًا إذا أنا في موقعي هذا إذن هذا غربي، غربي غرب جدة ما أمامي، رجعنا إلى هذه المشكلة – العويصة- لن تعرفي شمالك من جنوبك أمًا بالنجوم أو بالبوصلة، تعرفي الآن انت متجه إلى الشمال أو متجه إلى الجنوب، ليس من المنطقي أن كل شيء أمامك سيصبح شمالك! كيف! هذه الإعاقة الدائمة.

المهم المقصد أن مثل هذا عبارة عن علامة انت بها ترى نوع معين من النجوم سموها مثل الدب القطبي، أنواع من النجوم، هذه الأنواع من النجوم يعرف الشمال من الجنوب بالنظر إليها، تعرف أنك الآن متجه شمالًا أو متجه جنوبًا، هذا من العلامات، انت تتخيل في الاتجاهات طوال الوقت أنها علامة، المشكلة في الحر والبرد، ووقت الزرع، ووقت نضوج بعض الثمار تشكل عليك اللفظة، يعني بدلًا من أن تقول أنها [علامة، دلالة] تحولها أنها سبب.

انت انظر الآن إلى الحياة عندي نوعين من انواع العلاقات:

- عندي نوع السببية.
- وعندي نوع العلامة.

فأشياء لأشياء العلاقة بينهم سبب، وأشياء لأشياء العلاقة بينهم علامة.

- لو قلت لك الآن الإنجاب والزواج كوني علاقة بينهم؟ سبب.
- خصوبة الأرض ونضج الزرع؟ سبب من الأسباب، سبب جعله الله سببًا.

نضرب مثال على العلامة، أو نضرب مثال أخر على السبب وانتم تتصوروا العلامة، لو قلت لك الإيمان والعمل الصالح والجنة؟ سبب، الإيمان والعمل الصالح سبب لدخول الجنة.

هذه ثلاثة أمثال على السببية، هات مثال على العلامة:

- العمل الصالح علامة على صلاح العبد، ومر معنا كيف أعرف أن هذه كرامة، ما علامة الكرامة؟ التقوى والإيمان علامة أن خارقة العادة كرامة، هذه علامة على هذه، كيف أن أعرف أن خارقة العادة كرامة؟ علامتها التقوى والإيمان في صاحبها، لن تقولي

أنها سبب، لأنك لو قلت أن التقوى والصلاح أنها سبب الكرامة اشترط أن يكون كل الناس أن يكون عندهم كرامة، نقول لا هذه علامة، خارقة العادة يريدها الله لمن يشاء، كيف أعرف أنها كرامة؟ علامة أنها كرامة أنه صاحب إيمان وتقوى.

- مثال أخر: السفعة في الوجه علامة السحر وليس سببه إنما علامة عليه.
- والمسيح الدجال وخروج الدابة علامة على يوم القيامة وليس سببًا.

هاتوا من الإيمان كلمة علامة:

- من علامات النفاق الكذب، هذا علامة على النفاق فإذا وجدت نفسك تكذب في الصغيرة والكبيرة تعرف أن هذا نفاق.
- التوكل علامة على كمال الإيمان.
- ما يظهر على الوجه علامة على ما في القلب.
- قبول الحق علامة على التوفيق، هذا مر معنا في درس التوفيق.
- لحن القول علامة على النفاق.

إذن متبين لكم أن هناك شيء اسمه علاقة سببية وعلاقة العلامة، شيء علامة على شيء.

الآن بين النجوم وبين دخول وقت الشتاء، ودخول وقت الصيف، ودخول وقت الزرع، علاقة علامة، جعل الله هذا علامة على هذا، لا يمر في خاطرك بصورة أنه سبب.

هل هذا إنكارًا للسببيه؟ لا ليس إنكارًا للسببيه، إنما الشيء الذي جعله الله سبب واضح لنا، جعل سقيا الماء الأرض سبب لنبت الزرع، سببية يجعله الله سبب، لكن النجم ليس له علاقة أبدًا بالتسبب إنما هو مجرد علامة.

يمكن بهذا المفهوم أن يدخل تحت أنه علامات يهتدى به، لكن الاهتداء هنا ليس اهتداء سير إنما اهتداء أن هذا الوقت يصلح فيه الزرع، وهذا الوقت يأتي الحصاد، يعني الناس من ليس عندهم تواريخ ولا عندهم استعمال للتقاويم، النجوم بالنسبة لهم علامة لدخول الحر والبرد وقت الزرع.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا، لم تفسر الآية مثل هذا، فسرت الآية بأنها علامات تسير بها، الآن نقول أنه يدخل فيها، لأننا استعملنا كلمة علامة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هل هناك تعارض؟ ابتداء المسألة العلامات في السير، لأنهم أصلًا سموا هذا النوع علم تسيير فأدخلوه في السير، ولا تعارض، لا يوجد تعارض لكن لا تستطيع ابتداء أن تقولي هذا التفسير لأن عندك خلاف من أول الأمر، بدأنا بالخلاف من أجل أن لا تنسوه، لأني لو بدأت بعلم التسيير مباشرة وشرحت لك إياه لن يبقى في ذهنك إلا أنه هو المتفق عليه، هو ليس متفق عليه، هو مختلف عليه لكن إذا فهم هذا الفهم وأخذنا قول من قال بجوازه، سيصبح من أين أتوا بعلم التسيير؟ أن هذا نوع من أنواع الاهتداء بالنجم والسير وراء دلالته، إذن النجم له دلالات ومن دلالاته الاتجاهات ومن دلالاته دخول البرد، الحر، المواسم الزراعية إلى أخره.

انتهى الدليل الأول.

اسمعوا هاتين الجملتين وقولي أيُّهما صحيح:

- الجملة الأولى: سينزل المطر إذا طلع النجم الفلاني.
- الجملة الثانية: إذا طلع النجم الفلاني دخل وقت المطر.

الجملة الأولى: خطأ، لأن الجملة تشعرك أنه سبب.

الجملة الثانية: صحيحة، لأن الجملة تشعرك أنه علامة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هم لهم خبرة، ثم يتحول إلى علم يتوارثونه، انت بالنسبة لهم عامية، هم بالنسبة لهم هذا علم، انت لا تعرفي انت جاهلة بالنسبة لهم، لكن بالنسبة لهم علم، انت الآن أصلًا لا تحتاجيه من أجل ذلك لا تفكري فيه، لكن بالنسبة لهم علم يتوارثوه، اسألك الآن تستطيع أن تحددي نجم سيل في السماء؟ لا، إذن الحمدلله جزاك الله خير، إذا نجم سيل لا تعرفوه تريدون أن تأتوا بما وراءه من معلومات؟!، وهذا من أشهر النجوم تحديدًا، ومن أسهلها، أسهل نجم يمكن تحديده نجم سيل، فإذا ما استطعت أن تحدديه معناه أنك ليس لك علاقة بالموضوع، هم يعرفون هذا النجم وهذا وهذا ويعرفون أن بداية دخول الفصول كذا عندما يظهر نجم كذا في نفس هذا التوقيت.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: حتى نصف الليل، قريب الفجر، الثلث الأخير، كل هذا يروه من شدة الحلكة، من شدة ظهور النجم، حتى أن هذه الأوقات نفسها في الصيف مثلًا يكون لها ظهور من شدتها، وفي الشتاء يكون لها شكل، علم مثل بقية العلوم.

المهم اجعلوا عندكم قاعدة ما لا تحسنونه لا تنكروه، **الشيء الذي لا تحسنه لا تنكره**، لأن المشكلة ان الشيء الذي لا أحسنه مباشرة أنكره بدون تفكير، مثل ما يأتي واحد من هؤلاء لا يستطيع أن يتعامل مع الكمبيوتر مثلًا، لن يلام، وانت لا تستطيع أن تتعاملي مع النجوم لا لوم عليك، لكن المشكلة لو ما استطعت أن تتعاملي مع الاتجاهات، مع النجوم لا لوم عليك، مع الاتجاهات عليك لوم، من لا يعرف شماله من جنوبه وشرقه من غربه تأتي المشكلة، هذا ضائع.

الدليل الثاني.

وَ عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ" . رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

أين الشاهد؟ مصدقٌ بالسحر، ما العقوبة؟ لا يدخلون الجنة.

لازالت هذه النصوص من النصوص التي تمر كما جاءت، نصوص الوعيد التي تمر كما جاءت من غير تأويل، تبقى على ظاهرها.

ما المقصود "وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ" في باب التنجيم؟ ما المقصود به؟ عندما يأتيك هذا الدليل هنا يصبح ما المقصود؟ أريد كلمة مصدق بالسحر ما علاقته بالتنجيم؟ اتفقنا أن التنجيم نوع من أنواع السحر، تصديق المنجمين وتصديق الأخبار والأحداث التي يقولون أنها ستقع أصبح هذا تصديق بالسحر.

كيف يكون تصديق بالسحر؟ في أمور الغيب، الساحر يأتي يقول لك سيحصل لك كذا، وسيحصل لك كذا هذه تأتي على لسان أحد من شخصين كاهن ومنجم، لكن الساحر لن يخبرك، هل الساحر يخبرك عن الغيبيات؟ لا، صحيح أن الساحر هو نفس

الشخص يسحر يتكهن، يستعمل التنجيم، صحيح، لكن لكل عمل من هذا أصبح له اسم، واتفقنا الآن أن اسمهم العام ساحر، لكن يكون ساحر عندما يفعل الأعمال الخبيثة، ويوقع على الناس آثار أعماله الخبيثة من أمراض إلى أخره.

ويكون كاهن عندما يأتي يخبرك عن المغيبات، واتفقنا عندما يستعمل في المقدمات يخبرك فيها عن أشياء مغيبة أصبح اسمه كاهن، عندما يستعمل النجوم من أجل أن يخبرك عن شيء غيبي يصبح اسمه منجم.

انتم لابد أن تتصوروا الفوارق الدقيقة بينهم، في النهاية من هو الذي يصلح أنه عندما أحد يتعامل معه ويصدقه يصلح أن يسمى مصدق بالسحر؟ واحد من اثنين أمَّا كاهن أو منجم:

- الكاهن يتكلم عن المستقبل عن طريق مقدمات يستدل بها.
- والمنجم يتكلم عن المستقبل عن طريق النظر في النجوم ويسألك انت في أي برج وكذا وكذا.

إذن مصدق بالسحر ما علاقتها بالتنجيم؟ سنقول أن التنجيم نوع من أنواع السحر، والمنجمين يأتون بأخبار عن المستقبل معتمدين في هذه الأخبار على النظر في النجوم، فمن صدقهم لا يدخل الجنة.

هل يمكن أن تحمل هذه الجملة بأن مصدق بالسحر معناه مصدق بأن للسحر تأثير بإذن الله؟ ما رأيكم؟ لا تحمل هذه الجملة، أنا أقول لك فسري لي مصدق للسحر في الحديث، في الحديث هل يمكن أن تحمل جملة مصدق بالسحر؟ لا، يصبح معنى ذلك لا تحمل هذه الجملة على هذا المعنى، لأن بعض مَن أنكر السحر استخدم هذه الجملة في الحديث دليل على إنكاره للسحر.

كيف أنكر السحر؟ أتى بهذا الدليل: قال: "ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ" وأتى بكلمة "وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ"، كيف تفهمي من استدلاله؟ أن اللفظ لو أخذ على ظاهره يمكن أن يحمل على هذا المعنى.

فهمتم كيف الاستدلال بالمتشابه؟ يعني يأتي واحد يقول لك أنا أنكر أن السحر موجود وله تأثير، نقول ما دليلك؟ يقول النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أنه لا يدخل الجنة ثلاثة وذكر منهم مصدق بالسحر، الآن أأتي لك بالمتشابه والمفروض انت ترديه إلى المحكم.

أقصد أنك يتبيَّن لك أنه ممكن أن يستدل بهذا الدليل على ضد مقصود الدليل، لو أحد قال لك أن مصدق بالسحر معناها أن لا يدخل الجنة من آمن أن هناك سحر، المفروض أنك تؤمني أنه لا يوجد سحر، ويقول لك فسري لي مصدق بالسحر؟ لو أتيت قلتي له هذا الكلام الذي ذكرناه أنه مصدق بالسحر لأن السحر تنجيم سيقول هذا كله تأويل من عندك أولتيه لماذا لا تحمليه على حملته أنا؟!، هذه قاعدة مهمة تبقى دائمًا معكم، عندما يأتي متشابهات وهذا دليل يعتبر من المتشابه، عندما يأتي المتشابهات لا تدخلوا في تفاصيلها إنما مباشرة ردوها إلى المحكم، قبل مناقشة أي تفاصيل.

✷عندما تأتي المتشابهات عليكم بردها إلى المحكم.✷

قولي لي ماذا تحفظون من محكم من أول باب السحر؟ كل الأدلة التي تدل على إثبات السحر، من أعظم الأدلة الدليل الذي في سورة البقرة الذي يصف سليمان عليه السلام مع اليهود، ماذا يقول الله عز وجل؟ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾[٣٦٣] كل هذه الأدلة من هذا الدليل على إثبات السحر، أن السحر موجود.

[٣٦٣] البقرة:١٠٢

ولذلك انت تجدي من الناس الذين لهم قيمة علمية أنكروا السحر، وأنكروا وجوده، إنكار وجوده هذا أحد أسبابه أو أحد الأدلة عليه هذه الأدلة عنده، ولسنا بصدد أصلًا مناقشة حكمه، فلنتفق الآن على ما دخل عليه من شبهة.

هو الآن أنكره بمجرد أنه يريد أن ينكره أم أنكره والأمر مشتبه عليه؟ مشتبه عليه، لا تأتي عند واحد مشتبه عليه، لا تأتي أبدًا عند واحد الأمر مشتبه عليه لا تتكلمي على الأحكام عليه، واحد اشتبه عليه الأمر وأتاه دليل وتصور أن معنى الدليل كذا؟ لا تصدري عليه أحكام فهميه، وإذا ما أستطاع أن يفهم اتركي امره إلى الله، انت بيِّن الحق وانتهى.

إذن هناك من المسلمين من أنكر وجود السحر مستدلًا ببعض الأدلة المتشابهة منها هذا الدليل الذي رواه أحمد ابن حبان وصححه أنه لا يدخل مصدق بالسحر.

عمركم سمعتم عن أحد له مكانة في العلم أنكر السحر؟ بدون تحديد، هناك من أنكر وله شهرة، المهم استدل ببعض هذه الأدلة التي تعتبر متشابهة، وأكيد استدلاله ليس صوابًا لأن السحر له أدلة كثيرة، لكن ناقشه في إثبات المحكم ثم بعد إثبات المحكم وبينت له الآيات قل له ومعنى مصدق بالسحر هات الدليل هنا، هات الدليل الذي تشرح به مصدق بالسحر، الدليل الذي يجعل التنجيم من السحر؟ " مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ ، فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ"

فقل له مصدق بالسحر يشرح لك هذا الحديث أن المنجمين سحرة، والمنجمين هم الذين يأتون بالأخبار ويترتب على أخباراتهم التصديق، لأنه يقول لك كيف مصدق بالسحر؟!، الساحر واحد يأتي بالعقد والنفث كما تقولون، فما علاقته بالأخبار والتصديق به، هذا هو الإشكال في ذهنه.

على كل حال انتم الآن لا تجدوا أنفسكم عاجزين عندما يأتي أحد نكر قطعيات عندك، لا تشعروا بمشاعر الهزيمة أنكم لا تعرفوا تردوا عليه، لا تتكلموا عن تفاصيل ما يتكلم به.

جاء ينكر الجن مثلًا، وقبل ست سبع سنوات، كان برنامج طويل عريض وبه مناقشة أن هذا الجن موجودون أم لا، الآن انت عند محكم سورة بالكامل في الجن، لا تدخلي معه في جدل وتشعري أنك لست قادرة على اقناعهم، ويقولون لك تفاصيل يقولون لو الجن موجود لماذا كذا وكذا! ويقولوا كلام وليس عندك إجابة عليه، فتشعري أنك ليس عندك قدرة عن الدفاع عن العلم، لا ليس بهذه الصورة، المتشابهات لن تنتهي وكل يوم الشيطان يلقي في قلوب أتباعه شيء من المتشابهات انت عليك بالمحكم، وقل أنا يكفيني أن الله في كتابه قال ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾[٣٦٤] يكفيني هذه الآية.

ثم كل التفاصيل التي لا تعلموها ليست لدي مشكلة في أني لا أعلمها، وكوني لا أعلم الرد على هذا الكلام سيشككني في وجود الجن، أنا أعلم يقينًا أنهم موجودين، واحد يقول لك انظري الحديث خرجه الإمام أحمد وخرجه ابن حبان فيه أن المصدق بالسحر، ولا يدخل الجنة، نقول: هذا الحديث لا يمكن أن يكون ضد القطعيات الموجودة عندي، ما هي القطعيات؟ أن السحر موجود بدليل آية سورة البقرة، بدليل المعوذات، بدليل كذا وكذا من القطعيات التي عندك، إذا تريدوا تردوا على كل شخص وقع عنده شبهة لن تنتهوا أبدًا!، وستشكون فيما تملكون، انت عليك بالعناية بالمحكم، وإذا عنده متشابهات وما استطعت أن أرد عليه ليست قضيتك!

[٣٦٤] الجن:١

✷معرفة الحق فرض لازم، والرد عن المتشابهات حول الحق يعتبر فضل.✷

إذن ما هو فرضك؟ معرفة الحق، وبالذات المقصود به الظاهر، البين، القطعيات، الرد على المتشابهات يعتبر في حقك فضل إذا فعلتيه جزاك الله خير، إذا لم تفعليه انتهى الموضوع.

مر معنا أن طرق إدعاء المنجم للغيب قسمين:

- النوع الأول: الكذب والدجل، يقولون كلام يقع صدفة، وربما أعانهم الشيطان من غير طلب منهم.
- النوع الثاني: الاستعانة بالجن والتقرب إليهم، وهذا فيه إستحياء الشيطان والطلب منه وتصديقه.

سأقرأ لكم فتوى الشيخ عبد العزيز راجحي – حفظه الله – سأقرأها واسمعوها من أجل أن تروا حكم مسألة تدور دائمًا.

سُئل الشيخ: ما رأيك في مسألة الاستدلال بالأبراج لمعرفة الصفات الأساسية للإنسان من خلال معرفة البرج المولود فيه بناء على النظرية الصينية أو الغربية التي تقول إن ذلك يتم بسبب الإشعاعات الكهرومغناطيسية التي تؤثر على الجنين في بطن أمه، كما يذكر المنظِّرون لهذا العلم؟

يعني الذين ينظرو لعلم الشخصيات وعلاقتها بالأبراج أنهم يقولون أن الأم عندما تحمل بهذا الطفل في هذا التوقيت أو عندما تلده في هذا التوقيت يكون في هذا التوقيت هناك أشعة كهرومغناطيسية أتيه من النجوم طبعًا تؤثر على الصفات الشخصية للشخص.

فأجاب فضيلته حفظه الله: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

هذا الاستدلال داخل في دعوى علم الغيب، وعلم الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، فمن ادعى أنه يعلم الغيب فقد كذب الله؛

وأتى بأدلة مرت عليك.

لقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[٣٦٥]. ولقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[٣٦٦]. فالاستدلال بالأبراج لمعرفة شيء خفي لا يمكن أن يدركه الإنسان هو من دعوى علم الغيب،

لأنهم يقولون هذا ولد في هذا البرج، وهو طفل صغير يقولون مادام ولد في هذا البرج إذن صفاته كذا، معنى ذلك أنهم يعتقدون أن الأبراج تؤثر على تشكيل شخصية الشخص، إذا كان بنفسها أو كانت سببًا، كلا الاثنان مصيبة، سواء كان البرج بنفسه يؤثر أو أن الله جعل البرج سببًا للتأثير، كلا الاثنان تعتبران مصيبة.

وبدأ الشيخ ينظر من جهة دعوى علم الغيب، أن كونك تقول أن هذه مادام ولد في هذا البرج إذن له هذه الصفات، هذه دعوى علم الغيب.

---

[٣٦٥] النمل:٦٥

[٣٦٦] الجن:٢٦

ودعوى علم الغيب كفر وردة- والعياذ بالله- فلا يجوز للإنسان أن يستدل بالأبراج على أمور غيبية على معرفة صفات الإنسان الأساسية، أو معرفة سعادته، أو ما يؤول أمره، أو ما يحصل عليه في المستقبل، أو ما يحصل على أولاده وأهله، كل هذا من دعوى علم الغيب وهو محرم،

انت تصوري عندما يأتي أحد يقول لك انت ولدتي في هذا البرج معناه أنك صفاتك هينة، لينة، تحتملي، تمتصي، من في هذا البرج دائمًا يعمروا في بيوتهم، انظروا هذه المعلومة الأخيرة معناه أنه أثبت لك السعادة، أو يقول لك أن الذي يولد في هذا البرج حاج، دائمًا كذا وكذا، يعني مثلًا يأتي عريس بدلًا من أن يستخيروا يبحثوا هو في أي برج، ويأتون إلى صفاته يقولون صفاته كذا وكذا ومادام صفاته كذا وكذا إذن الأرتباط به يساوي الفشل، من أين لكم؟ من برجه، فحكموا على المسألة الغيبية بالفشل.

وهذا يعتبر اقتباس شعبة من شعب النجوم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ". وقال ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم ؟ يعني يستدلون به على دعوى علم الغيب والخفي- قال: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق. والله أعلم.

إذن الكلام عن الشخصيات عن طريق النجوم وعن طريق الأبراج سيعود مرة أخرى إلى نفس الأمر أنها نوع من أنواع دعوى علم الغيب.

يأتي جزء كبير من كلامهم صحيح، ماذا سنقول؟

لابد أن تعلم أن الدعوى القائلة أن الذين يولدون في برج معين يكون بينهم قاسم مشترك من الصفات، فهذا مع كونه جراءة على الغيب وربطًا للصفات بالأبراج فهو أيضًا يكذبه الواقع، حيث ترى أشخاصًا ولدوا في يومٍ واحد، بل وبحدهم أحيانًا تواءم، ويكون بينهم من الاختلاف في صفاتهم وأخلاقهم الشيء الكثير، وهذا لا يمنع أن هناك صفات مشتركة بين الخلق، وهذه الصفات قد تظهر، وقد لا تظهر، يعني هي مشتركة لكنها قد تظهر على السطح وتراها بعينك انت، أو لا تظهر، فكونهم يتكلمون عن صفات وتوافق الواقع هذا في الغالب أنه يعتمد على الصفات البشرية المشتركة.

العباد الآن بينهم صفات بشرية مشتركة، هذه الصفات البشرية المشتركة هناك أشخاص تظهر عليهم هذه الصفات، الناس الذين حولك يعاملوك فيعاملوك على ما ظهر من صفاتك، وتشعر أن باطنك شيء وظاهرك .. وربما لا تشعر أن ظاهرك شيء أخر، نضرب مثال من أجل أن تتصوروا.

الرفق مثلًا، الرفق هذه صفة من الصفات المشتركة، خصوصًا رفق الهوى، هذه الصفة المشتركة الحقيقة، رفق الهوى يعني أنا أصبح رفيق بمن أشتهي، الناس غالبهم عندهم هذه الصفة، ناس تظهر عليهم أنهم رفيقين بكل أحد وناس لا تظهر عليهم، يأتوا يكتبوا في البرج أنك من صفاتك الرفق، فعندما يقرأ والناس حولك يقولون لك انت عنيف وكذا، وانت تقرأ في صفاتك أنك رفيق، وانت تشعر ومتصور تجاه نفسك أنك رفيق، فتأتي هنا مشاعر أن الناس لا يفهمونك وهذا الذي مكتوب دليل على صحة ما في، وصحيح أني رفيق لكن الناس لا يفهمون.

يأتي مثلًا من الصفات المشتركة بين الناس، الحاجة إلى أصدقاء هذه من الصفات المشتركة، فيأتي يكتب لك الصفة أنك تحتاج إلى أصدقاء، فتقول صحيح، وهذه حاجة مشتركة بين كل الناس، لكن يأتيك في برجك انت يقول لك هذا الكلام ويأتي في برج غيرك

يقول له تحتاج إلى الحب، نفس الجملة، نفس المعنى لكن هنا يقولها بطريقة وهنا يقولها بطريقة، وهذا يقول نعم صحيح، وهنا يقول نعم صحيح، ويصدق أن هذا البرج يتكلم عن شخصيته.

على كل حال هذا التلاعب مبني على معرفة النفسيات، هذا التلاعب مبني على واحد عنده خبره بالنفسيات فيكتب مثل هذا الكلام وغالبه لا يكون فيه استعمال للنجوم ولا للسحره.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: وأنه يتأثر في أوقات معينة في الشهر، هذا نوع من أنواع التنجيم اتركي هذه، تعال نرى مزاج الشخص، الآن تكلميني عن ظاهرة المد والجزر مع مزاج الشخص أو مع شخصيته، هناك نوعان الآن، مع مزاجه أي التقلب، هذا ليس شرط واحد بعينه، على أي شخص، هذا الأمر هو الذي فيه سؤال استفهام، يمكن أن يكون فيه نقاش، ومن أجل ذلك الذين يستعملوا الحجامة يقولون لك أن الأرقام مثل ١٧ و١٩ و٢١ هذه أيام مناسب فيها أن تحتجمي بسبب هذه الظاهرة، يحصل نوع من أنواع ارتفاع الدم في البدن، تأثرًا بهذه الظاهرة الكونية، هذا شيء مختلف تمامًا أن واحد يقول لي أن نتيجة ولادتك في هذا اليوم والقمر مكتمل، ناقص، في فترة المحاق، في فترة الولادة، أثره على شخصيتك كذا وكذا، القمر لن يؤثر على شخصيتك ولا على طباعك الشخصية، انتهى، أي كلمة على أن القمر يؤثر على الطباع الشخصية هذا تنجيم.

هذا ممنوع، وهم يسموه علم، كل المنجمين يسمون ما عندهم علم، انت تعرفي أن المنجم من شروطه بالنسبة لهم أن يكون يفهم في تفاصيل تفاصيل الفلك، هو لا يسموا أنفسهم منجمين، يسموا أنفسهم علماء فلك.

سمعتي وأنا اقرأ فتوى الشيخ؟ ماذا يقول السائل؟ ما رأيك في مسألة الاستدلال بالأبراج لمعرفة الصفات الأساسية للإنسان من خلال معرفة البرج المولود فيه بناء على النظرية الصينية أو الغربية التي تقول إن ذلك يتم بسبب الإشعاعات الكهرومغناطيسية

التنجيم ليس مثل الكهانة وتجد فيه دجلًا، لا التنجيم له معاهد في دول عربية، يذهبوا يدرسوا فيه التنجيم، وطبعًا سنقول أنهم يدرسون الكهانة فمن أول الأمر نريد منكم أن تتصوروا الفرق بين التنجيم والكهانة، كلاهما يسيران في خط واحد، لكن واحد يأتي بمقدمات، شعوذة، يلقي الصدف، ويلقي الحجر، ويخط في التراب، هذا يظهر شعوذته، الثاني لا، يتكلم عن نظريات، يتكلم عن كهرومغناطيس، يتكلم عن أشياء كثيرة فيها نوع من الفلسفة يمكن أن تقنعك أن هذا الكلام صحيح، لا يمكن أن يكون صحيح.

أنا من الأول أشرح لك كيف يمكن أن يدخلوا عليك وتصدقيهم، يأتون بوقائع موجودة في البشر، صفات مشتركة أساسية ويتكلمون عنها، فانت عندما تسمعي هذا الكلام تقولي صح، أنا مولود في هذا البرج مثلًا أو في هذا اليوم ولي هذه الصفات فيستعملوا بعض الألفاظ أو بعض الصفات الأساسية بأسلوب يثيرك لتصديقهم، وإذا افترضتي أنهم قالوا أشياء ممكن أن توافق الصحة، سيكون عندك ثلاثة أسباب لموافقة الصحة:

- الموافقات؛ الاختبار العام، الذي كل الناس يدخلون تحته، يبتليك الله بأحد يأتي يكلمك عن التكهن ويكون طبق الأصل لحالتك، لماذا؟ اختبارًا لك، هل القوم يعلمون الغيب؟ لا يعلم الغيب إلا الله، هذه الموافقات.
- أو تأتي مسألة أخرى وهي مسألة السحر واستعمال الجن، خصوصًا لو كنت تكلمي أحد مباشرة وجهًا لوجه، فيجعلك تحت تأثيره، يأتي المنجم والجن يمليه إملاءًا صفاتك، فتصبحي تحته.

وأصلًا كثير ممن دخلوا هذه المعابد كلام يؤسفنا لكن ناس كانوا من أهل التوحيد، ثم عندما سافروا إلى هذه البلدان قابلوا واحد قال له قابلني من أجل أن أبين لك أني على حق، هذا الذي يسمي نفسه العالم الفلكي قابل الشاب عنده ٢٢ سنة، ويتحدى واحد

يعارضه في هذا الباب، وجلس معه، وقال له أنا مستعد أن أقول لك تفاصيل نفسيتك، من أجل أن تفهم كيف أنا أفهم في هذه المسألة، وكيف أنها نظريات، وهي نظريات وعلم ليس مجرد دعاوى.

وهو خرج من تحت الانبهار، يعني الشاب خرج على حد أنه باب يجب أن نتعلمه من أجل أن نعالج نفسيات الناس، أقوله يكفيك أنه وجهًا لوجه، يكفيك معرفة أنه مادام وجهًا لوجه يمكن أستخدام الجن بكل سهولة، وكان من ضمن كلامه يقول الشاب حتى طريقة دوران الهواجس في ذهني يوصفها لي!، وانت من النوع إذا وقع في ذهنك تفكير انتظرت إلى الليل ويقول له هذا وهذا، نقول هذا أكبر شاهد أنه يستخدم الجن، لأن الجن هم من يلقون الهواجس في ذهن الإنسان، ويتصيدون له وقت النوم، ويتصيدون له وقت الاستراحات، ويتصيدون له وقت الخلوة.

من الذي يلقي في عقلك أصلًا الوساوس؟ الشيطان، إذن من يلقيه في عقلك هو من يقول له!، ذكرنا هذا في أول الأمر، ويأتوا يلعبوا لعبة يقول له خمن رقم ثم يقول له الرقم كيف تأتي هذه؟ الشيطان يلقي في ذهنك الرقم ثم يقول له هو.

هذه الحالة الثانية، أن يكون في غالب اللقاءات المباشرة يكون فيها استخدام للجن.

- الحالة الثالثة: التي ذكرناها أول الكلام أصلًا أنهم يأتون إلى الصفات المشتركة بين الخلق، ويكتبون عنها بتعابير مختلفة مثلما ترى. مثل علم النفس عندما أتينا في الدورة التمهيدية، في الشخصيات الكلّ مثلًا، أأتي أشرح تفاصيله، هل هذا من التنجيم؟ لا، هذه صفات مشتركة بين الناس، حتى أن الكلّ هذا نكاد نجزم أن غالب الناس أصبحوا كلًا، فتخيل شخص يعرف عن هذا، ثم راقبتك فقط قليلًا، ويكون عندي علم بالنفسيات وراقبتك قليلًا من حركتك من هناك إلى أن تصلي إلى هنا وكلما زدتي خبرة في علم النفس كلما استطعت أنه مباشرة تكتشف نوع الشخصية، فتجلس أمامي فأقول لك انت كذا وكذا، ويصعب عليك كذا وكذا.

من أين أتيت بهذه الصفات؟ من دراسة النفسيات أصلًا عامة، وكيف أتيت لك بهذه الصورة؟ من علامات أستدل عليها من تصرفاتك، لكن في النهاية بعد ما أنهي هذا الكلام كله أقول هذا كله لأنك ولد في نجم كذا وكذا، يعني يكون الشخص عنده علم بالنفسيات، ليس عنده علم بنفسيتك انت لا، عمومًا بطبيعة النفسية التي خلقها الله عز وجل.

في نهاية الأمر أنهم سيصادفون حقًا، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه:"كذب المنجمون ولو صدقوا" فهذا ينهي لك الأمر تمامًا، أن كل من يكلمك عن الفلك وتأثيره على الأشخاص كل هذا الكلام ألقيه وراءك إلا أن نقطة التحرك – حركة القمر – لها أثر على فوار الدم البدني، لا الصفات النفسية لكن البدنية، لأن بدنك يتأثر بالجو، ويتأثر بحركة القمر، هذا يحتاج ايضًا إلى شيء من العلم والكلام الأدق.

ولاحظ أنه بدنك وليس نفسيتك، ولا أقول لك أن هذا يكشف عن شخصيتك، لن أقول لك هذا، مثلما أقول لك ماذا تشعرين مع أقتراب الدورة الشهرية؟ دورة تدور في البدن، مع اقتراب الدورة الشهرية تبدأ تحصل شيء من الاضطرابات والتغييرات، ما سببها؟ شيء في داخل البدن، حركة القمر لها تأثير على البدن، على حركة الدم، ليس فيها تنجيم، كل الناس تحت التأثير هذا، ليس ناس وناس.

حتى أن هناك فوارق في أثرها نعم كما أن هناك فوارق في أثر الدورة الشهرية، لأننا سواء الآن في الدورة الشهرية؟ سواء في فصيلة دمائنا كما يعبرون؟!، سواء في حجم أبداننا؟!، سواء في حجم أعضائنا؟!، سواء في مكونات دمائنا، هذا الاختلاف يؤدي إلى اختلاف في التأثير مثل هذه الأحوال على البدن، ومع ذلك أقول لك المسألة تحتاج إلى بحث أكثر في تأثير حركة القمر على البدن،

لا أقول حركة القمر تؤثر على لو ولدت في كذا يكون كذا، ولو ولدت في كذا نفسيتك تكون كذا، وشخصيتك كذا إلى أخره، هناك فرق.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نعم، عنده علم بالفلك بالإضافة إلى علم النفسيات، الآن كليات ومعاهد تدرس هذه الكهانة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: تأثير القمر مثل تأثير أحوال الطقس، لكن أقول لك أن المسألة تحتاج إلى مزيد بحث، من أجل أن يتبين لنا الأمر، ونرى أيضًا أقوال لأهل العلم، نحن أصلًا ليس لنا علاقة بهذا، ليس لنا علاقة بتأثير حركة القمر على بدن الإنسان، ليس موضوعنا، ليس له علاقة أبدًا بالتنجيم، ما له علاقة بالتنجيم أن تقول أن القمر له تأثير على نفسية الإنسان بحيث أن ولادتك في يوم كذا من منازل القمر يساوي كذا في نفسيتك، أو أنك ستكون كذا، أو انك ستصبح كذا، أو انه سيذهب كذا منك، إلى أخره.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا كلام أخر ليس تكهن، أنا أأتي اسألك انت ترى نفسك تنفعل تتأثر أكثر بماذا؟ بأن تسمع أم ترى من تكلمه؟ هذا مجرد اختبار انت ستجاوبني وأنا أقول لك على أساسه.

تفهمون الفرق؟ يعني عندما اسألك مجموعة اسئلة وانت ترد علي ثم أنا أقول لك على أساسه كذا وكذا يكون، بالضبط مثل الطبيب، ما عندك من العوارض هذه العوارض في علمي تساوي كذا، يعني هذه الأعراض في علمي تساوي كذا، هذا ليس له علاقة بالتكهن أبدًا،بصري وسمعي هذا أنواع من الشخصيات تتأثر وتفهم بهذه الطريقة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا ليس له علاقة أبدًا بالكهانة، هذه أشياء تحت تجارب لها مقدمات مرئية ومسموعة ومعروفة، بعيدة تمامًا عن الكهانة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا، ليس كل من درس الفلك دخل في التنجيم، أي واحد يربط بين الفلك والأرض وأهلها والحوادث التي تحدث فيها يدخل في التنجيم، لكن يدرس الفلك كفلك علم ليس له علاقة أبدًا، هذا علم يعتبر علم التسيير.

بسم الله.

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء وقول الله تعالى: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)[٣٦٧].

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: "أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ، وَقَالَ النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ" رواه مسلم.

ولهما عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ. فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ، مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا. فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ".

ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ)[٣٦٨] إلى قوله: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)[٣٦٩].

أولًا ما علاقة باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء بباب التنجيم؟ كلاهما يتحدث عن النجوم وأثرها، أي أن باب ما جاء في التنجيم وباب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء كلاهما يتحدث عن النجوم وأثرها.

ما معنى النوء؟ النجم، الاستسقاء بالأنواء أي الاستسقاء بالنجوم.

باب ما جاء في التنجيم هذا باب عام في كل ما يعتقد في النجوم من الكفر والباطل، سواء كان هذا باستشعار غيب من أحداث أو استشعار غيب من شخصيات أو حتى كلام عن الاستسقاء.

يعني الباب الأول كان باب عام يتكلم عن كل ما يعتقد في النجوم، ولا تتصوري عندما أقول لك اعتقاد في النجوم شرط أن يكون النجم يخبرك عن غيب أنه سيحصل لك كذا أو حصل لك كذا، لا، حتى عندما يخبرك عن شخصيتك، يعني عندما أحد يأتي تقولين له هذا من التنجيم، تقول لك أنا لا أخبرك عن ماذا سترزق غدًا، نقول لا، أصلًا ماذا سترزق غدًا في الغالب هذا من الكهانة، **أمَّا التنجيم فهو كلام عن أحداث أرضية تحصل تحت تأثير النجم.**

ومنها أيضًا باب الاستسقاء هذا باب عام، يأتي باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء هذا باب خاص بمسألة واحدة وهي نسبة المطر إلى النجوم.

---

[٣٦٧] الواقعة:٨٢

[٣٦٨] الواقعة:٧٥

[٣٦٩] الواقعة:٨٢

اشرح لي معنى باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء؟ ما معنى الاستسقاء بالأنواء؟ عندما تشرحي ما جاء ماذا تقولين عنها؟ **باب ما جاء من الوعيد،** لأن هذا الباب مبني على الباب السابق، وانت في الباب السابق علمتي أن التعامل مع النجوم على أنه مؤثر على الأرض هذا شعبة من السحر، والساحر له وعيد.

إذن باب ما جاء في الوعيد في الكتاب والسنة على طلب السقيا والمطر بالأنواء، والأنواء جمع نوء وهي منازل القمر، وسمي النجم نوءًا لأنه ينوء أي يظهر، ويدخل في هذا نسبة السقيا ومجيء المطر إلى النجم.

ماذا تفهمي من كلمة استسقاء؟ أمرين:

- طلب السقيا.
- يدخل فيها نسبة السقيا إلى النجم.

كأن الاستسقاء بالأنواء قبل وجود السقيا وبعد وجود السقيا.

ما معنى الاستسقاء بالأنواء؟ طلب السقيا من النجم أو نسبة السقيا إلى النوء –إلى النجم– .

- عندما تكون الأرض جافة تطلب من النجم هذا اسمه استسقاء بالأنواء.
- الحالة الثانية عندما ينزل المطر فينسبها إلى النجم، كيف ينسبها سيأتينا في أحوال النجم.

المهم تفهم أن تحت الاستسقاء بالأنواء هناك حالتان، طلب السقيا، لأن السين سين الطلب، ويدخل فيها أيضًا نسبة السقيا، لم نناقش بعد كيف نسبة السقيا إلى المطر، ممكن أن تنسب على أنها سبب، وممكن تنسب على أن النجم فاعل، لم نناقشه بعد.

يأتي سؤال يقول: لماذا أفرد الاستسقاء بالأنواء عن التنجيم؟ انظري المتن وانظري آية الواقعة الأولى وهي التي ستدلك لماذا أفرد، ماذا يقول الله عز وجل؟ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ ما معناه؟ يعني تجلعون شكركم للرزق أنكم تكذبون بنسبة هذه النعمة لغير الله.

وانتم ستقرءوا في سبب النزول ستفهموا ما علاقته بالأستسقاء بالأنواء لكن المقصود لماذا أفرد؟ لأن الأنواء من أعظم نعم الله على العباد، به يحيى البلاد والعباد، فيكون المفروض قوة الشكر لله عز وجل، فعندما تُبدل قوة الشكر على النعم بالكفر يكون الأمر أشد جرمًا وأعظم في حق صاحبه.

فالأمر يزيد أكثر، كلما زادت النعمة كلما زاد المطلوب منك من الشكر، فكونك تغفل عن الشكر هذه مصيبة، وكونك تكفر بالنعمة هذه مصيبة أكبر، لأن الناس بعد النعم لهم حالتين:

حالة الغفلة عن الشكر بالإلتهاء بالنعمة، وانت المفروض عندما تأتيك النعمة المفروض يكون في داخلك فاصل بينك وبين النعمة، فاصل نفسي، تشتغل في هذا الفاصل بالشكر، يعني أول ما تأتي النعمة لا تسارع إلى التمتع بها بل أولًا سارع إلى الشكر، لأنك لو سارعت بالتمتع دخلت في الغفلة لابد ، الغفلة التي تأتي بالتأجيل للشكر، أو الغفلة التي تأتي بالبرود في الشكر، لأنك تخيل هل بعدما تستمتع ستشكر؟!، أصلًا ستكون ثقيل في شكرك، أو أصلًا انتهت نهمتك فذهبت حرارة الشكر!، انظر نفسك عندما تشتري أكلة معينة ثم تأتي هذه الأكلة، لو اشتغلت بأكلها واستمتعت بها وطوال الأكل تثني عليها وتثني عليها عندما تنتهي بثقل تقول الحمدلله، أثقلتك النعمة عن الشكر، وهذه مشكلتنا الحقيقة أننا نسارع في الاستمتاع بالنعمة قبل الشكر، وهذه أخصّ من الكفر.

عندي حالتين تجاه النعمة: الغفلة عن الشكر والكفران لها، الكفران لها أحد صوره نسبة النعمة إلى غير الله، فتجد من نجح يثني على نفسه أو على المدرسين مع أن من نجح لم ينجحه إلا الله، ومن شرب ماء باردًا أثنى على ثلاجته أو برادته، ومن أكل أكلًا طيبًا سارع بالثناء على طابخه، وهذا كله لا يمنع بعد أن تكون شاكرًا لله، بعد أن تنسب النعمة إلى الله، بعد أن تقول أن الله هو الذي سخر لي هذه الثلاجة، هذا من تسخير الله، هذا من نعمة الله، هذا من فضل الله، طوال الوقت قل هذا من فضل الله، طوال الوقت، لا ينقطع لسانك عن هذه الكلمة، أكلت من فضل الله، تعلمت من فضل الله، من تيسير الله، من عطاء الله، ولا تمل، لا يمل إلا ضعيف الإيمان، لا يمل من نسبة النعمة إلى الله إلا ضعيف الإيمان.

إذن من أجل ذلك خصّ هذا الباب دونًا عن كل مسائل التنجيم، المفروض عندما تكون أتتك النعمة تكن من الشاكرين فلا تكن في مقابلها من الكافرين، نرى الآن كفران النعمة هذا كيف يكون، الله عز وجل يقول ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[٣٧٠] ومن أعظم النعم نعمة المطر، ونسبتها إلى غيره شركٌ وكفر:

- أمَّا من جهة كونها كفر فهو كفر لأن المفروض الشكر، كفر واضح لأنها ضدّ الشكر المطلوب.
- وأمَّا من جهة كونها شرك فهذا سيتضح عندما نعلم نوع الشرك.

كم نوع للشرك يقع في نسبة المطر إلى النجم؟ أحد نوعين:أمَّا أصغر وأمَّا أكبر.

- الأول: إن أعتقد أن للنجوم بذاتها في نزول المطر هذا سيكون شركًا أكبرًا، يعني من اعتقد أن النجم هو الذي ينزل المطر، أصبح شركًا أكبر.
- الثاني: إن اعتقد أن النجوم سبب لنزول المطر مع اعتقاد أن الله عز وجل هو الفاعل هذا شرك أصغر، يعني يعتقد أن النجوم سبب والله عز وجل لم يجعلها سببًا.

❖ الدليل الأول.

انظري آية الواقعة، شرح آية الواقعة في سبب النزول الأخير حديث زيد ابن خالد رضي الله عنه، يعني الآية الأولى سنشرحها بالدليل الأخير، الدليل الأخير سبب نزول للآية، لتفهمي ما وجه الشاهد.

❖ الدليل الثالث.

ولهما عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ

يعني النبي صلى الله عليه وسلم كان مع أصحابه، بالحديبية قرية من قرى مكة، قرية قريبة من مكة.

عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ .

عقب مطر كان في تلك الليلة، أي صلوا الصبح وفي الليل من تلك الليلة كان هناك مطر.

. فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ

[٣٧٠] النحل:٥٣

أي عندما انصرف من الصلاة، عندما سلم من الصلاة ألتفت على أصحابه صلى الله عليه وسلم وألقى عليهم سؤالًا بصيغة الاستفهام وهذا ليكون أوقع في قلوبهم وأبلغ للفهم فقال لهم:" أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟" فرد الصحابة العلم إلى عالمه إلى الله ورسوله.

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه حينما امتحن الناس – انظري هذه القضية – أنه حينما امتحن الناس بإنعامه عليهم بإنزال الغيث الذي هو حياة للأبدان أنقسموا إلى قسمين، انت فهمتي أن إنزال الغيث نوع من أنواع الامتحان، إنزال الغيث وإمساكه نوع من أنواع الأختبار والامتحان؛ انقسموا إلى قسمين:

- قسم اعترف بفضل الله ونسب النعمة إليه على وجه الشكر فيقول "مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ" فهذا موحدٌ مخلص، وهذه الجملة إشارة إلى ما قام في القلب من إيمان.

يعني "مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ" جملة يلزم استخدامها في التعبير عن كل النعم، مثلًا اشترينا بيت بفضل الله، أكلنا بفضل الله، نمنا بفضل الله، دخلنا خرجنا اشترينا ركبنا انجبنا ربينا، أي فعل لابد من أن تعامله بنسبته إلى الله، معاملة من أعترف بفضل الله ونسب النعمة إلى الله شاكرًا لله، وإذا عودت لسانك هذا الأمر يصعب عليك أن تستبدله، تصبح لا تستطيع أن تتكلم إلا وتجد في نفسك حرج أن تتكلم عن النعمة بدون النسبة.

- انظري القسم الثاني: وقسم أنكر فضل الله ونسب النعمة إلى طلوع النجم أو غروبه، فهذا حكمه كافر "كَافِرٌ بِي ، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ ".

هل تتصورين في الناس قسمٌ أخر؟ نعم، نسميه قسم الغافل.

هذا القسم ما حاله؟ هذا شيء ليس له علاقة بالتوحيد لكن له علاقة بحياتنا، الغفلة، الغفلة لها ثلاثة ملامح واضحة:

عدم الشعور بالنعمة.

هذه واحدة من المشاكل، اسألكم عن نعمة الأمن ما مشاعركم تجاهها؟ أين هي؟ تشعرون بها؟ متى؟ يمكن في الشهر والشهرين إذا تذكرنا، أو في السفر، لو أحد خرج في الخارج ربما يظهر له، أو عندما تسمعي في الأخبار في المناسبات السعيدة فقط، لكن تعال ابحث عن إحساسك بالنعمة هذه، ونبات ولا يكون في قلوبنا رعب أن نقفل بذاك الخوف، أو ممكن أولادنا يفتحون الباب وداخلين خارجين ليس هناك تلك المشكلة، وكثير من البيوت التي يكون فيها جيران كثير أصلًا من هذه البيوت بابها لا يقفل، طوال الوقت مفتوح، فليس هناك هذه المشاعر، لا تشعر أن دخولك وخروجك وراءه مخاوف، وأشكال طبعًا من المخاوف، حروب، خوف من السرقة، خوف من اعتداء على العرض، خوف من سكارة الشوارع، كل هذا الحمدلله، اسأل الله أن يزيده أمنًا وأمانًا، لكن يزيده والناس كافرين؟!، ويزيده والناس غافلين؟!من أين تأتي الزيادة؟!

فإذا أتيت تعاتب أهل البلاد أو تعاتب العباد عاتب نفسك أولًا ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٣٧١] أينك وانت تشعر بالنعمة أين فهذه أول مشكلة عندنا، عدم الشعور بالنعمة، ما يزيد هذه المشكلة بلاءًا الحساسية الشديدة تجاه النقائص، نحن عبارة عن

[٣٧١] إبراهيم:٧

شخص يجمع نقائض: نعمة عظيمة لا يشعر بها، ونقص بسيط يشعر به! وإلا ينتشر في مثل مجتمعنا الإيمو بمناسبة ماذا!، بمناسبة ماذا ينتشر الإيمو جماعات الحزن؟!، ماذا عندهم من شيء يحزنهم إلا هذا من شدة البطر على النعم.

فانت اسأليها على ماذا تحزني؟ وعلى ماذا تبكي؟! لا تجدي ولا شيء إلا شدة النعم وعدم الشكر أتت بمثل هذه المشاعر!، ولا تسأل عن التفاهات التي يتكلموا بها عن ما الذي ينقصهم، كلام نستحي أن نتكلم به، ومثله أرجع من جديد أقول كثير من الزوجات في البيوت والبنات في بيوت أهليهم لا ينقصهم شيئًا وطوال الوقت هم شاكين باكين، ليس هناك شيء يعجبهم، تكون في بيت أهلها تتمنى الزوج، عندما يأتي انظري ماذا تفعل من بطر!.

على كل حال كل هذا يزيدك نقصًا في النعم، وربما تبقى النعمة ولا تجد لها في قلبك أثرًا، هذا أول أمر من أول وصف من وصوفات أهل الغفلة أنهم عندهم عدم شعور بالنعمة، عدم شعور بالنعمة يورثهم أن يكونوا حساسين تجاه النقائص، والحساسية تجاه النقائص تجعل النعم ليس لها قيمة طبعًا، هذا أول علامة مميزه فيهم عدم الشعور بالنعمة.

تأتي أيضًا علامة أخرى في الغفلة إذا وجد شعور بسيط يعامل بالشكر البارد، ما هو الشكر البارد؟ يكون مثلًا أتاها كسوتها، الحمدلله ما كسانا إلا الله، أتت كسوة العيد، الآن ما صورة الشكر البارد؟ تقول الحمدلله "**لكن**" وضعي تحت "**لكن**" هذه عشر نقاط، لكن اليوم ليس مناسب تمامًا، القماش غير موجود، الاكسسوار ليس موجود وعُدي!.

لدرجة أني أقول لها وهي تقول هذا الكلام، أقول احمدي ربك، رزقك، كساك، تقول لكن وتذكر كلام كثير، أنا من اشتريت لها أو أتيت به اشعر أني أرتكبت في حقها جريمة، وأني لم أحسن إليها أبدًا، وراجعوا أنفسكم في لكن، وانظروا لكن هذه كم تأخذ من مساحة الشكر، وليس هناك مشكلة نقول الحمدلله لكن كذا وكذا.

نجحت؟ الحمدلله لكن! ما بك لكن؟! نسبتي كذا، تقدم علي كذا، حصل كذا، فتشعري أن هذا حمدًا وشكرًا باردًا:

- أولًا ضعيف لأن فيه الاستثناء، فيه لكن.
- وثانيًا لكن هذه غالبة على نفسية الشخص أصلًا، وخرجت الحمدلله من أجل أن يسكتك، أو يسكت وعظك له، أو يسكت حتى ضميره الذي في الداخل فيحمد الله وتأتي لكن!.

هذه الكلمات من الممنوعات عندك، يعني أحمد وأشكر، وثق أنه المدبر، وأن ما أتاك أحسن ما أتاك، وأن ما أنزل عليك من قضاء وقدر أو نعمة بشكلها بحالها بلونها بوقتها أنفع ما تكون، ارمي وراءك الاعتراض على الخالق كامل الصفات، ألا تستحي وانت ناقص الصفات أن تنتقد فعل كامل الصفات، ألا تستحي وانت عبد ضعيف لا تستطيع تدبير نفسك لثانية أن تنتقد فعل الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم!، والله لو ما عاملنا الله بحلمه هلكنا، هلكنا، وراجع نفسك في كل حياتك إلى الوراء وانظر كم مرة انت منتقد لفعل ربك، كم مرة في اليوم، وكم مرة في الساعة، كم؟!، كل شيء عندنا على الانتقاد والرد وعدم قبول فعل الله، لو لم يعاملنا بحلمه سبحانه وتعالى لهلكنا.

- الأول: عدم الشعور بالنعمة وما يلحقه من حساسية تجاه النقص.
- الثاني: الشكر البارد الذي فيه الاستثناء.
- المعلم الثالث من معالم الغفلة: انتقاد رضا الناس بأحوالهم، يعني لم يكفني نفسي وغفلتي عن النعم بل أأتي للثانية وأقول لها: على لماذا تصبرين على هذا كله! لو أنا منك – هذه النصائح التي بمثابة الجريمة، ابنة مع أهلها، زوجة مع زوجها، جيران، وتكون غافلة

على أن هناك مشكلة، وتكون حامدة شاكرة، وحتى هي تقنعك تقول لك لا زوجي ليس سيء كما تتصورين، وانت تقولي لها حتى لو كان! مصرّة!!، هي مصرّة إلا تدمري بيتها وتشعريها أن هناك شيء.

وأعود مرة أخرى أقول يصاب الإنسان بخيبة أمل عندما يكون يكلم مستقيم، هذه الكارثة أن يكون واحد مستقيم وعنده علم ويفهم أو في طريقه في الطلب وفي العلم، يعرف الله ويعرف كمال صفاته، وليس عنده تقوى وهو يتكلم!، لا يتقي الله، ماذا تريد من كلامك هذا؟! امرأة راضية بما قسم الله لها تطرد من قلبها الرضا؟!، المفروض لو كنت مباركًا أي أحد في أي موضع المفروض يكون دورك ترضيه، قسم لك الله هذا سترى آثار هذا عنده.

تأتي تقول لك أنا في بيت ضيق وحالتي كذا وكذا، قولي لها كل ما ينقص عليك الآن ستجديه أضعاف مضاعفة عند الله، لكن انت استعملي الصبر، ولا تتصور أنه فقط عند الله، لا، لا تفقد الأمل أيضًا في الدنيا وسيوسع الله عليك، وكم من امرأة كانت كذا وكانت كذا واحكي لها ما تعرف من قصص، وتعرف فلان كان كذا وأصبح كذا، بحيث أن تبقى متعلقة بالله منتظرة عطاؤه، لا أن تكون انت لست شاكرًا، وتنتقد شكر الناس وقبولهم!، بل كن مباركًا، ارضي عن الله ورضي الناس عن ربهم، هذا المبارك، هو راضي عن الله ويرضي الناس عن ربهم.

على كل حال؛ هذه الغفلة عن الشكر يلحقها غفلة عن الذكر، يلحقها غفلة عن اليوم الآخر، يلحقها غفلة عن الحساب، يلحقها غفلة عن الزمن الذي تملكه وستسأل عنه، لا تسأل عن حال هؤلاء الغافلين، **لكن العلامة المميزة في الغافل غفلته عن الشكر**، فإذا وجدت نعمة تتجدد عليه يغفل عن شكرها كأنك اكتشفت سلسلة من الغفلة.

الآن تريدوا أن تختبروا أنفسكم من الذاكرين أم الغافلين انظروا غفلتكم عن الشكر، إذا وجدت أن نعمة تتجدد أو نعمة تذكرتها ووجدت من نفسك الشكر البارد وعدم الحمد اعرف أنك واحد غافل أصلًا، وعلامة أنك غافل أن تتجدد النعمة لم يحرك في قلبك الشكر كما ينبغي.

والغفلة باب لو دخلتموه أتى من وراءه قسوة القلب، أتى من وراءه موت القلب، أتى من وراءه صورة بلا حقيقة، صورتك جالس تتعلم لكن أين يذهب العلم؟ هباءًا منثورا!، ليس هناك قلب يستقبل!، لابد من الخوف من مسألة الغفلة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الشكر علامة، إذا كنت شاكرًا معناه أنك واحد صاحي لست غافل، إذا كان شكرك بارد أو غير موجود معناه انت أصلًا كل حياتك غافل، اعتبر الشكر مقياس، لأن أمام النعمة التي تتجدد هذا موقفك فكيف ستكون ذاكرًا لله من تلقاء نفسك؟!، إذا الله أعطاك نعمة ولم تشكر فكيف سيأتيك الذكر له سبحانه وتعالى، وكيف ستأتي تقواه، وكيف يأتي مراقبة النفس، كيف كل هذا يأتي وانت نعمة أمام عينيك أتتك ولم تشكر، فهي كمثابة الورقة الكاشفة لنفسك، علاج الغفلة كلام يطول لكن نسأل الله أن ييسر لنا لقاء نتكلم فيه عن الغفلة، هذا موضوع بالكامل يجب أن نتكلم فيه ومهم جدًا أن تسمعوه قبل أن تدخلوا الصيف، لأنكم إذا كنتم مع الجماعة غافلين إذن عندما تنفردوا ماذا سيحصل؟!، ستتعاظم المصيبة وستتضاعف، الإنسان عندما ينفرد عن الجماعة تشتد عليه الغفلة، وتشتد حتى غربته مع نفسه.

الدليل الأول فُهم سبب النزول.

بقي أن نذكر الآية.

فلما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا؛ أن العباد انقسموا إلى قسمين:

الأول: مُؤْمِنٌ بِي ، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ

والثاني: كَافِرٌ بِي ، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ

ولهما من حديث ابن عباس معناه

معنى حديث زيد ابن خالد، نفس المعنى.

وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات

آيات سورة الواقعة.

آيات سورة الواقعة أقسم الله تعالى بالنجوم ومواقعها، مواقعها أي مطالعها ومغاربها، وما يحدث الله في تلك الأوقات من الحوادث الدالة على عظمته وكبرياءه وتوحيده.

ثم عظم هذا المقسم به، لماذا؟ أولًا ماذا قال سبحانه وتعالى؟ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ هذا نفس القسم، لكن تعظيم القسم ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

لماذا عظم القسم؟ لأن في النجوم وجريانها وسقوطها عند مغاربها آيات وعبر لا يمكن حصرها.

ما هو المقسم عليه؟ ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ يعني المقسم عليه إثبات القرآن وأنه حق لا ريب فيه، وأنه كريم ومعنى كريم أنه كثير الخير غزير العلم فكل خير وعلم إنما يستفاد منه.

ثم أتى وصفه أنه في كتاب مكنون، إلى أن بلغنا أنه سبحانه وتعالى بعدما وصف القرآن وصوفات الكمال [أنه كتاب مكنون وأنه لا يمسه إلا المطهرون وأنه تنزيل من رب العالمين] بعد هذه الوصوفات كلها ماذا قال سبحانه وتعالى في وصف الكفار؟ الله عز وجل يخاطب قريش ماذا يقول لها؟ ﴿أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ بهذا الحديث المقصود به القرآن، يا أيها المشركون تكذبون وليس فقط أنكم تكذبون أيضًا من صفاتكم أنكم تجعلون رزقكم أي تشكرون وتجعلون شكر الله برزقه لكم تكذيبكم بسقيا الله لكم بالأمطار وتقولون مطرنا بنوء كذا ونوء كذا.

هذا دليل على أن هذا من صفات المشركين، ما الذي من صفات المشركين؟ التكذيب بالقرآن ونسبة السقيا إلى غير الله.

إنما من صفات المؤمن أنه إذا نزل المطر اعتقد بقلبه أنه من نعم الله ويشرع له أن يسأل الله ويقول "اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا" يعني يطلب لنفسه وللمسلمين الانتفاع بهذا المطر، أيضًا يشرع له أن يقول"مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ" يشرع له أن يدعو وقت نزول المطر، هذا كله إشارة إلى اعتقاده نسبة المطر ونزوله من الله، فيقول" مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ" ويسأل الله عز وجل كما أنزل المطر أن ينفعهم به، يدعو الله ما شاء لأن إنزال المطر وقت إجابة، وقت من أوقات نزول الرحمة، فهذا كله يشمل اعتقادك وقت نزول المطر، عكس الغافل عكس الكافر الذي يعتقد أن المطر ينزل بسبب النوء أو أن الفاعل على الحقيقة هو النوء، النجم.

يبقى لنا الحديث، انتهينا من الآية وسبب نزولها، نأتي إلى الحديث.

الدليل الثاني.

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: "أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ، وَقَالَ النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ" رواه مسلم.

لو أردنا شرح هذا كله سيأخذ وقت، خصوصًا أن مثل هذه الأمراض فيها من الانتشار ما الله به عليم، لكن سنقرر عليكم **كتاب "ذم العنصرية"** للشيخ عبد السلام برجس.

يعني ستدرسون كتاب ذم العنصرية، وهذا من أجل أن تتصوروا مسألة الفخر بالأحساب وأيضًا الطعن في الأنساب، تحتاج إلى تخصيص زمن لفهمها، لأن هذا البلاء منتشر عند كل الناس، كل الناس يتفاخرون على كل الناس وهذه من أمور الجاهلية التي لابد من البراءة منها ووجودها إشارة إلى ضعف الإيمان وقد تكون سببًا أحيانًا إلى طرد الإيمان كله، والناس لا يشعرون بحقيقة المشكلة، ثم لهم أعذار أيضًا في مسألة التفاخر بالأحساب.

يبقى شاهدنا وهو الاستسقاء بالأنواء، نفس الإشارة التي مضت، يعني من الآية خرجنا بنتيجة أن من فعل الكفار المشركين أنهم يكذبون بالقرآن وينسبون السقيا إلى النوء، هنا الحديث:

"أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ

فيها نفس الإشارة: أن من فعل الجاهلية نسبة السقيا ونزول المطر إلى النجوم، وإذا قيل لك أنه أمرًا من أمور الجاهلية فهذا دليل على أن فعلهم مذموم في دين الله، فإن إضافة مسألة إلى الجاهلية يخرج مخرج الذم، وذلك يقتضي المنع.

نشير إلى النائحة؛ لأن النائحة لن تدخل في كتاب ذم العنصرية.

النياحة ما المقصود بها؟ رفع الصوت بالبكاء على الميت والأفعال التي تلحق هذا، والنائحة على نوعين: ثكلى ومؤجرة.

- ثكلى أي هي صاحبة المصيبة.
- ومؤجرة أو مستأجرة بمعنى أن أهل المصاب يأتون بها من أجل أن تنوح.
- يأتيني في الوسط حالة بين هذه وهذه؛ أن المعزيين لابد لهم أن يدخلوا على أهل الميت بالنياحة، يعني مجاملة لهم، كأنهم مشاركين لهم في مصابهم، وهذا حدث ولا حرج في كثرته ووجوده وانتشاره وعدم الوعظ فيه، وعدم النهي عنه، وإذا قلنا هذا الكلام نقول لا تنتظروا المصاب أن يصاب ثم تتكلمون عن النائحة.

انتم الآن لكم علاقة بمدارس التحفيظ، لكم علاقة بالمساجد، لكم علاقة بالتجمعات النسائية اشرحوا هذا الحديث، اتركوا مسألة الفخر بالأحساب والطعن بالأنساب، اتركوها وخذوا الحديث واشرحوا الاستسقاء بالنجوم والنياحة، لأنك تجد مثل هذا الأمر مع تكرره أصبح نوع من أنواع العادات، لأنها مباشرة تقول لك نحن لا نقصد هذا بل هذه عادة، يعني لا يكون في قلبها حزن ولا سخط على الله ولا أي شيء، وأصلًا لا يوجد أي مشاعر تجاهه لكن تقول لك من العادات أنه يجب أن أدخل عليهم بهذه الصورة، أن تصرخ وبصوت عال، نياحة، ثم إذا انتهت من هذا الدور – بهذه الصورة!- يتكلموا في الدنيا ويأكلوا ويشربوا ويطلبوا طلبات أيضًا من أهل الميت، فتفهمي أن القضية كلها عبارة عن ذنوب ومعاصي مجتمعة!

المهم عليكم بالوعظ، لا تجاملوا العامة، عليكم بالوعظ، عليكم بالكلام، لكن اختاروا الوقت المناسب، لا بأس في المصاب يجب أن تتكلموا في نهيهم لو أن لكم علاقة، لكن لا تنتظروا المصاب أن يأتي ثم تتكلموا، لابد من الكلام مبكرًا في مثل هذه الأمور التي اعتادت العامة على القيام بها، هذا كله في المستأجرة.

▪ أما في الثكلى فلابد أن تتصور أن فعلها لا يعيب ميت ولا يثبت قلب حي، يعني هذا الفعل لا يعيد الميت ولا بهذا تستطيع أن تثبت وتعيش حياتها بل خسارة في الدنيا وفي الآخرة، والقوم يحتاجوا إلى وعظ.

نكون بهذا الحمدلله انتهينا من مقصودنا من هذه الدورة المكثفة، نسأل الله عز وجل أن يجعلها علي وعليكم مباركة.

جزاكم الله خيرًا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمدلله الذي يسر لنا هذا اللقاء ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه اللقاءات مباركة وأن يجعلنا ممن وحد فأحسن في توحيده، وأن يجعل كلمة لا إله إلا الله عليها نعيش وعليها نموت .. اللهم آمين.

لقاءنا في التوحيد، نبدأ في الكلام عن التوحيد، مر معنا السنة الماضية الكلام في هذا الكتاب المبارك الذي نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما فيه، وإذا أردتم أن تعبروا عن التوحيد يعني قيل لك لماذا تكرروا الكلام عن التوحيد؟ ماذا تجدون فيه؟ التوحيد الذي نكرر فيه سبب وقوع التكرار أن مخاطبة القلوب ودفع الشبهات والشهوات عنها أمر لا يتوقف لأن الفتن نفسها تعرض على الإنسان كعرض الحصير عودا عودا، فلازالت تعرض ولازال القلب يدافعها ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

فما الذي يقوي القلب على هذا الدفاع؟ لا يقويه إلا الإيمان، الإيمان الذي نؤمن في معتقدنا أنه يزيد وينقص، وما الإيمان إلا التوحيد، **الإيمان هو التوحيد**.

فعلى قدر ما تتكرر علينا الشهوات والشبهات على قدر ما نكرر التوحيد، لأنه سلاحنا في دفع الشهوات والشبهات، وانت ترى أننا نكاد نقول أننا مقبلين على الله ليس معنا إلا التوحيد، نكاد نصل في لحظة إلى هذه المشاعر، تأتي الأوقات الفاضلة مثل شهر رمضان، ويأتيك أيضًا شهر ذي القعدة والحج، تجد نفسك إن زدت درجة في الإيمان تأتيك من عواصف الشهوات والشبهات ما تذهب بهذه الدرجة، وعلى قدر ما تشعر نفسك أنك تقدمت على قدر ما يحصل لك التأخر، وعلى قدر ما تشعر في نفسك القوة في الإيمان على قدر ما تعود مرة أخرى، وانت باقي في جهاد، فتأتيك لحظات يمكن أن يدخلك اليأس أنه الآن بعد ما تركت هذه الشهوة زمنًا، وتركت القيام بهذا العمل، وتركت مثلًا هذه المعصية، أجد نفسي في أقل من ثانية أفقد قوايا وأعود من جديد أفعل هذا الفعل المنكر!، تأتيك لحظات يأس تقول مَن أكون؟! بعدما زاد إيماني وبعدما حصل كذا وكذا عدت من جديد إلى ما كنت عليه!.

هذه لحظات اليأس كيف تعالجها في نفسك؟ تعالجها بأن تذكر نفسك بأنك لو أقبلت على الله بالتوحيد ولو كانت ذنوبك بمقدار قراب الأرض كما في حديث أنس، وأقبلت على الله لا تشرك به شيئا لأتاك بقرابها مغفرة.

فانت في أول الأمر تشعر أن هذا التوحيد لابد يتكرر لأنه سلاحك في الدفاع، انت تعرض عليك الفتن كعرض الحصير عودًا عودا ومن أجل أن لا يتشربها قلبك استعمل سلاح التوحيد، التوحيد الذي هو الإيمان، استعمل هذا السلاح لأنه عندما توحد الله في الربوبية وفي الألوهية وفي الاسماء والصفات سيكون أثره أن يزيد إيمانك، وأصبح التوحيد سلاحنا الذي به نرد الفتن، لكن لو ضعفنا أمام الشهوات والشبهات أيضًا يكون التوحيد هو المخرج من اليأس، لأن كما تعلم لسنا كلنا تحت نفس الظروف من أجل ذلك انت لا يخرج من لسانك لوم أي أحد على معصية يقعها، لا يخرج من لسانك، إنما إذا خرج من لسانك يخرج من لسانك الدعاء له، أن الله عز وجل يتوب عليه ويرفع عنه ويعينه ويثبته على الطاعة، لماذا؟ لأن كل واحد فينا تحت ظروف وأحوال وبتركيبة نفسية ومشاعر لا يستطيع الأخر أن يحكم عليها ولا أن يتصورها حتى.

المهم انت الآن التوحيد كرره من أجل أن يكون سلاحًا لك، كرره من أجل أن تكسر ما يفعله الشيطان في قلبك من اليأس من روح الله، وأنا أقول هذا الكلام خصوصًا ونحن نخرج من موسم طاعة، هو المتصور أن نتكلم كيف نثبت على الطاعة، لا، لن

أكلمكم عن هذا، سأكلمكم عن كيف لا نيأس من أنفسنا، لأن الغالب بعد ذهاب موسم الطاعة والعودة مرة أخرى إلى معترك الحياة، تجد نفسك فيها ضعف، أو ليس كما تتأمل، ولا كما تنتظر من نفسك، فماذا يفعل فيك الشيطان؟ يحرك إلى أن يزول الزائل.

فانت كيف تعامل هذه الحال عندما تمر عليك؟ تعاملها بعدم اليأس من روح الله، **لا تيأس من روح الله لأن معك التوحيد، ومن كان معه التوحيد نجى نفسه بذلك**، لابد، التوحيد لابد أن تعتقد أنه سبب للنجاة.

إذن هاذان سببان لتكرار التوحيد، لازالت عندنا أسباب كثيرة سنذكرها في ثنايا الكلام.

إذن السبب الأول الذي يجعلنا نكرر التوحيد لأنه سلاحنا الذي يدفع به الشهوات والشبهات.

لأنك الآن عندما تتعلم عن الله وعن حقه وعن التعلق به، وعن الوقوف ببابه، هذا كله يجعلك لحظة الشهوة تدافع الأمر بأنك تطلب رضا الله، أنه لابد أنه لو أنا دفعت هذه شهوتي الآن وتعلقت بالله في أن يدفعها عني لابد أن يكون أثرها حلاوة في قلبي، لو هذا جاءك في أول وقت الشهوة جاءت لك هذه المشاعر أنك ستدافع من أجل أن يورثك الله، فكان سلاحك التوحيد، توحيدك لله عز وجل باسمائه وصفاته وماله من تعظيم يجب أن يكون في القلب.

لكن على أخر الوقت ضعفت، وقفت أمام الشهوة ضعيف، وقعت فيها، الآن ماذا تحتاج؟ تحتاج التوحيد أيضًا، لا تيأس من روح الله، بل لأنك موحد تعلم أنك ليس عندك باب أصلًا إلا باب الله، هذا أولًا، وهذا نفع التوحيد، أنك حتى عندما تذنب تفهم أنك ليس لك باب إلا باب الله، فتجد نفسك وانت مذنب تفتش هل عندك ريال أو ريالين، أو أقل القليل الذي تملكه من أجل أن تخرجه من أجل أن يرضى عليك ربك، ففي النهاية حتى وانت عاص ليس عندك باب تقف فيه إلا باب الله، وهذه مصلحة التوحيد، أنه حتى عندما تخطىء تبقى عند باب الله، هذان المصلحتان التي من أجلها نكرر الكلام عن التوحيد وعن حق الله وعن توحيده.

يأتي الأمر المهم أن أصلًا هذا الإيمان والتوحيد في القلب يبلى، يضعف، تتحرك نفسك بالأعمال نعم لكن ربما تتحرك من أجل غير الله، أو العادة التي تحكمك، العادات لها حكمها، اعتدت أن تفعل هذا الفعل، أو بسبب المجتمع الذي يحيط بك اعتدت أن تفعل هذا افعل، فيأتي التوحيد ماذا يفعل بك؟ يعني انت تعمل اعمال لا بأس، لكن أعمالك ما الذي يجعلها في الميزان؟

إخلاصك، توحيدك، فهذا الإخلاص والتوحيد يضعف يضعف إلى درجة أن الأعمال الصالحة لكن بدون روح.

انظر الآن نفسك في الصلاة، وكيف عندما تدخل فتقول تحية الملك الفاتحة، الفاتحة هذه علمناها الله من أجل أنه لما نقف ببابه ماذا نقول له؟ ولله المثل الأعلى، مثل عندما تدخل عند ملك تحتار ماذا تبدأ به، فتسأل الشعراء وتسأل كذا وكذا ماذا أقول، انت الآن عندما تقف بين يدي الله علمك الله كيف تكلمه.

تعال نراجع أنفسنا؛ فلنقل في هذه العشرين يوم التي أتت بعد رمضان، خلال هذا الشهر، كم مرة خلال الشهر وجدنا في قلوبنا أننا نقف بين يدي الله واقع في قلوبنا ما معنى الحمدلله كما ينبغي؟! ضعف، ضعف شديد!، فما الذي يحرك هذا الضعف؟ تكرار الكلام عن حق الله علينا، تسمع طوال الوقت أن الله عز وجل خالقك، مالكك، رازقك، من حقه عليك أن لا يقف قلبك حامدًا ولا شاكرًا ولا سائلًا ولا راجيًا إلا إياه، ثم إيمانك يضعف بحيث أنك تتغير أمانيك، تتغير مراداتك، من ضعف الإيمان أن تتغير الأماني والمرادات.

ومن أجل ذلك لاحظوا أن ضعف الإيمان مرتبط بتدبرك للفاتحة، يعني انت انظر مقياس ضعف إيمانك تدبرك للفاتحة، لماذا؟ لأن في الفاتحة تقول أعظم أمانيك، ما هي أعظم أمانيك؟ ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاط الْمُسْتَقِيم﴾[٣٧٢] هذه أعظم أمانيك، لكن مع ضعف الإيمان هذه الأمنية تتبدل، تغيب، لا يشعر الإنسان بقيمتها أو بها، عندما تتعلم التوحيد ويكرر عليك ويجتمع قلبك على توحيد الله عز وجل ويجتمع قلبك على الأماني، على الهموم، تعرف ما الهمَّ الذي من أجله تعيش، حتى تفسر كما ينبغي الحياة حولك.

من المؤكد أن همومًا تضرب القلوب ليلًا ونهارا، من المؤكد، الحياة التي نعيشها من أشد الصعوبات في العالم المعاصر والحياة العصرية الهموم، قوم كثيرين أخمدت قلوبهم الهموم عن الفرح بأي شيء، عندما تأتي تنظر إلى الهموم تقول اختلاف الناس في الهموم سببه العلم بالتوحيد، لأن مهما كان همك فقدت حبيب، فقدت صديق، كلمني عن أنواع الهموم، هذه الهموم ماذا تقابل لو فكرت في همّ الوحدة في القبر بلاعمل؟ ولا شيء!، تخيل أن محبوب لك ذهب، سافر، خصوصًا هذه الأيام أنه يجتمعوا الناس ثم يذهب كل واحد فيصيب الإنسان الهمّ والغمّ الشيء الكثير، عندما يصيبه همّ وغمّ ومعه توحيد كيف يكون حاله؟!، مباشرة يقع في قلبي لكن عندما أنفرد في قبري؟!، عندما ألقى هذا المحبوب يوم القيامة وأفر منه ويفر مني، ماذا سيكون حالي، هذه هي الهموم، فماذا تفعل الهموم الحقيقة؟ تفتت هموم الدنيا تفتيتًا.

من أجل ذلك التوحيد كان من أعظم أسباب الحياة الطيبة، لماذا من أعظم أسباب الحياة الطيبة؟ لأنه يأتي إلى الهموم ويفتتها، تعال انظر علائقك، علاقاتك، اسألوا أنفسكم كيف علاقتكم بالملائكة؟!، ماذا تشكل الملائكة في حياتكم؟!، هذه الملائكة المفروض تشكل في حياتكم الشيء الكثير، لأن المرء مع من أحب، عندما يكون الإنسان مسجى في مرض الموت، ويأتي الناس حوله يطمنوه أنه لن يموت مثلًا، أو يطمنوه أنه لو مات سيذهب إلى ربه وربه رحيم إلى أخره، كلامهم ما ميزانه في قلبك انت يا مريض؟ ولا شيء، لماذا؟ لأنهم لا يعلمون عنك ولا يعلمون الغيب، وفي نفس الوقت تشعر أن كلامهم هذا أتى من أنهم أخذتهم الرحمة، لكن عندما تسمع قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ ماذا تفعل بهم الملائكة؟ ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾[٣٧٣] انظري هذا الكلام العظيم متى يكون؟ لحظة القبض، فالذي عاش في الدنيا له علاقة بالملائكة تبشره، وفي الدنيا تستغفر له، وفي لحظة القبض تبشره، فالتبشير الذي يحصل من عندها أم بأمر الله؟! بأمر الله!، انت ماذا يكون في قلبك؟ يكون في قلبك أنك كلما زدت توحيدًا وزدت إيمانًا كلما تفتت الهموم وأصبحت لك علاقات غير علاقات أهل الدنيا، وأصبحت تعيش حياة مختلفة عن أهل الدنيا وهذا من أعظم مصالح التوحيد.

إذن الذي يجعلنا نكرر التوحيد كوننا يضعف إيماننا، هذا السبب الثالث.

والسبب الرابع كون الهموم تجتمع على قلوبنا فلا يفتت الهموم إلا قوة التوحيد.

من أجل ذلك عندما يجتمع على قوم جيش ثم يقولون مثلما قال النبي صلى الله عليه وسلم عندما قيل له ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ ماذا قالوا؟ ﴿حَسْبُنَا اللّهُ﴾[٣٧٤]، مَن هذا الذي يقول حسبنا الله؟! الذي اجتمع في قلبه أن الله كافيه، ولذلك بعض أهل

---

[٣٧٢] الفاتحة:٦

[٣٧٣] فصلت:٣٠

[٣٧٤] آل عمران:١٧٣

العلم قالوا من الألفاظ الشركية أن تأتي لأحد وتقول محسوبك، لماذا؟ لأن لا أحد حسبك إلا الله، لا أحد كافيك إلا الله، من أين يأتيك هذا؟ من التوحيد، جمعوا الناس لهم يعني اجتمعت عليهم الهموم، ما الذي يكفيهم؟ لا يكفيهم إلا الله، من أين تفتت همومهم؟ بكونهم وحدوه.

ولذلك لازلنا نكرر في التوحيد واسأل الله عز وجل أن لا تأتيكم لحظة تمل قلوبكم من دراسته فهو يعدل القلب تعديلًا على المدى الطويل، وهذا الأمر من المؤكد أنكم تشعرون به، من المؤكد، لأن من ذاق حلاوة التوحيد حتى لو نقل أنه في ظلمات عظيمة تنكشف عنه شيء من الظلمة بسبب التحويد، وكلما زاد علمًا بالتوحيد كلما زاد إنكشاف الظلمة، ألم تسمع الله عز وجل يقول ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[٣٧٥] لا تحيا القلوب إلا بتوحيده سبحانه وتعالى.

ثم كما ذكرنا سابقًا تكاد تأتينا لحظات نجد أنفسنا ليس عندنا بضاعة نقبل بها على الله إلا لا إله إلا الله فقط، وإلا أتينا بقراب الأرض خطايا، نأكل رزق الله، نعيش في أمن من الله، أعطانا الله كل ما نريد، أموال، أولاد، بيوت، أمن، أمان، كل شيء، ثم مع كل هذا العطاء نبخل بكلمة الحمدلله!، تصور كيف التوحيد يأتيك بالنتيجة "إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا"[٣٧٦] يرضى عن العبد! انظر سبب الرضا!.

لكن اسألكم كم غفلنا الشيطان عن هذه المسألة؟!، والسبب غياب التوحيد، لأنك لو كنت تاكل وانت في قلبك أنه لم يطعمك إلا الله لابد أن تشكره، لكن هذا غاب، فصار الحمد متكلف، يعني يحتاج أحد أن يذكرك من أجل أن تقول الحمدلله.

وانظر إلى عظيم تربية الله؛ أصحاء يعيشوا مع مرضى فيرى كيف أن الله أعطاه، طبعًا أصحاء بدنيًا أقصد، أصحاء نفسيًا يعيشوا مع مرضى نفسيين من أجل أن يريهم الله كم أعطاهم من نفس سوية، يعطيك أطرافك كاملة يريك الله فاقد الأطراف، كل هذا من أجل أن يربيك، يذكرك النعم التي تعيشها، ثم انت تتذكر به فتُرفع درجة، وهو يصبر على ما معه من بلاء فيرفع درجة، هذا من عظيم رحمة الله ألا تغادر الدنيا إلا وهو أراك كل علامات التوحيد التي تزيدك إيمانا.

لكن مع ذلك نرى الضعف الحاصل، ومع وجود الضعف لكننا نقول الحمدلله الذي جعل كلمة لا إله إلا الله سببًا لثقيل الميزان.

⇦ كلما تتذكرين حديث البطاقة، السجلات، يزيد إيمانك بأن طريق التوحيد هو طريق النجاة.

⇦ وكلما تسمعي حديث أنس كلما يزيد إيمانك أن التوحيد سبب النجاة.

⇦ وكلما ترى مظاهر الشرك في العالم الإسلامي كلما يزيد في قلبك أن التوحيد هو النجاة.

ونحن نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهل لا إله إلا الله الذين آمنوا بها وعاشوا عليها وماتوا عليها، ونكون حقيقة وقع في قلوبنا معناها، فهذه بضاعة عظيمة أن يكون معك لا إله إلا الله بضاعة عظيمة، لا تتصور أن هذا الكلام يسهل عليك المعاصي!، لا، لا تتصور ذلك، لكن أقول من هجمت عليه المعاصي، ومن فينا لم تهجم عليه المعاصي؟!، وقعنا كلنا تحتها، فأعتنى بالمخرج.

والسبب الخامس: ثم أعلم أن التوحيد يدفعك إلى التوبة دفعا، لماذا؟ لأنك تعرف أن الناس منازل ودرجات في الجنة، فيشتهي قلبك الدرجة العليا، فإذا اشتهيتها وما معك بضاعة تأتيك أعظم بضاعة بعد لا إله إلا الله التوبة.

---

[٣٧٥] الأنعام:١٢٢

[٣٧٦] رواه مسلم:٢٧٣٤

على كل حال: **الناس يزحزحوا عن النار بعفوه سبحانه وتعالى، ويدخلوا الجنة برحمته، ويتفاوتون في المنازل بأعمالهم،** فعندما تفهم هذا المعنى وانت موحد – انظري كيف يفهم الموحد القضية- ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٣٧٧]

⇦ الناس يزحزحوا عن النار بعفوه سبحانه وتعالى، يعني به، انت اطلبه طوال الوقت أن يعاملك بالعفو.

⇦ ثم الناس يدخلون الجنة برحمته فانت طوال الوقت اطلب الله عز وجل أن يعاملك بالرحمة.

⇦ ثم تفاوت الناس في داخل الجنة بما معهم من أعمال، فانت اسأله سبحانه وتعالى أن يحسن لك الخاتمة، وأن يجعلك ممن تاب قبل أن يموت، وأن يفتح لك أبواب العمل الصالح وأن يكون لك خبيئة عمل.

كل هذا وانت تعامله سبحانه وتعالى بالتوبة، انظر إلى هذا الباب العظيم المفتوح، لا تحرم نفسك من توبة متكررة، لا تحرم نفسك من "سبحان الله وبحمده"، خصوصًا في أخر اليوم، لأن "سبحان الله وبحمده" مائة مرة تغفر الذنوب ولو كانت مثل زبد البحر، فانظر عندما تكون موحد ليس عندك ولا يكون في عقلك إلا رضاه ماذا ستفعل؟ ستبحث عن كل شيء يقرب إليه، ستكون حريص أنه دلوني على العمل الذي أعمله فيرضى عني ربي، وأنا مذنب مقبل عليك يارب بالذنب وليس لي بضاعة لكن أرجو رحمتك وأخشى عذابك، معي خوف، ومعي رجاء، ومعي محبة لرضاك، مع وجود الذنوب.

فمن أجل ذلك لابد أن التوحيد يكرر على القلوب، لابد، لابد أن يبقى ليس فيه تصورك أحد إلا واحد، ليس لك همّ إلا رضاه، وهمّ رضاه يدفع بقية الهموم.

لذلك لا ينفعك أن تقرأ عن علامات يوم القيامة أو عن الأحوال التي تكون في يوم القيامة وانت لست موحدًا، لماذا؟ لأن الذي يقرأ في الذي يحدث في عرصات يوم القيامة ماذا سيفعل بعد أن يعرف؟! لابد أن يلجأ إلى ركنٍ شديد وإلا يصاب باليأس، لابد أن يقول ما المخرج من هذا العرق، ما المخرج من هذا الحر، ما المخرج من العطش؟!، يقال لك المخرج من العطش أن تشرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم، ومَن هذا الذي يشرب؟ هذا الموحد الذي تابع السنة.

ما المخرج من الحر الشديد؟ أن تكون تحت ظل عرش ربك، وكيف تكون تحت ظل عرش ربك؟ ذكر لك، فيبقى في قلبك أنه يارب وفقني أن أكون ممن تظلهم تحت ظل عرشك، يارب اجعلني ممن اشرب من حوض نبيك، دعاءك هذا لابد أن يكون فيه أعمال، لا تقول يارب وتترك نفسك، لا خذ بالأسباب كما أنك تأخذ بالأسباب في كل شيء.

إذن معنى ذلك أن العبد كلما زاد توحيدًا كلما قوي في قلبه الاستعداد للقاء الله، لماذا؟ لأن ليس له همّ إلا الله، **لذلك نقول وحد همومك، كثرة الهموم في الدنيا تشتتك عن بابه.**

ومن هذا الكلام نقول ما أصاب الناس من – ماذا نسميه؟!- من هوس! في مسألة أنفلوانزا الخنازير، ما أصابهم من فقدان الثقة بالله عز وجل، احتال عليهم الشيطان، احتالت عليهم شياطين الإنس والجن، ولا تتصوروا أن هذا الكلام تهويل للموقف، الذي فعلوه هو الذي تهويل للموقف، وما حصل يكون للموحد كشف لحقائق قلبية، لأن كم من الأصوات قالت – والذي سأقوله هذا ليس كلام جديد – الذي كتب إحصائيات حوادث السيارات وإحصائيات الأنفلوانزا العادية وكتبها وقارنها بإحصائيات الأنفلوانزا الحديثة هذه، كتبوا وقالوا أن العدد لا يقارن!.

[٣٧٧] آل عمران:١٨٥

الآن اسألكم من يموت بحوادث السيارات كما تعلمون أنه يعتبر ضعف عدد الذي مات بهذه الأنفلوانزا ١٥٠ مرة!، ضعفه ١٥٠ مرة!، تركوا الناس ركوب السيارات؟!، عجيب! المفروض أن تكون النتيجة ترك ركوب السيارات، هذه تكون النتيجة على قانون الأخذ بالأسباب!.

والذنوب سبب للزلازل والفيضانات، هذا أمر متفق عليه والنصوص تدل عليه، وطبعًا سمعتم ما عاد مرة أخرى في شرق آسيا، والناس من كثرة خوفهم من أنفلوانزا نسيوا هذا الحدث، الذي كان قريب من توسونامي الماضي، ورأيتم كيف الناس عاشوا من جديد في نفس الأهوال الماضية، وكيف اثنان مليون في الهند تشردوا من قراهم بسبب الفيضان، وكذلك في أندونيسيا وإلى أخره.

السؤال الآن الذنوب سبب لوقوع الفياضانات، هذا عند أهل الإسلام معروف، لماذا لا تأخذوا بأسباب ترك الذوب؟!، تكلمونا عن الأسباب ونحن نكلمكم عن الأسباب، خذوا بالأسباب، لو صدقت أن هذا المرض كما يقدرون من أنه طاعون أخر الزمان إلى أخره لو صدقت أنا عندي دليل يدلني على أن هذا المرض إذا كان وصل أن يكون طاعونًا سيكون بسبب الذنوب، لأن كما في الحديث تظهر أمراض لم تظهر في أسلافهم، فمعنى ذلك أن هذا المرض لو سلمنا جدلًا أنهم كما يقولون سأقول لك ما هو السبب، سببه أنكم أذنبتم، لكن لا ترتب هذه القضية على هذه القضية، لأنها كذبة عالمية، وإذا أردتم إلى ذلك دليل وشاهد، الدليل والشاهد سهل جدًا.

الآن هذا الوباء أتى من أين؟ من الخنازير، اسألكم بلد فيها خنازير وأهلها يمشون في الشوارع ليس بهم ولا شيء ولا أحد يفكر في الموضوع، وبلد لم يأتيها الخنازير وكلهم ميتون خائفون وكل واحد يجلس في بيته، تركيبة منطقية؟! ليست تركيبة منطقية!

وهذا الكلام المطارات تشهد به، خرجوا الناس صيفوا في بلدانهم، البلدان التي هم فيها على بالهم كما كانوا، وعندما تسألهم يقولوا لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، سبحان الله، خرجوا إلى هناك ورأوا أن الناس يعيشون حياتهم الطبيعية، لكن الكذبة انطلت علينا نحن، ثم تعال إلى العمرة، التي جاءت مباشرة في الصيف، الناس رجعوا غالبهم في أخر شعبان، العمرة يقولون لا لا مكان تجمعات، يعني لا يحتاج ألفت نظركم مسألة ظاهرة مثل الشمس.

وطبعًا هذا كله فيه آثار أقتصادية على العالم الإسلامي، هناك آثار نهبة وسرقة من جهة أخرى في شركات الأدوية، وطبعًا هذا ليس جديدًا، هناك بحث قريب أن شركات الأدوية طالبت بإغلاق عيادات الحجامة في العالم الإسلامي، هذا تقرير موجود أن في الدول الغربية مرض التوحد، التوحد لأنه انتشر جربت الدول الغربية علاجه بحماية الطفل بحمية من الحليب والقمح، وبعلاجه ببعض الوجبات، منها التمر والتين ومادة ثالثة، عندما أتى بمردوده أتت شركات الأدوية وأوقفت مثل هذا وعادوا من جديد الناس يستخدموا الأدوية الكيميائية، هذا تقرير موجود، اكتبوا كلمة التوحد وعلاجه تجديه موجود في الانترنت مباشرة ومثله كثير، من الحرامي في المسألة؟ شركات الأدوية وتصديرها إلى العالم الثالث إلى أخره كما يعبرون.

الآن هذا كله اتركيه، وفكري أن الله عز وجل لم يبتلينا بهذا البلاء وأنا أعلم أن هذا الكلام مثل الشمس واضح في أذهانكم لا يمر إلا على واحد غبي، الآن يتجمعون في الأسواق، يتجمعون في الملاهي في أيام العيد، ويتزاحمون في كل هذه الأماكن وليس هناك مرض، وأين المرض؟ في الحرم!.

ويذهبون ويأتون وليس هناك مرض ولا شيء، والناس أصلًا كثير منهم أتاهم وذهب عنهم وهم لا يدرون عن أنفسهم!، وهذا موجود، هناك حادثة أن طفلة صغيرة ذهبت إلى أحد المستشفيات وأخذوا منها عينة وأعطوها دواء وقالوا لها سنتصل عليك ونرى،

المهم بعد ثلاثة أربعة أيام أتصلوا على الأب يقولون بنتك فيها كذا وكذا، قال بنتي في الشارع تلعب! انتهى الأمر!، تمشي على رجليها وليس هناك شيء، كانت درجة حرارتها مرتفعة وانتهى الأمر!

وحتى لو كان فيها هو مرض مثل باقي الأمراض، أنا متأكدة أنكم سمعتم هذا الكلام وتفهمونه، أنا لا أريد أن أناقشه من هذه الجهة، أريد أناقشه من جهة أخرى تمامًا، من جهة أن الله ابتلانا من أجل أن يرى توحيدنا، كيف اللجوء إليه، افترضي أنه حقيقة داء، هل تعاملي هذا الداء بالخوف؟!، هذا الآن كأنه ورقة كاشفة، ولو أتى حقيقة – نسأل الله أن يحفظنا ويحفظ ذرياتنا ويحفظ بلاد المسلمين أجمعين ويهلك اعداءنا– أنا أقول أفترضي جدلًا أنه أتى داء، وباء حقيقي ماذا سنفعل؟!، إذا كان تمثيلية واضحة مثل الشمس، أي واحد يقرأ مقالة لطبيب في وزارة الصحة يعرف هذا الكلام، وكم أرسلت مقالات على الإيميلات مقالات طويلة عريضة تتكلم عن كذب هذه الكذبة، إذا كان بهذه الصورة والناس هذه آثاراها، لكن لو جاء مرض حقيقي ماذا سنفعل؟!، كيف سيكون استقبالنا له، ما الرعب الموجود في القلوب! كيف نباشر طاعة الله وعبادته؟!.

في خارج المملكة كثير من طلاب العلم يقولون كانوا يتصلوا علينا الناس يقولون هل يجوز لي الآن ترك صلاة الجماعة!!!، بهذا الحال وصل الناس!، فالفتنة هذه أتت من أجل أن تكشف ما في ضعف في القلب من تعلق بالله وسؤاله الشفاء، في مقابله خرجت بدع وأدعوا هذا الدعاء، وأدخلوا إلى مكة تصبحوا آمنين، إلى آخره، من هنا أهل الدنيا ومن هنا أهل البدع حاصرونا!، أين أهل التوحيد أين صوتهم؟!، أين الكلام مع الناس أنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا!.

وإذا كلموك عن الأسباب كلمهم عن الأسباب أنك انت الآن مؤمن بالأسباب مائة في المائة تعال كلمني عن أسباب دخول الجنة، ألا تؤمن بالأسباب؟ الجنة لها أسباب!، أينك؟!، لماذا لا تأخذ بها؟!، حتى هذا المرض له أسباب في الانتشار، أليس الله هو الذي أبتلانا به لو كان حقيقة مرض، أنا أقول لك هذه تجربة التي مرت علينا، والأوبئة لا تتصور أنها لن تأتي، بل سيأتي وقت يكون فيه وباء حقيقي، هذا موقفنا من الوباء إذن الله عز وجل أنزله علينا ماذا سنفعل؟!، أين الدعاء؟!، أين اللجوء؟! ليس هناك أحد يقول لأحد موجود الوباء قل يارب أكشفه عن المسلمين، أدعو الله عز وجل، استعمل الرقية، ليس هناك هذا الكلام وكل الناس يكلموك عن الكمامات، الكمامة هذه بريال، أقول سبحان الله هذا من الذي بريال سيحميك؟! ومالك الملك؟! وتصوري كيف المقارنة يلبس كمامة على أنها حماية وقلبك أين هو؟! يقول لك سبب، وسبب هذه أصبحت معبودة من دون الله!

وظهر الناس الذين عندهم وسواس، والناس الذين عندهم فقدان ثقة بربهم، وظهر الناس الذين عندهم فقدان ثقة في السنة، وظهرت مسائل كثير، هذه عندما ظهرت ماذا تقول لك يا طالب العلم؟ تقول هيا لابد من إنجاء نفسك والعمل على الناس، وانظر كيف حال الناس، انظر توحيدهم، لذلك لا تملوا من تكرار التوحيد، ها هي المواقف تثبت الضعف الشديد، الضعف الشديد بهذه الكلمة في التعلق بالله.

نحن لا ننكر الأخذ بالأسباب، لا ننكرها أبدًا، لكن إذا كان كمامة بريال ستسبب لك النجاة، يعني إذا كان وباء كمامة بريال ستسبب لك النجاة؟!، وأين يارب؟! وهذا الكلام لا تفهموه مني معناه ألا تأخذوا بالأسباب إنما الأخذ بالأسباب عملية تأتي بعد قوة التوكل على الله، لكن النفوس ليست فيها هذا الأمر، ومن أجل أن تفهم المسألة أكثر انظري لو نزلوا الحرم وسقطت كمامتهم وانظري ماذا يفعلون، انتهى!، وتلتقط أبدانهم وهؤلاء القوم الذين دخل فيهم الوسواس، ويسرعون إلى بيوتهم، وقوم أخرين عندهم احتياط في حقائبهم، وترى عجبًا من ضعف التوكل على الله.

على كل حال هؤلاء ليسوا كثرة، يمكن من كان في الحرم في أيام رمضان كان يرى أن كل ألف واحد ربما واحد، لم يكن ذاك العدد، لكن كان للأسف أنه من جنسيات معينة يغلب عليها الترف، وانت تجد سبحان الله أن الترف يميت التعلق بالله ويقوي التعلق بالأسباب.

على كل حال أنا أقول لكم هذا الكلام من أجل أن ينشط في قلوبكم أمرين:

- الأمر الأول أن ينشط في قلوبكم انتم التوحيد والعناية به.
- الأمر الثاني الناس والفتن التي تكثر علينا لابد أن يسمعوا كلمة عن التوحيد من أجل أن يكون لهم ملجًا وقت الأزمات لا تتصوري أن الآتي أقل فتن من الذي مضى، أشكال وألوان من الفتن.

التوحيد لابد أن يسمع، طلاب العلم علمكم في المصطلح، علمكم في الحديث، علمكم في الرجال، علمكم في المسائل الدقيقة، كل هذا أكنزوه لأنفسكم بعضكم مع بعض أمَّا التوحيد فعليكم بقوة نشره، لا تبخلوا، خصوصًا الحج آتي الآن، وغالبكم الحمدلله يستطيع أن يحج يستطيع أن يرشد أصحاب الحملات إلى مواضيع وأعمال يعملونها في الحج، فإذا كنتم بهذه المثابة عليكم أن تعلموا الثغرة العظيمة التي نعيشها.

ثم انظر أليس الدعاء أحد أسباب الوصول إلى مرادك؟! أين "اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري" أين هي؟!، أين آثارها، أين الدعاء بها، وكل هذا يدل على أنه لا ينفعك إلا الله.

المهم نحن الآن أخذنا أمرين: أخذتنا الشهوات وأخذتنا الشبهات ولا يصلح العبد من شبهاته وشهواته إلا التوحيد، وعندما تأتيك مثل هذه المواقف لابد أن تعلم أن الذي سيأتي بعدها ما هو أشد منها من نفس النوع، يعني بدأنا في الأمراض بحمى الوادي المتصدع.

كلام من الحاضرات رد من الأستاذة: جنون البقر سابقًا من زمان، ونحن أصلًا بعيد هذا عنا، ليس عندنا بقر الحمدلله، أقصد عندنا في المملكة هنا.

أولًا الوادي المتصدع ثم أتى أنفلوانزا الطيور، حمى الضنك إلى أخره، البلاء جاء بالتدريج، والناس طوال أنهم لا يستعملون الشيء يعني أنفلوانزا الطيور مثلًا يستطيعون تركها لماذا؟ لأن الذي يأكل الطيور هو الذي يأتيه، هكذا أفهموهم، فلم يتبين لنا مقدار الحساسية الموجودة في نفوسك تجاه المرض إلا أنك تسمعي أن أحد يأتي يقول لا أكل كذا وكذا، حتى بعد انتهاء المرض، فعندما جاءت هذه الأنفوانزا وظهرت أنها تنتشر عن طريق التنفس ظهرت الحقيقة، ظهرت حقيقة الضعف الإيماني، وظهرت طبعًا حقيقة الوسواس الموجود في النفوس إلى أخره.

المقصد الآن أن هذا ظاهر أنها مسألة سهلة لكن كما ترون التدرج سيأتي ما هو أصعب منه، ما دورنا؟ لابد أن نكون حصانة داخل نفوس الناس، إذا وقع هذا البلاء لا يرفعه إلا الله، ولا يدفعه إلا الله، لا تتعلق، الحلقة والخيط ماذا حفظتم فيها؟ حفظتم أن القوم يلبسون حلقة وخيط لرفع البلاء أو دفعه، ثم تعلمنا أن لا يرفع البلاء ولا دفعه إلا الله عز وجل، الفرق بين الحلقة وبين هذه أن هذا سبب مقبول، لكن لا يصح لي هذا التعلق بالسبب، وهذه الرهبة العظيمة من المرض.

لكن قدر أنك أبتليت كيف ستعامل البلاء؟ لابد من الكلام عن الصبر، لابد من الكلام عن التعلق بالله، لابد من معرفة أن المسلم حتى الشوكة يشاكها يرفع بها، أنا لا أقول لك أرمي نفسك لكن أقول تبتلى، حديث: "لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا صَفَرَ " الناس كأنهم

لا يعرفونه، وكلمي أحد عن لا عدوى ولا طيرة يقولون الأخذ بالأسباب!، هذا الكلام أقوله مع طفلة عمرها ١٢سنة أقول لها "لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا صَفَرَ " تقول أنا أخذ بالأسباب، انظري الآن كيف حفظوا هذه الكلمة.

على كل حال؛ المقصد أن مثل هذا البلاء كشف النفوس، كشف الحاجة إلى التوحيد، كشف إلى أي درجة الإعلام يضغط على الناس حتى الذين معهم معتقدات صائبة، يعني لم تكن علتنا عوام الناس بل كانت علتنا أيضًا خواصهم، لماذا؟ الإعلام فعل لهم رهبة، خوفهم، مَن كان يعتكف ترك الاعتكاف، مَن كان مجاور خاف من المجاورة، وانت مستقيم وتعتكف ووصلت إلى حالة أنك تعتكف!، متى سيأتي رمضان مرة أخرى؟! ربما مت بحادث سيارة ولم تمت من هذه الأنفلوانزا وذهب عنك الأمر العظيم، ربما حصل لك كذا وكذا من العوارض التي ليس لها علاقة بالموت، وما استطعت، مَن الذي فعل في نفسك هذا الفعل؟ انت الذي فعلت، **يعني أصبحنا الآن بين فكين بين عوام لا يعرفون التوحيد وبين خواص الإعلام ضغط عليهم.**

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: من أجل ذلك نقول هذه الصورة التي ضعيفة في بنياها، يعني أصل الصورة ضعيفة، الأنفلوانزا هذه كذبة كبيرة، ومرض موجود لا ننكر، لكن ضعيف ليس ذاك الشيء الذي نوصله أن يكون وباءًا عالميًا، إذا كان حالنا هكذا في هذا ماذا لو وقع حقيقة؟! ماذا سيكون؟!.

من أجل ذلك نقول ماذا يجب؛ يجب أن نتعامل مع هذا الموقف كأنها صورة كاشفة علينا أن نفعل في المستقبل كذا، يعني في بعض الدول العربية قيل سنحفر مقابر جماعية، يعني يقولون في بعض الدول العربية أنه قيل لهم سنحفر مقابر جماعية لماذا؟ لأنهم سيموتوا بالجماعة فيدفنونهم، بهذه الصورة!، الله المستعان.

لكن ربي سيردهم لأنه كما حصل في رمضان، صحيح في أول الشهر كان هناك لكن في النهاية عاد الحال كما هو بالضبط، الخاتمة حضر فيها يمكن ثلاثة مليون، ليلة السبعة والعشرون حضر مليوني ونصف على العادة، في العيد حضر أكثر من ثلاثة مليون ونصف، على العادة لكن على العادة وهم متجوسين خيفة أن يرجع بيته يجد نفسه مريض، الله المستعان.

على كل حال؛ نحتاج إلى الإيمان بالقضاء والقدر، مفاهيم كثيرة أرجو منكم أن ترتبوا أفكاركم نتيجة التجربة التي مرت عليكم، وكل واحد فينا وتجربته، ثم كأننا نخرج منظومة نتعامل معها.

ومن أجل أن تفهمي هذه المسألة أكثر كأني أقول لك الآن انت وقفتي مع أحد حصل له شيء من التشويش في مرض الأنفلوانزا هذا، فتقولي أكتشفت أن الناس يحتاجون إلى علاج أو إلى تأكيد مفهوم التوكل على الله مثلًا، هذا مفهوم، تعديل مفهوم الأخذ بالأسباب، الوسواس هذا مرض، مرض عظيم وأصاب ناس كثيرين ولا أحد يشعر، متى أكتشفت؟ اكتشفت الآن أنهم مصابون بالوسواس، أيضًا من هذه المنظومة منظومة التهويل، أنهم يأتون إلى شيء ويهولوه، ويقولون مات في الحرم كذا وكذا، وكل هذا الكلام كذب، لا مات في الحرم ولا الناس كذا، كل هذا كلام كذب.

أيضًا من الأشياء التي لوحظت ما نسميه بالإصغاء الإعلامي يعني أعطوا آذانهم للإعلام كأنهم صم بكم لا يفهموا، فأعطوا آذانهم للإعلام، هذه قضية خطيرة، لابد من تكوين حصانة تجاهها، يأتينا أيضًا طلاب العلم الصغار الذين لا يعرفوا ما يفتحون من موضوع في هذه الحال ويأتوا بحديث "فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ" ويخطب خطبة عليه، والناس لا ينقصهم خوف من أجل أن تقول هذا الكلام.

كأنك الآن عندما دخلتي في أزمة هذه ثغرات ثغرات لابد من تسديدها، فمن أعطي قلمًا كتب، ومن أعطي قدرة على البحث كتب، إلى أن نجمع منظومة نكتب فيها مثلًا كيف نكشف عن نفوسنا، عن التوكل، حال الأوبئة ماذا نفعل، اكتبوا ينفع الله بكتاباتكم واتركوا ثم يأتي قوم ينتفعوا منكم، فيجب أن نستفيد من هذه التجربة، لابد، وأنا أقول والله أعلم – وهذا ليس تنبؤًا – لكن من يعلم سنة الله في الكون أن هذا الذي حصل ينبأ عن مصيبة قادمة، مصيبة قادمة من نفس النوع، لكنها أعظم وأشد، فلذلك لابد أن تستعدون، لا تخافوا الآن! تخافوا من المرض؟! خافوا على إيمانكم، خافوا على توحيدكم! – سبحان الله!– كيف الناس يخافوا على هذه الأجساد التي سيأكلها الدود ولا يخافوا على أرواحهم التي ستعذب! كيف؟!، عجيب عجيب عجيب، قانون عجيب، طبعًا هو ليس عجيب في قانون الناس أهل الدنيا، لكنه قانون عجيب لمن يعرف الحقيقة، إلى هذه الدرجة لا أريد أن يقع علي شوكة لكن أعذب نفسي بالذنوب وأأتي بالقيود الثقال علي ولا أشعر بخوف أمر عجيب!، والنار لها أسبابها خذ بالأسباب التي تبعدك عنها، الجنة لها أسبابها خذ بالأسباب، إذا تريد تكلمني عن الأسباب كلمني عن أسباب دخول الجنة والزحزحة عن النار، كلمني عن هذه الأسباب أين انت عنها؟!.

قولي له قم صلي، يمآطلك، أو قولي له خذ مصل أو خذ تطعيم وهو من النوع الذي فيه وسواس ويخاف على رجليه يجري! سبحان الله، والصلاة وقاية من النار! هي سبب للوقاية لكن يكيلون بمكيالين، وطبعًا هذا إشارة إلى ضعف الإيمان باليوم الآخر وإلى أخر منظومة الضعف الموجودة في القلوب لكن نحن نقول آمنا بالله، آمنا بالله.

واضح الطلب فاجتهدوا في تنفيذه، واجمعوا قلوبكم على نفع الناس، لا تعرفي هذه الكلمة ستنفع من، ونحن وجدنا في كلام الأولين عندما كتبوا في الأمور التي تمر عليهم وجدنا شفاء لعلل وقعت في قلوبنا، فأكتبوا ينفع الله بكم، خصوصًا الناس الذين أعطاهم ربي أقلامًا.

على كل حال؛ أطلنا عليكم في هذا الموضوع نبدأ في الكلام حول الأبواب التي وصلنا إليها، طبعًا لم انتهي من الكلام حول أهمية التوحيد لكن يكفينا ما سمعنا ونبدأ بالكلام مباشرة في الباب الذي معنا اليوم.

انتهينا من مجموعة الاستسقاء بالأنواء ووصلنا إلى باب أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان، ثم أتت صور عبادة الأوثان من أعظم صور عبادة الأوثان السحر، ثم أتانا الكلام حول أنواع السحر، أنواع السحر أتاك الكلام حول التطير، حول التنجيم، حول الاستسقاء بالأنواء والكهانة، والنشرة إلى أخره، انتقل الشيخ الآن من الكلام عن هذا النوع الذي يقع فيه الشرك في الأفعال، كل الذي مضى شرك في الأفعال، يعني يقع بفعله في الشرك، الآن سنتكلم عن العبادات القلبية وكيف أن الشرك يقع فيها.

أريد منكم أن تميزوا بين القلب السليم والقلب المريض، ماذا تقولون؟ كأني أريد أولًا أنك تقولي لي أن القلب فيه اعتقادات وفيه أعمال، هذه أول معلومة نفهمها؛ أن القلب فيه أعتقادات وفيه أعمال للقلب.

- اعتقادات القلب ما معناها؟ ما ينعقد عليه القلب، ينعقد على المحبة، على الرجاء، على حسن الظن بالله، على تعظيم الله، هذه كلها اعتقادات قلبية.
- الأعمال ممكن تذكري في الأعمال تقولي المحبة أيضًا، لأن المحبة تزيد، تنتج عملًا، يعني المحبة بنفسها اعتقاد، تعتقد أنك تحب الله عز وجل، لأنه سبحانه وتعالى له من صفات الكمال ما له سبحانه وتعالى، خوفك من أعمالك، الخشية من الأعمال، فانت تعتقد أنه كامل الصفات، تعتقد أنه سبحانه وتعالى مبرأ من كل نقص، هذا كله تعتقده، تعمل، تحب، ترجو، تخاف.

لذلك هناك شعر دقيقة بين الاعتقاد وبين العمل، لذلك أحيانًا نذكر العمل في الاعتقادات، نقول تعتقد أن الله يستحق المحبة، لما له من كمال الصفات، في العمل تحبه، تعتقد حسن الظن بالله، أنه سبحانه وتعالى لا يستحق منك إلا حسن الظن، في العمل تحسن الظن به.

إذن الاعتقادات مبنية على اعتقاد كمال صفاته سبحانه وتعالى، وتنزيهه عن النقص والعيب، وأن كمال الصفات يوجب عليك محبته وحسن الظن فيه، وأن لا يكون رجائك إلا به، الأعمال [أن ترجوه، أن تحبه].

كلمني عن القلب السليم والقلب المريض، بعدما عرفتي أن القلب له أعتقادات وله أعمال.

- ما القلب السليم؟ سنقول أن القلب السليم سلامته على قدر سلامة أعتقاده وعمله.
- القلب المريض مرضه على قدر سوء اعتقاده وسوء عمله.

انتم تعلمون أنه لاينفع عند الله إلا القلب السليم، اوصف القلب السليم، قلت أن السلامة على قدر سلامة الاعتقاد، اوصف لي سلامة الاعتقاد؟ يمكن وصفنا سلامة الاعتقاد، فلنصف العكس؛ اوصف المريض: أول شيء من جهة الاعتقاد: إذا كنا نقول أن القلب السليم يعتقد أن الله كامل الصفات؛ القلب المريض أمَّا ينكر كمال صفات الله.

كيف ينكرها؟

- النوع الأول: أن يشبه الله بخلقه أو يشبه الخلق بالله.
- النوع الثاني: الغفلة عن كمال صفات الله، هناك واحد هو بنفسه به نوع اعتقاد فاسد، وهناك نوع ثاني غافل، قلب ليس بسليم ليس لأنه يعتقد اعتقاد باطل، لا، لأنه غافل عن الاعتقاد السوي.

الغافل عن الاعتقاد السوي عندما تأتيه الوساوس لا يستطيع مدافعتها، أمَّا القلب المريض الغير سوي هو الذي يأتي بالأفكار الفاسدة على قلبه، يريدها هو على قلبه.

اضرب مثل من المعتقدات الفاسدة التي يمكن أن ترد على قلب الشخص؟ لاحظ أن الشيطان يرى أنت قلبك فاسد فيستعملك، اضربوا مثال، اجعلوها من واقعكم

رد من الحاضرات ثم الأستاذة: مثلًا أن يقع في قلبه عمليًا القنوط من رحمة الله.

نأتي نقول له لماذا تقنط من رحمة الله؟! يقول أنا فعلت وفعلت وفعلت ولا يعتقد أن رحمة الله واسعة، وأنه لو تاب يرحمه الله، نقول له لماذا رحمة الله واسعة؟! يقول فكر بعقلك أنا لو أتيت أأذيك انت المرة الأولى والمرة الثانية والمرة الثالثة والمرة العاشرة ولي عشرين سنة آآذيك وأحاربك – انظري عقله الآن ماذا يقول له- عشرين سنة وأنا أؤذيك وأحاربك ثم أأتي أقول لك سامحني ستسامحني؟!، يقيس الله عز وجل على خلقه، تقول له انت أصلًا غافل كيف تكلمني عن الله بهذه الصورة؟!، عندما تتكلم عن الله غير ما تتكلم عن الخلق، الله وصف نفسه سبحانه وتعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٣٧٨] !، وأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، انت أصدق في توبتك يقبلها الله، ثم عش في حياتك وانت تكرر التوبة، فانظر هذا الفساد في الاعتقاد أورثه عامل فاسد قلبي، وعمل فاسد جارحي.

[٣٧٨] الأعراف:١٥٦

اضرب مثال أخر غير القنوط من رحمة الله.

رد من الحاضرات ثم الأستاذة: هذه الصورة العكسية، فلنناقش مسألة تمثيل الله عز وجل بخلقه، سوء الظن مثلًا الذي يقع في قلب كثير من الناس، أنهم يظنون أن الله لو وسع عليهم في الدنيا أنه راض عنهم، وإذا وسع عليهم في الدنيا وهو راض عنهم معناه أنه في الآخرة راض عنهم، يعني وسع عليهم في الدنيا لأنه يحبهم، هكذا يفهمون، وسع عليهم في الدنيا لأنه يحبهم إذن ماذا سيحصل في الآخرة؟ كما وسع عليهم في الدنيا سيوسع عليهم في الآخرة، لماذا؟! لأنه يحبهم.

مَن قال لكم أنه يحبكم؟!، نقول انظر وسع علينا في الدنيا، هذا من سوء الظن، وهذا أول شيء معتقد باطل ثم أتى بعده سوء الظن، ثم يأتي بعده الأعمال مثلما ورد لكم في سورة الكهف.

وانظروا أيضًا عكس هذه المسألة ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[٣٧٩] ماذا يعتقد؟ ينظر لنفسه ضاق عليه رزقه إذن ربنا لا يحبني، مَثَل الله الآن بالخلق يعطون من يحبون على هواهم، ويمنعون من يبغضون على هواهم، فمثل الله بخلقه أنه يعطي ويمنع على الهوى – تعالى الله عما يقولون–.

وهذه كلها أمراض، انت يا طالب العمل هذا المرض الذي ذكرناه قريبًا ممكن أن تقع فيه بصورة مشابهة، كيف؟ تأتي تقول فتح لي باب العلم، وفتح لي فيه وميزني الله وشرح الصدور لي والناس أصبحوا يسمعوني، إلى أخر ما تسمع وترى، لماذا؟ أكيد أن الله يحبني، تفسر عطاء الله لك في الدنيا وفتحه لك في قلوب الناس أنه محبة ورضا من الله فتتكل على ذلك هذا سوء ظن!، فماذا يكون النتيجة؟ تركك للعمل الصالح، اعتمادك على بعض الأعمال التي قدمتها، وهكذا.

ولذلك وأقول لكم هذا الكلام وهذا الكلام – لا أذكر الاسماء – لكن انتم ستتقدمون إن شاء الله في البحث في المصطلح وسترون هذا الأمر، أن من الرجال الذين برزوا – هو مثل على شخص واحد – من الرجال الذين برزوا في نقل الحديث وأصبح الناس يغشون مجلسه من أجل أن ينقلوا عنه الحديث كان لا يصلي، كان لا يصلي!، واختبره أصحابه اختبارًا من أجل أن يظهر لهم صحة هذا الأمر لأنه يقول لهم مثلًا أنا صليت هناك أو هناك أو هناك، فماذا فعلوا؟ وهو نائم وضعوا في رجله الحبر، فبقي ثلاثة أيام يلاحظونه فبقي ثلاثة أيام في قدمه دليل أنه لا يتوضأ، الحقيقة لا أحب أن أضرب هذا المثل أبدًا لأنه مثل العاصفة ، ينزل عليك مثل العاصفة أنه ممكن هذا الأمر، ممكن والذهبي علق عليه، وفلان علق عليه، وهو مقبول الحديث تخيلي!، لأن في نقله للحديث صدق، وصدق يريد الظاهر إذا كان لا يصلي أنه يريد الشهرة، لأنهم يشتهرون بصدقهم، ماذا تقول؟!، هذا يهز وجدانك!، أنه لا تتصور أنك سلكت طريق الطلب ولأنك من طلاب العلم أو لأنك حتى أشتهر لك، أو في مسجدك أو مدرستك أو في مجتمعك أو في بلدك، قدر أنه في العالم الإسلامي أصبح لك شهرة، كل هذا لا يدل بحال على رضا الله، إنما لازلت في الاختبار مادمت حيًا، لكن من طيب الله ثراهم بعدما ماتوا وانتقلوا ورفع مكانتهم ونشر علمهم هؤلاء الذين نحتسب على الله أنه قبلهم، لأن كم موطأ كتب في زمن الإمام مالك ولم يبقى إلا موطأ الإمام مالك.

[٣٧٩] الفجر:١٦

وهذه اعتقادات فاسدة في القلب تعتقد أنك حصل منك كذا وكذا تسيء الظن بالله وتعتقد أنه دليل على الرضا لا تعرف أنك مادام انت في الدنيا إذن انت مختبر، فتخرج منك أعمال فاسدة، وقد يدخل في قلبك من الزهود ما ينافي الإنكسار بين يدي الله المطلوب، فانت لست عزيزًا إلا بقدر ذُلّك له سبحانه وتعالى.

على كل حال؛ بدأنا بالكلام حول المقارنة بين القلب السليم والقلب المريض من أن تفهموا أن هناك أن في الداخل عالم من الاعتقادات، معركة، عالم من الاعتقادات القلبية ينتج عالم من الأعمال القلبية، فإذا خرجت الأعمال القلبية خرجت الأعمال البدنية.

ماذا ترين أصل العبادات القلبية التي يأتي منها العبادات البدنية؟ يعني ما الذي يدفعك للوقوف بين يدي الله؟ أريد ما هو الاعتقاد؟ لو سألتك هل تظنين أن أصل الأشياء المحبة أو أصلها الرجاء أو أصلها الخوف؟ أصل الأعمال القلبية أقصد، ماذا تظنين؟ يعني الشيء الذي نريد منه أن يبقى زائدًا، ما هو الشيء الذي نريده أن يزيد دائمًا؟ المحبة، والخوف والرجاء نريد منهم أن يتوازنوا، فأصبح أصل العبادات القلبية هي المحبة.

المحبة أصل العبادات القلبية لأسباب:

- السبب الأول: أن البصير يرى في كل ما حوله ما يزيد المحبة.

معنى ذلك أن الشواهد التي تزيد محبتك لله متكاثرة، أي واحد بصير سيراها فيندفع القلب إلى المحبة.

- السبب الثاني: أن المحبة تجلب الانشراح، وانت في الأصل في معاملتك مع الله تحتاج أن تكون منشرح.
- السبب الثالث: رجائك، وتعلقك، وآمالك، تصرف لمن تحب، يعني لا يمكن تأتي لشخص تبغضه ويكون عندك أمل فيه، فالقاعدة تقول أننا آمالنا ورجائنا كلها تنصرف لمن نحب، لذلك الأصل أن تحب الله ثم ترجوه.
- السبب الرابع: خوفنا من فقدان الرضا مصروفًا لمن نحب، انت الآن ألست إذا كنت محبًا لأحد ألست تحمل همّ أن ينصرف رضاه عنك، فتبقى بين محبة هي الأصل، والمحبة تأتي لك بالرجاء، فيكون آمالك ورجائك فيمن تحب، ثم هذه المحبة تورثك خوفًا على رضا من تحب، وإلا لو لم تكن محبًا لما كنت خائفًا على الرضا، وإن كان الخوف له عامل أخر، لكن الآن أعلق الرجاء والخوف بالمحبة من أجل أن تتصور أنها هي الأصل، المحبة هي الأصل.
- السبب الخامس: أن الآثار التي تظهر على الأبدان من الأعمال لابد أن يكون المحرك لها قلب محب، لو قلت لك السلامة من النار ماذا تضع من فعل قبلها؟ اوصف لي مشاعرك من السلامة من النار؟ ستقول أحب السلامة من النار، إذن هذا المخوف لازالت انت تحب السلامة منه، يعني حتى الأمور التي تخافها انت تحب أن تسلم منها، أصبح الذي يحركك المحبة، المحبة لكمال الصفات، المحبة للبعد عن المخاطر، المحبة لأمنياتك وإلى ما ترجوه، أصبح مدار أعمالنا على المحبة، وانتم تعلمون هذا البيت المشهور:

تعصي الإله وانت تزعم حبه ⁂ هذا وربي في القياس بديع.

لو كان حبك صادقًا لاطعته ⁂ إن المحب لمن يحب مطيع.

هذا هو القانون: أن المحب لمن يحب مطيع.

اتفقنا الآن على هذه النقاط الخمسة بينت لنا أن المحبة تعتبر أصل، فلنأتي نضيق كلمة المحبة ونقول محبة العبادة، ومحبة العبادة تكون في القلب ويكون معها الرغبة والرهبة والطاعة والسعي في مراضي المحبوب، والبعد عن ما لا يحبه المحبوب، وهذه المحبة تقتضي امتثال الأوامر واجتناب النواهي مطلقًا، يعني لا تفكر في الأمر.

ولذلك في الحديبية تعلمون موقف عمر رضي الله عنه عندما أتى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قال ألست رسول الله؟ لماذا نقبل الدنية في ديننا؟، إلى أخر كلامه، ماذا قال عمر رضي عنه بعد ذلك؟ قال: " فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا "[٣٨٠] يعني بسبب اعتراضي على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تداول الصحابة قول: " اتَّهِمُوا الرَّأْيَ عَلَى الدِّينِ "، أي لا يكون لكم رأي أبدًا في دين الله، اتهموه، لا تأتوا إلى دين الله وتعاملوه بالرأي.

فهذا كله لماذا استشهدت بهذا الكلام من أجل أن أقول لك أن المحبة تورث الامتثال للأوامر واجتناب النواهي مطلقًا، ولذلك في حديث سعد رضي الله عنه، الحديث عندما دخل الصحابي الذي رأى رجلًا مع امرأته ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لابد أن تكونوا أربعة شهود وإلا الحد، فقال سعد: لو رأيت رجلًا وكان معنى كلامه أنه لأخذت سيفي وقطعت رأسه، فماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ " أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ" لأن الصحابة قالوا سعد لم يتزوج إلا بكرا وإذا طلق امرأة لا يدرأ أحد على الزواج منها.

فهم يتكلمون عنها معجبين بغيرته فقال الرسول صلى الله عليه وسلم "أتعجبون من غيرة سعد" ثم وصف نفسه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أغير من سعد ووصف الله بأنه أغير منه، ما معنى هذا الكلام؟ هذا ليس مدحًا في سعد، إنما أن الله الذي يغير على محارمه سبحانه وتعالى وهذا وصفٌ ثابت له، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم يغير على محارم الله لكن الأمر العرض والدماء أمر عظيم، فبعد ذلك أعتذر سعد للرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يريد الاعتراض على الدين، لكنه أمر يصعب عليه، يعني كان سعد ليس في قلبه اعتراض على الدين لكنه عبر عن ما قام في قلبه، فما كان هذا القول للنبي صلى الله عليه وسلم رضا عن غيرة سعد، لا!، إنما الذي شرع هذا الشرع أغير من سعد، فلا يقدم كلامه على كلامه ثم نزلت آية المداهنة.

المقصد لابد أن تعلمون أن الطاعة للشرع مطلقة، فهناك رأي، هناك حمية، هناك أمور كثيرة، لكن انت ماذا تفعل أمام هذا كله؟ تلقيه خلفك ومحبتك تورثك الامتثال المطلق للشريعة دون أن تدخل فيها رأيك ولا موروثاتك.

- المقصد أن هذه محبة لا تصرف إلا لله، هذه محبة العبادة.
- نرى النوع الثاني من أقسام المحبة نعبر عنها أنه محبة ليست لعبادة في ذاتها، وهي محبة مشتركة، هي ليست بنفسها عبادة، نرى المحبة الطبيعية.

---

[٣٨٠] قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ [مَرْوَانَ] وَالْمِسْوَرِ ، وَرَوَاهُ أَبُو وَائِلٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَقُلْتُ : أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟ قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ ؟ قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَنْ ؟ قَالَ : إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي ، قُلْتُ : أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ : بَلَى ، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ ؟ قُلْتُ : لَا قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ ، قَالَ : فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا ؟ قَالَ : بَلَى . قُلْتُ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ : بَلَى . قُلْتُ : أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ ؟ قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَنْ ؟ قَالَ : أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ لَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، قُلْتُ : أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ : بَلَى ، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ ؟ قُلْتُ : لَا قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ .قَالَ الزُّهْرِيُّ : قَالَ عُمَرُ : فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا .

يدخل في المحبة الطبيعية محبة الإشفاق والرحمة مثل محبة المرضى، الضعفاء إلى أخره، أيضًا تدخل فيها محبة إجلال وتعظيم دون عبادة، مثل محبة الولد لوالده، محبة الطلاب لشيخهم هذه كلها محبة إجلال وتعظيم دون عبادة، أيضًا هناك محبة الإنسان لما يلائمه مثل محبة الطعام.

المحبة الطبيعية فيها ثلاثة أشياء:

- محبة الإشفاق.
- محبة الإجلال والتعظيم دون عبادة.
- محبة ما يلائم، مثل محبة الطعام، محبة البيوت الساكنة إلى أخره.

هذه المحاب ما الموقف منها؟ إن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب الطاعة، وإن لم تعن على طاعة الله ولا على معصيته فهي دائرة في المباحات.

- النوع الثالث: إن صدت عن محبة الله وتوسل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات، هذه المحاب ممكن أن تعين على طاعة الله أصبحت طاعة لا تعين لا على الطاعة ولا على المعصية أصبحت مباح، فتحت باب المعصية أصبحت منهي عنها، هذه محبة ليست بعبادة.
- هناك نوع رابع محبة في أصلها ليست عبادة لكن العبد يقوم بها تقربًا وهي التي نسميها محبة لله وفي الله.

يحب مثلًا الأمكنة، الأزمنة، أشخاص، أعمال، هذه المحبة تعتبر تابعة لمحبة الله.

- الأمكنة يحب الحرم.
- الأزمنة يحب رمضان، الأشهر الحرم، يوم الجمعة، يومي الاثنين والخميس.
- الأشخاص يحب الملائكة الصحابة إلى أخره.
- من الأعمال يحب الطاعات عمومًا.

هي محبة ليست بعبادة في ذاتها وهي المحبة المشتركة، الأماكن والأزمنة والأشخاص والأعمال يمكن أن تحب لله ويمكن أن تحب لمجرد الطبيعة، لذلك نحن نأتي بتعبير مشتركة متى تكون قربة إلى الله؟ يعني حبك للأماكن متى يكون قربة؟ إذا انت حبيتها لله، متى تكون الأزمنة قربة؟ إذا كانت لله.

في هذا النقاش دائمًا يأتينا مشكلة محبة الأشخاص هي الحب في الله، فأنا عندما أريد أن أشرح للناس ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[٣٨١] كلمة أنداد تحتمل أي شيء جعلته انت في قلبك ندًا لله، وممكن يكون الأماكن، ممكن الأزمنة، ممكن الأشخاص، ممكن الأعمال، انتم تعلمون أن الغالب على الندية هو الأشخاص، وإن كان الأمكنة تكون ندًا، وانظر إلى القومية العربية، القومية العربية جعلت العرب والوطن ندًا لله.

تعلمون ما القومية العربية؟ مادام لا تعلمون ابحثوا لو سمحتم، لابد أن تبحثوا، لا أسألكم مرة أخرى ما القومية العربية ولا تعرفوا تجاوبوني، لأن هذه الحركة من أكثر الحركات التي أثرت على العالم الإسلامي، وأنا أريد منكم أن تعرفوها تاريخيًا لأن رؤوسها عادت

[٣٨١] البقرة:١٦٥

مرة أخرى وظهرت، ومن جديد عادوا يتكلمون عن القومية العربية، فهؤلاء لهم أبيات شعر، ومن سيقرأ في القومية سيرى كيف أن لهم أبيات شعر فيها كفر بالله، وهذا كله من أجل الوطن والعربية إلى أخره.

لا يتصور حب الأزمنة حبًا يكون فيه هذا الحب فيه ندية مع الله، ربما هناك حب للأعمال يجعلها ندية كحب المال والتجارة إلى أخره، لكن كما تعلمون أن أكبر مشكلة عندنا هي مشكلة الأشخاص.

عندما أأتي اكلمك عن الندية لابد أن تتصوروا أن هذه الندية عبارة عن مشاعر تقع في قلب العبد تجعله في زمن يطلب رضا غير الله كما يطلب رضا الله.

وأنا كثيرًا ما أهرب من هذا الموضوع – موضوع الأخوه – وعندما عرفت أننا وصلنا هذا الباب وأني سابدأ اليوم بهذا الباب جائني اكتئاب لأن هذا الموضوع الكشف فيه أمر صعب، لكن أريد منكم أن تكونوا صادقين واسمعوني ولا تفكروا في أحد غير أنفسكم، لا تفكري في أحد غير نفسك، لا تكلميني عن أحد أو تجولي بخاطرك في أي أحد.

اسأل الله أن ينفعكم.

الآن عندما أأتي أتكلم عن الأخوة، هل تتصورين أن هذه القيمة – الأخوة –أمرًا سهلًا؟ نحن نقول هذه الأخوة كأخوة تكاد تكون معدومة أو نادرة التي هي كما ينبغي.

لماذا نقول هذا الكلام؟ لأن هذا العمل من جهة الشرع رتب عليه أجر عظيم، وانتم تعلمون أن الأجر عندما يعظم سيكون العمل لابد أنه عظيم، صعب، يحتاج إلى جهد، وإلى صدق.

وانتم تحفظون كثير من النصوص التي تتكلم عن الأجور المرتبة على الأخوة، اضربوا أمثلة: سبعة يظلهم الله تحت ظله، وتحت ظل عرشه في الرواية الأخرى، منابر من نور تغبطهم الملائكة والأنبياء والشهداء، أتكلم عن النصوص التي أتت في الوعد، المهم يكفينا هذه النصوص التي تحفظونها، هذا كله دليل على عظم مكانة الأخوة، واتفقنا أن الجزاء إذا كان عال فلابد أن يكون العمل عال، هذا أول اتفاق؛ أن المسألة تحتاج أن تفهم أن الأخوة عمل نوعه صعب.

لماذا صعب؟ هذا دليلنا على أنه صعب لكن السؤال في الواقع لماذا صعب؟ مع أننا في الواقع نقول لأحد عندما نراه أنا أحبك في الله وانتهى الموضوع؟! المشكلة أن يكون متجرد لله، لأن الغالب أن المحاب مبنية على الهوى بدليل أنه لو اعتدى علي أحد وأنا كنت أقول عنه أني احبه في الله واعتدى علي ماذا يكون موقفي لو كنت غير متعلق لأن المتعلق هذه قصة أخرى، أنا سأبدأ بالمعتدل.

واحدة معتدلة، علاقتها معتدلة بزميلتها وترى فيها قدوة ومثل وترى فيها أنها تقية مثلًا تقول في نفسها هذه أسباب تكفيني أني أحبها، ثم تعتدي عليها صحبتها بكلام وبأي شيء، بسوء استقبال ممكن ماذا يحصل؟ تنقلب المحبة إلى عداوة، إلى بغض، يكفيني شاهد أن هذه ليست لله.

أو الآن كنت مثلًا كان لي علاقة جيدة بك وأصنف علاقتي بك بمحبة في الله ثم حصل بيني وبينك خلاف فيأتي مثلًا عزاء لأحد الزميلات لا أرسل أقول لك حصل كذا وكذا، مثلًا المفروض هناك واجب المفروض أسلمه فلا أرسل، مع أن الآن كنت أحبك بعد ذلك اختلفت معك، بعد ذلك في بعض الحقوق انتهت بالنسبة لي العلاقة كمحبة، تعال انظر موقفها في الحقوق؛ حتى حقوق

أخوة المسلمين بعضهم على بعض لا تعاملها بها، خصوصًا في فترة الغضب هذه منها، لها حقوق، أليس المسلم له حقوق عليك؟! بلى!.

وانتم بالذات في مجال العلم الناس لهم حقوق عليكم وانتم لكم حقوق على بعض لأنكم زملاء، فيحصل الأحداث وتقول انتهى، بكيفها، أنا ليس لي علاقة، أنا أتكلم عن الحد الطبيعي وكيف يقلب، أكيد متصورين، فالمسألة تابعة للهوى بالضبط.

ثم إذا حررنا المسألة أكثر سأقول لك ما الذي بعثك على حب فلانة دون فلانة ما الذي بعثك في الحقيقة؟ ما الذي رأيتيه منها من أجل أن يقع في قلبك محبتها؟ فتأتي إلى هذا السؤال فتجدي أنه لا إجابة له!، إلا موافقة الطباع، التي هي موافقة الهوى، ففي الأصل لم تحصل علاقة إلا بسبب موافقة الهوى، ونحن ندّعي لأنفسنا أنها محبة في الله، هل ممنوع موافقة الهوى؟ لا، ليست ممنوعة، أنا ممكن يأتي أحد ويوافقني طبيعته وشخصيته ويناسبني لكن لا تكذبي على نفسك وتقولي أن هذه محبة في الله، هذه محبة ما يلائم، لائمك فحبيته، تحبي تدرسي معه لأنه يفهمك، تحبي تدرسي معه لأنه معطاء، يعطيك، يساعدك.

ما هي المحبة في الله على ذلك؟ تحبه لأنك في تجد في نفسك أنه عبد صالح يحب الله، لما تراه من تقواه، لما تراه من ورعه، لما تراه من حرصه على الطاعة، لا حرصه على مصلحتك! بل حرصه على الطاعة، يعني انت ممكن أن تكون جالس في مكانك ولم تكلمه أبدًا لكن تحبه في الله.

الحب في الله ليس لازمًا أن تكون هذه المشاعر فيه، حب في الله على الصامت تكون، ليس شرط كل هذه التعابير المنكوتة، انت ممكن أن تحب الأموات في الله، مثلما نحب مشايخنا حبًا عظيما، وعندما تأتي لحظات نتذكر أوائل الطلب وكونهم أحياء وكوننا نستطيع أن نكلمهم تكاد قلوبنا تنقطع من محبتهم، حبك للمعاصرين الذين ماتوا، وحبك لمن قبلهم، أقول لك الناس الذين لهم علاقة بابن القيم ويقرءوا له ماذا يكون في قلبك عندما أقول لك ابن القيم؟ تشعري بمشاعر المحبة، فما بالك بحبك للرسول صلى الله عليه وسلم، ما بالك بحبك للصحابة عندما تسمعي عنهم، هذا هو حقيقة الحب في الله، أن تحب أحد لتقواه، لإيمانه، لصلاحه، لطاعته.

الآن عندما تقرأي عن عثمان رضي الله عنه وكيف هذه التقوى العظيمة، وكيف هذا المصحف الذي كان يختم في ليلة، في قيام الليل كل يوم يختم ماذا يقع في قلبك تجاهه؟!، كيف أنهم دخلوا قتلوه وهو على مصحفه يقرأ، ماذا في قلبك تجاه أحد بهذه الصورة.

انتم عندكم تقصير في معرفة الصحابة حقيقة، لذلك لابد من عالجتها، وأنا سأذكر لكم إن شاء الله طريقة للمعالجة عسى تنفعكم وتنفع أخواتكم في هذه البلاد وبلاد المسلمين.

المقصد الآن هذه المحبة، فالمحبة في الله الموجودة المنتشرة بين حالتين – لا تكتبوا هذا المقطع كله لا تكتبوه لكن اسمعوني بقلوبكم– بين حالتين:

بين حالة المحبة لم تتعمق إلى الداخل وتصل أن تكون تعلق إنما هي حب ما يلائم، وافادتك فانت تحبيها لأنها مفيدة، ليس ممنوع، لكن المشكلة أن تسمي هذه المحبة حب في الله، يجب أن تفهم ما هو الحب من أجل أن لا تدّعي إدعاءات، وانظري إلى نفسك لو أتت لك غدًا وقالت لك والله لا أستطيع أعطيك دفتري، لا أستطيع أن ادرس معك، أنا مشغولة، انظري قلبك ماذا يحصل له؟ فحبك أصلًا مبني على مصلحة وما يلائم.

فافهمي نفسك، لا تقولي يارب أنا أتقرب إليك بحب فلانة وانت كاذبة، لا تتقربي إليه ولا شيء فقط كلمة أنا أحبك في الله كلام على طرف اللسان، حب في الله معناه يارب أنا أتقرب إليك بحب فلانة، أحبها فقط من أجلك ليس من أجل غيرك، هذا معنى حبك في الله، انتهينا من هذا النوع.

تأتينا الطآمة التي تنفع في شرح الآية أندادًا، محبة التعلق، التعلق الذي يصل إلى سويداء القلب، بحيث يُعمى المحب عن عيون المحبوب تمامًا، ولازلت أوصيكم ألا تحركوا عقولكم في غيركم، ليس لكم علاقة بأحد، لأن الناس أصلًا مختلفين، وربما ذكرت لكم سابقًا أننا في أول الدفع حصل موقف طريف الحقيقة جعلني كل مرة أؤكد أن هذا المقطع لا تفكري في غيرك.

كانوا أختين في الباص، وانتم تعرفون كيف عندما تركبوا الباصات خصوصًا في الليل لا يتبين مَن الموجود في الداخل، فهاتين الأختين كانوا يجلسوا دائمًا جنب بعض، وعندما يطول عليهم المشوار تضع أحداهما رأسها على أختها فتحركت قلوب الجالسين أنه انظروا كيف هؤلاء متعلقين ببعضهم، وهم في النهاية شقيقتين، فهذه العجلة المقيتة، والأختين أتوا يشتكوا أنهم في الباص قالوا لهم كذا وكذا، وهو لم يتبين طبعًا والناس غير ظاهرين، والدنيا ظلمة والباص مظلل فلم يتبين لهم.

فانت الآن لا تفكر في أحد غير نفسك، ثم إذا نصحت فهؤلاء لهم طريقة خاصة في المناصحة لأن هؤلاء يصلوا إلى مرحلة العمى والصمم، فليس أي أحد يناقشهم، لابد هناك سياسة معينة لمناقشتهم.

وأعظم السياسات في المعالجة؛ أعظمها على الإطلاق قل يارب وهو الذي يقلب القلوب، سأذكر لك مظاهر وربما لا تحتاجوا أن أذكر لكم مظاهر لكن من أجل أن تفهموا كيف التلفيق الحاصل الآن بين الحب في الله وبين التعلق.

التعلق تبدأ نقاطه بشدة الحرص على اللقاء، واحد يكون حريص جدًا على أن يلقى فلان، ليس لمنفعة في دين أو دنيا، في دين أو دنيا أنا أقول، إلا الاستمتاع بوجود فلان، هذه بداية القضية، الحرص على الألتقاء.

ثم يتحول هذا الحرص على الألتقاء إلى الحرص على الاتصال الجسدي، وأنا أقصد هذه الكلمة، وطبعًا ستكون المرحلة هنا في الاتصال الجسدي الخفيف، – أعذروني أنا سأتكلم بصراحة – تجديهم دائمًا حريصين على وضع أيديهم في أيدي بعضهم، وتجد تصرفات غير لائقة – هذه الجملة المفيدة – أن تجد تصرفات غير لائقة، ربما أسمح بها لابنتي، لكن لا اسمح بها بين اثنين، لأن طبعًا هناك فارق شاسع بين أنا وبنتي أو أنا وزميلتي، لابد أن يكون هناك فارق شاسع.

أنا أقول لك هذا الكلام لأنه أتى كلام بهذا المعنى، أنه لماذا تقبلون كذا وكذا، فارق!، مشاعر بنتي أصلًا تكون سوية، لكن هذه المشاعر التي تأتي والحركات هذه لا تأتي إلا من باعث غير سوي، ستتطور طبعًا إلى حركات ظاهرة، حرص طبعًا على الظهور معها في كل مكان، حرص على المكالمات المتكررة، الاتصال الشديد، مع هذه الكلمات التي تجدها بين العشاق، مما ساعد على هذا بلوة الأناشيد!.

قريبًا قرأت تعليق في أحد المنتديات، كان هناك نشيد بصورة فيديو والذي يريد يحركها فيراها، ثم كاتبين كلماته ثم من في المنتدى يعلقوا عليه، فواحد كتب لهم كلام جميل لكن بدل صاحبي ضعوا حبيبي أو حبيبتي، هو يقول لهم، يعني هذا الكلام كأنه يقول لا يليق أن يكون بين واحد صاحبه، هذا الكلام يليق بين واحد وعشيقته، لا يليق بين واحد وصاحبه.

وهذه الأناشيد غذت في قلوب كثير من الشباب والشابات أن هذا أمر لا بأس به، كلمات حب وغزل بهذا المعنى، أني لا أستطيع أن أعيش من غيره، وأني كذا وكذا، ثم يقول لي بعد هذا كله صاحبي!، إذا كنت صحيح لصاحبك فهذه مصيبة، مصيبة حقيقية،

لأن من قال لك أن صاحبك المفروض تكون علاقتك به بهذه الصورة؟!، مَن قال لك؟!، فهذا غذاه، عندما جائت هذه التغذية فأكمل الناقص علينا، فكأن هؤلاء العشاق يكتبوا لبعض أبيات شعر يعني من يحبوا بعض في الله يكتبوا لبعضهم أبيات شعر فيها أحاسيسهم التي لا تنتهي، وكل يوم رسائل من هذا الحب.

طبعًا غير المواقف التي تحدث ويناقشوها، ما هي المواقف التي تحدث؟ تأتي هنا المشكلة، تأتي مواقف الغيرة – لا تكوني صحبتي ثم تذهبي تصاحبي أحد أخر!، كيف نكون نجلس مع بعضنا وفلانة تجلس بيننا، أكيد أنكم رأيتم وسمعتم مثل هذه الأحوال، ثم أأتي في لقاء أو أجتماع عام وتأتيني رسالة فصاحبة الرسالة تقول: هل الغيرة على الصاحبة مشروعة!!، وصلت أن تكون مشروعة!، ماذا أقول؟! بلوة!، ولم تجد حرجًا أن تسأل!، لكن والله الناس يتنبهون من أقل تنبيه، لأن ما الذي جعلها تسأل هذا السؤال؟ الذي جعلها تسأل هذا السؤال كلمة أتت في الدرس تتكلم عن التعلقات والزميلات تجعلها تكتب هذه الكلمة.

معناه الناس يريدوا أن يعرفوا الحق، كثير منهم مخدوعين، وأنا أذكر أحد الشابات التي يسر الله لها طريق العلم تقول مرت علي مرحلة المتوسط والثانوي كنت أرى الصاحبات اثنين واثنين وأنا لا أجد أحد يقبلني بصورة فردية، فعندما كبرت وأصبح لها نصيب من العلم تقول هذا من رحمة الله أن حفظني من العلاقات الثنائية التي لا أعرف باطنها، كنت أشعر أنهم أكيد أنهم مستمتعين، أن أحد يصاحبه وتعرف كل شيء عنها وتعرف أخواتها، وطبعًا هذا موجود، وتعرف اسمائهم وداخلة في العائلة الثانية دخولًا كاملًا، وحريصة على أن تظهر في كل مكان معها، وتلبس مثل ملابسها، ملابس متطابقة، كل هذا موجود وانتم تعلمون.

تأتي طبعًا الطامة الكبرى مسألة الغيرة التي تفهمي منها أنه يصل الأمر إلى الحد الأقصى، ثم هذا الحد الأقصى الآن في المشاعر، ثم لا تسأل بعد ذلك عن – للأسف – عن عملية الإشباع الجنسي الذي يحصل بين الطرفين أمَّا مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، لأن هذه المسألة فيها تفاصيل طبعًا، فيها طريقة مباشرة وطريقة غير مباشرة، وانتم تعلمون مثل هذا.

كأنكم ستسألون ما علاقة هذا كله ببابنا ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ نقول نعم عندما يصل الإنسان إلى درجة ما نسميه العشق هذا بدأت العلاقة أخوة ثم تعلق ثم عشق، العشق هذا يجعل المحبوب في صورة الإله الذي تدور في فلكه، تحبه ولا تستطيع الإنفكاك عن حبه، ولا تجد في نفسك مجاهدة ولا مدافعة، ولا تجد في نفسك طلب للبعد، لا انت حتى تخترع موضوع من أجل أن تكلمه.

حتى أنا أعرف مواقف واحدة مثلًا أمنوها على إدراة مكان أو على مشروع خيري إلى أخره، ولها صاحبة تكاد تكون بمنزلة العشيقة، فتفاصيل الأحداث لأنهم ليس عندهم موضوع يتكلموا فيه فتفاصيل الأحداث التي تحدث في عملها تخرج إلى صحبتها، نسخة طبقة الأصل من الأحداث لأن ليس هناك موضوع فأخترع المواقف والأحداث لأبقى على صلة، وكل تفكيري أني أبقى مع فلانة، أسايس كل المواقف لأبقى مع فلانة.

إلى أن يصل الحد في هذا العشق أن لا تريد رضا أحد غير رضاها، لا تجد في نفسها إنشغال بشيء إلا بها، هذه الصورة نحن نقول إذا كانت مع الزوج نقول عنها صورة فاسدة، ونقول لابد أن تنتبهي على قلبك وتجمعيه على الله وتجعلي لكل شيء حد هذا إذا كانت مع الزوج، فما بالك مع العشيقة ماذا سنقول؟!، والمصيبة الكبرى وبعد هذا كله سموا هذه العلاقة حب في الله!!، وتنتشر أين؟! انتم تعلمون أين تنتشر، ثم هؤلاء يحفظون كتاب الله ويدرسون كذا ويفعلون ويفعلون، ثم ليس هناك استجابة، لا يوجد استجابة لأنه عمى وصمم معًا، فلا تراه يرى ولا يسمع.

على كل حال كلنا بدون استثناء عرضة لهذا البلاء، لا أحد الآن يمر على خاطره الحمدلله لم أقع!، ابدًا، لأن في أحد المواقف أتت واحدة تقول ربما الناس الذين كانوا من بداية يحضرون درس الخميس ربما سمعوا هذا الكلام بتكرار، وأنا أتكلم عن التعلق وعن العشق إلى أخره، فهي كانت تحضر من ١٤١٨ فجائت بعد كل هذه السنين تقول لي جائتني مشاعر الملل من كثرة ما تتكلم عن التعلق، لأن كان في وقتها أعظم ظاهرة في وقت ١٤٢٠،١٤١٩،١٤١٨، كان أعظم ظاهرة التعلق، في مدارس التحفيظ وفي الأماكن التي تجمع الناس أهل الدين، تعلمون أن ليس كل من سيدخل المدرسة سيكون مستقيم، هناك ناس أصلًا في حال انحراف ودخلوا يريدوا الهداية فوقعوا في المصيبة مرة أخرى.

المهم في ١٤٢٣ تقريبًا اتت تقول ما مللت منه وقعت فيه، فكأن هذه التجارب تعلمنا أنه لابد أن يكون هناك قواعد في التفكير، لا تأتي إلى أي شيء انت الآن مستقذراة فتتصوري أنك لا تقعي فيه، أبدًا، أبدًا.

المعنى أن القلوب هذه قد تمتلأ عشقًا لغير الله فإذا امتلأت عشقًا لغير الله أصبح المعشوق معبود، ندًا لله، ومن أجل أن يزيد بيان المسألة اقرئي في كتاب ابن القيم الذي يسميه الجواب الكافي أو يسميه الداء والدواء، فقد ذكر كيف ذاك تنصر – نسأل الله السلامة – من أجل عشقه لأمرأة، تعلمون هذه القصة، وكيف أنه مؤذن على السطح يؤذن فنظر إلى المرأة فقالت له لا أتزوجك إلا عندما تتنصر فتنصر فوقع فمات فما كان هذا إلا اختبارًا له، لكن انظري ماذا يفعل العشق ينقل الإنسان من دين إلى دين، والشيطان يقول له لا بأس تنصر وخذ غرضك ثم عد!، فيموت قبل أن يأخذ حتى غرضه بعد أن كان صالحًا.

فالمقصد أنكم لابد أن تفهموا أن العشق إذا أصاب القلوب كان المعشوق ندًا، ويطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[٣٨٢] ما معنى يحبونهم كحب الله؟ يعني قلوبهم امتلأت حبًا وعشقًا وطلبًا لرضا هذا المحبوب من دون الله، يعني حتى لو أمره بمعصية يقع فيها.

الآن اسألكم لو أنني تعرضت لموقف أنه أصبح لي صلة بأحد قوية، بدأت أشعر بمشاعر غير طبيعية تجاهه، مشاعر غير طبيعية تفهمون ماذا أقصد، شدة تعلق وشدة حرص على رؤيته، وليس هذا فقط، مشاعر غير طبيعية تشعري أن هناك حركة غير طبيعية عندما أراه أو عندما ألمسه وهكذا، فماذا أفعل؟! رأيين متضادين واحد يقول لي أقطع وواحد يقول لي اجاهد، ما رأيكم؟

رد من أحد الحاضرات: أجاهد وأدعو الله أن يصرف عني الشر.

أريد منك أن توصفي لي واحد من حلين، المقاطعة هذه صورة، المجاهدة هذه صورة ثانية، وممكن أن يكون مفروض علي، يعني تصوري أن هذا البلاء وقع عليك وانت هنا في المعهد، ماذا ستفعلين؟

رد من أحد الحاضرات: أخفف من الاحتكاك وأجاهد.

رد من أحد الحاضرات: إذا لم يكن هذا سيأتي غيره.

تروا أن هذا حل أو تروا القطع حلًا؟ لو كانت الحالة متقدمة وبدأت أشعر هذه المشاعر وبدأت أستفيد منه استفادات شاذة هل استعمل معه المجاهدة أو استعمل معه القطع؟ القطع.

---

[٣٨٢] البقرة:١٦٥

على ذلك هي درجات مختلفة الحالة، فانت في البداية لابد أن يأتيك الشيطان، فانت لا تنتظر حتى يفتح في قلبك وتصير هذه المصيبة ستتكرر عليك، إذا ستتكرر عليك معناه يجب عليك أن تسدها، أول من أن تبدأ تشعر هذه المشاعر تجاهد ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وأعظم الجهاد في هذا الباب هو أن تلجأ إلى الله أن يغنيك بالحلال عن الحرام، أن يسد عليك أبواب الفتن، لأن هذه فتنة تكون في الداخل، الخروج منها بصعوبة.

أمَّا إذا كانت الحالة متقدمة ووقع شيء من التمكن الله أعلم أن أحسن الحلول المقاطعة، مع المفاهمة، يعني لا تقاطعي والطرف الثاني يوقعك في شراكه من جديد ويرسلك رسائل ويكلمك كلام، وقولي لي ما الخطأ وأنا أصلحه، لا، تفاهمي ثم أغلقي الصفحة، ثم أتصور والله أعلم انه لو مرت فترة طويلة على العلاقة مغلقة ستسد هذه الأبواب فتستطيعي أن تعيدي العلاقة وهي ساكنة، أكتوى أماكن التعلق.

أتكلم عن أنك أفترض أنك انت الشخص الذي وقعت ماذا ستفعل؟ جاهد ومن جهة أخرى إذا وجدت نفسك تقدمت اقطع العلاقة، لم أتكلم بعد عن الطرف الثاني، تكلمنا هنا من جهة الطرف الثاني أنه لو وصلت المسألة حد المقاطعة لابد من التفاهم مع الطرف الثاني، من أجل ان لا يثقل عليك، وهذا كلام صعب، هذا صعب، خصوصًا عندما تصل العلاقة إلى قوة، أني كيف أقطع علاقة وهي شديدة القوة، احتاج إلى قوة مجاهدة، عندما تكون المسألة في بدايتها وانت تجاهد لابد من الحدود.

أصلًا ما الذي يأتي بهذه المشكلة؟ ذوبان الحدود، ذوبان الحدود هو الذي يوصل إلى هذه الحالة، وفي أحيان كثيرة انت تأتي تعامل أحد وانت محسن الظن فيه، تجد أنه هو من عنده المشكلة، وانت ليس عندك أي نوع من التعلق لكن هو من لديه المشكلة هذا أيضًا لابد من التفاهم معه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: مشكلته أنه يبقى سطحي، انت تعرف عن نفسك أنك تتعلق تعامل بسطحية، لكن أحيانًا انت يستفاد منك تحتاج أن تتعامل بعمق مع أشخاص وتعاشرهم زمنا طويلا، لا يمكن أن لا تفعل.

فتأتينا مشكلة الآن أخرى، حالة بعيدة عن نفس الموضوع لكن تابعة لنفس الموضوع، تأتينا مشكلة أحيانًا أن واحد سياسته في الحياة التعلق، يتعلق ويصل إلى هذا الحد إلى أخره، وليس شرط أن كل الناس الذين يتعلقوا يصلوا إلى العشق، ليس شرط، ربما ناس يقفوا فقط عن التعلق لا يصل إلى حال العشق والاستمتاع، وهذا الخطأ بدأت به الكلام وأنهي به الكلام، فيأتي إلى أحد مثلًا ويجد اثنين علاقتهم قوية ببعضهم، أو اثنين يترددون على بعضهم، فيصور في خياله نفس الصورة التي عاشها ثم يصدر أحكام عليهم، ثم يقذفهم وليس متصور أن هذا قذف يعني عليه جلد!، ثم يمكن أن يناصح حتى، يصل إلى حد المناصحة وفي هذا كله يقيس على خياله الفاسد!.

انتم أكيد تعرفون أن أحياء كثيرة في جدة على الأقل، الجيران تكون علاقتهم قوية مع بعضهم والبابان مفتوحان، الناس هؤلاء يأتون على هؤلاء، الآن عندما يأتي واحد مريض بهذا المرض ويرى هؤلاء في هذه الدرجة ويتبادلوا وكل شيء ماذا سيقول؟! مجموعة عاشقة مجموعة، هكذا سيفكر!.

فالمريض عندما يحكم على الأصحاء مشكلة، وهذا الكلام أقوله لأن كثير من المدارس أناصح المعلمات في هذا الموضوع، ولا تتصوري أن المشكلة عند الطالبات لكن هي حتى عند المعلمات فنناصح المعلمات تجد المعلمة عندها قائمة طويلة بالبنات كذا

وكذا، وهم يكونوا أقرباء، أو يكونوا جيران، وتكون العلاقات سوية لكن بسبب ليس هناك في ذهنك إلا هذا التفكير تساوي كل العلاقات، فهذا نوع سوء ظن، واتهامك لأحد هذا الاتهام يعتبر قذف تجلدي عليه، قذف أي كبيرة من كبائر الذنوب.

فلا تتجول بخاطرك، ولا يخرج نتيجة هذا النقاش أنك كلما رأيت أحد حكمت عليه هذا الحكم، هذا ما يخيفنا عندما نتكلم على هذا الموضوع، لكن لا ننكر ندرتها خصوصًا مع الأنداد، ولا ننكر أيضًا أن هناك وقائع تجعلك تخاف من دعوة الأخوة، لا ننكرها، لكن لا يعني هذا أيضًا أن تسارع في اتهام الأخر.

تأتين تقولين يلبسون ملابس مثل بعضهم، كلما نذهب إلى اجتماع نجدهم يلبسون مثل بعضهم، أتوا لأنفسهم بالشبهة! نقول نعم، من يأتي لنفسه بالشبهة لابد أن تناصحه، وأحيانًا حقيقة وجدنا ناس سليمين وليس فيهم أي فكر، لكن غروا، جائهم الغرر، رأوا كل الناس يلبسون مثل بعضهم فأصبحوا مثلهم، أيضًا لا تتسرع، كثير من العوائل يكونوا الأمهات أخوات بناتهم يأتون ولو كانوا كبار يشتروا لهم سواء، فمادام يشتروا لهم سواء فيصبح البنات مثل بعضهم، فاقصد أن التحري غاية في الأهمية في هذا الأمر، لا تتسرع لأن كلامك محسوب عليك.

وكونك يا طالب العلم تأتي إلى أحد وتصنفه خطأ ستشعل نار على أهل الاستقامة والاعتدال، يشكون في الناس، يظنون فيهم، هذا لأنهم تفكيرهم هذا التفكير وخذ من هذا الكلام!، فخير لك أن لا تتكلم من أن تتهم، اضرب لك مثال؛ لو ذهبتي إلى مدرسة تحفيظ تعطي درس وجائك اثنان يلبسون مثل بعضهم وأتوا يسألوك انت الآن قلبك عليهم أنك لا تريدهم يقعوا في هذا المنكر وفي نفس الوقت ليس عندك معلومات صحيحة، كل الذي لفت نظرك أنهم مثل بعض يلبسون، وهذا ملفت طبعًا عندما يكون في أماكن عامة، لا أنكر أنه لفت نظرك لكن انت ممكن بسهولة تسألها انتم تقربوا لبعض، هي تسألك لماذا، تقول من أجل أنه في العاده لا أحد يلبس مثل بعض إلا إذا كانوا يقربوا لبعض، فهذا السؤال سيحرجها حتى لو لم تأتي بنتيجة، حتى لو لم تجيبك، ستشعر في نفسها أنه ملفت للنظر موقفكم هذا، لكن كونك تتهجموا والمفروض لا تلبسوا مثل بعض، وعندما تلبسوا مثل بعض يصبح هناك دلالة سيئة، ستقولي كل هذه المحاضرة كلها ثم في النهاية تقول لك يا أستاذة نحن أخوات! ماذا سيكون موقفك؟!، أو نحن مثلًا بنات خالات، لا، كن على حذر من مثل هذا.

أحيانًا انت تلفت نظرهم فيأتون بالعناد، كل هذا كن على حذر، المهم هذه المسألة لابد أن تفهم أنها تبدأ كثغرة في القلب من مرحلة المراهقة، فإذا أردت أن تحافظ على الأبناء لابد أن الأمهات يفهموا حدود العلاقات بين بنتي وبين صاحبتها، التليفونات تحت الحراسة، حتى اللقاءات؛ أقول لها لن تذهبي إلى مكان اجعلي صاحبتك تأتي، لكن باب الغرفة التي فيها هي وصاحبتها لا يغلق، أبدًا، لا يغلق لأسباب كثيرة، يكفي الأدوات الحديثة من الجوالات، والتصفح بالانترنت، يكفي علي هذه المصيبة، وإن كانت هذه المصيبة غير موجودة يكفي أنهم يستطيعون أن يتعاملوا مع بعضهم معاملة يمكن أن تقذف بهم إلى النار!.

لا نسيء الظن لكن نكون على حذر، وانتم تعلمون أن كثير من حالات التحرش وكثير من حالات الاغتصاب التي تحصل تأتي بمردود عكسي على المتحرش بها فيشغلها الموضوع، يصبح أمر مشغل وتريد أن تكتشفه في نفسها وفي غيرها، يكون وقع عليها التحرش – اسأل الله أن يحفظ بناتنا وبنات المسلمين – وقع عليها التحرش ثماني سنوات، تسع سنين، عشر سنين، في الحادية عشر، يكون وقع عليها التحرش في هذه السنوات، فعندما تبقى في المرحلة المتوسطة تبدأ تكون علاقات وتبدأ تشعر بمشاعر غير طبيعية، وتبدأ تأتي في ذاكرتها هذا التحرش في علاقتها بصاحبتها.

أشياء كثيرة وأنواع من البلاءات لا نهاية لها، المقصد أن هذا المرض يصيب الصغير ويصيب الكبير، مرض التعلق الذي يوصل للعشق، يجب أن تفهم خطورته على اعتقادك، يجب أن تفهم أنك لو استسلمت ستكون عابدًا لغير الله، المسألة ليست بهذه السهولة أن تأتي إلى أحد وتقول له أنا أحبك في الله ثم انت في نفسك من الخبث ما في نفسك، أو في نفسك من عدم ظهور الحقيقة ما في نفسك، مشوشة الحقيقة في قلبك، احفظ هذه الكلمة، احفظ هذه العبادة العظيمة عبادة الحب في الله، احفظها من جهة وكن على حذرٍ شديد أن تتخذ مع الله إله من جهة المحبة.

على كل حال اطلنا علينا في المقدمة، إن شاء الله المرة القادمة اسأل الله أن ييسر لنا نكمل الكلام حول الأدلة، الكلام حول الأدلة إن شاء الله يكون يسير وندخل على الباب الذي بعده إن شاء الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٣٨٣].

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمدلله الذي يسر لنا هذا اللقاء ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاءًا مباركًا مرحوما.. اللهم آمين.

لازلنا في باب قول الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ هذا الباب سيناقش المحبة، انظري إلى أدلة الباب نظرًا عامًا، المرة الماضية بدأنا بمدخل للكلام عن المحبة.

انظري إلى الأدلة؛ كم آية في الباب؟ آيتان.

- باختصار الآية الأولى ماذا تقرر؟ الكلام عن المحبة الشركية التي تصل إلى حد الشرك، ومن ثم يوصف المحبوب بأنه ند.
- الآية الثانية ماذا تقرر؟ مَن هذا الذي سيكون بلغ أن يكون حد أن يكون ندًا مع الله؟ أشياء كثيرة ممكن تكون محبوبة، ومن بينها التي ذكرت في آية التوبة، يعني من المحبوبات التي يمكن أن تصل إلى حد الندية [الآباء، الأبناء، الأزواج، الاخوان، العشيرة، الأموال، التجارة، المساكن] كل هذه أفراد يمكن أن تتصل محبتهم إلى المحبة الشركية، مع أنها في أصلها محبة طبيعية ومن أجل ذلك هنا لابد أن نتكلم عن موضوع الطاغوت.
- انظري بعد ذلك في حديث أنس أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ".

"حَتَّى أَكُونَ – يعني الرسول صلى الله عليه وسلم– أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"معنى ذلك تقديم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، إذن نحن من أصل الكلام نتكلم عن محبة الله لماذا هذا الدليل أتى عن محبة الرسول؟ من أجل أن تفهمي أن محبة الرسول من محبة الله.

- أتى الدليل الرابع من أجل أن يبيِّن لك اجتماع محبة الله ومحبة رسوله، وهناك كلام عن حلاوة الإيمان سيأتينا تفصيلها إن شاء الله، ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا" هنا اجتمع الكلام عن محبة الله ومحبة الرسول. وفي رواية: "لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى..." إلى آخره.

معنى ذلك آيتان وحديثان.

- ثم يأتي كلام ابن عباس:"مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ وَوَالَى فِي اللَّهِ وَعَادَى فِي اللَّهِ فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ".

ما هي هذه الولاية من الله؟ نصره ومحبته، إذن هذا الطريق لمحبة الله لك، ما هو طريق محبة الله لك؟ [أن تحب انت في الله، وتبغض في الله، وتوالي في الله، وتعادي في الله] هذا طريق محبة الله لك، هذا من أعظم مقاصد العباد أن يحبك الله، ما طريق محبة الله لك؟ أنك انت بنفسك تحب الله، هذا طريق محبة الله لك، وسنتناقش ونهتدي إلى تفاصيل هذه المسألة.

في أخر هذا الكلام قال ابن عباس في أخر فِي قَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ هذه الآية ما موطنها؟ البقرة، الآية الأولى في المتن.

قَالَ : الْمَوَدَّةُ

---

[٣٨٣] بداية لقاء جديد لاحق لتكملة الباب؛ تم جمع التسجيل بهذه الطريقة لمواصلة الباب كله وعدم تجزئته.

ماذا كان بين هؤلاء؟ مودة، سنرى المودة هذه بين مَن ومَن، سنرى في ماقشة الأدلة، هذا النظر العام للأدلة.

✷اللهم اغفر لشيختنا وللحاضرات وأخلص نيتها ونياتهن.. آمين✷

باب قول الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) [٣٨٤].

وقوله: (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ). إلى قول تعالى: (أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ)[٣٨٥].

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،أَنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى أَكُونَ أَحَبّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ". أخرجاه.

ولهما عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ". وفي رواية: "لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى..." إلى آخره.

وَعَنِ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ وَوَالَى فِي اللَّهِ وَعَادَى فِي اللَّهِ فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ ، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك. وَقَدْ صار عامة مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا ، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا. رواه بن جرير، وَقَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِه تَعَالَى: (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ)[٣٨٦] قَالَ: الْمَوَدَّةُ.

الدليل الأول.

نبدأ بالدليل الأول.

باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[٣٨٧].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا- كيف يعاملونهم؟- يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾

إذن هنا وصفت الندية من جهة المحبة، وهذا كما ورد في الشعراء بعدما يتبين الحال يوم القيامة ويدخل أهل النار النار يقولون: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٣٨٨] ما ضلالهم المبين؟ ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣٨٩] لماذا أتت التسوية؟ هل كانوا يساوونهم بالله في الخلق؟ في التدبير؟ في الرزق؟ في اعتقاد الإحياء والإماتة؟ لا، **كان كله دائر في المحبة**، بمعنى أنه يقع في قلوب أهل الشرك من المحبة والتعظيم لغير الله ما يساوي: هذه الآية تخرج على قولين:

- ما يساوي محبة المشركين لله، يعني يحبون الأنداد ما يساوي محبتة هؤلاء المشركين لله.

---

[٣٨٤] البقرة:١٦٥

[٣٨٥] التوبة:٢٤

[٣٨٦] البقرة:١٦٦

[٣٨٧] البقرة:١٦٥

[٣٨٨] الشعراء:٩٧

[٣٨٩] الشعراء:٩٨

اوصف قلب المشرك؟ كأنه المحبة والتعظيم مقسومة إلى قسمين متساووين : قسم لله وقسم للأنداد، فحصلت المساواة في المحبة في قلب المشرك، **يعني المشرك يقع في قلبه محبة لله ومحبة للأنداد متساوية.**

الناتج من هذا القول أن المشرك يحب الله، هذا الناتج يخيفك، لماذا؟ لأن في قلبه محبة لله، لا تأتي تقولين أنه لا يحب الله، وترتاح عندما تجدي في قلبك أدنى محبة، لا، هذا معناه أن المشرك يحب الله لكن هذه المحبة لم تنفعه، لماذا لم تنفعه؟ لأنه شارك في هذه المحبة غير الله مشاركة متساوية.

على ذلك لو سألتك على القول الأول؛ هل المشرك لا يحب الله؟ على القول الأول المشرك يقع منه محبة لله.

لكن عندما تشترك محبة مع الله وقع الشرك ولم تنفع محبة الله، الله عز وجل لا يقبل من العبد سواء كان عبادة قلبية أو عبادة بدنية لا يقبل منه إذا وقعت العبادة شراكة، هذه القاعدة مع تكرارها لكنها ليست واضحة في القلوب، مع تكرارها وبيانها كلام سهل، أي عمل شاركت فيه غير الله؛ الله عز وجل لا يقبله، عندك دليل على هذا الكلام؟ مثل الحديث الظاهر الصريح " أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ" تركه الله لا يقبله، لا يلتفت إليه، مهما عمل من أعمال صالحة.

ولذلك لا تنظر بعين الرحمة لمن أحسن للفقراء، ولمن أعطى الناس، لا تنظر إليه بعين العطف والإحساس أنه حرام أن لا يقبل مادام أنك فهمت أنه أشرك مع الله، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا له.

- القول الأول: إذن إن الذين أشركوا يحبون الأنداد هؤلاء كما يحبون الله.
- القول الثاني: كحب المؤمنين لله.

اقرئي الجملة من أولها: **يقع في قلوب أهل الشرك من المحبة والتعظيم لغير الله كحب المؤمنين لله.**

كيف تفسرين الآية التي بعدها بناءًا على القولين؟ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ كيف تفسرينها؟

- القول الأول: والذين آمنوا أشد حبًا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم، والسبب أن محبة المؤمنين خالصة.
- القول الثاني: أن الذين آمنوا أشد حبًا لله من محبة المشركين لله.

هذا القول الثاني مبني على القول الأول، لو قلنا أن المشركين يحبون الله ويحبون الأنداد سنقول على المؤمنين أنهم أشد حبًا لله من حب المشركين لأندادهم، هذا على تقرير أن المشركين يحبون أندادهم.

نعمل جدول.

الخانة الأولى معنى قوله تعالى ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾، الخانة الثانية معنى قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ .

القول الأول: ما معنى ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾؟ أي أن المشركين يحبون الأنداد محبة مساوية لمحبتهم لله.

فسري أمامها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾؟ أن الذين آمنوا أشد حبًا لله من محبة المشركين لله.

في القول الأول المشركين يحبون الله لكن يحبون معه غيره، عندما نقارن بهم المؤمنون؛ سنقول أن المؤمنون أشد حبًا لله من حب هؤلاء المشركون لله.

نرى التفسير الثاني؛ ما تفسير يحبونهم كحب الله بالنسبة للمشركين؟ المشركون يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله، ما القول الذي سيقابله؟ أن الذين آمنوا أشد حبًا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم.

لو أتينا إلى التعليل؛ ما علّة أن يكون حب المؤمنون لربهم أشد من محبة المشركين لأندادهم، ما العلّة؟ نبدأ من أول الأمر؛
رد من أحدى الحاضرات ورد من الأستاذة: هذا الكلام كله صحيح لكن نريد نقطة البداية، نقطة البداية انت فكري ما الذي يأتي بالمحبة أصلًا؟ المعرفة والعلم الذي ينتج منه أنك تعرف تفسر الأحوال التي أمامك، يعني القوم الذين اعتقادهم يعتمد على أن الطبيعة هي التي تهبهم خيراتها ماذا يقع في قلوبهم تجاه الطبيعة المعطية؟ الحب.
عندما تعتقد يقينًا أن الذي يعطيك هو الله ثم تجد آثار هذا الاعتقاد عندما تسأله يعطيك.
وعندما ترجوه لا يخيبك.
وعندما تكون في ضيق ترى آثار لطفه.
وعندما تكون في مرض ترى آثار قدرته.
وعندما يقع في قلبك كرب ترى آثار الفرج كيف يأتي من حيث لا تحتسب.
حتى أن العبد تمر على خاطره من الشهوات — شهوات الدنيا التي يستلذ بها- تمر على خاطره فيشتهيها فيطيب الله قلبه بأن يعطيه، لم تمر عليكم هذه الحالة؟ بتكرار تمر، ترى أن الله عز وجل يطيب خاطر عبده الضعيف، حتى عندما يمر على خاطره شيء من الشهوات يعطيه إياها عطاءًا لا يضر بالعبد.
وترى آثار حكمته في منعه كثير مما تشتهيه، ألا ترى آثار حكمته كيف عندما منعك من كثير مما تشتهيه ترى بعد زمن آثار الحكمة، حتى أن الواحد عندما يكبر يقول الحمدلله أن ربي لم يستجيب لي هذا الدعاء، الحمدلله أنه لم يجعلني كلية كذا، أو أكون مع هؤلاء أو أهلي يقبلوا أن أكون مع فلان أو فلان وها هو أخر طريقهم، فحتى العبد يرى آثار حكمة الله في منعه، هذا كله يجعلك تزداد حبًا، من أجل ذلك المؤمنون أشد حبًا لله لأنهم يرون آثار كمال صفات الله.
نحن نتكلم عن شدة المحبة، انت ممكن تنشأ في بيئة تحب شيء معين وتقلدهم انت في الحب، لكن كلما كبرت كلما ضعف حبك لهذا الشيء أو قوي حبك لهذا الشيء بناءًا على الشواهد الجديدة التي تحصل لك، يعني قوم ينشأون في بيئة معين أو فلنقل بلد معينة، أهلهم يحبون بلدهم، أرضهم وناسهم وجيرانهم، انت تكبر ممكن أن يكون عندك مشاعر – أولًا وانت صغير لابد أن تحب مثلهم البلد، لابد — ثم تكبر تنقسم مشاعرك إلى نوعين:
ممكن يكبر في قلبك المحبة مثلهم.
وممكن لأ، يقع في قلبك بغض البلد وتخرج منها.
فعلى حسب المقياس مثلًا، فلنتكلم في هذه البلاد المباركة، كثير من أهل هذه البلاد المباركة من انتقلوا من فترة الفقر إلى فترة الطفرة ترى تمسكهم بالبلاد والأرض تمسكًا قويًا، خصوصًا أنهم رأوا آثار نعمة الله عليهم، أتوا الأبناء على الطفرة، على النعيم، فوقع في قلوبهم البطر، وهذا أمر مشهود.
ثم ناس أستقاموا على الطاعة والدين فلم يروا لبلادهم مثيل فقوي في قلوبهم حب بلادهم.
قوم وقع في قلوبهم الاغترار بالدنيا فتجدهم حتى لو لم يستطيعوا الخروج منها لكن يعيشون طوال الوقت محقرين لبلادهم.
يعني محبتك لا تبقى في مكانها أبدًا، انت تحب بالوراثة، تحب المجتمع، ثم أمَّا تصبح محبتك أشد أمَّا تصبح أضعف أو تنتهي.

لماذا المؤمنون يحبون ربهم أشد حب؟ لما يرونه من آثار صفاته المستمرة التي لا تنقطع عنهم، لذلك هم أشد حبًا، لا تستطيع أن تنفك عن آثار رحمة الله، كل يوم انت تمر بك أحداث – إذا كنت مؤمن بكمال صفاته – تمر بك صفات تزيدك، يعني لن تقف مكانك إن كنت صادقًا في المحبة، لابد أن محبتك لله لابد أن تزيد إذا لك عين بصيرة، لأنك ترى آثار لطفه في كل شيء، حتى وانت في الضيق عندما تكون محسن الظن به ترى الفرج أمام عينيك، ولابد أن الله يرسل عليك رياح تبشرك بالفرج، لابد، لكن لو كنت محسن الظن ستنظر للرياح أن الفرج قادم، وإذا كنت مسيء الظن ستتعامل حتى مع رياح البشرى هذه باليأس.

المهم مقصدنا الآن أن تفهموا لماذا الذين آمنوا حالهم أنهم أشد حبًا لله، لماذا؟ **لأنهم يرون من آثار كمال صفاته في حياتهم ما لا يمكنهم معه أن يقفون عند حد للمحبة.**

لذلك الإنسان عندما يستوي في العمر ويصل أربعون عاما يرى آثار حلمه سبحانه وتعالى، وآثار لطفه، وآثار حفظه أمر يصعب وصفه، لأن انظر إلى الوراء، وانظر كم من المرات عاملك الله بحلمه فتركك تذنب ويعطيك، ويعلمك، ويقربك، ويشرح صدرك، وينير دربك إلى أن وصلت إلى حال الاستقامة، مع أنك مذنب لست مطيع، إذا أطعت ماذا سيكون حالك!، وهذه حالك وانت مذنب إذن ما حال من أطاع؟!، ماذا ستكون حاله!.

والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيرة، وهذا هو الصدق، أنه لابد أن تنظر إلى الوراء وتنظر إلى أحوالك وإلى من اعتديت عليه، وإلى من اتهمته، وإلى كل تاريخك الذي لابد أن لا ينسى، نحن مشكلتنا النسيان؛ تاريخك من جهة أعمالك الغير صالحة كيف عاملك بحلمه، والتاريخ الثاني أيضًا؛ كيف فرج عليك الكرب، كيف أعطاك حتى أرضاك، كيف في مواقف كثيرة يلطف بك ويخرجك من أشد المأزق، لا تنسى هذا الكلام، لأن الذي خرجك أمس من المأزق سيخرجك من أي مأزق، والذي فرج عليك أمس؛ سيفرج عليك اليوم وغد، لكن مشكلتنا النسيان.

ولذلك من أسوء ما يصاب به الإنسان وسيأتينا في هذه الأبواب "اليأس من روح الله"، اليأس من روح الله جريمة، تعرف لماذا جريمة؟ لأن فيها كفران لما أراك الله من نعمائه، عندما تيأس من روح الله كأنك تقول: **أنه لم يمر عليك في عمرك أن الله فرج لك كربا**، أو أعطاك نعمه، أو لطف بك، أو عاملك بحلمه، هذا لسان حالك عندما تقع في اليأس، كأنك تقول أنا أشهد أن الله لم يفرج علي في كل عمري هذا، وهذا باطل، وانتم كلكم تعلمون أن هذا باطل، لكن سبحان من ألقى في بعض قلوب العباد البصائر وعمى بعضهم!.

فكيف يمر على الخاطر بعدما ترى آثار رحمته فيما مضى من عمرك وترى تغيير حالك ثم يمر عليك أن هذه الحال التي انت فيها لن يفرجها الله! سيفرجها كما فرج ما قبلها! لكن النسيان ومع العجلة أيضًا، العجلة!، سريعًا نريد النتائج، مع أنك لو نظرت نظرًا محققا سترى أن كل الهموم تفرج على أهل الإيمان وأهل الكفر، لكن أهل الإيمان يخرجون مرتفعين درجة، يترقون درجة في السنة، تعرف درجة في الجنة كم تساوي؟ ما بين السماء والأرض، بأزمة في يوم أو يومين أو عشرة أيام أو شهر تخرج مرتفع درجة بل درجات والدرجة بين السماء والأرض، وأولئك يخرجون على أعقابهم ناكصين، لكن في النهاية على الكل ستفرج الكرب، على الكل، من سنة الله أن تفرج الكرب في الدنيا لكن تفرج كربتك وانت مرتفع درجة، وهل الدرجة كلمة سهلة؟!، هذا أمر يفوق

الخيال!، لا تستطيع، تكاد أن تزهق روحك لو أنك فكرت ما معنى درجة في الجنة من كثرة الشوق إليها، لكن غلب على النفوس حب الدنيا والعجلة.

على كل حال نسأل الله عز وجل أن يكشف عنا الغمّة، يكشف عن قلوبنا الغمّة، ويعطينا من البصائر ما يزيدنا حبًا له سبحانه وتعالى.

هذا تفسير الآية، تبيَّن لنا وأشرنا أيضًا إلى معنى أن المؤمنين أشد حبًا لله.

خرجنا أيضًا من الآية بنتيجة مهمة أن صرف المحبة لغير الله حكمه شرك أكبر.

عندما نصل إلى أخر أدلة الباب سنقرأ السياق لنفهم كلام ابن عباس.

هذا أول الأدلة وأهمها في هذا الباب، لماذا أهمها؟ لأن هذا الدليل بيَّن لي أن التسوية ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مكانة هذه العبادة العظيمة – محبة الله –، ومن خلال النقاش تبيَّن لنا ما الطريق إلى محبة الله.

بجملة مختصرة؛ ما الطريق إلى محبة الله؟ كيف تحبين الله هذا سؤالي، ما الطريق؟ أن يعطى العبد بصيرة فيعلم اسمائه وصفاته وما له من كمال سبحانه وتعالى ويفسر الحياة والأحوال بهذه البصيرة.

على هذه المعلومة يدور كل الأمر ثم تأتينا المكملات من كل جهة، لكن أصل المسألة أن تعلم من تحب، إذا علمت من تحب وأعطاك الله بصيرة في هذا الأمر ستبصر تفاصيل تفاصيل الحياة.

يعني يأتي أحد يقول لك أأتي بشاهد من حياتك على أن الله لطف بك، انظروا كيف المقابلات التافهة التي يفعلوها أن يقولوا هات موقف من حياتك كذا وكذا، الكلام التافه هذا باقي في الذاكرة،لأنهم يسألوهم ويجاوبوا فباقي في الذاكرة، مع أن المفروض أن يبقى في الذاكرة موقف لطف الله بك فيه، موقف فرج لك فيه كربة، موقف الله عز وجل أنعم عليك ورزقك من حيث لا تحتسب، فانت ماذا يجب أن تجمع في ذاكرتك؟ مثل هذا لا تنساه، فدائمًا تذكر نفسك أني كنت مريض مثلًا وكذا وكذا حصل لي، ثم رأيت الموت، كدت أن أموت ثم نجاني الله، هذا لا تنساه، كنت لا أملك كذا وكذا ثم أعطاني الله كذا وكذا، كنت قليل فكثرني الله، كنت وحيد فرزقني الله صحبة، أولاد، جيران إلى أخر ما رزقك الله.

كل هذا أصنعه لنفسك ذاكرة، لابد أن تصنعه ذاكرة، ثم فسر به قوله تعالى وتعامل به ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٣٩٠]، التحدث بنعمة الله، أين انت من التحدث بنعمة الله؟!، هذا الكلام هو التحدث عن نعمة الله، فرج الله علينا، كشف الغمّة، وقانا السوء برحمته سبحانه وتعالى، وكم من المرات ينذرك؟!، الآن أكلمكم عن الكهرباء التي تستهينوا بها، تفتحوا وتغلقوا وانتم بكل مشاعر السكون والبرود، وأقل التماس كهربائي يحدث وانت لا تراه، ثم لا يحتاج أن تحصل حريقة يكفي ثاني اكسيد الكربون الذي يخرج من الألتماس، أصلًا غالب من يموتوا في الحرائق بالذات الكهربائية تكون مشكلتهم تأتي من الاختناق قبل الاحتراق، فهذا أمر مغفول عنه، كهرباء لا تتصور معناها، مبنية على السلامة في ذهنك، ثم لا تبحث في نفسك كيف أنه يحفظك، وكيف الحفظ يأتي، لا يشعر الإنسان بحفظ الله إلا عندما يأتيه موقف ويرى كيف أنه حصل التماس دون أن يشعر!.

[٣٩٠] الضحى:١١

ثم فلنفترض أنه حصل التماس وخُفت ثم الحمدلله نجاك الله، قل لي كيف تصبح مشاعرك بعدها تجاه التوصيلات وتجاه الأسلاك وانتبهوا وانتبهوا، هو هذا، لا يزيد تعلقًا بالله أن يحفظنا، لا أنكر الأسباب، لا تفهموني خطأ، لا أقول هذه الجملة، الأسباب لنا من شرعنا، لكن هذه الأسباب لماذا شرعها الله؟ من أجل أن يبدأ قلبك في التعلق به، يعني تتعلق بالله أن يرشدك، انت ممكن تكون حريص على كل الكهرباء التي في بيتك وفي موطن واحد تغفل عنه ويكون هذا هو الموطن الذي يأتي منه البلاء، إذن من الحافظ على الحقيقة ومن المرشد على الحقيقة؟ لا يرشدك إلا الله، ولا يحفظك إلا الله.

المعنى أنه لابد تعلق بالله، وتبقى في عقلك ذاكرة لما أعطاك الله، لا تنسى، لا تكن جحودًا، النسيان وجحد النعم ونسبتها للنفس هذا كله يضعف المحبة، يضعفها، طبعًا هذا ليس السبب الوحيد، هذا السبب الرئيسي، ثم تفتح لنا أبواب للأسباب بعدها، وسيأتينا جزء منها في الكلام القادم.

لذلك من يتكلم عن باب المحبة لابد أن يكلم الذي أمامه عن كمال صفات الرب، كأني لابد أن أضع سؤال لماذا المؤمنون أشد حبًا لله؟ ماذا سيكون الجواب؟ لما يرونه من آثار كمال صفاته، الآثار التي لا تنقطع، أهم شيء هنا أن آثار كمال صفات الله لا تنقطع.

والله لو كنت صاحب بصيرة سترى آثار كمال صفات الله بقدر أنفاسك، لا تلتفت يمنة ولا يسرة إلا ترى حفظ عليك بيتك، حفظ عليك عيالك، حفظ عليك بدنك، بصرك، وانت أمامك الحوادث كم تحصد من أبدان يموتون أو من قدرات؟! كم تحصد؟!.

لكن انقطاعكم عن هذا العالم أو عدم اتصالكم بأشخاص مثل هؤلاء تقطع عنكم مثل هذه المشاعر، تميت في أنفسكم مشاعر شعوركم بالنعمة، لكن التفت يمنة ويسرة وانظري إلى آثار الحروب فقط، انظري كيف أمن الله لنا السبل، انظري كيف نذهب إلى الحرم، فكروا في الحرم المكي والمدني وفكروا في المسجد الأقصى، فقط هذا التفكير يكفيكم، ألا تروا أنفسكم محرومين من المسجد الأقصى، ألا تشعروا بهذه المشاعر؟!، المفروض تشعروا أنكم محرومين، هذا الحرمان يورث في قلوبكم مشاعر الحمد عندما تستطيعوا أن تصلوا إلى الحرم المكي والمدني بكل يسر وسهولة بمعنى هذه الكلمة بكل يسر وسهولة، لكن أين مشاعر الشكر وأين مشاعر الإحساس بالنعمة.

ثم إذا رأيت القوم يجتمعون – اسأل الله عز وجل أن يتمم علينا هذا الحج مباركًا وينفع المسلمين باجتماعهم – ثم ترى عجبًا عندما تصلي إلى الحرم وترى كيف هذه الحكمة العظيمة أن يجعل له بيتًا يجتمعون فيه الناس، أمر عجيب، ثم تجدين الناس من أقطار الأرض ألفة ومحبة مع أنه لا علاقة، لا نعرف بعض إلا تأتي بجانبها وتصلي فتكلمها وتعطيها مما تأكله وهذه تعطيها مما تأكله، ويصبحوا يحبوا بعضهم، وتأتي أسباب زيادة الإيمان في لحظة، أليس حب المؤمنين من أسباب زيادة الإيمان؟! وما بينك وبينها من الدنيا شيء، لا تحبها إلا لأنها جائت بيت الله ولأنها من أهل الإسلام، وهناك الحب المجرد من الدنيا.

حتى أحيان كثيرة لا نعرف الناس إلا بوجوههم أو جنسياتهم من طريقة كلامهم، حتى اسمائهم ربما لا نستطيع أن نضبطها في عقولنا، فتري النعمة العظيمة هذه كلها من آثار رحمة الله، ومن آثار صفاته سبحانه وتعالى على العباد، لكن المسألة تحتاج إلى تحول وهذه هي عبادة التفكر التي تكون من أسباب زيادة الإيمان.

على كل حال لو فتحنا هذا الباب – أسباب المحبة – سيأتي كلام كثير لكن يأتي كلام بالفرص إن شاء الله، وأرى أن هذا من أهم الكلام والله أعلم، من أهم الكلام الذي لابد أن يتكرر عليك كيف يصل قلبك إلى محبة الله، تأتيك تنبيهات من أجل أن تذكرك بأحوالك التي تمر عليك وكيف تحول الحياة المزرعة إلى أرضٍ خصبة أصلها حبك لله.

الدليل الثاني.

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾. إلى قول تعالى: ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾[٣٩١].

قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾

تأتي الآية التي بعدها آية التوبة تشير لك إلى ما يقطع عليك محبة الله، ماذا يقطع عليك المحبة؟

قلت لكم أثناء المرور على الآيات قلت لكم هنا سنتكلم عن الطاغوت، عبري باستخدام هذه الكلمة.

اسالكم الآن؛ ما الذي يقطع عليك محبة الله أو زيادة محبة الله؟ الذي يقطع عليك محبة الله أو زيادة محبة الله أن يتجاوز حب غير الله مكانه، أو حده، وهو ما نسميه بالطاغوت.

كلمة الطاغوت هذه كلمة مكررة والذين درسوها في المملكة درسوها في المتوسط ودرسوها في الابتدائي، ومرة أخرى في الثانوي وهم يعيدوا كلمة طاغوت، فما معناها؟ ما هو الطاغوت؟

كأني أسألك السؤال بصيغة أخرى؛ ما الذي ممكن أن يكون طاغوت؟ أي شيء يتجاوز به الحد ويكون مصروف له شيء من التعلق أو التعظيم – هذا هو الشرط أن يصرف له شيء من التعلق أو التعظيم – يصبح طاغوتًا.

أمامك في الآية ماذا ذكر لك من أنواع الأشياء التي يمكن أن تصبح طاغوتًا؟ كلها أولًا مشتركة في أنها محاب طبيعية، لأنهم مهم هنا في هذه الآية أن نفهم أمران:

- الأمر الأول: أن هذه كلها محاب طبيعية.
- الأمر الثاني: أن تفهمي مفهوم الطاغوت.

تجمعي بين هذين الأمرين.

الآن انظر إلى محبة الآباء محبة طبيعية لكنها لو بلغت حال تجاوز به العبد رضا الله عز وجل أصبحت محبة غير طبيعية، ثم نتفق على التفاصيل، غير طبيعية ممكن أن تصل إلى الشركية وممكن لا تصل، تصل إلى حد الآثام.

إذن تتحول المحبة من طبيعية إلى غير طبيعية لا تقبل، على ذلك قس كل الباقي، في الآية ذكر [الآباء، الأبناء، الإخوان، الأزواج، العشيرة، الأموال، التجارة، المساكن] كل هذه أنواع من المحاب الطبيعية، طبيعي الإنسان يرى راحته وسكونه في بيته لكن ليس من الطبيعي أن يكون جل تعلقه ببيته، بمعنى أنه يزين فيه ويفعل ويفعل، ولذلك عندما مر النبي صلى الله عليه وسلم على بعض الصحابة يبنون خصًا لهم، بيت من جزع النخل إلى أخره، سألهم ماذا تفعلون قالوا يارسول الله نبني كذا وكذا، قال: "الأَمْرُ أَسْرَعُ مِمَّا تَرَوْنَ".

[٣٩١] التوبة:٢٤

ما معنى أسرع من ذلك؟ ما هو الأمر؟ الحياة، أسرع من أن تزينون وترتبون في بيوتكم، والآن ماذا تجد؟ في الفترة المرأة إذا كانت تتحول من بيت إلى بيت، أو ستذهب إلى هذا البيت كيف تكون حياتها وماذا تكون همومها؟ انتم تعرفون لا بحتاج أوصف لكم، والناس طبعًا مختلفين متفاوتين، النتيجة أن هذا ليس حدًا طبيعيًا.

يعني لا اهتم ببيتي؟ انظري بدنك اهتمي لكن قلبك لابد أن يكون عند باب الله، ما مقياسك في مثل هذه المسألة؟ صلاتك، انظر إلى نفسك في الصلاة من انت، والصلاة هي التي ستخبرك بمقياس ظاهرٍ صحيح، ستخبرك الصلاة حقيقة إيمانك، حقيقة اهتماماتك، انظر كم غرفة تفرش وانت تصلي، وكم سوق تجولت فيه بعقلك وانت تصلي، وعلى ذلك قس الحياة، ولذلك كونك تهمل أن تكون الصلاة مقياس هذا إهمال غير مقبول.

ولذلك في الحديث – نأتي إلى مسألة المحبة– ما العمل الذي يحبه الله أعلى شيء؟ أحب ما تقرب به العبد إلى ربه ما افترضه الله عليه، وأعظم ما أفترض الله ويتكرر عليك الصلاة!، فهي مقياس المحبة، يعني مقياس محبتك ومقياس محبة الله لك حالك في الصلاة.

على كل حال مقصدي الآن أن تتصورون أن المحاب الطبيعية تتحول إلى محاب غير طبيعية، تصل إلى حد أن تكون شركية، فلا تتصور أن المحاب الطبيعية لا يمكن أن تكون شركية، لا، المحاب الطبيعية يمكن أن تصبح شركية.

هذا أمر غاية في الأهمية لأن الناس يأتون يمنعوا أن تناقشهم في علاقاتهم مع أبنائهم، وفي علاقاتهم مع أزواجهم، يمنعوك من ذلك، ثم يأتون يقولون لك لا تتكلمي عن التعدد، النساء يعتدوا عليك!، وبسبب السكوت عن مسائل التعدد وعن أنها حق، وأنها شرع، وأنه لابد أن يكون لهذا الزوج مكان لا يتعداه في مشاعر القلب، بسبب السكوت عن هذا كله هذه هي النتيجة، جرائم قتل فردية، وجرائم قتل جماعية.

ثم السؤال من عليه المسؤولية لإيقاف المشاعر عند حدها وألا تتجاوز، من عليه هذه المسؤولية؟ المسؤولية ملقاه على عاتق شخصين:

- الشخص نفسه، صاحب المشاعر.
- والوعاظ أهل العلم، طلاب العلم، لابد أن يناقشوا المسألة، عندما يسكت عن هذه المسألة تجد هذه النتائج.

والوعاظ يسكتون والفضائيات توصف لهم وصفًا كيف يفعلون هذا الفعل، غير الذي يبث عن نفس التعدد الذي هو في أول الأمر ونهايته شرع من شرع الله، تستطيعون أن تنكرون أنه شرع؟!، إذا وقع في قلبك مشاعر أن هذا الشرع أمر مبغوض لك اعرف أن إيمانك هو الذي حصل له خلل، وليست هذه مشاعر طبيعية، لا أحد فيكم يوصف لنفسه أو يوصف للناس أن بغضك للشريعة مشاعر طبيعية!، انت تقولي أنا لا أحب أن يكون لي مرأة تشاركني في هذا الرجل، لا أحب غير أن أبغض الشرع.

طبعًا الشعار الذي يحمله غالب النساء أن الرجل لا يعدل، هذا الشعار الذي يكاد يكون الكذبة الكبيرة على النفس، اسألكم الرجل الآن من عنده تجارة ويسافر، وتتصلي على المرأة أين زوجك في كذا، أين زوجك في كذا، وطوال الأسبوع هي فاضية، وأحيانًا أسبوعين وثلاثة خالية من الرجل، لماذا؟ مسافر.

هل تشعر المرأة في داخلها بالغيرة؟ لا، بالعكس تحزن عليه، وتقول يشقى ويتعب من أجل اولاده، فأصبحت المشكلة ليست المشاركة، ها هي التجارة تشارك المرأة في الرجل، وأحيانًا الأصحاب، وأحيانًا هي المرأة تود في داخلها أن أقل عدد من الساعات يكون موجود فيه، لماذا؟ لأنه يتدخل في الأعمال، ويتدخل في الأطفال، ويفعل ويفعل، فتنتظر الساعة التي يخرج ويغلق فيها الباب،

بعد ذلك اعرض عليها حلًا أن يتزوج أخرى، تشب نارها، لا أقول هذا أمر يسير، هو يسير على من يسره الله، عندما يعرف الإنسان الهدف من الحياة ويعرف أن غدًا ستعرض عليك المسألة عرضًا، تعرفي المرأة ما دورها تجاه الرجل؟ هذه المشكلة أننا لا نعرف دورها تجاه الرجل، المرأة دورها تجاه الرجل أن تؤنسه، تعرف ما معنى تؤسنه؟ يعني يكون بعدما عملت في البيت وتعبت وأولادها فعلوا وهذا لم يسمع كلامها، كأن شيئًا لم يكن ثم تأتي له مؤنسا، وإذا كان صاحب همّ تكلمه وتخرج ما في قلبه، وتعرض عليه أفعل لك كذا أو أفعل لك كذا، أأتي لك بكذا أو أأتي لك بكذا، أين هذه المرأة ماشاالله؟!.

فخفف عن نفسك الحساب، انت ورائك حساب طويل بالتفاصيل، لكن الدنيا! الناس دائرين في الدنيا والآخرة لا يفكروا فيها، على كل حال هذه ليست دعوى أن المتزوجات يخرجوا إلى تزويج أزواجكم، أنا لا أقصد هذا، لكن الذي في قلب الرجل هذه الحالة يفعلها، وافترضي أنك لا تقبلين ماذا ستفعلين؟ ستتركيه؟، هذا هو الطغيان.

يعني هذا الكلام مضحك مبكي، لأني أقول لكم وانتم تشعرون بالاستبعاد لكن العالم الإسلامي العالم القريب والثقافات القريبة يعني نحن والخليج نعتبر ثقافة واحدة، وها هي الثقافات القريبة وانظر ماذا حصل، وهذا الأمر أوقعه الله عز وجل لحكمه من أجل أن نشتد قوة في الكلام عن شرع الله وعن الحدود، وعن الطاغوت وكيف تتحول المحبات الطبيعية إلى طواغيت تخرج الإنسان عن أمر الله.

ولذلك الإنسان عندما يتابع هواه – تأتينا المصيبة الكبيرة – عندما يتابع هواه فهواه يكون هو الطاغوت، ثم انظري للنساء؛ تحبيه من أجل ذلك لا تريدي تزوجيه أخرى؟ تقول لا انتظر الساعة التي يخرج فيها، مادام ليست من المحبة لماذا هذه الأنانية؟ لا، من أجل أن لا يقال علي أنه كذا أو كذا أو أقل كذا أو كذا من كلام النساء، فأصبح الهوى هو الطاغوت الآن، يعني ممكن يكون المحبة هي الطاغوت وممكن يكون لا، حتى في القلب ليس هناك محبة.

ولذلك نقول للنساء ستحل كثير من مشاكلك هذه بأن يتزوج فتجيب تقول لا إن شاالله يموت ولا يتزوج!، يعني يتيم أولادها من أجل أن لا يقع مثل هذا الأمر.

على كل حال عندما نواجه مثل هذه الحالات افترضي أنك زوجة ثانية وواجهتي مثل هذه الحالة لا يكون أيضًا هواك يغلبك فيصبح لك طاغوتًا، ما لك إلا باب الله، لو حصل مثل هذا الموقف لك واعتدى عليك الناس، اعتدى عليك الطرف الأخر، لابد من التوسل إلى الله أن يجعل هذه الفتنة التي وقعت فيها سببًا لرفعتك عنده سبحانه وتعالى.

احذر أن يتحول مشاعرك وحبك إلى نفسك وحبك إلى من تحب احذر أن تتحول إلى طواغيت، الله عز وجل قال في الآية ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ يعني سيأتيكم من الله عقوبة ونكال لا تحتملوها، ومثل هذه الحالة تعال انظريها مع أبنائنا الذين أخذوا لب قلوبنا، وأصبح وصف كثير من الأمهات أنهم يتجاوزون حدود ما أمر الله به شفقة ورحمة بهؤلاء، وهذا الأمر حقيقة نشتكي إلى الله منه، يعني أجد في نفسي في الأول من ابنائي أريدهم يستقيموا وأشد عليهم في مسألة الصلاة وفي مسألة صلاة الفجر، عندما يأتي الأبناء في الأخر تزداد المحبة والمشاعر فيصلون إلى نفس العمر الذي وصل إليه إخوانهم وكانوا منضبطين في صلاتهم نجد هذا لم يصلي بعد، بسبب ما في القلب من قوة مشاعر، لأنكم كما تعلمون أن الذي يأتي في الأخير تزداد المحبة تجاهه، فزيادة المحبة هذه ستكون وبال عليك، ولذلك كأنك تجاهد نفسك، انتبه أن يكون محبتك لأبنائك طاغوت يمنعك من أمرهم، ومن طلب

استقامتهم، لأن كثير من الأحيان نتجاوز أمر الله رغبة في إرضائهم، وطبعًا هذه المسألة تتفاوت من بيئة إلى بيئة، حتى في بيئة الاستقامة هذا موجود.

لذلك انظر إلى كل ما ذكر في الآية وراجع نفسك فيه، انظر إلى موقفك من الأموال، موقفك من البيوت، موقفك من الآباء، من الأبناء، من الاخوان، من عشيرتك، نحن لدينا تعصبات إلى القبائل والعشائر تكاد تكون طاغوتًا يعمي عيون ناس كثيرين.

ما علامة أن يكون هذه المذكورات – أقصد في الآية – أحب إلى الإنسان من الله ورسوله وجهادًا في سبيله؟ العلامة أنه إذا عُرض عليه أمران أحدهما يحبه الله ورسوله وليس لنفسه فيه هوى والأخر تحبه نفسه وتشتهيه ولكنه يفوت عليه محبوبًا لله ولرسوله، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه على ما يحبه الله دلّ ذلك على أنه ظالم تارك لما يحب الله، تارك لما يجب عليه.

إذن هذا المقياس، إذن من الآية ماذا سنقول؟ أن القوم ما عوتبوا على أصل محبتهم لهذه الأشياء الثمانية ولكن عوتبوا على تجاوز الحد لهذه المحبة، مما يؤدي إلى تفضيل هذه المحاب على محبة الله ورسوله، ما الواجب؟ لابد من إيثار ما أحبه الله من عبده على ما يحبه العبد لنفسه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أكيد هؤلاء من العاميات الذين ليس لهم علاقة إلا أنهم في بيئة جيدة، ليس هناك إلا التحكم من الأعلى، أصلًا ليس موضوعًا قابلًا للجدل، التعدد أمر من أوامر الشريعة والآن التعدد أصبح اختبار لصدق المرأة في استقامتها، قبولها لأمر الله، ومن أجل ذلك نقول الهوى يحكم الناس، هذا من مظاهر الهوى.

نقطة أخيرة هنا بالنسبة للآية؛ لابد أن تتصور أن الله يختبرك ليظهر لك حقيقة محبتك، حقيقة ما في قلبك من محبة، هل تقدم محبة الله أم تكون رهين محابك.

يعني نحن نقول الآن ما هو المقياس من أجل أن يتبين لي أني أقدم محبة الله عندما يأتي أمران متعارضان، وأنا يقع مني تقديم محبة الله معنى هذا أني أحب الله، لو وقع تقديم المحاب والشهوات معناه هناك خلل في محبتي لله، انت تأتين تقولين ربما يأتيني هذان الأمران المتعارضان وربما لا نقول لا، لا تتصور هذا، ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٣٩٢] أي أحد يدّعي المحبة لابد أن يأتي هذا الاختبار، وهذا الاختبار مكرر لنا، يأتيك مواقف ترى نفسك من تقدم الآن.

ولذلك كلمات تعلمت ظهر أمامك الموقف الصحيح في هذا الموقف أو في هذه الحال، فإذا تبين لك الموقف الصحيح في هذه الحال فالواجب عليك أن تفعل ما تعلمت أنه الموقف الصحيح، لكن الذي يشكل علينا دائمًا أنني أحيانًا لا أكون اعرف ما هو الاختيار الصحيح، هذا غير أن يكون اختبار المحبة.

الآن عندي حالتين:

حالة أعرف أن الموقف الصحيح الآن هو أن أتصرف كذا وكذا، تعلمت وفهمت ما هو الموقف الصحيح، وجائني الاختبار وأنا أعرف الموقف الصحيح هنا يظهر حقيقتك إذا ستتبع هواك أو ستتبع ما تعلمت، لكن أحيانًا المشكلة أني بنفسي لا أعرف ما هو الموقف الصحيح.

[٣٩٢] العنكبوت:١،٢

مثلًا نرى قضية مثل قضية السفر إلى الخارج للدراسة، خصوصًا للنساء، ناس خرجوا وسافروا ورأوا أنها بعثة علمية وسبب لتقدمهم العلمي، وأهم شيء المحرم فوفروا محرم، وتصوروا أن معهم من الدين ما يحميهم وعلى قاعدة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٣٩٣] ومحرم الحمدلله إذن ذهبت بالشريعة، ذهبت بمحرمي، ومحرمي سيكون سببًا لمساعدتي إلى أخر ما يصفون لأنفسهم، أي يحميها في دينها، وترى هذا ليس تقديمًا لهواها إنما تراه أمر عادي، رزق جائها.

هذه حالة غير حالة شخص في قلبه أن هذه السفرة ستكون منقصة لإيمانه، ثم يأتي يسأل أنا أرى نفسي ضعيفة وأرى أن مثل هذا السفر ممكن أن يفقدني ديني، وخصوصًا لو حصل شيء من الانبهار بأهل الكفر، والانبهار باحوالهم والكلام غير الذي بغض النظر عن دينهم، إلى أخر هذا الكلام، فتسأل فتفتى أنها تترك، فبعد ما تبين لها الحال، وتبين لها أنك بيعي الدنيا وأشتري الدين، ولا تكلمني عن سين وصاد وعين ذهبوا ورجعوا طيبين لأن الناس مختلفين أصلًا، وهناك ناس الله عز وجل يحفظهم بما معهم من صدق، وهناك ناس الله عز وجل بيَّن لهم الطريق من قبل أن يذهبون، بين لهم أنه ليس من صالحك أنك تفعل هذا الفعل لكنه لم يستجيب، فالآن بعدما تبيَّن لها أهلها ضغطوا عليها وقالوا لها لا اذهبي إلى المراكز الإسلامية وافعل وافعل، وخرجت وفتنت وعادت، هنا ماذا فعلت؟ قدمت هواها على محاب الله.

فرق بين الحالتين؛ واحدة تسافر متوقعة أنه شيء طبيعي أنها تسافر وليس فيها شيء، ومثلًا تكون متعودة مثلًا أنها تذهب تصيف في مكان كذا وكذا، فعندما تسافر لا تجد به غرابة، وأخذت أيضًا بالاحتياطات وأخذت محرمها، ويمكن أن يأتي في قلبها أنها ستذهب تنشر الدين أو سأأتي انفع بنات المسلمين، ولم يمر على خاطرها أبدًا أنها فتنة، فهذه لم يحصل لها تقديم وتأخير للمحاب.

غير الشخص الذي يعلمه الله عز وجل ويلقي في قلبه، وهذا موقف حقيقي حصل، طالبات أتتهم البعثة وأتوا في درس الخميس، ولم يكن لهم صلة بي وحضروا لقاء عام مع الناس، ثم أتى الكلام عن السفر إلى الخارج مثال في الدرس فكأنهم أصيبوا بحالة من الإغماء، تقول أنا لم اسمع إلا أن هذا مثل على هذا ثم لم أفهم ولا كلمة من الكلام الذي أتى بعده.

فتقول لم يكن لها كثير حضور في اللقاءات فكان المرة الثانية أو الثالثة، وتحضر تسمع هذا المثل في الوقت الذي جاء لها البعثة، صدقت مع الله فصدق الله معها، قالت أكيد أن الله اسمعني هذا الكلام إلا من أجل أن انتفع، من أجل أن أأخذ قرار، من أجل أن احفظ ديني، نفعها الله بهذا الكلام، في نفس التوقيت أحد أخر سمع هذا الكلام فيقول هذا مزيد تشتت، هذا ابتلاء لأني أصلًا موسوس، يعني الأخرى كانت تخاف من أشياء أخرى غير دينها، كانت موسوسة، فتقول هذا زيادة بلاء علي، وأنه لابد من مدافعة هذه المشاعر ثم خرجت.

انظري شخصان سمعا نفس الكلام وبيَّن لهم الله، في هذه المواقف يظهر صدقك من كذبك، كلمة السفر في البعثات إلى الخارج ليس على إطلاقه ممنوع، وليس على إطلاقه مسموح، وإن كانت تميل النفس إلى تركه، لكن في حالات معينة وأشخاص معينين يتجاوز معهم لمصلحة أعلى، لكن لا مصلحة أعلى من مصلحة الدين.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: كل الناس أصبحوا يفكروا بهذه الصورة، أنه مجرد دراسة أدرسها وسأعود، ولا يتخيلوا نافخ الكير.

---

[٣٩٣] الكافرون:٦

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا أمر متوقع فلسفة تساوي إلحاد، تدخل تخرج منها ملحدة من أجل نافخ الكير، لا يمكن أن لا يأثروا، هذا شيء من الوهم أن تتصور أن مثل هؤلاء لا يؤثرون عليك، لابد أن تهرب، الله المستعان، على كل حال المقصد الآن أنك لابد أن تبتلى.

خرجنا من الدليل الثاني بعدة مسائل:

- الأمر الأول: أننا لا نعاتب على أصل المحبة إنما نعاتب على تفضيل محبة هذه الأشياء الطبيعية على محبة الله.
- الأمر الثاني: لابد أن تعلم أن هناك علامة تدل على التفضيل.
- الأمر الثالث: لابد أن تعلم أن الله يختبرك، لابد أن تأتيك مواقف يظهر فيها هل انت تفضل محبة الله وما أمرك الله أم تفضل هواك.
- الأمر الرابع والأخير: أننا تناقشنا في مسألة الطاغوت، وكيف أن هذه المحاب الطبيعية تحولت فأصبحت محاب غير طبيعية عندما طغت داخل القلب.

الدليل الثالث.

نأتي إلى الدليل الثالث.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ". أخرجاه.

"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ": أي الإيمان الكامل الذي تبرأ به ذمته ويستحق به دخول الجنة، يعني دخول الجنة معناها بدون دخول النار.

متى يؤمن إيمانًا كاملًا؟ "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ" يعني الإيمان الكامل يكون بتقديم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على محبة كل مخلوق، كل مخلوق حتى لو كان محاب طبيعية "مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ".

أولًا نسأل ما العلّة؟ يعني لماذا يجب أن تكون هذه حال محبتنا للرسول صلى الله عليه وسلم؟ لماذا يجب أن تعتقدي أن أحق البشر بالمحبة هو الرسول صلى الله عليه وسلم؟

سنذكر أربعة أفعال:

- أولًا: أنه المبلغ عن الله سبحانه شرعه، فمن تعظيمك ومحبتك لله تحبين كل من يوصلك إليه، وأعظم من يوصل هو الرسول صلى الله عليه وسلم.
- ثانيًا: أن الرسول صلى الله عليه وسلم دلّ الناس على طريق السعادة في الدنيا والآخرة.

ثالثًا: حذرهم من طريق الضلالة والغواية، إذا بحثتم في باب التحذير من المعاصي في كتاب الرقاق ترون كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف نفسه بوصفين مثلين عظيمين، كيف وصف نفسه أنه النذير العريان[٣٩٤]، وكيف وصف نفسه أنه بذاك الرجل

[٣٩٤] عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَا النَّجَاءَ فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمْ الْجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ" صحيح البخاري» كتاب الرقاق» كتاب الانتهاء عن المعاصي ٦١١٧

الذي أوقد نارًا فكانت الفراش تجتمع عليه فكان يبذل جهوده أن يدفعهم[٣٩٥]، هذا حال النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس، أتى بالهداية، وأتى بما يدفع الناس عن النار فلازالوا مصرين أن يفعلوا الأفعال التي توقعهم في النار.

ما رأيكم تخرجوا الحديثين وتكتبوهم في هذا الموطن لتبقى شاهدًا في أذهانكم.

- رابعًا: وأيضًا تحمل المشاق في ذلك فهو صلى الله عليه وسلم أهلٌ أن يحب.

تكليف: أريد منكم أن تنقسموا إلى قسمين:

- قسم يكتب رسالة في أربعة صفحات عن أسباب محبة النبي صلى الله عليه وسلم، وأريد منكم أن تعتمدوا على الأفعال [أنه بلغ الرسالة، أنه دلّ الناس، أنه حذرهم، أنه تحمل المشاق] أهم شيء تأتون بصور، أدلة من الكتاب ومن السنة والاختصار أهم شيء، يعني أربع صفحات كأن لكل فعل صفحة واحدة.
- القسم الثاني: عنوان أريد منكم أن تناقشوه: حب الرسول بين الجفاء والغلو.

نحن أمام مشكلتان: أمام مشكلة الجفاء وهذا كلام يؤسفنا أن نقوله حتى من المستقيمين، في نفوسهم شيء من الجفاء، وسترى ما هو الاعتدال، انا سأناقش الاعتدال وانتم ناقشوا حب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الجفاء والغلو، هاتين المشكلتان بين الجفاء وبين الغلو، سنناقش ما هو حد الاعتدال، انتم القسم الثاني يقدموا ورقة من أربع صفحات في الكلام حول الجفاء والغلو، هذه الأربعة والأربعة ستكون عبارة عن درس سنبذل جهودنا إن شاء الله أن نجمع ما تأتون به وننسقه جيدًا ثم تبدئوا تتمرنوا عليه.

هناك شهر مثل شهر محرم وصفر الأشهر السابقة لربيع، سيأتي الربيع وسيأتي الناس الذين حتى ليس في قلوبهم كلام عن المولد لكن فقط يستغربون أن كل الناس بمعنى كل الناس يحتفلون وانتم تغلقون على أنفسكم، فقبل أن يأتينا الكلام سنبادر نحن بالمدافعة، فكل واحدة بجانبها مسجد، مدرسة تحفيظ، معها ٨ ورقات وعظ، تكون تمرنت على زميلاتها وتنزل، وانتم عدد كبير، لو وزعتم أنفسكم على الأماكن ستغطوا منطقة ليست قليلة، وهذا لو مرة واحدة فعلتي هذا، ولو مرتين انظري كم العدد يصل، ولو ثلاثة وأربعة، لو عشرة، سيكون لكم أثر، اسأل الله عز وجل أن يقوي رياحكم وقلوبكم وعزائمكم وأن ينفعكم بذلك.. اللهم آمين.

هذه مسؤوليتكم دفع البدعة قبل دخولها، هذه مسؤوليتكم، وهذا سبب من أسباب النجاة، سبب من أسباب الشرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم، سبب أن يكون فعلك هذا إظهار لمحبتك الحقيقية للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الوعود ليست من عندي، هذه الوعود اقرئيها في الكلام عن من نشر السنة، وليس شرطًا أن تكون في نشر السنة على منبرٍ عالٍ بل سد الثغرة القريبة منك ثم يسد الله عز وجل بك الأفق، ثم اعلم أن الإخلاص يجعل العمل القليل في ميزان صاحبه كثير.

---

[٣٩٥] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ تَقَعُ فِي النَّارِ وَقَالَ كَانَتْ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ وَقَالَتْ الْأُخْرَى إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ فَقَالَ ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا فَقَالَتْ الصُّغْرَى لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسِّكِّينِ إِلَّا يَوْمَئِذٍ وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُدْيَةُ" صحيح البخاري » كتاب أحاديث الأنبياء» باب قول الله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ٣٢٤٤

نأتي إلى الاعتدال في حب الرسول صلى الله عليه وسلم.

الآن عللنا لماذا الرسول صلى الله عليه وسلم أحق البشر بالمحبة.

السؤال: ما الاعتدال في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل أن لا أقع في الجفاء أو الغلو؟ كأنك تقولين من المقرر أن واقع العالم الإسلامي يقف محبة النبي صلى الله عليه وسلم، هذا الواقع ما حاله؟ الناس يحبون الرسول صلى الله عليه وسلم بصورة من الغلو، أو وقع بعضهم في الجفاء، ما الاعتدال؟

- الأمر الأول: الاعتدال أولًا العلم بسنته، أول الأمر العلم بسنته، فأصبح مسؤولية طلاب العلم الانكباب على تعلم سنة النبي صلى الله عليه وسلم، لا تحرم نفسك من دراسة كتب الحديث ونخصّ بذلك البخاري ومسلم.
- الأمر الثاني: اتباع أوامره صلى الله عليه وسلم واجتناب نواهيه، الآن تعلمت أصبح هذا في نفسك.
- الأمر الثالث: أحتاج مع اتباع الأوامر واجتناب النواهي تعظيم سنته صلى الله عليه وسلم.

احتاج مشاعر التعظيم تجاه السنة القوليه والفعلية في الحياة كلها، لا ترى نفسك من السهل عليك تجاوز سنته صلى الله عليه وسلم، لا تشعر بهذه المشاعر، لا يقع في قلبك مخالفة السنة لا يقع في قلبك الاستهانة، عندما تأتي وتخالف السنة لا يقع في قلبك الاستهانة.

لذلك من الأخطاء التي دائمًا تحدث ونحن ندرس الفقه أننا نأتي نقول للطالب هذه سنة، هذه سنة، لا، ليس صحيح، انت عندما تصفين الحج والعمرة الآن، فتسمي الدرس الحج المبرور، عندما تأتي تقولي الحج المبرور لا تتكلمي عن أركان الحج وواجباته، وسننه، خطأ!، انت تتكلمي عن الحج المبرور أي توصفين حج النبي صلى الله عليه وسلم كله، ولا تفندي تقولي هذا ركن وهذا واجب وهذا سنة، ويذهبوا وفي المواطن التي ترى الناس يتشددون فيها تقولي إن استطعت، وكرري عليهم إن استطعت، لا تقولي سنة، قولي لهم إن أستطعت.

مثلًا الدعاء عند المشعر الحرام في مزدلفة عندما يقومون وينفروا، انت تعرفي أنه ليس كل الناس يستطيعون لأن ليس الناس كلهم خط سيرهم من جهة المشعر الحرام وإن كان الغالب أنه لابد أن يكون على يمينهم مادام يذهبون إلى منى، لابد أن يكون على يمينهم، لكن هناك ناس يريدون أن يذهبوا إلى المشعر الحرام، إذن مزدلفة كلها مشعر! لكنهم يصرّون، بسبب ماذا؟ بسبب من علمهم!، ويقول لهم لا يكون حجكم مبرور إلا بهذه الصورة خطأ!، انت قولي لهم أن الدعاء عند المشعر الحرام إذا استطعت، وإذا لم تستطيع وانت في مكانك وانت في الباص، هذا لو كانت المسألة تتصل بالسنن.

لكن فرق بين أمرين:

- ⇦ فرق بين أن تقول لهم هذا واجب، هذا سنة، هذا ركن.
- ⇦ وبين أنك تصف لهم حج النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم إذا عادوا من الحج فوقعوا في أخطاء ذاك الوقت نفند، تقول الحمدلله قمت بالأركان، لا يجب عليك كذا، لا هذا أصلًا سنة، هذا الفرق، هناك فرق بين الافتاء على حال وقعت وهناك فرق بين التعليم، لابد أن تفهموا هذا الفهم.

ولذلك أحيانًا مثلًا تكوني انت درستي هنا في المملكة ودرستي على المذهب الحنبلي، وإن كان الآن كل ما يدرسوا يأخذوا القول المختار، لكن فلنقل على وصف بعضهم، من درس بلوغ المرام سيفهم كلامي جيدًا، الحنابلة عندهم أدلة على كلامهم، والأحناف عندهم أدلة والمالكية عندهم أدلة، والشافعية عندهم أدلة، وربما نفس الدليل لكن واحد يفهمه والأخر فهمه مختلف، وأحيانًا هذا يضعف دليل هذا، وهذا يقوي الدليل فيأخذ منه.

تأتي عندما تدرسي أحد تفعلي خطأ، تأتي إلى مسألة تكون المذاهب الأخرى تراها بصورة وهنا يرى بصورة أخرى، يعني هنا حكم وهنا حكم، فتشددي عليهم في مسألة انت لا تفهمين أن هناك خلاف في المذاهب الأخرى، وخصوصًا هذا الخطأ يحصل في الصلاة، نأتي في الصلاة نقول لو لم تسمي – نأخذ مثال التسمية وهذا أبسط شيء- عند بعض المذاهب التسمية على الوضوء واجبة، فإذا لم تسمي لم يصح وضوئها في مقابل أن الرأي الراجح أنها سنة، فتصوري انت درستي على أنها واجبة، ماذا يفعل من معك؟ تقولي واجبة عليكم، ولا تتصوري خلاف ذلك، وتأكدي عليها أنها واجبة، مع أن هذا يخالف الرأي الراجح.

وأحيانًا لا يكون يخالف الرأي الراجح أحيانًا يكون يخالف بعض القول عند الفقهاء، فعندما تأتي تقول نحن سمعنا أن فلان يقول، وعلان يقول، وفلان وعلان كبار يكاد يصدر منك تسفيهًا لهم!، هذا هو الحاصل!، وإن كان ربما لا تطرقون كثيرًا إلى الفقه لكن يحصل، خصوصًا عندما تأتي الدروس في رمضان، في المساجد ويأتوا يوصفوا الصلاة والوضوء فتقول كلام صوابًا لكن تسفه كل أحد غيرها، خطأ أن تسفهي كل أحد غيرك.

في أحيانًا كثيرة تكوني لم تعيشي الواقعة فلم تتصوريها، مثل أحد طلبة العلم خرج إلى الصين، يوم العيد كان موجود في الصين، في عيد الفطر، فعندما ذهب هناك لم يكن عندهم مكان يصلون فيه، غرفة صغيرة يصلون فيها، فكانوا يصلون جماعة على قدر الغرفة فيخرجون، ثم يأتي أخرى يصلون ويخرجون، فهو لم يتصور المسألة، لم يحصل له في يوم أن يتصور أن الناس في يوم العيد يصلون بهذه الصورة، الحمدلله في بلاد المسلمين الحمدلله نسأل الله أن يزيدنا أمنًا وأمانا ويزيدنا السنة اللهم آمين، ويجعلنا سببًا لنشرها، اللهم آمين.

فانظري كيف عندما يكون طالب علم كبير ويقف أمام هذا الأمر حائرًا لكنه لم يتعجل ولا بكلمة، ثم عاد إلى البلاد وبحث في كتبه ووجد في كتاب المغني ابن قدامة ما يدل على صحة هذا الفعل، لكن قال لو كنت قرأت هذه الجملة مئات المرات لم أكن لأتصورها لكن عندما ذهبت تصورت المسألة، أهم شيء لم يتعجل.

المراد الآن من تعظيم السنة ألا تأتي إلى أقوال شيء من الفقهاء وانت تعلمين أن هؤلاء الفقهاء رفعهم الله، لا تأتي إلى شيء من أقوالهم وتسفهيها وترميها في الأرض وكأن شيئًا لم يكن!، لا، ليس بهذه الصورة، تمهل، تمهل، حتى الشيء الذي تدرسه ادرسه وافهم الباقين ماذا قالوا فيه، وإذا كان القوم ليس لهم علاقة مثلما تكون في مسجد تعرف أن أهل هذا الحي ضيوف على البلاد، وليس لهم علاقة بالمذاهب الأخرى، إذن اعطيهم على منهج هذه البلاد الحنابلة، لكن إذا القوم معك مختلطين، قوم يأتون من بلادهم عندهم علمائهم أفتوهم بكذا وكذا، فتأتي تسفه كل كلامهم!.

الآن مع الانفتاح الفضائي أتتنا المشكلة، أن فلان يفتي بكذا وعلان يفتي بكذا، أنا أتكلم عن الاختلافات الفقهية، أمَّا عن الاختلافات العقيدة فنحن على منهج أهل السنة والجماعة ولا نقبل بديلًا له، وإذا وجدت مخالفة في مسألة عقدية له طريقة معينة في إنكارها، لكن أقول باختصار كلما وجدت مخالفة في مسألة عقدية مباشرة فكر في مشروع لنشر الصواب في هذه المسألة.

مباشرة فكر في مشروع بديل، يعني مثلًا انتشر في الفضائيات شخص يشرح الاسماء بمنهج أشعري لكن لا أحد يشعر به، كلامه جميل، فلا يشعرون، وهناك آثار ويتكلم عن القلب ولا يشعرون، فماذا تفعل في مقابل هذا؟ لو أتى أحد سألك عن اسمه بعينه جاوب، عندما أحد يسألك لا تأتي للناس وتقول لهم فلان الفلاني كذا وكذا، لا ليس هذا المنهج، سيتركوك انت، المداراة مطلب. المقصد إذا جاء أحد سألني عن أسمه سأقول، لكن لم يأتي الناس يسألوني، ويسمعوا مني ويدرسوا القواعد وكل شيء، ثم يسمعوا هذا الأشعري، لابد من تقديم برنامج بديل، مثلًا نحن سننفذ برنامج يرد على هذا الانتشار أننا نعمل مسابقة ننشر في باب الاسماء والصفات، ننشر كتاب فقه الاسماء والصفات للشيخ عبد الرزاق على مدارس التحفيظ، ونعمل عليها مسابقة، وننزل عليها جوائز، المصلحة أنك نشرت الصواب، فتدفع الباطل ببناء قاعدة حق، والباطل لابد أن يزول،لابد أن يزول لكن انتم أظهروا الحق، وهكذا. جاء أحد يتكلم عن وهذا موقف حصل في ١٤٢١ تقريبًا كنا نشرح في درس الخميس رسالة العقيدة تقريبًا "لمعة الاعتقاد" وصلنا إلى الكلام حول ولي الأمر، وكان وقتها النفوس ليس متبين لها موقفنا من ولي الأمر، وفي وسط اللقاء قامت واحدة قامت في وسط اللقاء وقالت كيف تكوني هذه مشاعري تجاه ولي الأمر وهؤلاء الذين يفعلوا كذا وكذا، كان في جهة أرض المغرب مشاكل، قالت من أوصافهم كذا وكذا ثم حكمت عليهم بالكفر، مصيبة كبرى! جماعة التكفير!، وهي لا تشعر بنفسها لكن نفعنا الله بها فكانت سببًا لأن نبدأ في شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري ونكرره، لأنه تبيَّن لنا أن الأمر منتشر، يعني التكفير في النساء منتشر، منتشر لا لأنهم عندهم أستدلالات لكن لأنهم مجرد أواني يصب فيها فتنظر فكر زوجها أو اخوتها أو عائلتها فتأخذ منهم وتخرج تتكلم بدون أن تفكر، على ذلك اعمل برنامج مضاد، ثم النساء ليسوا بعيدين، مدارس التحفيظ، المساجد، هذه كلها أماكن لمثل هذا.

على كل حال المفروض ننتهي اليوم من الباب، إذن واضح تعظيم ما معنى تعظيم السنة، تعظيمها هذا أمر غاية في الأهمية، لا تجعل الناس يتكلمون عن الدين وكل واحد يقول هذا الصواب وغيري خطأ.

طبعًا فرق بين المسائل الفقهية والمسائل العقدية، عقدية تحتاج منك قوة وفهم ومعرفة ما الشيء المنتشر حولك من اعتقادات باطلة وبدع، هذه ركز عليها، تعلمها جيدًا وافهمها وقدم برنامج بديلة، هذه البرامج تنشر الحق وتدفع الباطل، الباطل مثل ما مر معنا في الأمثال في الأسبوع الماضي في سورة إبراهيم، كيف وصف كيد أهل الباطل إذا قلنا على القول الثاني من الآية؟ الآية من أولها: ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[٣٩٦] فهذا هو كيدهم، ولذلك تصوروا مثل الرماد تراكم مع بعضه وأشتد مع بعضه عندما تدفعه بالحق هذا الرماد الذي تراه شيء هائل كأنه جبل الحق يجعله كأنه ريح، ويكون يوم عاصف عليهم.

ولذلك منعنا الله من التفرق، تعرف لماذا منعنا؟ قولي الآية؟ ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[٣٩٧] هذه هي الحق، الريح هذه هي الحق التي تأتي إلى رماد الباطل وركامه على بعضه وتذهب به، ولذلك انت وحدك لا تنفع، يجب انتم جميعًا وهذه نعمة والله لا تقدر بثمن لكن أشعر ببرود قلوبكم تجاهها، لا تقدر بثمن أن لك على التوحيد أعوان، لو نظرتم فقط قريبًا منا في العالم الإسلامي، بل قريبًا منا في نفس بلادنا لكن في مناطق أخرى لا تجد ناس مجتمعين ليس لهم همّ إلا أن يتعلمون كتاب الله وسنة

[٣٩٦] إبراهيم:١٨

[٣٩٧] الأنفال:٤٦

النبي صلى الله عليه وسلم وبالذات التوحيد، وأنا لا أقصد تزكية المكان على أماكن أخرى، لكن في هذه البلد الحمدلله هناك ناس كثيرين مثل هذا لكن أقصد انظر إلى باقي العالم الإسلامي، وسيأتينا الكلام عن الحب الآن، تحبهم لأنك اجتمعت معهم على التوحيد، لا تحبهم لأن طباعهم وافقت، لا ليس صحيح، لو طباعهم وافقت معناه هذا حب الهوى، الكلام عن أحد مجرد أنه معك يتعلم التوحيد، لأنه معك يشد بعضكم بعضا ويؤآزر بعضكم بعضًا للوصول إلى نشر هذا التوحيد، وينفعكم اجتماعكم، سينفعكم يوم القيامة، وسيشهد بعضكم لبعض، وسينفع بعضكم لبعض، ولذلك ﴿الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٣٩٨] وهذا ما سيأتينا في الكلام حول مسألة الحب في الله، أن الجامع ليس الدنيا أبدا.

اتفقنا أن الأمر الثالث تعظيم السنة.

- الأمر الرابع: الدفاع عنها.
- الأمر الخامس: تقديم قوله صلى الله عليه وسلم على قول كل أحد، وهذه أيضًا تحتاج إلى شرح ومختصرها أنه لو تعارض أمامك قول أي أحد من البشر وقول النبي صلى الله عليه وسلم اترك عنك المنطق والعقل والتجارب والاختبارات إلى أخره ولا تفكر إلا في كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم.

الدليل الرابع.

نرى الآن الدليل الرابع والدليل الخامس وهم يجتمعان في الكلام حول محبة الله والرسول صلى الله عليه وسلم.

ولهما عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ". وفي رواية: "لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى..." إلى آخره.

انظري للخصال التي ذكرت في الحديث:" ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ" سنتناقش ما هي حلاوة الإيمان، لكن انظري إلى الشاهد مباشرة، الشاهد أن حلاوة الإيمان إلا بهذه الخصال:

- وأول خصلة: "أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا" يعني مما يحب الإنسان بطبعه ولد ونحوه، يعني يكون حبك لله ولرسوله أحب من محابك الطبيعية.
- الخصلة الثانية: "وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ" وهذه كلمة صعبة ولذلك لا تطلقها على أحد إلا عندما تكون صادق.

يعني علاقاتكم مع زميلاتكم الذين وافقوكم على الهوى، الهوى يعني الهوى الغير مباح، على الهوى يعني طباعها مثل طباعك، أو قريبة منك، أو انت تحبي هذه الطباع، أو تكرهي في نفسك الهدوء الزائد مثلًا، وهناك أحد له حركة، انت تحبي هذا الطبع وافقك،

[٣٩٨] زخرف:٦٧

لا تأتي تقولي لها أنا أحبك في الله، من أجل أن لا تكذبي على نفسك، انت تحبيها لا تلامي عليها، لأن هذه من المشاعر، من المعاشرة، فهذه اسمها محبة طبيعية، المهم لا تتجاوزي بها الحد.

فمن جهة لا تتجاوزي بها الحد ومن جهة لا تكذبي على نفسك وتأتي تقولين أنا أحب هذه فلانة التي أعاشرها محبة في الله، لا هذا ولا هذا، لكن تعال هناك أماكن كثيرة فيها حب في الله، المثال الذي ضربناه في وسط اللقاء حبنا لهؤلاء الحجاج والمعتمرين والناس الذين نراهم في الحرم ولا نعرف عنهم شيئا، ثم يكلمونا ونكلمهم ونحب أن نكلمهم، ونجد في قلوبنا مشاعر وهم يطوفون ويسعون حتى لو رأيناهم بالمرئيات يقع في قلوبنا محبتهم، هذا هو اسمه حب في الله، ليس لك أي مصلحة إلا فقط لأنه في بيت الله، فقط لأنه حاج في بيت الله، فقط لأنه معتمر، هذا هو ما أوقع في قلبك محبته، هذا هو الحب في الله.

حب النبي صلى الله عليه وسلم هذا حب في الله، حب الصحابة الذي لابد أن ينشط في قلوبكم هذا حب في الله، حب التابعين اشرح الله أن يشرح صدوركم وكلما درسنا المصطلح ودرسنا الرجال سيقع في قلوبنا محبة الصدوق الثقة، وبغض الكذاب الذي وقع منه كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، انت لا تقرأ اسمائهم لكن واقع في قلبك محبتهم.

عندما أقول لك البخاري ماذا يقع في قلبك؟ محبته، هذه كلها اسمها حب في الله، قوي هذا، الملائكة حب في الله، وعندما تمر على الآيات كما مر معنا عندما تسمع أنهم يستقبلون هذا الذي تفيض روحه ويقولون له لا خوف عليكم ولا تحزنون، في قلبك محبة لهم، ترجو من الله أن تجعلهم هم الذين يستقبلونك حال ما تفيض روحك – نسأل الله من فضله – .

كل هذا أنواع من الحب في الله، إذن"وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ" لماذا هذه الخصلة تأتي بحلاوة الإيمان؟ **لأن لابد للمحب أن يحب ما يحبه محبوبه.**

إذن لا تحب الأشخاص لغرض دنيوي أو لمعرفة أو لأنس ثم تسمي هذه المحبة حب في الله، المحبة الطبيعية ليست ممنوعة، محبتك لصاحبتك ليست ممنوعة لكن الممنوع أن ترتكب واحد من خطأين:

تكذب فتقول هذه محبة في الله أو تتجاوز بهذه المحبة حدها الطبيعي، تأتين لأحد تقولي هناك أحد أحبه حقيقة لله، لا أتصل به ولا أواصله إلا لأني في قلبي شعور أن الكلام معه يزيد إيماني، هذا حب في الله، هو ليس ممنوعًا أن يكون لك صاحب أو ند وتحبه في الله، لكن أقصد أن الشائع أن غالب علائقنا مبناها على المعاشرة أن هذا وفقك ليس على الحب في الله، على ذلك مطلوب منك الصدق، كن صادق من أجل أن لا تختلط عليكم المقاييس.

سؤال من الحاضرات: –الظاهر كان سؤالها عن أحد صديقاتها لها مشكلة وأنها كانت تحب أخت لها في الله ثم اكتشفت أنه منافقة، فبعد ذلك تعرفت على أخرى تشبهها في تصرفاتها وحالها، فالسائلة تسأل ماذا تفعل هذه صديقتي.

رد من الأستاذة: انت لك بنفسك فقط ليس لك علاقة بها، اتركيها هي تعرف تعالج نفسها، لو انت لا تحبي من على استقامة، لا تكلميني عن غيرك، تريدي تكلميني عن نفسك أجاوب عليك.

[٣٩٩] .....

لم تستفيد من الفرصة، المفروض تقولي لو افترضنا، المفروض هكذا — تفعلين – من أجل أن يأتيك العلم، لا من أجل أن تثبتي لنفسك أن الأمر لا يعنيك، لكن لا نبخل عليكم بذلك.

افترضي انت واقع في قلبك أحد مستقيم وليس واقع في قلبك حبه ماذا تفعلين؟ اصرفي التفكير عن عدم حبك له، عن عدم قبولك له، ومدي يدك له بالإحسان، يعني ارغمي نفسك أن تكوني علاقة معها، ثم إذا كنت انت بنفسك مستقيم سيتبين لك الحال، لأن بعضهم يكون مر علي حالة مثلًا، فلنقل انتم، مر على واحدة فيكم حالة انت بنفسك مستقيمة عندك تقوى وإيمان، ومر عليك حالة شخص يشبه هذا الشخص، ثم مع الأيام اكتشفت أنه منافق له ظاهر وباطن، ثم أتاك شخص أخر يشبه الأول في تصرفاته وكلامه فالذي منعك عنه إحساسك أنه ممكن يكون منافق، انت اصرف من عقلك هذه المشاعر وعامليه رغمًا عن نفسك، ثم إذا كان صادقًا وانت صادقة في أنك ترغمي نفسك في أن تحبي من أجل الله سيكشف الله الغمّة، وإن كان كاذبًا سينكشف لك.

ولذلك حتى الناس طلبة العلم عندما يأتيهم مرض الكِبر – اسأل الله أن يسلمني ويسملكم أجمعين — لأن هذا داء عضال يجب أن تفهموا هذا، عندما يصاب طالب العلم بمرض الكبر تنقطع القلوب من محبته، طالب العلم لا يحب إلا عندما يكون منكسر، منكسر، بهذه الكلمة، لا يرفع عينه، عينه في الأرض منكسر لله، من أجل ذلك لا تمثلوا مشاعر الإنكسار، اشعروا بها أولًا ثم سيفيض عليكم المحاب، سيأتيكم من يحبكم وانت منكسرين، لكن طوال ما ترى نفسك شيء اعلم أن هذا أول ما يقطع علائق الناس بك.

هذا المرض ممكن لا يصيبك في أول الموضوع بل يصيبك فيما بعد، عندما تأتي الدرس وانت بهذه الصورة الناس حولك يشعرون في نفسهم منك ضيق، تشعر كأن قطعت حبائل المحبة معك، فأحيانًا أمراضنا هي التي تجعل من أمامنا تنقطع قلوبهم من محبتنا، ولذلك عندما تجد نفسك مغلق على أحد مع أنه مستقيم لا تبادر إلى اتهامه، بل بادر في اتهام نفسك، لأن أحيانًا هناك مظاهر تشترك بين أهل النفاق وأهل الإيمان، فانت تكون جربت بواحد منافق وتحمل هذه الصورة وتقول كل واحد يفعل كذا وكذا معناه منافق! لا، لا تعطي نفسك هذه السماحية، اتهم نفسك ولا تتهم الأخرين.

❖ الخصلة الثالثة: وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ" لابد للمحب أن يبغض ما يبغضه محبوبه.

في الحديث: "وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ" يكره هو أن يعود إلى الكفر، لا يمر في خاطره استقبال الكفر أبدًا بل يبغضه بغضا، وهذا من شدة إيمانك، من شدة الإيمان شدة بغضك للكفر وأحوال الكفر نفسه، لم نتكلم عن الكفار إنما أحوال الكفر نفسه، تكره كل صور الكفر وأهمها الشرك.

يؤسفنا أن نقول في بعض دول الخليج مثلًا تدخل الفنادق فتجد بوذا، المفروض يأتيك مشاعر كأنه حصل لك كهرباء من مشاعر الاشمئزاز هذا المفروض، لكن بعد ثلاثة أيام أدخل وأخرج على الفندق — الله المستعان – فكأنك لا تسكت لنفسك ولا تترك

[٣٩٩] عندما سألت السائلة ثم أجابت الأستاذة بهذا الرد فلم تعقب السائلة فعقبت الأستاذة قائلة:

.- كتبت هذا الموقف لمعرفة كيفية انتهاز الفرصة في الطلب وكيفية السؤال للمُعلم-

لنفسك كما هي، وتري مظاهر الشرك تبردي، لأ، يجب أن تشحن نفسك أن هذا مكروه، مثلما تأتيك أحيانًا في الفضائيات بعضها تنقل صور من الموالد، صور من أماكن المقابر وتمسح الناس، أحيانًا يأتي حتى مقاطع في الانترنت، يجب أن تشعري في قلبك بالبغض الشديد، شعورك أن هؤلاء لا عقل لهم، يجب أن تشعري أن هؤلاء لا عقل لهم، كيف حجر تعبدوه من دون الله!، الله المستعان، نسأل الله أن يثبتنا على التوحيد.

" إذن هذه ثلاثة خصال من أعلى خصال الإيمان فمن كملها فقد وجد حلاوة الإيمان، وانت تعلم أن الإيمان له حلاوة توجد في الروح، وكلما سعى العبد في تكميل إيمانه اشتد شعوره بهذه الحلاوة، والوصف الدقيق لهذه الحلاوة أن يجد المرء في نفسه وقلبه الطمأنينة والراحة والنعيم والسرور والإنشراح، وأن يستلذ بالطاعات، ولا يشعر أنها ثقل يريد أن يتخلص منها فيتحمل المشاق مشتاقًا لرضا الله".

متى ستأتيه هذه حالة أو متى سيشعر بهذا كله؟ لو أتى بالثلاثة؛ يعني سيجد طعم الحلاوة عندما يقع في قلبه أن يكون الله ورسوله أحب إليه سواهما، لو كانوا هم أحب إليه فطعم كل وصل بينه وبين الله سيكون لذيذًا، لو كان حقيقة الله ورسوله أحب إليه، لأن تعال إلى الشيء الذي تحبه وانظر بذلك من أجله تجده لذيذًا، لكن الشيء الذي لا تحبه تريد أن تتخلص منه.

مما مر معنا في المثال في التفسير، مر معنا في سورة إبراهيم، مر معنا مَثَل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ شبهت الكلمة الطيبة لا إله إلا الله بالشجرة الطيبة ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[٤٠٠]

هنا الشاهد ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[٤٠١] ما هو أكلها؟ الشجرة ثمرتها، انظري هذا المثل أن هذه الشجرة الطيبة لها ثمار ما نوعه؟ حلوة، هذه الثمار الحلوة هنا ما شبه به حلاوة الإيمان.

سأنقل لكم كلام الشيخ سليمان علي الشيخ في التيسير.

يقول رحمه الله:

والشجرة لها ثمرة، والثمرة لها حلاوة فكذلك شجرة الإيمان لابد لها من ثمرة، ولابد لتلك الثمرة من حلاوة، لكن قد يجدها المؤمن وقد لا يجدها، وإنما يجدها بما ذكر في الحديث.

اجتهدوا أن تأتوا إلى هذا الحديث وسيكون أول مثال لكم، أخرجوه من مواطنه، أريد منكم أن تأتوا بتخريج هذا الحديث من مواطنه.

اذكري أين وما درجته، حديث حلاوة الإيمان، ثم ابحثي عن شروحه، هذا عمل فردي ممنوع فيه التعاون تمامًا، سنبذل جهودنا أن نأتي لكم بالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

هذا الباب مليء بالكلام لكن أعطيكم ما يتيسر لكم.

---

[٤٠٠] إبراهيم:٢٤

[٤٠١] إبراهيم:٢٥

الدليل الخامس.

وَعَن ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ وَوَالَى فِي اللَّهِ وَعَادَى فِي اللَّهِ فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك. وَقَدْ صار عامة مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا ، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا.رواه بن جرير، وَقَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[٤٠٢] قَالَ : الْمَوَدَّةُ.

الدليل الخامس مرفوع أو موقوف؟ – سنستخدم ألفاظ المصطلح – موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما، عندما أقول لك موقوف على ابن عباس أي هذا من كلام ابن عباس.

ماذا يقول رضي الله عنهما؟ انظري في أخره من هو ابن جرير؟ الطبري، الطبري نقل هذا الكلام، سؤال مهم: أين نقله تحت أي آية؟، ابحثوا عنه.

"مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ" هذان أول عملان، لابد أن يأتي بعده هذان الأمران: "وَوَالَى فِي اللَّهِ وَعَادَى فِي اللَّهِ" إذن هذه علاقة طبيعية بين المحبة والبغض والموالاة والمعاداة، "فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ".

ما معنى الولاية؟ ولاية الله؟ المقصود توليه سبحانه وتعالى لعبده بالمحبة والنصرة، "ولن يجد عبد طعم الإيمان" هذا إشارة إلى ما سبق، الطعم المقصود اللذة، "وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك". كذلك أي يقع في قلبه المحبة في الله والبغض والموالاه لله والمعاداه فيه، ثم يوصف حال الناس: "وَقَدْ صار عامة مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا ،" على أمر الدنيا يعني على الهوى، عامة مؤاخاة الناس على هواهم، "وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا.

ما هي الأسباب التي ينال العبد بها ولاية الله؟

- السبب الأول: أن يحب في الله.

ما معنى هذه الجملة؟ أي يحب المؤمنين من أجل صلاحهم وتقواهم، وقد يجمع في الشخص الواحد بين الحب والبغض، فيحبه لطاعته ويبغضه لمعصيته.

- السبب الثاني: أن يبغض في الله، يبغض أهل الكفر لكفرهم، ويبغض العصاة لمخالفتهم لربهم.
- السبب الثالث: أن يوالي في الله، يوالي المؤمنين بالمحبة والنصرة وهذا يكون بحسب القدرة.
- السبب الرابع: أن يعادي في الله، أن يظهر العداوة لمن عادى المسلمين وآذاهم من الكفار.

ما علاقة هذه الخصال الأربعة بالإيمان؟

كلما قويت محبة العبد لله قويت هذه الخصال الأربعة وبكمال هذه الخصال الأربعة يكمل إيمانه، ويكون ضعفها على قدر ضعف محبة العبد لربه.

إذن قوتها على حسب قوة محبة العبد لربه، إذن قوتها على حسب قوة محبة العبد لربه، وضعفها على حسب ضعف محبة العبد لربه، لذلك أصبحت هذه الخصال مقياس للعبد، إذا رأيت نفسك تحب لله وتبغض لله وتوالي في الله وتعادي في الله إذن هذا يدل على أن قلبك به محبة لله.

---

[٤٠٢] البقرة:١٦٦

نرى توالي في الله وتعادي في الله ما حالهم.

وهذه مواقف تتكرر خصوصًا مع النساء، سأحكي موقف حقيقي حاصل، تصوري أحد أتى إلى المعهد مثلًا، ضيف لا يعرف سياسة المعهد، وهناك أشياء لا تناسب الهوى، يقال لك لا تفعل كذا، واجلس هنا، إلى أخره، أشياء لا يقبلها هواك، فحصل موقف ولم يناسبك، تعاملت مع أشخاص ولم يناسبوك، وهذا حاصل، لا يمكن أن نتناسب حتمًا، إذن انت "أ" أتى من الخارج، و"ب" من الداخل، "ب" نلومه على سوء أخلاقه، ليس فيه مشكلة، أنا لا أتكلم عن "ب" الآن، أنا أتكلم عنك انت "أ"، و "أ" انت تعرف أن هذا منهج حق، وأن هذا دين والاستقامة، إلى أخره، وتعرف منهج السلف والمناهج المتعددة الأخرى، وعن البدع إلى أخره، جئت عند هؤلاء تريد منهم أن يساعدوك فوجدت منهم سوء خلق، وهذا أمر يقدره الله اختبارًا.

ولذلك في أحيان كثيرة حتى لو لومنا "ب" على سوء خلقه وانت واجه ويجب ويجب، ومستقر في قلبي أنه الله اختبره بذلك، يعني لم يحصل موقفك مع "أ" إلا اختبارًا له، يخرج "أ" ويذهب في مجلس عام ثم يكيل ما يستطيع من التهم، ولا تتصوروا أننا نقول هذا الكلام دفاعًا عن المكان، أنا أقول لك موقف من أجل أن تقدريه وتعرفي المشاعر كيف تكون.

فتكيل الكلام والاتهامات إلى أخره لأن هذا الموقف لم يوافق هواك، هذا ماذا يسمى؟ هذه موالاة في الله ومعاداة في الله؟ لا، هذا على حكم الهوى، فواحد يقول ماذا تريدين أن أتكلم عنكم وانتم اسأتم إلي، نقول هذه المشكلة أنك متصور أنك لا تتكلم طيب عن أهل الدين إلا إذا عاملوك بشكل طيب، وإذا لم يعاملوك جيدًا صح لك أن يفلت لسانك فيهم!.

هذه المشكلة لم تفهم ما معنى أن تحب في الله وتبغض في الله وتوالي في الله وتعادي في الله، لأن من الاختبارات التي تحصل لضعيف المحبة في الله أن يبتليه الله بأحد عنده دين وعنده شراكة في أخلاقه، ابتلاء!، وهذا اختبار تستقيم أو ترى هذا شرس الأخلاق سبب أن يمنعك عن الدين.

ولذلك ربما مر معنا كنا نقول أن الكفار عندما يريدوا يدخلوا في الإسلام، أو نقول الكفار لا يعذروا أن يقولون أن أهل الإسلام منعونا من الإسلام بتصرفاتهم وأخلاقهم، نقول لا، لا تعذروا عند الله لأن الحقيقة المفروض أن تنظر في حقيقة الأمر وليس في أحوال أهله، وإن كنا نقول أنك تلام على سوء خلقك.

لكن لا أتكلم عن "ب" الآن أتكلم عن "أ"، "ب" يلام على سوء خلقه ويعاقب من الله، لأن حسن الأخلاق هذا مطلب شرعي أساسي، لكن انت الآن تلام على سوء خلقك، وانت يا "أ" خروجك وكلامك عن أهل الدين أليس سوء خلق منك؟ سوء خلق قابل سوء خلق، هل انتهى؟ لكن لم ينتهي الأمر، سوء خلقك كان نتيجته أنك توالي وتعادي على هوى نفسك!.

مثل هذه القاعدة استعملها دائمًا، لا عندما تأتي على هوايا أحبك وعندما لا تأي على هوايا لا أحبك، أو مثلًا كنت أنتظر من أهل الدين شيء من الحفاوة وشيء من العطاء، نقول نعم المفروض يكون هذا حالهم، ولذلك في الشريعة — وهذا الموقف يحصل لنا خصوصًا الأشخاص الذين يأتون مثلًا من الحبشة وغيره من الدول- لكن من أجل أن هذه المواقف حصلت معي مع أشخاص فأفهم هذا جيدًا، يكون نصارى في بلدهم، ثم أسلمت ثم أتت هذه البلاد عندما أتت هذه البلاد كانت متوقعة أنه ينفق عليها، وأن أحد يعطيها، فطوال الوقت تقول عندما كنت هناك كان النصارى يفعلوا ويفعلوا فأين انتم!، نقول نعم مسؤوليتنا أن نفعل، وأن نعطيها لأن هذه حالها أنها ضعيفة الإيمان، وانت في الشريعة مأمور أن تنفق على المؤلفة قلوبهم، لأن إيمانهم ضعيف من أجل

أن تأتي محبتهم، ويقوى إيمانهم ثم انتهى، لكن عندما لا تكون من المؤلفة قلوبهم ويسيء لك واحد مستقيم فتأتي لأهل الاستقامة كلهم وتجعلهم ولا شيء هذا دليل على أنك انت مؤلفة قلوبهم، المفروض مثل هذا نطبطب عليه لأنك من المؤلفة قلوبهم، ونحن نرى الآن كثير من المسلمين حقيقة مؤلفة قلوبهم.

فالمقصود أن الذي سيدل على درجة كمال إيمانك أنك توالي وتعادي على الدين، فتوالي أهل الإيمان والدين وتعادي عكسهم، اعيد مرة أخرى ولذلك عندما يأتي أحد يقول وهو منبهر بالحضارة ويأتي يقول هناك إسلام بلا مسلمين، وهناك لم يبقى عليهم إلا أن ينطقوا شهادة لا إله إلا الله ! ما هذا الكلام! الإسلام هو الأساس وهذا كله مجرد قشرة!.

ولذلك أنصحكم أن تقرءوا رسالة للشيخ السعدي تسمى مناظرة بين الحق والباطل، من دخل الغرفة ربما سمعها، شرحت وعيدت مرات ومرات.

أقول كلام مختصر من الرسالة؛ أنك عندما تأتي تنظر إلى تأخر المسلمين انت تفهم أن تأخرهم ليس ناشيءً عن دينهم، تفهم هذا، بدليل أنه لو نظرت إلى الوراء ونظرت إلى الحضارة السابقة، كانت عند من الحضارة السابقة؟! ألم تكن عند المسلمين؟!، إذن تأخر المسلمين ليس ناشيءً عن دينهم!.

الأمر الثاني من قصور النظر ومتابعة الهوى والتعصب أن تأتي بعدما رأيت تقدم الغرب إلى أخوانك الذين يحتاجون منك أن تساعدهم على التقدم تعاملهم بالاحتقار، يعني افترض أنك ذهبت إلى الغرب وجدتهم متقدمين، المفروض إذا كنت توالي المسلمين حقيقة وتعادي أهل الكفر؟ تأتي مسرعًا وتستنهض هممهم، لا تقول لهم الكفار أحسن منكم!، انت ماذا تعلمت؟ تعال وعلم هذا وهذا وهذا، وبسرعة ساعدهم على أن يفعلوا ويفعلوا، هذا الذي يدل على موالاتك، حتى لو رأيت عندهم ما يعجبك، لا تجلس تمدح فيهم وتذم فينا، كما تابعتم أحد البرامج رأوا كيف – مصيبة – يثنون على أهل الوثنية، هذا ما هو إلا هزيمة نفسية! لكن الله المستعان أنواع وأشكال من الهزائم النفسية!.

يعني هل ينقصنا أن نشعر بمشاعر الدنو!، ينقص المسلمين أن نشعر بمشاعر الدنو من أجل أن ننتهي من الغرب فتأتون إلى الشرق!، وتفبركوا المسألة على أنكم تريدون نصحنا وتقدمنا!، مدوا أيديكم وساعدونا، كل واحد في مكانه يساعد المسلمين، كل واحد يسد الثغرة التي يستطيعها، هم بأنفسهم يستعملوا أمثلة كثيرة من الغرب أنه لو حصل لك كذا لا تجلس وتندب عليها وأفعل كذا وكذا، أمثلة تدل على الهمة والعزيمة، تذهب مبهور وتعود مذمور!، قانون من هذا! بعقل من هذا!.

لو ذهبت ورأيت عندهم حضارة إذا كنت توالي المسلمين لا تنام الليل من كثرة شعورك بالمسؤولية، ووراء بعضه ساعد هذا وساعد هذا، وادخل في هذا الباب وادخل في هذا الباب، متأملًا واثقًا أن هذا العمل ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ولذلك سمعتم خطبة الشيخ بن حميد في العيد، من لم يسمعها يسمعها مرة أخرى، كلام جميل يتكلم عن أثر العمل التعاوني، وأشار إليك إشارة أنه لأن العمل الخيري التعاوني سبب لنهضة المجتمع وتغيير حاله فهم حريصين على تكسيره، الغرب حريص على إغلاقه، حريص على أن لا يكون له مدد مادي، حريص على حصره، حريص على توصيله بالإرهاب، لأنهم يفهمون أن النهضة ستأتي لا من الناس الذين يجلسون في والظائف إنما من الناس الذين أحترقوا وتريد تساعد المسلمين.

فإذا كنت خال من التعصب واقع في قلبك موالاة المسلمين ساعدهم يا أخي، لا تنظر إليهم بنظرة الاحتقار!، أليسوا هؤلاء أهلك؟!، أليسوا هؤلاء بني جلدتك؟!، انت عندما تذهب إلى الغرب سينبذوك، وأقل ما يقال عنك أنك من الدول المتخلفة، ويأتوا بك ويعاملوك ويستنفذوا قواك لكن يعاملوك على أنك من الدول المتخلفة.

وانظر إبل التعصبات الحاصلة وإلا العمى لا أحد يرى! انظري للتعصبات، وكيف أنهم يفعلون ويفعلون، الذي فقط يرى الكفار في تعصبهم تجاه الألوان يقول عجبا!، كيف أذهب إلى بلاد مثل هذه البلدان!، من يأتي ويقول حروب صليبية ثم يأتي يقول لي زلة لسان، ماذا أقول له!، هذا كله عمى وصمم كأن أحدًا لا يسمع ولا يرى!.

الغرب عنده حضارة ابتلاه الله بها ستدمره، ستدمره هذه الحصارة، وليس أحسن من مثال الاقتصاد الذي انهار وسينهار، وستغرق بلادهم، لكن سينتهوا من الغرب – وهذا الكلام أنا ذكرته لكم سابقًا – سينتهوا من الغرب وسيتجهون إلى الشرق وهذا البرنامج الذي عُرض دليل على هذا، وانظر المصيبة لا يبتدئوا بالألتفات إلا لواحد تظهر عليه آثار الاستقامة، يعني لو واحد علماني كان الواحد قال عذره أنه أصلًا ملتفت للغرب والشرق، الله المستعان.

انتم تفهمون جيدًا أن لو كنت أحب أهلي وناسي وصحيح أوالي ديني أول ما أجد حضارة أأتي مقبلة من أجل أن أعينك عليها، هذه المشاعر الطبيعية، هذا المفروض الذي يكون، لا أن يحطمونا من أجل أن تخرج هزيمة نفسية فوق هزيمة نفسية جديدة،نحن لا ينقصنا هزيمة نفسية!، ويجب أن تشعروا من الداخل أن هذا الحق، وسيأتي يوم القيامة الذي نتيقن به يقينا وهذا أيضًا أمر مهم لأن القوم لم تهمهم إلا الدنيا وأتوا قاسوا الناس على أساسه، ويأتوا كلما تكلمنا قالوا بغض النظر عن دينهم! أي بغض النظر عن دينهم! ومر معنا الكلام عن الهدهد وكيف أنه عندما نظر إلى حضارة سبأ مع كبرها وعرضها لكنه لم ينبهر، كان كل القصة أنه كيف الله يعطيكم هذا كله ثم ..، مع أنه وصف ملك سبأ معناه أنه رآه وميزه وقدره، مع تقديره لملك سبأ لكن كان كل المشكلة كيف تفعلون هذا الفعل في أنفسكم!.

ولذلك سننزل مجموعة من المشاريع – بمناسبة هذا الكلام– سننزل مجموعة من المشاريع، أرجو من الله أن تجد قبولًا عندكم وفيها مساعدة للمسلمين، وهذه بصمة انت تضعها من أجل أن تساعد بنات المسلمين ولو كان شخص أو شخصين لا بأس، لكن كلنا نضع يدنا مع بعض من أجل أن نصل لنفع المسلمين.

لا يعني هذا أننا لا نهتم بالحضارة بالعكس، نحن حريصين على أن تتعلموا طرق الاتصال بالعالم الخارجي ولذلك كانت دورة الكمبيوتر ولازالت إن شاء الله، حريصين على أن يكون لكم مواقعكم في المنتديات وفي صفحات الانترنت لأننا نعلم أن المستقبل الآن في الدعوة كله دائر حول هذه الأجهزة، حريصين على برامج مثل برامج تعدي صعوبات التعلم للصغار وللكبار، كل هذا مهم لا ننكر أهمية الحضارة لكن ننكر عندما ترى حضارة الغرب تأتي منبهرًا بدلًا من أن تمد يدك للمسلمين وتكثرهم تكفرهم، وتنظر لهم باحتقار، يكفي ذنب أن تحتقر المسلمين!، يكفي هذا ذنبًا!.

من أجل ذلك نشطوا أنفسكم أن تخدموا المسلمين في كل مكان ثم أعلموا أن شمس الإسلام لازالت مشرقة، كذاب الذي يقول لك أنهم لا يرون شيئا، لو لم يكن يروا شيئا لم يكن كل هذه حاصلة على العالم الإسلامي، انظروا إلى الوثنية! يعني لا تأتوا إلى الوثنين وتأتوا إلى الإسلام وتنصروهم! وهذا أمر معروف أنهم لا ينصروا الوثنين، يتركوا الوثنين على وثنيتهم وكل مشكلتهم المسلمين، من أجل ذلك لابد أن تفهموا من أجل أننا نشكل ثقل فهم بثقلهم يضغطوا علينا.

وكما ذكر الشيخ الحميد في ثنايا كلامه أن العمل التعاوني هو أكثر ما يقيد مضاجعهم، ويؤلمهم، ولذلك نحن سنتعمل هذا السلاح – سلاح لأن نعمل في العمل التعاوني – لكن لا تنامي في الليل وانت تشعري أنه ليس لك وزن وقيمة، لابد أن تشعري أن الله عز وجل أعطاك شيء تنفعي به غيرك لابد.

على كل حال؛ انتهى الوقت.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمدلله الذي يسر لنا هذا اللقاء ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاءًا مباركًا مرحوما.. اللهم آمين.

أول شيء نبدأ بالتكليف.

ما هي اسئلة التكليف؟ طلب منكم تخريج حديث حلاوة الإيمان، ":" ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ " ، قولي الخطوات العملية التي قمتي بها؟

إجابة من الحاضرات ورد من الأستاذة: أخذتي المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، بحثتي عن أي كلمة؟

إجابة من الحاضرات: – الظاهر أنها أخبرت الأستاذة أنها بحثت عن كلمة "الإيمان" في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث–

رد من الأستاذة: هذه أقل كلمة دورانًا؟ أليس لديكم قاعدة تقول أنك تأخذي أقل كلمة دورانًا، تعرفون ما معنى هذه القاعدة؟ يعني الكلمة التي لن تجدي تحتها اختيارات كثيرة، يعني "حلاوة الإيمان" انت أخذتي كلمة الإيمان ثم أعدتها لأصلها ثم بحثت، لكن أصلًا اختيارك لكلمة الإيمان ليس أختيارًا موفقًا حتى لو وجدتي ما بعده، الذي أقل دورانًا كلمة "حلاوة".

إجابة من الحاضرات ورد من الأستاذة: ليس هناك مشكلة لكن سريعًا يرجع بك على الإيمان، لو بحثتي في الإيمان من الأصل ستكون خلفتي القاعدة، القاعدة تقول ابحثي عن أقل كلمة دورانًا، وتستعملي القاعدة دائمًا حتى لو هو أعادك، كونك تخالفي القاعدة حتى لو استسهلتيها معناه أنك لم تستفيدي مما تعلمتي، ليست هذه الكلمة فقط التي أقل دورانًا.

هناك كم لفظة في الحديث؟

إجابة من الحاضرات ورد من الأستاذة: "وجد" لا تعتبر أقل كلمة دورانًا، "يقذف" ربما تعتبر أقل دورانًا.

قولي لي بالضبط ماذا قال لك؟ لا تفسري لي، ألا تكتبوا في دفاتركم رموز هذا المقطع؟ واحدة منكم تقول لي رموزه؟

إجابة من الحاضرات:[٤٠٣]

... وَجَدَ حلاوةَ الإيمانِ خ إيمان ٩، ١٤، إكراه ١، أدب ٤٢، م إيمان ٦٦، ن إيمان ٢–٤، جه فتن ٢٢، حم ٢، ١٠٢، ١١٤، ١٧٢، ١٧٤، ٢٢٠، ٢٤٨، ٢٧٥، ٢٨٨

ورد من الأستاذة:ترجمي لي كل واحدة قلتيها.

"خ" يقصد بها البخاري.

[٤٠٣] البحث من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي؛ ثم البحث بواسطة كلمة "ثلاث"

"إيمان" يقصد كتاب الإيمان، ٩ رقم الباب؛ يعني في باب ٩ وفي باب ١٤ من كتاب الإيمان في صحيح البخاري.
وكتاب الإكراه لازال في صحيح البخاري، "إكراه ١" يعني الباب الأول.
أحد يترجم لي الجمل الباقية؟ لازلنا في "خ" يعني صحيح البخاري كتاب الأدب رقم الباب ٤٢.
يعني عندما تجدي أمامك هذا السطر تعمل جدول، البخاري هذا اسم الكتاب ثم الباب ثم الأبواب.
لابد من ترجمة كلام المعجم المفهرس لألفاظ الحديث خصوصًا لو كان طويل وفي مواطن متكررة لا تعتمدي أبدًا على ذاكرتك، أول خطوة تفعليها أن تنقل نفس الكلام بالنص، تنقلي نفس الكلام الموجود أمامك في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث بالنص، حتى لو أضطررت أن تجعلي أحد يراجعه معك، يعني بعدما تكتبيه كله تراجعيه، تجعل أحد يراجعه معك حتى تتأكدي انك صح نقلت كل الأبواب، ثم ترجمي هذا السطر أو السطرين الذي تم إخراجه من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث تخرجيها بجدول.
اسم الكتاب أو فلنقل اسم المصدر، المصدر ويكون صحيح البخاري، مسلم، مسند الإمام أحمد، إلى أخره، أي شيء من الكتب التسعة، ثم اسم الكتاب، ثم الرقم، تقولون ٩ و ١ كتاب الإكراه مثلًا.

المصدر – الكتب التسعة –	الكتاب	رقم الباب.

انصحكم نصيحة طوال ما انت تسيرين في الطلب اجعل لك دفتر خاص بالتخريج، وهاتيه أثقل ما يكون، لماذا أثقل ما يكون؟ من أجل أن لا يضيع، ثم هذا الدفتر لا تنتقلي به، من أجل أن لا يضيع، ثم هذا الدفتر لا تنتقل به، اسأل الله أن يسددني ويسددكم من أجل أن لا نعيد نفس أخطاء الدفع الماضية على قدر ما نستطيع سنسير في مسألة التخريج سواء كنا في الحديث أو التفسير، سيأتيكم هذا الكلام عندما ندرس الطبري إلى أخره، فماذا تفعلين؟ السؤال مثلًا موجود عندك في التوحيد أخرج حديث ":" ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ"
الحديث صحيح ستكتبيه في الدفتر لكن كأن مسودتك كلها في الدفتر الخاص بالتخريج، وهذا الدفتر الخاص بالتخريج اترك من أوله أو أخره كما تريدين عدد كبير من الصفحات عبارة عن فهارس وفك للرموز وملاحظات ثم ستجدي أنك وصلتي إلى حد أن تصبحي خبيرة، لماذا خبيرة؟ لأنك كتبت في أول دفترك مثلًا رموز المستخدمة أو الرموز التي تفك بها المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، يعني عرفت ما معنى خ إلى أخر الحروف التي يستخدمها، وما معنى أن يضع فاصلة، وما معنى الكلمات التي يستخدمها في الأبواب.
ثم لو تقدمتي وقلنا لك استخدمي تهذيب الكمال، تهذيب الكمال لاسماء الرجال، هذا كتاب أيضًا فيه كتاب لاسماء الرجال للمزّي، صاحبه استخدم طريقة متقنة جدًا لابد من اتقانها، انت لابد أن تتقنها، وتفهم الرموز التي استخدمها، في النهاية لا تقولي انا فاهمه كيف استعمل الكتب، هذه كلمة خداعة أنك تقولي جربت واستعملت الكتاب فلابد أن أتذكره، تجربة قريبة مع طالبات لهم سنين يدرسوا ثم أقول لها اوصف لي تهذيب الكمال لا تعرف توصف تهذيب الكمال، مع أنها تستعمله من أول ما بدأت الطلب لكن لا يعرف يوصف الكتاب، لا يفهم التعامل به، لم تأخذوا مثلًا مسألة التخريج واستعمال الكتب حرفة، مهنة، فكأنكم مثلما نبحث في قرص ممغنط ولا يأتي إلا بالنتيجة، انتم تفعلون هذا، وطبعًا هذه النتيجة ممكن أن يكون مفتوح على

الصفحة، زميلاتكم فتحوا قبلكم فأول ما تمسك الكتاب وتفتحيه تجدي ما تريدين وانتهى الموضوع، لا، لا ليس هذا الطلب، حتى لو اغتريت ووجدتي نفسك كيف تعرفي تتكلمي، لا ليس هذا الطلب، هذا كما أتى سريعًا سيذهب سريعًا.

بعد هذا الكلام كله أريد منكم أن تقولوا لي من خرج هذا الحديث؟

ابدأي بالكتب الستة ثم انتقلي للتسعة: البخاري، ومسلم، والترمذي، النسائي، ابن ماجه، مسند الإمام أحمد.

يكفيك أنك تجديه في البخاري ومسلم هذا يدل على صحة الحديث، هذا من طرق معرفة صحة الحديث أنك تجديه في البخاري ومسلم.

انتهينا من الكلام عن باب المحبة الذي بدأ الشيخ بتسميته باب قول الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[٤٠٤] واسأل نفسك لماذا لم يسميه باب المحبة وينتهى الموضوع؟ لأن المقصود التنبيه على المحبة لأن هذه العبادة القلبية المحبة التي تعتبر من الركائز في العبادة، من ركائز عمل القلب يمكن أن يدخل فيها الشرك، على أهميتها هي المحبة مع ذلك مشكلتها أنها ممكن أن يدخل فيها الشرك.

بنفس الأسلوب أتى إلى الباب الذي بعده قال باب قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ الشيطان ماذا يفعل؟ يخوف أولياءه، في ظاهر النص ماذا تفهمين؟ مَن الفاعل؟ الشيطان، يعني الشيطان يخوف أولياءه، يعني يوقع في قلبه الخوف؟ يخوف أولياءه هو؟ الضمير عائد على الشيطان، أولياءه هو أي الشيطان أقرب مذكور.

من هنا يبدأ يحصل لدي مشكلة أني لا أفهم من المخوف هنا، في النقاش سأخذ قول في تفسير هذه الآية، ثم انتم من أول الأمر وهذا تكليف عليكم أن تراجعوا قول المفسرين في هذه الآية، لا تجتمعوا كلكم على مفسر واحد، لا يكون عندكم الاجماع لكن كل واحدة فيكم تتجه إلى تفسير مختلف.

سأخذ قول وانتم ستبحثون ما يؤيد القول المختار الآن في اللقاء وأيضًا إذا كان هناك قول أخر، اسألكم أي علم من العلوم التي تدرسينها الآن غير علم التفسير يساعدك في تفكيك معنى هذه الآية؟ النحو، كونك تعرفي كيف تعربي هذه الجملة سيكون مناسب لزيادة فهمها، وأريد منكم أن تجربوا هذه التجربة بوضوح تضعي أمامك الجملة وتعربيها ثم تذهبي مثلًا إلى الشوكاني وانظري ماذا يقول في اعرابها، اعلم علم اليقين أن في التكاليف الباقية عندما نأتي نقول لك: والهاء ضمير.. هذا السطر كله ليس لك علاقة به، تقفزي وتتركيه، إذا كان هذا فعلك على الأعمال الاختيارية فالآن أصبح إجباري، لابد أول ما تأتيني تأتيني بالإعراب في اللقاء القادم.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: لابأس، افعلي ما أردت، أنا لي مقصد واحد وانت أأتي بالنتيجة كما تريدين، لكن من تجيبيني لابد أن تكون واعية تمامًا لما ستقول، ولا بأس أن تتناقشون إلى أن تفهموا حتى لو سألتوا معلماتكم ليس هناك مشكلة، لكن لا تسألوا معلماتكم أبتداءً لكن أأتوا بالمعلومات ثم اسألوا معلماتكم.

[٤٠٤] البقرة:١٦٥

على كل حال ننظر الآن إلى هذا الباب؛ سيتكلم الشيخ فيه عن ماذا؟ انت علمتي أن الركيزة الأساسية في قلب العبد هي محبة الله عز وجل، واتفقنا هذه المحبة كيف تأتي.

كيف تأتي المحبة؟ العلم بكمال صفات الله مع قوة التفكر، يعني العلم مع التفكر، لأنك ممكن يكون عندك علم لكن هذا العلم لا تدوريه في عقلك.

انت تعلمين الآن عن الله عز وجل كمال صفاته سبحانه وتعالى، عندما شرحنا قلنا والذين آمنوا أشد حبًا لله لماذا؟ لما يرونه من آثار كمال صفاته سبحانه وتعالى، اسألك الآن يرون آثار كمال صفاته أليس كل البشر كل الناس يقع عليهم آثار كمال صفاته؟ الجواب بلى، كل البشر يقع عليهم آثار كمال صفاته، وإلا لو ما كان الله يعامل عباده بالحلم لم يكن هذا الكافر سقي من الدنيا شربة ماء، إلا أنه يعامله سبحانه وتعالى بحلمه وماكان بقي على الأرض عاص، لماذا؟ لو أخذهم الله عز وجل أخذ عزيزٍ مقتدر ما كان على بقي على الأرض عاص، لكن كل الناس مسلمهم وكافرهم، مطيعهم وعاصيهم، كلهم تقع عليهم آثار رحمة الله عز وجل، تقع عليهم آثار لطفه، تقع عليهم آثار حلمه، يعني يقع عليهم كمال آثار كمال صفاته.

لكن السؤال لماذا الذين آمنوا أشد حبًا لله وغيرهم لا يقع في قلوبهم حب مع أن الكل يقع عليه آثار كمال الصفات؟! إذن العيب في مستقبل لآثار كمال الصفات أنه معيب ناقص، إلى درجة أنه شخص كما في سورة الرعد كما أخذتم في المثل، ينقسم الناس فريقين:

- فريق كالأعمى والأصم.
- وفريق كالسميع البصير.

هل يستويان؟! انت عندما تري الأعمى والأصم في نظرك في تحصيل مصالحه الأعمى والأصم يساوي البصير السميع؟ الجواب لا، لا يتساوون!.

إذا كانوا لا يتساوون إذن لابد أن تتصور الصورة الحقيقة لأهل الكفر وأهل المعاصي، ما حالهم؟ مصابون بالعمى والصمم ولو النسبي، ولو الجزئي، فتقع عليهم آثار رحمة الله وتقع عليهم آثار حلم الله، وتقع عليهم آثار لطف الله، يعني يقع عليهم آثار كمال صفات الله ومع ذلك أعمى وأصم لا يرى ولا يسمع!

إذن ماذا تحتاج من أجل أن يزيد حبك لله؟ متفقين كلنا أننا نحتاج علم عن الله، لكن فقط علم؟ لا، لابد من قوة التفكر، لأن البصير السميع ما ميزته؟ أنه يرى ويترجم، يسمع ويترجم، يترجم أي يفكر كيف لطف الله به، كيف أعطاه، فالعلم بدون تفكير لا يفعل شيئا، وانتم من المؤكد أنكم تشعرون بأنفسكم عندما تنفصل عنكم زوايا التفكير وتنشغل بالدنيا وتأخذ علم لكن بدون تفكير، ماذا يحصل؟ لا تشعر بزيادة الإيمان، متى تشعر بزيادة الإيمان؟ عندما يأتي هذا المعلوم فتستعمله في تفسير الحياة.

لماذا ناس يستعملوه في تفسير الحياة وناس لا يستعملوه؟ مرة أخرى؛ واحد يفكر ويعود على أحواله بالتدبر، وواحد منقطع عن التفكير، إذن هات قاعدة مختصرة لزيادة المحبة؟ أن يجمع العبد بين العلم والتفكر، إذا جمع بين العلم والتفكر :

- العلم يفيده في بيان الحق.
- والتفكر يفيده في إنزال هذا الحق على نفسه وعلى أحواله.

هذا بالنسبة للمحبة والمحبة هي الركيزة الأساسية التي نحتاج دائمًا إلى زيادتها، ولابد أن تعلم أن أحد آثار الإيمان شدة المحبة، لماذا؟ لأن كلما زاد إيمانك بسبب العلم والتفكر فاجتمعا فزاد الإيمان وإذا زاد الإيمان زادت المحبة، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ لاحظي آمنوا هذا وصف، ما بهم؟ ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ بسبب الإيمان، والإيمان أتى من علمٍ وتفكر، هذه القاعدة الأساسية.

هذه القاعدة الأساسية من أجل أن تكون ذات بال وتنفع صاحبها ولا تتحول إلى عشق، أو تتحول إلى تعامل مع الله عز وجل فيه ضعف في التعظيم لابد أن يسير هذه المحبة الخوف، لأن المحبة قاعدة نتيجتها الإقبال على الله، لكن ربما يكون الإقبال غير سوي، فلابد مع المحبة من تعظيم، التعظيم يعبر عنه هنا بالخوف.

الذي نريد أن تتصوريه أنه كما أن المحبة عبادة قلبية يجب إفراد الله بها كذلك الخوف؛ عبادة قلبية يجب إفراد الله بها.

أذكركم بما سبق؛ كيف تعرفون أن هذا عبادة؟ عندما يرد في كتاب الله الأمر بالشيء أو الخبر عن حب الله له، أو رضا الله عنه، أو حب الله لفاعله أو مدح فاعله، أو تعليق الإيمان عليه، أو تعليق الثواب على من فعله، والعقوبة على من تركه، أو مدح فاعله، كل هذا يدل على أن هذا الشيء عبادة، أن هذا المذكور عبادة، لا تنسوا أبدًا هذا الأمر، لأن هذه المسألة تجعلك وانت تتلو كتاب الله تفهم أنك مخاطب بهذا الشيء المأمور به، المشكلة أن كثير من العبادات القلبية أُمرنا بها غائب عننا أننا مأمورين بها لأننا لم نعرف نترجم أن هذا الأمر من الله أو هذا تعليق الإيمان من الله معناه أن ما أمرنا به عبادة نتقرب بها إلى الله.

نقرأ المتن ثم تحددي أولًا من الأدلة التي أمامك لماذا نتكلم عن الخوف في كتاب التوحيد، عندما اسألك لماذا نتكلم عن هذه المسألة في كتاب التوحيد ماذا ستقولين؟

اسألك عن الذبح؛ لماذا نتكلم عن الذبح في كتاب التوحيد؟ لأن الذبح عبادة، وصرفها لغير الله شرك.

هات ما يدل على أن الذبح عبادة؟ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، فالأمر يدل على أنها عبادة، وأيضًا الآية تدل على وجوب الإخلاص، لأن اللام – لام الاستحقاق – فلا يستحق هذا العمل إلا الله.

فانت عندك قاعدة عظيمة في التوحيد لا تنسيها، كل ما ثبت أنه عبادة صرفها لغير الله شرك، والله عز وجل يقول في الحديث القدسي " أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ " المعنى أنه لو ثبت أمامك أن هذه عبادة مباشرة يجب أن تفهمي أنك مأمورة بالتوحيد، لا يثبت أنها عبادة إلا مباشرة تفهمي أنك مأمورة بالتوحيد في هذا الأمر، إلا أننا دائمًا يخلط علينا ويبعد هذا المفهوم عن عقولنا أن هذا العمل احيانًا الذي نأمر به له جانب العادة، له جانب الطبيعي، فيختلط علينا الأمر.

يعني أضرب دائمًا مثال الذبح لأنه أكثر الأمثلة التي تبين عمليًا كيف عندما يأتي أمر له جانب العادة يختلط على الناس فهمه، الآن الذبح نوعين: عادة وعبادة، العادة مع حسن النية يصبح قربة، لا تخلطوا على أنفسكم؛ العادة مع حسن النية يصبح قربة، من أجل أن لا تدخلي في الأخر في العبادة ويدخل منها الشرك.

فمثلًا إكرام الضيف، الإنفاق على الأبناء في أصله يعتبر عادة، ثم إذا حصلت نية أصبحت قربة وتقربت بها إلى الله، إنهار الدم تعظيمًا هذا لا يكون إلا عبادة، لماذا الذبح مختلط على كثير من الناس؟ لأن له جانب العادة، فيختلط عليهم، تقول أنا أذبح لضيفي، وتقول اللام، وأنا أذبح لأبنائي وتقول اللام لأبنائي يعني لهم، فكيف تقولي لا أذبح مثلًا في الصلح عند باب المرأة أو للوجهاء عندما يقبلوا علي وأذبح لهم، لماذا؟ وأنا أذبح لضيفي! فلابد مثل هذه المسائل واسأل الله عز وجل أن لا يفوت على

عقولكم مثل هذه المسألة خصوصًا انتم لا تعرفوا من يحتاج لكم، لابد من ضبط هذه المسائل الدقيقة التي يكون فيها تداخل بين العادة والعبادة، فلابد أن تفهميها أن ما كان أصله عادة ليس هناك إلا عبادة الاستعانة يعني يجب أن يسمي بالله، ما كان مقصده إنهار الدم هذا ليس حقًا إلا لله عز وجل.

تعال إلى المحبة؛ الناس العوام يشعروا أن قلبهم ومشاعرهم القلبية وحب فلان وكراهية فلان هذا عادة، ولا تأتي تكلمني أن قلبي هذا يجب أن يكون خال لله لأن مباشرة يقولون لك طبيعي!، طبيعي أحب [أبنائي، أزواج، البيوت] طبيعي!، فأي مسألة يتداخل فيها الطبيعي – العادة مع العبادة – طالب العلم يكررها على نفسه مئات المرات إلى أن يستطيع يحررها بكلام ليفهم من أمامه في جملة مختصرة، يعني انت ادرس في هذا الباب عشرين مرة اصرفي فيه مائة ساعة ثم عندما تأتي تكلمي من أمامك انتهى ينفصل الأمر عنده ويظهر له الفارق.

ولذلك فيما يُحكي في تدريس كتاب التوحيد هناك بعض طلاب العلم يقولون أنهم درسوا كتاب التوحيد ست سنوات، ست سنوات وهم لا يدرسون إلا كتاب التوحيد، وليس المقصود كتاب التوحيد كتاب الشيخ عبد الوهاب، لابد أن تفصلوا من عقولكم، المقصود المباحث، نسأل الله عز وجل أن يصرف قلوبكم أي شعور عن التعصب، نحن ليس لنا علاقة بالأشخاص، نحن لنا علاقة بقال الله وقال رسوله، لكن الله عز وجل سخر لنا من العلماء مَن ييسروا لنا العلم.

المهم درسوا في خمس ست سنوات، ثم عندما بدأ يدرس وجد أن أثر الدراسة هذه أنه يستطيع أن يحرر المسائل ويضبطها في جملة، يعني يدرس في ست سنوات ثم عندما يأتي يشرح الباب يعلق على الدليل في جملة أقل من خمس دقائق، الضبط الشديد الذي يفصل في عقل المستمع ما بين الحق والباطل اختصاره هذا نوع من أنواع الإتقان العالي، يعني لا عندما يكون هناك كلام كثير يصبح أنك ممتاز، لا،عندما تكون تستطيع أن من يأتي يريد التفصيل تفصل له، ومن يأتي يريد جملة واحدة تقول له جملة واحدة.

الزمن الآن يعود إلى الوراء مرة أخرى في نفسيات الناس، الناس لا يتحملوا كلام كثير، وهذا الكلام أخصّ به الناس الذين يذهبون إلى الحج، لا يغروك الناس الذين يقولون لك لا كملي كملي، لا يغررك هؤلاء، لأن هناك جماعة تنفجر، لا تريد إلا عشرة جمل وعشرين جملة وتذهب بيتك ولا تكلميهم مرة أخرى، ولذلك نوصي الناس الذين يخرجون إلى الحج إذا وجدوا مقبلات أن يجتمعوا في ساعات منفصلة عن ساعات الدروس العامة، الدروس العامة لا يريد لها كلام كثير، الناس الآن يحتاجوا إلى جمل مختصرة.

المهم من أين تأتي بالجملة المختصرة؟ دراسة ٢٠ و٣٠ ساعة في باب أو في بابين خصوصًا ما يختلط فيه العادة مع العبادة تساوي أنك تضبط المسألة بدقة، يعني أحد تكلميه عن المحبة يأتي يقول لك كلمني عن المحبة فيأتي يقول لك طبيعي أن أحب أولادي إلى أخره، تقول صح طبيعي، وهذه المحبة لها وجهان: العادة والعبادة، وهؤلاء مَن تحبهم عادة يمكن أن يتحولوا إلى مشاركة الله في حقه مثلما قال الله عز وجل في سورة التوبة وتذكر له، عندما تذكر له ما في سورة التوبة لا يستطيع أن يحآجك ويقول لك لأ حب الأولاد إلى أخره عادة، فانت الآن اجمع بين أمرين:

- بين التحرير الدقيق والضبط بين العادة والعبادة.
- وبين الأدلة الظاهرة التي توصل من أمامك إلى مراده وينتهي النقاش.

أنا أذكر موقف في التعليم المستمر، وكان اللقاء ساعتان، انظري كيف عندما يغيب عن الإنسان الدليل وكنا تكلم عن محبة الله، ساعة من الساعتين وأنا اناقشهم أن العادات يمكن أن تدخل فتصبح شركًا، ومن أجل أن التوفيق فقط من الله طوال الساعة لم

أتذكر الدليل أبدًا، والدليل يدرس في كتاب التوحيد الذي يبيِّن لها مباشرة أن محبة العادة تتحول إلى محبة مع الله، والدليل واضح في سورة التوبة وننهي النقاش كله، لكن ساعة بالكامل ونحن نناقش ونأتي باليمين ومن اليسار، ونقول كيف وانشغال الإنسان عن الله وإنهم يقتنعوا لم يقتنعوا.

ثم أتينا في اللقاء الثاني وعندما يهدأ الإنسان يتذكر الأدلة، في أول اللقاء الثاني قلنا الكلمتين بالدليل ولا أحد من المناقشات ناقشوا، لأن الدليل يفصل بين الحق والباطل، فلا تكثر كلامًا ولا تستغني عن الأدلة.

المهم مرة أخرى؛ كل مسألة يحصل فيها تداخل بين العادة والعبادة ماذا تفعل بها يا طالب العلم؟ حررها، لا تلقيها على عوائنها، تأتي عند الناس وتقول يجب عليكم أن تحبوا الله وأبنائكم وازواجكم عدوٌ لكم، ومحبتهم توصلكم إلى الشرك، ماذا سيفعلوا في أنفسهم!، واحد يسمع هذا الكلام ماذا سيفعل في نفسه؟! ستنقلب القضية ضدنا أن ما حلله الله نحرمه! لا، ليس بهذه الصورة، يجب أول ما تتكلم تتكلم أن هناك شيء طبيعي، وهذا الطبيعي من منة الله من أجل أن نتعايش، من أجل أن تبقى الحياة، من أجل أن يأتينا نسل، من أجل أن يبقى ورائنا من يدعو لنا، الله عز وجل وضع لنا المحاب الطبيعية من أجل أن ننتفع بها في الآخرة، والناس الذين يحصلون أموال، الذين فتح عليهم في باب الأموال نفعهم الله بأموالهم إذا تقربوا بها إلى الله، والناس الذين عندهم أولاد ينتفعوا بمحبتهم لأولادهم إذا غرسوا فيها القيم وفعلوا وفعلوا، فحتى هذه المحاب الطبيعية تتحول وتصبح قربة عندما تنتفع بها.

المواضيع الحساسة التي في علاقة بين العادة والعبادة لابد من تحريرها، أنصحكم من أجل أن تحسنوا إلى الناس، لا تسيئوا لهم عندما تشرحوا لهم مسألة مثل مسألة المحبة أو الخوف، أو نجد كثير من طالبات العلم عندما يأتون عند المحبة والخوف والرجاء – يمكن الرجاء يتكلموا فيه – لكن المحبة والخوف يتحاشوا أن يناقشوا الناس ولا يكلموهم عن المحبة الشركية، لماذا؟ يخافوا الناس يهاجموهم، تعرفي لماذا يهاجموك؟ يهاجموك لأنك لست محررة للمسألة، لكن حرريها وبدقة ومعك أدلة وكلما قالت لك أنا أحبه وأخاف عليه إلى أخر هذا الكلام تقول لها كلما كان في الطبيعي الحمدلله، وكل ما خرج عن الطبيعي نخشى عليك، فتقول هذا طبيعي أو غير طبيعي فتقولي اسأل الله أن يحرر لك نيتك، اسألي الله عز وجل أن يبين لك الحق، استفت قلبك ولو أفتاك الناس وافتوك، يعني حولي المسألة عليها، لا وانت هكذا تقولي لها هذا غير طبيعي، هذا يُكون بينك وبينها حاجز ثم يدخلها في الوسواس.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الضابط بشكل صريح واضح، تجاوز الحد.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: اقرأي في المسألة أكثر، رتبي افكارك، استعملي كلام المفسرين كل هذا يساعدك على ضبط المسألة.

على كل حال ذهب وقت كثير في هذا الكلام لكن لأن هذا الكلام مهم من جهة عدم إدخال الناس إلى الحكم على أنفسهم بالشرك وهم ليسوا كذلك ومن ثم يدخل الوسواس ومن ثمّ يدخل رفض تعليم التوحيد وهذه المشكلة أنك عندما تكلميهم عن أعمالهم القلبية المسألة تعتبر حساسه، خصوصًا أنك تعرفي هناك نفسيات كثيرة قريبة إلى الوسواس أو لو أنها ليست موسوسة ترفض كلامك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: من الشرك الأصغر بعيد، أنا أتكلم عن نوع معين من الإشكالات الذي تختلط فيه العادة بالعبادة، لكن الأشياء الثانية لها طريقة أخرى، هذا النوع بالذات الذي تختلط فيه العادة مع العبادة يحتاج إلى تحرير جيد.

سنتكلم عن الخوف، الخوف أيضًا من المسائل التي تختلط فيها العادة مع العبادة، لابد من بيان الأدلة في ذهنك أن الخوف نوع من أنواع العبادة يجب أن لا تصرف إلا لله ثم نناقش ما هي العادة ثم نناقش كيف العادة يحصل لها طغيان وتتحول إلى شرك.

✷اللهم اغفر لشيختنا وللحاضرات وأخلص نيتها ونياتهن.. آمين✷

باب قول الله تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[٤٠٥].

وقوله : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ)[٤٠٦].

وقوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ)[٤٠٧].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه مرفوعًا : "إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ ، إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ ، وَلا يَرُدُّهُ كُرْهُ كَارِهٍ".

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ ، بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ ، سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ" رواه ابن حبان في صحيحه.

ننظر إلى الثلاثة أدلة الأولى؛ ما وجه دلالتها على أن الخوف عبادة؟ هذه أول خطوة نفعلها؛ ما وجه دلالتها على ذلك؟ ليست هذه من طرق إثبات العبادة ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾.

- أولًا الجمع بين الأمر والنهي، الأمر بخوف الله والنهي عن خوف غيره، فإذا اجتمع هذان الأمران إذن هذا أمر بالتوحيد، إذن هنا أول شاهد على أن الخوف عبادة نهى الله عن خوف غيره وأمر بالخوف منه، فالجمع بين الأمر والنهي دلّ على التوحيد.
- الأمر الثاني في نفس الدليل تعليق الإيمان على هذا الفعل، هذا الفعل هو الخوف من الله وعدم الخوف من غيره، إذا علق الإيمان على ذلك عُلم من ذلك أنه عبادة.

انتهى دليل آل عمران.

- انظر إلى دليل التوبة؛ الذين يعمرون مساجد الله، "إنما " أداة حصر، حصر القوم الذين يعمرون مساجد الله، انت تعرفين مَن القوم الذين يعمرون مساجد الله؟ من هذا الفاعل؟ المؤمنون، المؤمنون يعمرون مساجد الله، إذن عُلم من هذا أن الإعمار حُصر الذي هو صفة مدح الذي يدل على الإيمان، حصر على هذه الصفات، ومن بين الصفات ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ﴾ عرفنا من ذلك أنها عبادة، لأنها أتت في سياق صفات الكمّل، أتت في سياق مدح، في نفس الموطن لاحظ التوحيد، أين التوحيد؟ وصفهم بأنهم

[٤٠٥] آل عمران: ١٧٥

[٤٠٦] التوبة:١٨

[٤٠٧] العنكبوت:١٠

حصروا خشيتهم على الله ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ﴾ **فنفيت الخشية عن غيره سبحانه وتعالى وأثبتت الخشية له وحده،** فدلّ هذا أيضًا على التوحيد.

يعني موطن آل عمران دلّ على العبادة والتوحيد، وموطن التوبة دل على العبادة والتوحيد أيضًا، وانت أصلًا بالقاعدة العامة كل ما أثبت أنه عبادة صرفه لغير الله شرك، لكن هذا حتى لا تحتاج فيه القاعدة العامة، هذا ظاهر.

يعني الآن في الذبح مثلًا في النصين في باب الذبح، مر معك ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤٠٨] بهذا النص فهمتي أن الصلاة والنسك أي الذبح لله يعني يستحقها الله، ثم تأتي على القاعدة العام تقول: كل ما كان عبادة لله صرفها لغير الله شرك، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، الأمر بالصلاة والنحر لله دلّ على أنها عبادة، تأتي تطبقي على القاعدة؛ القاعدة تقول كل عبادة إذا صرفت لغير الله شرك.

انظري هنا في الخوف تحتاج أن تذهبي إلى القاعدة؟ لا، حتى بدون القاعدة، ثبت لك أنها عبادة، وثبت لك في نفس النص أن الأمر فيها بالتوحيد ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، إذن نهانا عن الخوف منهم وأمرنا بالخوف منه سبحانه وتعالى، إذن هذا الخوف ممنوع عليك أن تصرفه لغير الله، لا تصرفه إلا لله، أتى في صفات الكمل وصفهم أنهم لا يخشون إلا الله، نفى وقوع الخشية من غيره وحصرت الخشية على الله.

- انظري إلى آية العنكبوت؛ هنا ستجديها بالضدّ، ما وصف أهل النفاق وأهل الكفر؟ ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾.

ما معنى ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾؟ ساوى خوفه من عذاب الله بخوفه من الناس، إذن تفهمي أن مساواة الخوف من الله بالخوف من الناس من صفات المنافقين ومن صفات الكفار، إذا كانت هذه من صفات المنافقين والكفار إذن ضدها من صفات المؤمنين، **إذا كان الخوف من غير الله أو مساواة الخوف من غير الله بالخوف من الله تكون صفة تدلّ على النفاق، أو صفة تدلّ على الكفر، إذن الخوف من الله صفة تدلّ على الإيمان، وإذا كانت صفة تدلّ على الإيمان إذن هي عبادة.**

مرة أخرى؛ إذا كان مساواة الخوف من الناس بالخوف من الله صفة تدل على الكفر والنفاق إذن الخوف من الله صفة تدل على الإيمان، إذا كانت صفة تدل على الإيمان إذن هي عبادة.

على كل حال؛ لو لم يتبين لك دليل آية العنكبوت يكفيك الدليل الأول والثاني، ويكفيك واحد دليل يدل على أنها عبادة.

- انظري إلى حديث أبو سعيد رضي الله عنه، مطلوب منكم تخريج هذا الحديث.
- في حديث عائشة وصف لسلوك المسلم الذي يدل على – لاحظ ضعف اليقين – إذن سلوك المسلم يدل على قوة اليقين، يعني وصف ضعف اليقين إذن المؤمن إذا فعل ضدّ ما ذكر إذن هذا يدل على قوة يقينه.

نترك هذان الحديثين للشرح التفصيلي، هذا كله قراءة سريعة للمتن.

---

[٤٠٨] الأنعام:١٦٢

نبدأ بالسؤال؛ ما العلاقة بين الباب الماضي وهذا الباب؟

سنقول المحبة والخوف يشتركان في كونهما من ركائز العبودية، أخذتم في مدخل دراسة العقيدة أن ركائز العبودية ثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، وأخذتم هناك أدلتها، إذن هذا السبب من أسباب التتابع.

الشيخ انتقل من الكلام حول السحر وما يتصل به وهو صورة من عبادة الأوثان إلى الكلام عن الشرك الذي يمكن أن يقع في الأعمال القلبية، بدأ بأي أعمال قلبية؟ التي نسميها أظهر الشرك في ركائز العبودية، كأنه يقول يقع الشرك في هذه الركائز فإذا وقع فيها من باب أولى يقع فيما تنتجه.

ما معنى ركائز؟ في الفقه أخذتم الركاز، ما هو الركاز؟ ما هو مدفون في الأرض، ومنها أتت كلمة ركائز، **الركائز شيء مدفون داخل القلب بمثابة الكنز وهو الذي يسبب الأعمال**، سواء كانت الأعمال القلبية أو الأعمال البدنية، فإذا وقع خلل في الركائز من باب أولى بقية الأعمال القلبية وما يلحق ذلك من الأعمال البدنية سيتأثر، إذا كان الأساس فيه اختلال لابد أن يحصل خلل لما بعده، فالمحبة والخوف والرجاء ينتجوا بقية العبادات القلبية، وينتجوا كل الأعمال البدنية، إذا حصل شرك فيهم ماذا سيحصل؟ بقية العبادات القلبية وبقية العبادات البدنية لابد أن يكون فيهم خلل، لابد.

إذن هذا السبب الذي جعله الشيخ رحمه الله أول ما يبدأ يتكلم عن الشرك في أعمال القلوب يبدأ بالمحبة، بالخوف، بالرجاء، لأن هذا الثلاثي يكون الركائز، إذا صلح الثلاثي صلاحًا جيدا سيكون الباقي تبع له، وإذا فسد سيكون الباقي تابع له أيضًا في الفساد.

- إذن السبب الأول لتتابع البابان أن الخوف من ركائز العبودية كما أن المحبة من ركائز العبودية.
- الأمر الثاني تقولي لماذا لم يأتي بالرجاء، لماذا بالمحبة والخوف لماذا لم يقل المحبة والرجاء وكلها ركائز؟ نقول لأن بالمحبة يكون امتثال الأوامر وبالخوف يكون اجتناب النواهي، وبهما يكون التقرب إلى الله، يعني بأمتثال الأوامر واجتناب النواهي يتقرب العبد إلى الله.

إذن متى خلا القلب من المحبة والخوف فسد فسادًا لا يرجى صلاحه أبدا، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه.

يأتي السؤال الثاني: ما معنى الخوف من الله؟.

سأنقل لكم كلام الراغب الأصفهاني -رحمه الله- ثم بعدها نعرف ما معنى الخوف.

يقول الراغب الأصفهاني -رحمه الله-:

> الخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب، كأستشعار الخوف من الأسد وإنما يراد به الكف عن المعاصي، واختيار الطاعات، ولذلك قيل لا يعد خائفًا من لم يكن للذنوب تاركًا.أ.هـ. كلامه.

ماذا يريد أن يقول الراغب الأصفهاني رحمه الله؟ يعني لا تتصوروا خوف الرعب كما يحصل من الخوف من الأسد، لا، المقصود من الخوف نتيجة كلامه..

رد من الحاضرات ورد من الأستاذة: أثره ترك المعاصي وفعل الطاعات هذا من ثمرات الخوف، لكن ما هو الخوف نفسه؟

سنقول: " هو هيبة في القلب من الله سبب هذه الهيبة اليقين بعظمة الله، ولا يكن خوفًا محمودًا إلا مع تعظيم، وتعبد، وخضوع، وتذلل، فإذا تفكر العبد في إحاطة علمه سبحانه وتعالى به ورقابته وعظمته وقدرته وشدة انتقامه لمن عصاه أوقع ذلك في قلبه الخوف منه. "

نريد أن نأتي بطريقة عملية تورثنا هذا الشعور؛ مرة أخرى انظروا إلى معنى الخوف من الله هو وقوع هيبة في القلب ما سببها؟ اليقين بعظمة الله، المشكلة كلها دائرة في هذا، اليقين بعظمة الله ليس موجود، هذا الذي ينقصنا على الحقيقة، إذا وجد اليقين بعظمة الله ستجد في القلب تعظيم وتعبد وخشوع وتذلل وإنكسار، ومشاعر أن الأمر كله بيد الله، تشعر في قلبك أنك تحمل همّ لقاؤه سبحانه وتعالى، يقع الخوف في قلبك ألا يقبل الله أعمالك، لا تجد في قلبك منة على الله، تنسى الأعمال الصالحة إن كنت عملت، لا تتذكر إلا الجرائم التي ارتكبتها وتخيفك، فتنكب بالتوبة والاستغفار، هذا كله مبني على اليقين بعظمة الله، فما الذي يورثك اليقين بعظمة الله؟ اعتقادك أحاطة علمه ورقابته وعظمته وقدرته وشدة انتقامه، هذا كله يورثك اليقين بعظمته، واليقين بالعظمة يورث القلب الهيبة، هيبة القلب من الله.

انظري مثلًا إلى سورة البقرة آية ١٠٢

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

في أخر الآية ماذا قال الله عز وجل؟ ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ يعني ليس له في الآخرة من نصيب، فهذا يبين لك كيف سيعامل الله من خالف أمره، والإشكال عندما تسمعي أنه ليس له في الآخرة من نصيب وليس في قلبك همّ الآخرة، ولا تشعري بقيمة أن يكون شخص فقد صلاح حياته الحقيقية فالذي يقال لك الذي يفعل هذا الفعل ليس له في الآخرة من نصيب، لا تجدي رهبة في قلبك، لا تجدي هيبة، لا تجدي هذا قمة في التهديد، لماذا؟ لأن الآخرة لم تأخذ منك حقها.

ولذلك إذا وجدت في قلبك يقين بالآخرة وتعظيم لحالها وخوف من الخسارة فيها، لو وجدت في قلبك هذا كله للآخرة أعلم أنك من المتقين.

هات الوصف العكسي؛ إذا وجدت ضعف اهتمامك بالآخرة، وجدت أنها ليست لك على بال، ووجدت لو أن أحد هددك وقال لك – سأخذ حقي منك في الآخرة – وجدت أنه عندما يهددك لا تجد لذلك أثر خوف، أعلم أنك معدوم التقوى، ولذلك من أهم المقاييس، انت أخذت خمسة مقاييس في أول البقرة تقيس بها تقواك، لابد أن تعرض نفسك على هذه المقاييس، لا تضحك على نفسك أنك ذاهب وآتي من الطلب، ولا أنك في الطلب، لأن العلم بدون تقوى لا قيمة له – بهذا المعنى – لا قيمة له، فالإشكال كله دائر في أن العلم لم يتحول في قلوبنا أن يكون سببًا للتقوى، انتم تعرفون الصفات الخمسة التي إذا أتصف بها الإنسان كان من أهل التقوى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ والمهم أنهم بالآخرة يوقنون، لابد أن يكون في قلوبهم قوة اليقين، ولذلك سيأتيك " إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ" من ضعف اليقين بالآخرة وبلقاء الله، وبقدرة الله أن تفعل كذا وكذا كما سيأتي في الحديث.

المقصد عندما تهدد بالآخرة ولا تجد في قلبك أثر للتهديد أفهم أنك مريض القلب!، مريض القلب ومرضك أنك سائر بدون تقوى، تقول معي علم! نقول العلم بدون أن يكون أثره التقوى لا قيمة له!، بل مِثل مَثَل سورة الأعراف عبد أتاه الله العلم فأنسلخ منه، ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾[٤٠٩] ماذا يفقد هذا؟ قولي لي في كلمة واحدة ماذا يفقد؟ التقوى، معه علم لكن لا يغرك أنه معه علم، لا يغرك أبدًا أن معه علم، علم بدون تقوى لا قيمة له، وياليت أنه ليس له قيمة فقط كان يستوي هذا الذي معه علم مثل الذي ليس معه علم، لكن لا! لابد أن يكون سبب لأن يزيد العذاب عليه، لابد أن يكون سببًا لأن يكون أول من تسعر به النار، **كل هذا يورثك ليس خوفًا من الطلب إنما سؤال الله أن ينفعك بهذا العلم**.

الناس طرفان ووسط:

- طرف تمسك بالعلم واعتقد أنه لو أتى بهذا السبب إذن أتى بالفلاح، هؤلاء طرف.
- طرف أخر جماعة رأت أن العلم سيثقل كاهلها، ويحملها مسؤولية وهي لن تعمل، هي تعرف عن نفسها أنها لن تعمل فهربت من الطلب.

نقول الاثنين على حدٍ سواء، يعني واحد دخل الطلب واعتقد أنه سبب كافي وترك نفسه ترتع في الهوى هذا عليه من الذم وحقارة الشأن مثل هذاك الذي انسلخ من الآيات.

والثاني الذي وفر الله له الفرص ويسر له الأمر ما حاله؟ كالأعمى والأصم، بين أن يكون مثل الكلب وبين أن يكون كالأعمى والأصم، وكلا الوصفين كل واحد أخس من الثاني!.

- والحل أن تجعل الطلب سببًا، وتعلم أنه سبب لا يكفيك، مجرد سبب، مجرد وسيلة ليس بعينه غاية، إنما هو وسيلة، تنكسر بسببها بين يدي الله، وتزيد تعلقًا بالله وتشغل نفسك أن تنصرف عن باب الله بسبب العلم، فتجد نفسك مجتمع قلبك على ما يحب الله، إذن ستأخذ العلم سبب ووسيلة تصل بها إلى باب الله.

هذا السبب والوسيلة هل ينفعك بدون التوسل والذل والإنكسار؟ لا، لا ينفعك، هل ينفعك بدون أن تتجرعه؟ أن تأخذه؟ العلم مثل الدواء وانت في الطلب مثل أن تكون واحد تكتب لنفسك – روشته – كما نعبر الدواء، كل الذي تكتبه بيدك كأن واحد يمليك أنه من أجل أن تتعالج خذ ملعقة من العسل مع ملعقة من كذا، هذا الطلب، واحد يمليك دواء تصنعه لنفسك.

هل الواحد بعقله يأخذ الورقة التي فيها الدواء ويضعها أمامه وينظر لها ويقول الحمدلله انظر لها صباحًا ومساءًا وأخذها معي في كل مكان وسأشفى!، هل هذا الكلام مقبول في عقولكم؟ الجواب لا، إذا كان هذا ليس مقبولًا فهذه بالضبط صورة من يطلب ويجتهد ويبذل ثم يترك كل شيء داخل الأوراق.

إذن العلم سبب لشفاء القلوب لكن خذه، تجرعه وإن كان مرًا ويخالف هواك، خذه وترجعه، ومن أجل أن تقيس نفسك فقط امسك خمسة أشياء لا غير، فقط خمسة، وأجعلها مقياسًا لك تدور حولها، وانظر إلى إيمانك بالغيب، أي إيمانك بكمال صفات الله، إيمانك بالقضاء والقدر إيمانك أن هذا الكتاب هو النافع، إيمانك أن هناك ملائكة تكتب عليك، كل ما تعرفه عن الإيمان بالغيب، ثم انتقل إلى صلاتك التي هي مقياس إيمانك الحقيقي وتقواك، ثم انتقل إلى ما تملك أيان كان ما تملك، والعلم من ضمن

[٤٠٩] الأعراف:١٧٦

ما تملك، يعني الله عز وجل لم يغلق على الناس أبواب الإنفاق بالمال، فتح لهم أبواب كثيرة منها هذا العلم، والحمدلله نحن كلنا نجتمع في وصفنا أننا فقراء، فهذا وصفنا أننا فقراء الحمدلله يجعلنا كلنا نمسك طريق نصل به إلى الإنفاق طريق العلم، انشر العلم، تصدق به، وإذا لم تجد شيئًا تتصدق به تصدق بعرضك، هذا نوع من الإنفاق أن تتصدق بعرضك، ما المقصود؟ يعني تسامح كل أحد اعتدى عليك.

المهم أنك عندك من أبواب الإنفاق الشيء الكثير لكنك لا تدرك ذلك، ومن صور الإنفاق التي قد يغيب عن البعض صورتها أن كل ما ينفع يمكن أن يكون إنفاقًا، فتصوري الماعون، الذي هو بالنسبة لنا يعتبر في الغالب أنه ولا شيء، في الغالب أنه ولا شيء، كونك تتعامل به وتمده إلى غيرك مساعدة وإرادة النفع حتى لا يأخذه بل فقط يستلفه ويرده لك هذا من إشارات الإنفاق، من أجل أن تتصوري أن الإنفاق أبوابه مفتوحة على مصرعيها، لا تتصور إلى أي درجة الإنفاق مفتوحة أبوابه.

حتى أن أحد الاخوان يقول وقع في ذنب ثم تلفت يمنة ويسرة يبحث عن شيء ينفقه ليس له مال، فوجد طيب أهدي إليه، ولا يملك ولا شيء، يعني لا يملك ولا شيء سيوله، عنده بيت وكل شيء لكن الآن شيء يستطيع أن ينفقه ليس عنده، فلم يجد إلا طيب، فخرج إلى الحرم ومسك هذا الطيب والناس يدخلون إلى صلاة الجمعة وطيبهم به، إنفاقًا أن يذهب هذا الشيء الذي يملكه، فانت لا تتصور إلى أي درجة فتح لك باب الإنفاق.

على كل حال انظر إلى نفسك كيف تنفق، ولا تقول لنفسك أنا ليس عندي مال وتسكن نفسك، أبدًا، انت تستطيع أن تنفق وقتك بأن تصلح بين أخوانك، بأن تعلمهم، بأن بأن إلى أخره، ما معك من علم، ما معك من كتب، ما معك من سماحة نفس، ما معك من قلم، من أجل أن لا تتعذروا لأنفسكم.

فإذا رأيت إيمانك بالغيب، ورأيت صلاتك .. صلاتك التي هي عمود الدين، التي هي الحياة الحقيقية، وإنفاقك ثم انظري إلى موقفك من القرآن.

- عمليًا ستري نفسك في ثلاثة أشياء: في الصلاة، في الصدقة، في موقفك من القرآن.
- ومن جهة الاعتقاد إيمانك بالغيب وعلى الخصوص إيمانك باليوم الآخر.

⇦ ضعي هذه الخمسة أمامك وانظري هل انتفعتي بالعلم أو لم تنتفعي.

كل هذا الكلام تفرعنا إليه بسبب الآية ١٠٢ في سورة البقرة، عندما أأتي أقول لك يجب أن يقع في قلبك هيبة من الله وانظري إلى قوله تعالى في أهل السحر أنهم ما لهم في الآخرة من خلاق، لا تشعري أن هذه الجملة تخيفك، انت ليس لك علاقة بالسحر لكن أنا أقول لك هذه الجملة ما موقعها في قلبك لا تخيفك، تعرفي لماذا لا تخيفك؟ لأن ما صورة الآخرة في نظرك؟!، كم تهتمين بها؟! كم تحملي همها؟!، ماذا يقع في قلبك لو قيل لك أن هذا الرجل الذي يمشي على الأرض – الساحر – هذا ما له في الآخرة من خلاق، يعني أكيد أنه لو بقي على سحره سيخرج من الدنيا إلى النار، أكيد أنه خسران الآخرة.

ما شعورك تجاه هذا الشخص وتجاه شخص أخر قيل لك أنه خسر أبناءه في حادث سيارة، وهدم بيته؟ في الواقع تشعري نفسك أكثر حسرة على واحد خسر الدنيا، لكن عندما يقال لك خسر الآخرة ليس تلك الحرارة التي يجب أن تكون في القلب، وطبعًا انت تتعذرين تقولي ربما يغفر الله له، ربما يحصل له كذا، أو أصلًا لا تفكرين لكن تشعري أن الخسارة في الدنيا هي الخسارة، هذا دليل على مرض أن الدنيا عندك أهم من الآخرة.

لذلك آيات القرآن لن توقع في قلبك الخوف كما ينبغي وانت ذاهب إليها ليس معك تقوى، لن تنفعك، عندما أقول لك لا يخوفك إلا قال الله وقال رسوله، تقولي أنا قرأت في كتاب الله كم من الآيات ولم يقع في قلبي خوف، أقول ليس بهذه الطريقة ستنتفع، يجب أن تدخل على كتاب الله ومعك تقوى ﴿الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، يجب أن تأتي معك تقوى من أجل أن تنتفع بالكتاب، وتخاف في موطن الخوف، وتتعلق في موطن التعلق، وترجو في موطن الرجاء، أنا ليس عندي إلا حل واحد من أجل أن تخاف، حل مجمل من أجل أن تخاف انكب على كتاب الله، واسمع الوعود، اسمع الوعد والوعيد في كتاب الله، واسمع أوصاف الله، وكيف الله عز وجل يعذب هؤلاء، وكيف تتجدد لهم جلود، وكيف وكيف.

آيات كثيرة أعطيك إياها لكن تتصور تقع في قلبك؟ لن تقع في قلبك إلا عندما تأتي بالتقوى، لن تنفعك إلا تأتي بالتقوى، فانت مرن نفسك لعى الخمسة، وابذل جهودك ألا تخرج من يومك إلا وفعلت ما تستطيع لتحسن في هذه الخمسة، من جهة تفكرك وتذكرك في كمال صفاته سبحانه وتعالى، اجعل الغيب من مهام تفكرك، إيمانك بكمال صفات الله، إيمانك بالملائكة وعلاقتك بها، إيمانك بالكتب، إيمانك بالرسل ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، إيمانك بالقدر، إيمانك باليوم الآخر كما ستختم الوصوفات، ثم انظر إلى صلاتك، وانظر إلى إنفاقك وانظر إلى علاقتك بكتاب الله، لابد أن تزول غشاوة القلب لابد، ثم لا تسأل عن مقدار الهدى الذي سيقع في قلبك من آيات الكتاب، ومقدار التعظيم الذي سيقع في قلبك من الكتاب وبهذه الطريقة سيصل القلب إلى التوازن في ركائزه من جهة المحبة ومن جهة الخوف.

على كل حال؛ هناك أمثلة كثيرة من أجل أن تأتي بهذه الصفات؛ أن ترى عظمة الله وقدرته، كل هذا موجود، ليس مهم أن تأتوني بأدلة، لكن ما موقعه من القلب هذا السؤال، فلابد أن نعرف علتنا، علتنا أنه لا تقوى مع وجود العلم، لكن هل نترك العلم؟ إذا تركت العلم ستكون كالأعمى والأصم، وإذا بقيتي في العلم وانت تاركة الانتفاع به سيكون وصفك كما في آية الأعراف،ليس هناك حل إلا أن تأخذ هذا الحل، أن تأخذ هذا السبب سببًا وأن تنكسر بين يدي الله سائلًا الله أن ينفعك بهذا السبب، والذي ييسر عليك الانتفاع بالسبب وصف لك الله كيف تنتفع بهذا السبب العلم، انت أصلًا تتعلم كلام الله، ومن أجل أن تنتفع بكلام الله وكلام رسوله الذي هو العلم كله لا تنتفع به إلا إذا كنت متقيًا، عندك خمسة صفات انظر إلى نفسك فيها سترى آثار أخذك لهذا السبب.

إذن أجبنا على معنى الخوف من الله وعن ثمرة الخوف.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا كله من أجل أن تستعمل ما أنزل الله، وتخرج من قلبك الشبهات والشهوات، نحن على قاعدة تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن، لابد على هذه القاعدة، الصحابة كانوا مع رسول اله صلى الله عليه وسلم تعلموا الإيمان ثم تعلموا القرآن، ما معنى تعلموا الإيمان؟ امتلأت قلوبهم بإيمان بالغيب واليقين باليوم الآخر وأنتج هذا سلوك، سلوكهم دائر في ثلاثة:

- الأول كونهم يصلون كما ينبغي.
- ينفقون كما ينبغي.
- ثم ينكبوا على كتاب الله، فإذا انكبوا على الكتاب نفعهم بسبب ما معهم من تقوى.

ما أسباب حصول الخوف من الله؟.

سنذكر مجموعة أسباب:

▪ السبب الأول: تذكر عظمة الله وجلاله، وأنه شديد العقاب، عزيز ذو انتقام لمن عصاه، فالقلب إذا امتلأ بالخوف من الله احجمت الأعضاء عن ارتكاب المعاصي.

وهذا الكلام – تذكر عظمة الله – طريقه أنك تنكب على كتاب الله واتفقنا أن كتاب الله لن ينفعك بكل الكلام الذي مضى، لن ينفعك إلا إذا كنت من أهل التقوى.

▪ السبب الثاني: تذكر القبر وظلمته ووحدته، والقيامة وأهوالها.

▪ السبب الثالث: الإلتجاء إلى الله بالدعاء "اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ".

▪ السبب الرابع: معرفة آثار الذنوب في الدنيا والآخرة، ومن أعظم آثاراها الزيغ ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٤١٠].

▪ السبب الخامس: الخوف أن يحال بين العبد وبين التوبة بسبب إصراره على أرتكاب الذنب، هذا من أكثر ما نخافه؛ أن يرتكب الإنسان الذنوب وتعمي قلبه ثم يتصور أنه وقت ما يختار هو سيتوب، ولا يعرف أن العبد يحال بينه وبين التوبة، لماذا يحال بينه وبين التوبة؟ بسبب الإصرار.

هذا كله ناقشناه من جهة أن الخوف عبادة، نأتي الآن إلى هذا الاعتبار المهم؛ **أن الخوف تارة يقع عبادة وتارة يقع طبيعة وعادة، على حسب أسبابه ودواعيه.**

نعمل جدول.

أولًا: أنواع الخوف.

أربعة أقسام:

▪ خوف العبادة والتعظيم "خوف السر".

▪ الخوف المحرم.

▪ الخوف الطبيعي.

▪ الخوف الوهمي.

سنذكر ضابطه – الضابط الذي أعرف به أن أميز بين الخوف المحرم وخوف السر والخوف الطبيعي إلى أخره – / مثاله / حكمه.

الضابط

▪ نبدأ بخوف العبادة والتعظيم: الضابط أن يخاف العبد من المعظَّم أن يصيبه بما يشاء من مرضٍ أو فقرٍ أو موتٍ ونحو ذلك، متى يشاء بقدرته وإرادته فيمنعه ذلك عن معصية من يخافه، يمنع العبد الخائف، يعني شعوره أنه سيصيبه متى شاء وقتما شاء بما شاء

[٤١٠] الصف:٥

يجعله وهو في بيته ومغلق عليه بابه يفعل ما يريد هذا المعظم، لاحظ أنه لابد أن يكون معظمًا من أجل أن يكون خوف السر،لابد أنه يشعر بتقديره، بتعظيمه، شاعر بقدرته، شاعر بمشيئته، أنه يشاء ويقدر وأنه يفعل ما يريد وقت ما يريد من هنا أتى التعظيم.

- ضابط الخوف المحرم: أن يترك العبد ما يجب عليه أو يفعل ما يحرم عليه بغير عذر شرعي خوفًا من الناس، خوفًا من الناس انتقاداتهم المقصود.
- الخوف الطبيعي: الخوف مما يخشى ضرره الظاهري.
- تعريف الخوف الوهمي: الخوف الذي ليس له سبب أصلًا، أو له سبب لكنه ضعيف جدًا.

الأمثلة.

الخوف من السر ضابطه أن يخاف من معظم أن يصيبه بما شاء وقتما شاء، فهو واقع في قلبه أن هناك غير الله يفعل ما شاء وقتما شاء كيفما شاء، وانت تعلمي أن مشيئة أي عبد تابعة لمشيئة الله، ثم أن هذا العبد مهما كان له قدرة ومشيئة لكنه لا يمكن أن يفعل شيئًا يتعدى فيها مشيئة الله.

مثاله: أن يخاف من ميت أو غائبًا أو جماد أن يوقع به مكروهًا من فقرٍ أو قتلٍ أو مرض، أو يغضب عليه فيسلبه نعمة.

ما معنى هذا الكلام؟ يعني واحد يعتقد أن مقبورًا ميتًا لو أغضبه سيسلط عليه مرض عقابًا له، بتعبيرهم الذي يستعملوه دائمًا — يضرك — يعني هم يقولون بهذا التعبير، بالذات الروافض – اسأل الله أن يردهم إلى الحق – تكوني ضيفة عندهم فيأتون عند مقابرهم ويقولون سنذهب إلى مقبرة كذا خذي معك ما تتقربين به إلى هذا الشخص الميت، فترفضين فيقولون سيضرك، إلى درجة أن واحدة كانت تناقش رافضية في الحرم، وتقول لها انتم تذهبون إلى كذا وكذا، وهي مجاورة لهم وتفهم جيدًا أفعالهم.

فالسنية تقول للرافضية انتم تفعلون كذا وكذا، فالرافضية تقول لها اسكتي — ليضرك –، من الخوف عليها، **يعني عندها يقين تام جازم أن الحسين أو إلى أخر الاسماء التي هي أشد براءة منهم**، شديدة البراءة منهم لأنهم يلصقون إلى آل البيت ما ليس منهم، فعندهم يقين أن هؤلاء المقبورين يصل ضررهم إلى الشخص أيان كان مكانه، ويعلمون الغيب، ويسمعون كلام كل أحد، فنحن الآن في الحرم وهو في نظرهم مقبور في العراق أو في كربلاء أو إلى أخره، فمن هذه المسافة كلها سيصل ضرره!، بالإضافة إلى أنهم يعتقدون أنه يسمعهم! فماذا أبقوا من صفات الله لم يعطوها إلى هذا المقبور!!، ماذا أبقوا من صفات الله!

فتجد هؤلاء يعتقدون أن هذا المعظم يجب أن تستعمل معه التقوى فيتقون أن يخالفوا أمره، لماذا؟! لو خالفوا أمره لابد أن يوقع عليهم عقوبة، وانظري كيف يلبس عليهم الشيطان لو وقع عليهم أقدار حال مخالفتهم لأمره، في أحد المواقف في قلبها مشاعر أن هذا المقبور يعلم الغيب فتقول كنت أريد أن أخرج إلى العباس، فوقع في قلبي أنه لا، أحسن أذهب إلى فلان أخر، فغضب مني العباس وأرسل إلي ما ترينه — مرض جلدي — فوافق المرض الجلدي وقت تغيير نيتها!، يعني غيرت نيتها من هنا إلى هنا فغضب عليها وأرسل إليها هذا المرض الجلدي!!، انظري كيف الشيطان يجعلهم يفسرون ما يقع عليهم من أحوال.

لذلك إذا ما كان التوحيد هو أساس القلب كل واحد سيستعمل أسلوب التفسير، لكن سيفسر على هواه، على اعتقاداته، كل الناس يستخدمون أسلوب التفسير، كلهم، حتى أحداث ١١ سبتمبر عندما تجد عند النصارى المتشددين عندهم تفسير لها، تفسير

يدفعهم إلى الاستقامة، تفسير يدفعهم إلى مزيد تنصير، يرون أن هذا الحدث الذي حصل يوقظهم من غيابهم عن تنصير العالم!، وكأن ١١ سبتمبر كانت عقوبة لهم لأنهم لم ينشروا النصرانية في كل مكان!.

كل الناس يفسروا، فانت لا يغرك، لا تتصور أنك عندما تفسر أنك أتيت باختراع!، تعرف ما ميزتك يا موحد؟ أنك تفسر وانت معتقد أن للكون إله واحد كامل الصفات، هم يفسرون جماعة معتقدين أن الإله ثالث ثلاثة وجماعة يفسرون معتقدين أن عندهم مائة ألف إله! وعدي مقابرهم!، عدي ما يلجأون إليه!، وانظري كيف تشتيت القلب، يعني من أجل أنها انتقلت من العباس إلى فلان تريد أن تتقرب وهو ولي من الأولياء عندهم، لكن انتقالها جعلت الأول يعاقبها!.

اسأل الله عز وجل أن يجعلكم من الشاكرين على التوحيد، هذه النعمة التي نعجز عن شكرها، وإلا كل القوم يفسرون ويأولون ويتكلمون عن الرفض ويقولون أن الله عز وجل لم يفعل بنا كذا إلا من أجل كذا، لكن انت ميزتك عن هؤلاء كلهم أنك على التوحيد الذي هو الفطرة، وتعلم يقينًا أن ربك الواحد أشهدك على وحدانيته، وإلا ليس هناك عقل مستقيم ولا فطرة مستقيمة تطلب بديلًا عن التوحيد!.

أين الراحة؟ شركاء متشاكسون أم رجل سلم لرجل؟! لابد أن تجيبوا إجابة واضحة من أجل عندما تسمعوا آرائهم تتخطفكم، لا تقولوا هم يفسرون لا انت تفسر ومعك التوحيد، وهذا معنى أن تكون شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، كونك شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء يعني التوحيد هو الذي يثبتك ويجعل تفسيرك صائب وثمرتك حلوة، أمَّا أولئك معهم شجرة لكن مثل الحنظل، يفسرون ويتكلمون ويتفلسفون ولا ترى كيف يأتون يقولون عن عقوبات الأئمة عليهم، وكيف انهم يغضبوا عليهم لو لم يفعلوا وكيف أنه لم يحصل كذا في العراق وفي أفغانستان إلا لأنهم فعلوا وفعلوا!، وينادوا الروافض إلى الرجوع إلى الاستقامة، ما الاستقامة؟! زيادة الإنكباب على المقابر من أجل أن يكشف الله الغمّة!!.

سابقًا ذكرنا في أحد الدول العربية وهذا له علاقة بالقبوريين، في أحد الدول العربية عندما أتى وحصل حالة خسوف للقمر، كتبوا في الجريدة هذا الحدث بكل هدوء أن أهل قرية معينة أخذوا ما يملكون من الحيوانات الثمينة التي تدّر عليهم، تدر عليهم كأن مدار حياتهم عليها اقتصاديًا، تدّر عليهم من اللبن وتحرث أرضهم إلى أخره، أخذوها وذهبوا إلى قبر فلان، وطوال الطريق وهم يستعملون الطبل وينادون فلان هذا المقبور بأبيات مرتبة أن يا فلان أكشف عن القمر غمته!!، وطبعًا جمعوا بين الاستغاثة والذبح لغير الله واعتقاد أن الأمر بيد غير الله وفعلوا وفعلوا، ثم اسألهم عن صلاة الكسوف؟! لا يعرفونها!، يعني انت ليس على خاطرك أن أحد في العالم الإسلامي اليوم مع كل وسائل الحضارة والاتصال لا يعرف أن هناك شيء اسمه صلاة الكسوف؟! تتصوري هذا الأمر؟ الأمر واضح والإعلام نقله، لكن من كثرة ما وقع في قلوبهم من شرك غاب عنهم مثل هذا، السنة عندما تغيب لابد أن تأتي البدعة، والبدعة لا تقف عند حد، لابد أن تضرب في أعناق التوحيد.

فهذا الخوف من غير الله لا تتصور أنه كلام على الورق، انت فقط قابل هؤلاء الوثنيين الخرافيين روافض على اليسار وقبوريين على اليمين، وشمال وشرق وغرب كلهم يجتمعون في الخوف من غير الله، هذه الميزة أكثر من ميزة المحبة، انت لا تجد عندهم قوة محبة شديدة، عندهم عصبية لآرائهم، القضية العصبية لآرائهم، أنه لا تأتي تقولي ما كان عليه آبائنا خطأ، هذا موجود بقوة، لكن أكثر ما يحركهم تجاه المقابر خوفهم أن يصيبهم بضر، ومن أجل ذلك يستعملوا دائمًا كلمة "يضرك"، يعني لا تعملي هذا وهذا من أجل

أن لا يضرك، فهذا ليس كلامًا مكتوبًا على الأوراق انت فقط اخرج شبر واحد من البلاد، فقط شبر واحد وستري العجب، والناس الذين يذهبوا ويأتوا يحكوا لكم ماذا نرى يمنة ويسرة والله المستعان.

ولذلك هذا الخوف من غير الله عندما تسمعه وتراه لابد أن يقع منك وعظ مباشر، كيف ستعظه مباشرة؟ لابد أن تكون حافظ الآيات التي تجمع بين أمرين: بين أن الخوف حق لله وبين أن لا أحد يمكن أن يمسسك بضر ولا يكشف عنك الضر إلا الله.

في أحد المواقف في أحد دول الخليج عندما أتينا نشرح في درس التعامل مع الحياة، الدرس الذي فيه سبعة قواعد، من بين القواعد كلام حول الاستعانة إلى أخره ثم أتت الآية ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ﴾ أحد المستمعات تقول كأني اسمعها أول مرة، كأنها لم تمر على ذهنها سابقًا، والعلّة أن القوم مخاوفهم تشتت يمنة ويسرة، فمن الطبيعي عندما نقول لها لا يكشف الضر إلا الله وهي تعيش ٣٠ و٤٠ سنة وكل يوم تبحث عن أحد يكشف لها الضر أكيد سيقع في قلبها ذهول أنها في النهاية عرفت أنه لا يكشف الضر إلا الله، أنا بدأت بالكلام قبل أن أستدل بالآية، فكأنها تريد أن تقول أن لا تقولي أن الله لا يمس أحد بضر، هذه الكلمة تسمعها من أهل القبور، أنه يضرك يضرك، فعندما استشهدت بالآية ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ وفهمت الشاهد أصلًا هذه الكلمة لم تأتي إلا من الدليل وقع عندها الذهول وهي مركزة أن لا أحد يصيب أحد بضر إلا أهل القبور، وهي من أهل السنة لكن مع مجاورة الرفض تكون هذه النتائج، أن القوم يتصورون بالرغم من بغضهم للروافض ومع مقاطعتهم لهم ومع التشنيع على من يتزوج منهم، كل هذا وفي الأخير تجديه في داخل معتقدهم وهم لا يشعرون!، الله المستعان.

على كل حال لا تستهين بمسألة الخوف من غير الله، تراها منتشرة جدًا بصورة تكاد ترى أنها أصابت أهل السنة وهم لا يشعرون، أنهم يخافون من بعض هؤلاء المقبورين، من أجل ذلك لابد أن تتوسلوا إلى الله أن يمنع عنا شر هؤلاء، لأن لهم من الشر العظيم ما لا تتصوريه، لا تشعري أنه عادي لو أن الروافض قاموا بأفعالهم وأهل السنة سيتمسكون بدينهم، لا تقولي هذا!، لأن هؤلاء لهم أثر في الاعتقاد وخصوصًا الجيل الذي يتربى وهو صغير لا يفهم لابد أن يأثروا في اعتقاده.

حتى أن امرأة من أهل السنة تحكي أن هي وأمها وهي لازالت على قيد الحياة ويمكن هذه المرأة الآن تصل إلى الأربعين، تقول وهي شابة في عمر ١٤ و١٥ سنة تذهب هي وأمها مع جيرانها الروافض إلى السيد فلان، والسيد فلان هذا منهم، وتأتي قريب من المقبور يبيعون شيء من الأقمشة المقطعة من أجل أن يربطوها على قبره، لماذا يربطوها على قبره؟ هذا من الطلب!

يعني يقدموا بين يدي طلبهم أي شيء يدفعوا له فلوس المهم، ولا يدفعوا له فلوس من بيوتهم، يعني لا يشقوا أقمشة من بيوتهم ويأتوا بها لأ لابد من هنا، من حول المقبرة، طبعًا واضح لماذا، يفتحون سوق هنا، طبعًا الأعلى أن يذبح، الأدنى أن يفعل كذا، الأدنى إلى أن يصل ليس معك ولا شيء إذن فقط قطعة قماش واربطها على القبر، مثل ذبابة!.

فهذه الأم الكبيرة من أهل السنة، والبنت الصغيرة، وذهبوا زيادة، تمشية، عند قبر فلان الذي هو سيد عند الروافض ويذهبون ويشركون ثم يعودون مطمأنين ليس عندهم أي إشكال، الله المستعان!، نشتكي إلى الله.

وهذا الكلام قديم، والمرأة الآن عمرها أربعين سنة التي تحكي، فهذا قديم، لكن هذا القديم سيعود إذا سكتنا، يعني ستعود المسألة من جديد، الآن بسبب الحركات السياسية أصبح في القلوب شيء تجاه الروافض، لكن لو سكنت الحركات السياسية واتفقوا الناس ماذا ستكون النتيجة؟! سنرجع نتأثر بهم، وسيرجع الأمر يصبح بالنسبة لنا عادي، وإذا انتهينا من اليسار الرفض يأتينا القبوريين المنتشرين في كل مكان!.

لا تميلوا بقلوبكم عن التوحيد، لا تشعروا أن النعمة التي انتم فيها عادي وأنها ستبقى، لا تتعاملوا مع التوحيد بهذه الصورة، أنا أعرف أن لا أحد يشعر بي وبالكلام الذي أقوله إلا الذي خرج ورأى بعيونه، وتشعر أنك تكلم من ولا من، ولا ماذا تقول، القوم واقع في جذور قلوبهم، إذا ليس في المجلس الواحد لم يذكروا هذا المعظم مائة مرة لم يكن مجلس، ويحلفون به ويقسمون عليه ويجتمعون عنده ويتباركون بترابه، أمر عجب، العالم الإسلامي غارق حقيقة في الشرك، هذا ليس تشاؤمًا، هذا من أجل أن أصف الحال الحقيقة.

وفي نفس الوقت لابد أن تفسر التخلف الحاصل، يكلموك عن الحضارة لابد أن تفهم ما الذي يرجعنا إلى الوراء، يعني قوم يطلبون غير الله، يعبدون غير الله، عندما يكون واحد منهم منحرف وعندما يستقيم يذهب إلى القبر! عندما يستقيم!!، ثم يقولون لماذا لا ينصرنا الله، أين انت من الله، أين ذلكم وإنكساركم بين يديه!، ثم يأتي من لا يفهم ويقول كلهم يقولوا لا إله إلا الله! وهل تنفع لا إله إلا الله كل أحد؟! هذه كلمة باللسان إذا لم تقع في القلب لم يكن لها أثر.

عمل كل حال لا تتصوري أن الخوف من غير الله أمر غير موجود بل موجود وبقوة وربما كان من أهم العوامل التي تجعل كثير ممن تبين له الحق لا يستطيع أن يعود، يعني ناس كثير أبصروا الحقيقة ورأوها لكن يبقى في نفوسهم شيء من الخوف من أن من يخطو في الخارج يعني يخرجوا عما كان عليه أهلهم فيصابوا بشيء فيكون هذا تفسير أن فلان نضرهم!.

من أجل ذلك لا تجعل أحد يعود إلى الحق إلا بعدما يثبت في قلبه التوحيد، يعني لا تعلن أنه رافض للخرافة ولعبودية القبور إلا بعدما يثبت جيدًا، وبعدما يظهر جيدًا فهمه أن الله يبتليك، ويأتيك من البلاءات ولا يجب أن تفسر البلاء، ولا تخرج من الخرافة ثم يأتيك بلاء فتفسر أن المقبور ابتلاك فتعود اسوء مما كنت، لذلك نقول كل شخص يدخل في الدين سواء كان وثنيًا أو من أهل الكتاب أو سواء كان ممن نطق بالشهادة لكنه يعيش الشرك، لابد من تثبيت التوحيد في قلبه من أجل أن لا يحصل عنده ارتداد سريع، ارتداد سببه أنه فسر الأحوال على غير ما يجب أن يكون.

ولذلك الناس الذين يقومون بعملية تعليم الإسلام لغير الناطقين به بعدما ترى في هذا الرجل إقبالًا لابد أن تبين له سنة الله في الأرض، وكيف أن الله عز وجل يختبر عباده، وهذا الاختبارات ورائها رقي، وورائها ثبات، وكلموه عن الأنبياء والصالحين، وكيف أنهم لابد أن الله يختبرهم فيرفعهم، من أجل أن لا يتصور أنه يسلم يعني الدنيا تستقيم، يستقيم تصوره صحيح لكن ليس شرطًا الدنيا تستقيم، ألف واحد يحاربك ثم يخمدهم الله كلهم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: مشكلتهم الأساسية التي ندرسها طوال هذه الأيام، ما هي مشكلتهم الأساسية؟ عبادات يصرفونها لغير الله متصورين أنها ليست عبادة يجب فيها التوحيد، أو يتصورون أن فلان يستحق أن يشرك مع الله.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الخوف من الجن، عندما نصل عند الخوف الوهمي سنرى كيف يصل إلى خوف العبادة والتعظيم.

ما حكمه؟ لا يجوز أن يصرف خوف العبادة والتعظيم إلا لله، ومن صرفه لغير الله فقد أشرك شركًا أكبرًا إذ جعل لله ندًا في عبادة الخوف.

ننتقل إلى الخوف المحرم.

ما هو الخوف المحرم؟ أن يترك العبد ما يجب عليه أو يفعل ما يحرم عليه بغير عذر شرعي خوفًا من الناس، وهذا الخوف من الناس يربيه الآباء والأمهات.

يعني أصلًا من أين يأتي الخوف من الناس؟ التربية، وانتم تعلمون هذا الأمر، نحن طوال الوقت نقول من أجل الناس، مثلك مثل الناس، طوال الوقت نحن نقول هذا الكلام فوضعنا الرضا والسخط مبناه على الناس، فعندما يكون مقياس الإنسان رضا الناس لابد أن هذا المقياس سيعارض مقياس الشريعة، فإذا عارض مقياس الشريعة يصبح الإنسان في حيرة من أمره يلبي رغبة الناس في نفسه أو يأتمر بما أمر الله، على حسب ردة فعله يكون مقياس هذا الخوف.

في هذه النقطة بالذات أنبهكم تنبيه أن هذه المسألة صحيح نقولها باختصار لكن لا تصلح أن تؤخذ بالإجمال، لابد أن يكون فيها تفصيل مدروس بمعنى أحيانًا نأتي نقول لأحد وافق أهلك، أفعل ما يفعلوا خصوصًا أنك ستتعدى، يعني لو تركت ما فعلوا ستتعدى من ذنب إلى ذنب أكبر منه، يعني الأهل يخالفوا السنة لو تركتهم وعارضتهم قد تصل إلى حد العقوق الأعلى، العقوق يعتبر أعلى، لو القوم يقومون ببدع، خصوصًا بدع العزاء لو لم أشاركهم غضبوا علي كلهم، وإذا شاركتهم تصوروا الرضا، ولن تتغير، مادام انت تشاركهم لن يتغيروا، نقول لابد أن تفرق بين البدعة وبين ترك السنة فرق بين أن واحد ترك السنة مثلما يخرجوا للعيد مشيًا على الأقدام مثلًا، وانت تقول لهم فلنرجع من طريق أخر متابعة للسنة ينكبوا عليك بالكلام، وانت وانت وتبعدنا إلى أخره ماذا ستفعل؟ ستتركهم وتذهب إلى طريق أخر؟! لا، ارجع من نفس الطريق، ليس أمر ذا بال، ليست أن مخالفة السنة ليست ذات بال، لا، أقصد الموقف هنا كسبك لهم أولى من أن تأتي بالسنة التي فيها انشقاق، خصوصًا لو كان هذا الرأي رأي أحد كبير أنه يقول لا لا نسير إلا من هنا، وأحيانًا الزوج مع زوجته، يكون الراجل يرى زحام تقول له خالف الطريق واذهب من طريق أخر، فيقول لو ذهبت من طريق أخر لن نصل إلا متأخر، فتقول ليس هناك مشكلة فيقول ليس عندك مشكلة لكنها مشكلة عندي أنا، وتحصل مشكلة والأمر يمكن أن يستعمل فيه شيء من التغافل مع النية الصحيحة يكتب لك الأجر وانتهى لم يخالف الحمدلله.

إذن أوزنوا المسألة، وهذا المثل ضربته في مرة من المرات على سنة الطواف، يعني رجل وامرأته في الحرم بصوتهم واضح وهي إلا مصرّة تصلي سنة الطواف وراء المقام، وهي رجعت إلى الوراء لكن في أيام الزحام، يعني ليس مثل هذه الأيام، لم يجتمعوا الناس في الحج ولهم دليل أيضًا، يقول لها في أي مكان صلي تقول له لا لابد أن أصلي في الصحن، وانظري كم المفاسد، أفكر كيف ستسعى هذه وماذا تقول في السعي وهي نفسيتها بهذه النفسية المضطربة وزوجها بهذه النفسية، مع أنها لو سمعت الكلام وصلت في أي مكان صح لها ذلك.

فالمسألة تحتاج إلى فقه من أجل أن أقول سأخالف هؤلاء أو لا أخالفهم ، تعال إلى بدعة، وهذه البدعة ليست أنا وهذا الشخص فقط وأسكت ويذهب الأمر لا، تعال إلى بدعة مثل بدعة العزاء، لو جلست معهم ووافقتهم لن يتيغير الأمر أبدًا، سيروا جلوسك معهم من جهة تكثير لسوادهم ومن جهة أخرى تأييد لهم، أنك موافقة راضية بدليل أنك جالسة، لكن هل نهجرهم هجرًا تامًا ونتركهم في مثل هذه المواقف؟ هذه على حسب من تكوني، إذا انت بنت عند أهلك مثل هذه المواقف تحتاج إلى الانسحاب من المقدمة، يعني هذا عزاء والناس مجتمعين ويضيفوا اذهبي إلى أي غرفة واختبئي فيها، واظهري أي عذر فيه نوع مداراه، ليس أنك لا

تريد تجلسي وهذا الكلام، لا داري، وخصوصًا في هذه الأيام داري، ثم مرة واثنان وثلاثة إذا اختفيت من الصورة وإذا طلبوك بالغصب وبنقاش طويل عريض إلى أن تأتي سيفهمون ماذا تريدين أن تقولي.

لكن لو انت متزوجة مثلًا وعندك الاختيار الكامل أن تذهبي أو لا تذهبي فلا تذهبي، على حد أن تعزيهم ثم لا تشترك في مراسيم العزاء الطويلة العريضة، ولا تشاركيهم بمالك، وهم سيشعروا أنك لم تشتري لنا، والمفروض يوم من الأيام عليك الغذاء، هذا كله أقطعيه، مهما عاتبوك، مهما قالوا أنك لست بكريمة.

تعال انظري نفس الشخص عندما يحصل عنده حالة وفاة، ثم يطلب السنة في الوفاة أنه لا أحد يجتمع وأنه لو عزوا عزوا خفاف، مثل زيارة المريض شيء خفيف ويذهبون، لأنكم كلكم تعلمون مهما قيل لكم خلاف ذلك كلكم تعلمون أن العزاء نفسه ثقلًا على أهل الميت، كلكم تفهموا هذا الكلام واقعيًا، يعني نعم صحيح أن المرأة لا تستطيع أن تفعل مثل الرجل وتعزى في المقبرة أو تعزى في المسجد أو تعزى في السوق صحيح هذا الكلام، وأنه لابأس أن تعزى المرأة في البيت، لكن تعزى في البيت كيف، هذا هو السؤال المهم، تعزى في البيت يعني الشخص حتى لا يفكر أنه يأخذ راحته في الجلوس، لا يفكر في ذلك.

ولذلك الناس الذين يجدوا في بيوتهم زحامًا في العزاء يأخذوا بيوت جيرانهم، وأحيانًا شدة وشدتين تفتح في العمارة، وتخيلي موت وبيت يفتح واتحمل مسؤولية التنظيف طبعًا وإلى أخره، وأيضًا بيت الجيران، وأيضًا بيت الجيران جميل علي، يعني اتحمل جمائلهم من أجل أن يساعدوني في العزاء، أصبح كم نكبة على هذا الذي مات!، يعني يريد أن يتصبر على أي من النكبات!، غير الأموال التي تنفق، وأحيانًا يكون قبل أن يقسم الميراث يعني من فلوس الميت، وأشياء كثيرة.

فالمقصود أن هذه مفسدة متعدية، فمثل هذا لا تخاف ما يقولون، يعني عندما يأتي أحد ويأخذ قرار ويكتب كلام النووي أو كلام ابن عثيمين عند الباب أن الاجتماع عند العزاء إلى أخره، ولا يضع أنوار مثلًا عند بابه فيأتون يقولون لو ماتت عنده قطة كان احترمها أكثر، يعني يريدون أن يشعروه بنوع من الضغط أن الذي مات ليس له قيمة عندك ومن أجل ذلك لم تفتح له وفعلت وفعلت وأنفقت، المفروض إذا كنت تحبه صحيح تفعل كذا وكذا، فانظري هذه الجمل عندما أحد يسمعها على أحد يخاف، عندما يموت عنده أحد يفتح ويفعل من أجل أن لا أحد يقول عليه أنه هكذا، فهذا هو الخوف المحرم أنك تخالف السنة فقط من أجل أن لا ينتقدوك الناس، ولا يهمك الشريعة والأوامر، ومن هنا أصلًا جائت البدع وانتشرت من هذه المشاعر الخوف من الانتقاد.

إذن هات مثال على الخوف من الانتقاد؟ المشاركة مثلًا في مراسيم العزاء خوفًا من الانتقاد.

لكن أقول لك حتى لو أردت الإنكار كوني سياسية، العنف لن يأتي بنتيجة، وهم لن يفرحوا بإنكارك طبعًا، لن يكونوا مبسوطين بإنكارك، سيقع منهم غضب، لكن أهم شيء انت لا يقع منك غضب، تأدبي وانت تتكلمي، طبعًا انتم تعرفون عدم أدبهم، تعرفون كيف الناس الذين يعزوا يشعروا كأنها تكية، وبكل انشراح صدر يطلبون أنواع من الشاي، أكيد انتم سمعتم ورأيتم، وإلى أخره.

أعرف أنكم تحملون صور واضحة في أذهانكم وتعرفون أن هذه اسائة لأهل الميت، من أجل أن تتصوري المسألة انظري لنفسك عندما تكوني مريضة وتتألمي وبجانبك أحد يعيش عالم أخر، يأكل ويشرب ومبسوط ولا يفكر فيك، تشعري أن فقط من المشاركة في ذلك لا تأكل أمامي، على الأقل لا تظهر سرورك وفرحك وأنا مريض، وعندما يكونوا هؤلاء أهل الميت يحتاجون أن يواسيهم في أحزانهم، ويشعرهم أنه متأثر لما حصل لهم، يكلمهم عن الله وعن الرضا ثم يأخذ نفسه ويذهب إلى بيته.

كثير من المعلمات يقولوا لابد أن يجعلوا لنا إجازة للعزاء، يريدوا أن يجعلوا من ضمن أنواع الإجازات إجازة للعزاء، عندما يكون عندها عزاء أقارب من الدرجة الثانية لأن من الدرجة الأولى موجود، لكن من الدرجة الثانية من أجل أن تذهب – توجب – فطوال النهار ستكون توجب وفي الصباح تعبانة لا تستطيع أن تحضر فتغيب، وهذا الذي يحصل، الناس يغيبوا عن دوامهم، يغيبوا عن أعمالهم، لماذا؟ ماذا كانوا يفعلون؟ يصبرون البيت أم يأكلون ويشربون في بيت الميت!، والله بلاءات.

اسأل الله أن يحفظنا جميعًا من هذه المشاعر لكن انظري كيف يحصل عندما امرأة يأتيها خبر وفاة أحد من أهل البيت أول شيء تفكر فيه نظافة بيتها ولبسها، ماذا تلبس فقط!، وهذا الذي يذهب يسأل في قبره لا أحد يبحث عنه، كل تفكيرهم في بيتهم وتنظيفه وماذا يلبسون، ثم تأتي مشاريع كيف الغذاء للناس وكيف العشاء إلى أخره، فرح لكن بصورة أخرى، قبل من أن يبحثوا عن الميت وأين يغسلوه ويصلوا عليه قبل كل هذا يفكروا كيف سيستقبلوا وكيف يفعلوا وكيف يفعلوا، طبعًا هذا غير الأنوار، نحن عندنا قاعدة الأنوار؛ خط واحد يعني عزاء وخطين يعني زواج، شيء عجب الله المستعان.

المشكلة في خوفك من الإنكار هذه المشكلة، في مشكلة أنك واحد فقط ماشي، وفي نفس الوقت نريد منكم ألا تسيئوا إلى الدين، يعني المسألة تحتاج إلى كثير من الحكمة والاستخارة والدعاء وسؤال الله أن ينزل موقفك على قلوبهم بردًا وسلامًا، وأن يردهم، وهم بعدما يذهب عنهم الشيطان ويذهب يوم واثنان وثلاثة أيام لا تري في قلوبهم أي عتب، وهذا أمر جربناه أنك عندما تأخذي قرار من أجل الله حتى لو في بداية الأمر لم يتصور لك إلا الشيطان فيوم يومين شهر شهرين وينتهي الموضوع ويرجع كل شيء كما كان، أصلًا ينسوا على ماذا اختلفوا.

فقوّ قلوبكم لأن هذه امتحانات للعبد، لازلت أوصيكم بالأدب، بمنتهى الأدب أن تتعاملوا مع هؤلاء بمنتهى الأدب، تريدي تغيير منكر أنكريه لكن أولًا توسلي إلى الله أن يشرح دصورهم لما تقولين، وتكلمي بأدب ولا تستعملي العصبية في الكلام حتى لو كان هذا طبعك، اطلبي من الله أن يسددك فيما تختارين من ألفاظ إلى أخره.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: افعلوا ما استطعتم إلى أن يتوعى المجتمع، والمجتمع في طريقة إلى الوعي، واحد اثنان يفعلوا هذا الفعل فيتوعى المجتمع، ومن أجل ذلك تسمعي في نور على الدرب وسؤال على الهاتف كلام عن العزاء، دائمًا يسألوا، لأنهم بدأوا يشعروا أن هناك شيء غير صحيح فبدأوا يسألوا.

أيضًا من الأمثلة أن يحلق لحيته خوفًا من انتقادات الناس.

من الأمثلة أيضًا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حماية لعرضه من الكلام.

وهذا حتى بينكم يحصل أنكم تسكتون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل أن لا يتكلم عليكم أحد منكم، كان يحدث بعض المخالفات، نقول مخالفات لقوانين المعهد، ونقول مخالفات لولي الأمر العام، وانت ترى فتخاف تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر فيعلقوا عليك، يقولون ماشاء الله انت النظامية، انت الكذا، وأثرت فيك الدروس، هذه الكلمات تشعري أنها تأذيك فمن أجل أن لا تسمعيها تترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأنا أنصح الطرفين الناصح والمنصوح:

أن يكون الناصح جامع قلبه أن يعمل العمل لله، ولابد أن يفعهم أن الشيطان سيؤثر على المنصوح.

أمَّا المنصوح وخصوصًا لو كان من طلبة العلم فنذكره بالله، ونذكره أن أي كلمة تأتي على لسانه بعد أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر أي كلمة تأتي على لسانه إنما هو تعبير عن ما قام في وجدانه.

فعندما تنصح تكون متبع للهوى، ستنصب بكلام وانت واحد متبع للهوى، طالب علم لكنك متبع للهوى وتأتي تنصح افعل أو لا تفعل، فأول شيء يمر على خاطرك ما قام في قلبك، وإذا قام في قلبك الهوى سيخرج على لسانك كلمات الهوى، وكنا نضرب مثال دائمًا، وهذا المثال من أجل أن تفهم هذه المسألة أنك يا منصوح قدر النصيحة واحترمها وعظمها واعتبرها من شعائر الدين حتى لو لم تكن أهلًا لها، انت بريء منها واضرب لكم مثالا.

وهذا المثال نكرره عسى الله عز وجل يجعل فيه البركة، هاتين امرأتين في الحرم، وفي الأيام مثل التي مضت يكون الحرم هادىء ولا يكون أحد في الغالب في الأروقة، المهم في صباح يوم الجمعة تقريبًا الساعة التاسعة، في الغالب في هذا الوقت لا يوجد إلا أشخاص يعدوا، أقصد في أيام الهدوء، المهم شابتان طالبات علم جالسات يتدارسوا مع بعضهم صحيح البخاري، اثنان على كتاب واحد يتدارسوا فلابد أن يخرج منهم كلام، وامرأة كبيرة في السن في نفس الكلام، صبرت عليهم أكثر من ساعة ونصف تنظر لهم، طبعًا غير راضية عنهم وهم لم ينظروا لها ولم ينتبهوا لها، قامت من مكانها في الأخير وجائت لهم وكلمتهم عن الوقت المبارك، امرأة كبيرة بمعنى كبيرة، في الستينات، كلمتهم عن يوم الجمعة والوقت المبارك وانتم شابات ولا تضيعوا طاقاتكم، وجهدكم، وهذا الحرم وليس كل أحد يستطيع أن يأتي الحرم، المهم خطبة في ربع ساعة، اسألك لو كنت في هذا المكان ماذا ستفعلين؟ ستعطيها خطبة انت بالنصف ساعة، ماذا ستفعلين؟ لابد من الثناء عليها ولابد من الشكر، ولابد من إظهار الانتفاع، لأن هذا كلام نافع، في حقيقته كلام نافع.

هل ستقولين لها ندرس صحيح البخاري وهذا علم والعلم تحيط به الملائكة، ستقولي هذا الكلام؟ لا، فلذلك انت الآن قد لا تكون أهل للنصيحة، أهل بمعنى أنك تستحق النصيحة، إنما انت ممتثل هذه النصيحة وتفهمها جيدًا، كل الذي قيل للاثنان مفهوم عندهم، بالعكس هم اجتمعوا عمل دين الله يتدارسون، من أعظم النعم وفي الحرم، ويشعرون بقيمة يوم الجمعة فيريدون أن يجمعوا لنفسهم فضائل، فهي الآن جائت تقول لهم انتم ما فعلتم ذلك، فالذي يفعل لله، يعمل الأعمال لله يقبل النصح لله، حتى قبولك للنصح لله.

تصوري لو ردت هذه المرأة الآن انكسرت نفسها، وجميل أنك تجدي أحد في قلبه حرقة على الشباب، تمتنع غدًا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد تكون من النوع العصبي فلو رديتي عليها ستطاول عليك بالكلام يعني تخرجيها من الصواب إلى الخطأ، ستأتي بمفاسد كثيرة.

تقولي هذه امرأة كبيرة لكن زميلاتي أحيانًا ينصحوني في شيء وأنا خالية منه نقول أقبلي النصيحة لأنها نصيحة، ولأن الناصح إذا كان صادقًا انتفع هو بنصحة وانتفعت انت بصبرك وإخلاصك، لأن قبولك النصيحة مع أنك لست أهلها – وتفهمون ما معنى لست أهلها – دليل على أنك لا تعاملين إلا الله.

تقول أخاف أن تسيء في الظن نقول أنت مؤمن مائة في المائة يقينًا أن الله عز وجل يدافع عن الذين آمنوا، في هذا الموقف دفاعك ليس في مكانه، لأن لن يقع في نفس زميلاتك إلا أنك تتهربين وتعتذرين، فأدبك مع الله وأدبك مع مفهوم النصح في معية، ثم أعلم أن الناس لا يمكن أن تؤخذ حقوقك منهم كاملة، فسدد وقارب، لا تعاملهم على أنه حقي المفروض لا تظني في هذا الظن، وكيف تظني في هذا الظن.

ولذلك عندما نختار في كثير مما يعاملونا – انتم إن شاء الله تكبروا ويصبح لك مكانة وتدعون الناس وتعاملوهم –ثم لابد أن تمر عليكم هذه المشاعر، تحتاري كيف تعاملي هذا الذي تربيه، كل مرة لهم تفكير، لو وجدوك تعتني بأحد قالوا كذا وكذا، لو وجدوك لا تعتني وصفوك بأوصاف، وأسهل ما عليهم أن يصفوك بالكبر وبالعلو.

في موقف في الحج معروف الناس الذين يخرجوا في الحج في "ب"، معروف كيف استعمالهم لتقريب الأكل، في حملات "أ" يعملوا صفين، لكن في "ب" لا يكون هكذا لكن يقربوا للناس أكلهم، فهذه الحملة هذه أسلوبها أنها تقرب للناس أكلهم، فهذه طالبة علم، ومعها طلاب علم وبقية الناس في أماكنهم، فمن أسلوب الحملة أن تقرب للناس الأكل، فخرجوا الناس الذين رأوا هذه الحملة، فانتهى الحج وخرجوا، فيقولوا أين التواضع، المفروض طلبة العلم يكونوا متواضعين كيف يقربوا لها أكلها، مزيد احتفاء ومنها أنهم يقربون لها أكلها، فنقول الحملة كل الناس الذين فيها ماذا يفعلون؟! يقربون له أكله، ثم أن الفوارق في السن لا تحتسب!.

يعني امرأة خط في رأسها الشيب مثل شابة كبيرة؟! لا، "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا " لابد من توقير الكبير فانظري كيف تقلب المقاييس مع الناس، يكون أحد يعاملك بالتوقير يقولون عنه منك كبر ومنهم غلو، يكون أحد يفعل معك ما يفعله الأخرين الطبيعين فيرونه شيء خارج عن العادة.

فانت سيقع عليك من مثل هذا كثير لكن أهم شيء عندما يصل إلى أذنك ترجميه كما ينبغي، لابد أن تترجميه كما ينبغي، يعني انت عندما تكوني تري نفسك والعبد يرى نفسه من الخارج والناس الله أعلم كيف يروه لكن يعالج أي لحظة كبر، هو يرى نفسه كذلك، فيأتي أحد من الخارج يقول له لماذا فعلت هذا الفعل، لماذا هذا التكبر، تصدم أنك أصلًا باذل جهدك أن لا تظهر، أن لا يقترب منك أحد، وفي النهاية يقولون عنك كذا.

عندما تصل لك هذه الكلمة لا تنكب على الناس أني أصلًا أستاهل أني أفعل كذا وكذا، لا أبدًا، إنما خذ هذه الكلمة وقل جائت من أجل أن أزيد حرصًا على أن أبعد عن هذا الشعور، لا تفعل لنفسك خارطة أني أصلًا بعيد عن الكبر بدليل وهذا وهذا، ولو كنت مكانهم كنت فعلت كذا وكذا، حتى كان أحد الأجوبة للمحيطين ليس لنفس الشخص إنما للمحيطين كانت ذهبت حج "أ"، وهم مائة مرة عرضوا عليها، لكن من أجل أن لا تختلط بأهل الدنيا آثرت ألا تذهب فئة "أ" فمثل هذا الجواب ليس صائبًا، يعني ليس صحيح في هذا الموقف أن تقول أني في هذا الموقف كان المفروض أذهب إلى " أ " ولا أأتي لكم، لا ليس صحيح، المفروض عندما تأتيك هذه الكلمة تعيد حساباتك ثم تضع الكبر فوق وتقول هذه واحدة من الأمراض الذي يجب أن أزداد ذلًا لله من أجل أن يخليني منه، لكن انت في نظر نفسك خال منه، لا لا بأس، لم تأتيك إلا من أجل أن تنتفع.

وعلى ذلك قس، عندما تأتيك النصيحة لابد أن تعاملها كما ينبغي من أجل أن لا تجعل الناس يتراجعون عن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا الشيء فكر فيه، أنا لو رديت على من أمامي من نصحني بأسلوب سيء الأسلوب السيء سيجعل أن من أمامي يتراجع عن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابد أنك تنتفع بكل أحد لكن انت اسأل الله عز وجل أن يشرح صدرك للانتفاع.

ما حكمه؟ حكم الخوف المحرم محرم، وعده بعض العلماء نوعًا من أنواع الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد الواجب.

الخوف الطبيعي معروف مما يخشى ضرره الظاهر.

مثاله: الخوف من عدو أو سبع أو حية أو هدم أو غرق ونحو ذلك.

حكمه: خوف مباح إذا وجدت أسبابه ويحمد صاحبه إذا حمله على أخذ الاستعداد ويذم إذا رجع به إلى الإنهزام وترك الإقدام، يعني لابد أن يكون شجاعًا.

الخوف الوهمي: ما هو الخوف الوهمي؟ ليس له سبب أصلًا أو له سبب ضعيف.

مثاله: يرى ظل شجرة تهتز فيظن أن هذا عدو يتهدده، أو يفسر كل أمر لا يرضيه على أنه من أثر السحر أو العين ويدخل في ذلك تعليق كل ضرر على الجن.

حكمه: هذا هو الخوف المذموم وقد يصل بصاحبه إلى أن يكون خوفًا محرمًا، أو خوف شركي.

أنواع الخوف	ضابطه	مثاله	حكمه
خوف العبادة والتعظيم "خوف السر".	الضابط أن يخاف العبد من المعظَّم أن يصيبه بما يشاء من مرضٍ أو فقرٍ أو موتٍ ونحو ذلك، متى يشاء بقدرته وإرادته فيمنعه ذلك عن معصية من يخافه، يمنع العبد الخائف.	أن يخاف من ميت أو غائبًا أو جماد أن يوقع به مكروهًا من فقرٍ أو قتلٍ أو مرض، أو يغضب عليه فيسلبه نعمة.	لا يجوز أن يصرف خوف العبادة والتعظيم إلا لله، ومن صرفه لغير الله فقد أشرك شركًا أكبرًا إذ جعل لله ندًا في عبادة الخوف.
الخوف المحرم	أن يترك العبد ما يجب عليه أو يفعل ما يحرم عليه بغير عذر شرعي خوفًا من الناس، خوفًا من الناس انتقاداتهم المقصود.	▪ أن يحلق لحيته خوفًا من انتقادات الناس. ▪ من الأمثلة أيضًا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حماية لعرضه من الكلام.	حكم الخوف المحرم محرم، وعده بعض العلماء نوعًا من أنواع الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد الواجب.
الخوف الطبيعي	الخوف مما يخشى ضرره الظاهري.	الخوف من عدو أو سبع أو حية أو هدم أو غرق ونحو ذلك.	خوف مباح إذا وجدت أسبابه ويحمد صاحبه إذا حمله على أخذ الاستعداد ويذم إذا رجع به إلى الإنهزام وترك الإقدام، يعني لابد أن يكون شجاعًا.
الخوف الوهمي	ليس له سبب أصلًا أو له سبب ضعيف.	يرى ظل شجرة تهتز فيظن أن هذا عدو يتهدده، أو يفسر كل أمر لا يرضيه على أنه من أثر السحر أو العين ويدخل في ذلك تعليق كل ضرر على الجن.	هذا هو الخوف المذموم وقد يصل بصاحبه إلى أن يكون خوفًا محرمًا، أو خوف شركي.

يبقى لنا كيف يتحول هذا الخوف الوهمي إلى خوف محرم أو خوف شركي، وبعد ذلك سندخل في الأدلة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقاءنا اليوم نكمل فيه ما بدأناه من الكلام حول باب الخوف في كتاب التوحيد.

﴿ الدليل الأول.

يقول الشيخ:

باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤١١].

وكان اتفاقنا أن نبحث عن معنى هذه الآية في كلام أهل العلم، سنذكر هنا ما يتيسر من معناها ثم نناقش مرة أخرى ما ذكره أهل العلم حول هذه الآية.

هذه الآية ما سبب نزولها أصلًا؟ عندما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من أُحد إلى المدينة وسمع أن أبا سفيان ومن معه من المشركين قد هموا بالرجوع إلى المدينة، ندب صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى الخروج، فخرجوا على ما بهم من الجراح استجابة لله ولرسوله، وصلوا إلى حمراء الأسد، وجاءهم من جاءهم فقال لهم: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ ما معناها؟ يعني يريدون أن يقولوا أنهم هموا باستئصالكم تخويفًا لهم وترهيبا، فلم يزدهم ذلك إلا إيمانا بالله، واتكالا عليه، فقالوا: ﴿ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٤١٢]أنه سبحانه وتعالى كافيهم من أهمهم، بل كل ما أهمهم.

﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ الذي يُفوَّض إليه تدبير عباده، وهو القائم سبحانه وتعالى بمصالحهم، وهذه الثقة عندما تقع في النفس لا تسأل عن قوة الشخص وشجاعته، وهذا أكثر ما ينقصنا، فإن كثرة المخاوف اليوم على الناس، وكثرة الفزع والمفزعين مع ضعف الإيمان حول المجتمع إلى جبناء، من كل شيء يخافون، انظر إلى المعتقد الذي يجب أن تحمله من أجل أن يقوى قلبك على مواجهة الأحوال التي تمر عليك.

أتوا فقالوا لهم: سيجتمع عليكم الناس ويستأصلونكم ويفعلون بكم كذا وكذا، فماذا كان ردهم؟ قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللّهُ ﴾ يعني هو كافينا كل ما أهمنا، وإذا شعر العبد بكفاية الله، وبولاية الله، ووقع في قلبه الثقة بالله، والإيمان بكمال صفاته وعظيم سلطانه، من المؤكد أنه سيرى أن ربه نعم الوكيل.

لكن متى يضعف شعور أن الله نعم الوكيل؟ عندما يقوى في قلبك الشعور بقوة الناس، ويضعف في قلبك الشعور بقوة الله، يعني تأتي إلى كامل الصفات سبحانه وتعالى فلا تعظمه حق التعظيم، ولا تعتقد كمال صفاته وعظيم سلطانه سبحانه وتعالى، ويقابل هذا أنك ترى في الناس قوة وعظمة وسلطان وقدرة ومكر وتدبير، **فيضعُف في قلبك سلطان الله، ويقوى في قلبك سلطان الناس، فلا تراه في هذه الحالة أنه نعم الوكيل،** حتى لو رددت هذه الكلمة آلاف المرات تكن في ذلك كاذبًا، إذا لم يستقر في قلبك يقينا كمال صفاته سبحانه وتعالى.

---

[٤١١] آل عمران: ١٧٥

[٤١٢] آل عمران:١٧٣

وهذا أكثر ما يحتاج إليه الناس اليوم، أن يقع في قلوبهم اعتقاد كمال صفات الله، ويُطرد عن قلوبهم اعتقاد كمال صفات الخلق، وهذا أمر نكرره على أسماعنا كلما قرأنا سورة الإخلاص والمعوذتين، ألا ترى أنك تقول "الله الصمد" يعني الذي كمل سؤدده، وشرفه، وعظيم سلطانه، الذي يحتاجه كل أحد وهو سبحانه لا يحتاج إلى أحد.

فإذا وقع في قلبك حقيقة شعورك بعظيم سلطانه وكمال صفاته، وشعرت حقيقة أنك فقير وأنه وحده الغني، وشعرت أنك ضعيف وأنه وحده القوي، فيقع في قلبك أن تصمد إليه وحده لا شريك له، فهو الذي يحتاج كل أحد وهو الذي من كماله لا يحتاج أحد.

المهم في هذا الكلام الذي نقوله أن الشيطان لا يتمكن من قلب اعتمد على الله، إنما يتمكن من قلب ضعف في التعلق بالله، ولذلك تجد الشيطان يلعب بالعباد، يجتالهم، يخوفهم، يصنع فيهم ما لا يصنع فيهم الوحش الضاري من الخوف، فإنك لما ترى من أصابه الفزع، وهذا مرض نفسي معروف، قد يكون الكثيرون مصابين به لكن حالتهم خفيفة فلا يشعرون أنه أعاقهم عن حياتهم وإن كان موجود فيهم، لكنه أعاقهم عن استقامة داخلية فتجدهم يخافون الأمراض، وتجدهم ما أن يختلوا بأنفسهم إلا ويفكرون في المستقبل، ويقع في قلوبهم من هذا المستقبل المجهول خوف كثير، فما سبب شدة الخوف من المستقبل ومن الناس ومن فلان وفلان؟ سببه أنك لم تعش الحياة كما أمرك الله، فالحياة كما أمرك الله إنما هي استعانة بالله مبنية على قوة الثقة بالله.

ولذلك لما يُخوف أهل الطاعة والإيمان بأهل الشرك والطغيان تسمع ما سمعته من قول الصحابة الكرام، قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ وربنا الذي هو حسبنا وكافينا هو نعم الوكيل لنا، نعتقد كفايته، ونعتقد أن لا بديل لنا عن كفايته، فيا ربنا كما علمتنا عن كمال صفاتك اجعل هذا في قلوبنا وثبته فيها، واجعل تصرفاتنا وحركاتنا وسكناتنا على هذا دائرة.

نعود مرة أخرى للآية يقول الله عز وجل: ﴿فَانقَلَبُواْ﴾ يعني رجعوا ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ وهذه هي النتيجة، نتيجة ثقتك وتوكلك على الله أنك لا بد أن تنقلب بنعمة من الله، لا بد أن تنقلب بفضل منه، لابد أن السوء ينصرف عنك على قدر توكلك على الله.

ماذا حصل للصحابة ؟ عندما جاء الخبر للمشركين أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد خرجوا إليهم، ألقى الله الرعب في قلوب المشركين ورجعوا إلى مكة، ورجع المؤمنون بنعمة من الله وفضل حيث من عليهم بالتوفيق للخروج بهذه الحالة والاتكال على ربهم، ثم أنهم كُتب لهم أجر غزوة تامة، لماذا؟ بسبب إحسانهم في طاعة ربهم، وبسبب تقواهم، وبسبب ما قام في قلوبهم من الثقة بربهم.

ثم بيَّن سبحانه وتعالى ماذا يفعل الشيطان بأهل الإيمان وكيف يؤذيهم ويثقل عليهم ويوقع في قلوبهم ما يضرهم، وإن كان أعطاهم الحصن الحصين وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ يخوف مَن؟ أو يخوف بمن ؟

⇦ هنا سنأخذ هذا التفسير أنه يخوف بمن؟ يخوفنا بأوليائه، يعني أن الرهبة التي وقعت في قلوب بعض المسلمين من المشركين، وقالوا أنهم جمعوا لكم، إنما ذلك تخويف من الشيطان للمسلمين بأوليائه، أي يخوفنا أولياءه.

⇦ أو يكون المعنى أن الشيطان يخوف أولياءه الذين عُدم إيمانهم، يعني أن الذي يخاف هنا أولياء الشيطان الذين عُدم إيمانهم أو ضعف إيمانهم.

فكأنه يقال أن من استجاب لهذه الدعوى ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ من استجاب لها من ضعفاء الإيمان والمنافقين إنما سبب الاستجابة هو أن الشيطان استولى على قلوبهم فخوفهم.

فهنا يوجد معنيان:

- القول الأول: إمَّا أن الشيطان يخوفنا بأوليائه، يعني يعظمهم في صدورنا حتى نخاف منهم.
- القول الثاني: أن الشيطان هو يخوف أولياءه الذين عدم إيمانهم أو ضعف.

فماذا طُلب منا؟

قال الله عز وجل ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ﴾:

- إذا كان يخوفكم بأوليائه.
- أو إذا كنتم ضعفاء الإيمان فخوفكم.

مرة أخرى؛ الشيطان إمَّا يخوف أولياءه الذين عدم إيمانهم أو ضعف.

أو أنه يعظم في صدوركم أولياءه حتى تخافوهم.

فما هو المطلوب منكم؟ المطلوب منكم ألا تخافوا المشركين أولياء الشياطين، فإنهم في الحقيقة نواصيهم بيد الله، لا يتصرفون إلا بقدره، ولا يتحركون إلا بإذنه.

إذن نُهيت أن تخاف من الضعيف الحقير، وأمرت أن تخاف من كامل الصفات، خافوا الله، خافوا الله، لأنك لو علمت حقًا عن الله ما كان هذا حالك، لو علمت أنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، بيده الأمر، مقادير الأمور كلها بيديه، يمنع من يشاء، يعطي من يشاء، ينصر من يشاء، وإذا علمت أن ملكوت السموات والأرض ومقاليدهما بيديه لا بد أنه يقوى قلبك ولا تشعر أن الخوف من غيره حق أبدا، وتطرد عنك الأوهام والجبن ويقوى قلبك لمواجهة الحياة.

ففهمت من الآية:

- أن الشيطان يخوف أهل التوحيد بأوليائه وأنصاره من الكفار والمشركين.
- أو يخوف الشيطان أولياءه الذين هم ضعفاء الإيمان، يخوفهم من الحق، فتجد ضعيف الإيمان يقع في قلبه الخوف.

ماذا لو افترضنا أنني أشعر بالخوف من غير الله – ونحن تكلمنا عن الخوف الطبيعي والخوف الوهمي إلى آخره – فلو وقع في قلبه خوف وهمي، أو خوف طبيعي لكنه تعاظم، فما الحل؟

الحل: أن تتعلم عن الله كمال أسمائه سبحانه وتعالى، وكمال صفاته سبحانه وتعالى، فالشيطان لا يتمكن من قلب اعتقد كفاية الله له، ولا يتمكن من قلب اعتقد أن الله حسبه.

إذن تبيَّن لنا أن الخوف من الشيطان وأوليائه مناف للإيمان.

قال بعض السلف: من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء.

فأصبح العنصر المهم هنا أن تتعلم عن كمال صفاته سبحانه وتعالى؛ فإذا تعلمت عن كمال صفاته اجتمع في قلبك الخوف منه، أيضًا مع علمك عن كمال صفاته تتولد الثقة به فيخافك كل شيء، ويمتلئ قلبك بالسكينة، لأنك تعلم أن لك ركن شديد يدفع عنك.

هذا تعليق مختصر على الدليل الأول في أدلة هذا الباب؛ خرجنا بنتيجة وهي أن الله عز وجل نهى المؤمنين أن يخافوا غيره، فدل على أن إخلاص الخوف لله من كمال شروط الإيمان، يعني لا تكمل شروط الإيمان التي يترتب عليها إيمان العبد إلا بإخلاص الخوف.

❖ الدليل الثاني.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ﴾[٤١٣].

إذن هذه أربع صفات تنحصر عمارة المساجد فيمن اتصف بها، لا يعمر مساجد الله حقيقة إلا من اتصف بها:

- أولًا: الإيمان بالله.
- ثانيًا: الإيمان باليوم الآخر.
- ثالثًا: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.
- رابعًا: لم يخش إلا الله.

هنا ننظر إلى أن ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ﴾ تقابل كلمة التوحيد؛

⇦ فـ ﴿وَلَمْ يَخْشَ﴾ تقابل "لا إله"

⇦ و﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ تقابل "إلا الله" في "لا إله إلا الله".

معنى ذلك أن الخشية لا بد أن يكون تحقق فيها التوحيد، يعني أنها حق لله، والخشية من أجل العبادات القلبية، وهي نوع من الخوف، الخشية نوع من الخوف، لكنها أخصّ منه.

ما الفرق بينهما؟

⇦ الخشية تكون مع العلم بالمخشي، والعلم بحاله، ولذلك ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ﴾[٤١٤] ، فالخشية لا بد أن تكون مبنية على علم بالله.

⇦ في مقابل أن الخوف يأتي من الجاهل.

أيضًا هناك فرق آخر بين الخشية والخوف:

⇦ فالخشية سببها عظمة المخشي.

⇦ بخلاف الخوف يمكن أن يكون من أسبابه ضعف الخائف وليس قوة المخوف، لذلك الخشية تعتبر من أخصّ العبادات لكن مبناها على الخوف.

فما الفرق الآن بين الخشية والخوف؟

- الخشية تكون مع العلم بالمخشي وحاله، في مقابل أن الخوف يأتي من الجاهل.
- الخشية تكون بسبب عظمة المخشي، في مقابل أن الخوف قد يكون من ضعف الخائف لا من قوة المخوف.

---

[٤١٣] التوبة:١٨

[٤١٤] فاطر:٢٨

إذن تبيَّن لنا من الدليل أن قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ فيه بيان التوحيد في مسألة الخشية، الله عز وجل في هذه الآية بين أن من صفات عمار المساجد الذين أثنى الله عليهم وشهد لهم بالإيمان أنهم أخلصوا الخشية لله وحده دونما سواه، فهذا دليل على أن الخشية من العبادات التي يلزمها التوحيد.

◄ الدليل الثالث.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾[٤١٥].

عندما نرجع إلى تفسير هذه الآية سنجد أن المقصود بهؤلاء، القوم الذين آمنوا على حرف

هؤلاء الذين آمنوا على حرف، فهؤلاء ماذا كان حالهم؟ ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ يعني من أجل الله، يؤذيه أهل الكفر، ويؤذيه أهل النفاق، يؤذيه أهل المعصية، لماذا يؤذوهم؟ من أجل استقامتهم ومن أجل دينهم ومن أجل إيمانهم، يتعرضون للإيذاء لما يقومون بالأعمال التي أمرهم الله بها، فيتعرضون للإيذاء.

فهو كيف يكون تفكيره؟ جعل فتنة الناس التي هي ما يوقعونه عليه من الأذى – ما هي فتنة الناس؟ الأذى الذي يوقعونه عليه – جعله كعذاب الله، بمعنى أنه وقع في قلبه الجزع من أذاهم فلم يصبر عليه، وجعل أذاهم من جهة خوفه منه، ومن جهة إحساسه بعظمته، ومن جهة إحساسه بشدته كعذاب الله، فأطاع الناس كما يطيع الله.

لذلك هذا لا يصدر إلا من ضعيف الإيمان شديد الضعف، أو من المنافق إذا أوذي في الله رجع عن الندين، فربما كفر، وربما تولى فترك أعمال الإيمان، وهذا كله بسبب غياب مفهوم الابتلاء، وأن الله عز وجل يبتلي المؤمن في طريقه إليه؛ يبتليه تارة بتسليط الأعداء والأذى من الناس، وتارة بالاستهزاء والتنقص لحاله، وتارة يكون بتسليط الأمراض والعاهات البدنية، وتارة يكون الابتلاء بالفقر وقلة ذات اليد، **وهذا كله من الله رحمة، لتعرف حقيقتك، وليظهر من يصبر ممن يجزع، فمن صبر نال الأجر، ومن جزع وارتد كان من أهل الخسار.**

فكونك يغيب عنك أن الدنيا ما خلقت إلا لاختبارك ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فأنت مُختبر في الحياة، وهذا هو المقصود من الحياة؛ المقصود من الحياة اختبارك، وعلى قدر إيمانك يكون اختبارك، وأهم شيء في هذا الاختبار أن تتصور أنه اختبار، وأن تتعامل معه على أنه مقياس لك، وأن تدفع عن نفسك أسباب السقوط فيه، ومن أعظم أسباب السقوط أن تساوي خوفك من عذاب الله بخوفك من أذى الناس الذي ما ابتلاك الله بهم إلا ليريك ما قام في قلبك، فإذا كان هذا سبب الابتلاء فتنبه وأرِ الله من نفسك خيرا، وكل الناس الذين حولك إنما هم فتنة لك ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾، فالله عز وجل اختبرك بمن حولك فاحذر أن تكون من المذمومين، الله عز وجل ذم في هذه الآية من خاف الناس وجعل عقوبتهم مثل عقوبته، فترك حق الله وسقط في الفتنة، وهذا كله بسبب خوفه من أذيتهم.

هذا النص واضح في أن الإنسان من ضعف إيمانه أن يساوي بين خوفه من الله وخوفه من أذية الناس، فيترك ما أمر الله به من أجل خوفه من أذية الناس.

---

[٤١٥] العنكبوت:١٠

❖ الدليل الرابع.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه مرفوعًا: " إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ ، وَأَنْ تَذِمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ ، وَلا يَرُدُّهُ كُرْهُ كَارِهٍ".

هذا النص يظهر فيه أن يقين العبد وإيمانه قد يضعف، وقد يتلاشى ويضمحل حتى لا يبقى منه شيء، فأنت تعلم أن لقوة الإيمان أسباب، ولضعف الإيمان أسباب، **من أسباب ضعف الإيمان واليقين ثلاثة أسباب ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم هنا:**

▪ السبب الأول: أن ترضي الناس بسخط الله؛ وهذا هو موطن شاهدنا "أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ" معناه أن تؤثر بما يسخط الله فتوافقهم على فعل المعاصي خوفًا منهم، أو رجاء لما عندهم، أو حبًا لرضاهم، يعني تكره أن يبغضوك.

فما اليقين الذي غاب عنك؟ غاب عنك اليقين بأن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبهم كيف شاء، فرضى المخلوقين بسخط الله معناه أنك تشعر بالخوف منهم، وتشعر أنهم يستطيعون أن يضروك، وهذا معناه أنه لم يقم في القلب تعظيم الله وإجلاله، فآثرت رضى المخلوق على رضى الله، فإذا وقع هذا لا تسأل عن ضعف اليقين الذي يتحصل لك بعد هذه المشاعر،. يعني أنك تقف في موقف تقدم فيه رضى الناس على سخط الله، تعلم يقينًا تعارض رضى الله مع رضاهم، فتفعل الفعل وأنت متبين لك أنه ليس لديك سبب إلا طلب رضاهم، هذا يأكل إيمانك، يضعفه، فتجد نفسك كل مرة ستزداد تنازلًا وضعفًا وبعدًا عن باب الله.

▪ السبب الثاني: "وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ" وأن تحمدهم على رزق الله يعني أن تشكر الناس إذا أعطوك شيئا وتنسى الله عز وجل، تنسى أنه سبحانه وتعالى هو المعطي، وهو المتفضل على الحقيقة.

وطبعًا كما تعلمون هذا لا ينافي شكر الناس بالدعاء، أو بالمال، لكون أن الله ساق رزقك على أيديهم، فصاروا سببا في إيصال المعروف، فلما صاروا سببًا في إيصال المعروف أمرت أن تعاملهم كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم: " مَنْ صُنِعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ "، فإذن أنت في قلبك ليس هناك حمد إلا لله، أمَّا الشكر فهو عمل للسان ينقطع عنه القلب، فأنت ممتثل لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، لا تحمدهم على رزق الله، إنما من صنع إليك معروفا فكافئه كما أمرك النبي صلى الله عليه وسلم

▪السبب الثالث : "وَأَنْ تَذِمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّه" يعني تذم الناس لأنهم منعوك شيئا لم يقدره الله على أيديهم، ولو قدره الله لك لساقه إليك، لكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فالمنعم الحقيقي والمانع الحقيقي هو الله، وأمَّا المخلوق فلا يملك لنفسه شيئا ولا ضرا ولا نفعا، هذا لنفسه، فما بالك لغيره!.

فإذا تحققت يقينا أن كل مخلوق فوق التراب هو تراب، فلا يمكن أن تقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب، ولا يمكن أن يقع في قلبك تعلق بهذا التراب، ولا انتظار العطايا منه.

ثم انظر كيف ختم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث؛ قال: "إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ ، وَلا يَرُدُّهُ كُرْهُ كَارِهٍ". يعني أن الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بالرزق، وهو المتفرد بالعطاء، وبالمنع، وأنت تعلم يقينا أن كل ما يجري في الكون فإنما هو بقضائه وقدره، فهمها حرصت على أمر لن تستطيع جلبه، فالحرص لا يجلب لك المطلوب إن لم يقدره الله، وبالعكس لو أراد الله لك شيئا، فلو اجتمع أهل الأرض أن يمنعوه فلن يستطيعوا، وهذا المفهوم لُقِّن لابن عباس رضي الله عنه تلقينا وهو غلام، فمن المؤكد

أنك تفهم أن هذه المعاني يمكن أن تُغرس في الأطفال من صغرهم، " وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ" والعكس؛ "وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ".

فإذا تحققت ذلك لن تحمد الناس على رزق الله، ولن تذمهم على ما لم يؤتك الله، بل ستفوض الأمر كله لله، وستعتمد عليه في أمر دينك ودنياك، والحقيقة هذا معنى مريح، ومعنى يسكن القلب، وسيأتي تفصيله في الباب الذي بعده في الكلام حول التوكل، لذلك هذا من حسن ترتيب المؤلف، أن قطع من قلوبنا الخوف من غير الله، وهيأ نفوسنا للتوكل على الله.

فانظري إلى ترتيب الأبواب:

- بعدما تكلم عن الخوف وأن الخوف حق من حقوق الله، وأنك يجب عليك ألا تصرفه لغير الله، ولماذا تصرفه لغير الله؟ ما الذي يدعوك إلى ذلك؟ غير الله لا يملك لك شيئا.
- ثم أتاك فبيَّن لك المعنى العظيم الموجود في التوكل، وكيف يُبنى ويتحقق من خلاله الرجاء، فلا تخف من غير الله، بل اجعل كل رجاءك في الله.

على كل حال؛ واضح من الدليل تحريم ترك الواجب خوفا من الناس، "إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ" وهذا دليل على أن الخوف مشاعر تعبدية لا يجوز صرفها لغير الله.

الدليل الخامس.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها ، أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ ، بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ ، سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ " رواه ابن حبان في صحيحه.

هاتان صورتان متقابلتان:

- صورة لحال المؤمن.
- وصورة لحال مزعزع الإيمان ضعيفه.

فأما المؤمن فلا يلتمس رضى الناس بسخط الله، إنما العكس؛ يلتمس رضى الله بسخط الناس، ليس معنى ذلك أنه يبحث عما يسخط الناس ويفعله، بل معناه أنه طالب بصدق رضى ربه، فسعى إلى فعل الطاعات واجتناب المحرمات، فلما يفعل بعض الطاعات ويجتنب بعض المحرمات قد يصادم فعله هوى غيره من الناس، والناس يحكمهم الهوى، فلو أردت أن تسير وراءهم ستترك دينك، فهو يبحث عما يرضي الله وإن غضب عليه الناس.

وهذه الحقيقة تحتاج منا إلى نقاش طويل ومتكرر في مسألة مواجهتنا لسخط الناس، كيف تكون عندنا قوة نفسية بأن نفعل الطاعات ونترك المعاصي صادقين في ذلك، وليس مقصدنا إغاظة الناس، بل صادقين في ذلك نريد وجه الله وإن غضب الناس.

فما جزاء ذلك ؟ "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ" ، فهو سبحانه أكرم الأكرمين، "وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ" وذلك بما يلقيه في قلوبهم من الرضى عنه ومحبته، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[٤١٦]، يعني سيلقي في

[٤١٦] رميم:٩٦

قلوب الناس لهم ودا، وانت عندما تسير في الحياة اعلم أن الحياة تقبل عليك لما تعطيها ظهرك، فاسترح مقبلا على الآخرة سيأتيك الله بالدنيا والآخرة، اعرض عن الناس تأتي محبتهم لك.

في مقابل أن مزعزع الإيمان ضعيفه يلتمس رضى الناس بسخط الله، يطلب رضى الناس بسخط الله، فيوافقهم على ترك الواجبات وعلى فعل المحرمات.

فما الجزاء المترتب على ذلك ؟ "سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ" في الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، و هل تتصور أن من يريد أن يرضيهم سيرضون؟ لا،"وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ" بذمهم وأذيتهم له، على ذلك الإنسان ألا يعبأ بالخلق، لا يعبأ بسخطهم وغضبهم ومقتهم، بل يكون همه كله متعلق برضى الله، يعني يديم التفكير، لأن هذه الخطوة القادمة التي سأقدم عليها ترضي الله أم لا ترضيه؟!.

ونحن كما مر معنا في الدروس الماضية أن أكبر معوق يعيقنا عن التعلق برضى الله، وعن أن تكون همومنا دائرة في رضاه — أكبر معوق يعيقنا – هوانا، بل هوانا وهوى غيرنا ممن نحب، فترى العبد يتابع هوى الناس راغبًا في رضاهم عنه، فهو ما تابع هواهم إلا لأن في قلبه هوى، فمن هواك أن ترضي الناس، فتتابعهم على هواهم، **فاجعل طلبك لرضى الله سائقًا لك في هذه الحياة، وعامله سبحانه وتعالى بالتقوى، فما خاب من أتقى.**

و كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: جاء في الأثر:

ارجُ الله في الناس، ولا ترجُ الناس في الله، وخف الله في الناس، ولا تخف الناس في الله.

يعني لا تفعل شيئا من أنواع العبادات والقرب لأجلهم، لا رجاء مدحهم، ولا خوفًا من ذمهم، بل ارج الله ولا تخفهم في الله فيما تأتي وتذر، بل افعل ما أمرت به وإن كرهوه.

إذن تبيَّن لنا من الدليل وجوب تقديم رضى الله على رضى المخلوق، والوعيد لمن خاف الناس فآثرهم على رضى الله، واعلم أنك لا تحقق هذا الأمر ولا يقوى خوفك من الله يقع في قلبك جعل رضى الله أهم همومك وتسير خائفًا من سخطه، لا يوصلك إلى هذا إلا معرفته سبحانه وتعالى.

فإذا اجتمع في القلب قوة معرفة جاءت هذه العبادة العظيمة وهي عبادة الخوف التي لا تصلح إلا لله، فيجب صرفها لله وحده، ومن صرفها لغيره فقد أشرك، واعلم أن للخيرات ثمرات عاجلة وآجلة، ومن أعظم الخير طلب رضى الله عز وجل، وإن كان طلب رضاه يسخط الناس، ومن ثمراته العاجلة أن يأتي الله بقلوب الناس ولو بعد حين، فمن تراهم اليوم يخاصمونك ويدفعونك ويرفضونك إذا قدمت رضى الله على رضاهم أرضاهم الله ولين قلوبهم لك، فلا تخف، لكن المهم أن تكون صادقًا في رضى ربك، لا أن تفعل هذا الفعل أصلًا متابعًا فيه لهواك ثم تعتذر بالشريعة.

على كل حال؛ نكون بهذا أنهينا هذا الباب والحمد لله.

أسأل الله أن ييسر شرح ما بعده من الأبواب

جزاكم الله خيرًا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه أن يفتح علينا فتوح العارفين اللهم آمين، وأن ينفعنا بدراسة هذا العلم العظيم الذي هو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار.

لازلنا ندرس الحمدلله التوحيد؛ مر معنا شيء من العبادات القلبية، درستي في العبادات القلبية المحبة وكيف الشرك يقع فيها ودرستي أيضًا الخوف وكيف الشرك يقع فيه، إذن مر معنا دراسة المحبة التي هي عبادة قلبية والخوف وضابط كونهما عبادة وانتقالهم إلى الشرك.

هذا مر معنا في الدراسة الآن سننتقل إلى سبب افتراق الناس وانقسامهم، سبب افتراق الناس وانقسامهم سواء كانوا بين شركٍ وتوحيد أو في درجات التوحيد، إنقسامهم وأختلافهم في درجات التوحيد.

أردكم إلى أول شيء درستوه في الكتاب بعدما عرفتم التوحيد وكيف أن الله خلق الخلق من أجله، بعدما عرفتم هذه المعلومة عرفتم أن الناس يتفاوتون في درجات توحيدهم وتفاوتهم في درجات توحيدهم – أول جملة تقرريها ماذا تقولين؟–

الناس يتفاوتون في درجات توحيدهم.

تفاوتهم في درجاتهم في التوحيد مبني على ماذا؟ اختلافهم في درجات التوحيد مبني على ماذا؟ التوحيد من أين يأتي أصلًا؟ اعتقاد تجده في قلبك ناتج العلم، ناتج اليقين، ناتج قبولك لتربية الله، ثلاثي لا تتركوه، دائمًا ركزوا فيه:

انت الآن تتعلم يعاملك الله باسمه الرب فيربيك فتصل إلى حد اليقين بهذا الأمر الذي تعلمته، متى تصل إلى حد اليقين عندما تنتفع بتربية الله، يعني هناك كلام كثير انت تتعلمه عن الله وعن كمال صفاته إلى أخره، متى يصبح درجة يقين في قلبك؟ عندما ترى آثار تربية الله وتفسره بما تعلمه عن الله، ولذلك نحن اتفقنا في باب المحبة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[٤١٧].

لماذا أشد حبًا لله؟ لما يرونه من آثار كمال صفاته سبحانه وتعالى، بعدد أنفاسهم يرون آثار كمال صفاته، من أين لهم أن يفسروا هذا الذي يرونه على أنه آثار كمال صفاته؟ يتعلموا، والعلم معه تقوى وإذا كان العلم معه تقوى سيعطيهم بصيرة، علم مع تقوى يعطي بصيرة، إذا كان عندك بصيرة ستخرج بأن ترى آثار تربية الله، سيتحول المعلوم الذي تتعلمه إلى يقين.

ولذلك لا تستغرب من كثيرين يتعلمون ثم ينسخلون من علمهم – نسأل الله أن يسلمنا – ما السبب؟ ما العلة؟ لماذا واحد يمكن أن يتعلم ثم ينسلخ من العلم الذي تعلمه؟ في حال تعلمه فقد التقوى، والتقوى هذه عمل في القلب يجعل العبد متعلقًا برضا الله، يجعل العبد متعلق برضا الله، إذا فقدت التقوى فقدت البصيرة، إذا نقصت التقوى نقصت البصيرة، وعلى ذلك لا يعرف يترجم أفعال الله أبدًا.

هناك هذا المثال الذي ضرب؛ هذه أم ولها ابن وأبنها متزوج، فالأم والأبن اتفقوا على الزوجة وحرموها من أهلها ثلاثة شهور، منعوها من الذهاب والإياب إلى أخره، هذه الثلاثة شهور كان لها ثمنها، أن أبنهم بعد زمن سجن لمدة ثلاثة شهور ظلمًا في السجن، ثلاثة بثلاثة، ظلم بظلم، لكن هل الابن أو الأم تنبهوا أن ثلاثة بثلاثة وأنه ظلم؟! لا، ما تنبهوا، بل بقيوا يشتكوا الظلم،

[٤١٧] البقرة:١٦٥

مثل واحد يشتكي أن الناس يتكلموا عليه مثلًا، أو يشتكي أن أبنائه يعقونه، أو يشتكي أن أعماله دائمًا تنتقد، يعني واحد يشتكي منافتراء الناس عليه، وواحد يشتكي من العقوق، وواحد يشتكي من الانتقاد نقول اول شيء فتش في نفسك؛ هل انت مفتري؟!، هل انت عاق؟!، هل انت منتقد لأعمال غيرك؟!، هذا كله يجعلك تتبصر في حالك، لا يمكن أن تبتلى ولا تنتفع بما ابتليت به.

المهم هذا الكلام ملخصه التوحيد ما الذي يجعله في قلبك؟ تفاوت الناس في العلم وتفاوتهم في اليقين يجعل الناس متفاوتين في توحيدهم، يعني كيف يتفاوت الناس في توحيدهم؟ بسبب ما معهم من العلم ومن اليقين، ثم قلنا كيف العلم يأتي باليقين بالشرح التفصيلي، العلم كيف يأتي باليقين؟ عندما يكون الإنسان عنده تقوى ويريد الحق ويأتيه علم لابد أن تكون له بصيرة، إذا كانت له بصيرة ستنفعه هذه البصيرة.

لو اسألك الآن سحرة فرعون في سورة طه؛ كيف تحولوا من الكفر والسحر إلى التوحيد مرة واحدة؟ ذهب إليهم موسى قال لهم ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[٤١٨] كيف وقعت هذه الكلمات على قلوبهم؟ ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾[٤١٩] هذه الحركة – حركة الاضطراب – التي وقعت في قلوبهم دليل على أن روحهم فيها روح تقوى، ليس هناك علم الآن، العلم وقتما تأتي الآية، لكن الآن هذا الاضطراب لو كان الشخص في قمة العناد وتنازع لن يأثر فيه الكلام أبدًا، لكن هم عندما قال لهم هذا الكلام موسى، ماذا وقع في قلوبهم؟ شيء من التنازع ثم أسروا النجوى.

التنازع هذا كيف يكون؟ تنازعوا بينهم أمرهم ما شكله؟ وقع في قلوبهم أنه ممكن أن يكون على صواب، ولو كان على صواب ما موقفنا نحن من هذا الصواب هل يمكن أن ننكر الصواب؟!، ماذا نريد؟!.

تعليق من الحاضرات ورد من الأستاذة: أهم شيء أنه ليس عندهم عناد، لكنهم ما رأوا إلا هذا – السحر وما يلحقه – فكأنه وقع في قلوبهم اهتزاز هل نحن على حق أم لسنا على حق.

سنقول الآن واحد في قلبه إرادة الحق، وهذه التقوى، التقوى أنك حقيقة تريد الحق، هذه إرادة الحق ما توافقت مع العلم وليس أي درجة من درجات العلم إنما اليقين، فأتت إرادة التقوى الحق مع العلم أوصلاهم إلى درجة اليقين، فأصبح عندهم بصيرة باليقين الذي بلغوه

أبلغهم مرتبة أن يهددهم فرعون فلا يبالوا به، انت تقولي في لحظة وصلوا إلى هذا اليقين نقول أمرين مع بعضهم يأتوا باليقين، أن يكون قلبك فيه إرادة حق ويأتي العلم ..

من أجل هذا اليوم – نخرج عن التوكل لكن لا بأس هذه معلومة مهمة خصوصًا مع الاضطرابات التي نعيشها اليوم – من أجل هذا دائمًا زد نفسك في المسائل الأصلية في الشريعة تعال إلى مسألة حق الله، حق الرسول، حق الصالحين، ابحث أيضًا عن كمال صفات الله، ضعف المخلوقين، ثبات الشريعة، كل هذه مسائل تعتبر أصلية.

لماذا أقول لكم هذا الكلام؟ لأن لو أريد أتكلم اليوم عن الروافض –حاربهم الله– سأقول لك أنه عندهم من الأساليب ما يدك الجبال، ومن أجل أن أكون أوضح أكثر سأقول لك أن المجتمع فيه شيء من التقسيم [السادة، الأشراف] فهم أول أسلوب

---

[٤١٨] طه:٦١

[٤١٩] طه:٦٢

يستعملوه يبحثوا عن المناطق التي فيها السادة والأشراف، ويأتوا إلى هؤلاء يقولون حقوقكم، أهل البيت، أين انتم، ويضعون شعار الآن على كثير من مواقعهم أهل السنة يعترفون بحق آل البيت لكن لا يعطونهم إياه، لأن عندما أصبحنا نحاججهم أننا نعرف حق آل البيت ونعرف لهم فضلهم، أصبحوا يقولون أنهم يعترفوا بحق أهل البيت لكن لا يعطون حقهم، ماذا تريد منا أن نعطيهم إياه؟! أن نتمسح بهم؟!، لذلك أقول هذا الكلام من وقائع وأحداث وهم يستعملوا أسلوب التقية، ما أسلوب التقية؟ هم أهم شيء تكلمهم عن أربع مواضيع:

[الشرك، الخمس، المتعة، والعصمة].

هذه الأربع مواضيع الفاصلة بيننا وبينهم:

- الشرك عبادة غير الله مقابر وذبح إلى أخره.
- الأمر الثاني الخمس؛ يأخذون من الناس خمس أموالهم، غير الزكاة، خمس من كل الناس، لا عليك من التفاصيل، يأخذون خمس وانتهى.
- المتعة.
- ثم العصمة، انت تفهمي ما معنى العصمة، العصمة يعني أوليائهم معصومين.

تعال ناقشهم في أي شيء من هذا؛ في الشرك مثلًا ناقشهم، يقولون لا لا من قال لكم يعبدون غير الله، ما هي عبادة غير الله؟ لا يفهمون ما معنى عبادة غير الله أصلًا، جاهل بالتوحيد يقابله هؤلاء الجهال، فتجد نفسك عاجز، فانت عندما تجد واحد جاهل لا تتأثر، لأن ماذا يقول لك هذا الجاهل؟ انت تقول له يشركون بالله هو يقول لا، لا يشركون، المتعة في كتبهم تقول أنه لو كانت المرأة متزوجة ويريد هذا أن يتمتع بها يستطيع أن يتمتع بها، هذا كلامهم في كتبهم وفي مراجعهم، نقول له هو يقول هذا، يقول لا، كيف سأتبع واحد يخطأ، إذن انتم تعتقدون العصمة فيهم!، كيف تقولي كيف لا تتبع شخص يخطأ وانت تعتقد العصمة في أوليائك؟!.

تركنا هذا النقاش كله، هذا ما يسمونه بالتتريب، أو ضرب أنفسهم وإخراج الدم، يقول لا لا هذا ليس كل الناس يفعلونه!، نقول له انت واحد أعمى، لا يرى، الآن أي بلد مشهور فيها الرفض ولا يقطعوا أنفسهم ويخرجوا دمائهم؟!، أين هذه البلد؟!.

وهذه واحدة تقول كلام معناه أنه لم نرى أحد هنا يفعل هذا الفعل، لكن انتم لم تروا لأنكم تحت الضغط والنار، لكن عندما جاءت الفرصة في العراق بعد الأحداث، وبعد ما زال عنكم الضغط انظروا ماذا فعلتم!، وعندما يأتي وزير الخارجية الإيراني يقول لولا خدماتنا ما كان أمريكا دخلت العراق، ماذا تقول في هذا؟!، وهذا كله هم يعتبرون أن هذا تحرير لكربلاء!، يرونه تحرير! وهذا ما حصل أنهم في نهاية الأمر وصلوا إلى أن يجدون المجال في عبادتهم لعلي والحسين ويفعلوا ويفعلوا إلى أخر ما تتصور.

إلى درجة أن أحد الزائرات أتت تقول – وهذا الكلام في الحرم – انظر كيف النساء في الحرم ونساء عند الأبواب يفتشون، نفس الصورة لكربلاء بالضبط، حتى أنهم يقولون في كتبهم هم أن لولا كربلاء ما كانت الكعبة!، والحج إلى كربلاء خير من الحج إلى الكعبة، وكلام كلام يطول الكلام عنه!.

فالإشكال الآن أنك تجعل عندك أمور محكمات لكي يثبت توحيدك، ولا تخاطب جاهلًا، يعني واحد عنده علم يخاطب جاهل لا بأس، لكن واحد ليس عنده علم لا تخاطب جاهل، وانت ليس عندك علم خاطب عالم خير لك من أن تخاطب جاهل، لماذا؟

لأن الجاهل ماذا يفعل؟ تأتي تقول يمين يقول لك لا نحن لسنا كذلك، تقول له هذا يقول لك نحن لسنا هكذا، وطبعًا كل هذا على قاعدة التقية.

الذي يعذبك في هذا الموقف أنه ربما مضى زمن على ناس لم يثبت عندهم التوحيد فعندما جاءت دعاوى الرفض وخصوصًا مع المصالح، يعني دعاوى الرفض مع المصلحة أي أنه لا أحد يذهب إلى الرفض بدون مصلحة.

اجعل هذه القاعدة واضحة عندك؛ **لا أحد ينتقل من أهل للرفض بدون مصلحة**، يعني أمَّا مصلحة أن هذا شاب يريد يتزوج شابة رافضية، أو هذه شابة سنية تريد تتزوج واحد رافضي ويحصل انتقالات بهذا الشكل، هذا في غالب البلدان التي فيها مشترك، أو تعال لأحد من آل البيت، يكون على منهج أهل السنة والجماعة والجماعة لا يعبرونه، فعندما ينتقل إلى الرفض سيقع له مراده، ولذلك الناس الذين لهم علاقة بهذه المسألة يعني هم من آل البيت أو من السادة إلى أخره، من هذه الطبقة، هؤلاء أكثر ناس يحتاجوا أن يتحصنوا دونًا عن غيرهم من الناس، لأنك لا تعرفي كيف أساليبهم في الوصول إلى هؤلاء، وهذا ليس فقط من الرفض حتى من التصوف، الرفض والتصوف يعملان أعمالهم في هذه الطبقة، وكل هذا الكلام دائر حول أن لكم حقوق لم يعطوها الناس لكم.

والحقيقة أن آل البيت لهم حقوق يجب أن نعرفها، ومحبة في نبينا صلى الله عليه وسلم وإظهارًا إلى برنا به وللوصل به لابد من وصل آل البيت، ولابد أن تعطي حقوقهم إلى الصالحين منهم طبعًا، هذا أمر غير أني أصل إلى حد دخول العصمة والتبرك إلى أخره.

يمكن ترون أني خرجت عن الموضوع لكن هذه حرارة موجودة في القلب، أخشى مع التيار الموجود الآن وانت تفهمون ماذا أقصد بالتيار، فهذا التيار كشف نفوس كثيرة، وناس كثير أصبحوا يقولون المفروض لا نتعامل بهذه الطريقة، المفروض نستعمل معهم كذا وكذا، المقصود في الاعتداء الذي حدث في الجنوب، فهذا الكلام الذي يقال هناك ناس لهم علاقة ويفهمون، وهناك ناس ليس له علاقة ولا يفهمون من هم الحوثيون أصلًا، هناك ناس لا يفهمون أن هؤلاء الحوثيون كانوا أول زيدية، زيدية ليس لها علاقة بالإثنى عشرية، زيدية يعني شيعة صحيح لكنهم لم يصلوا إلى أن يكونوا درجة الروافض، يعتبر خفيفين من جهة الاختلافات، نعم هم مختلفين عنا لكن أصلًا بلاد العالم كلهم تشتكي من أن في لحظة أصبحوا الشيعة والسنيين مثل بعضهم من جهة القبور، ومن جهة التوسل بغير الله، فالبلدان لا تشتكي فقط من الشيعة، بل من الشيعة وأهل السنة الذين يعتبروا صوفية.

المهم كان إلى هذا الحد كلهم سواء، كلهم صوفية أهل السنة والزيدية الشيعة سواء مع بعضهم، كلهم يذهبوا إلى المقابر ويأتوا، ثم دخلت الإثنى عشرية، عندما دخلت الإثنى عشرية تحولوا إلى الرفض، أصبح من دينهم لعن أبو بكر وعمر وعثمان!، أصبح من دينهم، من العبادات، ثم تقول لهم لماذا تلعنونهم؟! يقولوا يجوز اللعن في دين الإسلام، واختصروا الخلافة إلى أخر كلامهم الذي يقولونه!، لكن الله عز وجل زكى الصحابة في كتابه أتقولون أن الله لا يعلم؟!.

المعنى عندما تحولوا إلى الإثنى عشرية ولم يتحولوا إلى الإثنى عشرية إلا بضخ مالي، يجب أن تفهموا أن كل المسألة مصالح، بدليل أنك تسألي انت الآن يا أخ يا مسؤول عن هؤلاء وحامل رايتهم أين تجلس؟ يجلس في بريطانيا، القيادة عن بُعد، ماذا تقول في مثل هذا! إلا تقول أن القوم داروا حول مصالحهم – الله المستعان –

شتتوا الأمة ونزعوها من كل مكان، وإلا لو كان هناك ذرة دين تهددوا حجاج بيت الله؟!، فقط ذرة دين، أريد أقول إنسانية، هل هذا دين أن أحد يأتي يهدد حجاج بيت الله، إذا كان اليهود والنصارى يحترموا شعائر الدين ومواثيق عالمية أنه عندما يكون أحد

عنده شعائر دينية ليس من حقك الاعتداء عليه، يأتوا الناس الذين يقولون نحن أصحاب الدين من أجل أن يخرج المهدي لطخوا الكعبة بدماء الحجاج وهذا الكلام!، وأصلًا ليس غريب عليهم، في القرن السابع سرقوا الحجر..الأسود وذهبوا به إلى الإحساء، وبقي من ٢١ سنة إلى ٢٣ سنة الحجر الأسود غير موجود في مكانه، ليس شيء جديد، وهو نفسه التاريخ يعيد نفسه!.

فبقي على أهل السنة والجماعة أن يصبح عندهم شيء كثير من الحصانة، لا تعتبروا أن الأمر سهل وهين، نرجع وندور ونقول لا نريد منكم شيئًا ولن نتناقش حتى في المتعة، حتى في المتعة التي يمنعها اليهود والنصارى، الزنا، زنا صريح، ولا في العصمة ولا في الخمس ولا في أي شيء، فقط سأناقشهم في الشرك والتوحيد فقط، إذا كان عندهم قبور عديدة إلى أن تصل إلى قبر شعيب، ثم تصل إلى قبر مدين، وانظري قبر النبي شعيب وقبر النبي مدين ومدين أصلًا هم قوم له!، ثم أعجب العجب وهذا موجود ولا أحد يستطيع تكذيبه لكن الناس الذين في الداخل يفهمون، والذين في الخارج لا يفهمون المسألة جيدًا، قبر المالك خازن النار!! موتوه! والله شيء مضحك مبكي، الله المستعان، نسأل الله أن يصلح الحال.

على كل حال؛ يجب أن يكون عندكم حاجز واضح تجاه الرفض لأن أصحابه اليوم يلينوه ، يلينوه بصورة أو بأخرى، طبعًا المصيبة من أهل السنة من أصحاب أموال تركهم يفتحوا قنوات فضائية تبث على أهل السنة وأهل السنة يسمعون يقولوا كلام عادي، إذا كان من دينهم التقية، تعرفي ما معنى التقية؟ يعني انت سني ماذا تريد؟ أن يكون هذا ليس موجود إذن هو ليس موجود، وخطأ من فعل هذا الشيء، تقول له العصمة؟ يقول لا، لا نحن لا نعتقد العصمة، تقول لكن يقولوا؟ يقول لا من قال لك يقولوا؟!، لا لا، ليس صحيح!.

وخذ على هذا، كيف تناقش واحد بهذه الصورة؟!، تقول له انت تشرك يقول لا لا، وإذا كان هناك شرك سننصحهم، تقول انت تستعملوا المتعة يقول لا لا، لو هناك متعة لا هم لم يفعلوا، وعلى كل حال أليس عند أهل السنة وفي البخاري المتعة؟! هكذا يقولون لك، وفي العصمة لا لا نعتقد العصمة وكل الناس يخطئوا، ولا تخرج بنتيجة، بهذه الطريقة، مثلما تعامل أفعى، بهذه الصورة.

يجب أن تفهموا وتكشف لكم الصورة من أجل أن لا تقول أنا أعرف أناقشهم لا عليك منهم أنا أحفظ من أدلة التوحيد، من قال لك أنهم أصلًا يفهموا، يأتون إلى أهل السنة والجماعة الذين لا يفهمون ما هو الشرك، ويقول لك أين الشرك ومن قال لك أنهم يعبدون من دون الله مَن قال؟!، هم يعبدوا الله ويذكروا الله وانظر عندهم كتاب مليء بالأدعية التي يدعون بها الله! غررتي يا بنتي!، أبدًا!.

فهذا فعل مَن؟ فعل الشيطان، يؤزهم أزا، يشككوك، حتى قوله تعالى ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾[٤٢٠] من الذين في قلوبهم زيغ ويتبعون ما تشابه منه؟ أهل السنة!!، نحن الذين نحمل الآيات على معاني بعيدة ونصبح نحن من أتبعنا ما تشابه منه ولا انتم الذين تحملوا الآيات على معاني لا تخطر على بال أحد؟!، هذا طبعًا إذا ما كذبتم القرآن – الله المستعان–.

على كل حال كل هذا يرجع يردنا أن هذا الباب – باب التوحيد – باب النجاة، فلذلك لا تتخبط الآن مع الأحداث ومع الأوضاع وكل يوم فتنة من صورة، لا تأتي في يوم من الأيام وتمدح واحد ضل عن باب التوحيد، لا تمدحه أبدًا.

[٤٢٠] آل عمران:٧

نحن رأينا فيما سبق في أحداث لبنان قوم حملوهم فوق هؤلاء الروافض وقالوا ماذا فعلوا أهل السنة، إلى أخر الكلام، ثم عندما كشفت غبار الحرب تبيَّن من فعل هذه الحرب، والذي لا يعرف يقرأ، يكتب فقط حرب لبنان وسيجد فضائح، ولازال وعند الله ستجتمع الخصوم، وستعلمون من هو على حق ومن على باطل، لكن ستنتظري ذاك اليوم عندما يفوت الفوت؟!، يجب أن تفهمي هذا حق الله.

ثم ماذا قيل لك هل قيل لك عظم سين وصاد وعين من أجل أن تغضب؟!، عندما يقال لك عظم هؤلاء الناس ذاك الوقت تغضب، لكن أهل السنة يقولون لك عظم الله وعظم رسوله، وهذا لا يخرج أبدًا عن الكلمة التي تنطقها، انت تقول ديني لا إله إلا الله محمد رسول الله، نقول لا تتعدى هاتين الكلمتين، هاتين هما سبب نجاتك في الدنيا والآخرة، هل أحد يستطيع أن ينكر أن كلمة لا إله إلا الله تنجي من النار؟! هات حقوقها ودور حولها ولا تعظم إلا الله عز وجل ولا تصل إلى الله إلا عن طريق الرسول الذي تشهد أنه رسول من عند الله، وانتهى الأمر، لكن تضع لي قائمة اثنى عشر شخصًا يجب علي تعظيمهم، وأعتقد أن الرعد صوت علي!، وأعتقد أن المهدي في السرداب!، وخرافة ورائها أموال الناس، لابد أن تعرفي أنها خرافة ورائها أموال الناس وياليت أموالهم فقط إنما أموالهم وأعراضهم أيضًا.

على كل حال نعود مرة أخرى إلى أول الكلام؛ اتفقنا أن التوحيد يزيده العلم مع اليقين – نسأل الله عز وجل بمنه وكرمه أن يرزقنا يقينًا ثابتًا مثل الجبال، وأن يدفع عنا شر الفتن – أصعب شيء حقيقة أن تفتنوا في دينكم، كل الدنيا لا تستحق حتى أن تلتفت إليها لكن المصيبة أنك تجد أن أهل السنة والجماعة وكان الإنسان يظن أنه على ثقة من مذهبهم وقع في قلوبهم من الاهتزاز ما وقع بسبب فتنة مثل هذه بسيطة لم تأتي برياحها القوية، فماذا تقول إلا أننا نتوسل إليه، ولا نملك من شأننا شيئا، نتوسل إليه فقط أن يعطي قلوبنا يقينًا راسخًا مثل الجبال، وإلا يفتن الإنسان في دينه فيبقى حياته كلها متخبط، يخرج من الهدى إلى الضلال وهو يرى نفسه مهتديا، ولذلك في كتاب كتبه أحدهم قال من التيجانية إلى التشيع من الظلمات إلى النور! ماشاالله، وأصلًا التيجانية ما الفرق بينها وبين التشيع!، طبعًا تعرفوا ما هي التيجانية؛ فرقة من كبار فرق الصوفية التي أصلًا مليئة بالخرافة فخرج من التيجانية وذهب إلى التشيع! ماذا فعلت إذن! حتى لم تخطو خطوة بعيدة عن حالك إلا أن هؤلاء يستعملوا أهل البيت وهؤلاء يستعملوا الصالحين فقط وإلا هي صورة طبق الأصل، نسأل الله أن يثبت علينا ديننا الله المستعان.

بعدما اتفقنا على أن الذي يزيد التوحيد هو العلم واليقين نسأل؛ كيف يختلف الناس في درجاتهم في الجنة؟ على حسب أعمالهم المبنية على قوة توحيدهم، من أين لك دليل "المبنية على قوة توحيدهم"؟ كما ضرب الله عز وجل في كتابه ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[٤٢١] ماذا فهمتي من أصلها ثابت وفرعها في السماء؟ **على قدر ثبات التوحيد في القلب يكون ارتفاع الفرع، بمعنى كثرة الأعمال وقبولها.**

انظر إلى حديث أنس وحديث ابن عباس؛ هذا يتكلم عن درجات الناس في التوحيد، في حديث أنس " يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً"، حديث ابن عباس "يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "

[٤٢١] إبراهيم:٢٤

ما الفرق بين حديث أنس وحديث ابن عباس؟ أدنى شيء حديث أنس، وأعلى شيء حديث ابن عباس، أي مراتب الناس في التوحيد التي يلحقها مراتب الناس في الجنة، مراتبهم في التوحيد يترتب عليها مراتبهم في الجنة.

انظر ما الفرق بين حديث ابن عباس وحديث أنس من جهة العمل؟ يعني في حديث ابن عباس ما الذي عبر عن التوحيد؟ التوكل.

لماذا التوكل يعبر عن التوحيد؟ ولماذا أصحاب التوكل هم القوم المرتفعين؟ **سنذكر منظومة:**

- أولًا: انت عندما خلقت في الحياة خلقت لماذا؟

إجابة من إحدى الحاضرات رد من الأستاذة: نعم خلقت للعبادة صحيح، لكن هذه الحياة بالنسبة لك اختبار، ابتلاء، كما في أوائل سورة الملك ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٤٢٢] يعني الموت والحياة قدرهم الله من أجل أن يختبرك، ونحن ذكرنا سابقًا أن الاختبار ليس في القوة الذاتية إنما في قوة الاستعانة، يعني الناجح هو المستعين، الذي نجح في الاختبار هو المستعين؛ هذا هو المقياس الوحيد للنجاح يجب أن تفهموا هذا، **المقياس الوحيد للنجاح الاستعانة وليس المقياس للنجاح تحقيق المراد**، هذه الكلمة تكاد تصل أن تكون فاصلة في التفكير.

ما معنى أن يكون هذا المقياس الوحيد للنجاح؟ يعني لا أحد ينجح عند الله في الاختبار إلا المستعين وليس الذي حصل مراده، لماذا؟ لأن الله عز وجل يعطي المرادات للمستعين ولغير المستعين، لكن الذي سينجح عند ربه هو فقط المستعين، يعني ليس تحقيق المراد دليل على أنك نجحت، يعني حتى إذا قمت للصلاة معتمدًا على قوتك وأصلًا إذا قمت للصلاة معتمد على قوتك ستجد بدنًا لن تجد قلبًا، على ذلك ليست القضية كونك تقوم للصلاة القضية أنك تستعين فتقوم فتوفق إلى قلب.

في أمر الدنيا نفس الكلام؛ ليست القضية أن تحصل أموالًا القضية أن تستعين، ليست القضية أن تشفى القضية أن تستعين، تطلب منه الشفاء، فهذا النجاح، لكن ليس معناه أن الذي لا يستعين لا يحصل مراده، بل يحصل مراده، لماذا يستطيع أن يحصل مراده؟ لأن الله عز وجل يعطي هذه الدنيا للمؤمن والكافر، للمستعين وغير المستعين.

افهم هذا جيدًا؛ أن الدنيا تعطى للمؤمن والكافر، والمستعين ولغير المستعين، ثم عندما تأتي يوم القيامة تسأل ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[٤٢٣] يعني ما الذي غرك وجعلك لست منكسرًا وذليلًا عند بابه؟!، غرك أنه أعطاك؟ هذا الذي غرك، انت الآن ترى أنك تعطى حتى بدون استعانة فعندما يعطى الإنسان بدون استعانة يحصل في قلبه كسل عن الاستعانة، كأني حصلت المراد وانت تعلمون ما معنى كسل القلب، كسل القلب يعني أحيانًا يأتي إلى القلب شلل تام لا يريد أن يتحرك، ولا يريد أن يتحرك على استعانة، ولا على طلب، ولا على مدافعة رياء، ولا على مدافعة كبر وعجب، لا يريد أن يفعل شيء، وربما تحرك البدن أميال والقلب لا يستطيع أن يتحرك لحظة.

المقصد انت مبتلى ونجاحك في الابتلاء على قدر قوة استعانتك، هذا هو المقياس الوحيد للنجاح، لا تتصور أن العطايا التي تأتيك بعد جهدك تدل على نجاحك، إنما حقيقة النجاح بالاستعانة.

---

[٤٢٢] الملك:٢

[٤٢٣] الإنفطار:٦

لماذا إلى هذه الدرجة ضيقنا المسألة؟ يكفيك في الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٤٢٤] على هذا يدور الدين، يدور الدين على أني اعبدك ولا أعبد غيرك، ولا أعبدك إلا بعونٍ منك، وهذه كلمة تكررها في اليوم مرات ومرات، ثم يرد الله عليك سبحانه وتعالى فيقول لك "هذا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ" يعني هذا عهد بيني وبين عبدي وسأعطي عبدي ما سألني في هذا العهد الذي هو الاستعانة.

قوة الاستعانة ما سببها؟ من أين تأتي بقوة الاستعانة؟ تأتيك من العلم عن الله والعلم عن نفسك وعن غيرك أيضًا.

ما ناتج الاستعانة؟ افراغ القلب من الحول والقوة، افرغه من الحول والقوة التي تخصه واملئه بأن الحول والقوة بيد الله، املئه بالتفويض، على قدر الإفراغ على قدر الإملاء يكون درجات الناس في الجنة.

من أين لك أنه في الجنة؟ من أين لك أن هذه درجات الناس في الجنة على قدر إفراغهم من الحول والقوة على قدر إملائهم للتفويض والتوكل على الله؟ حديث السبعون ألف، ما ميزة السبعين ألف؟ أفرغوا قلوبهم تمامًا من الأسباب، فلا سبب وهمي يأخذوه ولا سبب يؤذي قوة تعلقهم – الكي – يأخذوه، لأن الكي كما اتفقنا العرب تراه سريع الأثر، هم يخافوا على قلوبهم.

⇦ يعني لا سبب وهمي – الطيرة يأخذوها والطيرة تعبر عن كل الأسباب الوهمية.

⇦ ولا سبب يخشون على قوة إيمانهم بسببه يأخذوه مثاله الكي.

⇦ ولا سبب مباح لكن فيه ذل لغير الله يأخذوه.

لك أن تتصور قوة إفراغ قلوبهم من حولهم وقوتهم ومن حول أي احد غير الله وقوته، أفرغوا قلوبهم تمامًا، ملئوها بأن الحول والقوة كلها بيد الله، فكانت قوة اعتقادهم دائرة حول الثقة بالله، اليقين بالله، قوة التعلق به، تعظيمه سبحانه وتعالى كما ينبغي، ولذلك استحقوا أن يكونوا من السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب، لأنهم نجحوا في الاختبار نجاحًا تامًا.

⇦ انت في الدنيا ما وصفك؟ – نأتي بأول الخيط – وصفك أنك مبتلى وستنجح في الابتلاء على قدر استعانتك.

⇦ قدر الاستعانة هذا في القلب كيف يأتي؟ علم العبد عن نفسه وعن غيره وعلم العبد عن ربه، ماذا يحصل في القلب عندما يحصل قوة أستعانة؟ يتفرغ القلب من أن احد له حول وقوة غير الله، ويمتلأ أن الحول والقوة كلها بيد الله، هات هذه الجملة وهات ما ورائها ما يلزم من اعتقادات [يفوضون الأمر لله، يثقون بالله، يعظمون الله، يعلمون أن الملك كله بيد الله، أن القدرة الكاملة له سبحانه وتعالى].

ولذلك يأتون بالشروط التي للوعود، مثلًا يؤمنون أن من اسمائه المؤمن، ما معنى المؤمن؟ يعني المصدق لوعده، وعد سبحانه وتعالى وعود في كتابه وعلى لسان رسوله وأنه متى أتيت انت بأسباب الوعود أعطاك، مثلًا ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ﴾[٤٢٥] ما معناها؟ هذا وعد من الله ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ يعني هو المؤمن سبحانه وتعالى يفي بالوعد لو أنت اتيت بسبب الوعد، ما سبب الوعد؟ الصبر والتقوى، ما هو الوعد؟ ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾.

---

[٤٢٤] افاتحة:٥

[٤٢٥] آل مران:١٢٠

يعني واحد يأتي يقول أنا متيقن أن كيدهم لا يضرّ، نقول نعم، صحيح يجب أن تتيقن أن كيدهم لا يضرّ، لكن عندما تأتي انت بالأسباب التي بها يمنع الله عنك ضرّ كيدهم، يعني واحد يقول أنا متأكد أن الله رزاق نقول صحيح وهذا اليقين والثقة انت تحتاجها، لكن تعلم أنه رزاق لمن توكل عليه، رزاق لمن ابتغى عنده الرزق وقطع قلبه عن الناس، لا تقول بلسانك رزاق وانت بقلبك وعينك وبدنك تفتش في الناس تبحث عن أحد يعطيك!.

يعني لذلك كل العلاج يأتي عندما يقطع الإنسان قلبه عن الناس، عندما تقطع قلبك عن الناس يعطيك الله، ونحن علتنا أننا مازال عندنا أمل في الناس هذه علتنا، من أجل ذلك " فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا" يعني إن مت وانت قلبك مازال معلق بالناس ما أفلحت أبدا.

على ذلك تجد أن التوكل هو قلب التوحيد، هذه المقدمة كلها من أجل أن نصل إلى هذه الجملة **أن التوكل هو قلب التوحيد**.

لماذا قلب التوحيد؟ لأنه تعبير واضح عن قوة اعتقادك لكمال صفات الله، قوة اعتقادك لكمال قدرته، قوة اعتقادك أنه الصمد، وهذه من أهم الاسماء التي يجب أن تشرح كمقدمة للتوكل، يعني أول ما أكلمك عن التوكل يجب أن أفهمك أنك لابد أن تعرف صفات الله، والتوكل مادام هو قلب التوحيد أتت الشريعة قالت لك سورة الإخلاص قلها بعد كل صلاة، قلها ثلاثة مرات في أذكار الصباح والمساء، قلها قبل أن تنام، وفي كل هذا معتقدًا بها، لتعرف إلى أي درجة التوكل له قيمة في التوحيد، قلب التوحيد، لأن الناجح فيه سيدخل الجنة بغير حساب، الذي نجح مائة في المائة ماذا فعل في التوكل؟ قطع قلبه حتى عن الأسباب المباحة، قلنا لا يسترقون ولا يكتوون ولا يطيرون هذه ثلاثة كأنها أمثلة على ما ورائها من اعتقادات.

المقصد الآن هات أحد وقوي في قلبه الصمد ماذا تجد النتيجة؟ قوي التوكل، كم واحدة فيكم ستخرج في الحج ولها علاقة بالناس، هذا من أهم الاسماء التي يجب أن تشرح اسم الصمد، لأن الناس مصابون اليوم بالفزع، بالخوف، بالقلق، كل هذا لفقدان التوكل.

لماذا يفقدون التوكل؟ ليس في قلبهم شعور أنهم في حال اطمئنان، لو أردتي أن تشرحي اسم الصمد ماذا تقولين؟ هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، كمل في جميع صفاته، في علمه ورحمته وقوته وقدرته سبحانه وتعالى، وهو الذي تصمد إليه الخلائق، يعني كمل وتصمد إليه الخلائق وتلجأ إليه الخلائق لما تراه من آثار كمال صفاته، فهو ملجأ العباد الوحيد، وهو القريب المجيب، وهو الفعال لما يريد، وهو الواحد القهار أمره نافذ وسلطانه على كل شيء لا يخرج منه شيء.

هذه المعلومات ماذا تفعل في مشاعرك؟ تشعرك أن هناك ركن شديد لك وقد أراك من آثار لطفه وعطائه ورحمته ما أراك، لكن لا تكن أعمى، يعني نحن نصمد إليه سبحانه وتعالى في أقل المسائل فيرينا قدرته، فإذا كان تصمد إليه في أقل المسائل يريك قدرته فكيف في أعظمها؟!.

يعني انتم الآن تحتاجون أن تحتفظون في عقولكم بذاكرة دائمًا تذكركم أن الله معكم، أنه خرجكم من كذا، أنقذكم من كذا، ستر عليكم من كذا، كل ماضيكم هذا يجب أن يبقى موجود في الذهن من أجل أن لا يفتر لسانك عن الشكر من جهة وقلبك لا يفتر عن اللجوء إليه من جهة أخرى.

تبقى ذاكرًا أنك كنت في أزمة شديدة صحية أخرجك منها، وأزمة مع أهلك أخرجك منها، وكنت ستلقي بنفسك إلى الهاوية ستر عليك ونجاك وأعطاك، وعاملك بحلمه، نكون نكذب على أنفسنا إن قلنا أننا لسنا في حياتنا مئات الشواهد على ذلك، بل آلافها

بل بعدد أنفاسنا، لكن البصيرة البصيرة، إذا كان في قلبك هذا موجود وانت تعلمه ومتيقن به لابد أنه يدفعك في المستقبل إلى أن لا تلجأ إلى غيره وقد أراك ما أراك من شواهد اسمه الصمد.

ولذلك الذين آمنوا أشد حبًا لله، ونشهد نحن نرى من آثار رحمته ولطفه وحفظه ما نرى، نرى أمرًا عجيبا، نرى في أبنائنا، نرى في المحيط، نرى في المجتمع، نرى كيف ينقل الله الناس من الضلال إلى الهداية، نرى كيف يربيهم، كيف ينطقهم بالحق، كيف يفتح لهم أبواب رحمته كيف يعاملهم بحلمه بعد طول ضلال.

يمكن مر عليكم أنني في إحدى الدورات كان أمرًا عجيبًا كنا نعطي دورة عن القضاء والقدر، وكان في وسط اللقاء " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ"، فقامت أحد المعلمات تقول لي قريب له مكانة واسمه معروف في السوق، بقي ستين سنة لم يصلي لله ركعة مات ستين سنة وثماني شهور، في نهاية الستين بدأ يصلي، أحياه الله عز وجل فقط ثمانية شهور ثم أماته، فسبحان من لطف بعباده وأحسن لهم الخواتيم، فهذا يجعلك ماذا تقول أن الآن ستين سنة يعصيه وهو يمتعه وله اسمه وله مكانته وله وله وكل هذا لكنه سبحان الله كان المنفقين فنفعه إنفاقه أن الله ختم له بخير.

المقصد هل ترى حليم أحلم منه؟!.

نحن الآن لو أحد أغضبنا ماذا نفعل، ثلاثة أيام نقاطعه مقاطعة تامة وتقول جروحي منك ما انطفئت إلى أخره كل الذي نجده، وانظر كيف الله عز وجل يعاملك، كل هذا يجعلك تصمد إليه وحده، وترى أنه الملاذ، وترى أنه المخرج، وترى أنه سبحانه وتعالى لا شريك له المستحق لكمال التعيظم وكمال التعلق.

هذا كله يجعلك لا يقف قلبك إلا عنده، ولذلك كما مر معنا في باب الاستغاثة ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ﴾ أمر عجيب، انت ترى أنه لا كاشف لك إلا هو لكن لو كنت بصيرًا، ونحن مشكلتنا بقاء العمى، ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾[٤٢٦] هو وحده الذي يملك الرزق فأبتغوا عنده الرزق.

المقصد أن هذا التوكل قلب التوحيد، فالإيمان التام بكمال صفات الله يجعل العبد في ثقة منه سبحانه وتعالى.

نعرف التوكل

التوكل حال للقلب ينشأ عن معرفة العبد بعجزه وعجز غيره من الخلق فينتج عنه عملًا للقلب وهو إساءة الظن بنفسه وبغيره، والتبرء من حوله وقوته، وحول من مثله وقوته، وينشأ أيضًا عن معرفة العبد بقدرة الله عز وجل وكفايته وتفرده بالتدبير، فينتج عنه عملًا للقلب وهو:

- العمل الأول: حسن الظن به سبحانه وتعالى، ونحن نعتقد يقينًا أنه لا أحد يستحق حسن الظن إلا هو سبحانه وتعالى، كمال حسن الظن لا يكون إلا فيه، فلا تقبل على أحد من المخلوقين وانت في قلبك كمال حسن الظن أنه سيقضي حاجتك إنما لا تفكر في المخلوق أصلًا، واجعل قلبك معلق بحسن ظنك التام في الله.
- العمل الثاني: أيضًا ينتج تعلق القلب بالله استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والدين كلها.

[٤٢٦] العنكبوت:١٧

- العمل الثالث: تفويض الأمور كلها إليه، ما معنى تفويض؟ التفويض غير اللجوء، سنقول: جعل التصرف كله لله، المفوض كأنه يقول: لا .. تدبيرك يارب، وتسليم الأمر إليه طمأنينة به، وثقة بحسن تدبيره.

على ماذا يعتمد التوكل.

– هذا أمر مكرر في النقاش لكن نقرره الآن –

على الإيمان بكمل صفات الله.

هل يعارض التوكل الأخذ بالأسباب؟ هذه المشكلة التي دائمًا تكرر علينا، ماذا تقولون؟ لا يعارض والآن إليك التفصيل، لكن هذا السؤال معتمد على السؤال الذي قبله، عندما تقولي أن التوكل لا يعارض الأخذ بالأسباب تفهم لماذا الناس لماذا حصل عندهم تعارض؟ لأن في توكلهم عندما توكلوا لم يفهموا أن التوكل أصلًا هو اعتقاد كمال صفات فنقص فهمهم عن كمال صفات الله جعلهم يعارضون بين الأسباب وبين التوكل.

إذن سنتفق كيف تفهم هذه المسألة جيدًا سنبدأ من نقطة البداية؛ نقطة البداية عندي مسلَّمات، مسلمات دائمًا تقال وقت النقاش، مثلما أقول لك نتفق على شيء، ثم واحد يأتي يقول لي أنا أجد في عقلي إشكال بين الأخذ بالأسباب وبين التوكل نقول نتفق على مسلَّمات بيني وبينك:

- المسلَّم الأول: أن الله من حكمته أن جعل للكون مبني على التسبب، فلا شيء في الوجود إلا وله سبب، فالله تعالى ربط الأسباب بمسبباتها.
- المسلَّم الثاني: أننا في الدنيا في دار اختبار.
- المسلَّم الثالث: أن من اسماءه سبحانه وتعالى الأول والآخر.

هذه الثلاثة مسلَّمات المسلَّم الأول أن الله وجد الوجود وجعل كل شيء له سبب، وهذا نحن مؤمنين به يقينًا أن لكل شيء سبب، الشيء الثاني أن الدنيا دار ابتلاء، والثالث أن الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن.

ما علاقته بالكلام الذي قبله؟ نرتب الثلاثة مع بعضهم؛ ماذا سنقول؟

دار الابتلاء من ضمن الاختبارات التي فيها اختبار في مسألة الأسباب، اختبارك في علاقتك بالأسباب، والذي ينظم علاقتك بالأسباب فهمك لاسم الأول والآخر.

يأتي سؤال لماذا أو ما العلاقة؟ تبدأ بشرح اسم الأول والآخر؛ فتقولين أن الأول معناه الذي ليس قبله شيء، فهو سابقٌ على كل شيء، كل شيء مثل الأسباب، انت الآن تتكلمي عن الأسباب القاعدة تقول أن الله هو الأول، الأول يعني ليس قبله شيء، أنه سابق على كل شيء من بين الشيء الذي سابق قبله الأسباب، فالأسباب من تمام جوده وفضله وعطاءه، لولا تسبيبه لها ما كانت.

⇦ إذن إذا كان الله عز وجل هو مسبب الأسباب فإذا أردت شيئًا أطلبه لا أطلبه بعينه إنما أطلب أسبابه من مسببه، لأن الله هو الأول الذي قبل الأسباب.

⇦ وإذا كان الله عز وجل هو الآخر يعني هو معطي الأسباب قدرتها على التسبب، الآخر يعني ليس بعده شيء، ليس وراء الله مرمى، من أجل ذلك هناك في الدعاء: حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى ، سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ دَعَا ، لَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ مَرْمَى"

انظري بداية الدعاء وأخره: "حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى" ثم "لَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ مَرْمَى " ، يعني لا غاية ولا مقصد ولا أحد يستطيع أن يعطيني حاجتي، يعني لو وقفت عند باب الله وما اعطاني حاجتي ماذا أفعل؟ انتهى الأمر!، ليس من وراء الله مرمى.

يعني لو ما اعطاك الله عز وجل حاجتك لن يعطيك إياها لو اجتمعوا الإنس والجن، فليس من وراء الله مرمى، ليس هناك غاية ولا هدف ولا ملجأ ولا أحد يمكن أن يعطيني حاجتي لو منعها الله عني.

إذن أنه سبحانه وتعالى هو وحده الذي يعطيني غايتي، يعني هو الأول الذي يعطيني أسباب الغاية، وهو الآخر الذي يعطيني الناتج من هذه الأسباب، كم حبة قمح رميت في الأرض وبذرت وبذرت وسقيت ثم لم تثمر، لماذا؟ صحيح أعطاك السبب لكنه ما أعطاك النتيجة.

إذن هو الأول الذي ليس قبله شيء، فالأسباب من فضله وكرمه ومنه وعطائه، من محض – وحتى ابن القيم يستعمل هذه الكلمة – من محض كرمه، من محض عطائه، يعني تمامًا لا يد لك فيها، انت كل الذي عليك وانت تعبر هذا التعبير– كل الذي عليك أن تأخذ بالأسباب، مثلما يكون هناك شجرة ومتدلي منها تفاحة انت ماذا تفعل؟ تأخذها، لكنك ستخترع التفاحة أو ستأخذ التفاحة؟ معناها أن الأسباب يجب أن تكون متدلية من أجل أن تأخذها واحد يقول لك سأنحت في الصخر، أخرج أسباب من تحت الأرض نقول بدلًا من أن تنحت في الصخر انكسر عند باب الله، ولماذا أنحت في الصخر!، يعني حتى هذه الكلمات المستعمله التي تشعرك أنه يجب أن تختلق من تحت الأرض أسباب، وعلى ماذا! أنا لا تعيش في الحياة من أجل أن أذهب طاقتي في الجري وراء الدنيا، معناه أنك كسلان، لا، أهم شيء أن يكون قلبك نشيط ثم إذا كان قلبك نشيط أعطاك الله الحول والقوة، فأنشط في كل مراد، أنشط في طلب الأسباب ممن يملكها.

فلنرتب هذه الحال ثم نضرب عليها أمثلة: عندي ثلاثة أحوال:

قبل العمل.

أثناء العمل.

- بعد العمل.

سأستعمل ثلاثة خطوات لو لم يكن عندي السبب؛ وسأستعمل خطوتين لو كان عندي السبب.

- قبل العمل: فعليًا ماذا ستفعل؟ سؤال الله أن يهيأ لك الأسباب، قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ" حديث ابن عباس.
- أثناء العمل: الأخذ بالأسباب وقارن مع كل حركة تقوم بها طلب العون، انت تذهب تأخذ الأسباب أصلًا هذه الأسباب المتوفرة تستطيع أن تأخذها؟ إلا أن يعينك الله.

لذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس:"وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ" الأسباب ليست متوفرة يارب انت الذي تملك الأسباب هيأ لنا أسببا الفلاح، هيأ لنا أسباب نشر دينك، هيأ لنا أسباب الدعوة، هيأ لنا أسباب الحج، هيأ لنا أسباب الاستقرار في بيوتنا، هيأ لنا أسباب صلاح أبنائنا.

لا نبقى متوكلين على أنفسنا في الأسباب، انت يجب أن تأتي باسمك، انت اسمك عبد، يجب أن تحققه في كل لحظة، في كل لحظة يجب أن تحقق اسمك الحقيقي، لا تأتي في سيد الاستغفار تقول " اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ" وانت في

الحياة لا تعيش هذه المشاعر، يجب أن تفهم أنك عبد لا تنفك عن باب سيدك ولا لحظة، لا تفكر في الحرية، خطأ، انت شرفك أن تكون عبدًا

" ومما زادني شرفًا وتيهًا وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا ".

يجب أن تشعر بهذه المشاعر أن العبودية لك فخر، أحسن من عبودية سين وصاد وعين ولام ونترجي هذا ونقف عند باب هذا، حتى أن ذهبت ماء الوجه من كثرة سؤال الناس والتعلق بهم وانتظارهم وأصبحنا نسيء الظن في هذا وهذا لم يرد على الجوال، وهذا لم يكلمنا وهذا لم يرد لنا خبر، اترك أبوابهم كلها وإذا سألت فاسأل الله، إذن أول ما تظهر لك حاجة اسأل الله أن يهيأ لك الأسباب.

أثناء عمل خذ بها لكن انت أصلًا لا تستطيع أن تأخذ بها بدون الاستعانة، لذلك:"وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ".

⇦ بعد العمل: عدم الألتفات إلى الأسباب أبدًا.

كيف عدم الألتفات إلى الأسباب أبدًا؟ لا تأتي تقول أنا ذاكرت وحليت في الاختبار جيدًا، أنا زرعت، أنا حصدت، أنا فعلت، لا تلتفت أبدًا إلى الأسباب وانظر إلى المسبب ولذلك هنا يتحقق اسم الآخر.

في الخطوة الأولى والثانية يتحقق اسم الأول، في الثالثة يتحققق اسم الآخر، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: " وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ"[٤٢٧] لا تقل لو أني فعلت كذا وكذا لا تنظر إلى الأسباب أبدًا، أبدًا، هذا لو أتى على مرادك ولو أتى على غير مرادك ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾.

⇦ بعد العمل إذا أتى الشيء على مرادك ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾.

⇦ وإذا أتى على غير مرادك: "فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ"- آمنا بالله -.

سؤال من الحاضرات: -الظاهر السؤال كان لو كان عندي غاية وطلبت من الله أن يهيأ لي أسبابها فأتت الأسباب وعلمت أن الأمر ليس خيرًا لي – والله أعلم.

رد من الأستاذة: هذا أمر أخر يتصل بالاستخارة لكن انت لا تعجل في حكم أنه ليس خيرًا، انت لازلت مادام تتهيأ لك الأسباب والأمر خير لازلت مستعينًا طالبًا راجيًا، أهم شيء لا تعلق قلبك بالمقاصد واسأل الله.

وأقصد لا تعلق قلبك بالمقاصد الدنيوية، أمَّا الغايات الشرعية علق قلبك أنك تكون من أهلها، اجعل همك حسن الخاتمة وخذ بأسبابها، الآن هنا لا أكلمك عن الدنيا فقط إنما في الدنيا والآخرة، يعني الآن تريد حسن الخاتمة أمر يقلقك اسأل الله أن يهيأ لك أسبابها، من أسباب حسن الخاتمة مثلًا أنه مازال لسانك رطبًا بذكر الله، أنك تطرد الدسائس القلبية، أنك كذا كذا، جائك من الأسباب مثلًا حفظ القرآن أخذت بهذا السبب على أن يكون حفظ القرآن سبب لحسن خاتمتك، خذ بهذا السبب واجتهد فيه وتعلق بالله أن ينفعك به.

[٤٢٧] صحيح مسلم» كتاب القدر» بَاب فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ

لكن لو لم تحفظ ليس معناه عدم حسن الخاتمة!، لأن أحيانًا الإنسان يعلق نفسه بأشياء ولو لم تحصل يكدر حياته، لا أبقى مجتهدًا واجتهادك هذا هو الذي سيكون سببًا في أن يحسن الله الخاتمة لك.

أحيانًا كثيرة تكون غاياتنا .. في الشريعة، مثلًا الذي يأتي يقول أنا اتعلم من أجل أن أعمل فلا أجد عملًا، لم أجد نفسي عملت، نقول أول شيء العمل عمل القلب قبل أن نتكلم عن عمل الجوارح، الأمر الثاني اسأل الله أن يهيأ لك أسباب العمل، وإذا هيأ لك أسباب العمل اسأله على أن يعينك أن تعمل، وإذا عملت اسأله أن يقبل منك، يعني لا تدخلوا إلى نفوسكم اليأس.

المهم هذه الثلاثة قبل وأثناء وبعد العمل كأن هذه قاعدة تفهم بها تفاصيل التوكل.

اضربوا أي مثال في الدنيا وطبقوا عليه هذه الثلاثة، في نفوسكم وفي أحوالكم، لا تأتوا بأمثلة بعيدة عن أحوالكم التي تخصكم؛ ما مثالكم؟ طلب الذرية، أن يهيأ لها سبب حصول الذرية، هي تسأل الله عز وجل أن يهيأ الأسباب، علاج مثلًا، من أسباب تحصيل الذرية وهي تأخذ بهذه الأسباب، فلنأخذ مثال العلاج، وهذا الموضوع حساس جدًا، أكيد تروا وجوده، فأولًا للذرية أسباب فاسأل الله عز وجل أن يهيأ لك أسباب الذرية، مثلًا لو كان المرأة عندها مشكلة مثلًا فلا تنجب، ويتزوج الثانية لا تنجب، لا تكون لا الأولى ولا الثانية صالحة، لكن لماذا الثانية من دون الخلق كلهم يعني لماذا الأولى والثانية يكونوا نصيبه ويكونوا غير صالحات؟!.

حتى أن بعضهم يشترط أن تكون انجبت، يعني تكون مطلقة وتكون انجبت سابقًا ويتزوجها ولا تنجب، هذا موجود ومكرر، لماذا؟ لأن هذا ليس إلا سببًا.

إذن على ذلك أولًا الإنسان يسأل الله عز وجل أن يهيأ له السبب، يعني أحيانًا يكون الزوج ممتنع لا يريد يتعالج مثلًا، أحيانًا لا يكون عندها مصاريف أموال تستطيع بها العلاج، أحيانًا لا يكون هناك طبيب معالج، كل هذه أسباب يهيأها الله لو شاء، فانت اسأل الله أن يهيأ الأسباب.

يأتي الأمر الثاني: تهيأت الأسباب في حال مباشرتها أي أخذها؛ فاستعين بالله أن تنفعك الأسباب.

تأتي الحالة الثالثة: أنا أنتظر النتيجة الآن، يعني الفترة ما بين التلقيح الصناعي إلى الدورة هذه الفترة ماذا يجب أن يكون في قلبها؟ تنسى الأسباب لا تقول هذا الطبيب أصلًا كثير تعالجوا عنده وحملوا أو بالعكس يأتي أحد يقول لها أنا لست من أول عملية نجحت أنا عشرة مرات فعلت، وست مرات فعلت، فيقع في قلبها اليأس، لا هذا الكلام يزيدها ولا هذا الكلام ينقصها بل يبقى قلبها معلق بالله، لا تتكلم عن الأسباب.

- فإذا تحصلت السبب ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾.
- وإذا لم تحصله "فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ".

وهذا أمر الحقيقة مثير جدًا لأن هناك من الكثيرين الذي استعملوا هذه الأشياء كانت اختبارًا وامتحانًا في الحياة فعندما نجحوا رفعهم الله، وهناك أقوام رسبوا وقعوا وسقطوا سقوطًا واضحًا فألمت قلوبهم فلان وعيادة فلان ومستشفى كذا، ولا تجدهم في مجلس يثنون إلا على فلان وفلان، والله لا تجد كلمة ثناء على الله!، وطبعًا تعرفوا ماذا يقولون فقط تذكريهم تقولي الله هو من أعطاكم يقولون صحيح، وهم! وهم!، أليست هذه الألسن مغاريف القلوب؟!.

لو كان قلوبكم صادقة في شكر الله وتعليق النعمة بعطائه ما كان هذا حالكم في الثناء على غيره، لكن كما درسنا في سورة الزمر يعطيكم امتحانًا فتسقطون بشكر غيره، هذه الحال التي نعيشها ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤٢٨] هذه الحال تجعلك تفهم الفوارق بين الناس، ولذلك "يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا" هذه صعبة أصلًا، في منتهى الصعوبة، لماذا؟ لأن يشرك اليوم الطبيب والمهندس والممول وأقل الأشياء تشرك مع الله والناس لا يشعرون أنهم يتعلقون بغيره ويعظمون غيره، إذن لا إشكال أبدًا في مسألة العلاقة بين الأسباب وبين التوكل.

مرة أخرى؛ قولي لي كيف ستناقشين شخص يقول لك أنا أجد في عقلي شبهة بين الأخذ بالأسباب وبين التوكل نقول فلنتفق أولًا على مسلَّمات.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: طوال مدة ممارسة العمل قد تورثك ألتفات إلى غير الله، ثقة بالنفس، ثقة بالعلاج، يعني يلفت قلبك من الاستعانة به.

لو أقول لك الآن خيطي، هذه المهارة الدقيقة جدًا، مهارة الخياطة من أدق المهارات التي يستخدم فيها الإنسان بصره وحواسه، ويتحكم بصره في حواسه، هذه المهارة مع الزمن من كثرة الممارسة تصبح أوتوماتيكية، الحمدلله كلنا لا عرف نخيط فنشعر أن الذين يخيطوا يفعلوا معجزة، خصوصًا الذين يستعملوا أياديهم، فانت الآن عندما تنظري لواحد عنده هذه المهارة تشعري – نتكلم عنه هو أولًا – من كثرة الممارسة لا يقول حتى بسم الله.

لذلك ورد فيما ثبت ورجاله رجال الصحيحين، أن عائشة رضي الله عنها جلست في مجلسها امرأة تغزل، فقالت لها عائشة رضي الله عنها سألتها هل قلت بسم الله قالت لا، قال انقضيه، انقضي غزلك، افتحيه وأعيدي من جديد!، إلى هذه الدرجة!، الآن قولي لأحد انقضيه؟!، فالناس غرتهم النتائج، يعني الواحد يشعر أنه نجح لأنه أخرج في يده قطعة قماش، لأن خرج في يده نتيجة فيفهم أن الله رزقه، صحيح انت رزقت وأعطيت ليس هناك مشكلة، لكنك فشلت رسبت لأن الاختبار الحقيقي هو بسم الله في أوله وبقاء الاستعانة إلى أخره.

هذا معناه أنه أشرك بالله؟ لا أفهموا، نحن نتفق أن الناس درجات، يعني انت كان الغزل الذي بين يديك اختبار تزيد به درجة أم تجلس في مكانك أم تعود إلى الوراء، أم وراء خطوة أو وراء مائة خطوة أم وراء تسقط تمامًا؟ على حسب، الناس درجات، انت مباشرة ستقولون استصحاب الاستعانة صعب، نقول قلبك مثل العضلة مرنها، وتوسل إلى الله، توسل إلى الله، توسل إلى الله، انت تتوسل إلى الله لكن لأن قلبك غير موجود لا تجد نتيجة، انت طوال الوقت تقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فاستعين به على أن يرزقك قوة الاستعانة، استحضار الاستعانة دائمًا ربما يكون أمر صعب لكن كلما استحضرتها كلما أتتك مضاعفة الأجور.

اسألكم بالمناسبة في الهامش؛ هل حضرتم دورة مضاعفة الأجور؟ تفهمون كلامي عندما أقول لكم مضاعفة الأجور، بمعنى أنك كلما وقع في قلبك استصحاب النية، استصحاب الاستعانة، استصحاب التوكل كلما أصبح العمل مبارك أكثر ولكن فيه أجور أكثر، وهذا لا يمنع أنه لو غابت عنك الاستعانة قليلًا أنك مأجور لكن ليس مثل من يستصحبها دائمًا، لأن دائمًا هذه النقطة تعمل إشكال.

---

[٤٢٨] الزمر:٤٩

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: السؤال يقول: أحيانًا أأتي إلى أسباب وأقول أنا لا أريد أخذها أم هذا ديدنه طوال حياته؟ هناك ناس يأتوا عند أسباب معينة وتكون حساسة عندهم ويقولوا لن أأخذ هذا السبب لأن أعرف نفسي لو أخذت به أتوكل وأتعلق عليه لكن في بقية الحياة أأخذ الأسباب عادي، هذه حالة، حالة أخرى يقول لا، ويسير طوال الحياة متعلق بالأسباب فلن أأخذ بها، أيان من الصنفين تسألين؟ لا ينفع مرة هكذا ومرة هكذا، هذا جواب سيكون حال لإنسان وهذه حال أخرى.

لو طوال حياته يسير ولا يأخذ بالأسباب نقول لا أبدًا، بقي لك خطوة وتذهب مع الصوفية، خطير هذا الأمر، ليس سهل، لأن أصلًا انت اختبرتي ابتليتي انظري كيف عندما واحد يقول أنا لن أأخذ أسباب ويقول لن أدخل الاختبار، لكن كيف دخول الاختبار؟ خذ بجوارحك وتعلق بقلبك وهذا الصعب، الصعب أنك تذهب على رجليك إلى الطبيب تذهب إلى واحد يائس منه فقط تحسن الظن بالله أن يجري على يديه الخير.

يمكن مر معكم ذكرت لكم قصة أن امرأة في السعي، امرأة كبيرة في السعي أيام الحج والزحام، تسير وهي كبيرة في السن ورآها رجل فتشفق لحالها فنادى لها من الأولاد الذين ينفخوا العربيات، فهو طالب علم توقع أن تقول له شكرًا وتتشكره، لم تلتفت له ولم تقل له شكرًا، فقط قالت شكرًا ياربي أنا أحبك وكلمات تعبر بلغتها بها ولم تلتفت إلى من كان سببًا، فهي الظاهر أنها كانت طوال الطريق تدعي أن ربنا يوفر لها هذا، فجعل الله لها الخير على يد هذا ولم تلتفت حتى ترى من هو هذا الذي كان سببًا.

ومن أجل ذلك هذا المثل جميل من أجل ان أقول لك لا تلتفت إلى الأسباب، هي كانت الظاهر والله أعلم كانت طوال الطريق كانت تدعي، فمن دون النساء كلهم وقع في قلب هذا الرجل أن يأتي لها بالسبب، فسخره الله، وهي فهمت أنه سخره الله، فلم تلتفت له حتى ولا كلمة واحدة ولا شكرًا حتى، لا تقولوا لي من لا يشكر الناس لا يشكر الله هذا ليس موطنه.

المقصود الآن لا تأتي تترك الأسباب وتقول لا أريد أن ادخل الاختبار، في المقابل انت تعرف نفسك حساس تجاه سبب معين وجربت نفسك وفهمت، اضرب لك مثال عندما تكون في مجال الدعوة ويأتوا أهل المال يعرضوا عليك أموالهم، وانت عندك مثلًا أخر كل شهر سين وصاد وعين ولام – الناس الذين يدخلون مجال الدعوة يفهمون هذا جيدًا – أنه سيكون هذا داعي وفي نفس الوقت مصلح اجتماعي وفي نفس الوقت يساعد الفقراء، كل هذا دوره يجب أن يلعبه، لأنه له صلة بهؤلاء وصلة بهؤلاء فيرى هؤلاء ويرى هؤلاء.

فانت في رأسك مائة شخص سيأتي وليس عندك هذه الإمكانيات الممكنة من الأموال وفي نفس الوقت هناك طلبة علم تريد توفر لهم كذا وكذا، وهناك موظفين تحتاج كذا، إلى أخر هذه الهموم كلها، فتكون متحفظ من العلاقة مع الأغنياء والتجار، ثم يفتح الله عز وجل لك باب تكاد تكون شخصية مع أحد من هؤلاء التجار، فتجد قلبك ارتاح قليلًا وبدأ يطلب، وممكن يأتي على رأس كل أسبوع هات كذا وكذا من أجل كذا، وصحيح انت لا تأخذ ولا ريال في جيبك لكن فجأة وجدت نفسك ضعفت من جهة توكلك على الله.

فهذا سبب لن أأخذه، ولا سأقترب من الأغنياء ولا سأطلب منهم، ولن سأفتح لنفسي هذا الباب أبدًا، هذا سبب لكن لن أأخذ به لأني فهمت نفسي، وماذا سيقع في الطرف الثاني من سوء ظن فيك وانت داعية، ولذلك احذروا ثم احذروا ثم احذروا أموال الناس، لا أحد يأتي يقول لك تعال أعطي درس من أجل أن تحثي الناس على الصدقة ولا في أخر الدرس تقولي لهم هناك مشروع،

لا أنا ليس لي علاقة، إذا أنا بنفسي أعرف ناس محتاجين حقيقة كل الذي أفعله أكون كأني ساعي بريد أأخذ أوراق هؤلاء وأذهب بهم إلى هؤلاء فقط، أكثر من ذلك لا تفعل، لأنكم لا تتصوروا قدر الأتهامات المتكررة على الناس الذين في الدعوة.

حتى أن هناك طالب علم وارث من أهله، ولهم كذا وكذا في أماكن كذا ومعروفين والعائلة معروفة والله عز وجل هدى هذا الولد والحمدلله وأصبح طالب علم، وكل أهله تجار إلى أخره، لكن وهو في وسط طلبة العلم لا يشعر أحد هو مَن، هو كان ليس له علاقات مع أحد، المهم بعد زمن طويل استقبل جماعة من الناس في بيته،ورأوا بيته، فلك أن تتصوري ماذا قالوا!، عرفنا أين الأموال التي تدفعوها من أجل هذا وهذا، تصوري!، يعني أصبحوا يقولوا هذا طالب علم أأجر لهم بيت من أجل أن يقبلوني ويرضوا عني، طبعًا النساء أقل خطورة من الرجال، المشكلة في الرجال أكثر منا، لكن النساء يتعرضوا لهذا الموقف أيضًا، أنه أحيانًا يأتي أحد يقول لك اعلن لنا تبرعات تقولي أنا ليس لي علاقة، أنا لي أن أعلم الناس.

مرة أخرى؛ هذا لا يعني رفض المساعدة للمحتاجين لا، ليس هكذا، معناه أنك تكون كأنك ساعي بريد بين هؤلاء وبين هؤلاء، أي أحد يقول لك شيء تقول هات أوراقك ونرسل ونرى والله يجعلني سبب، لا تبدأ تأتيك الثقة واحد يأتي يقول لك هذا مبلغ زكاة هذا مبلغ كذا، فاحرص على أن تكون أمينًا.

نسأل الله عز وجل أن يخلصنا من الأموال ومن تبعاتها، لأنها مصيبة كبيرة إذا أردت أن تسلم نفسك أبعد عنها تمامًا، بعد تجربة ١٢ سنة أقول لكم ضعوا أنفسكم في مكان والأموال في مكان، ليس لكم علاقة بها أبدًا، ثم الله عز وجل يرزق الناس، الذي دخل في هذا أمره لله لكن من لم يدخل يبعد عنها، المقصد هذا مثال على السبب، أنا أفهم حساسيتي تجاهه، وافهم ضعفي تجاهه، وهذه نقطة ابتلاء عندي، وأنا يوم ما اثق في أحد أنسى نفسي، أشعر كأني أنا وهو واحد أرسل له نحن محتاجين هذا الأسبوع كذا وكذا وكذا، فكثرته تجعلني أني حتى لا أدعي في الليل أن يارب أرزقنا، يارب كذا، لا نطمئن أن في الصباح شخص يعطيني، إذن انت فهمت نفسك فماذا تفعل؟ أقطع عليك هذا السبب الحساس.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا تطلبي منها، ترسل ليس هناك مشكلة المهم أنك لا تطلبي منها، قلت لك الآن تأتيك زكوات، تأتيك أموال لا بأس، هناك ناس ربنا ابتلاهم ودخلوا هذا الباب، باب صعب باب الأموال، تحذر وتقوي قلبك ولا تتعلق بأحد وتسأل الله عز وجل.

وأصلًا في باب الأمول ترى عجبًا، هذا المثال ضربناه في التعليم المستمر كنا نقول كيف الله عز وجل يعطيك ما يغنيك، حتى مرة من المرات كان المبلغ كان كذا و٦٣٥ ريال أي الناقص فيأتي المبلغ نفسه و٦٣٥ ريال بالضبط، فريال بريال، كنا نقول لو ٦٠٠ مبلغ مقطوع أو ٦٥٠ ليس هناك مشكلة لكن ٦٣٥ شيء يلفت النظر، يجعلك عاجز عن الشكر، فهذه أرزاق الناس تأتيهم، **كن سببًا ولا تشعر بالتوكل ولا بالاعتماد على الناس، ولا ينصرف قلبك عن باب الله**، والناس مسؤوليتك يعني انت تقول لماذا أوجع قلبي وأقول ربي يرزقني وأرزقني وأرزقهم كيف ! اعلم رحمك الله، يعني أنا من أعلمك أو أنا من أمسك الدعوة المفروض قلبي يكون مليء بالرحمة عليك، من أي جهة؟ من جهة وضعك في العلم، من جهة علاقتك بربك، من جهة وضعك في الدنيا، كل هذا قلبي مليء عليك رحمة، من أجل ذلك إذا لم تجدي في نفسك رحمة على من تعاملون أكفوا الناس شركم واجلسوا في بيتكم لا تخرجوا تعاملوا الناس، الناس محتاجين أن تكونوا قلوبكم مليئة بالرحمة عليهم، لأن العلم كله مبني على هذه الكلمة " اعلم رحمك الله" طبعًا في طريق العمل الدعوي تجدي ناس ربنا خلقهم بهذه الصورة كأنهم مفصلة مسطرة، لا بأس هذه نفسيات يسدوا ثغرات معينة، لا

ينفعوا في مجال الدعوة لكن يسدوا ثغرات معينة، لا يسدوا ثغرة التعامل مع الجمهور واعطائهم العلم وإيصالهم إلى الحق، لا لا يجب أن يكون "أعلم رحمك الله".

انتهت المقدمة نبدأ بالدخول في الأدلة.

✷اللهم اغفر لشيختنا وللحاضرات وأخلص نيتها ونياتهن.. آمين✷

باب قول الله تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[٤٢٩].

وقوله : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)[٤٣٠].

وقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[٤٣١].

وقوله (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)[٤٣٢].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا له : (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)[٤٣٣]. رواه البخاري والنسائي.

نبدأ بالسؤال المعتاد ما العلاقة بين هذا الباب والباب الذي قبله؟ العلاقة في الدليل الخامس، انظري الدليل الخامس؛ في كلام ابن عباس رضي الله عنه، "قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ" ليس الشاهد هنا، الشاهد في الذي بعده"وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[٤٣٤]، ثم الله عز وجل وصف هذه الحال في الآية في آل عمران، وصفها بـ ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ﴾[٤٣٥]، فهذه العلاقة الواضحة في السياق.

ننظر آل عمران صفحة ١٤٣ لأثق أنه متبين لكم؛ انظري آية ١٧٢ أولًا:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

وصف هؤلاء الذين استجابوا لربهم وللرسول، ما وصفهم؟

---

[٤٢٩] المائدة:٢٣

[٤٣٠] الأنفال:٢

[٤٣١] الأنفال:٦٤

[٤٣٢] الطلاق:٣

[٤٣٣] آل عمران:١٧٣

[٤٣٤] آل عمران:١٧٣،١٧٤

[٤٣٥] آل عمران:١٧٥

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ هم الآن خوفهم فكان هذا الموقف لهم سبب لزيادة الإيمان، من أين كان سبب لزيادة الإيمان؟ لأنهم عندما واجهوا هذه المواجهة قالوا ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، هذا الإحسان والتقوى التي وقعت منهم.

كيف عاملهم ربهم؟ ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ من جهة أبدانهم وأثر الناس عليهم لم يمسسهم سوء، ومن جهة نجاحهم في الاختبار ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ يعني أنهم في اختبارهم هذا وقع نتيجته أمرين:

- الأمر الأول: لم يمسسهم سوء عندما أحسنوا التوكل على الله.
- الأمر الثاني: أنهم كانوا ممن أتبعوا رضوان الله فرضي الله عنهم.

ثم الله عز وجل جعل هذه النتيجة فضل يؤتيه من يشاء قال ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾: يعني والله ذو الفضل العظيم على المؤمنين أن يوفقهم أن تكون هذه حالتهم، أن تكون قلوبهم مطمئنة، يخوفهم الناس وهم قلوبهم مطمئنة.

ثم علل سبحانه وتعالى ما هي هذه القصة كلها ولماذا الناس يأتون ويفعلون هذا الفعل، لماذا يأتون ويقولون لهم ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ لماذا؟ قال الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ﴾ يعني يخوفكم بأوليائه، هذه إحد التفاسير، أو يخوف من والاه، واحد من معنيين تفسير هذه الآية:

أمَّا يخوفكم بأوليائه.

أو يخوف أوليائه.

الأمر الأول: يعني من كان للشيطان وليًا يخوفه.

والأمر الثاني: أنه يخوفكم بأوليائه.

ماذا قال الله عز وجل؟ ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، إذا تبين لك العلاقة بين البابين وهذا من حسن صنع الشيخ أنك تجد أن الإيمان التام والتوكل بها تدفع المخاوف، حتى أن خواص المؤمنين تنقلب المخاوف في حقهم أمنًا وطمأنينة، لماذا تنقلب المخاوف في حقهم أمنًا وطمأنينة؟ لقوة إيمانهم وشجاعتهم القلبية ولقوة توكلهم.

من أخر دليل تبين المقصود في العلاقة بين البابين؛ يعني الشيطان يخوف أولياءه أو يخوفه بأوليائه، وانا مؤمن ماذا أفعل وهو يخوف بأولياءه، ردي ماذا يكون؟ التوكل، فينقلب تخويفه نعمة علي.

لذلك الناس الذين حرموا أنفسهم مثلًا من العمرة في رمضان بسبب تخويف الناس لهم، مَن المحروم؟ هم، لكن من قوى قلبه انقلب بنعمة من الله، أين النعمة؟ يكفي أن الله يسر له أن يفعل هذا الفعل.

ومثله الآن الناس الخائفين، وهذا معيب أن تخاف، عيب عليك أنك تخاف وانت مؤمن أن الله يرد عنك كل شر، انت مؤمن تقول لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، وانت المؤمن الذي تعرف أن الموت يأتيك ولو كنتم في بروجٍ مشيدة، يأتي واحد من أخر الدنيا يقول لك سنفعل بكم وسنفعل بكم فقلبك يرتجف ولا تذهب تعبد الله وانت ميسر لك أسباب عبادته؟!، أنا لا أقول لك أرمي نفسك في مهلكة، أين هي المهلكة!، إذا كان هناك سبب حقيقي نقول كن شجاعًا وأقدم لكن ليس هناك سبب حقيقي!.

ألا تعلم أن خالد رضي الله عنه – وفي هذه القصة السند صحيح – احتسى كأس السم إيمانًا وتوكلا، ومثله كثير وكل القضية في إيمانك، وأنا لا أريدك تحتسي كأس سم، ولا أريدك أن تفعل حتى نصف هذه الشجاعة، أريد منك ألا تلتفت إلى الأسباب الوهمية فقط، لا تلتفت إلى السبب الوهمي، فيروس ما يسمون – HN – إلى أخره، هذا الفيروس عبارة عن سبب للمرض مَن يملكه؟ الله عز وجل، يعني السبب أسبق أم الله عز وجل أسبق؟! الله عز وجل أسبق! وانت لو في بيتك وأغلقت على نفسك الباب انت تفهم أنه يمكن أن تمرض به!.

لكن نسأل الله أن يقوي إيماننا، ويقوي إيمان الحجاج، والعجيب الناس أقل منك فهمًا، وناس أقل منك علمًا، ناس حتى لا ينطقون بالعربية ولا يعرفوا كثيرًا من معاني كلام الله **لكن يقولون ضيوف الله لن يخذلهم الله**، والناس المتعلمين يفكروا بعقولهم فيخذلهم الله لأنهم يفكروا بعقولهم، ثم يأتوا يقولون حالات وإحصائيات وكثير من الكذب، وحصل هذا وهذا، وأنا أأتي لك بإحصائيات لأناس دخلوا هذا المرض وخرجوا ولا أحد يعلم عنهم، وهو معروف هذا المرض إلى تحول إلى إلتهاب رئوي كما يعبرون بدون تفاصيل ممكن أن يكون مرضًا قاتلًا، لكن مثلما يمر على غالب الناس لابد أن يكون معه قرينة أخرى من أجل أن يجعله خطير، فانت الله يدفع عنك هذا ويدفع عنك خطرة ويدفع عنك خطر كل شيء.

وذكرنا سابقًا إذا أنا أريد أن أأخذ بأسباب الحياة وخائف على نفسي من الموت لا تركبي سيارة ولا طيارة، يمكن حتى لا تمشي على رجليك، لأنك لو مشيتي على رجولك السيارة تصدمك!منطق!.

على كل حال الله يقوي إيماننا، لا تقول فلان وعلان والدولة الفلانية أرسلوه لنا، لا لا، هذا لم يأتي به إلا الله ليختبر إيماننا، كل الدنيا عبارة عن عواصف اختبارات وها هي تتسارع، ونحن ذكرنا سابقًا أول ما أتينا من شوال قلنا أن هذه التجربة كون يأتي هذا الفيروس ويخاف الناس منه ويتركوا العمرة من أجله ويأتوا يتكلموا عن الحج جمع الله لهم بلائين مع بعض الآن، أصبحوا خائفين على الأمن وأصبحوا خائفين على المرض، وتكثر البلاءات كلما كثر خوفك، انت اجمعت على نفسك البلاء وإلا انظر إلى هؤلاء الذين أنقلبوا إلى نعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، قوي قلبك وتوكل على الله، وهذا لا يعني أنه لا يأتيك لحظة خوف انظروا موسى عليه السلام كيف كان حاله؟ في نفسه خيفه، ثم بات في المدينة خائفًا بترقب، كونك يقع في قلبك خوف هذه ليست المشكلة إنما المهم دافعه.

نمر على كل نصوص نثبت أن التوكل عبادة ويبقى علينا شرح تفصيلي النصوص.

﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ هذا يحتاج أن ننظر إلى السياق لكن الآن لن ننظر إلى السياق، سنفهم ما وجه دلالتها على التوحيد، أفضل شيء نعمل جدول نمر على كل الأدلة ونكتب أمامها وجه دلالتها على التوحيد، على التوحيد يعني تثبتي أولًا أنها عبادة ثم تفهمي أنها لو كانت عبادة إذن صرفها لغير الله شرك.

❖ الدليل الأول: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أصل ترتيب الكلام "فتوكلوا على الله"، ستقولين: أصل ترتيب الكلام "فتوكلوا على الله" فتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، ما معنى إفادته للحصر؟ يعني التوكل لا يكون إلا لله، يعني حصر التوكل على الله بمعنى لا يكون إلا لله.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: ﴿إن﴾ أداة شرط، ﴿كُنتُم﴾ هذا فعل الشرط، جوابه "توكلوا"، شرط الإيمان التوكل، وهذا أيضًا من دلائل أنه عبادة.

إذن فهمتي أنها عبادة، بقي عليكم أن تأتون بالسياق لتفهمونه.

- الدليل الثاني: نأتي إلى الآية التي بعدها؛ آية الأنفال؛ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أداة حصر، حصر الله المؤمنين حقًا بثلاثة صفات:

الصفة الأولى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وجلت أي خافت شدة الخوف.

الصفة الثانية: ﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾

الصفة الثالثة: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ إذن صفة المؤمنين أنهم متوكلين على الله وحده.

أخذتي هذه طريقة من طرق معرفة أنه عبادة مدح الله وثناؤه للفعل أو للفاعل، هنا مدح الله وأثنى على الفاعل، إذن الفعل سيكون عبادة.

يعني مدح الله فاعل هذا الفعل إذن الفعل سيكون عبادة، مادام ذكر صفات المؤمنين إذن ثبت أنه عبادة.

- الدليل الثالث والرابع: آية الأنفال والطلاق.

ما معنى حسبك؟ كافيك، انت تعتقد أن الله كافيك يعني الله عز وجل حسبك يا أيها النبي وحسب كل من أتبعك من المؤمنين.

الآية الأخرى﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ما وجه كونها عبادة؟ سنأخذ الآيتين مع بعضهما، آية الطلاق أولًا ما هو الفعل؟ ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ الجزاء ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كفاية الله، إذن معنى ذلك ترتيب الجزاء على الفعل يدل على أنه عبادة.

- في الدليل الأخير أين الدلالة على أنها عبادة؟ ما وجه كونها عبادة؟ إذا مدح الله الفعل أو مدح فاعله أو كان هذا الفعل من أفعال المؤمنين، من أفعال الأنبياء، هنا الآن هذا الفعل من أفعال الأنبياء الممدوحة، وعلى ذلك يكون عبادة، فكلٌ من الخليلين قالا حسبي الله، فلم يشركوا معه بذلك أحدا.

أريد منكم أمرين:

- أريد منكم أن تقرءوا في فقه الاسماء اسم "الوكيل".
- وفي البخاري ورد في الحديث الرجل الذي من بني إسرائيل الذي طلب من رجل أن يسلفه ألف دينار قال أأتني بالشهداء أشهدهم، قال كفى بالله، قال أأتني بوكيل قال كفى بالله كفيلا، أريد منكم أن تنقلوا هذه الرواية في دفاتركم[٤٣٦].
- أريد منكم أيضًا أن تبحثوا عن حكم قول العامة "أنا محسوبك"، هذه الكلمة التي أصلها من حسب، ابحثي مكان ما تريدين.

سنختم الكلام إن شاء الله عن أقسام التوكل؛ مثلما أخذنا أقسام المحبة، وأقسام الخوف، سنختم الكلام بأقسام التوكل.

---

[٤٣٦] صحيح البخاري» كِتَاب الْكَفَالَةِ بَاب الْكَفَالَةِ فِي الْقَرْضِ وَالدُّيُونِ بِالْأَبْدَانِ وَغَيْرِهَا

وَقَالَ أَبُو الزِّنَادِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَهُ مُصَدِّقًا فَوَقَعَ رَجُلٌ عَلَى جَارِيَةِ امْرَأَتِهِ فَأَخَذَ حَمْزَةُ مِنْ الرَّجُلِ كَفِيلًا حَتَّى قَدِمَ عَلَى عُمَرَ وَكَانَ عُمَرُ قَدْ جَلَدَهُ مِائَةَ جَلْدَةٍ فَصَدَّقَهُمْ وَعَذَرَهُ بِالْجَهَالَةِ وَقَالَ جَرِيرٌ وَالْأَشْعَثُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي الْمُرْتَدِّينَ اسْتَتِبْهُمْ وَكَفِّلْهُمْ فَتَابُوا وَكَفَلَهُمْ عَشَائِرُهُمْ وَقَالَ حَمَّادٌ إِذَا تَكَفَّلَ بِنَفْسٍ فَمَاتَ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ وَقَالَ الْحَكَمُ يَضْمَنُ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ وَقَالَ اللَّيْثُ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ رَبِيعَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَ ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ فَقَالَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا قَالَ فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ قَالَ كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا قَالَ صَدَقْتَ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا فَرَضِيَ بِكَ وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا فَرَضِيَ بِكَ وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ قَالَ هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ قَالَ أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسر لنا هذا اللقاء، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاء مباركا مرحوما، اللهم آمين

في لقاءنا هذا إن شاء الله سنعلق على آيات الباب الذي مر معنا، باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ؛ ونحن في اللقاء الماضي اتفقنا على أن التوكل من العبادات القلبية العظيمة التي هي إشارة إلى توحيد العبد، فالتوكل هو قلب التوحيد، بمعنى أن تعبيرك عن توحيدك يكون بقدر توكلك على الله.

وقد أحسن الشيخ – أحسن الله إليه – في ترتيب هذه الأبواب، فقد سبق هذا الباب الكلام حول باب الخوف، الخوف من غير الله، وكان من الواجب على العبد أن يعرف كيف يعالج خوفه.

وأنت اليوم تشاهد أنماطا من الخوف متعددة، أي أنك تشاهد الناس في قلوبهم خوف من غير الله، وفزع من الأحداث التي يعيشونها أو يتوهمون أنهم يعشونها، فالناس يخافون على مستقبلهم مثلا، ويخافون على أبنائهم، ويخافون أن يُصابوا بالسحر، ويخافون أن يصابوا بالمرض، ويخافون من الموت، كل هذا يدخل في قلوبهم فيصيبهم بأوهام، ويصيبهم بما يسمى بالفزع، فترى كثيرا من الناس يصاب بضيق شديد أحيانا حتى بانقطاع في النفس، وممكن أن يصاب بدوار، وممكن أن ترتجف يديه ورجليه، فيخاف من السقوط، وهذه تأتيه بصورة نوبات متكررة، هذا الخوف من المرض، وهذا الخوف من الحسد، وهذا الخوف من السحر يتحول إلى آثار بدنية، وهذه الآثار البدنية كثير من الناس يقول لك: هذا يحصل لي، فأنت عندما تعرفين أعرضا الفزع وتعرفين أنه يحصل خفقان في القلب، أو رجفة، ويحصل تعرق، وارتجاف في الأطراف، ويحصل اختناق، وضيق تنفس، وشعور بالغصة في الحلق، وألم في الصدر، وغثيان، ودوار، ويشعر أن الدنيا غير حقيقية كأنها حلم، طبعا خوف من الموت وتنمل في الأطراف، وحالات من البرودة إلى الحرارة، كل هذه تتحول من خوف الإنسان الذي يقع في قلبه إلى بدنه، أي أنه يُعبر عنه بتعبيرات بدنية.

فلك أن تتخيل كيف تكررت نوبات الفزع على الشخص مرات ومرات، ستحول حياته إلى جحيم، واسأل عن عبادة هذا الشخص، واسأل عن عنايته بالآخرة، ستجد أن غالب الناس الذي يصابون بهذا البلاء يتصورون أنهم معذورون عند الله لأنهم مصابون بمرض، نعم نحن لا ننكر أنه مرض، لكن ما الذي جعل هذا المرض يعظم في قلبك لهذه الدرجة؟ ضعف التوكل على الله، ألا تعلم أن ربك هو الوكيل سبحانه وتعالى؟ ألا تعلم أنه سبحانه وتعالى كافيك أمرك؟ ألا تعلم أنه هو حسبك ونعم الوكيل؟ كيف يقع في قلبك الثقة بغيره وتفقد الثقة به؟ أو كيف يمر بخاطرك بعدما يعدك أنه وكيلك أنه سيخذلك؟.

لذلك عندما يعيش الإنسان سوء الظن بالله عز وجل ستكون النتيجة أنه يشعر بهذه المشاعر، ألست تسمع في كتاب الله ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾، ألست تسمع في كتاب الله ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾[٤٣٧] أنت الآن لما تعلم أن الله حسيب، أي كافٍ، حسيب بمعنى كافٍ، حسيب بمعنى كافٍ، كفى عباده جميع ما أهمهم من أمور دينهم ودنياهم، ميسر لهم سبحانه وتعالى كل كما يحتاجونه، دافع عنهم كل ما يكرهونه.

ومن معاني اسمه الحسيب أنه حفيظ على عباده، ومن معاني اسمه الكافي أي الذي له كفاية الخلق، عليه كفاية الخلق كل ما أهمهم.

وكفاية الله تعالى لعباده نوعان:

---

[٤٣٧] الزمر:٣٦

- كفاية عامة.
- كفاية خاصة.

- الكفاية العامة هي أنه سبحانه وتعالى كفى كل الخلق فأوجدهم وأعدهم وأمدهم وهيأ لهم من جميع الأسباب ما يغنيهم ويقنيهم وهو الذي يطعمهم ويسقيهم.
- أما كفايته الخاصة فكفايته للمتوكلين، أي كل من توكل عليه، قام سبحانه وتعالى بإصلاح أحواله، لذلك هو يصلح أحوال عباده المتقين ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي كافيه كل أموره الدينية والدنيوية.

لكن هذا مشروط ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، مشروط بالتوكل، فإذا توكل العبد على ربه حق التوكل بأن وقع في قلبه الاعتماد على ربه اعتمادا قويا كاملا في تحصيل المصالح ودفع المفاسد، وقويت ثقته وحسن ظنه بربه، وهذه هي العلة الحقيقية التي نعيشها، العلة الحقيقية هي أننا نكتشف في نفوسنا سوء الظن به سبحانه وتعالى، أنه لن يعطينا، ولن يغنينا، وأنت ترى عجبا من فرجه القريب، لكن سوء الظن مع عدم الصبر مع كثرة التفكير في الدنيا بدلا من التفكير في الآخرة ولقاء الله يورث العباد ضعفا في التوكل، لكن من قويت ثقته وحسن ظنه به حصلت له الكفاية التامة، وأتم الله له أحواله، وسدده في أقواله وأفعاله وكفاه همه وكشف غمه، وهذه الحقيقة من أعظم المنن، أن يكون لك كافٍ يكفيك ما أهمك.

لذلك من أذكار النوم إذا أوى الإنسان إلى فراشه أن يقول: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا" ثم يتذكر، "وَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلا مَأْوَى".

و أنت تعلم أنك لا تستغني عن ربك طرفة عين، فلو لم يحفظك ولم يكفك ولم يسددك ولم يهدك، فلا حافظ لك ولا كافي لك ولا مسدد لك ولا هادي لك، فأحسن الظن بالله وتذكر كيف أنه سبحانه وتعالى ما تركك إلا هداك، ورزقك، فلا تكن جاحدا.

ثم اعلم أن الشريعة علمتك كيف تطلب من ربك كفايتك، فأنت يُشرع لك في كل مرة تخرج من بيتك أن تقول: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقول لك الملك: كفيت ووقيت وهديت، هذا كله من الله عز وجل، هديت، وكفيت، ووقيت، فيتنحى وقتها عنك الشيطان، فيقول شيطان آخر، أي يقول الشياطين لبعضهم: كيف لك برجل قد كفي ووقي وهدي.

لذلك أحضر قلبك في مثل هذه الأحوال والأذكار فيهديك إلى طريق الحق والصواب، ويكفيك من كل هم دنيوي أو أخروي، ويقيك من شر أعداءك من الشياطين ومن غيرهم، لكن أهم الأمور أن تبقى محسن الظن بالله، وستبقى هذه كلمتنا التي لا نفتر عنها، فكلما تعلمنا في التوحيد أننا نريد أن تكون نفوسنا محسنة الظن بالله، لأن هذا هو الذي سينفعك وقت قبضك "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ"، و أنت مقبل على ربك، ماذا تظن وقت قبضك؟ لا ينفعك إلا ما تعتقده في ربك، فإذا كنت مقبلا عليه ظانا فيه ظنا حسنا أنه كما هداك في الدنيا إلى الصراط المستقيم، أن ينجيك في الآخرة من الجحيم، فعلى قدر حسن ظنك يكون عطاء الله عز وجل لك.

يقول ابن القيم كلاما جميلا في مسألة التوكل وربطه بالأسباب فهذا، كأنني أقول هذه المشكلة التي اختلقت حاليا، التعارض بين التوكل والأخذ بالأسباب:

يقول ابن القيم: والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبه – يعني كافيه – ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى لا بد منه، كالحر والبرد والجوع والعطش.

يعني أن عدوه هذا لا يستطيع أن يفعل شيئا إلا أذى بسيطا كالحر والبرد والجوع والعطش

وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدا

يعني أنك الآن في طريقك إلى الله، تريد أن ترضي الزوج، تريد أن تربي الأبناء كما ينبغي، لنفترض أن هناك من يؤذيك، إذا توكلت على الله رد الله عز وجل عنك هذا، لكن لا بد، الحياة فيها منغصات، لابد أن تأتي منه كلمة تحزنك، أو تصرفا يزعجك، لكنه لا يمكن يخرب عليك تربيتك لأولادك لو كنت متوكلا، ولا يمكن أن يخرب عليك علاقتك بزوجك لو كنت متوكلا، سيضرك كما يضرك الحر والبرد والجوع والعطش فتدفعه بأقل مؤونة، لكن أن يضرك بما يبلغ به مرادك، أو أن يفرق بينك وبين زوجك، أو يفسد عليك أبناءك، فلا، أبدا ما دمت متوكلا، فلا بد أن الله يكفيك.

ولذلك ابن القيم يفرق، يقول:

وفرق بين الأذى الذي هو الظاهر إيذاء له وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار لنفسه، وبين الضرر الذي يتشفى به منه

يعني الضرر يأتي أحدهم فيخوفك، أو يقول لك كلمة تحزنك، فهذه الكلمة التي يقولها لك ستكون منه إحسانا لك، لأنه سينبهك لثغرة أنت ما انتبهت لها، هو يضرك، يؤذيك بأن يقول لك هذه الكلمة، لكنه أحسن إليك لما نبهك لهذا العيد، مثلا يقول لك: انظر إلى أولادك كيف يصلون، يسرعون في الصلاة، وهو يريد أن يبين لك أنه لا تربيتك، ولا استقامتك، ولا طريقتك تسوى شيئا، وأنه ليس هذا هو الطريق، أو أنك ستعقدهم، يقول لك: هؤلاء أبناءك يا ملتزم انظر ماذا يفعلون في صلاتهم، هو في الحقيقة يريد أن يضرك، وفي الحقيقة ستنقلب هذه الكلمة إلى صالحك، لأنك ستعتني، فقد لفت نظرك أن صلاتهم هي المقياس وهم مهملون فيها فستعتني بها، تبين إذن كيف أن هذا مجرد أذى.

على كل حال، لا بد أن تعلم أن الله عز وجل جعل لك لعمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه كفايته سبحانه وتعالى للعبد المتوكل، أي: لا قيل أنك لو توكلت تأخذ كذا وكذا، لكن قيل: ستُكفى كل ما أهمك، فما بالك بعبد يسير على الأرض مكتفيا كل الهموم، بماذا؟ بما يريحه حقيقة، أنت الآن تُطالب بأن تريح نفسك، فهل بعد هذه المطالبة يكون منك إرهاق نفسك؟!.

إذن اعلم أن الحياة ابتلاء ينجح فيه المستعين بربه، المتوكل عليه، الذي يسأله سبحانه وتعالى أن يكفيه ما أهمه فييسر له أسباب الوصول إلى المراد، ويبارك له في هذه الأسباب وينفعه بها، ثم يعطيه ثمرتها حلوة هنية، ولذلك يقال لك: لا تتجه إلا لله " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ" ولا تخف من أحد " وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ"، إذن اشتغل بالله، اشتغل بالله، اشتغل بالله عن الناس يكفيك الله مؤونة الناس، واشتغل بالله عن نفسك يكفيك مؤونة نفسك.

ولذلك ورد في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه وحسنه الألباني رحمهم الله جميعا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " " مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ الْمَعَادِ كَفَاهُ اللَّهُ سَائِرَ هُمُومِهِ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْهُ الْهُمُومُ أَحْوَالَ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ".

ونوصيكم كما كان السلف يوصون بعضهم بعضا، من عمل لآخرته كفاه الله دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله كفاه الله الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، وكما تعلمون هو الكفيل، والوكيل، وهو الكافي لعباده الذين توكلوا عليه.

نحن اتفقنا سابقًا أنكم ستمرون على معنى هذين الاسمين [الكفيل، والوكيل] والحقيقة أن هذا من أكثر ما يريح العبد في دنياه، لأنه سيجد أن التوكل على الله وحده وتفويض الأمور عليه، سيجدها من النصوص فريضة من فرائض الله على عباده، يعني أن التوكل من الفرائض، لا بد أن تشعر بقيمة هذه الكلمة، **التوكل من الفرائض يجب إخلاصه لله، عبادة تتقرب بها إلى الله،** وهذه العبادة كما ذكر أهل العلم من أجمع أنواع العبادات وأهمها، لأنها من ورائها تأتي الأعمال الصالحة.

نحن لن نستطيع أن نتوقف عن الكلام عن مسألة التوكل، ولا زالت لتدخل لنا في كل باب نطرق في التوحيد، لكن أوصيكم بأن تُتقنوا آيات التوكل في كتاب الله، سياقاتها، وتفهمونها، وتعرفون معاني الأسماء التي تدور حول التوكل [الكافي، والحسيب، والوكيل] كل هذه تحتاج منك إتقان، لأنها في الحقيقة تحل كل المشاكل سواء كانت النفسية، أو البدنية.

ولذلك لما تقابل أناسا عندهم اضطرابات الفزع أو الاكتئاب، أو حتى الانفصام، فسترى أن كلامك عن التوكل على الله يهون عليهم ما أصابهم.

نبدأ بالنصوص

❖ الدليل الأول.

نبدأ أولًا بآية المائدة التي ابتدأ بها الشيخ تصنيف هذا الباب.

باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤٣٨].

سياق الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾.

لننظر للسياق، هذه الآية أتت في سياق خطاب بني إسرائيل، موسى عليه السلام يخاطب بني إسرائيل، يأمرهم ويقول لهم يا قومي ادخلوا الأرض المقدسة، والمقصود بها فلسطين، لماذا؟ ليخلصوها من الوثنيين، لأنها كانت في يد العمالقة كما يقال، وهؤلاء كانوا وثنيين، فموسى عليه السلام أمرهم بالجهاد من أجل التوحيد ومحاربة الشرك وتخليص الأماكن المقدسة من المشركين.

ثم وصف هذه الأرض فقال: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ﴾ وهذا يدل على أن الله كتب في كتابه أن الأراضي المقدسة للمؤمنين من الخلق، سواء كان في زمنهم لبني إسرائيل، أو من بعدهم لكل من كان مؤمنا.

[٤٣٨] المائدة:٢٣

لذلك نسأله سبحانه وتعالى أن يرد المسجد الأقصى لأهل الإيمان، وأن يحفظ على الحرمين أمنهما واستقرارهما وتوحيدهما، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ﴾ يعني الأرض المقدسة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٤٣٩]، فالولاية على الأماكن المقدسة إلا لأهل الإيمان.

ثم قال لهم: ﴿وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ يعني تتركون محاربة أهل الشرك، وهذا أمر عظيم؛

- يا ترتدوا يا أهل التوحيد عن محاربة أهل الشرك، لا ترتدوا عن جهادهم، سواء كان هذا الجهاد باللسان.

– فنسأله سبحانه وتعالى أن لا تسكت ألسنتنا عن محاربة أهل الشرك، وأن يبقي أنفاسنا حارة نجاهد في سبيله، ننشر التوحيد ونحارب أهل الشرك –

- والنوع الآخر من الجهاد معروف وهو جهاد السيف.

ماذا يحصل لو ارتددتم على أدباركم؟ قال: ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾.

ماذا قال اليهود؟ وانظري إلى الرد البارد، جبناء، هو خرج ببني إسرائيل من أجل أن يخرجوا هؤلاء العمالقة، فهم قالوا: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾

إذا خرجوا منها ما الفائدة من إتيانكم؟؟!!.

هذا نوع من السخرية، فهم لو خرجوا منها لانتهى الأمر، وعندئذ ماذا يراد منكم؟ إن الله ابتلاكم بتمكينهم من الأرض المقدسة من أجل أنكم أنتم يا أهل التوحيد تحاربون أهل الشرك فتخرجونهم من هذه الأرض، وهم ليسوا بخارجين إلا بجهاد وقوة واستشهاد في سبيله.

﴿قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ رد رجلان من الذين يخافون الله سبحانه وتعالى ﴿أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا﴾، هم يخافون الله، والله عز وجل أنعم عليهم بالإيمان والعزيمة والقوة.

فقالوا لهم: ﴿ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ يعني اعزموا واهجموا عليهم ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ لابد، يعني إذا حصل منكم هجوما صحيحا سيقع في قلوبهم الرعب.

وأشاروا إليهم ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني إذا هاجمتهم واقتحمتم وخاطرتم بأنفسكم، هذا لا يكفي طبعا بل ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فأصلا قوتكم، واقتحامكم، وهجومكم، ومخاطرتكم هذه لن تكون منكم، إنما ستكون من قوة توكلكم على الله، ومن عطاء الله عز وجل لكم، إذن اهجموا وأنتم لستم معتمدين على قواكم، فانظروا إلى جبنكم، ولكن معتمدين على قوة الله.

و هنا محل الشاهد، ونحن اتفقنا سابقا أن ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أصل الكلام "توكلوا على الله" فلما قُدِّم ما حقه التأخير، أي الجار والمجرور على لفظ الجلالة "الله"، على أداة جر، ولفظ الجلالة مجرور، وأخر العامل أي الذي جرهم وهو "توكلوا" هذا سيفيد الحصر.

يعني أن الآية معناها : "توكلوا على الله ولا تتوكلوا على غيره"

---

[٤٣٩] الأنبياء:١٠٥

وهذا يدلك على الأمر بالتوحيد في التوكل، وهذا معناه أن العباد فريضة عليهم التوكل على الله، من الفرائض، فلا يصح الإيمان إلا بالتوكل، أي أن التوكل هو شرط الإيمان، إن كنتم مؤمنين أفردوا الله بالتوكل.

أي تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر: "إن كنتم مؤمنين" هذا شرط، "إن كنتم مؤمنين" ماذا تفعلون؟ "توكلوا على الله".

فأصبح في الآية دليلين على وجوب إفراد الله بالتوكل، نعم، لا بد من إفراد الله بالتوكل، من هذا الذي من أهل الدنيا مهما بلغ شأنه يستطيع أن يكفيني كل ما أهمني، ومن هذا القريب المجيب المالك العظيم الذي لا ينقص ملكه إن أعطاني منه؟ من هذا في أهل الدنيا؟ صفه لي؟ من هذا من أهل الدنيا الذي إذا سألته لا يمل من سؤالي؟!، كل أهل الدنيا يملون، كل أهل الدنيا يبخلون، كل أهل الدنيا يخافون، كل أهل الدنيا عندهم من الهموم ما يكفيهم، فكل العباد همومهم إذا صح منهم التوكل انطرحت عنهم، لأن الذي يدبر ويعطي وينشئ ويلطف بعباده ويخرجهم من مواطن الهلاك بألطف ما يكون هو الله سبحانه وتعالى، فإيمانك باسم الصمد يجعلك تفرده سبحانه وتعالى بالتوحيد.

هذه أول آية في السياق وهي التي ابتدأ بها المؤلف.

❖ الدليل الثاني.

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٤٤٠].

آية سورة الأنفال أتت في مقدمة السورة، في أول الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

ثم أخبر سبحانه وتعالى بعدما قال ﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني إن كنتم مؤمنين أطيعوا الله ورسوله، إذن طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم إشارة إلى الإيمان.

❖ ثم حصر المؤمنون ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ﴾ ماذا يحصل؟ ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني إذا خُوِّفوا بالله خافوا، وإذا ذُكِّروا بالله تذكروا، وإذا قيل لهم اتقوا الله أشفقوا من عذابه، إذا وُعظوا وذُكِّروا تذكروا.

بخلاف المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[٤٤١]، فاحذر من هذا الوصف، احذر أن تُذكر بالله فتحتج، ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾ يعني أنه يتحرك في داخله بركان الغضب فيخرج على لسانه أعذارا لفعله، وأنه يتقي الله، ويتقي الله أكثر منك، وما فعل هذا الفعل إلا وعنده عذر، ويقول لك: أنا أعرف الله أكثر منك، ومن هذا الكلام هذه آثار ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾.

---

[٤٤٠] الأنفال:٢

[٤٤١] البقرة:٢٠٦

- وأيضا الله عز وجل وصفهم: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾[٤٤٢]، يعني تذكرهم بالله فلا يذكرون الله، فترى قلوبهم لاهية عنه سبحانه وتعالى، .. تنفع من؟ تنفع المؤمنين، ولذلك ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤٤٣].

فلذلك الله عز وجل قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إذا ذُكِّروا به سبحانه وتعالى وخُوِّفوا به تراهم يخافون، هذه علامة الإيمان، أما علامة النفاق عكسها تماما، إذا ذُكِّر بالله زاد عتوا ونفورا وطغيانا، تأخذه العزة بالإثم.

- وأيضا من أوصافهم ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ يعني إذا تليت عليهم آياته القرآنية ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ يعني أنهم ينتفعون بالقرآن.

مثلا: لو أتيت أحدا خائفا من شخص أن يضره أو يكيد له، وأنت أتيت لتنصحه فقلت له: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾[٤٤٤] فتجده يقع في قلبه الطمأنينة، يقول: أنا علي أن أصبر وأتقي ومن المؤكد أن كيد هذا لا يضرني، فهذا معنى أنهم إذا تليت عليهم آياتهم زادتهم إيمانا، أي أنهم ينتفعون من الآيات في حياتهم.

مثلا: لو خوفته وقلت له: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[٤٤٥]، فماذا يقع في قلبه؟ يبحث عن الصدق في قلبه، وهل هو حقيقة صادق أم أنه كاذب؟ فيتذكر، فلما تقول له: كن صادقا ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ ، فيحذر، هذه زيادة الإيمان.

أيضا مثلا تقول له أن الملائكة تستغفر لك، ففي سورة غافر يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[٤٤٦]، هذا يزيدك إيمانا بالملائكة وبعلاقتك بهم، فلما تقول لهذا أن الله عز وجل أحاط بكل شيء وتأتي إلى آية إبراهيم قال الله عز وجل فيها: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فِيَ الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾[٤٤٧] فيزداد إيمانا.

وإذا سمع مثلا آية النساء : ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾[٤٤٨] يخاف أن يبيت في نفسه قولا لا يرضاه الله، هذا معنى أنه زادته إيمانا، في كل موطن تجد أن الآية توصل إليه مفهوما يتعامل معه في الحياة إلى أن تتكون نفسية سوية.

---

[٤٤٢] الصافات:١٣

[٤٤٣] الذاريات:٥٥

[٤٤٤] البقرة:١٢٠

[٤٤٥] البقرة:٢٣٥

[٤٤٦] غافر:٧

[٤٤٧] إبراهيم:٣٨

[٤٤٨] النساء:١٠٨

لذلك مثلا لما يقول لقمان عليه السلام لابنه : ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[٤٤٩]، فماذا تفهم؟ تفهم أن الله عز وجل على كل شيء قدير، وأنه علمه لطف سبحانه وتعالى ودق، فهذا يجعلك تثق في أن هذا لو كان رزقك أتاك من حيث لا تحتسب، لو كان رزقك سيأتيك من حيث لا تحتسب.

هل اتضح الآن معنى ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾؟ يعني أنها ستخرج من هذا المؤمن اعتقادات وأعمال ومخاوف صحيحة في مكانها.

لذلك انظر للمنافقين، إذا تلي عليهم القرآن لا يستفيدون منه شيئا ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٤٥٠]

لذلك هذا معنى الآية التي في سورة الحديد : ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[٤٥١]، تنزل عليكم الآية، فبدلا من أن تنتفعوا بها يسأل بعضكم بعضا، ما استفدتم؟ ماذا وقع في قلوبكم؟ وهذا ليس إلا من قسوة القلوب وليس لأن الآية لا تنفع.

المهم: انظر إلى هذه الصفات التي تُجمِل صفات المؤمن، طاعته لله في الآية السابقة، وإذا ذُكِّر به وقع في قلبه الخوف منه سبحانه وتعالى، عنده ما يزيد إيمانه، عنده كتاب الله الذي يزيد إيمانه.

وهذا جواب لسؤال دائما يتكرر، وقد يكون تكرر معنا ونحن نشرح آية سورة إبراهيم في المثل ونحن ندرس التفسير: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[٤٥٢]، مثل الكلمة الطيبة أصلها الثابت ما الذي يثبته ويزيده ثباتا؟ هذه الأوصاف تزيد هذه النبتة ثباتا في القلب، تزيد جذورها ثباتا.

لذلك ابحث دائما عن ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في كتاب الله، هذه الكلمة مهمة عندك، فلما تجدها في كتاب الله ابحث، هؤلاء المؤمنون ما وصفهم، وعندما تأتي أداة حصر ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني أن من المؤكد أن هذه الصفات من الصفات الأصلية في المؤمنين.

نأتي الآن إلى موطن الشاهد: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وهذا هو محل الشاهد، والمقصود أن من إيمانهم بالله عز وجل، وحسن ظنهم به الذي أتى من طاعته.

كيف أتى حسن الظن؟ أولا في الآية الأولى : ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾، إذن الأمر بطاعة الله وبطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم تكون النتيجة منه أن ترى آثار الطاعة، فنحن في أحيان كثيرة نعصي ونقول أن هذه المعصية لا نرى أثرها.

مثلا: لما يقول لنا الرسول صلى الله عليه وسلم : " الْحَمْوُ الْمَوْتُ " ثم يأتي أحد يخالف هذا الحديث ويقول: لا، الحمو أي أخو الزوج تراه صغيرا، أي ترى نفسها دخلت البيت وهو صغير، يفكون عندها مشاعر أنه لا ينطبق عليه الحديث، أو تقول: أنا أدخلته

---

[٤٤٩] لقمان:١٦

[٤٥٠] التوبة:١٢٤،١٢٥

[٤٥١] الحديد:١٤

[٤٥٢] إبراهيم:٢٤

وأخرجته وهو شاب مراهق، ومن المؤكد أنه يخاف من أخيه، وأن تربيته كذا، إلى آخر الأعذار، ثم لا تجدها إلا وقد أصيبت مصابا عظيما في دينها وهي لا تشعر، فليس شرطا أن يتعدى الحمو، ليس شرطا، لكن يكفي أنها عصت الله وعصت أوامره، فتجد من نقص الدين ما تجد، ثم لا بد بعد زمن أن تأتي آثار هذه المعصية العينية، ولابد أن تسمع كلاما عن هذا الحمو أنه كان يرى ويسمع ويتأمل ويفعل ويفعل، لا أريد أن أدخل في التفاصيل، لكن المعنى أنه لا يمكن أن تخالف الشريعة ولا تأتي آثار المخالفة.

المقصد كلما أطعت زاد قلبك إيمانا لما تراه من آثار الطاعة، والله عز وجل برحمته ومنته يعطي من أطاعه نورا يزيده ثباتا على طاعته. ثم هذا المؤمن كما اتفقنا إذا ذُكِّر ذكر، وإذا تليت عليه الآيات زاد إيمانا، فسيرى من آثار إيمانه ما يرى فيزيده هذا كله حسن ظن بربه سبحانه وتعالى، فإذا أحسن الظن بالله لابد أن يكون آثار حسن الظن قوة التوكل على الله.

إذن هذه العبادات الخمس هي أعظم مقامات أهل الإيمان، وكل أمور الدين والعبادات والفروع العملية التي يعملها العبد إنما هي فرع عن تحقيق هذه الخمس.

ما هي هذه العبادات الخمس؟

- اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم.
- طاعة الله وطاعة رسوله.
- إذا ذكر الله وجلت قلوبهم.
- إذا تليت عليهم الآيات زادتهم إيمانا.
- التوكل.

ومن الممكن أن نقرأها من بعد ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني بعد الحصر، بعد الحصر كيف نقرأها ؟

- الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم.
- وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا.
- وعلى ربهم يتوكلون.
- الذين يقيمون الصلاة.
- ومما رزقناهم ينفقون.

وهذه الأولى أن نقرأها كذلك.

﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ فهذه الخاتمة ستكون لهذه الخمسة هي الأصل.

إذن ما هي الأوصاف الخمس؟

- الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم.
- وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا.
- وعلى ربهم يتوكلون.
- الذين يقيمون الصلاة.

▪ ومما رزقناهم ينفقون.

وكل هذا فرع عن اتقوا الله، أطيعوا الله.

فما معنى أن تتقي الله؟ وما معنى أن تطيع الله؟هذا هو وصفك.

إذن هذا هو وجه الدلالة، وجه الدلالة من الآية أن وصف المؤمنين بهذه الصفات الخمسة التي من بينها ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، دلالة على أن من فقد هذه الصفة التي هي ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وبالذات المقصود التوحيد فيها، لأن فيها تقديم وتأخير، فمعنى ذلك أنه نَقَصَ من صفات الإيمان.

انتهينا من الموطن الأول في سورة الأنفال، هناك موطن آخر في سورة الأنفال، الآن نرى الموطن الثاني من سورة الأنفال والثالث في المتن.

➢ الدليل الثالث.

وقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤٥٣].

هذا الموطن نراه من أول السياق، خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن يريد أن يخادعه

يقول الله عز وجل : ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

ثم الشاهد : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

هذا خطاب من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم، ناداه بصفته الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، والله تعالى لم ينادي النبي صلى الله عليه وسلم باسمه أبدا في القرآن، إنما [يا أيها النبي، يا أيها الرسول] فيناديه بهذه الأسماء تكريمًا له صلى الله عليه وسلم وتشريفا.

لكن ورد الخبر باسمه ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ يعني أن الإخبار يأتي باسمه صلى الله عليه وسلم، لكن النداء لا يأتي إلا بصيغة النبي والرسول.

الآن لما نودي النبي صلى الله عليه وسلم، ما الخبر؟ أُخبر بأن الله سبحانه وتعالى حسبه، يعني كافيه، فالحسب هو الكافي، فهو كافيه وهو سبحانه وتعالى حسب من اتبعك من المؤمنين.

وهنا يمكن أن يحصل استشهاد من أهل الباطل بهذه الآية، فيظنون أن معناها: "يا أيها النبي حسبك يعني كافيك الله ويكفيك أيضًا من اتبعك من المؤمنين".

سنقول أن الواو هنا عاطفة على ضمير المخاطب المضاف إليه، يعني ﴿حَسْبُكَ﴾، كأننا نقول : حسبك وحسب من اتبعك، يعني: يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين.

فحذف المضاف في الكلمة الثانية اعتمادا على ما جاء في الأولى، هذا من الاختصار والإيجاز، وهذا هو الصواب الذي رجحه المفسرون، فليس ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ معطوفة على الله، لو كانت معطوفة على الله كان لابد أن تكون مرفوعة، لكنها معطوفة على الضمير في ﴿حَسْبُكَ﴾ يعني الكاف.

---

[٤٥٣] الأنفال:٦٤

ف﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ معطوف على ضمير المخاطب، معطوفة عليه "يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين"، لأن أهل الباطل استشهدوا بهذه الآية وقالوا أن معناه هو أنه يجوز الجمع في الكفاية، فنقول: "يكفيني الله والمؤمنين"، "يكفيني الله وفلان"، "أتوكل على الله وعلى فلان"، **فأهل التوحيد يمنعون العطف بين الله وبين خلقه في العبادات القلبية**، وأهل الباطل يستشهدون بهذه الآية على أنه يجوز العطف بالواو.

نعيد مرة أخرى قول المخالفين والرد على الإشكال:

الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ﴾ حسبك من؟ ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

فهمها أهل الباطل، أن حسب النبي، وكافي النبي – الله والمؤمنين–، هكذا فهموها بواو العطف.

أين الإشكال؟ نحن نقول باعتقادنا أن التوكل حق لله يجب التوحيد فيه؛ فهم يقولون هنا: الله أخبر الرسول أن الله والمؤمنين كافين النبي.

فمعنى ذلك يجوز التوكل على غير الله، هذا معنى ما اعتقدوه وهذا باطل طبعا، باطل بالإعراب، انظر إلى الإعراب وسيتبين لك.

⇦ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ﴾ الكاف ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم.

⇦ حسبك مَن؟ ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾.

⇦ ثم العطف، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ معطوفة على ماذا؟ معطوفة على الضمير في حسبك – الكاف– أي: يا أيها النبي حسبك وحسب من اتبعك بدليل أنها منصوبة، الواو عاطفة، لكن تعطف ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ على من؟ ﴿وَمَنِ﴾ في محل جر عطف على ضمير المخاطب المضاف إليه في قوله ﴿حَسْبُكَ﴾ الضمير هو "الكاف".

إذا لم يتبين لكم راجعوا معلماتكم في اللغة إن شاء الله يزيدون لكم الأمر بيانا.

المقصد هو أن تفهم أن الله عز وجل هو حسب لمن توكل عليه، لذلك نقول أن التوكل على الله من العبادات العظيمة التي تُطلب من المؤمن.

كأنه سيأتي سؤالا يقول: من أين آتي بعبادة التوكل؟ نحن تكلمنا كلام كثير اللقاء الماضي في هذا الأمر، لكن أختصر لك الأمر في ثلاثة أمور:

- الأمر الأول: تأمل في آثار رحمة الله عليك، في آثار لطفه، وانظر إلى ما مضى من عمرك سترى عجبا.
- الأمر الثاني: اقرأ في معاني أسماء الله عز وجل وصفاته عسى الله أن يجعل لك بصيرة ترى بها الحق، وإذا مكنك الله ستقرأ عظيم ألطافه في أقداره.
- الأمر الثالث: تأمل آثار الربوبية في ملكوت الله، وانظر إلى حسن تدبيره سبحانه وتعالى في كل شيء، فسترى ما يزيد حسن ظنك به، وسترى أن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

هذه ثلاثة أمور يقوى بها التوكل في قلبك، وهذا باختصار، فكل واحدة منهن تحتاج إلى زمن في تنفيذها وعمق في فهمها – أسأل الله عز وجل أن يبصرنا بما يزيدنا إيمانا–.

وصلنا إلى نهاية الأدلة، وطبعا هذه الأدلة التي ذكرها الشيخ ليست من باب الإفراد، أي ليست هي الأدلة الوحيدة على مسألة التوكل، إنما هناك من الأدلة أكثر من ذلك.

❖ الدليل الرابع.

وقوله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[٤٥٤].

آية الطلاق وردت في سياق الكلام عن الحياة الزوجية، وعن هذه المسائل التي فيها كثير من الملابسات التي يصعب تمييزها، فذكر سبحانه وتعالى الطلاق وهو حالة من الضيق تمر بها الأسرة، حالة من سوء الظن في الحياة، وسوء الظن في المصير، فالمرأة والرجل في هذه الحالة، حالة خسارة البيت، لا يتصور أبدا أن يكون عندهم استقرار نفسي أبدا.

فالطلاق من أقوى الأشياء التي تهد نفسية المرأة والرجل أيضا، وقد يحتمل الإنسان هموما كثيرة، وقد يكون متعصبا لرأيه ولا يتقي الله، ووقت اقتسام الحقوق يكون أيضا متعديا، المهم يعظ الله عز وجل من كان مؤمنا؛

ويقال له: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

ويقال له: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

فهذا كله طمأنة، طمأنة لمن دخل هذه الأزمة أن يبقى محسن الظن بالله، يبقى يعامل الله، يبقى يعطي هذا الشخص حقوقه حتى لو ظلمه، اعطه حقوقه وحسابه على الله، وبهذا يوعظ كل أحد خصوصا في الحياة الزوجية التظالم موجود، فأنت توسل إلى الله أن ينجيك من وصف الظلم، وإذا كان الطرف الآخر ظالما أنت اتق الله يجعل لك مخرجا، أنت توكل على الله فهو حسبك، ومن المفروض كما ذكرنا أن هذا من ثمرات التوكل عليه، أن الله يكفي من توكل عليه، ومن كان الله كافيه لابد أن يربح في الدنيا والآخرة، ولا بد ألا يخاف من غير الله، ولا بد أن يثق أن الفرج قريب، ولابد أن الله مجيب، ولابد أن الله سيعامله بلطفه.

لذلك انظر إلى هذه العبادة العظيمة التي تتعبد الله بها، عبادة انتظار الفرج.

يقول ابن القيم: فإن انتظاره — أي انتظار الفرج – ومطالعته وترقبه يخفف حمل المشقة

لكن متى تنتظر الفرج؟ لما تتوكل على الله وتتيقن أنه حسبك، ذاك الوقت سيكون انتظار الفرج يخفف حمل المشقة، ولاسيما عند قوة الرجاء، أو القطع بالفرج، فإنه يجد في حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته ما هو خفي الألطاف، وما هو فرج معجل، وبه وبغيره يُفهم اسم اللطيف، فإذا توكلت عليه عاملك بلطفه سبحانه وتعالى.

ولذلك نقول هذه العبادة مع الأمر بها، ومع الإلزام أن تكون لله وحده، هذا كله يقابله جهة أخرى أن هذا مما يريح العبد، هذا مما يحسن حالته النفسية، هذا مما يصلح قلبه ووجدانه، فسبحان من شرع للعباد ما يصلح حياتهم، لكنهم أعرضوا عن ربهم، ووثقوا بأنفسهم، وتركوا أوامر الله وراءهم، فيا حسرة على العباد، يا حسـرة حقيقة!، لأنهم أورثوا أنفسهم أمراضا كثيرة بسبب توكلهم على نفوسهم، ثم إذا أرادوا أن يهربوا من تبعة ضعف إيمانهم تكلموا عن أنهم مصابين بسحر ومس وعين يمنعهم من التوكل، وافهموا كلامي جيدا، كثير ممن يكسل عن التوكل والثقة بالله يصور لنفسه أن شيئا من الخارج يحكمه، عين، حسد، سحر، فيتوهم ذاك الوهم العظيم، وهو في الحقيقة مريض بالخوف من غير الله.

---

[٤٥٤] الطلاق:٣

ولذلك تعرفوا على هذه الاضطرابات التي تسمى باضطرابات الفزع، تعرفوا عليها لتفهموا أن كثيرا من هذه الحالات التي تراها بعينك وأهلها ليسوا بكذابين، من أطراف ترتجف، وقلب يخفق، وآلام في المعدة، ثم يساند هذا طبعا ولابد الرؤى، لابد أن يساند هذا الرؤى، ويكون هو في الحقيقة مبتلى بالفزع، ومن المفروض أن يعالج هذا في قلبه – الفـزع–.

فابذل جهودك إذا رأيت نفسك مبتلى بهذا أن تعرف حقيقة حالك، ولا تتكل أنك مؤمن قوي الإيمان ولا يمكن أن تصاب بمثل هذا، وأن هذا من فعل غيرك، لا تدخل هذه الدوامة التي تكاد تكون مهلكة لك قاضية على قواك.

﴿ الدليل الخامس.

نأتي إلى كلام ابن عباس.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٤٥٥]. رواه البخاري والنسائي.

" حسبنا الله ونعم الوكيل " هذه كلمة من أعظم الكلمات قالها الخليلان في أضيق الأحوال وأحرج المواقف، وأنت الآن انظر إلى حالهم، لما تأزمت أمورهم غاية التأزيم ما توكلوا إلا على الله، ولا لجؤوا لغيره وهم محسنون الظن به دائما وأبدا، فأين أنت من حسن الظن؟!.

قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقصة إلقاؤه في النار معروفة، الله عز وجل بعثه في قوم وثنيين في أرض بابل، يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل، ينحتون الأصنام على صور الكواكب التي في السماء، والمصيبة العظيمة أن أباه هو الذي كان يصنع الأصنام ويبيعها على الناس ويأكل من ثمنها، فبعث الله إبراهيم عليه السلام في هذه الأمة الوثنية يعلمهم التوحيد، ثم لما رأت منه ما رأت من تسفيه حال قومه ألقوه في النار.

وقصة إلقائه في النار معروفة بعد تكسيره لأصنامهم، ثم لما ألقي في النار وهو في الهواء أتاه جبريل، – قال له: هل لك حاجة؟ – فانظر إلى تمام التوحيد – قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فحسبي الله ونعم الوكيل– .

وانظر كيف نتشبث نحن بأي خيط أمل يمر علينا بعيد عن الله، وهذه مسألة تحتاج منا إلى نقاش واضح في معرفة أن الله يختبرك أثناء البلاء بخيوط أمل تبعد قلبك عنه، فإذا أتتك خيوط الأمل التي تبعد قلبك عنه، وأنت محتار الآن، هل هذا هو الفرج من الله؟ أم أن هذه هي خيوط الأمل التي تعلقك بغير الله؟!.

فانطرح بين يديه، واسأله أن يرشدك، يـا رب هل ما أرسلته إلي هو الفرج؟ فإذا كان الفرج سددني لأن أتصرف كما تحب وترضى معه، وإن كان هذا اختبارا فقوني ألا أتوكل إلا عليك.

و هذا الجزء من القصة يحتاج منا إلى تفكير عميق في حياتنا؛ "أما إليك فلا"، في أحيان نحن طلب ونستغيث، ثم تمر في شاشاتنا خيوط من الآمال، فلان اتصل، فلان قابلته دون مناسبة، فتقول: من المؤكد أنني ما قابلته دون مناسبة وهو يعرف فلانا وفلانا إلا لأن هذا هو الفرج.

[٤٥٥] آل عمران:١٧٣

نقول: لا تفكر بهذه الطريقة، كيف سنفكر؟ ستتعقد المسألة علينا ! بمجرد أن تراه استغث بالله، استغث، قل: يا رب إن كان هذا سبب الفرج ساعدني على ألا أتعلق به، لأن الله يعلم ما في قلبك، ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[٤٥٦] يعلم ما في قلبك أنك بمجرد أن تجد خيط الفرج تتوكل عليه، فرد قلبك عن أن تتوكل عليه.

وانظر إلى إبراهيم عليه السلام في أحلك المواقف قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فحسبي الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، هذا من الثمرات العجيبة، فانقلبت النار ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٤٥٧].

ومثله ما حصل في غزوة بدر للنبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية من الهجرة، انتصر المسلمون فيها وقتل صناديد الكفار ورؤساءهم ثم اجتمع الكفار على قتال المسلمين وهذا حصل في أحد، أتوا وحاربوا المسلمين في أحد كما هو معروف، ثم حصلت الهزيمة للمسلمين بالأسباب المعروفة وهي مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم.

المهم لما بلغوا المدينة جاءهم مندوب من أبي سفيان بأنه سيعيد الكرة عليهم ويرجع عليهم ويستأصل بقيتهم، فما زادهم ذلك إلا إيمانا، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا معه إلى أحد أن يخرجوا ولا يخرج معهم غيرهم، فخرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم بجراحهم وهم مثخنون بالجارح، ونزلوا في مكان يقال له – حمراء الأسد – قريب من المدينة ينتظرون الكفار، فلما بلغ أبا سفيان ومن معه أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج في إثرهم وطلبهم أصابهم الرعب، قالوا: ما خرجوا إلا وفيهم قوة، فمضوا إلى مكة خائفين من الرسول صلى الله عليه وسلم، ورجع المسلمون إلى المدينة.

فالناس قالوا لهم : اخشوهم، فزادهم إيمانا ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[٤٥٨] .

أسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن أحسن التوكل عليه، فما تمر على العبد من أزمات إلا وهو في داخل الاختبار يبغض الشيطان له التوكل فيهون له الأمر ويقول له : لا، الأمر لا يحتاج إلى توكل، أمرك يسير، أو ييئسه من روح الله، فيقول له: حتى لو توكلت لن يأتيك، ألم تدع ولم يجاب لك؟ فكل هذا من ألاعيب الشيطان، إشعار العبد أن أمره لا يحتاج إلى توكل، وأن أسباب الأمر بين يديه، وفلان موافق، وفلان مواقف فمن المؤكد أن يصلني مرادي، فينقطع من القلب التوكل، أو تأتي صورة أخرى وهي أن يأتي الشيطان إلى العبد فييئسه من روح الله.

فأنت تيقن بالله، " حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى ، سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ دَعَا ، لَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ مَرْمَى"

نسأله سبحانه وتعالى أن يزيد يقيننا، وأن نكون ممن اتصف بصفات الإيمان التي يحبها سبحانه وتعالى ويرضاها.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[٤٥٦] البقرة:١٣٥

[٤٥٧] الأنبياء:٦٩

[٤٥٨] البقرة:١٧٤،١٧٣

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما نتعلمه، نسأل الله عز وجل أن ييسر لنا الوصول إلى مرادنا، وأن نكون ممن نفهم التوحيد، وأن نكون من أهله سبحانه وتعالى وخاصته، اللهم آمين.

مر معنا في اللقاء الماضي الكلام عن باب من أهم الأبواب التي يحتاج طلب العلم إلى تكرارها على نفسه أولا، ثم تكرارها على الناس المحيطين به، وهو نافع في علاج كثير من الأمراض النفسية، فأنت تجد الناس إما آمنا من مكر الله، وإما قانطا من رحمة الله، وتجد النعم التي ينعم الله بها على عباده سبب لكثير من الناس للأمن من مكر الله، وكل من عاش النعم يُخشى عليه الأمن من مكر الله، فإذا اجتمع للعبد نعمة مع غفلة فلا تأمن عليه الهلكة من باب الأمن من مكر الله.

ولقد مر معنا في نهاية اللقاء الماضي أن الأمن من مكر الله له سببان مهلكان:

- السبب الأول: إعراض العبد وغفلته عن معرفة ربه وما له من حقوق.

وهذا يكون في الغالب مع وجود النعمة، فتراه متهاونا، معرضا، غافلا، مقصرا عن الواجبات، ويقابل ذلك الانهماك في المحرمات، والجري وراء الدنيا حتى ..... خوف الله من قلبه، وطبعا الأساس هو ضعف الإيمان، وكلما زاد الإعراض عن الدين ضعف الإيمان، فلا تجد في القلب خوفا من الله، ولا خوف من عقابه الدنيوي ولا الأخروي.

فهذا السبب لو نظرت إليه تجده موجودا في غالب الناس الذين أخذتهم الدنيا، فهم مقصرون في طاعة الله، ولا يقع في قلوبهم شعور بالخوف من التقصير في طاعته.

- السبب الثاني: هذا يكون عند المطيعين، أي أن مع الطاعة هناك جهل، ماقدروا الله حق قدره، فيكون العبد عابدا لكنه جاهل بربه، فعجب بنفسه ويُغر بعمله، فيرى أن له عند الله مقامات عالية، فيصير آمنا من مكر اله متكلا على نفسه وعلى طاعته، ومن هنا يُخذل ويُحال بينه وبين التوفيق، **فالآمن من مكر الله إما معرض عن طاعة الله جاهل به، أو عابد لله جاهل به.**

إذن الآمن من مكره أحد رجلين:

- معرض عن طاعة الله جاهل به.

المعرض عن طاعة الله مشكلته أن تهاونه في الطاعة، وغفلته، وتقصيره عن الواجبات وانهماكه في المحرمات سبب له اضمحلال واختفاء الخوف من الله، وهو جاهل بربه، فاجتمع عليه أمران: الجهل سبب كاف لنقص الخوف من الله، والمعاصي تُفقد الإنسان ما معه من إيمان، فيصبح بلا إيمان، هذا النوع الأول من الناس المعرضين للأمن من مكر الله.

- عابد لله، جاهل بربه.

عبد طائع، لكن لا تنس أنه جاهل بربه، فإذا كان جاهلا بربه، فهذا الجهل مع العبادة تجعله معجبا بنفسه مغرورا بعمله، فلا يزال به جهله حتى يصل إلى أن يمنّ على الله بعمله.

اتضح لنا السببان المهلكان اللذان يوصلان العبد إلى الأمن من مكر الله.

لو طابقنا هذين السببين بالواقع نجد أن هذا واقع الناس، أي أنه يلتقي الطائع مع العاصي في نقطة الجهل، فهذا هو العامل المشترك بينهما، الجهل بالله.

هذا عابد، وهذا عاص، وكلاهما جاهل بربه، فبعد مشوار طويل في الحياة وهذا يعبد وهذا يعصي يلتقيان مرة أخرى، في الأمن من مكر الله.

فلما تفسر الأحداث التي تحصل لنا، وترى ردود أفعال الناس طائعهم وعاصيهم، تفهم أن كلاهما ينطلق من قاعدة واحدة، وهي قاعدة الجهل بالله، حتى أن القوم رهناء الأسباب لا يكلمونك إلا عن الأسباب، فاليوم في تفسير الوقائع التي نعيشها انطلق الناس يمنة ويسرة يؤولون ويفسرون ويتكلمون عن أخطاء الناس الذين شاركوا كما يقولون في الحدث، وكانوا سببا في الخسائر التي وقعت في هذا السيل العظيم، ونحن نؤمن بالله، ونقسم به، فتالله ووالله أن هذا الذي أصابنا يقينا ما هو إلا بأمر الله، والمحفوظ من حفظه الله، ثم أننا لا ننكر أبدا أن هناك أسباب، لكن من يعرف الحقيقة يعلم أن الله لو أراد إبعاد هذه الأسباب وتصريفها لكانت صُرِفت، ومن سمع لأهل الأحوال الجوية والأرض من المؤكد أن يكون سمع أن السنة الماضية في نفس هذا التوقيت أو قبله قليلا أتت أربع دوامات بحرية على شاطئ البحر الأحمر من جهة جدة، وابتدأت من منطقة الميناء، أي من جنوب جدة، إلى منطقة أبحر، أي شمال جدة، وقطعت هذه الدوامات هذه المنطقة بسرعة أكثر من مائة وثمانين كيلومتر، فتصور سيارة تسير بسرعة مائة وثمانين كيلومتر أي أنها تمر إلى جانبك فلا تراها، أربع دوامات مرت على الشاطئ ثم أخفاها الله وصرفها، والذي يعرف هذه الأمور يستعجب من حفظ الله، فنحن نؤمن أن الله عز وجل هو الذي حفظنا من الأولى، وحفظنا من التي قبلها.

فإن كنتم تذكرون أحداث العبارة التي خرجت من شاطئ المملكة على البحر الأحمر متجهة إلى مصر، ووقتها أتى الرياح الشديدة، والأحداث الكثيرة التي حصلت ثم غرقت هذه العبارة، ونجى الله عز وجل من نجاهم منها، وغرق من غرق، نسأل الله عز وجل أن يرحمهم أجمعين، كل هذه الأحداث كنا ولا زلنا نتأمل فيها ونقول أنه سبحانه وتعالى لو أراد حفظ عبد حفظه، ومن كتب عليه الموت وقع، فأول ما تقع المصيبة لا تتخبط كالجاهل، أول ما تقع المصيبة وجب عليك أن تؤمن بأن الذي قدر هذا هو الله، ومن ثم وجب عليك الإيمان بقضائه وقدره، ومن ثم الصبر على أقداره سبحانه وتعالى مهما كان سبب هذه المصيبة، وإذا كانوا سينسبون الأسباب إلى أمر في الجو، أو أمر في الأرض، فنحن نقول أن السبب الحقيقي أن الله يرسل هذه الآيات تخويفا، وهذا ليس معناه أبدا أن من هلك في هذه الآية عاصٍ، ونحن نعلم كثيرين من الصائمين القائمين حبسوا في المساجد وهلك بعضهم، لكننا نحتسبهم على الله شهداء، نسأل الله أن يقبلهم ويقبلنا، فانظر إلى المسألة مجردة عن الأشخاص.

وهذه النُّذر تأتي في كل مكان، فيقبض الله عز وجل كل على حاله، فيقبض صاحب الطاعة على الطاعة راضيا عنه، ويقبض خلافه على حاله، فجرد المسألة من الأشخاص وانظر لها على وجه العموم، هذه نُذُر ابتلانا الله بها، لا تضيع النذار بالكلام حول الأسباب التي تتصل بالدنيا، لكنك لو كنت صاحب قرار، أو ممن كُلِّفت برعية شؤون المسلمين ذاك الوقت يُقال لك انظر في الأسباب، انظر في الأسباب وناقشها من أجل أن تكون سببا في حماية المسلمين، وفي أخذ حقوقهم، فنحن نعلم أن الله ابتلى الناس بمثل هذا، ونعلم أنه سبحانه وتعالى لما يبتلي الناس يفتح أبوابا للقربة منه، فإذا ابتلي قوم بالجوع أو بالعطش فتح الله عز وجل بابا لأصحاب المال وأربابه لمواساتهم فكان باب أجر، وفتح لأولياء الأمر بابا لمساعدتهم وتنظيم أحوالهم فكان باب أجر، فالحكم

عظيمة في البلاءات، لكن لما أكون عبدا بعيدا عن اتخاذ قرار، أو تحليل الأحوال من أجل إصلاحها كيف يجب علي أن استقبل الأمر؟ كلنا سواء كنا أصحاب قرار أو غيره علينا الإيمان بالقضاء والقدر، ومن إيماننا بالقضاء والقدر.

ومن إيماننا بكمال صفاته سبحانه وتعالى الصبر على أقدار الله، لابد من الصبر على أقدار الله، واعلم أنه قضاء وقدر، لا تقل لو ولو، لا تقل هذا الكلام، هذا من فعل الشيطان، لكن قل: قدر الله وما شاء فعل، نعم آمنت بالله، قدر الله وما شاء فعل، وأنا ربما كنت غافلا عن قدرته فنبهني بهذا التنبيه وأخذ مني شيئا عزيزا، لكنني إليه أتوب وأعود، وأسأله أن يغفر لي تقصيري وإسرافي، ويغفر لي ما وقع في قلبي من الأمن من مكره، هذا لابد أن يكون أول المسألة ورأسها، ثم كل واحد على حسب حاله، ما هي وظيفتك الآن؟ إن كنت صاحب مال فواس هؤلاء، وإن كنت صاحب علم علمهم وقربهم من ربهم واصرف عنهم القنوط من رحمته، فأنا تأتيني مشكلة أخرى وهي أن قوما قنطوا من رحمة الله، فقدوا أموالهم، بيوتهم، أزواجهم، أبناءهم، والأعداد تتصاعد، المفقودون أصبحوا موتى، فأنت لك وظيفة، واسِهِم بمالك إن كان عندك مال، واسِهِم بعلمك إن كان عندك علم، افتح لهم أبواب لتيسير حياتهم، كل على حسب قدرته، فهذا كله يجعلك تفهم أن العبد له وظائف في المصائب مهما كان سبب المصيبة.

في نهاية ذلك المصيبة من أقداره، لكن ما سببها؟ ممكن أن تكون على هؤلاء سببها زيادة الإيمان، وعلى هؤلاء سببها أنهم آمنين من مكر الله.

وما نتيجة المصيبة؟ من المهم أن تحذر أن تكون نتيجة المصيبة القنوط من رحمة الله، فالقنوط من رحمة الله خُلُق الناقصين من عباد الله.

نحن في اللقاء الماضي مر معنا آية سورة هود، وكيف أن الله عز وجل وصف الإنسان وصفا يبين حاله وقت المصيبة، فهو إذا غير الله حاله من نعمة إلى نقص أصبح يؤوسا كفورا، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾[٤٥٩] فاليأس والقنوط من رحمة الله حال الناقصين، وليس حال المؤمنين، لأن الله عز وجل قال بعدها: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[٤٦٠] فحتى لما ذهبت السيئات نسب ذهابها لها، فقال: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ﴾ ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[٤٦١] إذن معنى هذا أن وصف الإنسان من حيث هو إذا أذاقه الله رحمة ثم نزعها منه، أي أن كان له بيت، أو كان له أولاد ثم نزع منه هذه الرحمة وهو مالكها، يؤوس كفور.

يؤوس: ييأس أن يبدل الله حاله

كفور: يكفر بما أعطاه الله عز وجل من النعم فيما مضى

ثم إذا بدل الله حاله وأعطاه نعماء بعد ضراء مسته يأتيه الكبر، ويأتيه نسبة النعم إلى الأسباب فيقول: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾، ويأتيه الفرح، ويأتيه الفخر والبطر، واستثنى الله عز وجل: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ .

---

[٤٥٩] هود:٩

[٤٦٠] هود:١٠

[٤٦١] هود:١١

من هنا تفهم العلاقة بين الباب الذي مر في الكلام عن الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، وبين باب من الإيمان الصبر على أقدرا الله، لأن الصبر ضد القنوط واليأس من رحمة الله ومن روحه، وهؤلاء القوم الذين استثناهم الله ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ فالذي يصبر يكون له حال ووظيفة وقت النعمة، وتكون له وظيفة وحال وقتما ينزع الله منه النعمة.

فما وظيفتك وقت وجود النعمة؟ وظيفتك وقت وجود النعمة نسبتها إلى الله، والكفر بكل الأسباب، فما تملك من بيت رزقك إياه الله، ومن ولد رزقك إياهم الله، ومن كل التفاصيل التي وُجدت عندك في الحياة كلها من الله.

-ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر - نسأل الله عز وجل أن نكون صادقين في هذه الكلمات، ونحن نكررها صباحا ومساء، ليلا ونهارا، لكن لما تأتي الأحوال هل حقيقة نشعر - أن ما بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر- ؟!، هل هذا حالنا على الحقيقية؟!، هذا الأمر الذي يُشكل على كثير منا، لأننا وقت المصائب تظهر حقيقة نسبة النعمة إلى الله، وقت المصيبة.

فانظر إلى حال هذا، هذا وقت المصيبة يؤوس كفور، وفي وقت النعمة فرح فخور، هذا الحالات متضادان، فاليأس والكفر ضد الفرح والفخر.

لماذا هو يائس؟ يتصور أن حاله لن تتغير، أي أنه يشعر بان الله ليس قادرا على تغيير حاله، فكأننا نقول له: يا بني أليس بالأمس الماضي أنعم الله عز وجل عليك وغير حالك الماضية لأحسن مما كانت عليه؟ لماذا تكفر بنعمة الله وتغطيها وتنساها؟! أليس الله عز وجل أنعم عليك نعما عظيمة تشهد بها وغير حالك؟ فكيف تكفر بما أعطاك؟!.

ففي حال سلب النعمة آيس من الرحمة، شديد القنوط من عودها أو أمثالها، وجاحد بنعم الله السابقة، وعلى ذلك تفهم أن الإنسان كثير اليأس، كثير الجحد، لما يسلبه الله بعض نعمه، فلا يرجو عودها، ولا يشكر ما قد سلف له منها.

ولاحظ في آية سورة هود تعبير لطيف جدا، الله عز وجل يقول:

- في المرة الأولى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾.
- وفي المرة الثانية في الآية التي بعدها قال عز وجل: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ﴾.

أي أن في التعبير بالذوق ما يدل على أنه يكون من العبد عند سلب أدنى نعمة ينعم الله بها عليه يكون هذا حاله، فالله عز وجل يقول: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ مجرد ذوق، ذاق نعمة، ثم سُلبت منه، مباشرة يصبح يؤوسا.

والإذاقة هي أقل ما يوجد به الطعم، فعلى ذلك إذا أذاق الله سبحانه وتعالى العبد نعماءه من الصحة والسلامة والغنى بعد أن كان في ضر أو فقر، ما قابل ذلك بما يليق من الشكر، فيقول: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ﴾ أي ذهبت المصائب التي تسوؤني وزال أثرها، لكنه غير شاكر لله، ولا مثنٍ عليه بنعه، بل فرح فخور، أي كثير الفرح، وكثير الفخر على الناس والتطاول عليهم بما تفضل الله به عليه من النعم، وهذا تجده، ففي كثير من الأحيان عندما تُرزق أبناء مؤدبين، أو تُرزق بيتا واسعا، تجد الفرح الفخور يتكلم على أنه يملك هذا الشيء، فلو أتى أحد واشتكى من حاله أمامه، يقول له: لالالا أنا كذا وكذا، يتكلم عن النعماء كأنه مالكها.

فانظر إلى حال الإنسان، إذا أذاقه الله النعمة البسيطة كانت هذه حاله، وإذا مسه شيئا بسيطا من الشر كان هذا حاله.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ وهؤلاء عادتهم الصبر عند نزول المحن، والشكر عند حصول المنن.

و المعنى: لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات في حالتي النعمة والمحنة، فهؤلاء يصبرون ويعملون الصالحات في حالتي النعمة والمحنة، وهذه حال الكُمَّل، أنهم راضون عن ربهم في كل الأحوال، قابلون نعماءه، مستقبلوها بالشكر والصبر على ألا يبطروا عليها.

نحن الآن نريد أن نبين لأنفسنا كيف يجب أن يكون صبرنا وبعدنا عن القنوط من رحمة الله، وعن الأمن من مكر الله.

تبين لنا من سورة هود ما العلاقة بين الصبر والقنوط من رحمة الله، أي أن الصابر لا يمكن أن يكون منه وقت ما ينزع الله منه الرحمة اليأس، ولا الكفر، فاعلم أن الله يأتي بالنعمة التي أُخذت منك وأضعافها، ولا تكفر بما مضى، فذكر نفسك أنه سبحانه وتعالى قد أنعم عليك فيما مضى بنعم عظيمة بعدما ابتليت بالنقص أعطاك، فكما كنت ناقصا في المرة الماضية وبدل نقصك بعطاء، سيكون كذلك هذه المرة، سيُبدِّل نقصك بعطاء، بل بأحسن مما مضى، وهذا كله يكون على درجة صبرك ويقينك، فاعلم أن القنوط من رحمة الله ضد الصبر على أقداره.

مرة أخرى: آية سورة هود بينت أن ناقصي الإيمان أو فاقديه وقت المصيبة لا صبر لهم.

ما معنى لا صبر لهم؟ كلمتان:

- يؤوس، يقع في قلبه اليأس.
- كفور.

يائس أن يبدل الله هذا الحرمان، وهذه المحنة إلى نعمة.

أما الصابر فمتيقن كما يتيقن من هو في الليل بأن فجرا سيظهر، متيقن أن فرج الله قريب، وأنه سيبدله أحسن مما مضى، وهذا الصابر ليس كفورا، أبدا، بل يشهد لله أنه بدله بعد ضيق نعماء، فكما بدله فيما مضى سيبدله فيما هو آت.

نحن الآن فهمنا الصبر وعلاقته بالقنوط واليأس من رحمة الله.

نرى الآن كيف يكون الصبر ضد الأمن من مكر الله.

نرى الآن في الآية الثانية عشر من سورة يونس كيف تكون العلاقة بين الأمن من مكر الله وبين الصبر.

انظر لحال هذا الذي مسه الضر

يقول الله عز وجل:﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ وهذا كله لا يلام عليه العبد، لكن انظر لحاله بعد ذلك، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٤٦٢]

الضر كلمة عامة، للجنس، تدل على أنه أي نوع من أنواع الضر ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ أي أنه تعددت أحوال الدعاء منه، فهو على ذلك داعيا على الدوام.

فتستعجب منه، إذا كان داعيا على الدوام، ثم نسي وقت الرخاء فهذا أمر عجيب، أنت الآن في وقت الشدة كنت كثير الدعاء وهذا لا تلام عليه، لكنك تلام على أنك في وقت الرخاء نسيت، فكأنك آمن على أن الله لا يأخذ منك النعمة مرة أخرى.

فانظر إلى حاله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ أي لما كشفنا عنه ضره الذي مسه مضى على طريقته التي كان عليها قبل أن يمسه الضر، عاد مرة أخرى إلى معاصيه وجنايته، ونسي حال الجهد والبلاء الذي وقع فيه، وترك الدعاء،

[٤٦٢] يونس:١٢

والتضرع، والانكسار، كأنه لا عهد له به، ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا﴾ عندما مسه الضر، فاستمر على كفرانه لنعم الله، ولم يشكرها، ولم يتعظ.

أي أن جمع بين ثلاثة أمور:

- الاستمرار على الكفران الذي سبق المصيبة، وهذا لها أنواع منها الوقوع في المعاصي.
- ترك الشكر على هذه النعمة بالذات.
- لم يتعظ بالمصيبة التي وقع فيها.

وأنت ترى كثيرا من المسلمين تلين ألسنتهم بالدعاء، وقلوبهم بالخشوع والتذلل عندما ينزل عليهم ما يكرهون، فإذا كشفه الله عنهم غفلوا عن الدعاء والتضرع، غفلوا تماما، وتركوا ما يجب عليهم من شكر للنعمة التي أنعم الله بها عليهم، وتركوا شكره على استجابة دعائهم.

فنحن نسأله سبحانه وتعالى أن يوزعنا شكر نعمه، وأن يذكرنا الأحوال التي من فيها علينا بإجابة الدعاء، وهذا من أجل أن نستكثر من الشكر الذي لا نطيق سواه، ولا نقدر على غيره، وهو الغني عنا ونحن تامي الفقر إليه سبحانه وتعالى.

ولما تقرأ: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ تفهم ما المقصود، فالمسرف هذا أتته الغفلة عن الشكر، والاشتغال بالشهوات، فزينت هذه الأمور له ترك الدعاء، فالشيطان، والنفس الأمارة بالسوء زينوا له الإعراض عن الدعاء، والاشتغال بالشهوات، والأمن من مكر الله.

لذلك انظر للآية التي بعد هذه الآية مباشرة، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ معنى ذلك أنك لا تتصور أنك في أمن من مكر الله، فيأتيك ما يجعلك تعود إلى حال أسوأ من الحال التي مرت عليك، لكن لماذا ترض نفسك لسخطه وعذابه وأنت فقير تام الفقر، إنما لما يأتيك الضر تعلق به وادعه واسأله، لكن لما يزول لا تأمن من مكره، اصبر على طاعته، واحذر من مخالفة أمره.

على كل حال؛ آية سورة يونس، وآية سورة هود تستلزم منك كثيرا من المراجعة، وراجع بالذات كلام الشوكاني فيها فقد أجاد في الكلام عنها.

سنذكر آية أخرى في سورة يونس لتتصور قرب مسألة البلاء من المكر.

مرت معنا الآية الثانية عشر في يونس، أيضا في الآية الحادية والعشرين في يونس قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾

هذا واضح جدا أن المكر يكون بعد الرحمة، أي: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ﴾ أي أصابتهم ضراء، ثم أتت رحمة الله، المفروض أن تكون شاكرا، وأن تتصبر على الشكر، أما هؤلاء لما أعطاهم الله، أذاقهم رحمة بعد أن مستهم الضراء فعلوا مقابل هذه النعمة العظيمة "المكر"

ما هو المكر؟ المكر ترك شكر النعمة، وترك تعظيم الله، فإنه سبحانه وتعالى بعدما وسع عليهم في الأرزاق، وأدر عليهم النعم، وأصلح لهم الثمرات، ما شكروا نعمته ولا قدروها حق قدرها، بل أضافوها لأنفسهم، أضافوها للناس، أضافوها للأغنياء، وتجدهم طعنوا في آيات الله، واحتالوا في دفعها بكل حيلة، وهذا معنى مكرهم، لكن الله عز وجل أسرع مكرا، أي أعجل عقوبة، ولذلك

احذر من أن تكون ممن ينعم الله عز وجل عليه بالنعماء فيرد بالمكر في آيات الله، والمكر هذه حال يكون الإنسان فيها تاركا لشكر الله.

ما علاقة هذا الكلام بمسألة الصبر على أقدار الله؟

لنبدأ بكلمة الصبر ثم ننتقل إلى الصبر على أقدار الله

الصبـــر.

الصبر نقسم إلى ثلاثة أقسام:

- الصبر على طاعة الله.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٤٦٣]

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[٤٦٤]

كل هذا يسمى صبر على طاعة الله

- الصبر عن معصية الله.

كما وقع من يوسف عليه السلام لما صبر عن إجابة امرأة العزيز ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[٤٦٥]، فهنا صبر عن المعصية.

- الصبر على أقدار الله

وهذا النوع هو المشهور بين الناس، فالصبر على أقداره سبحانه وتعالى يخالط الناس في صغير الأمور وكبيرها، وهو الذي اشتهر باسم الصبر، لكن في الحقيقة هي ثلاثة أمور، الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، والصبر على أقداره.

وهذه الأنواع من الصبر الناس مختلفون فيها، فهناك أناس أصعب ما يكون عليهم الصبر على طاعة الله، فيحتاج إلى أن يتصبر ليصلي ركعتين، يتصبر ويدفع نفسه ويجاهدها ليصلي ركعتي الضحى، وتجده في السنن الرواتب يجد مجهودا، وفي قيام الليل والوتر يرى نفسه أنه يحتاج إلى دعاء وتوسل ورجاء في مقابل أن غيره يصلي هذا بكل يسر وسهولة، وبالعكس هناك أشخاص يكون من الصعب عليهم الصبر عن المعصية، تسهل عليهم الطاعة لكن يصعب عليهم الصبر عن المعصية، هناك من يصعب عليهم الصبر على المصيبة.

على كل حال؛ الناس متفاوتون في قدرتهم على أنواع الصبر، المطلوب منك أن تفهم أن الطاعة تحتاج إلى صبر، وأن ترك المعصية يحتاج إلى صبر، وأن أقدار الله تحتاج إلى صبر.

---

[٤٦٣] طه:١٣٢

[٤٦٤] الإنسان:٢٤،٢٣

[٤٦٥] يوسف:٣٣

مثلا الطاعة في الأعمال البدنية، وحتى الأعمال القلبية تحتاج إلى تصبر، فالتوكل يحتاج منك أن تحبس نفسك عن الناس، تحبس نفسك عن التعلق بهم، تحبس نفسك عن رجائهم، تحبس نفسك عن انتظار الفرج منهم، وتلم شعث قلبك على الله، وأنه لا ينفعك إلا الله، ولا يدفع عنك الضر إلا الله، هل هذا عمل سهل؟ أن تجد أمام عينيك من لو قلت له هات ألف ريال يعطيك، ومع ذلك تجمع قلبك على الله وتبغض أن تطلب من غيره، فجزاء هذا الصبر أن تأتيك الدنيا راغمة، لذلك السبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب مترفعون عن الطلب من الناس، متعززون بالله، يحبسون ذلهم وانكسارهم على بابه.

نسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا هذا الصبر، أن نحبس نفوسنا على بابه، فلا ننتظر من غيره شيئا، لذلك لا تسال غير الله، فليس دونه واسطة، ومرادك أيا كان مرادك فأنت تعلم يقينا أنه بيد الله، هذا الكلام عن الصبر على طاعته.

- والكلام عن الصبر عن معصيته يشبه هذا أيضا، فلا تكن متهاونا بل كن عاقلا، لا تبع الجنة بشهوة ساعة وقد تغلبك نفسك، فصبرها، صبرها أن الموعد عند الله، وأنك تشتري رضاه، وأن هذه اللذة التي ستحصلها ستنقلب مرارة عليك، وألما في جانبيك يسهر ليلك ويعذبك في نهارك، فاتركه، فأمراض القلوب ما أتت إلا من الذنوب.

اللهم سلم قلوبنا وارزقنا الصبر على طاعتك، والصبر عن معصيتك يا ربنـا، فقد ابتلينا بنفوس ضعيفة بمجرد أن تقابل الشهوة تراها فرصة، ثم نعلل لأنفسنا بباب التوبة، وإن كنا نعلم يقينا أن باب التوبة مفتوح، ولا نقنط من رحمة الله، لكن نقول من هذا الذي يضمن إلى نفسه الأنفاس، نستغفرك ونتوب إليك.

يبقى لنا الصبر على أقدار الله وهو موضوع هذا الباب، والمؤلف خص الصبر بالصبر على أقدار الله لأنه مما يتعلق بتوحيد الربوبية، فالقضاء والقدر من مقتضيات ربوبية الله، فأنت تعلم أن القضاء والقدر يدور حول الخلق والتبير.

أقدار الله: أقدار جمع قدر، قدر الله.

و هذه تُطلق على المقدور، مثل السيل والخسائر التي تقع فيها جراء السيل، فكل هذا مقدور قدَّره الله

فماذا يجب عليك تجاه هذا المقدور؟

- بالنسبة للمقدور نفسه يجب عليك الصبر، أي حبس النفس فلا تتسخط، ويستحب لك الرضا به، أي أن تنشرح نفسك به.
- أما بالنسبة لفعل الله، وهو فعل المقدِّر سبحانه وتعالى، فيجب عليك الرضى به والصبر، أي يجب أن ترضى عن الله وتصبر.

مثال: لو أتينا إلى الأحداث التي جرت، لابد أن تعلم أن الله سبحانه هو الذي أجرى هذا السيل، وهو الذي أذن له فأخذ هذه السيارات، وأخذ هذه الأرواح معه، فلابد عن الله أن تكون راضيا، وعن نفس الأحداث التي حصلت أن تصبر عليها، وهذا هو الواجب، والرضى بها مستحب لك.

لو قلنا مثلا أن عاصيا ارتكب معصية وانتهى، فكيف ننظر إليه؟ ننظر إليه بعينين:

- بعين القضاء والقدر وهنا المطلوب منك أن ترضى، لأن الله عز وجل هو الذي قدّر هذا الشيء وله حكمة في تقديره، هذه هي النظرة بالعين الأولى، أي أن تنظر إلى أن هذا الذي وقع فيه العاصي قضاء وقدر، فترضى به لأن الله قدره.
- لكن إذا نظرت إذا فعل العاصي نفسه، فلا يجوز أن ترضى به لأنه معصية، وهذا هو الصعب في هذا الباب بالذات – باب المعصية – فالمطلوب منك أن ترضى بقضاء الله، ولا تقل لو كنا فعلنا كذا لما حصل كذا، خصوصا عندما يحصل اعتداء، كالسارق، وكالقاتل، وكالزاني – نسأل الله أن يحفظنا بحفظه ويحفظ ذرياتنا من كل شر، اللهم آمين – المسائل التي يكون فيها اعتداء بهذه

الصورة، وتكون أن الذي اعتُدي عليك وسرقت من جهة تنظر إلى الأمر على أنه قدر الله، ومن جهة أخرى تنظر إلى أن هذا الجاني عليه عقوبة، وأن فعله لا يرضي الله ولا ترضى به.

وهكذا لو أتينا إلى أحداث السيول، أن من أسباب اجتماع هذا السيل بهذه القوة، وهذه كلها تخصرات الناس أكثروا فيها الكلام وغالب من تكلم لا يدري ماذا يقول، لكنه ينقل كلام الإعلام الذي فيه تعليق الناس بالأسباب وترك الكلام عن المسبب سبحانه وتعالى.

لو افترضنا جدلا أن من أسباب هذه الخسائر العظيمة ترخيصات للبيوت أُعطِيَت في مجرى السيل، هذا أحد الأسباب التي تُذكر، وأنا أقولها ليس من باب الاعتراف بها، فأنا أعلم أن تسعين في المائة من الكلام الذي يُتداول بين الناس وفي الإعلام إنما هو مجرد كلام، ربما عشرة في المائة حقيقة والباقي مجرد تخرصات، وقد رأينا وسمعنا الناس الذين يتكلمون وهم لا يعرفون المنطقة أصلا، ولا يعرفون حتى طريقها، فهناك أناس يعيشون في الوسط أو في الشمال نسأل إحداهن بعد كل الكلام الذي تتكلم به، هل مررت مرة على هذه المنطقة وتعرفين حدودها؟ الجواب: لا. فتجد الناس يتكلمون بما لا يفقهون.

على كل حال؛ – من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه – الذي يعنيك من هذه المصيبة أن النذر حلت في دارك، ماذا تريد أكثر من هذا؟ النذر حلت في دارك، ولقد أتاك الآن سيل ففعل بك ما فعل، فكيف لو أن البحر فاض عليك؟ كيف؟ جدة كلها على الساحل، فكيف سيكون حالك؟ فالمنطقة الشمالية من جدة عبارة عن لسان داخل البحر، فكيف ستفعل؟ ماذا ستقول تلك الساعة؟ لماذا أسكنونا على البحر؟ الآن أنت عندك أعذار، فلا تغرك الأعذار.

المهم من الأسباب التي قيلت أن هناك تصاريح أعطيت للناس ليبنوا مساكنهم في مجرى السيل، فكان هذا سبب لأن يأتي السيل فيحملهم، هذا كلام مما يقال، لكنه يحتاج إلى مزيد إثباتات على صدقه، خصوصا أنكم تعرفون أن المنطقة التي وقع عليها هذا الأمر تكاد تكون مرتفعة عن جدة.

أفترض جدلا هذا الآن، السيل مصيبة، قدر الله وقع، لكن سنقول أن هناك من خالف القانون فأعطى تصاريح للبناء في مجرى السيل.

سننظر للمسألة بنظرتين:

- النظرة الأولى: أن هذا الله قدر الله وكان، وإلا فالناس كانوا يعيشون منذ أكثر من عشرين سنة في هذا المكان، قدر الله وما شاء فعل، وهذه ليست أول مرة تأتي أمطار من عشرين سنة، تأتينا الأمطار، لكن هذا قدر الله.
- النظر الثانية: من جهة أخرى القوم الذين أعطوا تصاريح بحيث أنها سببت هلكة الناس يُحاسبون، لا نرضى عن فعلهم، ولا نقول لهم قدر الله وما شاء فعل، لكن نقول: أخطأتم فوجب علينا محاسبتكم حسابا شديدا من أجل ألا تستهتروا بأرواح الناس، وقد ارتكبتم معصية لو حوسبتم عنها في الدنيا أخف عليكم من أن تحاسبوا عنها في الآخرة، ولو جوزيتم في الدنيا فهذا من رحمة الله بكم.

على كل حال؛ هذا الدرس نسأل الله عز وجل ألا ننساه، ولا يتسرب كما تسرب غيره، ففي السنة الماضية حصل فيها خسوفان للقمر، وكسوف للشمس، ومع ذلك الناس يستمتعون بحياتهم بصورة أكثر من طبيعية.

المقصود أن تفهم أن الصبر على أقدار الله المؤلمة من الإيمان بالله ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[٤٦٦]

يعرفون أن هذا من الله، وأنه هذا بقضاء الله وقدره فلا يجزعون ولا يتسخطون، وهذه الأقدار المؤلمة يؤمنون بأن الله عز وجل أرادها لحكمة عظيمة، فهوس بأنه وتعالى الموصوف بكمال الحكمة.

وأما الصبر فهو حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي لغير الله سبحانه وتعالى، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب، وحبس القلب عن سوء الظن بالله، بل تتعبد القلوب بحسن الظن وانتظار الفرج، وتتعبد الألسنة بالثناء على الله والشكوى إليه ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٤٦٧]، وتكون الجوارح في شغل بالطاعة.

والصبر كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كما أخرج البخاري: " الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيمَانِ"، وقال أيضا: " وَالصَّبْرُ مِنْ الدِّينِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنْ الْجَسَدِ".

ويقول الإمام أحمد:الصَّبْرُ فِي الْقُرْآنِ فِي نَحْوِ تِسْعِينَ مَوْضِعًا .

وهذا يدل على أهميته وعلى عظم شأنه، وأنت تعلم أن الحياة كلها تحتاج إلى صبر، فالصبر يتنوَّع، أي أنه يتنوع في الأحوال، فأنت في حال التربية تعلم أن الله ابتلاك بأبنائك فتصبر عليهم، وتعلم أن الله ابتلاك بأخلاق الناس فتصبر عليهم، وهكذا.

لكن اعلم أن الصبر يحتاج إلى عامل آخر من أجل أن يكون صبرا حقيقيا – وسأذكر لكم رأس المسألة، ويبقى أن تبحثوا عن الآيات – فلو تنبهت أن الله عز وجل كرر في كتابه الجمع بين الصبر والتقوى ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ فكأننا نفسهم أن الصبر من أجل أن يكون صبرا جميلا لابد أن يكون صاحبه متقيا لمساخط الله، وهذا يصلح أن يكون مبحثا في التفسير كما مر معنا سابقا أن من المواضيع المهمة التي نعتني بها هي أن نأتي إلى صفات الكمَّل فنبحث عنها، وهذا الخطاب كرِّر للكمَّل، ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ فأريد منكم أن تبحثوا عن ورود الجمع بين الصبر والتقوى، وفي أي مواطن، ثم نستفد منه إن شاء الله في هذا الباب، ثم إن شاء الله يكون مبحثا جيدا تتصورون به تفاصيل مسألة الصبر، كيف يكون الإنسان صابرا حابسا نفسه على طاعة الله، ليس بيؤوس ولا واقع له القنوط، ولا ماكر بعد أن يكشف الله عنه غمة ما صبر عليه.

فالإنسان هذه حاله، في أول الأمر لما تأتيه المصيبة يكون قانطا من رحمة الله، ثم يدعو الله، فإذا كشف الله عنه الغمة مكر، مكر بآياته، هذه حال الناقصين نسأل الله أن يسلمنا.

لكن لابد أن تفهم أن هذا الصبر والتقوى مبنيان على أمر غاية في الأهمية، وهو سبب الخروج من أوصاف النقص عموما، وهو العلم عن الله، ولذلك يعقوب عليه السلام وصف لك ما معنى الصبر، ففي أول سورة يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾[٤٦٨] ففهمنا من ذلك:

- أن الصبر فيه صبر وفيه صبر جميل.

---

[٤٦٦] البقرة:١٥٥،١٥٦

[٤٦٧] يوسف:٨٦

[٤٦٨] يوسف:١٨

❖ أن هذا الصبر لا يتحقق إلا بالاستعانة بالله.

ثم في أواسط السورة أتى حال الصابر صبرا كاملا، الحابس لسانه عن التشكي إلا لله، فقال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ﴾ ثم بين سبب وجود هذا الأمر وهو ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٤٦٩]، هذا هو السبب، فما الذي يجعلك لا تشتكي إلا لله؟ لأنك تعلم عن الله، وتعلم عن كل أحد غير الله أنه لا يكشف لك غمة، ولا يسمع لك شكوى، ولا تصدق الكاذبين، فكثير من الناس يسمعون ليستمتعوا، فكثير من الناس الذين يسمعون شكواك إلا من سلم الله قلوبهم يسمعون ليستمتعوا، لذلك يكرهون أن تكرر عليهم، فيريدون أن يستمعوا إلى حكايتك لأول مرة ويستمتعون بالقصص وبالأحوال التي تمر أنت بها، وأنتم تعرفون كيف أن الإنسان يميل إلى سماع القصص، فهذا نوع من القصص، فحكايتك، وماذا حصل لك، وماذا تركت، وماذا فعلت، وماذا فعل فيك فلان، كلها قصص يسمعونها، ثم يعيدونك إلى الله، فيقولون لك: ربنا ييسر لك، ربما يصبرك، ومادامو سيعيدونك إلى الله، إذن اذهب أنت من أول الأمر إلى الله، ثم جرب أن تعيد عليهم قصتك، ستجدهم يملون، ويدفعونك، ويقولون لك اختصر، سمعنا سابقا، وكلام من هذا النوع، فلماذا تسمعهم وربك قد تفضل عليك بباب مفتح، وتلح عليه وتعيد وتعيد وتشتكي إليه وتصف حالك، وكل هذا يرفع درجاتك عنده، فالشكوى إليه رفعة لمكان العبد عند ربه، فكيف تبخل على نفسك بالرفعة؟! اسأل الله أن يجمع قلبك على ألا تشتكي لغيره، واحبس لسانك عن الشكوى للضعفاء، فكل منهم يحمل في قلبه من الآلام ما الله بها عليم.

ثم انظر إلى كمال اليقين بالفرج من يعقوب عليه السلام، بعدما قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ قال آمرا بنيه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ﴾ هذا من كمال اليقين بالفرج، وقصة يوسف كما يذكر المفسرون أنها امتدت إلى ثلاثين عاما، فتصور هذه الثقة اليقينية بالله ﴿اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ﴾ أي أن حتى خيوط الأمل ليست واضحة، لكن ﴿فَتَحَسَّسُواْ ﴾وكان الظاهر فقد الأخ، فسيذهبون إلى مصرّ فاقدين أخيهم وليس يوسف، لكن مع ذلك ما ترك يعقوب عليه السلام الكلام عن يوسف عليه السلام من شدة أمله بالله، ثم نهاهم عن اليأس، فهذا دليل على أن كمال العلم عن الله يمنعك من القنوط واليأس من رحمة الله.

يا صاحب المصيبة سيبدلك الله خيرا مما فقدت، وسيجبرك الله جبرا لا تستطيع وصفه، وسيرحمك الله رحمة تعمك في الدنيا والآخرة، فلا تيأس منه، بل ازدد إيمانا وثقة به سبحانه وتعالى، وادفع عنك شر الشيطان، واترك عنك كلام الناس الذين ضاقت عقولهم عن لطفه ورحمته سبحانه وتعالى.

على كل حال؛ لو علمت أن الله مع الصابرين لكفاك هذا الأمر، ولو علمت أن من يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر لفرحت برزق الله.

فيما مضى من مقدمة جمعنا بين مسألة اليأس والقنوط من رحمة الله، مع الصبر، وجمعنا أيضا المكر مع الصبر.

[٤٦٩] يوسف:٨٦

سنبدأ الآن بالنصوص التي أوردها الشيخ في الباب.

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله وقول الله تعالى: (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ)[٤٧٠].

قال علقمة: " هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ "

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه أنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: " اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْر: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ".

ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: "لَيْسَ مِنّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيّةِ" .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أنّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ ؛ مَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ. " حسنه الترمذي.

❖ الدليل الأول.

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[٤٧١].

قال علقمة: " هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ "

هذه الآية في سورة التغابن، أول الآية: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

ما المقصود؟ ما أصاب من مصيبة أي أن جميع المصائب التي تحل بالناس من أول أن خلق الله الخليقة إلى أن تقوم الساعة، الله عز وجل قدرها، ليس هناك مصيبة تحصل إلا بقضائه وقدره، إلا بإذنه.

وإذن الله عز وجل نوعان:

- إذن قدري وكوني.

كما قال الله عز وجل في سورة البقرة ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ﴾[٤٧٢] أي بتقديره ومشيئته.

- إذن شرعي.

مثل ما قال الله عز وجل ﴿فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾[٤٧٣]، أي بشرعه

---

[٤٧٠] التغابن:١١

[٤٧١] التغابن:١١

[٤٧٢] البقرة:١٠٢

[٤٧٣] البقرة:٢١٣

فمعنى ذلك: ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله، وإذن الله المقصود به هنا قضاؤه وقدره، في مقابل هذا المطلوب منك أن تؤمن بالله، ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾

﴿يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ المقصود الإيمان بقدره

كيف سيكافؤه الله؟ ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ أي: يرزقه الطمأنينة، وإذا هدى الله قلبك سكنت جوارحك

وانظر إلى قول التابعي "علقمة النخعي" وسيأتينا إن شاء الله في دراستنا لمصطلح حديث التعرف على هؤلاء الكبار، علقمة النخعي من كبار التابعين، وهو من تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنه.

فكيف فسر ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾؟

قال: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ " أي تنزل به المصيبة، في نفسه، في ماله، في ولده، في أهله، في أقاربه، فلا يجزع.

"فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ" أي: يعلم أنها قدره وقضاءه، وما كان قضاؤه وقدره فلا بد أن يقع، وأهم شيء في الموضوع أنه لا يقول لو أننا فعلنا كذا، لو كان كذا، لو عمل فلان كذا، لكن لأنك مؤمن بقلبك بالله، ومؤمن بكمال صفاته، ومؤمن بحكمته، ومؤمن برحمته، كل هذا يجعلك لما يُقدر عليك قضاء وقدر تعلم أنه من عند الله فترضى بالله.

لذلك نحن نحتاج العلم عن أسماء الله عز وجل وصفاته، فهذا سيجعلك تؤمن بقضائه وقدره، وتعلم حكمته العظيمة سبحانه وتعالى في كل شيء، فأنت الآن وأنت سائر في الحياة يجب عليك أن تعلم عن الله، يجب عليك، وهذا الذي يخرج قلبك من البلاء، ويدخلك في الثبات، أنك تعلم عنه سبحانه وتعالى أنه حليم، حكيم، غفور، شكور، مؤمن، صادق، لا يعدك ثم يتركك، بل هو سبحانه وتعالى غالب على أمره، ما من شأن تحتاجه إلا أعطاك وأكثر منه، لكن جهل العباد بربهم جعلهم غير راضين عنه.

وأنت ترى أن اسم الحكيم في القرآن ورد أكثر من مائة مرة، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[٤٧٤]،﴿وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤٧٥]، ﴿وَكَانَ اللّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾[٤٧٦] فترى كمال الحكمة في خلقه، وفي أمره، وشرعه، حيث يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، فلقد خلق الخلق بالحق، وجعل الخلق بأحسن النظام، ورتبه بأكمل إتقان، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات، وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيأته اللائقة به، فلا ترى أبدا تفاوتا ولا خللا، ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[٤٧٧]، ولو اجتمعت كل العقول على أن يقترحوا أحسن من هذه الموجودات لم يستطيعوا ذلك،﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٤٧٨]، وهو سبحانه وتعالى الذي يعلم دقائق أحوال الناس، وما يصلحهم.

---

[٤٧٤] الأنعام:١٨

[٤٧٥] الأنفال:٦٧

[٤٧٦] النساء:١٣٠

[٤٧٧] الملك:٣

[٤٧٨] النمل:٨٨

وهو الشهيد الرقيب المطلع على كل شيء الذي لا يخفى عليه شيء، سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات، دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء سبحانه وتعالى، رقيب على ما أكنته الصدور، قائم على كل نفس بما كسبت، هو الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير، فترى أنه سبحاه وتعالى على كل شيء شهيد، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٤٧٩]، وتراه رقيبا على كل شيء ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٤٨٠]، فتفهم من هذا أن من كان هذا وصفه لا يمكن أن تكون الأمور عنده كما اتفق، وأن يحصل شيء في الكون لا يوافق حكمته سبحانه وتعالى، لكن العباد ما قدروا الله حق قدره، فهو سبحانه وتعالى كما نردد المفروض في ركوعنا وفي سجودنا: "سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ" فلا أحد يستحق التعظيم، والتكبير، والإجلال، والتمجيد غيره سبحانه وتعالى.

فلو كنت تعلم أنه سبحانه وتعالى أكبر من كل شيء لوقع في قلبك الرضى بكل ما قدره وقضاه، فهذا من لوازم شهادتك أن لا إله إلا الله، فتعلم أنه أكبر من كل شيء، وأنه أعظم من كل شيء، فلا يكون في قلبك من قضائه وقدره شيء، ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[٤٨١]، كيف تجرؤ ألسنتنا على انتقاد فعله وهو العظيم الكبير المتعال، وهو القوي المتين سبحانه وتعالى، الذي لا يعجزه شيء، ولا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه رادّ، ينفذ أمره ويمضي قضاؤه في خلقه، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، فالقوة لله جميعا، لا منصور إلا من نصره الله، ولا عزيز إلا من أعزه الله، ولا مخذول إلا من خذله الله، ولا ذليل إلا من أذله الله، ﴿وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٤٨٢].

فإذا كنت تؤمن يقينا أنه سبحانه وتعالى بيده كل شيء، بيده الرزق يؤتيه من يشاء، قيام السماء والأرض بأمره وحفظه، وترى أنه الفعال لما يريد، لا يقع شيء في العالم من حركة أو سكون، أو خفض أو رفع، أو عز أو ذل، أو عطاء أو منع إلا بإذنه، يفعل ما يشاء، ولا يُمانع، ولا يُغلب، بل قهر كل شيء، ودان له كل شيء، يدبر الأمر، ما من شفيع إلا من بعد إذنه، كل هذا يجعل قلبك مستقرا راضيا به سبحانه وتعالى، فإذا آمنت أنه وحده الحكيم، الخبير، العليم، القوي، القدوس، السلام الذي سلم من النقص والعيب، وسلمت أفعاله سبحانه وتعالى من العيب فلا انتقاد فيها، إذا علمت هذا كله رضي قلبك عن فعله، وكنت مؤمنا به، فإذا وقع منك هذا الإيمان اعلم أن جزاء ذلك أن الله عز وجل يهدي قلبك.

لذلك لما قال علقمة رحمه الله: "هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ"

"فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنَ اللَّه": أي أنها لا يمكن أن تكون من عند غيره، فإذا كانت من عند الله والله موصوف بالكمال فهذا يهون عليه الأمر، لما يعلم أنها من عند الله يهون عليه الأمر لأنه مؤمن أن هذا الأمر ما أتاه من أي أحد، بل أتاه ممن هذا وصفه، فيظهر إيمانك بكمال صفاته وقت المصيبة، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ أي يؤمن بكمال صفاته، وأن هذه المصيبة من عند الله الذي هو موصوف بهذه الصفات ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ فهذه ثمرة الرضى بقضاء الله، والصبر والاحتساب، وهو هداية القلب، فالله عز وجل يجعل في

---

[٤٧٩] المجادلة:٦

[٤٨٠] النساء:١

[٤٨١] نوح:١٣

[٤٨٢] يوسف:٢١

قلب العبد من الإيمان والبصيرة والنور لما يلجأ إليه ما يجعله ثابتا راضيا يُستعجب منه، فترى كيف أن الله عز وجل يعجل للعباد المثوبة، ويعطيهم ما يطمئنهم ويزيدهم ثباتا.

ولذلك لابد أن تجعل الله لك حسيبا، لابد أن تجعل الله لك كافيا، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[٤٨٣]، ولو كانت لك عين بصيرة ورأيت كفايته ما اتخذت غيره كافيا لك ولا حسيبا، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[٤٨٤]، بمعنى أنه كافيه كل ما أهمه من أمور الدنيا والدين، فلو قويت ثقتك بالله وحسن ظنك به سبحانه وتعالى لابد أن تحصل لك الكفاية التامة، وأنت تعلم أنك لا غنى لك عن ربك طرفة عين، بأن يكون لك حافظا، أن يكون لك كافيا، أن يكون لك مسددا، أن يكون لك هاديا، فإذا خرجت وسميت الله، وتوكلت عليه، وقلت "لا حول ولا قوة إلا بالله" كفاك كل ما أهمك.

وورد في الحديث أن الرجل لما يخرج من بيته ويقول: "بِسم اللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ ، فَيُقَالُ لَهُ حِينَئِذٍ : كُفِيتَ ، وَوُقِيتَ ، وَتَنَحَّى لَهُ الشَّيْطَانُ. " فهداك الله إلى طريق الحق والصواب، وكفاك كل ما أهمك في دنياك وأخراك، ووقاك من شر أعدائك سواء كانوا من الشياطين أو من غيرهم، فلا تطلب له بديلا، ولا ترى لك حسيبا غيره، ولا كافيا غيره، وهذا كله يجعلك ترضى بما يقلبك فيه، أي يكون في قلبك رضى فيما يقلبك فيه.

ولذلك ورد في سورة الحديد عن أحوال المؤمن بالقضاء والقدر وصفا يمنع الإنسان من اليأس والقنوط، ويمنعه أيضا من المكر، والفرح، والبطر، فبعدما ذكر سبحانه وتعالى ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي أن هذا دليل على أن كل شيء واقع في الأرض، في أنفسكم من مصائب، من الأمراض، من الجوع، من الأسقام، إلا هو مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن تخلق الخليقة، فمصيبة: أي ما وقع عموما سواء كان من الأمراض أو غيرها، وعلى كل حال: ﴿ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

ثم انظر إلى النتيجة، إلى نتيجة إيمانك بالقضاء والقدر: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ أي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا، فهو لم يُكتب لكم، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ فإن شدة الفرح بما يأتيك في الدنيا يورثك حال فقده شدة الحزن.

ولذلك من إيمانك بالقضاء والقدر لا تأس على ما فاتك من الدنيا أبدا، ولا ترفع ذاك الفرح الشديد بما أتاك منها، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لأن الإنسان لما يقع في قلبه حب الدنيا والفرح بها تراه متكبرا بما أوتي من الدنيا فخورا به، فلو علمت أن عطاءك من الدنيا قضاء وقدر، ومنعك من الدنيا قضاء وقدر، لا تجد في نفسك شدة الحزن ولا شدة الفرح، بل تقول مثلما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد أورد ذلك البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، لما قرأ قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾[٤٨٥]، فحب الشهوات واقع في القلب، ويورث الفرح بوجودها، فتفرح لما تجد شهوة لك وجدتها، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَهُ لَنَا "، فكأنه يشتكي نفسه، فمن أجل ألا تفرح ذاك الفرح الذي يخرجك عما أمر الله قال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ"

---

[٤٨٣] الأحزاب:٣٩

[٤٨٤] الطلاق:٣

[٤٨٥] آل عمران:١٤

فخوفك من أن تفرح فرحا لا يرضاه الله.. أتعرف لماذا تخاف أن تفرح الفرح الشديد؟ لأن الدنيا حاله الأخذ والعطاء، الله عز وجل جعل هذا حال الدنيا، فإذا فرحت الفرح الشديد يُخشى عليك أن تحزن الحزن الشديد، فبعد العطاء لابد من منع وسلب، فاحذر من أن تكون وقت المصيبة ممن لا يرضى عن الله، ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، هناك من الفرح الطبيعي الذي يوجد في النفس، لكن كلما كبرت أعمارنا، وكلما عرفنا الحقائق وخصوصا بعد مضي المحبوبات وبعد فراقها، تجد في نفوسنا هدوءا، ولا يوجد طيش لا في الفرح بما أوتينا، ولا بالحزن على ما مضى منا، فكله مقدر ومكتوب راضين به، لأن الذي يقلبنا فيه متيقنين أنه كامل الحكمة، كامل الرحمة، كامل الحلم، كامل القوة، عزيز، غالب على أمره، لا أحد يستطيع أن يدفع له أمرا، فنتعبد الله بهدوء النفوس عن أقداره.

واعلم أنك كلما تصبرت صبرك الله، وكلما هدأت جعل الله في قلبك من الهداية، والإيمان، والبصيرة ما هو ثمرة رضاك عن ربك.

فاجعل للإيمان بالقضاء والقدر مبدأ، ما مبدؤه في نفسك؟ ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ هذا مبدأ يجعلك ترضى دائما عن الله، ما يأتيك من الدنيا انظر له على أنه سيُنزع منك، وهذا ليس فيه يأس من روح الله، لا، لا تفهم هذا الأمر، إنما أنك تعرف أن ما أعطاك الله عارية تؤخذ منك وقت ما أراد الله، فنحن نرى هذا في فلذات أكبادنا لما يخرجون من بيوتنا أو ينامون نستودعهم عنده سبحانه وتعالى، فقلوبنا ابتليت بحبهم والتعلق بهم، فلما يمر على خاطرك خوف فقدهم اسأله سبحانه وتعالى أني حفظهم بحفظه، ويكلأهم برعايته، وأنت راض بكل ما يقدره لك.

نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن رضي عنه تمام الرضى، وأن يزيدنا إيمانا، وتقى، وصبرا، ويصبر كل من فقد له محبوب، ونسأله سبحانه وتعالى أن يقذف في قلوبنا برد الرضى عنه سبحانه وتعالى.

الدليل الثاني.

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: " اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْر: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ".

ما المقصود بالكفر هنا؟ أي أن هاتين الخصلتين كفر، والمقصود بذلك أنهما من صفات الجاهلية، من صفات أهل الكفر، والكفر هنا المقصود به الكفر الأصغر، أي الذي لا يخرج صاحبه من الملة.

وخذ هذه القاعدة من أجل أن تفرق في النصوص بين الكفر الأكبر، والكفر الأصغر:

- الكفر إذا تُكِّر أي لم يكن معرفة يكون أصغرا، أما إذا عرِّف بالألف واللام، فيراد به الكفر الأكبر، مثل: بين العبد وبين الكفر والشرك، الكفر والشرك المعرفة المقصود به الكفر الأكبر

فيقصد بالحديث أن من كانت فيه هاتان الخصلتان يكون فيه من خصال الكفر، وأنت تعلم أن وجود خصلة من خصال الكفر في المسلم لا يلزم منه أن يكون كافرا، كما لو وجدت خصلتين في الكافر من خصال أهل الإيمان فهل يصبح مؤمنا؟ الجواب لا، فلو وُجد في الكافر الصدق مثلا، أو الشجاعة، هل يصبح مؤمنا؟ الجواب: لا، لابد أن يكون قد شهد أن لا إله إلا الله، إذن وجود الخصال لا يعني كفر هذا المؤمن.

واتفقنا على هذه القاعدة اللفظية: **أن الكفر إذا نُكِّر فإنه يراد به الكفر الأصغر.**
ما هاتان الخصلتان "الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ"؟
- الطعن في النسب هذه مصيبة انتشرت تدل على نقص الإيمان، الطعن في النسب من أعمال أهل الجاهلية وفيه التنقص في الأنساب تكبرا وتعاظما على الناس واحتقارا لهم، وهي من الكفر الأصغر.

ونحن من عاداتنا في شرح هذا الحديث نطلب من بناتنا أن يراجعوا النصوص التي ذمت العنصرية، وللشيخ عبد السلام برجس رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة رسالة صغيرة لكنها عظيمة في جمع الأحاديث التي فيها دلالة على ذم العنصرية.
وسبق لنا في الدفعة الماضية أن طلبنا من بناتنا أن يكتبوا الأحاديث التي في هذه الرسالة ويعلقوها في أرجاء المعهد من أجل أن تُحفظ ثم تُستعمل مع النفس ومع الناس، لأن هذا المرض تخلل القلوب والناس لا يشعرون به، ولا يشعرون أن كلما أتت المواقف التي فيها افتخار نقص من إيمانهم على قدر افتخارهم على الناس، وأن هذه الخصلة لو كانت في القلب ربما عدمت الإيمان والإنسان لا يشعر، فلا تستهن، هذا كفر أصغر، لا تستهن بها، فهي معصية لكنها من الكبائر بدليل أنها سميت كفرا أصغرا، والحقيقة بعد معالجة الناس ومعاملتهم وجدنا أن لا أحد راض عن أحد، فكل الناس يرون أنهم أحسن من غيرهم، وبالذات في مسألة الأنساب، وأهل جزيرة العرب ابتلاهم الله بهذه البلوى العظيمة، تفاخر بعضهم على بعض، وتنقيص بعضهم لبعض.
وإن لم يكن هذا في موضوعنا لكنني أطلب من بناتي أن يبحثن عن رسالة الشيخ عبد السلام وهي "ذم العنصرية" ويمكن للمعهد أن يوفرها، ثم تطبع الأحاديث بخط كبير، وكل حديث في ورقة منفصلة كبيرة، توزع في أرجاء المعهد علّها تحفظ وننتفع بها، وهذا أقل ما يجب علينا لدفع هذا البلاء عنا، وأنا أرجو من الله أن ييسر لي أو لأحد من طلبة العلم، أو كبار علمائنا – حفظهم الله وبارك فيهم – أن يشرحوا هذه الرسالة علها تخرج من النفوس هذا المرض العظيم.

الخصلة الثانية وهي الشاهد لنا في هذا الحديث على الباب: النياحة
النياحة: إظهار الجزع على الميت كما كان أهل الجاهلية يفعلون
ما الواجب والمطلوب؟ الصبر على أقداره سبحانه وتعالى، الصبر على الفقد، وهذا لا يمنع أن الإنسان يتألم ويبكي، فالبكاء في أصله لا مانع فيه، والنبي صلى الله عليه وسلم بكى على ابنه إبراهيم وقال: "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ"، وهذه من الرحمة التي من المؤكد أنها موجودة في النفوس، وأنت ترى بعض الناس أحيانا يضيق عن أن يفهم الطريقة السليمة لمعاملة أفعال الله، فيتصور أن المثالية هي ألا يبكي ولا يحزن.
لذلك سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن أحد ممن يعتبرونهم عارفين بالله روي عنه أنه كان ضاحكا يوم توفي ولده، وقيل أنه ما رُئي ضاحكا إلا يوم توفي ولده، فسئل ابن تيمية عن ذلك، وكانت علة العارف وكلامه لما أخذ الله ولده أنه قال: أحب الله شيئا فأحببته، فكأن السائل يسأل ابن تيمية رحمه الله يقول له: هذا حال العارف، كيف أجمع بينه وبين أن النبي صلى الله عليه وسلم بكى لموت ولده إبراهيم؟!، فأجاب ابن تيمية وقال: هدي نبينا صلى الله عليه وسلم أكمل الهدي، فقلب العارف بالله لم يتسع إلا لمعنى واحد وهو الرضى بالقضاء، وقلب نبينا صلى الله عليه وسلم اتسع لمعنيين الرضى بالقضاء والرحمة بالولد.

أي أن قلب نبينا صلى الله عليه وسلم اتسع لمعنيين، في مقابل أن الناس في الغالب قلوبهم لا تتسع إلا لمعنى واحد، فتقول لك أحدهم: لا أستطيع أن أوازن بين أن أرضى بالقضاء، وبين أن أحزن لفقده.

نقول: لا، انظر إلى فعل النبي صلى الله عليه وسلم، واعلم أنك تستطيعه لكن اسأل الله التوفيق

على كل حال؛ اعلم أن الصبر والرضى من خصال الإيمان وهذا ما دلت عليه الآية، وأن الجزع من المصيبة وإظهاره من خصال الكفر، وهذا ما دل عليه الحديث فهما متضادان، وبهذا تفهم أن كمال الإيمان يكون بكمال علمك عن الله الذي يستوجب لك الرضى بأفعاله، وأن نقص الإيمان يكون بنقص العلم عن الله الذي يستوجب منك عدم الرضى عن أفعاله.

نريد الآن أن نعرف أحوال الناس حال المصيبة.

الناس حال المصيبة على أربع مراتب حسب إيمانهم بالله وعلمهم عن الله كما اتفقنا:

- المرتبة الأولى: التسخط

وهو إما أن يكون بالقلب، وهذا – والعياذ بالله – قد يؤدي إلى الكفر، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾[٤٨٦]

وقد يكون هذا التسخط باللسان، كأن يدعو الإنسان على نفسه ويتمنى الموت وربما تكلم: لماذا أنا! وقد يكون بالجوارح، كاللطم وشق الجيوب، لأن الشيطان يتلبسه فيشعر بالضيق الشديد، فنسأل الله أن يحفظنا وأن يحفظ ذرياتنا من هذا البلاء، من أن يتملكنا الشيطان ويتخطفنا وقت وقوع المصاب، فتجد مع الضيق الشديد يُخرج هذه الطاقة ولا يحبسها، يخرجها فيشق ثوبا، ينتف شعرا، يلطم وجها، الله المستعان الله يصبرنا، إذن هذه الحالة الأولى وهي من تخبط الشيطان بالإنسان.

- المرتبة الثانية: الصبر.

فيرى الإنسان أن هذا الشيء ثقيل ويكرهه، لكنه يحبس نفسه، فهذا إيمانه يحميه من أن يتسخط على أقدار الله، الحال الذي أعلى منه.

- المرتبة الثالثة: الرضى.

وهذا أعلى من مرتبة الصبر، وهذا معتمد على قوة علمه بالله، وهو نازل مع القضاء والقدر، راض به، الكل عنده من عند الله، أي ما يفرحه وما يحزنه، وهذا راض ليس لأن قلبه ميت، فبعض الناس يشعر بأن قلبك ميت لذلك لا تشعر بالمصيبة، لا، هذا راض لتمام رضاه بربه، وينظر للأمر على أن ربه اختاره له فيقبل به، وهذا لا يمنع طبعا عن أن يحزن من المصيبة.

مثلا حالنا مع الأحداث هذه وقع علينا خسارة عظيمة في مبنى البغدادية سواء كان من أجهزتنا أو فصولنا أو كتب حبست للتبرع، وأثاث المكاتب في الدور الأول تقريبا خسرناه تماما، بالإضافة إلى القاعة، ووقعت خسارة في المكيفات الكبيرة، وقعت خسارة في الأرض، الحمد لله، من المؤكد أن هذا الأمر يحزننا، خصوصا القائمين على المكان، وكون بناتنا فقدوا أماكنهم وأغراضهم بعد جهد استمر أربع سنوات في إنشائها، مرة واحدة تجد نفسك بلا مأوى، كل هؤلاء لا يوجد لهم مكان ونحتاج إلى أن نعيد التأسيس مرة

[٤٨٦] الحج:١١

أخرى، وهذا إذا عادت الكهرباء، والمشكلة الكبيرة هي الكهرباء، فكل – مقابس – الكهرباء غرقت ماء، فلا نجد لأنفسنا مخرجا إلا أن يخرجنا الله، فأنت في قلبك خزن أنك خسرت هذا كله، خصوصا أن هذا بأموال الناس، فمثل هذه الأماكن تعلمون أنها تنشأ بأموال الناس، جزاهم الله خيرا وكتبها الله في ميزانهم.

فمشروع قائم ثم تجده يكاد ينهار، لكن الحمد لله نحن راضون بفعله ومتيقنون أنه بهذا دفع عنا بلاء لم يكن في حسباننا، نحن متيقنون من هذا الأمر، وما هو البلاء وماذا يمكن أن يكون هذا أمر ليس في أيدينا، حتى تصوره لا يمكننا، لكننا نعلم علم اليقين أنه يقلبنا في قضائه وقدره من حسن إلى أحسن، هذا ما نثق به يقينا، أنه يقلبنا من حسن إلى أحسن، وقد تعرضنا فيما سبق لضيق أكثر من هذا الضيق ثم أخرجنا الله من الضيق إلى السعة، والذي يتذكر مبنى الشرفية أول ما بدأ المعهد كيف كان في ضيقه حتى أننا لا نستطيع في الممر أن يمشي ثلاثة أشخاص معا، وأقصى حد أن يمشي شخصان، ثم ضيقوا علينا وتعرضنا لضيق لو ما تعرضنا له لما خرجنا منه إلى هذا المبنى، فلما تعرضنا للضيق أخرجنا الله لما هو أوسع منه، ثم من ذاك الواسع إلى أوسع منه، ثم من هذا الواسع إلى أوسع منه، نحن على ثقة بربنا وراضون به، برغم ما يقع في قلوبنا من أحزان لفقد أغراضنا، وفقد ترتيبنا، وجهود بذلناها، لكنه سبحانه وتعالى جمع لنا الأمرين، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله كما نظن، جمع لنا بابا من أبواب الصبر على أقداره، مع الفرج الذي سيأتي ولابد أن يأتي ونحن على يقين من قربه.

فلذلك تجد أن الرضى عن الله مبني على علمك عنه سبحانه وتعالى.

- المرتبة الرابعة: الشكر

وهذا أعلى المراتب، فالشاكر يرى أن الله أعطاه الغنيمة، فأنت تعلم أن الغنيمة الحقيقية هي تكفير سيئاتك وزيادة حسناتك، فتجد نفسك شاكرا على هذه الحال، شاكرا على حال تصل بها إلى تكفير سيئاتك وزيادة حسناتك، ثم تجد ما هو أكثر منه، تشكر الله لأنك على يقين أنه سيخرجك من هذا الضيق إلى فرج، وفرج قريب، وسترى كيف يأخذك الله من ضيق إلى فرج.

والنبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلاهَمٍ ، وَلا حَزَنٍ وَلا غَمٍّ ، وَلا أَذًى ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا ، إِلا كَفَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا خَطَايَاهُ "، فما أعظم هذه الغنيمة، وقع ضيق في قلبك من فقد ما تحب، ازدد رضى عن الله وصبرا على قدره، وستجد من أبواب الفرج ما تجد، لكن كن واثقا في ربك، محسنا الظن به.

ولذلك هذه العبادة العظيمة التي تحتاج أن تفعلها وتعين الناس على فعلها، علم الناس عن ربهم ليحسن ظنهم به، هذه حقيقة ما نفقده، حسن الظن بالله، فإذا أحسنت الظن وقع في قلبك حبه ورجاؤه والتوكل عليه، وانصرف عنك القنوط من رحمته، وإذا وقعت عليك مصيبة ترى خيوط الفجر التفت بها، فلا ترى مصيبة إلا وعينيك ترى الفرج معها، وأنت تعلم أن الأبواب ضيقة عن الدور، فقس الباب والدار سترى أن الدار واسعة، لكن الباب صغير، فهكذا لما تخرج من دار فسيحة إلى دار أفسح منها ستخرج من باب ضيق، فهكذا المصيبة تخرجك من دار فسيحة إلى دار أفسح منها، وهذا بحسن ظنك به سبحانه وتعالى.

❖ الدليل الثالث.

ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ" .

هذا الحديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

معنى "ضَرَبَ الْخُدُودَ": أي من أجل المصيبة.

"وَشَقَّ الْجُيُوبَ": أي وقت المصيبة تسخطا وعدم تحمل، ويحصل فيه من الحرارة والقوة ما تجعله ينفثها في ثوبه

"وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ":ودعا بدعوى الجاهلية: هذه صيغة عامة، لكن الظاهر أن المقصود بها فعل مثلما تفعل الجاهلية، وقال مثلما تقول الجاهلية من أقوال تدل على التسخط على أمر الله، فينادي عند المصيبة بألفاظ تقولها الجاهلية، والواجب على المسلم أن يرضى بالله ربا، وأن يعامل المصيبة كما يحب ربه ويرضى، والنبي صلى الله عليه وسلم بريء من الصالقة والحالقة والشاقة ، وكل هذه صفات للناس وقت وقوع المصيبة.

وُجِعَ أَبُو مُوسَى وَجَعًا ، فَغُشِيَ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ ، فَصَاحَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا ، فَلَمَّا أَفَاقَ ، قَالَ : أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " بَرِئَ مِنَ الطَّالِقَةِ وَالْحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ "

ثم أتى الشيخ بأحاديث تدل على علاقة الصبر بالإيمان، وعلى ما يدفعك لهذا الصبر.

❖ الدليل الرابع.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

أي: إذا أراد الله بعبده الخير، والمقصود بالخير الرفعة عند الله، وليس المقصود به الرفعة هنا في الدنيا، فالمقصود أن من علامة إرادة الله بعبده الخير في الآخرة أن يعجل له العقوبة على ذنوبه، فالذنوب تصدر من الإنسان بكثرة، أنت تعلم أنه لا معصوم إلا الأنبياء، "كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ " فكثرة الذنوب والمعاصي التي تصدر من الإنسان تبعده عن الخير الحقيقي، فمن رحمته سبحانه وتعالى أن يكفر عنه السيئات بتعجيل العقوبات، وتعجيل العقوبات يكون تكفيرا على حسب حال الإنسان بعدها، لكنك يقال لك: انظر إلى المصائب بهذه النظرة لكي تستطيع أن تحبس قلبك عن الجزع، فتعجيل العقوبة خير لك من تأخيرها للآخرة، إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، ولعذاب الآخر أشد وأبقى.

ونحن نسأله سبحانه وتعالى ألا يجعل عقوبتنا في ديننا، ففي أحيان كثيرة تجد أن الإنسان يعاقب في دنيه بأن يستهين بالمعصية ويتهاون بالواجب، ولا يغير على حرمات الله، ولا يقوم بأمر الله، والله عز وجل يقول: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ فكان الناتج من إصابتهم ببعض ذنوبهم أنهم تولوا عن الدين.

فلذلك العقوبة أهون في الدنيا، عقوبة في النفس، في الأهل، في المال، أهون من العقوبة في الدين، فإذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، أي في شأن الدنيا وليس في شأن الدين، فترى الأمراض النفسية والأمراض العضوية، وترى فقد الأحبة، وترى نقص المال، هذا كله من أنواع العقوبات الدنيوية، فماذا سيكون ردك عليها؟ على حسب ردك يكون تعجيل الخير لك، أي على

حسب ردك على هذا البلاء الذي نزل عليك يكون تعجيل الخير لك، لأن الله عز وجل لو أراد بك خيرا عجل لك العقوبة في الدنيا، فيقع عليك من المصائب ما يكون ردك فيه الصبر أولا، والأعلى منه الرضى، والأعلى منه الشكر، فيكون ردك هذا إنما هو سبب لجعل هذه المصيبة خيرا عليك، فأنت على حسب ردك تكون هذه المصيبة خيرا عليك أو شر عليك.

"وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ" والإمساك هذا فعل من أفعاله، فيترك عقوبتك

حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" أي يوفيه الله بها، أي يجازيه بها يوم القيامة، فيرجع العبد إلى الله وذنوبه عليه لم يحط عنه منها شيئا، فيعذب بها يوم القيامة.

وهذا يدلك على أن صحة الإنسان الدائمة ليست علامة خير، أو سلامته الدائمة ليست علامة خير.

متى تكون المصائب تكفيرا للسيئات، ومتى تكون رفعة للدرجات؟

انظر للمسألة بنظرتين: نفس المصيبة تنزل فتكفر السيئات وترفع الدرجات، وهذا يكون على حسب حال الإنسان:

- فإذا كان الإنسان مقيما على المعاصي سنقول: أنت يا مقيم على المعاصي الله عز وجل رحمك بأن أوقع عليك المصيبة لتعود إليه، وتكون المصيبة كفارة لذنبك.
- ومن كان مقيما على الطاعة مشهودا له بها مستقيما عليها نقول أنه سيأتيك الحديث الثاني لتفهم كيف أن المصيبة هذه نفسها لو كنت مستقيما كانت سببا لرفعتك.

الدليل الخامس.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ ؛ مَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ. " حسنه الترمذي.

هناك تقابل بين عظم الجزاء مع البلاء، **فكلما كان البلاء أشد وصبر الإنسان، صار الجزاء أعظم**، وهذه دلالة على كمال عدل الله وأنه لا يظلم أحدا.

"وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ": أي اختبرهم واختبر رضاهم وحسن ظنهم به سبحانه وتعالى، فيختبرهم بما يقدره عليهم من الأقدار الكونية، فإذا أحب الله عز وجل هذا العبد، ورضي عنه، وكان العبد مستقيما ابتلاه بالمصائب والشدائد، فلما أحبهم ابتلاهم من أجل أن يخفف عنهم، ومن أجل أن ينتقلوا إليه وهم مخلصون من الذنوب منتقلون إلى المقامات العلية عند الله.

ولذلك انظر الآن إلى حالك، إن كنت من أهل المعصية كان البلاء كفارة لك، وإن كنت من أهل الطاعة كان البلاء رفعة لك، وفي الغالب أن العباد لا يخلون من الحالتين معا، فالعبد فيه طاعة وفيه معصية، فتأتي هذه المصيبة مكفرة لك سيئاتك دلالة على محبة الله لك، وعلى إرادته رفعتك، هذا كله يدور على حسب ما أتى قيدا في هذا الحديث.

"مَنْ رَضِيَ" وهنا الإشكال، فهل هذه المصيبة كفارة للذنوب أو رفعة للدرجة؟ ليس هنا الإشكال، قد يجتمع لك الاثنان، لكن من رضي فله الرضى من الله، والمراد بالرضى هو رضاك بقضاء الله من حيث أنه قضاء، فلا يقع في قلبك سخط على الله، والجزاء من جنس العمل، إذا رضيت عن الله رضي الله عنك، وإذا سخطت على قضائه وقدره وشككت في حكمته كان الجزاء من جنس

فعلك فيسخط الله عليك، والله عز وجل يبتلي العباد بالمصائب ليظهر الصابر من غير الصابر، وليترتب الجزاء من عنده سبحانه وتعالى.

بهذا نكون انتهينا من الباب.

نذكر خاتمة عن علاقة الصبر بالإيمان.

نقول متى علم العبد عن كمال صفات ربه، وعلم تمام حكمته في تقديره، وأن له النعمة السابغة على العبد، وعلم أن المصيبة لا تكون إلا بإذنه رضي بقضاء الله وسلم لأمره، وهذا من إيمانه بكمال صفات ربه، متقربا بصبره إلى الله راجيا الثواب وهو رضاه سبحانه، وخائفا من العقاب، فتجد من كان هذا إيمانه يطمئن قلبه لفعل الله ويجازيه الله بأن يزيده إيمانا، يهدي قلبه ويزيده إيمانا، فلذلك إذا كنت موحدا على الحقيقة لا بد أن تختبر نفسك في إيمانك بأقدار الله، فاعلم أنه وحده الذي يقدر الأقدار، واعلم أنه وحده العليم الحكيم الخبير، لا تنسب إلى الأسباب أقدارا، وإنما الذي سبب الأسباب هو الذي قدر الأقدار، وهذه النظرة تصلح القلب، ثم إذا أردت محاسبة من جرت على يده الأسباب لا تلام على محاسبه، لكن المهم ألا ترى أنه فعل على الاستقلال، إنما كان سببا والله عز وجل هو الذي يسبب الأسباب.

نسأل الله عز وجل أن يمتعنا بالإيمان، وأن يصح قلوبنا ويجعلنا من أهله وخاصته، اللهم آمين

أحسن الله إليكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

هذا هو لقاءنا الأول بعد العودة بناتي الطالبات في المعهد، أسأل الله عز وجل أن يكون ما مضى من أعمال مقبول وأن يتجاوز سبحانه وتعالى عن الخطأ والزلل وأن يعاملنا باسمه الشكور، فلو لم يعاملنا بفضله هلك العبد لا بد، لكن نتوسل إليه وهو على كل شيء قدير، وهو بالإجابة سبحانه وتعالى جدير، نتوسل إليه أن يعاملنا باسمه الغفور الشكور، فيغفر لنا نقص الأعمال، ويشكر لنا قليل ما قدمنا.

وسنبدأ إن شاء الله من اليوم إلى الأربعاء دورة – اسأل الله أن يجعلها مباركة – نشرح فيها ما يتيسر فيها من كتاب التوحيد، و سأبذل جهدي في هذه الدورة — وأسأل الله أن يتقبل الجهد القليل — سأبذل جهدي أن أختصر المسائل، فنسأل الله أن يتمم علينا فضله أن نستطيع أن ننهي الكتاب قبل نهاية الفصل.

مر معنا في الأبواب الماضية الكلام حول ركائز العبودية وهي المحبة والخوف، واتفقنا على أن التوكل كيف أن داعمه الأصلي وأساسه في القلب هو وجود الرجاء، فمن كان يرجو ربه لا بد أنه تم له التوكل.

بعدما انتهى الشيخ من ذكر هذه الركائز القلبية والعبادات التي هي غاية في الأهمية يرتكز عليها أعمال العباد وأحوالهم في التعامل مع الحياة، فلا بد للعبد من محبة الله عز وجل، بل والإخلاص في هذه المحبة وتوحيده سبحانه وتعالى بها، وتوحيده أيضا في الخوف منه سبحانه وتعالى، وتوحيده في الرجاء والتوكل.

ثم بعدما بين هذه الركائز ذكر ضدها، وما يفسدها فقال :

باب قول الله تعالى: (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)٤٨٧. وقوله: (قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ)[٤٨٨].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئل عن الكبائر، فقال: "الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ"

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ " .رواه عبد الرزاق.

[٤٨٧] الأعراف:٩٩

[٤٨٨] الحجر:٥٦

❖ الدليل الأول.

باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٤٨٩].

هذا الدليل ابتدأ به الباب وهو يريد أن يذكر مسألتين، أي أنك ستجد أن الشيخ في ثنايا الباب ذكر مسألتين:

- الأمن من مكر الله.
- القنوط من رحمة الله.

وكلاهما طرفا نقيض.

الأمن من مكر الله.

نبدأ أولا بالأمن من مكر الله، وهو في الحقيقة مناسب للأحوال التي مرت بها مدينتنا العزيزة، فقد وقع على مدينة جدة موعظة لمن كان يريد أن يتعظ، وقع عليها قضاء وقدرا نؤمن به متكلين على الله عز وجل، مستعينين به على أن يلهمنا الصبر والسداد والتصرف كما يحب ويرضى.

فقد وقع على كثير من أهالي المنطقة الجنوبية في مدينة جدة وبلغ الضرر حتى المنطقة الوسطى، لكن الأضرار الفادحة كانت في المنطقة الجنوبية من مدينة جدة، وقع عليها من نقص الأموال والثمرات والأرواح ما وقع.

ونحن نذكر هذا الكلام، أذكركم وأذكر نفسي بالإيمان بالقضاء والقدر، فما فقدنا من ممتلكات تضررت أو فقدت، أو فقدنا الانتفاع بها وهي تقدر بمبالغ عالية، والمال كله يعوض، يعوضه مالكه سبحانه وتعالى، فترى الفقد الأعلى هو فقد الأرواح.

الآن أنا سأقول لكم هذا الكلام معتمدة على الله سبحانه وتعالى أن يجعل في قلوبنا جميعا أولا الإيمان بالقضاء والقدر، فهذا أمر وقع قضاء وقدرا، ونحن نعلم أن وراء القضاء والقدر حكمة، لابد أن تكون هناك حكم عظيمة العباد في أشد الحاجة إليها، محتاجون أشد الحاجة إلى أقداره كلها، فما قدر الله شيئا إلا والنفوس منتفعة منه سواء علمت أو لم تعلم.

فبعد إيماننا بالقضاء والقدر يأتي نقاشنا حول ارتكاب كبيرة **"الأمن من مكر الله"**، وأنا أخاطبكم هذا الخطاب وأسأل الله أن يكون خالصا لوجهه، واعظة لنفسي قبل أن أعظ أي أحد.

نحن نرى من آثار الأمن من مكر الله، ومن أجل أن يتبيَّن لكم هذا الأمر نقرأ الآية التي ذكرها الشيخ في السياق، نقرأها من أولها وهي آية الأعراف؛ يقول الله عز وجل: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾[٤٩٠]، فالناس نيام في بيوتهم غير مستعدين لملاقاة الله، واقع في القلوب الأمن بما نملك من جدران، وبما نملك من أثاث، وبما نملك من أبواب، ولذلك الله عز وجل يقول﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ يعني هذا الأمن الذي في القلوب هو الذي منعها من التعلق بالله، أو أضعف فيها التعلق بالله، فأمن القوم أن يأتيهم بأس الله بياتا وهم نائمون، ولذلك ترى الناس لما يدخلون للنوم يكسلهم الشيطان حتى عن أذكار النوم، ننام ونحن على ثقة تامة لا يخدشها شيء أننا سنصبح على أحوالنا المستقرة لن ينقصنا شيء.

---

[٤٨٩] الأعراف:٩٩

[٤٩٠] الأعراف:٩٧

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[٤٩١]، وهذا هو الذي وقع تماما، بأس الله أتى ضحى والقوم يلعبون، فهاتان حالتان وهما: ﴿نَآئِمُونَ﴾، و﴿يَلْعَبُونَ﴾ تدلان على كمال الأمان، وأنتم تعلمون أن الخائف لا ينام، والذي ضاقت عليه أحواله لا يلعب، فهذا يدل على كمال الأمن والرخاء وعدم الضيق.

لذلك قال الله تعالى بعد هاتين الإشارتين ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾، والاستفهامات هنا كلها للإنكار والتعجب من حال هؤلاء، فهؤلاء يمارسون النوم، واللعب، وهم غافلون عن ذكر خالقهم، فتراهم في الليل نوم، وفي النهار لعب، وهذا كما هو واضح في الآية من مكره سبحانه وتعالى بهم، فترانا في حال النعم أطعمنا الله وآمننا من خوف وكسانا من عري، فإذا أعطاك الله عز وجل هذا كله وأنت مقيم على المعصية، فلا تتصور أنك رابح، أنت مخدوع لو تصورت أنك رابح، بل في الحقيقة هذه خسارة، لأن هذا من مكر الله بالعبد.

واعلم أن المكر صفة لله عز وجل من الصفات المقيدة، والمقصود بها مقابلة من يمكر، وهذا فيه دلالة على قوة الماكر وأنه غالبة على خصمه، وهذه الصفة لا يوصف الله عز وجل بها على الإطلاق، إنما تذكر هذه الصفة في مقام تكون فيه مدحا مثل قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾[٤٩٢] وقوله تعالى ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[٤٩٣] فهنا أتت الآية تبين أن هؤلاء يتصورون أنهم مكروا؛ أين تصورهم؟ يعني أين مكرهم؟

يرون أنفسهم حصلوا على ما يريدون دون أن يعبدوا الله، وكلما طلبوا من ربهم أعطاهم، مع عدم الشكر، فتصور العبد أن عطاء الله دليل على رضاه، ومن رحمته سبحانه وتعالى بنا أن ينبهنا بأحداث مثل التي حصلت، فالماء الذي من وصفه أنه لطيف تجد أنه تحول لوحش كاسر يكسر أبواب البيوت، يكسر جدران مبنية، يأخذ أرواحا وممتلكات، يأخذها ويخرجها من مكانها لأمر الله.

فهؤلاء الذين أصيبوا هذا المصاب، نسأل الله عز وجل أن يتقبل موتاهم شهداء، وأن يعوض عليهم ما فقدوا، وأمر الله إذا نزل لا يرده حذر، لكن هذا في حق أناس سبب للرفعة، وفي حق آخرين مكر منه سبحانه وتعالى، وفي حق من لم يتضرر زيادة شواهد على قدرته وعلى عظمته وعلى أن العبد مهما أمَّن نفسه فلا أمان إلا بالله، لذلك نحن يؤسفنا طرح كثير من المتكلمين اليوم في هذا الموضوع، طرح الموضوع طرحا يدور فقط حول الأسباب المادية لما حصل، ونحن لا ننكر أن لكل شيء سبب، ولا ننكر المحاسبة والمخاطبة بلهجة شديدة لمن قصر وأخطأ، لكننا ننكر أن يكون هذا هو النقاش الأساسي، وأن نبقى كلنا ندور حول ما السبب في وقوع مثل هذا دون أن نتنبه إلى أن هذا الذي حصل إنما هو نذير، والنذر لما تأتي يكون في داخلها من الآلام والمخاوف ما يكون، فلما تنزل هذه النذر على أحد، قد يكون فيها مقبول رفع الله درجته، وقد يكون فيها مسخوط عليه مكر الله به، وهذا الذي نعتقده، فنحن الآن لما نتكل عن هذه الحادثة على أنها نذير، لا نتكلم عن الأشخاص، فالأشخاص الذين وقعت عليهم الحادثة لا بد أن يكونوا منقسمين، لا بد، لأننا سنشهد على الله بلا علم إذا قلنا أنهم نزلت عليهم هذه العقوبة لأنهم يستحقونها،

---

[٤٩١] الأعراف:٩٧

[٤٩٢] الأنفال:٣٠

[٤٩٣] النمل:٥٠

بل نقول أن فيهم من الصلاح، وفيهم من كان في مسجده عابدا، ومن كان صائما، ومن كان تاليا لكتاب الله، وإن كان فيه ما يقابله من اللهو والأمن.

المقصد الآن: لا تنظر إلى الأشخاص، لكن انظر إلى نفس الحدث، ولما تنظر إلى نفس الحدث، ليس الآن الكلام عن الأسباب، بل الآن الكلام عن قوة الله، فبعدما أراك من نعيمه، أراك قوته وقدرته، من أجل أن تحذر من النعم التي يعطيك الله إياها، لأنها لقلبك عازلة، تكاد تكون مانعة من التضرع إليه، ومن ذكره، ومن سؤاله، فترى العباد كأنهم متيقنين من أنهم يستطيعون أن يحفظوا أموالهم وأهليهم، فاحذر من النعم أن تكون استدراجا، **واعلم أن لكل نعمة وظيفتان:**

- الوظيفة الأولى: وظيفة الشكر، وهي نسبة النعمة التامة لله مع الكفر بالأسباب.

أي بعد أن تحصل على مرادك لا تقل إنما أوتيته على علم، بل اكفر بكل الأسباب وكن مؤمنا أن ربها هو مولي هذه النعمة ومسديها، وأما الأسباب فكانت ابتلاء واختبارا.

- الوظيفة الثانية: وظيفة الصبر، الصبر عن أن تبطر عليها، والصبر عن أن تأمن بسببها.

فكل صاحب طعام اليوم، لا يدري أيأكل غدا أم لا يجد، وكل شارب اليوم لا يدري أيسقى غدا أم لا، وربما لا يسقى لأنه ليس من عداد الأحياء، وربما لا يُسقى لأن الله ابتلاه بمرض لا يستطيع بسببه أن يُسقى، وربما جفت أنهاره، فعش في النعم شاكرا، صابرا، راجيا من الله عز وجل أن يبلغك مرضاته.

ثم اعلم أن الاستدراج بالنعم هو ما أحل بالأمم السابقة العقوبة، فلو تأملت جيدا في سورة الأعراف، سترى أن السياق كان عن الأمم الكافرة التي أحل الله بها العقوبة من قوم نوح، وقوم صالح، وقوم هود، وقوم لوط، وقوم شعيب، كل هؤلاء الذين ذكروا في سورة الأعراف، ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾[٤٩٤] فتأتي البأساء والضراء، أي الشدائد من الجوع، ومن الخوف، ومن غلاء الأسعار، وكل هذه التنبيهات أتتنا، أتانا هذا التنبيه، غلت الأسعار، ووقع الانهيار في سوق الأسهم، كل هذا من فعله سبحانه وتعالى، لعلهم يدعونه، لعلهم يرجعون إلى الله ويتوبون، لعلهم يعلمون أن ما أصابهم كان من ذنوبهم، فلما ابتلاهم الله عز وجل بالبأساء والضراء ولم يعودوا، استدرجهم بالنعم، أي أنهم لما لم يرجعوا عند النقم، استدرجهم بالنعم، فقال تعالى : ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ يعني بدل الشدة والجوع والخوف ﴿الْحَسَنَةَ﴾ يعني أي العطاء، والسعة والمال، كل هذا استدراجا منه سبحانه وتعالى، حتى عفوا: أي زادت قوتهم، اغتروا بالنعمة.

فهم جمعوا الآن بين حالتين: بين أنهم لم يتوبوا عند النقمة، ولم يشكروا عند النعمة، ثم انظر كيف فسروا هذه الحال ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ وهذه قوة الاعتماد في تفسير الأحوال على الأسباب، يعني عندما يُسألون ما الذي أصابكم؟ لماذا أتتكم الضراء، وانهار اقتصادكم، وارتفعت أسعاركم ؟ قالوا هذه الأمور تجري عادة، مرة رخاء ومرة شدة، فما أرجعوا الأمور إلى الله، وما علموا أن ما أصابهم من العقوبات بسبب ذنوبهم، وأن ما أصابهم من النعمة فهو فضل من الله، بل بقوا يدورون أثناء النقمة في الأسباب، ولما أتت النعمة أيضا بحثوا في الأسباب، فنسبوا الضراء والسراء إلى العادة، فلما كانت هذه حالهم وتقلباتهم، قال الله عز وجل : ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ هذا هو المكر، أن الله عز وجل أخذهم في مأمنهم، أخذهم وهم آمنون لا يتوقعون

[٤٩٤] الأعراف:٩٤

العقوبة، فهذه السعة، وهذه النعمة، وهذه الثروات غفلنا عن شكر الله عليها، ووقعنا في كثير من الأحيان في البطر عليها، وفي قلوبنا مشاعر عدم الخوف من العقوبة وزوال النعمة، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٤٩٥].

إذن النعم إذا كانت مع المعاصي فهي استدراج، وإذا كانت مع الطاعات فهي نعمة من الله وعون على طاعته.

لكن سؤالنا : كيف يأمن العبد مكر الله؟ الأمن من مكر الله هو عبارة عن اغترار بالنعم، ونسيان العقوبة، ونسيان قدرة الله عز وجل على العبد، فينسى العبد أن الله يأخذه على غرة وهو آمن منعم، ثم ينقله من النعمة إلى النقمة، ومن الصحة إلى الألم والمرض، ومن الغنى إلى الفقر، ومن الوجود إلى العدم.

فهذا كله من المشاعر التي تقع في قلب العبد، لكن متى يشعر بها؟ متى يشعر بالأمن من مكر الله؟ لما يقع في ذنب أو خطيئة ثم يرى نعم الله تترى عليه، وستره حال به، فلما يرى هذا، ربما في أول الأمر وجد حرارة للذنب فتاب واستغفر، ثم مع تكراره للذنب ومع بقاء النعمة عليه، يبرد قلبه تجاه الذنب وتجاه التوبة.

فأنت الآن تحتاج من أجل أن تفهم متى يأتي المكر أن تفهم قضية المحاسبة، أي أن الأمن من مكر الله لا يأتي إلا عندما يفقد العبد تمييزه بين ما له وما عليه، الأمن من مكر الله لا يأتي للعبد إلا عندما يفقد تمييزه بين ما له وما عليه، يعني إذا كنت باقيا مميزا بين ما لك من حسنات تسأل الله قبولها، وما عليك من سيئات، تسأل الله عز وجل أن يغفرها، إذا وقع عندك التمييز صح منك البعد عن الأمن من مكر الله.

لكن مشكلتنا في هذا، والآن لا بد أن تتصور الرابط بين المحاسبة والتوبة، والتوبة هي العبادة التي تدل على أنك لست آمنا من مكره، لأن كثير التوبة يجد في نفسه خوفا من عقوبة الله، يشعر بذنوبه ومعاصيه، فالمحاسبة تولد التوبة، والتوبة تأتي أيضا بالمحاسبة، فتجد أن التوبة بين محاسبتين، محاسبة قبل التوبة تقتضي وجوب التوبة، تجعلك مدفوعا إلى التوبة، ومحاسبة بعدها تقتضي حفظ هذه التوبة، فأنت تبت عن شيء فلا تعد إليه، ونحن نرى أن من البلاءات الواقعة علينا أننا نتوب في الصباح فنمسي نعيد نفس الخطأ، والله عز وجل حضنا على هذه المحاسبة، قال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[٤٩٦] فبقاء المحاسبة من المؤكد أنه يدفع الأمن من مكره، فانظر إلى غد، هل يصلح ما قدمته من أعمال أن تلقى الله بها أو لا يصلح؟ والمقصود أن تستعد ليوم المعاد، وأن تقوم مقام من يؤمن بقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[٤٩٧].

ومن أجل أن تأتي بهذه المحاسبة التي هي دافعة للأمن من مكره:

- أولا: قس أو قايس بين نعمة الله وجنايتك، أي انظر إلى ما يأتيك من الله من خير، وما يصعد له سبحانه وتعالى من أعمالك، فهنا يظهر لك التفاوت، وتعلم أنه ليس إلا عفوه ورحمته أو الهلاك والعطب، ويتبين لك بهذه المقايسة أن كل نعمة من فضله، وكل

[٤٩٥] الأعراف:٩٦

[٤٩٦] الحشر:١٨

[٤٩٧] الحاقة:١٨

نقمة من عدله، فما وقع بك أو وقع بإخوانك فإما أنه من فضله أو عدله، واعلم أنه لولا فضل الله ورحمته ما زكا أحد من العباد، ولولا هداه ما اهتدى أحد.

ثانيا: قايس بين حسناتك وسيئاتك لترى أيهما أكثر وأرجح قدرا وصفة، والمحاسبة للنفس في مسألة الحسنات والسيئات تحتاج إلى نور لتميز بين الحق والباطل، ففي أحيان كثيرة نرى لنا حسنات وهي في الحقيقة مشوهة بنية فاسدة فتتحول فتصبح سيئات، ثم إذا قايست بين نعمته وبين ما أنت عليه من حال، إذا قايست بين نعمته سبحانه وتعالى وبين جنايتك، وقايست بين حسناتك وسيئاتك سيتبين لك معنى سيد الاستغفار: "أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي" فأنت سيتبيَّن لك أن كل النعم ما أتتك إلا من الله، وستعلم فساد كثير من الأعمال التي أقبلت بها على الله، فإذا حاسبت نفسك على الأعمال لا بد أن تفتش تفتيشا صادقا عن نيتك في العمل، واعلم أنه سبحانه وتعالى رزقك من الأسباب التي تتعبده بها، فعلى ذلك أنت تدور في نعمته، فلا زلت تعبده بعبادة الصبر والشكر، فتشكره على ما هيأ لك من نعم، وتصبر على أن تبطر أو أن يقع في قلبك نسبة الفضل إليك، فالفضل كله لله.

الآن إن شاء الله يكون قد تبين المقصود من الأمن من مكر الله، فهو أحدى البلاءات القلبية التي يكون صاحبها آمنا عقاب الله، وليس في قلبه خوف منه سبحانه وتعالى، والأمن من مكر الله ناتج عن عدم الإحساس بقدرة الله من جهة، وبالذنوب والكبائر التي يرتكبها العبد من جهة أخرى، ونحن مر معنا عبادة الخوف، وكيف أن العبد لو وقع في قلبه الخوف من الله سيسعى في مراضي الله ويبتعد عن مناهيه، فالخوف عبادة، وأنت تعلم أنك تخاف بسبب ذنوبك، فتقرب إلى الله بعدم الأمن من مكره مستشعرا دائما أنه سبحانه وتعالى ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة، فمن أسمائه القهار والجبار والعزيز، فتفهم جيدا أنك في طرفة عين لا تكون ولا يكون لك.

لذلك لما ترى كلام السلف الذي يقصدون به دفع المكر، نشعر أننا عاجزين عن دفع الأمن من مكر الله، أي أنك الآن تتعبد الله أن تدفع عن قلبك الأمن من مكر الله، فلما ترى حال السلف وكلامهم في هذا الأمر، ترى أنك عاجز عن دفع هذا الأمر.

فهذا ابن قدامة رحمه الله يوصي أحد إخوانه فيقول:

واعلم أنه من هو في البحر على اللوح – أي غريق على لوح يتمسك به – ليس بأحوج إلى الله وإلى لطفه ممن هو في بيته بين أهله وماله.

أي أنك الآن في بيتك، المطلوب منك أن تتعلق وتتمسك وتطلب اللطف من الله كالذي يطلبه الغريق على لوحة، فيقول:

فإذا حققت هذا في قلبك، فاعتمد اعتماد الغريق الذي لا يعلم له سبب نجاة غير الله.

لكننا لا زالت تعيقنا العوائق عن بابه، فالنعم جعلت العبد يظن أنه في غاية المأمن، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ" فإذا أقام العبد على المعاصي وعامله الله بحلمه سبحانه وتعالى، لا ينبغي أن يغتر بحلم الله، مع أن الحلم لما يعاملك الله به فلا تستفيد، يتحول في حقك إلى استدراج.

على كل حال؛ عاملنا الله بحلمه ولا زال، لكننا أصبحنا ننكر قلوبنا التي كلما ابتلاها الله بالمصائب، أصبحت تبحث عن سبب، وقالوا: مس آباءنا الضراء والسراء، فجعلوا الأسباب والعادات سببا بدلا من أن ينتفعوا بها ليعتبروا.

وعلى كل حال؛ لما تحصل أحداث من هذا النوع من غرق وهدم، نبقى سائلين الله للموتى منهم المغفرة، وللأحياء الصبر والسلوان والرضا بقدر الله، وأما نحن الذين أمد الله في أعمارنا، فنرى هذا زيادة شواهد على قدرته، ففي هذه الحال لا بد أن تتعبد الله بالخوف، وتطرد من قلبك الأمن من مكره، فربما أنت الآن لا تجد آثارا .... لحياتك لفقد...، وترى كل الحال على ما يرام، فيغرك هذا، ويفقدك قدرتك على تليين قلبك، فتأتي المصيبة العظمى أن يقسو القلب، فلا يلين بالعبر مهما كانت قريبة، ويبقى الناس يقولون: تلك المنطقة مبانيها كذا، وموجودة في مجرى السيل، وأحدهم يقول لا هي ليست في السيل إنما هذا سيل محول تحول من المناطق القريبة من مدينة جدة إلى جدة، وهذا الكلام يزيدك يقينا أن هذا كله بقدرة الله، فهؤلاء عاشوا زمنا في بيوتهم محفوظين، لماذا الآن وقع عليهم هذا الأمر؟ وجدة لها أكثر من ستين أو سبعين سنة لم يأتها سيل، لماذا الآن؟ من المؤكد أن هذه قدرة الله، هذا هو المقصود، فاختار الله من أولئك ما اختار سبحانه وتعالى، نسأل الله أن يتقبلهم شهداء عنده، وبقي الكلام على الأحياء بمن يتعلقون وماذا يطلبون، فترى البعض وقع في قلبه الهرب، أتفر من قدر الله؟ سينزل عليك لا محالة، فأنت فارٌّ من قدر الله هنا إلى قدر الله.

وكثيرون هذه السنة امتنعوا عن الحج بدعوى خوفهم من الأنفلونزا المنتشرة، فسلم الله الحجاج والمعتمرين وأوقع البلاء على من يرون أنفسهم آمنين، **حرك قلبك بالمحاسبة، ولا تنتظر أن تتغير عليك الأحوال لتحاسِب**، والمصيبة الأعظم أن القوم الذين تحركت حولهم الأحوال وتغيرت وبُدِّلت، مع ذلك لا يجدون في أنفسهم إلا قسوة فوق القسوة، فالتوبة التوبة، المبادرة إلى التوبة، هذا ما يدل على أنك مستعد للقاء الله، مستعد لأقداره، أما الآمن من مكر الله، فيجد في نفسه عدم الخوف، والشعور أن كل شيء باق على حاله، على كل حال، هذا ما تيسر شرحه في معنى المكر

أسئلة من الطالبات.

كيف تكون المحاسبة والمقايسة بين الحسنات والسيئات قدرا وصفة دون الوقوع في قوله ﴿ولا تزكوا أنفسكم﴾ وبين "ولا تزدروا نعمة الله عليكم"؟

أنت لو كنت صادقا شاعرا بنعمة الله، سترى نفسك في نهاية الأمر لا تستطيع لنعمة الله إحصاء، كيف ستكون محاسبتك ومقايستك؟ أولا ستكون بين نعمة الله وبين حسناتك هذا أول الأمر، فمن هنا أنت ستكون عاجزا، ثم لما تحصل لك محاسبة بين الحسنات والسيئات، هذه تحتاج منك إلى نور الحكمة، وسوء الظن بالنفس من أجل أن تفتش في كل أعمالك تفتيشا صحيحا، فنحن لما نكون جهالا نرى بعض الأعمال التي .. أي لما يكون العبد جاهلا بربه، ويأتي يحاسب نفسه، ويقايس بين الحسنات والسيئات تجده يأتي إلى حسنات في الشرع هي حسنة لكنه هو لم يحسن أثناء عمله، مثلا ذهب إلى الحج، في الشرع الحج حسنة، لكنه في نفسه لم يكن محسنا، فربما أضاع الوقت، وربما دخل في الكبائر.

المقصد أنك كلما ازددت علما وبصيرة، تبينت لك الحسنات من السيئات، وهذا يجعلك ترجع إلى حسناتك وتطلب من الله أن يقبلها منك، وترجع إلى سيئاتك وتتوب إلى الله منها، ولا تكن مثل المنافقين الذين غرتهم أنفسهم، وتمنوا على الله الأماني، لا تكن مثلهم، بل انظر إلى الأعمال الصالحة التي قمت بها أولا، وفتشها تفتيشا دقيقا، وانظر إلى نقصها العظيم، إلى النقص في النية، إلى النقص في المتابعة، إلى النقص في العناية بها، كل هذا يجعلك تعلم كيف أن حسناتك تحتاج منك إلى استغفار وإلى رجاء شديد أن يقبلك.

نسأل الله عز وجل أن يقبل حسناتنا، نسأل الله عز وجل أن يقبل من الحجاج حجهم، نسأل الله عز وجل أن يقبل من العابدين في هذه العشر عباداتهم، وأن يتجاوز عن نقصهم، اللهم آمين.

لذلك كلما اشتد علمك، رجوته القبول؛ نسألك يا ربنا أن تقبل منا ضعيف أعمالنا، يا ربنا عاملنا باسمك الغفور الشكور، فتجاوز عن نقص الأعمال، واشكر لنا قليلها، واجعلنا من الذين يقولون لما يدخلون جناتك جنات النعيم معتقدين يقينا أن هذا من نعمتك علينا، يسألونك باسمك الغفور الشكور، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله، نسألك يا ربنا أن تجعلنا من هؤلاء الذين تيقنوا في الدنيا أنك غفور شكور، وعاملتهم بهذا اليقين.

كيف يستفيد العبد من حلم الله ولا يكون مستدرجا؟

لنفهم الحلم أولا، كيف يعامل الله عز وجل عباده بالحلم؟ الله عز وجل من فضله على العباد أنهم إذا أذنبوا عاملهم بحلمه فلم يعاجلهم بالعقوبة مع علمه سبحانه وتعالى بذنوبهم، ومع اطلاعه وإحاطته على دقائق عمل قلوبهم، لكن مع ذلك فهو سبحانه وتعالى يجري عليهم النعم، فإذا كان مطلعا عليهم وعلى ذنوبهم، ولا يعاجلهم العقوبة، بل يجري عليهم نعمه كأنهم ما أذنبوا، هذا هو حلمه سبحانه وتعالى بعباده.

ثم كيف تنتفع به قبل أن يتحول استدراجا؟

التوبة، التوبة؛ لذلك أنت مطلوب منك أن تحاسب نفسك، أي لا تأتي إلى النعم فتراها أقبلت عليك فتتصور أن هذا دليل على رضاه، فالمال ليس دليلا على الرضا، والنعم وكثرتها ليست دليلا على الرضا، إنما الدليل الحقيقي على الرضا هو التوفيق للعمل الصالح، مع هذا التوفيق يأتي الذل والانكسار، أي توفق إلى العمل الصالح مع بقاء الذل والانكسار فلا يدخل عليك الكبر، هذا هو التوفيق.

فكيف تستفيد من حلمه؟

لا بد أن تشعر أنك مذنب، فمثلا لو أذنبت ذنبا ولم يعاجلك بالعقوبة، أذنبت ونمت، ثم وجدت أن الله أحياك إلى غد، ما دام أحياك فهذا بنفسه من حلمه سبحانه وتعالى بك، فاغتنم هذا الحلم، اغتنم هذا الزمن الذي معك بالتوبة والاستغفار والعودة والانكسار بين يديه، وعِدْهُ وَعْدَ صادق أن لا تعود، واسأله أن يعصمك من هذا الذنب، وأنت في كل هذا منكسر بين يديه، متذلل يلهج لسانك بذكره وشكره، منفق في سبيله ما تستطيع ولو كان أقل القليل، صادق في أنك تريد أن تدفع السيئة بالحسنة. نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا بأن نغتنم أنفاسنا في ذكره وشكره، وأن نكون ممن أعددنا لغد ما يرضيه عنا.

المهم احذر أن تعيش آمنا من مكره متصورا أن النعم الكثيرة عليك هي دليل رضاه؛ ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ يقول هذا القول الباطل، يقول هذه الكلمة المفسدة له، ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾[٤٩٨] متصورا أن هذا هو الإكرام، وفي الحالة الثانية لما يؤخذ منه المال يقول:﴿رَبِّي أَهَانَنِ﴾ متصورا أن هذه هي الإهانة، ففي الأولى يتصور الكرم، وفي الثانية يتصور الإهانة، وهذا هو المفسد للقلوب، فربي يكرمك بالتوفيق للطاعة، والإهانة الحقيقية هي أن تدور في الدنيا متعلقا بها غير مستعد للقائه.

[٤٩٨] الفجر:١٧

عندما نقوم بالعمل الصالح تأتينا الوساوس أنه قد دخله رياء فنتوقف عن العمل، في بداية الأمر كنت أعتقد أنها مجاهدة، لكن أصبحت تبعدني عن الكثير من الأعمال الصالحة بحجة أنها دخلها رياء وغير ذلك فما هو الصحيح في هذه الحالة؟

هذا السؤال الثالث من الأسئلة المشهورة، وهو نوع من أنواع تلاعب الشيطان بالإنسان، وهذه الحالة هي أن الإنسان يدخل إلى العمل الصالح وهو حريص على أن يكون عملا صالحا، فيدخله الشيطان أنه يريد بهذا العمل ثناء فلان وفلان، فيحل المشكلة بأن ينصرف عن العمل، وهذا من أبطل الباطل، لكن أنت ابق في مكانك واصرف قلبك عن الناس، وكلم نفسك كلاما ظاهرا، أكثر من الاستعاذة، وقل لنفسك وكلم نفسك: أن لا أحد يستحق أن يُطلب رضاه ولا أن يُبذل من أجله إلا الله.

احمل هم اليوم الثقيل: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[٤٩٩] ما لقاهم من النعيم العظيم، فقل هذا الكلام لنفسك، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا، ذكر نفسك أن الله مطلع على ما قام في قلبك، ذكرها علّ الله أن ينفعك بتذكيرك لنفسك، واسأله سبحانه وتعالى أن يخلص أعمالك من الرياء.

كيف يتوب العبد توبة نصوحة ؟

الحقيقة هذا يحتاج إلى درس منفصل، لكنك تحتاج إلى عدة أمور في التوبة النصوحة باختصار:

- أولا: قلب يشعر بمصيبة الذنب.
- ثانيا : تحتاج إلى لسان يذكر الله كثيرا.
- ثالثا : تحتاج إلى بعد عن مواطن الذنب.

أنا أقول الآن كيف تكون نصوحا، أما التوبة فمعروف ما هو المقصود بها، وهي الإقلاع عن الذنب، والعزم على عدم العودة إليه، وأنت صادق في هذا كله.

لكن النصوح من أين يأتي نصح التوبة؟

يأتي من كون قلبك شاعر بأن هذا الذنب مصيبة، وإذا وقعت فيه مرة ثانية قصم ظهرك، تحتاج أن تكون دائما ذاكرا لله بلسانك، وأن تبتعد عن الأماكن، والأشخاص، والأحوال التي تقربك من الذنب.

في ليلة القدر يقدر الله فيها ما يجري علينا من الأقدار في تلك السنة، فهل ما نحن فيه من أحداث يدخل ضمن ما قدره الله في تلك السنة أم بسبب الذنوب والمعاصي ؟

هذا سؤال يدل على أن سائله عنده مشكلة في مسألة القضاء والقدر، فالقضاء والقدر هو علمه سبحانه وتعالى السابق لما سيكون من العباد، وربط الأشياء بأسبابها، فهذا من قضائه وقدره أن الله عز وجل ربط الأشياء بأسبابها، فهو مقدر مكتوب وله سبب، وسببه ذنوب العباد ومعاصيهم.

[٤٩٩] الإنسان:١١،١٠،٩

القنوط من رحمة الله.

ننتقل إلى الجزء الثاني من هذا الباب وهو الكلام عن القنوط من رحمة الله.

◄ الدليل الثاني.

وقوله: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾[٥٠٠].

استدل المؤلف رحمه الله لهذا القنوط بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾؛ وهذه الآية جزء من قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة لما أتت بصورة أضياف تبشره بالولد، وكان لا يولد له، فاستبعد أن يكون له ولد فقالوا له:

﴿فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ فقال: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾[٥٠١] أي: لا أحد يقنط من رحمة الله إلا ضال عن الحق، لأن المؤمنين يعلمون من قدرة الله سبحانه وفضله وإحسانه ما لا يعلمه غيرهم، ويعلمون من قرب رحمته وفرجه ما لا يعلمه غيرهم.

فما هو القنوط؟ القنوط حالة مبدؤها سوء الظن بالله، ونهايتها ترك دعائه وطلبه سبحانه وتعالى، وهذه في الحقيقة حالة تمر على كثير من الناس لا يتصورون فيها رحمة الله، وذلك لأنه مر عليهم أمر، أي أنهم كانوا في نعمة ومر عليهم أمر من البلاءات فتصوروا أن نعمة الله عز وجل لا تعود إليهم، لذلك الله عز وجل وصف هذه الحال عند كثير من الناس كما في مواطن متعددة في يونس وفي هود.

فمثلا في آية هود يقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ *وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[٥٠٢].

إذن عندنا أربعة أوصاف له:

وصفان عندما تكون عنده نعمة وينزعها الله، يصبح يئوسا كفورا، ثم إذا بدل الله ضراءه نعماء أصبح فرحا فخورا.

كيف يكون الإنسان يئوسا كفورا؟ هذا الشخص عندما تكون عنده نعمة وينزعها الله منه؛ لا يتصور أن الله يردها على حالها أبدا، بل ييأس من روحه، ويتصور أن حال الضيق هذه التي هو عليها ستبقى أبدا.

ما وجه كونه كفورا؟ لماذا يئوس كفور معا؟ لأن الإنسان مرت عليه مواقف كثيرة أحسن الله إليه وأعطاه وأكرمه، فلما ينسى ويكفر إكرامه له، يقع في قلبه اليأس، إذن الإنسان جاهل ظالم، الله عز وجل يذيقه من رحمته، يعطيه الصحة والأولاد والأرزاق ثم ينزعا لسبب أو لآخر، فكل هذا أقدار يرى الله فيها أحوال العباد، فماذا يحصل للإنسان؟ يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها أو مثلها أو خيرا منها.

فهذا معنى القنوط، أنه سبحانه وتعالى بعدما يعطيك النعمة ويقدرك عليها تستمع بها، وتتصرف بها، ثم يأخذها ابتلاء وامتحانا، يكون ردك اليأس من روحه، والقنوط أن الله يغيرها، ويردها أو مثلها أو خيرا منها

---

[٥٠٠] الحجر:٥٦

[٥٠١] الحجر:٥٥

[٥٠٢] هود:٩،١٠

فهذا كله مبني على سوء الظن بالله عز وجل، واستبعاد قدرته سبحانه وتعالى، والطعن في رحمته سبحانه، وتعالى، فأنت الآن إذا وقعت في كربة لا تستبعد حصول مطلوبة وكشف مكروبك، وانظر إلى يونس عليه السلام كيف نجاه الله، فأنت وأنت سائر إلى ربك، لا تقنط من رحمته في تغيير أحوالك، ولا تقنط من رحمته مهما كنت مذنبا، عاصيا، مخالفا لأمره، لو تعلم كم له سبحانه وتعالى من رحمات يرحم بها العباد ما كنت أدبرت عن بابه.

فمشكلة القنوط من رحمة الله أن الشيطان يستعمله مع الإنسان المذنب، فيشعره أن الله لا يقبل توبته، خصوصا من تكرر منه الذنب، فيأتيه الشيطان ويشعره أنك أنت الآن بعد أن أخذت لذتك وفعلت ما تريد، تأتي الآن وتريد أن تتوب؟ فييئسه من رحمة الله، وهذا ما هو إلا من فعل الشيطان، لا تستسلم له، ادفعه عن بابك والجأ إلى الله، سواء كنت في أزمة لا تكن كفورا فتتصور أن الله لا يرحمك، ولا يبدل حالك، أو كنت مذنبا بعيدا طريدا لا تتصور أن الله لا يقبلك، المهم أقبل على الله، واعلم أنه واسع المغفرة سبحانه وتعالى، فمن أقبل عليه فتح له أبواب رحمته، لكن المهم أن تكون صادقا وتسأل الله عز وجل الثبات وتوفق إلى أعمال صالحة، هذا كله وغيره من الأحوال التي تكون من حال التائب، هذه دلالة على أن الباب فتح لك، لكن أهم ما في الأمر أن تقبل عليه، أقبل على الله، ولا تجعل الشيطان يأخذك بعيدا عنه، مهما عظم ذنبك، أقبل عليه خائفا، تائبا، راجيا، طامعا، واثقا، استشعر أنه رحمن رحيم، استشعر أن رحمته سبحانه وتعالى وسعت كل شيء، لا تيأس من روحه أبدا مهما عظم فعلك، ما دام معك أنفاس، اغتنمها في الإقبال على بابه، اذكره واشكره واسأله أن يقبل توبتك، كرر سيد الاستغفار، " أبوء بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" .

مهما عظم ذنبك لا تستعظمه في مقابل رحمته سبحانه وتعالى، المهم أقبل عليه، لا تقل كما يقول السفهاء الذين أخذهم الشيطان: -لا بد لنا من دخول النار لا بد-، وترى كثيرا منهم يقول - أنا داخل النار داخل النار- لا تقل هذا الكلام، تأمل، وقوِّ قلبك في حسن الظن به، وحسن الظن هنا مع العمل، كرر التوبة بلسانك، وبوجدانك، وأكثر من سيد الاستغفار، واتبع السيئات الحسنات، وأنفق ما استطعت إلى ذلك سبيلا، أبواب الحسنات مفتوحة على مصراعيها، فأحسِن أحسَن الله إليك.

انتهت بذلك الآية الأولى والثانية واللتان مضمونهما بيان تحريم الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، والعلم أن هذه من الكبائر، فالأمن من مكر الله يفضي إلى التساهل في محارم الله، لأن من أمن مكر الله ساءت أعماله، وأخلاقه، وتصرفاته، وما وقع في قلبه خوف من الله، ويقابل هذا القنوط وهو اليأس من رحمة الله، فالعبد يكون سيئ الظن بربه، فتنكسر نفسه ويصد عن باب الله، ولا يجد في قلبه رجاء له، ولا يتوكل عليه، والواجب أن يكون المسلم بين الأمرين، فيرجو الله ويخاف ذنوبه ومعاصيه، فلا تغرق في المعاصي وتأمن مكر الله، ولا تيأس من رحمة الله وأنت مقبل عليه تائب، بل كن كالطير بين الجناحين، واعلم أنك في حال الصحة؛ الخوف يصلحك، وفي حال المرض؛ الرجاء أنفع لك، أي أن الأصل أن تكون بينهما، لكن لما يتبدل حال الإنسان بين الصحة والمرض، وبين القدرة والعجز، فكلما كنت قادرا كان الخوف أنفع لك.

الدليل الثالث.

ننتقل الآن إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئل عن الكبائر، فقال: "الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّه"

هذا الحديث أول فائدة نستفيدها هي أن الذنوب تنقسم إلى قسمين: صغائر وكبائر.

وهذا قد دل عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾، والكبائر أيضا ليست على درجة واحدة، فبعضها أكبر من بعض، واختلف العلماء هل هي معدودة أو محدودة، والراجح والله أعلم أنها محدودة، أي وُصفت وصفا تعرفها بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

كل ما رتب عليه عقوبة خاصة سواء كانت في الدنيا أو الآخرة، وسواء كانت بفوات محبوب أو بحصول مكروه، وهذا واسع جدا يشمل ذنوبا كثيرة.

انت الآن لما تنظر إلى المعاصي ستجد أن المعاصي قسمان:

القسم الأول: ما نُهي عنه فقط؛ مثلا : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الشرب قائما، وهذا مجرد مثال، لأن هناك خلاف أصلا في هذه المسألة، المهم أنه نَهى عن فعل كذا دون أن تذكر عقوبة خاصة للمخالف، فالعقوبة هنا تأتي بالمعنى العام للعقوبات، هذه المعصية تكفر بفعل الطاعات، مثل حديث الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر.

الوضوء أيضا يكفر الصغائر، وللشيخ محمد رحمة الله عليه كلام معناه: أن الصغائر إذا تبت عنها تبدل سيئاتك حسنات، وإذا لم تتب عنها محيت لكن دون التبديل، واستدل بدليل إن شاء الله المرة القادمة ربي يذكرنا به ونذكره.

هذا القسم الأول من المعاصي، نُهي عنه فقط لكن لم يُذكر عليه وعيد.

القسم الثاني: من المعاصي ما رُتبت عليه عقوبة خاصة، كاللعن، وكالغضب، وكالتبرء، وكالحد في الدنيا، وكنفي الإيمان، فهذه كبيرة لكن تختلف في مراتبها، فقد ورد في الحديث "أكبر الكبائر" ففهمت أن الكبائر فيها أكبر وفيها أقل.

الرجل أتى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وسأل عن الكبائر، فكان رد النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الشرك بالله، والشرك هنا لو أطلق المقصود به الأكبر والأصغر، واليأس من روح الله.

ما معنى اليأس وهذا شاهدنا؟ اليأس هو فقد الرجاء، والرَّوح بفتح الراء معناه قريب من معنى الرحمة، وهو الفرج والتنفيس

لماذا اليأس من روح الله كبيرة من الكبائر؟ لأن لها نتائج على تعلق القلب بالله، فمن يئس من روح الله لا تجده متعلقا بالله.

أيضا من الكبائر الأمن من مكر الله كما مر معنا، وهو أن يعص الله آمنا من عقوبته، والغفلة أكبر الأمراض التي أصابت أجيالا من الناس، لذلك نحن نرجو الله عز وجل أن يكشف عنا هذه الغفلة.

❖ الدليل الرابع.

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ " .رواه عبد الرزاق.

هذا الحديث والحديث الماضي وهو حديث ابن عباس اختلف أهل العلم بين رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ووقفه، على كل حال، حديث ابن عباس وحديث ابن مسعود كلاهما للاستئناس، لكن الآيتين أفهمتاك أن من الأحوال التي يمر بها الإنسان؛ اليأس من روح الله، والأمن من مكر الله.

فالشيخ رحمه الله إذا ذكر مثل هذا الحديث الذي في سنده مقال، لا يذكره إلا وقبله أو بعده ما يؤيده من الآيات أو الأحاديث التي يسوقها في الباب، أي لا يأتي إلى حديث فيه لين أو نظر في سنده ويستدل به منفردا أبدا، لا يوجد في كتابه مثل هذا، لا في هذا الكتاب ولا غيره من كتبه، لكنه يأتي به لما يسمى عند العلماء بالاستئناس، فتكون المسألة أصلا ثابتة، لكن نستأنس بالحديث.

ضربنا مثالا سابقا وقلنا لو أننا أتينا نتكلم عن فضل صلاة الجماعة، لدينا أكثر من عشرين حديثا صحيحا في فضل صلاة الجماعة، وهناك غيرها من الأحاديث التي تتكلم عن فضل صلاة الجماعة لكن في سندها لين، فلو سمعت أحدا يستدل بها لا تسفهه، لأنه استدلال بحديث ضعيف على مسألة أصيلة لها أدلتها.

ننتقل إلى أثر ابن مسعود، قال: : "أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ" .

هنا فرَّق بين القنوط واليأس.

القنوط واليأس متقاربان، وكلاهما فيه استبعاد لرحمة الله، وسوء ظن بالله:

❖ لكن – والله أعلم – أن اليأس يكون مع الكرب والشدة في الدنيا، فأنت تنظر إلى يعقوب عليه السلام لما بقي راجيا ربه فقال لبنيه ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٥٠٣]، أي الذين يكفرون نعم الله ويغطونها، أما المؤمنون فلا ييأسون من روح الله مهما بلغ بهم الكرب والشدة، لماذا ؟ لعلمه بالله عز وجل وأسمائه وصفاته، وعلمهم اليقيني بقرب فرجه، وقرب رحمته من عباده، فتراهم متيقنين بالفرج كما يتيقن السهران من طلوع الفجر، فلا يمكن لأحد أن يشككهم من رحمة الله، كما لا يمكن لأحد أن يشكك هذا الناظر المنتظر للفجر.

فالمؤمنون لا ييأسون من روح الله مهما اشتدت بهم الخطوب، ومهما ضاقت بهم الأحوال بل يزداد رجاؤهم بربهم.

وانظر إلى إبراهيم عليه السلام، وانظر إلى يعقوب لما فقد أولاده، وانظر إلى أيوب عليه السلام لما بلغ منه الضر مبلغا شديدا، وانظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما أُخرج هو وصاحبه أبو بكر يوم الهجرة، كل هذا يدلك على أن أصحاب الإيمان الحقيقي لما يبتليهم ربهم لا ييئسون مهما بلغ الأمر ومهما بلغت الشدة، لعلمهم برحمة الله، وقدرة الله، وعلم الله، وأنه سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية، لكن يبتليهم ويمتحنهم ليكفر عنهم سيئاتهم وليختبر إيمانهم، وليعظم رجاءهم بربهم، ولتقع منهم التوبة، وله حكم عظيمة لا نستطيع إدراكها.

---

[٥٠٣] يوسف:٨٧

هذا بالنسبة لليأس من روح الله.

- **أما القنوط من رحمة الله**؛ فالذي يظهر – والله أعلم – أنه حال تمر على العبد يقع في قلبه أن الله لا يغفر له ذنبه، أي أن هذا أمر يتصل بالآخرة، فيتصور ويستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله، ويجد في قلبه أن الله لا يغفر له ذنبه، وهذا القنوط من رحمة الله لا بد أنه مسبب للعبد الهلاك، لأنه يجعله يزداد في المعاصي ويرى أن التوبة بعيدة عنه تماما.

على كل حال؛ اعلم أن للقنوط من رحمة الله سببين:

- السبب الأول: أن يكون العبد متمسكا بالمعاصي مقيما عليها، فيقطع طمعه من رحمة الله، لأنه مقيم على الأسباب التي تمنع الرحمة، فلا يزال كذلك حتى تصير هذه الذنوب والمعاصي وصفا وخلقا لازما له.
- السبب الثاني: أن يقوى خوف العبد من ذنوبه، ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة، ويظن بجهله أن الله لا يغفر له ولا يرحمه.

هذان سببان يسببان القنوط من رحمة الله.

أيضا الأمن من مكر الله له سببان مهلكان:

- السبب الأول: إعراض العبد عن الدين، وغفلته عن معرفة ربه وما له من الحقوق.

أي الأمن من مكر الله سببه الجهل بالله، والجهل بالله يوصل الإنسان إلى أن يضمحل الخوف من الله في قلبه، لأن العلم عن الله يورث القلب خوفا منه سبحانه وتعالى.

- السبب الثاني: أن يكون العبد معجبا بنفسه، مغرورا بعمله، فلا يزال به جهله حتى يُدِلّ بعمله ويزول الخوف عنه.

أي تراه يمن على الله بعمله، ويرى أن له عند الله مقامات عليّة، فيصير بذلك آمنا من مكر الله، متكلا على نفسه الضعيفة، ومن هنا يُخذل ويُحال بينه وبين التوفيق.

فهذا هو السبب الثاني، وهو أن يكون الإنسان معجبا بنفسه، مغرورا بعمله، فتراه يمن على الله ويرى أن له مكانة عند الله، فيصاب بهذا المصاب العظيم وهو الأمن من مكر الله.

بهذا كله لما فهمت الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، فهمت إلى أي درجة هذه الأخلاق تنافي التوحيد، وكيف عندما يكون العبد متصفا بها يكون هذا دليل على نقص توحيده لربه، وعلمه بقدرته، ورحمته سبحانه وتعالى.

فاعلم أن الجمع بين الخوف والرجاء واجب من واجبات الإيمان، ولا يتم التوحيد إلا بذلك، فعدم الجمع بين الخوف والرجاء ينافي كمال التوحيد، فالواجب عليك أن تجعل خوفك مع رجاءك، وأن تجعل رجاءك مع خوفك، فلا تأمن المكر ولا تقنط من رحمة الله.

هذا ما تيسر ذكره في هذا الباب المبارك العظيم المهم الذي نحتاجه غاية الحاجة، نحتاجه أن يتكرر علينا.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بهذا الذي يمر علينا، فنتذكر الآخرة، ونتذكر الوقوف بين يديه سبحانه وتعالى، وأننا سنكلمه ما بيننا وبينه ترجمان.

فامح ما مضى بالتوبة الصادقة، واسأله وأنت راج له أن يوفقك إلى عمل صالح تختم به هذا العمر الشريف الذي منّ به علينا. فهو سبحانه وتعالى المنان الذي من علينا بالإيمان، ومن علينا بالقرآن، ومن علينا بالصحة والعافية والأمن والأمان.

ونسأله أن يجعلنا من الشاكرين الذاكرين، فلولا منته علينا ما كان هذا وصفنا.

يا ربنا، اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وتقبل موتانا شهداء، وتقبل طاعاتنا، تقبل طاعة من أطاعك في العشر، وتقبل حج من حج في هذا الحج.

لك الحمد ابتدأتنا النعم، ولك الحمد عاملتنا بالحلم، ولك الحمد رزقتنا التوبة وفتحت أبوابك لنا، لك الحمد سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت، لا إله إلا أنت، لا إله إلا أنت.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نبدأ اليوم إن شاء الله لقاءنا الثالث من هذه الدورة المكثفة لدراسة كتاب التوحيد، نبدأ إن شاء الله بدراسة باب ما جاء في الرياء، ونسأل الله عز وجل أن ييسر أيضًا دراسة باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، فيجتمع بذلك الموضوع في أذهاننا إن شاء الله.

بعدما ذكر المؤلف ركائز العبودية وهي الحب والخوف، وذكر التوكل الذي هو نتيجة من أصل وهو الرجاء، فذكر الحب، وذكر الخوف من الله عز وجل، وذكر نتيجة الرجاء وهو التوكل؛ فالموحدين من قوة رجاءهم بربهم وحسن ظنهم به سبحانه وتعالى تجد أنهم قويين في توكلهم على الله.

ثم ذكر ما يضاد ذلك من حال الناس الذين يتخطفهم الشيطان بين قانط من رحمة الله وبين آمنًا من مكر الله.

وذكر بعد ذلك حال الكمل الصابرين وهؤلاء وصفهم أنهم دافعين للأمن من مكر الله ودافعين للقنوط من رحمته، فتراهم بربهم راضيين وبأقداره مسلمين وقلوبهم ممتلأة حسن ظنًا به سبحانه وتعالى.

وهذا كله مرتبط بالتوحيد، فانت تجد أن من أدلة التوحيد — من أدلة توحيدك انت لله – أن تعلم أن القضاء والقدر بيده فإذا رضيت بذلك ورضيت عن الله رضي الله عنك وأرضاك، فلما تعلم أنه بيده وحده سبحانه لا شريك له وأنه كامل الصفات سبحانه وتعالى دل ذلك على تمام توحيدك ونتج منه إيمانك بقضاءه وقدره، نسأله سبحانه وتعالى أن يشرح صدورنا بالقضاء والقدر وأن نكون ممن أحسن الظن به وعاش على ذلك في حياته ومات على ذلك.

ومن آثار حسن الظن بالله أن يكون الإنسان مخلصًا في كل أعماله لله – الآن أربط بين ركائز العبودية وبين ضدها — بين من الإيمان الصبر على أقدار الله مع الضد [الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا].

انت الآن عندما يمتلأ قلبك حسن ظن بالله سيكون الناتج محبة سبحانه وتعالى، ويكون الناتج الخوف منه، لماذا؟ لأن من حسن ظنك به أنه يعامل عباده بعدله فلا يظلم أحد، فانت ارتكبت جناية فلابد أن تخاف من الله لأن وصفه سبحانه وتعالى أنه مطلع على ما انت به، ولا يظلم أحدا شيئا فتخاف من ذنوبك أن تكون سببًا لمعاملة الله لك بعدله، ثم إذا أحسنت الظن به من المؤكد أنك ترجوه فإذا رجوته سبحانه وتعالى وقع منك قوة التوكل عليه، والناس على حسب حسن ظنهم بربهم يكون توكلهم عليه، ثم إذا ساء ظنك بربك لابد أنك تقع في أحد أمرين:

أما الأمن من مكر الله وانت متصور أن عطاء الله ونعمه أما دليل على رضاه أو دليل على عدم إطلاعه عليك، وعدم قدرته عليك، واحد يذنب ويذنب والنعمة موجودة فمن سوء ظنه بربه يتصور أما أن ربه راضي عليه بسبب ذنوبه لأنه يتصور نفسه شيء عند ربه أو يتصور ان ربه لا يعلم عنه فهذا من سوء الظن بالله.

ومثله القنوط من رحمة الله يظن العبد أن الله لا يرحمه، ولا يعطيه ما أمله، فلو كان حسن الظن وقع منه المحبة، وقع منه الخوف، وقع منه الرجاء والتوكل، واندفع عنه القنوط من رحمة الله واندفع عنه الأمن من مكر الله، لو كان العبد محسن الظن بالله لأندفع عنه القنوط من رحمة الله والأمن من مكره سبحانه وتعالى.

ثم المحسن الظن بربه لابد أن يكون في قلبه من الصبر على أقدار الله ما يجعله يحتملها ولا يقنط من رحمة الله، أن يأتيه الفرج بعد هذا الكرب والشدة، نرى الآن ما علاقة حسن الظن بالله مع الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا، سأذكر طرفًا من الأمر ثم بعد باب الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا يتبين لكم الأمر أكثر.

إذا كنت محسن الظن بالله تعلم أن من أوصافه أنه عليم محيط خبير، لا يتحرك قلبك طلبًا لغيره، فترى أن أساس سوء الظن بالله الجهل به، فلو علمت مثلًا أن من أوصافه أنه عليم، أنه بصير، أنه سميع، ماذا يقع في قلبك؟ من المؤكد أنك لن تلتفت إلى غيره.

ولذلك في سورة فصلت عندما أخبر سبحانه وتعالى عن شهادة الأعضاء على العبد علل سبحانه وتعالى موقف العبد، عندما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾ ما الذي أشكل عليكم؟ ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [٥٠٤]، ثم قال الله عز وجل ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٥٠٥].

ففساد الاعتقاد فيما يتعلق بصفات الرب من المؤكد أنه يترتب عليه فساد الأعمال وإنحلال الدين، والوقوع في الرياء وإرادة الدنيا وغير ذلك من المعاصي سواء كانت البدنية أو القلبية.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ والله عز وجل يقول ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾ [٥٠٦] هذا الحسبان، هذا الظن هو الذي أهلك الناس وأهلك قلوبهم وأهلك أعمالهم غاب عنهم أن ربهم مطلع على سرائرهم، وانت لا تنسى أن إبراهيم عليه السلام لما أراد أن يميز لأبيه بين الحق والباطل قال له ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾ [٥٠٧] وهذا هو الفرق!؛ العلم عندما يأتيك عن الله لابد أن يكون علمًا يقينًا يجعل مقصدك كله لله.

ولذلك انظر إلى حال من علم كمال صفات ربه وأحسن الظن به وعلم إطلاعه عليه وعلم نقص نفسه، ماذا قال إبراهيم عليه السلام؟ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ يعني يبذل الجهد ويعمل العمل يريد به وجه الله ويبقى متحرقًا ينتظر قبول الله له ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ومثله عندما امرأة عمران نذرت ما في بطنها محررًا قالت ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٥٠٨] فهذا حال من يعلم عن الله ويحسن الظن به، يعلم أن ربه سميع، يعلم أن ربه بصير.

ولذلك الله عز وجل يقول ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٥٠٩] يعني هذا وعد أنه سبحانه وتعالى لا يضيع شيء من أعمال الخير التي تقوم بها، وأنه سبحانه وتعالى بصير بها، وبصير بنيتك حال القيام بها، فهذا كله يجعلك لا تلتفت يمنة ولا يسرة لابدنك ولا بقلبك.

---

[٥٠٤] فصلت:٢٢

[٥٠٥] فصلت:٢٣

[٥٠٦] الزخرف:٨٠

[٥٠٧] مريم:٤٢

[٥٠٨] مريم:٣٥

[٥٠٩] البقرة:١١٠

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾[٥١٠] هذا الذي ينقص؛ أن يكون حسن الظن بالله يجعلنا نعتقد يقينًا أنه سبحانه وتعالى يرى ويسمع ويعلم سبحانه وتعالى ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[٥١١]، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ولذلك أهل الإيمان يقولون ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[٥١٢].

وإذا أردت أن ترد عن قلبك الألتفات إلى غيره فلا تنس قوله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ واجعلها قاعدة تمنعك من الألتفات إلى غيره بالذات في حال العبادات، اجعل هذه الآية في سورة البقرة قاعدة في حياتك ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ أحذروا أن تلتفت قلوبكم يمنة ويسرة عنه تريدون غير وجهه باعمالكم، وانت تجد في كتاب الله بتكرار أن الله يصف نفسه أنه ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾[٥١٣] هذا كله يدل على أن هذه الصفة – التي هي صفة العلم – انت في أشد الحاجة لها من أجل ان تستقيم وتعلم أنه سبحانه وتعالى مطلع على ما في قلبك.

ولذلك في سورة الأحزاب عندما الله عز وجل أمر نساء النبي ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ قال الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[٥١٤] يعني أنه سبحانه وتعالى ادرك علمه السرائر وأطلع على مكنون الضمائر فاسم اللطيف الخبير هنا في هذا السياق – لأن اسم اللطيف له معنيان – اسم اللطيف هنا مع الخبير يرجع مدلوله إلى علمه سبحانه وتعالى بالأمور الخفية التي هي في غاية اللطف والصغر وفي غاية الخفاء، فإذا كان يعلم الخفي في قلبك فما بالك تلتفت عنه يمنة ويسرة.

فهذه الصفات عن الله تجعلك تمنع نفسك منعًا تامًا من أن تلتفت إلى غيره طالبًا ثناه أو رضاه، لا تطلب بعملك غير وجه الله لأنه سميع بصير عليم لطيف خبير سبحانه وتعالى.

ولذلك لو نظرت إلى الشاعر الذي قدم بين يدي طلب توبته وصف الله بكمال السمع والبصر والعلم فقال:

يا مَنْ يرى مدَّ البعوضِ جناحها ** في ظلمةِ الليلِ البهيمِ الأليلِ

ويرى مَناطَ عُروقِها في نحرِها ** والمخَّ في تلكَ العِظامِ النُّحَّلِ

تخيلي يتكلم عن الباعوض وكيف أن الله عز وجل يراه في ظلمة الليل، ويرى عروقها في نحرها، البعوض بنفسها لو بعدت لا تراها جيدًا.

---

[٥١٠] العلق:١٤

[٥١١] طه:٩٨

[٥١٢] إبراهيم:٣٨

[٥١٣] ق:١٦

[٥١٤] الأحزاب:٣٤

فهو يقول:

ويرى مَناطَ عُروقِها في نحرِها ** والمخَّ في تلكَ العِظامِ النُّحَّلِ

والمخَّ: مخ العظام التي في داخلها.

ثم يقول:

أُمنُنْ عَلَيَّ بتوبةٍ تمحو بها ** ما كان مني في الزمانِ الأوَّلِ

فهذا إشارة إلى أن العبد من خوفه من الله لعلمه أن الله يعلم ويرى دقائق أحوالك وحركات قلبك فيقوى في قلب العبد طلب المغفرة، ولذلك ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[٥١٥] يعني هذه الآية من القواعد المهمة التي تمنع عنك الرياء﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾.

على كل حال؛ المطلوب الآن أن تفهم أن من حسن الظن بالله أن تعلم أنه يعلم ويسمع ويبصر أحوالك، وخصوصًا حركة قلبك فاستعد لمعاملة السميع البصير العليم الخبير اللطيف، استعد لمعاملته، ولا تظن أبدًا أنك لما تعامل الله يخفى عليه شيء منك، هذا من الجهل به سبحانه وتعالى.

إذا فهمت هذا جيدًا بقي عليك أن تفهم كيف يكون الإخلاص وكيف يكون الرياء، مدار هذا كله حديث " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" فالنية تميز المقصود بالعمل؛ هل قصدت الله عز وجل وحده أم قصدت غيره – غيره لوحده أم غيره معه سبحانه وتعالى –، وهذه النية هي إرادتك، هي مبتغاك، ولذلك سيأتينا في باب إرادة الدنيا كلمة إرادة ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[٥١٦]، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾[٥١٧].

فكلمة يريد هنا المقصود بها نيتك، إرادتك، ماذا تريد، وأحيانًا يعبر عنها في القرآن بلفظ الابتغاء: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾[٥١٨]، ومثل في سورة الليل ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾[٥١٩].

فالنية التي هي تميز المقصود بالعمل – لأن هناك نية تميز العبادات بعضها عن بعض ليست هذه موضوعنا – إنما موضوعنا النية التي تميز المقصود من العمل وهل هو لله وحده أم لله ولغيره، ويعبر عن هذه النية في القرآن بلفظ الإرادة وبلفظ الإبتغاء.

فالآن كأن السؤال يقول لك ماذا تريد من العمل الذي تقوم به؟! جواب هذا السؤال يحتاج منك صدق لأن الناس في نياتهم يعيشوا كاذبين ويموتوا كاذبين والدليل واضح جدًا على هذا، فانتم تعلمون حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار، هؤلاء

---

[٥١٥] آل عمران:٢٣٥

[٥١٦] آل عمران:١٥٢

[٥١٧] الإسراء:١٨

[٥١٨] البقرة:٢٦٥

[٥١٩] الليل:٢٠

قاموا بأعمال صالحة لكن ظاهر العمل صالح وباطنه كان لغير الله والإشكال في الحديث – يعني الإشكال الذي يبينه الحديث – أن هذا حتى لما أقبل على ربه كان يتصور عن نفسه أنه مخلص، ثم بيَّن الله له كذبه على نفسه.

سأقرأ لكم الحديث من أجل أن يتبيَّن لكم الأمر جيدًا، هذا الحديث لماذا نبينه لكم الآن؟ لأن أول سؤال تسأله نفسك وقت قيامك بالعمل ماذا تريد من هذا العمل؟!، ماذا تريد؟!، انت ستقول لنفسك أنا أريد وجه الله والناس وصلوا إلى حال أنهم يقولون عن انفسهم طبعًا أنا أريد وجه الله، من قال لك أن هذا طبعًا؟!، وأنك مطبوع على الإخلاص؟!، من قال لك؟، انظر إلى هذا الحديث ليتبيَّن لك أن الإنسان يعيش يعمل عملًا صالحًا من كثرة ما يكذب على نفسه صدقها! فتصور أنه حقيقة يعمل عمل صالح، ثم يتحول الأمر أنه حتى في الآخرة عندما يلاقي ربه يكذب عليه!.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ" : إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اُسْتُشْهِدَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلَتْ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اُسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ،

يعني الآن الرجل يرى نفسه أنه عامل نعم الله كما يحب الله، فأعطاه الله الشجاعة هذه النعمة، فتصور نفسه انتفع بالشجاعة كما يحب الله "قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ"،

لأن الله عز وجل سأله قال فما عملت فيها في هذه النعمة التي أعطيتك إياها التي هي الشجاعة، قال الرجل:"قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ قَالَ : كَذَبْتَ، وَلَكِنْ قَاتَلْتَ أَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى يُلْقَى فِي النَّارِ ،

نعوذ بالله من الخذلان.

والثاني:

"رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ"

يعني عرف الله عز وجل للعبد أنه أنعم عليه بالصحة وأنه أنعم عليه بالفراغ، وأنعم عليه بأبواب العلم، وأنعم عليه بسهولة الوصول إلى العلم، وأنعم عليه بذكاء في عقله وبقدرة على التحصيل، ذكره بالنعم فعرفه نعمه؛ "فَعَرَفَهَا" الرجل عرفها واعترف بها.

فَقَالَ : مَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟

قال فما عملت فيها؟ شكرًا، أي شكرًا على الوقت الذي أعطاك إياه، وشكرًا على ما أولاك من الفراغ ومن قرب الطريق إلى العلم ومن وجود الكتب، ماذا فعلت؟

قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّك تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ فَمَا عَمِلْت فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَك ،

يعني هو يرى نفسه صادق يقول أنفقت لك.

قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْت لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ فَأُلْقِيَ فِي النَّارِ".

هذا الحديث أخرجه مسلم والنسائي والإمام أحمد وهو صحيح.

فماذا ترى؟!، تعلم يقينًا أن الله يعلم ما في قلبك ويعلم صدق حالك أو كذبه.

وفي رواية الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه حديث لأبي هريرة أيضًا قال فيه: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ : أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ، وَآنَاءَ النَّهَارِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : كَذَبْتَ ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلائِكَةُ : كَذَبْتَ ، وَيَقُولُ اللَّهُ : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : فُلانٌ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : كَذَبْتَ ، وَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ لَهُ : كَذَبْتَ ، وَيَقُولُ اللَّهُ : بَلْ أَرَدْتَ ، أَنْ يُقَالَ : فُلانٌ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقُولُ لَهُ فِي مَاذَا قُتِلْتَ ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : كَذَبْتَ ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلائِكَةُ : كَذَبْتَ ، وَيَقُولُ اللَّهُ : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : فُلانٌ جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ " ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتَيَّ ، فَقَالَ : " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، أُولَئِكَ الثَّلاثَةُ أَوَّلُ خَلْقٍ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"

فنعوذ بالله من الخذلان.

ولذلك تفهم من هذا أن سؤالك الدائم لله عز وجل بعد إنقضاء الأعمال "ربنا تقبل منا أنك انت السميع العليم" أمر لابد أن يشغلك، لابد أن يشغلك لأن من كثرة الكذب على النفس ومن كثرة عدم التفتيش في القلب ترى أن العبد اعتاد الكذب على نفسه ومن اعتاد الكذب على نفسه يجد نفسه دائمًا مطمئن لنفسه أنه لا بأس عليه وأنه ممن وفق إلى العمل الصالح، فانت إذا وفقت للعمل الصالح كن مغمومًا غاية الهمّ بقبول الله له، ولا تكن ممن يعبد الله على حرف.

على كل حال؛ الرياء له ويلات عظيمة من أولها ما ذكرنا أن المرائون هم أول من تسعر بهم النار.

- الأمر الأول: فلذلك لابد أن تسأل نفسك دائمًا قبل العبادة ماذا تريد من وراء هذه الطاعة لأن عملك على قدر نيتك، لابد أن تسأل نفسك ماذا تريد من هذه الطاعة، ثم الذي يدل على حسن إرادتك لهجك الدائم بطلب القبول من الله، لأنك ترى أن من ويلات الرياء أن المرائون هم أول من تسعر بهم النار.
- الأمر الثاني: أيضًا الأمر الثاني وقوع الحرمان من الأجر في الآخرة في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال أن الله سبحانه يقول: "أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ" ، وفي حديث أبي سعيد ابن ابي فضالة – وكان من الصحابة – قال سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِيَوْمٍ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ" ، فهذا من ويلات الرياء أن تحرم الأجر في الآخرة.
- الأمر الثالث: وأعلم أن الرياء يورث الذلة والصغار في الدنيا والآخرة وهذا أحد ويلاته، في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ"، وأيضًا عن أبي هند الداري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ رَاءَى اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمَّعَ بِهِ" .

فما معنى أن يسمع الله به؟ يعني يظهر الله نيته الفاسدة في عمله في الدنيا والآخرة ويفضحه على رؤوس الأشهاد، ولذلك في حديث معاذ "مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُومُ فِي الدُّنْيَا مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ إِلا سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" .

فانظر إلى هذه الويلات المرائون هم أول من تسعر بهم النار، ويحرمون الأجر في الآخرة، والرياء يورث الصغار والذلة في الدنيا والآخرة.

- الأمر الرابع: وكما تعلمون أيضًا أن الرياء يبطل العمل ويمحقه، وهذا ظاهر من النصوص التي مضت ومن قوله تعالى مثلًا في سورة البقرة ﴿الَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فضرب له مثل ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾[٥٢٠] إلى أخر الآيات، فهذا القلب الصلد المغطى بالرياء مثله كمثل صفوان عليه تراب، ونحن مر معنا في التفسير شرح هذه الآية، وأن هذا الصفوان أي حجر ليس خصبًا يغطيه تراب خفيف يظنه الناظر إليه المخدوع به يظنه أرضًا خصبة وهذا التراب الخفيف يحجب صلادته كما يحجب الرياء صلادة القلب الخالي من الإيمان، لكن لما يأتي المطر الغزير فيذهب بالتراب القليل فتكشف عورته ويظهر أنه أرض جدباء، **فهذا كالذي يرائي عندما تأتي المحن يظهر حقيقة ما في قلبه ويظهر سوء منقلبه** لكن يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.
- الأمر الخامس: أيضًا لابد أن تتصور أن الرياء فتنة عظيمة، أخطر على المسلمين من فتنة المسيح الدجال، ففي الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ، فَقَالَ " : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ " ، قَالَ : قُلْنَا : بَلَى فَقَالَ : " الشِّرْكُ الْخَفِيُّ ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ ".

فالرياء فتنة عظيمة أخطر على المسلمين من فتنة المسيح الدجال، وانت تجد أن كثيرًا من بلاءات الأمَّة لم توجد إلا بسبب الرياء، فالهزائهم اليوم تراها متعددة والسبب أن المريدين للدفع أو القائمين بالدفع عن الأمَّة لا يريدون وجه الله إلا من رحم الله، وإلا لو صدق العبد لأعانة الله، لأن إعانة الله على قدر صدق النية.

لو سألنا الآن ما أسباب الرياء؟

أعلم أن الرياء أصله **حب الجاه**.

فما حب الجاه؟ ما معنى الجاه؟ الجاه هو قيام المنزلة في قلوب الناس، يعني اعتقاد الناس في هذا الشخص أن له صفات كمال أمَّا لعلم أو عبادة أو نسب أو قوة أو حسن منظر أو غير ذلك مما يعتقده الناس كمالًا، فماذا يحصل للناس؟ قلوبهم تذعن لطاعة هذا الشخص ومدحه وخدمته وتوقيره.

فإذا كان الإنسان يحب الجاه معناه همّه سيكون مقصورًا على الناس، على مراعاة الخلق، كل تفكيره أن يزيد في قلوبهم هذه المكانة، فلو كانت المكانة بسبب العبادة يطلب المنزلة في قلوب العباد بأن يعمل عبادات لا يعملها إلا لأجل أن يكون له مكانة عندهم، والحقيقة أن هذا باب غامض أن تعرف ما الذي يحركك للرياء.

فيعود الرياء إلى واحد من ثلاثة أمور وكلها تدور في الجاه:

---

[٥٢٠] البقرة:٢٦٤

- أما حب لذة الحمد.
- أو الفرار من الذم.
- أو الطمع فيما في أيدي الناس.

وانظر إلى حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً ، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً ، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ".

فانظر إلى الثلاثة أحوال:

- قال يقاتل شجاعة لماذا؟ من أجل أن يذكر، من أجل أن يحمد.
- يقاتل حمية من أجل أنه يأنف من أن يقهره أحد ففارًا من الذم يقاتل.

يعني أمَّا طالبًا للمدح يريد أن يقول الناس عنه أنه شجاع أو فارًا من الذم فيقاتل حمية.

- والحالة الثالثة أن يقاتل رياءًا أي ليرى مكانه، هذه لذة نظر الناس إليه، فهذه هي لذة الجاه والمنزلة في القلوب، فالذي يهيج الرياء في القلب حب المحمدة وخوف المذمة والطمع فيما في أيدي الناس.

لذلك كان الواجب علينا معالجة هذه الصفات النفسية، فانت لابد أن يكون العظيم عندك الذي ترجو رضاه، تحب محمدته، وتفر من ذمه، وتعلم أن مصالحك كلها بيده هو الله، يعني وجب عليك أن لا تفر من ذم أحد إلا الله، ولا تحب مدح أحد إلا الله، وتعلم أن مصالحك كلها بيد الله، لكن هذا الأمر قدر ما نقول أنه عزيز فهو عزيز، فنفوسنا لازالت متعلقة برضا الناس، ولازالت طالبة الجاه عندهم.

ولذلك يصعب على الإنسان تخليص نفسه من طلب الجاه عند الناس لأنه في أحيان كثيرة يوهم نفسه أنه لا يطلب الجاه ولا يفر من مذمة الناس لكنه يأتمر بأمر الله وهذا الباب يحتاج إلى تحقيق طويل.

ولذلك تأتي إلى مسألة مثل العلم الناس يطلبون العلم طلبًا للجاه عند السلطان أو طلبًا للجاه عند عامة الناس ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ تُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَلَا لِتَحِيزُوا بِهِ الْمَجَالِسَ". وفي رواية ولكن تعلموه لوجه الله والدار الآخرة"، وفي الرواية الأخرى "مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَلِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّم" فيا ويل من تعلم وهو يفكر في الناس سواء كان علمائهم أو سفهائهم أو عامتهم.

ولذلك لو نظرت إلى السلف تراهم أبعد ما يكونون عن هذا الوصف فكانوا يقيسون أعمالهم بعلمهم، فمثلًا حسن البصري يقول: لا تكن ممن يجمع علم العلماء ويفعل أفعال السفهاء.

على كل حال؛ إذا ناقشنا هذا الموضوع سنطيل إطالة تبعدنا عن المقصود.

تكلمنا الآن عن ويلات الرياء، وعن أسباب الرياء، نأخذ طرفًا بسيطًا فقط من علاماته، من علامات الرياء.

علامات المرائي

- من علامات المرائي تأخير العبادة عن مواقيتها دون عذرٍ شرعي ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[٥٢١] فتأخير العبادة عن مواقيتها دون عذر شرعي من علامات الرياء.
- أيضًا القيام بالعبادة بخمول ونفس خبيثة ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥٢٢] فالإخلاص على هؤلاء ثقيل، ولذلك كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول:

إن للمرائي ثلاثة علامات: يكسل إذا كان وحده، ويصلي النوافل جالسًا، وينشط إذا كان مع الناس، ويزيد في العمل إذا مدحوه كما ينقص منه إذا ذموه.

فهذا كله يبيِّن لك أن المرائي يظهر في وقت خلوته.

- أيضًا من صفات المرائين كثرة الكلام وقلة العمل.

قال الفضيل: المؤمن قليل الكلام كثير العمل، فكلام المؤمن حكم وصمته تفكر ونظره عبرة وعمله بر، وإذا كنت كذا لم تزل عابدًا.

يبقى إن شاء الله بعد ذلك نتكلم بالتفصيل عن الإخلاص وعن ما يجب فيه.

نعود إلى باب ما جاء في الرياء بعدما ناقشنا الرياء من جهات.

باب ما جاء في الرياء وقول الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ).

عن أبي هريرة مرفوعًا: قَالَ اللَّهُ تَعَالَ: "أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ". رواه مسلم.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مرفوعًا: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ"، قَالَ: قُلْنَا: بَلَى يا رسول الله! قَالَ: "الشِّرْكُ الْخَفِيُّ؛ يَقُومَ الرَّجُلُ فيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ". رواه أحمد.

قال المصنف – رحمه الله تعالى – باب ما جاء في الرياء: أي ما جاء من النهي والتحذير.

والرياء مشتق من الرؤيا، وكما مر معنا المراد به إظهار العبادة بقصد رؤية الناس لها فيحمدون صاحبها.

ما الفرق بين الرياء وبين السمعة؟ الرياء لما يرى من العمل كالصلاة، والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر.

الشخص وهو يعلم الناس يدخل في التسميع لو أراد أن يسمعه الناس فيثنوا عليه، نستغفر الله من هذه الحال، ومن هذه الخطرات، التي لابد أن تصيب العبد، ولابد أن يكون مجاهدًا لها، ويدخل أيضًا في السمعة التحدث بما عمله يعني يأتي يقول في الحج فعلت وساعدت، أو أنا أساعد فلان وفلان، أو أنا أقوم الليل، له مظاهر كثيرة – الرياء والسمعة – المهم الرياء يتصل بأن يراك الناس والسمعة بأن يسمعوك حتى لو تكلمت عن شيء قمت به، شيء قمت من العبادات طبعًا.

---

[٥٢١] الماعون:٤،٥،٦

[٥٢٢] النساء:١٤٢

❖ الدليل الأول.

قال المصنف – رحمه الله تعالى – :

باب ما جاء في الرياء وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[٥٢٣].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وهذه آية سورة الكهف من الآيات التي تتردد علينا خصوصًا مع قرائتها كل جمعة، ومعناها من المعاني التي نحتاج أن نكررها على أنفسنا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ هذا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم.

﴿مِثْلُكُمْ﴾ والمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر ليس ربًا ولا ملكا، ومثلكم تأكيد البشرية، فذكر المثل من باب تحقيق البشرية.

﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ ومعلوم ما هو المقصود بالإيحاء؛ الإعلام بسرعة وخفاء.

فكأن المعنى أن الله عز وجل يأمر رسوله أن يقول للخلق أنا أماثلكم في البشرية لكن الفرق بيني وبينكم – أي بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم – بالوحي، فهو صلى الله عليه وسلم متميز بالوحي كغيره من الأنبياء والمرسلين.

أين الشاهد؟ الشاهد أرسل ماذا يقول؟ ﴿أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي ليس لي من الربوبية ولا الآلهية شيء بل ذلك كله لله وحده لا شريك له.

وفي هذه الآية معاني عظيمة لابد من بيانها لكم، لأن فيها رد على الذين يقعون في الغلو في حق الرسول صلى الله عليه وسلم، ويدعونه من دون الله، ويستغيثون به ويقولون أنه من نور، وأنه لم يخلق مما خلق منه بنو آدم، ويقولون أنه مخلوق قبل آدم، كل هذا ترده ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ وتأتي ﴿مِثْلُكُمْ﴾ تزيد الأمر بيانًا، مثلكم في أمور البشرية فهو بشر يجوع ويمرض ويتعب في السفر، وتجري عليه كل عوارض البشرية، فيصيبه الهمّ ويصيبه الحزن.

ولذلك يقول الله عز وجل ﴿ولا تحزن عليهم﴾ ويقول له ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾[٥٢٤] كل هذا يدل على أن النبي الله عليه وسلم يهتم ويحزن عندما يرى مخالفة الناس لأمر ربهم.

على كل حال؛ المقصد أنه بشر مثلنا، وإنما امتاز عليه الصلاة والسلام عن البشر بالرسالة والوحي وتمام العبودية له سبحانه وتعالى، فهو أكمل الخلق عبودية واخشاهم وأتقاهم فأستعمل هذه الآية كما ينبغي ورد بها على الذين يقعون في الغلو، وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه يخبر عن نفسه أنه بشر مثلنا تميز عنا بالوحي.

نأتي إلى الشاهد ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ ويرجو تأتي في سياقات كثيرة بمعنى يخاف، وهنا أتت بمعنى يخاف، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ يعني يخشى ويخاف.

---

[٥٢٣] الكهف:١١٠

[٥٢٤] الكهف:٦

فكيف يترجم الرجاء بالخوف؟ نقول نعم، كما ذكر ذلك ابن تيميه قال يرجو لقاء ربه أي يؤمل رؤية الله يوم القيامة، لأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، فإذا كنت ترجو لقاء الله لابد أن تستعد للقاءه، والعبد عندما يستعد للقاء العظيم من المؤكد أنه سيقع في قلبه من الخوف ومن الهمّ ما يقع، فإذا كنت حقيقة راجيًا لقاء الله فمن المؤكد أنك ستخاف وتحمل همّ هذا اللقاء ومن ثمَّ سيستقسم سلوكك.

ولذلك في سورة يونس قال الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾[٥٢٥] فأتت لا يرجون لقاءنا بمعنى لا يخافون لقاءنا، لأن من رجا اللقاء لابد أن يحمل همّه.

المقصد الآن إذا كنت ترجو لقاء الله لابد أن تعمل عملًا صالحًا، وهذا العمل الصالح لا يكون صالحًا، وهذا العمل الصالح لا يكون صالحًا إلا إذا كنت مخلصًا متخلصًا من الرياء والسمعة ومن جميع أنواع الشرك الأكبر والأصغر.

ويكون صالحًا إذا كان موافقًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خاليًا من البدع والمحدثات والخرافات فلا يصلح إلا ما جعله الله صالحًا

والصلاح – أي العمل يصلح – لتقريبك من الله عندما تكون فيه أئتمرت بأمر الله، العمل لا يكون صالحًا لتقريبك إلى الله إلا إذا ائتمرت بأمره ولم ترد فيه إلا رضاه، ولذلك أتى قوله تعالى ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ صالحًا يصلح للقربة ولا يصلح للقربة إلا ما جعله الله سببًا للقربة.

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وأحد كما هو معلوم نكرة، يعني اي أحد، نكرة في سياق النهي فتعم كل احد، فالله عز وجل لا يقبل أن يشرك معه أحد لا من الملائكة ولا من الرسل ولا من الأولياء الصالحين ولا الأشجار ولا الجن ولا الإنس، فهذا الذي يقبله الله، إن كنت تعلم أنه إله واحد ليس لأحد من الربوبية ولا من الألوهية شيء، بل ذلك كله لله وحده لا شريك له، فإذا كنت متيقن بذلك فاعلم أنه كما إله واحد لا إله سواه فينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له فكما تفرد بالآلهية يجب أن يفرد بالعبودية.

فالعمل الصالح هو الخالص من أن يلتفت العبد فيه لأحد غير الله وهو المقيد بالسنة، والآية دليل على أن أصل الدين الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم هو إفراد الله تعالى بأنواع العبودية وهذه الآية قاعدة عامة ابتدأ بها المصنف رحمه الله "باب ما جاء في الرياء" من أجل أن يبين لك أن أي أحد مهما كان هذا الأحد لا تلتفت إليه طالبًا رضاه، ولا تعظمه تود منه القربة أو أن ينظر إليك بعين الرضا، وهذا الأمر يقع الإنسان فيه لما يعظم في قلبه غير الله ولما يرى في نفسه عناية بغيره سبحانه وتعالى.

فانت الآن اقطع المادة الأصلية، ما هي المادة الأصلية؟ العناية بغير الله، تعظيم غير الله، هذه المادة الأصلية، فعندما يقع في قلبك تعلق بغير الله، عناية بغير الله، طلب عناية بغير الله، لابد أن يأتي في الوسط اعمال صالحة يلتفت قلبك إلى هذا المعظم المحبوب من دون الله.

[٥٢٥] يونس:٧

وهذا الكلام أقوله بعدما مارسنا الحياة، ووجدنا كثير من المواقف نتصور فيها أن حبنا لهؤلاء الأشخاص لا يمكن أن يتجاوز فيصل إلى أن تلتفت قلوبنا أثناء العبادة لرضاهم، كنا نتصور هذا، كنا نتصور أننا سنحب الأشخاص الذين حولنا من آباء، من أزواج، من أصحاب، أيان كانوا، سنحبهم وسيكون إشكالنا في حبهم نفسهم، وميل قلبنا لهم، وإنشغالنا بهم هو الإشكال كنا نتصور هذا، لكن مع الأيام تبيَّن لنا أن تعلقنا بغير الله، تعلقنا بالناس حبًا ووداً وخصوصًا أندادا أي الناس الكاملين العقل وناضجين ومحترمين في نفوسنا، هؤلاء عندما نحبهم تميل نفوسنا لأستحسانهم، نحب أن يستحسنوا تصرفاتنا، فنجد أنفسنا أما نظهر لهم شيء من أعمالنا الصالحة ونحن نقول لأنفسنا نحن لا نرائي، هذه أصلًا أعمالنا الصالحة التي نقوم بها، ويكون حقيقة عمل صالح انت تقوم به لكن تأتي عند هذا وتظهره له، لماذا؟ لأن حبك له أثر عليك وانت تود أن يبقى لك مكانًا في قلبه فلابد أن يحصل منك هذه الشعرة الصعبة – الألتفاتة – الصعبة التي تحتاج منك كثير من المجاهدة والدفع.

وأحيانًا نستأنس بالكلام مع محبوبنا ونجد أنفسنا بغير شعورٍ منا استرسلنا في ذكر اعمال تخصنا، وأعمال خاصة مرت علينا، وخصوصًا لما نحسن للناس، وخصوصًا لما يحضر هذا الشخص موقف ويرى إحسانك فانت الآن تريد أن تزيد في نظره فتقول أنا أحسن إلى هذا بالرغم من أنه فعل كذا وكذا لي في موقف كذا وكذا، فانت ترائي حتى بصبرك على الناس وبإحسانك لهم.

وترجع العلّة مرة أخرى إلى هذا البلاء الذي أشكل علينا وذقنا مره والحقيقة أننا نحذر أنفسنا قبل أن نحذركم أن القدم تنزلق في مسألة التعلق من حيث لا تحتسب!، فانت اجمع قلبك على أن الحب كله لله، واجمع قلبك على أن تستعين بإخوانك على طاعة الله، ولابأس من الحد الطبيعي، لكن نقول احذر أن يعظَّم في قلبك أي أحد مهما كان هذا الأحد غير الله، احذر أن يعظم في قلبك فيلتفت قلبك إليه تريد منه الاستحسان والرضا، فتأتي باستحسانه من جهة الطاعة فيثني عليك أنك مطيعًا فتطرب انت للطاعة لأنها سبب لثناءه عليك.

فلا تشرك بعبادة ربك أحدًا مهما كان هذا الأحد لا عظيم ولا محبوب، فكلهم لا يستحقون أن تعظمهم في قلبك أي تعظيم، وهذا الكلام نحتاجه مهما كانت أعمارنا وقد تصورنا لزمن وهذا التصور فاسد الحقيقة أن الإنسان إذا بلغ عمرًا معينًا يعني بلغ من النضج ما يمنعه من التعلق الناس لكن الحقيقة كما ورد في الحديث في كتاب الرقاق أن الرجل يشيب يكبر ولازال شابا في اثنتين حب الدنيا وطول الأمل، ومن حب الدنيا حب أهلها إلا أن تحبهم من أجله سبحانه وتعالى وإذا احببتهم من أجله لا تقع في هذا الخطأ لأننا في أول الأمر نرى أنفسنا نحبهم من أجل الله ونبذل جهودنا من أجل الله، ثم مع الأيام تجد نفسك قد ألتفت قلبك إلى رضاهم، ولابد لابد لابد أن الله يعاقبك على ما وقع في قلبك من الألتفات، وهناك ناس يعجل الله لهم العقوبة وهناك ناس يعاملهم الله بحلمه فلا يعجل لهم العقوبة.

على كل حال؛ الآية تقول لك أي أحد وأحد هذه نكرة في سياق النهي فتعم كل أحد.

الدليل الثاني.

نأتي إلى الدليل الثاني الحديث قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

عن أبي هريرة مرفوعًا: قَالَ اللَّهُ تَعَالَ: "أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ".رواه مسلم.

ما المقصود؟ "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي" أي من قصد بعمله غير الله من المخلوقين.

"تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"بمعنى إذا كان بعض الشركاء يستغني عن شركته مع غيره فالله أغنى الشركاء عن المشاركة.

يعني الناس عندما يستغنوا بأموالهم يتركون الشركة، فالله عز وجل أغنى الشركاء فيستغني عن غيره سبحانه وتعالى معه في الأعمال، فالله لا يقبل عمل له فيه شرك أبدًا، ولايقبل سبحانه وتعالى إلا العمل الخالص له وحده، فكما أنه الخالق وحده فكذلك يجب أن تصرف الأعمال له وحده، فهو الذي أعدك وأمدك وأوجدك، فلما أوجدك من العدم وأعدك أعدادا كاملًا بكل مصالحك وأمدك بكل ما تحتاجه فكيف تذهب إلى غيره معظمًا راغبًا في رضاه؟!، هذا هو معنى الرياء!، الرياء معناه أن يكون في قلبك معظَّم غير الله أو متعلق به غير الله تطلب رضاه.

في الحديث "تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ" هنا، وفي حديث ابن ماجه "فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ" فالسؤال معنى ذلك أنه يبطل العمل الذي يدخله الرياء إبطالًا كاملًا؟

سأنقل لكم كلام لابن رجب يحتاج إلى تأمل وفهم: قال ابن رجب:

واعلم أن العمل لغير الله أقسام فتارة يكون رياء محضًا كحال المنافقين، وهذا كما قال تعالى ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام،

يعني المؤمن لا يمكن أن يأتي إلى صلاته وصيامه وتكون محضة للناس تمامًا، لا يصلي إلا للناس إنما هذا وصف المنافق.

وقد يصدر في الصدقة الواجبة — أي الزكاة – أو الحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدى نفعها.

يعني الأعمال التي يتعدى نفعها للناس أو تكون ظاهرة وفيها خلطة بالناس ولا تعملها إلا معك شريك يعني لا تتصدق إلا أمامك متصدق تتصدق عليه، ولا تحج إلا مع الناس، فالأعمال التي يشترك فيها الناس معك في الغالب أنه ممكن أن يقع في مثل هذا رياء.

قال: فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

يعني إذا كان رياءه محضًا.

قال: وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فإن شاركه من أصله.

يعني مبعث العمل، بدايته، أي لم يكبر يصلي الضحى إلا من أجل أن يروه الناس.

قال: فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه.

وذكر أحاديث تدل على ذلك منها حديث:

شداد أبن أوس مرفوعًا:" قَالَ شَدَّادٌ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : أَنَا خَيْرُ قَسِيمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِي ، مَنْ أَشْرَكَ بِي شَيْئًا فَإِنَّ عَمَلَهُ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ لِشَرِيكِهِ الَّذِي أَشْرَكَ بِهِ"

يعني أصل عمله وقليل عمله وكثيره لهذا الشريك.

ثم قال سبحانه وتعالى: "أَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ "

هذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده.

معنى ذلك عندي حالتين:

- الحالة الأولى: أن يكون رياء محضًا مثل حال المنافقين الذين لا يصلون ولا يعبدون إلا ليراهم الناس فيتركوهم على حالهم، ولا يشك مسلم أنه حابط.
- الحالة الثانية: أن يكون العمل لله ويشاركه الرياء، إذا كان في أصله فأيضًا هذا على بطلان هذا العمل، بطلانه وإثم صاحبه أيضًا.
- الحالة الثالثة: وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء فإن كان خاطرًا ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف.

خاطر مر على خاطره فقط، يعني مر على خاطره أنه سيستحسن الناس فعلي، أو سيقولوا عني كذا.

ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ورأى أن هذا باطل وأنه مفسد لحاله فكان صادقًا في استعاذته فهذا لا يضره بغير خلاف.

يعني لا يضره أن هذا الخاطر وقع وأنه دافعه، فلا يكون سببًا لأن يحبط عمله.

قال: وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا ويجازي على أصل نيته قال في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف.

يعني السلف مختلفين: هل يحبط عمله أم لا، وهل يجازى على أصل نيته أم لا.

فقد حكاه الإمام أحمد وابن جرير.

حكى الخلاف.

والشيخ محمد رحمة الله عليه رأي في هذه المسألة:

- وهو إن كان الرياء طارىء فإن كان عمل يبنى أوله على أخره مثل الصلاة فهذا إذا دخل الرياء واسترسل معه صاحبه بطل العمل.
- وإن كان عمل لا يبنى أوله على أخره مثل أنه تصدق أول مرة على فقير ثم أتاه ثاني، وفي الثاني ألتفت قلبه إلى غير الله، أتى يتصدق على الثاني فألتفت قلبه إلى غير الله، فلا يبطل الأول لأنه لا علاقة به به وإنما يبطل الثاني.

وعلى ذلك تفهم أن الرياء إذا دخل عليك أفسد عليك حالك وربما كان سبب لأن يمرض قلبك، أفسد عليك حالك بأن يحبط عملك، وأيضًا دخوله عليك ليس الإشكال فيه فقط حبوط العمل وإنما أيضًا الإشكال فيه وجود المرض في القلب.

معنا ثلاثة حالات:

- الحالة الأولى: أن يكون رياء محضًا.
- الحالة الثانية: أن يكون العمل لله ويشاركه نية الرياء.
- الحالة الثالثة: أن يطرأ عليه نية الرياء، وهنا حالتان: أما أن يسترسل معها أو لا يسترسل:

- إذا لم يسترسل لم يضره بغير خلاف.
- إذا استرسل دخلت عليه في وسط العبادة واسترسل اختلف العلماء، والشيخ محمد بين هذا الأمر وفصله فقال:
- إذا كانت العبادة أولها معتمدة على أخرها بطلت كلها إذا لم يجاهد.
- وإذا كانت منفصلة سيكون البطلان فقط على الحال التي وقع فيها الرياء.

نأتي إلى حالة رابعة:

قال ابن رجب: فأما إذا عمل العمل لله خالصًا ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك ففرح بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضره بذلك.

يعني لم يضره ثناء الناس لكن كن حريصًا على أن لا يكون ثنائهم سبب لعملك المرة القادمة، هنا الإشكال، أنه ربما الإنسان يغتر بثناء الناس فيعمل المرة القادمة بسبب ثنائهم عليه المرة الماضية.

الدليل الثالث.

ننتقل إلى الحديث الثاني أي الدليل الثالث.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مرفوعًا: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ " ، قَالَ : قُلْنَا : بَلَى يا رسول الله! قَالَ : " الشِّرْكُ الْخَفِيُّ؛ يَقُومَ الرَّجُلُ فيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ ". رواه أحمد.

وهذا الحديث يشارك كثير من الأحاديث في خوف النبي صلى الله عليه وسلم على صحابته من الشرك الأصغر الرياء، فالنبي صلى الله عليه وسلم كما روى ابن خزيمة في صحيحه؛ قَالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ ؟ قَالَ : " يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي ، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ ، جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ " .

فتكرار كلام النبي صلى الله عليه وسلم على هذا النوع من السرائر أنه شرك السرائر وأنه الشرك الخفي وأنه الشرك الأصغر، كلها تسميات تدل على خطورته، وأما وصفه بأنه خفي لأن صاحبه يظهر أن عمله لله لكنه نسي أن ربه مطلع عليه، فقصده لغير الله ويظهر أنه لله فيزين صلاته لأجله، وهذا كله في الخفاء، حركة قلب المقصود.

فهو يتصنع للمخلوق طالبًا رضاه عاملًا من أجله، وإن كان في الظاهر يظهر كأنه يريد وجه الله، فتصوري أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أنه يخاف علينا من هذا الشرك أكثر من خوفه من المسيح الدجال، ونحن نستعجب ممن يقلل من قيمة النيات ويسهلها، ويعاتب من يعتني بإصلاحها، وهذا موجود، موجود الآن أن كثير من الناس يروا أن مناقشة النيات شيء من التشديد وقد يؤدي إلى وسوسة الناس، نقول نعم نحن لا ننكر أن مناقشة النيات بلاء على القلب يؤدي إلى التفكير والتحرير والهموم لكن إذا لم تكن ستهتم بنيتك وهي التي تصلح عملك ستهتم بماذا؟!.

ستترك هذا الجهد لماذا؟! ستصرفه أين؟!، صلاح النيات يحتاج منا إلى جهد، وقد يدخل فيه الوسواس وقد يدخل فيه الشك لكنك تجاهد على أمرين:

على أن لا يكون تفتيشك في نيتك سبب لمنعك من العمل الصالح.
وفي نفس الوقت تجاهد أن تعتني بنيتك، وتجاهد على أن تطلب من الله القبول.
لأن إذا خفت على نيتك وشككت فيها وجاهدت على القيام بالعمل وتقدمت وأصررت تكون تخطيت أول عقبة، لكن يبقى سؤال في ذهنك هل قبلت أم لم أقبل، وهل عملي كان خالص أم كان فيه شيء لغير الله، هل هو كما يحب الله أم أنه فيه شرك؟
نقول نعم يجب أن تهتم وإذا اهتميت ستجد المخرج بسؤال الله القبول، فتجد نفسك لا تفتر كلما تذكرت حجك أن تسأل الله القبول كلما تذكرت صيامك في رمضان تسأل الله القبول، كلما صليت تسأل الله القبول، كلما تذكرت أنك تقوم الليل وتقرأ القرآن وتختمه، كلما تذكرت أعمالك الصالحة فرّ قلبك إلى طلب القبول وليس إلى الارتخاء والاستكانة والشعور بأنك مطمئن، لأن هذا الذي يخفينا أننا وصلنا إلى الأمن من مكر الله.
لماذا الناس أصلًا يأمنون من مكر الله؟ لأنهم تصوروا أن أعمالهم مقبولة، وتصور الرجل أن له مكانة عند الله وأنه مقبول العمل، تتذكروا أخر كلام ذكرناه في أسباب الأمن من مكر الله ذكرنا هذه الجمل بتفصيلها قلنا أن الأمن من مكر الله أمَّا معرض عن طاعة الله جاهل به أو عابد لله جاهل به، يعني العابد هذا معجب بنفسه مغرور بعمله فلا يزال في جهله حتى يصل إلى أن يُدل بعمله ويزول الخوف عنه.
مرة أخرى لماذا الناس يقعون في الأمن من مكر الله؟ لأنهم لا يفتشون في نياتهم، وقع في قلوبهم الطمأنينة، فلما وقع في قلوبهم الطمأنينة لنياتهم أصبحوا عابدين جاهلين، معجبين بأنفسهم مغرورين بعملهم، فلا يزال هذا العبد حتى يصل أن يُدل بعمله ويزول خوفه من الله.
يعني ترك تفتيش النيات سيؤدي بالعباد إلى الأمن من مكر الله، ونحن اتفقنا سابقًا أن الآمن هذا يمكن أن يكون عابد رأى لنفسه عند الله المقامات العالية فيصبح متكلًا على عمله وعلى نفسه الضعيفة ومن هنا يخذل ويحال بينه وبين التوفيق!.
وهذا من دقيق فقه الشيخ، يتبيَّن لك دقيق فقه الشيخ أنه أورد بعد – باب الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله – أورد الصبر وأورد الرياء، فالآن الإنسان عندما ينشغل عن مراعاة نيته وعن سؤال الله الدائم قبول عمله تجده آمنًا من مكر الله، كأننا كما اتفقنا أن العبد عندما يكون جاهلًا معجب بنفسه، مغرور بعمله، يتصور أن الله قبل عمله، وعمله مليء بالمكدرات يقع في الأمن من مكر الله، فنحن الآن عجبنا ممن يعاتبنا وهي ليست معاتبة شخصية، يعني لم يأتي أحد لفلان من الناس وعاتب باسمه لكن على وجه العموم يعاتبون هذا المنهج، منهج مراجعة النيات ويرون أنه يسبب في أحيان كثيرة الهموم والوسواس وعدم القيام بالأعمال، نقول لابد من معالجة هذه الأمراض، فعدم إقبالك على العمل خوفًا على نيتك هذا من فعل الشيطان، فانت تقدم وابذل جهودك وخاف على نيتك ثم إذا انتهيت من العمل ألح على الله بسؤال القبول.
ولذلك عندما ترى النبي صلى الله عليه وسلم يقول لصحابته: "أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي" يعني عند الرسول صلى الله عليه وسلم الخوف من الشرك الخفي على المسلمين أكثر من الخوف من المسيح الدجال عليهم، لأنه صلى الله عليه وسلم من رحمته بالمؤمنين يخاف عليهم كل الفتن، وأعظم فتنة في الأرض هي فتنة المسيح الدجال كما نعلم، لكن خوف النبي صلى الله عليه وسلم من فتنة الشرك الخفي أشد من خوفه من فتنة المسيح الدجال، لماذا؟ لأن التخلص من الشرك الخفي صعب جدًا؛ في مقابل أن المسيح الدجال ظاهر، فمن كان معه إيمان لابد أن يندفع عنه، وانت تعلم أن المسيح الدجال له علامات ظاهرة حسية ومعنوية، فالحسية

أنه أعور العين اليمنى، والمعنوية أنه دجال كذاب، فهذه العلامات الظاهرة لمن كان معه إيمان تدفعه وتمنعه من إتباعه، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يخاف علينا ما هو أشد وهو الشرك الخفي.

فعلمت من هذا أن الشرك الأصغر قسمان: خفي وجلي.

كما أن الشرك الأكبر قسمان: خفي وجلي.

- فأما الشرك الخفي ما كان في القلب مثل الرياء.
- وأما الجلي ما كان بالقول مثل الحلف بغير الله وقول ما شاء الله وشئت، أو بالعمل مثل الإنحناء لغير الله تعظيمًا.

المهم موضوعنا المخوف هو الشرك الخفي وهو في القلب، وهو خفي لأنه لا يعلم ما في القلوب إلا الله، وكما مر معنا يسمى هذا الشرك الخفي شرك السرائر، والله عز وجل يقول: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.

ما هو هذا الشرك؟ ما صورته؟ "يَقُومَ الرَّجُلُ فيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَه " والرجل المقصود به المرء، يزين صلاته يحسنها بالطمأنينة ويعمل أعمال موافقة للسنة تمامًا، ليراه من ينظر إليه، وهذه العلّة لتحسين صلاته من أجل أن يراه إنسان فيمدحه بلسانه أو يعظمه بقلبه وهنا أتى الشرك، لماذا؟ لأنه يجب عليك ألا يكون لك مراد بعملك الصالح إلا رضا الله وطلب ما عنده، فلما مثلًا تذكره سبحانه وتعالى بلسانك يكون همّك أن يذكرك هو سبحانه وتعالى، هذا الذي يهمك، لا أن يقول عنك الناس أنك ذاكر!، يعني الذي يهمّك أن يذكرك هو سبحانه وتعالى، أما الناس فلا غاية لك في رضاهم.

فانت متى تفهم خطورة المسألة؟ لما تعرف أن الإخلاص لله هو أساس الدين، وتفهم أنك لن تكون موحدًا كما يحب الله ويرضى إلا إذا وحدت في مرادك؛ مَن تريد أن يرضى عنك؟!، ماذا تقصد بعبادتك؟!، هل تريد رضاه وثوابه وفضله؟!، أم أن قلبك ألتفت إلى غيره؟!، فهل انت تقوم بالأعمال وتحسنها من أجل أن تبلغ درجة الإحسان وتكملها تريد بذلك وجه الله وما عنده؟!، أم أنك تفعل هذه الأفعال رياء سمعة رياسة؟! **فاعلم أن أعظم ما ينافي التوحيد أن يلتفت قلبك طالبًا لرضا الناس تريد منهم أن يروك من أجل أن يمدحوك ويعظموك فمن المؤكد أن هذا يقدح في الإخلاص.**

واتفقنا على أقسام الناس في هذا كما ذكر ابن رجب، على كل حال نحتاج مزيد من الكلام حول الإخلاص من أجل أن يزيد هذا الأمر وضوحًا وبيانا، لكن بهذا نكون انتهينا من هذا الباب الرياء.

اسئلة الطالبات.

سؤال يقول: ما الفرق بين النقطة الاولى والثانية من كلام ابن رجب، الحالتين: الحالة الأولى أن يكون رياءً محضًا ماذا يقصد بذلك؟

- يعني أن كل حياته رياء، أعماله كلها قام بها رياءً، ولذلك قال:

يبعد أن يكون المؤمن لا يصلي ولا يصوم إلا رياء.

المؤمن لا يأتي منه هذا، قال نعم ممكن يحج مكن يتصدق رياءً، لكن يصلي ويصوم رياءً؟ هذا لا يأتي إلا من منافق.

- في مقابل الثاني: يكون هذا الإنسان مؤمن، مؤمن بالدار الآخرة، يريد وجه الله، لكن يأتي ينشأ عمل مثل صلاة الضحى، ينشأها إنشاء من أجل أن يقول الناس يصلي الضحى.
- الحالة الثالثة: يصلي لله ثم دخل عليه أحد فتحولت نيته لمراءاته.

فأصبح الفرق بين الثانية والأولى أن الأولى أن هذا دائمًا في حياته، كل صلاته هذه حالها، لاحظ أن المثال في الثانية كان صلاة الضحى أي النوافل، أما في الفرائض فلا يرى نفسه مرائيًا، لكن يمكن أن يرائي في طمأنينته في الصلاة، يرائي في طمأنينته لا يرائي في نفس الفرائض لأنه يرى هذا واجب عليه.

لذلك انت الآن تسألي الرجال عندما يخرجوا إلى صلاة الفريضة لماذا لا يخافون على أنفسهم من الرياء؟ لأنهم يعلمون أن هذا فرض واجب عليهم، واجب عليهم أن يصلون، فهم لا يرون أنهم يراؤوا الناس لكن المنافقين يخرجون إلى الصلوات هذه من أجل أن يبقون في نظر الناس من أهل الإسلام

هذا سؤال: هل التوبة من الرياء ترد العمل المحبوط؟.

نحن نرجو من الله ذلك، القاعدة العامة: **من صدقت توبته حول الله سيئاته إلى حسنات**.

دعاء "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك مما لا اعلم ينجينا من الرياء"؟

ينجينا من الرياء؟ هذه من الوسائل على قدر صدق القلب، لاحظ أن الأدعية والأذكار وقراءة القرآن، كلها تعتمد على ما قام في قلبك، ليس من وسيلة محضة إذا عملتها انتهى الأمر.

هذا سؤال يقول إذا قام العبد ليلة وصلى ولم يحدث بها أحدًا ثم رأى معاملة من الناس حسنة، فجاء في نفسه أن هذا من أثر القيام، هل هذا من الرياء؟

لا، هذا ليس من الرياء، لكن عندما نأتي إلى إرادة الإنسان بعمله الدنيا ربما يتبين لك الأمر،طبعًا بهذه السؤال بهذه الصيغة لا يدخل في الرياء ولا بإرادة الإنسان بعمله الدنيا، لكن ممكن أن يكون في النفس مشاعر تحول هذا العمل إلى إرادة في الدنيا، وأنا لن أتسرع، هذا السؤال الذي صاحبه يقول فيه أنه إذا قام الليلة وصلى ولم يحدث بها أحدًا هل هذا يمكن أن يدخل في الرياء لأنه وجد معاملة الناس حسنة؟ نقول الله أعلم بهذه الصورة لا يدخل في الرياء.

ننتقل الآن إلى الكلام حول إرادة الإنسان بعمله الدنيا، نبدأ في هذا الباب، على كل حال نحن سنتكلم مجرد مقدمة لأن الوقت يصعب علينا في هذا الوقت الضيق شرح هذا الباب المهم جدًا.

نبدأ أولًا حول معنى كلمة الإرادة.

في هذا اللقاء سأتكلم على وجه العموم ثم إن شاء الله في اللقاء القادم نتكلم على وجه التفصيل في الكلام عن أحكام إرادة الإنسان بعمله الآخرة.

نبدأ اولًا بمعنى هذه الجملة التي هي – إرادة الإنسان بعمله الدنيا —

ماذا يقصد بالإرادة؟ نحن مر معنا أن النية يعبر عنها في القرآن بالإرادة وبالإبتغاء.

فماذا يريد هذا الإنسان؟ أراد الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

يعني نحن لا نتكلم عن أي أحد يريد الدنيا بأعمال الدنيا، هذا الصنف ليس لنا علاقة بها تمامًا – من يريد الدنيا بأعمال الدنيا يعني يريد المال فيدخل كلية الطب أو الهندسة أو يصبح معلمًا في العلوم الدنيوية ليس لنا علاقة به هذا.

لكن نأتي نلوم من؟ نلوم طالب العلم الذي يتعلم العلوم الشرعية من أجل أن يكون له من الدنيا حظ ونصيب، هذا الذي يتكلم عنه في هذا الباب، **يعني شخص لأعمال الآخرة يريد الحصول على الدنيا**، هذا مقصودنا في هذا الباب، ولابد أن تتبين هذا الأمر لأن دائمًا هذا الأمر فيه إشكال.

فكأن يأتي السؤال الآن ماذا نقصد بإرادة الإنسان بعمله الدنيا؟ نقول أن هذا عبد عمل أعمال الآخرة لا يريد بها الآخرة، إنما يريد بها الدنيا.

هل الدنيا ممنوعة؟ لا، ليست ممنوعة عنك، ﴿وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ لم يقال لك لا تتعامل معها، قيل لك لا تنس نصيبك فيها.

لما لا تنسى نصيبك فيها ما معناه؟ معناه أنك اعمل فيها من أجل أن تحسنها، لكن لا يمكن أن يسمح لك أن تجعل الدنيا أكبر همك، والله عز وجل يقول: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ وورد في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلا مَا قَدَّرَ لَهُ".

فتصور هذا كلام عن همومك فما بالك بأن تصبح الدنيا أكبر همومك فتعمل أعمال الآخرة من أجل الدنيا، يعني هذا كلام فقط عن همك منفرد، يعني لو كنت تعيش الحياة ليس همك إلا تعمل من أجل الدنيا يقال لك هذا الكلام، يقال لك لا تجعل أكبر همك الدنيا، وأعلم أن لو كانت الدنيا أكبر همك جعل الله فقرك بين عينيك.

هذا يخاطب به مَن؟ اهتم لأمر الدنيا فأخذ أسباب صلاح الدنيا وترك أسباب صلاح الآخرة، فما بالك بشخص أخذ أسباب صلاح الآخرة وعمل بها فقط لصلاح دنياه؟!، فماذا يقال له؟!.

الأحاديث في النوع الأول لما الإنسان جعل الدنيا أكبر همه كثيرة، عن زيد ابن ثابت رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ".

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ تَكُنِ الدُّنْيَا نِيَّتُهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَشَتَّتَ اللَّهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ ، وَلا يَأْتِيَهُ مِنْهَا إِلا مَا كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ تَكُنِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَيَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ ، وَتَأْتِيهِ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ " .

وفي حديث أنس الذي رواه البزار والطبراني وابن حبان في صحيحه؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من كانت الدنيا همته وسدمه ولها شخص وإياها ينوي يجعل الله الفقر بين عينيه، وشتت عليه ضيعته، ولم يأتيه منها إلا ما كتب له منها، ومن كانت الآخرة همته وسدمه ولها شخص وإياها ينوي جعل الله عز وجل الغنى في قلبه وجمع عليه ضيعته وأتته الدنيا وهي صاغرة".

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " مَنْ جَعَلَ الْهَمَّ هَمًّا وَاحِدًا كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْهُ الْهُمُومُ لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا هَلَكَ " .

فانظر إلى كل هذه النصوص التي تدلك على أن همومك عليها يكون الحساب، ولذلك انظر إلى مرادك واجعل الهم همًا واحدًا وهو همّ الآخرة يكفيك الله همّ دنياك، لأن في رواية ابن مسعود "مَنْ جَعَلَ الهُمومَ هَمًّا واحِدًا ، هَمَّ المِعادِ ، كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ ، ، و مَن تَشَعَّبَتْ به الهُمومُ من أحوالِ الدنيا لَمْ يُبالِ اللهُ في أيِّ أوْدِيَتِها هَلَكَ".

فهذا الكلام يظهر لك حقيقة الحياة، والحقيقة أننا مع ما نجد من الأمن والأمان ورغد العيش والترف ترى النفوس طامعة في الدنيا، وتراها باغضة لمن يذكرها أن الهمّ لابد أن يكون همّ الآخرة.

إلى درجة أن حال طرح هذا الباب بالذات ومثله الحقيقة عندما نطرح كتاب الرقاق في صحيح البخاري تجد النفوس مشمئزة من المعاني تخاصمها!، تخاصم المعاني الموجودة في هذه النصوص، لماذا تخاصمها؟ لأننا اعتدنا على الترف والتعلق بالدنيا، فعظمت الدنيا في نفوسنا لدرجة أننا نبغض من يكلمنا عن حقارتها، وعن أن الاهتمام بها أمر لا يليق بك أيُّها المؤمن.

يأتي دائمًا السؤال؛ نترك الدنيا أين سنعيش؟ نقول لا!، انت اجعل همك همًا واحدا، وكن على يقين أن الله يكفيك هم الدنيا، الدنيا هذه ما أتاك منها تمتع بها، وما انصرف عنك ولم يأتيك لا تجري وراءه، نحن نكلمك عن همومك لا نكلمك عن ما جرى تحت يديك، الذي يجري تحت يديك استمتع به ولا تفرح به كل الفرح بل اعتقد يقينًا أن كل شيء يأتيك أما تزول عنه أو يزول عنك فلا تجعل فرحك هنا!

ألا تسمع إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يصف الجنة فيقول: " مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عليهَا "، فماذا تسوى الدنيا إذا كان نعيمها من أول أن خلق الله آدم إلى قيام الساعة كل نعيم تنعم به الناس – كل الناس من خلق آدم إلى قيام الساعة – كل نعيم تنعموا به لا يساوي مقدار أو موضع سوطٍ في الجنة!.

فانت بهذا تفهم وصف الدنيا على حقيقتها، واعلم أن الدنيا الطلع فيها يقتلك، كما ورد في الحديث – أن آكلة خضرة هذا الأكل الذي تأكله يقتلها حبطًا أو يلم–[٥٢٦]، يعني يلم حبطًا من الانتفاخ، من كثرة أكلها تنتفخ وتموت أو تكاد أن تموت، وهذا تشبيه للدنيا وللطامع فيها، كلما أخذ منها وأكل كلما كانت سببًا لموت قلبه أو قريب من موت قلبه.

وأنا الحقيقة أكلمكم هذا الكلام لأن عدم تصورك للدنيا على حقيقتها يجعلك لا تستوعب هذا الباب، ولا تستوعب خطورته على نفسك، لأن كثير من الناس أغرتهم الدنيا وتصوروا مكانتها عظيمة، ولما زادت المكانة في قلوبهم أصبحوا يرفضوا أن يسمعوا عنها ما لا ينسبهم، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إلا عَيْشُ الآخِرَةِ" وإذا كنت تعلم أن لا عيش إلا عيش الآخرة معناها ماذا تظن في الدنيا؟ تظن في الدنيا كما وصف الله لك في مواطن كثيرة منها سورة الكهف التي ترددها، وصفت لك الدنيا فيها، ومنها سورة الحديد التي قال الله عز وجل فيها ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ هذه الدنيا، هذه صورتها، لعب لهو زينة تفاخر بينكم، تكاثر في الأموال والاولاد، تفكر فقط كيف تتكاثر كيف تتزين، كيف تزين طعامك، شرابك بيتك، وتتفاخر بذلك.

---

[٥٢٦] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ قِيلَ وَمَا بَرَكَاتُ الْأَرْضِ قَالَ زَهْرَةُ الدُّنْيَا فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ هَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ فَصَمَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ فَقَالَ أَيْنَ السَّائِلُ قَالَ أَنَا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ لَقَدْ حَمِدْنَاهُ حِينَ طَلَعَ ذَلِكَ قَالَ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرَةِ أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ الشَّمْسَ فَاجْتَرَّتْ وَثَلَطَتْ وَبَالَتْ ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ.
صحيح البخاري كتاب الرقاق ٦٠٦٣

فهذه الدنيا ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ ثم مثلت لك الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٥٢٧] ثم قيل لك ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٥٢٨] ثم قيل لك ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾[٥٢٩].

يعني صورت لك الدنيا ثم قيل لك هذه صورة الدنيا والحقيقة أنك يجب عليك ان تسابق إلى مغفرة من ربك، وجنة، واعلم أن ما أصاب من مصيبة في الأرض الله عز وجل يعلمها وأنها في كتاب من قبل أن يبرأها، فإذا علمت هذا فلا يكن تعلقك بالدنيا ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.

فلابد ألا تنسى أبدًا حقيقة الدنيا وما هي عليه وما هي غايتها وغاية أهلها فهي لعب ولهو، تلعب الأبدان وتلهو القلوب، وهذا انت تراه اليوم الناس تجدهم قطعوا أوقاتهم وأعمارهم باللهو، لهت قلوبهم وغفلت عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم أتخذوا صحتهم وقدرتهم ومالهم أتخذوه كله لعبًا ولهو، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة فقد بذلوا جهودهم أن ينتفعوا بأنفاسهم وقلوبهم معمورة بذكره ومعرفته ومحبته، وهمومهم دائرة حول رضاه، أشغلوا أوقاتهم بنفع أنفسهم بما يرضي الله سواء كان هذا النفع قاصر عليهم أو متعدي لغيرهم.

فإذا انت فهمت الدنيا وفهمت أنها لهو ولعب وزينة فالناس يتزينون اليوم في مطاعمهم ومشاربهم ومراكبهم ودورهم وقصورهم وجاههم وإلى غير ذلك، وتراهم يتفاخر بعضهم على بعض، كل واحد منهم يريد أن يفاخر الأخر، وأن يكون هو الغالب له ولو كان الأخر هذا هو شخص واحد المهم يريد أن يكون أحسن الناس في الدنيا، ويكون هو المشتهر في حالها.

وتكاثر في الأموال والأولاد أي كل شخص بريد أن يكون هو الكاثر لغيره، وهذا لا يكون إلا من محب الدنيا والمطمئن لها، بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها فجعلها معبرًا وليست مستقرا، فإذا كانت معبر وليس مستقر فلا تعمل لأجلها وارض بالقليل منها، والقليل منها هذا ستأتي الدنيا وراءك تجري، ستجري وراءك الدنيا وانت تعمل للآخرة، انت متقنع منها وهي تجري وراءك، فكلما زادت جريًا وراءك كلما رأيت حقارتها.

فلو سألتك الآن العيد الذي مضى في شوال لما اشتريت لك ملبوسًا كيف كان طعمه؟ كان عظيم جميل، ثم أيام وليال ثم ذهب طعمه! كذلك الدنيا!، لذلك لابد أن تعلم حقيقتها وأنها زهرة زائلة مثل هذا النبات الذي تراه وتعجب به ثم يهيج ويبس كأنه لم يكن أخضرًا ولا كان زاهيًا ولا كان مزدهرا، وكذلك كل شيء الدنيا يكون قريب وتحصله وتجده تحت يدك ثم تزول سلطتك عنه تذهب أو يذهب عنك، ترحل أو يرحل عنك!، المهم تعود صفر اليدين، لا تتزود من الدنيا كلها بسوى الكفن، تبًا لمن أضحت الدنيا غاية أمنيته ولها عمل وسعى، أما من عمل للآخرة فهو الذي ينفعه.

---

[٥٢٧] الحديد:٢٠

[٥٢٨] الحديد:٢١

[٥٢٩] الحديد:٢٤،٢٣،٢٢

ولذلك الله عز وجل قال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن تعلق بالدنيا، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ هذا لمن أعتنى بالآخرة، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي متاع يتمتع به وينتفع به وتستدفع فقط به الحاجات، لا تغتر لا تطمئن ولا تجري ورائها، إنما سابق سابق إلى مغفرة من الله وإلى رضوانه وإلى جنته، اسع إلى أسباب المغفرة من التوبة النصوح، من الاستغفار المتكرر، من البعد عن الذنوب ومظانها، سابق إلى الله بالعمل الصالح، احرص على أوقاتك، كل هذا إذا تبين لك سترى أن الدنيا لا تستحق أن تعمل لأجلها ولا تستحق أن تتلهف عليها، فكيف تعمل عمل الآخرة من أجل الدنيا؟!، هذا الأمر العجيب! أن تعمل عمل الآخرة من أجل الدنيا.

على كل حال؛ لم نستطيع أن ندخل في الباب لكن هذه مقدمة لابد منها، لابد أن تتصور ان الدنيا لا تستحق منك أي عناء، إنما اجعل الهمّ همًا واحدًا، فإذا كان همّك همًا واحدًا وهو هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك!، كلامي هذا ليس معناه المنع من الدنيا والتمتع بها لكنها خداعة سراقة، سارقة لقلبك وهمومك فخذ منها ما أتى ونسأل الله عز وجل أن يسلم قلوبنا من العناية بالدنيا.

فإذا فهمت هذه القاعدة العظيمة ستتصور كيف أنه لا يمكن أن يقبل أن يكون إرادة العبد وباعثه الذي بعثه على العمل الصالح ثواب الدنيا! لا يقبل، يعني لا تريد من الله إلا ثواب الدنيا فكيف يكون! الدنيا لا تستحق منك جهد، ولو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافر، فنسأل الله عز وجل أن يرحم قلوبنا من الألتفاتة إلى غيره، ومن العناية بالدنيا.

وانتم يا أهل جدة بالذات وما نعيشه سويًا اليوم من أحداث مرت علينا ولازالت آثارها موجودة يراها كل معتبر وينظر لها ويعلم أن نهاية الحياة قريب قربًا لا يتصور، فمن آمنين ساكنين في بيوتهم إلى غرقى يحمل جثثهم الماء!، فماذا تقول!، إن كنت تتصور أنك تتحصن ببيتك أو بمالك أو بزادك من الدنيا فانت مغرور، ما هذا إلا متاع الغرور، فاعمل للآخرة واعتني ألا يلتفت همك عنها، واطمئن اطمئن اطمئن الدنيا آتية لابد.

اسأل الله عز وجل أن يزهد نفوسنا في الدنيا والطمع فيها، وأن يجعل جميع مطامعنا في آخرته، وأن نكون ممن سارع إلى مغفرته ورضوانه، وأنا مازلت أوصيكم أن تعودوا فتقرءوا آيات سورة الحديد التي مرت علينا مرة أخرى اقرءوها من تفسير الشيخ السعدي قال كلامًا جميلًا متينًا يحتاج طالب العمل أن يبقى في ذاكرته.

جزاكم الله خيرًا، نفع الله بكم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأل الله عز وجل بمنه وكرمه أن يجعل هذا اللقاء سببًا لكفارة ذنوبنا، وسببًا لاستغفار الملائكة لنا، ونسأله سبحانه وتعالى أن يتقبله وأن يعاملنا فيه وفي كل أعمالنا باسمه الغفور الشكور، وأن يرزقنا صحة في قلوبنا وصوابًا في أعمالنا وقبولًا لها ..اللهم آمين.

ولازلنا نذكر أنفسنا بهذا الموسم العظيم الذي نعيشه وهو الأشهر الحرم، ونحن نرى أنفسنا تتهاون في حدود الله وحقوقه، ولازلنا مع هذا التهاون ننتظر منه سبحانه وتعالى العطاء، نسأله سبحانه وتعالى أن يدفع عن قلوبنا الأمن من مكره، والقنوط من رحمته، وأن يرزقنا الصبر على طاعته، والصبر عن معصيته، والصبر على أقداره التي ما رأينا منها إلا معاملته سبحانه وتعالى لنا بألطافه.

فهو المشكور سبحانه وتعالى على ما رزقنا من الإيمان، وعلى ما رزقنا من صحة الأبدان، وعلى ما رزقنا من رغد العيش، وعلى ما رزقنا من العلم وسبل التواصل مع القريب والبعيد، فنسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الشاكرين حقا الذين يعترفون بقلوبهم أن لا فضل إلا فضله، ولا عطاء إلا عطائه، ولا رب غيره ولا منعم سواه، وأن يجعل هذا الثناء ينطلق على ألسنتنا وأن يجعل جوارحنا عابدة منتفعة بأوقاتها، وأن يرزقنا كثرة السجود له، وكثرة حضور القلب في أوقات العمر الشريفة، اللهم آمين.

ولازلنا نذكر أنفسنا أن مثل هذه المجالس لو أقبل عليها العبد راغبًا في أن تكون سبب لكفارة سيئاته والملائكة تحيط به وتستغفر له، فإذا أقبل العبد عليها راغبًا في تكفير سيئاته، راغبًا في رفعة درجته عند الله، راغبًا في الانتفاع بما يتعلم لا يخذله الله.

فنسأله سبحانه وتعالى أن تصح نياتنا، وتصح أعمالنا، ولازلنا نسأله – واسأل الله عز وجل أن لا نفتر عن هذا السؤال – أن يعاملنا بفضله ورحمته ونحن مؤمنون باسمه الغفور الشكور، فيا ربنا تجاوز عن أخطائنا واغفر لنا واشكر لنا ضعيف عملنا الذي نستحي أن نتقدم بين يديك به، لكننا أخذنا بالسبب أخذًا ضعيفًا ولا يقوي سببنا إلا رحمتك وفضلك ياربنا، فعاملنا بعفوك، عاملنا برحمتك، عاملنا بمغفرتك، عاملنا بشكرك .. اللهم آمين.

لازلنا نتكلم في كتاب التوحيد؛ واليوم موضوعنا تابع لموضوع اللقاء الماضي، نحن مر معنا في اللقاء الماضي الكلام حول الرياء، وعلمنا أن الإخلاص لله أساس الدين، وروح التوحيد والعبادة وهو أن تكون يا عابد تقصد بعملك كله وجه الله وثوابه وفضله سبحانه وتعالى، وتقوم بكل ما أمرت به من حقوق الإيمان، من حقوق الله وحقوق عباده وانت تقصد بها وجه الله والدار الآخرة، لا تريد بذلك رياءً ولا سمعةً ولا رياسة ولا دنيا وبذلك يتم إيمانك وتوحيدك.

وعلمنا إذا كان الحامل للعبد على العمل قصد مرائاة الناس واستمر على هذا القصد الفاسد فعمله حابط وإن كان الحامل للعبد على العمل إرادة وجه الله ودخل عليه الرياء ولم يقلع عن الرياء فظاهر النصوص أيضًا أن عمله باطل، وإذا كان العبد حمله على العمل الصالح إرادة وجه الله وحده ولكن عرض له الرياء في أثناء عمله ودافعه ما استطاع، وبذل جهده في إخلاصه لم يضره إن شاء الله، كل الإشكال إذا ساكنه واطمئن إليه، وهذا كله المقصود أن الإنسان يعمل يريد بذلك ثناء الناس.

سننتقل الآن إلى باب جديد باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا وقول الله تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وفي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ"

وهذا الباب متصل بما قبله، لكن ما الفرق بين هذا الباب والباب السابق؟

- الباب السابق العابد يريد من الخلق أن يمدحوه على عبادته، ولايريد النفع المادي، هذا في باب الرياء.
- لكن هنا في هذا الباب هو لايريد أن يمدح بعبادته، ولا يريد المراءاة، بل من هذا الباب هو يعبد الله مخلصًا له، لكن ماذا يريد من الله؟ من هنا يأتي الإشكال.

أولًا نتفق على تقرير المعتقد الصائب ثم نتحول للكلام عن ما يخالفه.

العبد وهو يعبد الله لابد أن يكون مريدًا بعبادته وجه الله والدار الآخرة، يعني انت الآن لماذا تعبد الله ؟ تعبده طلبًا لرضاه، وتعبده طمعًا في جنته وخوفًا من عقوبته، وهذا ما يعتقده أهل السنة مخالفًا لذلك المتصوفة ومن سار سيرهم.

والله عز وجل في كتابه رغب في جنته، وخوف من ناره، وخلق الإنسان هذه طبيعته – يسير بالخوف والرغبة والرجاء –، وهو في هذا كله محب لسلامته، يعني انت الآن وانت سائر هذا السير محب لسلامتك من المخوف، محب لوصولك للمرغوب، ففي نهاية الأمر انت عبد لله تريد رضاه وترغب في جنته وتريد النجاة من نيرانه، فهذا هو المقصود الذي يجب أن يكون من وراء عبادتك.

متى يأتي الشرك في إرادتك؟ نحن عبرنا أو اتفقنا سابقًا أنه تأتي في كتاب الله كلمة إرادة تعبر عن النية، فمتى يأتي شرك الإرادة؟ وشرك الإرادة هذا غير الرياء، هذا أمر غير الرياء لكن أحيانًا تقرأ في بعض الرسائل أن الإنسان إذا أراد بعمله الدنيا يعني يأتوا بأمثلة لإرادة الإنسا نبعمله الدنيا ثم يقولون لك أين الرياء في هذا؟! لا رياء فيه وينتهي الأمر عندهم، نقول لا الأمر مختلف عن الرياء، ما الاختلاف؟ الآن انت حددي ما المقصود من العبادات؟ المقصود من العبادات واحدة من ثلاثة أمور أو الصحيح ليست واحدة من ثلاثة أمور إنما الثلاثة أمور كلها هذا المقصود من العبادة:

- انت تعبد الله راجيًا لرضاه.
- طالبًا الجنة.
- خائفًا من النار.

هذه الثلاثة المفروض تكون مقصودك في العبادة، لما الإنسان يترك الأولى أكيد الثانية والثالثة تابعة لها، لما يرائي ماذا يحصل؟ لا يكون عمله يريد به وجه الله إنما يريد به وجه الناس، أو يجمع بين الاثنين يريد به وجه الله ويريد وجه الناس، واتفقنا على هذه الأحوال عندما يجمع بين الاثنين ماذا يحصل له من أحكام:

- إذا استرسل كان باطل.
- وإذا جاهد لا يضره ما مر على خاطره.

نأتي الآن لإرادة الإنسان بعمله الدنيا لأنه جواب لسؤال الآن انت تريد بعبادتك وجه الله، لا تريد مدح الناس ولا ثنائهم لكن ماذا تريد من الله؟ هل تريد الدار الآخرة أم تريد المصالح في الدار الدنيا؟ أم تريد الاثنين؟ تريد مصلحة من عبادتك تلحقك في الدنيا ومصلحة تلحقك في الآخرة.

إذن هذا الباب يناقش ماذا تريد من الله بعد أن عبدته وحده فوقع لك الإخلاص، لماذا وقع لك الإخلاص؟ في إرادتك وابتغائك وجه الله، **ليس مثل الرياء تبتغي ثناء الناس ورضاهم، انت الآن لا تبتغي إلا رضاء الله وثناءه عنك** لكن ماذا تريد بعد ثناء الله؟ المفروض أنك تريد أن يكون رضى الله عنك سببًا للدخول في الجنة – نسأل الله من فضله – والزحزحة عن النار، ولذلك لما تضع هذه الآية نصب عينيك تتصور ماذا نقول لك ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٥٣٠].

يعني كأنه يقال لك الفوز الحقيقي أن تزحزح عن النار بعفوه وأن تدخل الجنة برحمته أما الدنيا فما وصفها؟ متاع الغرور، لذلك لابد من تأسيس هذا المعنى أولًا في قلبك قبل أن يتأسس معنى إرادة الدنيا، يعني قبل أن أبين لك معنى إرادة الدنيا لابد أن أبين لك ما قيمة الدنيا في الشريعة والنبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إلا عَيْشُ الآخِرَةِ"، وكما مر معنا في آية سورة الحديد ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ إلى أن ختمت الآية بوصف الدنيا أنها متاع الغرور.

والنبي صلى الله عليه وسلم وصى عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما قال له: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"، ولذلك البخاري لما أورد هذا الحديث في كتاب الرقاق قال بعده: وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ.

وقد ذم طول الأمل، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه " لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الْأَمَلِ"، ويحذرهم النبي صلى الله عليه وسلم تحذيرات متكررة: "وَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا" إلى أخر ما ورد في الكلام عن وصف الدنيا وكيف أن الغنى غنى النفس، وفي الحديث: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ"

تصوري هذا الطمع في الدنيا يحتاج منك توبة لأن بعدما يخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ" وورد في الحديث: "إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ

---

[٥٣٠] آل عمران:١٨٥

الْقِيَامَةِ"، المكثرون في الدنيا من المال والمتاع هم المقلون يوم القيامة من الأجر طبعًا وأتى الاستثناء "إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ".

فالمقصود أن الدنيا لا تستحق منك أن تعمل من أجلها عمل الآخرة، ونحن نقول كما أخبر سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ وونصيبك من الدنيا هذه بعمل الدنيا، لكن هنا الإشكال أنك تأتي لأعمال الآخرة وتريد منها صلاح الدنيا، لكن الأمر فيه تفصيل إن شاء الله نأخذه بالتفصيل مقصدي الآن أن تفهم المسألة الكلية، ما هي المسألة الكلية؟ أن الإنسان حال عمله المفروض يطلب وجه الله والدار الآخرة.

فما معنى وجه الله والدار الآخرة؟ معناه يطلب رضا الله وإذا رضي الله عنه زحزح عن النار وأدخل الجنة ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾، هذا ما نفهمه نحن، ووصفت لك الدنيا في نفس الآية أنها متاع الغرور.

فهذه القاعدة اجعلها نصب عينيك وانت تعمل، وهذه الآية تعالج أمرين في نفوسنا:

- من جهة الشهوات والتعلق بالدنيا وحبها.
- ومن جهة أخرى الضعف عن طلب الآخرة.

ولذلك كثير من الناس يبيعون الجنة بشهوة ساعة، المقصد الآن ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ بعض الناس من أصل تفكيرهم يطلبون رضا الناس ببعض أعمالهم وثناء الناس عليهم فهؤلاء أصلًا لم يبلغوا رضا الله، وأخرون يعملون أعمال يطلبون رضا الله لكن ما هو الفوز عندهم؟ أن يعطيهم الله الدنيا، فهؤلاء ما أرادوا بعملهم الدار الآخرة، أرادوا وجه الله، لكن ماذا أرادوا من الله؟ أرادوا الدنيا.

هل هذه المسألة على عمومها وليس فيها تفصيل؟ لا فيها تفصيل، فيها تفصيل يخرج أشياء ويدخل أشياء، ويجعل أشياء ممنوعة إطلاقًا، ويجعل أشياء التشريك فيها ينقص الأجر وهكذا، لكن أهم شيء الآن أبدأ بالقاعدة الأساسية.

أريد منكم لو عندكم سؤال على القاعدة تفضلوا، أما ما يدخل فيها ويخرج منها سياتينا نقاشه بالتفصيل إن شاء الله الآن.

هذا سؤال يقول نرجو مرة أخرى ذكر القاعدة.

القاعدة هي آية آل عمران، ماذا يقول الله عز وجل؟ في أولها يقول الله عز وجل معمم على كل النفوس، هل بعض النفوس ستذوق الموت أم كل النفوس؟ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ إذن الموت هو الفاصل وإنما يوم القيامة ماذا يحدث؟ توفية الأجور، أن يوفى الله عز وجل كل واحد أجره والوفاء معناه أنه لن يكون هناك نقص أبدًا.

ثم ذكر الله عز وجل الفوز الحقيقي ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ ثم وصفت الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ هذه الآية قاعدة تزهدك في الدنيا وتعلمك بفنائها وعدم بقائها وأن الدنيا متاع الغرور.

ما معنى متاع الغرور؟ يعني الدنيا تفتن بزخرفها، تغر بعض الناس بمحاسنها، ثم أمَّا هي تنتقل أو انت تنتقل عنها، ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾ يعني أخرج، ﴿ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ وهذا هو الفوز الحقيقي، من الخسران؟ الذي لم يزحزح عن النار ولم يدخل الجنة وبقي في الشقاء.

فالمعنى أنك تضع بين عينيك حقيقة الدنيا فلا يكون عملك لأجلها، بل المفروض أنك لو اكتمل في ذهنك هذا الفوز وشعرت حقيقة أن هذا هو الفوز الحقيقي تتحول نيتك إلى الانتفاع بالمباحات للقرب من الله، طبعًا لا تتحول إلى المباحات إلا بعد تصحيح

العبادات أولًا، يعني صحح نيتك في عباداتك ثم تحول إلى المباحات فاجعلها لله، من كثرة شعورك أن الدنيا لا تستحق منك بذل، وطبعًا هذا مبني على التوازن ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾والدنيا دار ممر عاملها على أنها دار ممر، هذه القاعدة.

السؤال الثاني: هل الإنسان بعمله الصالح لا يطلب به الدنيا؟

نتكلم عن قاعدة سيدخل فيها أمور وسيخرج منها أمور، متبين معنى أني اتكلم عن قاعدة سيأتي تفصيلها، ماذا تفهمين عندما أقول لك سنتكلم عن قاعدة سيأتي تفصيلها؟ يعني هذا أساس الأمر لكن سنتكلم في تفاصيل تخرج أمور وتدخل أمور، فانت في الأصل يقال لك افهم ما هو الفوز الحقيقي ثم بعد ذلك يتبين لك تفصيل الأمر.

على كل حال؛ هذه بداية الموضوع ثم تفصيله ليس بالأمر الهين تفصيله، إنما أمر يحتاج منك شدة تركيز، ثم أن هذا الدرس تحتاج تسمعه مرات من أجل أن يتبين لك الامر جيدًا، لكن نحن فقط نستعين بالله ما نستطيع إلا الاستعانة به ونسأله أن يوفقنا في تجلية الأمر وبيانه، ونرجو منه سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن انتفع به في حياته .. اللهم آمين.

نبدأ أولًا بالنظر إلى الشريعة؛ نحن اتفقنا أن الأصل أن الفوز عندنا في الزحزحة عن النار ودخول الجنة، هذا الفوز، ووصفت لنا الدنيا وصفًا واضحًا أنها متاع الغرور، إذا فهمت هذا بقي أن تفهم أمر أخر وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ"

ولذلك قال ابن القيم: وَأَمَّا الشَّرَكُ فِي الْإِرَادَاتِ وَالنِّيَّاتِ ، فَذَلِكَ الْبَحْرُ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ ، وَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُ ، ثم قال: مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَنَوَى شَيْئًا غَيْرَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ ، وَطَلَبَ الْجَزَاءَ مِنْهُ ، فَقَدْ أَشْرَكَ فِي نِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ .

انظري هذه الجملة: من أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئا غير التقريب أو التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته.

والمقصد الآن أن تفهم أن هذا الشرك خفي، وأن النبي صلى الله عليه وسلم حذرنا من خفاءه وأنه خفي بل أخفى من دبيب النمل، يعني يدخل على العبد ولا يشعر به.

نأتي الآن في التفصيل في مسألة إرادة الإنسان بعمله الدنيا، هذا التفصيل يأتي بأدلته.

لو سألتك أولًا ما هو الكمال لما تقوم بالعبادات؟ لاحظ أني اتكلم على العبادات، الكمال أن تخلص لله في عبادته فلا تريد إلا وجه والدار الآخرة، ماذا ينافي هذه النية؟ ينافيها مراءاة الناس والعمل من أجل مدحهم وتعظيمهم أو العمل لأجل الدنيا.

نأتي الآن إلى حالة الشريعة لما أمرتك بالأعمال، بماذا حضتك عليها؟ الله عز وجل أمر بالعمل الصالح، ولا يكون صالحًا إلا إذا كان خالصًا صوابا لكن بعض الأعمال لما أمر الله بها حضك عليها بذكر شيءٍ من الأجر الدنيوي، فعلى ذلك أول نقطة لابد من التنبيه عليها أن العبادات تنقسم إلى قسمين حال حض الشريعة عليها.

يعني كيف أمرتك الشريعة بالأعمال؟

- أما أنها رغبتك بالعمل من أجل الآخرة فقط، وذكر الله لك مصالحها الشرعية في الدنيا والآخرة.
- أو تذكر لك المصلحة الشرعية ويذكر لك شيء من المصالح الدنيوية.

هذا التقسيم سيعتبر لنا قاعدة سنتفرع منه؛ النصوص الشرعية التي وردت في الحض على الأعمال تنقسم إلى قسمين:

- قسم ورد فيه الحض على الأعمال الشرعية بذكر الأجور الدنيوية، يعني ذكر لك الأجر الأخروي وذكر لك الأجر الدنيوي هذا نوع.

▪ نوع أخر لم يذكر فيه إلا الأجر الأخروي، أو الآثار المرغوبة شرعًا.

سأتعدى النقطة على أنها اتضحت لكم.

نبدأ من هنا بالتقسيم فنقول أن القسم الذي لم يذكر فيه الأجر الدنيوي أبدًا مثل صلاة الفرائض، صلاة الفريضة ذكر فيها وفي المنافع منها أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، والنهي عن الفحشاء والمنكر مصلحة شرعية، فانت تصلي لهذه المصلحة الشرعية، تصلي لله، وتصلي تعلم أن الصلاة سببًا لهذه المصلحة الشرعية، فالمصلحة الشرعية ستظهر في الدنيا ليس فيه إشكال لكن اسمها مصلحة شرعية.

وهذا أمر معتبر أن العبادات لها مصالح شرعية، ومن المصالح الشرعية للعبادات زيادة الإيمان، كل عبادة تزيد الإيمان فهذه مصلحة شرعية، النهي عن الفحشاء والمنكر مصلحة شرعية، ثم قيل لك ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٥٣١] يعني والمصلحة الأكبر في الصلاة أن فيها ذكر الله.

المقصود الآن أن الصلاة عبادة حض عليها بذكر الأجر الأخروي وما لك عند الله من هذه العبادة، وذكر أيضًا الأجر الدنيوي المرغوب فيه شرعًا.

كما لو قرأتي في الترغيب والترهيب في الجزء الأول منه ستجدين النصوص التي تتكلم عن الصلاة وعن فضائلها، وكل هذا سيكون أثره في الآخرة، وأن السجود مثلًا لما النبي صلى الله عليه وسلم قال: " عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ فَإِنَّك لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَحَطَّ بِهَا عَنْكَ خَطِيئَةً "، ومثل قول النبي صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِقَبْرٍ ، فَقَالَ : " مَنْ صَاحِبُ هَذَا الْقَبْرِ ؟ " فَقَالُوا : فُلانٌ ، فَقَالَ : " رَكْعَتَانِ أَحَبُّ إِلَى هَذَا مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكُمْ "، وورد أيضًا: الصَّلاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ ، فَاسْتَكْثِرْ أَوِ اسْتَقِلَّ"، " مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إلا كُتِبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً وَمُحَا بِهَا سَيِّئَةً ، وَرُفِعَ بِهَا دَرَجَةً ، فَاسْتَكْثِرُوا السُّجُودِ " .

هذه النصوص كلها ترغبك في الصلاة، تكلمك عن فضل السجود والخشوع، وكل هذه ستجد آثارها لما تلقى الله، وأيضًا من آثارها الشرعية في الدنيا أنها تنهي عن الفحشاء والمنكر.

نحن أخذنا الصلاة كنموذج الآن، إذن هذه الصلاة وسأحدد بالذات صلاة الفريضة سنقول هذه الصلوات الفرائض حض عليها بذكر ما لك عند الله، وحض عليها بذكر أثرها الدنيوي الشرعي؟

لاحظ الشرعي، ما معنى الشرعي؟ يعني أنها ستكون سببًا لزيادة استقامتك على أمر الله، ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وهذا من المصالح الشرعية.

إذن على ذلك ستكون الصلاة من العبادات التي لم يذكر فيها مصلحة دنيوية، نرى الآن ما موقفنا من عبادة لم يذكر فيها المصلحة الدنيوية؟ سنقول: **عبادة لم يأتي في الشريعة ذكر للمصلحة الدنيوية فسيكون من الشرك إرادة الدنيا بها**، بهذه العبادة التي لم يذكر فيها إلا المصلحة الشرعية سواء كان المصلحة الشرعية لما تلقى الله أو المصلحة الشرعية وانت هنا في الدنيا.

نأتي إلى مثال القسم الثاني، ومن هنا يبدأ التفصيل الدقيق، انتهينا من الأعمال لم تذكر الشريعة فيها مصالح الدنيا، سنقول فيها باختصار أن أعمالًا لم تذكر الشريعة فيها مصلحة الدنيا ليس عليك فيها إلا إرادة الآخرة.

---

[٥٣١] العنكبوت:٤٥

لو ذكرت المصالح الدنيوية في العبادة ماذا سيكون موقفنا من هذه العبادة؟ مثاله: الشرع رتب على صلة الأرحام أجرًا دنيويًا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ".

إذن هذه أعمال رتب الشارع عليها ثوابًا في الدنيا، رغب فيها بذكر ثواب الدنيا، فما موقف الناس وتصرفاتهم تجاه هذا النوع من الأعمال، سنذكرها باختصار وسنذكر موقفنا منها باختصار ثم نتكلم بالتفصيل، يعني سنضرب مثال على صلة الأرحام، وطبعًا من صلة الأرحام من بينها بر الوالدين، يدخل في عموم صلة الأرحام.

سنقول هناك واحدة من ثلاثة مواقف أمام صلة الأرحام:

- الحالة الأولى: إما عبد يصل رحمه لا يريد إلا وجه الله والدار الآخرة، ولا يستحضر الثواب الدنيوي من السعة في الرزق وما وعد في الحديث، هذه الحالة الأولى يستحضر فقط الثواب الأخروي.
- الحالة الثاني: يجمع بين استحضار الثواب الدنيوي والثواب الأخروي، يعني وهو يعمل العمل أو ينوي القيام به يريد الدنيا ويريد الآخرة.
- الحالة الثالثة: ألا يريد إلا الدنيا، يعني أنه يصل رحمه لا يريد من الله إلا أن يبسط له في رزقه.

يعني

ماذا تكون الأحكام باختصار؟

- إذا أراد الآخرة فقط هذا هو الكمال، لأنك لو نظرت إلى النصوص ستجد نصوص كثيرة رغبتك في صلة الرحم وفي بر الوالدين وهي تعدك الآخرة، وانظري في الترغيب والترهيب وانظري في كنز العمال ستجد الشيء الكثيرة، في الأدب المفرد مثلًا ستجد النصوص الكثيرة التي تكلمك عن هذه الأعمال الحسنة وترغبك فيها في أمر الآخرة، المقصد أن هذا الكمال أن يكون كل تفكيرك في الآخرة.
- نأتي إلى النوع الثاني يكون في الدنيا والآخرة نقول لا بأس به، لأن الشريعة لما حضتك على هذا العمل بذكر أجر الدنيا كان هذا ترغيبًا وتحبيبًا وحضًا على النفوس لعلمه سبحانه وتعالى بثقل هذا العمل عليك وبضعفك تجاهه.
- نأتي إلى الحالة الثالثة ألا يقوم الإنسان بهذا العمل إلا من أجل الدنيا فقط، نقول هنا يقع الشرك، طبعًا الشرك الأصغر.

مرة أخرى لأننا تركنا نقطة مهمة في النقطة السابقة؛ حال الاشتراك مرة أخرى أن يكون قصدك الدنيا والآخرة في أعمال حضت الشريعة عليها بذكر أجر الدنيا؛ نقول لا بأس، لأن الشريعة لم تحضك على ذلك إلا لعلمه سبحانه وتعالى بضعفك وبحاجتك إلى هذا الحض، لكن عملك لن يكون كاملًا مثل الأول، يعني في الحالة الثانية ينقص من أجرك، وهذه النقطة هي التي سببت الخلاف الشديد في هذا الأمر، وطبعًا هذا الخلاف حصل بسبب عدم بيان المسألة بيانًا تامًا مع ظهور أدلتها، والآن سنذكر الأدلة التي تدل، الآن نذكر باختصار ثم أتكلم عن الأدلة.

نأتي إلى الحالة الثالثة أنه لا يريد إلا الدنيا بعمل حضت الشريعة عليه بأجر الدنيا؛ نقول هنا يأتي الشرك.

لو أردتم أن تختصروا المسألة ماذا ستقولون؟ من أولها: سنقول: أن الشريعة حضت على الأعمال الشرعية بطريقتين:

⇦ إما بذكر الأجر الدنيوي، حضتك على العمل الصالح بذكر الأجر الدنيوي، طبعًا ليس فقط الأجر الدنيوي إنما ذكر الأجر الأخروي والدنيوي، إذن أعمال رتب الشرع عليها ثوابًا في الدنيا، ورغب فيها بذكر هذا الثواب، هذا نوع من الأعمال.

⇦ النوع الثاني من الأعمال لم يذكر فيها الأجر الدنيوي، النوع الثاني الذي لم يذكر فيها الأجر الدنيوي مادام لم يذكر فيها الأجر الدنيوي كونك تلتمس فيها المصالح الدنيوية نقول ممنوع يدخلك في الشرك، انتهينا من هذا، هذا واضح جدًا.

الأعمال التي رتب الشارع عليها ثوابًا في الدنيا الناس فيها ثلاثة حالات:

- الحالة الأولى: أن يعملون هذا العمل للآخرة فقط وهذا هو الكمال.
- الحالة الثانية: أن يعملون هذا العمل للدنيا والآخرة، وهذا لا بأس به مادام أن الشريعة حضت على الأعمال بذكر الأجر الدنيوي لكنه ينقص من أجر العامل، ينقص بقدر الإرادة.
- الحالة الثالثة: ألا يريد إلا الدنيا، وهذا دخل في الشرك.

	النصوص الشرعية التي وردت في الحض على الأعمال	
	القسم الأول	القسم الثاني
تعريفه	▪ قسم ورد فيه الحض على الأعمال الشرعية بذكر الأجور الدنيوية، يعني ذكر لك الأجر الأخروي وذكر لك الأجر الدنيوي هذا نوع.	▪ نوع أخر لم يذكر فيه إلا الأجر الأخروي، أو الآثار المرغوبة شرعًا.
مثاله	صلاة الفريضة. ▪ الصلاة عبادة حض عليها بذكر الأجر الأخروي وما لك عند الله من هذه العبادة. – النهي عن الفحشاء والمنكر مصلحة شرعية ▪ وذكر أيضًا الأجر الدنيوي المرغوب فيه شرعًا.– قيل لك ﴿ولذكر الله أكبر﴾ يعني والمصلحة الأكبر في الصلاة أن فيها ذكر الله.–	صلة الأرحام. " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ". إذن هذه أعمال رتب الشارع عليها ثوابًا في الدنيا، رغب فيها بذكر ثواب الدنيا.
حكمه	عبادة لم يأتي في الشريعة ذكر للمصلحة الدنيوية فسيكون من الشرك إرادة الدنيا بها، ليس عليك فيها إلا إرادة الآخرة.	◂ الحالة الأولى: أن يعملون هذا العمل للآخرة فقط وهذا هو الكمال. ◂ الحالة الثانية: أن يعملون هذا العمل للدنيا والآخرة، وهذا لا بأس به مادام أن الشريعة حضت على الأعمال بذكر الأجر الدنيوي لكنه ينقص من أجر العامل، ينقص بقدر الإرادة. ◂ الحالة الثالثة: ألا يريد إلا الدنيا، وهذا دخل في الشرك.

نبدأ الآن بالكلام حول الأول الذي أراد الآخرة فقط.

وهذا من المعلوم حال كماله فيما أراد، وقد كان الصحابة لا يرضى أحدهما أن يعطى من الدنيا شيئا، ولا يطلب شيئا، ولذلك في الأثر لما قال أبو وائل وهذا أخرجه البخاري:

قَالَ : عُدْنَا خَبَّابًا ، فَقَالَ " هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ ،

يعني نبتغي أو نريد ما عنده من الثواب.

كما قال ابن حجر:

نُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ – قال: أي جهة ما عنده من الثواب لا جهة الدنيا–، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَجْرِهِ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ نَمِرَةً ، فَإِذَا غَطَّيْنَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْإِذْخِرِ ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا " .

وفي رواية أخرى يقول في وصف هؤلاء الذين ذهبوا وما أكلوا من أجورهم شيئا؛ يقول في وصف نفسه قال:

إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ مَضَوْا لَمْ تُنْقِصْهُمْ الدُّنْيَا شَيْئًا ، وَإِنَّا أَصَبْنَا بَعْدَهُمْ مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ.

فالمقصود منا من مضى لم يأخذ من أجره شيئا أو لم يأكل من أجره شيئا أو لم تنقصهم الدنيا شيء؛ معناه أن منهم من مضى لم يأخذ من عرض الدنيا شيء، فكأن خباب رضي الله عنه يخاف مما جرى عليه من أمر الدنيا أو عطاء الدنيا أن يكون نقصًا في الآخرة، يخشى من أن يكون نقصًا في أمر الآخرة.

فهو يقول أنهم انقسموا إلى قمسين:

- قسم مات قبل أن تأتي الفتوحات فتوفر له أجره في الآخرة.
- وقسم أخر وصل إليه من مال الدنيا فابلتوا به، قال ابن حجر:

وَإِنَّمَا فِيهِ أَنَّ هِجْرَتَهُمْ لَمْ تَكُنْ لِدُنْيَا يُصِيبُونَهَا وَلَا نِعْمَةٍ يَتَعَجَّلُونَهَا وَإِنَّمَا كَانَتْ لِلَّهِ خَالِصَةً لِيُثِيبَهُمْ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ فَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ قَبْلَ فَتْحِ الْبِلَادِ تَوَفَّرَ لَهُ ثَوَابُهُ وَمَنْ بَقِيَ حَتَّى نَالَ مِنْ طَيِّبَاتِ الدُّنْيَا خَشِيَ أَنْ يَكُونَ عَجَّلَ لَهُمْ أَجْرَ طَاعَتِهِمْ وَكَانُوا – يعني الصحابة – عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ أَحْرَصَ.

المقصود الآن أن الإنسان يكون في قلبه حرص على الآخرة ويخشى من إنفتاح الدنيا أن يكون سببًا لفتنته، فالكمال أن يكون مقصده إلى الآخرة، هذا هو الكمال.

نأتي الآن إلى الحالة الثانية: وهي العبادة بجمع نيتان: نية للدنيا ونية للآخرة.

يعني هذه عبادة قام بها عبد وقد ذكر فيها الأجر الدنيوي، وهو يريد الدنيا والآخرة، اتفقنا أن هذا جائز لا بأس به لكن ينقص الأجر.

أما الدليل الذي اعتمدوا فيه على هذا القول فهو الحديث الصحيح: " مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُصِيبُون غَنِيمَةً إِلا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الآخِرَةِ ، وإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ " [٥٣٢].

مرة أخرى هذا حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُصِيبُون غَنِيمَةً إِلا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الآخِرَةِ ، وإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ " .

الحديث صريح ليس فيه نقاش، صريح في دلالة النقص وهم غزاة في سبيل الله، لا تتصور أن هؤلاء خرجوا ولم يجمعوا نيتين، لا الذي خرج فقط من أجل الدنيا يعني نيته فقط من أجل الدنيا أي نيته فقط من أجل الدنيا سيأتينا الأدلة عليه في خروجه أنه إن خرج لا ينوي إلا عقالا – وعقالا هذا الحبل الذي يربطوا به ساق الناقة – فليس له إلا هذا، عندنا قوم أخرين مختلفين هناك من لا يريدون إلا الدنيا.

هنا الدليل على من جمع نيتين، ما حاله من جمع نيتين؟ إذا تعجل أجره أي إذا أتى بالغنيمة نقص أجر الآخرة له.

والأمر طبعًا هنا فيه تفصيل أيضًا:

⇦ لأن بعض أهل العلم قالوا أن القيام بالعبادة التي ذكر فيها الأجر الدنيوي وهو يريد الدنيا والآخرة جائز ليس فيه إشكال.

⇦ وبعضهم قال لو جمع النيتين ينقص أجره.

⇦ بعضهم قال حصول المجاهد على الغنيمة ينقص أجره وإن لم يقصد النيتين، يعني حصول الدنيا لهذا المجاهد ينقص أجره وإن لم يجمع النيتين حتى لو خرج لله ثم عاد سالما ومعه الغنيمة ينقص أجره، والذي قال هذا الكلام ابن حجر والنووي.

يعني لما تقرأي في كلام النووي في شرح هذا الحديث في شرح صحيح مسلم يقول في جزء منه:

وَأَمَّا مَعْنَى الْحَدِيثِ : فَالصَّوَابُ الَّذِي لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ ، أَنَّ الْغُزَاةَ إِذَا سَلِمُوا أَوْ غَنِمُوا يَكُونُ أَجْرُهُمْ أَقَلَّ مِنْ أَجْرِ مَنْ لَمْ يَسْلَمْ ، أَوْ سَلِمَ وَلَمْ يَغْنَمْ، وَأَنَّ الْغَنِيمَةَ هِيَ فِي مُقَابَلَةِ جُزْءٍ مِنْ أَجْرِ غَزْوِهِمْ ، فَإِذَا حَصَلَتْ لَهُمْ فَقَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمُ الْمُتَرَتِّبَ عَلَى الْغَزْوِ ، وَتَكُونُ هَذِهِ الْغَنِيمَةُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَجْرِ.

وَهَذَا مُوَافِقٌ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُورَةِ عَنِ الصَّحَابَةِ كَقَوْلِهِ : "مِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا – هذا الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه قرأناه الآن– وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا" أَيْ : يَجْتَنِيهَا ، فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا هُوَ الصَّوَابُ ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ ، وَلَمْ يَأْتِ حَدِيثٌ صَرِيحٌ صَحِيحٌ يُخَالِفُ هَذَا ، فَتَعَيَّنَ حَمْلُهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا ،

وناقش بعد الأقوال التي ترد هذا القول، ناقشها وفندها ثم في أخرها قال:

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْحَدِيثَ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ خَرَجَ بِنِيَّةِ الْغَزْوِ وَالْغَنِيمَةِ مَعًا فَنَقَصَ ثَوَابُهُ ، وَهَذَا أَيْضًا ضَعِيفٌ . وَالصَّوَابُ مَا قَدَّمْنَاهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

يعني ابن حجر والنووي يرون أن من خرج للغزو وأخذ من أجر الدنيا نقص من أجر الآخرة سواء نوى الجمع بين الاثنين أو لم ينوي.

[٥٣٢] صحيح مسلم» كتاب الإمارة» بَاب بَيَانِ قَدْرِ ثَوَابِ مَنْ غَزَا فَغَنِمَ وَمَنْ لَمْ يَغْنَمْ (١٩٠٦)

قال ابن حجر رحمه الله:

قَوْلُهُ : ﴿ مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ﴾ أَيْ مَعَ أَجْرٍ خَالِصٍ إِنْ لَمْ يَغْنَمْ شَيْئًا أَوْ مَعَ غَنِيمَةٍ خَالِصَةٍ مَعَهَا أَجْرٌ ، وَكَأَنَّهُ سَكَتَ عَنِ الْأَجْرِ الثَّانِي الَّذِي مَعَ الْغَنِيمَةِ لِنَقْصِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَجْرِ الَّذِي بِلَا غَنِيمَةٍ ، وَالْحَامِلُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ أَنَّ ظَاهِرَ الْحَدِيثِ أَنَّهُ إِذَا غَنِمَ لَا يَحْصُلُ لَهُ أَجْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مُرَادًا بَلِ الْمُرَادُ أَوْ غَنِيمَةٍ مَعَهَا أَجْرٌ أَنْقَصُ مِنْ أَجْرِ مَنْ لَمْ يَغْنَمْ.

يعني الذي غنم أجره أقل من أجر من لم يغنم.

على كل حال من أراد زيادة البيان يذهب إلى فتح الباري أو يذهب إلى تفسير شرح مسلم للنووي، هناك بعض أهل العلم قالوا أنه ينقص أجره إذا قصد الجهاد والغنيمة ويأخذ الأجر كاملًا إذا لم يقصدها ومنهم ابن رجب، وهذا في جامع العلوم والحكم هذا الكلام.

قال ابن رجب: فَإِنْ خَالَطَ نِيَّةَ الْجِهَادِ مَثَلًا نِيَّةٌ غَيْرُ الرِّيَاءِ ، مِثْلُ أَخْذِهِ أُجْرَةً لِلْخِدْمَةِ ، أَوْ أَخْذِ شَيْءٍ مِنَ الْغَنِيمَةِ ، أَوِ التِّجَارَةَ ، نَقَصَ بِذَلِكَ أَجْرُ جِهَادِهِمْ ، وَلَمْ يُبْطَلْ بِالْكُلِّيَّةِ.

وهذا ما نعتقده أنه لا يبطل العمل لكن ينقص.

وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : إِنَّ الْغُزَاةَ إِذَا غَنِمُوا غَنِيمَةً ، تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ ، فَإِنْ لَمْ يَغْنَمُوا شَيْئًا ، تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ . وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا مَضَى أَحَادِيثَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ أَرَادَ بِجِهَادِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا أَنَّهُ لَا أَجْرَ لَهُ ،

وهذا ما سيأتينا في الحالة الثالثة أن من أراد بجهاده عرض من الدنيا أنه لا أجر له.

وَهِيَ مَحْمُولَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ غَرَضٌ فِي الْجِهَادِ إِلَّا الدُّنْيَا .

لكن من كان خروجه من أجل الدنيا والآخرة والجهاد من الاعمال التي ذكر فيها من الدنيا والآخرة يأخذ على قدر ما يخلص من نيته.

وينقل الآن كلام عن الإمام أحمد.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : التَّاجِرُ وَالْمُسْتَأْجِرُ وَالْمُكَارِيُّ أَجْرُهُمْ عَلَى قَدْرِ مَا يَخْلُصُ مِنْ نِيَّتِهِمْ فِي غُزَاتِهِمْ ، وَلَا يَكُونُ مِثْلَ مَنْ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ لَا يَخْلِطُ بِهِ غَيْرَهُ . وَقَالَ أَيْضًا فِيمَنْ يَأْخُذُ جُعْلًا عَلَى الْجِهَادِ :

قال الإمام أحمد في هذا الذي يأخذ أجر على الجهاد يعني الحكومة تعطيه.

إِذَا لَمْ يَخْرُجْ لِأَجْلِ الدَّرَاهِمِ ، فَلَا بَأْسَ أَنْ يَأْخُذَ ، كَأَنَّهُ خَرَجَ لِدِينِهِ ، فَإِنْ أُعْطِيَ شَيْئًا ، أَخَذَهُ . وَكَذَا رُوِيَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : إِذَا أَجْمَعَ أَحَدُكُمْ عَلَى الْغَزْوِ ، فَعَوَّضَهُ اللَّهُ رِزْقًا ، فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ ، وَأَمَّا إِنْ أَحَدُكُمْ إِنْ أُعْطِيَ دِرْهَمًا غَزَا ، وَإِنْ مُنِعَ دِرْهَمًا مَكَثَ ، فَلَا خَيْرَ فِي ذَلِكَ .

يعني متى يكون ممنوع أخذ الأجر على الجهاد؟ لما يكون هذا الإنسان إذا أعطي خرج للجهاد وإذا لم يعط لم يخرج، لكن أن يخرج ثم يأتيه الأجر بعد ذلك لا بأس، لكنه يفهم أنه مادام يريد الأجر الدنيوي إذن سينقص من أجره.

على كل حال المقصود من هذا كله أن تفهم أن العلماء استدلوا بهذا الحديث على أن الإنسان إذا قام بعمل واجتمع له نية الدنيا والآخرة أنقصت نية الدنيا من أجر الآخرة.

سأقرأ لكم كلام للشيخ صالح آل الشيخ في تعليقه على هذه المسألة.

قال الشيخ صالح: الأعمال التي يتعلق بها نية مع نيتها لله على قسمين:

أولًا أعمال لا يريد بها وإلا يعرض لقلبه فيها ثواب الدنيا أصلًا، وهذه أكثر العبادات وأكثر الشرعية، هذا القسم الأول ألا تعرض لك الدنيا أبدًا.

والقسم الثاني عبادات حض عليها الشارع بذكر ثوابها في الدنيا مثل صلة الرحم، حض عليها الشارع بذكر ثواب الدنيا فقال: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"، فحض على صلة الرحم بذكر ثواب الدنيا، أو كقوله في الجهاد: "مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ".

سلبه أي ما عليه من السلاح هذا من باب الحض على القتال بذكر الأجر الدنيوي.

قال فهذا حض على القتل بذكر الثواب الدنيوي، فمن أراد الثواب الدنيوي هنا في هذا القسم مستحضرا ما حض الشارع من العمل – أي من هذه العبادة – وذكر فيه الثواب الدنيوي فإنه جائز.

جائز أن تجمع بين ثواب الدنيا والآخرة.

لأن الشارع ما حضّ بذكر الأجر الدنيوي إلا إذن منه أن يكون ذلك مطلوبًا.

إلى هنا نحن متفقين يأتي الآن الكلام حول نقص الأجر، قال:

فإذا تقرر أنه ليس مشركًا بذلك فهل من نوى الدنيا بصلة الرحم مثلًا مع نيته لله مساوي لمن لم ينوي الدنيا وإنما جعلها خالصة لله؟ يعني من قام بهذه العبادة لله فقط مثل من قام لله وللدنيا؟!

رد الشيخ قال: لا، يختلف الأجر، لكن لا يكون مرائيًا ولا مشركًا بذلك، فمن كانت نيته خالصة لله جل وعلا فأجره أعظم، ولهذا لما سأل عدد من الأئمة من السلف والإمام أحمد وجماعة عن من جاهد للمغنم ونيته خالصة لله قال أجره على قدر نيته.

يعني جمع بين الاثنين: يريد وجه الله ويريد المغنم؛ قال أجره على قدر نيته، يعني لم يبطل عمله أصلًا.

قال الشيخ: لم يبطل عمله أصلًا، لم يبطل السلف العمل أصلًا، وإنما جعل التفاوت بقدر النيات؛ فكلما عظمت النية لله في الأعمال التي فيها ذكر الدنيا وذكر الشارع عليها ثواب الدنيا فإنه كلما عظمت النية الخالصة كلما عظم أجره وكلما نوى الدنيا مع صحة أصل نيته قل أجره، يعني عن غيره.

مثله الشيخ عبد المحسن العباد في هذا الباب لما شرح سنن أبي داوود، باب فيمن غزى يلتمس الدنيا في كلامه قال:

فمن قصد الآخرة وحصل له شيء من الدنيا فهو ثواب عاجل ينقص من أجره في الدار الآخرة.

هذا كله كلام معتمد طبعًا على النص الذي ذكرناه سابقًا أنهم تعجلوا ثلثي أجرهم.

لازال هناك نقولات كثيرة ربما من المستحسن أن أرسل لكم الملزمة التي كتبت توضيحًا وبيان في شرك النية والإرادة والقصد، أحسن تقرءونها ويتبين لكم النقولات، نقلنا فيها كلام لأهل العلم قرأت جزء منه ولازال هناك كلام أخر عنهم.

لأن هذه المسألة مشكلة، وكثير من طلاب العلم لم يكونوا يدرسونها دراسة متبينة ويتسارعون في الكلام عنها، على كل حال لا بأس انت الآن اتقنها وافهمها جيدًا وأسسها، يعني أحيانًا يكون الخطأ مني وأنا اطرح المسألة، لا يكون في الخطأ في المستقبل، فأأتي في وقت ضيق مثلًا أو في حالة الناس لم أحضرهم جيدًا للكلام عن إرادة الآخرة، فابادرهم بالكلام عن أنه لا يصلح أنك تريد الدنيا بأعمالك أو أأتي أقول لهم سينقص أجرك، فيجد من أمامك في قلبه حرج ولم يفهم الأمر جيدًا.

وأنا أقول لكم هذا الكلام لأن هذه الاخطاء وقعت، أتكلم عن نفسي، وقع مني في مثل هذا الخطأ أن أأتي في وقت ضيق واشرح شرك النية والإرادة والقصد، فما يكون من السامع إلا أن يستنكر كلام عاش طوال حياته يتعامل به ثم يطلب منه فجأة مطلوب منه أن يغير تفكيره فيشكل عليه، لكن النصوص واضحة، يعني من أراد الحق النصوص واضحة، بقي عليك انت يا طالب العلم حقيقة في بيانها، ويكون الأمر واضح تمامًا عندك، وتكون قرأت وفهمت كلام أهل العلم، لأنهم أحيانًا يأتون إلى بعض فتاوى أهل العلم ويرونها منفردة لا يروا كل فتاوى الشيخ، فيقول انظر قال كذا وكذا.

المهم انت لا تستعجل في طرحها إلا بعد بيانها جيدًا في عقلك، ولا تستعجل أيضًا على السامعين، تصبر، والحقيقة إرادة الإنسان بعمله الدنيا كانت من الفتن التي ابتلينا بها لكنها فتنة نفعتنا جمعنا وكتبنا فيها، عسى الله أن ينفعكم بما جمعنا وكتبنا.

بقي الحالة الثالثة، ما نقلت لكم في الحالة الثانية هناك كلام كثير للسلف عنه، كلهم مجمعين على نقص الأجر، لا خلاف عندهم في نقص الأجر، وطبعًا معتمدهم الحديث الذي ورد في مسلم، ومن ثم كلام الإمام أحمد ومن ثم كلام النووي إلى أخره، ونحن لا نعظم الرجال على النصوص إنما هذا فهمهم للنصوص، والنص غاية في الصراحة أنهم تعجلوا ثلثي أجرهم.

حتى هناك كلام لطيف لابن حجر لماذا تعجل ثلثي الأجر؟ قال لأن السلامة والغنيمة والأجر الأخروي هذه ثلاثة، أمرين في الدنيا وأمر في الآخرة، فإذا لم يسلم حفظ له عدم سلامته وعدم غنيمته مع الأجر الأخروي، كلها يأخذها في الآخرة، فكأنه يقال يسلى الشخص الذي لم يسلم ولم يغنم، يقال له في الآخرة ستجد ما فقدته في الدنيا، بهذه الصورة.

فقال ثلاثة أجور: [السلامة، الغنيمة، الأجر الأخروي]

- فمن بقي له السلامة أخذ السلامة في الدنيا انتهى الأمر.
- أخذ السلامة ولم يأخذ الغنيمة سنقول الغنيمة ستجدها في الآخرة التي لم تجدها في الدنيا.
- أخذ السلامة والغنيمة لم يبقى له إلا الأجر الأخروي، بهذه الصورة.

وفي ثنايا كلامه نضع رابط ممكن منه تحميل هذا المكتوب، وعلى كل حال هذا المكتوب ليس فيه إلا نقولات أهل العلم فقط متتابعة.

أتتنا الحالة الثالثة وهي لو كان مقصده الدنيا فقط، يعني لا يريد إلا الدنيا، لا يريد بالعبادة وجه الله ولا وجه الله والدنيا، لأ، لكن فقط يريد الدنيا، ماذا سيكون حاله؟ هذا النصوص واضحة في أن حكمه أنه وقع في الشرك " مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ

عَزَّ وَجَلَّ لا يَتَعَلَّمُهُ إِلا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَرَ عَرْفَ الْجَنَّةِ "، فهذا واضح في أن العلم الذي هو للآخرة إذا أراد الإنسان به الدنيا فقط كان الناتج أنه وقع في الشرك.

ولذلك تأتي ترى لو تأخذ مسألة الجهاد؛ عندك فيها ثلاثة نصوص:

- النص الأول: "مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ" ، هذا دل على أن الشريعة تجعل لك في الجهاد باب للأجر الدنيوي.
- النص الثاني: "مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يَنْوِ إِلَّا عِقَالًا فَلَهُ مَا نَوَى"، هذا يدلك على أن من خرج فقط من أجل الدنيا فقط من أجل سلبه ليس له إلا هذا السلب، ليس له في الآخرة شيء.
- النص الثالث: : " مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُصِيبُون غَنِيمَةً إِلا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الآخِرَةِ ، وإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ " . هذا حديث في مسلم.

أمامك ثلاثة نصوص:

- النص الأول يبين لك أن الشريعة حضت على الجهاد بذكر الأجر الدنيوي.
- النص الثاني: بيّن لك أنه لو أراد الأجر الدنيوي فقط وقع في الشرك.
- النص الثالث:بين لك أنه لو أراد على خلاف طبعًا لأن بعض أهل العلم يقول:
  - حتى لو لم يريد الدنيا ووقعت له سينقص من أجر الآخرة مثل النووي وابن حجر.
  - وابن رجب يقول لا، إذا قصد الأجر الدنيوي نقص من أجر أخرته وإلا فلا.

المهم أن النص الثالث يبيّن لك أن أخذ الأجر الدنيوي منقص لأجر الآخرة وهذا على خلاف منهم من قال إذا قصدت ومنهم من قال إذا أخذت.

وفي نفس النص يدل على أن من لم يأخذ شيء من الدنيا تم له أجره، فأصبحت مسألة الجهاد جمعت بين كل المفهوم الذي نريده.

أمر حضت عليه الشريعة بذكر الدنيا : "مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ".

إذا نوى الدنيا فقط ما حالته؟ ليس له من أمر الآخرة شيء، وقع في الشرك، ما دليلك على ذلك؟ "مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يَنْوِ إِلَّا عِقَالًا فَلَهُ مَا نَوَى"

يأتي المسألة الثالثة لو قصد الدنيا ينقص أجره، "تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ" من أراد الآخرة فقط ولم يريد شيء من الدنيا كمل له أجره، في نفس الحديث: "تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ".

إذن مسألة الجهاد بينت لك كيف الناس يتفاوتون في نياتهم ثم يتفاوتون في أجورهم.

تفضلوا لو كان هناك سؤال.

سؤال يقول: كيف نربط بين حديث أتته الدنيا راغمة وبين الحالة الثانية وهو أنه ينقص أجره في الآخرة.

اتفقنا أن هذا رأي النووي وابن حجر، وهذا رأي ابن رجب، أغلب العلماء على رأي ابن رجب، لأن الإنسان إذا نوى الدنيا مع الآخرة ينقص أجره، فكأنه يقال لك أنوّ الآخرة وستأتيك الدنيا راغمة.

نحن ذكرنا فقط شدة الخلاف الحاصل، ابن رجب والنووي يرون أنه نقص حتى لو لم يقصد، وابن رجب يرى أن النقص لا يكون إلا مع القصد، مع ابن رجب دليل يجعله يحمل هذا على القصد، لأن هناك دليل: " مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ " .

فابن رجب رأى هذا الحديث أن هذا لا يقصد إلا الآخرة فوعده الله أحد وعدين:

يتوفاه فيدخل الجنة.

أو يرجعه سالم مع أجر وغنيمة.

فالحديث الثاني " مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُصِيبُون غَنِيمَةً إِلا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الآخِرَةِ ، وإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ " قال هذا لمن قصد الدنيا والآخرة والأول لمن أراد الآخرة فقط بشاهد "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ"

من أجل ذلك كان أغلب العلماء على قول ابن رجب الذي يقول بنقص الأجر إذا قصد الدنيا، لكننا ذكرنا كلام النووي وابن حجر لأن الناس لا يتصورون أصلًا أنه ينقص أجورهم، وحجتهم أنه مادام الشريعة أمرت به أو حضت عليه إذن لا يمكن أن يكون نقصًا للأجر، نقول الأحاديث كما ترون تجتمع بهذه الصورة.

هذا السؤال مناسب ربما نضيف هذا الحديث الرابع.

انتم مر معكم ثلاثة أحاديث بها تضبط هذه المسألة أول حديث: "مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ". هذا إشارة إلى أن الجهاد في سبيل الله حض عليها بذكر الأجر الدنيوي.

الحديث الثاني: "مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يَنْوِ إِلَّا عِقَالًا فَلَهُ مَا نَوَى"، ماذا تفهمين منه؟ أن من نوى الدنيا فليس له إلا الدنيا، ليس له الآخرة، وهذا مثله " مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى مَالٍ يَأْخُذُهُ أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " هذا مثله.

الحديث الثالث: " مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ "هذا يدل أنه إذا قصد الآخرة فقط فله الأجر كاملًا بشاهد من الحديث "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ " أنه صادق لا يريد إلا وجه الله.

الحديث الرابع: " مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُصِيبُون غَنِيمَةً إِلا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الآخِرَةِ ، وإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ " وهذا واضح في الدلالة أنه إذا قصد الآخرة والدنيا نقص أجره.

ولا تنسوا الخلاف الذي حصل بين قول ابن رجب والنووي وابن حجر.

يعني لن يشكل عليكم كيف أن الله عز وجل ورسوله حضنا على بعض الأعمال بذكر الأجر الدنيوي ومع ذلك سينقص الأجر، كل القضية في ماذا تقصد بما قام في قلبك.

❖ الدليل الأول.

وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

نجيب على باقي الاسئلة؛ كل الأسئلة تتكلم عن قضية قراءة سورة البقرة بنية الزواج، هذه منصوص عليها في كلام أهل العلم، هذا كلام لابن عباس في شرح الآية الأولى في هذا الباب وهي قوله تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾

قال ابن عباس: وهو ما يعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم وذلك أنهم لا يظلمون نقيرا، قال: من عمل صالحًا لألتماس الدنيا صومًا أو صلاة، أو تهجدًا بالليل لا يعمله إلا لألتماس الدنيا يقول الله أوفيه الذي ألتمسه في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعمل ألتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين.

هذا كلام ابن عباس نقله الطبري في جامعه، وهو واضح، لأن الإنسان إذا لم يكن له إرادة إلا الدنيا لم يكتب له إلا في الدنيا.

أيضًا ذكر الشيخ عبد الوهاب رحمه الله فيما يدخل في هذه الآية قال:

العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلاة وصلة وإحسانٍ إلى الناس وترك ظلم ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصًا لله

يعني هو في الأصل أوامر شرعية.

لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله أو إدامة النعمة عليهم، ولا همّة له في طلب الجنة والهرب من النار فهذا يعطي ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب، وهذا النوع ذكره ابن عباس.

قال الشوكاني في معنى الآية؛ أنا انتقلت الآن إلى شرح الآية وسيكون منها إجابة اسئلتكم لزيادة البيان.

قال الشوكاني في شرح نفس الآية: من كان يريد بعمله حظ الدنيا يكافأ بذلك، والمراد بزينتها ما يزينها ويحسنها من الصحة والأمن والسعة في الرزق وارتفاع الحظ ونفاذ القول ونحو ذلك، وإدخال كان – ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ – في الآية يفيد أنهم مستمرون على إرادة الدنيا.

نحن ذكرنا سابقًا لماذا يأبد أهل النار في النار ويأبد أهل الجنة في الجنة؟ لأن نياتهم أن يستمروا على هذه الحال.

وإدخال كان في الآية يفيد أنهم مستمرون على إرادة الدنيا بأعمالهم لا يكادون يريدون الآخرة، ولهذا قيل أنهم مع اعطائهم حظوظ الدنيا يعاقبوا في الآخرة لأنهم جردوا قصدهم إلى الدنيا ولم يعملوا للآخرة، وظاهر قوله ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ أن من أراد بعمله الدنيا حصل له الجزاء الدنيوي.

هذا الظاهر لكن تأتي الآية الثانية تبين أن هذا الجزاء الدنيوي لا يكون .. ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾

على كل حال؛ لما يسأل أحد يقول هذه الآية نزلت في الكفار، نقول هذه الآية اختلف أهل العلم فيمن نزلت ورجح القرطبي أنها عامة؛ فقال: – سأنقل لكم كلام القرطبي –

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ ؛ فَقِيلَ : نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ ؛ قَالَهُ الضَّحَّاكُ ، وَاخْتَارَهُ النَّحَّاسُ ؛ بِدَلِيلِ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ أَيْ مَنْ أَتَى مِنْهُمْ بِصِلَةِ رَحِمٍ أَوْ صَدَقَةٍ نُكَافِئُهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، بِصِحَّةِ الْجِسْمِ ، وَكَثْرَةِ الرِّزْقِ ، لَكِنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ .

وقيل أنه لأهل الرياء وفي الخبر أنه يقال لأهل الرياء صمتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم ليقال ذلك فقد قيل ذلك.

وَقِيلَ : هُوَ لِأَهْلِ الرِّيَاءِ ؛ وَفِي الْخَبَرِ أَنَّهُ يُقَالُ لِأَهْلِ الرِّيَاءِ : صُمْتُمْ وَصَلَّيْتُمْ وَتَصَدَّقْتُمْ وَجَاهَدْتُمْ وَقَرَأْتُمْ لِيُقَالَ ذَلِكَ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ . رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ، ثُمَّ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا وَقَالَ : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ وَقَرَأَ الْآيَتَيْنِ ، . خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ [فِي صَحِيحِهِ] بِمَعْنَاهُ وَالتِّرْمِذِيُّ أَيْضًا .

إذن القول الأول في الكفار.

الثاني في المؤمنين.

الثالث في أهل الرياء.

الرابع:

وَقِيلَ : الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ يَنْوِي بِعَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى ، كَانَ مَعَهُ أَصْلُ إِيمَانٍ أَوْ لَمْ يَكُنْ ؛

يعني مؤمن أو كافر لكن عمل عملًا مما يتقرب به إلى الله ينوي به غير الله، كان معه أصل الإيمان أو لم يكن.

قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَمَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مُعَاوِيَةُ – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى – . وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : لَيْسَ أَحَدٌ يَعْمَلُ حَسَنَةً إِلَّا وُفِّيَ ثَوَابَهَا ؛ فَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا مُخْلِصًا وُفِّيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا وُفِّيَ فِي الدُّنْيَا .

وَقِيلَ : مَنْ كَانَ يُرِيدُ الدُّنْيَا بِغَزْوِهِ مَعَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وُفِّيَهَا ، أَيْ وُفِّيَ أَجْرَ الْغُزَاةِ وَلَمْ يُنْقَصْ مِنْهَا ؛ وَهَذَا خُصُوصٌ وَالصَّحِيحُ الْعُمُومُ .

معناها أنها عامة في كل شخص ينوي في عمله الدنيا وهذا العمل مما يتقرب به إلى الله.

فهمنا بهذا معنى الآية وعلى هذا أجيب انت على كل الاسئلة التي مرت معك.

يعني إذا هذا عمل يراد به في الأصل وجه الله وهذا الشخص ما أراد إلا الدنيا فماذا يكون حاله؟

مثل الحديث:" مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، – والعكس بالعكس – وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى مَالٍ يَأْخُذُهُ أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ "

وفي الحديث: أَنَّ رَجُلا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا أَجْرَ لَهُ " ، فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسُ ، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ : عُدْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفْهِمْهُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ يَبْتَغِي مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : " لا أَجْرَ لَهُ " ، فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسُ ، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ : عُدْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ الثَّالِثَةَ : رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضَ الدُّنْيَا ، قَالَ : " لا أَجْرَ لَهُ " .

وهذا في الترهيب والترغيب ومعناه والله أعلم لما الإنسان يكون همه الدنيا وأن الذي يدفعه للجهاد هو أن يحصل عرضًا دنيوية من غنيمة أو أجره والمقصود – كما ذكر صاحب مرقاة المفاتيح – لهذا الحديث المقصود من ذلك أنه قصده الدنيا وحدها، ولا يريد

إعلاء كلمة الله إنما خرج في هذا النوع من الجهاد يعني الجهاد في سبيل الله، خرج للجهاد في سبيل الله ليس مقصوده أنه خرج في سبيل الله إنما خرج في جيش خارج للجهاد في سبيل الله وهو ماذا يبتغ؟ ماذا يريد؟ عرض الدنيا، لا يريد إلا عرض الدنيا، لا يريد إعلاء كلمة الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم لا أجر له.

فلا أجر له معناه أنه عند الله لا أجر له إذا لم يغزو لله، أما إذا غزى لله وقصد حصول الغنيمة فلا شك أن له الأجر، ونعم أجره أنقص من أجر من غزى لله ولم يقصد الغنيمة.

إذن هذا كله يبيِّن لك أن هناك نوع من المقاصد تحرفك عن سبيل الله، ما هو هذا النوع؟ أن تكون مريدًا للدنيا بالأعمال التي تقوم بها، يعني لا تريد من الله إلا الدنيا، فهذا أما أن يأتي من وراءه الدنيا وتخسر الآخرة، أو حتى الدنيا لا تأتيك.

على كل حال؛ المقصود الآن أن تكون حريصًا على تحرير نيتك وعلى أن يكون همّك الآخرة، واعلم أن قومٌ عجل لهم طيباتهم ما مصيرهم إلا النار، ولهذا لما بكى عمر لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أثر في جنبه الفراش، فقال عمر ما يبكيك؟ قال يارسول الله كسرى وقيصر من النعيم وانت على هذه الحال فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: " أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا"[٥٣٣]، فهذا في حقيقته ضرر على الإنسان أن يعجل له من الدنيا لأنه سيغتر بها وسيتقوى بها على معصية الله.

كيف نشرح الآية؟ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي من كان يقصد بعمل الآخرة عرض الدنيا، إذن يخرج من هذا أن تريد الدنيا بأعمال الدنيا.

تعال إلى العلم؛ دخلت أي كلية علمية أو حتى أدبية هل يقال لك لابد أن تنوي الآخرة؟ لا هذا عمل دنيوي، نعم لو نويت الآخرة أحسنت عملًا في حياتك، زاد الحسن حسن، لكن لو كنت دخلت كليتك تريد الدنيا لا تلام.

ولو كنت دخلت كلية الشريعة تريد الدنيا نقول لا هذا علم مما يبتغى به وجه الله ولابد أن يبقى لله، إذن من كان يريد الحياة الدنيا ماذا تريد؟ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يعني كان يقصد بعمل الآخرة عرض الدنيا، أما أن تطلب الدنيا بالدنيا لا بأس، إنما جعل الله عز وجل لكل سببًا وجعل لهذه الدنيا أسبابًا، فمن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها والزينة المقصود بها زينة الدنيا المال والولد والصحة، فهذا يريد الدنيا فقط لا يريد الآخرة.

كيف يعامله الله؟ ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ يعني نعطه من الدنيا ما أراد إذا شئنا عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد، وهذه المعاملة استدراج.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾يعني لا ينقصون.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ هذا بيان لعاقبتهم بعدما أعطوا الدنيا.

وانظر لمن أراد الآخرة؛ يقول الله عز وجل ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ وهذا الفرق، هؤلاء لا يريدون إلا الدنيا وأولئك يريدون الآخرة، وهاتان حالتان متقابلتان تمامًا وانت أختار لنفسك تكون من أيهما.

---

[٥٣٣] وَفِي الصَّحِيحِ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمَّا دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِلْكَ الْمَشْرُبَةِ الَّتِي كَانَ قَدِ اعْتَزَلَ فِيهَا نِسَاءَهُ ، حِينَ آلَى مِنْهُمْ فَرَآهُ مُتَوَسِّدًا مُضْطَجِعًا عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ وَلَيْسَ فِي الْبَيْتِ إِلَّا صُبْرَةٌ مِنْ قَرَظٍ ، وَأُهُبٌ مُعَلَّقَةٌ ، فَابْتَدَرَتْ عَيْنَا عُمَرَ بِالْبُكَاءِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " مَا يُبْكِيكَ ؟ " .فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ ، وَأَنْتَ صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ؟ فَقَالَ : " أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا " .

نحن فصلنا في المسألة، إن شاء الله لما تصلكم أيضًا الأوراق المسألة تتصورون أكثر، لكن فقط نقول مسألة مثل مسألة الدعاء هل يمكن أن نقول لك لا تدعو للدنيا؟!، ولو دعيت للدنيا نقص أجرك؟ نقول لا، من قال لك هذا الأمر، إنما الدعاء بنفسه عبادة، واللجوء إلى الله والانكسار بين يديه بنفسه عبادة سواء أخذت الدنيا أم لم تأخذها، لكن يقال لك لابد أن تبقى الآخرة على بالك وتكون هي أكبر همك.

ولذلك قال الله عز وجل ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ الحالة الثانية ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ فهذا معناه أنك يا عبد لابد أن تتعبد الله بسؤاله والانكسار بين يديه، والله عز وجل يضيق عليك أحوال الدنيا من أجل أن تعبده بالدعاء، يعني الدعاء بنفسه عبادة لكن يقال لك وانت تطلب من الله لا يكون همك فقط الدنيا إنما اطلب الدنيا واطلب الآخرة.

وهذا واضح في آية سورة البقرة، وهذا الوصف أتى في سياق الكلام عن الحج، وهذا يجعلك تتنبه أن ذكرك لله ودعائك له وصلاتك لا تكن فيه مثل القوم الذين لا يؤمنون بالآخرة وإنما همهم فقط الدنيا، واجمع في دعائك وهمك ومقاصدك أن يكون همك الآخرة ومن أجل أن تصلح الآخرة ترجو من الله أن تصلح لك الدنيا فيرزقك صحة ونشاطًا وفراغًا كل هذا من أجل أن تنتفع به في الآخرة.

❖ الدليل الثاني.

نأتي الآن إلى الحديث.

وفي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلة، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ"

هذا الحديث أولًا ما مقصوده من جهة الدلالة على إرادة الإنسان لعمله الدنيا:

في الحديث أنقسم الناس قسمان:

- شخص ليس له همّ إلا الدنيا.
- والثاني كرمه الله ورفعه بإرادة الآخرة.

وذكر علامة الأول وذكر علامة الثاني.

ما علامة الأول؟ أنه عبد للدينار، الدينار النقد من الذهب، والدرهم مثله أي المال.

"تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلة" هذا مقصود به من عظم في قلبه المظهر والأثاث والملبس.

الخميصة: كساء جميل.

والخميلة: فراش وثير.

وهذا انت تراه في عموم الناس، الدينار همّ الرجل والملبس والتأثيث همّ المرأة، وقد يتبادلان أو يجتمعوا في قلب عبد فيكون ليس له همّ إلا هذا فوصف أنه عبد لهم، إما لكثرة إنشغاله بهم أو لأنه لا يفعل إلا لأجلهم، فجعل الدين وسيلة للدنيا وهذا أكبر، هذا أعظم مصيبة، يعني واحد لا يكون همة إلا الدينار والدرهم والخميلة والخميصة هذا مصيبة، وانت تراه في ناس كثيرين الآن ليس لهم هم إلا هذا.

لكن أعظم منه مصيبة أن يأتي واحد فيكون عبدًا للدينار والدرهم والخميلة والخميصة بالقيام بالعمل الصالح من أجل أن يتحصل على هذا، وانظر إلى علامته "إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ" سواء هذا العطاء من الله أو من الناس، فإذا اعط من الله رضي كان من الله أو من الناس رضي عن الله وانشرح صدره، وإن حرم ومنع تراه ساخطًا على قضاء الله وقدره، وتراه حاسدًا، وتراه ينابذ الأغنياء بالكلام، وانت تعلم أن الله يعطي ويمنع لحكمة **ويعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، لكن لا يعطي الدين إلا لمن يحب سبحانه وتعالى.**

المهم هذا الرجل لا يرضى إلا للمال ولا يسخط إلا له، فتصور أن النبي صلى الله عليه وسلم دعى عليه" تَعِسَ وَانْتَكَسَ" أي انتكست عليه الأمور، دعى عليه ألا يتيسر له أمره، وأنه كلما أراد شيء وأراد تحقيقه انقلب عليه.

ودعى عليه أنه "وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ" أي إذا أصابته شوكة لا يستطيع أن يزيل ما يؤذيه عن نفسه، وهذا أما خبر عن ما سيكون عليه أو دعاء من النبي صلى الله عليه وسلم عليه، هذا مريد الدنيا.

انظر إلى علامات مريد الآخرة تراه إن أعط شكر وإن لم يعط يصبر ولا يسخط، لأنه يعمل لله لا يعمل من أجل الدنيا، فهو لا يهتم للدنيا إنما يهتم للآخرة.

ومُثّل بعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله فهو في استعداد دائم للجهاد، وجهاد كلٍ بحسبه، جهاد كل شخص بحسبه، فانت كن مستعدًا للجهاد للبلاءات التي تقع عليك كل وقت، جاهد نفسك ثم وصف هذا بأنه لا يتفرغ لإصلاح هيئته لإصلاح شعره وذقنه وتجميل هيئته لأنه مشغول بالجهاد.

وهذا يصور لك عدم التعلق بالدنيا وهذا كلٌ بحسبه، أحيانًا يكون التجمل يحتاج إلى جهاد، من كثرة أن هذا الأمر لا ترغب فيه تتجمل محتاج إلى جهاد، ونحن ذكرنا أن التطيب مثلًا يحمل نيات عديدة [أنك تتقرب إلى الله بذلك، متابعة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، أن الملائكة تتأذى مما يتأذى به ابن آدم] فالسنة في الحديث معناه أنه ليس متعلقًا بالدين، فانت افعل هذه الأفعال مثل التزين وهذا الكلام يقال للمرأة بالذات، تزيني تزين لا يخرجك إلى حد التعلق بالدنيا.

وخصوصًا ذاك الزوج، تكون متزينة تعبدًا، أما غير ذات الزوج فهي تقتصد في زينتها متقربة إلى الله بحسن مظهرها الخال من المبالغة، لأنه يكذب على نفسه الذي يقول على أن المبالغة لا تأخذ زمنًا، لابد أن تأخذ من وقتك ومن جهدك ومن عنايتك، فتفرغ لأمر الآخرة، واسأل الله أن يصلح هيئاتنا وأن يشرح الصدور في معاملاتنا مع الناس.

لكن لا تفهم هذا الأمر خطأ، وخصوصًا النساء وخصوصًا ذوات الأزواج، فانت متقربة إلى الله بحسن التبعل وهذا دورك.

نأتي إلى الوصف الثالث وهو من أصعبها الحقيقة، خصوصًا الناس الذين يمارسون الدعوة، إنه لا يبال بالعمل الذي يتولاه، "إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ" يطيع ولي أمره سواء كان بارزًا أو غير بارز، لماذا؟ لأنه يعمل لله، ولا يعمل من أجل الظهور ومن أجر مراءاة الناس.

وهذا والله أعظم أسباب نزع البركة من الأعمال الدعوية، الحقيقة الوقت ضيق لكن هذا جرح عظيم نجده اليوم وكل يوم يتكرر علينا ونرى أهل الدنيا يتلبسون بزي أهل الآخرة، أو بالعكس، أهل الآخرة يظهر حقيقتهم لما يأتون إلى الأعمال.

وانت اليوم ترى مثلًا في هذا الذي أصابنا البلاء العظيم الذي ذهب بالأرواح والبيوت، ما ظهر بعده يبين ما في قلوب الناس، ناس في عز هذه الأزمة صادقين مخلصين ينقذون ويدفعون ويحسنون وناس أتوا على ركامها ليصورون نفسهم أنهم يفعلون فيأتي هذا ويأتي هذا على أنه يقدم المساعدات وتلتقط له الصور ثم تنزل في الجرائد على أنه فعل وفعل، وانت ترى أن البلايا والمحن تأتي بكواشف لما في القلوب من حب الدنيا وإرادة للظهور وتأتي تجد الناس يتنافسون ويريدون أن يظهرون والله المستعان.

نترك هذا وننتقل إلى واقعنا في العمل الدعوي، ونرى كيف أن الاجتماع من أجل نصرة الدين وهو الأصل الثاني من الأصول الشرعية، **يعني بعدما أمرك الله بالتوحيد أمرك بالاجتماع على الدين، وأهم عوامل الاجتماع صحة التوحيد.**

فلابد لأهل التوحيد من أن يجتمعوا من أجل محاربة الشرك، ألا ترى الروافض حاربهم الله وهم أهل الرذيلة شر من سكن الأرض من إنسٍ وجن، يفوقون بلاء بني إسرائيل بفرعون، من شدة خطرهم وبغضهم وكراهيتهم ابتلانا الله بهم في أرض المسلمين، ولما تقرأ في التاريخ ليس هناك بلاء حل على أمة الإسلام إلا وهم جنده وخيله ورجله، فأين انتم يا أهل السنة ويا أهل التوحيد؟!، أين انتم للاجتماع من أجل الدين.

أصبحنا نعقد ألوية الولاء والبراء على اسماء الأماكن وعلى الأشخاص وعلى الدول، وعلى الأهواء، ويمتحن كل واحد الثاني انت توالي مَن، تقبل مَن، ترفض من، وأصبحت الأسماء عليها يعقد الولاء والبراء وترك التوحيد، ثم أنك تجد أن هؤلاء الجماعة كلهم من أهل التوحيد، كلهم ممن يعتني به، لكن كل واحد يريد أن ينفرد باسمه، وهذا يريد أن يقدم برنامج لم يسبقه أحد، وهذا يريد أن يقدم برنامج لم يسبقه أحد، واسمنا لابد أن يكتب كبير في المقامات والمواقف، ويبرزوه، لابد من إبرازاه، ويطبعوه على كل كذا!.

وطبعًا انتم تفهمون جيدًا ماذا تريدون أن أقول، منافسة منافسة ترى في حقيقتها أن القوم لا يريدون وجه الله إنما يريدون الدنيا، ويأتون يقولون أنا لا أكتب اسمي، أنا اكتب اسم داري، اسم معهدي، بهذه الصورة، بهذا الأمر يرون أنهم يغطون ما في قلوبهم من إرادة الدنيا!.

وهذا كذب صريح لأن الحقيقة أن تضع يدك في يد أي واحد من أهل التوحيد يريد نشر الدين، أيان كان، ثم قل له تصبر، مادام انت مثلًا عندك تصريح افترضوا يا بناتي في المعهد أننا نريد دعوة الجاليات ونقدم برنامج ونكتب ونبحث في تعليم الجاليات اللغة العربية، ونريد أن ندعوهم، ونكون لنا كادر عنده لغة أجنبية يتعلم التوحيد، افترضي أني ليس عندي تصريح لدعوة الجاليات افترضي ذلك، أذهب إلى مكتب من مكاتب دعوة الجاليات وأقول له هذه بنتي جاهزة تدرس التوحيد اختبروها إن ناسبتكم أدخلوها، ونحن مستعدين أن نعطيكم قاعات وضعوه باسمكم.

المهم أننا جهزنا تجهيزًا جيشا نريد به دعوة غير المسلمين مثلًا أو بدعوة كذا، واكتبوا اسمكم لأنكم تعتبروا رسميًا أهل هذه الدعوة.

هذا هو التعاون، أن أمد يدي لكل من يريد نشر التوحيد أتعاون معه، ماذا تريدون؟!، تريدون أن يبرز أسمائكم، أن تبرز أماكنكم؟!، أن تطبع اسمائكم على الأوراق وعلى الأقلام وعلى الأكواب، هذه نهاية من دخل سلك الدعوة؟!، إنما هذه إرادة الدنيا بعينها!، وكل واحد يريد أن يبرز على إخوانه وعلى زملائه، والآن انتم في المعهد مثلًا يريد كل واحد أن يبرز على أخوانه –

اسأل الله أن يسلمكم أنا أذكر فقط صورة – تريدوا كل واحد فيكم يبرز على زملائة، ثم انتم كمعهد كامل يريد أن يبرز على بقية المعاهد أو على بقية اللجان، ثم أهل بلد يريدون أن يبرزوا على البلدان الأخرى، ثم أهل المملكة يريدون أن يبرزوا على غيرهم، وفي نهاية الأمر ذهبت الدعوة!!، وإلا نحن نشهد وعلى الأقل نتكلم على مدينة جدة نشهد أن حيًا لا يخلو من مدرستين تحفيظ، ومكتب للأعمال الخيرية، وإلى أخر ما تعدون وتعرفون أين آثارها؟!.

نحن لا ننكر أن هناك آثار كثيرة إيجابية، لكن لا تجدها بمقدار ما أنفق، وبمقدار ما بذل، وبمقدار ما خرج، النساء يخرجن من بيوتهن في أوقات متكررة، والرجال يوصلوا هؤلاء النساء، ومع ذلك انت تجد التعلق بالدنيا كما هو، حبها كما هو، تجد الأفراح كما هي بل كل مدى إلى الأسوء، أين ذهبت آثر الواعظين، أين آثارها؟!، لا يمكن أن يخذلك الله وانت صادق،فحرر نيتك وانظر ماذا تفعل، وكن سندًا خلفيًا، أنا أنصحكم هذه النصيحة اسأل الله عز وجل أن تصل إلى قلوبكم قبل أن تصل إلى آذانكم، واسأله سبحانه وتعالى أن يرزقني الصدق والإخلاص وأن يرزقكم إياه، كونوا دائمًا سندًا خلفيًا للمشاريع والبرامج، قدموا كل ما تستطيعون ثم قولوا لهم انسبوه لكم نحن لا نريد اسمًا، نريد أن نخدم الدعوة وبأسمكم، ثم إذا كنتم صادقين نفع الله بكم في كل مكان.

تجمعوا اجتمعوا، مادام انتم من أهل التوحيد، لا تفرقكم الدنيا والبروز وإرادة الدنيا، اجتمعوا مادام انتم من أهل التوحيد، اقبلوا بعضكم كما انتم، ثم ليهذب بعضكم بعضا، وكلما كنت صادقًا مريدًا وجه الله لا يمكن أن يخذلك الله.

على كل حال في القلب حرقة عظيمة من هذا، نسأل الله عز وجل أن ييسر لي لقاء اشرح فيه هذا الحديث منفردًا لكن أذكر لكم فقط الصفة الرابعة أن هذا غير معروف عند الناس وعند أصحاب الجاه، "إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ" في الدخول، "وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ" أي إن توسط لا تقبل وساطته في الدخول لأنه غير معروف، فلا تفرح بالشهرة، فهذه أحد البلايا، أحد البلايا العظيمة، أهم شيء أن يعرفك رب السماوات والأرض فما يضرك لو جهلك كل الناس.

اسأل الله أن يسددكم ويبارك فيكم وأن يصلح قلوبكم وقلوبنا، ويشرح الصدور، وينفعنا بهذا الذي يمر علينا من أحداث ويجعلها عظة بارزة أمام أعيننا تساعدنا على الأستعداد للقاءه.. اللهم آمين.

وأنا اسأل الله عز وجل أن ييسر لي شرحًا مفصلًا لهذا الحديث، خصوصًا هذا الجزء الأخير من صفات المريد الآخرة، لعل هذا ينفعكم في عملكم لوجه الله، وسأنقل فيه أحداث وأوضاع يعاني منها العمل الخيري ولا تتصوري أن ما سأنقله مبالغة لكنها حقيقة مرّة وجدناها في غالب زياراتنا في داخل وخارج المملكة في الأماكن الدعوية، فكلٌ يريد الظهور إلا من رحم الله، ورأينا مثل هؤلاء الذين لا يريدون إلا الله اسأل الله عز وجل أن يكثرهم وينفع بهم وينفع بكم.

نسأله سبحانه وتعالى أن يجعل مجلسنا هذا سببًا لمغفرة ذنوبنا وهذا ما نرجوه ونأمله أن نقبل عليه مغفورين الذنب مقبولين العمل، ونسأله سبحانه وتعالى أن يتقبله منا ولا يرده في وجوهنا، ونسأل سبحانه وتعالى أن يجعل صبركم على الطلب والعلم سببًا لرفعتكم عنده وسببًا للمنازل العلا في الجنة.. اللهم آمين.

نكمل في لقاءنا هذا كلامنا في كتاب التوحيد وقد مر معنا في الأبواب الماضية أبواب غاية في الأهمية في الكلام حول العبادات القلبية؛ من المحبة والخوف والرجاء والتوكل على الله وأيضًا الصبر على أقداره.

وجاء في هذه الأبواب أيضًا باب الرياء وباب إرادة الإنسان بعمله الدنيا الذي يقابله العبادة القلبية المهمة وهي الإخلاص، فمن كان محبًا لربه راجيًا لقاءه متوكلًا عليه، خائفًا منه، صابرًا على بلاءاته سبحانه وتعالى وعلى أختباراته لابد أن يكون للإخلاص الباب العظيم في قلبه.

ولذلك شرح الشيخ الضدّ وذكر بابان [ذكر الرياء وذكر إرادة الإنسان بعمله الدنيا] أريد فقط أن أختم الكلام في إرادة الإنسان بعمله الدنيا بمثال مهم كان لابد من ضربه، أذكره ثم انتقل إلى الأبواب الجديدة.

ما هو المثال؟ هذه قاعدة الحقيها بما كتب في باب إرادة الإنسان بعمله الدنيا:

التفريق بين منشأ العمل وما نحتاجه خلال العمل.

وليتبين لك هذا التفريق سأضرب لك المثال المشهور الذي ضربه ابن تيمية رحمه الله، فرق ابن تيمية رحمه الله: **بين من حج ليأخذ المال وبين من أخذ المال ليحج.**

ومن أجل أن تفهمي هذا المثال افهمي حج النيابة؛ ما هو حج النيابة؟ أي أن ينوب أحد عن أحد في الحج، ومن أجل أن يحج لابد أن يأخذ المال، واحد سيحج بدل أحد لابد له من زاد من أجل أن يصل، فالزاد على من طلب النيابة أو ما ينيب عنه، والفعل على هذا الذي سيأخذ المال ليحج به.

إذن أصبح أمامي حالتين:

- الحالة الأولى: حالة صاحبها أخذ المال ليكون معينًا له على الحج لأنه من المؤكد أنه لا يستطيع أن يحج إلا بالمال.
- الحالة الثانية: شخص أخذ النيابة تجارة، فلم يقع في قلبه عظم أمر الحج وشوقه وحبه لهذه الأماكن، ولا وقع في قلبه إرادة نفع المسلمين والإحسان لهم، ولا وقع في قلبه رجاء ثواب الله من هذا الفعل، لأن الحاج النائب يأخذ أجر الإحسان إلى إخوانه، وفي نفس الوقت يستمتع بهذه الأماكن العظيمة وبما فيها من روحانية، فهو لم يفكر في هذا كله؛ لا في الإحسان وفي إيصال الخير لنفسه ولا للناس، إنما كل تفكيره كان في المال، فأخذ النيابة تجارة، وذهب نائبًا عن شخص من أجل أن يتوفر له مال بعد الحج.

ولذلك واقعيًا الآن كيف تحصل هذه المشكلة؟ نأتي لأحد نقول له هل يمكن أن تحج نيابة يقول نعم، نقول له بكم المخيم؟ يقول مثلًا بثلاثة آلاف، بأربعة آلاف، فيأخذ المال ويذهب يحج ماشيًا وينام في الطرقات من أجل أن يبقى معه المبلغ، فلا يسجل في خيمة في حملة ولا شيء، فلما بدأ الناس يتوعون أصبحوا يستخدموا حملات وهمية، التي ليست بحملة حقيقة، ويكتبوا اسمه ويأخذوا سنة قبل على أنه دخل في الحملة وأصلًا الحملة وهمية، ويرشيهم يعطيهم مبلغ من المال ويأخذ الباقي معه، فهذا حج ليأخذ المال.

طبعًا للأسف تطورت المسألة من السوء أكثر من هذا فيأتي الشخص الواحد ينوب عن عشرة وربما لم يحج أصلًا، يقول عن هذا أنا سأنوب عنك ويقول عن هذا أنا سأنوب عنك، ويأخذ المال ولا يحج أصلًا، وهذا يفعلوه بالذات مع الناس البعيدين.

على كل حال؛ المقصود أن تفهم أن في أحوال معينة يحتاج المال، ولا تستطيع أن تقوم بالأمر الشرعي إلا بالمال، فيأتي أحد يقول لا، لا نستعمل المال ولا نأخذه، نقول فرق: انت لم ترد المال انت أردت المال للإعانة على عملك، لم تحج من أجل أن تأخذ المال توفره، إنما حججت من أجل نفع إخوانك ومن أجل التمتع بهذه الأماكن ثم لابد للوصول إلى هذه الأماكن فأخذت هذا المال.

مثال أخر على نفس الطريقة، نقول: أخذ المال ليدرس، الحالة الثانية: درس ليأخذ المال، طبعًا من المؤكد أننا نقصد بذلك العلم الشرعي، لأن تدريس العلم الشرعي هو الذي عليه المؤاخذة والمحاسبة، وهو الذي في الحديث أول ما تسعر النار بقارىء القرآن ومعلم الناس العلم يسأل لما علمته.

عندي حالتين:

الحالة الأولى: درس ليأخذ المال.

والحالة الثانية: أخذ المال ليدرس.

الحالة الأولى: هي التي فيها مشكلة لأنه درس ليأخذ المال، لأن هذا ليس مقصوده أبدًا ولا الذي حركه أن ينفع أخوانه وأن يعلم العلم الشرعي وأن يؤجر عند الله بتعليمه، ليس هذا الذي حركه، إنما أصل النية المحركة له أخذ المال، يعني لم يرد وجه الله لهذا العمل إنما النية التي حركته أخذ المال، إذن يصبح هذا من شرك النية والإرادة والقصد.

الحالة الثانية: أخذ المال ليدرس، وهذه الحال الموجودة الآن في غالب الأماكن أنهم من أجل أن يصلوا إلى الدور أو المعاهد أو الأماكن التي يدرسون فيها، يحتاجون إلى مواصلات وإلى نفقة توصلهم، يحتاجون أن يتفرغون من أن يشتغلون بأي شيء من الدنيا، فيكون أخذه للمال من أجل أن يتهيأ له التدريس، من أجل أن يتهيأ له تعليم العلم الشرعي فيأخذ المال ليس حرصًا عليه ولا فرحًا به، ولا شعور أن هذا مقصده إنما مقصده الذي حركه هو نشر العلم، وتعليم الناس.

إذن أخذ المال ليدرس ولم يدرس ليأخذ المال.

ولذلك انت تلاحظ هؤلاء في سماحتهم لا تجدهم يضاربوا على الأموال، ولا تجده يعامل هذه المسألة كما يعامل أهل الدنيا المال في مضاربته والخوف عليه والحرص عليه، لا تجد هذا منه.

فالمقصود أن هناك فارق بين أن يكون الذي بعثك إلى الحركة هو المال أو أن المال مجرد عامل مساعد على الوصول إلى المراد، ولذلك مثلًا لو نأخذ المعهد مثل، نقول المعهد عليه رسوم، لماذا أخذت الرسوم؟ لأن هناك مبنى، والمبنى فيه كهرباء، وفيه خدمات، ويحتاج إلى صيانة، وطبعًا المباني مختلفة، هناك مبانى هبة ومباني إيجار، هناك موظفات، حارس، غير المعلمات.

هذا كله الآن لو لم يقدر له ميزانية تصرف عليه لا يمكن أن يبقى، فتجد أنه أخذ المال من أجل أن يفتح باب العلم ولو لم نفعل هذا ما استطعنا هذا، لكن المهم وانت تعمل هذا العمل، لا يكون عندك حرص على أسباب تكثير أموالك، لا يكون هذا قصدك، إنما يكون قصدك أن يقوم هذا العمل، بهذا المال، فلما يأتيك أحد يقول لك والله لا أستطيع أن أفعل، فتعمل أحد عملين: أولًا ليس هناك مجال أن لا تقبله، بل لابد أن تقبله، جاء أقبل على الطلب لابد أن تقبله، يبقى أن تفعل أحد عملين بعد ذلك تفتح باب كفالة طالب علم، فتطلب من الأغنياء له مالًا، وتقول له انتم بهذا تكفلون هذا الطالب، لأن من أجل أن ادرسه احتاج إلى أماكن، وصيانة لها، وأحتاج إلى معلمين، وأحتاج إلى كهرباء، وأحتاج إلى أخر ما تفهمون، فافتح باب كفالة طالب العلم، هذا طريق وهذا من أيسره، وقد وجدنا بركته اسأل الله عز وجل بمنه وكرمه أن يبارك لكل من كفل طلبة العلم.

هناك طريق أخر هو أن تيسر له مسألة الدفع، يعني انت ستقبله لكن أما أن تجعل غيره يدفع له معناه لن يدفع شيئا، أو تقول له ماذا تستطيع أن تدفع، ما تستطيعه خير وبركة، وتيسر له مسألة الدفع ويكون في هذا صيانة للمكان وصيانة له أيضًا.

المقصود أنك لابد أن تفرق بين ما يكون إرادة للدنيا، وبين ما يكون إرادة للآخرة، لكن تحتاج لهذا العامل معك وقد نفعنا الله بكلام ابن تيمية فكان بمثابة القاعدة: فرق بين من أخذ المال ليحج، ومن حج ليأخذ المال، فرق بينهم وكانت هذه القاعدة بالنسبة لنا.

خصوصًا في الأمور التي يكون فيها المال عصب لها لابد أن يقابلها تحسين للنية وأن لا تطلب المال من ورائها، ولذلك لما نأتي للمعلمات مثلًا اللاتي يدرسن هي لا تستطيع أن تصل إلى المعهد وانتم كما تعلمون جدة مترامية الأطراف، فلا تستطيع أن تصل إلا بالمواصلات، والمواصلات تحتاج إلى مال، أيضًا سد الحاجة، المهم لو قلنا لهذه المعلمة هذا الشهر ليس هناك راتب هنا موقفها سيحدد هل قلبها تحرك للمال أم لله، فانت لو قيل لك فقدنا المال أو لم نجده أو هذا الشهر هذه حالنا أو نقص علينا كذا لا تجد في قلبك مطامع، إنما ترى ما يأتيك خير وبركة وسد للحاجة، فما أتاك من غير استشرف نفس فهو عليك بركة، وما أتاك وانت طامع تنزع منه البركة.

هذا سيكون خاتمة كلامنا عن شرك النية والإرادة والقصد.

اسئلة الطالبات.

▪ سؤال يقول هل يدخل في هذا التدريس في مدارس التحفيظ؟

في مدارس التحفيظ ماذا ستفعلون؟ ستدرسون القرآن، نفس الأمر، الذي هو علم العلم الشرعي، فالمفروض يكون مقصد المدرس نشر الخير وتعليم القرآن من أجل الله، ويأخذ المال ليعينه على ذلك، ليعينه على التفرغ وليس هو مقصوده، أي سنقيس التدريس في مدارس التحفيظ مثل أي نوع من تدريس العلم الشرعي

▪ هذا سؤال الذي أخذ المال ليحج هل ينقص أجره؟

ماذا تقصدون بأجره، إذا كنت تقصدين أجر الحج الآن أتكلم عن حج النيابة ما معناه؟ معناه أني أأتي كشخص عندي قدرة بدنية أن أحج، ويأتي أحد يقول حج عني، وطبعًا له تفاصيله الحج عن الميت ، الكبير الذي لا يستطيع إلى أخر التفاصيل الفقهية، مقصدي الآن حج النيابة، في حج النيابة الأجر لمن حججت عنه، انت ليس لك إلا أجر الإحسان فقط، وفقط طبعًا هذه ممكن يكون أجر الإحسان يفوق أجر الحج، فقط من أجل أن تميزي، فالذي يحج نائبًا ليس له علاقة بأجر الحج، إنما له علاقة بأجر الإحسان إلى أخوانه، وأيضًا ينتفع بهذه الأماكن ويستمتع بها وترجع روحه صافية لكن أجر الحج لصاحبه، فماذا تقصدين بينقص أجره؟ هو من جهة أجر الحج ليس له إنما المقصود من جهة الإحسان.

▪ هذا سؤال يقول ماذا تفعل من أرادت أن تدرس لوجه الله لكن أهلها يجبرونها لأخذ المال؟

لابأس، نعود إلى المقصد الأساسي أنها خرجت لوجه الله لكن لا تستطيع أن تخرج إلا بأخذ المال، وفي العادة الأهل لا يجبروا على أخذ المال إلا من أجل أن يكملوا حاجات لهذه البنت، يعني من يوصلها يريد مال، حتى لو كان من أهلها، فهي في الأساس تريد وجه الله، وهم يتحملون نياتهم.

▪ إذا جمعت المعلمة نية نشر الخير وتعليم الأطفال أمور دينهم مع نية سد الحاجة لتكميلها وطلب العلم، هل هذا شرك في النية؟

الجواب لا، مقصدها واضح، هي لا تريد الدنيا للدنيا، هي أرادت المال للتعلم، أرادت المال لتحج، أرادت المال لتعلم، انت ركب سؤالك على جملة وقولي: هل حججت لأخذ المال أم أخذت المال لأحج؟!.

نفس الكلام قس عليه هل درست لأأخذ المال أم أخذت المال لأدرس وأنفع الناس؟!، طبعًا الحالة الثانية ستخرج من الإرادة، يعني المقصود أن الإنسان إذا أتى في الأبواب الشرعية يراد منه أن تكون نيته لله فقط، في العلم الشرعي يراد منك أن تكون نيتك لله، في الآذان يراد منك أن تكون نيتك لله.

فلنأخذ مثال الآذان عندي حالتين:

آذن ليأخذ المال أي أشتغل هذه الشغلة ليأخذ المال أو أخذ المال ليتفرغ ليكون مأذن، وإلا هو ممكن أن يذهب ويشتغل في غيره، لكن حبه للآذان جعله يحبس نفسه على الآذان، ولاحظ الآذان خمسة فروض تشغل النوم، فهذا حبس نفسه على الآذان ثم أخذ المال ليترك الإنشغال عن الأذان، غير من أتى مؤذن من أجل بيت المؤذن ومن أجل الراتب الذي يأتي من الأوقاف، انت تعرفي سلوكه، يظهر سلوك مثل هؤلاء.

مثلما نأتي إلى الإمام الذي يصلي بالناس؛ أخذ الإمامة مهنة ليأخذ المال أم أخذ المال ليتفرغ للإمامة؟!، هذه بالذات مسألة الأموال مسألة حساسة جدًا، فيختلط علينا نياتنا ماذا نريد، المهم سياتيك أختبار من الله ليظهر صدقك من كذبك، وانت ماذا تريد على الحقيقة، فدائمًا **ذكر نفسك لم أأتي أعلم من أجل المال**، المال في نيتي تبع من أجل أن أبقى في هذا السبيل، بالمال أنا أسكت حاجات لو ظهرت لي لا استطيع أن أكمل تعليمي للناس أو أكمل نفع لهم.

- سؤال لا أدري ما وجهه لكن سأجيب عليه؛ هل المذاكرة وقت الامتحان يدخل في شرك النية والإرادة والقصد؟

لماذا؟ ماذا تريدون بنياتكم؟ أصلًا إذا تريدون أن يدخل في شيء من هذا سيدخل في الرياء إذا كان سيدخل، لماذا؟ لأن الذي يدرس المفروض العلم ما حقه عليك؟ حقه أن تجتهد في طلبه، ثم رتب لنا في أخر الأزمان أن المعلم يحدد وقتًا معينًا من أجل أن يرى تحصيل طلابه، هذه عملية طبيعية، فمن أجل أن أرى تحصيل طلابي طلابي لابد أن يبذلوا جهودهم ويراجعوا ما درسوا، نعم من أجل أن ينتفعوا جيدًا لابد أن يجمعوا نياتهم على أن إرادتهم الآن هو الانتفاع بهذا الوقت وقت الاستعداد للاختبار ويتقربون إلى الله بجدهم، ويريدون من الله أن يعينهم على أن يحصلوا تحصيلًا جيدًا من أجل أن ينفعوا وينتفعوا بالعلم.

المهم ما هو الذي حركك من أجل هذا العمل، ولذلك إذا نظرت إلى من تعجلوا ثلثي أجرهم ستجد أن هؤلاء دخلوا في باب أخر.

الآن ما الفرق بين تعليم العلم الشرعي وبين الجهاد؟ الجهاد كما مر معنا ذكر فيه نصوص تحضّ عليه بذكر الأجر الدنيوي، اتفقنا أننا عندنا ثلاثة مراتب لما يذكر الأجر الدنيوي:

المرتبة الأولى: أن لا تفعل ذلك إلا لله وهذا أجره تام.

المرتبة الثانية: أن تفعله لله وللأجر الدنيوي وللغنيمة وهذا ينقص الأجر، وهنا تأتي ثلثي أجره، يعني الذي رجع سالم هذا ثلث، والذي رجع غانم هذا الثلث الثاني، أخذ ثلثان في الدنيا وبقي له ثلث في الآخرة وهو الأجر الأخروي، والذي فقد السلامة وفقد الغنيمة كله أدخر له في الآخرة.

المرتبة الثالثة: الذي جاهد فقط للغنيمة هذا يدخل في أول ثلاثة تسعر بهم النار.

هذا بالنسبة للجهاد، تعال انظر إلى تعليم العلم ليس من الأعمال التي ذكر فيها جواز جمع النية، ليس مثل الجهاد، لا، ليس من الأعمال التي ذكر فيها جواز جمع النية، معناه لا يصلح فيه إلا أن يكون نيته لله سبحانه وتعالى.

من أجل ذلك أتى نقاشنا لهذه الحالة هذا عمل لا يصح إلا لله، فماذا أفعل وأنا أتقاضى عليه راتب؟ نقول فرق بين من يدرس ليأخذ المال ومن يأخذ المال ليدرس.

وعلى كل حال من ابتلي بهذه البلوة ووجد نفسه بدأ التدريس من أجل المال يصحح نيته ويستغفر على ما مضى، وينفق ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ويسأل الله عز وجل أن يقبل منه فهو سبحانه العفو الغفور، هذا ما نرجوه منه سبحانه وتعالى.

- هذا سؤال هل يدخل في شرك النية من ذهب ليدرس ليقال عالم أو يدرس أو أنه من باب الرياء؟

لا هذا من باب الرياء.

على كل حال هناك فرعيات كثيرة تحت باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا لكن يكفينا ما مر علينا وننتقل إلى الباب الذي بعده.

"باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله" اسم الباب من نوع الجمل الشرطية من فعل فقد كان، ما هو الفعل؟ أطاع العلماء والأمراء، هل الطاعة ممنوعة؟ نقول لا، لها قيد، بالعكس طاعة العلماء والأمراء من الواجبات الشرعية، لكن هنا يقصد طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، ما النتيجة؟ فقد أتخذهم أربابًا، أربابًا أي معبودين من دون الله.

هناك نوع علاقة والله أعلم خفية بين هذا الباب والباب الذي قبله وقبله؛ هذا الذي يظهر لي والله أعلم.

سأذكر لك هذا الأمر لعل الله ينفعني وينفعك به، انتم تعرفون أن الشيخ يشرح التوحيد بذكر ضده، الأعمال التي هي ضد التوحيد، فبعدما ذكر ركائز العبودية وبعدما ذكر الصبر الذي هو من أعظم الأعمال القلبية انتقل الشيخ للكلام عن [الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا، من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله] تنظري إليها هذه الأبواب فتجدين أن لها علاقة بأمرين:

- الأمر الأول: أن لها علاقة بالناس [الرياء ومن أطاع العلماء].
- الأمر الثاني: وتجدين أيضًا أن لها علاقة بالطاغوت، من أي وجه؟

⬅ في الرياء أين الطاغوت؟ ما معنى الطاغوت أصلًا؟ ما تجاوز به الإنسان حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فإذا نظرت في الرياء ستجد أن الإنسان عظم الناس وطغى بتعظيمهم، الطغيان هنا بمعنى تجاوز الحد، تجاوز الحد في تعظيمهم، فألتفت قلبه إليهم طالبًا ثنائهم وهذا مما جعله وقع في الرياء.

⬅ مثله إرادة الإنسان بعمله الدنيا، ما الذي طغى؟ حب الدنيا طغى على قلبه، فلما طغى على قلبه حب الدنيا تحولت إراداته إليها تعلقًا وتمسكًا بها، ولذلك وقع في إرادة حب الدنيا وقع في الشرك، لأنه طغى في حب الدنيا، طغى في تعظيم الناس فوقع في الرياء.

⬅ هنا طغى في تعظيم العلماء والأمراء.

إذن واضح الطغيان كعامل مشترك، طغى أي تجاوز حده:

- الناس تجاوزوا حدهم فوقعوا في الرياء.
- والناس للعلماء والأمراء تجاوزوا حدهم فأطاعوهم في تحريم ما أحل الله وفي تحليل ما حرم الله.

دائمًا مشكلتنا تجاوز الحد، لأن لو أأتي للناس عمومًا لا يصح لك أن تعتبرهم ولا شيء، لا يصح لك ذلك، بل ورد في الحديث: "رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا حَبَّ الْغِيبَةَ عَنْ نَفْسِهِ" بمعنى أن من حقوق الناس عليك أن لا تعرضهم أن يتكلموا عنك، لا تتصرف تصرفات

غير مفهومة ثم تقول الناس ليس لهم قيمة عندي، نقول لأ، الشريعة لا تسمح لك بذلك، يجب أن تكون تصرفاتك مفهومة من أجل أن تدفع عن عرضك، لكن لا يصل الحد بك أن تتجاوز فتعظمهم تعظيمًا يؤدي بك أن يلتفت قلبك إلى ثنائهم وإلى عدم مذمتهم لك فتتوجه بقلبك إليهم أثناء الطاعات، يعني هذا تجاوز في الحد، لا تفعل هذا ولا هذا، لا تهمشهم ولا تعظمهم تعظيمًا يخرجك عن مراد الله.

نفس الكلام بالنسبة للدنيا لا يقال لك لا تستمتع بما رزقك الله، ولا تطلب ما يسره الله لك في الدنيا لكن قيل لك لا تأخذ عمل الآخرة العظيمة وسيلة للدنيا الحقيرة.

▪ الأمر الثالث: أمرت بطاعة العلماء والأمراء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٥٣٤] فطاعة العلماء والامراء أمر اوجبه الله على الناس، فالمقصود بأولي الأمر هم الأمراء وهم العلماء، كلهم من أولي الأمر، فالعلماء يبينون الأحكام الشرعية والأمراء ينفذوها.

يصبح ما هو المقصود؟ ليس المقصود ترك طاعتهم إنما هناك حد مطلوب، لا يتجاوز، فأصبحت طاعة ولاة الأمر ليست ممنوعة مطلقًا ولا جائزة مطلقًا، يعني لا تتجاوز الحد، أمرت بطاعتهم فلا تتجاوز الحد فتطيعهم حتى في المعصية، أمرت بطاعتهم لا تتجاوز الحد وتصل أن تجد في طاعتك لهم التسليم التام لكل أوامرهم حتى لو عارضت أمر الله، وأيضًا لا تخالف الأمر فتكون من الخوارج الذين يخرجون على ولاة الأمر.

إذن الرياء وإرادة الدنيا ومسألة طاعة العلماء والأمراء كل هذه المسائل تتنازعها أمور، أي يقال لك هذا حقهم لا تتجاوزه:

⇦ هذا حق الناس لا تتجاوزه.

⇦ هذا حق الدنيا لا تتجاوزها.

⇦ هذا حق الأمراء والعلماء لا تتجاوز حقهم.

ماذا نفعل الآن من أجل أن نفهم هذا الباب؟ المفروض في مثل هذا الباب يطلب منا معرفة موقفنا الصواب من العلماء والأمراء:

⇦ أما موقفنا من الأمراء فسيأتي إن شاء الله بالتفصيل في دراستنا لكتاب الواسطية، لكن نختصر معتقدنا فيهم أننا نعتقد أن طاعتهم واجبة ما لم يأمروا بالمنكر، ما لم يأمروني بالمنكر، ونعتقد حرمة الخروج عليهم.

⇦ نأتي للعلماء أنصحكم لدراسة حقهم ومعرفته بالتفصيل قراءة كتاب معاملة العلماء، صاحبه هو محقق كتاب الشيخ السعدي – عبد العزيز اللويحق —.

مثله أيضًا في معاملة الأمراء، كتاب اسمه "معاملة الحكام" صاحبه الشيخ عبد السلام برجس رحمه الله، وهذا الكتاب الحقيقة يذكر فيشكر عليه الشيخ رحمه الله، من الدرر، كتاب معاملة الحكام يعتبر من الكتب الفريدة في جمع معتقد أهل السنة والجماعة بالتفصيل فيها، فنسأل الله عز وجل أن يكتب له المغفرة والرحمة العظيمة على ما ورث ورائه هذا العلم العظيم، وإذا تذكرون الشيخ عبد السلام رحمه الله مات وهو شاب عمره خمسة وثلاثين سنة، أقل من قبل خمس سنين توفي وهو عائد من درس، نسأل الله عز وجل أن يجزل له المثوبة.

---

[٥٣٤] النساء:٥٩

ننتقل إلى المعنى الضدّ، وهو تجاوز الحد، يعني هذان الكتابان تقرأهم لتعرف حقوقهم وكيف تعاملهم.

بقي الآن أن تنظر إلى حال تجاوز الحد، ننظر إلى الدليل الأول الذي أتى به الشيخ لما عقد هذا الباب.

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله

وَقَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ:" يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ . أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَتَقُولُونَ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ؟ ".

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[٥٣٥] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ : أَنَّهُ سَمِعَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)[٥٣٦] ، فَقُلْتُ له : إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ! قَالَ : أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟ فَقُلْتُ : بَلَى! قَالَ : فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ". رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

هذا الباب يظهر فيه مقتضى التوحيد، ماذا يلزمك بعدما قلت لا إله إلا الله؟ لا إله إلا الله تقتضي أن يكون العبد مطيعًا لله جل وعلا فيما أحل وما حرم، وإلا سيكون تحول من التوحيد إلى ضدّه وهذا ما يسمى بشرك الطاعة، لماذا؟ لأن التحليل والتحريم حق لله عز وجل لا يشاركه فيه أحد فمن تقدم بين يدي الله فحلل وحرم قد جعل نفسه شريكًا مع الله، هذا الذي قام بنفس فعل التحليل والتحريم كان كأنه جعل نفسه شريك مع الله، ومن أطاعه فقد أشركه مع الله في التشريع.

إذن ما هو شرك الطاعة؟ شرك الطاعة له ركنين:

- الركن الأول من حلل أو حرم من غير دليل من كتاب الله أو سنة النبي صلى الله عليه وسلم، هذا جعل نفسه شريكًا لله.
- الركن الثاني: من أطاعه فقد أشركه مع الله في التشريع، ما دليلنا على أن هذا شرك؟ ما دليلنا على أن التشريع داخل في العبادة التي ممكن أن تكون شرك؟ انظري إلى قوله تعالى لما ذكر ما يفعله المشركون من استباحة ما حرمه الله من الميتة، يعني الميتة المشركون يستحلونها، ويقولون هي أولى من المزكاة، لأن المزكاة انتم ذبحتموها، وأما الميتة فإن الله هو الذي ذبحها، المشركون تلقوا هذا الكلام عن المجوس، فأنزل سبحانه وتعالى ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾[٥٣٧] إلى قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[٥٣٨] هنا الشاهد ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، يعني إذا اطعتموهم في إستباحة الميتة وخالفتم أمر الله سبحانه وتعالى بتركها إنكم لمشركون مع الله، أي شرك هذا؟ شرك التحليل والتحريم.

---

[٥٣٥] النور:٦٣

[٥٣٦] التوبة:٣١

[٥٣٧] الأنعام:١١٨

[٥٣٨] الأنعام:١٢١

إذن تبين لكم الدليل، من هنا فهمنا أن هناك شرك في الطاعة.

❖ الدليل الأول.

نأتي إلى الدليل الأول كلام ابن عباس

وَقَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ:" يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ . أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَتَقُولُونَ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ؟ ".

سأذكر لكم النص كاملًا لتعرفوا الحادثة كما رواها الإمام أحمد.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ " تَمَتَّعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . فَقَالَ : عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَا يَقُولُ عُرَيَّةُ ؟ -يصغر عروة- قَالَ : يَقُولُ : نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ ! أَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقُولُ : نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ .

هذه رواية، والرواية التي أمامنا التي نقلها الشيخ "يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ".

عبارتان متقابلتان: "أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ !" ؛ يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ".

لماذا؟ قال "أَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقُولُ : نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ".

نفهم الحادثة من أجل أن نفهم لماذا أتى هذا الكلام وما شاهده.

ما السبب في قول ابن عباس: "أَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقُولُ : نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"؟ هذه المقالة قال ابن عباس رضي الله عنه لما بلغه أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يرين فسح الحج إلى عمرة، أي كانوا لا يروا المتعة، التمتع، يعني في سفرٍ واحد يأتي بحج وعمرة كانوا لا يرونه، لماذا؟ لأن الخليفتان الراشدان أبو بكر وعمر رأيا أن الإفراد أفضل من أجل أن لا يهجر البيت في بقية السنة، لأن الحاج إذا جمع بين الحج والعمرة في سفر واحد لن يأتوا الناس مرة أخرى للعمرة، بل يكتفون أن يجتمعون في الحج بنية الحج والعمرة، فيريدون أن يبقى طوال السنة البيت عامر، فهذا اجتهاد من أبو بكر وعمر، لكن الاجتهاد إذا خالف الدليل فإنه لا يجوز العمل به.

يعني وقع منهم اجتهاد وهم لم يتبيَّن لهم الدليل، ومتبين لابن عباس وهو حضر وتبيَّن له أن النبي صلى الله عليه وسلم تمتع وأمر بالتمتع، لماذا يقول أراهم سيهلكون أو تنزل عليهم حجارة من السماء؟ يرى أن من أخذ برأي الخليفتين الراشدين أبو بكر وعمر لأنه اجتهاد مخالف للنص وترك حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك يوجب العقوبة.

فالشاهد هنا إذا كان الأخذ من أبو بكر وعمر هذا حاله فكيف بمن هم أقل من أبو بكر وعمر؟!، فالمقصود أنه لابد من تعظيم سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأنها هي المنتهى بعد كتاب الله عز وجل، وأنه إذا حصل اجتهاد من المجتهدين يجب عرضه على كتاب الله وعلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

- فما أقام عليه الدليل أخذناه.
- وما خالف الدليل تركناه وإن قائله من أفضل الناس أبي بكر وعمر.

إذن لابد أن تفرق بين أمرين: الاجتهاد سائغ في الشريعة، ما هو الاجتهاد؟ استنباط الأحكام الشرعية من أدلة الكتاب والسنة، لكن يجتهد فيما ليس فيه دليل، وأحيانًا تأتي اجتهادات تخالف الأدلة لابد فيه من الرد إلى الدليل ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

إذن بهذا تبيَّن لنا موقف ابن عباس، وجه دلالة الدليل هنا، المقصود أن ابن عباس يرى أن تقديم قول على قول النبي صلى الله عليه وسلم من المؤكد أنه سبب لهلاك الأمة، لأن الواجب على المسلم إذا سمع حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلم فقهه أو بينه له أهل العلم أن لا يترك هذا الحديث وفقه هذا الحديث لقول أحد كائن من كان إذا كان الحديث ظاهر في الدلالة وكان القول لا دليل عليه.

وانتم تعلمون أن الخلاف السائغ لا يكون إلا مبني على دليل، أي يحصل خلاف في المسائل الفقهية لكن متى يكون هذا الخلاف سائغ ونقول لهذا لا بأس اعمل بما تعلم وانت اعمل بما تعلم؟ لما يكون الدليل يحتمل هذا أو هذا، على كل حال احترام العلماء وأهل المذاهب واجب، لكن أجمع أهل العلم على أن من استابنت له سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ليتركها لقول أحد كائن من كان.

❖ الدليل الثاني.

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٥٣٩] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

وانظر إلى القول الثاني: وهو قول الإمام أحمد، والإمام أحمد كما تعلمون إمام أهل السنة الصابر على المحنة، ماذا يقول؟

"عجبت" وهنا تعجبه استنكار.

"لقوم عرفوا الإسناد وصحته" ماذا يقصد بالإسناد؟ سلسلة الرواة الذين يروون الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، يعني ممن سمع الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى أخر السلف سواء طال او قصر.

الآن الإمام أحمد يستعجب من هؤلاء الذين يعرفون صحة الإسناد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويعرفونه من حيث الثقة والحفظ والإتقان، فهؤلاء العلماء الذين يميزون هذا ويعرفون صحة الإسناد وانتم تعلمون أن صحة الإسناد تدل على صحة المسند، فإذا كانوا لهم هذا العلم كيف يذهبون إلى رأي سفيان.

ما معنى أنهم يذهبون إلى رأي سفيان؟ يعني يتركون ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ويذهبون إلى رأي سفيان أي اجتهاده.

من هو سفيان؟ هو الإمام الفقيه الزاهد العابد المتقن سفيان الثوري، كان فقيهًا محدثًا عظيمًا، له اجتهادات، وله مذهب في الفقه لكنه انقرض لكن أكثر الكتب حملت عنه، يعني ليس له أتباع مثل الأئمة الأربعة لكن نقل عنه في المغني، والمحلى، وابن حزم، وفي كتب التفسير وفي الحديث.

---

[٥٣٩] النور:٦٣

المهم له باع طويل لكنه كغيره من الأئمة لا يجوز أن يقدم قوله على قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو رحمه الله لا يرضى هذا، بل كلهم يرون تقديم سنة النبي صلى الله عليه وسلم على قول كل أحد.

ولهذا كان يقول الإمام مالك: كلنا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر.

ويقول الإمام الشافعي إذا صح الحديث فهو مذهبي، وإذا خالف قولي قول الرسول صلى الله عليه وسلم فخذوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم واضربوا بقولي عرض الحائط

المهم ماذا يقول الإمام أحمد؟ "عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان" فهؤلاء خالفوا ما أوصوا به الأئمة، يعني الأئمة بأنفسهم كانوا يوصون بترك قولهم إذا عارض قول النبي صلى الله عليه وسلم، لكن انت الآن انظر للناس وموقفهم في الفقة وترى التشتت الذي حاصل لهم، ولابد أن تعرف أقسامهم من أجل أن تعرف في مقابل ذلك أحكامهم.

سنقسم الناس في هذه المسألة أربعة أقسام؛ في مسألة الخلافات الفقهية وموقفنا منها:

القسم الأول: من يستطيع الاجتهاد المطلق في أن يأخذ من الكتاب والسنة ويستنبط من الكتاب والسنة ولا يقلد أحدًا، هذا مجتهد مطلق يأخذ مباشرة من الكتاب والسنة ولا يقلد أحدًا، وهذه أعلى الطبقات وهذا لا يكون إلا لمن توفرت فيه شروط الاجتهاد.

ما هي شروط الاجتهاد؟ معلومة عند أهلها [يكون عالمًا بالكتاب وسنة النبي، عالمًا بلغة العرب، عالمًا بالمحكم والمتشابة، بالناسخ والمنسوخ، بالمطلق والمقيد، بالخاص والعام] ويكون لديه مدارك الإستنباط، أي لديه مؤهلات، وهذا مثل الأئمة الأربعة أبو حنيفة، والمالك والشافعي، مثل الإمام أحمد، مثل سفيان الثوري، مثل الأوزاعي، هؤلاء يقصد بهم المجتهد المطلق وينظر إلى الدليل مباشرة، ومن أجل ذلك يجب أن نضبط المسألة من أجل ان لا يكون هناك فوضى، لا أن نأتي نقول نقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم على قول كل أحد تكون النتيجة الفوضى، يكون شخص ليس لديه أي إمكانات ولا فهم في العلم ثم تراه يتكلم كأنه العالم النحرير.

يأتينا الصنف الثاني: لا يستطيع الاجتهاد المطلق لكنه يستطيع الترجيح بين أقوال أهل العلم، يعرف ما يقوم عليه الدليل وما لا يقوم عليه الدليل، يعني يعرف [أن هذا قوله كان اجتهادًا بدون دليل، هذا قوله بدون دليل، هذا استدل بهذا الدليل لكن لا وجه للدلالة، هذا يجب عليه الأخذ بما قام عليه الدليل وترك ما خالف الدليل] وهذا ما يسمى بالترجيح، في الغالب هذا يكون في داخل المذهب، يعني يتمذهبون على مذهب الإمام أحمد، وفي مذهب الإمام أحمد أقوال فيجتهدون في داخل المذهب، فتتسع المسألة أكثر فيكون هناك الفقه المقارن فيقارنون بين المذاهب وأقوالهم في المسألة الواحدة.

نأتي إلى الصنف الثالث من الناس: من لا يستطيع الترجيح، فهذا يعتبر من المقلدين، ولكن إذا عرف أن قول من الأقوال ليس عليه دليل لا يأخذ به، هذا غالب حال طلبة العلم أنهم مقلدين يدرسوا ويروا آراء علمائهم لكن إذا عرف أن هذا القول ليس عليه دليل فلا يأخذ به، يعني أتاك أن مثلًا ركعتي الإحرام ليس عليها دليل وإنما فهمها أهل العلم من أن النبي صلى الله عليه وسلم أحرم بعد صلاته للظهر فتبيَّن من ذلك أن ركعتي الإحرام ليس عليها دليل فعليه أن يأخذ بهذا، مادام ليس عليه دليل إذن ليست مثلًا من مستحبات الإحرام أو من الأفعال التي يفعلها وقت الإحرام، أما من لا يعرف، يدرس ولا يعرف وتصور أن هذا القول الصحيح ولم يتبيَّن له مخالفة، لا بأس أن يقلد ويأخذ من أقوال أهل العلم الموثوقين.

يأتي الصنف الرابع من لا يستطيع الأمور الثلاثة لا الاجتهاد المطلق ولا الترجيح ولا التقليد هذا عليه أن يسأل أهل العلم ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيسأل أوثق من يرى.

نحن نقول هذا الكلام من أجل أن لا تكون الدنيا فوضى وكل واحد يتكلم بالدليل وهو لا يفهم، والناس أصبحوا لا يقدرون قدر أنفسهم فتراهم يتكلمون بما لا يفهمون، فلابد أن نتجنب الإفراط والتفريط، لا نكون من الناس الذين يرفضون الفقه ويقولون نحن ليس لنا علاقة بالمذاهب، ويقولون هذه أقوال رجال فتكون النتيجة الضياع، لا هم أخذوا الفقه ولا هم يحسنون الاستنباط والاستدلال، فضاعوا وضيعوا من ورائهم.

ولا نكن من الذين يقلدون تقليدًا أعمى ويتعصبون لمذاهبهم ويأخذون بقول إمامهم ولو خالف الحديث، لا هذا ولا هذا الصواب الوسط نأخذ بالفقه، نأخذ بأقوال الأئمة، ندرس الفقه، نتمذهب لكن لا نتعصب، ننظر بين الأقوال وننظر الشيء الذي عليه دليل والشيء الذي ليس عليه دليل، ثم نترقى درجة درجة ولا ندري من هذا الذي يفتح عليه فيكون ممن يصل إلى درجة الاستنباط المطلق، فيكون ممن ينظر إلى الدليل ويجتهد اجتهادًا مطلقا، لكن لابد أن نسير في السلم كما ينبغي.

ونحن نبغض هذه الهجمات التي تنسف ميراث الأمة، يأتي أحد يقول نحن لا نريد كتب الفقه، يأتي أحد يقول نحن لا نحتاج كتب المصطلح، هذا نسف ميراث الأمة ويجعل الأمر معقد ولا يصلنا إلى علاج الخلل مثله لما يسمع أحد الكلام حول التجويد وكيف أننا في أكثر الأحيان نذم الأشتغال به والتمتع الحاصل فيه، ..انت تذم التنطع، هذا لا يعني ذم أصله إنما ذم التنطع في هذا العلم، فلا يمكن أن نأتي فنهده، هذا علم له قيمته نحتاجه لكن كل شيء يكون بالتوازن.

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان،

ثم قال الإمام أحمد: والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ هذا تهديد،﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ الضمير يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ماذا يحذروا؟ يحذروا أن تصيبهم فتنة، ما هي الفتنة؟ فسرها الإمام أحمد بالزيغ والشرك.

أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله – أي بعض قول الرسول صلى الله عليه وسلم – أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

معناه أن من رد قول النبي صلى الله عليه وسلم متعمدًا متبعًا لهواه أو متعصبًا لشيخه أو مذهبه أو لبلده التي يقلد أهلها فإنه مهدد بعقوبتين:

- العقوبة الأولى : الزيغ في قلبه، لأن ما معنى أن تصيبهم فتنة؟ فسرها بالزيغ والشرك، فالعقوبة لمن تعمد ترك قول النبي صلى الله عليه وسلم الزيغ في قلبه والسبب أنه ترك الحق ومن ترك الحق ابتلي بالباطل ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٥٤٠]، مثل أولئك ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٥٤١] صرفها لأنهم هم أنصرفوا عن تلقي القرآن وتعلمه صرف الله قلوبهم، مثل قوله تعالى ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٥٤٢].

---

[٥٤٠] الصف:٥

[٥٤١] التوبة:١٢٨

[٥٤٢] الأنعام:١١٠

مثل قوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[٥٤٣] يعني لما يرفض الإنسان أول الأمر دين الله أو يرفض سنة النبي صلى الله عليه وسلم تعصبًا هذا معناه أنه ليس في قلبه تعظيم لله ولا تعظيم لسنة نبيه فيبتليه الله بتقليب فؤاده وبصره ويحال بينه وبين قلبه، فلا يقبل قلبه الحق، وهذا أمر في غاية الخطورة أن يتحول قلبك فلا يقبل الحق.

ولذلك المؤمن يتبع الدليل ويفرح به إذا حصل عليه، ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[٥٤٤] يعني يفرح المؤمن بالدليل، ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٥٤٥].

إذن من في قلبه زيغ وفي قلبه نفاق هذا يتبع هواه ولا يتبع الدليل وفي النهاية هذا الزيغ لابد أن يأتي بإنحراف تام عن الطريق.

العقوبة الثانية: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ العذاب الأليم في أبدانهم يعني يقصد به أن عقوبة ستحل على هؤلاء سواء في الدنيا أو سواء في الآخرة، فترك أمر النبي صلى الله عليه وسلم والأخذ بقول العلماء والأمراء المخالفة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم هذا يسبب فتنة الشخص أو العذاب الأليم على الجماعة، وهذا كله تفهم منه أن كلهم يتحولون من طريق الإيمان إلى طريق الكفر، ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ فلذلك لا تستهين بهذه المسألة وافهم أن هذا حق الله ومن ترك حق الله عاقبه الله ومن العقوبات أن يزيغ قلبه فيفقد الثبات على دين الله.

ولذلك من شروط لا إله إلا الله القبول والأنقياد، تقبل بكل ما شرع الله " رَضِيتَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ورسولا" وتنقاد لهذا الذي أتاك، فلا تقدم بين يدي الله عز وجل وبين يدي رسوله قول أحد غيرهم وإلا نزلت عليك العقوبة، وإلا فقدت أحد الشروط.

ننظر إلى الدليل الذي بعده.

الدليل الثالث.

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ : أَنَّهُ سَمِعَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَذِه الآية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[٥٤٦] ، فَقُلْتُ له: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ! قَالَ : أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟ فَقُلْتُ : بَلَى! قَالَ : فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ". رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

والأحبار: جمع حبر وهو العالم.

والرهبان: جمع راهب وهو عابد.

---

[٥٤٣] الأنفال:٢٤

[٥٤٤] التوبة:١٢٤

[٥٤٥] التوبة:١٢٥

[٥٤٦] التوبة:٣١

الأحبار الغالب أنهم من اليهود، والرهبان من النصارى، ما معنى أرباب هنا؟ يطيعونهم في التحليل والتحريم، والمسيح ابن مريم غلو فيه واتخذوه ربًا يعبدوه عبادة، يصرفون له أنواع من العبادة.

ثم ختمت الآية بالأمر الذي أمروا به مقابل الفعل الذي فعلوه، أولًا نرى الفعل الذي فعلوه ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وأيضًا أتخذوا المسيح ابن مريم ربًا من دون الله.

إذن الأحبار والرهبان أرباب والمسيح رب، هذا فعلهم، هم بماذا أمروا؟ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ إذن فعلهم سماه الله شرك، ونزه نفسه عنه.

دلّ هذا على أن طاعة الأحبار والرهبان في تحريم ما أحل الله وتحريم ما حلل الله شرك بالله عز وجل.

انظر لكلام عدي لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ الآية قال: "إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ!" ففهم أن عبادة الأحبار والرهبان الركوع والسجود لهم، أو الذبح أو الاستغاثة بهم، ففسر له النبي صلى الله عليه وسلم: قال "أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟ فَقُلْتُ : بَلَى! قَالَ : فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ".

فكلام النبي هنا تفسير للآية، يدلّ على أن طاعة الأحبار والرهبان في تحريم الحلال وتحليل الحرام عبادة لهم، وهذا كما اتفقنا في أول الكلام يعتبر من شرك الطاعة، لأن التحليل والتحريم حق لله سبحانه وتعالى فليست العبادة فقط هي الصلاة والصيام أو السجود والركوع والذبح والنذر، لا، هناك جزء من العبادة الذي يشمل شرك الطاعة.

الآن نخرج بنتيجة من كل ما مضى:

أولًا: تحريم طاعة العلماء والأمراء في تحريم الحلال وتحليل الحرام، وأنه إذا استباح ذلك فقد وقع في الشرك الأكبر، وإذا أطاعهم وهو ليس مستبيح فتعتبر معصية عظيمة تدخل في الشرك الأصغر.

الأمر الثاني: وصورة ذلك ما نراه عند المتصوفة وأهل الغلو والروافض في تعظيم رؤوسائهم وإضفاء القدسية عليهم، وفي تحويلهم إلى أصحاب الحق المطلق في التحليل والتحريم.

الأمر الثالث: في قول ابن عباس والإمام أحمد يتبيَّن أن العالم مهما بلغ من الدرجات لا يقدم قوله على قول النبي صلى الله عليه وسلم.

الرابع: أن تقديم قول غير قول النبي صلى الله عليه وسلم على قول النبي صلى الله عليه وسلم سبب للعقوبة، مثلما قال: "يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ"، ومثلما قال الإمام أحمد في الفتنة ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

الخامس: يأخذ من حديث عدي ابن حاتم أن العبادة يدخل فيها طاعة الله، وأن صرف الطاعة لغير الله شرك، فقد ذكر الله في الآية عملين يسببان وصفهم بالمشركين، وينفيان أنهم عبدوا إله واحدا، ما هذان الوصفان أو هذان العملان؟ أتخذوا أحبارهم ورهبانًا أربابًا، اتخذوا المسيح ابن مريم ربًا.

- فأما أتخاذهم المسيح ابن مريم ربًا فهذه عبادة من جهة الدعاء والصلاة والذبح.
- وأما أتخاذهم الأحبار والرهبان أربابًا فهذا متبين من جهة طاعتهم، كما تبين من حديث عدي.

ففهمنا أن العبادة فيها الطاعة وفيها الأعمال، فالأعمال يجب أن تكون خالصة لله، والطاعة يجب أن تكون خالصة لله.

بهذا انتهى هذا الباب.

نأتي إلى مقدمة الباب الذي بعده.

سأقدم مقدمة واطلب منكم أن تحضروا بعض الأشياء للقاء القادم لأن الباب الذي يأتي من أعظم أبواب كتاب التوحيد، أقصد فيه من أعظمها من جهة حاجة الناس لفهمه وأنا أقول حاجة طلبة العلم قبل غيرهم لفهمه.

لأن أصبح هناك – الحمدلله – على الأقل بين كثير من طلبة العلم أصبح هناك صحوة في المشاعر تجاه التوحيد، الحمدلله، نقول هذا من فضله وحده لا شريك له، فهو الذي أراد بنا كلنا خيرا، لكن يعود فيبقى أيضًا التوحيد منحصر في العبادات، أي الشرك والخوف على توحيدنا في العبادات العملية، والحمدلله ارتفع فأصبحنا نعتني بالعبادات القلبية ونرى قيمتها وكيف يجب أن يكون فيها توحيد.

الآن نريد أن نعلو أكثر فنرى مسألة الطاعة وكيف أنها من لوازم التوحيد، وكيف أنها يمكن أن يكون فيها شرك، لماذا لا يناقش هذا الموضوع كثيرًا بالذات بين النساء؟ لأن قليل جدًا مسألة التحاكم، قليل جدًا دخول النساء في مسألة الدعاوى والقضايا، حتى لما تدخل في الدعاوى والقضايا غالبًا تكون ليست هي المسؤولة عنها، يكون رجالها ومحارمها هم المسؤولون، أو توكل من يسعى في قضيتها.

فلابد أن يتضح أمامنا صورة هذا الأمر، وحقيقته، وكيف أن التحاكم إلى غير ما أنزل الله ممكن أن يكون فعليًا يحصل التحاكم، وممكن أن يكون اعتقادًا، يعني ممكن تكون في مكانك وتعتقد أنه يحق لي أن أتحاكم في دولة اجنبية للإتيان بحقي لأن قانون هذه البلد مثلًا لا يناسبني، تكون انت في المملكة، وخصمك مثلًا في أي دولة العربية، فتأتي تخاصمه في محكمة دولة أجنبية لأن أحدًا أشار عليك بأن تفعل هذا لأنه يعلم أن في الدولة الأجنبية سيحكم لك، فتختار مصلحتك على الشريعة.

نحن نقول هذا الكلام بسبب الإفرازات التي حصلت من الخروج خارج البلاد الإسلامية، والإقامة في دول الكفر، فتأتي المرأة تكون هي وزوجها مثلًا من أهل هذه البلاد ويخرجان إلى الدراسة ومعهم أطفالهم، فيحصل بينهم خلاف تريد أن تطلق منه لكن تريد أن تحتفظ بحق حضانة أطفالها إلى أخر الحياة، لا تريد التخيير ولا الأحكام الشرعية الموجودة في شرعنا، فتلجأ إلى القضاء هناك، وهي تعرف أن القضاء سيقضي لها، وأن الزوج في موقف ضعيف لا ينزل ويترك البلد ويأخذ أولاده ومن ثم يضيع فرصته في الدراسة مثلًا لو كان يدرس، أو تضيع فرصته في الترقية لو كان عمله هو الذي أرسله.

المهم تستغل فرصة أنه مجبور على البقاء في هذه البلد – بلد الكفر – فتقدم خطاب والمهم تلجأ إلى المحكمة وتحكم لها المحكمة، لما يقال لها لا يحق لك أن تفعلي هذا الفعل، ارجعي إلى بلدك وتحاكمي إلى الشريعة، المفروض أنك تتركين بلد الكفر إقامة ومحاكمة، لا أن تعيشين فيها وتفرحين بأحكامها لأنها أتت لك بمرادك.

فهذا الذي يجعلني الآن أقول أن هذه إفرازات الخروج والأختلاط بالكفار بيَّن لنا ضعف هذا المفهوم في النفوس، الناس نسوا أن إفراده سبحانه وتعالى بالوحدانية في ربوبيته وفي يعني جميع أنواع الدلالات [يتضمن ويقتضي ويستلزم] أن يفرد سبحانه وتعالى في الحكم، فكما أنه جل وعلا لا حكم إلا حكمه في ملكوته فكذلك يجب أن يكون لا حكم إلا حكمه فيما يتخاصم فيه الناس وفي الفصل بينهم.

وقد سول الشيطان لكثير من أبنائنا الذين يمتعون بالأمن والأمان في البلاد التي تحكم بشريعة الإسلام سول لهم أن تطلق ألسنتهم في القضاه، وأن يتجرأون على أتهام نياتهم، ويغمزون ويلمزون فيهم، وكل هذا من المؤكد أنها إرهاصات يقصد بها ترك التحاكم إلى شريعة الله، فكأنهم ينسون ويتناسوا أن الله جل وعلا هو الحكم وإليه الحكم سبحانه وتعالى،﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، فكما أنه جل وعلا لا حكم إلا حكم في ملكوته كذلك لا حكم إلا حكمه فيما يتخاصم فيه الناس.

إذن ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟ مناسبته واضحة؛ أن التحاكم إلى غير شرع الله قدح في أصل التوحيد، وأن الحكم بشرع الله واجب، يعني إذا كنت موحدًا وجب عليك أن تكون متحاكمًا إلى شرعه فيما قل أو كثر.

ننظر إلى المجالات التي يظهر فيها التحاكم إلى ما أنزل الله.

وطبعًا كل تحاكم يجب أن يكون إلى ما أنزل الله، لكن لنوسع فقط الدائرة العقلية – دائرة عقولنا – ونفهم كيف المسألة تدخل في كل شيء، تعال نرى البيوع مثلًا، هذا مما يدخله أحكام الشريعة، حكم الله والتحاكم إليه فيه، أحيانًا يحصل أن النساء في مجلس تجدها مثلًا تعجبها عقد عند أختها من ذهب، فتقول لها أشتريه منك بدون أن يعرفوا ثمنه الحالي، أي الآن الذهب كم يساوي، وتحصل عملية المقايضة فهل هذا بيع صحيح أم لا، هذه الاسئلة لكم أريد منكم أن تبحثوا عن أحوالها عن صحتها.

نأتي مثلًا في عقود الإيجار يعطيه للعين المؤجرة ويشترط عليه شرطًا في هذا العقد المؤجر يجعله ناقص الانتفاع به.

هناك أمثلة كثيرة لكن لا أريد منكم أن تدخلوا في هذا الباب الفقهي، انتم ستتصورونه فقهي لكن أنا أتكلم عن أحكام الشريعة، كيف لما نأتي نتحاكم إلى الشرع، وهذا باب من أعظم الأبواب مسألة البيوع.

لو أتينا أيضًا إلى الأحكام التي تخص الأسرة وما يتبعها تجد أن كثيرًا يطبقون العادات والتقاليد فيمكن أن تحجر البنت لابن عمها زمنًا طويل وهو ليس راغبًا فيها، ثم يقال هذا ليس حكم الله يقال لك هذه سواليفنا، فهذا من تحكيم الجاهلية، فهنا أتت الطاعة لكن ليس للعلماء والأمراء إنما أتت نوع طاعة لغير الله وهي طاعة العادات والتقاليد وطاعة القوانين وطاعة المصالح.

يعني في الباب الذي سبق كان يدور حول تعظيم العلماء والأمراء مما أدى إلى تجاوز الحد في طاعتهم، هنا الإشكال في نفس الذي يريد التحاكم فهو لا يرد الخصومات الحكم لله، بل يرده إلى ما يوافق هواه.

يعني الباب الأول كان العلماء والأمراء هم المعظمين فكانوا يتابعهم أيان كان من تعظيمه لهم، لكن هذا ترك التحاكم إلى ما أنزل الله وانتقل إلى التحاكم بما فيه مصلحته هو.

المطلوب منكم إلى اللقاء القادم أن تأتوا بتفسير آية النساء التي اوردها الشيخ وتبحثوا هل لها سبب نزول أم لا.

أريد منكم أيضًا أن تفهموا معنى الإفساد في الأرض الذي ورد في آية البقرة وآية الأعراف، لأن هنا موطن الشاهد ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ﴾ ما معنى الإفساد في الأرض.

أيضًا أريد منكم أن تراجعوا كتاب "مسائل الجاهلية" وهذه رسالة لطيفة للشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله، وهناك شرح للشيخ الفوزان رحمه الله.

أريد منكم مراجعة كتاب مسائل الجاهلية ثم استخراج بعض أحكام الجاهلية التي تمارس اليوم، في الآية الأخيرة آية المائدة التي استشهد بها في المتن ذكر تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ فما هو حكم الجاهلية؟ وحكم الجاهلية هذا سيوسع لنا التفكير ستجدين أن حكم الجاهلية يكون في الخصومات وفي الاعتقادات، يعني في الخصومات العملية [أرض، بيع، شراء، أحكام تصل في

الحياة الزوجية] أو حتى في الاعتقادات فالمقصود تأتون بأمثلة لأحكام الجاهلية، يعني أن هذا نهجهم، هذا طريقهم، طريق أهل الجاهلية.

وأحسن شيء إذا استطعتم أن تأتوا المرة القادمة ومعكم رسالة مسائل الجاهلية يكون خيرًا وبركة، وانتم ابحثوا في أول خمسين مسألة ستجدون شيئًا من أحكامهم، وقصدنا من أحكام الجاهلية على وجه العموم ما يتصل باعتقاداتهم أو ما يتصل بأحكامهم العملية.

نكون بهذا قد أنهينا لقاءنا على أمل أن نأتي الأسبوع القادم ونناقش هذه المسألة بالتفصيل وسنجيب على هذه الاسئلة؛ لو أن أحد في بلد أحكامه مثلًا القوانين الفرنسية إذا حصل تخاصم وأنا في دولة هذه حالتها ماذا أفعل أخاصم عندهم أو لا أخاصم، سيأتينا إن شاء الله إجابات تفصيلية على هذا الأمر إن شاء الله، ويأخذ منا الوقت الكافي لمناقشته إن شاء الله.

نسأل الله العظيم بمنه وكرمه كما يسر لنا الاجتماع أن ييسر لنا الانتفاع وأن يجعل هذه اللقاءات سببًا لكفارة ذنوبنا.

جزاكم الله خيرًا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

باب قول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلًا بَعِيدًا)[٥٤٧].وقوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)[٥٤٨]. وقوله: (وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا)[٥٤٩]. وقوله: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ)[٥٥٠].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ".

قال النووي: حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ "الْحُجَّةِ" بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ

وَقَالَ الشَّعْبِيِّ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ؛ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ نتحاكم إلى محمد. لِأَنَّهُ عرف أَنَّهُ لَا يأخذ الرِّشْوَةَ ، وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نتحاكم إِلَى اليَهود لعلمه أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ فاتفقا أن يأتيا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فيتحاكما إليه، فنزلت: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ).

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمدلله الذى يسر هذا اللقاء واسأله أن يجعله لقاء مباركًا مرحوما .. اللهم آمين.

سيكون لقاءنا إكمال لما ابتدأناه في شرح كتاب التوحيد ونحن مر معنا المرة الماضية باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه هذا كان لقائنا الماضى، الآن كلامنا على الباب الذى بعده الذي هو ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنهم آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾

سنرى أولًا ما العلاقة بين هذا الباب والباب الذى قبله ثم نرى أحكام تتصل بمسألة الحكم بغير ما أنزل الله.

واتفقنا المره الماضية أن هذا الباب – باب التحاكم إلى الله وإلى شرعه – من الأبواب المهمة في كتاب التوحيد، لأن افراد الله بالوحدانية في ربوبيته سبحانه وفي ألوهيته يقتضى ويتضمن ويستلزم أن يفرد في الحكم، فإفراده في الحكم سبحانه وتعالى من لوازم توحيد الربوبية والألوهية.

---

[٥٤٧] النساء:٨٠

[٥٤٨] البقرة:١١

[٥٤٩] الأعراف:٥٦

[٥٥٠] المائدة:٥٠

ولذلك تجد أن طلبة العلم والعلماء لما يتكلمون عن هذا الأمر يكون مطلوب منهم أو يكونوا حريصين على أن يربطوا هذه المسألة – التي هي الحكم بما أنزل الله – بالتوحيد فلذلك كان الأمر مهم من هذه الجهة.

ومن جهة أخرى كان التحاكم أمر مهم لأن فيه زلل، وقعت اقدام كثيرة في الزلل، كيف يكون الزلل؟ مسألة التحاكم إلى غير ما أنزل الله كانت سبب في مواطن كثيرة لفتنة الخوارج – الخروج على ولي الأمر– وما حصل عندهم عدم التوازن بين أن الحكم لله وبين الأمر الثاني وهو المنع من الخروج على ولي الأمر، فنحن نريد أن نفهم المسألة بالتفصيل من أجل أن لا يقع مثل هذا التفاوت في فهم معاني النصوص الشرعية.

نبدأ أولًا بتقرير مسائل حول الأمر بالتحاكم إلى الله والنهي عن التحاكم إلى غير الله.

الأمر بالتحاكم إلى شرع الله أتى في نصوصٍ متعدده بُيَّن فيها أن [الصلاح والهدى والأستقامة وصلاح الأرض] كل هذا يكون بتحكيم شرع الله، ويكون بالتحاكم إليه سبحانه وتعالى وإتباع شريعته ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي لا أحد أحسن منه حكما لكن الإشكال في اليقين بصفاته، فالعباد يسيئون الظن بربهم ولا يعتقدون كمال حكمته ولا أنه سبحانه وتعالى عالم بمصالح عباده، فنقص هذا الإيمان يجعلهم في جهة بعيدًا عن التمسك بالتحاكم إلى شرعه، فهم لا يؤمنون أنه سبحانه وتعالى عالمٌ علمًا تام بمصالح عباده، وأنه سبحانه وتعالى عالم بعواقب الأمور وما ينتهى إليه كل شيء، وحكمه يتضمن إيصال الحق إلى المستحق، ودفع الظلم عن الناس، والقضاء على أسباب الفتنة والفساد، فلا صلاح للبلاد والعباد إلا تحت حكم الرحمن الذى خلق الإنسان وعلمه البيان وأنزل القرآن ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٥٥١]، إذن كما أنه خالقهم سبحانه وتعالى فيجب أن يحكمهم بشرعه.

وهذا الأمر يجعلك تفهم جيدًا ارتباط التحاكم بمسألة التوحيد، فكما أنك تعتقد أن ربك واحد هو الذى أوجدك وأعدك وأمدك فهو واحد الذى شرع لك كيف تتعامل مع الحياة ومع الناس الذين يحيطون بك.

على كل حال؛ من هنا يتبيَّن لك العلاقة الواضحة بين التوحيد وبين التحاكم، أيضًا يتبيَّن لك أن الذين يرفضون التحاكم في الغالب أن أوصافهم تطابق أوصاف أهل النفاق، فتراهم يفقدون تعظيم الله، **وإذا فُقد تعظيم الله فُقد الإستسلام لشرعه ولحكمه**، فمدار التسليم لأحكامه سبحانه وتعالى مبني على تعظيمه سبحانه وتعالى.

وأهل النفاق أعظم صفه فيهم عدم تعظيم الله، فلا يعظمونه سبحانه وتعالى ولا يقدرونه حق قدره، فيكون الناتج ضعف وإنتقاد لأحكامه سبحانه وتعالى، فتراهم يطلقون ألسنتهم في أحكامه وفي شرعه، ويقدحون في مناسبة حكم الله للزمان وللمكان.

- فهذا أبرز صفة للمعارضين أنهم يشابهون المنافقين من جهة عدم تعظيم الله حق تعظيمه.
- وهناك أيضًا العصبية الجاهليه فتراهم تمسكوا بعصبيتهم وجاهليتهم.

وهذا ما أردنا مناقشته؛ هذان الصنفان حملوا لواء الإعتراض والإنتقاد والإهمال لتحكيم شرع الله، فهم فيهم صفات أهل النفاق وقوم فيهم أوصاف الجاهلية والتعصب.

[٥٥١] الملك:١٤

ولذلك سيكون لقاءنا تقرير سريع للأحكام المتصلة لهذا الباب ثم قراءة في صفات هؤلاء وصفات هؤلاء، تقرير سريع لما هو مذكور في الباب من أدلة ووجه دلالة ثم كلام حول الجاهلية وحول النفاق وآثارهم في هذه المسألة.

نبدأ بالآية الأولى ننظر في أي سياق أتت، لاحظ الفرق بين هذا الباب والباب الذى قبله، أن هذا الباب يتكلم عن المحكوم وكيف أنه يريد أن يتحاكم إلى غير شرع الله فيريد تغيير شرع الله، يعني هذا الباب يخصّ المحكوم كيف أنه يذهب فيتحاكم في خصوماته إلى غير شرع الله، الباب الذى قبله يتكلم عن نفس العلماء وتحليلهم وتحريمهم

❖ الدليل الأول.

باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلًا بَعِيدًا﴾[٥٥٢].

يقصد الشيخ ما جاء في تفسير هذه الآيات مما يدلّ دلالة واضحة إلى أن التحاكم إلى ما أنزل الله من التوحيد والعبادة.

باب قول الله تعالى كذا: معناه سنرى تفسير الآية ونرى دلالتها على التوحيد.

❖ فهنا الآية تتكلم على التحاكم إلى ما أنزل الله وما أمر به وكيف أن له علاقة بالتوحيد والعبادة.

❖ وأيضًا في الآية أن التحاكم إلى غير الله شرك وكفر، واعلم أن الحكم لله وحده، سواء كان الحكم القدري أو الحكم الشرعي أو الحكم الجزائي؛ الحكم لله عز وجل وحده وهو الذى يجري الأقدار، وهو الذى يشرع الشرائع، وهو الذى يجازي عليها، ولما أمرك بالشهادة مدلول هذه الشهادة أن نتحاكم إلى كتاب الله وإلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور.

ننظر للآية: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعجب استنكار، يعني انظر لهم مستنكر حالهم، من هم هؤلاء؟ الذين ﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك.

﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ هذا زعمهم.

هذا وصفهم الآن وزعمهم.

ما بهم؟ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ﴾يريدون أن يتحاكموا إلى طاغوت، هذه الإرادة تخالف وتنازع زعمهم، يعني لا يتفق دعوى الإيمان مع إرادة التحاكم إلى غير الله، هذا دليل إلى أن التحاكم إلى الطاغوت كفر، لأن الله جعل إيمانهم زعم، لماذا زعم؟ معناها لو كنت مؤمنًا حقًا ما كان يصدر منك أن تتحاكم إلى الطاغوت، لأن صفة المؤمن بالله وبرسوله أنه يحكم كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

لكن هناك من يدّعي الإيمان وإذا كان يدّعي الايمان سترى أحد علامات دعوى الإيمان — يعني أن إيمانه ليس صادقًا – سترى أحد علامات ذلك أنه في الحكم لا يرجع إلى الله ولا إلى رسوله وهذا ليس بمؤمن.

ما الذى دلنا على ذلك؟ أن الله في كتابه قال في هذه الآية في كتابه﴿يَزْعُمُونَ﴾ يزعمون ويزعمون أتت من الزعم والزعم هو أكذب الحديث.

---

[٥٥٢] النساء:٨٠

لماذا إيمانهم زعم –كذب –؟ لأن الإيمان لابد أن ترى آثاره، وأهم آثار الإيمان التسليم والطاعة المطلقة، فتراه راضيًا عن الله في أحكامه القدرية فلا ينازعها، في أحكامه الشرعية فلا يخالفها، في أحكامه الجزائية وهذه يمكن أن تحمل جزائية في الآخرة وجزائية في الدنيا من شرع، فلا يترك ما حكم الله به ويتحول عنه، وهذا دليل أن إيمانه مجرد زعم.

ولاحظ الأمر العجيب في الآية يبيِّن لك أن عمل القلب هو المقصود الأعظم يقول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ﴾ يريدون معناها أنه قامت في قلوبهم إرادة التحاكم حتى لو لم تحصل، مجرد الإرادة تتنافى مع الإيمان فكيف إذا فعل؟!.

ولذلك اسمعي مني هذا المثال جيدًا لترى كيف يرتكب هذا الناقض ويدخل في حياتنا ونحن لا نشعر؛ لو أنا قولت لك عندي شخصين:

- شخص يتعامل بالربا يعني يذهب إلى البنوك الربوية ويتعامل معها، يتعامل بالربا ويعتقد أنه حرام.
- عندي شخص أخر لا يتعامل بالربا وربما لا يوجد لديه مال أصلًا، لا يتعامل بالربا ويعتقد أن الربا حلال والأقتصاد العالمي قام عليه وأنه لا يمكن أن يقوم اقتصاد إلا عليه.

فمن تظنين أنه أرتكب الجريمة الكبرى وأرتكب ناقض من نواقض الشريعة؟

- الأول كما ترون يعتقد أنه حرام هذا دليل أنه مرتكب كبيرة.
- الثاني لاحظ أنه لا يتعامل لأنه لا يستطيع لأن ليس لديه مال لكنه يعتقد حلية الربا، بل يعتقد أنه من اللوازم، وهذا حكم وضعي، في الرأس مالية من الأحكام الوضعيه الربا، فهو يرى الربا قوام الأقتصاد وهو لا يرابي، فانت ماذا تفهمين؟ أنه قام في قلبه قبول هذا الأمر، وإذا قام في قلبه إذن ارتكب الناقض.

وهذه الأحكام التي تدور حول الاعتقادات القلبية تحتاج شيء كثير من الأدلة في أهميتها لكن هنا الدليل صريح "يريدون" لكن لم يفعلوا لكن قام الإرادة، كأن في هذا الموقف هذا الرجل يقول لو كان عندي مال لن أضارب به في عروض التجارة، سأدخله في بنك مباشرة وأطلب الفوائد وأنا مرتاح، فهو ليس لديه مال لكن قام في قلبه إرادة، **ويا ويل للقلوب مما قام فيها من إرادات خبيثة تظن أنها على خير وهي قد استمدت مادة الشر بإرادة الشر.**

وهذا الأمر لابد أن ينبه عليه تكرارًا، ليس موضوع التحاكم موضوع الإرادات، موضوع الإرادات من المواضيع المهمة التي تحتاج إلى تنبيه، لأنه كما مر معنا في درس الإخلاص أن أهل النار يخلدوا في النار رغم أنهم عملوا أعمال خمسين ستين سنة معاصي وكفروا بالله، كأن سائل يقول هل الستين هذا العمر البسيط مقارنة بالخلود في النار؟!، ستين سنة لا شيء!، لكن لماذا لستين سنة يخلد في النار؟ ولماذا الثاني على ستين سنة طاعة سيخلد في الجنة؟!، والجنة كثير عليه!، نقول لما قام في قلوبهم من إرادات ﴿وَلَوْ رُدّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾[٥٥٣]، فانت تفهم أن الإرادة عمل الإرادة المستقرة عمل يقوم به قلبك ويعاملك عليه ربك، الإرادات المستقرة عمل يقوم به قلبك ويحاسبك الله عز وجل عنه.

[٥٥٣] الأنعام:٢٨

- النقطة الأولى: إذا فهمنا من يزعمون أنهم كاذبين في دعواهم، دليلنا على كذبهم في دعواهم أنهم جمعوا بين الإيمان وبين إرادة التحاكم، فكأنهم جمعوا بين الإيمان والكفر ولابد من أحدهم ينفي الثاني، فأصبح عملهم الذي هو إرادة التحاكم إلى الطاغوت دليل على إنتفاء زعمهم الإيمان، هذه أول نقطة ناقشناها.
- النقطة الثانية: أنهم لم يصلوا إلى حد الفعل، إنما نفي عنهم الإيمان واعتبر مجرد زعم لإرادتهم التحاكم إلى الطاغوت، لأن الإرادة قامت في قلوبهم.

ننظر أنهم يزعمون ماذا؟ ﴿أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، ماذا أنزل من قبلك يا رسول الله؟ الكتب السماوية، فمعناها نحن مطلوب منا الآن أن نؤمن بكتاب الله الذى أنزل على رسولنا وبالكتب التي جائت قبلنا.

ما علاقة هذا بالسياق؟ علاقته أن الكتب اجتمعت وصدقت بعضها بعضا، وكلها تقول لك لابد من أن تحّكم شرع الله مع أختلاف تفاصيله، يعني يمكن يكون هناك شرع الحكم مختلف عن الشرع الأخر لكن في النهاية كلهم يسيرون في خط واحد ألا وهو الامتثال إلى أمر الله.

الآن لو تصورت هذه المسألة – أن الشرائع كلها مجمعة على الأمر بطاعة شرع الله – ستجد أن المنصفين ينظرون إلى القرآن على أنه يجب طاعة الله عز وجل بالإيمان به، لأن الله خبرهم عن هذا القرآن في كتبهم فأصبح القرآن مصدق لما في كتبهم، لكن انظري لهم في الواقع؛ ادّعوا أنهم يؤمنون بكتبهم ولما أتى القرآن أنكروه كذبوه، فبذلك تبين تكذيبهم لكتبهم، يعني الخبر في التوراة والإنجيل أتي عن القرآن، الخبر في القرآن أتى فيه أن الله أخبرهم عن هذا الكتاب، فصدق بعضهم بعض، يعني التوراة والإنجيل أخبروا عن القرآن والقرآن أثبت أن الخبر جاء في التوراة والإنجيل، **هم الآن يدّعون أنهم آمنوا بكتابهم لو آمنوا بكتابهم كانوا آمنوا بالقرآن، لو كفروا بالقرآن كفروا بكتابهم.**

على كل حال؛ لو كانوا هؤلاء صحيح مؤمنين بما أنزل من كتاب الله على الرسول صلى الله عليه وسلم وبما أنزل من قبل كانوا أتوا إلى أحكام الشريعة وساروا فيها مطيعين منكسرين، لكن بدلوا هذا بإرادة، أرادوا أن يتحاكموا إلى الطاغوت.

السؤال ما هو الطاغوت؟ الطاغوت ما تجاوز العبد به حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع، ما تجاوز العبد به حده يعبده من دون الله، أو مطاع يتبعه ويتجاوز به، أو مطاع في معصية الله.

والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة:

- إبليس.
- ومن عبد وهو راض.
- ومن دعى الناس إلى عبادة نفسه.
- ومن حكم بغير ما أنزل الله.
- ومن ادعى علم الغيب.

هؤلاء الطواغيت الشاهد منهم من حكم بغير ما أنزل الله، الذى هو موضوع الباب، هؤلاء يحكمون ويتحاكمون بغير شريعة الله، يعني من رؤوس الطواغيت من حكم بغير ما أنزل الله، الآن عندي حاكم ومحكوم:

- الطاغوت هو الحاكم الذى حكم بغير ما أنزل الله.

﴿ومَن اتخذه طاغوتًا، من ذهب إليه وتحاكم عنده.

أي هو بنفسه الآن طاغوت لكن من ذهب إليه فتحاكم عنده هذا جعله طاغوتًا، معناه أن هذا الطاغوت يمكن أن يتضائل ويذهب ويضمحل لو رفضوه الناس ولم يقبلوا به، سيذهب لن يصبح طاغوتًا، هو لم يتفاقم فيكون له هذه المنزلة وهذا الوضع إلا لما الناس قبلوا به وتعاملوا معه، إذن الحاكم الذى حكم بغير ما أنزل الله هذا سيكون حاكم، والذى اتخذه طاغوت هو المتحاكم.

نرى الآن ماذا تتضمن كلمة بغير ما أنزل الله؟ يعني أي شيء يتحاكم إليه غير شريعة النبي صلى الله عليه وسلم، سواء كان من القوانين والأنظمة، أو العادات والتقاليد، أو أمور الجاهلية والقبلية، أو التحاكم إلى الكهان والسحرة، كل هذا يعتبر بغير ما أنزل الله.

يأتي هنا سؤال؛ أن هناك بعض الأمور التي استجدت في الحياة ووضعوا لها قوانين هل تدخل ضمن التحاكم إلى غير ما أنزل الله؟ هل تتضمن القوانين مخالفة؟

نعيد مرة أخرى السؤال؛ اتفقنا على أن الطاغوت سيكون هو الحاكم بغير ما أنزل الله والمتحاكم سيكون اتخذه طاغوت بقي نسأل ما معنى بغير ما أنزل الله؟ قلنا القوانين والأنظمة والعادات والتقاليد والأمور الجاهلية والقبلية هذه كلها تدخل في غير ما أنزل الله، ثم ننظر الناس استحدثوا في حياتهم من أنظمة سير، من أنظمة سفر، من أنظمة دخول وخروج البلدان، أنظمة لم تكن موجودة أولًا، هل هذه الأنظمة مما يدخل في هذا الأمر يعني في التحاكم بغير ما أنزل الله؟ وهذه معناها في غير ما أنزل الله؟ نقول لأ، التنظيمات الأصل فيها الإباحة إلا إذا خالفت أصلًا شرعيًا، ستكون بذلك تتحول من الإباحة إلى الحرمة على حسب مخالفتها للأصل الشرعي، إذن لما اقول لك القوانين والأنظمة أقصد المخالفة لما أتى بها الشرع وليس التنظيمات، ولا نقصد بذلك التنظيمات.

على كل حال نأتي نقول الآن هؤلاء يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك يعني يا رسول الله وما أنزل من قبلك، تبيَّن كذبهم في هذا الزعم لما ماذا فعلوا؟ لما أرادوا أن يتحاكموا إلى غير شرع الله، فالايمان بالله لا يصح إلا بعد الكفر بالطاغوت، وهؤلاء يتحاكموا إلى الطاغوت إذن لم يؤمنوا بالله.

انتم متفقين معي أن الله عز وجل قال ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ﴾، إذن لابد من امرين الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، هؤلاء لم يكفروا بالطاغوت بل ذهبوا إليهم وعظموهم واتخذوهم من دون الله حكامًا لهم، مع أن الكفر بالطغوت ركن الإيمان:

⇦ فلا يصح الإيمان إلا إذا كفر بالطاغوت.

⇦ ومعناه لا يصح أن يجمع بين الإيمان وبين الكفر بالطاغوت، لأن هذا جمع بين نقيضين، وهذا معنى لا إله إلا الله:

- "لا إله" هذا نفي، ينفي جميع المعظمات والمتعلقات والطواغيت.
- "إلا الله"هذا الإيمان بالله وحده لا شريك الله.

ولذلك الله عز وجل لما وصفهم أنهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ﴾ معناه أنهم خالفوا ما أُمروا به، لكن من ورائهم؟ الشيطان، ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ﴾، أن يفعل بهم ماذا؟ ﴿أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلًا بَعِيدًا﴾.

فإذن هذا طريق الشيطان عليك إذا وجدك عابدًا في محرابك، مصليًا صائمًا متقربا، دخل عليك من بالإضلال من باب التحاكم، ﴿وإذا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ رأيت من؟ بعدما نودوا هذا النداء تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾ ماذا يفعلون؟ ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ إذا هؤلاء الذين يصدون عن دعوة الله ودعوة المسلمين لهم إلى ما أنزل الله يعني لا يقبلون النصيحة اعلم أن النفاق دخل إلى قلوبهم.

لماذا لا يقبلون النصيحة؟ لأن الشيطان أملى عليهم وسول لهم هذه الإرادة، التي هي إرادة التحاكم إلى ما يعظمون من الطاغوت، إلى ما يعظمون من دون شرع الله، القوانين، العادات والتقاليد، أمور الجاهلية، فسول لهم وأملى لهم هذه الأفكار الخبيثة.

ماذا يريد؟يريد أن يبعدهم ويغويهم، وليس أي إبعاد أو إغواء لكن ضلالًا بعيدا، يعني يبعدهم غاية الإبعاد، هم قبلوا منه تسويله ورفضوا نصح المسلمين لهم، فلما تعمدت قلوبهم مخالفة الحق وتركوه عن تعمد، رأيتهم ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ يعرضون إعراضا كليًا.

فهؤلاء لو نظرت إلى حالهم كما وصف الله ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ﴾[٥٥٤]، تراهم في حال قريبين من المؤمنين، وتراهم في حال قريبين من أهل الكفر، فلا تعرف من هم هؤلاء.

فالمقصود نستدل من هذه الآية إلى أن التحاكم إلى غير ما أنزل الله كفر، والذى بيَّن لنا هذا الأمر آية النساء، الله عز وجل جعل إيمانهم زعما، وجعل إرادتهم إلى التحاكم إلى الطاغوت تنافي إيمانهم، وكل هذ الكلام نتكلم به لمن تحاكم إلى الطاغوت بإرادته، يعني باختياره ليس كاره، لكن بغير إرادته أو مجبر أو ليس له اختيار هذا كله إن شاء الله يأتينا نقاشها.

إذن هذه الحالة التي نحن نتكلم فيها بإرادتهم، بتمام إرادتهم، يريدون هم، لا مجبرين ولا كارهين ولا أمر اضطروا إليه، إذا كان هذا حالهم إذن ينتفي عنهم الإيمان إلا أن يكفروا بالطاغوت، هذا الأمر الأول خرجنا به من الدليل الأول.

ما وجه دلالته؟ أولًا على ماذا يدل؟ يدل على أن التحاكم إلى غير شرع الله كفر مخرج عن الملّة، ما وجه الدلالة؟ أن الله جعل إيمانهم زعم، لماذا؟ لأنهم يريدون، ولاحظ يريدون هذه فيها دلالة على أنها مجرد إرادة قامت في القلب مجردة من العمل أقصد لكنها إرادة مستقرة، وهذا يدل أن "يريدون" هذه حالة التي نتناقش فيها تدل أن صاحبها اختار هذا الأمر طواعية ورغبة، ليس عنده كراهية.

انتهينا من الدليل الأول.

❖ الدليل الثاني.

نأتي للدليل الثاني اتفقنا المرة الماضية أن تبحثوا في معناه.

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾

كان سؤالنا ما هو الإفساد في الأرض وما علاقته ببابنا؟ لو كنتم بحثتم ستجدون في كلام أهل العلم أن الإفساد في الأرض هو الإشراك به سبحانه وتعالى سواء كان في الألوهيه أو الربوبية، ومن الإشراك به في الألوهيه والربوبية أن يتحاكم إلى غير شرع الله.

❖ إذن ما صلاح الأرض؟ التوحيد والشريعة.

---

[٥٥٤] النساء:١٤٣

❖ ما فساد الأرض؟ الشرك وعدم التحاكم إلى شرع الله

ومن أجل هذا ساق الشيخ هذه الآية تحت هذا الباب من أجل أن يبيِّن لك أن صلاح الأرض بالتوحيد الذى منه افراد الله عز وجل بالطاعة وأن لا يحاكم إلا بشرعه، وفساد الأرض بالشرك وأن يجعل حكم غير الله عز وجل جائز التحاكم إليه.

لاحظ العلاقة الأن بين آية سورة البقرة وآية سورة النساء؛ ما العلاقة؟ هناك علاقة خفية:

- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ هذا في صفات المنافقين في سورة البقرة.
- انظري في آية النساء السياق الكلام عن مَن؟ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ أيضًا المنافقين.

إذا معنى ذلك لازلنا نفهم نفس الفهم؛ أن أهل النفاق هم أهل هذه الصفة يسعون في الشرك وفي وسائله، ويسعون في إيصال مصالح موهومة للتحاكم إلى غير شرع الله، إذن لابد أن تعلموا أن من يدعو إلى التحاكم إلى غير شرع الله ليس الكفار إنما ناس ألسنتهم مثل ألسنتنا، ظاهرهم مثل ظاهرنا، ولذلك كان الأمر خطير!، أن الناس يُلبّس عليهم من بني جنسهم.

ولذلك لما سأل حذيفه رضى الله عنه كيف يعرف العبد أنه مفتون؟

قال: أن يرى اليوم الأمر الذى كان يراه حرامًا يراه اليوم حلالًا.

يعني كيف تعرف أنك فتنت؟ الأمر الذى كنت وانت عندك علم تعلمت كنت تراه أمس حرامًا تراه اليوم حلالًا هذا دليل الفتنة.

لماذا يحصل مثل هذا؟ هناك ألسنة لها حلاوة تبرز المحرم حلالًا أو على الأقل تهون من حرمته، ولا تراهم يتكلمون هذا الكلام إلا لشهوة الإفساد.

وسأضرب مثل مما أبتلينا به اليوم، بل وعظيمة لو تعرفون أبعادها والله لا ترفعوا رؤوسكم من السجود من شدة كونه بلاء لكن على من يفهم الأمور، اليوم ما ظهر في الكلام حول الأختلاط وحول تهوينه وتسهيله، ومعاملته على أنه أمر يسير بل يقنعون أنه ليس فقط أمر يسير بل انتم تفهمونه خطأ من سنين، أي هذا الذي تحمستم له وبارزتم من أجل دفعه انتم تفهمونه خطأ، وفي الحقيقة أن الشريعة لم تنهى عن الاختلاط، وأن لفظة الأختلاط – يعاملون الآن بسلاح – يقولون لفظة الأختلاط هذه لم تأتي في القرآن والسنة!.

هم لما يتكلمون يرفضون الظاهرية مثلًا التي تأتي عند الألفاظ وتقول هذه اللفظة غير واردة أو هذه لفظة كذا ولا يتحركون عنها، ولما الظاهرية أصبحت تلائم الأهواء أصبحوا من أهل الظاهرية، ولا ترى ما سيجلبوا علينا من بلاءات، مسألة الأختلاط هذه تكلم أهل العلم فيها كلام يطول سواء مباشرة في نقضها والتخويف منها أو في أمور كان سببها الأختلاط، بمعنى أن أهل العلم لما تكلموا عن الأختلاط إما وجهوا له الكلام مباشرة فأنتقدوه أو تكلموا عنه في داخل كلامهم عن أمور أخرى، وستفهمون لما أنقل لكم كلام ابن القيم.

قال ابن القيم رحمه الله في الطرق الحكمية:

وَلَا رَيْبَ أَنَّ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ : أَصْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَشَرٍّ ،

اسمعوا جيدًا من أجل أن تتصوروا ماذا يأتي من وراء هذا البلاء العظيم.

قال: وَلَا رَيْبَ أَنَّ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ : أَصْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ الْعُقُوبَاتِ الْعَامَّةِ

أي اختلاط الرجال بالنساء.

، كَمَا أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ فَسَادِ أُمُورِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ ، وَاخْتِلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ سَبَبٌ لِكَثْرَةِ الْفَوَاحِشِ وَالزِّنَا ، وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِّ ، وَالطَّوَاعِينِ الْمُتَّصِلَةِ .

وَلَمَّا اخْتَلَطَ الْبَغَايَا بِعَسْكَرِ مُوسَى ، وَفَشَتْ فِيهِمْ الْفَاحِشَةُ : أَرْسَلَ اللَّهُ إلَيْهِمْ الطَّاعُونَ ، فَمَاتَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَبْعُونَ أَلْفًا ، وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ فِي كُتُبِ التَّفَاسِيرِ .

فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِّ : كَثْرَةُ الزِّنَا ، بِسَبَبِ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ ، وَالْمَشْيِ بَيْنَهُمْ مُتَبَرِّجَاتٍ مُتَجَمِّلَاتٍ ،

ثم انظري إلى هذه النصيحة التي يذكرها والتي تناسب الطرق الحكمية كيف تحكم الناس.

قال : وَلَوْ عَلِمَ أَوْلِيَاءُ الْأَمْرِ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ فَسَادِ الدُّنْيَا وَالرَّعِيَّةِ – قَبْلَ الدِّينِ – لَكَانُوا أَشَدَّ شَيْءٍ مَنْعًا لِذَلِكَ.

فعلى الدعاء إلى الله أن يتقوا الله وألا يهونوا من أمر عظمه الله، ولا يكون في القلوب عدم معرفة لنهاية الأمور، في أحيان كثيرة النظر المجرد لبعض الأمور لفظيًا يجعلك لا تفهم كيف تتعامل معها على وجه الحقيقة، المهم أن الأمر اختلط على كثير من الناس وبدأوا يدخلون في تحليل وتحريم الأمور على هواهم، وأصبحوا يتعدون على الحرمات والفضيلة والقطعيات الشرعية نهارًا، فلذلك لابد من مشاعر أن هذا الذى يظهر من دعوات إنما تخالف إيماننا بشريعة الله والتحاكم إليها.

يعني هذا ليس رأيًا، هذا واحد إتى إلى أمر حرمه الله ويقول الشريعة لم تحرمه، لما نأتي ندفعه ونمنعه هذا من أجل أننا نتعبد الله بالتحاكم إلى شرعه، ومن كتم حق الله فقد طوى جوانحه على جذوة من نار جهنم، وسمعنا ورأينا من حشد نصوصًا ولا يدري موضعها في الشرع ولا يعرف أولها من اخرها وهذا كله جهل بالناسخ والمنسوخ، والمتقدم والمتأخر، وانتم تعلمون من لا يعرف الناسخ من المنسوخ سيؤدي الأمر إلى إثبات المنفي نفي مثبت، فكيف يتكلم الناس في دين الله وهم جهال؟!.

يعني الآن لو نظرتي إلى مسألة مثل شرب الخمر، ألا يستطيع واحد أن يلبّس على العوام ويأتي بأدلة قبل تحريمها ويستعملها؟!، مثله مثل ما فعل الروافض حاربهم الله، المتعة لها أدلة قبل تحريمها وللذلك دائمًا الذين يجادلونا من الروافض يستعملوا هذا الجزء، ودليل المتعة في الصحيح لكن الدليل الذى في الصحيح دليل سلمى ابن الأكوع الذي يستدلون به، انتم لا علاقة لكم الآن بالدليل لكن اقصد الشاهد هذا موجود في الصحيح، لكن هذا منسوخ!

فلو أتى أحد الآن وأخذ هذا الدليل بحلية المتعة التي نقول أنها منسوخة مثلما نسخ حلية الخمر، نقول فقد أحل في دين الله ما هو محرم، مثله الآن الذى يأتي فيأخذ بأدلة أتت في أول الهجرة ثم يكلمني عن أن هذا يدلّ أن الأختلاط جائز هذا قلب الحقائق، وعدم الإنصاف، هناك كلام طويل عريض الذى يرد عليه بيسر وسهولة، والحمدلله انبرى كثير من أهل العلم فكتبوا وتكلموا وانزلوا في المواقع ردًا عليه خير وبركة، لكن نعود لأصل المسألة أن القوم فتنوا فما كانوا يرونه قطعًا حرام تغيرت آرائهم اليوم وأصبحوا

يدّعون أنه حلال، نقول هذا يدل على ضعف في الإيمان والتحاكم إلى غير شرع الله، ولذلك هذا هو الإفساد في الأرض بعينه، وقرأنا كلام ابن القيم ما يدل على دلالة واضحة.

❖ الدليل الرابع.

نأتي للدليل الرابع.

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[٥٥٥].

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

أولًا نفهم معنى الجاهلية؛ الجاهلية لما تأتي مطلقة يقصد بها ما قبل الإسلام، والجاهليون هم القوم الذي كانوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم سواء من عرب أو من يهود أو من نصارى أو من صابئين وغيره، كل هؤلاء يعتبروا من أهل الجاهلية، يأتي العبد لسوء تفكير فيتصور أن أفكار أولئك أهل الجاهلية خيرًا مما أتى به الإسلام، ويتصورون أنهم سيغنمون لو عاملوا الأوضاع والأحوال بحكم الجاهلية، وهذا يدلّ على خبث في القلب وعدم يقين بالشرع، وإذا وقع في القلب عدم يقين بالشرع تخبط الإنسان إيَّما تخبط .

نرى الآن ما الأحوال التي يمر بها الحاكم والمحكوم؛ الحاكم والمحكوم يمرون بأحوال، هناك يريدون هنا يبغون، إذن هنا المحكوم قام في قلبه إرادة – ابتغاء–، هذا حال المحكوم.

❖ هناك الحاكم ما حاله؟ بلغ لدرجة في تعظيم نفسه وتعظيم ما معه أنه استغنى عن شرع الله ورأي أن شرع الله لا يصلح له.

❖ والثاني المحكوم أو الذى يريد الحكم، يريد ويبتغي غير شرع الله متصور أن غير شرع الله أفضل وأحسن له.

مادام ذكرنا هذا الضابط دعنا نبيِّن لك الأحوال الأخرى من أجل ألا يختلط عليك الأمر فتخرج من اعتقاد أهل السنة إلى اعتقاد الخوارج:

أولًا لابد أن تتصور أن هناك مسألتان مسألة الحكم ومسألة التحاكم، فلنضرب مثال؛ أن يكون هناك تشريع لقانون وهذا القانون سيكون مضاهي لحكم الله يعني يقابله، يضاهيه يعني الله عز وجل حكم في الربا بالحرمة فهذا يضاهيه بالحلية، ماذا تقول في هذه الحالة؟ سنقول هذا القانون من حيث وضعه كفر، فيصبح الواضع له والمشرع له يصبح كافر، لماذا كافر؟ لأنه جعل نفسه طاغوتًا للناس فشرع ما لم يشرع به الله.

الحالة الثانية: نأتي الآن لأحد يحكم بهذا القانون، كيف تصبح حالته؟

- يعني واحد مشرع له.
- وواحد يحكم به.
- وواحد يتحاكم إليه.

⇦ الأول: اتفقنا أنه كافر.

[٥٥٥] المائدة:٥٠

⇦ الأمر الثاني: أن الحاكم بهذا التشريع إذا حكم بالشرع الذى يضاهي شرع الله نسأله؛ هل انت تعتقد أن هذا الشرع مثل شرع الله؟ إذا أجاب فقال لا هذا لا يُكَفر، فإذا استدام العمل عليه أو نقول أنه عمل به مرة أو مرتين ولم يكن ديدنه للحكم به وهو عالم أنه عاصٍ مخالف لأمر الله هذا يكون ارتكب كبيرة ولا يكفر، متى يكفر؟ لما يستحل مثل واضع القانون، ولذلك أهل العلم يقولون **الحاكم بغير شرع الله لا يكفر إلا إذا استحل.**

⇦ انظر للحالة الثالثة: لو كان هذا الحاكم لا يحكم إلا بشرع غير شرع الله ويلزم الناس بغير شرع الله، نقول أن كان هذا وصفه فهو والله أعلم يُكفر.

ما الفرق بين الثالث والثاني؟

- الثاني لا يعتقد أن شرع غير شرع الله أحسن من شرع الله ولا يحكم دائمًا بهذا القانون الوضعي بل أحيانًا.
- لكن الثالث ما حالته؟ يلزم الناس بالقانون الوضعي ويحملهم عليه، وهذا إشاره ودلالة على مكانة الحكم بغير ما أنزل الله في قلبه، وبعض أهل العلم قالوا الثالث لا يكفر.

⇦ ننظر إلى الحالة الرابعة حالة المتحكامين يعني يذهب هو وخصمه يتحاكمون إلى قانون، نقول هذه الحالة فيها تفصيل:

- أولًا إذا كان يريد المتحاكم أن التحاكم إلى طاغوت وله رغبة في ذلك، سنقول هذا دخل في الآية يكفر.
- الحالة الثانية إذا كان لا يريد التحاكم ولا يرضاه إنما أجبر على ذلك كما يحصل في البلاد الأخرى، هو الآن يعرف أن الحق ليس في هذا القانون، ولم يرفع الأمر إلى القانون لكن اضطر إلى ذلك لأن الثاني يخاصمة، لكن لو كان بالعكس؛ أن هذا الآن حقي وأريد أن اخاصمه عند القاضي يحكم بالقوانين الوضعية، نقول لو علمت أن القانون الوضعي يوافق الشريعة في الحكم هذا لا بأس به، يعني في مسألة انت تعرف أن القانون سيوافق الشريعة فلا بأس أن تقدم طلبك إلى القانون من أجل أن يحكم لك، ولو كنت لا تدري هل يوافق أو لا يوافق أو لا تعلم أصلًا كيف هي قوانينهم هنا نقول لك وهذا قول بعض أهل العلم أتركه ولو كان الحق لك، اتركه ولو كان الحق لك.

أربعة أحوال: هم ثلاثه للمتحاكم إن أجبر أن يختار بنفسه.

سنعيد الحالة الرابعة:

- إذا كان المحكوم الآن لا يريد التحاكم ولا يرضاه وإنما أجبر على ذلك، يعني أحد اشتكاه في المحكمة وأوتي به، هنا ليس له يد فيقبل بالحكم الذى ينزل عليه، أصبح في هذه الحالة جائز.
- أو علم أن أنا صاحب حق وعرفت عن طريق المحامي أنهم يوافقون الشريعة في هذا الحق، يعني لما سيحكموا لي سيحكموا بالشريعة أي أن قانونهم الوضعي يوافق الشريعة، فيذهب يطالب بحقه لأنه لن يأخذ حقه إلا كما في الشرع، هذه حالة ثانية وفيها هذا القول، أنه إذا كنت توافق الشريعة في أخذ حقك فخذه، وهناك قول يقول لك أتركه، لا تأخذه، يعني لا تقف عند باب هؤلاء مهما كان الثمن.
- الحالة الثالثة لو أن لك حق لكن لم يحكموا لك بما يوافق الشريعة، سيحكموا لك بما يوافق قانونهم الوضعي.

نعيد من جديد : حالة لا يريد التحاكم ولا يرضاه إنما أجبر على ذلك، الآن عندي حالة الشخص لا يريد التحاكم في بلد تحكم بغير ما أنزل الله وهو لا يريد التحاكم لكن واحد ادعى عليه دعوة واوتي به نقول في هذه الحالة انت مجبور لست مختار، في هذه الحالة جائز.

الحالة الثانية: أن يكون لك حق عند أحد وانت تعلم أن هذه الدولة قانونها يوافق الإسلام في هذه الحالة نقول يجوز لك أن تقدم الدعوة وتأخذها.

في الحالة الثالثة: نقول لك حق لكن قانونهم لا يوافق الشريعة سنقول لك اتركه من أجل الله.

وهناك من أهل العلم من يقول أيضًا في الحالة الثانية اتركه من أجل الله، لا تقف على بابهم أبدًا، حتى لو كان لك حق لا تذهب لهم وربما يكون هذا من الأسلم عند من كان قوي الإيمان.

سأذكر حالة رابعة من الحالات الأصلية: لما تكون حال الدولة التي تحكم بغير شرع الله وانت فيها التي هي دولة غير الإسلام ما مضى لك هذا الذى تفعله، لكن لو كان انت في بلد الإسلام ووجدت أنك ليس لك طريق إلا هؤلاء، يعني ليس لك طريق في أخذ حقك أو التعامل..

يعني عندي الدول نوعان: دولة إسلام ودولة كفر، لما تكون في دولة الكفر لا تتحاكم إلى أحد ارجع إلى بلد الإسلام، هذا لما تكون في دولة كفر.

الإشكال لو كنت في دولة إسلام وكانت تحكم بغير ما أنزل الله، يعني الدار دار إسلام لكن الحكم بغير ما أنزل الله، هنا سيقع الإشكال، لأن معناه ماذا سأفعل سيذهب حقي كاملًا، ولذلك في مثل هذه الحالات وهذه بلدك وتعلم أنهم يحكمون في هذا الأمر بغير ما أنزل الله لابد من الحالة نفسها التي انت فيها تطلب فتوى من علماء بلدك ماذا افعل، أنا لي كذا وكذا والحكم هنا بكذا وكذا.

	مشرع	يحكم به	يتحاكم إليه
تعريفه.	أن يكون هناك تشريع لقانون وهذا القانون سيكون مضاهي لحكم الله يعني يقابله، يضاهيه يعني الله عز وجل حكم في الربا بالحرمة فهذا يضاهيه بالحلية.	حالتان: ▪ الحالة الأولى: لا يعتقد أن شرع غير شرع الله أحسن من شرع الله ولا يحكم دائمًا بهذا القانون الوضعي بل أحيانًا. ▪ الحالة الثانية: لو كان هذا الحاكم لا يحكم إلا بشرع غير شرع الله ويلزم الناس بغير شرع الله.	ثلاثة حالات كلها تحدث في دولة كفر: ▪ أولًا إذا كان يريد المتحاكم أن التحاكم إلى طاغوت وله رغبة في ذلك. ▪ الحالة الثانية: إذا كان المحكوم الآن لا يريد التحاكم ولا يرضاه وإنما أجبر على ذلك، يعني أحد اشتكاه في المحكمة وأوتي به. ▪ الحالة الثالثة: أن يكون لك حق عند أحد وانت تعلم أن هذه الدولة قانونها يوافق الإسلام. ▪ الحالة الرابعة تحدث في دولة إسلام تحكم بقوانين غير إسلامية.

حكمه	هذا القانون من حيث وضعه كفر، فيصبح الواضع له والمشرع له يصبح كافر، لماذا كافر؟ لأنه جعل نفسه طاغوتًا للناس فشرع ما لم يشرع به الله.	▪ الحالة الأولى: أن الحاكم بهذا التشريع إذا حكم بالشرع الذى يضاهي شرع الله نسأله؛ هل انت تعتقد أن هذا الشرع مثل شرع الله؟ إذا أجاب فقال لا هذا لا يُكَفر، فإذا استدام العمل عليه أو نقول أنه عمل به مرة أو مرتين ولم يكن ديدنه للحكم به وهو عالم أنه عاصٍ مخالف لأمر الله هذا يكون ارتكب كبيرة ولا يكفر، متى يكفر؟ لما يستحل مثل واضع القانون، ولذلك أهل العلم يقولون الحاكم بغير شرع الله لا يكفر إلا إذا استحل. الحالة الثانية: نقول أن كان هذا وصفه فهو والله أعلم يُكفر.	▪ الحالة الأولى: سنقول هذا دخل في الآية يكفر. ▪ الحالة الثانية: هنا ليس له يد فيقبل بالحكم الذى ينزل عليه، أصبح في هذه الحالة جائز. ▪ الحالة الثالثة: حكمان جائزان: ⬖ في هذه الحالة نقول يجوز لك أن تقدم الدعوة وتأخذها. ⬖ وهناك من أهل العلم من يقول أيضًا اتركه من أجل الله، لا تقف على بابهم أبدًا، حتى لو كان لك حق لا تذهب لهم وربما يكون هذا من الأسلم عند من كان قوي الإيمان. ⬖ الحالة الرابعة: في مثل هذه الحالات وهذه بلدك وتعلم أنهم يحكمون في هذا الأمر بغير ما أنزل الله لابد من الحالة نفسها التي انت فيها تطلب فتوى من علماء بلدك ماذا افعل، أنا لي كذا وكذا والحكم هنا بكذا وكذا.

المقصود من النقاش كله أن لا تأتي وتكون جاهلًا بشرع الله وتقبل بالتحاكم إلى غير شرعه، فأي مسألة تدخلها مثلًا فلنقل انت مزارع كل ما يتصل بالإيجارة، والحصاد، وبالآلات، وبإيجارتها، بالتعامل بها بالسقي، كل ما يتصل بهذا لا تدخله وانت جاهل بأحكام المعاملات، يعني انت تستأجر أداوت للحراثة من شركة كذا، هناك قانون لو عطلت، لو كذا، هذه العين المستأجرة على من صيانتها، هذه الأمور كلها التفصيلية التي في صلب عملك لابد أن تفهم حكم الشرع فيها لابد، يعني العلم ينقسم إلى قسمين: فرض عين وفرض كفاية.

- فرض العين التوحيد وأركان الإسلام.
- وفرض الكفاية كل شيء غير هذا.

هذا بكلام عام لكن تتحول بعض الأمور لبعض الأشخاص من كونها فرض كفاية إلى فرض عين.

⇦ لما تكون المرأه معتدة، عدة الطلاق، سنقول لها أن أحكام المعتدة تصبح فرض عين عليكِ الآن، لا تاتي للأحكام الوضعية هذا نوع من التحاكم، يقولون لك ممنوع كذا، مسموح كذا، هذا نوع من التحاكم أن يحكموا لك في حال انت مطلقة ما يجوز وماذا لا يجوز، لأ لابد الشريعة.

⇦ امرأه مثلًا لها ميراث، فحقوقها مختلطة مع حقوق ابنائها، نقول لابد أن تفهمي بالضبط ما هو حقك وحق ابنائك.

⇦ انت الآن استأجرت أرض من أجل حراثتها أو استأجرت آلة من أجل حراثة الأرض، لابد أن تكون تفهم أحكام الإجارة، فلا يأتي احد يظلمك ولا يظلم الشركة.

⇦ لو نظرتي جيدًا تجدين أن غالبنا يدخل في شيء من الأحكام وهو لا يشعر، كما ضربت لكم مثال المرة الماضية، لو انت الآن في موقف وأحد رأي عليك قطعة من الذهب واستحسنها فبعتيها وانت في المجلس بدون من أن يعرف ثمنها بدون ما توزن يصح أو لا يصح؟!، اريد منكم أن تبحثوا يصح أو لا يصح مثل هذا، وهذا الكلام طلبته منكم المرة الماضية لو تتذكرون.

لو لم أطلب هذا هو الطلب؛ الآن لو في مجلس فيه قطعة ذهب بيعت بدون أن اعرف لا ثمنها ولا ثمن الجرام حاليًا ولا أي شيء، فأستحسنتها فعرضت ثمن وتقابضنا، يصح أو لا يصح؟!، ولو أنا اعطيتها قطعة الذهب ولم تعطني فلوسها يصح أو لا يصح؟!، اريد منكم أن تفهموا أن التحاكم إلى شرع الله يدخل في داخل حياتنا، أمور كثيرة في داخل حياتنا تستلزم منك المعرفة بالأحكام.

الآ الأجهزة – مثلًا – إلتقاط الشبكات النت التقاطها يعتبر نوع من أنواع السرقة، تعدي، فيأتي احد يقول متخيل أنه حكم بالسرقة على شيء عيني ليس على المصالح، والآن أصبحت هواءًا، لأن الذى يفهم ففي المسألة جيدًا يعرف أن كونك تلتقط شبكة من شبكة مفتوحة معناه تؤثر علي صاحب الشبكة، يعني لو كان يستطيع مثلًا أن يفعل مائة عمل لو شاركته سيستطيع أن يفعل خمسين عمل، أي سرقت نصف حقه مثلًا، فأصبح من الحقوق، لا تتحاكم إلى رأيك ورأي زملائك!، لابد من التحاكم هنا إلى الشرع، فهذه منفعة شاركت صاحبها فيها دون إذنه وسببت له الضرر، فما حكم الشرع في مثل هذا؟!.

⇦ الآن الناس يستأجرون من بعضهم أشياء لم تكن في الزمن الماضي يستأجرونها، يستأجروا من بعضهم أجهزة، يستأجروا من بعض أقراص، فكيف نتعامل بها؟!، اليوم مثلًا ياتيك الكلام حول النسخة الأصلية وحول الغش والغبن الذى يحصل من النسخ، كل هذا به حكم لله، لا تتعامل معه كأنك جاهل لا تعلم حق الله فيه.

الذي يهمنا الآن أن تتصور المسألة على حقيقتها، وأن التحاكم إلى ما أنزل الله أمر يختلط بحياتنا فنحن نأخذ آراء بعض في كثير من الأحيان، مثلما أقول لك في مسألة الشبكات، في مسألة الأجهزة أو الأقراص الممغنطة، لا يمر على خاطرنا أن نسأل أهل العلم ونرى حكمها، فهذا نوع.

⇦ ونوع أخر البيع والشراء الذى يصبح خفي في البيوت وبين الناس؛ بيع الذهب بدون تقابض في مجلس واحد، إلى أخره، أنواع من البيوع ولا يجري عليها ما أمر الله به ومن ثم تأتي الخصومات أو يأتي أحد يحكم يقول ما دام انت راضية وانت راضية لابأس!، هذا حكم بغير ما أنزل الله.

⇦ أيضًا من الأحكام بغير ما أنزل الله ما نجده في عادات كثير من البلدان من القرى أو البدو، يأتون فيحجرون البنت على ابن عمها، ويمنعونها من زواج غيره، وهذا يكون من حكمهم عليها، فترى أن الناس تعدوا بعاداتهم وتقاليدهم حكم الله.

المرأة في بعض البلدان لا ترث أبدًا!، أو يأتي من جهة أخرى إلى بعض ابناء في القبائل لا يجري عليهم أحكام الشريعة!، مثلًا إذا وقع سرقه أو زنا فيتفادون، يعني يفدي قطع يد ولده بمائة ناقة، يكتشفوا مثلًا أن الابن وقع في الزنا لو كان محصنًا يتفادوا جلده بكذا من النوق، أو بكذا للذى وقع على ابنته هذا الأمر!.

فتراهم يستغنون عن الأحكام الشرعية وكأنهم يتصورون أن المهم إرضاء الأطراف، يعني لا يتعبدون بالحكم إلى ما أنزل الله وهذا يصور لك من الواقع الشيء الكثير من التجاوز.

تأتينا مشكلة أخرى في الأحكام الاعتقادية وهذا ما أريد أن اناقشه في المسائل الجاهلية، فتجد أنهم كما يحكمون في الخصومات المنازعات المادية يحكمون في الخصومات والمنازعات الفكرية الجاهلية.

لو نظرنا في رسالة مسائل الجاهلية يأتيك كثير من الصور التي فيها تحاكم إلى غير شرع الله موجود بيننا، أريد منكم أن تفهموا هذه المسألة جيدًا، اقصد أن التحاكم إلى غير ما شرع الله يكون في الخصومات بين الناس على أشياء مادية، ويكون أيضًا يتحاكموا إلى غير ما أنزل الله حتى في اعتفاداتهم في أسلوب تفكيرهم.

نضرب على ذلك مثال؛ تراهم يستدلون على بطلان الشيء لأن من اتبعه كان ضعيفًا أو فقيرًا أو سفيهًا في نظرهم يعني، فيحكمون هذا الحكم، ويتركون الدخول إلى الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء، يستدلون على بطلان الحق بسبق الضعفاء!، أيضًا لا يقبلون من الحق إلا الذى معه طائفتهم، فهذا كله وغيره كثير مثلًا الاغترار بالأكثر، ويحتجون به على صحة الشيء، كل هذا أحكام تخالف الشريعة أحكام عقلية.

على كل حال المقصود أن لابد أن ترمي ورائك كل ما كان على الجاهلية من طريقتهم في التحاكم في الخصومات ومن التحاكم في الأمور العقلية، فلا تجعل الكثرة تشعرك بصحة الأمر ولا تجعل القله تقدح في صحة الأمر!، ولا تعتذر عن اتباع الحق لأنك ترى اتباع للحق مخالفين، هذه من من أمور الجاهلية؛ أن تترك اتباع الحق لأنك ترى متبعين للحق مخالفين.

من أمور الجاهلية التعبد لله بكشف العورات فترى الناس اليوم يحكمون على كشف العورات بالتحضر والتمدن يطابقون في ذلك أهل الجاهلية ويخالفون أمر الله!، أقصد لابد أن تنسلخ من أي حكم في المخاصمات أو أي حكم عقلي على مسألة وتطابق ما أمرك الله به.

على كل حال أشعر أن الأمر لم يأخذ حقه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لازلنا بفضل الله ومنته ندرس في كتاب التوحيد، ولازال هذا الباب الشائك الذى كثرت فيها الإشكالات والواقع تراه مليء بالحوادث منه، وهو باب : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنهم آمَنُواْ بِمَا أنزل إِلَيْكَ وَمَا أنزل مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ﴾.

المرة الماضية اتفقنا أنه سنناقش الباب مرة أخرى بشيء من التفصيل لكن قبل أن أصل إلى مناقشة أدلة الباب أريد أن اذكركم أننا نعيش آثار في حياتنا من عدم فهم هذا الباب وعدم تطبيقه، والعيش في هذه المسألة كما يحب الله ويرضى فأنت ترى اليوم من آثار ترك التحاكم إلى ما أنزل الله وتسمع ما يزيدك يقينًا بالأستغناء بكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شيء.

وأكيد أنكم عشتم أمس لحظات الكسوف الذى وصل في بعض أنحاء العالم أن يكون كسوفًا كليًا وفي بعضها في المملكة ودول الخليج كان كسوفًا جزئيًا، بالنسبة للملكة بلغ في جنوبها نسبة ٣١% من الشمس غطيت، وكلما ارتفعنا شمالًا كلما قل ظهور هذا الأثر.

غير أنكم سمعتم ورأيتم في وسائل الإعلام الزلزال الذى ضرب جزيرة هايتي في أمريكا الجنوبية، وغير ما ستأتي به الأحداث من بلاءات عظمى ونكبات وفساد في الأرض وخراب لها، ولابد أن تعلم أن زلزال مثل زلزال هايتي لم يأتي من قبل خمسين سنة، يعني أن يكون قدر الزلزال سبعة رختر هذا أمر بعيد، من زمان لم يحصل، وأن تكسف الشمس هذا الكسوف الذي يسمونه كسوفًا حلقيًا، بحيث لا تظهر الشمس إلا حلقة، وإن كان ظهر في بعض مناطق العالم أنه كسوف جزئي يعني هو يظهر في أماكن أنه جزئي ويظهر في أماكن أنه حلقي، حلقي يعني لا ترى من الشمس إلا حلقة مضيئة والباقي كله ظلام، هذا الكسوف من هذا النوع ما حصل قبل مائة عام.

ولاحظ تتابع الأحداث، تتابعها يعني لن يقول لك أبدًا أن الله راض عن أهل الأرض، سيخبرك أن الله عز وجل ساخط عليهم ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ فأنت انظر إلى حالك وحال النذر المتكررة، والله ما نرفع رأسنا من إنذار إلا ويأتينا أخوه، متتابعة، وهذا كله ونحن أحياء آمنين، نتمتع بصحتنا وعافيتنا ونُدعى إلى الله، وييسر الله لنا كثير من طرق الوصول إليه، فما بالنا قست قلوبنا وأستبعدنا النذر عنا!، وكأننا ننتظر نوع معين من النذر وكأننا نقول كلما جاء نذير أننا سنتفاداه بكذا وكذا!، فهؤلاء يتفادون السيل بأن يبحثوا عن مناطق مرتفعة، وهؤلاء يتفادون الزلزال بأن يبنوا مباني خفيفة، وهؤلاء يتفادون آثار الكسوف والخسوف على الشواطىء والبحار بكذا وكذا من الآلات، وانت أيُّها المؤمن تعلم أن لا عاصم من أمر الله إلا من رحم، فلا يأخذك أسبابهم ولا يغرك كلامهم، فأنت تعلم أنك محفوظٌ بحفظه، قد كلئك الله برعايته لكن أين شكره وذكره وطلب مرضاته؟!.

والحقيقة من الأشياء العجيبة التي هي من أرزاق الله أن يكون أحد الآيات في هذا المتن في كتاب التوحيد وفي هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ الآية الثالثة في هذا الباب.

وكنت اتأمل ما الفرق بين آية البقرة وآية الأعراف، فآية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنما نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ،وكانت في سياق الكلام عن المنافقين وإدعائهم الإصلاح الكاذب.

الفرق بينها في البقرة وبين آية الأعراف، فلما تنظر في السياق يتبيَّن لك لماذا استشهد بالآيتين مع أن النتيجة واحدة وهو أن نقول أن التحاكم إلى غير ما أنزل الله هو الإفساد في الأرض.

لكن لو نظرت لقوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنما نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ لتبيَّن لك أن المقصود أن هؤلاء الذين يتحاكمون إلى الكفر والطاغوت من آثارهم الإفساد في الأرض، لأنهم يعصون الله، فلما قال الله عز وجل لهم في آية الأعراف .. الآن في آية البقرة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنما نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ فالمنافقين يقولوا ﴿لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ﴾ ، يرد المؤمنين فيقولوا ﴿إِنما نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

فهذا خطاب المؤمنين لهم يقولون لا تعصوا الله في الأرض لأن من عصى الله فقد أفسد في الأرض لأن إصلاح الأرض والسماء إنما بطاعة الله ورسوله.

وانت لما تقرأ في قصة يوسف عليه السلام في حادثة السرقة ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾[٥٥٦]، فهذا دليل على أن كل معصية في الأرض تعتبر فساد في الأرض.

فالتحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين وهو من الإفساد في الأرض، ولا تغتر بأقوالهم، فأقوال أهل الأهواء وإن زخرفوها بالدعاوى فهي في حقيقتها باطلة هم يقنعون أنفسهم ويقنعونا أنهم لا يريدوا إلا صلاح البلاد والعباد والتطور والتحضر والوصول إلى مراقي الأمم، لكنهم في حقيقتهم يأخذونا إلى الهاوية، يريدون أن ينتشر الباطل والكفر بين المؤمنين، فاحذر أن تدخل في الفتنة واحذر أن يتحول ما كان بالأمس محرم عندك بسبب كلامهم احذر أن يتحول فيكون حلالًا، واحذر أن تدخل في شيء مثل الاختلاط، أو في شيء مثل تحكيم القوانين الوضعية، أو مثل تربية الأبناء على الفكر المخالف.

والله ما لنا إلا أن ندعو الله أن يكشف الغمّة ويذهب بهؤلاء المفسدين من البلاد والعباد، ويخمد فتنتهم ونارهم ويحرقهم بها ويجعل تدبيرهم تدميرهم، فأصعب أنواع الابتلاء أن يكون عدوك من داخلك وبجانبك ويخاطبك بكلامك، ويعاتبك بأحداث فتنوا بها أنفسهم وفتنوا بها غيرهم ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ﴾ !

فهؤلاء المنافقين امتلأت قلوبهم ارتيابًا وتربص بالمؤمنين فيفرحون بصورة شائنة من خطأ من المستقيمين وخطأ يكون فادح لا بأس لكنه لا يدل أبدًا على أن ما شرع الله لا يناسبنا!.

المقصود الآن أن آية البقرة فيها خطاب من المؤمنين إلى المنافقين ألا يفسدوا في الأرض، والإفساد في الأرض إنما هو بالمعاصي، فمطلوب منك ألا تغتر بما زخرفوه من أقوال مادام أنه لم يكن على صحة قولهم دليل، وما أكثر من يصدق بالكذب ويكذب بالصدق! وهذا من الفساد، ويترتب عليه فساد عظيم عريض، يخرج العبد عن الحق ويدخله في الباطل.

-نسأل الله عز وجل العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة-

ولو تدبرت أحوال الناس ستجد الأكثر إلا من عصمه الله ومّن عليه بقوة الإيمان، ورزقه عقلًا واعيًا يرده عن الشهوات، ورزقه بصرًا ناقضًا عند ورود الشبهات، فتجد هؤلاء مباركين أينما كانوا وأنا أتوسل إلى الله أن يجعلني ويجعلكم مما هو مُبارك على نفسه وأهله

[٥٥٦] يوسف:٧٠-٧٣

وبلاده، فوالله ما نرى من نذر الله إلا أن فسادًا حلّ بالأرض، واتى غضبٌ من الرب وشجرة الإيمان والتقوى ضعيفة، انشغلت بنفسها عن ربها وعن إصلاح الأرض. – يا ربنا قوي فينا وفي بناتنا وشبابنا الإيمان ودواعيه وسخر لنا من أسباب نشر الدين ما يجعلنا سببًا للبركة على أنفسنا وعلى غيرنا .. اللهم آمين –.

الدليل الثالث.

وقوله: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾[٥٥٧].

تأتي الآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ في الأعراف، توجه آية الأعراف خطاب من الله للمؤمنين، لكن لو نظرت إلى سياقه سترى الفرق بين آية الأعراف وبين آية البقرة.

آية الأعراف لما خاطب الله المؤمنين فيها؛ ماذا قال لهم في أول السياق؟ أمرهم بدعائه سبحانه وتعالى وقال لهم: ﴿ ادْعُواْ رَبَّكُمْ﴾.

كيف تدعونه؟ ﴿تضرعًا تَضَرُّعًا ﴾ ما معنى أن تدعو ربك تضرعًا؟ منكسرًا ذليلًا، ترى نفسك لا تستغنِ عن ربك أبدا، مستكينا، منكسرًا بين يديه، ترى شدة فقرك إليه، وتعلم حقيقة أن لا حول لك ولا قوة إلا به تدعوه تضرعًا.

وادعوه ﴿وَخُفْيَةً﴾ يعني اخفض صوتك وانت ساكنٌ متعبد بهذه العبادة بينك وبين ربك.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ والمقصود كما ذكر كثير من الشراح ألا يقع منك اعتداء في الدعاء ومنه ألا تدعو على المؤمنين والمؤمنات، ومنه ألا تسأل منازل الأنبياء.

على كل حال مقصودنا أتى بعد ذلك، قال الله عز وجل ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا أن رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِين * وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ ثم ذكر عظيم نعمائه على العباد.

فما الفرق بين هذا السياق والسياق الأول؟ من المؤكد أنه تبين لكم أن المقصود هنا خطاب إلى المؤمنين، وكأنه يقال كأنه يوصف حالتين:

فلما أرشد المؤمنين إلى دعاءه الذى هو صلاحهم في دينهم ودنياهم، وارشدهم إلى الدعاء متذللين مستكنين منكسرين، دافعين عن أنفسهم الكبر وإرادة العلو، نهاهم في مقابل ذلك عن الإفساد في الأرض وهو ضدّ ما أمرهم به.

فكيف تفهم المسألة؟ ادعو ربكم تذللًا واستكانةً وسرا، وإذا وقع منكم ذلك التذلل والإستكانة والسر ستجد نفسك متعلقًا بربك معظمًا له، فتخرج عن أن تفسد في الأرض، لأن سبب صلاح الأرض ائتمارك بأمره، وتركك لأمره وعبادته والإستكانة له هو سبب خراب الأرض.

فإذا علمت هذا تبيَّن لك أن الإفساد في الأرض الواقع اليوم بالشرك والمعاصي بعد إصلاح الله لها ببعث الرسل والأمر بالتوحيد والأمر بطاعة الله والنهي عن المعصية جريمة عظيمة .. جريمة عظيمة!.

[٥٥٧] الأعراف:٥٦

اصلح الله الأرض بالأنبياء والرسل ومن ورائهم يدعون إلى ربهم والى التوحيد، فأفسدها أهل الشهوات وأهل الشبهات وعلى رأسهم دعاة الضلال وأهل الشرك، وهم مصيبتان علينا، فأهل الشهوات وفسقهم وإرادة تضيع المجتمع، وتصور أن الحضارة هي عدم الإكتفاء بقال الله وقال رسوله، ومن جهة أخرى تأتينا مصيبة الشرك التي هي أعظم، وانتشارها واعتقاد أنها طريق الوصول إلى الله.

ولاحظ أن الله عز وجل بعدما امرنا بدعائه ونهانا عن الإفساد قال: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ فدلّ على أن الإحسان في العباده والإستقامة عليها لايتم إلا بالخوف والرجاء، وحينئذٍ تكون رحمة الله قريبة منك ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وعلى كل حال كونك تكون قريب من ربك ومن رحمته هذا غاية الأماني أن بلغك الله إياها.

فخرج معنا من هذا السياق أننا أمرنا بالإستكانة، ونهينا عن الإفساد في الأرض، ماذا يقربنا من عدم الفساد ومن الإحسان؟ أن ندعوه ونعبده خوفا وطمعا، وانتم تعلمون أن كلمة دعاء في كتاب الله تعني المعنين: دعاء العبادة ودعاء المسألة.

ثم رغبنا سبحانه وتعالى في هذا الأمر ونبهنا أن صلاح الأرض بصلاح العباد يأتي ورائه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ كأنه يقال لاتعصوه في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث والنسل بمعاصيكم، أو يرسل عليكم من الماء ما يكون سببًا لهلاككم.

وهذا كله يدلك دلالة واضحة ويفسر لك تفسيرًا بينا تتابع الأحداث العظيم الذى نعيشه من انتشار الأمراض، وانتشار الزلازل، وتتابع الخسوف والكسوف، وما تراه من آثار السيول، ولازال الناس يتهددهم اليوم أنواع وأنواع من البلاءات، فكلما استعدوا لوقوع بلاء أتاهم الله بغيره ليريهم عظيم قدرته وليرد مكرهم بمكره، فالعباد استعظموا انفسهم فأراهم الله عظيم قدرته، الله المستعان.

على كل حال؛ لابد أن تعلم وانت تتدبر أحوال العالم ستجد أن كل صلاح في الأرض سببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله وكل شر في العالم وبلاء وفتنة وقحط وتسليط عدو سببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله .

ما علاقة هذان النصان بهذا الباب ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ﴾؟ علاقتهم أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعظم ما يفسد الأرض من المعاصي.

والفارق بين الدليلين -والله اعلم- يعني هذان الدليلان ليس من باب التكرار لأن انت من الدليل الأول سيتبيَّن لك أن التحاكم إلى غير ما أنزل الله من الإفساد، لكن أتى في سياقين:

- سياق أن هذا الإفساد يكون من المنافقين في آية البقرة.
- وفي الأعراف يظهر لك أن هذا الإفساد ممكن يكون من المؤمنين لكنهم عصوا الله بغير تحكيم شرعه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ فتبدأ المسألة بأن القوم لا يستغنون بالكتاب والسنة عن كل شيء غيرهما، لا يستغنون، ويجدون في أنفسهم أنهم لازالوا في حاجة إلى الكتاب والسنة.

بهذا نكون فهمنا الدليل الثاني والثالث بالتفصيل، نربط الآن الدليل الثاني والثالث بالدليل الأول في نفس الباب.

الله عز وجل في الآية الأولى التي ابتدء بها الشيخ الباب ذكر وصوفات لهؤلاء القوم الذين هم مفسودن في الأرض فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ ونحن مررنا المرة الماضية على يزعمون ونكرر هذه المسألة من جديد من أجل أن تفهم أن من بدآية الآية يتضح الدليل.

﴿يَزْعُمُونَ﴾ لفظة تستعمل مع من يدعي الشيء.

وقال الجرجاني في تفسير هذه اللفظة: هو قول مع علم.

وقال ابن الأنباري: أنه يستعمل في القول من غير صحة.

يعني هو يقول شيء يعلمه كلام جميل كما قال الأنباري، يقول شيء يعلمه لكنه كما قال الجرجاني، قال يزعمون يزعم قول مع علم، يعني يقول شيء يعلمه، الانباري يقول يستعمل في القول من غير صحة يعني يقول قولًا صحيحًا يعلمه لكنه ليس صحيحًا في قلبه.

على كل حال؛ فهمت الآن أن هؤلاء يزعمون، ماذا يزعمون؟ ﴿يَزْعُمُونَ أَنهم آمَنُواْ بِمَا أنزل إِلَيْكَ وَمَا أنزل مِن قَبْلِكَ﴾ إذن هذه الآية تصلح على مَن؟ قوم يزعمون بأنهم آمنوا ثم يفعلون ما يخالف ما يزعمون.

ما هو الفعل المخالف؟ ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾

فهذه تصلح على صنفين من الناس:

- على منافقين يدعون الإيمان وهم في حقيقتهم باغضين له.
- وتصلح أيضًا على قوم ادعوا الإيمان، تبين لهم حقيقة الإيمان لكن اتوا إلى هذا الإختبار -اختبار التحاكم- فتبين ضعف ما قام في قلوبهم من الإيمان.

وكلاهم سيكون مفسدٌ في الأرض.

فأنت ترى الآن أن القوم يزعمون الإيمان ومن أجل ذلك نقول لك لا تغتر بأقوالهم وأن زخرفوها فهم يدّعون الإيمان ليس الإشكال هنا، لكن الإشكال في الإختبار أنهم يزعمون أنهم آمنوا لكن ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ من يدفعهم؟ من ورائهم؟ هنا الإشكال، ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ إذن من دعى إلى تحكيم غير الله تعالى ورسوله فقد ترك ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ورغب عنه، مقدمة ونتيجة لا يمكن أن ينفصلان:

دعيت إلى تحكيم إلى غير ما أتى الله ورسوله وتركت ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم⇦ وبذلك تكون جعلت لله شريكًا في الطاعة وخالفت ما جاء به الرسول.

﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الآن اربط المسألة جيدًا بتوحيدك، التوحيد هو أساس الإيمان الذى تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه.

ما المطلوب منك؟ المطلوب منك ﴿يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَ﴾ لما تتحاكم إلى الطاغوت معناه ما كفرت به، لأن الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أن يَتَحَاكَمُواْ إلى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أن يَكْفُرُواْ بِهِ﴾ متبين يعني انت أتيت إلى هؤلاء.

ما هو الطاغوت؟ الطاغوت هو كل من طُغى به، كل من تعُدي الحد به، فهذا صاحب الملك ولا القاضى ولا السلطان ولا رئيس العشيره ولا الأخ الأكبر كل هؤلاء لهم حدودهم فلما تتعدى بهم حدودهم تكون طغيت بهم، والمطلوب منك أن تكفر بهم.

سأضرب لك مثالًا من أجل أن تتصور؛ الآن مسألة مثل مسألة الميراث، الميراث الآن له طريقة شرعية في تقسيمه، لا يفقهها إلا طالب علم ومتمرس أيضًا، حتى لا يكفي يكون طالب علم يجب أن يكون متمرس من أجل أنه يكون هناك مسائل دقيقة، فتصور أن تكون في وضع أصبح لك ميراث، أخوة توفي عنهم والدهم، أم وأخوات وأولاد وأعمام توفي عنهم والدهم بقى الميراث، اتفقوا أن

يجتمعون فيتقاسمون، واحد يقول أنا أريد كذا، وواحد يقول أنا أريد كذا، اتركوا لي عمارة وانت خذ الفيلا، وانت خذ كذا، هؤلاء اتبعوا عقولهم، واتبعوا هواهم، فأصبح إلاههم هواهم وأصبح عقلهم طاغوت عُبد من دون الله.

هذه الصورة انتم تعلمون أنها متكررة، كثير من الناس يتصورون أن لجوئك إلى تقسيم الميراث أمرًا اختياريًا، وانت مطلوب منك إذا اصطلحتوا على شيء لا بأس خلاص اصطلحوا وكل واحد يأخذ ما يرضي هذا الشخص وانتهى الموضوع!، تكون بذلك ضللت وبعدت عن الحق وافسدت في الأرض وانت لا تشعر بعظيم جرمك، ألم تعرف أن التوحيد أساس الإيمان؟!، ولا يأتي التوحيد إلا بالكفر بالطغيان؟!، فما بالك عظمت عقلك وهواك واتبعتهما!.

وهذا الأمر يحتاج إلى توعية، الناس يجب أن يتكرر عليهم مثل هذا من أجل أن يتوعوا أن هنا ثغرة عظيمة، وذكرت لكم سابقًا أن في أحيان كثيرة يحصل أنواع من البيوع باطلة!.

علمنا الآن أن هناك صور متكررة من هذا النوع من التحاكم، ويحصل كثير في المجالس أن يتحاكموا الناس إلى غير ما أنزل الله في البيوع وفي الميراث وفي أشياء دقيقة تتكرر والناس لا يحررونها حكمًا في شريعة الله، مثل ما يحصل في هذا المثال ذكرناه سابقًا مثل ما يحصل من بيوع في المجالس بين النساء في بيع الذهب، فتحصل أنواع من الأخطاء منها تبيع شيء لا تعرف تقديره الآن، منها أنهم لا يتقابضوا يعني هي تأخذ .. نسأل الله عز وجل أن يبارك لنا في هذه الوسائل وأن لا يحرمنا بذنوبنا [٥٥٨]

نكمل الآن وجه دلالة الدليل الأول وارتباطه بالدليلان؛ اتفقنا على أن الطاغوت ما عُبد من دون الله واصله الطغيان وهو تجاوز الحد، واتفقنا أن من دعى إلى غير تحكيم الله ورسوله فقد ترك ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن وراء هذا الشيطان ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ يعني التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويزينه لمن أطاعه.

ومعناه أن هذه أحد الوسائل القوية التي يدخل بها الشيطان على بني آدم، فقد أوكد بالمصدر في الآية ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ يضلهم ضلالا: يعني يبين أن ذلك يضل به الشيطان مما أضله، فأكده بالمصدر ﴿يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

- أكده بالمصدر يضلهم ضلالا.
- ووصفه بالبعيد ﴿بَعِيدًا﴾

فدلّ ذلك أن التحاكم إلى غير ما أنزل الله من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى.

إذن في هذا التقرير أن هذا من الشيطان أربعة أمور:

- ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ﴾ أي التحاكم إلى غير ما أنزل الله أنه من إرادة الشيطان.
- أنه ضلال.
- تأكيده بالمصدر.
- وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى.

وهذا يجعلك تؤمن بعظمة القرآن، وتفهم كيف أن فيه أعظم البيان وأبلغه، لكن نسأله أن يجعل لنا قلوبًا تعقل وتفقه أمره سبحانه وتعالى.

---

[٥٥٨] فصل التسجيل هنا.

ثم اتت الآيات بعدها ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ هذا دليل على أن هذه صفة المنافقين، وأن من فعل ذلك أو طلبه – يعني من حكم أو طلب التحاكم – فهو من أهل النفاق وهو بعيد أبعد ما يكون عن الإيمان وإن زعم أنه مؤمن، فهذا كله يعيد حساباتنا تجاه انفسنا وتجاه من نغتر بهم، وتجاه من عظموا عندنا، وهم أقل ما يقال في وصفهم أنهم فسقه منافقين، يدعون الناس إلى تحكيم غير شرع الله في حياتهم، وفي بيعهم وشرائهم، وفي معتقداتهم، وفي كل أمورهم.

يقول ابن القيم في هذه الآيه:

هذا دليل أن من دعى إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى فإنه من المنافقين.

ولاحظ أن الله عز وجل قال في وصفهم ﴿يَصُدُّونَ﴾ يعني يعرضون.

ولو نظرت ستجد أن أكثر الناس يعيشون مثل هذا وهم لا يشعرون بخطأهم وجريمتهم، فإن كثير من الناس صدوا عما توجبه الأدلة من كتاب الله وسنة الرسول إلى أقوال من يخطأ، وترى هذا ظاهر سواء في تحكيم كثير من المذاهب، يعني انت تعلم أن المذاهب يقع فيها شيء من الخطأ والمطلوب منك ألا تتابعهم متابعة عمياء، المطلوب منك أن تتابع قال الله وقال رسوله.

على كل حال؛ بهذا يكون تبين لنا بشيء من التفصيل الثلاثة الأدلة الأولى في هذا الباب.

نأتي إلى الدليل الرابع ولا تنسى بعد أن مررنا على هذه الثلاثة الأدلة لا تنسى هذا العلم، انت اليوم ترى في الواقع إفسادًا في الأرض وترى آثار هذا الإفساد في أماكن لا تعد ولا تحصى، فلابد أن تعلم أن هذا الإفساد ورائه أعمال، يعني ما تراه من فساد وإفساد في الأرض من المؤكد ورائه أعمال، ما هي هذه الأعمال؟ **على رأسها التحاكم إلى غير ما أنزل الله.**

أين وكيف؟ في كل ديار المسلمين، كيف؟ أهم مصيبة نعيشها الإعراض عن كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، إلى ماذا؟ إلى الأقوال والآراء والفلسفة، فترى من آثاره الشرك، وترى من آثاره فساد الأخلاق، ترى من آثاره البعد عن أحكام الشريعة في البيع والشراء واستبدالها بالربا، البعد عن الشريعة في تفاصيل الحياة الأسرية.

كل هذا يعلمك أن القوم تركوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم وتركوا تعظيمها فكان هذا الذي تراه من فساد وتسلط أهل الإفساد علينا ترجمته هذا أننا اعرضنا عن كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت النتيجة من فساد ومن تسلط أهل الإفساد.

تبين لنا أيضًا علاقة المنافقين بهذه الصورة، كيف يدخلون إلى المجتمع ويفسدونه، كيف يكتشف الإنسان أنه عنده شيء من النفاق، كيف يكتشف؟ لما يقال لك تعال هذا أمر الله، اسمع إلى ما أنزل الله، فتجد نفسك قبل أن تناقش الموضوع، قبل أن تعرف وجه لدلالة، ولا تعرف هذا الكلام صحيح ولا فيه من العلماء عليه رد، قبل هذا كله ليس هناك في قلبك تعظيم لمتابعة السنة.

ممكن أحد يأتي يقول لك ترى هذا أمر تجده في كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وتعال انظر معي إلى الدليل سيتبين لك، ممكن لا يتبين لك، ممكن المفسرين له قول أخر غير هذا القول، ممكن أي شيء، وممكن أن تصل أن دليله ليس صحيحًا، لكن المرحلة التي قبل أن تصل أن دليله ليس صحيحًا ما هي؟ أنك لا تستجيب لأمر الله، أنك تجد في نفسك حرج، هذا الأمر لا يتابع هواك، فمن أول الأمر تقول له لأ، تجد في قلبك إعراضًا، فانت من أول الأمر لا تريد أن تذهب معه إلى الدليل.

فإذا أتى الدليل لا يدل دلالة واضحة وقوية على المراد، أو أن هناك مخرج إلى اليمين أو إلى اليسار تجد في نفسك فرحًا شديدًا لأنه وافق هواك!!، فهذه المصيبة! ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إذا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أن اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾!

فالقضية أول ما يقال لك تعال إلى كتاب الله، تعال إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وانت ترفض التحاكم، لكن لو هناك أمر انت عشت تعتقده، ثم قيل لك الأدلة لا تدلّ عليه، ماذا تفعل؟ هل تقول لأ ما اعتقده هو الصواب وما أتيتم به من أدله هو الخطأ!، أم هل مباشرة تغير رأيك إلى ما قالوا؟! لأ لا هذا صواب، ولا هذا صواب.

الآن قضية مثل قضية الأختلاط؛ هذه القضية مصيبة العالم الإسلامي، ونحن نرى من شمال المدينة وجنوبها آثار هذه المصيبة، ونعلم وأهل تلك البلاد كلهم يعلمون آثار الأختلاط وإلى أي درجة أفسد القلب، وربما من كثرة تكراره أصبح الناس لا يشعرون، حتى وإن كانوا مستقيمين لكن لا يشعرون بخطورة الأختلاط.

لما يأتي الآن أحد وهو في صورة طالب علم، ويقول لك أن الأدلة لا تدلّ على أن الأختلاط محرم، ويكلمك بالدليل، وانتم تقولون تعال إلى الدليل، والدليل أهم شيء، وها هو الدليل يدل على هذا الشيء، نقول: ليس كل من أتانا بدليل سنقبل دليله لكن كل من أتانا بدليل من الكتاب والسنة، سنحترم دلالة الكتاب والسنة أي سنحترم دعوته إلينا، يعني يقول تعالوا إلى سنحترم الكتاب والسنة نقول نعم سأأتي منكسرًا ذليلًا بين يدي دلالة الكتب والسنة لكن المهم هل هذا هو الذى يدل عليه الكتاب والسنة أم لا.

لاحظ أن هناك مرحلتين ستمر بها المرحلة؛ المرحلة التي نناقشها طوال هذا الكلام هي استجابتك المباشرة لما يقول لك أحد تعال نتحاكم إلى كتاب الله، نقول نعم، كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مثل السيف الذى على عنقي أقبله خاضعًا منكسرًا ذليلًا، مادام هذه دلالة الكتاب والسنة، ثم اذهب إلى الكتاب والسنة معه وانظر إلى الأدلة التي استخدمها، وإذا فهمت أن قلبك موطن صلاحك، وعلمت أن الله يعلم المفسد من المصلح؛ لما تذهب إلى الكتاب والسنة وتنظر إلى أدلتها وترى بعين البصيرة أنك تريد الحق، والله ما يخذلك الله!، ويرشدك إلى مَن يرشدك للحق، انت تنظر للدليل تقول والله شككني قد يكون على وجه نظرة صحيحة، نقول لا تتعجل هذه العجلة، هات الدليل وانت تتعبد إلى الله بعبادة إرادة الحق، ثم اسأل الفقهاء واسأل العلماء، واسأل الكبار بالذات، والذين يظهر عليهم البعد عن الشهوات والشبهات، وسيريك الله، ولابد أن الله يقيض أقلامًا تظهر لك الحق، فإذا كنت صادقا أراك الله الحق.

وعلى كل حال؛ هذا من التلبيس الذى نعيشه، وهذه المقال التي نزلت في جريدة، وأولًا تستعجب أن جريدة تفرد لها صفحة كاملة من أجل أن ينزل فيها بحثًا علميًا، لكن لأن أثر البحث العلمي سيقول انفلتوا يا جماعة، يجوز لكم أن تختلطوا، لا بأس من الأماكن المختلطة، لا بأس أن يعمل الرجال والنساء فلأن هذه النتيجة التي ستخرج تركوا له صفحة كاملة يكتب ما يريد.

لكن الله عز وجل قيض من يرد عليه كتابة وفي الإعلام، قيض له من يرد عليه، وهذه المقالة كتبت الأربعاء رد عليها يوم الجمعة مباشرة رد عليه، وقال كثير من طلبة العلم أنه سيكتب وكتبوا مقالات كثيرة، والله جعل مكرهم عليهم فزاد وضوح الأمر عند من أراد الحق.

ألم يختلط على غيرهم؟! نعم اختلط على غيرهم، واشتبه عليهم، ووجدوا ناس في المقالة ما يريدون وما يوافق هواهم، لماذا يحصل هذا؟ يحصل لأن الله قال في كتابه مبين حال الدنيا، ومبين حال الدعاوى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا

يُفْتَنُونَ﴾ لابد أن تفتن، ولابد أن يرى الله عز وجل من قلبك إرادة الحق، انت عيش تريد أن تحُكم شريعة الله على تفاصيل حياتك، تعبد الله بهذا.

دائمًا اجعل هناك سؤال في عقلك في هذا الموقف ما الذي يحبه الله؟!، ما الذي يريده الله، ما الحكم الصحيح على تصرفي؟!، هل أنا فعلت ما يوافق أمر الله؟!، والله لو عشت بهذه النفس راجيًا تاليًا ذاكرًا لابد أن يسددك الله، فأجعل نفسك نشطة تحب رضا الله، وأتلوا كتاب الله متابعًا متدبرًا مريدًا رضاه، وأكثر من ذكره سبحانه وتعالى، وشكره يزيد لك من النعماء وأعظم النعماء أن تبقى تتحرك في رضاه لا تريد سواه، هذا من أعظم النعماء على الإطلاق، وهي جنة الحياة لو كنتم تعلمون، والله إنها جنة نعيش نسائمها ونفحاتها فنبقى أيامًا على أثرها ننعم بسعادة لا يقدر قدرها إلا الله.

ولذلك أرى – والله اعلم – أن مثل هذا الباب يحتاج منا إلى كثير مناقشة، إلى إعادة وإزادة، من أجل أن تتصور أن التحاكم هذا ليس في المحاكم فقط، التحاكم هذا يدخل في جميع فروع حياتنا ويدخل في أحيان كثيرة حتى في تعاملنا مع آبائنا وأزواجنا وأبنائنا.

على كل حال المقصود الآن أنه تبيَّن لك الثلاثة الأدلة الأولى.

❖ الدليل الرابع.

نبدأ بالدليل الرابع قال المصنف – رحمه الله –:

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[٥٥٩].

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

سأقرأ لكم كلام ابن كثير في هذه الآية.

قال ابن كثير:

يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ الْمُحْكَمِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ ، النَّاهِي عَنْ كُلِّ شَرٍّ

لما خرج عن حكم الله عدل عن المصيبة الكبرى التي نعيشها

وَعَدْلٍ إِلَى مَا سِوَاهُ مِنَ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ ، الَّتِي وَضَعَهَا الرِّجَالُ بِلَا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ ، كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ ، مِمَّا يَضَعُونَهَا بِآرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ ، وَكَمَا يَحْكُمُ بِهِ التَّتَارُ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَلَكِيَّةِ الْمَأْخُوذَةِ عَنْ مَلِكِهِمْ جِنْكِزْخَانَ الَّذِي وَضَعَ لَهُمُ الْيَسَاقَ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كِتَابٍ مَجْمُوعٍ مِنْ أَحْكَامٍ قَدِ اقْتَبَسَهَا عَنْ شَرَائِعَ شَتَّى ، مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

يعني هو كتاب أحكام جنكيز خان وضعه لهم وجعلوه كتابًا معظمًا يأخذون به ويحكمون.

وَفِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ أَخَذَهَا مِنْ مُجَرَّدِ نَظَرِهِ وَهَوَاهُ ، فَصَارَتْ فِي بَنِيهِ شَرْعًا مُتَّبَعًا ، يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَلَا يَحْكُمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ.

تبين لنا الآن أن الله عز وجل ينكر على من خرج عن حكمه ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

[٥٥٩] المائدة:٥٠

مازال استفهام استنكاري، يعني لا حكم أحسن من حكمه، فلا أعدل من الله حكمًا لمن عقل عن الله شرعه، وهذا الذى عقل عن الله شرعه لابد أنه آمن وتيقن ولذلك أتى الانقياد، وآمن وتيقن بماذا؟ – تأتينا العلّة العليلة – آمن وتيقن بما تجده مفقودًا عند كثير من المسلمين من الإيمان بأنه الحكيم، أنه أرحم الراحمين، أنه العليم، فهو حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، وهو رحيم بعباده رباهم برحمته ورباهم وهو يعلم مصالحهم.

فماذا تفهم من هذه الآية؟ تفهم أن القوم الذين يوقنون هم الذين يؤمنون أن الله كامل الصفات، وإذا آمنوا أنه كامل الصفات يعلمون أنه لا حكم أحسن من حكمه، فإذا علموا ذلك لم يستبدلوا حكمه بشيء.

يعني هذه الآية تنقسم إلى ثلاثة أقسام لو بدأنا بأخرها سنعلم ما هو الحل، ما هو أخرها؟ ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾يعني إذا علمت وتيقنت بكمال صفاته، وعلى الأقل فهمت أنه حكيم رحيم عليم، تأمل هذه الثلاثة [حكيم، رحيم، عليم] ستعلم أن حكمه أحسن حكم وستنبذ حكم الجاهلية حكم أي أحد غيره سبحانه وتعالى.

–الحمدلله الحمدلله الحمدلله —

انتهينا الآن من ثلاثة أدله أن شاء الله تكون متبينه لكم، نعم انتهينا من أربعة أدلة الحمدلله،على أن آية الأعراف وآية البقرة في سياق واحد، والآية الأولى التي ابتدء بها الباب وهذه الآية تعتبر الرابعة في العدد.

الدليل الخامس.

نبدأ الآن في الحديث.

قال المصنف — رحمه الله تعالى – :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ".

هذا الحديث فيه خلاف في صحته أذكر لكم قول النووي وربما خالف الشيخ الالباني في الحكم على الحديث – لكن مر معنا أو ربما لم يمر بعد – أن اختلاف العلماء في حكم الحديث يكون بسبب اختلافهم في بعض الرجال، وهذا باب واسع لكنه يحتاج إلى متقنٍ ليرى أوجه الخلاف.

ماذا قال عنه النووي؟

قال النووي: حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ " الْحُجَّةِ " بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ

وأيضًا ابو الفتح المقدسي الشافعي ذكره في كتاب الحجة على تارك المحجة، يعني النووي يقول على كتاب المقدسي.

تبيَّن لنا درجة الحديث، أنا ذكرتها لأن الشيخ الألباني يخالف فيها، ويرى ضعفها والله اعلم بالصواب لكن مثلًا النووي حكي الصحة، وأيضًا الطبراني حكي الصحة، وأبو بكر ابن عاصم والحافظ ابن نعيم في الأربعين كان شرطه صحة الأخبار وذكر هذا الحديث.

وعلى كل حال الدلالة واضحة أنها صحيحة، وأقول هذا الكلام لأن فتنة صرت بين طلاب العلم لا يميزون فيها بين الأحاديث الضعيفة التي تصلح للاستشهاد والأحاديث الضعيفة التي لا تصلح للإستشهاد.

يعني هل كلٍ ضعيف لا يستشهد به؟ طبعًا لأ، هذا يعتمد على درجة الضُعف.
انت يجب أن تفرق بين ضعيف وموضوع؛ هذه كلمة أخرى تمامًا، الموضوع لا أحد يقول عليه ضعيف، وضعيف هذه فيها [ضعيف جدًا وضعيف] هذه لما يكون فيها اختلاف بين العلماء في الضعف سيكون موقفهم مختلف عن ضعيف اتفقوا على ضعفه.
وربما أذكر هذه القاعدة المختصرة ليتبين الأمر؛ العلماء اتفقوا على جماعة من الرواة أنهم ثقات وجماعة من الرواة أنهم ضعفاء، ثم أتاهم في الوسط جماعة اختلفوا في تضعيفهم أو تصحيحهم ومن هنا أتى الاختلاف في كون الحديث صحيح أو ضعيف، يعني لا يأتون فيختلفون في حديث فيتنازع في الضعف والصحة إلا لأنهم مختلفين في الرجال، واختلافهم في الرجال هذا يجعلك تفهم أن الحكم على درجة الحديث ليس دينًا منزلًا، ممكن يختلفوا الكبار، وإذا اختلفوا الكبار في حكم مسألة، ولو أتى أحد الكبار يستشهد بالحديث لا تأتي تتهمي هذا الكبير، هذا يفهم، هذا رجل علم، يفهم ما الحديث الضعيف الذى يستشهد به وما الحديث الضعيف الذى لا يستشهد به.
وأقول لكم هذا الكلام لأن هناك من أتى إلى كتاب التوحيد -لا أدرى ماذا أقول- أحسن إلى المسلمين، لا أدري ماذا يريد، أتى في كتاب التوحيد وجمع منه ما يراه ضعيفًا، الظاهر على حكم الشيخ الألباني، وأخرج كتاب الأحاديث الضعيفة في كتاب التوحيد، ما الحاجة؟!، ثم أنها تعد على الأصابع ولا تكرر أمر جديد إنما أمرًا موجودًا، وانظر هذا الدليل الخامس على المسألة وليس الدليل الأول الذى أُعتمد عليه.
ولا تتصور أني أقول هذا الكلام تعصبًا؛ فأنا اسأل الله أن يخلي قلوبنا من التعصب والتحزب، ونسأله سبحانه وتعالى أن لا يعظم في قلوبنا إلا كتاب الله وسنة النبي.
لكن أقول هذا الكلام من أجل اللوثه عدم التوازن الحاصل، الآن نرى تحزبات وهذا جرح عظيم يؤلم القلب، نرى تحزبات والطعن في بعض العلماء، ثم لما تسأله يقال لك يستشهد بحديث ضعيف، هذه طبعًا أحد الدعاوى، إلا هم عندهم خمس ركائز يستعملونها في إتهام الناس، منها هذه الجملة المتكررة – [يستعمل أحاديث ضعيفة في كلامه] – ؛نقول ليس بهذا يوزن، ليس الميزان الحق بل هذا يحتاج إلى دقة في التمييز، وهذا صنع الكبار لكن ماذا نقول إلا نشتكى إلى الله ما نحن فيه من آثار التحزب، فأتى قوم يدفعون التحزب فصنعوا أحزابًا جديدة!.
اسأل الله عز وجل أن يرزقني ويرزقكم الأعتدال، اسألوه ليل ونهار أن يرزقكم الإنصاف فإن الإنصاف من دلائل سلامة الفطرة وسلامة النفس.
اعذروني خرجت عن الأمر، أعود مرة أخرى للكلام عن الحديث

اتفقنا أن هذا حديث صحيح كما اتفقنا النووى وشاهده في القرآن قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، وأيضًا قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ إنما يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فإذا لم يستجيبوا للنبي صلى الله عليه وسلم فهم يتبعون أهوائهم ونحو ذلك من الآيات.
المهم هذا الحديث له شواهد في القرآن، ما معنى: " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ"؟ يعني لا يكون من أهل الإيمان الواجب

واتفقنا في أول كتاب التوحيد أن هناك أهل الإيمان الكامل وأهل الإيمان الواجب، ومن أتى بالحد الأدنى من ذلك فهنا نقول: لا يكون من أهل كمال الإيمان الواجب.

لو نظرتي إلى آية فاطر:

- تعلمين أن هناك ظالم لنفسه.
- وتعلمين أن هناك مقتصد.
- وتعلمين أن هناك سابق للخيرات.

- الظالم لنفسه هذا أتى بالحد الأدنى، يدخل في حديث أنس: " يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا".
- في مقابل أن المقتصد من أهل كمال الإيمان الواجب.
- والسابق بالخيرات من أهل كمال الإيمان المستحب، وهذا السابق للخيرات يقابل حديث ابن عباس الذى فيه السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير الحساب.

إذن "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ" يعني يخرج من أي واحد من الثلاثة؟ يخرج من السابق أم المقتصد أم الظالم لنفسه؟ أكيد ليس الظالم لنفسه، يعني سيبقى ظالم لنفسه، لكن سيخرج من المقتصد ويتدنى، **سيتدني من المقتصد إلى الظالم لنفسه**.

نعد مرة أخرى ليتبين أكثر؛ نحن مر معنا سابقًا في بداية تقريرنا لمسائل التوحيد، أني عندي ثلاثة جمل: أولًا عندي توحيد واجب وعندي توحيد كامل.

- فأهل التوحيد الواجب هؤلاء هناك قوم منهم يأتون بأصله هذا الواجب وهم متفاوتون طبعًا، لأن أخر من يخرج من النار من كان في قلبه ذرة من إيمان، أو مثقال شعيرة، فهذا أتى بأدنى توحيد واجب.
- فهناك من يأتي بالتوحيد الواجب لكن يكمله، يُكمل التوحيد الواجب.
- وهناك من يصل إلى التوحيد الكامل وأيضًا هؤلاء درجات الذين يأتون بالتوحيد الكامل.

على هؤلاء الثلاثة الآن سنشرح آية فاطر

آية فاطر ماذا نقول فيها؟

- هناك ظالم لنفسه وهناك مقتصد وهناك سابق للخيرات.

الظالم لنفسه من أتى بأصل التوحيد الواجب، يفسره حديث انس: " يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً".

- نأتي إلى المقتصد هذا كمل التوحيد الواجب.
- السابق بالخيرات انتقل فذهب إلى التوحيد الكامل.

لما تاتي" لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ" ماذا تفهم؟ نتكلم عن المقتصد فنقول لا يكون من أهل الإيمان الواجب ينزل عنهم، المقتصد سينزل إلى الظالم لنفسه، فمعناه سيكون في درجة أهل الإساءة والمعاصي من أهل الإسلام.

"حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به" الهوى ما يهواه وتحبه نفسه وتميل إليه، فإذا كان الذى يحبه وتميل إليه نفسه ويعمل به تابعًا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج منه إلى ما يخالفه فقد أتى بما يحب الله ويكون من أهل الإيمان المطلق.

وإن كان بخلاف ذلك يعني في بعض الأحوال يحب ما يحبه وفي أحوال أخرى تراه ناقصًا، انتفى عنه من الإيمان كماله الواجب على قدر بعد هواه عن ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، انتم تعرفون حديث: " لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ" ما معناه؟ أنه بالمعصيه ينتفي عنه كمال الإيمان الواجب، وينزل عنه إلى الظالم نفسه، وطبعًا ينقص إيمانه.

ولو أردت أن تسميه ماذا تقول؟ تقول مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته.

هذا كله يدلك على أن مقياس ترقيك في الدرجات هو تعظيم أمر الله، وتعظيم أمر الرسول، وحمل النفس على متابعة ذلك، فأحكم نفسك واحكم هواك واحكم محابك واحكم مباغضك بما حكم الله.

ولما تفهم قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ وتفهم أن معنى اتخذ ﴿إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أنه لا يهوى شيء إلا ركبه، قال بعض المفسرين معنى أن إلهه هواه لا يهوى شيء إلا ركبه، كلما مالت نفسه يذهب فيركبه، ليس عنده ما يمنعه ولا ما يجزرة ولا ما يبغضه، وتراه في غالب الأحيان يتحايل ويبرر ويخرج لنفسه مخارج.

انت فهمت الآن أن الإيمان الواجب الكامل لا يكون إلا بأن يكون هواك محكومًا بحكم الشريعة.

ساقرأ لكم كلام ابن رجب في تفسير هذا الحديث: قال ابن الرجب رحمه الله:

وَأَمَّا مَعْنَى الْحَدِيثِ ، فَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا كَامِلَ الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ حَتَّى تَكُونَ مَحَبَّتُهُ تَابِعَةً لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَغَيْرِهَا ، فَيُحِبُّ مَا أَمَرَ بِهِ ، وَيَكْرَهُ مَا نَهَى عَنْهُ . وَقَدْ وَرَدَ الْقُرْآنُ بِمِثْلِ هَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ . وَذَمَّ سُبْحَانَهُ مَنْ كَرِهَ مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ ، أَوْ أَحَبَّ مَا كَرِهَهُ اللَّهُ ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[٥٦٠] .

فَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُحِبَّ مَا أَحَبَّهُ اللَّهُ مَحَبَّةً تُوجِبُ لَهُ الْإِتْيَانَ بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَإِنْ زَادَتِ الْمَحَبَّةُ ، حَتَّى أَتَى بِمَا نَدَبَ إِلَيْهِ مِنْهُ ، كَانَ ذَلِكَ فَضْلًا ، وَأَنْ يَكْرَهَ – يعني والواجب عليه – مَا كَرِهَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَرَاهَةً تُوجِبُ لَهُ الْكَفَّ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَإِنْ زَادَتِ الْكَرَاهَةُ حَتَّى أَوْجَبَتِ الْكَفَّ عَمَّا كَرِهَهُ تَنْزِيهًا ، كَانَ ذَلِكَ فَضْلًا.

- يعني ابدأ أولًا بحب الواجبات التي يحبها الله، هذا واجب عليك.
- ثم زد فحب ما يحبه الله ولو كان نفلًا هذا يرفعك.
- أكره ما حرمه الله هذا كراهة تحريم.
- ثم أكره ما كرهه هذا كراهة تنزيه.

فَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَحَبَّةً صَادِقَةً مِنْ قَلْبِهِ ، أَوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ أَنْ يُحِبَّ بِقَلْبِهِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَيَكْرَهُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَيَرْضَى مَا يَرْضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَيَسْخَطُ مَا يَسْخَطُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْ يَعْمَلَ بِجَوَارِحِهِ بِمُقْتَضَى هَذَا الْحُبِّ وَالْبُغْضِ ، فَإِنْ عَمِلَ بِجَوَارِحِهِ شَيْئًا يُخَالِفُ ذَلِكَ ، فَإِنِ ارْتَكَبَ بَعْضَ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، أَوْ تَرَكَ بَعْضَ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، مَعَ وُجُوبِهِ وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى نَقْصِ مَحَبَّتِهِ الْوَاجِبَةِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ مِنْ ذَلِكَ، وَيَرْجِعَ إِلَى تَكْمِيلِ الْمَحَبَّةِ الْوَاجِبَةِ التى هي ركن العباده إذا كملت، فَجَمِيعُ الْمَعَاصِي إِنَّمَا تَنْشَأُ مِنْ تَقْدِيمِ هَوَى النُّفُوسِ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

[٥٦٠] محمد:٢٨

على كل حال راجع كلام ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" وستراه حقيقة جامعًا للعلوم والحكم.
ما مناسبة الحديث للترجمة إذن؟ سيتبيَّن الفرق بين أهل الإيمان وأهل النفاق والمعاصي في اقوالهم وأفعالهم وإراداتهم.

الدليل السادس.

نأتي للحديث الذى بعده قال المصنف – رحمة الله تعالى –:

وَقَالَ الشَّعْبِيِّ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ؛ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ نتحاكم إِلَى محمد.

يعني إلى الرسول صلى الله عليه وسلم،

لِأَنَّهُ عَرف –يعني اليهودي– أَنَّهُ لَا يأخذ الرِّشْوَةَ ،

يعني الحق مع اليهودي ويتخاصم هو والمنافق، فخاف أن المنافق يذهب إلى واحد يعطيه رشوه فيحكم له،
فأراد أن يذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيحكم بالحق ولن يأخذ رشوة.

فاتفقا أن يأتيا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾.

مرة أخرى سنعود إلى مقدمة الباب بهذا الحديث.

قيل أيضًا:

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

هذا الإسناد وإن كان ضعيفًا لكنه يتقوى بطريق، فأخرجه الطبري في تفسيره بإسناد صحيح عن مجاهد بإسناد صحيح.
نرى وجه دلالة هذا الدليل؛ انت الآن لو تأملت ونظرت إلى التاريخ وما وقع فيه من وقائع عرفت أن حال المنافقين قديمًا وحديثًا متطابق، فهم أشد ما يكون كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى، تصوري هذا الموقف الآن يهودي ومسلم، فالمسلم الذى يظهر الإسلام لكنه يدعيه، لا يقبل بحكم الله وحكم رسوله، واليهودي يريد حكم الله وحكم الرسول!.
فهذا يدلّ على أنهم أشد عداوة منهم لأهل الإيمان، وهذا الذي يجعلنا نرى كثير من الروافض ومن الصوفية أشد عداوة لنا من اليهود والنصارى، لماذا؟ لأنك لو تعلم عن حقيقة الروافض مثلًا ستجد أنهم باطنية، لو تعرفوا الضروس مثلًا أو النصيرية – وهذه موجودة في أرض الشام– لو تعرفونهم حق المعرفة سيتبين لك قوة نفاقهم وبغضهم، وتراهم أشد حالًا من اليهود والنصارى.
وهؤلاء يدّعون التشيع مثل النصيرية يدعوا التشيع إلى أهل البيت وهم كفره، أشد بلاءًا على المسلمين لكن لمن تأمل.
اسأل الله أن يزيل شرهم ويشغلهم بأنفسهم عن المسلمين ويقوي أهل السنة ويضعف شوكة أهل البدعة.. اللهم آمين.
وإذا تأملت موقف عمر رضي الله عنه وقتله لهذا المنافق الذى طلب التحاكم إلى كعب ابن اشرف اليهودي، ترى ذلك دليلًا على قتل من أظهر الكفر والنفاق.
وانتم تعلمون أن كعب ابن الأشرف شديد العداوة إلى النبي صلى الله عليه وسلم والأذى له، هو في أصله عربي لكن أبوه في الجاهلية أصاب دمًا فأتى إلى المدينة فحالف بني النظير، وشَرَفَ عليهم أصبح له مكانة، فتزوج منهم يهودية فولدت كعب ابن

الأشرف، فأبوه عربي وأمه يهوديه يعني، لكنه شديد العدواة للنبي صلى الله عليه وسلم، فتخيل أنه فضل كعب ابن الأشرف عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد روي كما في صحيح مسلم قَالَ عَمْرٌو سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَه".

-الله المستعان —

وانتم تعرفون قصة قتله راجعوها في صحيح البخاري، وفي صحيح مسلم أيضًا، وفي سنن ابو داوود يعني أستجابوا للرسول صلى الله عليه وسلم وتحايلوا على كعب ابن الأشرف وقتلوه.

المهم نريد الآن أن نفهم أن القوم لما يقع في قلوبهم ضعف الإيمان، ويظهرون تمسكهم بالقرآن يُختبرون من الله ويُفضحون أمام الناس في مواقف يظهر فيها تفضيلهم لأهل الكفر، تفضيلهم لحياة أهل الكفر، تفضيلهم للعيش في أحضان أهل الكفر، فتعرف أن الله يريد أن يفضحهم ويريد أن يبين لهم أنه ليس في قلوبهم إيمان.

وإلا تصور إذا قيل لك إذا أردت أن تكون مؤمنًا ستُنزع منك الدنيا لكن ستدخل جنات عرضها كعرض السماوات والأرض، وستعوض لما تلقى ربك عوضًا لا يمر على خاطرك، وسيكون موضع سوط من جنتك التي تملكها بقدر كل النعيم الذى يعيشه أهل الدنيا، ويقال لك سترتاح الراحة التامة، ويزول عنك كل أنواع العناء، ماذا تفعل؟ ستعطيهم ما تحت يدك من الدنيا.

وانت لو كنت مؤمن متيقن يقينًا أن بعد النهار الليل، وبعد اليوم الغد، تعلم يقينًا أن غدًا نحن عند ربنا، وكأنك ترى أن أهل الجنة وهم يتزاورون وأهل النار وهم يتبورون، لو قيل لك هذا لن تأخذ من الدنيا شيئا ستقول لهم: حتى ما تحت يدي من الدنيا سأتركه! فكيف لو اعطاك الله من الدنيا رغدًا من العيش، واعطاك إيمانًا وتقوى، واعطاك بلدًا يرفع فيها صوت الآذان فيدخل إلى الوجدان ويغسل ما في القلوب من آلام وأحزان، ثم يقعُ في قلوب هؤلاء الشباب تعظيمًا لأهل الشرق والغرب، وتعظيمًا لأهل الكفر، وتعظيمًا لعبدة الأوثان!

لا أحد يقول بغض النظر عن دينهم، لا تقل هذه الكلمة!، بل دينهم مقدم على كل شيء، لأن الدنيا زائله، وإن لم تزل تزول انت لكن دينك هو رأس مالك، فكيف بلغنا لهذه الهزيمة النفسية حتى أنه يعرض على الهواء من الصور القبيحة عن مجتمعنا، ويعرض من صور الكمال عن أهل الوثنية لماذا؟!، هل هذا يدفع أهل الكمال ليتكملوا أم سيخذلهم ويشعرهم أنهم على دينهم هذا لن يصلوا؟!

وهذا الذي وجدناه هزيمة نفسية!، كأن القوم ينقصهم هزيمة، لكن اسأل الله عز وجل أن يرد الشباب إلى رشدهم، وأن يظهر لهم كيف يصلحون هذه الأمة، **وهذه الأمة لن يصلح أخرها إلا ما اصلح أولها ولم يصلح أولها إلا التوحيد.**

يا من تحمل التوحيد اشعر بقيمة ما معك، انت تبات وربك عنك راض، لأنك لا تطلب غيره ولا تسأل سواه، وأهل الشرق والغرب يباتون وربهم عليهم ساخط، يعبدون الأحجار والأشجار والبقر والفئران!

فما بالكم يا أهل التوحيد لا تقدرون نعمة الله عليكم، ولا ترون كيف اعطاكم، **فإن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ولكن لا يعطي الدين إلا لمن يحب.**

وهذه الدعوة ليست للتخاذل ولا إلى الرجوع في الدنيا، فأنا اعلم وانتم تعلمون أن الله هو الأول الذى ليس قبله شيء، وهو الأول الذي سبق كل المخترعين وهو الذي ألقى في روعهم ودبر لهم فيعلمون ويفهمون، وهو الأول الذى سهل لهم من الأسباب ما به يخترعون.

فيا أهل الدين الدنيا ملاكها بيد الرحمن الرحيم فأطلبوه يعطيكم وهل طلبتموه فحرمكم، والله أن أحدنا ليتمنى الأكلة – تمر على خاطره– وهو في الدنيا لم يبلغ الجنة بعد؛ تمر على خاطره فيدبر الله له من التدبير اللطيف الذى ليس وراءه جهد فيطعمه ويسقيه! فكيف حال قلوبنا مع رب كريم رحمن رحيم؟!.

ثم القوم يتلفتون إلى اليمين واليسار يبطرون على نعمة الله!، على النعمة الحقيقة التي سترى غدًا أهلها كيف يتفوقون ويعلون بل والله نحن في الدنيا كما ورد في حديث عائشة رضى الله عنها: أن الملائكة تنظر في الليل إلى أهل الأرض فترى الأرض كلها مظلمة إلا بيوت أنيرت بقراءة القرآن فهي كمثل النجوم في السماء[٥٦١]؛ فانظر إلى النجوم وانظر إلى النجومية الحقيقة، واعلم أن الدنيا إذا أقبلت على الآخرة أتتك راغمة.

فيا ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، لا تؤاخذنا بما نراه ونسمعه من بطرٍ يجري على ألسنة أبنائنا، لاتؤاخذنا بزمرة المنافقين الذين انتشروا حولنا، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منها.

أمنا في أوطاننا، وأدفع عنا آثار غضبك ياربنا، تبنا إليك، نطلبك الرحمة والقبول، نسألك أن تعاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك، فأنت أهل التقوى وأهل المرحمة.

ياربنا اقبل منا أعمالنا، واغفر لنا ذنوبنا، واشكر لنا ضعيف عملنا.

سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا إله إلا انت استغفرك وأتوب إليك.

بهذا يكون انتهى هذا الباب، وإن شاء الله في الدورة المكثفة يسددنا الله وننهى بقية الكتاب متواصلًا.

جزاكم الله خيرًا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

باب قول الله تعالى: (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) [٥٦٢]

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

وقال أبو العباس – بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: إن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر.. " الحديث، وقد تقدم ـ وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

---

[٥٦١] لم أقف على أحاديث في هذا الأمر والله أعلم؛ ووقفت على أقوال: قد حكى ابن رجب الحنبلي: أن كعبا قال: إن الملائكة ينظرون من السماء إلى الذين يتهجدون بالليل كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء. اهـ.

[٥٦٢] النحل:٨٣

شرح كتاب التوحيد ١٤٢٩هـ.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

هذه هي دورتنا الأخيرة إن شاء الله المكثفة في كتاب التوحيد، المفروض أننا انتهينا من ثلثي الكتاب بقي علينا الثلث الأخير، الثلث الأخير يبدأ من عند باب "من جحد شيء من أسماء الله"، لكن هذا الباب من مناقشته لابد أن نناقش القواعد المثلى، يعني نناقش قواعد في الاسماء، ونناقش قواعد في الصفات ثم نناقش الباب، لذلك أجلنا هذا الباب إلى بداية الفصل الدراسي الثاني، بداية الفصل الدراسي الثاني نراجع القواعد المثلى وقواعد في الاسماء وقواعد في الصفات، وقواعد في أدلة الاسماء والصفات، ثم لما تفهموا هذا ستفهمي أدلة باب من جحد شيء من اسماء الله، إذن "باب من جحد شيء من اسماء الله" سنتخطاه.

نبدأ بباب قول الله تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ هذه الآية في سورة النحل، ومعلوم سورة النحل ماذا تسمى؟ سورة النحل تسمى سورة النِعَم.

ما وجه دلالة أن الشيخ استدل بآية النحل في مقدمة لهذا الباب؟ يعني يريد أن يقول هذا الباب يناقش مسألة النعم.

وما علاقتها بالتوحيد مسألة النعم؟ من جهة النسبة إلى الله.

يعني سنناقش في هذا الباب نسبة النعم إلى الله.

سنناقشها من جهة النسبة أم من جهة إنكار النسبة؟ من جهة إنكار النسبة، هذا علاقته بالتوحيد.

ما علاقة هذا الباب بالتوحيد؟ أي أن نسبة النعم إلى الله من التوحيد، وإنكارها لابد أنه سيخدش التوحيد، إلى أي درجة سيخدشه؟ سيكون مختلف على حسب نوع النسبة.

لو سألت ما مناسبة هذا الباب للباب السابق "باب من جحد شيء من اسماء الله وصفاته"؟ لن نتناقش في هذا الباب لكن عمومًا انت تعلم أن من اسمائه سبحانه وتعالى الرزاق، الأول، الآخر، فتفهم من ذلك أن من تمام إيمانك باسماء الله عز وجل وصفاته أنك تؤمن بآثارها.

انتم درستم في القواعد المثلى أن كل اسم كيف نؤمن به؟ نؤمن بهذا الاسم، نؤمن بالصفة، نؤمن بالحكم والمقتضى، يعني يكون الاسم له آثار.

- لما تؤمني باسم الرزاق ستؤمني به اسمًا.
- وتؤمني بصفة الرزق أنها صفة لله.
- الحكم والمقتضى أنه وحده الرزاق، هذا الأثر أو الحكم والمقتضى.

⇦ إذن من آثار باسماء الله عز وجل وصفاته نسبة النعمة إليه سبحانه وتعالى.

⇦ والعكس من آثار نقص الإيمان باسماء الله عز وجل وصفاته إنكار إضافة النعمة لله عز وجل.

فهمنا لهذا الباب سيعتمد على فهمنا لمسألة أصيلة في الحياة وهي علاقتك بالأسباب، أو بتعبير أخر سنقول ابتلاء الناس في الحياة واختبارهم يدور على الأسباب، بمعنى أن الله عز وجل خلق الخلق وجعل لكل شيء سببا، ابتداء من عند وجود الإنسان إلى دخوله الجنة، جعل لكل شيءٍ سببا، بمعنى أن الإنسان يوجد من نتيجة الزواج، يعني بسبب الزواج، فأصبح هذا سبب من عند وجوده، إلى دخوله الجنة، دخول الجنة بسبب الأعمال الصالحة.

إذن لكل شيءٍ سبب، اختبارك انت في هذه الأسباب، من أين جهة اختبارك في هذه الأسباب؟ كيف يكون اختبارك في هذه الأسباب؟ ما تعيشه في الحياة واحد من أمرين:

- أما قلبك يتعلق بالسبب.
- أما ترى الله عز وجل من وراء الأسباب.

طبعًا هذه المسألة فيها ضعف وقوة، على حسب قوة إيمانك وعلى حسب نفس المسائل، أحيانًا تكون هناك مسائل دقيقة تجد في قلبك ضعف في نسبتها إلى الله، يعني المسألة التي تتكرر عليك في الغالب أنه يكون في قلبك ضعف في نسبتها، في مقابل أن المسألة التي تأتي نادرة مختلفة غير سائرة على نفس المنوال في الحياة هنا يكون شيء من القوة.

يعني الشفاء بعد مرض: هذا أيسر على نفوس كثيرة أن يحصل فيه النسبة.

لكن أكل بعد الجوع لواحد في وضع متوسط في الحياة: هذا أمر ضعيف فيه نسبة النعمة، انت الآن لما ترجع من دوامك أو ترجع من مكان وتكون جائع فكل تفكيرك في ماذا عندنا، لا انت تفكر في النعمة أو المأكول على أنه منسوب إليك، في مقابل شفاء من مرض المسألة فيها أقوى أنك تنسبها إلى الله.

إذن هناك عاملان يؤثران في نسبة النعمة إلى الله:

- العامل الأول: قوة الإيمان وضعفه، كلما قوي إيمانك كلما زاد نسبة النعمة إلى الله، كلما ضعف الإيمان كلما نقص نسبة النعمة إلى الله.
- العامل الثاني: نفس المسألة، أي تكرار المسألة وتكرار وجودها يضعف في قلبك نسبة النعمة، وندرة وجودها يقوي نسبة النعمة إلى الله.

طبعًا العوامل كلها متصلة مع بعض، لما يكون إيمانك قوي تصبح المسألة المتكررة فيها نسبة، كلما قوي إيمانك كلما أصبحت المسألة المتكررة فيها نسبة، لما يضعف الإيمان حتى المسألة الظاهرة التي التي أتت على غير المعتاد لا تنسبها إلى الله.

انتم الآن لابد أن تنظروا في هذا الباب بعين الأهمية وتروا أن مسألة نسبة النعمة إلى الله صحيح أنها تتصل بتوحيد الربوبية صحيح لكنها سبب لضعف توحيد الألوهية، يعني نسبة النعمة إلى الله في نوع توحيد الربوبية أنه [لرب، الخالق، المالك، الرازق] هذه أصبحت ربوبية.

توحيد الربوبية الآن ما تأثيره على توحيد الألوهية؟ كلما قوي في القلب توحيد الربوبية هذا يستلزم أن يقوى في القلب توحيد الألوهية، صحيح ناس كثيرين عندهم توحيد الربوبية لكن لا يوجد عندهم توحيد الألوهية، لكن أنا افترض شخص توحيد الربوبية دفعه إلى توحيد الألوهية، فأتى باللازم، آمن أن الله رب خالق مالك رازق، آمن بذلك فكان الناتج أنه عبد الله، سنقول لهذا كلما قوي توحيد الربوبية منك كلما زاد توحيد الألوهية.

إذن لابد أن تنظروا لها بعين الاعتبار، هذه مسألة شديدة الحساسية سبب لانتكاسة مستقيمين، وأيضًا سبب لضعف إيمان المجتمع، يعني هذه المسألة ليست بسيطة إنما لها أثر قوي وفيها تشعبات كثيرة.

اسال الآن كيف يمكن أن تكون مسألة مثل هذه المسألة – نسبة النعمة إلى غير الله – تكون سبب لانتكاسة شخص مستقيم؟ يتعلق بالأسباب، لأننا في توحيد الألوهية سيتعلقون بالآلهة وسيعبدونها.

لكن أتكلم الآن عن الأسباب، ما حال المستقيم مع الأسباب؟ يتعلق بالسبب وهو في تصوره أنه مصلي صائم قائم، قام بما عليه لكن قلبه كله في مسائل معينة للسبب، جائته ابتلاءات فلنفترض ابتلي ببنات،بناته ابتلي بهم أنهم موجودين في البنات لم يتزوجوا، فهو قائم جالس وهو يقول لما ألبسهم، لما أخرجهم، لما أزورهم، يجب أن يحضروا افراح، ويجب أن يفعل، كل تفكيره أن هذا هو السبيل لأن يتزوجوا، وهو مصلي وصائم وكل شيء، لكن ابتلي بنوع بلاء رأى في علاقته مع هذا البلاء أنه لا يتصرف إلا بالنظر إلى الأسباب، **فكلما زاد تعلقه بالأسباب كلما ضعف إيمانه.**

مثلًا مستقيم مصلي لكن عنده ضعف في الرزق، ضعيف في رزقه، فيجتهد في تصور الأسباب وفي البحث عنها وفي الخروج لها وقلبه معلق بها، فتصبح صلاته وصيامه قام فيها بما يجب لكن هذا الجانب – ضعف تعلقه بالله وتعلقه بالأسباب — جعله يضعف الجانب الأخر، ثم تراه بعد طول استقامة مرة واحدة تراه كأنه ينهار، بعد أن كان شكله في الظاهر أنه مستقيم وفي الداخل متعلق بغير الله مع طول الاستقامة في الظاهر وفي الباطن خواء متعلق بغير الله، وينسب النعمة إلى غير الله، وفي الحديث: "" إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ أَوْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ" هذه صورة الآن: انت من الظاهر كأنك مستقيم لكن من الباطن متعلق بغير الله بدليل أنه لما يأتيك النعمة فتحمد غير الله، ولما ينقص عليك شيء تذم هذا الذي أنقص عليك غير مؤمنًا بأن الله الذي أعطاك، فهذا دلالة على أن من الداخل فيه ضعف وإن كانت الصورة الخارجية فيها استقامة.

إذن معنى ذلك أن هذا الموضوع سبب لانتكاسة مستقيم في ظاهرة الاستقامة لكن في داخله خواء، خواء نتيجة تعلقه بالأسباب.

نأتي نقول هذه المسألة لها أثر اجتماعي، تؤثر على المجتمع من جهة ما ترى من التكالب على الدنيا والجري ورائها والجري وراء الأسباب، وفقدان الأمانة، وتصور أن السبب — المال مثلًا — سبب لسعادة الإنسان.

الآن السعادة مقصد، فما سببها؟ أنقلبت المفاهيم عند الناس؛ فسببها عند ناس كثيرين المال، وهذا المال من أين ستأتي به؟ من جهدك، هذا هو التسلسل الموجود في المجتمع، الأمن النفسي، والأمن في المسكن والملبس والمأكل، الناس يفهمون أنه سيأتي بالسعادة، من أين يأتون بها؟ يعني الأمن وأنواع السعادة كلها من أين سيأتون بها؟ من الجري وراء الدنيا، ومن أجل أن يجروا وراء الدنيا يجب أن قلوبهم وأبدانهم تجري فتجد آثار المقاتلة الشديدة بين الناس على الدنيا.

ثم كأنهم ينسون أوائل سورة محمد، ماذا يقول الله عز وجل في أوائل سورة محمد؟ انظري لها في الحالتين: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ*وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[٥٦٣] لو أأتي أقول في الآية ذكرت أسباب صلاح البال أي السعادة، فما بال القوم لا يأخذون بها؟!.

فنسبة النعمة إلى غير الله لها أثر على المجتمع فتراهم يتقاتلون على الدنيا بسبب تصورهم أن سعادتهم ستأتي من وراء الأسباب وليس أن رب الأسباب هو الذي سيصلح بالهم حتى لو لم يوجد السبب، أتوا بالسبب الأهم الإيمان والتقوى، والإيمان والتقوى هم السبب الأهم للسعادة، فيختلط في النفس عدة مشاعر سلبية [مشاعر الحرص، مشاعر التعلق بالدنيا، مشاعر التعلق بالأسباب] وفي نهايتها تسمعهم في المجالس [أنا تعبت، أنا بذلت، أنا درست] كلام عن الأنا، كلما ترى التضخم العظيم في الأنا، والأنا لما

[٥٦٣] محمد:١،٢

تتضخم لن يكفيها مكانها يجب أن تدفع الأخرين فترى تزاحم الناس وتقاتلهم، لأن كل واحد انتفخ انتفاخًا لا يستطيع الثاني أن يجلس معه!.

فالمجتمع نتيجة أنه تصور أنه بنفسه يحصل لنفسه المصالح فأصبح كل فرد ينتفخ ويتكلم عن نفسه وعن أمجاده ويجلس في مجلس يجب أن يسحق فيه من أمامه، يجب أنك تظهر ولا شيء، يجب أن أنا أكون وفقط وانت ولا شيء!.

وهذا للأسف سرى سمه حتى على أهل الدعوة، حتى على أهل الدين سرى سمه، بحيث أنك تخرجي تجلس في مجلس وانت لا تشعرين بنفسك ولا بالمرض الذي في قلبك، ففي قلبك مرض إرادة علو أعتليتيها من جهة الدين، يعني يأتي واحد طالب علم يكون في قلبه أصلًا مرض العلو، يريد أن يعلو على غيره، فلم يجد له سبيلًا مفتوحًا لأن يكون أعلى من غيره إلا بالعلم والدعوة، فيسلك هذا السبيل ويفتح له فيه ويتعلم ثم يأتي على العوام مثلًا وينتفخ أنه يفهم وهم لا يفهمون!.

ومن جهة أخرى يأتي على الخواص يبحث مسألة ويتقنها إتقانًا ويأتي بعد ذلك ينتفخ عليهم أنه يفهم وهم لا يفهمون، وهذا كله من تصور أنه أنا سأأتي لنفسي بالفهم، أنا سأأتي لنفسي بما أراه يعليني، كأني أتصور عن نفسي أني أنا أفهم عن نفسي، لا أن الله يشرح صدري ويفهمني.

يعني انت الآن لما تنظر إلى المجتمع ترى أن التقاتل كله سببه أن القوم لا يؤمنون أن الفضل كله لله، فكل واحد يتصور أنه هو صاحب الفضل على نفسه وعلى الناس، فأول الأمر يزاحمهم من اجل أن لا يكون أحد في مرتبته، لأنه متصور أنه لو سبقوه سيأخذوا رزقه، هكذا متصور، وإذا بلغ ووصل إلى مراده آذى المجتمع بصورة أخرى، آذاه بما في قلبه من علو وترى التشاحنات، وترى كل واحد يسكت الثاني المهم تسكت وأنا فقط الموجود في الساحة حتى في الساحة الدعوية.

فلما نطرح هذا الباب مع قصر الباب لكن جد خطير هذا الباب، لأن نسبة النعمة إلى غير الله يأتي ورائها آثار على حياة الشخص وعلى المجتمع، وترى كل واحد يتصور أن هذه اللقمة لو ما سبق إليها لن يأكلها، هكذا يتصور، فتصور جماعة يجلسون بهذه المشاعر، كيف سيكون في قلوبهم؟ شدة التنافس على الدنيا.

أضرب لك مثال من الواقع؛ واحد منتقل من مدينة إلى مدينة عن طريق الباصات، وواحد ينتقل من مدينة إلى مدينة عن طريق الطائرات، تصوري الآن لو كان واحد تعود طوال حياته أن ينتقل بالباص فسيكون المناسب في الجلوس على حسب سبقه، الذي يسبق أولًا يجد مكان مناسب، والذي لا يسبق يجلس في أي مكان، فلو استخدم هذا القانون وهو يطلع الطائرة ما رأيكم؟ الطائرة ومن وانت في الأرض تعرف أين مكانك.

فكيف بمشاعر الجري إلى الباص والجري إلى الطائرة ستكون مثل بعضها؟ لأ، انت تذهب إلى الطائرة بكل هدوء، لأنك تعرف أن هذا مقعدك ولن يأخذه أحد، في مقابل الباص لو لم تسبق لن تجد لك مكانًا مناسبًا، هاتان الحالتان حالة واحد واثق أن لقمته لن تأخذ منه والذي له نصيبه نصيبه المكتوب سيأخذه لابد، ويسير ليس هناك مشكلة، يسير، والذي له مقعد في الطائرة لو لم يسير على قدمه لن يصل، فيجب أن يسير لكن يسير وقلبه هادىء مطمئن، وهناك فرق كبير أكيد بين الذي يسير وقلبه مطمئن وقدمه تسير، وبين الذي يسير وقلبه يلهث، أكيد هناك فرق.

لكن في الحالتين كلاهم في صورته أنه يسير لكن واحد قلبه يلهث وخائف أن هذا يسبقه فيأخذ المكان، وخائف أن هذا يسبقه ويحصل منه كذا، والثاني هذا يمشي هادىء ويمشي أمامه أحد يتقدم لا يهمه، لا يشعر أن هذا ينافسه.

تصوروا هذه الصورة فهكذا الحياة بالضبط، واحد على أتم الثقة أن هذه اللقمة لن تتعداه لو كانت نصيبه، وواحد يسير بهدوء ولو أحد سار أمامه لا يحزن، مادام في الدنيا ستذهب إلى نصيبك وأنا سأذهب إلى نصيبي، ما الفرق؟ أنه أخفي علينا ما هو نصيبنا، أخفي علينا ما مقاعدنا، فقط هذا الفرق، لكننا واثقين أنها مكتوبة من قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، هذا هو الفرق، فلا تتصور في الحياة أن أرزاقك كأنك تركب باص لا، تصور الحياة كأنك تركب طائرة، مقعدك محجوز ليس من حق أحد أن يجلس فيه، ولو أحد جلس فيه يقوموه، فهكذا أرزاق العباد مكتوبة فلا داعي للجري ولا للمنافسة ولا لطرد أحد من المكان، في مقابل أن هذا لا يعني تركك للسير.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾[٥٦٤] قيل لك في الأرزاق امشوا بهدوء، وقيل لك في الصلاة والعبادات [سارعوا، سابقوا، اسعوا] أليس هناك فرق شاسع بين سارعوا وسابقوا واسعوا وبين امشوا؟!، فرق، فهذا التصور كله مبني على أنك تعلم أن الرزاق هو الله، وأن هذه النعم كلها التي حولك لم يعطيك إياها إلا الله.

انتم تقولون لي نحن نتكلم في الباب عن نسبة النعم بعدما وجدت، ونقاشنا كله قبل أن توجد نقول نعم لأن ردة فعلك بعد وجود النعمة دليل على ما قام في قلبك قبلها، يعني انت ليس في قلبك أي مشاعر تجاه النعم، جائتك ولم تكن منتظرها لكنها جائت لك بين يديك، لما تأتي إلى يديك أول إنقلابة تحصل لك أنك تشعر فتفكر من أين جائت هذه، من صديق يعني يحبني، من قريب معناه يوصلني، من جار معناه كذا، من أمير معناه كذا، فتفكر في كل موطن يكون سبب في وصولها ويكون كلهم أهل الدنيا، ولا تفكر في الله أتى لي بها، فهذه المشاعر بعدما تأتي النعمة إشارة أصلًا إلى ما في نفسك قبلها، وإلا "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى" وإنما عقائدك تظهر في اللحظة الأولى، في اللحظة الأولى فزعك إلى من، نسبتك النعمة إلى من، من الذي يخطر في بالك، هذا هو ما يدل على ما قام في قلبك.

المهم هذا الموضوع لازلت أقول لكم جد خطير، ليست مسألة سهلة، وهذا الأمر الذي يتصل بتوحيد الربوبية لو تشوه لا تسأل بعدها عن توحيد الألوهية، لو واحد توحيد الربوبية الفطري تشوه عنده ماذا ستسأل بعد ذلك في توحيد الألوهية الذي يتلقنه من النصوص؟!، إذا النعم التي حوله ينسبها لنفسه أو لغير الله كيف سيكون مصلي، كيف سيعبد الله، كيف سينفق، كيف سيشكر، كيف؟! وهو متصور أن هذا البيت بنيته بنفسي، هؤلاء الأولاد أنا أتيت بهم بنفسي، صحتهم أنا التي حفظت عليها، دراستهم أنا التي سجلت لهم في أحسن مدارس ودرستهم وعلمتهم، وأفرد الحياة وانظر كيف لما تحصل نسبة النعمة!.

ونأتي لواحد ونقول له – مثلما قال الشيخ سعود الشريم عن الوقف الخيري– نقول له أوقف وقف خيري يقول أنا من تعبت وبذلت وفعلت، أوقف لله لماذا؟!، فنسبة النعمة إلى غير الله ستهد داخل العبد، ستهده، لأن أولادنا نقول لهم قوموا صلوا يجدون الصلاة ثقيلة طبعًا بفعل الشيطان وبمشاعر لماذا أصلي؟!، تربوا على عدم نسبة النعمة إلى الله فوقعوا في نسبتها إلى غير الله فضعف فيهم توحيد الألوهية.

من أجل ذلك سيأتينا في الباب الذي بعده ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥٦٥] سيكون له صلة بهذا الباب بوضوح.

---

[٥٦٤] الملك:١٥

[٥٦٥] البقرة:٢٢

❖ الدليل الأول.

إذن هذا الباب اسمه باب قول الله تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾.

كما اتفقنا في سورة النحل وسورة النحل سورة النعم، ثم ناقشنا إلى أي درجة هذا الموضوع مهم ويتصل بالتوحيد، يتصل بالتوحيد من أي جهة؟ الثلثين الأولين كنا نتكلم فيها على توحيد الألوهية، الآن الثلث الأخير سيتكلم عن توحيد الربوبية والاسماء والصفات معًا.

هنا فعلان:

- الفعل الأول: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ﴾.
- والفعل الثاني ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾.

سنعرف ما معنى أنهم يعرفون نعمة الله وما معنى أنهم ينكرون نعمة الله.

"هذا الباب من الأبواب العظيمة في هذا الكتاب وبخاصة في هذا الزمن، لشدة الحاجة إليه.

لماذا في هذا الزمان؟ لأن الأسباب أقوى ما تكون في حالنا، يعني في هذه المدة الزمنية كلها التي عاشها الناس -قل مائة سنة- في المائة سنة يعتبر الأسباب أعلى ما تكون في هذا العصر الذي نعيشه، أي قوتها.

فترجم المصنف رحمه الله بقوله: " باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾"، فوصف الكفار في سورة النحل التي تسمى سورة النعم بأنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها.

ما صورة إنكار النعمة؟ أن تنسب النعمة إلى غير الله، وأن يجعل المتفضل بالنعمة غير الذي أسداها وهو الله جل جلاله."

هذه صورة إنكار النعمة، من أين لنا هذا الفهم؟ سيأتي في نفس المتن، في نفس المتن سيتبين لنا هذا الفهم.

"ما الواجب على العبد؟

- أولًا يجب عليك أن تعلم أن كل النعم من الله جل وعلا.
- هو الذي سبب أسبابها وهو الذي ساقها.
- وهو الذي نفعك بها."

ما معنى أن كل النعم من الله؟ ثلاثة كلمات: هو الذي سبب أسبابها وساقها ونفعك بها.

يعني هذه الأسباب سببها الله ثم ساق النعمة في وسط السبب ثم نفعك بهذه النعمة، وإلا يمكن أن تكون النعمة بين يديك ولا تنتفع بها، وممكن أن تجتمع لك الأسباب ولا يأتي من ورائها نتيجة.

"وأن كمال التوحيد الواجب لا يكون إلا بإضافة كل نعمة إلى الله جل وعلا."

يعني انت يجب عليك أن تعلم أن كل النعم منا لله عز وجل، هو الذي أتى لك بأسبابها وساقها ونفعك بها، ثم أعلم أن كمال التوحيد الواجب لا يكون إلا بإضافة النعمة إلى الله عز وجل، وبالعكس؛ أن إضافة النعمة إلى غير الله نقص في كمال التوحيد والواجب ونوع شركٍ بالله عز وجل.

"سنناقش في هذا الباب بعض الألفاظ التي يستعملها كثير من الناس في مقابلة النعم أو في مقابلة إندفاع النقم، وتكون تلك الألفاظ نوع شركٍ بالله جل وعلا."

سنفهم ما معنى نوع شرك، وسيكون هناك كلمة الشرك الأصغر.

"فنبه الشيخ – رحمه الله – بهذا الباب على ما ينافي كمال التوحيد من الألفاظ."

نبدأ بشرح الآية: سنقرأ تفسير الشيخ في السعدي في تفسير هذه الآية.

قال الشيخ رحمه الله: وقوله ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ﴾ أي نعمة الله عليهم، كما ذكرناهم بها.

من نفس السورة من سورة النحل

أي نعمة الله عليهم، كما ذكرناهم بها.

يعني ذكرنا عدد علينا النعم سبحانه وتعالى ثم بعدما عدد علينا النعم قال ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ التي ذكرت لهم، ثم ينكرونها، لما ينكرونها ما وصفهم؟

فيعبدون غير المنعم.

ما معنى أنهم يعرفون نعمة الله؟ أنهم يشعرون بها، يعرفون أنهم لا يستطيعونها، لا يستطيعونها يعني لا يستطيعون الإتيان بها، ولا يستطيعون الإستغناء عنها.

يعرفون نعمة الله أي يشعرون بها ويعلمون أنهم لا يستطيعون الإتيان بها، ما معنى أنهم لا يستطيعون الإتيان بها؟ أولًا علمهم أنهم لا يستغنون عن هذه النعم، ولا يستطيعون الإتيان بها يعني اختراعها وإيجادها.

المعرفة معناها الإحساس، معناه أنهم لا يستطيعون أختراعها وإيجادها لو لم يعطيهم الله إياها.

الأمر الثاني لا يستطيعون الإستغناء عنها، يعني يعرفون ذلك جيدًا.

ما معنى إنكارها؟

قال الشيخ: فيعبدون غير المنعم بها.

إنكارها هل يستلزم فقط العبادة أم يتطرق إلى النسبة؟ "كل من أضاف النعمة إلى غير الله فإضافته إنكار لنعمة الله، ويتردد هذا الحال بين شركٍ وكفر.

فإما أن يكون شركًا وكفرًا أكبر، وأما أن يكون شركًا وكفرًا أصغر بحسب ما يقوم في اعتقاد الشخص:

- فإذا اعتقد أن النعم من إحداث الخلق ومن صنع المخلوق فإن هذا كفرٌ أكبر يخرج من الملّة لأنه شركٌ في الربوبية والمشرك كافر.
- وإذا كان يعتقد أن إضافة النعمة إلى الشيء من إضافة المسَبب إلى سببه وأن المنعم هو الله فهذا كفرٌ أصغر."

ما معنى كفر أصغر؟ اتفقنا أن الكفر ينقسم إلى قسمين:

كفر أكبر مخرج عن الملّة.

وشرك أصغر لا يخرج عن الملّة، لكن هو من عظائم الذنوب، في الحديث: "سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ" كفر هنا معناها كفر أصغر، **الكفر الأصغر ليس مثل الشرك الأصغر**، لأ، الشرك الأصغر كل وسيلة توصل إلى الشرك الأكبر، لكن الكفر الأصغر مختلفة، من أمثلة الكفر الأصغر كفران النعمة، فهنا مكانها كفر أصغر.

ما هو الكفر الأصغر هنا؟ ماذا فعل في كفران النعمة؟ اعتقد أن هذه النعمة أتت من الله، لكنه في كلامه ينسب النعمة إلى السبب، لكن في اعتقاده القلبي يعتقد أن المنعم هو الله.

فتصوري أن نسبة النعمة باللسان إلى السبب تعتبر كفر أصغر!، فإضافة النعم إلى غير الله من كفر النعمة، وكفر النعم من أنواع الكفر الأصغر لما فيه من جحد إضافة النعمة إلى الله تعالى، إلى هنا أصبح كفر أصغر.

أين الكفر الأصغر هنا؟ أنه أضاف النعمة إلى غير الله بلسانه أما قلبه فمعتقد أن المنعم هو الله.

سنرى هذا الأمر أيضًا شرك أصغر، لماذا شرك أصغر؟ لأنه أسند النعمة إلى السبب فأصبح شرك أصغر، ما وجهه؟ لماذا شركًا أصغر؟ لأنه جعل مع الله شريك وهو السبب، لكنه لم يعتقد أن –الشريك – السبب ندًا لله لكنه بلسانه أوصل هذا المعنى أن السبب كأنه ند لله، صار بين الله وبين السبب.

إذن اكتبوا:

"وإضافة النعمة إلى غير الله من كفر النعمة، وكفر النعم من أنواع الكفر الأصغر لما فيه من جحد إضافة النعمة إلى غير الله تعالى، وأيضًا شرك أصغر لما فيه من الإستناد إلى الأسباب ونسيان المسبب الذي لو شاء لما ساق للعبد الأرزاق ولما يسر له الأسباب."

انظر للمتن وقل لي أمثلة من هذه النسبة؟

- هذا مالي، ورثته عن آبائي.
- لولا فلان لم يكن كذا.
- هذا بشفاعة آلهتنا.

الأمثلة مختلفة:

- هذا بشفاعة آلهتنا: هذا سيخرجنا إلى شرك الألوهية.
- هذا مالي ورثته عن أبي: هذه جملة موهمة، تُشكِل.
- لولا فلان لم يكن كذا: هذه الجملة هي السائرة المستعملة، وهذه من أشهر الألفاظ التي فيها كفر أصغر، هذه الجملة ليس فيها اختلاف أنها كفر أصغر وشرك أصغر:
- كفر أصغر من باب نسبة النعمة إلى غير الله.
- شرك أصغر من باب إسناد النتيجة إلى الأسباب.

باقي علينا نناقش الجملتين :

- الأولى: هذا مالي ورثته عن أبي
- والثانية: بشفاعة آلهتنا.

والجملة المشهورة لولا فلان لم يكن كذا، انت تقولين هذه الجملة من باب إضافة الشيء إلى سببه، يعني لولا أني درست ما نجحت، ما موقفنا من هذه الجملة؟ ستكون نسبت نعمة النجاح إلى السبب وهو الدراسة، انت المفروض ماذا يكون موقفك؟ سنرى موقفك من الأسباب.

انتم ترون أن هذه جملة طبيعية صحيح؟ نعم، من أجل ذلك من أول الكلام أقول لكم أن هذا الباب خطير ولا نشعر به، وممكن أن يجري على ألسنتا ونحن لا نشعر، الأمثلة التي أمامك تبين لك.

عندي ثلاثة أنواع من الأمثلة التي ذكرت في الباب.

- مثال مشكل يحتاج إلى فهم.
- ومثال مشهور وفي العادة أننا نتداوله لولا كذا ما كان كذا.
- والمثال الثالث: هذا سببه الشرك في الألوهية.

الأول والأخير سنتناقش فيه بصورة خاصة، والذي في الوسط المشهور والذي نعاني منه، كوني أسند النتيجة إلى السبب.

الآن نرى موقفي من إضافة الشيء إلى سببه الذي خلقه الله دون مسببه، يعني أنا أنسب الشيء إلى السبب دونا المسبب.

سنقول: "أن هذا نقص في العقل وجهل بالشرع"

وأقول لكم لا تسكنوا أنفسكم بأن تقولوا أنا اعتقد أن المنعم هو الله، نقول أصلًا لو لم تعتقد أن المنعم هو الله تحولت إلى الشرك الأكبر، هذه الجملة تكن شرك أصغر لما تعتقد أن المنعم هو الله تكن شركًا أصغر، لماذا؟ لأن هذه اللفظة فيها نسبة النعمة إلى غير الله وهو جهل في العقل والشرع.

نرى وجهه؛

- الأمر الأول: " أولًا أن الله عز وجل وحده الخالق للأسباب التي حصلت بها النعم أو إندفعت بها النقم، فكان الواجب أن ينسب له الشيء لأنه المنعم على الحقيقة."

يعني انت ماذا تعتقد؟ أنه الله وحده الخالق للأسباب التي حصلت بها النعم أو اندفعت بها النقم، فكان الواجب عليك أن تنسب الشيء إليه لأنه المنعم على الحقيقة.

- الأمر الثاني: أنك أكيد تعلم أن السبب قد لا يؤثر ولو وجد، وعندك أمثلة كثيرة على ذلك في حياتك عشتها أن سببًا موجود وأثرًا مفقود، حياتك مليئة، نرى النص: قال صلى الله عليه وسلم: "لَيْسَ السَّنَةُ أَنْ لا تُمْطَرُوا" السنة أي الجدب، "وَلَكِنَّ السَّنَةَ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا وَلا تُنْبِتُ الأَرْضُ شَيْئًا " انظر النبي صلى الله عليه وسلم كرر لفظ مرتين: تمطر وتمطر ولا تنبت الأرض شيئا.

تكرار المطر في مقابل أن النتيجة لم تأتي، يعني هناك مطر لكن النتيجة الجدب، الجدب أي الأرض لا تنبت، لكن السبب موجود!، الأرض خصبة والمطر نزل لماذا لم تنبت؟ لأن الله عز وجل لم يرد ذلك، فلا تتصور أن السبب وجوده قطعًا سيكون وراءه نتيجة! ليس شرطًا!، إنما الأمر بيد الله.

- الأمر الثالث: أن السبب وإن وجد قد يكون له مانع يمنع من تأثيره، يعني يكون معك السبب لكن كما رزقك الله السبب يسلط عليك مانعًا يمنع من التأثير.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الفرق في المسألة الثانية أن السبب يأتي ولا موانع لكن لا يؤثر، مثلما تأتي امرأة ولا تنجب، يذهبوا إلى الطبيب وليس هناك مشكلة، ليس هناك في المرأة مشكلة ولا في الرجل مشكلة، ومع ذلك لم ينفع الله بهذا السبب والناس الباقيين انتفعوا به.

الثالث لأ، أن يأتي فيكون هناك مانع، تبتلى بمانع.

يعني في الثالثة المانع ظاهر أمام عينيك، فرزقت باليمين السبب، وابتليت باليسار بالمانع، فأتاك مانع منع ذلك، يعني مثلًا واحد يذهب إلى مكان يتصور أنه سيكون سعيد في هذا المكان، فذهب وهذا الشيء الذي ذهب إليه يعرف أنه سيدخل عليه منه السرور، فذهب إلى هذا المكان فابتلي في هذا المكان بشيء يكدر عليه، إذن وجد المانع، أو هذا أراد أن يذهب فمنع المكان فوجد المانع.

لكن في الحالة الثانية لا مانع ظاهر، ليس هناك أي مسألة تشعر بها أو تحسها تدل على أن هناك مانع إلا أن الله عز وجل نزع من هذا السبب قدرته على التسبب.

إذن معنى ذلك أبعد عن تفكيرك أن هذا أمر طبيعي، لا تأتي تقول أمر طبيعي أن أقول بلساني لفظة تدل على نسبة النعمة لسببها مع اعتقاد أن المنعم هو الله، لا تقل أن هذا أمر طبيعي، لابد أن تفهم أن هذا جهل في الشرع، وجهل في العقل، لماذا في العقل؟ لأنك ترى بعينيك أسباب اجتمعت وموانع انتفت ولا نتائج، وأحيانًا ترى أسباب اجتمعت وموانع لا تمر على الخاطر تأتي في لحظة النتيجة فتفسد عليك النتيجة، فعقلك والواقع والشواهد والشرع كلها تجتمع على هذا الأمر.

إذن معنى ذلك لابد أن يستقر في وجدانك أن نسبة النعمة إلى الله تكون بالقلب واللسان، ثم أننا نكذب على أنفسنا لو قلنا أن وجداننا معتقد تمام الاعتقاد في نسبة النعمة إلى الله ثم يأتي اللسان فيخالف القلب، أليست الألسنة مغاريف القلوب؟!، فإذا كان قلبك ممتلأ اعتقاد بنسبة النعمة إلى الله لابد أن يخرج من لسانك، وتستحي أن تقول كلمة فيها نسبة للنعمة إلى السبب، أي أن تنسب النعمة إلى السبب.

يعني ذكرنا ثلاثة أمور: إضافة الشيء إلى سببه الذي خلقه الله دون مسببه نقص في العقل والشرع.

نضيف إليكم الآن الرابعة: أن القلب إذا امتلأ اعتقادًا أن النعمة من الله لابد أن يظهر على اللسان أثر هذا الاعتقاد، لأن الألسنة مغاريف القلوب.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا منافق اتركيه، هي تقول بالعكس الآن واحد يظهر بلسانه نسبة النعمة لكن قلبه لا يعتقد ذلك؟ فهذا يدخل في باب النفاق وربما يكون هذا نادرًا، يجاهد نفسه هذا أمر أخر، يجاهد نفسه بنسبة النعمة بقلبه ولسانه هذا أمر أخر، لكن يكون قلبه مستقر على أنه حصل النعمة بنفسه ولسانه ينسبها إلى الله هذا أمر لا يستقيم.

يعني نادرًا أن يأتي واحد بهذه الصورة، لأن أهل النفاق حتى لا يوفقوا أن ينسبوا النعمة إلى الله بألسنتهم لأن قلوبهم هي التي تطغو فأكيد أنه سيخرج على ألسنتهم ما قام في قلوبهم.

في نفس سورة النحل يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[٥٦٦] وهذا نص صريح في العموم، أي يدل على أنه لا يخرج شيء من النعم أيان كان ذلك الشيء، صغيرًا كان أو كبيرا، عظيمًا كان أو حقيرا.

السؤال: ما موقفي من العباد الذين تجري على أيديهم النعم؟ العباد يعتبروا من بين الأسباب.

[٥٦٦] النحل:٥٣

وعلى ذلك في الهامش: ضعي عنوان:

ما أنواع الأسباب؟

- أولًا هناك أسباب حقيقية.
- وهناك أسباب وهمية.

الحقيقي ينقسم إلى قسمين:

- أسباب مادية
- وأسباب بشرية.

ابتلاءنا ما نوعه؟ ابتلاء العالم كله أن النعم التي تصل إليك لابد أن تسير في مسار السبب، هذه البلوة، هذا الابتلاء والاختبار، أن النعمة التي تصل إليك لابد أن تسير في مسار السبب، فما هي الأسباب؟ فلنبدأ بالحقيقية:

أي حولي إما شخص وإما شيء محسوس مادي، تأتي الأرزاق عن طريقهم، يعني اسألك الآن في عالم الرواتب لما كان – وإلى زمنٍ قريب – لما كان المحاسب هو الذي يصرف الراتب، هنا ما نوع السبب؟ بشري، انت الآن تتعامل مع بشر، لما أصبح عن طريق البنوك إلكتروني؟ أصبح سببًا ماديًا، في الصفاء انت تقولين أن هذا المحاسب ليس له علاقة إنما هو منفذ، وهذه الآلة ليس لها علاقة..مثلًا رئيس الموارد البشرية، أو مكتب المحاسبة مثلًا، أو هذا يأتي أوامر، ممن؟ من الجماعة الذين يمسكون الدوام، وهؤلاء أيضًا تأتيهم أوامر، أوامر ممن؟ إلى أن نصل إلى رئيس الشركة، إذن لما ينقص علي من راتبي شيء أشعر بالحقد على رئيس الشركة، ولو جائتني مكافأة أشعر بتمام الإمتنان لرئيس الشركة، وهذا حد الناس، وحد عقولهم.

مثله لو كانوا يشتغلون في الحكومة، الحكومة، الحكومة، وتسمعي كلمة الحكومة كأنه إله من دون الله أعطت تركت منعت إلى أخره، هذا الكلام الذي أصبح سائرًا الناس لا يجدون في قلوبهم حتى إستنكاره، أحد يأتي يقول الحكومة أعطتنا، الحكومة منعتنا، لا أحد يستنكر هذا الأمر! على أنه طبيعي وهذا الإشكال، نحن نقول الآن الرزق من الله، ذنبًا اقترفته أو اختبارًا ابتليت به منعت بسببه من رزق، أو رحمة وعطاءًا أو ابتلاءًا فتح عليك باب الرزق، ثم هذا الرزق فلنقل زيادة، من أجل أن يأتيك يحصل انشراح في قلب المدير، وفقت أن تفعل شيئًا بسببه حصل الإنشراح، إذن من الذي يدبر هذه الأسباب ويوقع هذا الشرع في قلب هذا ويمنع هذا؟ الله عز وجل، فانت ترى أن رزقك أتى لابد أن يأتي عن طريق الأسباب، وعقلك توقف عند الأسباب، هذا بلاءك.

مثلًا مريض دخل المستشفى ممكن يكون السبب الذي أصبح رهينه الطبيب نفسه، طبيب ماهر، أو ممكن يكون السبب الذي أصبح رهينه جهاز جديد، جهاز أخترعوه جديد وأصبح هو رهينه.

إذن الحال السائر أن الناس تجاه الأسباب سواء كانت بشرية أو مادية يصبحون رهنائها.

- تعال إلى الجهة الأخرى؛ الوهمية: هذه الوهمية خطيرة، لا تتصور إلى أي درجة خطيرة، يكون أتاك الرزق، أو أتتك المنفعة أو أتتك الصحة من طريق وانت عقلك ذهب إلى طريق أخر.

في كثير من الأحيان يأتي أحد يقول أدعو لي أني أوفق أو أفعل كذا أو كذا، وانت أصلًا تنساه ولا تتذكره، وهو يراك رجل صالح أو امرأة صالحة، وانت في عينيه بهذه الصورة، وكل واحد يذهب إلى طريق وتتقابلوا مرة أخرى، فيأخذك بالأحضان ويقول لك بسبب دعائك حصل لي كذا وكذا، وانت لا تتذكر حتى مرة واحدة أنك دعوت له، فانظر إلى هذا السبب الوهمي!، وهو تصور أنك دعوت له وقلبه تعلق بك على أنك دعوت له ويكون في الحقيقة وهم، مجرد وهم.

على ذلك قس بقية المواقف، وبالذات المواقف العكسية، يعني شخص يفصل من عمله، وكان يرى صاحبه أو زميله يتردد على المدير، فيحيك في عقله أنه فعل وأنه فعل وأنه سبب له الفصل، يعني تظهر الأسباب الوهمية في الحالة العكسية.

فهذه حالة كثيرًا ما تكون منتشرة وبسبب سوء الظن يكون الجزاء من جنس هذا الظن فتبتلى، ثم الشيطان يكمل لك بقية الصورة ثم تصبح رهينًا للأسباب!، ومن أجل ذلك انتشر بين النساء المرض النفسي الذي فيه دائمًا شعور أني مظلومة وأن أحد يحيك لي مؤامرة، هم يسمونه نظرية المؤامرة، يعني هذا شخص واقع تحت نظرية المؤامرة، مريض بهذا المرض.

ما سبب ابتداء مرضه؟ – لتعرف كيف الاعتقادات النفسية تحل المشاكل النفسية – ما سبب ابتداء المرض؟ شعوره أن فلان سيؤذيه، وأن فلان سيأخذ منه رزقه وأن فلان يريد قتله وأن فلان يريد قتل أولاده، إلى أخره، فتكون هذه المشاعر التي في نفسه، فيتصور أن النعم أتت من عند الناس أو بالعكس، أن النقم أتت من عند الناس، لا يتصور أن النقم بلاء، وأن النعم بلاء، وكلها من عند الله.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا تفهمي هذا المرض؟ هذا مرض يسمى نظرية المؤامرة أو له اسم قريب من هذا، ما معناه؟ واحد عاش فترة من حياته تصور أن الناس يحيكون له مؤامرات، هو مريض، لماذا يحيكون له مؤامرات؟ يريدون أن يفصلوه من عمله، يخرجوه مثلًا من درجته العلمية إلى أخره، يريدون أن يأخذوا منه أولاده، النساء مثلًا تريد أن تأخذ زوجها، تتصور أن أحدًا يريد أن يأخذ هذا الزوج.

الآن مشكلة مثل هذه كيف تعالجها؟ ما الذي ينقص في قلب هذا الشخص؟ في أصل الاعتقاد قبل أن يصبح مرضًا، ما الذي ينقص؟ أن هذه نعمة من الله لا أحد يستطيع أن ينزعها من بين يديك ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ لا تتصور أنها أصلًا تأتيك من أحد، ولا تتصور أنهم لو حاكوا من المؤمرات ما حاكوا سيستطيعون قطع شيء من رزقك، لماذا تفكر في هذه الصورة؟!،

ولذلك تخيل قيل للغلام الصغير لابن عباس الصغير القاعدة الأساسية في التعامل مع الحياة وهذا ليست موجودة في عقله، "اعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ"، فانظري هذه القاعدة الذهبية التي يخاطب بها الطفل الصغير ليست متواجدة في إنسان ناضح، كامل النضج عقليًا المفروض.

ولذلك لازلنا نقول الأمراض النفسية نتائج نقص في الاعتقاد، ليس نقص الإيمان، لا تخطأوا، هذا نقص في العقائد الموجودة في القلب، ما هو الفرق؟ العقائد الموجودة التي تربى عليها، لكن الإيمان هذا الذي سيكون نتائج عملك بما قام في قلبك، يعني الإنسان يمكن أن يحصل منه معاصي وممكن أن يحصل منه ذنوب فينقص إيمانه، "لا يَزْنِي الزَّانِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ" لكن لما تأتي تقول: "يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا" فهو أتى بقراب الأرض خطايا؟! نقول لا بأس، الذنوب هذا أمر فيه نوع إنفصال عن الاعتقاد.

في حديث عبدالله ابن حمار؛ الصحابي الذي كان يشرب الخمر، ثم كان يجلد فأحد الصحابة قال: "اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ"– من كثرة شربه للخمر– ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ "لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ "،[٥٦٧] إذن هذا

[٥٦٧] بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ لَعْنِ شَارِبِ الْخَمْرِ وَإِنَّهُ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْ الْمِلَّةِ

اعتقاد مع أنه هنا ذنب، لكن اعتقاده فيه محبة الله ومحبة رسوله، فغالب الأمراض النفسية نتيجة عدم اعتقادات سوية في القلب، ليس فيها اعتقادات سوية، ثم طبعًا هناك عوامل أخرى، لكن نقول أن معالجة الأمراض النفسية سيكون ابتداءًا من الاعتقاد الصحيح.

هنا مثل نظرية المؤامرة التي بدأت تنتشر، ثم له تصرفات وأبعاد لا تتصوروها، يعني لما تأتينا أكثر من ثلاثة حوادث في الشهر الواحد هذا يموت وحده، عن رجل كبير أغلق عليه الأبواب، يعني تعرفون تكبر تكبر هذه المشكلة إلى أن يصل أن هذا الشخص يطلب من أولاده أن يضعوا له الطعام ويشتروه من مكان معين، ولا يفتح لهم الباب، حتى لأولاده لا يفتح الباب، ثم يفتح الباب تلصصًا ويأخذ ويغلق الباب، لدرجة أنه مات وبقي ثلاثة أيام لا يعرف عنه أولاده، ويغلق بينه وبين أولاده بسياج من حديد إلى أخره.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نعم يأتي للمراهقين والمراهقات ويكبر إلى الأعلى، وهناك نفسية معينة لمثل هذا المرض، هناك عوامل معينة تؤدي إلى هذا المرض، لكن في النهاية افترض أنك تجدي ابنك أو بنتك طوال الوقت تقول لك يريدوا أن يأخذوا أغراضي، يخططوا ويفعلوا لي كذا، أصحابي في المدرسة دائمًا يتأمروا علي، فلما تسمعي هذا الكلام لا تستجيب للطفل، افهم أن وراءه مشكلة، ماذا سنفعل؟لابد من تغذية نسبة النعمة إلى الله، وأن هذه النعمة من الله ولا يستطيع أحد أن ينزعها منك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نحن من أول الكلام نقول هذا من الأسباب الوهمية، وهم، اسألكم سؤال والظاهر أنكم لم تسمعوا عنها أبدًا، أكيد هناك من سمع عنها

سؤالي هذه المشكلة تشعرون بها؟ أحد منكم شعر بها عند أحد؟ نعم موجودة، تقول لك أنا أشعر وليس عندها دليل ثم ترتب لك أدلة من عندها ليس هناك مشكلة، لابد من تربيتهم على نسبة النعمة إلى الله، هذه الخانة التي فيها إشكال، لأنه يخرج من عمله يستقيم يقول هؤلاء يلحقوني من مكان إلى مكان، ففي المكان الأول رتب لنفسه أن هناك مؤامرة، وفي الثاني، ثم تراه يعيش في وهم، هذا موجود وبقوة، مشكلة كبيرة لكن لا تعرفونها، هذه صارت مشكلة أيضًا!.

أقول لكم حتى الزوجات تتصور أن زوجها عليه مؤامرة وأن أمه وأخواته مجتمعين وأنهم اجتمعوا دون أن يخبروها من أجل أن يخططوا لكذا، وتحكي لك قصة وأبعاد وتشعري أنك ترى فيلم من كثرة ما تأتي لك من أحداث.

مبدأ هذا ليس فقط سوء ظن في الناس، سوء الظن له حد، إنما مبدأه شعور أني يجب أن أحافظ على الموجود عندي، أن هذا ملكي وأن فلان سينزعه مني، فليس هناك شعور أن الله هو الذي وهبك وهو الذي سيحفظه، ليس هناك أي مشاعر، وبدايته أننا طوال الوقت ننسب النعم لأنفسنا أننا فعلنا، أننا أتينا، أن زوجي يحبني لأني أفعل كذا وكذا، أني جميلة ولا يمكن أن ينظر إلى غيري، هذه المنظومة التي تراها هي التي تسبب شعور الصدمة عند النساء لما زوجها يلتفت عنها مثلًا، لأن طوال الوقت هي تشعر أنه رهينها لأن عندها أسباب رهنه، ولا يمكن..

ثم هناك كثير من النساء تقول لك خدعني عشر سنين، خدعني ثماني سنوات، نقول انت من عشت في الخديعة، وهذا أقل ما تستحقينه أن تنزع النعمة وتفهمي أنك بما معك من سبب لست بشيء!.

٦٣٩٨ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

فمن أجل ذلك أقول لكم هذا الباب خطير لأنه وراءه تشعبات كثيرة وتفرعات في حياتنا، أصلها أني ليس عندي مشاعر أن هذه النعمة من الله، وأن الله يحفظها، أن الله عز وجل هو الذي يشكر عليها، لها تشعبات، وكما اتفقنا في أول الكلام مشكلتنا النعم المتكررة علينا، النعم المتكررة علينا ماتت مشاعرنا فيها.

الآن سأضرب لكم مثالًا ببناتنا الصغار بنات ابتدائي وغرس وما فوقهم في المتوسط، لما تأتي أيام الاختبارات وطوال السنة هم يعاملوا المركز بالبطر، يأتون ويذهبوا بطرانين، لا يحترموا الاحترام المطلوب، وأقول الحقيقة الواقعة وأقول عن بناتي قبل أي أحد، لا يحترموا الاحترام المفروض ولا يحترمون الأداء العقلي أني أريد أن أرتب لك وأجعل لك عقل تستطيع، ولا محترمين القيمة العلمية التي يأخذوها، وانتم وهم الآن تكادون تكونون سواء، انتم الكبار وهم الصغار تكادون تكونون سواء من جهة فهمهم وحفظهم إلى أخره، كل هذا غير محسوس به من أجل أنه يتكرر كل يوم، متى يشعروا به؟ لما تأتي أيام الاختبارات ويذهبوا إلى التعليم العام ويروا الناس كيف يعاملوا الناس، هذه الساعة تأتي قليل من حركة القلب أن هذه نعمة من الله.

فنحن حالنا مع النعم الباقية نفس الصورة، الشخص الذي اعتاد أن النعمة موجودة يموت قلبه تجاه النعمة، وتجاه نسبتها إلى الله، ولما يتكلم عنها يسير في واحد من خطين أما يشعر أنه في غنى عنه وهذا البطر، أو يتكلم أنه حصلها بمجهوده، على كل حال هذا موضوع خطير لأن الحياة كلها تدور حوله.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذه قضية أخرى تحتاج إلى نظر وتحليل، لكن أنا شخصيًا لا أؤيد هذا التفكير، لا أؤيد تفكير المؤامرات أقصد المؤامرات في الأمراض يعني لأن أمامي نص صريح، ما هو النص؟ أن القوم الآن لما يذنبوا كيف يعاقبوا؟ تنتشر فيهم أمراض لم تكن في سالفهم، فهذا الذي يجعلنا نقول هذا ابتلاء من الله وإن كان له هذا السبب لازال ابتلاءًا، حتى لو كان له هذا السبب – سبب المؤامرة – في النهاية لازال ابتلاءًا من الله.

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي.

هذا التفسير الأول للآية، تفسير ﴿يُنكِرُونَهَا﴾ سنفهم الآن قول مجاهد ثم نفهم الاستثناء.

اتفقنا أن هذه العبارة من العبارات المشكلة.

هذا القول منافي لكمال التوحيد الواجب، ولفظ شرك لأنه نسب هذا المال إليه ونسبه إلى آبائه، وفي الواقع أن هذا المال أنعم الله به على آبائه ثم أنعم الله به على هذا الرجل إذ جعل الله جل وعلا قسمة الميراث تصل إليه، وهذا كله من فضل الله جل وعلا ومن نعمته.

يعني هو سبحانه وتعالى أنعم على آبائه ثم هو سبحانه وتعالى شرع الميراث، إذن هذا كله من فضل الله عز وجل ومن نعمته، والغالب سبب في إيصال المال إليك، ولهذا لا يجوز للوالد أو لصاحب المال أن يقسم الميراث على ما يريده هو، لأن المال في الحقيقة ليس مالًا له.

دليلنا: يقول الله عز وجل ﴿ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾[٥٦٨] يعني انت أمرت بأن تعطيهم من مال الله الذي أعطاك فهو مال الله وهو الذي أعطاك، يعني هذا المال مال الله وهو الذي أعطاك إياه، فهو مال الله عز وجل يقسمه كيف يشاء.

[٥٦٨] النور:٣٣

ورد في الحديث: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَسَّمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاقَكُمْ كَمَا قَسَّمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ "، وهذا يحولني إلى مسألة أصعب من الأولى، الأولى [المال، الصحة، الأولاد] وهنا الكلام حول الأخلاق، يعني حتى أخلاقك الحسنة التي تتخلق بها ترى نسبتها إلى الله، كيف نسبتها إلى الله؟ مثل الصحابي لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال له النبي صلى الله عليه وسلم فيك خلصتان يحبهما الله الحلم والأناه فسأله هل هذا جبلت عليه أم تطبعت به أو تخلقت به فالنبي صلى الله عليه وسلم قال أنه جبل عليه، فهو حمد الله أنه جبل على ما يحبه الله.

لكن المقصود الآن نحن طوال الوقت نقول لأنفسنا عن أنفسنا أو لما نقول لأحد أنا أخلاقي كذا أو أنا طبعي كذا، ونتكلم عن الأخلاق الحسنة في أنفسنا – وأنا وأنا، فكون أن نقول أنا أجتهد، أنا نجحت، فهذا مله من نسبة النعمة إلى الله، فتصور أن المسألة تتخطى إلى الأخلاق، ويقال لك ما بك من أخلاق حسنة فمن الله.

يعني تخطت المسألة كون الأرزاق المحسوسة، تحولنا إلى الأخلاق، فمعنى ذلك أن محاسبة اللسان على سلوك المسلك المرضي لله مسألة تحتاج إلى بذل جهد لتعديل ما في القلب من اعتقادات، كل ما اكتسبته أو جبلت عليه من أخلاقٍ حسنة فالذي جبلك هو الله والذي أكسبك هو الله، كلها، والأخلاق السيئة ابتليت بها، يعني إذا كانت طبعًا ابلتيت به فهذبه على الشرع، وإذا كنت اكتسبت الأخلاق السيئة انت تلام عليها.

يعني الأخلاق الحسنة الكرم، هذا طبعك، انسبه إلى الله أنه هو الذي طبعك على هذا وأيضًا الأمر الثاني انتفع به بالقرب إلى الله لا القرب إلى الخلق، ولو اكتسبت خلقًا الحسن لم ييسره لك إلا الله، ومن أجل ذلك انظر للذي يهيأ الله له صحبة صالحة، ويكتسب منها أخلاقًا صالحة، ألم يسبب له الله السبب؟ سبب له السبب وأثمر له السبب، من الذي أثمر السبب؟! وإلا كم من أولادنا بين صحبة صالحة ولم يخرجوا بنتيجة، إذن الله يسبب السبب والله الذي يعطي النتائج، هذا سواء كان في الأرزاق المادية أو الأرزاق النفسية.

فالواجب على العبد أن يعلم أن ما وصله من المال أو ما وصله من النعمة عن طريق آباءه هو من فضل الله عز وجل ونعمته، ووالده أو ووالدته أو قريبه مجرد سبب، ما موقفه؟ أولًا يحمد الله جل وعلا على هذه النعمة ويقابل السبب بجزاءه إما بدعاء أو بغيره.

انتهينا الآن من أصل النقاش، قول "هذا مالي ورثته عن آبائي" ما موقفك من هذه الجملة؟ اتفقنا أن هذا القول منافي لكمال التوحيد الواجب ونوع شرك.

لكن أيضًا أتفقنا أن هذا أصل المناقشة ثم ذكرنا أن هذه من الكلمات التي فيها إشكال وستحتمل إحتمالات، سنقرأ تعليق الشيخ على قول مجاهد.

مجاهد فسر الآية التي في سورة النحل﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ فسرها فقال: "هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي"، اتفقنا أن أصل هذه الجملة منافية لكمال التوحيد الواجب أي شرك أصغر.

سنرى الآن تعليق الشيخ على الجملة؛ قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعليقًا على قول مجاهد رحمه الله: "هذا مالي، ورثته عن آبائي" قال:

ظاهر هذه الكلمة أنه لا شيء فيها، فلو قال لك واحد: من أين لك هذا البيت؟ قلت: ورثته عن آبائي، فليس فيه شيء لأنه خبر محض.

يعني في حالة كون خبر محض سيكون لا شيء فيه

لكن مراد مجاهد أن يضيف القائل تملكه للمال إلى السبب الذي هو الإرث، متناسيا المسبب الذي هو الله، فبتقدير الله عز وجل أنعم على آبائك وملكوا هذا البيت، وبشرع الله عز وجل انتقل هذا البيت إلى ملكك عن طريق الإرث، فكيف تتناسى المسبب للأسباب القدرية والشرعية فتضيف الأمر إلى ملك آبائك وإرثك إياه بعدهم؟! فمن هنا صار هذا القول نوعا من كفر النعمة.

يعني لو كان مجرد خبر محض لا شيء فيه لكن لو كان نسبة هذا الإشكال.

أما إذا كان قصد الإنسان مجرد الخبر كما سبق، فلا شيء في ذلك، ولهذا «ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قيل له يوم الفتح: يعني لما بلغ مكة.

أتنزل في دارك غدا؟ فقال:: وهل ترك لنا عقيل من دار أو رباع؟» ،

يقصد النبي صلى الله عليه وسلم أنه انتقلت الدار إلى عقيل بالإرث.

فهذه الجملة خبر، يخبر عن هذا البيت أن هذا البيت ورثته أنا، إذن هذا خبر لحال البيت كيف انتقل.

فتبين أن هناك فرقا بين إضافة الملك إلى الإنسان على سبيل الخبر، وبين إضافته إلى سببه متناسيا أن المسبب وهو الله عز وجل.

إذن في هذه الجملة ستعتمد المسألة على ما قام في قلبك، وما قام في قلبك ستأتي به عذرًا لكل الجمل معنى ذلك؟! نقول لا على حسب الحال.

⇦ يعني انت الآن لو في محكمة وقيل لك من أين لك هذا البيت ستقول ورثته عن أبي.

⇦ لو الآن نقسم الملكية أو نزع ملكية من مكان من أين لك هذا ستقول ورثته عن أبي.

يعني الخبر المحض له مواطنه، لكن القول السائر لابد فيه من نسبة النعمة إلى الله.

يعني مثلًا أحد يأتي يقول لك ما شاء الله هذا بيتك جميل وموقعه جيد، فترد تقول ورثته من آبائي نقول لا هذا ليس خبرًا محضًا، الخبر المحض لما أحد يريد منك حقيقة مجردة من أجل ما يترتب عليها.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: في هذا الموطن لا يصلح أبدًا لأنه سينازع فيه اسم الرب، ضعي هذا الموقف فقط على هذه الحالة، لما أأتي أتكلم عن خبر محض ضعوا عيونكم على قول مجاهد، ولا تضعوها قاعدة عامة لأنه سيصعب عليكم أن تجعلوها قاعدة عامة.

يعني متى يكون خبر محض في مسألة تتصل بالميراث؟ في مثل هذا الموقف، يعني لا تأخذيها قاعدة عامة لما يأتي أحد يقول لك كيف ربيتي بناتك؟ ستجيبين من أول الكلام تفضل الله علي، حتى لو كنت تتكلمي مقالة مجردة يجب أن تقولين تفضل الله علي، لأن هذا من أعظم أفعاله "التربية" وانت ليس لك فيها يد.

المقصود لما تكوني بين يدي من يحاكم، من يخاصم، من ينازع، هنا تأتي الأخبار المحضة، لكن في الأقوال السائرة ليس هناك كلام عن الخبر المحض.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

وهذا كقول القائل لولا الطيار لذهبنا في هلكة، ولولا أن سائق السيارة كان ماهرًا لكنا ذهبنا في كذا وكذا، أو يقول لولا أن الشيخ كان معلمًا وافهمنا هذه المسألة لما فهمناها أبدًا، أو يقول لولا المدير الفلاني لفصلت، ونحو ذلك من الألفاظ التي فيها تعليق حصول الأمر بهذه الواسطة.

وهذا طبعًا من أشهر الأقوال وأكثرها وقوعًا أنك تنسب هذه النتيجة لهذا السبب لولا فلان لم يكن كذا، وبالذات هذه الصيغة، الصيغة التي فيها كلمة لولا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: بفضل جهود فلان وفلان حصل كذا، الحصر، لولا فلان ما كان حصل لنا كذا، حصرت النتيجة على فلان، بفضل فلان كذا وكذا، حصرت هذه النتيجة بتفضل فلان بها عليك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لابد أن تنسب الفضل إلى الله، سيأتينا " ثم" في الذي بعده، الآن كله على الإفراد، انت لابد أن تشعر في قرارة نفسك أن الفضل كله لله وأن الله تفضل عليك بوالدين صالحين، وتفضل عليك بزوج مبارك، وتفضل عليك ببيت جيد، وتفضل عليك بسكنة كذا، تفضل عليك بكذا، على الترتيب، تفضل عليك من؟ الله عز وجل.

من أجل ذلك لما يبلغ الإنسان أربعين سنة يقول ﴿أَنْ أَشْكُر نِعْمَتك الَّتِي أَنْعَمْت عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ يعني واحد يصبح عنده حساسية مختلفة أنك انت انعمت علي يارب، ولولا نعمتك علي ما كنت، ولولا نعمتك علي وعلى والدي، ولذلك لما تعدي صفات إبراهيم عليه السلام في سورة النحل ختمت السورة بإبراهيم عليه السلام؛ عدي صفاته؟ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ فكان مناسب جدًا أن إبراهيم عليه السلام يكون في ختام سورة النحل، لأن الشاكر شخص لديه حساسية شديدة تجاه نسبة النعمة، تجاه النعمة نفسها وتجاه نسبتها، لو كنت تحب أحد ستدخلينه في كل كلامك، وإذا كنت حقيقة .تشعري بالحب إلى الله وبالامتنان له لا يمكن أن تتكلمي عن نعمة ولا تنسبيها إلى الله، لا يمكن، يعني تستحي من الله أن تكوني تستمتعي بالنعمة ثم تقولي هذا شيء أنا أتيت به، أنا اجتهدت به، أنا فعلت، أنا تركت.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: السؤال: أحيانًا أشخاص ينتظروا منك اسم شخص، مثلًا مرضت ثم تعالجت فشفاك الله، لكنك تعالجت أخذت بالأسباب، فيقولون كيف؟ تفضل الله علي بالشفاء، أعطاني، لكن مَن مَن؟! يجب أن تأتي بمن هو في النهاية، هذا الشخص الذي يقول لك هذه الكلمة يجب أن لا تجيبيه، لأن في قلبه علامة استفهام لن يشفيها إلا الاسم الذي يستقر في قلبه وليس الله!، يعني هذا الشغوف لابد أن يكون في قلبه ضعف من جهة نسبة النعمة إلى الله.

ومر معي موقف مع أحد الأخوات اسأل الله أن يرزقها الصدق والإيمان وأن يزيد مرتبتها عنده وأن يشرح صدرها للعلم، هي لا تنجب، ثم خرجت أرادت أن تتطبب من أجل الإنجاب، المهم ذهبت إلى الطبيب أو الطبيبة فلما دخلت عندهم تقول لهم بلسانها أنا أرجو الله أن لا تنجح العملية وأرجوه أن يهبني هذا الطفل موهبة، من أجل أن لا تأتي لحظة ويقال فلان الطبيب أو الطبيبة هو الذي عن طريقه أتى الإنجاب، فقال لها الطبيب من الآن قومي، فقالت أقوم أنا ليس عندي مشكلة، أنا لولا ضغط الناس حولي ما كنت جلست، ولا كنت خرجت هذا الخروج، لأني أريده هو سبحانه وتعالى أن يهبني ولا يكون لأحد غيره فضل علي.

فانظري لما يكون هناك صدق في التعلق بالله العبد حتى يكره الأسباب، يبغضها، ويراها حاجزة عنه سبحانه وتعالى لكن هذا يحتاج منا دربة في أن لساننا لا يتكلم عن أحد إلا بأن الله تفضل علينا به، يعني الوالدين، البيئة الجيدة، الأبناء، هذا كله رزق وابتلاء

وعطاء منه سبحانه وتعالى، فلما تتكلم تتكلم عنه بهذه الصورة، هذا لو امتلأ قلبك شعورًا أن النعمة من الله، ولذلك نحن نخشى أن تأكل قلوبنا نسبتنا النعمة إلى غيره، ستجده أكل قلبك، أكل إيمانك، لأن لما كل شيء أتاك عن طريق الناس أو عن طريق الأسباب المادية أو الحسية ثم ماذا؟! كيف ستكون شاكرًا لله؟!، وعلى ماذا ستشكره إذا تشتت قلبك في حمد كل أحد؟!.

والأمر إنما حصل بقضاء الله وقدره وبفضل الله وبنعمته بحصول النعم أو بإندفاع المكروه والنقم، ولذلك يجب على العبد أن يوحد فيقول لولا الله ثم فلان، فيجعل مرتبة السبب ثانية ولا يجعلها هي الأولى الوحيدة لأن الله جل وعلا هو المسدي للنعم المتفضل بها.

وسيأتينا معناه أن هناك مرتبتان:

- مرتبة تنسب النعمة مطلقًا إلى الله.
- ومرتبة يصح لك فيها "ثم".

تعليق وجود النعم على قدرة مخلوق من المخلوقين سيكون حكمها كفر، لأنه يتضمن إضافة النعمة إلى من لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعا وإنكارًا لفضل المنعم الحقيقي وهو الله.

تعليق وجود النعم على قدرة مخلوق من المخلوقين يعتبر كفر، تفهمون هذه الجملة؟ يعني انت تقول هذه النعمة وجودها أتى بقدرة فلان، بهذا المعنى، يعني شفيت لأن فلان عالجني، هذا سيكون كفر، لو استقر أعتقاد القلب مع اللسان أصبح كفرًا أكبرًا، ولو كان مجرد قول باللسان مع عدم اعتقاد القلب هذا سيكون كفرًا أصغرًا، لأنه يتضمن إضافة النعمة إلى من لم يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا وإنكارًا لفضل المنعم الحقيقي ووهو الله.

الآن نتحول إلى الضدّ؛ ماذا يجب عليك أن تفعل إذا كان نسبة النعمة إلى غير الله يعتبر كفرًا أصغرًا ويعتبر شركًا أصغرًا ينافي كمال التوحيد الواجب.

إذن ما هو كمال التوحيد؟ كمال التوحيد الشكر، والشكر أوله ورأسه ومبدأه قلبك الممتن لله ولسانك الكثير الذكر له.

انتم متصورين أن المطلوب منا كثرة الذكر شكرًا على نعمائه، فماذا يحصل عند الناس؟ إنفصام، يذكرون الله في أذكار الصباح والمساء ثم لما يتكلمون عن النعم يتكلمون ناسبين النعم إلى أنفسهم، وانت ذكرك وكثرته إشارة إلى شعورك بالنعم، لأن ما الذي يجعل لسانك رطبًا بذكر الله طوال الوقت؟ طوال الوقت تشعر أنه منعم عليك، وتسمع عن الناس الذين يتنفسون بالأجهزة، تجلس في بيتك أمن وانت تسمع عن هايتي، وعن زلزالها، وطبعًا الأعداد بالملايين من جهة الأضرار، وتصوروا الزلزال لم يأخذ أكثر من دقيقة والإعمار يحتاج إلى أكثر من عشرة سنوات، والمبالغ خيالية، فانت تعيش آمن مطمئن، فكيف لا تكون له ذاكرًا، وشاكرًا، ومثنيًا، فماذا حصل؟ فصلوا الناس بين الذكر والشكر، فتراه في أذكار الصباح والمساء يقول: " اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ ، لا شَرِيكَ لَكَ ، فَلَكَ الْحَمْدُ ، وَلَكَ الشُّكْرُ" وينتهي من الأذكار فينسب النعمة إلى نفسه!، هذا ما يحصل!.

فلابد أن تربط بين الذكر والشكر، وتفهم أن كثرة الذكر من آثار شعورك بنعمة الله ونسبتها إليه، **معناه أن لسانك الرطب بذكره ناتج وجدانك الذي امتلأ بنسبة النعمة إليه، فإذا خالف لسانك هذا الأمر معناه وجدانك لم يتم فيه استقرار هذا الشعور،** فهمتم لماذا اللسان صعب وخطير؟ لأن كثرة ذكرك إشارة إلى شعورك أنه هو المنعم، قل ذكرك بل وصلت أن نسبت النعمة إلى غيره معناه أن قلبك ضعيف من جهة شعورك بالنعمة، معناه رسبت في الامتحان، لأن الناس لما الله عز وجل خلقهم في سورة الإنسان

قال ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ يعني الناس مقسومان إلى هذان القسمان: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ كونك تنسب النعمة إلى غير الله معناه رسبت، معناه أصبحت كفور، صحيح لم يجتمع قلبك ولسانك لكن اعلم يقينًا أن من بدأ لسانه بنسبة النعمة إلى غير الله لابد أن تأتي اللحظة التي يتبعها فيها قلبه، في أول الأمر لسانك فقط ولما أحد يذكرك تقول لا لا أنا متأكد أن ربنا الذي شفاني لكن هذا الطبيب لا تتصور كيف شاطر، بعد عشر سنين لن تتذكر إلا الطبيب وستنسى الله!.

ومن أجل ذلك كثير من الناس لما يمروا بجانب المستشفيات التي كادوا أن يهلكوا فيها وربنا سبب لهم الأسباب لما تمر من جنب المستشفى تقول قلبي يخفق لها، يخفق للمستشفى لماذا؟ من مشاعر الحمد والثناء لهذا المكان، المسألة خطيرة!، لسانك تعبير عن وجدانك، لا تتركه يسرح ثم تقول أنا في قلبي اعتقد أن الله هو المنعم!، نقول كيف؟!، أليس الذكر من إشارات الشكر؟ فلو كنت شاكرًا سيكثر على لسانك ذكر الله ولن يحصل جفاء نسبة النعمة إلى غير الله، ثم بأبسط شيء – وهذا يأتي في تربية الأبناء – بأبسط شيء بأذكار الصباح والمساء أليست كلها فيها نسبة النعمة إلى الله؟!، فمعناها إذا كنت حقيقة عابد ذاكر لابد ان تكون ناسب النعمة إليه.

ننتقل الآن إلى مرحلة أعلى من المرحلتان التي مضت، كأننا مررنا في النصوص بثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى قول مجاهد، وقول مجاهد سيحمل على أنه لو كان خبرًا محضًا لا شيء فيه، خبرًا محضًا يعني مسألة تتصل بإثباتات فلا شيء فيه، أضرب خبر محض في غير الوراثة لتتصورون، لأني أشعر أنها مشكلة عليكم، انت لما تقف أمام الاستقبال في أي مستشفى يسألوك من الطبيب المعالج لابد أن تجيب خبرًا محضًا، لكن انت مستقر في قلبك أن الطبيب هو الله، في أمر ليس في القول السائر لا انت أمام مثلًا محكمة، أمام استقبال، هذا ما يسمى خبرًا محضًا تركناه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الخبر المحض لا يحتمل هذه المسألة، هذا في القول السائر، هذا يسمى خبر سائر يعني تتكلم مع أي أحد ..الآن حقيبتك لمن؟ هذا خبرًا محض وليس قول سائر، ستخبرين خبر محض أنها لك، هذا لا بأس به.

اتفقنا على الحالة الأولى.

الحالة الثانية هي الممنوعة تمامًا: "لولا فلان ما حصل كذا" هذه ممنوعة، وفيها مرتبتان ستأتينا في الباب القادم ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا﴾ ستأتينا المرتبتان، ماذا سيكون موقفنا؟ يجب نسبة هذا إلى الله تمامًا ولا بأس من استخدام ثم فيها.

نأتي إلى قول ابن قتيبة في تفسير ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

تحولنا الآن إلى نوع جديد من الإنكار وهو اعتقاد أن [الأولياء، الأنبياء، الأصنام، الأوثان] هم من جاؤوا بالنعمة، فيصرفون العبادة والنسبة لهم.

يعني هنا وقع عندهم ليس فقط قول باللسان إنما اجتمع مع اعتقاد في القلب وهذا أصل فهم هذه المسألة، أصلها ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ أصلها أنهم يعتقدون بقلوبهم أن [أولياؤهم الأنبياء الشفعاء] يعتقدون أنهم هم المنعمون ثم يتكلمون بألسنتهم، ثم الحالة الأقل منها أن يعتقدون أن المنعم هو الله وبألسنتهم ينسبوها إلى غير الله، أي إلى الأسباب.

هذا القول في تفسير الآية سيشمل من اعتقد بقلبه نسبة النعمة إلى غير الله وأجرى ذلك على لسانه، وهذا القول من أخبث الأقوال لأن قائله مشرك في العبادة بغير الله، ونسب النعمة إلى غيره فوقع الشرك بنوعيه، ما نوعيه؟ شرك في الربوبية، وشرك في الألوهية.

وقال أبو العباس – بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: إن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر.. " الحديث، وقد تقدم.

أين تقدم؟ باب الاستسقاء والأنواء.

وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به.

وقال أبو العباس – أي ابن تيمية؛هذا كلام أبو العباس قال بعدما ذكر الحديث الذي أخذناه في الاستسقاء بالأنواء، بعدما ذكره قال ابن تيمية:

وهذا كثير

ما هو الذي كثير؟ نسبة النعمة إلى غير الله

وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به.

تكليف: المطلوب منكم أن تأتوا ببعض الآيات التي تدل على ذم من نسب النعمة إلى غير الله، هو يقول وهذا كثير، ما هو الذي كثير؟ من نسب النعمة إلى غير الله وهذا كثير في كتاب الله.

تعليق من الحاضرات رد من الأستاذة: منها قصة قارون صحيح.

قال بعض السلف

قال بعض السلف في التعليق على هذه الآية.

هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

السلف المتقدمون من علماء الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وستجدون مثل هذا الكلام في تفسير الطبري ينقل عنهم بالأسانيد قولهم هذا.

"كانت الريح طيبة، والملاح" المقصود به قائد السفينة، "حاذقًا" معناها مالحًا، هذه من الألفاظ التي فيها معرفة نعمة الله ثم إنكارها.

نأخذ قول ابن تيمية كتعليق على الباب كاملًا.

قال: ما من أحد تعلق بمخلوق إلا وخذل، وما من أحد تعلق بمخلوق تعلق بمخلوق في حصول نفعٍ له أو إندفاع مكروه عنه إلا خذل وهذا في غالب المسلمين.

يعني تعلق المحبة أو تعلق المصلحة في كلا الحالتان يخذل الإنسان وهذا في غالب المسلمين، لماذا لا يكون في أهل الكفر؟ لأن المسلمين يربيهم الله أما أهل الكفر فيمدهم في طغيانهم.

وذلك الواجب على المسلم أن يعلق قلبه بالله وأن يعلم أن النعم إنما هي من عند الله، والعباد يسخرهم الله جل وعلا، وهذا هو حقيقة التوحيد ومعرفة تصرف الله جل وعلا في ملكوته.

يعني حقيقة توحيد الربوبية – وأن يعلم أن النعم إنما هي من عند الله، والعباد يسخرهم الله جل وعلا– ما هي حقيقته؟ أن تعلم أن النعم كلها من عند الله وأن العباد إنما هم أسباب يسخرها الله ومن ثم تعلم أن الله هو المدبر المصرف للأمور.

سأل الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله عن الكلمة المنتشرة – هذه من خيرات الطبيعة –

في بعض الإعلانات يكتبون هذا من خيرات الطبيعة.

حيث أنها تنتشر دعاية في الشوارع.

فأجاب فضيلته هذا صحيح رأيناها في الشوارع، هذه الكلمة فيها سوء لأن الخير من الله عز وجل والطبيعة مطبوعة ليست طابعة للأشياء.

يعني هي اسمها طبيعة طبعها الله.

طبعها الله عز وجل وجعلها على هذا النحو من سننه، فالله عز وجل هو الذي جعل من سنته أن الماء ينزل، وأن الأرض تنبت، وأن الأرض تتنوع ما ينتج منها، ولهذا هذه الكلمة فيها مخالفة فينبغي بل يجب تجنبها حفظًا لنعم الله عز وجل على عباده.

هذه الجملة الأخيرة يجب تجنبها حفظًا لنعم الله عز وجل على عباده، يعني هذا النوع من النسبة سبب لمحق النعم.

بهذا انتهينا من هذا الباب، هذا الباب فيه آية سورة النحل ثم أقوال السلف في تفسيرها، ثلاثة أقوال ثم أخذنا كلام ابن تيمية، اذكري الأقوال منسوبة؟

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي.

هذا صنف من الأقوال، وهذا الصنف اتفقنا أن فيه نوعان:

نوع خبر محض.

ونوع قول سائر، قول سائر أي في التعاملات العادية.

وخبر محض في أماكن معينة كما تناقشنا.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

هذا النوع أشد نوع وأقبحه وهو الذي يجتمع فيه القلب واللسان.

إذن الأول فيها قولان.

الثاني قول واحد صاحبه قال بلسانه واعتقد بقلبه نسبة النعمة إلى الله، فنقول هذا كفر أصغر، وشرك أصغر.

الثالث قال بلسانه ما استقر في قلبه، نسب النعمة إلى غير الله بقلبه وقالها بلسانه إذن أصبح كفر أكبر وشرك أكبر.

ثم أتى قول ابو العباس وأتى بأمثلة؛ قال مثلما يقولوا:

كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

ما معناه؟ نسبة النعمة إلى السبب باللسان وأمثلتها.

لو كان اعتقاد أصبح كفرًا، هي قاعدة لو اعتقدوا أن النعمة أسداها فلان أصبح كفر، ولسانهم سيكمل لهم الكفر، لكن لو قالوها بلسانهم فقط سيكون شرك أصغر.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: من أول الكلام نقول هذا الأمر، نقول نسبة النعمة إلى الطبيب باللسان حتى لو استقر في القلب أن الله هو المنعم تكون كفر أصغر، شرك أصغر، من أول الكلام هذه القاعدة التي اتفقنا عليها؛ إذا اجتمع اللسان والقلب أصبح أكبرًا، لو كان اللسان منفصلًا عن القلب أصبح أصغرًا، هذا معنى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، أما ينكرونها بقلوبهم وألسنتهم وأما ينكرونها بألسنتهم فقط.

نأتي إلى الباب الذي بعده؛ باب قول الله تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥٦٩].

هذا الباب كأنه مكمل للباب السابق.

باب قول الله تعالى: (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) [٥٧٠].

قَالَ ابْن عَبَّاس فِي الآية: الْأَنْدَاد: هُوَ الشِّرْك أَخْفَى مِنْ دَبِيب النَّمْل عَلَى صَفَاة سَوْدَاء فِي ظُلْمَة اللَّيْل، وَهُوَ أَنْ يَقُول: وَاَللَّه، وَحَيَاتك يَا فُلَان وَحَيَاتِي، وَتَقُول: لَوْلَا كَلْبَة هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوص، وَلَوْلَا الْبَطّ فِي الدَّار لَأَتَانَا اللُّصُوص، وَقَوْل الرَّجُل لِصَاحِبِهِ مَا شَاءَ اللَّه وَشِئْتَ، وَقَوْل الرَّجُل: لَوْلَا اللَّه وَفُلَان، لَا تَجْعَل فِيهَا فُلَانًا هَذَا كُلُّه بِهِ شِرْك". رواه ابن أبي حاتم.

وَعَنْ عُمَر بْن الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ" رواه التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

وَقَالَ ابْن مَسْعُود: لَأَنْ أَحْلِفَ بِاَللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِ اللَّهِ صَادِقًا.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ " رواه أبو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

هذه الآية في سورة البقرة ما أولها؟ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ عد علينا النعم ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ عد علينا أصول النعم، في أخر الآية قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي خاطبهم بتوحيد الربوبية لاستلزامه لتوحيد الألوهية ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾.

---

[٥٦٩] البقرة:٢٢

[٥٧٠] البقرة:٢٢

يعني ما الواجب علينا بعدما عرفنا كل هذه النعم؟ الواجب علينا أن نعبده ولا نشرك به أحدًا في الأقوال وفي الأفعال وفي الاعتقادات، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ بعدما علمتم أنه وحده المنعم، بعدما استقر في فطركم أنه وحده المنعم.

ما هو المطلوب منكم؟ أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به أحدا، في ماذا يمكن أن يحصل الشرك؟ لا تخطأ فتعتقد أن الشرك يحصل فقط في الأعتقادات، أو الشرك يحصل فقط في الأفعال، إنما الشرك يكون في الأقوال والأفعال والاعتقادات، هذه أنواع من الشرك.

نرى مناسبته لما قبله.

سنقول أن هذا الباب والذي قبله كله دائر في ركن مهم من أركان توحيد الألوهية، اتفقنا أننا نناقش توحيد الربوبية، لكن سترى الآن ما الصلة بين توحيد الألوهية والربوبية.

ما هو هذا الركن؟ الركن هو التعظيم، فالألوهية مبنية على أمرين:

- على التعلق بالله.
- وعلى تعظيمه سبحانه وتعالى.

فمن تعظيمه سبحانه وتعالى التحرز في الألفاظ، وبخاصة فيما يتصل بالله عز وجل أو باسمائه وصفاته، والتحرز في ذلك من كمال التوحيد الواجب، لأنه لا يصدر عن قلبٍ معظم، يعلم أن الله عز وجل هو الذي يستحق أن يجل فوق كل جليل، وأن يحب فوق كل محبوب، وأن يعظم فوق كل معظم.

ما علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية؟ – واضح في الآية ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ – أقول أولًا سأضع علاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

مادام انت موحد توحيد الربوبية وتعتقد أن الله هو ربك من المؤكد أنك لابد أن تعبده، هذا توحيد الربوبية الذي يستلزم توحيد الألوهية.

عكس المسألة؛ ما علاقة الألوهية بالربوبية؟ لو كنت مؤلهًا لله كما ينبغي إذن لابد أن تأليهك سيتضمن اعتقاد أنه رب ومالك كل شيء، لو كنت تؤلهه كما ينبغي لو كان في قلبك تأليه له لابد أن تعتقد أن الله رب ومالك كل شيء، فمن تأليهك اعتقاد أنه مالك كل شيء، ألست تقول يتضمن؟ ما معنى يتضمن؟ مادام انت تعبده إذن تعتقد أنه رب كل شيء ومالك كل شيء، لذلك انت تنكسر بين يديه، وتطلبه ولا تطلب غيره، لماذا؟ لأنك تعتقد أنه وحده مالك كل شيء.

إذن إذا كان هذا الصورة إذن تعظيمك لله وتعظيمك لربوبيته يحرز لسانك من أن تتعلق بغيره أو تنسب النعمة لغيره.

إذن فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيمًا وإجلالا، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق تعظيمه، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق وصفه، وكل من رفع مخلوقًا فوق رتبته فقد جعله شريكًا لله في شيء من التعظيم الذي لا يستحقه إلا الرب سبحانه وتعالى، يعني لما ترفع مخلوق وتنسب إليه نعمة فقد جعلته شريكًا مع الله.

وهنا تنبيه ذكره الشيخ عبدالله الغليمان – حفظه الله – قال:

يخطأ كثير من الناس عندما يظنون أن الشرك مقصور على الإشراك في عبودية الأفعال؛ والصواب أن الشرك داخل في جميع أنواع العبادة القلبية واللسانية والقائمة على الجوارح.

الشرك في القلب واللسان والجوارح ومن أجل ذلك: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ ممكن أن يكون الأنداد في قلبك، وممكن أن تجعل لله أندادًا في لسانك، وممكن أن تجعل لله أندادًا في العمل الذي تقوم به في جوارحك، يعني الأنداد لا يكونوا فقط بالعمل أو بالاعتقاد بل يكون الأنداد أيضًا باللسان.

وقد جاء النهي عن إتخاذ الأنداد والشفعاء في كل ذلك.

سواء اعتقاد قلبي أو باللسان أو بالجوارح.

إذن ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما علاقتها بالباب الماضي؟ أن هناك تنديد باللسان.

ما تنديد اللسان؟ كيف يجعل لله ندًا بلسانه؟ بنسبة النعمة سيكون التنديد باللسان.

إذن هذا الباب متكامل مع الذي قبله:

⇦ الذي قبله الشيخ أتى بآية سورة النحل ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ وشرح لنا ما معنى الإنكار، الإنكار أن تنسب النعمة إلى غير الله.

⇦ ثم أتى في هذا الباب ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ليبيّن لك أن هناك تنديد باللسان، ما هو التنديد باللسان؟ هو إنكار نعمة الله.

❖ الدليل الأول.

باب قول الله تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٥٧١].

"فلا" أداة نهي.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ هذه نكرة، والأنداد معناها الأمثال والشركاء، وانتم تعلموا أن الله ليس له شريكًا ولا نظيرًا، لا في الخلق ولا في الرزق ولا في التدبير ولا في العبادة.

إذن نهي عن جعل أنداد أيًّا كان هؤلاء الأنداد مع الله، لأنك تعتقد وتعلم علم اليقين أن لا مثيل له ولا شبيه.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ :

- هذه الآية أولها امرٌ بعبادة الله.
- وأخرها نهي عن عبادة من سواه.
- وخلالها الدليل على هذان الأمران.

❖ أول الآية أمر بالعبادة.

❖ أخرها ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ نهي عن عبادة غيره أو جعل ندًا مع الله.

❖ ثم تضمنت من أولها إلى أخرها السبب أو العلّة أو الدليل أنه لماذا يجب عليك أن تعبد الله ولا تعبد غيره؟ لأنه أنعم عليك بهذه النعم.

إذن ما علّة أمرك بالعبادة ونهيك عن عبادة غيره؟ أنه هو المنعم.

---

[٥٧١] البقرة:٢٢

ركزوا لأن هنا جوهر المسألة:

⇦ إذن لو حصل في قلبك تحرك نسبة النعمة ماذا يحصل في عبادتك؟ ستتلبس عبادتك، لأن الله لما أمرك بالعبادة ونهاك عن الشرك جعل دليل أمرك بالعبادة ونهيك عن الشرك أنه وحده المنعم.

⇦ فإذا حصل عندك لبس في الدليل أو إشكال في الدليل؛ ما هو الإشكال الذي يمكن أن يحصل في الدليل؟ أن تنسب النعمة إلى غير الله.

⇦ فماذا سيحصل في عبادتك؟ أكيد ستتلبس عبادتك وسيحصل فيها ضعف بسبب أن في قلبك نسبة النعمة إلى غير الله.

ولذلك انظر لما يأتي طالب مجتهد مثلًا في الدراسة ونقول له: قم صلي فيقول أكمل هذه الصفحة أو أفعل كذا، ماذا تقول؟ هذا في قلبه مشاعر أن قدرته على الدراسة ملك له، ولو كان يعتقد أن عقله ووجدانه وفكره وذاكرته كل هذه النعم ملك لله كان رمى كتابه وقام! لأنه يفهم أنه لما يعص الله سيسلب الله منه هذه النعم، لكن لأنه نسب النعمة إلى نفسه وتصور قدرته على الدراسة، وتصور مهارته وتصور كل هذا ملك له وهو الذي أنعم به على نفسه تراه كسلان عن شكر الله بالصلاة!، لأنه يرى أنها ستقطع عليه الانتفاع بما يملك هو، هذا من آثار ضعف نسبة النعمة إلى الله.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ليس هنا نناقش المسألة لكن شعورك أنه هو المنعم يجعلك شاكر له على الدوام.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: فلنقل على طلابنا أنهم لا مستمتعين ولا أي شيء ولا أحد قريب من الاستمتاع لكن كل تفكيره أنه يريد أن ينجح ويريد أن ينتهى

إذن هذه الآية تدل على النهي عن اتخاذ الأنداد فلا يتم توحيد العبد حتى لا يجعل لله ندًا في قوله وفعله، لا يتم توحيده إلا لما لا يجعل لله ندًا في قلبه وقوله وفعله.

قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الآية: الْأَنْدَادُ: هُوَ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ،

ابن عباس يضرب أمثلة على الأنداد في سورة البقرة، وانتم تعلمون أن ابن عباس رضي الله عنهما هو ترجمان القرآن فقال: الأنداد هو الشرك ثم قال عن الشرك أنه خفي جدًا أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، أتى بثلاثة عوامل:

- دبيب النمل أي أثر النملة.
- الصفاء أي الحجر الأملس.
- أنه في ظلمة الليل.

فماذا سترى؟!، لا شيء!، ومعنى ذلك أن الشرك يدخل بهذه الصورة الخطيرة إلى القلوب، التي لا يشعر أحد بها، ثم أتى بأمثله قال:

وَهُوَ أَنْ يَقُولَ : وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ وَحَيَاتِي، وَتَقُولُ: لَوْلَا كَلْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ،

يعني ينسب نعمة الحفظ –كلبية تصغير كلب– إلى هذا الحيوان، خصوصًا الناس الذين عندهم مواشي يظهر لهم الأمر أكثر، وكل إنسان على حسب ما يعيش، في الأسباب المحيطة به.

وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَانَا اللُّصُوصُ،

البط من الطيور تتخذ في البيوت فإذا دخلها غير أهلها استنكرت وصاحت، مثله الآن الأدوات الحديثة، أدوات الإنذار، يقولون لولا أدوات الإنذار كان سرقنا، لولا أدوات الإنذار كان حرقنا، وهذا مثل بالضبط ما حصل في السيل، على أنه يتكلمون أنه لو ما كان كذا كان حصل كذا، فهو نفس الصورة بالضبط أن الإنسان يتصور أنه نجى بسبب الأسباب.

وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ ، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ". رواه ابن أبي حاتم.

إذن النسبة إلى الأسباب، كلام ابن عباس يبيِّن لك ما ذكرناه أولًا، **أن هناك نوعين من الأسباب في الأسباب الحقيقية هناك نوعين: بشرية ومادية:**

- كل هذا الباقي [كليبة، البط] هذه كلها تعتبر صورة للأسباب المادية.
- أو [ما شاء الله وشئت، لولا الله وفلان] هذه ستكون أشخاص، بشرية.

ماذا تفهم من كلام ابن عباس على الآية؟ هناك قاعدة مهمة لابد أن تفهمها في آية البقرة وفي آية النحل، ما هي القاعدة؟

أن السلف يستدلون بالآيات النازلة في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.

فقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما بهذه الآية ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ التي نزلت في قريش وهم يشركون الشرك الأكبر على أنواع من الشرك الأصغر.

لماذا يفعل هذا الفعل؟ لأن لفظ الآية يشمل الشرك بنوعيه.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ماذا تفهمين من الأنداد؟ سواء كان بالقول أو بالفعل أو بالاعتقاد.

وهذا الأنواع تدور على ألسنة كثير من الناس.

قال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله في قول ابن عباس رضي الله عنهما:

هو الشرك أخفى من دبيب النمل أي أن هذه الأمور من الشرك خفية في الناس لا يكاد يتفطن لها ولا يعرفها إلا القليل، وضرب المثل لخفائها بما هو أخفى شيء وهو أثر النمل، فإنه خفي.

يعني نفس أثر النمل خفي.

فكيف إذا كان على صفاه؟!، فكيف إذا كانت سوداء؟!، فكيف إذا كانت في ظلمة الليل؟!، وهذا يدل على شدة خفائه على من يدّعي الإسلام وعسر التخلص منه.

وهذا يفهمك حديث: "لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا" يفهمك أن التخلص من الشرك أمر عزيز، يحتاج إلى مجهود، ليس مستحيلًا لكنه يحتاج إلى جهد، والناس يستهينون به ويرفضوا في كثير من الأحيان المراجعات في الألفاظ، يعني ربما يقبلوا منكم مراجعات في القلب خصوصًا لو لم توجه له الخطاب، لأن لا أحد يعرف أن يشفي قلب الثاني، فلما تتكلم كلامًا عامًا فهو يعرف ما في قلبه فيراجع نفسه، لكن لما تأتي له ويقول لفظًا وتراجعه فيه فيشكل عليه.

والآن مشكلتنا أنصاف المتعلمين، يعني مسألة مثل هذه المسألة لابد أن تأصلها جيدًا قبل أن تطرحها على عامة الناس، وأقصد بعامة الناس من تقابلون حتى لو كان ظاهره الصلاح، ولا أقصد عامة الناس أي البعيدين عن الاستقامة، أقصد عامة الناس مثلًا في درس في مسجد أو محاضرة في مكان عام تحتاج أن تأصل المسألة تأصيلًا واضحًا، يعني لا تبدأ بها أولًا إنما ابدأ بعبادة الشكر ثم تتكلم عن مثل هذا.

والبعيد أيضًا نفس الأمر؛ أريد منكم أن تفهموا أن هذه المسألة لا تطرح حتى على الناس الذين ظاهرهم الاستقامة، يعني ربما أحد يقول انت مستقيم يجب عليك أن تعرف حق الله، لأ ليس شرطًا ابدًا! خصوصًا اليوم لما عظمت – الأنا — في نفوس الناس ويروا أنهم يستطيعون أن يتكلمون فلا يريدون أن يقبلون من أحد شيء، المقصد أن المسألة دائرة على الألسنة، تنقص الإيمان، وتدخل في الشرك الأصغر، وربما ترددت وتكررت والناس لا يشعرون كيف أنهم أبتلوا في إيمانهم ونقص إيمانهم بسبب هذا النوع.

إذن من تحقيق التوحيد الاحتراز من الألفاظ الشركية وإن لم يقصد المتكلم بها معنى لا يجوز، ولو جرت على اللسان من غير قصد.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" ما معنى الحديث؟ "فمن كان هجرته" أي أن هناك عمل لابد، يعني هذا العمل الذي ظاهره موافق للشرع لا يكون موافق للشرع كما ينبغي إلا إذا كان داخله موافق للشرع.

مرة أخرى؛ أحد يحتج لك ويقول: " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ " نقول نعم صحيح، أكمل الحديث؟ "فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ"، ما معنى الحديث؟ معناه إذا قمت بعمل يوافق الشرع مأمور به كالهجرة لا يكون موافقة على الحقيقة للشرع إلا إذا كانت نيتك صحيحة، لا بالعكس أنك تأتي بعمل مخالف ثم تقول نيتي هي الحكم! وإلا هذا باب على مصرعيه يفتح البدعة!، المعنى " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" يعني انت ليس لك نصيب في العبادة التي شرعت وأتيت بظاهرها إلا على قدر ما قام في قلبك من نية، هذا معنى الحديث.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نقول مثل هذا يعتبر نوع من أنواع تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم فوق مكانه، كونك تقسم به، سيأتينا ومن أجل ذلك أفرد باب خاص من أجل انتشار مسألة القسم.

حقيقة التوحيد ألا يكون في القلب إلا الله وألا يتلفظ بشيء فيه جعل غير الله شريكًا أو ندًا لله عز وجل.

❖ الدليل الثاني.

وَعَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ " رواه التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

ما معنى حلف؟ المقصود به أقسم، أي اليمين، والحلف هو تأكيد الشيء بذكر معظَّم، تؤكد صحة هذا الشيء بذكر معظَّم، ويكون هذا التأكيد بحرف من حروف القسم.

كم حرف لحروف القسم؟ ثلاثة:

- الباء.
- والتاء.
- والواو

[بالله تالله والله].

الحلف ما مقصوده؟ مقصوده التأكيد، لكن بذكر شيء في قلبك معظم، والمعظَّم مطلقًا في قلبك هو الله، إذن التعظيم المطلق حق لله، ومن تعظيمه أن لا يحلف إلا به أو باسمائه وصفاته.

ومن هنا أتى خطر الحلف بغير الله، ما خطره؟ لماذا الحلف بغير الله فيه إشكال؟ لأن الحلف تعظيم، تأكيد الشيء بذكر معظم فأتى من هنا الإشكال؛ من جهة التعظيم، والتعظيم المطلق حق لله عز وجل.

فمن حلف بالله كائنًا من كان فقد جعله شريكًا لله عز وجل في هذا التعظيم الذي لا يليق إلا بالله سبحانه وتعالى، ومن حلف بغير الله كالنبي أو الولي أو الكعبة أو النعمة أو الشرف أو الأمانة فقد أرتكب كبيرة من كبائر الذنوب ووقع في الشرك الأصغر، وهذا الحلف يكون من الشرك الأصغر إذا كان الحالف أشرك في لفظ القسم لا غير أي بلسانه يصبح شركًا أصغرًا، أما إذا قصد الحالف بحلفه تعظيم المخلوق الذي حُلف به كتعظيم الله تعالى فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

⇦ إذن متى يكون الحلف شركًا أصغر؟ إذا حلف بلسانه.

⇦ متى يكون شركًا أكبرًا؟ إذا كان في قلبه تعظيم المخلوق كتعظيمه لله.

ولذلك الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم يتردد بين أن يكون شركًا أكبرًا او شركًا أصغرًا على حسب نية الحالف، فمشكلة الحلف أصلًا أنه لا يستعمل إلا للتعظيم، لا يستعمل إلا لتأكيد الشيء بذكر معظم.

الخلاصة؛ **من حلف بغير الله فقد أتخذ المحلوف به ندًا من لله عز وجل.**

⇦ الدليل الثالث

وَقَالَ ابْنِ مَسْعُودٍ: لَأَنْ أَحْلِفَ بِاَللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِ اللَّهِ صَادِقًا .

لماذا هذه المقارنة؟

⇦ الحلف بالله كاذبًا سيكون كبيرة من كبائر الذنوب.

⇦ والحلف بغيره صادقًا سيصل إلى درجة الشرك الأصغر.

⇦ أما إذا كان معتقدًا أكيد أنه سيصل إلى الشرك الأكبر.

إذن تحريم الحلف بغير الله لأن ذلك تعظيم للمحلوف به، والتعظيم عبادة وصرف العبادة لغير الله شرك، يعني الإشكال في التعظيم، فأصبح الشرك من جهة التعظيم.

⇦ الدليل الرابع

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ " رواه أبو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

هنا حديث فيه نهي صريح عن التنديد، عبارة شركية فيها تنديد بين مشيئة الله ومشيئة الخلق.

على كل حال سيأتينا باب قول: "ما شاء الله وشئت" وبالتفصيل سنتكلم فيه.

الخلاصة؛ نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قول ما شاء الله وشاء فلان لأنه من إتخاذ الأنداد لله تعالى.

❖ الدليل الخامس

وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

كلمة: "يكره" عند السلف تعني التحريم.

هذا كله من تفسير ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ ونحن اتفقنا أن السلف يستشهدون على الشرك الأصغر بآيات الشرك الأكبر.

ما معنى قول إبراهيم النخعي؟ ذكر إبراهيم النخعي وهو أحد تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنه بعض الألفاظ الشركية وأرشد إلى ما ينبغي أن يكون عليه اللفظ، يعني يترك قول: "أعوذ بالله وبك" ويجوز أن يقول: "أعوذ بالله ثم بك"، ويكره أن يقول: "لولا الله وفلان" وأمره أن يقول: "لولا الله ثم فلان".

سنختم الكلام بأن في استعمال الألفاظ هناك درجتين:

- **درجة الكمال**: أن يقول لولا الله لما حصل كذا.
- **ودرجة جائزة**: وهو أن يقول لولا الله ثم فلان لما حصل كذا.
- وغير ذلك لا يجوز ويوقع في الشرك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لو أكثر الإنسان من اللفظ الجائز وترك الكمال سيأتينا في مناقشة الحلف بالله والحلف بغيره إن شاء الله.

انتهى هذا اللقاء.

شرح كتاب التوحيد ١٤٢٩هـ.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على صحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الثاني في هذه الدورة المكثفة التي أسأل الله عز وجل أن ينفعنا وينفعكم بها.

نحن في العادة ندرس كتاب التوحيد بطريقتان: بطريقة مختصرة وطريقة مطولة:

- الطريقة المختصرة هي هذه التي مررنا عليها السنة الماضية وهذا الفصل.
- والطريقة المطولة – أو فلنقل المتوسطة وليست بالضبط مطولة – نختار كتاب من كتب الشروح ونعلق على الشرح.

في الدفعة قبل الماضية كانت الطريقة درسنا الكتاب مختصرًا في فصل دراسي، ثم في أربع فصول دراسية درسنا الكتاب المطول الذى هو فتح المجيد.

الدفعة التي بعدها لم ندخل في الكتاب المطول أبدًا لكن استعملنا الأسلوب المختصر نفس أسلوبكم، لأربع فصول ثم في السنة التي بعدها أخذوا الواسطية، وكانت في الوسط يأخذوا دورات تنتقل لهم من التعليم العام، ونحن شارفنا على النهاية ممكن بشيء من الضغط ننتهي إن شاء الله.

لكن أنا أريد منكم أن تستخيروا وأنا استخير أنتم استخيروا وأنا استخير إن شاء الله.

سأسير هذا الأسبوع بالطريقة المختصرة، ثم يأتي للفصل الدراسي الثاني وأسلمكم كتاب فتح المجيد، الآن وصلنا الثلث تقريبًا وسنسير ونكون وصلنا الربع الأخير من الكتاب ندرسه الجزء الأخير من الكتاب مطول، على الأقل تشمون رائحة المطول تفهمون ما هو المطول، لأن في قلبي حسرة على الدفعة الماضية التي لم تمر أبدًا على المطول، واشعر أن هذا نوع نقص، وحتى فتح المجيد لا يعتبر مطول وإنما يعتبر متوسط لكن حتى تفهمي أن هذه ليست الطريقة الوحيدة لشرح الكتاب، وهناك طرق أخرى لشرحه.

على كل حال لا نستعجل في ابداء الرأى، فأنا أقول لكم هذا الكلام من أجل أن تستخيروا ويصير الفصل الدراسي القادم عبارة عن جزء في الكتاب في يوم السبت اسأل الله أن يحيينا ويحييكم على ملّة الإسلام والتوحيد.

يصبح اليوم مقسوم إلى قسمين:

- جزء مراجعة في القواعد المثلى لأن وصلتني أخبار أنها معقدة ولا نفهمها، وأنا كأني لا أسمع ولا أرى، فسأختبركم أولًا في القواعد المثلى وعلى أساس مستواكم سأحدد طريقة المراجعة، بمعنى إما طريقة المراجعة ستعقدكم أكثر أو أنها ستشرح صدوركم، وأسأل الله أن يشرح صدوركم.
- والجزء الثاني سنقرأ فيه شرح كتب فتح المجيد، لأن مشاعر مغادرة كتاب مثل كتاب التوحيد صعبة سندافعها بأي صورة فيبقى معنا جزء من الكتاب على طول الفصل الدراسي.

فهو من جهة إن شاء الله يكون رأيًا مباركًا يا رب لكن يبقى أن نستخير الله عز وجل، فاستخيروا الله لأنكم أنتم المستهدفين، فاستخيروا وأنا أستخير ونجتمع على رأي واحد.

ونكون بذلك أعطيتكم ولو جزء من حقكم في مسألة معرفة الطرق غير المختصرة لأننا نحن ننظر في المتن فقط طوال النقاش، فلم تمارسوا الشروح مع أنكم في الحديث مارستم الشرح وفي التفسير مارستم التفاسير، فيصعب علينا إنكم تترقوا في التفسير ويبقى التوحيد ما ترقيتم في معاملة كتبه، فهذه علتي وهذا هو السبب الذي أريد من أجله أن أتحول إلى المتوسطة.

نعود مرة أخرى إلى أبوابنا التي بدأنا بها، نحن بدأنا في الجزء الذى يعتبر يخص توحيد الربوبية ويخص أسماء الله.

الشيخ في الكتاب قسم كتابه إلى ثلاثة أجزاء:

- الجزء الأول كان بمثابة المقدمة والمدخل.
- ثم أتى بعد ذلك حق الله في توحيد الألوهية مع مناقشة هذا الحق، كيف مع المناقشة؟ هو أصلًا ذكر الضد: ["من الشرك لبس الحلقه ولبس الخيط"، "الاستعاذة بغير الله"،" الذبح لغير الله"] كل هذا ذكر الضدّ.

وبعد ذلك بدأ يناقشهم بمناقشة باب مثل باب: [﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، وباب ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾، "وباب الشفاعة"، وباب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، باب "ما جاء في النبي صلى الله علماذا وسلم من حماية حمى التوحيد وسده كل طريق يوصل إليه"، "باب ما سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الغلو في الصالحين"] كل هذا يعتبر مناقشة في توحيد الألوهية.

يعني ذكر حق الله في توحيد الألوهية ومناقشة من خالف في هذا الحق، فناقشهم وبيَّن لهم:

- فبيَّن لهم سبب كفر بني آدم.
- وبيَّن لهم أن هذه الأمة إذا أحد أتى قال: لا ينازع أحد أهل الإسلام طالما هم موحدين توحيد الألوهية، هم موحدين، فرد عليهم أن بعض هذه الأمة يعبدون الأوثان، فقال لهم سأذكر لكم صورًا من عبادة الأوثان: [ألا ترى أن السحر منتشر، ألا ترى الكهانة منتشرة، ألا ترى أن التنجيم منتشر، ألا ترى أن الإستسقاء بالأنواء منتشر؟!.]

فكل هذا كان في مناقشة توحيد الألوهية، ولذلك تلتفت في باب الاستسقاء بالأنواء فتجد أنه يمكن أن يكون له علاقة ببابنا ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بل أشار إلماذا في كلام ابن تيمية، فلا تقولي أن هناك نوع تكرار، لأ يجب أن تعرفي سياق الكلام، هناك كان يتكلم عن توحيد الألوهية ومناقشة من خالف في توحيد الألوهية، ولو أنت راجعتِ قليلًا في الكتاب سترى سبكه كيف تنقَّل مع المخاطبين.

انتهينا من الكلام عن توحيد الألوهية، أتى الشيخ ليتكلم عن المعرفه والإثبات، وهو تقسيم ابن القيم للتوحيد: ابن القيم يقسم التوحيد إلى قسمين:

- القصد والطلب من جهة.
- المعرفة والإثبات من جهة أخرى.
  - القصد والطلب: المقصود به الألوهية.
  - والمعرفة والإثبات: المقصود به الربوبية والأسماء والصفات.

فكأنه الآن قال: تكلمت عن حق الله في الألوهية – في الذي مضى يعني – وكيف يجب عليك أن تعظمه وكيف يجب عليك أن تتعلق به، الآن كلام عن حق الله في الربوبية والاسماء والصفات.

ما حق الله في الاسماء والصفات؟ سيتداخل مع حقه في الربوبية.

لماذا يتداخل حق الله في الربوبية مع حقه في الأسماء والصفات؟ يعني كأن هذا السؤال بصورة أخرى لماذا يقسم بعض أهل العلم التوحيد إلى ثلاثة أقسام وبعضهم إلى قسمين؟ هل هناك تعارض بين التقسيمين؟ الجواب: لا، التقسيمين يتضمن الثلاثة، ليس هناك فرق، لأن الذى قسم القسمين اعتمد على كتاب الله مباشرة مثل آية سورة مريم.

يعني لو أحد قال لك: من أين لك أن تقولي أنه يجب علينا أن نعتقد توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات؟ ماذا تقولون؟ ما دليلكم؟ آية مريم ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾

﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: هذه الربوبية.

﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾: الألوهية.

يعني بعدما علمت أنه رب السماوات والأرض يجب عليك أن تعبده.

ثم قيل لك: كيف لا تعبده؟ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾؟! يعني هل تعلم له مثيلًا أو نظيرًا؟!، فإذن معنى ذلك هذا التقسيم الثلاثي تقسيم مباشر من كتاب الله.

نأتي لمن اعتبره قسمين مثل ابن القيم، الذي اعتبر أن التوحيد قسمين ينقسم إلى:

توحيد المعرفة والإثبات.

وتوحيد الطلب والقصد.

- المعرفة والإثبات جمع فيها الربوبية مع الأسماء والصفات.
- والطلب والقصد المقصود به الألوهية يعنى أن قلبك يطلب رضا الله ولا تقصد سواه في كل حال، هذا معنى كلمة " توحيد الطلب والقصد"، يعني ليس لك إلا واحد تطلبه وتقصده، تطلب رضاه وتقصد طلب الحاجات منه.

على أى أساس جمعت الربوبية مع الأسماء والصفات؟ لماذا سميَّ توحيد المعرفة والإثبات؟ هو ابن القيم اعتبره شيء واحد، فلو عرفّنا الربوبية ماذا ستقولون؟ توحيد الله بأفعاله.

ما هي أفعاله؟ [الخلق، الرزق، التدبير]، ليست هذه فقط هذه أساسها وغير ذلك مما يتضمنه هذه الثلاثة.

الخلق: ما هي الصفة؟ الخالق.

الرزق: هذا الفعل ما هي الصفة؟ الرزّاق، يرزق.

كل اسم يتضمن صفة، وما دلالة الأسماء على صفات الله؟

- دلالة مطابقة.
- دلالة تضمن.
- دلالة التزام.

يعني لما نقول "بسم الله الرحمن الرحيم" فماذا تقولين عن الرحمن وهو اسم؟ تقولين أنه صفة لله.

في الإعراب ماذا تقولين؟ ألا تقولين الرحمن صفة لله، بالرغم من أنك نطقتيه اسما لكن هنا الإسم لم يأخذ دلالة التطابق لكن أخذ دلالة التضمن، دلّ على صفة الرحمة.

إذن الخلق ⬅ الصفة أنه الخالق.

الرزق ⬅ الرزاق.

التدبير ⬅ أنه سبحانه وتعالى مدبر مالك.

إذن لما تأتي تثبت الربوبية؛ أصلًا لا تثبتين الربوبية إلا بالأسماء، فإثباتك للربوبية بالأسماء.

إذن الربوبية نفسها كلها جزء من أسماء الله، والربوبية جزء من اعتقادك في أسماء الله عز وجل وصفاته، لأنك أنت في الأسماء والصفات تؤمنين أنه رب، تؤمنين أنه خالق، أنه مالك، أنه رازَّق، كل هذا من توحيد الأسماء والصفات.

ألسنا ندرس في الأسماء والصفات اسم الرزاق واسم الخالق والقيوم، لأن التدبير يدخل تحت القيومية، يعني أنتم تدرسوا الأسماء في باب توحيد الأسماء والصفات، وباب توحيد الاسماء والصفات سيتضمن الربوبية.

لذلك يأتي توحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات في نسق واحد مع بعض، في النقاش مع بعض، فلو أتى لي واحد ينكر وجود الرب، أقول له ألا ترى آثار صفاته؟!، وهو ينكر وجود الرب أنا ساقول له ألا ترى آثار صفاته، ألا ترى كونًا محكمًا مخلوقًا على نسق واحد؟!، فكونك ترى كونًا محكمًا مخلوقًا على نسق واحد هذا من أفعاله سبحانه وتعالى، فأنا استدللت على الربوبية بما له من صفات، يعني الربوبية جزء من اعتقادك في الأسماء والصفات، من الأشمل؟ الأسماء والصفات هي الدائرة الكبيرة وهي التي في داخلها يتضمنها الربوبية.

وحتى تفهمي المسألة بوضوح لما أفتح كتاب فقه الأسماء الحسنى مثلًا، وأنت تقولي: الرب ما معناه؟ ما معنى توحيد الربوبية؟ الرب اعتقاد أنه الخالق الرازق المدبر، افتح وانظر هذه الأسماء أليست موجودة في أسماء الله؟ إذن معناها أن الربوبية أين أصبح مكانها؟ داخل الأسماء.

كل هذا النقاش لنصل لماذا يتداخل في الكلام القادم باب الأسماء والصفات مع الربوبية.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ❖ الذى قسمها إلى ثلاثة أقسام راعى نص القرآن.

❖ والذى قسمها إلى قسمين راعى المعنى، فدمج الإثنين معًا.

قلنا باب: "من جحد شيئا من الأسماء والصفات" هذا يحتاج إلى مناقشة، ولما نفتح كتاب القواعد المثلى ونرى القواعد المثلى ونرى تفسير من جحد إن شاء الله.

في البابين الذين مضوا ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ ،وباب ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ انظروا إلى هذه المعلومة المهمة الآن:

توحيد الربوبية يستلزم منك توحيد الألوهية.

ما معنى كلمة يستلزم؟ يعني إذا أقريت أنه ربك لابد أن يلزمك، لابد أن يلزمك أن تعبده، يلزمك هذا معنى استلزام.

إذا أقريت بالطرف الأول يجب عليك ولابد أن تفعل الطرف الثاني، لكن ليس كل من أقر بالأول فعل الثاني، لذلك انت لا تتحملين وانت تدرسي توحيد الربوبية أو توحيد الأسماء والصفات إلا تتكلمين عن ما يلزمك.

لما نأتي نتكلم عن نسبة النعمة إلى الله هذا توحيد الربوبية، من توحيدك جعلك في قلبك رب واحد- من جعلك هذا الأمر- أن تنسب كل النعم إلى الله، وهذا تفسير ما تقوله في أذكار الصباح والمساء، يعني هذا من توحيد الربوبية، ولاحظ الدعاء مقسوم إلى قسمين، من أجل أن يدلك أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، ماذا تقولون؟

- " اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ" هذا كله الآن توحيد ربوبية، أني أعترف وأنا موحدة أن كل نعمة بي أيًا كانت صغيرة أو كبيرة أو بأحد من الخلق فمنك وحدك لا شريك لك، إلى هنا انتهى اعترافك بالربوبية.
- ومباشرة أتى اعترافك بالألوهية: "لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ"، فلا يحتمل توحيد الربوبية إلا أتى معه ما يلزمه مباشرة.

ولذلك هذا الباب الواسع باب الشكر، العبادة التي هي نصف الإيمان.

الإيمان نصفان:

صبر وشكر.

العبادة هي نصف الإيمان، الله عز وجل في سورة الإنسان أخبرك عن حالك ولماذا ابتلاك وأنه أتى حين من الدهر لم تكن شيء مذكورًا، ثم رزقك هذا الخلق، خلقك ورزقك ووهب لك وكل هذا اختبارًا ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، فأصبح الناس لا يصنفوا إلا بهذا التصنيف: إما واحد شاكر وإما كفور، فتصور قيمة الشكر، تصوره جيدًا ثم افهم ماذا أتاك.

الشيخ ماذا فعل؟ أتى ببابان: باب ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ وباب ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فما علاقة البابين ببعض؟، في الوهلة الأولى ربما تصورت أن البابين صورتين متطابقتين من بعض، لكن في الحقيقة كأن الباب الأول الذي هو توحيد الربوبية وهو الكلام حول معرفة نعمه ثم يأتي بعده ما يلزمه من توحيد الألوهية.

يعني لما أحد يقول: "لولا الله وفلان" اخطأ في ماذا؟ في الربوبية أم الألوهية؟ في الألوهية، ما سبب خطأه في الألوهية؟ أنه يعرف نعمة الله ثم ينكرها.

يعني لو تريدين أن تقولين: كيف جعلوا لله أندادًا؟ أو ما سبب أنهم جعلوا لله أندادًا؟ ستقولين أنهم بعد أن عرفوا نعمة الله أنكروها، أنكروا نسبتها إلى الله.

انظروا إلى متونكم إلى الباب الأول هناك آية النحل التي هي سورة النعم، سورة النعم تحثك على أن تتأمل كل شيء حولك من النعم ثم تعبد الله بنسبة هذه النعم إليه.

الآن نحن مشكلتنا في أول الأمر في نسبة النعمة، ما يحصل من ألفاظ مخالفة وفيها نسبة النعمة إلى غير الله وتعظيم غير الله له سبب جوهري، ما هو سببه الجوهري؟ أن العباد لا يتعبدون الله بنسبة النعمة إليه.

إذن أنت ماذا تحتاج؟ النظر إلى النعم بالتفصيل ونسبتها كلها بدون استثناء إلى الله عز وجل، هذا الذي نحتاجه أصلًا، بهذا تفهم:

- قول مجاهد: قول الرجل: "هذا مالي ورثته عن آبائي".
- قول عون:" يقولون لولا فلان لم يكن كذا ".
- وقول ابن قتيبة: "يقولون هذا بشفاعة آلهتنا".

هذه الأقوال كلها فيها تعبير في نسبة النعمة لغير الله في هذه الألفاظ كلها، هو هنا لا يكلمك عن الألفاظ هنا يكلمك عن الإعتقاد، يعني أنت عندك خلل في الإعتقاد، في باب ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سنتكلم عن التنديد بالألفاظ لكن هنا يتكلم عن الإعتقاد، فلما تقول: "لولا فلان ما حصل كذا" هذا تعبير عن اعتقادك بنسبة النعمة إلى غير الله.

الذي يزيدك فهمًا؛

وقال أبو العباس – بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: إن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر.. " الحديث، وقد تقدم. وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به.

أولًا ماذا حصل؟ حصل إضافة النعمة إلى غير الله ومن هنا أتى الشرك، لما الله عز وجل يقول: "أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر"، ما وجه الإيمان والكفر هنا؟ من جهة نسبة النعمة.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

كل هذه الجملة من المتن تدور حول أمر واحد وهو أن القوم يعرفون نعمة الله ويشعرون بها ويشعرون أنهم لا يستغنون عنها ويشعرون أن الله هو الذي ساقها، لأنهم عاجزين!، فاهم أن هذا الجزء لم يدرسه مثلًا، ثم أتى واحد قبل أن يدخل الاختبار وقرأه له ثم دخل وكتب، فيخرج يقول: حليت ونجحت وفعلت، وأنت ربنا أشهدك أنك كنت لا تدري، ثم قبل دقائق أرشدك، ثم الواحد أحيانًا وهو متوتر لا يتذكر فذكرك، يعني هيأ لك كل الأسباب من أجل أن تصل ثم بعد كل هذا وفي النهاية بعد أن تعرف نعمة الله تنكرها وتنسبها لنفسك، ولا ترى لله حقًا لتتكلم عنه وتثني عليه.

فكل هذا النقاش في هذا الباب أن هناك جريمة متكررة تحدث كل يوم وكل ساعة في القوم وبعدد الأنفاس؛ ما هي هذه الجريمة؟ أن القوم لا يعرفون أنهم لا يملكون ولا يدبرون ولا يستغنون، يعرفوا هذا كله، ومع ذلك لما تأتيهم النعم ماذا يفعلون بها؟ ينسبوها لغير الله!، وهذه جريمة فلابد أن تشعر أنها جريمة، وقال عنها الله: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾.

ما إنكارها؟ أعظم نوع من الإنكار نسبتها إلى غير الله، لكن أنا أقول لك في ثنايا هذا المبحث أن هناك نوع إنكار خفي لا نشعر به، ما هو هذا الإنكار؟ أنك تشعر بالإستغناء عن نعمة الله، أن نعمة أتت إليك تقول أنا لست بحاجة إليها.

وهذه المسألة تحتاج إلى شيء من التوازن في فهمها، لكن هناك موقف ساري بين الناس ويؤلمك غاية الألم، ونستغفر الله من هذه التقلبات التي تحدث في النفس، في أحيان كثيرة يفقد الإنسان شئ عزيز عليه، يحب أحد متعلق به أو يراه قوام حياته إلى آخر هذه المشاعر، فيُفقد بصورة ممكن أن لا تُرد له بها، فماذا يأتي يقول؟ فيقول: أنا لا أريد ولا شيء من هذا الموجود إلا هذا الشيء المفقود، وأنا أقول هذا الكلام وكلي حسرة، لأن هذه من المواقف التي تتكرر علينا وإذا لم ننطقها بلساننا نقوله بوجداننا، فتصور هذا نوع إنكار خفي لنعمة الله.

فتخيلي كم مرة تحصل منا!، وكم في حوادث تكون تافهة، نفقد شيء تافهة، وأنت لا تعذر على كل حال لكن أقول أحيانًا الشيء العزيز الذي قد ربما يكون فيه شيء من الأعذار لك لكن أحيانًا يتمادى الأمر فيصبح على كل شيء حتى لو كان تافهًا، تشعر في داخلك أن كل النعم لا شئ وأن هذا المفقود فقط هو الشيء، ثم تعبر بلسان حالك أو بلسان مقالك – بلسان قلبك أو بلسانك – تقول: فلتذهب كل النعم وتنتهي لكن تبقى هذه، طبعًا هذا كله كلام دنيا، ليس له علاقة بالدين يعني لا تقول يبقى الإسلام ويذهب كل شيء، لألأ، أنا اقصد في الدنيا، وهذا نوع من كفر نعمة خفي، لأنك تعلم لو ليس لديك بيتًا تأوي إليه وليس لك طعامًا تأكله وليس لك لباسًا تلبسه ماذا سيكون حالك؟! حتى لو كانت هذه النعمة المفقودة موجودة.

مثلًا – نسأل الله أن يحفظ ذرياتنا ويحفظ بناتنا وبنات المسلمين – لو فقد إنسان أحد أبنائه يشعر أن هذا الإبن المفقود يقول ليس مهم أي شيء لكن هو أهم شيء، لكن لأنه فقد المآوى وفقد الملبس وفقد المأكل من عذابه عليهم أنه يتمنى أنهم غير موجودين

أو أنهم ماتوا، فلا شيء يرضى الإنسان، ليس هناك شئ يرضيك!، إذا كانوا موجودين وليس عندك هذا كله ستقول ياليت أنهم كانوا غير موجودين، على الأقل لا نتعذب بسببهم، ولو كان عندك هذا كله وفقدت أحد فيهم ستقول لأ هذا كله ليس مهمًا المهم هم، فأنت **أولًا ما أبقى الله عليك لا تشعر أنك في غنى عنه، مادام رزقك به الرزاق إذن ألهج بالشكر، فإن مصيبة شعورك بالإستغناء تولد أعظم قواطع الشكر وهو البطر.**

البطر الذى يمارس بعدد الأنفاس، البطر على الأبناء، على البيت، على الزوج، على أدواتك، على أقلامك، على كل شيء، حتى على أقلامك أنت بطران، لأن كل شيء تيسر لك عاملته بالإستغناء عنه.

بالرغم من الأمر لا يتحمل لكن سأحكي لكم موقفًا يكاد يكون طريف وعجيب، لكن انظري إلى تربية الله لما يربى أحد من خلقه؛ هذه امرأة كبيره في السن ولها نوع حذاء معين يجب أن تلبسه ولا تلبس أي شيء، وهذا المكان الذى يبيع الأحذية قريب من بيتها، المهم هي ترتاد مكة، فذهبت إلى مكة وتركت الحذاء عند أحد الأبواب، هي كبيرة لا تستطيع أن تعود إلى نفس الباب، طافت وخرجت من باب آخر، كبيرة في السن وليس فيها أن تعود إلى نفس مكان الحذاء، فتقول في نفسي شيء من الاستغناء أنه ليس هناك هذا فسأشتري غيره والمحل قريب، وتعاد هذه السلسلة، هذه المرة تركته بنفسها، جاءت المرة الذي بعدها ولاحظ أنها لا تلبس إلا نوع معين لمرض فيها، المهم تركته وبإختيارها وفي نفسها أن ليس هناك هذا هناك غيره، وتأتي المرة التي بعدها تقول ستة مرات، وهي لا تتركه هي تفقده، وتعرفوا كيف يحصل الفقد سريعًا في الحرم، وأصبح من المسائل التي تتعبد الله باستيداعها من كثيرة ما تكرر عليها.

إلى درجة أنها تقول – وهذا كان في رمضان تقريبًا- المهم تقول الأمر تكرر وتكرر لدرجة أني صرت أن اجعل واحدة من قريباتي تضعه تحتها حتى لا يُفقد ويفقد!، يفقد ستة مرات، تقول هي شيء لا يتصور، ثم عادت من رمضان وانتهى رمضان ووجدت المحل اغلق ولم تجد هذه النوعية ولا في مكان، هذه القصة حقيقة واقعة لكن من كثرة ما تحكي أن هذا الأمر متقارب أصبح درس لك، أنك تفهم أن أي شيء تعامله بمشاعر البطر والإستغناء من نعمة الله سيكون الجزاء أنك تحرم منه ولو كان أمرًا يسيرًا.

مثل امرأة تقول لها خادمة مطيعة طيبة، المهم خالفتها في مرة من المرات، فباتت صاحبة البيت تغلي من الخادمة، مع أن المفروض أنها تعذرها، هي تقول سنين وهي طيبة، وحصل منها موقف وخالفتها، المهم باتت تغلي وذهبت إلى الدوام وأتت، وفي نفسها مشاعر أنه أستغني عنها، باتت الليلة وجائت ثاني يوم فخادمتها أول ما فتحت الباب لها قالت لها: إن أمي مريضة ومضطرة للسفر.

يعني أنت الآن تشعر بالإستغناء عن نعمة رزقك الله إياها لنقص فيها، ولابد من النقص، فيعاملك الله بأن ينزعها منك وهذا نوع كفران خفي.

ونحن يؤسفنا أن من كثرة امتلائه فينا، فانظري لأولادنا، هذا الذى في أولادنا لم يخلقوا عليه، ولا جبلوا على أن يكونوا بطرانين، هذه إفرازاتنا التي لا نشعر بها، وما يسمي في غرس القيم بغرس القيم الخفية، يعني أنت بخفاء تزرع في قلوبهم البطر وأنت لا تشعر.

طبعًا لا يعني شعورنا بالنعمة الحرص على الدنيا، لابد أن يكون عندك توازن، لا يعني الحرص على الدنيا، تُصاب بفقد شيء أرض عن الله، لكن أنت تبطر على الشيء لأ، هذا لا يرضي الله عنك فيه، لأنه يحصل فيه عدم توازن.

يعني واحد يصبح عنده عدم توازن فيقول ما يحصل يحصل، فتراه مهملًا تاركًا نعم الله ولا يشكرها ولا يحفظها ولا يفعل أي شيء، مثلما يكون هناك خلل بين الكرم والبذخ، يكون خلل بين حفظ النعمة وبين الحرص على الدنيا، فالمسألة فيها إشكال.

على كل حال المقصود بعد هذا الكلام كله أن كفران نعمة الله – يعني ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ – أن نكران نعمة الله لها صورتين:

- صورة ظاهرة: ما هي الصورة الظاهرة؟ أن تنسبها مباشرة لغير الله.
- وصورة خفية: أن تقول بلسان حالك أو لسان مقالك أنك مستغن عن نعمة الله، تنكر أنها نعمة الله.

وهذا مثلما حصل لبعض قليلي العقل قليلي الديانة لما أتت أحداث السيل والملك حفظه الله وعد أن يعطي مليون ريال على كل شخص مفقود – نسأل الله أن يتقبلهم شهداء – ليس مفقودا لكن نقصد غرق، فماذا قال بعض الناس؟ لا نتكلم عن من وقع عليه الحدث نحن نتكلم عن الذي لم يقع عليه الحدث، أنتم أكيد سمعتم ولهذا أقول هذا الكلام، وهذا والله أنه من تمام كشف النوايا والنفوس، يعني أنت لا تتصوروا كيف هذا الحدث — حدث السيل – كشف نفوس وضعف وأنواع من نقص من توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وموقف التعبد للأسباب، أشياء كثيرة من التوحيد، فظهرت عقائد الناس ومن بينها هذه المصيبة أن أحد يقول ياليت ذهب من أولادي واحد أو اثنان!، من أولاده المحفوظين! يعني بعد أن حفظه الله يقول هذه الكلمة!، انظر لهذه المصيبة العظيمة!، فلابد أن لا يؤخذ هذا على محمل المزاح أبدًا!.

وكان هنالك كثير من الناس كانوا يمزحون لكن ليس هذا إلا شيء من مكنون الصدر، وإلا أنت لما يمر على خاطرك كلمة الموت تجاه أولادك والله أنك لتحتاج مجاهدة إلى أن تصبر وتقبل هذه الكلمة على أولادك، في مواقف كثيرة نريد أن نجمع قلوبنا على قبول أمر الله لو وقع، ونقول لأنفسنا لابد أن تؤمن أن هؤلاء مفقودين وأنه ممكن تأتى لحظة يفقدوا لكن لما يكون القلب ليس فيه شعور بالنعمة ممكن أن يخرج هذا الكلام على سبيل المزاح.

ومن أجل ذلك لا يتصور نعمة تعدل وجود الأولاد هو نعمة، ومع ذلك القوم في عالم آخر، في عالم المال الذى يمحق، الآن في أحداث السيول سواء كان في جدة أو في غيرها ترى أمور عجيبة، ترى كيف مكان بعينه مثل الأحداث التي حصلت بعد ذلك في تبوك وينبع وغيره أي في الساحل الغربي، ترى مصانع مثلًا في ينبع الصناعية صاعقة تترك كل المصانع وواحد فقط تنزل عليه ويتفجر ويصبح شيء غير معهود، فلماذا هذا من دون هؤلاء كلهم؟! الله أعلم، لا نسيء الظن ولا نعبر، لكن نقول لماذا؟ لحكمة يعلمها الله، ابتلاء لأصحابه، اختبار من الله، يمحق الله الربا ويربى الصدقات، أشياء كثيرة ممكن أن تكون.

على كل حال المقصود أنك أنت في أمن وأمان وصحة وعافية، وربي أخرجك من هذا الموقف محفوظ، كيف تتجرأ أن تتكلم على نعمة الله هكذا بهذه الصورة؟!، كيف؟!، فلا الذي ابتلي راض ولا الذي حفظ راض، فتشعر أن الناس لا يشعرون بعطاء الله ولا بمنته ولا بكرمه، ودائمًا المفقود هو المحبوب والموجود مبغوض، وهذا كله من إنكار النعمة، على كل حال لابد أن نراجع أنفسنا، لا تتكلم على الناس ونحن نكون ممتلئين بإنكار النعمة ولا نشعر، نجد في مواقف كثيرة أننا ننظر إلى بيوتنا وإلى أولادنا وإلى ما نملك بعين الإستحقار، هذا موجود، صحيح انتهينا من شرح الباب لكن أشعر من أمس بشيء في قلبي أني لم أقل الكلام الذي أريده بالذات على هذا الموضوع الحساس.

يعني أقف مواقف مع بعض طالبات العلم، ويؤسفني أنهم يفكروا بهذه الصورة، مثلًا انت تعلم يقينًا – علم اليقين – أن البيوت هذه من أعظم نعم الله، ولأنكم لم تمارسوا مسألة التشرد والحمدلله ولا ترونها ظاهرة كما هي موجودة في دول أوربية، فالتشرد هذه ظاهرة وهناك جماعة يسمونهم جماعة المتشردين، ينامون في الشوارع ويأكلون، ويستعملوا لحمامات العامة، فهذه حالتهم متشردين، فلأنك لم تمارسها فليس في قلبك شعور أنك كونك تسكن في بيت هذه نعمة عظيمة، فترى أولًا مشاعر البطر على البيوت وعلى أنها مأوى بسبب ماذا؟! بسبب مشكلة مشكلتين مع الزوج، مع الأبناء، مع الأم، مع الإخوان، فترى كل النعمة يبغضها لتنغيص فيها!، ألست تعلم أن الحياه بُلغَةٌ منغصة؟! لابد أن يكون التنغيص فيها وهي بلغة، أو أشد من ذلك حرجًا أنه أحيانًا يكون هذا الشخص مثلًا بيته في منطقة معروفة أنها من المناطق التي يراها الناس أنها أقل من المستوى، لما نأتي مثلًا نقول أين تسكن، ونسأله لمصلحة، فلا يقول اسم الحي الذى يسكنه، يبعدني بعيد لأقرب مكان يمكن أن يعتبر عند الناس محترم!.

هذا كله أنواع خفية من نكران النعمة، صحيح في مواقف التزم الصمت لأني أعلم أن الذي أمامي غير محترم وممكن يتطاول، لكن أنا اقصد كمشاعر أساسية موجودة في قلبك، المفروض أن يكون في قلبك حمد وشكر أينما كنت المهم أنك في بيت وفي مأوى الحمدلله، وهذا السكن الذى تراه بسيطًا في مقابل قصور سيبدلك الله عز وجل إذا رضيت عنه سيبدلك قصورًا في الجنة يتمنونها!، يعني الناس الذين عاشوا في قصور في الدنيا يتمنوا أنهم لم يعيشوا في الدنيا في مثل هذا في مقابل أن يكونوا مثلك لكن لو كنت عن الله راضي، كونك تعترف بنعمة الله عز وجل وتشعر أنها نعمة ولا تستحي من نقصك وترى أن الله تفضل عليك الصحة والعافية وتبقى شاكر كل هذا من توحيدك وإشارة إلى قوة توحيدك وأنه إذا أنقص عليك في نظر أهل الدنيا فأنت تراه كمالًا وانت راض عنه، فراجع نفسك في كلامك وفي تعبيرك وفي نظرك للنعم التي حولك – في دقة نظرك – للنعم التي تحيط بك.

إذن هذا الباب ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ ما المقصود بها؟ نسبة النعمة، هذا يتصل بتوحيد الربوبية، أنك لابد أن تنسب النعمة إلى الله،لا تتجه يمنة ولا يسرة في .وخرجنا بنتيجة نهائية:

⇦ أن نسبة النعمة قلبًا إلى الله ولسانًا إلى الناس شرك أصغر.

⇦ وإذا كان القلب واللسان اتفقا للناس هذا شرك أكبر.

سيتبيَّن هذا النوع من الشرك في الألوهية في باب ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، إذن القاعدة في هذا الأمر أن تكون معترفًا بالنعمة لا تنكرها.

طلبت منكم شرح الجملة:

وهذا كثير في الكتاب والسنة.

من كلام ابن تيمية، وطلبت منكم أن تأتوا بأدلة، هل أتيتم؟

رد من الحاضرات ثم الأستاذة:

- سورة القصص آية ٨٧ هذا في قصة قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾
- وفي سورة الزمر آية رقم ٤٩: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ نحن مرت علينا هذه الآية سابقًا.

- وهناك آية قبلها آية ٨: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَاذا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَاذا مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.
- وفي سورة الكهف قصة أصحاب الجنة.
- آية الدخان تحتاج النظر إلى السياق كله.
- مثلًا قصة سبأ في ص.
- في النحل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾[٥٧٢]

هو يريد أن يقول نسبة النعمة لغير الله فقصة قارون أنفع شيء من جهة القصص، وصاحب الجنة أنفع شيء، آيتي الزمر نافعة.

سؤال من الحاضرات: هل تنفع آية: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٥٧٣].

رد من الأستاذة: هو قال:

وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به.

هو يريد شاهد على هذه، فأين كثير؟!، فآيتي الزمر وقصة قارون وقصة صاحب الجنة في سورة الكهف، هذا كله شاهد واضح في ذم النعمة إلى غيره.

لماذا هذا الأمر مهم؟ لأن المفروض في مثل هذا الزمن الذي نعيشه وانت ترى نفوس الصغار والكبار تعلقت بالأسباب عليك بوعظهم وتخويفهم من نسبة النعمة إلى غير الله.

لماذا الوعظ والتخويف؟ أحذر أن يكون عبارة عن قصص، لابد أن تعتمد على نصوص قال الله وقال رسوله، ثم لا بأس، لتقريب المعنى هات شيء من القصص لكن الأصل معك قال الله وقال رسوله.

أريد أن انتدب واحدة منكم إلى الأسبوع القادم تكتب هذا الموضوع درسًا بجمع النصوص والتعليق عليها، جمع مرتب. – تطوعت إحد الطالبات –.

انتهينا من نسبة النعمة إلى غير الله، أريد منكم أن تركزوا جيدًا لما ننتقل إلى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تفهمي أن الآية هي المعتمد:

- كأن الشيخ يقول سأناقش هذه الآية من جهة توحيدك، فكان باب ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ هذه الآية نقاشها حول مسألة المعرفة والإنكار، كيف يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها.
- تأتي بعدها ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾المطلوب منك أن تنظري إلى سياق الآية ونظرنا أمس إلى سياق الآية وفهمنا ما معنى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ المقصود لا تشركوا به، واتفقنا على قاعدة أن الشرك يكون في الأقوال والأفعال والاعتقادات.
- هنا أتى الشيخ بهذه الآية ليقول لك هناك نوع شرك بالأقوال.

---

[٥٧٢] النحل:١١٢

[٥٧٣] السبأ:١٣

ولذلك لما بعض الشراح لما أتوا إلى هذا الثلث الأخير من الكتاب ذكروا أن الشيخ سيذكر أنواع من الشرك القولي، وهذا صحيح، لكن هذا النوع من الشرك القولي مرتبط ببعضه.

علاقة هذا الباب بما قبله

ما علاقة هذا الباب بالباب السابق ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ ؟ أن المعرفة تستلزم النسبة إلى الله لكنهم ينكرونها، فكيف يكون إنكارها؟ بالأقوال التي ذكرت في الباب الثاني، وهم في حال الإنكار جعلوا لله ندا.

سأصف لكم مسألة تعتبر فيها شيء من الخفاء قليلًا من جهة إنكار النعمة ونسبتها إلى غير الله؛ "إنكار نعمة الصحة" كيف تنكر نعمة الصحة؟ بإدعاء المرض، مثل ما يتصور بعض الناس ويخاف من العين، فلما يسألوه كيف صحتك؟ يخاف أن يقول لهم أنا طيب وبصحة وعافية من أجل أنهم يعينوه على صحته وعافيته فيدّعي المرض.

هذا نوع خفي – من جعل إله دون الله–، لماذا؟ **لأنه أشتد خوفه من غير الله فأنكر نعمة الله، هذا النوع حالة مرضية.**

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا موجود كثير عند الشباب والشابات خصوصًا من سن ١٤ و١٥ إلى فوق، يكون عندهم مرض نفسي إلى أن يجازوا على هذا الشيء، لكن هذا ليس له علاقة واضحة بنا، وهناك نوع إنكار نعمة الله، يعني يأتي الشاب والشابة يبحثوا عن الاهتمام فلا يجدوا اهتمام الأهل أو الأصحاب فيدّعوا المرض، فتبقى طوال حياتها أنها مريضة ومن مرض إلى مرض إلى أن تصاب حقيقة بذلك، ونحن شهدنا على حالات!، كانت في شبابها تدّعي المرض ثم لما كبرت ابتليت بسلسلة أمراض جزائًا وفاقا، نسأل الله أن يتوب علينا وعليهم.

..ولا خوف من غير الله إلا من جعل غير الله إلهًا، يعني انت تعلم أن الله هو الذي وهبك الصحة لماذا تخاف من غير الله أن ينزعها منك؟!، من قال لك أن أحد يستطيع أن ينزع منك صحتك؟! لأ، انت أنعم عليك بفضل الله وتحفظ النعمة بفضل الله فلا تجعل لله أندادا.

- هذا نوع نسبة النعمة وجعل لله أنداد بصورة خفية، مررنا في هذا الباب على الأنداد وكيف الند هو الشريك، وكيف أن هذا النوع من الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، واتفقنا مادام هذا الوصف من ابن عباس وهو ترجمان القرآن إذن تفهمه جيدًا وتعلم أن هذا هو الحق في شرح الآية.
- وأيضًا الأمر الثاني إذا كان ابن عباس يوصف أن هذا الشرك خفي هذا الخفاء فلا تصطدم بهذا النوع من الشرك مع عامة الناس ولا حتى مع خاصتهم الغير مؤسسين، لابد أن تؤسس المسألة أولًا، يعني لو أنا أريد أن أعطي درسًا عن هذه الآية ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ واتكلم عن الشرك الخفي واتكلم عن الألفاظ التي فيها شرك خفي، الاستسقاء بالأنواء هذا فيه شرك ليس فقط في نسبة النعمة إنما في غيره، ماذا تكون نقطة البداية التي سأبدأ في طرحها؟! التعظيم، تعظيم وتعظيم حقه سبحانه وتعالى ثم نتكلم عن هذا التفصيل، لأنه سيأتيني بعدها: الحلف بغير الله، وسيأتيني بعدها: ما شاء الله وشئت، يأتيني بعدها: أعوذ بالله وبك، الرابط بين هذا كله ليست فقط النعمة إنما تعظيم الله.

وهذا من المفارقة بين هذا الباب والذي قبله، الباب الذي قبله يتكلم فقط عن نسبة النعمة وأن نسبة النعمة لغير الله ستجري على اللسان فيكون من ذلك أن القوم أتخذوا مع الله أنداد وهم لا يشعرون، هذه الآية في الباب الذي بعده، الباب الذي بعده أتى لك بقاعدة عامة:

أن القوم يجعلون مع الله أنداد وهم لا يشعرون.

ومن بين أنواع الأنداد ما مر معك سابقًا أن القوم ينسبون النعمة إلى غير الله، وغيره من الحلف بغير الله، من مساواة الله بغيره.

الآن ستأتي مناسبة الباب الذي بعده؛ باب: ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله، لازلنا في الكلام حول تعظيم الله عز وجل، ولازلنا نقول أن تعظيم الله يظهر أثره على قلبك ولسانك وجوارحك، فمن نقص تعظيمه ظهر على قلبه ولسانه وجوارحه.

ما علاقة هذا الباب بالتوحيد؟ له علاقة من جهة التعظيم، سنأتي على تفصيله الآن.

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما؛ أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ". رواه ابن ماجه بسند حسن.

نبدأ بمناقشة الدليل.

في حديث ابن عمر رضي الله عنه نهي وأمران:

- أحدهما للحالف.
- والثاني للمحلوف له.
- والأمر الثالث وعيد للمحلوف له إن لم يرض.

نبدأ بالنهي: نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحلف بالآباء.

لماذا نهي عن الحلف بالآباء؟ لأن الحلف تعظيم للمحلوف به والتعظيم حق لله، فمن حلف بغير الله فقد وقع في الشرك.

ممكن يأتي سؤال؛ لماذا خصّ الآباء هنا؟ لأن هذه الحال المنتشرة عند الجاهلية، ولأن الآباء من المعظمين في قلوب الناس.

ما الأمر للحالف؟ أمر النبي صلى الله عليه وسلم من حلف بالله أن يكون صادقًا فيما يحلف عليه، لأن الصدق من الواجبات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٥٧٤] فالصدق في الأقوال واجب وإن لم يحلف العبد فإن لم يحلف كان أوكد.

على ماذا يدل الصدق في الحلف؟ يدل على تعظيمك لله، والعكس بالعكس؛ الكذب في الحلف يدل على عدم التعظيم.

عرفنا الحالف ما الأمر له أن يكون صادقًا.

ما الأمر للمحلوف له؟ أمر النبي صلى الله عليه وسلم من حلف له بالله أن يرضى ويقنع.

وهذا عام في كل حلف لأن سبب الرضا هو تعظيم الله – وليس تصديقه إنما تعظيم الله – فإن تعظيم الله في قلب العبد يجعله يصدق من حلف له بالله ولو كان كاذبًا، لكن له أن لا يبني عليه.

ما معنى لا يبني عليه؟ أي لا يؤخذ بكلامه، لا تبني عليه قرارات، وسنرى الآن شاهد من صحيح البخاري، لا يبني عليه لكن يصدقه ولا يظهر له تكذيبًا، لماذا هذا كله؟ تعظيمًا لله، **أي اجعل تعظيمك لله لك واجعل كذبه عليه.**

[٥٧٤] التوبة:١١٩

ما وعيد المحلوف له إن لم يرضى؟ يبيِّن النبي صلى الله عليه وسلم الوعيد الشديد لمن حُلف له بالله فلم يرضى، ما هو الوعيد؟ "فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ"، ما معنى ذلك؟ هذه براءة من الله يخاف الإنسان فيها أن يذهب توحيده أو كماله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[٥٧٥]، ما وجه الشاهد؟ ما استجبت لهذا الأمر اعلم أنه ممكن أن يكون سببًا لهلاكك، لذهاب توحيدك أو كمال توحيدك.

إذن معنى ذلك أن عدم الرضا باليمين من الكبائر المنقصة لكمال توحيد العبد الواجب، وانت ترضى بالله وإن فاتك من الدنيا ما فات، فإن الله يعوضه عاجلًا أو آجلًا، سيعوضك خيرًا كثيرًا جزاءًا لتعظيمك وتوحيدك.

واسمع هذا الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ فَقَالَ لَهُ أَسَرَقْتَ قَالَ كَلَّا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَقَالَ عِيسَى آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنِي.

انظر ابن القيم ماذا قال على هذا الحديث؟

كان الله عز وجل في قلب المسيح عليه السلام أجلّ وأعظم من أن يحلف به أحدًا كاذبا، فلما حلف له السارق دار الأمر بين تهمته وتهمة بصره فرد التهمة إلى بصره لما أجتهد له في اليمين.

يعني دارت المسألة بين أن يتهم بصره وبين أن يكذب اليمين فأتهم بصره وصدقه.

هنا إشكالات كثيرة طبعًا في عقولكم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا تبني على كلامه تعظيمًا لله، اسمع الحديث ماذا يقول؟ "وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ"، كيف ترضي ولا تبني؟ أي لا تظهري له أنك تكذبيه، هذا المقصود، ثم هو يقول لك والله أني أشتريته لك مثلًا، نحن من أول الأمر نقول في أمور الدنيا، نحن قلنا يعوضه الله خيرًا منه، البائع مثلًا واحد يشتري منه يقول لك والله إنها بكذا! فانتهى فلا تردي ولا تكاسري ولا تفعلي أي شيء، انتهى، تعظيمًا لله.

انت في محكمة مثلًا وواحد أتى قال والله هذا بيتي، وانت تعرفي أنه كاذب، لكن لا معك شهود ولا شيء، وهو أصلًا نصل إلى الحلف إذا لم يكن هناك بينة، فهو حلف أن هذا بيته فانتهى الموضوع، لا تردي ولا تعيدي ولا أي شيء، سيعوضك الله خيرًا منه، لأن ردك من أن تخاطبيه أنه وضع بينك وبينه الحلف.

لكن لما تأتي تؤمري أولادك بالصلاة ويحلفون لك وانت تعرفي أنهم يكذبون لأ هذا أمر أخر تمامًا، ومن أجل ذلك دائمًا نقول للأمهات ابذلي جهودك في المراقبة من أجل أن لا تعرضيهم أن يحلفوا، إذا نحن في موقف وحلف الولد أنه صلى وانت متأكدة أنه لم يصلي اتركي هذا الموقف وأجليه للمرة التي بعدها، يعني يقول لك العصر والله أنا صليت إذن المغرب أجلس معك نصلي مع بعض، ليس هناك حل، من أجل أن لا تعرضيه للكذب.

وفي دورة غرس القيم يمكن ذكرنا هذا قلنا أن أمر الطفل بالصلاة يحتاج إلى تفرغ، أول مرحلة الطفل يتعود على الصلاة لا تضعيه وسط مشاغلك وفي وسط مشاغلك ووسط يومك، ويوم تتذكري ويوم تنسي لأ، لأ فترة سبع سنين مثلًا خذي أسبوع أو أسبوعين، خذي إجازة، حتى أن أحد الأمهات اقترحت وهي مشغولة وكثيرة الارتباطات، لما جائت تعود أبنائها على الصلاة فكل واحد فيهم

[٥٧٥] الأنفال:٢٤

تأخذه في سفرة، تأخذه تسافر به مثلًا إجازة، فليس عندها شغل إلا انت والصلاة فقط، ويصبح تركيزها أنه أمامها لن يذهب يمين ولا يسار، ولا يذهب للمدرسة ويأتي، من أجل أن تعظم في قلبه لمدة أسبوع أو أسبوعين حتى متصل فيصبح نظام في حياته، لكن نحن نحتاج إلى التفرغ، لكن نقول له أذهب صلى ويرجع يحلف لك أنه صلى ويدخل في قصة أخرى في عدم تعظيم الله كل هذه إشكالات.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: إذا كان هذا الشخص معروف أنه كذاب مثلًا وكثير الحلف في هذه الحالة ستكون نفس القصة؛ لن أظهر له أني أكذبه لكن في قرارة نفسي لن آأخذ بالكلام الذي يقوله.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: مثلًا انت فتحت هذه الصفحة في الانترنت يقول لك والله ليس أنا، إذن لن تكذبيه ولن تبني على ما قال، بمعنى ماذا كنت ستفعلين لو علمتي أنه فتح؟ ستراقبينه؟ كنت ستمنعيه؟ فأفعلي كل ما كنت ستفعليه لكن لا تقولي له انت كذاب، فلا تبني على كلامه، تصرفي كل التصرفات التي ستتصرفيها لو كذبتيه لكن لا تقولي له انت كذاب، لأنه حلف فلابد أن يقع في قلبه التعظيم، وأصلًا واحد كذاب مائة في المائة لماذا لا تقولي له أنه كذاب؟ لأنه حلف وليرى تعابير وجهك من أنك وقفتي عند حاجز أنه إلى هنا لن أكسر الكلام ولن أكذبه هذا أفيد له من أنك تواجهيه أنه كذاب، أفيد له ليبقى في قلبه مشاعر التعظيم، هذا ما نسميه أو ما يسمونها تعابير البدن لا تتصوري كيف تغرس في الطفل مشاعر، ردة فعلك أنه يفهم أنك هنا ستقفين فلا بأس.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: تريه تعابير وجهك وقتما حصل الحدث، وانتم لابد أن تشعروا أنه كيف الشريعة حدت لك حدودًا بها تصل إلى المراد.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: هناك أطفال يعرفون يتفاهموا أنه يعرف أنه إلى هنا حد الله وستعظمه لا بأس، هذا مكسب أكبر من المكسب الذي خسرته وهو أنه يكون معظم لله.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: لو كان معروف عنه الكذب لا تبني عليه، فليصدقه ظاهرًا لكن لو لم يكن معروف؟ يعني هذا كلام كله عن الكاذبين، والصادقين لماذا لا تتكلم عنهم؟!، هناك صادقين يحلفوا صدقًا وانتهى الموضوع.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: سيأتينا باب كثرة الحلف وسنناقش فيه أن كثرة الحلف ممنوعة، لكن هناك ناس ربي ابتلاهم هذه البلوة أن أمامهم ناس يحلفون، لما يأتي باب كثيرة الحلف نقرر هذه القاعدة الجديدة.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: كنت أريد أن أختم الكلام بهذا؛ أن نضع قاعدة في البيت ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾[٥٧٦] ضعي هذه القاعدة وفهميه أن ما في قلبك سيخرج وانت بنفسك ستقول بلسانك!، ولا تتصور أنك تستطيع أن تختبيء!، ستفضح ستفضح!، وهذا التفسير لابد أن يفهمه الطفل، لأن في أحيان كثيرة مع السن والخبرة مع طفلك تعرفيه لما يكون نصف نصف لما يكون يمثل أو يكون صادق، تعرفي هذا كله، تعرفي أولادك فتقولي له أنا أعرف أنه كذا وكذا، فيتصور أولًا أنك تضربين في الغيب أو عندك أحد يكشف لك ما في الغيب، وكان الزمن الماضي يتكلمون كلامًا يدخل الشرك إلى قلوب الأطفال، أنه لما يسأل الطفل كيف عرفتي فتقول العصفور وإلى أخر هذه الكلمات الشركية، المفروض إلى هنا

[٥٧٦] محمد:٢٩

ضعي القاعدة تقولين ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾[٥٧٧].أي شيء في الداخل ولو صغير مباشرة سيخرج.

- وهذه من القواعد السلوكية المهمة، حتى أننا نقول وكان في دورة الأخلاق كنا نقول أمرنا ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وأتى في مواطن أن يكون كلامكم جميل وأن يكون مهذب، وأن يكون أسلوبكم مهذب، تكونوا رقيقين في كلامكم.
- وفي نفس الوقت أتت نصوص تذم حسن الكلام، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ وفي سورة المنافقين ماذا يقول الله عز وجل؟ ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾

فهنا أتى وصف مدح وهنا أتى وصف ذم، وأيضًا هنا أمر عبادة، يعني انت تعرف لما تتكلم مع الناس كلام حسن انت تعبد الله، لكن تأتي بنيتك أنك لما تتكلم كلامًا لطيفًا أنك تعبد الله وفي نفس الوقت قيل عن هذا الكلام الحسن أنه ممكن أن يكون وصفًا للمنافقين وللكافرين، لأ اجعل الحكم ما قام في قلبك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾، هذا كله يجعلك تعلم أن ما تكنه في قلبك سيظهر على قسمات وجهك وعلى فلتات لسانك.

فهذه القواعد لما يربى عليها الأبناء تحل مشاكل كثيرة ويصبح فاهم من أين تعرف الأمر وليس أنك تعلم شيء من علم الغيب، لأ انت يجب أن تفهم ماذا سيكون.

وعلى كل حال فلنقلب المسألة بالعكس؛ فلنقل انت من سامع للحالف، لا تستعجل في الحكم عليه بالكذب! لا تستعجل، لأن أحيانًا سوء الظن الذي عندنا يأتي يحبك المؤامرة، وتأتي تجد البصمة الأخيرة، ونحن نعاني نعاني حقيقة من النساء وسوء الظن، حتى أننا أحيانًا نتعامل في الحج في موقف بسيط في أربعة خمسة أيام مواقف بسيطة تعتبر كاشفة، وتكتشف من فلتات اللسان ماذا يكون في قلب هذا وأنه يسيء الظن في كل أحد، فالنساء يعانوا، لابد أن تفهموا أننا حقيقة نعاني من سرعة سوء الظن، وأنه مباشرة نرتب الأحداث على بعضها واجعلي أحد يأتي يحلف بالله أنه لم يكن قصدي وأن الموضوع لم يكن هكذا، وأبدًا لا نصدق!، يعني جمعنا على أنفسنا كبيرتان الكبيرة الأولى سوء الظن في المسلمين، وسمعتم كلام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخاك المسلم إلا خيرا.

إلا خيرا يعني لا تحملها على محمل الشر، وانظر كيف نحن نشقق من كلام أخواننا محامل الشر!، كيف نشقق ثم نعمل اجتماع من أجل أن الذي لا نستطيع على تخريجه نجعل أحد يشقق معنا، وهذا الذي يحصل!، واتصل على أختي وفلانة وعلانة وأقول حصل هذا الموقف وهذا موقفهم وكذا وكذا، وهي تزيدك تحاليل!.

حتى أن قوم تخصصوا في التحاليل، عاشوا حياتهم في هذا، تحكي امرأة لي الأسبوع الماضي حتى أنها أصيبت بحالة نفسية، أريد أن أحكي لكم هذه القصة من أجل أن نفوق، امرأة لها أكثر من عشرين سنة متزوجة، وعاشت هذه العشرين سنة في معاداة أهل زوجها، تتقلب في أشكال وألوان لمعاداة أهل زوجها.

من كان السبب؟ زوجها السبب في المعاداة!، لماذا؟ أختنا كانت تشعر نفسها محللة نفسية وتحلل كل الأحداث، وهذا الزوج يريد أن يشغلها عنه، والله هذا الذي حصل!، عنده حالة من المؤامرة لكي يفصلها عنه فماذا يفعل؟ يأتي بأحداث كذب كذب عن أهله

[٥٧٧] محمد:٢٩

ويلقي لها هي، وهي تجلس تفكر لماذا حصل كذا لماذا حدث كذا، ويجب أن يكون موقفك هذا، فتلقنه ثم تأتي تجد الموقف مختلف، وهو يأتي يقول والله كلامك صحيح كان المفروض لم أذهب لهم لأنه حصل كذا وكذا وهذا الكذا والكذا هذا كذب جديد من أجل أن يجعلها تكون في نفس الدائرة!، هو بنفسه مرض نفسي وهي الآن بعد عشرين سنة اكتشفته!.

المهم كبروا أطفالها وهي أخذت فكرة أن أخوه بخيل وأنه يمنع كذا وكذا وأخته كذا وكذا، وكل العائلة بهذا الشكل، وأنه انت يا فلانة التي تعيش في هذه الحياة أحسن واحدة وانظري لمن حولك! وهي أسوء واحدة عايشة، لأن زوجها عنده مال وهو بخيل، عنده كذا وهو كذا، لكن لا يقول على نفسه لكن يقول على الأخرين، في النهاية حصل أنها اضطرت إلى العلاج خارج البلاد ماذا حصل؟ أولادها ذهبوا عند أهل أبوهم، وأولادها كبار ناضجين على وجه زواج بنات وأولاد فذهبوا يعيشون معهم فترة لظروف معينة ، فذهبوا وهم شبه منهارين أن كل الصورة التي كانوا يعرفوها كلها كذب محض، وهذا البخيل ظهر أنه كريم!، وهذا العصبي أو الشديد على أولاده ويفعل بهم أصبح كذا بصورة عكسية!.

وهي تحكي تقول اكتشفت أنه عشرين سنة أغتاب وأحلل مواقف وأعيد وأكرر لماذا فعلوا كذا من أجل أن يغيظوني، من أجل أن يفعلوا فيك انت اخوهم كذا وكذا، كل هذا السن ماذا أفعل!؟، هي وقعت تحت اليأس من روح الله وتصورت أن الله لن يغفر لها لأن كل هذه السنين وهي تتكلم عنهم، وأيضًا كل يوم هي وزوجها اجتماعات على المواقف وعلى تحليلها، ولا يحملوا كلمة واحدة على حسن الظن، أبدًا لا موقف واحد!، حتى هي تحكي موقف بسيط أقول سبحان الله كيف أغلق على قلوبكم سوء الظن، يعني هذا الموقف لو حكتيه لأي أحد لن يسيء هذا الظن، هي تقول الناس حولي يقولون لي هذا الكلام أن الموقف لا يحتمل! فأجيبهم أقول لهم انتم لا تعرفوا الخلفيات!!.

فهذا العذر الدائم المسموع أنكم لا تعرفوا الخلفيات!، لدرجة أنها أخذت قرار أنها تطلق من زوجها وتهجره وطبعًا ليس هذا الحل، لكن الحل مادام أنك عايشة الحمدلله توبي توبة نصوحة، توبي وأصلحي ما يمكن إصلاحه والناس مازالوا أحياء! تقول المشكلة أنه هناك من هؤلاء الناس من ماتوا، وأنتهوا، ماذا سأفعل وأنا سنين وأنا أتكلم عنهم!!.

فتصور كيف يستحكم على الإنسان سوء الظن، وكيف شياطين الإنس والجن يجتمعون فيجمعون لك سوء الظن ثم يأتي هذا يحلف أيمانًا ولا يمكن أن تصدقه!، لا يمكن، لأن في داخل القلب مستحكم سوء الظن، والشيطان يحيك لك ما يجعلك تدفع أخوانك عنك، ثم أنك أكيد أنك تنسى أنه: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"، تفهم ما معنى لا يؤمن؟ بمعنى أنك ستخرج من المقتصد وتنزل إلى الظالم لنفسه، " لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا" أين هذا كله، والله لو راجعنا نقطة علاقتنا بإخواننا وولائنا وبرائنا مبني على ماذا سترى ضعف شديدًا، حقيقة سترى ضعفًا شديدًا، ولابد أن هذه النقطة تتحرك لأن هذا من لوازم الإيمان!، من لوازمه يعنى أنك لن تكون مؤمن كما يحب الله ويرضى بمجرد أعمال بدنية تقوم بها ولا حتى أعمال قلبية حتى تأتي إلى الولاء والبراء وتدخله في قلبك.

وانتم ربما تمارسون مشاعر البطر وانتم لا تشعرون، كيف؟ تعال انظر إلى واحد في دول أجنبية.لو رأى مسلم من بعيد ماذا يكون في قلبه؟ يفرح، مهما كانت الطباع، المهم أنك مسلم تقول لا إله إلا الله، المهم يربطني بك أنا وانت نعترف بالله كامل الصفات نعبده، على الأقل أننا نقف بجانب بعضنا ونصلي جماعة، يكفي هذا، حتى أن امرأة تحكي لي كانت في أحد المطارات وكانت أمام طابور طويل وكله كفرة وفجور وفسقة وواحدة من هذا الصف كله عليها مظاهر بسيطة، أنها تغطي شعرها وتلبس طويل أي

محتشمة، فعرفت مباشرة أنها مسلمة، فتقول أنا أجلس على كرسي وأدير نظري في هذا الصف الطويل أقول أقف معهم أو ليس لي أن أقف مع مثل هؤلاء، إلى أن جائت هذه ووقفت، تقول لا تتخيلي ماذا وقع في قلبي من مشاعر حركت قدمي وجعلتني أقف ورائها، ثم تقول هذه المرأة ارتبطت بها ارتباط طويل وكانت سبب لثباتي على الدين، اثنان في بلد بعيد مع قوم لا يعرفون أصلًا ما هو الإسلام، لكن انت من أجل أن من أمامك مسلم والذي بجانبك مسلم والذي خلفك مسلم وإلى عشر أو مائة صف مسلمين انظر كيف نفسك تتعامل معهم، وانظر في نفسك كيف وقع في قلبك البطر على وجودهم.

ومن أجل ذلك كان في الدفعة السابقة كانت أخت تعيش في خارج البلاد، لما أتت كان أول شيء استغربته أن الناس لا يشعرون بأي نعمة، لا يشعرون بنعمة الآذان، ولا يشعرون أنهم يتكلمون بالعربية وأنهم يأرخون بالعربية وأن لهم زميل يجلس بجانبهم يقول لا إله إلا الله!، طبعًا هي تتكلم والناس حولنا في عالم ثاني وأنا لا زلت أشعر أن هذا الشيء بارد في القلوب، بارد كونك تشعر أن حولك مسلمين لكنها حقوق ستتحاسب عنها حقًا حقا، لابد أن تفهم هذا. ليس هذا من باب تحسين أخلاقك وأنه أمر زائد عندك! إنما علاقتك بالناس كلهم حقوق ستحاسب عنها حقًا حقا، فانت على أقل تقدير تعبد الله بعبادة قلبية في أنك لا تحمل كلمة تخرج من مسلم إلا على أحسن ما تخرج، إلا على أحسن معنى.

طبعًا هناك فوارق كلما زادت خبرتك المفروض كلما زاد هدوئك، وكلما زاد قبولك وكلما ممرت المواقف بصورة أهدى وحملت الكلمات بصورة ألطف، وهونت الأمر على نفسك، وكلما زاد فورة الشباب وقلت الخبرة كلما أعطيت الكلمة مائة معنى.

المهم أني اناصحكم واسأل الله أن يقبل هذه النصيحة، إنكم لا تجمعوا في قلوبكم بين ضرين: بين ضر الأذى الذي حصل لكم مثلًا من كلام أحد وبين ضر سوء الظن، تغافل ما استطعت إلى ذلك سبيلا، سيد القوم المتغابي، غمض عيونك ولا تكرر على اذنك ما حصل.

على كل حال؛ هذا الباب – باب ما جاء في من لم يقنع في الحلف – يرشدك إلى حق الله في التعظيم وحق الإخوان في حسن الظن بهم، كما قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب:

ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك إلا خيرا، وانت تجد لها في الخير محملا.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: انت الآن في موقف حلف لك كذبًا انت ستؤجر لو عظمت الله، وهو سيأثم ويفضح لو حلف كاذبًا، فانت لا تفكر فيه لكن فكر في نفسه أنه سيكون لك وليس عليك:

- لك أي في ميزان حسناتك.
- وعليه أي سيأثم ويفضح.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: هذا الكذب يحتاج منا إلى معالجة بالنصوص ثم مفارقة، يعني هل كل الكذب في درجة واحدة؟ الجواب لأ، ليس كل الكذب درجة واحدة، كذبه على الله ورسوله في الدين هذا أعلى مرتبة، كذبه كذبًا يأتي ورائه حوادث واقتطاع مال مسلم هذه مرحلة، كذبه في الأخبار هذه مرحلة أقل، لأنه خبر لا يتأثر، أنه ماذا فعلت اليوم؟ لم أداوم وهو داوم، أو داومت وهو لم يداوم، أمر يختص به، هذا كذب وأثم لكن ليس مثل الكذب الذي فيه اقتطاع حق مسلم، ليس مثل الكذب الذي فيه كذب على الله وعلى رسوله.

يعني انت بنفسك الآن فرقي بين أنواع الكذب المهم تضعين حدًا، يعني لو كان مبتلى هذا البلاء تضعين حدًا لا يوصل إلى حد الاقتطاع، لأن هناك ناس ابتلوا بالكذب مزاحًا، وابتلوا بالكذب يغيظك، يقهرك، تقولي له أين انت؟ يقول لك أنا في أخر الدنيا وهو جنبك قريب، لماذا؟ لتعصبي وتقولي له لماذا وهذا موعدنا، انت تحسبيه كذب، هذا في مسماه كذب لكن ليس بالتحامل الذي عندك، لأنه يؤثر علينا، انت لابد أن تفهمين أنواع الكذب.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: أنا أفهم أنه خوفًا عليه لكن انت نبهيه أن هذه الكلمة التي تقولها ربما توبقك، ربما تعودك على الكذب، بهدوء، ليس مثلما يكون في قلبك لما واحد يكذب على الله، أو واحد يكذب ويذهب يقسم أن هذا حقه وهو ليس حقه،

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: في هذا الموقف لا مواجهة بعد هذا الموقف نتفاهم معه.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: هل أصدقه بصورة يشعر أني صدقته أو أسكت ولا أتكلم؟ لأ صدقه، سمعت كلام عيسى عليه السلام: أكذب عيني وأصدق الحلف تعظيمًا لله.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة:الأمر للحالف أن لا يحلف بالآباء وأن يحلف صدقًا، هذا الحالف ليس له علاقة بالمحلوف له، المحلوف له عليه أمر لا يتصل بالأول، عليه أن يصدق مادام حلف له.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: أصلًا لو مبني على بعضهم وكان هذا صادق فما الداعي لكل هذا؟!، هو يقال هنا أنه بغض النظر عن الحالف، هذا أمر مقرر للحالف وهذا أمر مقرر للمحلوف له.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: هذه لابد من إقامة دعوة عليها، أو معاملتها بالمخادعة، هي تحلف لهم أنه ليس عندها شيء وهي تأخذ أموالهم وهم ليس عندهم بينة لو حصل ما حصل ليس هناك حل، هي الآن حلفت لك ألتزم الصمت، وسيعوضك الله، لكن أنا واحد شهدت هذا الموقف كله ماذا أفعل؟ لابد من تدبير حال توقعها، يعني المرة القادمة أكيد أنها لن تكتفي بهذا وستأتي المرة القادمة وتفعل هذا الفعل، فلن تكتفي، فلا بأس هناك أدوات للتسجيل وهناك أدوات للتوقيع، هناك أشياء كثيرة ممكن يصل أحد يرى هذا الموقف فيفعل ذلك، وممكن التشهير بها.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: التشهير يأتي بنتيجة أن الناس لا يتعاملوا معها، لا التشهير من أجل سمعتها إنما التشهير من أجل أن لا يتعامل أحد معها، وإذا لم يكن بالتعامل يكون هناك تسجيلات، المهم أنا ليس لي علاقة بحل المشكلة أنا لي علاقة أنه حُلف لي أنه ليس لك عندي شيء والأمر لله وانتهى.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: التغافل محمود في كل الأحوال، التغافل يكون عن الأذية، أي أن أحد آذاك تغافل عنه لكن انت لا تعرض نفسك أصلًا لأن يآذيك، فانت لا تعرض نفسك هذه قاعدة، ولو سمعت أذية تغافل عنها.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: لما نشرح هذه المقولة: "لست بالخب وليس الخب يخدعني" دائمًا نقول هذه للقواد ولمن يحملون المهام، لا تكن خبًا وانت قائد، وانت قائد ورائك أمة لكن انت فرد وتعامل فرد لا تستعمل ذكائك وفطنتك لأن ترى ما وراء الكلام، انت اسمك قائد والمعلم قائد، ونحن نقول للمعلمات في المرحلة المتوسطة الأم طوال ما عندها حركة يكون هذا صحيح، ما أن تخمد وتصبح لا تتحرك ولا تأتي وتجلس في زاوية في الفصل وزواية في الساحة هذه ورائها مصيبة، يجب أن لا تكون غبي وتقول ماشاء الله ونازل عليها الهدواء، لا تكون غبي وتقول هذه نزل عليها الهدوء! لا تكن غبيًا ولا تقول ظاهرة صحية.

المقصود وانت قائد لك حال وانت شخص عادي لك حال، نحن مشكلتنا أنه انتشر عند أناس ما يسمى بعلم قراءة الوجوه ما يسمونه لغة البدن، وأعطى نفسه كل المجال أتحرك هكذا معناه كذا، ولم يكفينا إساءة الظن بالكلام بل أيضًا تحولنا إلى إساءة الظن بالكلام والتصرفات وحركة العين وحركة اليد وإلتفاتتك يمنة ويسرة، يعني تعقدت القضية.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: نحن نقول هذا لا تجعل للشيطان عليك طريقًا، لأن الشيطان موجود من أجل أن يحرش بينك وبين اخوانك، ثم أنت ترى في نفسك من العصبية في أحيان كثيرة – استغفر الله العظيم – تأتي مواقف لو حسبتها صح بعدما يحصل الموقف تقول كان كل هذا كان لماذا؟! كنت صبرت دقيقة وكان يمشي الحال، لكن تثور تثور، وأحيانًا كثير تكون جاهدت نفسك سنة على هذا الشخص ولا تثور عليه وتحبس نفسك وتأتي في وقت الأزمة مثلما يحصل لنا مع أولادنا في أيام الاختبارات، طوال السنة نطبط عليهم وأن المسألة ليست ذات بال ونأتي في لحظة ونفقد أعصابنا، من فعل بك هذا؟ عدوك من فعل بك هذا!.

والمشكلة أن من ذهب إلى الامتحان نفسيته تعبانة، ويمكن أنت بقي لك أكثر من ساعة تشعر أن أعصابك وبدنك تعبان، وهذه حقيقة، ولما تحصل مثل هذه المواقف نجد أن حتى كلمة الاستعاذة أنساها، أنسى أن أقول أعوذ بالله من الشيطان، أنسى أن من يحرشني الآن الشيطان، وأرى أن لي الحق الكامل في هذا التعصيب خصوصًا نحن مع أولادنا وأن هؤلاء المفروض يكونوا بهذه الصورة، نسأل الله أن يخرجنا من هذه الاختبارات ما ورائها.

كل هذا والمجتمع وتركيبته أصبحت تؤدي إلى قوة التوتر، كل شيء يوترك، والناس حولك من أجل أنهم يتنافسون على الدنيا و كل شيء يتصورونه هذا يريد يأخذ مني وهذا كذا، وأصبحنا نتنافس على الدنيا ماديًا ونتنافس على الدنيا معنويًا، وطلبة العلم يتنافسون، والتجار يتنافسون ولا ترى أحدًا يطبطب على أخاه أنه يريد له خيرًا، الله المستعان.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: أحسن شيء في مثل هذا التعلم عن الله، لزوم ذكره، والأستعاذة، انت لما تراجعي نفسك تجدي أنه قليل ما تستعيذي، غالبنا قليل ما يستعيذ من الشيطان الرجيم، لا تشعر أنه أول ما تأتيك فكرة تقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لا تشعر هذا، فالاستعاذة ضعفها تسبب مثل هذا، لما يأتي موقف في ست شهور وفي ثماني شهور وفي سنة وأنه شيء عادي أن الإنسان لازال ضعيفًا لكن المشكلة المتكرر، المتكرر ستنهار انت منه، انت ستفقد نفسك وصحتك وطاقتك وعبادتك لما تبقى مستجيب لتحريش الشيطان.

على كل حال لو تدبرت القرآن ستجد ما يهون عليك الأحوال التي تدور حولك.

باب قول: "ما شاء الله وشئت"

لازلنا في سياق الكلام عن التعظيم وهذا تفصيله؛ باب قول: "ما شاء الله وشئت"

سيناقش هذا الباب كفر هذه اللفظة الشركية الخفية، ونحن اتفقنا أنه الواجب على المسلم أن يتحرز ويطهر لسانه من الألفاظ الشركية، وهذا التحرز لا يصدر إلا عن قلب معظم لله، التحرز نفسه لا يصدر إلا من قلب معظم لله، يعني تحاسب نفسك على ألفاظك، ومحاسبة نفسك على الألفاظ من تعظيم الله، وهذه المحاسبة على الألفاظ ستخرجك بنتيجتين:

النتيجة الأولى: أنك تجد هذا اللفظ له قاعدة شرعية بين قوسين – منهي عنه شرعًا –.

أقصد المنهيات أي الألفاظ الخاطئة، شيء منهي عنه شرعًا ستجد لما تفتش في نفسك ستجد قاعدة تقابله، يعني أي كلمتين فيها واو المساواة بين الله وبين خلقه هذه قاعدة سيكون حكمها أنه منهي عنها، ليس قول ما شاء الله وشئت إنما المقصود على نفس القاعدة حرف الواو، على نفس القاعدة ألفاظ جديدة، ومعاصرة وليس شرطًا الآن تدركها لكن الناس يختلقونها، تأتي في كلامهم وفي بعض اللهجات، يأتي كلام انت لا تفهمه لكن عندك قاعدة شرعية تقول لك لا تساوي بين الله وبين خلقه في الصفات، هنا مشيئة وهنا مشيئة لا تساوي بينهم.

إذن بعد الاحتراز والتذكير والمحاسبة ستخرج بواحد من نتيجتين:

- النتيجة الأولى: أنك ستجد هذه الكلمة لها قاعدة شرعية.
- النتيجة الثانية: أنك بعد الاحتراز ستجد كلمة موهمة لا تنطبق عليها القاعدة، كلمات موهمة في بعض اللهجات، في بعض المجتمعات، أحيانًا بعض الأشعار، هناك كلمات موهمة لا تفهم ما الموقف من مثل هذا الكلام، مثله: "أتيت لا أدري من أين أتيت وأبصرت قدامي طريقًا فمشيت" هذا كلام موهم، ليس في أول الأمر لكن في نهايته تعرف أن هذا كلام ممنوع لابد أن يأتي إلى الكفر بالله، لأن لما تنظري إلى كل القصيدة واحد تائة ليس عنده توحيد الربوبية ولا الألوهية ولا الأسماء والصفات ولا شيء، لا يدري أين هو، ثم لما تقرأيها تشعري أنه ليس من نسج بني آدم لابد أنه من نسج الشيطان، كلام عجيب.

المهم هذا النوع الثاني الذي ليس له قاعدة شرعية لا تتسرع في الحكم عليه لا قبولًا ولا رفضًا لابد من عرضه على أهل العلم.

سأضرب لكم مثالًا وأريد منكم أن تبحثون عنه؛ عبارة تتردد عند الناس "أنا فعلت ما عليّ والباقي على ربنا"، هذه من العبارات المنتشرة، السؤال مقبولة أم ممنوعة؟!.

لا تتعجلوا أنا أقول لكم ابحثوا، لأنك لو قلت لي ممنوعة سأقول لك من أفتى من العلماء بمنعها وما معناها وعلى ماذا تحمل؟!.

فأريد أن أقرر هذه القاعدة عندكم: هناك ألفاظ منعت بقاعدة شرعية، حرف الواو في المساواة، مثلًا لولا الله وفلان، فحرف الواو الآن مشكلة، لا يصح لك استعمال حرف الواو في المساواة بين صفة لله وصفة للخلق، المساواة تعني المشاركة ممنوع.

ففهمت هذه القاعدة، لكن هناك ألفاظ لا تسير على القاعدة، وانت تشعر في نفسك وانت محترز تشعر أنها فيها حكم فماذا تفعل؟! لا تتعجل لا بالقبول ولا بالرد توقف عنها فقط وانت في نفسك منها شيء ثم اسأل أهل العلم، وفي هذه الحالة لا تسأل أي أحد تقابله! لابد أن تسأل أحد كبير وتعرف أن له علم بالتوحيد، من أجل أن يسألك اسئلة يعرف من ورائها ماذا يقصد الناس بهذا الكلام، لأن أحيانًا لما تذهب إلى بلد ولا تعرف لهجة أهلها لا تخطأ هذا الخطأ وتتسرع وتقول لهم هذا الكلام لا يصح لأنك لا تعلم ماذا يقصدون بالضبط بهذه الألفاظ!.

ولذلك كثير من الأحيان نقول في الحالات مثل هذه اسأل من مثل بلدك لأنه يفهم من أين نشأت هذه الكلمة وما المقصود بها، طبعًا أنا لا أقصد الذي بقاعدة عامة إنما أقصد الذي بدون قاعدة.

سؤال من الحاضرات – سائلة تسأل عن حكم لفظة في بلد لا تعلم معناها والله أعلم –

رد من الأستاذة: لا أعرف معنى اللفظة لا استعملها، انت تفهمين أن هذه شركية، لا تستعمليها وتوقفي عنها، تبيِّن لهم أني لا أفهم هذا الكلام وأخشى أن يكون فيه نوع شرك وإذا قلت لهم أنك تخشى أن يكون أنها نوع شرك وهم عوام سيطيرون بأنها شرك، فأقول لا أعرف هذا الكلام وأتوقف عنه، إذا أردتم أن تسألوني اسألوني بالله.

فلا تتعجلون في الحكم على الألفاظ، والشيء الذي لم تفهميه توقفي عنه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: اذهب إلى "المناهي اللفظية" وابحث فيها، هذه القائمة من الألفاظ المنهي عنها لو بحثت في المناهي اللفظية ستجدين ألفاظ كثيرة تستعملوها ومعتادة ونستعملها وهي من المناهي اللفظية، فكان مقصدي من هذا الكلام أن أرشدكم أنك إذا كنت متحرزًا وتخشى على تعظيمك لابد أن تبحث في كتاب يجمع لك المناهي اللفظية، فهناك ألفاظ على القاعدة فهمتها، وهناك ألفاظ جديدة مستحدثة وذهبت إلى مكان وقالوا لك ألفاظ لا تعرف معناها فلا تستعملها حتى تسأل.

سؤال من الحاضرات – عن الألفاظ واضحة المعنى والله أعلم –

رد من الأستاذة: حتى هذا الواضح سيكون واضح لأنه مبني على قاعدة أو قرأتيه في شيء مثل المناهي اللفظية.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا تضربوا لي أمثلة، ما المقصود الآن؟ المقصود أني أضع لكم قاعدة وانتم ماذا ستفعلون؟ كل واحد فينا عنده من الكلمات في ذهنه ما يحملها ويبحث عنها.

باب قول: ما شاء الله وشئت

عَنْ قُتَيْلَةَ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ ، وَتَقُولُونَ : وَالْكَعْبَةِ ؟ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا ، أَنْ يَقُولُوا : "وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ". رواه النسائي وصححه.

وله أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما : أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ ، قَالَ : أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا ؟ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ".

ولابن ماجه عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا ، قَالَ : رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَقُلْتُ : إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ . قَالُوا : وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ . ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى ، فَقُلْتُ : إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ . قَالُوا : وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ . فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ ، قَالَ : هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا ، فَلَا تَقُولُوا : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ، وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ".

الدليل الأول.

نأتي نرى الحديث الأول.

عَنْ قُتَيْلَةَ،

قتيلة هذه صحابية مهاجرة رضي الله عنها.

أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ : وَالْكَعْبَةِ ؟ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا ، أَنْ يَقُولُوا : " وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ ". رواه النسائي وصححه.

هذا الحديث من جهة المعنى ظاهر لكن فيه دلالة عجيبة؛ مَن الذي أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ يهودي، يقول له: "إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ"، انظري إلى هذا الأمر العجيب يكلم النبي صلى الله عليه وسلم عن الشرك الأصغر وهم يأتون بالشرك الأكبر والكفر الأكبر، لكن مع هذا الذي يحمله اليهودي ماذا كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم؟! قبل الحق! وهذه القاعدة فيها من الصعوبة ما فيها، بالكلام النظري أقبل الحق من كل أحد واعلم أن على الحق نور، وفي الواقع لا أقبل الحق إلا لمن يعجبني!.

أذكر قبل عشر سنين شرحت هذا الدرس وكان في سياق كلام معاذ رضي الله عنه، وكلام جميل وفي أخره: "إن على الحق نور"[٥٧٨] وعلى هذا أنت تدّعي وتقول كلام فستأتيك بلاءات لا تنتهي إلى أن ترى نفسك أين حقيقتك، وجائت سلسلة بلاءات، يأتي أحد اعرف أنه مخالف وأنه يكره منهج السلف وأنه وأنه ويأتي يقول انتم نفرتم الناس لما قلتم كذا وكذا، ولما طرحتم مسألة كذا وكذا في أول الأمر، ومطلوب منك أن تقبل كلامه!، لأنه أتى وصف لك حال الناس، ولن تقول غيران ومعادي، وهو في قلبه بغض للدعوة السلفية لكن لا تتصوري كيف نفع الله به!، لا تتصوري.

المهم انت في المقابل لما يأتيك مثل هذا الكلام، انتم تعرفون أن الدعوة السلفية أول ما بدأت في مجتمع النساء قوبلت بعاصفة من الرفض، لأن الناس تربوا لفترة طويلة على الكلام الهين وعلى القصص وعلى الحكاوي، والطلب والعلم أمرًا كان ضيقًا على ناس كثير وأبغضوه، لما أبغضوه وكان طبعًا كان هناك في الوسط واسطة نقلت – وهؤلاء يتحملون إلى يوم القيامة فعلهم –كانوا يحضروا الدروس وكانوا يخرجوا ينقلوا كلام، والكلام الذي ينقلونه على كيفهم، على هواهم، يتشهون فيه ويستقطعونه إلى أخره، كانوا يخرجوا فماذا يحصل؟ نقص وإشاعات!، فيأتي الكبار عندهم يستقبلون هذا الكلام على أنه مسلّم به وأنه واقع!.

ثم الله أعلم ماذا يكون في نفوسهم لكن في نهاية الأمر يناصحون، وانت تعلم أنهم لا يفقهون أصلًا المسألة، لكن يأتون يقولون مثلًا هذا ينفر الناس، هذا جعلهم يشكوا في نياتهم، جعلهم يفعلوا كذا، انت لما تسمع هذا الكلام لابد أن تتصور هذا الحديث أمام عينيك أن النبي صلى الله عليه وسلم الذي أتى بالتوحيد ويدعو إليه يأتي يهودي مشرك شركًا أكبرًا وكافر كفرًا أكبرًا يقول للنبي

---

[٥٧٨] وَقَالَ معاذ يَوْمًا : إِنَّ وَرَاءَكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ : مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ ، مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ ، فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ ، وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ . قُلْتُ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : مَا يُدْرِينِي رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْحَكِيمَ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ وَأَنَّ الْمُنَافِقَ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ ؟ قَالَ : بَلَى ، اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ الْمُسْتَهْتَرَاتِ الَّتِي يُقَالُ : مَا هَذِهِ ؟ وَلَا يُثْنِيكَ ذَلِكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ يَرْجِعُ وَيَتَّبِعُ الْحَقَّ إِذَا سَمِعَهُ ، فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا .

صلى الله عليه وسلم: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ" فماذا يفعل النبي صلى الله عليه وسلم؟ يقبل هذا، ويأمرهم: "أَنْ يَقُولُوا : " وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ ".

خرجت بنتيجتين الآن؛ أن اليهودي معه علم، يعلم الحق، ولأنك تعلم أنه يعلم الحق قُبل منه، يعني ليس معنى أنك تقبل من الأخر فتقبل كل شيء باطل حق ليس مشكلة لأ، إنما تعلم أنه يعلم الحق فتقبل منه.

إذن علمنا بالحق حتى لو ممن له عدواة ويذكر الحق طلبًا للتنقيص والطعن ننتفع بها، النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر مقالة هذا اليهودي بل قبل الحق وأقر اليهودي وأمر أصحابه في الحديث بأن يجتنبوا الألفاظ الموهمة للشرك.

باب موقفنا من أهل البدعة والمخالفين

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ستفتح عليّ باب – الله المستعان – **باب موقفنا من أهل البدعة والمخالفين**، سأذكر لك فقط من أجل أن تهدىء نفسك لكن راجع كتابين:

- راجعي كتاب: "**رفقًا أهل السنة بأهل السنة**" لعبد المحسن عباد، ونحن في العادة نقرأه في نهاية الدفعة، وسنقرأه إن شاء الله.
- وكتاب: "**تصنيف الناس بين الظن واليقين**".

هذا أول شيء لتفهمي المسألة وتكون المسألة في نفسك متزنة.

الأمر الثاني عن ما هو حاصل استشهاد بكلام عن بدع – من كبار البدع على بدع تعتبر من صغار البدع– ، يعني ماذا تفهمين في البدع؟ أن البدع تنقسم إلى قسمين مثل المعاصي:

- كبار البدع.
- وصغار للبدع.

هناك بدع تكفر وهناك بدع لا تكفر، البدع المكفرة من أهمها الإلحاد في أسماء الله، تعال انظر إلى كل ما يستشهدون به على مفارقة أهل البدع أين قيل؟! في أي نوع من البدع؟ على البدع المكفرة أم البدع الصغار؟! كلام الإمام أحمد في مفارقة أهل البدع قاله على من؟!، تعرفون قاله على من؟!، الإمام أحمد ماذا كانت فتنته؟ خلق القرآن وكانت منتشرة في عصره الفتن المكفرة [الجهمية المعتزلة] وإن كانوا لا يكفروا كلهم أيضًا لكن كلام عن البدع الذي في حقيقتها مكفرة، فكلام الإمام أحمد عن البدعة والمبتدع يقصد به هؤلاء من كانوا في زمانه!، من بدعهم مكفرة.

انظري أيضًا أتى بعد هذه البدع نوع أخر من البدع لازالت أيضًا مكفرة، كل إمام يستشهدون به ويقولون هذا قال هذا الكلام مثلًا الأوزاعي وإلى أخره من العلماء وابحث عن ما كان في عصره وسترى أن هذا الكلام في المفارقة الشديدة لأهل البدع لم تكن على البدع الصغيرة! أكيد أنها على البدع الكبيرة، وانظر كيف نأخذ الكلام عن البدع الكبيرة ونضعها مكان الكلام عن البدع الصغيرة وننزل بنفس الشدة عليها! كيف؟! هذا ليس منطقًا!، لأن البدع الصغيرة التي صاحبها ليس مصرًا عليها ولو أخذتيه يؤخذ ماذا أفعل به؟! أتركه تأكله النار؟! ولا ماذا أفعل؟!

اسألك لو كان هذا عنده بدعة كبيرة أو صغيرة والاثنين سواء ليس أهلًا لأن يُدعى؟! يعني تذهب تدعو الكافر ولا تدعي هذا المسلم من معه بدعة كبيرة؟! نعم!، إذن لماذا كان ابن تيمية يجادلهم ويخاصمهم ويناظرهم؟! لماذا؟! من أجل أن يظهر نفسه عليهم؟! أم من أجل أن يردهم إلى الحق؟! من أجل أن يردهم إلى الحق!.

فمسألة الهجر ليست متزنة عندنا، الهجر هذا نوع من أنواع التقرب إلى الله، تهجرهم قربة، لكن متى ومن وكيف، وما هي الشروط في هذا الهجر، يعني ما هي الشروط القلبية في هجرك ثم ما الشروط العملية في الهجر؟!.

والقصة أننا في فتنة!، وذكرت لكم سابقًا أننا اليوم نعاني من أهل السنة على أهل السنة كما كتب الشيخ عبد المحسن، والشيخ عبد المحسن كان عند هؤلاء إمامًا عالمًا جليلًا ولما كتب رسالة رفقًا أهل السنة بأهل السنة نبذوه!، أصبح مع الصف المنبوذ!!، من أجل أن تعرفي أن هوى يحكم القوم! – نسأل الله أن يسلمنا من الهوى–.

والله الناس يتحركون بهوى، ويسمعون بهوى، ويقبلون بهوى، بهذه الكلمة، ولا تتصور أنك لست منهم!، لابد أن نحرر أنفسنا ما الذي يحكمنا ويحكم ردود أفعالنا، هوانا وثائرة في نفوسنا أم الحق؟!.

ولذلك أبغض ما يكون أن تتعصب لأحد، لا تتعصب لأحد انت فقط اعرف الحق من مصادره، فلا تتعصبوا لأحد، وهذا الأمر اسأل الله أن يكون موجود في قلوبكم، وانتم من يوم ما دخلتم المعهد ماذا كان قال لكم؟! يقال لكم لا تتعصبوا على اسم المكان ولا للأشخاص، ولا زلنا نقول هذا الكلام، لما تريدي تعرفي نفسك في مكان – وهذا موقف حقيقي حاصل – لما يكون بناتي مثلًا متخرجين من جامعة الملك عبد العزيز ومتخرجين من المعهد فأحذرهم ثم أحذرهم ثم أحذرهم أنهم يقولون أنهم متخرجين من المعهد قل أنك متخرج من جامعة الملك عبد العزيز وانتهى الموضوع، وأصلًا درجة البكالريوس أعلى من درجة البكالوريا وانتهى الموضوع! لكن لا تحاول أن تدخل في نوع من التعصب، الجامعة فيها ملايين من المناهج، ملايين بهذه الكلمة، على قدر الأشخاص من يدخل فيها له منهج مختلف، فالمقصود ممنوع أن تتعصب لأحد لأن التعصب يعمي ويصم ولن تقبل الحق من أحد، اقبله حتى لو كان مخالف مادام هذا يعلم ومادام هذا يفهم.

يعني مثلًا هذا يحصل في الدروس العامة؛ يأتيك واحد في الدرس ويكتب لك رسالة مثلًا تعجلتي علينا، وكأننا طلبة العلم وهذا الكلام هل يقال لطلبة العلم وعقدتونا، وهذا الموقف حصل في درس الكبائر، وكلام طويل يمكن ثلاثة صفحات وكل الكلام عن الكبائر، ومثله في كتاب الرقاق، في السنة التي شرحت فيها كتاب الرقاق، أما كتاب الرقاق فكان دفتر كتب، بكل مشاعر أنكم بغضتونا في الدنيا وأننا لا نعيش وكيف ومواقف وكلام السلف يعني جمعت بحثًا في مسألة مضادة لكتاب الرقاق، لأنه بسبب الذي طرحتوه حصل كذا وكذا!.

طبعًا المشكلة في توازن المستقبل، صح أن هذا الكلام يؤذي في أول الأمر لكن انت هدىء نفسك وانت تقرأه، ثم لا تقرأه كله اجعله لما تهدأ، كان مثلًا هذه الدورة الصيفية في أخرها سلموني الكلام وأنا خارجة من ثلاثة أسابيع وجهد من أجل ذلك ثم في النهاية يأتي لي هذا الكلام!، وقد يكون قاسيًا لك في هذه اللحظة فتقول كنت اتمتع بإجازتي كما يتمتع القوم وانتهى الموضوع!، لا أحزن ولا يحزنوا! لأ ردة الفعل هذه غير مناسبة!، هذا دليل أنك لم تكن تعمل لله!.

من أجل ذلك لما ترى نفسك بهذا الهيجان ليس مباشرة تأخذ الانتقاد لكن اصبر على نفسك قليلًا، ثم تقرأ الصفحة بهدوء وانت هادىء وتريد أن تستفيد.

والحقيقة أننا استفدنا من الاثنين من جهة كتاب الرقاق بعد هذا الكلام الطويل الذي كتب استفدت أني لا أطرح كتاب الرقاق إلا بعد الكلام حول التوازن النفسي وفي كل مقطع نقرر فيه حقيقة تقليل حال الدنيا نقرر في مقابلة حقيقة أن الدنيا ستقبل عليك وسيعطيك الله وهذه اللذة ليست بشيء وإنما اللذة الحقيقة في الآخرة.

ثم استفدنا استفادة أكبر! أنه لابد أن نختار الزمن، يعني الناس في الصيف – وانظري هذا الخطأ – يحزمون أمتعتهم من أجل أن يسافروا فأذهب أقول لهم كتاب الرقاق! خطأ هذا التصرف! ثم أنه ممكن على المدى الطويل لكن ليس جرعة واحدة! وانتم تعرفون كيف الدورة الصيفية مرة واحدة في أسبوع ووراء بعضه، في أسبوع أو كان حتى أسبوعين هذه المرة، وكانوا ساعتين وفي أخر النهار يخرجوا من بيوتهم لكتاب الرقاق ولك أن تتصور ماذا حصل! والنساء وليس هناك توازن، وأزواجهم وأولادهم يريدوا أن يذهبوا يصيفوا وهي تقول لهم...!.

لكن اذهب للحج واطرح كتاب الرقاق وهذه حقيقة حصلت، اذهب للحج واطرح كتاب الرقاق لن يعارضوك في كلمة! والله في كلمة لم يعارضوا إلا أنهم كانوا يكملوا الكلام!، لأن قلوبهم أتت متجردة فتستفيد من هذا الشأن، اعطيه متفرقًا يعني مثلًا يصلح في درس كل خميس، أو يصلح في أسبوع وأسبوع متجردًا، من أجل أنه لما يخرج ترجع لأن ترده، لكن عندما تعطيه مرة واحدة سيترك كل شيء مرة واحدة.

فأنا أكلمكم عن هذه الأخطاء لتعرف أن من انتقد نفعني، كان سببًا للنفع أني لا أطرح بهذه الصورة، ومثله الكبائر، لما أتت الكبائر، والكبائر كانت فتنة عظيمة لأن الناس مغمضين تمامًا أعينهم عن الكبائر وعدوا الكبائر الزنا الربا وفي نهاية العد يقولون الحمدلله هذا كله ليس عندنا، ومرة واحدة تريد أن تكشف لهم أن في القلوب شيء اسمه الكبر وفي القلوب شيء اسمه إرادة الدنيا وهناك عجب ورياء؛ فمرة واحدة كل أسبوع وتأتي كبيرة بعد كبيرة ففي نهاية الدرس من المؤكد أن هناك مشاعر أنه تنهار القوى.

انا أتكلم عن أخطائي من أجل أن تنتفعوا انتم بها وتعرفوا كيف ترتبوا أنفسكم وأيضًا تعرفوا كيف تستفيدوا من الانتقاد وهذه نقطة مهمة، بعد ذلك سأطرح الكبائر فسأدرسها بالتفصيل وأطرحها لكن ليس باسم كبيرة! إنما في درس تفسير نأتي بقصة قارون من أولها لأخرها ثم الشاهد أن قارون خسف به لأن في قلبه إرادة علو وانظري كل النصوص المرتبطة واشرحيها هنا، ويسمى درس تفسير ويسمعوا عن كلمة إرادة العلو العجب والرياء، أليس أتى فيه نصوصًا؟!.

ابدئي بأشهر نص وأوضحه وابدئيه بدرس تفسير ثم تكلمي عن ضدّه، مثلًا في الفرح اشرحي ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [٥٧٩] تتكلمي عن الفرح المشروع ثم في ثناياه تكلمي عن الفرح المذموم وحب الدنيا وصوري الدنيا، أو في درس أصلًا تتكلمي فيه عن الدنيا وقيمتها من الأمثال في القرآن فتأتي بآية سورة الحديد ثم هات الآيات التي بعدها، ماذا يقول الله عز وجل؟ ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَآ ءاتَاكُمْ﴾ متى تفهم هذا المعنى لما تفهم حقيقة الدنيا فخذه كله مع بعضه، اشرحي المثل ثم قرر هذه الحقيقة، لما تطرق الحقيقة خفيفة خفيفة ثم تنزل بالتدريج وتنكشف تنكشف أسهل مما تأتي مرة واحدة.

[٥٧٩] يونس:٥٨

ما الذي غرنا؟ أن الجماعة طلبة علم، وجدنا أن طلبة العلم بنفسهم ضعاف لا يتحملون، ولأنه طالب علم عرف أن يأتي باستدلالات كثيرة تناقض أصلًا موجودًا! يعني كل هذه الاستدلالات التي أتيت بها مثلًا الفرح؛ كل النصوص التي تدل على الفرح المذموم ماذا ستفعل بها؟! صح كلامك كل ما أتيت به صحيح لكن هذه أين ستذهب بها؟! يعني لابد أن تجمع بين ما هو ظاهره متشابه، لكن لما يكون طالب علم ويسير على تفكير واحد وهوى يسير في اتجاه واحد ويلقيه نصوص اللقاء، خطأي أني جربت ذلك، وجعلته مباشر أنه مادام سنتكلم عن الكبائر إذن لابد أن تعرف الكبائر ويجب أن تضطبها، وأنا أمامي طلبة علم فتصورت أنهم سيفهومن! خطأ، مسألة تخاطب مشاعر الناس لابد أن تلفها قبل أن تقدمها.

مثلًا تذهب عند الجماعة الذين يوزعون كتب الدعاء، مثلًا تذهب إلى عزاء وتجدهم يوزعوا كتب دعاء من عندهم، ويسألوك ما رأيك؟ فتقول أصلًا المفروض لا تجمعوا الأدعية التي كتبتوها من نفوسكم، بدون تأصيل شرعي.

ما معنى بدون تأصيل شرعي؟ يعني بدون أن يقول لهم أن الدعاء عبادة وأنه يجب أن تقفوا على نص شرعي فيه، ثم أن الدعاء نوعين:

- نوع نص عليه.
- ونوع فتح به عليك، ما فتح به عليك لا بأس ادعو به لكن لا تجعله وردًا ولا ترتبه.

النوع الذي من النصوص الشرعية سيكون وردًا ووزعه لأنه كلام الرسول، والدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم لما كان يعلم الصحابي قال له: "وَرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ " فراجعه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "نَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ "، فهم يستدلون مثلًا بحديث حولها ندندن، يستدلون بهذا الحديث فانت لابد أن تجمع بين هذا وهذا وتأصلها تأصيلًا شرعيًا ثم تطرحها.

فلما يكون في النفوس هوى فلما يأتون يسمعوك يرفضوك لأنك تكلمت عن كتابهم الذي ينشرونه، كيف أنا أنشر كتاب وانت تأتي تقول لأ، فهمتم كيف الهوى يحكمنا؟!، لما يكون من أمامك صاحب هوى ويفهم أن الهوى يحركه انت لماذا تثير هواه؟! لماذا تفعل هذا الفعل؟!، المهم هذه قصة تجر بعضها بعضا.

نهاية الكلام تفهم أن المسألة تحتاج توازن عقلي، تحتاج أن تقرأ كلام أهل السنة فيه وتحتاج أن تقرأ كلام حول الصغيرة والكبيرة، ليست المسألة أنك تستشهد بأي كلام حول البدعة ثم تكتبه على أي أحد! لا يحق لك!، ثم انتفع من كل أحد، متى ستنتفع من كل أحد؟ كلما زدت علمًا، لما يقل العلم تتشبه عليك الأمور.

فمن أجل ذلك انت واحد طالب علم صغير لا تقولي لي سأدخل مثلًا في برنامج من البرامج النفسية من أجل أن انتفع من كل أحد، أولًا انت تصلب في الطلب أول الأمر، كن صلبًا وكن فاهمًا، وافهم النصوص من كتاب الله التي وصفت الإنسان ووصفت نفسيته ثم لما تذهب إلى هناك تلتقط كم كلمة من كلامهم من أجل أنه لما تطرح عليهم تثبتهم، يعني لماذا أستعمل الكلمات من مصطلحات النفسية مثلًا لتسمية الأمراض إلى أخره؟ لأن أولًا هذا أمر أصبح بمثابة المصطلح المستعمل الأمر الثاني من أجل أن تعالج بالقرآن وتصلح النفوس بالقرآن لا تستطيع ذلك إلا بأن تأتي بالبداية من عندهم، ليس علمًا وإنما مجرد اصطلاحات، وتفهم هم ماذا يوقلون بصورة عامة، فلا يصح لك الغرق في الواقع.

إذن لا تغرق في الواقع لكن هذا بعدما تتصلب أنت أصلًا انت في الطلب، لكن لا انت في الطلب لاحق، ولا في معاملة الناس لاحق! ستضيع! إذن حدد هذه السنين من عمرك حددها أن تجمع قلبك على الطلب ثم سيدفعك الله إلى الطريق الذي تنفع به

الناس، ثم نحن لسنا كلنا سواء واحد يستطيع أن يتكلم في الاقتصاد، وواحد يستطيع أن يتكلم في علم النفس، وواحد يستطيع أن يتكلم في السياسة وواحد يتكلم في التربية، نادر أن تجد واحد يجمع في كل شيء، إذن ما فتح عليك سر فيه، فتصلبوا في الطلب قبل أي شيء ولا تتشتتوا يمنة ولا يسرة.

اسأل الله أن يصلح قلوبكم وأعمالكم ويقبل منكم ويسد بكم الثغرات، اسأله سبحانه وتعالى أن يسد بكم الثغرات، لأنكم لا تتصورون ما حولنا من ثغرات!، ومن أجل ذلك لا تستهينوا بوقتكم ولا بأعطاكم الله من قوة ولا بما يتيسر لكم في الطلب، لا تستهينوا، ستأتي اللحظة التي ستجدوا الناس تمحوروا حولك وانت الله أعطاك زمنًا سابقًا تتعلم فيه فلا تستهينوا أبدًا ولا يغلبوا الكسل ولا النعاس ولا حب الدنيا ولا تعلق بها، لا يغلبكم هذا لأنكم لا تعلمون ماذا أراد الله بكم لما دفع بكم إلى هذا الطريق.

اسأل الله أن يصلح قلوبكم وأعمالكم وأن يسد بكم الثغرات.

نعود إلى ما اتفقنا عليه.

انظري إلى اللفظين؛ أولًا ما الذي أنكره اليهودي على المسلمين؟ أنهم يشركون بالله، أنكر عليهم وقوعهم في الشرك.

ما الصورة التي ذكرها؟ "ما شاء الله وشئت، والكعبة".

ما غرض اليهودي من مقالته تلك؟ القدح في المسلمين والتنقيص.

ما موقف النبي صلى الله عليه وسلم من مقالة هذا اليهودي؟ قبِلها، لأنه أتى بالحق.

ماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم؟ أمر الصحابة: "أَنْ يَقُولُوا : " وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ ".

ما الفرق بين ما شاء الله وشئت وما شاء الله ثم شئت؟

- "الواو" حرف العطف تدل على المساواة.
- "ثم" للتعقيب.

القاعدة:

أي لفظة فيها مساواة بين الله وبين خلقه ستكون شرك.

متى تكون شركًا أكبرًا؟ لما يجتمع تعظيمًا بالقلب ويقول باللسان، تكون شركًا أكبرًا.

متى تكون شركًا أصغرًا؟ لما يكون قول باللسان.

الدليل الثاني.

انظري للحديث الذي بعده.

وله أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا قَالَ للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ ، قَالَ : أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا ؟ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ".

انتقلنا من درجة إلى درجة، هذا الدليل أتى بعد الدليل الأول، **كأننا نمر على ثلاثة درجات:**

الدرجة المحرمة: ما شاء الله وشئت.

الدرجة الجائرة: ما شاء ثم شئت.

الدرجة الكاملة: ما شاء الله وحده.

الدليل الثالث.

ولابن ماجه عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا ، قَالَ : رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ ،

رأيت هنا يقصد به الرؤيا المنامية.

فَقُلْتُ : إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ

معناها نعم القوم انتم.

لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ . قَالُوا : وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ . ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى ، فَقُلْتُ : إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ . قَالُوا : وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ . فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ ، قَالَ : هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا ، فَلَا تَقُولُوا : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ، وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَه".

نرى تفاصيل هذا الحديث.

اتفقنا أن هذه رؤيا منامية، وأن طفيل في هذه الرؤيا مر على جماعة من اليهود فأمتدحهم قال لهم: "وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ" غير أنه عاب عليهم أنهم يشركون مع الله فينسبون له الولد فبادلوه المدح إلا أنهم عابوا على أهل الإسلام أنهم يعطفون مشيئة الرسول على مشيئة الله بالواو، وحصل مثل ذلك مع النصارى.

وفي هذا دلالة على أن اليهود والنصارى يعرفون الشرك الأصغر ومع ذلك يشركون بالله الشرك الأكبر، فهذا حديث الطفيل والحديث الأول في الباب يدل على أنهم يعرفون أنهم لم يريدوا بمقالتهم المناصحة إنما أرادوا بها تنقيص أهل الإسلام.

لما اصبح طفيلًا أخبر بهذه الرؤيا من أخبر ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم؟ خطب في الناس.

ثم قال: "كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا" فما الذي كان يمنع النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يمنعهم من هذه الكلمة؟ ورد في رواية أخرى " وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ كَلِمَةً ، كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنْكُمْ أَنْ أَنْهَاكُمْ" ما معنى الحياء منكم؟ ماذا تتصورين؟ يعني يستحي أن يعلمهم الشريعة؟! مستحيل أن يكون هذا المعنى وإلا لما كان النبي صلى الله عليه وسلم صبر على كل هذا الإيذاء، **لكن المقصود أنه كان مستحي أن ينكر عليهم ولم يؤمر بالإنكار**، وانتم تعلمون أن أحكام الشريعة جائت بالتدرج فكل شيء يأمر أو ينهى عنه يكون الأمر والنهي عنه في الوقت المناسب.

وبعد هذه الرؤيا نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم.

ما معنى هذا الحياء مرة أخرى من أجل أن يتبيَّن لكم؟ انظري لما العباس قبل أن يحرم شرب الخمر، لما العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وقع منه أنه شرب الخمر، ووقعت حادثة طويلة مع علي ابن ابي طالب وحصل أنه عقر إبل علي – ربما حمزة

راجعوها[٥٨٠]- المهم الشاهد في الموقف أن النبي صلى الله عليه وسلم بالرغم مما رأى من آثار شرب الخمر لكن هذا لم يدعوه إلى تحريمها، وإنه يستحي أن يتجرأ على الله، فيستحي من الناس أن يشهدوا عليه أنه أمرهم بشيء لم يأمره به الله.
انظر إلى الشاهد المقابل؛ في صلح الحديبية لما كان كل الصحابة متحفزين لدخول مكة ومنعهم، الأمر من الله، المنع كان من الله، هل تحمل الحياء هنا على المعنى المعروف أنه يستحي من الصحابة أي يستحي من لومهم أو يستحي من عتابهم ؟!كان صلح الحديبية أولى الأمر أنه تركهم دخلوا!، لكن المقصود هذا النوع من الحياء حياء أن يأتي الناس فيأمرهم بما لم يأمره به الله عز وجل.

المقصود أن العبد حياؤه من الله يسبب حياؤه من الناس، والحقيقة هذا الحياء مفقود لأنه مثلًا ما تراه من تعالم الناس يتكلمون على الله بما لا يعلمون، هذه إشارة واضحة إلى التعالم، يأتون إلى أمور لا توافق هواهم فيرفضونها ويقولون لا يمكن أن ربنا يأمرنا بكذا! فليس هناك حياء، أو تأتي عند أهل البدعة وتسمعهم يقولون وهم لا يستحيون من ربهم أن ربنا علمنا مباشرة أي وحي!، فهذا كله ضدّ أن الإنسان يستحي أن يتكلم على الله بغير علم، وانظر إلى كل أنواع الحياء لا تأتي إلا من الإيمان، يعني ما تراه من أنواع تفسخ الحياء بسبب نقص الإيمان.
ولذلك لما تأتون تخاطبون البنات الشابات على مسائل تتصل بالعرّي وعلى لباسهم وما يمّج من لباسهم لا تتكلم عن الصور الظاهرية لكن تكلم عن أن هذا إنعكاس عن ما في القلب، لو كان في قلبك إيمان لابد أن الإيمان سيولد لك حياءًا، وستستحي أن تظهر بهذا المظهر، وهم دائمًا يشغلوك بأمر الحلال والحرام، فتقول أنا مستعد وأريد منكم أن تستعدوا كما أن مستعد أن لا نتناقش في هذه الموضوع من جهة الحلال والحرام، لو أريد أن أكلمك عن الحلال والحرام سأقول لك: "إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ" ،يعني من لم يتكرها لم يستبرأ فقد وقع في الشبهات ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، بسهوله لو قالت لك حلال وحرام استشهدي لها بهذا النص، قولي لها أن من وقع في الشبهات وقع في الحرام.

---

[٥٨٠] أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي خَالِدٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا يُوسُفُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ يَوْمَ " بَدْرٍ " ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمُسِ ، وَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِي فَنَأْتِيَ بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّاغِينَ فَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفَيَّ [مَتَاعًا] مِنَ الْأَقْتَابِ وَالْغَرَائِرِ وَالْحِبَالِ ، وَشَارِفَايَ مُنَاخَتَانِ إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَإِذَا أَنَا بِشَارِفَيَّ قَدْ أُجِبَّتْ أَسْنِمَتُهُمَا ، وَبُقِرَتْ خَوَاصِرُهُمَا ، وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا ، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ الْمَنْظَرَ ، قُلْتُ : مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ فَقَالُوا فَعَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ [عَبْدِ الْمُطَّلِبِ] ، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ فِي شَرْبٍ مِنَ الْأَنْصَارِ غَنَّتْ قَيْنَةٌ ، فَقَالَتْ فِي غِنَائِهَا :أَلَا يَا حَمْزُ لِلشُّرُفِ النِّوَاءِ وَهُنَّ مُعَقَّلَاتٍ بِالْفِنَاءِ ضَعِ السِّكِّينَ فِي اللَّبَاتِ مِنْهَا، فَضَرَّجْهُنَّ حَمْزَةُ بِالدِّمَاءِ وَأَطْعِمْ مِنْ شَرَائِحِهَا كَبَابًا،مُلَهْوَجَةً عَلَى وَهَجِ الصَّلَاءِ فَأَنْتَ أَبَا عُمَارَةَ الْمُرَجَّى،لِكَشْفِ الضُّرِّ عَنَّا وَالْبَلَاءِ؛ فَوَثَبَ إِلَى السَّيْفِ ، فَاجْتَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا ، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا ، وَأَخَذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا ، قَالَ عَلِيٌّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، قَالَ : فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي أَتَيْتُ لَهُ ، فَقَالَ : " مَا لَكَ ؟ " فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ، عَدَا حَمْزَةُ عَلَى نَاقَتَيَّ ، فَاجْتَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا ، وَهَا هُوَ ذَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرْبٌ ، قَالَ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِرِدَائِهِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي ، فَاتَّبَعْتُ أَثَرَهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ ، فَإِذَا هُمْ شَرْبٌ ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَلُومُ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ ، فَإِذَا حَمْزَةُ ثَمِلٌ مُحْمَرَّةٌ عَيْنَاهُ ، فَنَظَرَ حَمْزَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتِهِ ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدُ أَبِي ؟ فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ ثَمِلٌ ، فَنَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ الْقَهْقَرَى ، فَخَرَجَ ، وَخَرَجْنَا . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُوجِبَةِ لِنُزُولِ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ .

لكن لا نريد أن نأتي من هذا النقاش نريد أن نخاطب قلوبهم نقول كلما زاد حياؤك كلما زاد إيمانك، والنبي صلى الله عليه وسلم لما يوصف حياؤه يوصف بأنه أشد من حياء العذراء في خدرها، العذراء التي لم تخرج ولم تتصل بالرجال وليس لها علاقة ولا تعرف الحياة، كيف ستكون؟ لا تتحمل اللمسة، لا تتحمل النظرة من الرجل الرسول صلى الله عليه وسلم كان أشد حياءًا من هذه، لماذا شدة الحياء؟ هي نسبة وتناسب؛ الإيمان والحياء يتناسبان كلما زاد الإيمان زاد الحياء كلما نقص الإيمان نقص الحياء.

فما تراه من مشاهد إنما هو إشارة إلى نقص الإيمان، وليس أمرًا منفصلًا عن الإيمان، فشخصّوا الداء أولًا يا أطبة القلوب، قبل أن تتكلموا عن نفس المسألة والعري والفتنة والرجال قبل أن تتكلم عن هذا كله لابد أن تفهم أن هناك شيء ينقص في قلبها من أجل ذلك ينقص السلوك الخارجي، وهذا أمر مهم أن يتعلق في قلوب الشباب، لابد أن تخاطبوهم خطابًا يجعلهم هم أصحاب القرار لا أنك انت من تفرض القرار عليهم، خصوصًا هؤلاء من يملكون أدوات القرار مثلما تكون زوجة وزوجها راضي وأهلها ليس لهم سيطرة عليها، ماذا ستفعل؟! ستعظها بالموت؟ جميل ستتعظ إذا كان فيها قلب، وإذا اتعظت بالموت لحظة ورأت طول الحياة ودخل في قلبها طول الأمل ذهب هذا، لكن لابد أن تبرمجها على أنه زد إيمانك، اعمل من الأعمال الصالحة سترى أنه لا يليق بك هذا اللبس.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: الحياء المكتسب المقصود، الذي تكتسبه من إيمانها.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة:هم ماذا يفعلون؟ أول ما تأتي تقول لك حرام نلبس هذا؟! بدون مناسبة، انت لابد أن تفهميها أنه لما أتكلم عن الإيمان مثلًا من آثار الإيمان؛ مثلًا درس اسمه من آثار الإيمان واتكلم عن أسباب زيادة الإيمان ونقصه، فاتكلم عن أسبابه ثم تقول من أسباب زيادة الإيمان أنك تكون أخشع، أنك تكون اتقى، أنك تبعد عن المحرمات، أنك تكون صاحب حياء، لا ينتزع منك الحياء فتستحي أن تلبس وتلبس..، فقط بهذه الطريقة، كلمة تقوليها هذا لو كنت تعطيهم، لو كانوا هم من يناقشوك ويقولوا لك حلال وحرام تقولي لابد أن تفهموا أن الحياء والإيمان يتناسبان، فكلما زاد الحياء زاد الإيمان وكلما نقص الحياء نقص الإيمان، فانت تشهد على نفسك أنك قليل الإيمان بسبب قلة الحياء.

وهذا الكلام يجعلكم تفهمون لماذا ذنوب الخلوات خطيرة، لماذا الإنسان في الظاهر صورة ثم في الخلوات يعمل مصيبة، لماذا؟ لأنه ليس هناك حياء من الله، مستحي من الناس وليس مستحي من ربه المطلع عليه الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

بهذا يكون انتهى باب ما شاء الله وشئت.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاءنا الثالث في هذه الدورة المباركة لإكمال الثلث الأخير من كتاب التوحيد، انتهى معنا أربعة أبواب.

- ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّه ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ فهمنا دلالة هذه الآية على التوحيد، وفهمنا أن الإنكار ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّه ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ له درجات، ما مفهوم الإنكار أصلًا -إنكار نعمة الله - ؟ مفهومة نسبتها إلى غير الله، يعني يعرفونها ويشعرون بها ويعلمون أنهم لا يستغنون عنها ويعلمون أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بها بأنفسهم، ومع هذه المعرفة كلها ينسبوها إلى غير الله، ويتردد هذا الإنكار بين كفر أكبر أو أصغر، ومن ثمّ سيتردد أيضًا بين شركٍ أكبر وشركٍ أصغر، هذا علاقته بالتوحيد.

يعني لما تنظري أي باب فيه - باب قول الله تعالى - معناه هذه الآية كيف أفهمها من جهة التوحيد، أو ما دلالتها على التوحيد.

- بعد باب ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّه ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ يأتي باب ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ما دلالة هذه الآية في التوحيد بالذات بعد باب ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّه ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾؟ يعني ليس أي طريق الآن، الطريق الذي ستسيره ستربطه بباب ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّه ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾،كأنك تقول سأشرح لكم آيتين:

- آية من سورة النحل.
- وآية من سورة البقرة.

وأذكركم أن آية النحل أتت في سياق سورة النحل، التي هي سورة النعم، ثم بعد هذه النعم كلها وبعدما عرفوها وعرفوا أنهم لا يستغنون عنها ينكرونها بأن ينسبوها لغير الله، والله عز وجل نبههم وعلمهم أن هذا نوع تنديد، لماذا؟ لأنه سبحانه وتعالى في سورة البقرة بعدما أمر عباده بالعبادة ثم ذكر لهم أعظم النعم التي أنعم بها عليهم، ثم أمرهم قال لهم ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني بعدما علمتم أنه وحده الذي هداكم ورزقكم وأعطاكم كيف تعبدون غيره، كيف تجعلون معه ندًا.

كأن السؤال ما تفسير أن يكون لله ند؟ التنديد كما قال الشيخ الغليمان كم نوع؟ ثلاثة أنواع:

- تنديد في الأقوال.
- تنديد في الأفعال.
- تنديد في الاعتقادات.

فالتنديد المقصود في هذا الباب بعد باب يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها تنديد في الأقوال، بسبب ماذا التنديد في الأقوال؟ بسبب أنهم أنكروا نسبة النعمة إلى الله، ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تشمل الشرك الأكبر وتشمل الشرك الأصغر، في هذا الباب تكلم عن الشرك الأصغر.

انتهينا من هذان البابان، يأتي الباب الذي بعده

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: في الأصل يتكلم عن الأصغر بدليل﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بعد الآية ماذا قال؟ ماذا أتى بعد آية المتن؟ قال لك أن الأنداد الشرك أخفى من دبيب النملة على صفاة سوداء، إذن كيف تقولين لي أنه أكبر؟ هنا يقصد الأصغر، لأن التنديد في الأقوال بدون فعل القلب أصغر دائمًا، متى يصبح أكبر؟ إذا اعتقد.

التنديد في الأفعال يتردد بين الأكبر والأصغر، اجعلوا هذه عندكم القاعدة من أجل أن ترتاحوا، دائمًا التنديد في الأقوال يكون أصغر، متى يصبح أكبر؟ بسبب فعل القلب، إذن في نفس القول سيكون أصغر لكن إذا اجتمع معه فعل القلب أصبح أكبرًا، فأصبح سننتقل إلى التنديد في الاعتقادات، تعال إلى الأفعال؛ الأفعال مثل الاعتقادات تتردد بين كونها أصغر وأكبر.

- الاعتقادات تتردد بين كونها أصغر وأكبر.
- الأفعال تتردد بين كونها أصغر وأكبر.
- الأقوال أصغر إلا مع الأفعال، إلا مع الأعتقاد القلبي.

بمعنى أن الأفعال يمكن أن يكون صرف عبادة لغير الله [مثل السجود، مثل الطواف] هذا وقع في الشرك حتى لو قال لك أنا لا اعتقد، نقول تطوف حول ضريح أو مثلًا تذبح لغير الله وانت متقرب إذن معك الاعتقاد القلبي، فكيف وانت معتمر وانت تسجد لغير الله ثم تقول لي لا أعتقد؟!، هذا الفعل أصلًا لا يصدر إلا من اعتقاد.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: مثل شرك النية والإرادة والقصد، مثل الرياء، واحد يصلي ثم ألتفت قلبه إلى غير الله، ماذا ستقولين عنه؟ هذا اعتقاد قلبي.

اريد منكم أن تركزوا جيدًا أنه لما يأتيكم اسم الباب آية تفهم كيف ستناقش الباب، لأني أجد عندكم ضعف في هذه النقطة في ملاحظة العنوان، لما يكون العنوان باب قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ مادام آية كأنك تقولين أنا سأنظر لهذه الآية ما دلالتها في التوحيد، نحن تأثرنا بثلاثة جهات في الآية:

- الجهة الأولى أنها في سورة النحل، هذا أولًا أثر علينا، لأن كأننا قرأنا السياق كله وتبين لنا تفاصيل من النعم التي أنعم الله بها علينا.
- ثم في سورة النحل الله عز وجل قال ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ وهذا يكفينا تعميم على كل ما فينا من نعمة.
- ثم بعد تعداد النعم التي نعترف أنها من الله وبعد علمنا اليقيني ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ بعد هذا كله ماذا قال الله عز وجل في وصف هؤلاء القوم الذين ممكن بسهولة أن نكون منهم؟ يعرفون نعمة الله، إذن جائت يعرفون.

يعني أنا في سورة النعم، ثم علمت أن هؤلاء يعرفون نعمة الله ثم المعلومة الثالثة أنهم ينكرونها، فكان السؤال ما معنى ينكرونها أتى بعد تفصيل للأمثلة في نفس المتن عن صورة الإنكار.

- ماذا قال مجاهد في صورة الإنكار؟ هذا مالي ورثته عن آبائي، هذه صورة للإنكار.
- ثم قول عون ابن عبدالله لولا فلان لم يكن كذا، هذه صورة للإنكار.
- وقول قتيبة هذا بشفاعة آلهتنا.

واتفقنا أن هذه فيها ثلاثة درجات:

- درجة "هذا مالي ورثته عن آبائي" ممكن يتجه أن يكون خبرًا، يسألك ويحقق معك من أين وصل لك هذا المال، هذه حقيبة مَن، إلى هذه الصورة الخبرية المحضة، سنقول في هذه الحالة يصح النسبة لأنك تخبر لتثبت حقيقة محضة متداولة بين الناس.
- نأتي إلى جهة أخرى في الكلام السائر وانت تعبر أحذر من أن تنسب مالك أو النعم التي عندك إلى الأسباب سيكون هنا شركًا أصغرا، لولا فلان ما حصل كذا هذا شرك أصغر، هذا ممنوع، وهذا أشهر صورة موجودة بيننا.

▪ القول الثالث: قول قتيبة: "هذا بشفاعة آلهتنا" هذه صورة للشرك الأكبر.

إذن إنكارها سيتردد بين الأصغر والأكبر، بهذا انتهينا من فهم الآية.

الآية ما علاقتها بالتوحيد؟ أن إنكارها لو وقعت النسبة دليل على أما أنه الذي ينقص في القلب كمال التوحيد الواجب، وإذا نقص في القلب كمال التوحيد الواجب سيأتي الشرك الأصغر، أليس عندك توحيد واجب وعندك كمال التوحيد؟نعم، التوحيد الواجب الآن لو نقص – نقص وليس انتقض–

▪ إذا نقص شرك أصغر.

▪ وإذا انتقض شرك أكبر، هذا توحيد الواجب.

التوحيد الكامل لم يأتي عليه الكلام بعد، في مستقبل الكلام سنتكلم عن التوحيد الكامل.

إذن ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ ما علاقتها بالتوحيد؟

▪ الإنكار إما من قلب نقص فيه التوحيد الواجب.

▪ أو قلب انتقض فيه كمال التوحيد الواجب.

فكأنك تصف هذا الفعل الإنكار سيكون ممن، هذه كلمة علاقته بالتوحيد، أنا أقول علاقته بالتوحيد ولا أشعر أنه غير واصل إليكم ما معنى علاقته بالتوحيد، ما علاقته بالتوحيد؟ أن من يفعل هذا الفعل تشخص موقفه من التوحيد، طبعًا تشخيصك لموقفه من التوحيد هذا بصورة إجمالية أما في نفس الأحوال لا يحق لنا أن نحكم على معين.

انتهينا الآن من هذا النوع من الشرك الذي يتصل بالربوبية، واقع في الربوبية في نسبة النعمة إلى غير الله، ثم كأن أتت الصورة العامة ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بدأ بكلام ابن عباس على الآية من أجل أن يقول لك هناك نوع تنديد ليس أكبرًا إنما هو أصغر، ويدخل فيه المسلمون وهم لا يشعرون، أتى لك بصور من هذا التنديد، لما أتى بصور وهناك صورة سابقة مرت معنا وهي النعمة نسبة النعمة إلى غير الله دخلت مرة أخرى على أنها صور من التنديد، ثم ما شاء الله وشئت، ولولا فلان، إلى أخره التي فيها ألفاظ التسوية.

انتم درستم في طريقة الشيخ لما أخذنا باب من الشرك لبس الحلقة والخيط، ثم باب ما جاء في الرُّقى والتَّمائم، ما العلاقة بين الاثنين؟

⇦ في باب من الشرك لبس الحلقة والخيط أتى إشارة إلى التمائم.

⇦ في باب ماجاء في الرقى والتمائم ذكر المسألة بإجمالها وتفصيلها.

⇨ مثله بالضبط ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ هذه صورة لإنكار النعمة.

⇨ ثم كأنه أتى يقول لك أصلًا هذا التنديد موجود ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هذا التنديد موجود وله صور ثم بدأ يشرح لك الصور، كيف شرحها؟ أتى بالباب الذي بعده باب جاء فيمن لم يقنع بالحلف بغير الله، باب قول ما شاء الله وشئت، كلها إشارة إلى نقص التوحيد الواجب في القلب، وكيف يكون بألفاظ التي تلفظ بها، وباستقدامك للألفاظ.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: لماذا أفرد مرة أخرى باب ما شاء الله وشئت؟ انت اعرف أن أي شيء يفرد لابد أن يبرز ومهم ومنتشر والناس يرددونه.

لازلت أقول أن الحمدلله الحمدلله الحمدلله أن الظواهر الصحية في الاعتقاد التي تحيط بكم قللت من شعوركم بخطورة أمور كثيرة، يعني انت ليس حولك ناس يحلفوا ويذبحوا،هذه ظاهرة صحية الحمدلله الحمدلله الحمدلله، لا نبلغ كمال الثناء عليه أبدا، لكنها أتت بنتيجة من جهة أخرى سلبية أنكم لا تشعرون، لكن الذين يترددون على قرى وبلدان في الخارج يشعرون، ولذلك كلما أسافر وأعود أشعر كأن بيني وبينكم فجوة البرود، انتم لستم باردين من جهة اهتمامكم بالدراسة، لا أقصد هذا، إنما من جهة مشاعركم، أي تتعاملوا مع المسألة على أنها علم محض لا على أنه واقع والناس يعيشون الشرك، والناس يذبحون لغير الله.

انت تخرج تشعر بالناس كيف يعيشون ويذبحوا لغير الله، ويذهبون ويعودون على الأضرحة، ويحلفون بغير الله، شيء لا يتصور، ثم مثل هذا ينتشر وينتشر ولا أحد يرد، بالعكس، انت الذي تدعو إلى التوحيد انت الذي شاذ ومخالف ووهابي، إلى أخر كل الاتهامات، من أجل ذلك يأتي لنقاط معينة ويبرزها ويفرد لها باب، يأتي لك بالأدلة حولها لتشبع منها، لأنه منتشر ولا يمكن أن تتحاشيه، أصلًا لماذا يفرد لها باب؟ ليأتي بأدلة جديدة، لو كان فقط الدليل الذي موجود في ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لم يكن هناك فائدة، لكن أتى لك بمجموعة أدلة، وانت هذه الأدلة من ابن ماجة والنسائي زادتك قوة في فهم المسألة وأصبح معك بدل الدليل ثلاثة أدلة، أربعة أدلة.

إذن كل شيء منتشر زد في بحثه، زد عناية في إبرازه، تكلم عنه إجمالًا وتكلم عنه تفصيلًا، وهذا أمر تراه في القرآن، وتراه في السنة، أن هناك أمور تتكرر وتتكرر عليك إجمالًا وتفصيلًا لماذا؟! لأهميته، ليبقى في ذهنك صورة واضحة، نحن درسنا مثل هذا في الأمثال، ألم نقل أن الأمثال تتكرر حول التوحيد، لماذا تتكرر؟ التوحيد تخاطب به مباشرة، تخاطب به بذكر اسمائه وصفاته، تخاطب به بذكر الأمثال، لماذا هذا كله؟ دليل أهميته.

انتهينا من أربعة أبواب وصلنا إلى باب "من لم يقنع" ثم باب "ما شاء الله وشئت"، لازلنا في الألفاظ، الرابط الألفاظ، يعني الألفاظ التي إذا تلفظ بها الإنسان دل على نقصٍ في توحيده وفي إيمانه.

وصلنا الآن إلى باب "من سب الدهر فقد آذى الله"، هذه من الأبواب التي تعتبر مهمة منتشرة مشكلة، هي بنفسها مهمة في تحريك اعتقادك، لأن ممكن تأتيك رياح من الاعتقاد وانت لا تفهم أنك تنسب الأفعال إلى الدهر بدون أن تشعر، ما أهمية هذا الباب؟ أنه ممكن أن يقع الإنسان فيه وهو لا يشعر، هذا من جهة أهميته، من جهة خطورة ما خطورة هذه المسألة؟ سترى ما علاقتها باعتقادك في الله، سترى إن شاء الله في النقاش، ومن جهة الانتشار منتشرة بأشكال وبطرق.

باب من سب الدهر فقد آذى الله وقول الله تعالى: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ)[٥٨١]

وفي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : "يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ" وفي رواية : "لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ".

[٥٨١] الجاثية:٢٤

نبدأ باسم الباب: "باب من سب الدهر فقد آذى الله"

هذا الاسم منتزع من أين؟ من الدليل الذي أمامك، الدليل الذي في الحديث، الحديث القدسي: قال الله تعالى: "يؤذيني ابن ادم"، من هنا تفهم أن هذه الجملة ليست من كلامه إنما هي منتزعة من حديث قدسي، والحديث في الصحيح، لماذا نؤكد على هذه النقطة؟ لأن هذا التقرير بنفسه مشكل، تقرير أذية العبد لربه جل وعلا مشكل بنفسه.

اسألكم الآن هل كلمة أذية وإثباتها من العبد لربه وردت في القرآن؟ هذا أول أمر تفعليه، بكل سهولة ممكن تقابل قرآنين، أو ناس داخل عليهم شبهة القرآنية وهم لا يشعرون، ويقولون مسألة مثل هذه لا تثبتيها من الأحاديث بل اثبتيها من القرآن، ستقولين هذا قد ثبت في كتاب الله، لأن الله قال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾[٥٨٢] الشاهد إلى هنا، إذن هذا فيه دليل على صحة هذه الجملة.

ما الفرق بين الأذية والضرر؟ يعني انت تنفي أن أحد من الخلق يستطيع ضرر الله، هل هناك علاقة بين الأذية والضرر؟ متلازمان؟ لا، ليسوا متلازمان، يعني بعدما قررت الآن أن جملة آذى الله مقررة في كتاب الله من السنة والكتاب.

سنأتي سنقول: لا يلزم من الأذية الضرر، فلما قال سبحانه وتعالى في الأحزاب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ قال في آل عمران ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئًا﴾[٥٨٣] وانتم تعلمون أن لا تناقض بين كلام الله، إذن ماذا سيثبت؟ الأذية، ماذا سينفى؟ الضرر، أكيد هناك فرق، لا يمكن أن يثبت شيء وينفى شيء ويكونوا متساووين هذا معناه ستقولين أن الكتاب فيه تناقض وهذا مستحيل.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا نقول هنا اختلاف المبنى والمعنى، هذه القاعدة أصلًا غير موجودة، متى تستخدم معنى ومبنى؟ في موطن أخر تمامًا، الزيادة في المباني تدل على الزيادة في المعاني، يعني نفس المبنى لنفس الكلمة [الرقية : استرقى] السين هذه زيادة في الكلمة إذن زيادة في المعنى، وهذا ليس موطنه أبدًا.

سنقول: لا يلزم من الأذية الضرر فالإنسان يتأذى بسماع القبيح أو مشاهدته، ولكنه لا يتضرر بذلك، إذن فالأذية لله ثابتة ويجب علينا إثباتها، لأن الله أثبتها لنفسه، وهذه قاعدة من أهم القواعد التي نعيش عليها ونستمتع بها، يعني نحن نستمتع بمنهج أهل السنة والجماعة لأنه لا يحملنا تكلف، لا نتكلف الأشياء ونلف وندور حولها، ما أثبته الله لنفسه أثبتناه وما نفاه الله عن نفسه نفيناه، أثبت لنفسه أنه يحصل من العبد أذية نفى عن نفسه الضرر، سنبثت ما أثبته وننفي ما نفاه، ونحن نعلم أن هذا معناه غير هذا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ﴿ يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾ يحاربون بمعنى يحاربون، كيف تكون الحرب؟ أصلًا يجب أن تفهمي ما معنى الحرب في لغة العرب من أجل أن تفهمي ما معنى يحاربون، لما اثنان كل واحد في شركة وهذا يحارب هذا ما معناه؟ أن واحد يريد أن يخمد الثاني، يخمد صوته، يخمد مكانته، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾[٥٨٤]، المهم ما نقلك إلى هنا؟ نحن هنا نحلل اللفظة فسنخرج بنتيجة لكن في المحاربة يجب أن تحللي اللفظة وتفهمي ما معناها، انت في ذهنك كلمة الحرب مصطلح وليس على أصلها اللغوي فابحث عن لفظها اللغوي.

---

[٥٨٢] الأحزاب:٥٨

[٥٨٣] آل عمران:١٧٦

[٥٨٤] التوبة:٣٢

اتفقنا أن الأذية لله ثابتة ويجب علينا إثباتها لأن الله أثبتها لنفسه، فلسنا أعلم من الله بالله، ولكنها ليست كأذية المخلوقين، يعني المقصود ليس كتأذي المخلوقين.

سنقرأ كلام الطيبي في شرح هذا النص قال:

والإيذاء إيصال مكروهٍ إلى الغير وإن لم يؤثر فيه، وإيذاؤه تعالى عبارة عن فعل ما لا يرضيه.

يعني فعل يكرهه الله، وبهذا تفهم قوله تعالى ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾[٥٨٥]، ما معنى ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾؟ معناه لن يقع عليكم الضرر إنما أذى بكلام، الذي نسميه بالنسبة لنا الأذى المعنوي، فكأنه يقال لك لا تخاف من أهل الكفر ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ ليس عندهم إلا الكلام، مثل هذه الأحداث، وهذه الآية أصلًا في سياق الكلام عن المنافقين والكفار مع المسلمين، فكأنه يقال لك ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ فانت تسمع كلام وأصوات عالية لو كنت مؤمنًا صادقًا لن يؤتيك لو كنت مؤمنًا صادقًا، لكن لو كنت خائفًا سيسلط عليك، لكن لو كنت مؤمنًا صادقًا لن يضروكم إلا أذى، معناه أنك ستسمع تهديدات، وستسمع توعدات، ستسمع شيء كثير من هذا، لكن لن يقع على الحقيقة سيذهب، متى؟ لما انت تأتي بالشرط وتكن بربك واثقًا وبدينك معتزًا، إلى أخر ما هو مفقود.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لن نناقش المسألة بهذه الصورة من أجل أن لا يخرج معنا النص إلى مكان أخر، لكن الضرر لو وقع عينك على شيء قبيح تشعر بالضرر لكن ليس هناك أذية.

انتهت مناقشة الإشكال في العنوان.

ننظر إلى العنوان لكن بطريقة أخرى؛ في العنوان فعل ونتيجة.

- ما الفعل؟ سب الدهر.
- ما النتيجة؟ إيذاء الله.

إذن ماذا تفهم من كلام الطيبي؟ إيذاء الله فعل ما لا يرضيه، إذن فهمت من الألفاظ التي منهى عنها التي لا ترضي الله سب الدهر.

ما المراد بالدهر؟ الدهر هو الزمان والوقت، طبعًا كل الوقت من كلمة يوم إلى كلمة سنة إلى كلمة قرن كلها وحدتها الأولى الليل والنهار، الأسبوع عبارة عن سبعة أيام، الشهر ثلاثون يوم، السنة ٣٦٥، وهكذا، انت تعد وما هي الوحدة الأساسية؟ اليوم أي الليل والنهار.

لماذا نفكك هذا كله؟ لأننا سنناقش أنه لما تسب الدهر ما مادة الدهر الأصلية؟ تقلب وتعاقب الليل والنهار، من الذي يعاقب الليل والنهار، وكيف التعاقب؟ كيف الشيء الواقع عليه الفعل تجعله فاعلًا؟! كيف؟!، إذن الدهر هو الزمان، والزمان الوحدة الأصلية له الليل والنهار، لأن متى يصبح يومًا؟ بتعاقب الليل والنهار.

[٥٨٥] آل عمران:١١١

كيف يكون سبه؟ بلعنه، بشتمه، بنسبة الشر إليه، مثل أن يقول الناس لا بارك الله في يوم رأيت فيه كذا، أو قاتل الله ساعة، لعن الله يومًا، إلى أخره، ومثل الألفاظ العامة؛ أن الزمن غدار، سواء كان خاصًا بحدث أو وصفًا عامًا، حتى في أحيانًا تأتي لفظة في النفس منها شيء في مسألة التربية، يقول له سيربيك الزمان، وانت تعلم أن التربية من فعل الله.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: هذه ألفاظ موهمة، المهم أن كونك تدور حول مشاعر تجاه الزمن هذه مشكلة، والزمن عبارة عن تعاقب الليل والنهار وليس بفاعل ولا يستطيع.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: خطأ، لأن الزمن هو تعاقب الليل والنهار والتربية فعل الله، وبسبب كلمة يربيك الزمان كأنك تقول بسببها تركوا كلمة أن الله يربيك.

أقول لكم قبل أن نتعلم كلنا كان يمر على خاطرنا تربية الله أو أن الله يربينا؟ هذا مصطلح لا نعرفه هو نفسه ولا نعرف حتى آثاره، يعني هناك مسائل انت لا تعرف فيها المصطلح ولما دخلت العلم كنت تعرفها أصلًا لكن لا تعرف مصطلحاتها، لكن مسألة مثل تربية الله لا تعرف المصطلح ولا تعرف آثاره ونتائجه ومعناه ولا أي شيء، كأنه كان غطاء كثيف بيننا وبين هذا المعنى مع أن اسم الرب من الاسماء العظيمة المتكررة التي تعتبر أصول الاسماء لأن أسماء الله تدور حول ثلاثة حول [الله والرب والرحمن]، فغياب هذا المعنى أحد أسبابه دخول الزمان كفاعل، لذلك أقول لك الموضوع ليس سهل، خطير في أثره وفي دخوله في قلوب الناس وفي استعمالهم، وأكيد أنهم يتكلمون دون أن يفكرون وإلا الزمان عبارة عن ليل ونهار كيف سيكونا فاعلان؟!.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: من أجل ذلك كثير من الناس من الشباب والشابات لما نأتي نناقشهم في الأناشيد تأتي الحاجزة القوية بينك وبينهم لأن عظم في أصل المسألة الموسيقى فقط، وإلا الكلام الذي يقال ظلم الليال، وغدر الليال وإلى أخره هذا كله لا بأس به عندهم، وحتى هذه الأشعار وسيأتينا أن في كلام الشعار شيء متكرر في سب الليل والنهار.

إذن ما المراد بسبه؟ كما اتفقنا لعنة، وشتمه، إلى أخره.

ما علّة تحريم سب الدهر؟ عرفنا أنه من الألفاظ المنهية، كيف عرفت أنه من الألفاظ المنهية؟ من أجل كلمة من آذى الله، فمادام قد آذى الله فهمت أنه يقع فيما لا يرضاه الله، فهمت أنه لفظ منهي، لكن ما علة تحريم سب الدهر؟

سنقول: **"**إن الأزمنة لا تفعل شيئًا وإنما هي مسخرة يسخرها الله عز وجل، ولهذا كان سب الدهر سبًا لمن تصرف فيه وهو الله عز وجل، فسب الدهر ينافي كمال التوحيد.**"**

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: يدخل من بابان من باب سب الدهر من جهة، ومن باب التشاؤم من جهة.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: هذا سنناقشه من جهة أخرى وسنرى مسألة البركة، لكن لفظة الزمن هي التي فيها إشكال، على كل حال اتفقنا أنه لما تأتينا ألفاظ هناك لفظ سائر على القاعدة، أي لفظ سائر على القاعدة تثبت عليه القاعدة والحكم، لفظ جديد موهم من جهة يدخل في القاعدة من جهة أخرى لا يتبين لك دخوله في القاعدة ماذا ستفعلين؟ لابد من السؤال ومراجعة أهل العلم، هذه قاعدة مهمة جدًا في مسألة تشريك الألفاظ، يعني الأشياء التي أتى عليها نص وأتت عليها فتوى انت تعرفيها إذن هذه قاعدة عندك، من أجل ذلك لابد أن تقتني كتاب مثل: **"المناهي اللفظية"** لتعرفي ما أتى فيه فتوى، للدكتور بكر رحمه الله، يبقى الآن الشيء الجديد الذي يستحدث أو تخرج إلى بلد أخر وتسمع ألفاظًا لا تعرفها لابد أن تسأل عن هذه قبل أن تتسرع في الحكم عليها، استعملها أم أتوقف عنها؟ توقف بدون أن تصدر حكم، فرق بين أن تصدر حكمًا وأن تتوقف.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: لن نعبر هذا التعبير، أول جملة اتفقنا أنه لا يلزم من الأذية الضرر وأتينا بآيتين، انت تسمعي "يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ"، هل هذا الحديث فقط هو الذي يثبت الأذية؟ لأ، آية سورة الأحزاب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ فهمت يؤذون الله أن هذا اللفظ ثابت، من أين لك أنه انتفى الضرر؟ أولًا كقاعدة عامة لا يمكن أن يبلغ أحد من العباد ضر الله فيضره، ثم عندك آية آل عمران ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾.

إذن أولًا – هذه قاعدة مهمة – قبل أن تفهمي أي تفاصيل عقلك لم يستطع أن يستوعبها فلنفرض أنك خرجتي من اللقاء ولم تفهمي الفرق، حتى لو لم تفهمي الفرق تسلمي بأمرين أنه يمكن أن يقع أذى والضرر لا يقع، أن هناك فرق بين الضرر والأذى لأن كلام الله لا يتناقض، هذا من أصل معتقدك.

ثم بعد ذلك نتفاهم ما الفرق بين الضرر والأذى؟ لا يلزم من الأذية الضرر، انت تري منظرًا قبيحًا، تشمي رائحة سيئة، ماذا سيكون حالك؟ تأذيت أم تضررت؟ سيكون هذا أذى، لكن ضرر لم يقع عليك ضرر، لا في مالك، لا في أولادك، لا في نفسك، لم يقع، لذلك أشمل أن تقولي معنوي ومادي.

اتفقنا على عنوان الباب "باب من سبّ الدهر فقد آذى الله" اتفقنا أن فعلًا من العبد يقع وهذه نتيجة، واتفقنا أن هذه النتيجة بنفسها مشكلة، كونك تثبتها هذا من اعتقادك في صفات الرب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وحتى في إثباتك للأذية لن يكن إثبات كإثباته للخلق، وأخذنا كلام الطيبي، ما هي الأذية وكيف تحصل؟ **"فعل ما لا يرضاه الله عز وجل"** هذه جملة مهمة جدًا لتستطيع التمييز بعد ذلك، إذن كل شيء لا يرضاه الله عز وجل – كل شيء – إذن هذا نوع أذية.

إذن سب الدهر ينافي كمال التوحيد الواجب أي سيكون شركًا أصغرًا لأنه فيه نسبة الأحداث لغير الله، سنرى بالتفصيل.

❖ الدليل الأول.

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[٥٨٦]

نبدأ بالآية: ما علاقتها بهذا النقاش؟ هذه آية الجاثية أتت في سياق ذم الله عز وجل لمشركي العرب، ذمهم وذم من وافقهم.

ما الصفة المذمومة هنا؟ انظري إلى عقيدة بعضهم، وهذا أمر لابد أن نؤكد عليه لأن العرب كلهم ليسوا منكرين للبعث، لابد أن تفهموا هذا الأمر جيدًا من أجل أن لا تكرر نفس الأخطاء في اعتقادنا للرسالة، العرب عبدوا الله وعبدوا معه غيرهم، هذه فرقة، بعضهم عبد مع الله الملائكة، بعضهم عبد مع الله الصالحين، بعضهم اعتقد أنكر البعث، فهم بأنفسهم فئات مختلفة.

انظري لاعتقادهم، هؤلاء المذمومون ما اعتقادهم؟ عد الجمل: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بمعنى أن الإنسان الذي يموت يتحول إلى تراب وينتهي موضوعه، وانتهى الأمر، كأنها العبارة المشهورة: "أرحام تدفع وأرض تبلع" هذا اعتقادهم، كأن هذا كان شعارهم أنهم يعتقدون في الأرض أن أرحامًا تدفع وأرض تبلع وينتهي الأمر.

ما الذي يحرككم ويزيدكم ثم يفنيكم؟ مَن الذي يربيكم ثم يفنيكم من الأرض؟ في نظرهم الدهر، يعتقدون أنه لا رب لهم يحييهم ويهلكهم، وإنما يفنيهم مرور الليال والأيام وطول العمر.

---

[٥٨٦] الجاثية:٢٤

لابد أن تهتم بهذه الجزئية لأن الدهرية الآن لبست لباسًا جديدًا، لذلك مهم أنه لا يكفيني كلمة إنكار البعث لا تكفي هنا، نعيد النظر إلى الآية ثم سأقول لكم اللباس الجديد الذي لبسته الدهرية.

الآن الآية ماذا تقول؟ ماذا يخبرنا الله عن ذمه لفرقة أو لجماعة من مشركي العرب؟ في إنكارهم البعث، ما اعتقادهم؟ كأني اسألك لماذا ينكرون البعث أو ماذا يعتقدون اعتقادًا بديلًا عن البعث؟ أولًا أن حياتهم تنتهي بالحياة الدنيا ثم يتحولون إلى تراب، يعني الأرض تبلعهم وينتهي أمرهم، ثم لما تسألهم من الذي رباكم وأعطاكم ثم يفنيكم يقولون الدهر، الدهر هو الذي يفعل لنا هذا الفعل، يعني يذهبون بالربوبية، يعني ستعودون لـ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ كأنه تأسس في قلبكم هذا المعنى ثم هذا صورًا منه.

الدهرية الآن لها صورة جديدة وهو ما يسمونه ..

تعليق من الحاضرات رد من الأستاذة: لأ الطبيعيين والإلحاد هذا كله يعتبر قديم بالنسبة لهذا الجديد، هم الآن لم يشكلوا لهم صورة لكنهم موجودين حتى في العالم العربي، وفي أحد البرامج الحوارية ألتقى واحد من ناشري هذا الفكر، وكلاهم عرب وكلاهم مسلمين، من يقدم البرنامج والثاني.

المهم يسأله – ومقدم البرنامج يفهم تمامًا من أمامه ويفهم ما تفكيره وهو أتى به أصلًا ليعرض تفكيره على العالم، ذمًا أو مدحًا الله أعلم، نحن ليس لنا علاقة بنيات الأشخاص – المهم فلنرى تفكير الثاني، في سؤال من الاسئلة يقول له يظهر في آثار كتاباتك كراهيتك للموت أو كلام مثل هذا، تكره الموت وتصفه بأنه سارق لأحبابك وأصحابك، فرد عليه قال نعم إلى أن وصل إلى نقطة قال فيها أنا متأكد أنه سيأتي يوم وتحل مشكلة الموت ويستطيعوا الناس أن يعيشوا أبدا، أو كلام حول هذا الكلام، وأنه سيخططون ويرتبون أوضاعًا وأكل وشرب يسبب لهم طول الحياة، أي الخلود.

هذه الفكرة لما تسمعيها انت تقولي إذا كان المتكلم مجنون المستمع يكون عاقل، إذا انت عندك اعتقاد صحيح صح هذا الكلام لكن لما يسمعها الشباب الصغار؟!، لما يسمعها واحد عمره ١٨ ١٩ سنة إلى العشرين وهو خاوي من الاعتقادات، **لابد صادق قلبًا خاليًا فتملكا**، لابد.

وإن كنا لا نزكي أنفسنا، لا تسألي عن أولادنا يدرسوا من أولى أبتدائي ويعرفوا التوحيد والإيمان هؤلاء نخاف عليهم أشد الخوف، فما بالك أصلًا الذي لا يقال له هذا الكلام أصلًا!، وبقية العالم الإسلامي لو نظرتي إلى مناهجهم أصلًا مثل هذا الكلام غير موجود، وفي أخر الأمر لما يقرر لهم مثل هذه الحقائق علميًا، أكيد في بيوتهم مقرر لكن أقصد علميًا، فكأنهم عاشوا أن هذا الذي تقرر في بيوت أدنى من أن تقبله العقول.

النهاية قلنا هذا واحد عقله ليس موجود ويتكلم هذا الكلام والثاني الله يسامحه من أتى به وجعل الناس يتفرجوا عليه، انتهى الكلام إلى هنا، الآن جاءت ظاهرة جديدة برامج إطالة العمر، هذه برامج غذائية ثم يأتي بتقرير يقول لك اليابان، ونحن جائت لنا هوسة انتهينا من أوروبا وجائت الآن اليابان، أنهم متوسط أعمارهم ٨٥ سنة، يعني واحد فيهم لا يموت إلا ٨٥، يقصد أنهم يعمرون، اسأل الله أن يهلك أهل الكفر الله المستعان، المهم لماذا أعمارهم تصل إلى ٨٥؟ لا، ليس لأن الله قدر لهم هذا، وأن الله قادر على أن يفعل لهؤلاء كذا ويفعل لهؤلاء كذا وينسون ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ" وكل

هذا ينسوه، ويقولون بحثوا لماذا أعمارهم طويلة؟ بسبب الأنظمة الغذائية، وأنماط الحياة يعني أنهم ينامون في القطارات لأنها تطيل أعمارهم!، بهذه الصورة تصور.

ويوم يقول لك نم سبع ساعات انت لا تستطيع أن تعيش بدون سبع ساعات، ويوم يقول لك كثير سبع ساعات، في أوروبا يقولون سبع ساعات تكفينا، ولو طالب علم وتقول أدرس في الليل واتعلم يقول كيف لبدنك عليك حق لابد أن تنام سبع ساعات، الآن لما جائت اليابان وقالت ثلاثة ساعات نوم في اليوم كافية وتكون في صحة لو تقلل عدد ساعات نومك فأصبحت هذه القاعدة المعتبرة!.

المقصد الآن لما تسمعي كلمة برنامج إطالة الحياة لابد أن تشعري برهبة في قلبك أن هذه الكمة كأنها تقول نحن لا نموت إلا لأننا لا نأكل طيب، إلا لأننا لا نشرب طيب، إلا لأننا لا نرتاح طيب، هذا سبب موتنا، أما أن هذا الأمر قدره الله لأ، دخول هذه المسألة دخلت بتسريب عجيب غير متصور، لدرجة أن امرأة كبيرة في السن يموت لها – ولا أنكر أن فزعة الموت أن الإنسان يفقد محبوب فيفقد توازنه – لكن اسمعي هذا الكلام الذي تقوله وهي امرأة كبيرة المفروض معها من العقل ما يحجرها عن ذلك والناس جالسين، لها شاب صغير عمره ٢١ سنة أتت توقظه ما فاق من النوم، ثم في حالة قريبة من حالاتهم طفل صغير عمره سنة وثلاثة أشهر نفس الكلام، نام نوم طويل متصل ولما أتت أمه توقظه نفس الحال، فهم في حالة دهشة، كأنهم لم يكونوا من أهل الإسلام، كيف واحد بكامل صحته يموت؟!، لماذا يموت؟! تقول هذا الكلام، أليست هذه أقدار؟!، ابعدي عن الحزن، الحزن ممكن يخرج مثل هذا الكلام لكن هذا بعد فترة من الزمن وكان النقاش عقلي ليس عاطفيًا، تقول أريد أن أفهم لماذا شاب صحته كاملة يموت؟!، لا هبوط في القلب وعددوا الأمراض، ولما أصبحنا نتعلم وأصبحنا نفهم أنه يحصل كذا ويحصل كذا أصبحنا نقول إذا ما أتت هذه الأسباب أخرجوا لنا سبب وإلا لا يموت هكذا!.

على كل حال قبل أن نصل إلى هذه اللوازم لابد أن نفكر، نحن متصورين أن أنظمة غذائية ستطيل الحياة، أن مثلًا أوضاع معينة ستطيل الحياة، لأن الليل والنهار هم اللذان يكبران الشخص عندهم وهم اللذان يهلكانه! هذه الدهرية لكنها بلباس جديد، فكن حذر منألفاظ مثل هذه الألفاظ، ومع حذرك انتبه تقع في تهمة أحد، ولازلت أحذركم كونك تعرفي حقيقة مسألة يؤدي أنك تبذل جهودك أن تأتي بخيوط الاعتقاد السوي فتدخله خيوطًا لا تدخله هجومًا!، لا أحد يقول لك هنا برنامج عن إطالة العمر وأنه برنامج جميل، وأسعاره رخصية، طبعًا لازال ستفتح محلات الآن، في المستقبل عشر سنين ستفتح محلات متخصصة، ويجب أن يرجعوها بالشرع، فسيأتوا لك بمعجزة جنين القمح ويفعل فيك هذا وهذا وسيطيل العمر ويأتوا بكلمة واحدة في الوسط وأنه يبعد عنك الأمراض.

الآن انت ستقولين لي صحيح المطعومات والمشروبات سبب للأمراض، صحيح نحن لا ننكر، لكن كل شيء لابد أن يكون له في عقولنا حد، سنرجع مرة أخرى إلى مشكلة الأسباب وعلاقتنا بها، وشعورنا أن هذا السبب هو الذي فعل هذا الفعل، وانتم تعلم أن بلائك كله أصلًا دائر حول الأسباب، انت ابتليت في العالم بأن أتت أسبابًا واسطة بينك وبين فعل الله فأما تنظر إلى فعل الله وأما تنظر إلى الواسطة.

ومن أجل ذلك لما الله عز وجل يقول لك: ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ ما إجابتك؟ إذا كنت تؤمن بالأسباب ستقول نحن نزرع، إذا كنت تؤمن بالله تعلم أن حبة من الله، وأن تربة من الله، وأن ماءًا من الله، وأن شمسًا من الله، وأن حول وقوة من الله،

فسيكون في الحقيقة أن الله عز وجل هو الذي مكنك من هذا، ولذلك لابد أن تراجعوا هذه الأساسيات، تصوري أننا أصبحنا يجب أن نرجع إلى هذه الأساسيات ونحفظها ونأتي مع الناس ونناقشهم.

لماذا أقول لك راجعيها؟ لأن أول مرة أتت واحدة تكلمني والظاهر أنه أخ أتى من الخارج ودخل عليه هذه الفكرة، تقول لي أريد رد مرتب أرد عليه في أنه يقول سنستطيع أن نطيل أعمارنا بما نأكل ونشرب أني أستحضر دليل واحد لم استطع، واحد دليل أستطيع أن أقول لها ابحث في قوله تعالى في كذا وكذا ستجدي لم استطع، لأنها مسألة لم تكن تمر في خاطرنا أن يدخل فيها إشكال، مسألة لا تمر في خاطرنا أن يأتي أحد يقول الإيمان بأن الله هو الذي يقضي على الناس بالموت وقتما يشاء سبحانه وتعالى وأن هذا قدر مقدور، لم نكن نتصور أن أحد من أهل المسلمين يحتاج أن يثبت له!.

ويقول الأسباب؟! لكن ناس كثير حافظوا على صحتهم وأكلهم وشربهم ماتوا، وناس حافظوا على صحتهم وأكلهم وشربهم نزلوا وصطدمتهم السيارة ماتوا، أكلوا وشربوا صحيح لكنهم أتاهم عارض من الخارج، واحد أتى في الأحداث وجاء السيل وحمل الناس الشباب الأصحاء وهم في سيارتهم وحملهم!، والله عز وجل جعل هذا السيل سببًا.

المقصود في كل هذا أن تفهم أن أمرًا كان مقررًا تقريرًا واضحًا في أذهاننا ومن كثرة أدلته لم نعتني به، أتى اليوم أننا بحاجة إلى أستظهاره من جديد وبيانه، ولازلت أقول لك من يأخذ هذا جنين القمح ويقرأ تطيل الحياة أو كلمة تشبه هذه الكلمة لا تمر في خاطره وهو لا يقصد شيء ويستعمله على أنه نوع من أنواع العلاجات الطبيعية إلى أخره، لكن انت تفهم أن وراء هذا التسريب تسريب ومسائل، واحد يفهم وواحد غير فاهم ولا ملتفت نظره فتأتي انت كأن عاصفة عليه فيقول لك انت موسوس، ويقول أي شيء ينفع الناس أصلًا لا تريدوه، إذن تستاهل ما جائك، أنا لو كنت في الموقف سأقول لك تستاهل الكلام الذي جائك، لأن ليس كل شيء بالعواصف!

لا تكن عواطفكم عواصف، بالعقل وبهدوء، كأنك تقرأي مطوية وتخرجي منها كلمة، فقط أحذف كلمة واحده وتقول الحياة بيد الله وانتهى الموضوع، لا أكثر ولا أقل من هذا النقاش، هذه الكلمة ستثيره هو ستجعل عنده حاجز، ونحن نريد حاجز الآن، لا نريد أن ندخل في تفاصيل ويقول انت من قال لك ومن اثبت لك، وانتم من أجل أنكم من أهل الدين وكذا وكذا، ثم يأتيك في الكلام بغض النظر عن دينهم! وهذه الكلمة نحن نبغضها ونبغض أن تكون اضطررت أحد أن يقول هذه الكلمة، لا تجعله يقول بغض النظر عن دينه لا تجعله يصل إلى هذا لأن دينه قبل كل شيء، دينه الذي يصفه.

ونحن الآن لما يكون بيننا وبينه حساسيات ومشاكل أرفض أن ننتفع منه لماذا لا نقول بغض النظر عن مشاعري تجاهه؟! لأ، لا نقول بغض النظر عن مشاعري لكن لأن الدين ليس أمرًا أصليًا عندنا جائت كلمة بغض النظر عن دينه، المهم افهموا هذا الفهم وتشعروا بالخطورة تستذكروا تتعلموا تخرجوا من كتاب الله كما كان يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عليه أنك تصور أمامك مخالف ماذا ستقول له، فقط تصوره وابحث عن الآيات والنصوص، وانت تقرأ في وردك أخرج من النصوص ما تثبت أن الأمر بيد الله، وأن هذا قدر ومقدور، وارجعوا مرة أخرى إلى حديث ابن عمر في أول الأربعين، ارجعوا لهذا كله من أجل أن تمتلأ عقولكم ثم لا تكونوا عواصف! سيأتي الوقت الذي نحتاج لهذا كله والمسألة الآن مجرد لفت نظر أنه انتبه أن تدخل علينا هذه المسألة، من بعيد كأنك لا تكلمه.

ربما مر سابقًا في أول شرح الأصول الثلاثة وانتم تعرفوا في نهاية الأصول الثلاثة أخر شيء بعدما ينتهي الأصل الثالث الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم، هناك جملة: "والناس بعد الموت يبعثون"، كان دائمًا يأتيني سؤال استفهام بعدما انتهي من هذا المقطع أنه لماذا أنفرد وجاء في أخر الرسالة ما الإشارة؟!، وفي بعض الشروح وجدت أن سبب إفراده – على القاعدة التي ذكرناها أول اللقاء – أن سبب إفراده أن في أرض نجد كان هناك من ينكر البعث على زمن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، نقول سبحان الله المصيبة تتكرر كما هي بنفس الصورة، رجعنا مرة أخرى إلى قوم سيصلون لو سكت أنهم ينكرون البعث، ويكفي هذا من خرج للإعلام وقال الناس سيجدون في يوم من الأيام حل للموت، هذه أول القصة، أول القصة أن هناك من رفع راية أن الموت له حل!.
المقصود أنه لو بدأت تصبح فكرًا فلسفيًا ستجد لها مدرسة، لو هي فكر فلسفي وواحد أتى أخذها وأصبحت فكرًا فلسفيًا سيكون له مدرسة، وإذا أصبح لها مدرسة أي سيصبح مذهب، وإذا أصبح لها مدرسة واليوم انت تعلم تأثير الإعلام سيأتونك بهؤلاء الناس على أنه صراع في أول الأمر، وانظر هؤلاء الناس ماذا يقولون وردوا عليهم وواحد يقتنع بالرد وواحد لا يقتنع بالرد وفي النهاية سيكون الإعلام وسيلة إلى نشره واستقبال الشباب لهم، ولا تنسي عبدة الشيطان والإيمو، كيف كنت تتصورين أن أحد من ابنائنا يمسك مشرط ويشرط نفسه من أجل أن يخرج من نفسه الدم ويقول أن الآلام الحسية أهون من الآلام المعنوية!.
هل أحد كان يتصور أن أحد من بناتنا يفعل هذا الأمر؟! لا والله لم نكن نتصور لو لم نراه بأعيننا أنه يصبح حقيقة، احد كان يتصور أن أحد من العالم الإسلامي من شبابه يقول أن الشيطان مظلوم؟!، عبدة الشياطين يقولون أن الشيطان مظلوم وأنه يستحق أن يقدم له القرابين!!، ومن أجل ذلك يأخذوا الأطفال الصغار قرابين ويذبحونهم ويصبوا دمائهم!! وهؤلاء أولادنا، طبعًا عبدة الشياطين ربما لم تنتشر في المملكة، لكن انتشرت في الخليج، وانتشرت في العالم الإسلامي، لكن لم تنتشر عبدة الشياطين لكن انتشر عكسهم الإيمو، أحد كان يتصور أن يضع – مانكير –سوداء، انظروا للبنات الآن أصبح هذا اللون المقدس عندهم، تأتي البنت لأمها تقول أريد لون غرفتي أسود.
انظري كيف الإنقلابة مرة واحدة ونحن فقط نتفرج عليهم، تأتي العاصفة وتذهب وتأتي العاصفة وتذهب ونحن فقط نتفرج عليهم، لابد أن تستعدوا، ونحن نقول هذا الكلام مثلما ذكرنا سابقًا الكلام عن الإيمو، في الدفعة السابقة كانت المشكلة بدأت رياح الإيمو تأتينا، نقول يجب أن نتكلم وعيشوا الواقع ويجب أن تستعدوا له بدون هجوم، بدون رياح، بترتيب بقال الله وقال رسوله، وافهمي أن عندك دورين: دور لمن ابتلي تعالجيه ودور الحصانة، فقبل أن تأتي الرياح لابد من الحصانة، لابد من أن لو لك علاقة بمنتدى ولو لك علاقة بموقع نزلي مثل هذا الكلام واجعليه ورقة عمل، أو اجعليه ما يكون المهم فكروا وابحثوا لتسدوا رياح هذه الدهرية الجديدة، لباس عنيف وسيلاقي في قلوب الناس مشاعر مقبولة، لأن كثير من الصغار والكبار يكرهون كلمة الموت فلما يقال لهم سنجد حل للموت سيفرحون.
في الدورة الماضية غرس القيم في رياض أطفال أم من الأمهات قالت ولدها في الصف الثاني الابتدائي من خوفه من الموت كان يقول لها دوري على حل، كأنه روشته وابحث عن حل للموت، فقلنا مثل هؤلاء لابد من ترغيبهم فيما بعد الموت، لابد من ترغيبهم ولو كان طفلًا صغيرًا، لابد من تصور أنه لو عملت عملًا صالحًا تستقبلك الملائكة، وحقيقة ليس كذب، حقيقة يجب إثباتها، وقلنا أن من أحد الأسباب أن الأم تقول لولدها أنا سأموت وأتركك وتهدده فتحول الموت عنده إلى مخوف، على كل حال مصيبة نسأل الله عز وجل أن يردها عن البلاد والعباد.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لازال الإعلام يحمل مثل هذا، وعودة الزمان في الأفلام أي واحد يرجع إلى التاريخ ويعيده، هذا المقصود، هذا أحد أنواع الدهرية، من سنين هذا في أفلام كارتون، ماذا نقول؟!، نقول من معه اعتقاد صحيح يلحق الغافلين ويثبت في قلوبهم الاعتقاد، ولا تاتي تنظري لأركان الإيمان وتقول ماشاء الله أركان الإيمان ثابتين هناك ملائكة، هناك كتب، هناك رسل، هناك يوم أخر ونقول يمكن المشكلة في القضاء والقدر، لا لا، المشكلة بدأت تنتشر على كل أركان الإيمان، وإذا لم تشعر ستأتيك الرياح وانت لا تشعر وسيأتيك من الرياح ما يدمي القلب ونخشى أن يكون قريبًا قريبًا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا من سلامة نيتك شعرتي أن هذا نهاية الموضوع، من أجل ذلك أنا أقول لك ستصبح مدرسة فلسفية من جهة ينظرون لها، ومن جهة أخرى ستصبح مسألة عملية، ثم جماعتنا في البلد المؤمنين باليوم الآخر ومؤمنين بالبعث وكل شيء، تاجر مثلًا يفعل هذه الأشياء ويجرون وراءه ويفتح محل، لأنه يرى الناس أنه كسبان، انظروا محلات الجوالات أنتشرت أصبحت كالمرض، وسيصبح بعد ذلك محلات الصحة كالمرض وهي موجودة، بدأت توجد لكن لطبقة معينة، في أماكن غالية تعتبر وإلى أخره، لكن بعد ذلك سيتحول الأمر منتشر في كل مكان وستجدونه.

على كل حال لا نريد مثل هذا الموقف يمر مرور الكرام ونشعر أنك تتعاملين مع الموقف..

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: من أجل ذلك أقول لك أن تجمعي كل النصوص وتفهميها بدقة، في الحديث ما معنى يطيل في العمر؟ جوابك هذا يدل على أنك لا تفهمين معناه، اذهب إلى كتاب مشكل الآثار للطحوي، ستعرفي ما معنى إطالة العمر الموجود في حديث صلة الرحم، له ثلاثة معاني، الإشكال ليست الدراسة التي درستيها سابقًا ولا بالنظرة السابقة، ولا بالكلمة المختصرة السابقة، انت استظهري ماذا سيقولون وابحث.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: نحن الآن بدأ زمن التخصص، فلو بدأنا دورة الإيمو سنمسك فريق ويعالجه، ويكون له معلمة، وسيبحثوا وكلما ظهر شيء جديد يجيبوهم، هذه مسألة لا تتصل بالأعمال، هذه تتصل بالاعتقادات، وانتم مادام حملتم التوحيد لابد أن تشعروا بحرارته.

انتم من أول ما أتيتم المعهد واتفقنا أن الناس مشكلتهم الأساسية طلبة العلم وحملة القرآن مشكلتهم في ترتيب الأولويات، أليست هذه المشكلة التي حصلت؟!، يعني البنت التي أخاف عليها من رياح الإيمو أريد أخذها إلى مكان يعلمها الدين، لا أجد إلا مدرسة تحفيظ القرآن، أذهب إلى مدرسة تحفيظ القرآن لا أجد إلا يقولون جوّدي، أخرجي الحرف من هنا، ضعي مرآه، ما فعلت، ليست هذه الأولوية! ولازلت أكرر لكم ليس معنى ذلك ان تجد في قلبك تجاهل للتجويد، هذا علم لكن كما اتفقنا ليس علم أساسي، ليس هو الأساسي.

العلوم تنقسم إلى قسمين أصلية واصطناعية، الأصلية قال الله، قال رسوله، قال الصحابة أولي العرفان، هذه الأصلية، وما يتفرع عنها من علم، يعني قضيتك القرآن والسنة وما يتفرع من القرآن والسنة كعلم، **التجويد وسيلة لأن تقرأي القرآن**، من غير المنطقي أن البنت تدخل تكلمها عن الوسيلة والهدف ليس موجود في قلبها! انت علمها الهدف، لما يمتلأ قلبها بالهدف ستقبل الوسيلة للوصول إليه، النتيجة وأنا أعلمها هذه النتيجة، ولازلت أقول لكم لا تفهموا المسألة بالمقلوب، يعني لا تقول لا داعي لعلم التجويد!، علم التجويد أصلًا من علوم اللغة.

هذه اللفظة القرآنية حميت بعدة محامي، حميت من جهة نطق بالتجويد، من جهة تشكيل أخرها [ضمة-فتحة] بالنحو، من جهة بنيتها بالصرف، هذه هي القصة، فمثلما ترى منزلة اللغة العربية ونعظم مكانة اللغة العربية ونقول القرآن عربي مبين، ونقول أن هذا القرآن نزل باللغة العربية فلابد أن تهتم بالعربية، مثل ما تهتم باللغة العربية اهتم بالتجويد، جميل، ستجد مقبل عليك فتجعله يهتم باللغة العربية وبكل شيء، لكن واحد من الداخل أتيت به يجب أن يهتم له بما قام في قلبه باعتقاد في القلب، "أَلا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ " حديث صريح واضح أن هذا أهم شيء، كما في رواية أحد أحاديث مسلم: "" إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ".

إذن لما أأتي بشاب صغير المفروض أرتب له برنامج على قلبه، للعناية بقلبه، ومن أجل هذا لابد أن يحصل توازن، لما تخرج وانت معك علم يجب أن تفهم كيف توقف ما معك من علم في معالجة هؤلاء، ولذلك نحن نرفض الأسلوب التقليدي في معاملة البنات، وفي نفس الوقت نرفض الأسلوب أن نحول مدرسة التحفيظ إلى رحلة، يعني هم من أجل أن يحلوا مشكلة ما يرونه جامدًا تراهم يفتحون سوق ورحلة، وتلخبطت الموازين لا هذا يمشي ولا هذا يمشي، وكلاهما خطأ، إنما البنت عاقلة وهذا الكلام بالتجربة، وانتم ترون الآن عشر سنين لمركز التطوير المهاري، ولا تفهم أنه مركز التطوير من أجل ذلك هو صواب، أنا أريد أن تفهموا **أن البركة تأتي من نفس العلم وليس الكلام عن حامله**، نحن لسنا بشيء، الكلام عن نفس العلم.

هذا التوحيد وهذا القرآن يدخل في القلب مثل السهم، ثم تقول لك هذا ما كان ضائع، وقلبي لا أعرف أين أذهب به، يعني لي صورة من الخارج ومن الداخل ليس هناك شيء، حتى أن واحدة كتبت من الطالبات في أحد المدونات أني أرى نفسي ريشة في مهب الريح لذلك رأيت هذا المشرط حل لحياتي، وهي من الإيمو الآن!

لما قرأت القصيدة لإيليا أبو ماضي: "أتيت لا أدري من أين أتيت وأبصرت طريقًا أمامي فمشيت" وهذا شعارهم وشعار كثير منهم، إذن المشكلة في الحروف التي لم تخرج صحيحًا من لسانها أم القلب الذي لا يعرف أين الله ومن هو الله؟!!

لدرجة في أحد المواقف أحد المرضى النفسيين وهي شابة صغيرة يكاد عمرها لا يصل ٢٦ سنة، مريضة من عشر سنوات، يعني من عمر ١٦ سنة وأصيبت بأنواع من الأمراض النفسية، وفي النهاية في مرة من المرات وجدت أحد المشايخ يقول اليوم أتيت لكم أكلمكم عن الله، تقول لما سمعت هذه الكلمة كأن كشفت عني غمة، ما سمعت أحد يكلمني عن الله!، أنا كل ما أسمعه افعلي وافعلي وافعلي ولا أحد يقول لي انت تعبدي من!.

وهذه حقيقة، انتم بأنفسكم ألم تشعروا بهذه المشاعر، ألم تمر عليكم مرحلة طويلة فيها فقط افعل وافعل، وحتى لما تستقيمي، ما معنى أن تستقيمي؟ تلبسي لباس معين وتظهري بمظهر معين، وتصومي، إلى أخر الكلام وانتم تعرفون المنظومة المكتوبة في تفكير كثير من الناس، ثم من هو الذي أعبده؟!، ما حقه في التعظيم والتعلق به؟!، ما معنى سورة الإخلاص؟! فقط سورة الإخلاص، ما معنى أحد ما معنى صمد، كل هذا ليس موجود، أريد اسألكم هذا الكلام الذي أقوله ألم تعيشوا أجزاء منه في حياتكم وتشعروا به؟! مادام تشعروا به إذن من بعدكم يشعرون بمشاعر أسوء مما شعرتم به، لأنه مع كمال الانفتاح الزائد والإعلام وكل واحد يتفلسف ويتجه بهم أكيد أن قلوبهم ذهبت أبعاضًا، أصبح فيها شركاء متشاكسون، لابد أن تخرجهم من شركاء متشاكسون إلى واحد تصمد إليه في كل أحوالها، وانت ليس عندك إلا كلمة واحدة الله عز وجل معك، هو الذي يلطف بك، هو الذي يرحمك، يكفيك، يبعد عنك، ويدفع عنك الشرور.

وانت لا تقولي كذبا، انت تقولي صدقًا وفي نفس الوقت نحن لا نستعبد أحد لأنفسنا، نحن خرجنا وبذلنا جهودنا وانتم تخرجون وتبذلون جهودكم من أجل أن تعبدوا أنفسكم لله ومن أجل أن تعبدوا الناس لله، هذه هي حقيقة المسألة فأين العبادة؟!.

وكل هذه الدور المفتوحة اسأل الله عز وجل أن يبارك فيها وينزل عليها البركات لكن لازال هناك نقصًا، ولذلك من الذي يلام؟ من يحمل التوحيد الآن هو من يلام، ابحث عن مسجد بجانبك وسيأتي أسبوع إجازة ابحث عن مسجد بجانبك واشرح لهم فقط سورة الإخلاص، اشرحي لهم فقط الفاتحة، تستطيعون أن تقولون لي الآن لا نستطيع أن نشرحها؟!، تقدروا تشرحوها إن شاء الله، مثل سورة النور ومثل سورة الرعد ومثل سورة الأعراف لا تستطيعون شرحه؟!، كم مرة ونحن نعيد ونزيد في هذا الكلام؟!، على الأقل تعلمين من أين تتعلمين، القضية لا أن تبلغ الكمال القضية أن تعرف ماذا تعرف، انت اعرف حجمك فقط واذهب علم الناس ستأتيك شابة تكشف عنها غمة وتغلق عليها باب الباطل وانت لا تشعرين، ولا تنتظر أحد بعد اللقاء يقول والله أنا لم أحضر لقاء مثل لقائك، لا تنتظروا أحد يقول لك هذا الكلام، ثم يأتون بعد اللقاء يقولون لك احكي لنا بعض من القصص واطربينا! انت اصبري، قليل من الصبر منك ستأتي بنتيجة، وهذا الكلام أذكره من قبل ١٥ سنة ونحن نسمع هذه الكلمة، وجامد هذه الكلمة، كأنك لا تسمعيها، لأنك تعلمين أن هذا الحق والشيطان لابد أن يثقله.

وربما ذكرت لكم سابقًا أنه كانت تأتي دورة الصيف كأن الناس لم يناموا في بيوتهم، نائمين في المسرح، بالكاد في الصف الأول والثاني، حتى في أحد اللقائات قلت لهم من قرر أن ينام يرجع إلى الوراء، ليس هناك مشكلة، ثم انكشفت الغمة وهذا الذي ينام أصبح شخص أخر ويتعلم، ولازلت أقول لكم ليس القضية في الحامل القضية في المحمول، الشيء الذي تحمله له بركة، لابد أن تسدوا هذه الثغرة، المجتمع مسؤوليتكم، ولا يأتوا قوم جهال بمعنى كلمة جهال ويضعون أمام أعينهم بلغوا عني ولو آية وتراهم منطلقين في كل مكان وهم لا يعرفون عن ماذا يتكلمون.

على كل حال؛ **ستجدين من العوارض النفسية داخل نفسك ومن العوارض الخارجية شيء كثير تخطيها يثبت الله قدمك على هذا الطريق**، هذه الجملة مهمة لأنه بعدما تسيروا قليلًا في الدفعة الماضية بعدما ساروا قليلًا قالوا نحن نشعر أنه ليس عندنا شيء، نقول لابد، هل سنتين أو ثلاثة سنين ستحل لك المشكلة؟!، انتم تعرفوا كيف الطفل يدخل مدرسة ابتدائي ويفك الخط انتم تفكون الخط الحمدلله، تعرفوا اسماء الكتب خير وبركة، تعرفوا أين المكتبة خير وبركة، وتعرفوا أن هناك تفسير يسمى كذا وتفسير يسمى هذا، وانتم ستسيروا في خطين تعلموا أنفسكم وتعلموا الناس لكن على الأقل تعلموا الأسس، هل عمركم رأيتم طبيب ينقطع عن الأدوية والطب والتطور، عمرك أن رأيتي طبيب هكذا؟! إذن انت طبيب القلوب! لا يمكن يا طبيب القلوب أن تنقطع عن زادك، لا يمكن.

ثم اجعل نفسك بمثابة البلد الطيب، التربة الصالحة التي امتلأت أملاحًا وامتلأت ما ينفع البذرة، واجعل الناس والبنات بالذات الشابات بمثابة البذرة ضعهم في أحضانك وسينبت الله لهم جذرًا وساقًا وستثمر منهم إن شاء الله الثمرات الطيبة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[٥٨٧] اجعل نفسك التربة الطيبة لهذه الشجرة الطيبة.

[٥٨٧] إبراهيم: ٢٤

سنعود مرة أخرى للآية؛ تبين لنا في السياق أن الله يذم مشركي العرب بسبب إنكارهم للبعث – هناك شيء مقابل لإنكار البعث – تصورهم أن الأيام والليال أن الدهر هو الذي يهلكهم، لو أردنا أن نرد على هؤلاء الذين يقولون أن الأيام والليال هي التي تفنيهم سنجد دلالة في الكتاب والسنة ونجد دلالة في العقل، إجمالًا الكتاب والسنة دلا على ثبوت الآخرة وعلى وجوب الإيمان بها، وكفر من أنكرها، وهذا أجمع عليه أهل الأديان السماوية وتقرر في كتبهم.

نأتي إلى دلالة العقل.

العقل يقول أن كثيرًا من الناس أحسنوا في هذه الدنيا ولم يشكروا على إحسانهم، ومنهم من ظُلم ولم يؤخذ الحق له، ومنهم من ظَلم ولم يعاقب على ظلمه، فمن غير المعقول أن يكون الناس بعد موتهم تراب، فالعقول السوية توجب الجزاء والحساب.

انتهينا من تقرير الآية.

لاحظ أن الباب "باب من سب الدهر فقد آذى الله" فهمنا الآية لكن ما علاقتها بمن سب الدهر فقد آذى الله؟ ما علاقتها؟

الذين يسب الدهر في قلبه نوع اعتقاد أن الدهر فاعل.

يعني الذي يسب الدهر واحد من اعتقادين:

أما يسب الدهر وهو يعتقد أنه يفعل.

وأما يسب الدهر وهو يعتقد أن الله هو الفاعل.

الآية الأولى كأنها فيها إشارة أن من يسب الدهر في قلبه نوع اعتقاد أن الدهر فاعل، وسنرى لما نناقش الحديث.

الدليل الثاني.

وفي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : " يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ " وفي رواية: "لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ".

سنقرر عدة نقاط هنا؛ أولًا مر عليك في القواعد المثلى في بعض من قال من أهل العلم أن الدهر اسم من اسماء الله بشبهة "وَأَنَا الدَّهْرُ"، ماجوابك؟ الدهر ليس اسمًا من اسماء الله لأنه اسم جامد لا يتضمن صفة، القاعدة تقول أن اسماء الله أعلام وأوصاف، يعني الدهر ليس اسم من اسماء الله لأنه اسم جامد لا يدل على صفة، واسماء الله تعالى أعلام تدل على ذاته وأوصاف تدل على الصفة ولذلك كانت حسنى.

القاعدة الأولى أن اسماء الله كلها حسنى، ما معنى حسنى؟ بلغت في الحسن غايته لأنها تضمن صفات كل اسم يتضمن صفة، لما تنظري للدهر هل يتضمن صفة؟ لأ، اسم جامد أي ليس له مصدر إنما هو اسم جامد، والدهر يطلق على الليل والنهار.

الذي يقول هذا الدليل فيه دلالة على ذلك "وَأَنَا الدَّهْرُ" أولًا قلت أن الدهر ليس اسمًا من اسماء الله لأنه اسم جامد لا يتضمن صفة بل هو اسم للزمان لليل والنهار، وهذا الدليل أمامك كيف تخرجيه؟ "وَأَنَا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ " من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

ما أنواع الإضافة إلى الله؟ إضافة صفة إلى الموصوف، أو إضافة مخلوق إلى خالقه.

يعني ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[٥٨٨] مخلوق إلى خالقه، هذه روح من بين الأرواح التي خلقها الله لكن أضيفت إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، يكون هناك أغراض من باب إضافة المخلوق إلى خالقه منها التشريف.

بيت الله، ناقة الله: هذه كلها من باب إضافة مخلوق إلى خالقه.

قدرة الله: صفة إلى موصوفها.

نرى الآن أمر أخر في نفس الدليل ولازلت أجيب على نفس المسألة، "أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ " ماذا تقولين فيها؟ إذا كان الدهر هو الليل والنهار والله عز وجل يقول:"أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ " يعني إذا كان الدهر هو الله فكيف يكون المقلِب هو المقَلَب؟ الدهر ما هو؟ الليل والنهار، والله عز وجل يقول:"أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ "، فكيف يكون المقلِب هو نفسه المقلَب.

إذن معنى ذلك أن الدهر ليس اسمًا من اسماء الله لأنه يخالف القاعدة الأصلية؛ أن اسماء الله حسنى لأن كل اسم يتضمن لصفة كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لذلك نعتقد أن اسماء الله أعلام وأوصاف، **فالدهر ليس اسمًا من اسماء الله.**

ننتقل الآن إلى معنى السبّ، حتى معنى الإيذاء اتفقنا عليه، اتفقنا أن هناك فرق بين الأذية والضرر، وقررنا أن الذي يثبت الأذية والذي ينفى الضرر، الإيذاء أتى بسبب سبّ الدهر، بسبب فعل السبّ.

سنرى أحوال الخبر عن الدهر ثلاثة أقسام:

- الأول: أن يقصد الخبر المحضّ دون الذم، مثل أن يقول [يوم بارد، شهر حار، عام قحط] ليس سبًّا إنما خبر، مثلًا أحد يأتي للفلاح يقول لماذا عليك ديون؟ يقول لأن هذا العام عام قحط فلم نستطيع أن نجني كذا وكذا، خبر محض لا يسبّ فيه الزمان، ليس تسخطًا إنما خبر محض، واحد مثلًا في وزارة الزراعة يكتب تقرير عن المنتجات يقول هذا العام عام قحط نسبة الأمطار قلت ونسبة المخرجات قلت هذا خبر محض.

عندنا دليل على ذلك في سورة هود ماذا قال لوط؟ ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾[٥٨٩] لا يلام لأنه يخبر عن ما سيحدث له، متى قال يوم عصيب؟ لما جاء الأضياف من الملائكة فرأى أنه سيكون يوم عصيب، ليس سبًا له.

- الثاني: أن يخبر عنه على وجه العيب والذم معتقدًا أنه هو الفاعل الذي يقلب الأمور، بهذا ماذا سيكون حكمة من جهة التوحيد؟ شرك أكبر، لأنه اعتقد أن الدهر متصرف مع الله في الملك، أما متصرف مع الله في الملك أو حتى منفرد في التصرف، ولذلك نسب الحوادث إليه وهذا شرك في الربوبية، مادام ليست أعمال إذن سيكون في الربوبية، لا هو عمل قلب ولا عمل جوارح، إنما اعتقاد قلب، وتعلمين أن القلب له أعمال وأقوال، هو الآن وقع إشكال في قول القلب، هذا النوع الثاني تنطبق عليه الآية.
- الثالث: أن يخبر عن الدهر مع اعتقاده أن الفاعل هو الله وحده ولكن لأن الدهر محل هذه الأمور المكروهة ولذلك يقع منه السبّ، هو يعتقد أن الدهر محل وليس هو الفاعل.

---

[٥٨٨] الحاثية:١٣

[٥٨٩] هود:٧٧

كيف يحصل هذا الموقف؟ مثلما واحد يأتي يرى حائط مائل فيسبّ الحائط وهو في الحقيقة يسبّ الصانع له، واحد يسبّ الطعام في الحقيقة يسبّ الصانع له، فهذا الآن يسبّ الدهر محل الحوادث، يسب الحائط لأن الحائط محل الإشكال الذي هو فيه، يسبّ الطعام لأن الطعام محل المشكلة وقعت بسبب الطعام، فيسب الطعام لكن في الحقيقة هو يسب فاعله، يسب الحائط محل الحدث لكن في الحقيقة يسب بانيه، الآن واحد يسب الدهر الذي هو محل الحوادث إذن هو في الحقيقة يسبّ الله.

لأن سب الدهر في الحقيقة يعود إلى الله فيكون السب لله عز وجل.

كل حال من هذه الأحوال – واتركوا الأولى هذا خبر محض ليس لنا علاقة به – نتكلم عن الحالتين الأخرى، أأتي اسألك إنسان مؤمن أن الله هو الذي يقدر الأقدار لكنه يلعن اليوم يلعن السنة، يلعن الساعة، هذا إشارة إلى أن توحيده ناقص، أي نقص؟ سيكون هذا إشارة إلى نقص توحيده الواجب يصبح شركًا أصغرا، ولو سبه على أنه الفاعل؟ سنقول هذه لفظة لو خرجت من أحد يعتقد أن الله هو الفاعل إذن هذا إشارة إلى نقض توحيده، أن توحيده انتقض، فانت الآن تستدل على ما معك من توحيد وإيمان بأقوالك باللسان وبأفعالك بالبدن والقلب.

هذه قاعدة عامة المفروض تكون تكررت علينا: **تستدل على توحيدك وإيمانك بقول اللسان أو فعل البدن أو فعل القلب.**

سأشرح لكم مرة أخرى مسألة: **قول القلب وفعل القلب.**

نعتقد أن القلب له أقوال وأعمال:

- أقوال القلب اعتقاداته.
- أعمال القلب حركاته.

مثاله؟ أركان الإيمان في أقوال القلب، يعني كأن القلب يقول أنا أعتقد أن الله واحد، أعتقد أن الله خلق ملائكة، كأن القلب يقول هذا، كأن القلب يقول أنا أعتقد أن الله واحد، أن الله خلق ملائكة، أن الله أنزل كتبًا، أرسل رسلًا، هذا كله يسمى قول القلب، أنا أعتقد أن الله كامل الصفات يستحق أن أتوكل عليه، هذه كلها جمل كأن القلب يقولها، أنا اعتقد أن الله يستحق أن أتوكل عليه،هذا قول قلبك.

ما فعل قلبك؟ نقول هذه الجملة الأخيرة:

- **قول القلب: أنا اعتقد أن الله كامل الصفات يستحق أن أتوكل عليه،**
- **فعل القلب التوكل.**

فما مقياس أن معك إيمان أي معك قول القلب؟ كأني اسألك ما مقياس أنك صحيح مؤمن أن الله يستحق التوكل؟ أن يقع منك التوكل.

بصورة عامة ما مقياس أنك مؤمن؟ انت قلت بقلبك أنا مؤمن، أفعال قلبك وأفعال جوارحك وأقوال لسانك، أصبح عندي ثلاثة يدل على قولك الذي ادعيته، انت ادعيت بقلبك، أنا مؤمن أن الله واحد، مؤمن أن له ملائكة، مؤمن أن له كتب، مؤمن أنه كامل الصفات، مؤمن أنه يستحق الربوبية والألوهية والاسماء والصفات، هذا كله اسمه قول القلب لابد أن يتبعه فعل القلب، ولابد

أن يتبعه فعل القلب، ما فعل القلب؟ أفعال يفعلها القلب من التوكل والخشية والرجاء والمحبة، أفعال القلب تصدق أقواله، وأفعال البدن تصدق أقواله، أقوال اللسان تصدق أقوال القلب.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أقوال القلب ما تعتقدين أنك مؤمنة به واللسان هو الذي يصدق، يعني أقول أنا معتقده أن الله حكيم ثم يصدر من اللسان لفظة فيها سبّ لأقدار الله، أنا ادعيت أني مؤمنة أنه حكيم، ادعيت بقلبي وحتى لم أقل لأحد بلساني، وممكن أن أدعي أيضًا بلساني، المهم بقلبك انت تقول أنا اعتقد أن الله حكيم فجاء لسانك عبر عن نقص هذا الأمر في داخلك أو نقضه، أما نقص وأما نقض له.

الآن واحد يعتقد أن الله هو مقدر الأمور وهو الفاعل على الحقيقة وهو الذي قضى وقدر على الخلق أحوالهم ثم تراه يسب الدهر ماذا تفهم من هذا؟ نقص في كمال توحيده الواجب، واحد قال بلسانه سبًا للدهر ثم تسأل ماذا تعتقد؟ فيقول أنا أعتقد أن الدهر هو الذي يصرفنا فجمع قول اللسان مع قول القلب فانتقض توحيده، لكن يقول أنا اعتقد هذا الاعتقاد وأنا موحد نقول لأ انتقض توحيدك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: كل سؤال من هذه الاسئلة سيدخلني مبحث جديد، انت الآن لما تسألي هذا السؤال تتوقعي أين جوابه سيكون؟ واحد وقع منه أحد النواقض انت بنفسك تقولي ناقض إذن تبحثين في أحكام الردة، وهل هذا يعتبر مرتد أم غير مرتد إلى أخر هذا النقاش، يعني هذا يلحق النواقض.

انتهينا من هذا المبحث الأحوال الثلاثة:

- سبه على أنه محل الحوادث سيكون إشارة إلى نقص التوحيد الواجب – شرك أصغر –
- سبه على أنه فاعل نقض للتوحيد شرك أكبر.

ماذا يجب على المؤمن تجاه القضاء والقدر

هذه الحالة أصلًا لماذا تحصل؟ لماذا يحصل السب؟ السب يحصل بسبب نقص في إيمانه بالقضاء والقدر، فكأن السؤال ماذا يجب علينا أن نعتقد تجاه قضاء الله وقدره؟

الشيخ هنا انتقل من الشكر إلى الصبر، كأنه يقول:

- ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ فقدوا الشكر.
- يسبوا الدهر فقدوا الصبر.

ففقدان الشكر يؤدي إلى الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر، كما اتفقنا ليس فقدان أي شكر إنما كما فصلنا في ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾، هنا فقدان الصبر يوصل إلى الشرك الأصغر، كيف يوصل؟ بسبب السبّ.

إذن ماذا يجب عليك أن تعتقد وتفعل؟ يجب عليك أن تعتقد كمال صفات الرب، وأن ما يجري في الليل والنهار من خير وشر إنما هو بقضاء الله وقدره، ما يقع إنما هو بقضاء الله وقدره، والحياة مكان الابتلاء، فلا تتصور سلامة فيها وقد أحياك الله وأذاقك طعم أن تنام بعض مرغوباتك بعد عناء.

ألست تعيش في الحياة وأذاقك الله كيف تصل إلى بعض مرغوباتك بعد عناء؟ فكذلك الحياة عناء عامله بالصبر وستذوق بإذن الله بعده حلاوة الظفر بالنعيم المقيم وبرضا رب العالمين.

تركيبة ثلاثية من أجل أن تتصرف بصورة صحيحة:

اعتقاد في ربك أنه حكيم، وأنه هو الذي بقضائه وقدره تجري المقادير هذا اعتقادك في ربك.

ثم اعتقادك في الحياة أنها كلها مكان ابتلاء وكل ابتلاء تخرج منه تدخل في أخر، لكن المشكلة أنه يتنوع عليك أنواعه فتتصور أن هناك فترة هدوء، انت على خطأ لا تتصور أن هناك فترة هدوء!، فقط ما يحصل اختلاف الأنواع مرة تبتلى بالصبر ومرة تبتلى بالشكر، فقط هذا ما يحصل، لكن مع اختلاف الأنواع يشعر الإنسان أنه هدأت فترة الاختبار كأنها استراحة لاختبار بعده، والصحيح أنك طوال الوقت مختبر في شكر نعم الله، في شكر الأمن والامان، في شكر الصحة.

ثم الأمر الثالث الذي يجب أن تعتقده وهو مبني على تصورك للحياة، تصورت أن الحياة مكان للابتلاء ثم أذاقك الله كيف لا تصل إلى مرادك إلا بصعوبة، ولما تصل إليه بصعوبة شعرت بالراحة بعد الوصول إليه هذه سنة الله في الحياة، ستعيش الحياة فيها صعوبة ثم ستستعمل الصبر ثم إن شاء الله يذيقك الله رضاه في جنات عدن.

إذن مسألة ثلاثية:

- الأمر الأول: تعتقد في الله أنه حكيم وأنه يجري الأمور.
- الأمر الثاني: تعتقد أن الحياة دار ابتلاء.
- الأمر الثالث: أن الصبر هو الذي يوصلك إلى مرادك، وانت لك مراد، هي دار ابتلاء، هل هي دار ابتلاء من أجل أن تتعذب؟ لا، دار ابتلاء لأن ليس كل أحد يفوز بهذه الغنيمة، ونحن كلنا نكاد نشتكي هذه المشاعر، مشاعر أني أجتهد وأتعب وأبذل جهدي ثم يأتي واحد لم يفعل ولا شيء ويتساوى بي؟! أمر يصعب عليك، اضرب لك مثال حصل في أحد الرحلات الجوية، تعرفون الدرجة الأولى والدرجة السياحية من جهة المبلغ المادي ومن جهة الخدمة.

المهم حصل أن جماعة ركبوا الطائرة على أنهم درجة سياحية ثم أتى مريض في سرير والمفروض يأخذوا له أكثر من كرسي وليس هناك مكان في السياحي ليحملوا هؤلاء الاثنان من مكانهم ويرجعوهم إلى الوراء لأن هذا المكان فقط ينفع للسرير، فليس هناك مكان إلا في درجة أولى وهم دفعوا سياحي، فحملوه لأن هناك مكان في درجة أولى، فأصبحوا في درجة أولى وأصبح يقدم لهم خدمات درجة أولى مع أنهم دفعوا درجة سياحية، فمن يجلس في الدرجة الأولى يأكلون ويشربون لا أحد يكلمهم لكن في نفوسهم مشاعر أنه كيف أني دفعت كذا وكذا ويأتي واحد يتساوى بي، هذه مشاعر طبيعية، صحيح أني لا ألومه أن كل أحد يأخذ رزقه، لكن اتركوا هذا الجانب، أريد هذا الجانب منكم أنكم تنظروا أنه تحرك في القلب مشاعر أنه لا يمكن أن نصل إلى المراد إلا بزيادة جهد، بزيادة تعب، بزيادة مال، ولا تساوي بي شخص تعب مثل تعبي.

وانظري الطلاب في المدارس، مثلًا المتفوقين يكرهوا الغش لأنه سيساوي به شخص لم يغش، نأتي للمناصب، الناس المستحقين للمناصب يكرهوا الواسطة لأنها ستضع شخص لا يستحق.

إذن هذا القانون فطرتنا تدعو إليه، ما هو القانون؟ أن شخصًا لا يستحق لا يعطي، إذن هذه الجنة شيء غالي وعالي بل على هو الفوز على الإطلاق ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٥٩٠] كلمة فوز هذه لابد أن تأتي بعد جهد، فانت لا ترى أنها لكل أحد بل كلنا دخلنا اختبار الذي سيفوز هو الذي جاهد وتعب جهادًا مع قلبه، وجهادًا مع بدنه، وجهادًا مع أهله، وجهادًا مع الناس، هل يساوى بشخص لم يفعل ولا شيء من هذا؟! انت لا ترضى بذلك!، وهكذا الحياة.

لذلك كثير من الناس لما يكون هذا الأمر فيهم قوي يقول كافر عاش ستين سنة كافر ثم أسلم في أخر حياته ومات كيف يحصل مثل هذا؟ نقول نعم، انت لا تعلم في هذه الستين سنة ماذا أحدث الله له من حوادث ومن أحوال ثم في هذه السنة ماذا جاهد وماذا فعل من أجل أن يصل، يعني ملابسات الفوز هذا أمر لا علاقة لك به، لكن القاعدة تقول لا يفوز إلا المستحق الذي بذل لكن ماذا بذل وكيف بذل وما كمية ما بذله أمر انت لا تستطيع قياسه.

في هذا الباب نخرج بأن الضعف الحاصل في علاقتنا بالله، وفي علمنا عن اسمائه وصفاته، والضعف الحاصل في تصورنا للحياة والمطلوب منا فيها يولد عند البعض سخط وغضب ويأس، – وضعي خطين تحت يأس، لأن غالب السب لا يأتي من أي غضب إنما يأتي من يأس – أنه من يوم ما رأيت كذا، من يوم كذا أن حياتي أصبحت كذا فهو عنده يأس أن يبدل الله حاله.

لو انت أمام شخص يسب الدهر كيف ستعالجيه؟ – وضعنا خطان تحت اليأس – يعني هو مشكلته أصلًا أنه يائس، يئوس قنوط لا يتصور أن الله سيبدل حاله إلى حال، يقول انظر الشواهد أنا لي كذا من السنين هذا وضعي، نقول انت من سبب لنفسك زيادة البلاء، لأن يئسك من روح الله في حد ذاته يغلق عليك الحياة.

الناس بسبب حبهم للدنيا والتمسك بها قلوبهم تضج بأقل نقص فلذلك لابد من ترغيبهم في الآخرة وترجيتهم لربهم، اليأس من روح الله كيف يغلق عليك الحياة؟ اليأس من روح الله أي واحد يتصور أن الله لا يبدل حاله، اتفقنا أن اليأس من روح الله له طريقان:

- يأس أن الله يغفر له.
- ويأس أن الله يبدل حاله، ويبدل حاله ليس شرطًا في الطاعة والعبادة إنما يبدل حاله في الدنيا، فشخص يرى أن هذه المصيبة ستبقى قائمة قائمة، العبد يأتي عليه أحيان يطول عليه البلاء ولما يطول البلاء يتصور أنه لا حل، ويتصور أن الله لن يبدل حاله ولن يعطيه بعد فقر غنى، ولن يعطيه بعض ضعف قوة، وبعد مرض صحة، هكذا يتصور، هذا يجعله لا يتعامل مع الحياة أبدًا ولا يجتهد فيها مثل الذي ييأس أن الله يغفر له بنفس الصورة.

اسأكم ألم تواجهوا أحد به مشاعر اليأس من الحياة؟ ما آثار اليأس من الحياة؟ ما معنى أن يتوقف عن الحياة؟ عن العمل الصالح فقط؟ حتى ممكن عمل الدنيا يتوقف عنه، كأنه ميت، في مثل هذه الحالات ما المفروض أن يكون موقفك؟ كل أدلة الرجاء في الله ووصفه سبحانه وتعالى بكمال الصفات المفروض أنها تكرر عليه، هو من أول الأمر سيدافعها، حتى في بعض المواقف يأتي هذا

[٥٩٠] آل عمران:١٨٥

اليائس ويقول لك درس في اسماء الله لا أحضر، يجب أن تفهموا الواقع يقول درس في اسماء الله لا أحضر، فمعناه أنك لابد أن يكون عندك شيء من السياسة لما يأتيك موقف مثل هذه الصورة، أنك تدخل له الكلام عن وصف الله في تفاصيل الحياة.

كنا نرى أول الأمر أن هذا اليائس الحل مباشرة أنه يدخل درس في الاسماء لكن سبحان الله يمكن الدرس في الاسماء يأتي بنتيجة عكسية، أنه يغلق عليه ويقول لأ لا أريد أن اسمع، ممكن أنه يشعر أنه وهم، ممكن أن يشعر أن هذا ليست حقيقة، أو غير مجدي بالنسبة له، أنواع من التفاصيل النفسية، وأحيانًا ليس شرط أن يكون مسألة تتصل بالذنب، أحيانًا حتى في الحياة، مثل هؤلاء لما يكونوا يائسين من الحياة أحذر من أن تتكلم عن مسألة تتصل بالشرك لأنهم يدخلوا في وسواس وممكن أن يختلط عليهم الكبائر مع الشرك، فكن حذرًا وانت تتعامل مع هؤلاء من أجل أن لا تزيدهم يأسا واسأل الله التوفيق لأن أحيانًا نأتي في مواقف مثل هذه ولا نوفق.

يعني أتي يسألني سؤال، أقرر لها أن هناك مكفرات تكفر ذنوب العبد، فقالت مثاله؟ فنسيت كل المكفرات ولم يأتيني إلا عذاب القبر، فزدت البلاء بلاءًا أول ما بدأت اقول لها عذاب القبر، وهناك استغفار المؤمنين والمؤمنات وهناك البلايا، هناك الحسنات المكفرة، هناك استغفار الملائكة، لماذا أول شيء عذاب القبر؟ لتعلم أنه زيادة بلاء عليها وعدم توفيق لك.

فكن على تركيز، ولذلك واحد من الأخطاء التي تحدث دائمًا أن بعد الدرس تأتي اسئلة وانت تكون استنفذت قوتك في الدرس فيأتوك يسألوك بعد الدرس، لما تأتي حالات مثل هذه صعبة لا تستقبلها بعد الدرس يجب أن تعطيها موعد، لكن تستقبلها بعد مجهود ممكن أن تفقد قدرتك العقلية أن هذا شخص يجب أن تتعامل معه بصورة خاصة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: التسليم هناك شعرة بينه وبين اليأس، انت لازلت منشرحًا راضيًا قابلًا ترى كل ما يأتي من الله نعمة، غير أنه لا يكون هناك أمل وكل شيء ليس له طعم، هناك شعرة بينهم، لا يختلط عليك الأمر، لما تسلم وانت راضي منشرح تعلم أن الحكيم هو الذي اعطاك، هذا اسمه استسلام، لكن في المقابل لما ترى أنه أي شيء أصلًا ليس لي نفس لشيء، ليس هناك شيء يدخل البهجة، ليس هناك شيء يشرح صدرك.

لما تكون راضي مستسلم مبتهج بأقدار الله انت وصلت لقمة الرضا، ليس هناك علاج، هذا هو العلاج أصلًا.

الحالة الثانية اليأس، في الصورة الخارجية كأن الاثنان كأنهم صورة واحدة لكن الفرق بينهم بين السماء والأرض، واحد مستسلم لقضاء الله لأنه يعلم الله حكيم وأن الذي يأتي من عند ربنا وتدبيره ليس هناك أفضل منه، وواحد يائس أصلًا ما يأتيه من تدبير يكون مصيبة، وليس عنده مشاعر فقط مصائب فقط، كلها مصائب، طبعًا هناك ألفاظ تظهر الفرق بين التسليم وبين اليأس.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

لازلنا ندرس فى كتاب التوحيد، مر معنا أمس "باب من من سب الدهر فقد آذى الله" هذه المجموعة التى ندرس فيها دائرة حول مفهوم التعظيم لله عز وجل وكيف يكون سلوك المعظم لله، فتنظر لهذه الأبواب بعدة نظرات:

لو كان العنوان ..كيف يكون حال المعظم لله؟

- من عند باب: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ ينسب جليل النعم ودقيقها إلى الله.
- من الأبواب أيضًا: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعنى المعظم لله يتحرز من أى لفظ يوهم تسوية غير الله بالله.

لا تقولي لى اسم الباب، قولي لي كيف تنظرين إليه بأنه سلوك للمعظم، فنحن نقول من جهة المعظم هذا فعله، ما هو فعله؟ أنه ينسب النعمة دقيقها وجليلها إلى الله، المعظم يتحرز من أي لفظه ممكن أن توهم مساواة غير الله بالله.

- من تعظيمه لله لو حُلف له بالله يرضى ويسلم.

-أيضًا باب "ما شاء الله وشئت" سيدخل في ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾-

- المعظم لله يقابل أقدار الله بما يليق بها ولا يتجرأ على سبّ الدهر تعظيمًا لله، ما وجه تعظيمه لله لما لا يسبّ الدهر؟ لأنه يعلم أن الله هو الذي يقلب الليل والنهار.

الآن من صور التعظيم أتانا باب "التسمى بقاضى القضاة ونحوه" يعني لاحظتم أننا نستطيع أن ننظر إلى هذا المقطع من صور مختلفة، يعني يأتي من جهة التعظيم، يأتي من جهة أسماء الله والاعتقاد فيها، يعني الربوبية والأسماء والصفات ممكن أن تأتي معنا.

- ولو نظرت له من جهة التوحيد، ستجدى أنك ستلاحظين فيه توحيد الربوبية والأسماء والصفات.
- لو جئت أتيت إلى أركان العبودية التي هي التعلق والتعظيم، ستجدين أن ركن التعظيم ظاهر فى هذا الجزء.

وهذا في العادة مسألة تتصل بالتوحيد لابد تتعدد جهات النظر إليها

- هذا الباب "باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه" قبل أن ندخل فيه إلى النصوص التي ذكرها الشيخ.
- انظرى إلى الباب الذي بعده: "باب احترام اسماء الله وتغيير الاسم من لأجل ذلك" – من أجل الاحترام-.
- انظرى الى الباب الذي بعده أيضًا ماذا تجدين من روابط؟ "باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول" لازال يدور حول التعظيم

- الآن التسمي بقاضي القضاة، سنناقشه من أي جهة؟ من جهة أن هذه التسمية لغير الله فيها تعظيم لهذا، وسيتبين لك في النقاش أنه لا يصح.
- ثم احترام أسماء الله وتغيير الاسم من أجل ذلك لازال تعظيما لمن؟ لله.
- ثم أتى من جهة أخرى يستلزمها التعظيم، يعني أن المعظم لا يمكن أن يقع فى الاستهزاء، فأصبحت هذه حلقة من التعظيم.

وإذا نظرت إلى النعم عظم الله، وأعلم أن قليل النعم وكثيرها من الله، نسبة النعمة إلى الله ماعلاقته الدقيقة بالتعظيم؟ يعني انت الآن لابد أن تتصور أن الله عز وجل عظيم، يدبر لك تفاصيل حياتك، من عظمته أنه قيُّوم يقوم لك على تفاصيل حياتك، وأنا أكرر لكم هذه المعلومة لأن هذه المعلومة فيها شيء من الضعف في قلوبنا، تفاصيل التفاصيل في الحياة دائمًا نشعر أننا نحن المسؤولين

عنها، أليست هذه مشاعرنا؟!، دائمًا نشعر أننا مسؤولين عن التفاصيل، ماذا سنأكل، ماذا سنشرب، وقت خروجنا ووقت دخولنا، دائمًا هذه التفاصيل نشعر أننا نحن المسئولين عنها، **فمن تعظيم العبد لربه أن يعلم أنه قائم على كل نفس بما كسبت**، فهو الذى يدبر لها وهو الذى ييسر لها، وهو الذي يعطيها الحول والقوة، فلو عرفت هذا كله ستكون حقًا معظمًا لله، وتستعجب كيف يدبر الله هؤلاء، ويشرح صدر هؤلاء، ويقطع عن هؤلاء، ويعطي هؤلاء، ويجمع هؤلاء، وتستعجب من دقيق تدبيره.

وأنا أقول لكم هذا الكلام وأكرره لأن كثير من المسلمين تسرب إليهم فكر نصرانى، النصارى الموحدين، انتم تعرفون أن النصارى ثلاثة أنواع منهم الموحدين ليس عندهم التثليث، لكن انظر إلى توحيدهم؛ يقولون نعلم أن الكون له خالق وواحد لكنه لا يتدخل فى شؤون العالم، تعرفوا هذه الجملة ما معناها — لا يتدخل في شؤون العالم – ؟ أي التدابير اليومية الحياتية المتكررة يعتقدون أن الله عز وجل لا يدبرها!، نزعوا منه القيُّوم!، يعتقدون انه حيّ وأنه عليم وأنه عظيم وأنه خلق الكون لكنه تركك تفعل ما تريد وانظر ماذا تفعل!، مثل القدرية عند المسلمين يعتقدون مثل هذه الأمور، القدرية يعتقدون أن الله لا يعلم ماذا سيفعل للعباد، فالأمر مستأنف، هناك من المسلمين من يعتقد هذا الاعتقاد.

المقصد الآن؛ ما الذى فقدوه فى قلوبهم؟ تعظيم الله، لماذا؟ لأنك لو كنت معظم لله ستعلم أنه سبحانه وتعالى لا يؤوده حفظهما، ماذا تتصور؟! تتصور أن تدبير شئون ملايين الملايين من الناس وملايين الملايين من الحيوانات وملايين الملايين من ذرات الماء وذرات الأكسجين سَيُتعب الله؟!!، إنما أمره أن يقول للشئ كن فيكون!، فلا تتصور أن مثل هذا يعجزه!.

لماذا يتصورون أنه سيعجزه؟ لأنهم فقدوا التعظيم، الله عز وجل فى قلوبهم ليس عظيم كما ينبغى، فلذلك تصور أنه إلى حد معين وهذا الشيء كأنهم يقولون لا تكلفوا الله!! – نعوذ بالله من الخذلان – فلابد أن تتصور أن هذا الفكر ممكن أن ينتشر بسهولة نتيجة أننا لم نغذي التعظيم لله في قلوب الناس.

ولذلك عليكم بالعناية [بآية الكرسي، وسورة الإخلاص، وأواخر الحشر، وأوائل الحديد] اجعلوا هذه خطة لكم لمدة فصل دراسى، عمل يخصكم انتم، وابذلوا جهودكم لأن بيان مثل هذا يقويكم ويسد الثغرات فى المجتمع.

المهم لازالت مسألة التعظيم تحتاج منكم إلى كشف متكرر وإلى بيان ماذا يجب أن يكون فى قلبى من التعظيم وما آثاره في كلامي، في سلوكي، في تصرفاتي، أي التعظيم له آثار فى سلوك العبد وفى كلامه وفي ردود أفعاله وفي تصوره عن الحياة.

نبدأ بباب التسمي بقاضي القضاة ونحوه ونرى علاقته بالتوحيد.

علاقته بالتوحيد أكيد ستتصل بمسألة التعظيم، نقرأ الباب ثم نرى ما علاقته.

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ".

قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ.

شَاهَانْ شَاهْ: أي بالفارسية، لماذا قال سفيان هذه الجملة شاهان شاه؟ لأنها منتشرة.

وفي رواية: "أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ"

من هو أغيظ رجل على الله وأخبثه؟ المتسمي بقاضي القضاة أو المتسمي بملك الأملاك أو المتسمي شاهان شاه.

قوله "أَخْنَعَ " يعني أوضع.

سنناقش المسألة من جهة دلالتها على اسم الباب، لكن قبلها أريد أن تلاحظوا طريقة الشيخ؛ كم اسم من أول الباب إلى قول سفيان؟ ثلاثة:

- فى اسم الباب: قاضى القضاة.
- فى الحديث: ملك الملاك.
- في قول سفيان: شاهان شاه.

الأساس الحديث قول ملك الأملاك، لكن لماذا فعل المصنف – فعل المؤلف – في أنه قال قاضي القضاة؟ مثال.

إذن لماذا أتى بقول سفيان؟ اسم الباب مثال على التسمى باسم يبغضه الله، فى الأصل لما تنظرى لشيء وتقولي عنه أن هذا شيء يبغضه الله في العادة يكون هذا الشيء منصوص عليه يعني توقيفي، هل كل ما يبغضه الله توقيفى؟ يأتي هنا سؤال؛

الله عز وجل يبغض الخمر وحرمها، والمخدرات قياسًا عليه انت تعلمي أن الله يبغضها للأشتراك في العلّة بين الخمر وبين المخدرات، انت تعلمي أن الله يبغض الخمر وحرمها، إذن الله عز وجل يبغض المخدرات وهي محرمة، **إذن فى الأصل ما يبغض الله توقيفى،** يعني يبغض الخمر وكل محرم يبغضه الله، لذلك فى سورة الإسراء ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ يعني أن الله يكرهه، كل شئ يبغضه الله محرم، هذه قاعدة معروفة:

كل شيء يبغضه الله محرم.

المحرمات ما حالها؟ توقيفية بنفسها وتحتمل القياس، هذا الكلام ليس تأصيلي، أنتم تدرسون فقه وتفهموا هذا الكلام جيدًا لكن أنا فقط أريد أن أقرب الصورة هنا.

الحديث قال لك: :"إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ" من أين أتى قاضى القضاة؟ قياسًا عليه، من فتح لك باب القياس؟ السلف.

أحد الطالبات أجابت بـ "سفيان" ردت الأستاذة: هل سفيان شخص مسموح له أن يفتح بنفسه كشخص أم السلف؟ السلف.

التسمى بقاضى القضاة قياسًا على ملك الأملاك، من فتح لك باب القياس انت يا من تعتبر معاصر؟ السلف، ودليلك قول سفيان رضى الله عنه.

هذه طريقة الشيخ نستفيد من كلام أو من ترتيب الشيخ هذا المعنى.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: شاهان شاه في زمن سفيان، وقاضي القضاة في زمن الشيخ لكن من فتح للشيخ باب القياس أن يقول قاضي القضاة مثل ملك الأملاك؟ السلف، لا نقول فعل سفيان إنما نقول السلف ومثاله سفيان.

هذا لأنه أحيانًا تأتى صور من البدع خطيرة تدخل من هذا الباب، مثلًا يقال لك إن الله يحب كذا، فماذا يأتي الناس يفعلون؟ يقيسون على هذا المحبوب فيقولون لك أفعل كذا وكذا، يجب أن تفهم أن هذا الأمر ليس بهذه السهولة لكن هذه خانة تحتاج إلى

بحث، وإن شاء الله نسأل الله أن ييسر لنا لما ندخل فى دراسة الواسطية ستكون واحدة من مبحاثنا البدع وموقفنا منها، ما هى البدع، وما هى الأصلية، وما هى الفرعية، إلى آخره

نعود إلى موضوعنا التسمية بأسماء يبغضها الله.

سنبدأ بالحديث سأترك عنوان الباب وسأترك قول سفيان وانظر إلى الحديث.

دليل الباب.

في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ".

تتذكرون طريقة الشيخ فى التأليف؟ هذا الذي يكتبه الشيخ كأنه عبارة عن رؤوس أقلام، ولذلك لما يأتى إلى كلمة ويكون ظاهر أن معناها غريب، أو فيها وصف لله ويكون معناها غير ظاهر، ماذا يفعل؟ يفسرها.

من أجل ذلك في آخر المتن قال: قوله "أَخْنَعَ " يعني أوضع.

"إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ": "أوضع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك".

⇦ من الحديث تظهر قاعدة الجزاء من جنس العمل.

⇦ وأيضًا قاعدة أن العبد إذا خالف عُوقب بنقيض قصده.

أين يظهر الجزاء من جنس العمل ؟ أين جنس العمل؟

أجابت إحدى الحاضرات ردت الأستاذة: أراد العلو والكبر وأوضعه الله هذه الجملة تنفع للثانية أنه أنه لو خالف العبد عوقب بنقيض مقصوده، لكن الجزاء من جنس العمل ما هو؟ يدور حول هذا لكن بتعبير مختلف.

أجابت إحدى الحاضرات ردت الأستاذة: لما تقولي يريد مكانة ستكون الثانية، يعني لو قلت لى واحد تكبر، ماذا فعل الله به؟ أوضعه، ستقولين لي ما هي القاعدة؟ القاعدة: من خالف عوقب بنقيض مقصوده.

الآن أقول الجزاء من جنس العمل، يعنى العقوبة تدور من نفس الجنس، ما جنس العمل؟ هذا العمل ما حقيقته؟

أجابت إحدى الحاضرات: واحد يريد العلو

ردت الأستاذة: إرادة علو ما جنسه؟، كلمة أخبث هذه ستظهر في الطرفين، إأتي بها من الطرفين ستظهر، أي هات كلمة أخبث من طرف العمل وهات من طرف الجزاء؟ هذا ينطوي على طوية ما نوعها؟ خبيثة، أي واحد يريد العلو ما طويته؟ طويته خبيثة، فجزاؤه من جنس خبث عمله، فطويته خبيثة وكان جزاؤه أنه كان أخبث ما يكون.

أي واحد طويته خبيثة -﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾- فواحد طويته خبيثة كان جزاؤه أن الخبث الذي في داخله يخرج إلى الخارج، الجزاء من جنس العمل، انت عمل قلبك خبيث كانت النتيجة أنك جوزيت بأن الناس ينظرون إليك على أنك خبيث، يعني كشفت على حقيقتك، الجزاء من جنس العمل، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

كيف الجزاء من جنس العمل؟ انت مفسد فجزاءك أن عملك لا يُصْلِح لأنك فى حقيقتك مفسد حتى لو كنت فى الظاهر تمثل أنك مصلح.

نحن نأتي ننصح ناس وننصحهم في أخطاء وفي قلوبنا فرح أننا لا نخطىء وفرح أنك اخطأت، أي أنا أفرح لأنك اخطأت، ولا كلمة من هذه النصيحة تقع في قلب هذا الإنسان بل أوزار فوق أوزار للناصح!، لأننا ننسى ﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ فنأتي أحيانًا نتواضع تواضع عظيم لله، أي سنذهب إلى أحد ونقول له انت جاري وأنا اعرف إني قصرت في حقك زمن طويل، ولا علمتك ولا أي شيء فتعال أنا عندي خير أريد أن أعطيك إياه، وليس لي عليك فضل، إنما الفضل لله هذه نيتك في الليل، تصبح الصباح، الشيطان يأتي يقول لك ماذا ستقول عنك؟! أكيد أنها ستقول أنها تريد مني شيء! أجيب على نفسك وقولي: ﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾، فأنا سأذهب أطرق بابها وسأعرض عليها ولا أرى في ذلك ذلة ولا مهانة وأعلم أن الله يعلم المفسد من المصلح.

هذه قاعدة الجزاء من جنس العمل يجب أن تعمم على أعمال القلوب وأعمال الجوارح.

انت مصلح سيصلح الله عملك.

انت مفسد سيظهر الله فساد عملك، لن ينتظر إلا زمنا يسيرًا، فقط زمن التدبير لأن الله عز وجل أمره على هون، فقط زمن التدبير وسيكشف فسادك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أي الجزاء من جنس العمل؟ انظري عندما نتكلم على ناس لا يدور إلا زمنًا قليلًا وواحد يتكلم علينا، بنفس الحروف!.

-اسمعوا مني بناتي، أنا أم مشفقة ناصحة - انت تقول كلام وانت لا تحسب حسابك لأحد، يقال عليك الكلام بنفس حروفه، والله بنفس حروفه!، وأنا أقول لكم هذا الكلام عن تجارب، وقعت فيها بنفسي ورأيتها بأم عيني، لدرجة أن أحد المواقف وهذا موقع الحدث الأول سين تكلم على صاد، ودارت الأيام وفي نفس موقع الحدث أجد سين المتكلم أصبح هو المتكلم عليه!، وفي نفس موقع الحدث، يعني أأتي المرة الأولى أجد سين يتكلم على صاد، أأتي المرة الثانية بنفس أجد حرف جديد تكلم على سين هذا بنفس الكلام وبنفس الحروف!، "الجزاء من جنس العمل" قاعدة تستلزم أن تعلم أفعال الله، وعلى هذا ستتقي، يعني هذا تربية من الله من أجل أن العبد يتقي أن يتجاوز بقلبه أو بلسانه أو بجوارحه على أحد، لأن بالضبط الذي تفعله يفعل بك.

وأحيانًا هذا الأمر يتجاوز حتى وصول الأبناء، هذا زوج مثلًا له أكثر من زوجة، وقع في شك في أحد زوجاته، لا يبات الليل إلا تصبح واحده من بناته مشكوك فيها، بنفس الصورة!، انت تقولي أن هذا ظلم! لا ليس ظلمًا، فلهذا تربية ولهذا تربية ولهذا كشف، وأنتم تعلمون أن حكمة الله عظيمة لا يدركها عقل، ستأتي هذه المسألة للبنت تربية من نوع معين، توصل إلى أمر معين، ولك انت من أجل أنك ظلمت فسترى آثار ظلمك هنا، قبل يوم القيامة، قبل أن نجتمع لأخذ الحقوق.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: يعني هذا الآن ليس جزاء، إنما الحال الذي يدخل فيها النوع الثاني من الأهل إنما نوع من أنواع الابتلاء والتربية، وستأتي بمصلحة واسعة من حكمته، يعني كأني أقول لك: شك الأب أو لم يشك الأبن كان سيقع عليه هذا القضاء والقدر من هذا النوع ليتربى ويصل إلى هذا لكن من تمام حكمته وقيومته وموافقة الأقدار أن هذا القدر الذي سيصلح البنت ويصلح حالها مع زوجها، لم يحصل إلا لما الأب فعل هذا الفعل، الأب يتجازى وزوج البنت يتجازى وهذه البنت الصابرة تأخذ أجرها وهذه الزوجة الصابرة تأخذ أجرها، كل واحد على حسب حاله، هكذا القاعدة وهكذا الناس يسيرون فيها، وهذا من تمام حكمته، أمر تعجز عن إدراكه.

وانتم كلما زدتم – اسأل الله أن يفتح عليكم وييسر أموركم ويسد بكم الثغرات –كلما زدتم علمًا وعلاقة بالمجتمع وتصورًا لأحواله يكشف لكم شيء من حكمته وقدرته لا تتصورنه، لكن اسأل الله أن يشرح صدوركم للحق والبيان.

على كل حال؛ في أحيان كثيرة نحن نستهتر بكلام نقوله أو أحيانًا حتى بتعليقات على أشخاص وهذا أمر أوجب علينا ..– وأنا أذكر نتيجة من هذه المناقشات – مناقشات ممارسة، أي أن أحد يأتي يكلمني ثم أجد أني لا أفكر في هذه القاعدة مثلًا، فأنا أرى والله اعلم أننا لابد أن نجتمع اجتماع بعيد عن مادة علمية مقررة أو متن يجب أن ينتهى منه، وهناك مادة أصلًا في جدولكم اسمها فقه الدعوة، هذه المادة أصلًا عبارة عن لقاءات فقط اسمعكم وتسمعونى من أجل أن تصلوا إلى هذه النتيجة، من أجل أن لا نعيد كلنا نفس الأخطاء بل ننتفع من الخبرات، خصوصًا نوع الخبرات الاجتماعية لأن ليس كلنا يتوفر لنا نفس الجو أو نمر بنفس الظروف، لسنا كلنا نتصل بطبقات معينة من المجتمع دنيا أو عليا، فنتعاون إلى أن نصل إلى رؤية صافية عن مسؤولياتنا في الكلام.

وغدًا تصبحي إدارية وتعاملي الطالبات، انت الآن لا تتصوري إلى أي درجة الإداري يدخل بسهمٍ من الخير، في كل الخير، كثير من بناتي يرفضوا الإدارة لكن أنا أقول الإدارة هذه باب من أبواب الخير، تدخل بسهم من الخير في كل خير يحصل، يعني أنا مثلًا أرتب حلقات للقرآن، هذا سهم من الخير، أنا أرتب لدروس هذا سهم من الخير، أنا أساعد طالباتي أن يتعلمن هذا سهم من الخير، انظري كم سهم من الخير تدخل فيها وانت فقط عبارة عن دائرة أي حلقة اتصال، أحيانًا هذا الإداري لا يحسب حساب نفسه ولا يفكر ماذا سيقول، نتيجة للضغوط يتكلم ولا يركز، وأنا أعرف أن كثير منكم إداريين في مدارس تحفيظ وفي أماكن، فكيف المفروض إنك تحسب حساب الكلمة التي تقولها، احسب حسابها لأن هذه الكلمة بألفاظها التي يمكن أن تتهم فيها طالب أو تتكلم بدون أن تركز مع أحد وتعتدي عليه وتؤذيه ماذا سيحصل؟ من جهة الحساب ستحاسب عليها، ومن جهة أنها ستقع عليك نعم فستقع عليك، يعني ستذوقها من أحد مثلما أذقتها أحد!، والخبرات والإحتكاك يبين لك.

القاعدة تقول ماذا؟ الجزاء من جنس العم، فهذا من تمام حكمته سبحانه وتعالى ومن دلائل عظمته.

ماهو دليل عظمته؟ أنه سبحانه وتعالى يعامل الناس على ما قام في قلوبهم، يعني انت قام في قلبك الإفساد، الخبث، كان جزاءك أن تكون أخبث الناس.

علاقة هذا الباب بالباب السابق.

علاقته واضحة؛ الآن باب من سب الدهر فقد آذى الله، فهمنا منه "آذى الله" أن هذا أمر منهي عنه لأن فيه تعدي على تعظيم الله، ومن هنا التسمي بالأسماء الضخمة التي فيها العظمة التي لا تليق إلا بالله عز وجل أيضًا يغيظ الله.

يعني "سب الدهر يؤذي الله" و"التسمي بالأسماء المعظمة يغيظ الله"

"يؤذي" و "يغيظ": يغيظ تفهمي أنك تقيسيها على يؤذى من جهة إعتقادك، يعني أن الله يكره هذا الأمر.

وانت تعلمين أن هذان الفعلان منسوبان إلى الله – المحبة والبغض – فالله عز وجل يحب الأماكن، ويحب الأشخاص، ويحب الأزمنة، وبالعكس؛ يبغض أماكن، ويبغض أشخاص.

لو أتينا نقول هذه التسمية تدل على كِبر في قلب المسَمَّى والكبرياء لا يصلح إلا لله.

لماذا الكبرياء لا يصلح إلا لله؟ هذا السؤال يمكن أن يخطر على بال أى أحد: انتم تقولون لنا الكِبْر صفة مذمومة والله عز وجل من أوصافه الكبرياء؟

إجابة من الطالبات ورد من الأستاذة: نعم، هي صفة كمال بالنسبة لله لكن لم تحل المشكلة.

إجابة من الطالبات ورد من الأستاذة: صح هذا الكلام الدليل يدل على أنه موصوف سبحانه بهذه الأوصاف، هذا كله كلام عام.

لماذا يكون الكبرياء في العباد نقص ولله كمال؟!

أولًا لما نجيب نقول: ما معنى التكبر؟ ما معناه؟ التكبر عمومًا في اللغة ما هو؟

سنقرأ من كتاب فقه الاسماء هذا الجزء في اسم الكبير، من أجل أن تتصوروا أنه وصف كمال لله ووصف نقص للعباد.

قال:

ومعاني الكبرياء والعظمة – بالنسبة لله– نوعان: أحدهما ، يرجع إلى صفاته سبحانه وأنه له جميع معاني العظمة والجلال

يعني الكبرياء يدور حول ماذا؟ العظمة والجلال، واحد من الخلق يتكبر يعني يوصف نفسه بماذا؟ بالعظمة والجلال، وما معنى العظمة والجلال؟ أي أن هذا الموصوف صفاته كاملة فله العظمة والجلال.

ما معنى الكبرياء؟ العظمة والجلال.

العظمة والجلال تكون مستحقة لمن؟ لمن كانت صفاته كاملة، فمن وَصَف نفسه بالكبرياء أو فعل أفعال الكبر، ماذا فعل في حقيقة الموقف؟ وصف نفسه بأنه كامل الصفات.

من أجل ذلك كان "الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي" لذلك لابد أن تتصوروا ما الإشكال، أصلًا كلمة الكبرياء يجب أن تكون مفهومة في اللغة في ذهنك، الكبرياء ما معناها؟ العظمة والجلال، فالإنسان لما يتكبر بالفعل أي يصف نفسه أنه عظيم الصفات.

ما معنى عظمة وجلال؟ العظمة والجلال يعني أنه عظيم في كل صفاته.

⇦ هذا الوصف – العظمة في كل الصفات– وصف يليق بمن؟ بالله، فلذلك يستحق الله أن يتكبر، أي يتعاظم، أي له الجلال.

⇦ والعباد لماذا لا يحق لهم أبدًا أن يتكبروا؟ لأنهم ناقصي الصفات.

فعاد الأمر مرة أخرى إلى النظر إلى توحيد الأسماء والصفات، يعني التكبر لا يصلح إلا لمن كان كامل الصفات، ومَن تعتقد أنه كامل الصفات؟ لا أحد كامل الصفات إلا الله.

إذن هذا أمر مهم جدًا أن يبدأ بنقاشه في أول الباب:

- صفة الكبرياء وصفًا لله.
- وصفة الكبرياء وصفًا للخلق.

وهذا دائمًا علامة استفهام، يعني حتى بالنسبة للأطفال، فهذه طفلة في الصف الرابع في أحد الدورات للتعليم العام، كانت المعلمة تقول: طفلة في الفصل في سنة رابع تقول لي: لماذا ربنا يتكبر ونحن لا نتكبر؟!. فالتركيز على أن الكبرياء صفة مذمومة لابد أن يُبْنَى على معناه، ولذلك لما يُشرح هذا الإسم يُؤتى بصور من عظمته سبحانه وتعالى، "مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلاَّ كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ" يعني انظري الآن أن السموات والأرض في يمين الرحمن مثل خردلة في يد أحدكم، فإذا كانت السموات والأرض بهذه الصورة فكيف بخلقه فيها لكل المخلوقات؟ لا شيء!.

فانت لما تقول حقيقتك أنك لا تشكل شيء في مساحة الكون، كيف يأتي في قلبك أنك تعظم نفسك؟!، كيف تعتقد أنك كامل الصفات؟!.

فهذا أول الأمر، هذا الباب يستلزم منك أن نخرج مكنونات الكبر من القلوب ونفهم وصفنا الحقيقي، فلو أتينا هنا إلى صفة الملك هنا – انتهينا الآن من النقاش الأول أنه لماذا الكبر ممنوع في الخلق؟ لأن الكبر والتكبر معناه العظمة، والعظمة هذا وصف لا يليق إلا بمن كان كامل الصفات، والعباد كلهم ناقصوا الصفات، كلهم ليس هناك استثناء في نقص صفاتهم، كلهم فقراء، كلهم ضعفاء، كل هذه الصفات كلها لابد أن لا تنساها عن نفسك، انت لم تكن شيئا مذكورا، انت ضعيف، ولم تكن شيئا مذكورا، ولا حول لك ولا قوة إلا بالله، وفقير، فإذا كانت هذه أوصافك لزم منك أن تتصرف من أثر صفاتك عليك، ولا تلبس لباسًا ولا ترتدي رداءًا، لا هو لباسك ولا رداءك.

ما صورة لِبْس هذا اللباس وارتداء هذا الرداء؟ ما صورته؟ أن يُسَمِّي الإنسان نفسه أو يلقب نفسه بألقاب تدل على تفخيمه وعظمته.

نبدأ بالاسم الذي ورد في الحديث.

"مَلِكَ الْأَمْلَاكِ": تعال إلى هذه الصفة ونرى حد وصفنا نحن بها، وكيف حَدُّه يدل أن هذه الصفة ناقصة عندنا.

الملك هذه صفة من صفات الخلق، أي أن الخلق يملكون، كما أخبر سبحانه وتعالى أنه هو الذي يُمَلِّكُهم ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ ومن معاني "أقنى" أنه سبحانه وتعالى أعطى العباد القدرة على أن يقتنون، اعطاهم ما يقتنونه ونظم لهم في حياتهم ما يجعلهم يقتنون.

نرى ضعفنا فى الملك: نرى وَصْفَنَا بهذا الوصف.

أولًا كأني أسأل عن الملك؛ هل بداية ملكنا مطلق أم أن الله عز وجل هو الذى وهبنا أسباب الملك؟ الله عز وجل هو الذى وهبنا أسباب الملك، ونحن لا نملك هذا ملكًا مطلقًا، من بداية الملك ليس مطلق إنما وهبنا الله أسبابه.

مثل الورث من أسبابه، الحول والقوة الذى يعطينا إياها للعمل من أسبابه، وفتح باب الأرزاق من أسبابه، فممكن أن الإنسان يكون له حول وقوة لكن لا يفتح له باب أصلًا للرزق.

نأتى الآن من جهة التصرف، هل ملكنا في التصرف مطلق؟ الجواب لأ، ملكنا في التصرف ليس مطلقًا بل مقيد بحدود الشريعة.

- ومن أمثلة التقييد أنك لا تستطيع أن توصي قرب الموت بأكثر من ثلث مالك، هذا المقصود به الوصية التي تنفذ بعد الحياة، أما في الحياة فتستطيع أن تنفق في سبيل الله كما تريد لكن المقصود في الوصية.
- وأيضًا لا تستطيع أن تقرر أن تحرق مالك، لو واحد قرر أنه سيحرق ماله، ماذا سيُفعل به؟ سيحجر عليه، أي لن يخلى بينه وبين ماله.
- مثلًا علاقتنا بأولادنا؛ هل هذه علاقة ملكية؟ لا أصلًا ليست علاقة ملكية.
- علاقتنا ببيوتنا يوجد فيها ملكية، لكن ألن تنتهي هذه الملكية؟ تنتهي بموتنا أو بخلو الدار ووحشتها لما انت تقرر أن تتركها، أو يهدم ولكم في الزلازل أكبر عبرة، أحيانًا حتى هذه الملكية تأتي عليها طوارئ تذهب بسببها.

المهم النقاش واسع فى الملكية، انت فقط راجع نفسك وسترى في حقيقة الأمر أنه حتى الشيء الذى فى خيالك أنك تملكه فى الحقيقة انت لا تملكه، لأنه في أحيان كثيرة يعني تضع مثلًا هذا المأكول أو المشروب بين يديك على أنك لن تنساه، ستخرج من مكان لمكان ولن تنساه، وتمسكه بكل ما تملك من قوة، ثم فى غفلة يسيرة تتركه وتمشي أليس هذا يحصل؟ يحصل!، وتسمع قصص كثيرة من هذا النوع [مأكول، مشروب، ملبوس] كله يحصل، فمعناه أنك في الحقيقة لا تملك الا ما مَلَّكَكَ الله، وأيضًا لا يُملكك الله سبحانه وتعالى له ملكًا مطلقًا وهذا من الإبتلاءات من أجل أن يبقى قلبك معلق به سبحانه وتعالى.

هذا الكلام حول صفة الملك، ثم فى خاتمة هذا الكلام كله نقول؛ نحن نعتقد ما قرره سبحانه وتعالى فى قوله في آل عمران:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ هذا ما تعتقده.

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ إذن يُتصرف فى الملك على مشيئتك، سبحانك.

﴿وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾

﴿تُؤْتِي﴾: هذا الفعل الأول.

﴿وَتَنزِعُ﴾:هذا الفعل الثاني.

المعنى أنك لما ترى ملكية من يملك تعلم أن الله هو الذى ملكهم، وليس ملكًا مطلقًا، وحسن هذ الاعتقاد يورثك استقامة فى الحياة، يورثك من جهات متعددة؛ من بين هذه الجهات أنك لا تنازع مَلكًا ولا أميرًا ولا صاحب سلطة، السمع والطاعة على ما أمرك الله، طبعًا في غير معصية وإذا هناك توجد معصية لن تكون منازعة له، ستكون اجتنابًا للمنكر وليس منازعة له، تجتنب المنكر ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وتجتنب المنازعة.

من المصالح في حسن اعتقادك هذا أنك لن تحسد أحد، ولن تمد عينك إلى ما متعوا به، من آثار حسن الاعتقاد أنك لا تنتفخ بما مُلِّكْت، فهو الذي آتاك وهو الذي ينزع منك، يعني هو الذي يأتيك بالملك، وهو الذي ينزعه منك .

هذه الأخيرة هي مشكلتنا، أن الإفتخار بالملك وبكثرته وبطول زمانه يورث نوع طغيان فى القلب، يعني يطول الزمان وانت تملك نفس الملك وربما يزيد يسبب طغيان فى القلب ويورث هذا في النفوس الضعيفة إبرازًا وإخراجًا لآثار هذا المرض.

يعني هو لو وقع في قلبه مرض الطغيان سيورثه إخراجًا وإبرازًا لهذا المرض، كيف سيبرز هذا المرض إلى الخارج؟ يبرز بطريقة المشية، مشيتك تظهر فيها آثار هذا المرض، أليس هناك مشية تكبر؟!، يظهر في مشيتك، قارون ماذا فعل؟ خرج على قومه في زينته.

ويفسَّر حديث: "أن رجلا جر إزاره فخُسف به فلازال يتجلجل في الأرض إلى أن تقوم الساعة" بعض أهل الحديث يفسره على قارون أنه هذا قارون خرج على قومه في زينته بجر إزاره.

إذن يظهر في المشية، وفي الملبس، وفي هيئة الجلوس.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: نعم هذه مشكلة الملبس أنا أفكر أقول أم لا أقول

وفي الملبس قصة أخرى لكن حدها – حدّ الكبر في الملبس – أن يكون في قلبك مشاعر أنك تريد أن تكون أحسن واحد، أحسن أحد موجود على الأقل يأتي بهذا الحد الخطير، الذي يعني أنه ابتليت بمرض العلو، أبسط شيء من أجل أن تلتفت إليه الأبصار،

من أجل ذلك حُرِّم ثوب الشهرة، ثوب الشهرة أي نوع من الثياب، لو كان مُرَقَّعًا أو مرصعًا، الإثنين مثل بعض لأنه سُيلتفت إليك.

هناك أناس كثير مرنوا أنفسهم، والحمدلله ربنا رباهم وتربوا وهدأت نفوسهم من أن يتميزوا، لكن لما نأتي نربي أولادنا وأحفادنا أيضًا – ولما يأتيكم أحفاد إن شاء الله ستعلمون– أولادنا وأحفادنا مثلًا نريدهم أحسن شيء، ولازال عندنا أحسن موجودة في قاموسنا، ومادام أحسن موجودة في قاموسنا فلازال عندنا مشكلة، أنا لا أُريد أن أقول هذا الكلام لأنه يلتبس عليكم أنا أعرف أنكم تفهمون لكن المشكلة أن هذا الدرس ينقل، ففي العادة أن المشاكل تأتي دائمًا ممن يسمع الكلام أول مرة، ويتصور أنه طبيعي إني أكون أحسن!، نقول لأ، طبيعي أنك تكون حسنًا، مرتب ولا يظهر منك أي شيئ يكون شاذًا أو يشمئز منه الناس، وفي نفس الوقت ليس شرطًا أن تكون أحسن، لكن أنا أطمأنكم، أن كل أحد يذهب إلى حفلة أو يذهب إلى مكان لا يرى إلا نفسه فقط، لا يرى الناس إلا لما يكون عينه على أحد معين، يعني بيني وبينه شيئ من التنافس والندية فقط، أما غير هذا لا تري أحد.

نحن يكفي علينا واحد ندخل في منافسة معه وننظر إلى المرآة ونقول: الآن نرى ماذا سيقول لي لما يراني!، فقط يكفي هذا، يكفي هذا من الزملاء والأصحاب والأنداد الذين نتنافس على مدحهم وثنائهم وإطرائهم.

نحن مر معنا في إرادة العلو، و اقرؤوا كلام تفسير ابن كثير في آية قارون، واقرؤوا قول علي رضي الله عنه العجيب، يعني أن يدخل في إرادة العلو أن يكون أنك تريد أن يكون شراك نعلك خير من شراك نعل صاحبك!، تصوروا إلى هذه الدرجة يدخل في هذا الباب.

ثم عقب ابن كثير كلامًا جميلًا في أن هذا لو أُرِيد الإفتخار، أما لو أُريد حسن المظهر فلا بأس، وهذه هي القاعدة، كونك تريد حسن المظهر لا بأس، لكن لا تفتح عليك باب حسن المظهر فتدخل في باب الإسراف.

ثم ربما الرجال قد يستطيعون ضبط أنفسهم فيكونون يريدون حسن المظهر بدون إرادة العلو، ربما!، أما النساء مع ضعفهم وضعف إيمانهم وكثرة المتنافسين حولهم، وحساسيتهم تجاه الكلام الذين يقال لهم، وآخر كل المعلومات التي نعرفها عن أنفسنا، فأحسن لهم هؤلاء أن يحبسوا أنفسهم، فكان السلف يتركون سبعين بابًا من الحلال خوفًا من الحرا.

وهذا ليس معناه أنكم في نهاية الموضوع تتبهدلوا!، ليس هذا معناه أبدًا، أصلًا حتى الأذواق الله عز وجل مقسمها على العباد، لكن انت قد تبتلى بذوق رفيع فتجاهد نفسك أن لا تنشغل به وأن لا تصرف فيه زمنك وقلبك ووقتك، وأن لا تدخل في منافسة مع أحد.

المقصد طبعًا هذا الموضوع لم يعطى حقه، وهذا الموضوع يحتاج منا بالذات لكم نقاش طويل، وإن شاء الله يكون أحد مواضيعنا في فقه الدعوة، نتكلم كيف يجب أن يكون مظهر الذي يخرج للدعوة بين التواضع والمحافظة على الحد الأدنى من أمور والحد الأعلى من أمور أخرى، هذا كان في الملبس.

المهم أيضًا من مظاهر الكبر في التسمي في الألقاب التي تطلق على هذا الشخص، وقد أصيب قوم بمرض نفسي حقيقي اسمه جنون العظمة، هذا المرض غالبًا يظهر عند الرجال أكثر من النساء، في الزمن الماضي كان يظهر عند الرجال أكثر من النساء، لكن في الوقت المعاصر عن مع مسألة المساواة واللهف الشديد بعد النجاح أصبح يظهر عند النساء أكثر من الرجال، فالآن الرجال

سينظمون منظمة اسمها حقوق الرجل بناءًا على منظمات حقوق المرأة، لأنه لا تتصوري شدة الصراع الحاصل، والحرص الشديد على النجاح، ثم هناك طبعًا خيوط خفية تدفع بالمرأة إلى الأمام من أجل أن تنجح، فاشتهر مرض العظمة بين النساء الآن، طبعًا له مظاهر، وأنا أتكلم حقيقة هذا مرض يصاب به الإنسان، يصبح كل همومه في هذا المرض أن يكون أحسن شيء وأعظم شيء، تركيبة ناقصة، واحد يكون عنده نقص ويقابلها بما يسمى بالعظمة، من أجل ذلك نقول أن المساواة هي التي أدت إلى ذلك، لأن المرأة تشعر نفسها ناقصة فتعظم ذاتها بكل الصور، وهم أصلًا انشأوا فيها مشاعر النقص ثم طلبوا منها التكميل، وهي أصلًا ليست ناقصة ولا تحتاج إلى هذا الإكمال.

المهم هذا المرض يورث في كثير من الأحيان ألفاظ ومصطلحات وتسميات، من أجل أن تفهمي أن ملك الأملاك هذا اسم يكون لواحد عنده ملك، فتقولي ما علاقتي به بمثل هذا، يعني أنا كفرد ما علاقتي؟ ليس عندي ملك أملكه من أجل أن أكون مالك الأملاك، ولا قاضي سأقضي لأكون قاضي القضاه، ولا شاها شاه بلغة أهل فارس، نقول لا هذا مرض يصيب الإنسان نتيجة ضعف تعظيمه لله، فإذا وقع في قلبه نقص عالجه، المفروض لو اكتشفت نقصك تعالجه بالذل، الناس البعيدين عن الإيمان لما يكتشفوا نقصهم يعالجوه بالكبر.

سأضرب لكم مثالًا في التعليم من أجل أن تتصوروا، الآن وصلت المرحلة الثانوية والذين درسوني لا يستطيعون أن يكتشفوا صعوبات التعلم مثل الزمن الماضي الطويل الذي عاشوه أولادنا، كان لا أحد يستطيع أن يفرق أن هذا لديه صعوبات تعلم، أي أن ربنا خلقه ينقصه التفكير في هذا الشيء، ينقصه تصور هذا الشيء، طبعًا صعوبات التعلم تبدأ من رقم واحد إلى رقم ألف، ناس عندهم صعوبات تعلم تبدأ من واحد إلى ألف، واحد عنده عشرين، واحد عنده ثلاثين، واحد عنده خمسمائة، واحد سبعمائة، واحد ألف، يعني من صعوبات التعلم لا يستطيع حفظ صورة الحرف، صورة الحرف لا يعرف الحاء من الخاء ولا الدال ولا أي شيء، هذا من صعوبات التعلم، والذي ليس لديه قدرة على ألتقاط الصورة وتخزينها وربطها بالاسم، سبحان الله، لكن واحد هذا ممكن يكون لبق ويجلس في مجلس ويتكلم كلامًا حلوًا وكل شيء لكن لما يأتي يكتب لا يعرف يكتب، لما يأتي يتملى يسمع لكن لا يعرف يكتب، ممكن، وهذا موجود، أنواع من صعوبات التعلم.

نحن لو عملنا اختبار ستعرفوا صعوبات التعلم كيف شكلها، موجودة، واحد عنده صعوبات التعلم مثلًا في الهمزة، والهمزة يكتبها ليس لها علاقة ببعضها مثلًا، وانت تقولي لا لم يعرفوا يعلموه القواعد مضبوط، هناك صحيح من هذا النوع وهناك من يتعلم القواعد يفهمها ويطبقها وانتهى الموضوع، لو طبقها وانتهى الموضوع معناه ليس عنده صعوبة، لكن لو لم يستطيع أن يطبقها تعرفي ذاك الوقت أنه عنده صعوبة تعلم.

المقصود الآن المفروض الواحد يكتشف أنه عنده صعوبات تعلم، لو كان كبير ليس هناك مشكلة يتعلم، في المتوسط في الثانوي وما فوقه يتعلم، في العادة هؤلاء نتيجة المجتمع وتفكيره لما يصبح عندي صعوبات تعلم يغلق على نفسه هذه الزاوية ويشعر الناس أنها ليست لها قيمة، والشيء الثاني هو المهم الذي يتقنه، هذه خيوط العظمة تبدأ.

أقول لكم هذا الكلام لأن ممكن تجتمع الخيوط وتجتمع الخيوط ويجد بيئة صالحة وفي النهاية لما يدخل المجلس يريد الناس يسموه باسم معين يدل على أنه مدير الجلسة، وقليلًا قليلًا الحكيم، لأنه سيأتينا بعد ذلك الحكيم، أنه أتى الحكيمة وذهبت الحكيمة بهذه الصورة أن هذا حكيم المجلس، ثم قليلًا قليلًا يقولون لها هذه أحكم منك فتنافسها، إلى أن يدخل في اختبارات أنه أنا أحكم –

وانظري كيف يأتي المصطلح – هم حكماء فتصبح هي أحكم الحكماء، انظروا كيف تتطور المسألة إلى أن تأتي مثل هذه الاسماء التي يبغضها الله.

فمن البداية نقص نفس، المفروض النقص يقابله – لو كنت عابدًا – النقص يقابله الذل لكن لما يكون العبد متكبر النقص يقابله الكبر، يعني يكون ناقص وليحل مشكلة نقصه يتكبر!، هذا تجدونه حتى في الدين، واحد مثلًا يشعر بنقص في الدين وبنقص في العلم فبدلًا من أني تعلم يقول الدين ليس معقد بهذه الصورة، نحن لا نحتاج إلى هذا كله، نحن كذا وكذا ويرمي بالدين وراءه.

ولذلك — اسمعوني جيدًا– لما تأتي تتكلمي عن قضية مثل قضية التجويد وانت غير متقنة التجويد غير لما تكون واحدة متقنة التجويد جيدًا ثم تتكلم عن قضية التجويد وأنها ليست من الأولويات، لأن الذي يكون غير متقن سيقولون له من أجل أنك تشعر بالنقص من أجل ذلك تنتقضه، ولذلك انصح بناتي أن من يتكلم في مدارس التحفيظ وإلى أخره، بهدوء طبعًا، وتريدوا تعيدوا ترتيب الأولويات وتضعوا التوحيد بدلًا من التجويد كعلم أساسي لا يتكلم منكم إلا من معه قوة في التجويد، من معه قوة هو من يتكلم من أجل أن لا يكون في نفوسكم انتم قبل أن يسمعوكم من أجل أن يكون في نفوسكم مشاعر أنه لأني لا أجيده لذلك سأقلل من قيمته، وفي نفس الوقت الذي يسمعك لا يجعل الشيطان هذه وسيلته، لأن الشيطان من أجل أن يرد كلامكم سيلف على السامع هذا اللف، وسيشعره أن الجماعة لا يفهمون ومن أجل ذلك يتكلموا هذا الكلام، ولذلك من يتكلم يجب أن يتخير في ماذا يتكلم، وهذا أمر موجود، أن المرء عدو ما يجهل، والناس الذين يجهلوه يعادوه ويرفضوه ويجعلوه لا شيء، وهذا من الابتلاء بالكبر والعظمة، نسأل الله أن يصلح قلوبنا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا يصاب بالجنون، هو تعبير، المرض أصلًا اسمه العظمة والجنون هذا المصطلح المتداول، هناك وظائف معينة تسبب هذا المرض أيضًا، غالب الوظائف القيادية تسبب هذا المرض، الذي طوال عمره يقود عنده مشكلة في التواضع والذل والإنكسار لأنه طوال عمره قائد فيجب أن يسمع كلامه، فيعالج باسماء الله، لابد من الذل والإنكسار لله.

ممكن يكون مدير وفي البيت الناس لا ينجحوا في التعامل معه، مثلًا رتبة عسكرية ويأتي في البيت ولا يستطيع أحد أن يتعامل معه، مديرة أحيانًا، مديرة في المدرسة ومديرة على زوجها وعلى أولادها وعلى جيرانها، هناك ناس يمارسوا مثل هذا، وحتى المعلمات فيهم هذه المشكلة، في كل أنحاء العالم ليس فقط عندنا، نعاني من الإداريين والمعلمين أنهم دائمًا عندهم حالة من الاستنفار وضبط الفصل، يعني يضبطوا الفصل في المدرسة ويضبطوا الأولاد في البيت بهذه الصورة، ليس عندهم شيء من الرخاوة، في الخارج شديد وموقفه حازم وفي الداخل يتصابي مع أولاده، ولما يأتي القرار يكون صاحب قرار.

نحن ممكن أن نصاب بهذا المرض الذي يكون نتيجته أن نصل إلى حب مثل هذا الاسم، ليس شرطًا أن يتسمى، لكن حبه،حبه مشكلة، حب أن يكون لك اسمًا بارزًا لامعًا هذا بنفسه مشكلة، أن يكون همومك أن تبرز ويكون لك مكانة هذه مشكلة، انتم ستقولون لي ورد في الدعاء: " وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا" نقول نعم، إمام المتقين خفي تقيّ منكسر ذليل لربه، به الإنكسار والذل لله عز وجل وقد يكون خفي أيضًا، خفي أي ليس فيه مشاعر البروز، حتى من يعامله لا يشعر أنه يحاول أن يبرز نفسه على الناس، اتفقنا أن هذه التسمية أحد مظاهر الكبر في النفس.

ممكن أن يقول أحد مثلًا تقبيل الرأس وتقبيل اليد، هذا يحدث بين طلبة العلم وعلمائهم، نحن مر معنا في الدفعة السابقة مرت مشكلة في مرة من المرات في درس الخميس على مسألة تقبيل اليد، فطلبنا من البنات وقلنا أن هذا فعلكم فهل تجدوا فعلكم مشروع أم غير مشروع، المهم بحثنا ووجدنا كلام للشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين إلى أخره، وهذا معروف عند السلف لا بأس به، وأنه كان الإمام أحمد تقبل يده وهو يكره ذلك، كان لا يمنعهم، يقبل يدهم وهو يكره ذلك، يقول عبدالله ابنه أنه يكره ذلك. التقبيل نفسه ليس أمرًا مخالف للسلف لكن يجب أن يكون في نفسك انت بغض له، لأنه لو كنت تحبه يدل على أنك تعظم نفسك وتريد أن تكون شيء من أجل ذلك تحب منهم هذا الفعل، من أجل ذلك يجب أن نعرف أن هناك خيوط لابد من بيانها في مثل هذه المسألة، لابد أن يكون هناك حدًا فاصلًا في مشاعرك انت، حتى لو كان الأمر مسموح، مثل تقبيل اليد الآن هذا ليس ممنوعًا للعلماء، الأمهات، الآباء ليس ممنوعًا من كلام السلف، لكن السؤال لو كان في قلبك محبة له؟ حب أن تظهر بهذا المظهر- ؟ نقول هذه إشارة إلى مرض في القلب أنك تريد أن يعظموك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: من أولادك إليك؟ لا انت تشعري أنه يحبك، هذا شيء أخر، في الأولاد هذا ليس له علاقة، هذا موقف لي ولكم، هذا الموقف الذي يكون حرج، أنا أشهدكم وأشهد الله على أني أبغض هذا الشيء، لكن بقي أنه صعب علي أن أردكم، خصوصا أننا في مجتمعنا المسألة ليست منبوذة، وفي عوائل معينة وجنسيات معينة هذه التحية العادية ومعروف. المقصد مثل هذا مقبول مثلًا في جونا، لكن تعال إلى درس الخميس مثلًا، وهذا الموقف حدث في خارج البلاد، واحدة من بناتي كانت في خارج البلاد وقابلتني، وأول مرة بعد فترة طويلة من الزمن، فسلمت مثلما تسلم في البلد، وكانت بداية المصيبة، وطبعًا لأن هناك تفرق دائمًا يحصل - وأنا أنصحكم هذا الحقيقة ربانا أفهمنا أنه انظر كيف تسرعوا وحكموا إذن أكيد انت ممكن أن تقي في التسرع وتحكمي عليه - مباشرة أن هذا من أفعال الصوفية!.

هو فعل من أفعال الصوفية لكن على حسب ما قام في قلوبهم، ثم أنهم لا يقبلوا الأيادي لعلمائهم ومشايخهم على اعتقاد أنهم علموهم وأنهم مجرد سبب بل يقبلونهم على أنهم يعبدونهم من دون الله، مكان ثاني، صحيح هذا خطر نخاف منه وإن شاء الله تكبروا ويصير لكم من العمر المديد وتنفعوا الناس وتأتوا مكاني يجب أن يكون في مشاعركم بغض، لكن في نفس الوقت يصعب علي أن أردكم، هذه مشاعر صعبة.

ولما قرأت كلام عبدالله عن أبيه وأنه كان يبغضه لكن لم يمنعهم فهمت هذه الجملة، لأني لم أكن لفهم لماذا لا يمنعهم، لكن المقصود في جو سليم المسألة هينة، قلب سليم في جو سليم المسألة هينة لكن حتى لو كان هناك قلب سليم وجو غير سليم لا تخطأ هذا الخطأ، لا تخطأ في حق نفسك ولا في حق شيخك، يعني لا تقابلوني في درس الخميس أو في التعليم المستمر أو في مكان وتفعلوا هذا الفعل، لأن هذا سيشير في عقولهم إلى شبهة أن مثل هذا دليل على أنك تحب تعظيمه وقد عبّدته لك، هكذا في تفكيرهم، فهذه كلها شبهة نحن في غنى عنها وفي غنى عن أن تطعن الدعوة السلفية بهذا الطعن، لسنا بحاجة إلى هذا، **تترك بعض الأعمال وإن كانت مباحة دفعًا للشبهة**.

على كل حال انتهينا من لفظة ملك الأملاك وشاهٍ شاه مثلها، سنقيس عليها كل الألفاظ التي تتصل بها، في اسم الباب قاضي القضاه ونحوه، ما معنى نحوه؟ مثله.

سيأتينا الآن الكلام حول الاستثناء.

هذه الألفاظ إن اطلقت أي [قاضي القضاه، ملك الملوك، شاهٍ شاه] تكون محرمة أما إذا قيد مثلًا "قاضي قضاة مكة" فهذا أهون حالًا وإن كان الأولى تركه، ويمكن أن يستبدل برئيس القضاه أو أمير القضاه.

أي إطلاقه ممنوع لكن تقييده أهون وإن كان الأفضل أن يترك ويستخدم غيره.

من هنا سننتقل إلى الباب الذي بعده.

باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم؛ فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ"، فَقَالَ: "إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ"، فَقَالَ: "مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنْ الْوَلَدِ؟" قَالَ: "شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ". قَالَ: "فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟"، قُلْتُ: "شُرَيْحٌ"، قَالَ: "فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ". رواه أَبُو دَاوُدَ وغيره.

انت تستطيعين أن تقولين على الذي مضى احترام صفات الله، تستطيعين أن تشيري إلى الذي مضى بصفات الله وهنا الكلام عن اسمائه، أي أن البابان متصلان.

لازلنا في مسألة التعظيم، والله عز وجل يقول في سورة الحج ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، هنا تبيَّن لك بوضوح أن التعظيم إشارة التقوى، أي أن قلبك يسير في مكانه الصحيح.

ما معنى شعائر؟ شعائر جمع شعيرة، والشعيرة كل ما أشعر الله بتعظيمه، أي أن الله عز وجل أعلم العبد بتعظيمه، أعلمه في الكتاب وفي السنة، كلمة أشعر ضعي عليها أعلم لتفهمي شعائر الله، ما معنى شعائر؟ أي أشعرك الله بتعظيمه أي أعلمك.

فتعظيم الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لشعائر الله يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، والاسماء الحسنى مما أشعر الله لاحترامها وتعظيمها وإجلالها، ومن احترامها عدم تسمية غير الله بشيء من الاسماء التي أختصّ الله بها وتغيير الاسم من أجل ذلك، ومن تعظيمها أن لا تمتهن أسماء الله الموجودة في الجرائد أو في الأوراق، ولا يجعل ما كتب اسم الله عليه في أماكن لاتليق بها.

سنناقش مسألة التسمي باسماء الله، ومر معكم في القواعد المثلى هذه المسألة، سأناقشها باختصار.

اسماء الله تنقسم إلى قسمين:

- ما لا يصح إلا لله فلا يسمي به غيره وان سُمي وجب تغييره، مثل [الله، الرحمن، رب العالمين].
- ما يصح أن يوصف به غير الله، مثل [الرحيم، الكريم، السميع، البصير]، فإن لوحظت الصفة مُنع من التسمي به. – ما معنى لوحظت الصفة؟ سيكون هذا الحديث شرحًا لهذه الجملة –

وإن لم تلاحظ الصفة جاز التسمي به علي أنه علم محض.

التقسيم واضح اسماء الله أصلًا نوعان:

▪ الأول: نوع لا يصح أن يتسمى بها الخلق أبدًا ، مثل [الرب، الرحمن، رب العالمين، الله، الصمد، الخالق] هذه كلها لا يسمى بها إلا الله ومن ثم وجب تغييره.

▪ الثاني: يصح أن يسمى بها الخلق ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، يصح سواء بألف أو بدون ألف، بـ [ال] التعريف أو بدونها ليس الإشكال هنا، الإشكال ملاحظة الصفة، هذه الجملة نريد أن نشرحها.

مامعني ملاحظة الصفة؟ ننظر الحديث من أجل أن يتبيَّن لنا.

❖ دليل الباب.

عن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم؛ فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ"، فَقَالَ: "إِنَّ قَوْمِي..

الآن يعلل سبب تكنيته هذه الكنية.

فَقَالَ: "إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ"، فَقَالَ: "مَا أَحْسَنَ هَذَا،

أي ما أحسن أن يكون حكمك عادل ويرضى به الفريقين، اشتهر عن أبي شريح هذه الحال لدرجة أنه كني هذه الكنية، يعني لما كنوه كنوه لما لاحظوه من اتصافه بهذه الصفة، لم يكنوه من أن أتى من بطن أمه، ولا وهو في سن الصغر، إنما كنوه لما أتصف بهذه الصفة واشتهرت عنه، فكان منهم أنهم كنوه.

ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟

فَمَا لَكَ مِنْ الْوَلَدِ؟" قَالَ: "شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ". قَالَ: "فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟"،

وهذه القاعدة الشرعية مهمة؛ احترام الكبير.

قُلْتُ: "شُرَيْحٌ" ، قَالَ: "فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ". رواه أَبُو دَاوُدَ وغيره.

ما الذي جعلنا نقول أن القلب هو ملاحظة الصفة؟ لأن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان من الصحابة من اسمه [حكيم ابن حزام، والحكم ابن عمر الغفاري] وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يغير اسمائهم.

لما تنظري إلى هذه الاسماء وتركها وتنظري إلى أبو شريح وإلى التغيير تفهمي الفارق بدليل العلّة التي ذكرها، هو سأله الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ"، فَقَالَ: "إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ"، وهذا تفهم منه أن الله عز وجل يحدث هذه الأحداث من أجل أن نتعلم، أي يأتي حكيم ابن حزام والحكم ابن عمر الغفاري ويكونوا موجودين، وهذه اسماء لم يغيرها النبي صلى الله عليه وسلم، ويأتي أبو شريح ويكون اسمه مقارب لاسمهم، وهو ليس اسمًا إنما كنية، والكنية تلفت النظر، فيسأله النبي صلى الله عليه وسلم فيرد عليه هذا الرد فيغيره فنتعلم نحن تعظيم اسماء الله، فالله عز وجل هو الذي يدبر الأمور فيربي العباد ويعلمهم.

وهذا جواب أيضًا لسؤال أتى على حديث الطفيل؛ سؤال يقول: معلوم أن الرؤيا لا يأخذ منها أحكام الشرعية فكيف نفسر حديث النبي صلى الله عليه وسلم لما نهى الصحابة عن الألفاظ الشركية بعد رؤيا الطفل؟

التقرير الأول أصلًا خاطىء؛ أن الرؤيا لا يأخذ منها أحكامًا شرعية، لماذا؟ هذا طفيل الذي رأى الرؤيا، أولًا هذا الحكم أتى من الرؤيا أصلًا؟ هذه الجملة ليس لها علاقة بموقفنا، موقفنا ليس الرؤيا، موقفنا إقرار النبي لها، مثل قصة الآذان، قصة الآذان كانت رؤيا، لكن هل الرؤيا هي التي جعلت الآذان شريعة؟ لأ، إنما إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لها.

هل رؤيا طفيل هي التي جعلت ما شاء الله وشئت ممنوعة أم اقرار النبي صلى الله عليه وسلم لها؟ لإقرار النبي صلى الله عليه وسلم، فانت لا يشكل عليك الرؤيا، انت ليس لك علاقة بالرؤيا، هذه الجملة الرؤيا لا تأخذ منها أحكام شرعية هذه الجملة ليست موطن شاهد عندنا ولا نتكلم عنها أصلًا وليس لنا علاقة بها إنما لن تصبح شريعة إلا بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم.

فلو أتى أحد يحاجك يقول الطفيل رأى ثم أصبح شرعًا نقول الطفيل رأى والنبي أقر، انت الآن هذه رؤيتك تريد أن تجعلها شريعة اجعل النبي يقر عليها، وهذا بعيد عنك، فليست الطريقة هي الرؤيا إنما الطريقة إقرار النبي صلى الله عليه وسلم.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: فهذا قياس فاسد ومن أجل ذلك أقول لك ان هذه الجملة في هذه المسألة خطأ، الرؤيا ليست عندك بشيء إنما الشيء الذي عندك هو إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لها.

سؤال من الحاضرات ورد من الأستاذة: إذا لم يكن لديه إلا الإناث يسمى بهم.

هذا الباب كله سواء كان قاضي القضاه أو باب احترام اسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك كلها دائرة حول التعظيم.

سننتقل إلى الباب الذي بعده ونرى علاقته الوثيقة بالتعظيم.

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم.

ننظر إلى الاستهزاء ودلالته النفسية والعقدية.

الأستهزاء – أتكلم عمومًا – يدل على مرض في النفس وهو مرض الكِبر والاحتقار من الناس، مكانه القلب وأداته اللسان والوجه واليد، أي كل أدوات التعبير التي عند الإنسان، إذن هذا مرض يصيب القلب ثم يخرج على الجوارح.

ما سبب أن يمرض الإنسان بمرض الاستهزاء؟ تعظيم نفسه، وفي الباب السابق اتفقنا على أن تعظيم الذات يكون عادة ناتج عن مشاعر النقص، أي أن كل الناس ناقصين ليس هناك أحد كامل، فواحد عالج نقصه بالذل لله، وواحد عالج نفسه بالأستسلام لليأس، وواحد عالج نفسه بالكبر، فانقسم الناس في معاملة النقص إلى ثلاثة أقسام:

- ذل.
- كبر.
- يأس.

ومن أجل ذلك يجب أن تفتش في نفسك انت عالجت نفسك بأي صورة؟ هل وقع منك الذل والإنكسار بين يدي الله؟ أم وقع منك التكبر على عباد الله وعلى أمر الله وعلى خلق الله؟ أم وقع منك اليأس؟، استعرض حياتك واستعرض النقاط التي فيها نقص وانظر لنفسك أنت أي واحدة من الثلاثة، وممكن يكون الثلاثة في كل نوع، أي ممكن تكون في مسألة ذليل لله، وفي مسألة يائس، وفي مسألة متكبر، ممكن تجمع بين الثلاثة، مع أشخاص وفي احداث إلى أخره، أي أحيانًا الإنسان ينقص عليه شيء، وسأضرب لكم مثالًا من أجل أن تتصوروا.

العقم؛ واحد من أسباب شعور المرأة بالنقص، خصوصًا لو كان عندها اهل زوج مثلًا يأذوها بالكلام أو جارات أو زوج، أو حتى الأهل أحيانًا يآذوا بالكلام، هذا ضعف يستلزم منك ذل لله، هذا موقف صاحبه بدلًا من أن يتذلل تكبر، وانتم تعرفون عمليات التلقيح الصناعي، وكانت حريصة أشد الحرص أن لا أحد يعرف أنها قامت بهذه العملية، وطبعًا بعد ذلك أتاها الجزاء أنا لا أريد أن

اتكلم عن التفاصيل، المهم لماذا حصل مثل هذا؟ انت الآن لماذا تفكيرك أنه لا أحد يعرف وتفعلي وتفعلي أفعال طويلة عريضة تفصيلية من أجل أنه حتى الملف لا يظهر فيه هذا الأمر لماذا؟ كبرًا ان يظهر لأحد النقص.

انظروا هذه المسألة كيف يكون ردة فعلك على النقص، المفروض يكون ذلًا وترمي الناس وراء ظهرك، لكن أحيانًا الشيطان يتسلط على النفس، وفي هذا الموقف أحكي عن هذا الشخص أنه كان فيه من الذل لله والإنكسار له الأمر العجيب، لكن كيف أستولى عليه الشيطان في هذه الزاوية وفي هذه اللحظة وبعد الرزق تعلم ضعفنا، الإنسان يكون ضعيف تجاه مؤثرات معينة هذا كله لأنه سيبقى أشخاص معينين في الحياة سيبقوا يقولون انتم كذا انتم كذا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: انت الآن فيك ضعف وهؤلاء يضغطوا عليك فاطلب من مالك الملك أن يسكت ألسنتهم وأن يجبر كسرك، ألست تعلم أن من توكل على الله اغناه؟!، ومن لجأ إليه أنجاه؟! تعلم هذا أم لا تعلم؟ إذا كنت تعلم هذا فكل همّك عند الله، لكن تشتت الهموم هو الذي يؤدي الإنسان إلى هذه الحالة، أنا يهمني هؤلاء لا يتكلموا ويهمني هؤلاء لا يقولوا، وهناك حد مطلوب شرعًا: "رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا جَبَّ الْغِيبَةَ عَنْ نَفْسِهِ" فقط إلى هذا الحد لكن غير ذلك إذن انت مصاب بهذا النقص.

يعني الإنسان يبتلى – نسأل الله أن يحفظنا ويحفظكم ويحفظ هؤلاء أيضًا – طفل معاق في بيته، وانتم تروا وتسمعوا الآن زيادة نسبة هذا الأمر سواء عقلًا أو بدنًا، فماذا تفعل؟ تحبسه في البيت!، لماذا التكبر؟! لا يريد الناس يقولون عندهم طفل كذا وكذا!، هذا نوع كبر ليس مشعور به، انت عندك هذا النقص زد ذلًا وإنكسارًا وعش حياة طبيعية لا تخرجه للناس بزيادة ولا تحبسه، أنا أتكلم عن جميع درجات الإعاقة أو النقص، والله أن هناك قوم نرجوهم ونقول لها هاتيها سنفتح لها برنامج وحدها، وسنجعل لا أحد يدري عنها وسنرسل لك سيارة أبدًا! ثم تكبر تكبر وتكون ١٣ و١٤ ولا تعرف ولا شيء، وصحيح هي غير سوية لكن ابتليت بهذا البلاء المفروض تنكسر لله وتذل وتطلب منه أن يهيأ لك أسباب صلاحها، لا أن تحبسها على أن لا أحد من الناس يعرف أنك عندك هذه البلوة، وأشكال وألوان من هذا النوع من التكبر ويأتي نتيجته الأستهزاء، يعني يحصل في القلب تكبر يقابله نوع من الاستهزاء.

هناك ثلاثة أنواع من الأنماط في معاملة النقص: النقص الذي يمكن أن يحصل لك نقص في الشكل، نقص في المال، نقص في الولد، نقص في البيت، أنواع، هناك أمور انت أمرت بسترها وهناك أمور لو كشفت لا بأس، وهناك أمور أصلًا لا يمكن سترها.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: مثلًا المشاكل في البيت ابتلاء، ابتليت بأحد مثلًا – نسأل الله أن يحفظكم ويحفظ ذرياتنا وبناتنا – أحد يستعمل مخدرات أولًا لم يكفر، مادام هو مسلم وبعقله ويصلي لم يكفر، الأمر الثاني استر عليه لا تتكلم عنه، لا يحق لك، المهم أن النقائص مختلفة وفي نهايتها انت مطلوب منك أن تتعامل معها بذل لله وانكسار، ولما تذل لله ستعرف أن في هذا ستر، في هذا بحث، في هذا طلب مساعدة، في هذه كذا.

المقصود أن الحالة التي تعم الناس النقص، فالاستهزاء لا يكون إلا من متصور أن كل شيء لابد أن يكون كاملًا، وأحيانًا كثيرة يكون هو به نقص.

على كل حال؛ المقصود يجب أن تفهم أنها ليست نفسًا سوية، أي الذي يفعل هذا الفعل شخص ليس سوي، قلبه مريض، يتطور الأمر في المرض إلى حد النفاق ولما يكون المستهزأ به هو الدين، إذا كان يستهزأ بخلق الله ويستهزأ بنقص الناس ويستهزأ بتصرفاتهم

هذا كله يدل على أنه متكبر، هذا المرض الذي في قلبه أنه متكبر "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ"، لكن لو تطور الأمر وأصبح يستهزأ بالدين أي غير معظم للدين أصبح المرض النفاق، تحول من كِبر إلى نفاق، وعلى كل حال **مرض الكِبر مادة مغذية للنفاق، لأن المنافقين تكبروا عن أن يتذللوا لله.**

لو سألتك الاستهزاء في العادة في المجتمع يقع على ماذا؟ يتصل بأمرين:

- الدنيا وما يتبعها.
- والدين وما يتبعه.
- الدنيا وأهلها وغمط الناس في كذا وكذا.
- أو الدين وما يتبعه؛ القرآن والرسول، شعائر الدين.

إذن ستقولين أن الذي يستهزأ الدنيا وبما يتبعها مريض بمرض الكِبر.

الذي يستهزأ بالدين وما يتبعه مريض بمرض النفاق.

هل تتصوري إنفصال؟ أي واحد ممكن يستهزأ بالدين ولا يستهزأ بالدنيا وما يتبعها؟ أو بالعكس يستهزأ بالدنيا ولا يستهزأ بالدين؟ الجواب نعم، تعال نرى العلمانين؛ غالب هؤلاء يرسمون لأنفسهم صور أصحاب الأخلاق، أي يتعامل معك بكل أدب وودّ ويحترمك ويتكلم عن حقوق الإنسان، ويتكلموا على احترام الإنسان، وأكيد في أحداث السيل سمعتم هذا الكلام أنه المفروض أحترام الناس، واحترام الأشخاص، جميل، لكن ممكن كل المناداة باحترام الناس واحترام المعاقين وكل أنواع الاحترام التي يتكلموا عنها، عندهم أجندة احترام، وهذه الكلمة يضغطوا على الناس بها، أنه لو كنتم ناس محترمين كانوا عملوا لك شبكة صرف صحي، لو كانوا يحترموكم كانوا فعلوا لكم كذا وكذا، لو احترموكم.. بهذه الصورة.

أجندة من كلمات الأحترام؛ احترام المعاقين، احترام العقول، احترام أهل العاهات، إلى أخر كلمات الاحترام، تعال نرى موقفك من الدين؟! أين احترامك للدين؟ تراه يكتب مقالة يقول عدد المساجد في المملكة تفاقم، وانظري تفاقم! كأنه مرض وتفاقم!، ويقولوا كلام – الله المستعان – أنه بدل كل مسجدين اعملوا مستشفى!، ويضغط على زر لهم!، هذه المستشفى في القلوب لو صلح الناس فيها لن يحتاجوا المستشفيات التي في الخارج، هذا لو كان واحد عنده قلب، لو لم يكن عندك قلب ستقبل مثل هذا الكلام. يعني أجندة احترام التي على الدنيا ليس ليس هناك أبدًا ولا قريب منها احترام للدين، بل من شدة النفاق الذي نراه أنه يأتي يحترم دين النصراني ويطالب بحقوقه مثل ما يحصل في أنحاء العالم الإسلامي ولا يحترم المسلم!، أي يطالب أن يكون يوم الأحد إجازة في بعض الدول وفي نفس الوقت يطالب أن يكون صوت الآذان في المسجد إلى الداخل لا إلى الخارج، أقصد صوت الإقامة والصلاة إلى الداخل لا إلى الخارج، وهو نفسه من ينادي بهذا ينادي بهذا، يكتب في مقالة أنه حقوق ويجب، ومقالة أخرى أن هناك مرضى والمفروض لا تزعجونهم بالصلاة!، فهو الآن مظهرًا وكلامًا ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾[٥٩١] ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ يقول انا أشهد الله أني أريد مصلحتكم ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾[٥٩٢].

---

[٥٩١] المنافقون:٤

[٥٩٢] البقرة:٢٠٤

فالمهم مقصدي من هذا التقسيم أن تفهموا أنه ليس شرطًا أن يكون مستهزأ لأمور الدنيا فاقد لتعظيم الله عز وجل ومن ثمّ يقع في الأستهزاء بالدين، والعكس بالعكس، ليس كل من ظهر لك محترم للناس سيكون محترمًا للدين.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذه العواطف التي في القلب عواصف، السؤال يقول: هل يجوز لي أنه لو واحد استهزأ بالدين أمامي أقول له انت منافق؟ ليس هذه الطريقة، نحن نعالج القلوب بالهدوء، حتى المسألة تحتاج مني إلى تمييز، وكنت أريد أن أقول هذا الكلام، يحتاج مني أنه حتى لما يحصل أستهزاء للدين أن أعرف هذا المستهزأ سنه ومن أين ألتقط هذا الكلام وما تفكيره، ما رده على كلامي لما أكلمه، إلى أخره.

ومن أجل ذلك ما السبب الذي دعاه أن يكون مستهزأ؟ هذه العلّة مهمة، انتهينا الآن من المرضين، نأتي نقول لما تسمعوا هذا الكلام سيحصل منكم شعور أنه أنك تستهزأ إذن انت متكبر، انت تستهزأ إذن انت منافق، لابد من دراسة الداوفع، هذا الحكم العام أن المستهزأ إما متكبر وإما منافق، لكن ما الدوافع التي تدفع الناس لفعل هذا؟ هل فقط الكبر والنفاق؟! سنقول لابد من دراسة الحالة التي أمامي دراسة تتصل بدينها، بمكانتها الاجتماعية، بوقعها الاجتماعي، بشخصيتها، يعني كثير من المستهزأين اليوم تربوا على أن الاستهزاء وصف مدح، شخصية مرحة، لماذا مرحة؟ تُضحك القوم حولها، فهذا أول شيء من منشأ التربية هناك إشكال، يحتاج هذا الشخص أن يغير تفكيره، هو ليس متكبرًا وليس منافقًا إنما مصيبته في اعتقاده أن تصرفه هذا مرح، يعني سمى المصيبة بغير اسمها، الإفراز الخارجي والعمل الخارجي بغير اسمه.

هل لا ينقصه شيء الذي يعتبره مرح؟ لا ينقصه، هذا علته أنه غير معظم، هذه علته أنه ليس معظمًا، إذن كأن خرج معي دافع ثالث.

- عندي دافع الكبر يسبب الاستهزاء.
- عندي دافع النفاق يسبب الاستهزاء.

أما الكبر فيسبب في الغالب الاستهزاء بالدنيا وما يتبعها، النفاق يسبب الاستهزاء بالدين، **والمرح الاثنان معًا!**.

يعني الذي يتصور أن الاستهزاء مرحًا سيستهزأ بالدين وبالدنيا، في الدين وما يتبعه، وفي الدنيا وما يتبعها، فانت من جهة المرض تجدين أن هذا المرض — مرض عدم التعظيم — خرجت إفرازاته أكثر من النفاق والكفر، وربما مع كثرة تكرار مثل هذا يفقد الإنسان إيمانه، لماذا؟ ورد في الحديث: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لاَ يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ"، إذن أحيانًا لا نجد كبرًا ولا نجد نفاقًا فلابد أن نتصور هذا الدافع الجديد الذي هو عدم التعظيم.

قبل أن انتقل إلى التفاصيل أريد منكم أن تتصوروا ما العلاج، وطبعًا العلاج يعتمد على الدوافع، لو بدأنا بالشخصية المرحة لأنها أكثر شيء نواجهه خصوصا في الشابات الصغار، في الاستهزاء أكثر ما نواجهه سببه مجرد إضحاك الناس حولها، ماذا نفعل؟

العنصر الأول: لابد أن يقنن قانون وتحد حدود تبيِّن كيف يتحول المرح المحبوب إلى استهزاء مذموم، هم كل مشكلتهم الحد الفاصل بين المرح والاستهزاء ليس ظاهر في أذهانهم، يسكت له فيتمادوا، ثم يكبروا وقلوبهم قاسية على هذا الأمر، فلابد من المربين أن يضعوا قوانين: [إلى هنا يمنع الكلام، يمنع المزاح، هذا أمر لا يمزح فيه] هذا العنصر الأول.

والعنصر الثاني: مع تكرار تعظيم الله عز وجل وتعظيم كل ما يتصل بالدين، أي لابد أن يكون هناك برامج متخصصة لتعظيم الدين في قلوب الأبناء، وهذه في مرحلة غرس القيم، غرس القيم لو أريد اختصره سأقول لابد من غرس قيمتين في قلوب الأبناء:

▪ التعلق بالله والتعظيم هذه قيمة مع بعضها التعلق والتعظيم.

والقيمة الثانية: قيمة التعبد.

أي يتعلق ويعظم هذه قيمة ويتعبد هذه قيمة أخرى، ولذلك كان أحد المؤرخين يقول: وجدت مدنًا بلا مصانع، وبلا متاحف، وبلا وبلا..أشياء، ولكني لم أجد مدن بلا معابد، معنى ذلك أن قيمة التعبد من القيم العليا في حياة الإنسان، أي أنك تتعلق وتعظم الله لمعرفتك بصفاته طبعًا، ثم لابد أن تكون هناك قيمة التعبد، يجب أن يكون الصلاة لها مكان، قراءة القرآن يكون لها مكان، الصيام يكون له مكان، الحج هذا أمر أخر، الحرم شيء مختلف، المقصود هذه شعائر التعبدية، فانت عليك بالتعلق بالله وتعظيمه وعليك بتعظيم شعائره وهو التعبد.

إذن احتاج إلى خطين: خط أحتاج أحدد المرح أين حدّه، لأنهم دائمًا يقولون لك انتم معقدين ولا تريدوا الناس يكونوا مرحين، فماذا أفعل؟ أقبل المرح ويقابل قبولك للمرح المفروض حدّ له، فالحدّ هذا سيقوى وسيكون موجودًا كما ينبغي لما يكون في قلبي تعلق وتعظيم لله فيكون في قلبي تعظيم لشعائره.

انت ستقولين هذا سيحل مشكلة الاستهزاء بالدين لكن والدنيا؟ نقول حتى الدنيا سيعالجه تعظيم الله، لأن لما يستهزأوا بزميلتهم التي فيها عيب كذا وكذا، لابد أن يفهموا أن هذا الاستهزاء ليس بها إنما بخالقها، المفروض أن في هذا الموقف يحمدوا الله على أن فضلهم على كثير ممن خلق، يجب أن يفهموا أنه لو نقص منها هذا ربي ليس بظلام للعبيد، ينقص منها هذا ويعطيها أكمل منه في جهة أخرى، كل هذا من أجل أن يحصل التوازن، بمعنى أن حتى لما يعيب في الدنيا لا تفهمي أنه ليس له صلة بالدين بل يجب أن تفهم أن له صلة بالدين لابد، وانت لما تربيه أنه إذا أعبت الصنعة فقد أعبت الصانع، وأي كلمه ستقولها عن طول فلان أو عن شكل فلان أو عن تصرفات فلان يجب أن تعرف الله عز وجل قسم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم.

هذا الكلام الحقيقة نحن الكبار نحتاج أن نرجعه دائمًا، وتخرج منا فلتات لا تليق بنا، وخصوصًا طالب العلم، وخصوصًا حد المزاح ليس واضحًا عند طلاب العلم فقد أفقدهم كثير من هيبتهم، وأفقدهم كثير من زملائهم في الطلب، بل أفقدهم معاشرة الناس بالحسنى بسبب كثرة المزح، المزاح ليس له حد عندنا ومفتوح على مصرعيه، وأتصور المزح مثل الخمر يسكر عقول الداخلين فيه، يعني تكوني في مجلس كله مزاح تجد نفسك تتعدى وانت لا تشعر بنفسك، كأن عقلك ليس معك، أليس كذلك؟! هذه الحقيقة!، الواحد يُفتح له باب المرح أو المزاح وينسى الحدود ويسكر بالمجلس ثم يندم ندمًا شديدًا على الذي قاله والتعديات التي حصلت، ثم لو أحد فتح الباب الباقي سيلجون إليه ولوجًا وانظر كيف خطر تصرفك انت لو فتحت باب على أحد، ثم الباقي يلجون بسبب أنك فتحت باب المزاح في هذا الموضوع الذي لا يستحق هذا المزح، المشكلة أن زميلتك تقول لك لا أحب هذا المزح وتكوني كأنك لا تسمعين ولا تري!، لا تحبيه أنا أحبه! هكذا في تصورنا!، هذا ما يحدث!!، هذه قضية لا أدري ماذا أقول.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: إما إفراط أو تفريط، يا جماعة كونوا جامدين ولا يعرفوا يكلموا أحد وينفر الناس منهم إما جماعة تذهب كل الحدود ولا ينتبهوا، مثل هذا يحتاج منا إلى إعادة نظر.

فلنجعل هذا من مفردات فقه الدعوة نتناقش بوضوح في مسألة المزاح وحدوده، خصوصًا بينكم لأنك لا تتخيلي كيف الشيطان حريص على لحظات المزاح هذه فتكدر الخواطر وتخرج منها بنتيجة سلبية، لا نتيجة إيجابية، لأن في الغالب هذه المجالس ليس فيها ذكر لله، أو هذا المطلع من المجلس ليس فيه ذكر لله فتجد القوم يتفرقون وقلوبهم امتلأت شحناء بسبب المزاح!، وحتى كثير من

الأزواج والزوجات حصل بينهم وبين بعضهم من الفرقة بسبب كلمة تبدأ بالمزاح، والله أعلم ماذا في النفوس لكن المهم أن المزاح كان هو الوسيلة للوصول إلى الغرض.

ومن أجل ذلك أن حتى هذا المزاح يحتاج أن تعلم فيه ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ لأنك ممكن تريد أن تمزح وتريد أن توصل – وهذا واحد من الأخطاء التي أعتبرها من الجرائم في حق المجتمع، وهذا اعتقادي أنا والله أعلم أين الصواب – أننا إذا نريد نوصل موضوعًا جادًا فنضعها في قالب المزاح!، ولا تتصور شدة ألمه عندما ينزل على المستقبل، نحن نتصور أنه يخفف على المستقبل هو خفف عليك انت الكلام لكن على المستقبل لم يخففه بل زاده ثقلًا، وانت افعل مراجعة في حساباتك وسيتبيَّن لك.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: انت بعدما تعلمت على منهج السلف فهمت أنه ليس هذا الطريق ولا هذا الذي سيوصل، فهمت هذا يقينًا، وبدون تفاصيل أنت انظري آثار المخرجات تبيِّن لك المفردات.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: حكم المزاح جائز في حدود، وسيأتينا تفصيله لكن أريد الآن أن تفهموا أن الاستهزاء صورة خارجية لأمراض قلبية ومشاكل في الداخل وعدم وجود توزانات فأما يكون كبرًا وأما يكون نفاقًا وأما يكون عدم تعظيم، وعدم التعظيم كيف تظهر صورته؟ أنه يريد أن يكون شخصية مرحة ومقبولة فيأتي بكل مفهوم له قيمته عند الناس ويأخذه من جانب المزاح.

هذا مدخل وغدًا إن شاء الله نتناقش، ولازلت أريد منكم أن تكتبوا لي مفردات تريدون أن نناقشها في هذا البرنامج المفتوح برنامج فقه الدعوة، هذا برنامج سيكون ساعتان مفتوحتان لن نناقش المنهج بقدر ما نناقش مباحث في الدعوة، أي ندخل مداخل في الدعوة وأركانها ثم مباحث انتم تختارونها، اكتبوا لي اقتراحاتكم إلى غدًا أو اكتبوا اقترحاتكم على أول الفصل الدراسي ليس هناك مشكلة.

سنبدأ الآن في الآيات، المتن كله عبارة عن الآية التي في سورة التوبة وسبب نزولها.

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول وقول الله تعالي: (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ)[٥٩٣].

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ – دخل حديث بعضهم في بعض - : أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا ، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا ، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القرّاء. فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ . فَجَاءَ ذَلِكَ الرَجُل إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ نَقْطَعُ بِهِ عَنَّاء الطَّرِيقِ . فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : كَأَنِّي انظر إليه مُتَعَلِّقًا بِنَسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ! فَيَقُولُ لَهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيه.

واضح من سبب النزول القصة، نبدأ أولًا ننظر إلى وصف الأستهزاء الذي صدر من المنافقين، سنبدأ بسبب النزول.

[٥٩٣] التوبة:٦٥

الدليل الثاني.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ – دخل حديث بعضهم في بعض –:

يقصد أن الحديث مجموع من رواياتهم.

أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا

يقصد الذين يقرأون القرآن ويعرفون معانيه، يعني يصف القوم الذين هم أشد إيمانا، بماذا وصفهم؟

- "هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا":هذا كناية عن كثرة الأكل ومحبته.
- "وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ": اللقاء يقصد لقاء العدو، وفي الوسط "وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا".

معناه أن هذا الرجل وصف الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته بثلاثة وصوفات شنيعة وهو بها أجدر:

- الوصف الأول: "أَرْغَبَ بُطُونًا": حب الطعام.
- الوصف الثاني: "أَكْذَبَ أَلْسُنًا": لماذا سيكذبون؟ ليصلوا إلى مصالحهم، لما يوصف أحد بالكذب في الخبر أو الكذب في التعامل يعني أنه يريد أن يصل إلى مصالحه.
- الوصف الثالث: "أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ": أي وصفهم بأنهم جبناء.

واعلم أن هذه الثلاثة وصوفات أعظم معائب يتعالى عنها أهل الإيمان، يعني حب الطعام يشير إلى التعلق بالدنيا، الكذب باللسان يشير إلى التعلق بالدنيا، الجبن عند اللقاء يشير إلى التعلق بالدنيا، وهذا كان المقصود أن يصفونهم بالتعلق بالدنيا.

فانت الآن لابد أن تتصور أن وصفك انت كمؤمن لابد أن يكون بعيد عن التعلق بالدنيا، طبعًا وهم أجدر أهل النفاق أي أجدر بهذه الوصوفات.

كان بينهم رجل من أجلاء الصحابة وهو عوف ابن مالك رضي الله عنه فلما تكلموا بهذه الكلمة وسمعها منهم ماذا فعل؟ – لابد أن تفهموا هذا الشيء جيدًا – أنكر عليهم واعلن أنهم كذبة، أعلن كذبهم، وهذا الأمر لماذا يجب عليك أن تفهمه جيدًا؟ لأن أحد المشاركين في الاستهزاء الراضي عنه، وقد ورد في بعض النصوص في أسباب النزول أن هؤلاء كانوا ثلاثة؛ اثنان تكلموا وواحد ضحك، فترى الفرق بين عوف ابن مالك وبين هذا الذي ضحك، هو لم ينكر عليهم فقط وأعلن كذبهم إنما تعهد بأمر تعهد أن يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما قالوا.

وهذا أحد المسائل الشائكة عند كثير من طلبة العلم، وهو التفريق بين النصيحة والنميمة، سأذكر جملة مختصرة ثم نقارن بالتفصيل؛ الجملة المختصرة تقول:

ذكر أفعال الفساق لولاة الأمر ليردعوهم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا من باب الغيبة والنميمة.

الجملة واضحة لكن نأتي نقوم بعملية مقارنة من أجل أن لا يفتح الباب أيضًا على غيبة ونميمة وانت لا تشعر، سنتصور مكانًا من أجل أنه لما أقول لك ولاة الأمر تتخيل مباشرة الملك الوزير، لأ، فلنبقى في دائرة ضيقة فلنقل هذه مدرسة تحفيظ مثلًا، وإدراة أيان

كانت فيها مديرة وفيها معلمات وفيها طالبات، العلاقات الإنسانية في العادة تخلو من التقوى وإذا خلت من التقوى لابد أن يكون بديلها الهوى مباشرة، يعني لا تتصور أنه يمكن أن يكون بديلها النظام الإداري، لأ.

بمعنى أني عندي واحد من اختيارين لا ثالث لهما أما التقوى وأما الهوى في الحياة كلها، وأما في الإدراة فهذه لب الإدارة التقوى أو الهوى، عندنا قوانين طويلة عريضة من أجل أنه هناك هوى، وممكن القوانين من أجل هذا الذي عندي هوى معه تلغى كل القوانين وأتلاعب عليها واتحايل عليها، وأنفذها ظاهرًا وباطنًا لأ من أجل أن هناك هوى، لكن لما يكون هناك تقوى سيجري على الناس كلهم القانون وفيه مراعاة للمصالح العامة وليس مصالح الهوى.

معناها أن أول الأمر الفارق بين النصيحة والنميمة في جو أنك ترى أصلًا هذا الجو معتمد على الهوى أو معتمد على التقوى، يعني الآن في المدرسة وأحد يفعل شيء خطأ، وأنا عندي مديرة أو مثلًا نائبة عنها لكن الجو الذي أتواجد فيه وأراه بعيوني أن المسألة هوى، إن اخطأت سين وقع العقاب المضاعف، وإن اخطأت صاد كأنها ما فعلت شيئا، مثلًا، إذا القانون المتبع قانون هوى مباشرة سيصبح أي نقل نميمة.

يعني أعرف أن هذا المكان الحكم فيه للهوى فلنقل مثلًا انت المديرة الآن وعندك معلمات صاحبات لك وعندك معلمات لا تحبيهم، وهناك معلمات في الوسط لا هم هؤلاء ولا هم هؤلاء، وأنا مثلًا أحد المعلمات ورأيت على أحد المعلمات سوء وخطأ وأنا لا من هنا ولا من هنا، لو اتيت أكلمك عن معلمة انت أصلًا تحبيها وقلت لك هذا الكلام ماذا سيحصل؟ فسأنضم للفريق المعادي على هذ القانون، ولو قلت لك هذا الكلام على الفريق المعادي سيزداد العداء، ولو قلت لك على أحد في الفريق المحايد سيدخلني هذا في الفريق المعادي وينتهي الموضوع!.

هذا يحدث خصوصًا للناس الذين لهم ممارسات، حكم هوى من أقبلهم أخذهم، والذين لا أقبلهم أرفضهم، وانت تأتي بخبر يزيد الأمر خصوصًا الناس الذي أعاديهم، أو لو أنا مثلًا إداري واجعل أحد يتكلم عني فسأنقلب عليه، يعني وأنا إداري ليس عندي تقوى الآن فمرفوض أن يتكلم عني أحد، مع أني ممكن أن يكون لساني ناقد لكل أحد لكن أحد ينتقدني ممنوع، فانت تعرف أن مديرك هذا صنفه ومتبين لك من الأحوال ان هذا صنفه وانت أيضًا تتسارع بالحكم عليه أقصد من الأحوال التي تراها، النقل الذي سيحصل لن يكن نصيحة، سيكون أثره كالنميمة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أغلب الأحوال التي صورتها الحقيقة فقدان التقوى، نأتي بالعامل الأول لابد أن تُبنى الإدراة على التقوى لابد، إدراة التقوى تجعلك في جو صافي، وإدارة التقوى ليست موافقة هواك، فلنقل انت طالبة الآن ما إدراة التقوى؟ ليس موافقة لهواك إنما مخافة الله.

المقصد الآن متى ستكون هذه نصيحة؟ لما القوم الذين ستنقل إليهم الكلام تتأمل فيهم، وانت لا تكن متأكدًا طبعًا، فتتأمل فيهم أن يكون عندهم شيء من التقوى، يتقون الله لما ينقل إليهم الكلام، هذا أول شرط أن تكون البيئة بيئة تقوى، لا تكون البيئة بيئة هوى، لأن بيئة هوى مهما كنت انت تقي والكلام يصلها سيكون الحكم على الهوى.

يأتي السؤال كيف أفرق أن هذه بيئة تقوى من بيئة هوى؟ أكيد سيظهر، لكن نقول انت كن متذللًا منكسرًا لله، مستعينًا به، خائفًا من أن تأخذ تصرف خاطيء يفسد، فخوفك هذا يدل على تقواك، فإذا وقعت منك التقوى ستوفق أما أنك تتكلم وأما أنك تسكت.

ربما لا تستطيع أن تعرف إذا كان هذا الجو صحي أم ليس صحيًا الذين أمامك لكن أتكلم عنك في الداخل موقف مثل هذا الموقف الذي عشناه، موقف عوف مع المنافق مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: انت بعيده وتسمع كلام وماذا تريد أن تفعل؟.. يا الله هذه من أعظم المفسدات على الإطلاق، وهذا المفسد لا يدخل في باب النصيحة ولا بأي صورة، واحد من أهم الأخطاء التي تحصل أني خارج الجو ولا أدري عن أي شيء، ويأتي واحد يقول لي انت صاحبة فلانة تعال أحكي لك وأقول لك كذا وكذا واذهب انصحيها، هذا من أفسد انواع النصح – والله أعلم والله أعلم – أراه تحايل وكذب على النفس، إنما هذه فضيحة في صورة نصيحة!، تريد تنصح اتكلم بنفسك، لست قادرًا قل يارب وفقط انتهى الموضوع!

كنا نقول في دورة رياض أطفال أحيانًا تظهر بعض السلوكيات الشاذة الغير متصورة التي قد تتصل بالجنس من طفلة صغيرة، فالطفلة أمانة في عنقك، لا يحق لك أن تخرجي حتى للإدارة تقولي لها، إنما ابحث عن إستشارة إذا لا تفهمي الموضوع تبحث عن استشاري خارج الجو كله وتستشيريه، نحن عشنا موقف لا أعرف ماذا أسميه إلا أنه كان مأساه، هذه المشاورات واحدة تشاور واحدة إلى أن لف الموضوع والأم معلمة في أحد المدارس، وألتف الموضوع وذهب للأم أنه نحن نقول على أبنتها كذا وكذا، وهذا كله من المشاورات الفاسدة، هذه تشاور صاحبتها وصاحبتها تشاور فلانة وفلانة تشاور فلانة، هذه مشاورات الآن وليست نصيحة!، لا يحق لك!، لا يحق لك!، عيب أخاك أمانة في عنقك تعامله بالكتمان، أين هذه المشاعر؟! ليس هناك هذه المشاعر أصلًا.

اسألكم سؤال انتم كلكم تحفظون: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" انت تحب لنفسك هذا الأمر؟!، انت تحب لنفسك أنك تكون جالس في المجلس وكل من يجلس يعرف عيوبك وانت حتى مسكين لا تعرف عيوبك تقبل على نفسك هذا الأمر؟!، تعال وكلمني!، لو حامل همّ إيذائي أنا سأحزن أضعافه لما تكلم غيري!، لست قادرًا على مواجهتي وتشعر أني صعب وأني قاسي في تفكيري لا استطيع أن أفهم قل يارب، عندك الثلث الأخير من الليل، عندك بين الآذان والإقامة إذا كنت محبًا لي حقًا، لا أن تكون محبًا لي حقًا وتطلق لسانك!.

نحن غير متوازن الأمر عندنا، حتى النصيحة لا نعرف كيف ننصح بها، ولذلك في الغالب أنه لا نتائج إيجابية، والغالب أن أحد يأتي يقول – والغالب منكم بناتي – أن الناس لا يرضوا أن يقبلوا النصيحة، تعرف لماذا الناس لا يقبلون النصيحة؟ لأنك انت بنفسك لست ناصحًا!، هذا إذا ما كان في القلب شماتة، إذا ما كان في القلب شعور أنه لأ أنا لا أقع في مثل هذا، إذا ما كان أيضًا في القلب مشاعر أنه هذا من أجل أنك لم تتربى صحيح، بهذه الصورة اشمئزاز، كل هذه ستدفع ثمنها، كل هذه المشاعر التي مثل الخيط في قلبك ستدفع ثمنها، لا شيء يذهب، وانت تعرف ما معنى اسم الرب!. الله المستعان.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا الخطأ دائمًا، أني أعرف أن فلان يتقبل النصيحة من فلان، وأصلًا هذا ليس حكمًا، هذه مشاعره في لحظة وممكن تتغير، والناس ليسوا أغبياء، أنا لما تأتي تنصحيني على موقف أصلًا لم تحضريه أو تلمحي بالكلام ماذا سيكون موقفي؟! أكيد حكوا لك ومعنى أنهم حكوا لك معناه أنها أصبحت قصة، ومشاعر أنها أصبحت قصة تكفي أنها تحطمني وأن لا أقبل النصيحة.

اسألكم هذه المشاعر أليست في نفوسكم؟ إذن: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" ومن أجل ذلك من أول الكلام أقول لك هذه كذبة كبيرة ونوع من أنواع المخادعة للنفس أني أحكي لفلان لأن فلان يتقبل من فلان، لا تقدر تنصحه قل يارب، ثم انت لا تحسب حساب ردة فعله الآن لما تناصحه، لا تحسب ردة فعله الآن إنما أحسب حسابه ردة فعله بعد عشر سنوات ستراه لك حامدًا، ولا تفكر الآن في ردة فعله، ثم أن الحمدلله الأجهزة الجديدة لم تبقي لأحد شيء، تعرف ترسل رسائل من الكمبيوتر، وتعرف ترسل رسائل من النت، ارسل وقل ما تريد والحمدلله انتهى الموضوع ومن مجهول، ثم مثل هذا توصل مرادك من جهة وفي نفس الوقت تختفي انت من الصورة ويختفي من تكلم وينتفع هو بالكلام وانتهينا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: سأضع قانونًا الآن لك يا ناصح.

إذن نتكلم عن الفوارق بين النصيحة والنميمة:

- النصيحة ستعتمد على التقوى.
- والنميمة ستعتمد على الهوى.

ستعتمد النصيحة على التقوى من جهة بيئة المنصوح، البيئة للشخص الذي أتيت أنصحه أو أنقل إليه الكلام، بيئته أي هو مَن، الجو حوله هل تقوى؟!، طبعًا أنك تحكم على أحد أنه ليس تقوى أمر صعب لكن المقصود هذا ما تتأمله، في النميمة سيكون الهوى ظاهر في بيئة المنصوح، هذه التقوى وهذا الهوى من جهة البيئة.

سنرى الآن أيضًا الناصح، نرى تقواه من هواه.

كيف الناصح يكون تقيّ؟

- الناصح يريد الإصلاح هذا من تقواه، لابد أن يكون صادق في إرادة الإصلاح، لأن إرادة الإصلاح هذا ملبس فضفاض يلبسه كل أحد صادق وكذاب.
- وهناك صفة مهمة جدًا تكاد تكون جوهرية في كونك تكن ناصحًا أصلًا الذي هو حسن الظن وسوءه، يعني هناك ناس نفسياتهم مركبة على سوء الظن – فالحبة تصبح قبة – لماذا؟ لأن من يجلس معي خرجت مني كلمة جعلها قصة، ويقول والله لم أكن اتصورك في هذا الحال، وهكذا.

وانت تكوني جالسة مع مراهقة وهي مراهقة فماذا تنتظري من مراهقة!، وهذه حال المجتمع وهذا حال البنات وهذا وضعهم، وتأتي تكلمك كلام وانت تعرفين أنه لا كفر ولا شرك، حتى ليست من كبائر الذنوب، وحصل بينك وبين البنت كلام ونقاش ثم تذهبي إلى أمها – وانظري كيف الأسلوب وطبعًا هذا الأسلوب سيكون من آثار التقوى أو من آثار الهوى – فتقول أنا لم أكن أتصور أن ابنتك بهذه الصورة، الأم ستنتظر أن ابنتها وقعت في كبيرة من كبائر الذنوب، وبنتك فعلت وفعلت، يعني أقدم الشكوى وأقدم الحل، وأني تغير وجه نظري فيكم وهذا كله على أني أناصح!.

انت في هذا الموقف هذا ناصح أم متشمت؟ متشمت!، وأصلًا كل هذا الكلام الذي نقوله لو أنا مثلًا مستشار وهذه الحالات دائمًا تأتيني، تأتي الأم تقول لي جارة لنا ومعلمة عندكم أو معلمة مستقيمة وبنتي قالت هذا الكلام بنصه، وسألت بنتي قلت كذا قالت نعم، وسألت المعلمة هذا الكلام سمعتيه نعم، وهذه الهالة كلها على هذه الجملة من شخص أصلًا لا ينتظر منه إلا هذا؟!، كل هذا إشارة إلى أنك سيء الظن.

فسوء الظن واحد من العوامل الجوهرية التي تجعلك نامًا ولست ناصحًا، لأنك لا تعرف تقدر الأمور قدرها، فيعظم مسائل ممكن أن يغض الطرف عنها، ثم أقول لك وانت معلم تعلم المراهقين والأطفال سيد القوم المتغابي، فهناك أمور تغمض عينك عنها كأنك لا تراها، وتعلم أن قلبًا سيحمل التوحيد لابد أن ينبذ غيره، هكذا تفهم وتضع كل شيء في مكانه، ومقياس نجاح التربية عندك له أمر مختلف، لو نريد أن نتكلم عن الأنظمة والقوانين والآداب العامة سيكون أهل الكفر خيرًا من أهل الإسلام على ذلك!.

المقصود أن الناصح هو أكبر مشكلة عندنا في تحويل النصيحة إلى نميمة، ونحن لا ننكر المستقبل أيضًا، بيئته وهواه، يعني أقصد المنصوح الآن لما أأتي له بنصيحة ممكن يكون صاحب هوى، ممكن تكون أم وصاحبة هوى أأتي أنصحها فتحول نصيحتي إلى نميمة وتقول قالوا عنك ومعلماتك فعلوا وتركوا، تحولت من نصيحة إلى نميمة.

نأتي إلى الناصح والناصح عليه الثقل الأعلى من المنصوح:

- يحتاج أن يكون صادقًا في إرادة الإصلاح.
- يحتاج أن يكون حسن الظن بالموقف الذي يقابله.
- أيضًا يحتاج أن يكون حسن الظن في المنصوح، لأن كثيرًا تحصل مواقف ويكون الأم لابد أن تعلم والناصح يقول لأ لن أذهب أقول إلى هذه الأم، الأم لن تعرف تتصرف، فحصل سوء الظن فيها، كأني أرجع إلى الوراء اسيء الظن أقول هذه صاحبة هوى أصلًا، وانتبه تقول لها أو تنصحها أو تقول لها كذا، هي لما تقول لها لا تعرف ماذا تفعل وتفعل وتفعل، سوء الظن هذا الذي يحصل يسبب لك أنك تتحول من ناصح إلى فاضح أصلًا!، أي سوء الظن في المنصوح، لا تكلمه هو بنفسه بل ستدور تكلم الناس والمنصوح نفسه لا تكلمه، المفروض الأم، الأب، العائلة، المدير، لأ، لا تكلمه هو، إنما تحكي القصة لناس كثيرين وتفضح القضية وانت في تفكيرك أني لو قلت للمنصوح أي صاحب القصة سيكون ردة فعله ليس كما ينبغي.

اسألك لماذا ممكن تسيء الظن في المنصوح؟ لأن المرة الماضية لما جئت ونقلت له الكلام قام بردة فعل لحظية فحزن، عصب، فعل أي فعل فانت تقول هذا لا ينفع، نقول طبيعي!، يعني انت تأتي تحكي عن ابنتي –اسأل الله أن يحفظكم ويحفظ بناتنا أجمعين يارب – تحكي عنها وتريد أن ابتسم؟ أكيد سأحزن!، أكيد سيقع في قلبي غليان أكيد، لكن انت تعرف تميز فيما بعد ما سلوكه أصلًا.

ولذلك نقول لا تنفع النصيحة وواحد في الشرق وواحد في الغرب، يجب أن يكون الناصح من يحتك بي، هو من ينصحني، لا شخص في شرق الدنيا وشخص في غربها هو من ينصحه عن بُعد، ليس بهذه الصورة، يجب أن تكون قريب لتعرف أن هذا لو ذكرته بالله يتذكر، هذا التقيّ، ولو نبهته يتنبه، وانت تثق أنه يعرف يتصرف تصرف جيد، لكن انت رأيت منه أنه حزن وأن وقع في قلبه حزنه أو وقع منه غضب لا تريده يغضب والأكيد أنه سيحصل منه هذا الشيء، لكن أهم شيء ماذا تتصور لو ذكرته، يعني الآن أنا في موقف ووجدت شابة في كَبيرة، ليس أمرًا سهلًا، وهناك أسباب أدت إلى هذه الكبيرة، صحبة، الأم مثلًا مشغولة، مطلقة إلى أخر الأسباب، فاكتشفت الأمر، فتقول سأخذ البنت معي وأذهب للأم أقول لها اسمعي سأكلمك كلام وأخبرك خبر لكن يجب أن تفهمي أن هذا الخبر صاحبه يعامل على أنه مظلوم وليس ظالمًا، أنا أقدم لها أول الكلام، أن البنت لم تقع في مثل هذا إلا لأسباب ممن حولها مثلًا، فهي تعامل معاملة المظلوم وليس الظالم، من أجل أن أخفف وطأ المصيبة التي ستحصل أولًا

وأيضًا من أجل أن أخفف وطأة ردة الفعل، ثم أن الإنسان مادام لم يخرج من الدين فكل شيء يهون، ولو خرج من الدين أيضًا الباب مفتوح!.

فمصيبة كبيرة هونها لو تعرف أن الذي أمامك سيثور، هونها وأعطيها حجم، لا تأتي تقول لم أكن أتوقع منكم يا عائلة أنه يقع منكم كذا وأن بناتكم كذا، هذه شماتة وليست نصيحة بأي صورة، أي يجب أن تحسن الظن في نفس الأمر والذي يتكلم أمامك تعرف تعطي المشكلة حجمها، وأحيانًا تاتي مواقف أحد يقول أمس طوال الليل لم أنام وأفكر كيف أكلمك وفي النهاية يتضح أن الموضوع تافة لا يحتمل كل هذه المقدمة، فسيكون اسأت لم تحسن، أو تكون سيء الظن في نفس المنصوح، فتقول أنا أنصحه ولا يطلع بنتيجة ولا يتقبل مني لماذا؟ رأيت منه غضب، رأيت منه ردة فعل غير مناسبة فتستدير عنه وياليتك تسكت بل تستدير عنه وتلف في باقي الأماكن تتكلم، هذا الموضوع خطير وهو أكثر ما يوغر الصدور، تحدث مواقف بسيطة أنا أعظمها.

فلنفرض مثلًا؛ اننا كلنا لئمة واحدة [البغدادية والروضة والخالدية وإن شاء الله البوادي الآن] شيء واحد من جهة الإدراة ومن جهة الأهداف ومن جهة كل شيء، افترضي مثلًا جئت الآن هنا والإدارة قالت لكم يا بنات لا تخرجوا في الخارج في وقت خروج البنات أو لا تفعلوا كذا، فواحد يقول للأخر لا يريدونا، فكلمة تقال ثم هذه الكلمة تسري مثل النار ثم ينشق الصف بوَهم، بكلمة ألقاها الشيطان، وأقول لو نشرت هذه الكلمة كيف بك لما تخرجي وتنشري التوحيد؟! ولا تصلحي حتى تجلسي تكلم اثنان.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: انت المفروض تناصحيها، انت سمعت واحدة تقول لا يريدونا قولي لها لا تجعلي الشيطان يستولي عليك، نحن كلنا شيء واحد، كيف تأتي مثل هذه الكلمات، ثم أين شعورك أن المؤمنون اخوان، أين شعورك أنك تحب أن تدفع الشيطان عن أخاك، أين كل هذه المشاعر؟!، انتم تعرفون كيف انتم تفتحون جبهة الحساسية، حتى من ليس بحساس يجد الناس كلهم حساسين أصبح مثلهم.

انتم ترون – ويؤسفني أن أقول هذا الكلام – عمومًا الشابات يرون الحساسية صفة مدح، والحساسية مرض من الأمراض النفسية التي يعالج الإنسان منها، يعني لو وصلت إلى درجة معينة من الحساسية ستصل إلى ما يسمى بالعزلة، المقصود العزلة الشعورية، تعرف كيف تصبح أصم؟ ما يسموه بالصمم المعنوي، أعمى عمى معنوي، ليس هناك أي شيء يقنعك بعد ذلك، هذا يحصل في البيوت غالبًا لما يحدث إنفصال بين الأم وأبنائها، أقول أمك تقول كلام طيب وأمك تعاملك طيب وما المأساة كلها التي كنت تحكي عنها؟!، وطبعًا في المدارس من هذا كثير، تأتي البنت تحكي عن أهلها مأساة ثم في أقل مقابلة تجد أن المأساة هذه كلها وهم، لماذا؟ يعيش بما يسمى بالعزلة الشعورية، الصمم المعنوي، العمى المعنوي، لا ترى أي تصرف صح ولا تسمع أي كلمة طيبة، لماذا؟ ألتقطت لها في أول الأمر أربع خمس كلمات مؤذية، أحاطت بعقلها، عزلت نفسها وانتهى الموضوع.

أقول لكم بناتي إذا كانت هذه مشاعركم لن تصلحوا لمواجهة الناس ولا للتعامل معهم ولا لنشر التوحيد ولا لإدراة النفوس المختلفة، ولا لأي شيء، أي ثغرة ستسدها؟! انت حتى زوج وأبناء لا تعرف تتعامل معهم، ولذلك لماذا نسبة الطلاق ترتفع بهذا الأرتفاع العظيم مرة واحدة؟ نحن بتعبيرنا الآن نقول ليس هناك صبر، وبالتعبير الخاص مرض العزلة الشعورية، ويجب أن يكون كل الكلام منظومة محبة، منظومة كلام طيب، وإلا قل كلمة واحدة خطأ أو انتقد لي عملًا ممنوع، يجب أن تحبني وتحملني على رأسك ولا تقول لي أي كلمة، ولا يكون هناك شيء يؤذيني طوال الطريق وإلا لن أجلس لك، بهذه الصورة، وهذه التصرفات بيننا وبين بعض، يجب

أن تفهموا أن هذه المشكلة كأن أمرًا عظيمًا وجبلًا وقع عليك، هذا وصفها، ثم لما تأتي تحللي ابحثوا لي ما المشكلة؟ فنفتش نجد ولا شيء، أين المشكلة؟ قلبي يحس فقط!، هذا هو الواقع، الله المستعان.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: تسمعون هذه القصة؟ أنا الآن أمام الأم والبنت، الأم ترى ابنتها على جهة من الكمبيوتر تكتب والله أعلم ماذا تكتب، الحمدلله لا تتفرج على تلفاز ولا أفلام، هكذا الأم في تفكيرها، ولا تتكلم في التليفون، وانتهت هذه المشاكل ولا تتخيل الصورة الجديدة، أنا الآن في موقف لو قلت لها انظري تعرفون ماذا ستفعل بها البنت، فنجعل هذا الموقف يمر ثم نقول لها – وليس على ابنتها – أن الأجهزة كذا وكذا وتفعل كذا وكذا وتعال أعلمك، لا بأس انت تقولي هذا لتصل المعلومات، هي ستقول لا أريد أن أرى أنا ما أدراني، وأنا لا أعرف، لا بأس، تقولي لها من هنا أقدر أكلم صحباتي وكثير من البنات استخدموا هذه الوسيلة ليوصلوا إلى الشباب، وليس لي علاقة بأبنتها.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: قاعدة عامة: واحد لا يعرف أن هذا يوصل إلى هذا فقط أشير إليه ثم أطلب من الله أن ينير بصيرته، وإذا كنت صادقة اطلبي من الله أن يكشف عنها الغمّة بعدما تشيري لها إشارة، فقط قل يارب فيكشف الله الغمّة، ويرد هذه البنت.

وأحيانًا أحاول أكشف الموضوع أكشف الموضوع ولا يكشف، كأنه ستر محكم، والحقيقة لما كنت مساعدة عشت هذه المواقف، أني أأتي بالأم عندي في المكتب وأريد أكلمها من بداية الكلام أنه وجدنا ابنتك كذا وكذا، فتدخل من الباب معلمة فتقول أم فلان الحمدلله أنك أتيتي تعال أحكي لك ماذا حدث في الحصة فابنتك تركت الفصل، فتحكي لها كل القصة على أن ابنتها تركت الفصل وشاغبت، والأم بعدما تُنهي معها الكلام تقول جزاكم الله خير سأنتبه لابنتي وتذهب، على بالها أن هذه هي القصة وتذهب!، فليس عندي الجرأة انتهى، لا أقدر أتكلم ولا كلمة، انه حصل هذا الموقف لتبقى البنت مستور عليها، هناك مواقف بهذا الشكل، ترى أن الله عز وجل ستر عليها سترًا محكمًا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: انت افعلي ما عليك، وقلت لك من أول القصة ماذا ستفعلي، أنك تنبهيها أن هذه وسيلة وفي نفس الوقت تدعو أن الله يكشف الغمّة، يمكن أن تناصح لا بأس، يمكن أن تناصحي لكن انت تعرفي أن الشابات غالبًا في هذ العمر، وانت ذات قرابة فلما تكوني ذات قرابة وذات صلة ولك علاقة دائمة يخشى – وهم طبعًا عندهم فن – ممكن تدور عليك الموقف وأنك كذا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: انت ابحثي في البيئة ما يشير إليها، وادعي، اطلبي من الله، ليست دائمًا المواجهة هي الحل، اطلبي من الله أن تسددوا، انت تريدي تنصحي وصادقة وفي قلبك حرارة اسألي الله أن يسبب لك الأسباب أن تصل نصيحتك لابد من الاستعانة والطلب من الله.

القضية في التفريق بين التقوى والهوى في كل هذا، ماذا تريد هل انت متقيّ الله وفكرت مائة مرة أن الله سيرضى عليك أم لن يرضى بهذا الكلام، وهل هذا الكلام هذا الكلام الذي ستقوله جاء بعد اعطاء المعاذير وحسن الظن أم لا.

القاعدة عندكم واضحة؛ **فعل أفعال الفساق لولاة الأمر ليردعوهم لن يكون نميمة إنما هو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

ذهب الصحابي رضي الله عنه ليخبر الرسول بكلامهم، وهنا ستقولين أختلفت الروايات، يعني ماذا حدث هنا؟ اختلفت الروايات، لكن الرواية المنقولة لنا أن القرآن سبقه، أي بلغ النبي صلى الله عليه وسلم الخبر بإستهزائهم، وهذا إشارة إلى أن الأمر عظيم لدرجة أنه ينزل فيه قرآن يتلى، أي حصلت أحداث كثيرة من المنافقين وبلغ الحال أنهم أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم، بلغ الحال أنهم قتلوا أحد من الصحابة مع اليهود المقصود، أحداث كثيرة حصلت مع المنافقين ومع ذلك لم ينزل فيها قرآن يتلى!، لماذا هذه الحادثة ينزل فيها قرآن يتلى؟ دلالة على عظيم شأن الأمر، دلالة على عظيم شأن الجريمة، ولذلك انظري الآية كيف ختمت، سنكمل ثم نرى كيف ختمت الآية.

نرى فعل الرجل بعد ذلك؛ أي المنافق ماذا فعل؟ بعد هذه المقالة أرتحل النبي صلى الله عليه وسلم وأمر الجيش بالرحلة، فجاء ذلك الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصار ممسكًا بحبل ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا من المبالغة في الاعتذار، والرسول مسرع في سيره وأرجل هذا الرجل تضرب الحجارة، ماذا يقول الرجل؟ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ نَقْطَعُ بِهِ عَنَّاء الطَّرِيقَ" يقطعون بهذا الحديث الذي فيه الاستهزاء يقطعون عناء الطريق، أي أنهم لم يقصدوا حقيقة الاستهزاء، هذا عذرهم، إنما قصدوا الخوض واللعب وترويح النفس ليسهل عليهم السفر، هذا عذرهم.

ما موقف النبي صلى الله عليه وسلم منهم؟ لم يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم لما يقوله المنافق، وصار لا يزيد على قول الله عز وجل ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ إذن لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم عذره الباطل، لأن هذه الأمور لا يدخلها الخوض واللعب، إنما الواجب التعظيم.

فإذا كان هذا الكلام الذي هو استهزاء هذا حكمه أي هم استهزأوا بالرسول والصحابة فما بالنا بمن يسبّ الصحابة؟!، إذا كان استهزاء وكان ليس مقصدهم الحقيقة وانظري ما موقف الرسول منهم أنه لم يلتفت إليهم ولم يكلمهم ولم يزد على أن يقول صلى الله عليه وسلم ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ لم يزد على ذلك ولم يلتفت إليهم هذا دليل على شدة بغض النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الحالة ولهذا الرجل، طبعًا بغضه لنفاقه، يعني الذي يسبّ الصحابة مازحًا يكفر، فكيف الذي يسبهم ويشتمهم جادًا وقاصدًا؟!، كيف القلوب ترضى موافقتهم؟!.

ولذلك ترى أن هذا الأمر ليس في قلوبنا حرارة له، ونستعجب كيف لا يكون في قلبك حرارة ضدّ من يسبّ الصحابة! من يتقرب إلى الله بسبهم، من يخطب خطبته في كل جمعة بلعن أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه، ومن يتهم عائشة في عرضها، كيف في القلب برود تجاه هذا!، إلا أن – والله هذا أمر مؤسف – إلا أن أهل السنة بردت قلوبهم وأهل البدعة أشتعلت قلوبهم بالبدعة.

هم في حرص شديد على أن يغذوا بهذا الكلام أطفالهم، تحكي لي أحد الأخوات في دول الخليج تقول كنت في موقف سيارات، كانت تدخل تريد أن تأخذ سيارتها من مبنى كبير، فوجدت طفلة تبكي، فقالت لها ما بك؟ قالت عائشة – رضي الله عنها – عائشة أخذت حلاوتي!، أمر عجيب فتركتها، ثم بعد فترة تبيَّن لها أن كثير من هؤلاء وخصوصًا مع علاقتهم مع أهل السنة فلابد أن يربوهم من أجل أن يميزوهم يربوهم على البغض منذ الطفولة، فماذا تفعل؟ تقول ظهر لها بعد ذلك أن الأمهات يضعن حلوى تحت مخدة الطفل لما يأتي بنام، يقول هذه حلاوتك لما تصبح الصباح تأكلها، ثم يحملوها، فلما يقوم من النوم أين الحلوى؟ يقول عائشة أخذتها، والطفل الصغير مازال لا يدرك، فهذا معناه أنها كانت تنزل من بيتها أو تنزل إلى المدرسة تبكي على حلواها التي لما

جائت تعبر عنها أن عائشة أخذتها!!!، انظري كيف تعميق البغض وتمريره في الدم، يمرروا بغض الصحابة في دمائهم، ونحن في المقابل يكلمونا عن التقريب!، لكن اللّوم على من؟! على أهل السنة.

في موقف أكثر من عشرين سنة له في الحرم المدني، سنية ورافضية، الرافضية تفهم، تقول للسنية ديننا غير دينكم، السنية تقول والله لا أدري، الرافضية تقول للسنية صلاتنا غير صلاتنا تقول لها والله لا أدري، آذاننا غير آذانكم، لا أدري، كله لا أدري، في النهاية لما نطقت السنية ماذا قالت؟ قالت والله لا أدري إذا كان دينكم الذي صح أم ديننا!!! هذا الذي نطقت به ماذا تقول!.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: مثل هذا قفي معهم عن النقاش اتركيهم، مثل هذا ليس نقاش علمي، لأنه معروف في كتبهم واذهبي قريبًا وليس بعيد وهو حتى أمر غير مخفي فقط ضعي قدمك خارج المملكة وستري ثم أن لهم أماكن معروفة ومساجد معروفة أذهبي وضعي قدمك في واحد من المساجد وستسمعي ماذا تقولين، لا يحتاج، مثل هذا ليس نقاشًا علميًا هذا نقاش تسلخ وتهرب، هذا ليس كلام حليم، المقصود هذا من اعتقادهم الثابت الذي يكتبونه ويتكلموا به ويعلنونه في الإذاعات أي ليس شيء مخفي من أجل أن نقول أن هذا يدور، فاتركيه، وأقصد أنه مادام بدأ النقاش هكذا اتركيها مباشرة لا يحتاج نقاش، لأنه أمر معروف وهم يقرونه وفي أي خطبة تسمعينها ستجدي هذا الكلام، وهم يفاوتوا بين الدول وليس في كل الدول يتعاملوا بنفس المعاملة لكن بأبسط شيء نستطيع أن نأتي، ثم أليس لهم قنوات؟ افتح قنواتهم واسمعي ما يقولون، ويكفي يوم عاشوراء اتفرجوا عليهم ماذا يقولون.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: المسألة تحتاج إلى توازن، على كل حال انت ولائك وبرائك مبني على علمك، وعلمك في هذا الأمر ضعيف، انت تكره الذي يحمل هذا الفكر.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: كيف يكون الرد عليهم؟ ليس مسؤوليتك الرد عليهم أبدًا!، ليس مسؤوليتكم أبدًا، ولا تتصوروا أن مسؤوليتكم الرد عليهم، مثل هذا مثل الحرباء، تعرفي الحرباء كيف تتلون؟! هؤلاء أشد خطرًا منهم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: لا بأس المهم أن يكون عندك في داخلك براءة وعدم رضا عنهم، نحن الآن نخاف من مسألة الإنسلاخ من هذه المشاعر ويصبح في القلب رضا، هذا كله يحتاج أن تدرس الولاء والبراء.

على كل حال نحن لازلنا في حمى منهم، لكن هذا الحمى لن يدوم ولن يطول، ومن الخيرات في الحرب التي حصلت في جنوب المملكة، من خيراتها أنها تحولت المشاعر إلى البغض، هذا من خيراتها، أنكم لا تعرفوا إلى أي درجة خير هذه الحرب، لأن عرف الناس كانوا مغمضين لعيونهم فكان الخير الكثير أتانا من وراء هذا، أنه على الأقل لما يأتي أحد يقول هؤلاء الذين يتكلموا عنهم وماذا فعلوا وماذا فعلوا وماذا يريدون أن يفعلون وانظر إلى خططهم المستقبلية، وما شاء الله من شمال الأرض إلى جنوبها يتعاونوا من أجل شدة بغضهم لأهل السنة ثم بعد ذلك يهددوا أيضًا، أنه سنفعل وسنفعل، الله المستعان.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: انت تعرفي أنه في ألمانيا لا يدعو إلى الله إلا الروافض، وهذه سياستهم طبعًا، من أجل ذلك نحن نقول لو ذهب من قلوبنا حب الصحابة ومكانتهم سيستطيعون أن يدخلوا إلينا، لكن لو بقي في قلوبنا حب الصحابة ومكانتهم واعتبار أن الأستهزاء بهم كفر ماذا سيكون الأمر؟ أنه سيكون هناك حائط نصدهم به.

أقول لك لابد أن تفهم الفرق بين حكم المسألة والحكم على المعين هذه قاعدة مفهومة عندكم، لما أقول لك الاستهزاء كفر ليس له علاقة بالمعين يعني لا أن يستهزأ أحد فتقولي له انت كافر!، لازلت أنبهكم، واخشى أن تذهب عن عقولكم، اتفقنا سابقًا أن هناك

فرق بين الحكم على المسألة والحكم على المعين، الحكم على المسألة على عمومها، وهذا أكثر ما يشكل على طلبة العلم، لأن كثير من يسمع عن الروافض وانتم لا تشعروا بهذه المسألة لكن من يصاحب ويجاور يقول هم ناس طيبين، هم كأشخاص، هذا نفسه بالنسبة لبعض الدول عن النصارى أيضًا، مع الفارق طبعًا، نقول انت لما تسمع الكلام عن النصارى ولما تسمع الكلام عن الروافض افهم أننا نتكلم عن المسألة نفسها، المسألة نفسها والفكر نفسه يعتبر في ثناياه كفر، لكن هل من تلبسه يعذر أو لا يعذر هذا أمر أخر تمامًا، وهذا اسمه الحكم على المعين، الحكم على المعين حالته مختلفة، إنما الكلام عن الحكم العام.

تريدوا أن تستزيدوا من هذا اذهبوا إلى الكتب التي تتكلم عن الردة وعن النواقض، يعني اكتب أن من يستعمل السحر كافر، ويأتي واحد أمامك يستعمل السحر ماذا ستفعلين معه؟ هذا يحتاج إلى نقاش طويل قبل أن يحكم عليه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: فرق بين أن تبغضيه وبين أن تحكمي عليه بالكفر، أنا أتكلم الآن عن حكم المعين بالكفر، أما الكفر هذا لابد منه، لا تختلط عليكم المسألة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا السؤال ختامه مسك، هذا هو أول الكلام أننا لا ندري أين نحن ولا من هم هؤلاء وما الوضع ولا ماذا يحملون، فمعناه هذا يستلزم منكم جهدًا من أجل أن تصلوا، لكن لننظم لكم الموضوع من أجل أن تسيروا على طريق صحيح.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا من أبطل الباطل، ممنوع، ورد عن بعض السلف أنه في مجلسه دخل عليهم .. يتكلم فوضع يديه في أذنيه وأمر ابنه أن يضع يديه في أذنيه وقال له قلبك ضعيف، أي أن قلبك ضعيف وممكن البدعة تدخل إلى قلبك وانت لا تشعر، وتشعر بالرضا عنهم، أي أنهم في يوم عاشوراء في بعض قنواتهم يمثلوا تمثيلًا، هم استخدموا كل الأساليب الموصلة، فيمثلوا تمثيلًا، فأخت تحكي تقول لي أتوا بكأنه محاكمة وأتوا بشخصية اعتبروها الطبري صاحب التاريخ الكبير وصاحب التفسير، على أن الطبري يحاكم الصحابة الذين قتلوا الحسين، وتقول لما رأيت هذا المنظر لم أكمل الكلام، فتقول إلى الآن أشعر في قلبي أنه كلما أسمع كلمة الطبري أشعر في قلبي أن في تاريخ الطبري كلام يدل على صحة الروافض، انظري منظر بسيط لم يأخذ ثواني لكن هذا ما وقع في القلب.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: يوصلك إلى مشاعر أن الحسين أفضل من الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يحتاج تحكي المهم المقصد بلغناه، على كل حال حتى الطبري لما نقل في تاريخه نقل أمور، لكن انت تعرفي أن السند قصة أهل السنة، وكثير من المسائل التي نقلت أسانيدها ضعيفة وسترد، إذا هم في القرآن يعتقدون أننا لفقنا وتركنا وابتدعنا.

ما أثر هذه المقولة على صاحبها؟[٥٩٤] هذه المقولة سبب لوقوع صاحبها في الكفر، ما دليلنا؟ قوله سبحانه وتعالى ﴿ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وهذا معناه أن الإيمان الضعيف يأتي عليه ما يزيله، أي واحد يكون إيمانه ضعيف فيقول كلمة تزيل هذا الإيمان.

لماذا الاستهزاء مزيل للإيمان؟ لأن العبادة مبنية على الذل والذل له ركنان: التعظيم مع المحبة، والاستهزاء ينقض التعظيم.

[٥٩٤] مقولة "إنما كنا نخوض ونلعب" الحديث.

نعود الآن إلى الأوصاف التي اتهموا بها أهل الإيمان، نحن نقول: "هم أحق بها" لما نقول هذه الجملة، نقول كيف أن أهل النفاق أحق بهذه الأوصاف.

- الوصف الأول: نبدأ بـ "أَرْغَبَ بُطُونًا" ، المنافقون والكفار أكثر الناس أكلا، ورد في الحديث: "الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ وَالْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ"، هذا الحديث له قصة أن رجلا كافرًا من البادية أتى فضافه النبي صلى الله عليه وسلم، فحلبوا له من الضرع مرة وشرب وثانية شرب وثالثة شرب، سبع مرات، ثم بات فأصبح مسلمًا، فثاني يوم شرب مرة واحدة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ وَالْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ"، فهم أرغب بطونا وهم بهذا الوصف أحق.
- الوصف الثاني: نأتي إلى الكذب؛ والصحابة والأتقياء هم أصدق الناس كما وصفهم الله عز وجل في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ ما حالهم؟ ﴿ وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٥٩٥] وانت تعلم يقينًا أن الله حكيم رزق نبيه بالصادقين، ثم أهل النفاق وصفوا بالكذب، في أول سورة المنافقون ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.
- الوصف الثالث: الجبن؛ وانت تعلم أن الصحابة أشجع الأمّة، وترى في تاريخهم صور من ذلك في الجهاد في سبيل الله، في مقابل أن المنافقين من أجبن الناس وتنخلع قلوبهم عند لقاء العدو، والله عز وجل قال في وصفهم: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾.

الدليل الأول.

انتهينا الآن من سبب النزول، ننظر إلى الآية.

وقول الله تعالي: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾[٥٩٦].

لكن أريد منكم أن تنظروا إلى الآية وسياقها من مصاحفكم، آية ٦٥ من سورة التوبة، احتاج ما قبلها وما بعدها أي قراءة ٦٤ و٦٥ و٦٦.

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

انظري علاقة آية ٦٥ بـ ٦٤، ماذا قال الله عز وجل في أخر ٦٤؟ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ لابد أن يخرج ما في القلوب، أي لو وجد في القلب استهزاء وعدم تعظيم لابد أن يخرج، كيف سيخرج؟ خرج بموقف مثل هذا الموقف الذي قرأناه في سبب النزول فاجيب عليهم بعد ما وقع الحدث وخرج، أي الحالة التي وصفت لك في سبب النزول كيف تفهمينها؟ ستقولين لماذا حدث هذا الحدث؟ أن الله عز وجل هيأ السبب لإخراج ما في القلب، لأنك ممكن تقولي صحيح أنه وقع منهم زلة لسان، ممكن تقولين هذا الكلام، ممكن أن تقولين في خاطرك زلة لسان فيكفروا بها؟!!، من أجل ذلك لابد أن تفهمي السياق، هي ليست زلة لسان هي تهيأة أحوال من أجل أن يخرج ما في قلبه، وسترى هنا شاهدًا لتربية الله عجيب، نكمل الآيات من أجل أن تفهم، واتفقنا الآن أن

[٥٩٥] الحشر:٨

[٥٩٦] التوبة:٦٥

هذه الكلمة التي خرجت وهذا الظرف الذي كانوا فيه وهذا الحدث الذي حصل كله لأن الله عز وجل من فعله سبحانه وتعالى في تربية عباده أنه يخرج ما قام في قلوبهم وخصوصًا الأمراض، انت تسألي لماذا يخرج الأمراض أليس معاملة الله لخلقه مبنية على الستر؟ نقول لأ سترى الآن النفع الذي ستجده انت من خروج هذا المرض، وهذه الآيات تصلح شاهدًا على مسألة تربية الله.

بعدها قرر ما عذرهم الذي سيعتذرونه وقتما سيخرج ما في قلوبهم، وانظر إلى التسلسل: معناه أن مرضًا يكون في القلب يهيأ له الظروف من أجل أن يظهر إلى الخارج فيستعمل الإنسان أسلوب التبرير، أي يخرج المرض إلى الخارج فيبرر لنفسه، نحن نقول الحمدلله أن بيَّن لنا الأمور، لابد أن تبقوا لاهجين بالحمد، لأن فهم هذه المسائل الدقيقة يغير الحياة، يغير تفكيرك، يغير أسلوب تعاملك.

فذكر هنا ما هو عذرهم ثم ماذا حصل؟ ثم قال لا تعتذروا، أي لا تستعملوا أسلوب الاعتذار قد كفرتم بعد ايمانكم ثم قيل ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ طائفة ممن؟ منكم، وفي مقابلها ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ وتأتي نعفو، قيل أن هذا الذي ضحك تاب توبة نصوح فعامله الله بالعفو.

في سلسلة التربية ماذا تفهم؟ لو أريد أنظر لهذه الآيات الثلاثة على أنها تربية ماذا تفهم؟ فقط إلى نعفو لا أن نعذب، إنما فقط نعفو ماذا ستقول؟ أول الأمر مرض في القلب وهيأت الظروف لإخراجه وهذا أعجب ما يكون، لأن ممكن الإنسان يسير في حياته ولا يعرف أنه مريض، فهيأت الظروف لإخراجه فسيحصل تبرير واعتذار.

ثم ينقسم الناس هنا إلى قسمين:

- واحد صادق يرى أن المرض الذي خرج منه يحتاج إلى علاج، إلى توبة وعودة وصدق.
- وواحد يكون كاذب، يصرّ على مرضه ويبقى يبرر.

إذن انت فهمت أن هذا من تمام رحمة الله أن يخرج ما قام في القلب على فلتات اللسان وأن تجد حولك من يلومك، لأنه ممكن لا يلومك لكن ينظر إليك نظرة بمعنى أنه أنا لم أكن انتظر منك هذا الكلام، ثم هذه النظرة تؤثر في قلبك فتفكر في نفسك أنه لأ أنا معذور، أصلًا هؤلاء خدم لا ينفع معهم إلا هذه المعاملة مثلًا، تأتي تكون في الحرم ثم وبدون ضغط شديد تقول لأ لا نجلس بجانب هؤلاء، لا أحب أن أجلس بجانب هذه الجنسية، كلمة فقط تخرج!.

ثم يقال لك انتبه هذا كِبر، تقول لا ليس قصدي أن أتكبر، وتخرج خريطة من الأعذار، ثم تصفو مع نفسك لوحدك بعيدًا عن هذا الذي يلّومك إن كنت صادقًا تعد، وإن كنت كاذبًا ستستمر والمرة القادمة ستأتي تسأل أحد وانت من أجل أن تزيد تبرأة نفسك تذهب على أحد يزيدك تبرأه، فتأتي عند أحد محترم عندك طالب علم، أم، أب، إلى أخره، تقول لما أجد أحد أشعر أني لا أركز في الصلاة لو جلست بجانبه – من هذا الكلام الذي نقوله إلى أنفسنا – ثم بعدت عنه وذهبت إلى الأمام فأصبح متكبرة؟!، وطبعًا يجب أن أوصف وصف من أجل أن أأتي لنفسي وصف وأجعل أحد يعذرني أأتي بكلام مرتب، وأأتي بشواهد أيضًا ممكن أي ادلة، وأن الله طيب ويحب الطيب إلى أخر هذا الكلام، أنا كطالب علم أكلمه سأقول له صح كلامك إذن صح كلامي الحمدلله وانتهى ويطير به!!، ويصبح هذا المرض تحت الأعذار، أنا مريض لكن لا أشعر، ماتت المساحة الشعورية عندي، ويأتي مرض أخر ويخرجه الله وأتعذر له إلى أن تنقلب القلوب إلى قلبان أسود وأبيض!.

لذلك لما تنظر إلى هذه الآيات لا تستطيع إلا أن تلهج بالحمد له وحده لا شريك له الحمدلله الحمدلله الحمدلله أن علمنا وبيَّن لنا كيف نعيش، ومقاييس دقيقة ربي عاملك على ما قام في قلبك، ربي يخرج في فلتات لسانك ما قام في قلبك، وأحيانًا لا تشعر أنك مريض فيخرج وتسمع نفسك وأول من يسمع صوتك نفسك، أذنك أول من تسمع، ثم تلوم نفسك أو يلومك أحد، ثم تتعذر لنفسك أو تتعذر لأحد، أو تصفو فتعود من جديد فتعدل، أي تكتشف أنك مريض وتعدل.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ليس شرطًا كل الناس يمروا بالتبرير، كلما زدت إيمانًا كلما أنخفض تبريرك.

لكن اسألكم ألا تشعروا أن هذه المسألة تعدل تفكيرنا؟ ألا تشعروا أنها شيء مهم؟ يعني لما تجدوا هذه الآيات وانت طوال عمرك تريد أن تفهم أحد هذه المعلومة فلما تجد الآيات تفرح بها، تفرح أنك توصل هذه المعلومة بوضوح أن الله يخرج هذه الفلتات على لسانك، ثم كثير من الناس يتعذرون ثم ينقسم الناس إلى قسمين واحد يعفى عنه وواحد يعذب على حسب ما قام في قلبه وعلى حسب ردة فعله بعد ذلك، كما ورد في بعض النصوص كانوا ثلاثة إثنان تكلموا والثالث ضحك، اثنان بقوا على حالهم وواحد تاب وعاد، وإذا أردت أن ترجع فارجع إلى التفاسير تجدين كلام أهل العلم ابحث عنه، فاستشهدوا بهذه الآيات في بيان الصدق مع النفس، وكيف أن الله عز وجل يربيك، أي أنك تشرح اسم الرب تحتاج مثل هذه الآيات، انت تشرح الصدق تحتاج مثل هذه الآيات.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: أنا لا أكلمك عن الحكم من الخارج، هناك كلام لا يحتمل، يعني حب المسلمين مثل هذا الموقف الذي أكلمك عنه في الحرم، دائمًا يحصل هذا الموقف أن الناس يشمئزوا من اخوانهم.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: على قاعدة حسن الظن ليس الحق أن واحد يقول أي كلمة فأشرق به وأغرب، أنا أتكلم عن الشيء الذي لا يحتمل إلا هذا التفسير، حتى هذه المواقف تحصل في الحرم، هناك ناس أصلًا لا يفهمون فمباشرة نقول لهم ينتبهوا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: آية محمد وآية التوبة مرتبطة ببعضها تمامًا، يعني لو شرحتي هنا آية محمد ستشرحيها بهذه الآيات، آية محمد ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: اعطوا أنفسكم فرصة تفكروا ولا تستعجلوا لأن المستقبل هو من سيكتشف، في هذه الحالة نقول أن هذا مختلف، في هذه الحالة نقول أن هنا لك قريب وستعتذر ..

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هناك حالات لا تحتمل، تعرفون الحالات التي لا تحتمل؟ .هذه الحالة، على كل حال نرجع إلى الوراء ونعتمد قاعدة من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، نهتم بهذه القاعدة واجعل الأمر هو الذي سينزل عليك ليس انت التي ترسليه، يعني اجعل الموقف ينزل عليك انت أي يأتي أحد يقول لك هذا الموقف بهذا الشكل فكن انت هذا أفضل، من أجل أن لا تعطوا أنفسكم مجال لتحكموا على الناس مبتدأين بمسألة حسن الظن.

نأتي إلى أخر جملة في الآية ٦٦: ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ هذا وصف الفعل، أي وصف الاستهزاء الإجرام، أي أن المستهزأ ارتكب جريمة في حق الله وحق الدين، وهذه المشاعر ليست مسألة سهلة، كون أن الله يصفه بأنه مجرم لابد أن يعظم شأن الجريمة في قلبك، ولابد أن يعظم شأنها في تربية أبنائك، لا تقبل من هؤلاء أبدًا أي كلمة أو أي تصرف فيه أي نوع استهزاء بالدين، ثم ترفض أن

تسمع وتقاطع من يتكلم وأظهر على علامات وجهك صدق بغضك لهذا كله، يجب أن تفهم أنها جريمة وليس أمرًا سهلًا وصفهم الله بأنهم مجرمين.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا ليس به احتمالات لكن لازلنا نقول هل يصح لك أن تقول أنه كفر؟ حالك أن يقع في قلبك بغض له، هذه مشاعرك، تبغضيه وترين أن مثله يقطعك عنه البراءة، ثم ما حكمه؟ لأ ليس لنا علاقة، لو كتب مقالة في جريدة فيها استهزاء بالدين نرفع عليه قضية بالمحكمة والمحكمة تحكم عليه، تحكم بجلده باستتابته هذه قضية أخرى ليس لنا علاقة بها، لكن انت من داخلك أصلًا لا شعوريًا سيقع في قلبك بغض له، لابد.

كنا الأول نتكلم عن المسألة عمومًا لكن أقصد أن كلام واضح في الاستهزاء لا يحتمل لابد من بغضه، لابد أن يحدث البغض ثم سيتحول الأمر لو تحول هو، وتبقى شعرة مهمة في قلبك وأنا أقول لكم هذا الكلام بعد سنين من معاملة الناس، لا تيأس من أحد أبدا، هناك مواقف كثيرة أقوام يكونوا يحاربون بمعنى يحاربون، تعرف ما معنى نشر سيف الحرب على الدعوة السلفية، وطبعًا في القلب في أول الأمر هناك مشاعر البغض وأن هذا هو الحق!

ونحن عشنا سنين على أننا مستقيمين ولم نجد قلوبنا، ولما وجدنا التوحيد عرفنا أن هذا الصواب، ثم لما فتحنا كتاب الله قلنا أين كنا، وكتاب الله من أوله إلى أخره توحيد أين كنا عن هذا أقل وصف لنا أننا كنا في عمى شديد، المهم يأتي واحد بعد هذا كله فيشهر الحرب على الدعوة السلفية ثم يريد الله به خيرًا فينقله من المخالفة إلى قبول.

والدعوة السلفية هذه مجرد تعبير عن الحال وإلا الآن القصة أنه سيهتم بالتوحيد الذي من أجله خلق الخلق، ويهتم بمتابعة سنة النبي صلى الله عليه وسلم وترك البدعة تمامًا، هذه هي الدعوة السلفية، المهم ثم تجد له أعذارًا من كان باغضًا، كان في الوسط يشوه الصورة وانتم تعرفوا هذه الكلام، كثير من الذين يرفضون العلم ما سبب ذلك؟ أنه في الوسط مشوه، وأحيانًا يكون المشوه من بناتنا، هذه المصيبة أن يكون المشوة من بناتنا، يكون سلوك غير سوي أو نقل مبتور من كلام أو مجموعة أوامر عليكم أن تفعلوا وعليكم أن تفعلوا، خطأ ! ليس من الصواب أن تفعلوا هذا، خصوصًا في المسائل الشائكة.

وهذا طبعًا بعد سنين ننبه نقول انتبهوا بناتي هذا الكلام لا يقال للخارج، فمثلًا تأتي مع أحد يقول لك أدعو لي، فتفتح معه قضية ترك طلب الدعاء التي هي من الكمال، وانت تعرف أن من حقق التوحيد يصل إليها، وواحد أصلًا لا يعرف أصلًا كلمة التوحيد تأتي تكلمة عن قضية ترك طليب الدعاء؟! هذا ليس مستقيمًا!، أحيانًا أخطاء توصل إلى هذا الحد، تكون انت بذلت في مقاعد الدراسة وبذلت وحبست إلى أن تفهم هذه المسألة وأول ما وقعت عليك لم تقع يسيرة سهلة، خصوصًا لو كنت طوال النهار تقول هذه الكلمة، ثم تأتي لواحد يطلب منك فتجاوبه هذا الجواب؟! لأ، تغتنم هذه الكلمة وتقول له أرشدك الله للتقوى وللتوحيد ونور قلبك بهذا التوحيد العظيم فرصة أن تدخل كلمة التوحيد في الكلام.

يحتاج أن نكون سفراء جيدين للعودة إلى كتاب الله، لا نريدهم يعودوا إلى أحد ولا يتعصبوا لأحد، نريد عودة إلى كتاب الله، نحن انتهينا من مصيبة التجويد التي كنت أكلمكم عنها خلال الأسبوع انتقلنا إلى مصيبة المقامات، ما مصيبة المقامات؟ القراءة على مقامات، أكيد سمعتم عنها، تخيل القراءة على مقامات يعني في النهاية سيلحن القرآن!، هذه المقامات كأنها طريقة في الألحان، مقام مثلًا الصدى أي الحزن، فتقرأ القرآن بنغمة واحد حزين!، يفعلون هذا ويفسرونها بأنه يتغن بالقرآن!، انتهينا من مصيبة التجويد

ثم أتى هذا الباب الواسع الذي سيأتي بالقاصمة لو استمر الناس فيه، وبدلًا من أن يفتحوا مدارس للتدبر ويفتحوا مدارس للتفسير ويفتحوا مدارس لقراءة القرآن لقراءة القرآن بلغة العرب كما ينبغي يفتحوا مدارس للمقامات.

هذا هو الواقع، مصيبة، ومن مصيبة إلى مصيبة وكل هذا بسبب أمرين بسبب أن أهل البدعة أكثر رحابة صدر للمجتمع وأهل السنة والسلف أكثر ضيق على المجتمع، ونحن نتحمل جزء كبير من هذه المشكلة، وطبعًا لا أنكر المشكلة ليس في أنا كشخص المشكلة أيضًا في المستقبل أنه لو يريد الحق كان بحث عنه حقيقة، لكن هذا الكلام لا يعذرك انت، يعني أضع خمسين في المائة عليه والخمسين في المائة الأخرى باقية عليك!، إن لم تكن رسولًا جيدًا للعودة إلى كتاب الله كلما زاد التشتيت والبعد عن الكتاب كلما صعب دور الدعوة السلفية، يصبح صعبًا، لأن لما تصبح هذه المدارس – مدارس المقامات – سنة عند الناس كيف ستأتي وتمنعهم عنها؟!.

وأكيد انتم شعرتم بهذه المشاعر لما تأتي لأحد وتقلل من قيمة التجويد يعني تضعينها في موضعها ولا نريد منك أن تنخلع منه لكن أريد منك أن تضعه في موضعه انظر ماذا يفعل بك، بعد سنين ستكون المقامات بنفس المنزلة، مادام نحن ساكتين وأقصد بساكتين أنك لا تخرج تحارب المقامات لأنه سيقال لك لأنك لا تجيدها تحاربها، هذه الكلمة التي تقال لك، **لكن انت حارب بسيف التوحيد ومن يحارب بسيف التوحيد سيمج كل بدعة، سيمجها لن يحتملها**.

وأكيد منكم من عاش هذه الصور وهذه الحياة البعيدة عن الدعوة والبعيدة عن القرآن وبعيدة عن التوحيد ثم لما ذاق التوحيد عرف أن هذا ما ينقص، هذا ما ينقص وهذه الحقيقة، **وانت لما تحمل سيف التوحيد لا تحمله طلبًا للعلو على الناس إنما تحمله بأعلم رحمك الله**، لابد أن تحمله بهذا هذا، هذا الذي يكون في قلبك، إنه مثلما شعرت سنين أنني كأني ريشة في مهب الريح ولو جائت فتنة لا أعرف ماذا يجب علي أن أعتقد وماذا يجب علي أن أقول، لم أكن أعرف أن الحل في الفتنة أن أسكت، انت كنت تتصور أن الحل في الفتنة أنه يجب أن تتكلم من أن فتحنا كتب أهل العلم، ومن أن فتحنا كتاب البخاري ومن أن فتحنا كتاب الفتن وكانت قاعدة واضحة: أنك لما تأتي الفتنة أن تسكت وهذا هو الحل وليس هناك غيره!، وهذا من أيسر الحلول، لكن لا أحد عرف أن يرشدني إليه لماذا؟ جهال مع جهال، ومتكلمين مع متكلمين، أصبحنا علم الكلام، فلسفة، آراء، وجدانيات إلى أخره.

المقصد الآن أن موقفنا من كثير من الأحداث التي تحصل يجب أن يكون متزنًا وتفهم ما الذي ينقص في كل موقف، في الغالب الذي ينقص إحساسهم بقيمة التوحيد، وإلا برجمة لغوية تدخل علينا الناس يجروا ورائها، وعلم الطاقة وما أدراك ما علم الطاقة!، هذا شرك محض، تكون كثير من الأخوات تقول لي صاحبتي منتقبة، لأن النقاب في كثير من الدول العربية يعتبر رمز الدين، منتقبة وتقول تعالي تحت الشجرة الفلانية لنأخذ منها طاقة، تعرفي حديث السدرة؟ هذا هو بالضبط، السدرة عادت مرة أخرى، وفي زوايا البيت طاقة، إلى أن يتحرك بهم الشيطان فيحركون بأعينهم بعض الأشياء!، ومن يعرف هذه البرامج يفهم هذا جيدًا، المهم بلاءات من كل جهة من أهل الاستقامة بلاءات، من أهل الدنيا بلاءات، في النهاية ليس هناك حلًا إلا التوحيد من أجل أن يكون هناك حاجزًا **فكن سفيرًا كما ينبغي للتوحيد من أجل نشره بين الناس**.

ومن أجل ذلك هل الشخص من يكون يحارب ثم تحول إلى المنهج الصواب وكنت في أول نصيحة أقول لكم لا تيأسوا من أحد، أحيانًا ترى رأسًا كان يحارب الدعوة، لماذا؟ وصلت إليه مشوهه لكنه لأنه يريد الصدق نقله الله بألطف ما يكون من أحوال من

أجل أن الله عز وجل يعلم أن في قلبه صدق، فنقله بألطف ما يكون من الباطل إلى الحق، فانت لا تعامل أحد مادام حي لا تعامله على أنه أغلق عليه، نعم مادام وانت في هذه الحال في قلبي بغض لك لكني أحب لك الهداية.

هذا التوزان في الولاء والبراء من أخطر المسائل، لأن أما ناس نفسياتهم مائلة إلى الرجاء أما ناس نفسياتهم مائلة إلى الخوف، فالذي يخاف يقطع علاقاته، والذي يرجو لا يشعر حتى بقلبه ويقول سيأتي، فلا هذا صحيح وحده ولا هذا صحيح وحده، نحن نجمع بين الاثنان بغض لأن هذه الحال أنا ابغضها، أي أن يكون الدين في قلبي عظيم وأبغض كل من يستهزأ به واعتبره مجرمًا، لكن لازال في القلب أمل أنك يبين الله لك الحق.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: وأحيانًا لا يكون بعيد أحيانًا يكون قريب تتكون العزلة الشعورية أننا في هذه الزاوية لن نلتقي لكني اسأل الله عز وجل أن يكشف عنك الغمّة، الآن شبابنا وشاباتنا والله ندعو إليهم ونقول يربيكم الله، لابد أن يربيكم الله.

انتهينا من سياق الآية.

هل كل استهزاء بالدين له هذا الحكم – ما يحصل من الاستهزاء بحملة الدين –؟ هل سيكون له نفس الحكم؟ الجواب لأ، الاستهزاء بأهل الاستقامة لأجل تمسكهم بشرع الله سيكون من الاستهزاء المنهي عنه الداخل في الوعيد، الداخل في الوعيد أي في هذه الآية، وأما من استهزأ ببعض أهل الخير لمظهرهم أو لصفة خاصة فيهم فهذا الاستهزاء محرم.

يعني هو لا يستهزأ به لأنه مستقيم بل يستهزأ به على صفة تخصه لكن هذا الرجل من أهل الدين، يعني انت شخص مستقيم الآن وأحد بينك وبينه حساسية خاصة، تخصك انت، فيستهزأ بك، سيكون محرم طبعًا لأن الاستهزاء بمسلم محرم لكن لا يدخل في الوعيد، الحالة الأول واحد يستهزأ به لأنه مستقيم، لاستقامته، بلحيته، بتقصير ثوبه، بذهابه وعودته من المسجد، فهذا استهزاء بنفس دينه.

واحد لدينه وواحد لشخصه، كيف تفرق في العادة؟ من في دينه أي واحد عليه هذا السمت يستهزأ به يعرفه او لا يعرفه، أما لشخصه يجب أن يكون بينهم علاقة، فانت لا تتحامل، لأنه يأتي يقول انظر كيف شكلك، انت تكوني تلبسين حجابك فيقول لك انظر كيف شكلك، فهذا ليس استهزاء هذا لأنه الآن متحامل عليك انت شخصيًا، فلا تحملوا مباشرة هذا الاستهزاء على أنك تستهزأ بالدين وهذا حجابي من الدين وتعملوا له محاضرة، كلموه عن أن الاستهزاء محرم لا يحق لك، تريد تنصحني انصحني بكلام ينفع.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: شركة النانو؛ سمعتم عن النانو؟ هذه تعيدنا إلى الوراء في لبس الحلقة والخيط، هي شركة لها شيء يلبس، هم تعاملوا بهذه السياسة أن يرفعوا السعر لتشعر أن لها قيمة، المهم أنها من القلادات التي تلبس ويقولون أنها تكسبك طاقة وذاكرة ويروجوها أيام الأختبارات، نفس الصورة تتكرر، وتصوري إلى أي درجة انت تحتاج التوحيد لدرجة بقاء أنفاسك، لأنهم في المقابل لا يتوقفوا وهم يخدشون عقائدنا.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هو يتكلم عنك انت شخصيًا وعن طريقة لبسك له، انت لا تستطيعين أن تتحاملي عليه، هو أصلًا حتى لو كان شخصيًا هو لازال محرمًا، انت ستقولين له هذا محرمًا ويمكن أن يكون بابًا لأن تستهزأ بالدين، لكن في الأصل سيكون محرمًا على حسب ما قام في قلبه.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: هذا طريق خاطىء للتفكير، واحد يفكر خطأ، الذي يريحنا من هذا كله أن يتحصن الشباب بالتوحيد وإلا لن ننتهي، وإذا اغلقت هذه سيأتي غيرها فالحل أن يكون لأبنائنا حصانة للتوحيد.

نأتي إلى النقطة الأخيرة في النقاش حول الاستهزاء.

سنتناقش عن الجالس مع المستهزأين.

ماذا يقول الله عز وجل في سورة الأنعام؟ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ إذن سيكون الحكم أنه لا يجوز الجلوس مع الفساق الذين يستهزأون بالمؤمنين ويلمزونهم ويسخرون منهم، بل لا يجوز السكوت على ما يقولونه من السخرية والاستهزاء أو الرضا بما يقولونه، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّه لَا يَرْضَى عَنْ الْقَوْم الْفَاسِقِينَ﴾، فإن بقائك معهم ورضاك عنهم إشارة إلى ضعف إيمانك، ويصح لك أن تبقى معهم في حالة واحدة إذا أردت دعوتهم ونصحهم وبيان الحق لهم فلا بأس بالجلوس معهم على قدر البيان، فهذا من الدعوة إلى الله.

نعتبر بهذا انتهينا الحمدلله من مناقشة هذا الباب، الفضل لله، وانتهت هذه الدورة المباركة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا بحمد الله وفضله اللقاء الأول في شرحنا لكتاب التوحيد عن طريق كتاب فتح المجيد، وسيكون الربع الأخير من كتاب التوحيد هو موضوع بحثنا.

مر معنا خلال السنة والنصف الماضية شرح كتاب التوحيد بالصورة المجملة المختصرة، وفي نهاية الدورة الماضية المكثفة أتفقنا أن نغير طريقتنا لدراسة كتاب التوحيد لكن عن طريق الصورة المفصلة، قراءة أحد الكتب التي تعتبر مطولة أو متوسطة، وفتح المجيد يعتبر في هذه الأبواب بالذات يعتبر من الكتب المتوسطة، أكبر منه سيكون تيسير العزيز الحميد.

طريقة صاحب الكتاب ستتبين لكم الآن بعد قراءة أول باب لنا وهو **باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ﴾** وهذا الباب في وصف حال الإنسان وتركه لشكر نعمة الله وسنرى ما علاقته بالتوحيد إن شاء الله.

أولًا نبدأ بقراءة المتن.

قال الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله:

باب ما جاء في قول الله تعالى: (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي)[٥٩٧]

قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به. وقال ابن عباس: يريد من عندي.

وقوله: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي)[٥٩٨] قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

وعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ ثَلَاثَةً من بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى. أراد اللَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ، ويذهب عني الذي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ به، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قذره، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ الْإِبِلُ أَوْ الْبَقَرُ. شَكَّ إسحاق. فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ وَقَالَ بارَكَ الله لَكَ فِيهَا.

قال: فَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الذي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ به، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عنه، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، فَقَالَ: وَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: الْبَقَرُ أو الإبل، فَأَعْطِي بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ الله لَكَ فِيهَا.

---

[٥٩٧] فصلت:٥٠

[٥٩٨] القصص:٧٨

فَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ، قَالَ: أن يَرُدُّ اللَّهُ عَلَيّ بَصَرِي؛ فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأَعْطَي شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ قد انقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ عز وجل المال؟ فَقَالَ: إنما وَرِثْتُ هذا المال كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قال: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قال: فَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ قد انقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي؟، فَقَالَ: قد كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَخُذْ مَا شِئْتَ ودع ما شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَن صَاحِبَيْكَ". أخرجاه.

أولًا هذا الباب أتى في سلسلة الأبواب التي تتكلم عن توحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات، وهو القسم الأول من أقسام التوحيد كما قسمه ابن تيمية وقسمه ابن القيم وهو توحيد المعرفة والإثبات.

طبعًا تعرفون هذا النوع من التقسيم، يقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام كما هو منصوص عليه في كتاب الله:

توحيد الربوبية: ﴿رَبّ السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمَا بَيْنهمَا﴾.

توحيد الألوهية: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾.

توحيد الأسماء والصفات: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[٥٩٩].

وكلهم مجتمعين يمثلون توحيد العبد وهو إيمانه بالله، المؤمن بالله يعتقد أن الله رب السماوات والأرض وما بينهما، ويعتقد أن حقه عليه أن يعبده وحده لا شريك له، ويعلم أنه لا سمي له ولا كفأ له.

فإذا كان هذا اعتقادك لابد أنك ستكون له معظمًا ولنعمه مقدرًا وتقدير النعم وشكر الله عليها باب عظيم يجتمع في توحيدك في الربوبية وتوحيدك في الاسماء والصفات، ولذلك في العادة في مثل هذه الأبواب نأتي نقول أن ابن تيمية وابن القيم قسما التوحيد إلى قسمين:

- توحيد المعرفة والإثبات.

[٥٩٩] مريم:٦٥

- وتوحيد الطلب والقصد.

❖ فالمقصود بالمعرفة والإثبات: هو معرفتك لله عز وجل باسمائه وصفاته وإثباتها على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى ويكون من إثباتها إثبات مقتضاها، فإذا كان رزاق فمقتضاه أنه هو الذي يرزقك، توحيد المعرفة والإثبات يعني إذا عرفت أن ربك رزاق، فهذا وصف للكمال لابد أن تعتقد أن الله عز وجل له كماله وأن لا أحد يشاركه فيه، انت تقولي توحيد المعرفة والإثبات يعني تعرف وتثبت ثم توحد الله في هذا الذي أثبته.

❖ توحيد الطلب والقصد: المقصود أن لا تطلب إلا من واحد ولا تقصد رضا إلا واحد.

المهم أن هذه السلسلة من الأبواب في باب مثلًا قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾، ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، باب احترام اسماء الله، باب من سبّ الدهر، كل هذا يجتمع فيها الأمرين توحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات من وجه.

يأتي هنا سؤال: ما الفارق بين باب قول الله تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وأكثَرُهُمُ الكَافِرُونَ﴾ وبين باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾؟

في الباب السابق باب ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ كان فيها كلام حول إنكار النعمة، والرجل فيها يقول هذا مالي ورثته عن آبائي، يقول لولا فلان لم يكن كذا، فما الفارق بينه وبين ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾؟ بعدما يتبيَّن لنا شرح هذا الباب سيكون أخر كلام لنا حول هذا الباب مقارنة بينه وبين الباب الذي سبق.

❖ الدليل الأول.

الآن نقرأ من كلام صاحب فتح المجيد ثم نعلق على كلامه.

باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾، قال المصنف رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾

هذه آية فصلت.

قال المصنف رحمه الله تعالى عن ابن عباس وغيره من المفسرين في معنى هذه الآية وما بعدها ما يكفي في المعنى ويشفي .

كأنه يقول الشارح لن أشرح هذه الآية من عندي لكن المصنف رحمه الله نقل عن ابن عباس وغيره من المفسرين كلامًا كافيًا شافيا.

قوله : قال مجاهد : هذا بعملي وأنا محقوق به . وقال ابن عباس : يريد من عندي . وقوله : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾

هذه آية القصص، الآية الأولى هي آية فصلت ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾، هنا وقوله آية القصص آية أخرى نفسر بها الآية الأولى.

قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب : وقال آخرون : على علم من الله أني له أهل وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

الآن يأتي كلام الشارح، كل الذي مضى كلام الشيخ محمد من المتن.

وليس فيما ذكروه اختلاف وإنما هي افراد المعنى .

وهذا تفهميه في التفسير،ما نسميه اختلاف التنوع، هنا عبر قال:

وليس فيما ذكروه اختلاف

يعني اختلاف تضاد

وإنما هي افراد المعنى .

يعني المعنى عام ويدخل تحته افراد، المفسرين هنا ذكروا أفراد من المعنى.

انظري الآن الشارح ماذا سيقول؟

قال العماد ابن كثير رحمه الله في معنى قول الله تعالى : ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾

هذه آية الزمر، إلى الآن آية فصلت، وآية القصص، وهنا آية الزمر، ثم بعد ذلك سنستقرأ طريقتهم ونعبر عنها.

يخبر أن الإنسان في حالة الضر يضرع إلى الله عز وجل وينيب إليه ويدعوه ، ثم إذا خوله نعمة منه طغى وبغى و﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ أي لما يعلم الله استحقاقه له ، ولولا أني عند الله حظيظ لما خولني هذا . قال الله عز وجل: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ أي ليس الأمر كما زعم بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه أيطيع أم يعصى؟ مع علمنا المتقدم بذلك.

يعني مع علم الله أنه سيطيع أو يعصي، لكن هذا يسمى علم الظهور، يعني ليظهر حقيقة ما قام في قلبه.

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ أي إختبار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فلهذا يقولون ما يقولون ، ويدعون ما يدعون : ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الأمم ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي فما صح قولهم ولا نفعهم جمعهم ، وما كانوا يكسبون . كما قال تعالى مخبرًا عن قارون : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ *وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ *قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.﴾ ا هـ .

ماذا فعل الشيخ؟ فسر آية الزمر من كلام ابن كثير، ثم ابن كثير نفسه نقل في أخر تفسيره لهذه الآية – آية الزمر – في أخر تفسيره لهذه الآية نقل آيات سورة القصص، "كما قال تعالى مخبرًا عن قارون" في هذا المقطع، يعني ابن كثير نفسه في تفسيره للزمر أتى بآية القصص.

لكن ما وجه ختمه بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا﴾ ما وجه ختمه بهذه الآية؟ أقصد ما وجه ختم ابن كثير في تفسيره للآية؟ كأنه يشير إلى أخر آية في سورة القصص، الله عز وجل ماذا يقول لقارون بعدما قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ ؟ قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً – الوصف الثاني – وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾.

أتى بشاهد لهذان الوصفان أن الذي قبلهم كانوا أشد في القوة وكانوا أكثر في الجمع، ما هو الشاهد؟ آية سبأ ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا﴾ ولذلك تصوروا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ يعني نفو عند نفسهم أن يكونوا من أهل العذاب، لماذا؟ بسبب ما أنعم عليهم من نعم.

قال الشيخ انتهى كلام ابن كثير وفي نفس الوقت انتهى كلامه، إلى هنا لم يعلق، فكيف سنفهم هذه الآية، ونريد منكم أن تفهموا الآية وفي نفس الوقت تفهموا الطريقة التي استعملها في شرح الآية.

أولًا انظري كم آية في نفس المتن قبل أن ننتقل إلى الحديث؟ كم آية كما نبهتك؟ الآية الأولى هذه آية ٥٠ في فصلت، وفي نقل المصنف رحمه الله كانت هناك آية القصص آية ٧٨.

الأول: آية فصلت اسم الباب.

الثانية: آية القصص.

بهذه الصورة انتهى المتن، آيتان في المتن.

تعال ننظر إلى الشرح، الشارح صاحب فتح المجيد الشيخ عبد الرحمن نقل آية ابن كثير على آية الزمر، وابن كثير عاد مرة أخرى لآية القصص.

يعني كم آية ملخصها بين المتن وبين الشرح؟

آية فصلت.

آية القصص.

آية الزمر.

وكلها تدور على نفس الوصف للإنسان، هذه أول نظرة للشرح، انت كنت متوقعة أنه سيأتي بشرح لآية فصلت، أو على الأقل نقل لشرح آية فصلت، قال لك أن المصنف كفى ووفى في ذلك، فنقل شروح، المصنف بنفسه نقل في تفسير آية فصلت آية القصص، أتى الشارح فشرح آية فصلت وآية القصص بآية الزمر، نقل كلام ابن كثير لآية الزمر.

وهكذا سترين أمر غاية في الأهمية وهو استعمال تفسير القرآن بالقرآن، **فكن حريصًا وانت تشرح في مسألة مثل هذه المسألة وفي مسائل التوحيد عمومًا أن لا يكون عندك إنفراد دليل**، يعني لا يكون هناك مسألة في مسائل التوحيد في الغالب انفرد فيها دليل واحد، لابد أن يكون في المسألة الواحدة عدة أدلة، لكن انتم تعلمون ما المشكلة؛ المشكلة ضعف علاقتنا بالأدلة، ضعف علاقتنا بالأستدلال، وإن كان عندنا وقت كان أتى تكليف تجمعون فيه: "وصف الإنسان في القرآن إذا مسه الضر وإذا مسته النعمة"، اكتبوا العنوان ثم إن شاء الله تنتفعون به.

سأذكر لكم مثالًا واحدًا الآن في وصف الإنسان إذا مسه الضرّ ثم مسته النعمة بالإضافة إلى الثلاثة أمثلة التي وردت هنا، مثل سورة فصلت، مثل سورة القصص، مثل سورة الزمر، هذه كلها صور الإنسان إذا أتته النعمة خصوصًا بعد الضراء، فهذه الثلاثة كافية علينا أن نشرحها فنفهمها، لكن نضيف أيضًا موطن أخر، وهو أول موطن بترتيب المصحف يذكر فيه حال الإنسان إذا مسه الضرّ ثم إذا مسته الرحمة.

في سورة يونس تكرر هذا الموطن مرتان: في آية ١٢ وفي آية ٢١

سنرى كيف يكون حال الإنسان إذا مسه الضرّ ثم إذا كشف الله عز وجل عنه الضرّ.

الموطن الأول:

وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

ما وصفه؟ مر أي نسي.

﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ يعني بعد شدة الفقر أتى شدة الاستغناء عن الرب، بعد الشعور بشدة الفقر الذي أورثته إياه، من أين تورث شعور شدة الفقر؟ من الضراء، من كثرة ما مسه الضرّ ومن كثرة شعوره بالفقر دعى ربه لجنبه أو قاعدًا أو قائما، وهذا إشارة إلى كثرة تقلبه في وصف الفقر، أقصد بالفقر هنا فقره إلى الله، شدة الضرّ لما يصيب الإنسان ويشتد عليه شدته تجعله إلى ربه فقيرًا أن يكشف عنه ضرّه، هذا وصفه لما أصابه الضرّ.

الإشكال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾ لما كشف عنه الضرّ أتت حقيقته! ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾، هذا يبين ما يقع للإنسان من غرور واغترار بالدنيا واغترار بما يملك فيتحول من شدة الفقر إلى ربه إلى شدة الاستغناء، في الآية تصوير هذا الاستغناء ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾.

هذا الوصف الأول في يونس آية ١٢، نرى في يونس آية ٢١.

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾

هنا واضح جدًا أن الإنسان إذا أذاقه الله رحمة من بعد ضراء ماذا يفعل؟ ما معنى أن لهم مكر؟ ما المقصود بالمكر؟ يعني يكذبون ويستهزأون بآيات الله، وينسبون النعمة إلى غير الله، فهذه الصورة من الإنسان متكررة، لكن انظر إلى بقية السياق سيتبين لك كيف الله عز وجل يكشف عنهم الضر ثم يعودون، في نفس سياقها.

هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ...﴿٢٣﴾

هذا تبديل الحال الذي حصل لهم، هم في البحر وشعروا أنهم أحيطوا بهم يعني أحاط بهم الهلاك دعو الله طلبوا منه وجائهم شدة الفقر إلى الله، ﴿ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ هذا معناه أنهم نسوا نعمة الله بل ليس هذا فقط بل أزدادوا إلى أن وصلوا أن لهم مكر ولهم فساد ولهم تكذيب، وهذا ما تراه عيانًا في الواقع، مريض يكاد أن يموت فيرجو وينكسر ويظهر فقره إلى الله ثم يستعمل الصحة فيما لا يرضي الله!.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

القصة كلها أنك انت تذوق من الرحمة هنا إنما هو متاع، وسيأتينا في آية الزمر تصوير لحقيقة الفتنة التي فتنت بها.

- هذا الموطن الأولى في ترتيب المصحف الذي ذكر فيه حال الإنسان وقت ما يمسه الضر ثم إذا كشف عنه ماذا يفعل، صورت لك آية يونس أن هذا الإنسان إذا مسه الضر كيف يدعو الله على جنبه أو قاعدًا أو قائما، شدة التوسل، لكن لما كشف عنه ضره مر كأن لم يدعنا إذن شدة الفقر والتوسل تحولت إلى شدة الاستغناء.
- في نفس سورة يونس الموطن الثاني بعد شدة الفقر لم يكن فقط الاستغناء إنما زاد على ذلك المكر والإدعاء والتفاخر وكل هذا إشارة إلى أن هذا العبد خسيس في طبعه لئيم فيه، أنه يعبد الله ليعطيه مراده، حتى هذا لم يعبد حق العبادة وإنما كان يتذلل وينكسر من أجل أن يأخذ مصلحته.

المقصود أن تفهم أن هذا الوصف تكرر في كتاب الله للإنسان كثيرًا، فورد في يونس في موطنين وورد في سورة هود، وورد في النحل، وورد في الإسراء، وورد في سورة الروم في موطنين، وفي الزمر ورد في موطنين، في فصلت ورد أيضًا في موطنين متتابعين، وورد أيضًا في سورة الشورى في موطن ذكر إصابتهم بالسيئة.

فكل هذا التكرار يدلك على أن هذا من الوصوفات الملازمة للإنسان إلا من حفظه الله، لما تفهم هذا الأمر أن هذه من الوصوفات الملازمة للإنسان إلا من حفظه الله تكن في شدة الحذر من أن يظهر منك إستغناء بعد فقر، ومكر بعد كثرة تضرع، وكفر بعد حاجة وإلحاح، تكن حذرًا ويتبين لك أن هذه من الطباع الملازمة التي تدل على خسة الإنسان، لازمت ناس كثير ولم يروا في ذلك لأنفسهم بأسا.

نبدأ بالآية التي ذكرها المصنف في اسم الباب في سورة فصلت، ننظر السياق أولًا.

ماذا يقول الله عز وجل؟ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ﴾ وانظر إلى الرحمة منسوبة إلى الله، فالله عز وجل يصف لهذا الإنسان أنه إذا أذاقه نعماء من بعد شدة وبلاء لم يكن منه الشكر والذل بل يطغى ويقول أتاني الله هذا لأني مستحق له، ولا اعتقد أن الساعة آتية، وإذا كانت الساعة آتية فما اعطاني إياه في الدنيا من الرضا علي ومن المؤكد أنه سيعطيني إياه في الآخرة.

من أين أتاه هذا الغرور؟ لأنه قاس بمقياس المادة، فلما رأى نفسه في الدنيا من أهل العطاء تيقن بوحي من الشيطان أنه سيكون في الآخرة من أهل العطاء، يعني سيعطيه الله!.

انظري الآية التي بعدها في فصلت ستري أمرًا عجيبًا.

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

انت الآن تستعجب، في آية ٥٠ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ﴾ ماذا يقول ناسبًا النعمة لنفسه؟ يقول ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ ويقع في قلبه أيضًا الشك في الساعة أنها تقوم، ويعتقد أنه على افتراض قيامها فرضا الله علي هنا سيكون سببًا لرضاه علي في الآخرة، هذه أول حال في وصفه.

ثم ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ﴾ الحالة التي بعدها ﴿ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ يعني أن هذا الإنسان إذا أنعم الله عز وجل عليه بنعمة كان ممن أعرض وترفع عن الإنقياد إلى الحق، وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض، على ماذا يلام في الآية التي بعدها؟ كل إنسان لما يأتيه الضرّ نقول له تضرع إلى الله، فلماذا هنا يلام على ذلك؟! لاحظ أن آية ٥٠ و ٥١ متعاكستان في الصورة!

مرة أخرى انظروا للآيات من أجل أن تفهموا ما هي أصلًا الصورة وما الذي يشكل فيها؛ بعدما تتبين لكم الصورة نذكر ما وجه الإشكال، أحسن شيء تبدأوا من آية ٤٩ إلى ٥١ من أجل أن يتبيَّن لكم.

لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

هذه الآيات متتابعة تبين حالين من أحوال الإنسان:

الحالة الأولى: أنه لا يسأم من دعاء الخير وإذا مسه الشر يكون يئوس وقنوط، يصاب بالقنوط، فاليأس هذه صفة للقلب ومعناها أن ينقطع رجاؤه من الخير، يئوس من إجابة دعائه، يئوس من زوال ما به من المكروه، هذه أول حال.

هو في أصله لا يسأم من دعاء الخير بمعنى أنه يطلب الخير ويحبه، والخير يمكن أن يفسر هنا بمعنى المال والصحة والسلطان والرفعة، فهو لا يمل ولا يدخل له الملل من طلبه، وممكن أن يكون معنى الآية طلبه من الله أو التعلق به عمومًا، طلبه هو وسؤاله يمكن أن يكون من الله أو بحث عنه.

إن مسه الشر إذا جائه البلاء والشدة والفقر والمرض، ولاحظ مسه هذا معنى أنه قليل من هذا الشر، يأتيه اليأس واليأس كما اتفقنا من صفة القلب وهو أن ينقطع رجاؤه من الخير فيكون يئوس من إجابة دعائه، يئوس من زوال ما به من المكروه.

وأيضًا يكون مصاب بالقنوط، فيئوس قنوط، ما معنى القنوط؟ المقصود يظهر عليه آثار اليأس على بدنه، فيتضائل وينكسر، وقنوطه بسبب سوء ظنه بربه، بمعنى أنه يظن دوام حال الشر عليه، ولاحظ هنا أيضًا بدأ بصفة القلب لأنها هي المؤثرة فيما يظهر على الصورة من الإنكسار ويئوس وقنوط كلاهما صيغتي مبالغة يدلان على شدة اليأس وشدة القنوط، هذا حالهم الأول، ولابد أن تتصور حالهم الأولى من أجل أنه يأتيك بعدها تغيير حالهم وتغيير ما في قلوبهم.

اتى بعدها أن الله عز وجل أذاقه رحمة، والمقصد هنا الآية التي في المتن ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ يعني هذا الذي أصبح آيسًا قانطًا لو عاودته النعمة وأتاه الخير والعافية والغنى من بعد شدة أو مرض أو فقر ماذا يكون موقفه؟ مباشرة يقول بمجرد أن يذوق هذه الرحمة – وهذا كله من آثار رحمة الله — بمجرد أن يذوق هذه الرحمة يأتي بثلاثة أنواع من الأقاويل الفاسدة الموجبة للكفر والبعد عن الله، وهذه الأقاويل الفاسدة الموجبة للكفر وللبعد هي درجات في نفوس الناس:

أول قول: أنه يقول "هذا لي" يعني هذا حقي، وصل إليّ لأني استوجبه، يعني هو واجب لي، يستوجبه لنفسه، بماذا؟ يستوجبه بعلمه، بعمله، بمعنى أن هذا شيء أستحقه على الله لرضاه بعملي، أو أستحقه على الله لأني مجتهد، هذا معنى رضاه بعملي أني مجتهد، ليس شرطًا في طاعة الله ممكن أن يكون المعنى أنه مجتهد في عمل الدنيا، ويضع قانون لنفسه أن لكل مجتهد نصيب، وأنه مادام أجتهد إذن هو يستحق، وهكذا.

وهذه الحقيقة من الكلمات المتداولة كثيرة التداول، وهي التي تشعرك بإستحقاق الإنسان للنعمة لأنه اجتهد! وهذه الكلمة تحتاج إلى نقاش مع قائلها من أجل أن يتبيَّن له أين المشكلة فيها.

فظن أن تلك النعمة التي أصبحت بين يديه لم تصل إليه إلا لإستحقاقه لها، ما الذي غاب عنه؟ غاب عنه أن الله يبتلي عباده بالخير كما يبتليهم بالشر ليظهر للعبد حقيقة نفسه هل هو شاكر أم أنه جاحد؟!، إذن ليظهر الشاكر من الجاحد، ليظهر الصابر من الجزع.

المهم أنه أتى قال ﴿هَذَا لِي﴾ فسواء كانت اللام هنا للإستحقاق أو للملكية فهم على حدٍ سواء في تعبيره عن إستحقاقه وملكيته لهذا الأمر، وهذا المسكين لا يعلم أن أحدًا لا يستحق على الله شيئا، فإذا كان فيه أي كمال فلم يكمله إلا الله، وإذا كان موصوف بشيء من الفضائل والصفات الحميدة فهي إنما حصّلت بفضل الله وإحسانه، وهذا من ضعف الإيمان بل من شدة ضعف الإيمان، المهم أن هذا القول الأول الفاسد منه أنه نسب النعمة إلى نفسه.

- النوع الثاني من أقواله الفاسدة: بسبب شدة رغبته في الدنيا عظمت نُفرته عن الآخرة.
  - فإذا فكر في أحوال الدنيا قال هذا لي.
  - وإذ افكر في أحوال الآخرة يقول: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾.

وهذا ليس شرطًا أن يكون كفرًا بالقيامة ولكن من شدة التمسك بالدنيا والغفلة عن الآخرة يستبعد تغيير الأحوال استبعادًا تامًا.

- النوع الثالث من أنواع أقواله الفاسدة يقول: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ الحسنى أي الجنة، فهو مؤمن بالجنة لكن عجب! يقيس الآخرة على الدنيا، كأنه يقول كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة.

وهذه ثلاثة أقوال من أقواله الفاسدة، تبيَّن المقصود وستكون الصورة التي ستراها في قصة الثلاثة التي ستراها في هذا الباب مطابقة تمامًا للآية في كون أن القوم كان البلاء مسهم فدعو الله فأعطاهم فأنقسموا بعد ذلك إلى أقسام في شكر هذه النعمة.

لكن لن نتوقف إلى هنا، سننتقل إلى آية ٥١، قرأنا آية ٤٩ وفهمناها وآية ٥٠ وهي مقصود الباب وفهمناها، بقي أن نقرأ ٥١ لتجتمع الصورة في عقولنا.

ماذا يقول الله عز وجل فيها؟ ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ هذا حال عكس الحال الأولى، في آية ٤٩ وآية ٥٠ أخبر سبحانه وتعالى أن هذا الإنسان لا يسأم من تطلبه ومن سؤاله الخير.

هذه الآية تصف حال الإنسان أولًا وهو معه الخير، هناك يتطلب ويسأل، هنا معرض عن ربه ﴿أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ معرض عن تعظيمه سبحانه وتعالى وعن التعلق به، وأعرض عن الشفقة على الخلق وعن شكره، وعن الإنقياد لأوامره، فكلما دُعي إلى طاعته تكبر وأبتعد عن الإجابة.

واضح نقطة البداية؟ هنا في آية ٥١ نقطة البداية أن هذا الإنسان وهو منعم عليه حاله أنه معرض عن ربه، ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ يعني ترفع عن الإنقياد للحق، تعاظم، كأن مبتدأ الأمر ان معه خير ثم ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ أي الضرّ والفقر ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ هنا يأتي إشكال أن البلاءات تأتي من أجل أن تكسر الإنسان ويكون فقير.

فكأن سؤالنا ماذا يعاب على هذا؟ ماذا يعاب عليه إذا أصابه الشر من الطبيعي أنه سيكون ذو دعاء بالعكس نحن نقول له وننصحه؟ سنقول: أن هذه الآيات تضمنت ضربين من طغيان الإنسان:

الضرب الأول: أتى في آية ٤٩ وآية ٥٠، ما صورته؟ فيه بيان شدة حرص الإنسان على الجمع وشدة جزعه من الفقد ﴿ لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ﴾ من طلبه ومن تطلبه والبحث عنه، فهذا فيه بيان شدة حرصه على الجمع وشدة جزعه على الفقد وكأن فيه

تعريض أن الرب ظلمه! – تعالى الله عما – يقول خصوصًا أنه يقول ﴿ هَٰذَا لِي﴾ يعني من زمن وأنا أستحقه!، وكما نظرنا في أقواله كثير من الأقوال الفاسدة، ومن سوء الاعتقاد في الميعاد، ومن تعلقه بالدنيا وبغضه للآخرة.

- النوع الأول من طغيان الإنسان: شديد الحرص على الجمع، شديد الجزع على الفقد.
- النوع الثاني من طغيانه: طيشه المتولد عن إعجابه وإستكباره، متى يكون؟ يكون عند وجود النعمة، طيش عند وجود النعمة وإستكانة عند فقدها، فهو يلام على ترك الشكر على النعماء وعلى ترك الدعاء في الرخاء وعلى طيش عقله وقت المصيبة.

هذه الآيات من ٤٩ إلى ٥١ كلها تذم من أشتغل بالنعمة عن المنعم في الحالتين:

في الحالة الأولى: لما جائته النعمة قال هذا لي إلى أخره.

في الحالة الثانية: كيف اشغلته النعمة عن المنعم؟ التضرع كان جزعًا على الفقد وليس رجوعًا إلى المنعم، هذه المسألة الغاية في الخطورة؛ أي أن هذا المتضرع تضرع جزعًا على فقده وليس رجوعًا إلى المنعم بل تأسف على الفقد، دعى متأسفًا على فقده، وهو فقد الدنيا!، فتأسفه على الفقد نفسه مشغل عن المنعم كل الإشغال.

آية ٥١ ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ بدأ بوصفه وهو منعم عليه، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ انت تقولي لماذا يلام الإنسان أنه ذو دعاء عريض؟ المصائب تنزل تكون سبب لأن يدعو الإنسان وبهذا يتقرب إلى الله؟! نقول قوة تضرعه ليس طلبًا لرضا الله عز وجل ولا هناك خوف ورجوع إلى الله ولا هناك إحساس بالسبب الذي أورثه فقد النعمة، ولا هناك ندم على الذنوب التي هي سبب لحرمان الله له من النعمة، لأنه أعرض ونئا بجانبه فهو يستحق، فهو لم يرجع إنكسارًا وذلًا وإخباتًا إلى ربه إنما تضرع جزعًا على الفقد، ليس رجوعًا إلى المنعم إنما فقط يريد النعمة.

وهذا واضح جدًا ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾، هذا يزيد الأمر صعوبة على الدعاة، وانت الآن تدعو إلى الله أحذر أن تكون مدخل الناس إلى هذا الباب – باب أن يطلبون الله من أجل الدنيا فقط – وجزعهم تجده فقط لفقد الدنيا.

ولذلك نحن نرى شابات كثيرات – وسأبدأ من عند المراهقة – لما تفقد صاحبتها أو تفقد شيء عزيز تفقده ليس موتًا إنما هجرًا. وحتى الشابات لما تجد زوجها قد تغير عليها فتأتي تقول لك كذا وكذا، وتجدها تدعو ليلًا ونهارًا:

- فإذا عاد لها ما تريد إزدادت طغيانا!.
- وإذا لم يعد لها ما تريد إزدادت يأسًا وقنوطًا من رحمة الله!.

فانت لاحظ أن اليأس والقنوط عكس أنه طمعان، صورتان عكس بعضها، لكن المقصود هؤلاء الشابات يفكرون أنهم لا يريدون من الله إلا أن يعطيهم مرادهم!، لكن فتش لماذا ابتليت هذه البلوى؟!، لماذا حرمت هذا الحرمان؟!، ومن أجل ذلك انظري آية ٥١ بدأت بوصف الإنسان في وقت الرخاء ثم أتى وقت الشدة، لاحظ الفارق بين آية ٤٩ وآية ٥١

في آية ٤٩: كان اللّوم على الإنسان لأنه إذا مسه الشر كان يئوس قنوط، والمفروض يكون في قلبه رجاء في ربه ولا يتصور أن النعمة إذا ذهبت لا تعود لكن هذا اختبار يأخذ منك النعمة ويراك ماذا تفعل.

إذن سنقول في الحالة الأولى في حالة أن مسته الضرّاء، ماذا يكون حاله؟ يئوس قنوط، على ماذا يلام؟ يلام على فقده للرجاء، المفروض يكون قلبه ممتلأ رجاءًا بالله، وأن الله عز وجل كما أعطاه قادر على أن يعطيه أكثر مما يرضيه، انت تقولين لي إذن أنا إذا

كنت صحيح أرجو سأدعو الله فانظري إلى آية ٥١ أنه مسه الضرّ فكان ذو دعاء عريض، على ماذا يلام إذن؟ أليس ذو دعاء عريض أحسن من يئوس قنوط؟ نقول لا، هذا أصبح ذو دعاء عريض لماذا؟ فقط يريد الدنيا!.
ولذلك هنا اللوم كما اتفقنا والعيب على أنه ترك الدعاء في الرخاء وترك الشكر على النعماء، وطاش عقله، فكأن الأول المفروض لا يفقد الرجاء بل يطلب من الله ومع طلبه من الله لابد أن يكون هناك أمر أخر أن يصبر على المصيبة ويرى أن ربه حكيم ويفتش في نفسه ما الذي أصابه بهذه المصيبة، أين التقصير، ثم يرى مصائب الدنيا بنسبة للآخرة لاشيء، فإذن أدعو وكن ذو دعاء عريض ولا تكن يئوسًا قنوطًا لكن لا يكن رجائك التضرع جزعًا على الفقد، وليس رجوعًا إلى المنعم.

وهذه الحقيقة من أدق المشاعر التي نحتاج إلى ضبطها قبل الكلام عنها، هذه الآية آية واضحة في الدلالة على لوم من يريد الدنيا ويتعلق بها، وأوصيكم هذه الوصية لا تشوشوا على الناس وتقطعوا عليهم باب رجاء الله بسوء فهمكم للمعنى، ولاحظ أن مثل هذا الموضوع لم ندرسه إلا في الربع الأخير من الكتاب، فمعناه يحتاج إلى مزيد بيان لحق الله وتعظيمه، وكيف لابد أن يكون في قلبك رجاء للآخرة، ثم إذا بُني هذا كله تبيّن لك لماذا هؤلاء يلاموا لأنهم ذو دعاء عريض.
خصوصًا الذين تراهم مشوشي الفكر لا تخلط عليهم إلا بعد أن يظهر هذا، وأنا أوصيكم أن تأتوا إلى هذا المقطع وتكرروا قراءته في التفسير، وأنا بريئة عند الله من كل من ييئس الناس من روح الله، بالعكس! انت المفروض تزيدهم إقبالًا بكلمة بسيطة سهلة بعد أن تنصحه بأن يدعو الله ويسأل الله قل له: ولا يكن اهتمامك بالدنيا، وهذا النقص الذي حصل في الدنيا ليس بشيء! وانشغل برضاه سبحانه وتعالى وفليكن هذا همّك والله عز وجل مطلع على ما قام في قلبك.
يعني كلام يجعله يلاحظ قلبه ولاحظ مطلبه، وعلى كل حال آية ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ واضحة المعنى.
على كل حال بهذا تبيَّن شيء من المقصود ولما فهمت الآية ستفهمين بالضبط قصة الثلاثة الأعمى والأقرع والأبرص، ستفهمين كيف أن الضرّ أصابهم ثم أنعم الله عز وجل بعد ذلك عليهم ثم كيف أنهم اختلفوا في ردة فعلهم مع اشتراكهم في الأول.
بهذا نكون انتهينا من آية المتن.

نرى التفاسير التي نقلها المصنف؛ المصنف يدور حول كلمة ﴿هذا لي﴾ في تفسيرها، لب القصيد هنا نسبة النعمة إلى الجهد والنفس، بمعنى الشعور باستحقاق النعمة.
قال المصنف رحمه الله تعالى:

قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به.

هذا لي بمعنى بعملي، أنا مجتهد فأستحق أن أرقى، أستحق أن آأخذ هذا الراتب، أستحق أن أعطى،

وقال ابن عباس: يريد من عندي.

بمعنى أن هذه النعماء أنا المجتهد في تحصيلها، هذا معنى كلام ابن عباس.

الدليل الثاني.

نأتي الآن إلى آية القصص؛ يفسر آية فصلت بآية القصص.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [٦٠٠]

هذا قول قارون، سيأتينا كلام ابن كثير وسنعلق عليه.

قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب.

هذه الثروة التي حصلها من أين لك حصلتها يا قارون؟ قال أنا ذكي، وأفهم كيف أكسب، وعندي علم بالتجارة ووجوها، وأفهم كيف أنمي مالي.

وهات من هذا الكلام الذي تسمعه في كل مكان عن كبار التجار، وكيف أنهم يرون أن هذا بذكائهم، وهذا بقدرتهم، وهذا بتخطيطهم، بتنظيمهم، وانت أول ما تقول لهم لا تخطيطك ينفع ولا عملك يأتي بنتيجة يقول لك انتم أهل العشوائية وكل شيء عندكم بالبركة!، استهانة بالبركة عجيب!!، وهل العباد إلا يتقلبون في بركات الله؟!، لكن حسرة! أن يختلط الأمر في العقول بين التوكل وشدته وبين العشوائية وآثارها.

على كل حال رتب نظم ابذل وانت مؤمن أن الأول الذي اعطاك القدرة على الترتيب والتنظيم والانتفاع بعقلك هو الله، وأن الآخر الذي سيعطيك النتائج هو الآخر سبحانه وتعالى.

الناس الذين يرون الأفلام الوثائقية التي تتكلم عن شيء من الأخطاء البشرية ومن الأخطاء الإلكترونية في معالجة كثير من المشاكل تفهم هذا الشيء جيدًا!، من زمن كانوا يتكلمون عن أحد الطائرات الكبيرة النفاثة أنها وصلت إلى نصف الرحلة ولم يكن معها وقود، تخيل طائرة في الجو فقدت نصف وقودها!، هل تسرب الوقود؟ لأ!، هل فقدت وقودها بعد امتلائه بطريقة ما؟! الجواب لأ!، ماذا حصل؟ بعد طول تحقيق وبأختصار وجدوا أنهم لما أتوا يملئوا هذه الطائرة بالوقود بدلًا من أن يحسبوا كمية الوقود بالكيلو جرام حسبوه بالبوندات، الباوند يعتبر نصف الكيلو جرام، يعني لو كانت تحتاج ١٨٠ جرام من الوقود أعطوها نصف هذه الكمية!، فوصلت الطائرة إلى نصف المسافة ثم قصة مأساوية في نزولها وهبوطها إلى أخره!.

السؤال الآن أين أنتم يا أهل التحقيق؟! خطأ يحصل في ثانية، يعني أن يأتي الشخص وعنده طريقتان في الحساب فيخطأ بين أحد الطريقتان وكما تعرفون أن هذا ورائه الثاني والثاني ورائه الثالث، فهذا الخطأ يمر على كل هذه السلسلة ولا يشعروا بالحساب الخاطيء!، وفي نهاية الأمر هذه الطائرة نجت بلطفه وحده لا شريك له!، فماذا تقول في مثل هذا؟!، هم يفسرونه بآلاف التفاسير، ويحاسبون الناس محاسبة يستحقونها لا ننكر المحاسبة، لكن ثم ماذا تفهم؟!، ماذا تفهم من جهة أن خطأ مثل هذا يقع، وماذا تفهم في أن الله عز وجل لطف بهم وأخرجهم من مثل هذا.

---

[٦٠٠] القصص:٧٨

هذه الأفلام الوثائقية التي تتكلم عن دقائق هذه الأحوال الحقيقة أنها تزيد العبد إيمانًا بلطفه سبحانه وتعالى وقدرته، حتى أن في هذه القصة بالذات أنهم بعدما فقدوا الوقود وقع لهم أمر أخر عطل المسألة من وجهة نظرهم أن الكفر الوحيد الأمامي وقتما يهبط تعطل، في أول الأمر رأوا هذه مصيبة عظيمة لكن في التقرير وجدوا أن هذه كانت من الانعم، طبعًا لا يذكرون هذا الكلام لكن انت ترى وتسمع هذا الكلام ترى لطفه سبحانه وتعالى، كيف كانت من النعم؟ لأن عدم وجوده سهل سرعة وقوفها بعد هبوطها وإلا كان لا يستطيع أن يتحكم فيها مسافة طويلة.

المهم المقصود هناك من المواقف والأحوال لأهل التخطيط لا لغيرهم من الثغرات ما ترى، ويكفيك مؤخرًا الجماعة الذين يتكلموا في اليابان عن الشرق يكفيك ما سحبوه من سيارات بعد نزولها إلى السوق، تعرفوا أن أكبر شركتي سيارات في الشرق سحبت كمية هائلة من سياراتها بسبب أخطاء مهلكة فماذا تقول في كل هذا؟!.

كل هذا يشير لك إشارة واحدة القوم قالوا: "هذا بعملي" والله عز وجل يؤدبهم، ستقولين كفار نقول صحيح كفار، أتركهم واعتبر انت فقط، كل شيء يشهد لك يا أيها المؤمن المتقيّ كل شيء يشهد لك بأنه وحده المدبر للأمور اللطيف الأول الأخر، فما بال أهل الإيمان يضعف إيمانهم مع كثرة الشواهد لهم أنه وحده مالك الملك، وأنه وحده المدبر وإذا عدت له فتح له من أبواب صلاح الآخرة والدنيا ما لا حساب له، ما لا قدرة لك على إدراكه، هل تتصور أن عقولهم أحسن من عقلك؟ وفهومهم أحسن من فهمك؟!، هم فتحت لهم الدنيا عقابا وانت عد إلى ربك واسأله وأنكسر بين يديه أن يصلح لك دنياك التي فيها معاشك وأخرتك التي فيها معادك، وتعلم أن الله لا يخذلك، لكن حمى! حمى أصابت العقول، هزيمة نفسية نسأل الله أن يخرجنا منها ويعيننا على أن نخرج أبنائنا والأجيال القادمة منها.

المقصود أنك تؤمن إطلاقًا أن لا تقدم ولا حضارة ولا نعم ولا عطاء ولا تسديد من الثغرات ولا حفظ من الأخطاء إلا من الله، نسأله سبحانه وتعالى أن يسد ثغراتنا في كل أعمالنا فيما يصلح دنيانا وآخرانا، نسأله سبحانه وتعالى أن يسدد ثغراتنا ونحن ندعو إليه، نسأله سبحانه وتعالى أن يسدد ثغراتنا ونحن نرشد الناس إلى دينه.. اللهم آمين.

ثم بعد ذلك قال الشيخ:

وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل.

يعني إما على علم منه على وجوه المكاسب، يعني أنه يعرف كيف يكسب أو أن هذا الأمر أعطاني الله إياه لأني استحقه، فإنه نسب النعمة إلى الله ويرى نفسه مستحق لذلك أو أنه نسب النعمة إلى نفسه ورأى نفسه مجتهدًا بالغًا الأجتهاد.

وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

يعني لأن لي مكان عند الله.

قال الشارح: وليس فيما ذكروه اختلاف وإنما هي أفراد المعنى

الآن نقلنا الشارح إلى كلام ابن كثير:

قال العماد ابن كثير رحمه الله في معنى قوله تعالى : " إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة "

لماذا أتى الشارح بهذا الشرح؟ والزيادة في طريقتنا في شرح التوحيد لما تقرأي شرح لابد أن تفهمي هذا، أي ماذا يريد، نبدأ أولًا بالنظر إلى السياق في سورة الزمر ثم نقرأ ما نقله الشيخ عبد الرحمن من شرح لابن كثير.

فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾
ما معنى الآية إجمالًا؟ معناها أن الإنسان إذا أصابه الضرّ طلب من ربه أن يفرج عنه، فإذا كشف الله عنه ما أصابه وأعطاه النعمة عاد فوقع في كفر النعمة، وأنكر فضل ربه.
ويبقى لنا ما معنى ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾، كما ذكرنا سابقًا:
- أما أوتيته على علم أنه علم من الله وأني له أهل وأني مستحق.
- أو على علم بإجتهادي.

آية سورة الزمر صريحة في كون أن عطايا الدنيا كلها فتنة، ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ يبتلى الله بها عباده لينظر من يشكره ممن يكفره، ولكن أكثر الناس بجهلهم وبسوء ظنهم لا يعلمون أن ذلك أستدراج لهم من الله وامتحان لهم على شكر النعم.
ومثل هذا الأمر يتكرر معنا دائمًا فترى العبد إلى ربه مضطر محتاج، يمر بأزمة، اختبارات، تزويج أبناء، شراء بيت، بناء، أي شيء مما يتصل بالدنيا، فتراه متأزمًا يريد الخروج والخلاص لأحسن حال، فإذا أنعم عليه وأعطاه الله مراده نسب هذه النعمة إلى نفسه فيقول نجح أولادي لأني درستهم، شفي مريضي لأننا اخترنا مستشفى أو طبيب مناسب، بيتي بُني بصورة حسنة لأن المقاول كان اختياره صحيح، وهكذا من صور ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.
والشارح – والله أعلم – نقلنا إلى آية الزمر ونقلنا إلى كلام ابن كثير لتقرير معنى ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ وبهذا يكتمل لنا تفسير الحديث، ما معنى هذا الكلام؟ حديث الأقرع والأبرص والأعمى الذي سمعناه في أول الدرس في أوله: " أراد اللَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ" فشاهد أراد الله أن يبتليهم واضح في آية الزمر ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ ، هؤلاء الثلاثة يدخلون في آية فصلت وفي آية القصص، وأظهر في فصلت.
لماذا آية فصلت مناسبة تمامًا للحديث؟ ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ هنا الشاهد ﴿مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ ، هم الآن أصابتهم الضراء، في الحديث أصابتهم الضراء ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ فهؤلاء الثلاثة أصابهم الضرّ ثم أذاقهم الله الرحمة ثم اختلفوا، إذن آية فصلت واضحة الدلالة في دلالتها على الحديث.
وأتت آية الزمر من أجل:" أراد اللَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ" فأراد أن يبيّن لك كيف هي فتنة، وأتتك أيضًا آية القصص من أجل أن يزداد بيان الأمر لك في كون أن الإنسان لما ينعم الله عز وجل عليه نعمة ماذا يفعل؟ ينسى ربه، كان ذو دعاء عريض، أنعم الله عز وجل عليه نعمة فقُلب ونسب النعمة إلى نفسه وإلى قدرته، وأنا فعلت وأنا تركت.
فهذه حال أغلب البشر أن يصابوا بالضر فينعم الله عز وجل عليهم بالنعمة فينسبون النعمة لأنفسهم ولجهدهم، ماذا يقول الله عز وجل لهم في سورة الزمر؟ ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾كان الله يختبرك فقط، فما موقفك في الضر، وما موقفك لما يعطيك النعمة.
ولذلك انت تجد كثير من النساء فتضيق أحوالهم مع أزواجهم فيأخذون بالأسباب الدنيوية التي تكون سبب في تفريج المشكلة أما يعطون أزواجهم أموال، أما يحسنوا في أشكالهم، أما يغيرون في أشكالهم إلى أخره كما تفهمون هذه الحالات، ثم تقولي لها ما حالك؟ تقول الحمدلله عادت المياة إلى مجاريها واستحسني، وبعدما كان هناك فجوة الحمدلله أقترب، والحالة الحمدلله طيبة، ثم تقول لك لكن أنا تعبت جدًا، مثلًا فعلت كذا وكذا، وصرفت كذا وكذا من أجل أن أغير كذا ومن أجل أن أحسن في صورتي كذا، ومن أجل أن أعمل كذا، او أعطيته من المال كذا، ولما أعطيته ولما فعلت ما في نفسي ولما غيرت شكلي، عرفت أأتي به وأأتي بقلبه!، فترى في هذا الكلام رائحة أن حل المشكلة أتى من عندي، لا أن الله شرح صدره وأن هذه الأسباب التي فعلتها كانت لها نتيجة،

وانت تتصور أن كل من يفعل سببًا يجد نتيجته؟!، إنما الله هو الذي يسبب الأسباب وييسرها ويهأيها، وهو الذي يعطيك نتائجها!، فلا تنسب النعمة إلى غيره، لا تنسب السبب إلى غيره، ولا تنسب النتيجة إلى غيره.

نقرأ كلام ابن كثير مرة أخرى:

قال العماد ابن كثير رحمه الله في معنى قوله تعالى : ﴿إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

يخبر أن الإنسان في حالة الضر يضرع إلى الله تعالى وينيب إليه ويدعوه ، ثم إذا خوله نعمة منه طغى وبغى

إذن هذا من الطغيان والبغي أن تقول: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ طبعًا انت لن تنطق هذه الكلمات بحروفها انت ستقول معناها، وستفهم هذا لما تأتيك القصة، في القصة هؤلاء عبروا عن ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ بصور تفهمك ان هذه الجملة ليس شرطًا أن تقال بحروفها إنما معناها في كل موقف سيعود لهذا الأصل ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

و " قال إنما أوتيته على علم " أي لما يعلم الله من استحقاق له ، ولولا أني عند الله حظيظ لما خولني هذا .

لولا أني لي عند الله لي مكانة لما خولني هذا وأعطاني إياه، هذا على كلام المفسرين واتفقنا أن القول الثاني: لولا أني اعلم بوجوه المكاسب.

قال تعالى: " بل هي فتنة" أي ليس الأمر كما زعم بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه أيطيع أم يعصى؟ مع علمنا المتقدم بذلك

يعني علم الله عز وجل، لكن هذا علم الظهور وعلم الظهور أول من ينتفع به انت، فانت تظن نفسك أنك شاكر، تظن نفسك أنك ذاكر، تظن نفسك أنك ناسبًا النعمة إلى الله، تظن نفسك أنك بعد الضراء إذا فرجت فأصبحت سراء لن تشغلك النعمة عن الله، تظن في نفسك هذا الظن، لكن حقيقته لن تظهر إلا لما تأتي الضراء ثم السراء ثم انظر نسبة النعمة إلى من تكون.

" بل هي فتنة " أي إختبار " ولكن أكثرهم لا يعلمون " فلهذا يقولون ما يقولون ، ويدّعون ما يدّعون

أكثرهم لا يعلمون أن الله يختبرهم بالضراء التي تأتي بعدها سراء، يختبر صدق نسبتهم النعمة إلى الله، صدق تعلقهم بالله، صدق رجاؤهم له، واعتقادهم به، فما الذي له تضرع؟! هل انت وقت الضراء تعود إلى المنعم تطلب رضاه وتعلم أن من رضاه صلاح الدنيا والآخرة؟! أم لا تريد من المنعم إلا أن يعطيك ثم تنساه؟!.

" قد قالها الذين من قبلهم " أي قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادّعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الأمم " فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون "

ما أغنى عنهم هذا الكلام ودعواهم أنهم يملكون ويستطيعون.

أي فما صح قولهم ولا نفعهم جمعهم ، وما كانوا يكسبون . كما قال تعالى مخبرًا عن قارون:

يعني لم ينفعهم وانظر إلى حال قارون، نبدأ الآن في وصف حال قارون.

"إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين "

الفرحين الذين تملكت قلوبهم الدنيا، فهم لإقبال الدنيا منشرحين، ولإدبارها منكسرين يائسين قانطين، وهذا الأمر حقيقة كثير من الناس لا يستطيع إدراكه ولا إدراك ذمه، إدراك ذم النهي عن الفرح بالدنيا، ويقولون لك الذي ورد في الآية فرح مذموم فرح البطر، نقول صحيح هذا فرح مذموم فرح البطر، من أين لكم أن فرحكم فرحًا محمودًا؟! وما مقياس الفرح المحمود؟!.

فتجد في هذا الأمر شيء من المخادعة، ما المعنى؟ أن في كثير من الأحيان نجد أنفسنا نتصور عن أنفسنا أننا نفرح فرحًا محمودًا ونحن في الحقيقة ندور في الفرح المذموم ونحن لا نشعر، وهذا الأمر تجد بيانه في كبيرة الفرح وفيه أن من تعلق بالدنيا وملأت قلبه وأشتد عزمه لها إذا أقبلت عليه فرح وإذا أدبرت عنه يأس ووقع في القنوط.

هذا أيسر فهم لكبيرة الفرح أن تفهم أن هذا عبد امتلأ قلبه بالدنيا، رضي بوجودها، سخط لعدمها، إذا أتت أشتد فرحه وتراه في حال من التيه في قلبه، التيه يظهر على الإنسان من قلبه، مشاعر قلبية أن الدنيا هذه كأنها في يديه، ملكه، وإذا ذهبت فهو يئوس قنوط، يعني هذا الذي ندور فيه هو الذي يبين لك كبيرة الفرح.

ولذلك في سورة الحديد: ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَآ ءاتَاكُمْ﴾ وفي السياق هذا وصف الدنيا، ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ إلى أخر الآيات، فكأنه يقال لك برد قلبك من الدنيا واسأله سبحانه أن يعطيك الدنيا والآخرة.

على كل حال لا تنسى آية سورة الحديد ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَآ ءاتَاكُمْ﴾، ولذلك أتى في نفس السياق وصف الدنيا.

وقيل له ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ يعني لا تترك حظك من الدنيا بأن تتمتع فيها بالحلال دون إسراف، ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ وأحسن إلى الناس بالصدقة كما أحسن الله إليك بهذه الأموال الكثيرة، ﴿وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ﴾ المقصود لا تتيمم الخبيث وما حرم الله فتصرف مالك فيه.

كل هذه النصائح هل فيها أذية؟ ليس فيها إلا كلام طيب يقال له ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ يعني التمس بالأموال التي اعطاك الله إياها الدار الآخرة، فما الذي يجعله يرد عليهم فيقول ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ ما الذي في قلبه يجعله أن يقول هذا الكلام؟ كأنه يقول لا تكلموني عن حق الله، هذا المال أنا أجتهدت وأتيت به، لا تكلموني عن الفقراء فأنا أجتهدت فليجتهدوا، لا تكلموني عن أوجه للصرف تحضوني فيها هذا المال بذلت واجتهدت فأصرفه كيف أشاء، ماذا يقول الله عز وجل؟ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ المقصود إذا كنت يا قارون تقول أنك أعطيت هذه الكنوز بما عندك من العلم والقدرة فأدفع عنك عذاب الله!! ثم صور لك كيف العذاب أتى في باقي السياق.

المقصود هذا الموطن ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ﴾ بمعنى أن من قبلك يا قارون قد أظهر الله عليهم قدرته فلما تعيد على نفسك الأمر انت؟!، وكما قال تعالى واستشهد بذلك الشيخ ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ بمعنى أنهم يرون أنفسهم وما ملكهم الله سبب لدفع العذاب عنهم.

نكون بهذا الحمدلله انتهينا من الآية التي هي صلب موضوع الباب.

الدليل الثالث.

نرى الشاهد لهذه الآية من الحديث الذي أخرجاه البخاري ومسلم، سنقرأ الحديث وسنشرح جملة جملة إن شاء الله.

قال المصنف رحمه الله:

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ ثَلَاثَةً من بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى. أراد اللَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا،

أراد اللَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ: من آية الزمر يبتلي ماذا فيهم؟ يختبرهم الله عز وجل وهم في حال الضرّ لما يغنيهم ويعطيهم ماذا سيفعلون.

فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ،

هنا ماذا تحب أن ينكشف عنك؟ فكأنه يسأله عن الضرّ الذي أصابه وماذا يريد في هذا الضرّ

ويذهب عني الذي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ به.

ضرره دائر حول ما أصيب به من برص وأن الناس يستقذرونه بسبب هذا البلاء.

قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قذره،

طبعًا بأمر الله.

فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟،

هذا السؤال أيضًا موجه من الملك وكما تلعمون ان الملك لا يظهر بصورته الملكية إنما يتمثل بصورة بشر، فبعدما سأله أي شيء أحب إليك في حالك قال: لون حسن وجلد حسن، هذا الذي يرجوه من حاله، ثم في ماله هذا أمر زائد، المعنى أن هؤلاء كانوا يجمعون بين الأمر الذي يستقذره الناس بسببه والفقر، وإلا لو كان مجرد البرص ومعه مال ربما لم يكن هذا حاله، فالمال سبب لأن يتعالج وأيضًا سبب لأن يحترمه الناس حتى لو كان فيه عاهة، فالظاهر أنه فقير.

فماذا ذكر من المال؟ ذكر الإبل أو البقر.

قَالَ الْإِبِلُ أَوْ الْبَقَرُ . شَكَّ إسحاق.

المقصود الرواي أنه اختار إبل أو بقر، المقصود أنه طلب من الدنيا سواء الإبل أو البقر طلب من الدنيا الشيء العظيم الذي يتكاثر أو يكون غالي في سعره،

فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ

سيتبيَّن لنا من كلام الشارح

قال: والناقة العشراء بضم العين وفتح الشين وبالمد هي الحامل.

إذن المعنى أنها سبب للإنتاج، يعني لم يعطيه كثير إنما أعطاه ما يسبب الإنتاج، ومادام سيسبب الإنتاج إذن سيكون هناك رعاية له، أعطاه السبب الذي سيعطي من ورائه الإنتاج ثم لاحظ ماذا قال له؟

وَقَالَ بارَكُ الله لَكَ فِيهَا.

نقرأ الجزء الثاني؛ الموقف مع الأقرع.

أولًا تعرفوا من هو الأبرص؟ البرَّص مرض يصيب الإنسان يغير الجلد ببياضٍ ناصع، وهذا البياض يكون غير مقبول في ألوان البشر، ليس البياض العادي إنما بياض غير مقبول في ألوان البشر يصيب الجلد.

قال: فأَتَى الْأَقْرَعَ

الأقرع داء في الرأس يزيل نبات الشعر، والأبرص والأقرع من العيوب التي بها يمكن أن يفسخ النكاح.

فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الذي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ به، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عنه،

يعني ذهب عنه القرع الذي يستقذره الناس ويعيبونه به، وأعطي شعرًا حسنا.

فقَالَ:- الملك - وَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: الْبَقَرُ أو الإبل، فَأَعْطَي بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكُ الله لَكَ فِيهَا.

من الذي قال هنا؟ الملك: بارك الله لك فيها.

فَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ، قَالَ: أن يَرُدُّ اللَّهُ عَلَيَّ بَصَرِي؛ فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ،

انظري الفارق بين الثلاثة حاجات؛ أكيد أنك تري أن فرقًا بين أبرص وأقرع من جهة وأعمى من جهة، الأبرص والأقرع يستطيعون أن يعيشون حياتهم لو غضوا طرفهم عن كلام الناس، يستطيعون أن يعيشون حياتهم ولا ينقصهم شيء في ممارسة الحياة، لكن انت ترى أن من كثرة الطمع في الدنيا وحب الدنيا الإنسان يرى كل نقصٍ شديد.

ولاحظ كلامهم من أوله يظهر " الناس" شيء مهم عنده، " الذي قد قذرني الناس به" هذا قاله الأبرص وقاله الأقرع، وإن كانوا لا يلاموا على هذه الرغبة لكن أقول لك قارن بين هذه الحاجة والحاجة التي هي أعلى، وانظري إلى كلام الأعمى.

قَالَ: أن يَرُدُّ اللَّهُ عَلَيَّ بَصَرِي؛ فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ،

من أول الأمر هناك فرق بين طلب هذا وطلب من قبله، هم قد سألوا أي شيء أحب إليك.

⇦ في حالة أي شيء تتمناه الأثنان قبل قالوا مباشرة رغبتهم لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني.

⇦ هذا قال أن يرد الله عليّ بصري.

فكأنك ترى أنفاس التعلق بالله وترى نتائج الاختبار من قبل أن تدخل الأختبار، فمن كان هذا مسلكه دومًا في نسبة النعمة إلى الله ونسبة الطلب إلى الله ورجاء الله والإيمان أن لا أحد ينفعك إلا الله هذا نهايته مبشرة، لكن لما ترى أن بدايته تعلق بالدنيا أكيد أن نهايته ستناسب هذه البداية إلا من رحم الله.

هنا قال الناس أيضًا لكن من أجل أن يبصر هو الناس، لا من أجل أن يرضى الناس عنه، لأ بالعكس من أجل هو أن يبصر الناس، وهذه حالة ملحة أن يبصر الناس من حوله.

فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأَعْطَي شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا،

انظري حتى ماذا يريد، حتى إرادته ليس فيها ذاك الطمع، لأنكم تعلمون أن الغنم نتاجها ليست مثل نتاج البقر والإبل.

فماذا حصل؟

فَأَعْطَي شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ.

نفهم فعل انتج وفعل ولَّد من كلام الشارح.

قوله : أنتج وفي رواية فنتج معناه تولي نتاجها ، والناتج للناقة كالقابلة للمرأة .

كالقابلة يعني التى تولدها، يعني يرعاها إلى أن يولدها، المرأه تلد عند القابلة ترعاها إلى أن تخرج من بطنها الطفل.

نتَّج أي رعاه حتى خرج من بطن الإبل والبقر نتاجها.

تعرفون ما القابلة؟ اليوم اختفت القابلة، مثل طبيبة الولادة.

قوله : ولد هذا هو بتشديد اللام ، أي تولى ولادتها ، وهو بمعنى أنتج في الناقة ، فالمولد والناتج والقابلة بمعنى واحد ، لكن هذا للحيوان ، وذلك لغيره .

بعدما أصبح لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم وبعدما رعوها وأخذوا بأسباب تكثيرها فكثرت وأطمئنوا لها، أتى الآن الإبتلاء، ولاحظ من أجل أن يوجد واد من الإبل وهناك واد البقر والبقرة من أجل أن تحمل وتضع يحتاج هذا إلى ما ملخصه عشرة أشهر إلى سنة ، ليصبح هناك واد فيه ٢٠ أو ٣٠ يحتاج كم من العمر؟ ٣٠ سنة علي الأقل، تخيل بُعد الإبتلاء عن العطاء لكنك ستختبر في النهاية!، ستُعطى وتُختبر في النهاية!، لن تمر النعم هكذا بدون فتنة واختبار.

فمن فوائد هذا الحديث الغاية في الأهمية، المهمة جدًا أنك لا تغتر وتتصور سرعة الاختبار ما صورة الاختبار الآن ؟

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ

من الذي أتى الأبرص في صورته وهيئته؟ هذا راجع لأقرب مذكور وهو الملك، أتى الأبرص في صورته وسنرى في صورته الضمير عائد على مَن الآن.

فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابن سبيل قد انقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ،

إذن في صورته هذا تعود إلى واحد من اثنين:

- في صورته الأولى التي أتى بها أولًا
- أو في صورته يعني في صورة الأبرص

رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابن سبيل قد انقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ

انظري إلى الشرح ماذا قال الشيخ عبد الرحمن:

وقوله : انقطعت بي الحبال هو بالحاء المهملة والباء الموحدة : هي الأسباب .

أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي،

يعني كل الذي يطلبونك وأنت تستطيع والله عز وجل أعطاك النعمة إنما هم اختبار لك.

فَقَالَ: الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ،

ما معنى الحقوق كثيرة؟ يعني استكثر الحقوق التي عليه ولم ينظر إلى فضل الله وسعته، يعني يتعذر هو الآن، ألم يغنه الله بعد فقر وأعطاه جلد حسن ولون في مدة قريبة؟!.

على كل حال هذه عادة من لم يوفقوا، يتعللون لعدم توفيقهم ولشح أنفسهم بكثرة الحقوق عليهم، ولاحظ أنه ذكره قال: "أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال" فهذه كلها كأنها اجتمعت عليه: [التذكير والسعة] يعني اجتمعت عليه هذه

الأسباب التذكير بحاله الأول والسعة التي هي موجودة عنده، انت الآن لو كان عندك سعة بغض النظر عن حالك الأول عندك سعة المفروض تعطي، انت كان لك حال من فقر وطلب منك وذكّرت بالذي مضى المفروض أجتمعت عليك أسباب العطاء.

المهم هذا لم يوفق

فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ،

هذا استفهام توبيخ، تقريع، وتقرير له.

فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ عز وجل المال؟

وهذا الذي يجعلنا نقول أنه جمع بين أمرين:

- أبرص فأعطاك الله الجلد واللون.
- وفقير أعطاك الله ما بين يديك من المال.

وهنا حصل جحد نعمة المنعم عليه في البدن والمال، وهذه المضائق التي يظهر فيها الحقائق، **لا تنسى أبدًا أن المضائق تظهر فيها الحقائق**.

فَقَالَ: إنما وَرِثْتُ هذا المال كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

إنما وَرِثْتُ هذا المال كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ: جمع بين إنكار نعمة الله وكفرها وبين الكذب، فنسب هذه النعمة إلى آبائه، وهذه صورة ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ فكأن هذه صورة من صور معرفة نعمة الله ثم إنكارها.

الملك ماذا قال له؟ إن كنت كاذبًا في مقالتك هذه فصيرك الله إلى ما كنت في الزمن الماضي، يعني يعود البرص فيصيبك ويعود الفقر فيصيبك.

انتهينا من الأول.

قال: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وهيئته،

نفس الكلام، الضمير سيعود إلى صورته التي أتى بها أول مرة أو صورته بفقير مصاب بالقرع.

فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا

يعني قال له رجل مسكين وابن سبيل؛ فقال له صفتان يستحق بإحداهما أن يعطيه، وهنا مسكين وابن سبيل اجتمع له سببان، فماذا فعل؟ قال له نفس الكلام: انقطعت بي الحبال أي الأسباب، وأنا متلبس في السفر فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، وقال اسألك بالذي أعطاك الشعر الحسن والمال بقرة أتبلغ بها في سفري، قال له نفس الكلام: الحقوق كثيرة!.

يعني لا تنسى أن الذي يلقنهم هذا الشيطان، شح في النفس مع الشيطان يجتمعان.

فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قال: فَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وهيئته فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ قد انقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي؟، فَقَالَ: قد كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي

لاحظ هو الذي يذكر نفسه بما مضى من نعمة الله، وهذا معنى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ هذا أعظم التحديث، فهو يقارن بين حاله اليوم وهو في النعمة وبين حاله السابق وهو فاقد للنعمة.

فماذا قال؟

قد كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَخُذْ مَا شِئْتَ ودع ما شِئْت،

كأنه يقول بهذا أنا أشكر الله ودع من مالي الذي ترى ما شئت، بمعنى أنه من الله.

فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ،

فوالله: كأنه يذكر نفسه أن الله هو الذي رد عليه بصره وأغناه بعد فقد.

لا أجهدك شرحها الشيخ:

قوله: لا أجهدك معناه : لا أشق عليك في رد شئ تأخذ ، أو تطلب من مالي.ذكره النووي

يعني لا أشق عليك، ويترك الجهد أن يناقشه ويضاربه.

فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ

يعني إذا تعاملت هذه المعاملة قيل لك أمسك مالك، وأمسك مالك هنا من الملك لم يأخذ منه شيء، وأمسك مالك في أحوالنا السائرة أن يرد عليك هذا بأضعافه، الملك لما قال له الرجل معترفًا بنعمة الله خذ فأنا قد حصرت قصدي للهز

ولاحظ أيضًا أن الأعمى جملته غاية في الوضوح فقال له: "لا أجهدك بشيءٍ أخذته لله" يعني في حق الله فمن أجل أن لا يعتدي عليه ويأخذ فيكون كذاب فحصر قصده لله وحده حذرًا من الكوادر في الإخلاص، يعني خذ ومادام أنك تأخذ لله، للا يكون منك اعتداء وفي نفس الوقت أنت لك حق لأن الله جعل للمسكين وابن السبيل حق.

في نفس الوقت قال الملك: "أمسك مالك"، يعني أمسك مالك الذي بذلته لي، وليس المقصود أنه أمره بالبخل والشح، فانتم تعلمون أن الملائكة لا يمكن أن تأمر بمعصية الله، لكن المقصود أن الاختبار انتهى وتبيَّن حال العباد، فإذا قال الملك امسك عليك مالك فحفظ المال كما هو، فانت لما تنفق يرد عليك هذا المال أضعافه ويسد عنك أبواب قد تنفق فيها أضعافه، فلما تنجح يقال لك أمسك عليك بل خذ وزيادة، لكن اليقين هو الذي ينقص العباد.

ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ بهذا يعلم أن الفلاح مقرون بوقاية الله العبد شح نفسه، وبهذا يعرف فضيلة الإفضال والإيثار، وبهذا يعرف قبح نتيجة الشح، والشح كما تعلمون هو غاية البخل، ﴿ وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾.

المهم في أخر الحديث:

فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَن صَاحِبَيْكَ". أخرجاه.

يعني الله عز وجل رضي عنك بقولك وبعزمك على الفعل صادقًا، وبرضاك انت عن ربك، وبمعرفتك له، وبشكرك لنعتمه، وبتذكير نفسك لنعمته، وبإعترافك أنك له وبه وإليه، فهو الأول والأخر في قلبك، فأنت له وبه وإليه، ولذلك هذان الاسمان عجيبان — اسم الأول والأخر- عجيبان في إصلاح قلب العبد، [الأول والأخر والظاهر والباطن] فيهما صلاح العبد، جماع المعرفة فيه.

رضي الله عن هذا الرجل وسخط على صاحبيه، لماذا؟ لكفرهما بنعمة الله عليهما، المقصود أن الله عز وجل رضي عن هذا الرجل بسبب قوله وعزمه على الفعل، على الإنفاق في سبيله، الإنفاق دليل نسبة النعمة إلى الله والرضا به، ووقع السخط على صاحبيه بسبب كفر نعمة الله، فماذا تفهم؟ تفهم أن الفلاح مقرون بوقاية الله العبد شح نفسه ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ﴾، فالذي يمنع الناس من الإيثار هو الشح، والشح سببه سوء الظن بالله، لأن من كان متيقنًا أن ربه الذي أعطاه أولًا هو الذي سيعطيه ويعطيه حتى يرضيه.

على كل حال بهذا تبيَّن لك المقصود ووصلنا إلى غاية الكلام، والعبد كما أتى في المثل السائر: "عند الإمتحان يكرم المرء أو يهان".

على كل حال بلغنا نهاية مقصودنا، اسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما سمعنا وأن نكون ممن إذا أبتلي صبر وإذا أعطي شكر، وقد قال عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه يشكو تقصيره مع السراء قال: "بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر".

فنسأل الله عز وجل أن نوفق أن نكون ممن يصبر في الضراء ويشكر في السراء، وأن يكون هذا كله مبني على حسن ظن به سبحانه وتعالى وأن نكون ممن إذا إذاقهم الله الرحمة نسبوها له، وانتفعوا بها في القربة منه.. اللهم آمين.

أذكركم بشكر هذه النعمة – نعمة التواصل – من بعيد ومن قريب، فهو الذي ابتدأنا بهذه النعمة ونسأله أن يجعلنا من الشاكرين عليها، وأن يجعلنا ممن ينتفع بها في سبيله .. اللهم آمين.

انتهى بذلك هذا الباب، نسأل الله أن ييسر لنا بقية الأبواب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا لقاؤنا الثاني الحمدلله الذي نشرح فيه كتاب التوحيد عن طريق قراءة فتح المجيد.

باب قول الله تعالى: (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا)[٦٠١]

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله؛ كعبد عمر، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب.

وعن ابن عباس رضي الله عنه في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن ـ يخوفهما ـ سمِّياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فذكر لهما فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى: (جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا) رواه ابن أبي حاتم وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته. وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: (لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا)[٦٠٢]. قال: أشفقا ألا يكون إنسانًا، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

الدليل الأول.

باب قول الله " فلما آتاهما صالحا " الآية

قول الله " فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون " .

قال الإمام أحمد رحمه الله في معنى هذه الآية : حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال : سميه عبد الحارث فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث فعاش . وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره " وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به . ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد ابن المثنى عن عبد الصمد به ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه .

ولم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقصد.

هذا كله يتكلم عن سند الحديث، بدأ هذا الباب بهذه الآية في سورة الأعراف، سنرى ما المقصود بهذه الآية، لكن انظر إلى فعل الشارح؛ ماذا فعل؟ ذكر أول ما بدأ الحديث الذي هو تفسير للآية، الشارح ذكره والمصنف أيضًا ذكره بعده، لو نظرتي إلى المتن ستجدين أن المصنف ذكر هذا الحديث في نفس الباب، ذكره لكنه ذكره على أنه تفسير من ابن عباس للآية، الشارح أضاف فأتى برواية الإمام أحمد يليها رفع هذا الحديث للنبي صلى الله عليه وسلم ثم علق على الرواية.

---

[٦٠١] الأعراف:١٩٠

[٦٠٢] الأعراف:١٨٩

إلى هنا رواه الإمام أحمد، وأيضًا ابن جرير أي الطبري، والترمذي

ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعًا ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

يعني يرى أنه صحيح الإسناد على شرط البخاري والمسلم ولم يخرجاه أي البخاري ومسلم.

ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعًا .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا سهيل بن يوسف عن عمرو عن الحسن " جعلا له شركاء فيما آتاهما " قال : كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن آدم .

من يقول هذا الكلام – قال : كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن آدم– ؟ هذا كلام الحسن.

إلى هنا ستجدين أن هذه الآية أختلف في إسنادها إلى مَن، مَن الذي جعلا له شركاء؟!، لو نظرتي إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد أول رواية في الشرح لما ولدت حواء، فإذن هنا اللذان جعلا لله شركاء سيكون آدم وحواء.

ومثله في رواية ابن جرير ومثله في رواية الترمذي، ومثله فيرواية الحاكم في المستدرك، ومثله في رواية أبن أبي حاتم في تفسيره، ولاحظ حكم الترمذي قال:

هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم

هذا أول قول في تفسير الآية؛ ان الذي جعل له شركاء هم آدم وحواء.

ثم أتى القول الثاني عن الحسن نقله ابن جرير، جعلا له شركاء قال:

قال : كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن آدم .

إذن هذا القول الثاني أنه في بعض أهل الممل، بمعنى أنه ليس آدم وحواء، سنكمل ثم نرى لماذا حصل هذا الخلاف هل هو بسبب الحديث فقط أم سياق الآية سيدلنا على آدم.

وحدثنا بشر بن معاذ قال : حدثني يزيد ، حدثنا سعيد عن قتادة قال : كان الحسن يقول : هم اليهود والنصارى ، رزقهم الله أولادًا فهودوا ونصروا وهذا إسناد صحيح عن الحسن رحمه الله .

الآن أيضًا هناك تفسير ثالث، لكن لو نظرتيه سيكون مشابه للثاني، هم اليهود والنصارى يعني بعض أهل الملل، رزقهم الله أولادًا فهودوا ونصروا، هذا معنى أنهم جعلوا له شركاء، فأصبح الخلاف هنا جعلوا له شركاء، كأنه قول ثالث في جعلوا له شركاء، كيف جعلوا له شركاء؟ هودوا ونصروا.

قال العماد ابن كثير في تفسيره : وأما الآثار : فقال : محمد بن إسحاق عن داود ابن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولادًا فتعبّدهم لله وتسميهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك ، فيصيبهم الموت ، فأتاهما إبليس فقال : أما إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه به لعاش ، فولدت له رجلًا فسماه عبد الحارث ، ففيه أنزل الله : " هو الذي خلقكم من نفس واحدة " الآية

هذا كلام ابن عباس كأنه سبب النزول، سنقرأ إلى أخر شرحه ثم نفند الكلام.

وقال العوفي عن ابن عباس :فأتاهما الشيطان فقال : هل تدريان ما يولد لكما ؟ أم هل تدريان ما يكون ، أبهيمة أم لا ؟ وزين لهما الباطل ، إنه لغوي مبين ، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا ، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي — بي أي بالشيطان – لم يخرج سويًا ، ومات كما مات الأول . فسميا ولدهما عبد الحارث ، فذلك قوله تعالى : " فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون " .

وذكر مثله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . ورواه ابن أبي حاتم .

العوفي ذكر هذا عن ابن عباس وأيضًا سعيد ابن جبير رواه عن ابن عباس وورد هذا كله في تفسير ابن أبي حاتم، طبعًا انتم تعرفون تفسير ابن أبي حاتم يعتمد على النقل والإسناد والأثر.

وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، ومن الطبقة الثانية : قتادة والسدى وجماعة من الخلف ، ومن المفسرين والمتأخرين جماعات لا يحصون كثرة . قال العماد ابن كثير : وكأن أصله . والله أعلم . مأخوذ من أهل الكتاب .

قلت : وهذا بعيد جدًا .

يعني هذا رأي ابن كثير أن قول ابن عباس مأخوذ من الكتاب، إلى هنا انتهى كلام الشارح في الآية بعدها سيشرح كلام ابن حزم.

نلخص ما مضى؛ أول ما تنظرين إلى الآية سياتي سؤال من المقصود في ﴿آتَاهُمَا﴾ وما هو الصالح؟ وكيف جعلا له شركاء؟ ثم ما علاقة هذا بكتاب التوحيد؟

العلاقة سنجعلها أخر شيء، اليوم سنقرأ الآية فقط والأقوال حولها لأن الآية في نفسها وما ورد في تفسيرها فيه إشكال، نحن لا يكفينا أن ننظر إلى الآية منفردة، لن نفهم هذا الإشكال إلا لما ننظر إلى السياق.

ننظر نظرة أولى إلى السياق ثم سيطلب منكم إلى اللقاء القادم أن تمروا على تفسيره في أكثر من تفسير، نريد منكم أن تنقسموا إلى مجموعات وكل مجموعة تمر على أربعة تفاسير مختلفة بحيث يكون مجموع التفاسير التي سنصل إليها ستة عشر تفسيرًا وسيكون نقاشها إن شاء الله في لقاء مباشر، لأن هذه الآية من الآيات التي تشكل في سماعها فنريد أنم نبحثها بحثًا تفصيليلًا ونريد مناقشتها بالتفصيل فسيكون مناقشتها منفصل عن درس التوحيد.

سنقرأ من أول السياق من أجل أن نتصور.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

السياق واضح أنه في سياق مخاطبة من وقع في الشرك، الذي جعل كثير يأتون على هذا القول أنه آدم وحواء بداية الآية ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ تقرير أننا خلقنا من نفس واحدة، وأن الله جعل من هذه النفس زوجها ثم المصالح ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾

هذه البداية لما تغشاها إلى أخر هذه الآية ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا ﴾ وقع إشكال بين أولها وتابع الآية، بين أول الآية وأخر الآية؛ فهل المقصود أن الذي وقع في الشرك آدم وحواء؟ السياق يدل على أن هنا يوجد مخاطبة للمشركون ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ كل هذا إشارة إلى أن الخطاب لمشرك، لأحد وقع في الشرك.

تعال ننظر إلى طريقة الشارح في هذه المسألة؛ الشارح أولًا نقل ما ورد مرفوعًا في هذه الآية:

مجموع ما ورد مرفوعًا في هذه الآية أتى من جهة الإمام أحمد في المسند، ومن الطبري في التفسير، ومن الترمذي في الجامع، ومن الحاتم في المستدرك، ومن ابن أبي حاتم في التفسير، وذكره غيره، هذا الذي ورد رواه بعضهم عن عبد الصمد لكن لم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

إذن ورد مرفوعًا إلى النبي وورد غير مرفوع، فلما يرد مرفوع ويرد غير مرفوع ستكون هذه علّة قادحة في الحديث.

وَالْمَظْنُونُ بَلِ الْمَقْطُوعُ بِهِ أَنَّ رَفْعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَأٌ . وَالصَّوَابُ وَقْفُهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

هذا الكلام كله كلام ابن الكثير في التاريخ عن هذه القصة، هذا كان رأي ابن كثير أنه ورد مرفوعًا وورد موقوفًا هذه علّة قادحة في الحديث إذن المظنون بل المقطوع يقول أن رفعه للنبي صلى الله عليه وسلم خطأ، والصواب وقفه قال والله أعلم.

لما تأتي إلى التفسير ابن كثير قال:

هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه.

إذن هذا ملخص موقفنا من القصة مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه لو صح رفعها للنبي انتهى النقاش وسيكون هذا تفسيرها، لكن في رفعها للنبي صلى الله عليه وسلم خلاف شديد وهذا الخلاف يجعله علة قادحة في الحديث، يعني لا يقبل تصحيحه.

أتى القول الثاني – قول الحسن – وقول الحسن هذا يزيدك دلالة على أن الحديث المرفوع لا يصح لأن لا يمكن أن يتقدم الحسن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ويتكلم بكلامٍ يكون مضاد لكلام النبي، وإن كان يمكن أن يعتبر أنه لم يصل إن كان صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يصح.

الحسن ماذا قال في هذه الآية؟

قال: هذا كان من بعض أهل الملل.

المقصود أنه من ذرية آدم من وقع منه هذا الأمر بعد أن منّ الله عليهم أن خلقهم من نفس واحدة، وأنه جعل لها زوجها من أجل أن تسكن وتطمئن، ثم بعدما يتغشاها ويأخذ ما أنعم الله به عليه يكون رده أنه يشرك به، فيكون هذا تفسير الآية، أنه من ذرية آدم وحواء، ولذلك قال: كان هذا في بعض أهل الملل.

ماذا فعلا؟ عبدا الطفل لغير الله.

قول أخر للحسن أنهم جعلا له شركاء أي هودوه ونصروه، بغض النظر عن التسمية، هذا بالنسبة للحديث.

اتفقنا أن الحديث لا يصح مرفوعًا، وهذا قول الحسن فيه، أيضًا هناك قول لابن عباس نقله ابن كثير، سنناقش قول ابن عباس، صاحب الشرح نقل عن ابن كثير تفسير هذه الآية ثم قال ابن كثير:

وكأن أصله – يعني أصل هذه النقولات – مأخوذه من أهل الكتاب.

فعلق صاحب الفتح قال:

وهذا بعيد جدًا.

لماذا استبعده؟ – بعيد جدًا أن يكون نقل ابن عباس من أهل الكتاب – هذا رأي الشارح، ابن كثير في التفسير قال:

وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري في هذا وأنه ليس المراد من السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته.

أي أن هذا رأي ابن كثير، فانت الآن امام أمرين والثالث أستبعدناه.

نقول كل الآراء:

الرأي الأول: أن هذه الآية فسرها النبي.

الرأي الثاني: أن هذه الآية فسرها ابن عباس.

فسرها النبي صلى الله عليه وسلم وفسرها ابن عباس تفسير واحد، أن اللذان وقعا في الشرك هم آدم وحواء.

الرأي الثالث: للحسن ومن أخذ برأيه والرأي أنه من ذرية آدم.

سنترك الطريق الأول الذي أتانا به القول الأول حديث النبي صلى الله عليه وسلم، لأن هذا الطريق لو ثبت انتهت كل الأقوال لكن هذا الطريق لم يثبت إذن سنستبعده، يبقى علينا القول الأول بالطريق الثاني عن طريق ابن عباس والقول الثالث عن طريق الحسن. فيما يذكر عن ابن عباس أنه تأثر بشيء من الإسرائيليات وهذا موجود، وهذا كان رأي ابن كثير في قول ابن عباس، إذن ابن كثير انتصر لقول الحسن البصري ورأى أن قول ابن عباس يرد في هذه المسألة أو في حكمه هذا.

وهذه الآية من الآيات التي حصل خلاف عند السلف في تفسيرها، فأستقر الأمر الآن على رأيان:

- رأي يقول أن الذي وقع في الشرك هم آدم وحواء.
- ورأي يقول أن الذي وقع في الشرك هم ذرية آدم وحواء.

بقي أن نذكر نوع الشرك؛ لما تبحثوا في التفاسير ستروا أنه التفاسير بأختلافها ماذا يرى أصحابها، ولابد أن تنظر إلى سياق الآية، معناه أننا سنرجع مرة أخرى إلى سياق الآية ونرى الرأي وإن كان سينتهي معنا الباب بذكر الرأي.

بعدها قال المصنف – رحمه الله – :

قوله : قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك ، حاشى عبد المطلب .

ما علاقة الكلام بهذا؟ ارجع لقول ابن عباس وسيتبيَّن لك؛ القصة أن حواء لما حملت أتاها الشيطان فخوفها وكانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فخوفها أنه إذا لم تسمي بعبد الحارث – والحارث اسم للشيطان كما هو في القصة هنا– أنه إذا لم تسميه باسمه سيخرجه غير سوي، أي سيؤآذيه ويتسلط عليه ويشوه خلقته وهكذا، فماذا كان من حواء وآدم أنهم استجابا وسمياه عبد الحارث.

أين وقع الشرك هنا؟ الشرك وقع في التسمية.

بهذا نرى علاقة كلام ابن حزم؛ ما علاقة كلام ابن حزم؟ الكلام حول الشرك في التسمية.

ابن حزم : هو عالم الأندلس ، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري . صاحب التصانيف ، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة . وله اثنتان وسبعون سنة .

يعرف بالأعلام، أتاك علم هو ابن حزم، ابن حزم من علماء الأندلس، ظاهري يقصد مذهب الظاهرية الأخذ بظواهر النصوص.

وعبد المطلب هذا هو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وما فوق عدنان مختلف فيه . ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام .

يعرف بعبد المطلب.

هنا كلام الشارح عن قول ابن حزم:

حكى رحمه الله اتفاق العلماء على تحريم كل ما عبد لغير الله ، لأنه شرك في الربوبية والإلهية . لأن الخلق كلهم ملك لله وعبيد له ، استعبدهم لعبادته وحده ، وتوحيده في ربوبيته وإلهيته ، فمنهم من عبد الله ووحده في ربوبيته وإلهيته ، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته ، وأحكامه القدرية جارية عليهم ولا بد ، كما قال تعالى : " إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا " فهذه هي العبودية العامة .

وأما العبودية الخاصة فإنها تخص بأهل الإخلاص والطاعة ، كما قال تعالى : " أليس الله بكاف عبده " ونحوها .

الآن ابن حزم نقل عنه المصنف اتفاق العلماء، على تحريم كل ما عبّد لغير الله، العلّة لأنه شرك في الربوبية وفي الألهية، يعني لأن يقال [عبد الرسول، عبد الحسين] هذا شرك في الربوبية والألهية، ما وجهه؟ لأن الربوبية التوحيد فيها أن تعتقد أن الله عز وجل خالق كل شيء ومالك لكل شيء وكل له عبد، وهذا أمر يخصه ولا يشاركه أحد فيه، ولا يحق لأن يعبّد أحد لغير الله في اسمه.

والعبيد الذين يشتروا سبايا الحرب هذا لا يعتبر نوع مشاركة لأنه معلوم حدود العبودية، في السبي العبودية تأتي في التصرفات، يعني يملك تصرفاته، لا يتصرف إلا في صالح سيده ومولاه، لكن لا يعتقد سيده أنه هو الذي خلقه وأنه هو الذي رزقه، وأنه هو الذي يستطيع أن يفعل به ما يشاء، يمرضه يقتله وقتما شاء لأ!، إذن هذا شرك في الربوبية.

شرك الألوهية؛ أن الله عز وجل لما خلق الخلق استعبدهم لعبادته وحده فلا يعظمون ولا يتعلقون إلا به، لكن الذي يعبّد أحد لغير الله كأنه يرى أن هذا المسمى [عبد الحسين، عبد الرسول، عبد النبي] لو أعتقد صاحبه أن النبي يستحق هذا التعظيم وهذا التعبيد له وأن الحسين يستحق تعبيد الناس له فهذا معناه وقع في قلبه تعظيم غير الله.

قال: فمنهم من عبد الله وحده في ربوبيته وآلهيته، ومنهم من أشرك به في آلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته

يعني إنقسام الناس الآن في موضوع التوحيد، فهناك من اعترف بالربوبية والاسماء والصفات ووقع منه خلل في عبادة الله فعبد معه غيره.

وهناك من وقع له أنه عبد الله وحده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

قال: وأحكامه القدرية جارية عليهم ولابد.

ما علاقة هذا الكلام؟

⇦ الكلام عن العبودية العامة التي يشترك فيها كل أحد، يعني كلهم سيكونون عبيد لله عبودية عامة سواء اعترفوا بربوبية الله والأسماء والصفات أو لم يعترفوا.

⇦ أما العبودية الخاصة:

قال: فإنها تخصّ بأهل الإخلاص والطاعة.

هو الآن يشرح اتفقوا على تحريم كل اسم معبّد لغير الله، الكلام حول العبادة، لأن الربوبية والأسماء والصفات والألوهية من حق الله، وفرق بين العبودية العامة والعبودية الخاصة فكأنه يقول الكل عباد لله رضوا أو لم يرضوا لكن الكلام حول العبودية الخاصة.

قال: قوله : حاشى عبد المطلب هذا استثناء من العموم المستفاد من كل

حاشى هذا استثناء، استثني من العموم، أين العموم؟ في كلمة تحريم من كل اسم

وذلك أن تسميته بهذا الإسم لا محذور فيها ، لأن أصله من عبودية الرق ،

يعني لماذا عبد المطلب لا يدخل في الاسم المعبّدة — المحرمة –؟ لماذا تقولي عبد المطلب لا يدخل في الأسماء المحرمة؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ " فيقال كيف النبي صلى الله عليه وسلم يقبل أن ينسب نفسه لمن عبّد لغير الله ونحن نناقش مسألة تحريم التعبيد لغير الله، فكيف ينسب النبي صلى الله عليه وسلم نفسه إلى ذلك؟ كأنه ابن حزم يجيب على هذا الإشكال على وجه الإجمال والشارح يذكر الإشكال وجوابه على وجه التفصيل.

هل هذا فيه تعبيد لغير الله؟ الجواب لأ، لأنه عبد هنا كما تقول هذا عبد لآل فلان، يعني عبد من الرق أشتروه أو أوتي لهم من السبي.

يحكي لك القصة الآن:

وذلك أن المطلب أخو هاشم قدم المدينة ، وكان ابن أخيه شيبة هذا قد نشأ في أخواله بني النجار من الخزرج، لأن هاشمًا تزوج فيهم امرأة ، فجاءت منه بهذا الابن ، فلما شب في أخواله ، وبلغ سن التمييز سافر به عمه المطلب إلى مكة بلد أبيه وعشيرته فقدم به مكة وهو رديفه ، فرآه أهل مكة وقد تغير لونه بالسفر ، فحسبوه عبدًا للمطلب ، فقالوا : هذا عبد المطلب ، فعلق به هذا الإسم وركبه ، فصار لا يذكر ولا يدعى إلا به ، فلم يبق للأصل معنى مقصود .

يعني عبد المطلب اسمه أصلًا شيبه لكن لما أتى به عمه تصور أهل مكة أنه عبد له، شيبه أبوه هاشم وعمه المطلب، فدخل المطلب بشيبة مكة وهو متغير لونه فظنوا أنه عبد له فقالوا عبد المطلب، فذهب اسمه شيبة وبقي عبد المطلب.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أنا ابن عبد المطلب "

هذا القول الذي ندور في فهمه ونقول لماذا نسب النبي صلى الله عليه وسلم نفسه إلى عبد المطلب مع أن هنا سيكون شيء من التعبيد لغير الله.

هذا ليس تعبيدًا هذا خبر، عبد هنا من باب الرق.

وقد صار معظمًا في قريش والعرب ، فهو سيد قريش وأشرفهم في جاهليته ، وهو الذي حفر زمزم وصارت له السقاية وفي ذريته من بعده .

وهذا السبب الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم ينسب نفسه ويفخر له أنه له مكانة عند العرب.

وعبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد بني عبد المطلب ، وتوفي في حياة أبيه . قال الحافظ صلاح الدين العلائي في كتاب الدرة السنية في مولد خير البرية : كان سن أبيه عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ثمانية عشر عامًا ، ثم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمرًا لأهله فمات بها عند أخواله بني عدي بن النجار ، والنبي صلى الله عليه حمل على الصحيح . انتهى .

حمل أي في بطن أمه.

قلت : وصار النبي صلى الله عليه وسلم لما أوضعته أمه في كفالة جده عبد المطلب.

يبين لك لماذا النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا ابن عبدالمطلب"، فالنبي صلى الله عليه وسلم أصبح في كفالة جده عبد المطلب فهو الأشهر وهو ينسب نفسه إلى أبيه الذي رباه.

قال الحافظ الذهبي : وتوفي أبوه عبد الله وللنبي ثمانية وعشرون شهرًا ، وقيل أقل من ذلك ، وقيل : وهو حمل . توفي بالمدينة ، وكان قد قدمها ليمتار تمرًا ، وقيل : بل مر بها راجعًا من الشام ، وعاش خمسة وعشرين سنة . قال الواقدي : وذلك أثبت الأقاويل في سنه ووفاته . وتوفيت أمه آمنة بالأبواء وهي راجعة به صلى الله عليه وسلم إلى مكة من زيارة أخوال أبيه بني عدي بن النجار ، وهو يومئذ ابن ست سنين ومائة يوم ، وقيل : ابن أربع سنين . فلما ماتت أمه حملته أم أيمن مولاته إلى جده ، فكان في كفالته إلى أن توفي جده ، وللنبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين فأوصى به إلى عمه أبو طالب ا هـ .

هذا كله ليبيِّن لك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ" أن هذه الحقيقة، فهو أبوه الذي رباه، جده وهو أبوه الذي رباه، والنسبة إلى الأجداد كالنسبة إلى الآباء، وفي نهاية الأمر نسبة النبي صلى الله عليه وسلم لعبد المطلب ليس فيها ذكر للتعبيد لغير الله بل هذا من عبودية الرق لمن فهم.

❖ الدليل الثاني.

ننتقل الآن إلى أخر أثر وسننتهي منه إن شاء الله قبل انتهاء الدرس لكن لن يكون هذا نهاية للدرس، لن ينتهي الدرس إلا لما نناقش الآيات ونقرر بعدها ماذا نعتقد في الآية ثم نناقش علاقتها بالتوحيد.

قال المصنف – رحمه الله – :

وعن ابن عباس رضي الله عنه في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن . يخوفهما . سمِّياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فذكر لهما فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا﴾ رواه ابن أبي حاتم

قد قدمنا نظيره عن ابن عباس في المعنى.

هذا كلام الشارح.

انظري لكلام ابن عباس هنا في القصة، تجدي أن إبليس وسوس لهما وخوفهما وأمرهما وزين لهما فالشرك هنا هل هو صرف العبادة أم صرف الطاعة؟ هنا صرف الطاعة، وانتم تعلمون أن من أنواع الشرك صرف الطاعة لغير الله، سيظهر في ما ينقله عن قتاده.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

إذن هذا شرك في الطاعة وليس شركًا في العبادة، يعني لم يقع من آدم وحواء أنهم عبدوا غير الله لكن هذه الطاعة التي تكون وراء الوسواس يدخل فيها كثير من الناس، وآدم وحواء وقع عليهما الوسواس الأول لما وسوس لهما أن يأكلا من الشجرة فأطاعاه، هنا المسألة أعلى، هناك تزيين للمعصية، هنا مسألة أعلى من ذلك؛ دخول في الخوف من غير الله، فوقعت الطاعة للشيطان خوفًا.

إذن هذا قول قتادة.

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾[٦٠٣]. قال: أشفقا ألا يكون إنسانًا،

لأنه خوفهما أنه سيؤذي ما في بطنها ويجعله نصف إنسان ويجعله بهيمة.

وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

قال شيخنا رحمه الله : إن هذا الشرك في مجرد تسمية ، لم يقصدا حقيقته التي يريدها إبليس ،

يعني مجرد تسمية من الطاعة لكن لا يقصد الحقيقة التي يريدها الشيطان.

وهذا محمل حسن يبين أن ما وقع من الأبوين من تسميتهما ابنهما عبد الحارث إنما هو مجرد تسمية لم يقصدا تعبيده لغير الله وهذا معنى قول قتادة : شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته .

- القول الذي يقول أنه في الذرية يخرجنا تمامًا من الإشكال ونقول أن آدم وحواء لم يقعا في الشرك.
- القول الذي يقول أنه من آدم وحواء يخرجنا من إشكال أن هذا مجرد طاعة وليست صرف لنوع من أنواع العبادة، وإن كانت الطاعة حق من حقوق الألوهية، وصرفها لغير الله نوع شرك.

عندي ثلاثة أنواع من الشرك:

- النوع الأول: شرك في اعتقاد أن غير الله يستحق ما يستحقه الله وإن لم يصرف هذه العبادة لهذا المعبود، مثلًا يقول أن الرسول يستحق التعظيم والتأليه فيقول عبد الرسول، او عبد الحسين.
- النوع الثاني: صرف العبادة، يعني صلاة، صيام، ذبح، نذر، توكل، خوف، رجاء.
- النوع الثالث: شرك في الحكم والطاعة، وهذا النوع يأتي في ما يسموه بشرك الحاكمية، ومنه أتى فعل الخوارج والخروج على الحكام، ومنه أتى الطاعة وهذا النوع الشرك هنا، يعني شرك في الطاعة وليس شرك في صرف نوع من العبادة.

عندي نوعين من الفهم لهذه الآية:

- نوع يقول هذا في ذرية آدم.
- ونوع يقول هذا في آدم وحواء.

[٦٠٣] الأعراف:١٨٩

⇦ الذي يقول أنه في ذرية آدم سيكون الشرك أبتدأ بشرك الطاعة وانتهى بشرك العبادة.

⇦ والذي يقول أن هذا آدم وحواء قال أن هذا شرك في الطاعة وليس شركًا في العبادة.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: شرك الطاعة ليس فيه اعتقاد، انتم يجب أن تراجعوا أنواع الشرك، وسيأتي عليكم أيضًا طلب أخر.

تكليف:

الطلب الأول: تفسير هذه الآية، تنقسموا إلى أربعة مجموعات وتراجعوا ما مجموعة ستة عشر تفسير مما هو متوفر عندكم في المكتبة.

الطلب الثاني: تراجعوا كتاب ما مر معكم في الدورة التمهيدية كتاب تسهيل العقيدة، تراجعوا في هذا الكتاب انواع الشرك في الألوهية سواء الأكبر أو الأصغر سيتبيَّن لكم إن شاء الله.

على كل حال؛ اسأل الله عز وجل أن ينفعنا وييسر لنا ويقبل منا.

جزاكم الله خيرًا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لازلنا بمنّ الله وكرمه ندرس في كتاب التوحيد، وبدأنا ندرس بالطريقة المطولة من كتاب فتح المجيد، بلغنا في اللقائين الماضيين بابين انتهينا منهما، الباب الماضي كان باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾[٦٠٤] وهذا الباب شديد التعلق بالباب الذي قبله، وكلاهما يدور في نفس الأمر وهو الكلام عن نسبة النعم لله عز وجل.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ صورة من صور الباب الذي قبله باب قول الله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾[٦٠٥] فأحد الصور في نسبة النعمة إلى غير الله نسبتها إلى كل من يوسوس لك بأن له عليك فضل، الناس حولك مثل إبليس يوسوسون لك أن لهم عليك أفضال، ومن ثمّ عليك لهم أن تنسب النعمة لفضلهم وأن تكن لهم شاكرًا، ذاكرًا، مكررًا لثناءك عليهم، فكان إبليس النموذج وأحتذي حذوه كل من ضغط على فكرة وجوب حمده والثناء عليه وتمنن عليك بأن صنع لك.

ولذلك هذه من الأفعال الإبليسية وهي أن تأتي إلى الناس وتحاول جاهدًا أن تذكرهم بفضلك عليهم، وأن تشعرهم بقيمة ما لديك وأنهم لولاك ما أفلحوا ولم يفعلوا وهكذا، فهذا كله الذي نسميه كبيرة المنّ، كبيرة المنّ من الأفعال الإبليسية التي عليك أن تحذر من أن تكون من أهلها.

كنا اتفقنا أننا سنقرأ أكثر من تفسير في تفسير هذه الآية من أجل أن يتبيَّن لنا الخلاف الحاصل في نسبتها ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ من هما؟ هل هو آدم أم الكلام حول ذرية آدم؟ المرة الماضية قررنا أن رأى ابن كثير هو الأقوى فى أن هذا ليس آدم بل هذه ذريته، واتفقنا أنه لو كان المقصود آدم فهذا كما ذكر السلف إنما هو تعبيد في الطاعة وليس في العبادة، أي وسوس لهم فأطاعوه، وليس المقصود أنهم عبدوه وصرفوا له أنواع العبادة.

في أخر ساعة نتناقش في تفسير هذه الآية لكن الآن نبدأ في الباب الذي بعده.

باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وهذا الباب من الأبواب الرئيسية في هذا الكتاب، والتتابع له أثره في تحديد موقع هذا الباب، فانت مر عليك الكلام حول نعم الله، وأنواع وصور من إنكارها، والعلّة في هذا الأمر واحدة وهو أن القوم لا يعرفون ربهم.

ما العلّة التي جعلت الناس يكون حالهم أنهم ينكرون نعمة الله بالصور المختلفة؟ الجواب: نقص في العلم عن الله، وضعف في معرفته سبحانه وتعالى، ثم نقص في التعلق به وفي سؤاله وفي دعائه وفي الوقوف عند بابه، هذا كله سبب أنه يجب عليك أن تتعلم عنه سبحانه وتعالى وتمتثل أمره.

سيكون نقاشنا الآن إن شاء الله حول ما لهذه الأسماء من مكانة، قبل أن نقرأ كتاب فتح المجيد سنبدأ بالكلام حول ما لهذه الأسماء من مكانة.

---

[٦٠٤] الأعراف:١٩٠

[٦٠٥] فصلت:٥٠

وباب الأسماء باب عظيم يجب عليك أن تكون شديد الفقه فيه، دقيق العلم به، ولذلك ترى أهل العلم يعتنون من الزمن الأول في رسائلهم وكتبهم بتحقيق اعتقادنا في باب الأسماء والصفات، فيكررون في رسالة مثل الواسطية والتدمرية والطحاوية وغيرهم يعتنون بتقرير اعتقادنا في باب الأسماء والصفات، فكانت لهم جهود عظيمة في تقرير هذا النوع من التوحيد، حتى أن الملاحظ يرى أن تقريرهم لتوحيد الأسماء والصفات أكثر من تقريرهم لمسائل الألوهية، والسبب أن الداء في عصرهم كان قوته على توحيد الألوهية، ومن ثمّ إذا فسد توحيد الأسماء والصفات سيفسد تصور العبد ويلحق ذلك فساد في أعتقاد العبد أي سيظهر هذا في توحيد الألوهية.

إذن فساد الأعتقاد في أسماء الله وصفاته سبب لفساد التعبير عن التعظيم والتأليه يعني سبب في فساد توحيد الألوهية.

نبدأ أولًا بالكلام حول ما أهمية علم الأسماء والصفات؟ لماذا نتكلم عن هذا الباب؟

بمعنى أن لكل شيء أثر فما أثر علمك عن أسماء الله وصفاته؟

ثمرة معرفة العبد لأسماء الله عز وجل وصفاته لا تأتي إلا من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، فالثمرة من معرفة الأسماء والصفات لا تكن إلا إذا كانت هذه الأسماء والصفات ثابتة في قلبك، وليس أي معرفة ستأتي بالثمرات التي نتكلم عنها، سنتكلم بالتفصيل عن الثمرات لكن أنبهك أن هذه الثمرات ليست لكل أحد، فالثمرة الطيبة لا تأتي إلا بعد أصل ثابت وفرع في السماء.

والمقصد أن هناك نوعان من معرفة الله، وهذا دائمًا سؤال يمر على الأذهان أن كثير من الناس يعرفون الله فلماذا لا نجد آثار هذه المعرفة وثمرة هذه المعرفة؟ فأنبهك قبل أن أتكلم عن الثمرات، هناك نوعان من المعرفة:

- النوع الأول: معرفة عامة لا تورث العبد سلوكًا ولا تكن سببًا في إنارة قلبه، إذا سألته عن الله أعطاك الكثير من أسمائه وصفاته لكن ربما لا يعلم حتى عن مجمل معانيها، فهي معرفة خالية من الروح.
- النوع الثاني: وهناك علم من الأسماء يورث العبد حياءًا من ربه، فهذا المراد أن يكون العلم بأسمائه سبحانه وتعالى وصفاته يورثك الحياء.

إذن هذه الثمرات التي سنتكلم عنها – ثمرات العلم عن الله – لن تكون إلا لمن كان علمه أصاب قلبه فأورثه الحياء.

إذن كما قال ابن القيم:

> هذا أمر لا تدركه العبارة ولا تتصوره العقول فهو صوتٌ لا يلج كل أذن، وصيبٌ لا تحيى به كل أرض، وعينٌ لا يشرب منها كل واردٍ، وسماعٌ لا يطرب عليها كل سامعٍ، ومائدةٌ لا يجلس عليها طفيلي.

هذا الكلام كله معناه أن هذه الثمرة ليست لكل أحد، نبدأ بتقرير هذه الثمرات.

الثمرة الأولى من معرفة أسماء الله عز وجل.

أول ثمرة من ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات هي قوة الإيمان، فأسماء الله والعلم بها هو الأساس الوثيق وكما يقال:

> من أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه.

- بنيانك: هو العمل الصالح.
- أساسه: الإيمان بالله.

فمتى كان الأساس وثيقًا حمل البنيان وأعتلى عليه.

والناس في هذا ينقسمون إلى قسمين:

- من إستنارت بصيرته فأصبح همّه تصحيح الأساس وإحكامه، هذا طالب علم فهم ما هو الأساس؛

ما هو الأساس؟ إيمانه بالله وبكمال صفاته.

ماذا فعل؟ أصبح همّه تصحيح هذا الأساس وإحكامه.

- يقابل من إستنار البصيرة بالعلم يقابله جاهل، يرفع في البنيان من غير أساس، فماذا تكون النتيجة؟ لا يلبث بنيانه أن يسقط.

إذن هذه أول ثمرة من ثمرات العلم بأسماء الله، العلم بأسماء الله يوثق أساس إيمان العبد، فأساس إيمانك هو علمك عن الله فإذا كان معك نور سينار لك أن العناية بالأساس من رفع البنيان.

على كل حال؛ أشير لك بشيء من الاختصار ما هو الأساس.

هذا الأساس أمران:

- الأمر الأول: صحة المعرفة بالله وأمره وأسمائه وصفاته.
- الأمر الثاني: تجريد الإنقياد لله ولرسوله، وتجريد الإنقياد أي تنقاد له ولا تنقاد لغيره.

مرة أخرى؛ ما أساس هذا البنيان في قلبك؟ ما أساس الإيمان في قلبك؟

الأساس أمران:

الأمر الأول: صحة المعرفة بالله وأمره وأسمائه وصفاته.

والأمر الثاني: تجريد الإنقياد لله ولرسوله دونما سواه صلى الله عليه وسلم.

الثمرة الثانية من معرفة أسماء الله عز وجل.

وأتكلم هنا عن الثمرات العاجلة التي تراها في الدنيا.

المعرفة بالله تورث العبد كمال القوة العلمية، سأذكر لك كلام لابن القيم من أجل أن تفهم هذا المعنى؛ قال ابن القيم رحمه الله:

للإنسان قوتان: قوة علمية نظرية وقوة عملية إرادية، وسعادته التامة موقوفه على إستكمال قوتيه العلمية والإرادية، وإستكمال القوة العلمية إنما يكون لمعرفة فاطره وبارئه ومعرفة أسماؤه وصفاته،

كيف تقوي نفسك علميًا؟ بمعرفة الله.

ومعرفة الطريق التي توصل إليه، ومعرفة آفاتها، ومعرفة نفسه، ومعرفة عيوبها، فبهذه المعارف الخمسة يحصل كمال قوته العلمية.

بقي عليكم أن تستخرجوا أنتم كيف تأتي القوة العلمية الإرادية، هذا الكلام في الفوائد، راجعوا كتاب ابن القيم في الفوائد تجدوا الكلام.

أعيد أذكركم؛ نحن في باب قول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾، ابتدأنا بمقدمة قبل الدخول حول الأسماء وحول قراءة الباب، المقدمة كانت تتكلم عن فقه الأسماء وما أهميته، قلنا ستشعر بأهميته لما أكلمك عن الثمرات – النتائج – من علمك بأسماء الله، ثم

اتفقنا قبل أن نتكلم عن الثمرات أن معرفة الله تنقسم إلى قسمين: معرفة عامة صاحبها لا يعرف إلا الأسماء دون المعاني، لا تتجلى له المعاني ولا يفهمها، ربما لا بدقة ولا على وجه العموم.

وهناك معرفة تورث الحياة.

بدأنا نتكلم على الثمرات:

- واتفقنا أن أول ثمرة وأهمها هي توثيق أساس إيمان العبد.
- الأمر الثاني هذه المعرفة تورث العبد كمال القوة العلمية.

ما معنى كمال القوة العلمية؟ انت الآن لك قوتان، قوة تصور الحقيقة أي تسير وأنت بصير، وقوة للسير نفسه، فالناس قسمة رباعية:

ناس لديهم تصور عن الحقيقة وما الطريق الموصل إلى الله، وهذا كله صحيح عندهم، مع قوة إرادة، وهؤلاء في النهاية يصلون إلى ربهم، عندهم تصور ما هو الطريق وهو ما سماه ابن القيم القوة العلمية.

ما القوة العلمية؟ خمسة أشياء:

- معرفة فاطره وبارئه يعني يعرفوا من ربهم.
- ويعرفوا الطريق التي توصل إلى ربهم.
- ويعرفوا آفاتهم التي تقطع عليهم.
- ويعرفوا أنفسهم.
- ويعرفوا عيوبها.

فحلت المشكلة، تعرف بهذه الخمسة أن تترجم كل الأحوال التي تمر عليك؛ هذا ابتلاء، هذا امتحان، هذه عقوبة من وجه كل البلاءات التي تكون في نظري عقوبة تكون من وجه أخر سبب للرفعة لو نجحت فيها، فلان هذا في طريقي من أجل أن أتعلم منه، هذا الذي مر علي لا يمكن أن يمر هكذا لابد أن الله عز وجل يعلمني شيئا!، فهذا اسمه قوة التصور العلمي أنك الآن تفهم كل شيء حولك، هذا وحده كله يساوي حزمة في الصلاح.

يجب أن تأتي معها حزمة أخرى وهي قوة الإرادة، فإذا فهمت كل شيء حولك؛ فهمت أن هذا ابتلاء، فهمت أن الله عز وجل الآن يراك ويعلم ما في قلبك وأن حركة قلبك يمنة ويسرة الله مطلع عليها وسيجازيك بها، كل هذا علم، فحرك قلبك كما يحب الله فتأتي قوة الإرادة العلمية.

الإنسان قوتان عليهما يكون صلاحه، القسمة بعد ذلك تأتي رباعية بين الناس:

- القسمة الأولى: ناس عندهم قوة تصور مع قوة إرادة، هذا القسم الأول الفالح الذي يصل إلى ربه ﴿إِلا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٦٠٦].

[٦٠٦] العصر:٣

- القسمة الثانية: عندهم قوة تصور صحيحة لكن ليس عندهم إرادة، آمنوا لكن لم يعملوا الصالحات ولم يتواصوا بالحق ولم يتواصوا بالصبر.

إذن أصبحوا قسمتان واحد عنده علم وعمل، وواحد عنده علم وليس عنده عمل.

- القسمة الثالثة: عنده عمل وليس عنده علم، وهذا غالب أهل البدعة، نادرًا ما يخرج من أهل البدعة، يتصورون أنهم على الحق، وكما مر معنا في سورة النور في آية السراب أن غالب أهل البدعة يسيرون وراء سراب، يظنون أنهم على الحق وهم على الباطل.
- القسمة الرابعة: لا علم ولا عمل وهؤلاء في الظلمات.

أعلاهم مرتبة من أجتمع له العلم والعمل، ثم أرداهم حالًا من لا علم ولا عمل، ثم نأتي إلى من عنده علم دون عمل أو عمل دون علم ونقول داروا في المغضوب عليهم والضالين.

وأهل كل منزلة من هذه القسمة الرباعية أهلها درجات: من عنده علم وعمل ليسوا سواء، ومن ساروا في السراب ليسوا سواء، ومن ساروا في الظلمات أيضًا ليسوا سواء.

إذن هذا السبب الثاني الذي يجعلنا نهتم بالأسماء.

الثمرة الثالثة من معرفة أسماء الله عز وجل.

السبب الثالث؛ المعرفة بأسماء الله عز وجل ترسخ قدم العبد في مقام التوكل.

ولماذا نقول هذا الأمر؟ لماذا نشير إلى مقام التوكل؟ لأن التوكل يدل على المعرفة، التوكل على الله يدل على المعرفة على الله، إذا كنت تعرف الله ستتوكل عليه، لذلك السبعون ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ماذا كانت صفاتهم؟ جماع صفاتهم أنهم كانوا على ربهم يتوكلون، فبحسب معرفة العبد لربه يصح له مقام التوكل، **وكل من كان بالله أعرف كان توكله عليه أقوى.**

ولو نظرت نظرًا دقيقًا في نفس فعل التوكل ستجد أنه العبادة التي تحتاج معرفة بالأسماء والصفات عمومًا، ما المقصود؟ أن فعل التوكل لا يقع إلا من واحد يعرف أسماء الله عز وجل وصفاته كلها أو أغلبها، بمعنى أن التوكل له تعلق بعامة أسماء الله، فمثلًا له تعلق بأسم الغفار، بأسم التواب، اسم العفو، الرؤوف، الرحيم، وله تعلق بأسم الفتاح، والوهاب، والرزاق، والمحسن.

كثير من الناس يتصورون أن ذنوبهم ستمنعهم عطايا الله فيعرضون عن الله!، لا يعرفون أن التوكل عليه مع ما معك من ذنوب خير لك ومصلح لحالك وسبب لكفارة ذنوبك، والتوكل له تعلق بأسم المعز المذل، الخافض الرافع، وهذا يظهر لما نتكلم عن إذلال الأعداء، التوكل لابد أن يكون له تعلق بأسماء القدرة كلها؛ القادر القدير، إذن التوكل له تعلق بعامة أسماء الله.

إذن ملخص هذه النقطة الثالثة؛ لو أتينا نقول أحب أن أكون من السبعين ألف – نسأل الله من فضله – أو أتشبه ببعض صفاتهم لعل الله يقبل مني فبماذا تنصحوني؟

نقول: عليك بعبادة التوكل.

تقول: ومن أين لي تحقيقها؟

فنقول: قدر تعلمك أسماء الله وبقدر تحقق هذه المعاني في قلبك بقدر ما سيكون هناك التوكل.

إذن من ثمرات العلم بأسماء الله بلوغ مقام المتوكلين الذي هو أعلى مقامات الدين.

الثمرة الرابعة من معرفة أسماء الله عز وجل.

نذكر السبب الرابع؛ المعرفة بالله تسبب حسن الظن به.

فما حسن الظن في الدين؟ لو كنت فقيهًا ستعلم أن حسن الظن بالله جماع الأمر.

ولذلك لما الله عز وجل يعاقب أهل الكفر يذكرهم بظنهم ﴿وَذَلِكُمْ ظَنَّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾[٦٠٧] إذن أين الإشكال؟ في ظن العبد بربه، فأصبح ما تظنه في ربك سبب لعلوك أو لترديك، فحسن الظن وقوة الرجاء في الله قوتها على حسب معرفة الله، وخصوصًا من جهة معرفة اسم [المحسن، والبر] فلما الله عز وجل يذكر لنا حال أهل الإيمان ودخولهم إلى جناته هم يخبرون عن أنفسهم – من اسم البر أين تجده؟- ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرّ الرّحِيمُ﴾ هذا هو الشاهد، لكن أول السياق ماذا كان في قلوبهم؟ قالوا: ﴿قَالُوَاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيَ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنّ اللّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السّمُومِ * إِنّا كُنّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ ندعوه أي نعبده، ﴿إِنّهُ هُوَ الْبَرّ الرّحِيمُ﴾[٦٠٨] فماذا فهمت؟ أنهم كان في قلوبهم حسن ظن به سبحانه وتعالى مع تعظيم له، كانوا في أهلهم من قبل مشفقين.

المقصود أن قوة الرجاء وحسن الظن سبب لصلاح الإنسان، فمن أين يأتي بها؟ من معرفته بالله.

وأعلم أنه لولا حسن الظن بالله لعطلت عبوديات كثيرة في القلب والجوارح، وكما قال ابن القيم:

ولولا ريحة الطيبة – يقصد الرجاء حسن الظن – لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات.

يعني كان لم يكن لتأتي بالعمل لو لم يكن في قلبك حسن ظن ورجاء فيه، ورجاء أنه يقبلك، ورجاء أنه يغفر لك الذنب، ورجاء أنه يضاعف لك الحسنات، ورجاء أنه يتجاوز عن خطيئتك، لو لم يكن هناك حسن الظن ورجاء كان توقف كثير من الأعمال.

إلى هنا أربعة آثار:

- الأولى ثبات الأساس.
- الثانية القوة العلمية.
- الثالثة قوة التوكل.
- الرابعة قوة حسن الظن والرجاء.

الثمرة الخامسة من معرفة أسماء الله عز وجل.

من ثمرات العلم بأسماء الله خامسًا المعرفة تورث العبد اللذة التامة والفرح والسرور وطيب العيش والنعيم، لماذا؟ لأن العبد إذا اجتمع قلبه وهمّه على واحد صمد فطيب عيشه وكانت حياته نافعة لأن أنكد العيش عيش من قلبه مشتت، وهمّه مفرط، فليس لقلبه مستقر يستقر عنده ولا رب يلجأ له.

لماذا نقول أن المعرفة بالله تثمر اللذة التامة والفرح والسرور وطيب العيش؟ لأن التوحيد يعني الاستقرار، الجهل يعني التشتت والبحث فيكون هناك شركاء متشاكسون فيأتي النكد، فقرة العين في السكون والطمأنينة، ولو تنقل القلب في المحبوبات كلها لم يسكن ولم يطمئن ولم تقر عينه حتى يطمئن إلى إلهه وربه ووليه.

---

[٦٠٧] فصلت:٢٣

[٦٠٨] الطور:٢٨،٢٩،٣٠

على ذلك انت الآن وانت تتعلم الأسماء سيجتمع قلبك على واحد، يعني نتيجة تعلمك الأسماء أجتماع قلبك على واحد تعتقد أنه كامل الصفات وأن كل مراداتك عنده، ولذلك لما نعلم أحد التوحيد نقول له أحرص على أن يكون همّك واحد وأن يكون هو الله وحده، فهذا غاية السعادة، وصاحب هذه الحال في جنة معجلة، لكن دائمًا يأتيك سؤال: كيف اجعل همّي واحد؟ طريقه العلم عن الله، كلما تعلمت وتبصرت كلما كانت النتيجة أن قلبك سيجتمع على واحد.

ولذلك يقال عن بعض أهل المعرفة بالله:

إنه ليمر بالقلب أوقات أقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

الثمرة السادسة من معرفة أسماء الله عز وجل.

نذكر الثمرة السادسة؛ من ثمرات الإيمان بأسماء الله إمتلاء القلب بتعظيم الله، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيمًا وإجلالا، ولذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[٦٠٩]

قال ابن عباس: لا ترجون لله عظمة.

وقال سعيد ابن جبير: مالكم لا تعظمون الله حق عظمته.

فالتعظيم هو روح العبادة، ما العبادة؟ العبادة تعظيم مع محبة، لابد من اقترانهم، لابد من اقتران التعظيم مع المحبة، وهذه حقيقة الحمد، ما معنى أن تحمد الله؟ هو الثناء على المحبوب المعظم، فانت في الفاتحة تأتي تقول الحمدلله معناها أنك تحبه وتعظمه، إذن من آثار معرفة أسماء الله عز وجل الإجلال له سبحانه وتعالى والمحبة.

الثمرة السابعة من معرفة أسماء الله عز وجل.

ولذلك سأنتقل إلى الثمرة السابعة مباشرة نقول: أخصّ من هذا المعرفة بالله تودع في قلب العبد خشية الله تعالى، ولذلك لما ذهب موسى إلى فرعون كما في النازعات ماذا قال له؟ ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾[٦١٠] يعني إذا أهتديت إليه وعرفته لابد أن تخشاه، إذن الإشكال في عدم تعظيم الله في القلوب في ضعف العلم، فإذا كان فرعون يقال له: يا فرعون لو عرفت الله ستخشاه، وهو من هو في دعواه المنكرة، فمن باب أولى أن نقول كل القلوب هذا حلها أن تعرف الله وتتيقن بهذه المعرفة ستصل إلى الخشية، إذن خشية الله مقرونة بمعرفته.

ولا تنسي هذه القاعدة:

على قدر المعرفة تكون الخشية.

وأذكركم بأول الكلام أن ليس كل معرفة هي التي تورث هذه الثمرات!، ليس كل معرفة!، لابد من معرفة تورث الحياء.

---

[٦٠٩] نوح:١٣

[٦١٠] النازعات:١٩

الثمرة الثامنة من معرفة أسماء الله عز وجل.

من أعظم ثمرات العلم بالله امتلاء القلب بالغنى عن كل شيء غير الله، واسمحوا لي أن أفصّل في هذه النقطة لأنها مشكلة غالب الناس؛ فقرهم إلى غير الله.

سأبدأ بدعاء النوم المشهور الذي في أخره " أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ" هذه الأربع أسماء، ثم ماذا تطلب؟ " اقْضِ عَنِّي الدَّيْنِ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ ".

ما المقصود بالدَّين هنا وما المقصود بالفقر هنا ولماذا بهذه الأربعة أسماء؟

أما الدَّين فهو حق كل أحد عليك، ابتداء من حق الله وانتهاء بحق أصغر صغير تلقاه.

إذن تسأل الله أن يسددك في القيام بحقوق كل الناس، ويسددك بالقيام بحقه، فكأن " اقْضِ عَنِّي الدَّيْنِ" هذه استعانة، دَّين حق كل أحد عليك، الحقوق، يعني دَّين علي أن أزورك، دَّين علي أن أقضي لك هذه الحاجة، دَّين علي أن أبرك، إذن الحقوق هي الديون، فكأن هذه استعانة.

ما معنى "وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ "أي فقر وما معنى الغني؟ كما ورد في صحيح البخاري: "الغنى غنى النفس"، ما معنى "الغنى غنى النفس"؟ يعني انت غني مادام أنك تستطيع أن تستغني عن الدنيا، فكلما نجحت أن تستغني عن شيء أو عن أحد في الدنيا ليس بنافعًا لك في أخرتك كلما كنت أغنى بالله عنه.

نضرب مثال بسيط لمسألة الغنى الاستغناء، نضربه من أجل أن تتصور ما معنى الاستغناء هنا؛ لما يكون من عادتنا أن نأكل شيئا معينًا أو نشرب شيئا معينًا في وقتٍ معين، ولا استطيع أن أركز ولا أستطيع أن أجد عقلي مرتاح إلا إذا شربته أو أكلته مثلما هو حاصل في كثير من المنبهات مثل الشاي والقهوة، فكثير من الناس يأتي رمضان يكون أصعب شيء عليهم أنه في الصباح لا يستطيعون أن يشربوا شاي أو قهوة فهذا يعكرهم زمنًا.

إذن ماذا تقول عن هذه الحالة؟ هذا شخص فقير إلى هذا الشاي، فقير إلى هذه القهوة، هذا فقر، يمعنى أنه لا يستطيع أن يستقر حاله إلا بها!.

من الغني في هذا الموقف؟ من يستطيع أن يستغنى عنه، فهذا هو معنى الغنى قدرتك على الاستغناء، فافترض أنك لا تستطيع أن تنام إلا في فراشك، إذن انت فقير إلى فراشك!، في مقابل من يستطيع أن ينام في كل مكان وصفه أنه غني.

فالمقياس مقلوب تمامًا، الحديث يقلب لك المقياس المشهور أن الغنى غنى النفس، متى ستكون غنيًا؟ ليس لما يكون معك مال أو ليس معك مال!، ليس وجود المال أو عدمه الذي يدل على الغنى أو الفقر!، الغني هو شخص يستطيع أن يستغني.

الفقير هو الذي لا يستطيع أن يستغني، فقير إلى كذا، فقير إلى كذا، فقير أي محتاج، فأنا محتاج إلى كأس شاي، محتاج إلى أن أنام على سريري، بهذه الصورة، فقير أي محتاج مثلًا إلى القيلولة، هذه كلها أنواع من الفقر وانت فتش نفسك انت فقير إلى حذائك، فقير إلى سيارتك، هذه كلها أنواع من الفقر، فكلما خفت عليك الحاجات كلما زدت غنى، كلما قلت حاجتك كلما زدت غنى، دائك الخطير أن يشتد فقرك إلى غير الله.

من أجل ذلك "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ" لماذا عبد الدينار؟ لأنه فقير محتاج إليه، طوال الوقت يجمعه، هناك الدرهم هناك الخميلة، هناك الخميصة، يعني تشعر نفسها لا شيء إذا لم تشتري وتلبس، يعني لا تشعر بنفسها من الداخل، لا تشعر بقيمتها إنما تشعر قيمتها ما تلبس، ما تلبس هو ما يعطيها القيمة لا هي من تعطي القيمة لما تلبسه!.

فالمقصود لو سألتك متى ستكون غني؟ كلما استغنيت عن الدنيا، فأنا إذا شربت منبهات أو لم أشرب في كل الحالات أن شخص سوي المزاج، إذا جائت أو لم تأتي في كل الحالات أنا سوي المزاج، أنام على سريري أو أنام في أي مكان في كل الحالات أستطيع أن أنام، فالغنى أن تستطيع أن تستغني عن الأشياء، وتنتقل من الاستغناء عن الأشياء إلى الاستغناء عن الأشخاص، **بحيث أنه في النهاية تجد قلبك أغنتى بالله عن كل شيء.**

طبعًا هذا لن يأتي سريعًا!، لا تكن عجولًا، انت تتعلم والله يربيك، وتتعلم والله يربيك، إلى أن ترى نهاية كل شيء، نهاية فستاني الجديد استغني عنه، أصلًا ينقطع من قلبي حبه وينقطع من قلبي الفرح به، نهاية كل شيء جديد أن يصبح قديمًا، نهاية كل شيء مفرح نهاية فرحته أن تموت، هذا كله كلام للدنيا، فتجد أن الاستغناء بالله يعطي الأشياء طعم أخر، لما تأتي لا تأخذ مساحة كبيرة في قلبي بحيث أنها لما تذهب لذتها أو طعمها أو يذهب رونقها ويذهب فرحتها لا يكون انتقال وتحصل فجوة ويجب أن تأتي بشيء أخر لتفرح به!، يجب أن تأتي بأمر أخر تدمن عليه، تتعلق به، فجوة في القلب، لما تمتلأ كل الفجوات التي في قلبك من التعلق والأرتباط، كله يكون على الله وتستغنى بالله عن كل شيء فستأكل وتشرب وتستعمل المال وتفعل كل ما يفعله الناس لكن كله من الخارج لو ذهب لم يسبب فجوة في قلبك، ولو بقي لا يفقد قلبك.

ولذلك انت تستعجب لما شخص يأتي يفقد محبوب له، الأبناء هؤلاء أعلى ما في القلب من محبة يفقدهم ومع ذلك تراه صابرًا محتسبًا راجيًا ثواب ربه، حتى في أجمل المراثي أن رجلًا يرثي ابنه فيقول:

جاورت أعدائي وجاور ربه..فشتان بين جواره وجواري.

بدرجة أنه يراه في حال أحسن من حاله، حتى أن هذا الرجل يقال أنه مات فرؤي في رؤيا فقيل ماذا فعل بك ربك؟ قال غفر لي ببيت قلته هو هذا البيت يقصد، انه فضل جوار الله لأبنه على جواره، فالمقصود أنه لهذه الدرجة!، الأبناء هم حزمة الحياة ومع ذلك رأى أن انتقاله من هذه الدار إلى الدار الآخرة خير لابنه، كيف يمكن أن يصل الإنسان لمرحلة مثل هذه المرحلة؟!، ونحن بعد غياب يخلع قلوبنا نقول نعم هذا الاستغناء لصالح العبد، امتلأ قلبه رضا عن الله فقبل بكل أفعال الله، واستغنى بحكمته عن فكره، واستغنى بفعل الله عن فعله، فهذه حال كمال نسأل الله عز وجل أن يبلغنا إياها.

وهذا لا تفهموا أن معناه أني لن أمارس الحياة!، سأمارس الحياة كلها بصورة طبيعية كلية بالممارسات التي يعيشوها الناس؛ أكل وشرب ولبس ونوم وعلاقات وكل شيء، لكن في الداخل في القلب ممتلأ بالله، فكل محبوب إذا كان للدنيا سيتحول إلى مبغوض، وكل ما وقع لك به اللذة سيتحول إلى أن يكون مر، بمعنى أن كثير من الناس الآن يأكلون ويشربون ثم يتألمون، وهذا المأكول والمشروب يتحول، انقلب، فبعد أن كان محبوبًا أصبح مذمومًا، بعد أن كان سببًا للذة أصبح سببًا للعذاب.

المهم أن علمك عن الله سيملأ قلبك غنى عن غيره، وأفهمها جيدًا الاستغناء هذا عمل قلبي يلحقه عمل الجوارح، ولذلك طلبة العلم من كشفت عنهم غمّة التمتع بالدنيا والأستلذاذ بلذتها والتعلق بها تجدهم لما يجدون معلومة أو يجدون إجابة على سؤال كان

يحير قلوبهم ماذا يكون شعورهم؟ لذة، فرح، لا يجدونه في مأكول أو مشروب أو غيره من امور الدنيا، فالاستغناء بالله عن كل شيء يورث القلب الاستقرار.

النقاط تكاد تتقارب لا بأس لكن المقصود زيادة التفصيل في هذه المسألة، يعني هناك قلنا أن المعرفة تورث العبد اللذة التامة والفرح والسرور، وهنا تورثه الغنى، كيف تورثه اللذة التامة؟ شركاء متشاكسون أن رجل سلمًا لرجل، هذه كانت خامسًا، فاتفقنا أن العبد لما يعيش قلبه لواحد واجتمع همّه أكيد أنه أفضل من العيش بقلب مشتت، واجتماع القلب والهمّة على الله سبب للأستقرار، وهنا نقول أن المعرفة ثورث الاستغناء، فكأن هذه النقطة الثامنة تؤيد ما قبلها خامسًا.

الثمرة التاسعة من معرفة أسماء الله عز وجل.

بعد هذا كله سنقول تاسعًا؛ المعرفة تزرع في نفس العبد المحبة.

وهذا أمر واضح، كيف تزرع المحبة؟ أجتماع قلبك على الله لا ترى غيره، وترى كل شيءٍ منه لابد أنه يجعلك ترى آثار تعلقك به، تتعلق به فترى آثار التعلق [يعطيك، يغنيك، يشرح صدرك]، فهذه الآثار تأتي منها المحبة، يعني انت أقبل على الله وافتح عينيك جيدًا وتبصر، لا تطلق هواك، لا أن لا ترضى عن الله إلا إذا أعطاك على هواك!، المقصود أن تؤمن أنه حكيم وأنه سيعطيك ويرضيك.

ولذلك تذكر لي بعض الأخوات أنها وقعت في مصيبة ثم وجدت نفسها كأنها غافلة عن هذه المصيبة، غافلة بمعنى قلبها يفكر في كل شيء إلا هذه المصيبة!، كانت تقول لي أشعر أن أحد يدفعني اني أفكر، تقول أنا في داخلي كأن هذا طريق – طريق التفكير المصيبة –أجد في طريق التفكير في المصيبة كأن أحد يدفعني عن التفكير، ومن الجهة الأخرى يدفعني أن أفكر، وأنا أحاول أفكر عقلي يتشتت ولا أفكر في المصيبة! فالتفكير من الشيطان والدفع من الرحمن، وأمر الله هو الغالب.

فهي تقول وجدت من آثار المحبة الشيء العظيم، لماذا؟ لأنها نزلت عليها مصيبة لكن تقول علمت كيف ينزل الله عز وجل على العبد المصيبة ثم يعامله باللطف فيشرح صدره ويمنع عنه الشيطان الذي يوسوس له، ويحفظ عليه إيمانه، فهذا يزيدك محبة.

الإشكال ليس في وقوع المشاكل، لأن هذه دار ابتلاء، وانت تختبر، وصبرك هذا سيأتي من ورائه الخير، لكن الإشكال في بعد البلاء ماذا يكون تصوري عن الحياة، ما تصورك عن ربك؟! فانت تشعر بقربه وحبه لما يخرج من قلبك السخط، ولذلك لما تستخط تطلب منه أن يرضيك، المهم أنت أنتزع من هواك، أخرج من هواك يرضيك الله ثم ترى شواهد تجعلك تحبه، شواهد حولك كثيرة تجعلك تحبه، مع علمك أن كل مفقود عوضه على الله، مع علمك أن كل ما تخسره سبب لثقيل ميزان حسناتك إن كنت من أهل الإيمان والرضا عنه.

لذلك تصل إلى هذا المفهوم: " لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ " من كثرة ما ترى شواهد عطاياه، لكن لا يرى شواهد عطايا الله من أغلق وغلف قلبه بالهوى أنه أريد هذا، لو لم تعطيني هذا يارب لا أرضى عنك!، وانت من؟! عبد حقير ذليل أمر الله عليك سائر، نافذ لابد، لكن من تمام فضله وكرمه وبره وإحسانه أن يعتني بك أيها الضعيف ويعطيك ويذكرك إذا ذكرته، ويشكرك إذا شكرته، ويمتن عليك قبل أن تسأله، ويغفر لك بعد أن تعصيه، ويقبل عليك لما تقبل عليه، ويفرح بتوبتك لما تتوب، وانت لا شيء!، فهذا كله يشعرك أن لك رب كامل الصفات يمتلأ قلبك بحبه.

إذن ما المانع من الشعور بقرب الله وعطاياه وتربيته وإصلاحه لك؟ ما المانع؟ الهوى!، الهوى قاسمة تقسم حال العبد، الهوى بكلام مختصر ما هو؟ عندي محبوبات عندي مرغوبات أريدها، فلو لم يعطينيها الله لا أرضى عنه!، واستعجب ممن يقول نحب الله وهذا دائمًا حاصل عند الكبير والصغير، لا يرضيه من الله إلا الذي على هواه!، وانت انظر كيف تعاملك صغارك تحبهم أشد المحبة، لكن لو علمت أن هذا يمرضهم أو أن هذا يهلكهم أو أن هذا يؤذيهم تتركهم على هواهم؟ لأ تمنعهم.

يعني لو طفلة صغيرة الآن تحب أن تجري، وفتحت باب البيت وخرجت، هل هذا أمر يرضيك؟ ماذا ستفعل؟ ستستعمل كل قوتك من أجل ردها، وغدًا ستستعمل الحديد من أجل إغلاق بابك، فلو أتى أحد وقال حرام عليك أتركها على حريتها، ماذا تقول له؟ تقول لو كنت محبًا لها لم تكن لتقل هذا الكلام، لأن أول خروج من الباب معناه انتهاء لها، ألا ترى المهالك في الخارج ألا ترى السيارات، ألا ترى وألا ترى، ثم إذا هلكت من الذي يلامّ؟!، ألست أنا الذي يلام على ذلك!

هذه نفسك لو فلتها وأتبعت هواها، انت على حافة الخطر تنطلق تخرج إلى الخارج انتهى موضوعك، فيحميك ويردك ويعاملك برحمته ثم لا تحبه؟! كيف؟!، نفسك مثل هذه الطفلة، التي لو لم ترعى لهلكت، فسبحان من رعاك وهو عنك غني، سبحان من أعطاك وهو مالك الملك، عبادتك وصلاحك وكمالك لا يزيد في ملكه شيء، فكل المصلحة التامة لك، ثم وراء هذا كله جنات النعيم، وورائه العلو في المنازل، وكأنك ترى أهل الجنة يتزاورون، وكأنك ترى أهل الجنة يجتمعون، وكأنك ترى أهل الجنة قد تم لهم ما يريدون.

إذن ستلحق بإذنه وحده ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لكنك لما تمتلأ رضا عنه، وتمتلأ ثناء عليه، نسأل الله عز وجل بمنه وكرمه أن يملأ قلوبنا بهذا.

الثمرة العاشرة من معرفة أسماء الله عز وجل.

النقطة العاشرة من ثمرات الإيمان باسماء الله عز وجل وصفاته ومن ثمرات المعرفة بها: اليقين بقضاء الله تعالى وقدره فيصبر على المصائب ويرضى بها.

قال ابن القيم: فمن صحت له معرفة ربه والفقه في اسمائه وصفاته علم يقينًا أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها دروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه ولا فكرته، بل مصلحة العبد فيما يكرهه أعظم منها فيما يحب.

إذن إذا صحت لك المعرفة هذا هو المهم؛ إذا صحت المعرفة يقابلها أنك تعتقد أن دروب من المصالح في هذه الابتلاءات، ولذلك لما يقال لك الإيمان بالقضاء والقدر لا تتكلم فيه إلا وانت صاحب علمٍ في اسماء الله وصفاته، يعني العلم باسماء الله وصفاته هو سبب رضاك عن أقداره.

يعني انت لماذا تجد في نفسك سخط وحزن على شيء فات؟ شيء فات وانتهى! لأن القلب ضعيف في إيمانه بالله فلا يسكِّن نفسه بأن هذا القضاء والقدر أتى ممن يعلم المصالح من المفاسد علمًا تامًا، فهذا الذي نزل وإن كانت صورته هذه الصورة السيئة لكن حقيقته الصلاح.

مرة أخرى من يستطيع هذا؟! ليست كل القلوب تستطيعه؛ كلما زادت المعرفة كلما زاد الإيمان بالقضاء والقدر، فصلاح المجتمع في مسألة الإيمان بالقضاء والقدر لا يكون بمناقشة نفس القضاء والقدر لأ، لابد من مناقشة الاسماء من أجل إصلاح القضاء والقدر في نفوس الناس.

الثمرة الحادية عشر من معرفة أسماء الله عز وجل.

المعرفة بالله تكسب العبد الأدب مع ربه، سأنقل لك كلام لابن القيم يقول:

إن الأدب مع الله تبارك وتعالى هو القيام بدينه، والتأدب بآدابه ظاهرًا وباطنا، ولا يستقيم لأحدٍ قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته باسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة لينة متهيأة لقبول الحقّ، علمًا وعملًا وحالا.والله المستعان.

إذن ابن القيم يقرر أن الأدب مع الله هو القيام بدينه والتأدب بالآداب الظاهرة والباطنة، كيف سيكون هذا؟ بثلاثة أمور:

أحتاج أعرف اسماؤه وصفاته.

وأحتاج أعرف الدين.

واحتاج يكون معي نفس قابلة لينة هينة متهيأة لقبول الحق، فإذن الحق واضح والدين واضح إذن المشكلة في نفسك أن تستعد لقبولها ولذلك الله المستعان، الله المستعان على نفوسنا، الله يعيننا على نفوسنا ونلينها لقبول الحق.

لازلت أذكركم أن هذه الثمرات ليست لكل أحد، ليس كل من عرف اسماء الله كانت هذه الثمرات له!، هناك المعرفة العامة – معرفة الإقرار – هذه كلها موجودة في الناس البر والفاجر، قل له ما هي اسماء الله فيعد لك إياهم، لكن نحن نريد معرفة تورث الحياء، توجب الحياء.

سيأتينا إن شاء الله كيف أأتي بالمعرفة التي تورث الحياء، هنا الثمرات ثم نعرف كيف نأتي بهذه.

الثمرة الثانية عشرة من معرفة أسماء الله عز وجل.

من ثمرات المعرفة بالله أنها تبصر العبد بنقائص نفسه وعيوبها.

ما النتيجة؟ يجتهد في إصلاحها وتقويمها، ما معنى هذا الكلام؟ لو اتينا إلى مشكلة النفوس مثل الكِبر، الحسد، الغضب، ما سبب وقوع التكبر والحسد والغضب مثلًا في النفس؟ أمرين: جهله بربه، جهله بنفسه.

لو أقول لك ما الحل؟ لو عرفت الله بكمال صفاته وأنه هو المنان وهو الذي أعطاك وأعطى غيرك وهو الحكيم في عطاياه وعرفت نفسك بما فيك من نقائص وآفات لن يحصل يوم أنك تغضب ولا تتكبر ولا تحسد أحدًا على ما أتاه الله.

ما هو الحسد؟ الحسد في حقيقته معاداة لله!، تكره نعمة الله على العباد، والله أحب لهذا العبد هذه النعمة!، انت تحب زوالها عنه والله يحب بقائها عنده، يعنى انت تحب الزوال والله يكره الزوال، انت تكره بقائها والله يحب بقائها، فتصبح معادي لله!، فهذا مضادة لله وقضاءه وقدره ومحبته وكراهيته!

تعال أوصف إبليس، لماذا أصبح عدوًا لله؟ هو في الأصل حسد آدم، فسر الحسد من جهة علاقتك بالله ماذا ستقول؟ ستقول: الحاسد يكره ما يحب الله، ويحب ما يكره الله!، الله يحب أن تكون النعمة عليك، يأتي الثاني يكره أن تكون النعمة عليك!، أصلًا من أعطاك النعمة ومن أحبها لك؟! الله، لما أأتي أكره النعمة عليك معناها لم أكره النعمة بعينها إنما انظر وراء الكلام: كرهت ما يحبه الله!!

ماذا اتمنى وماذا يمر في خاطري؟ أتمنى زوال النعمة عنك!، هذا ما أحبه!، والله عز وجل يكره زوال هذه النعمة عليك!، إذن أنا أحب ما يكره الله وأكره ما يحب الله!!، فهذه صورة الحاسد، ومن أجل ذلك هذا نقص في نفسه.

إذن لماذا إبليس عدو؟ لأنه كان عنده كبر وحسد، ما الذي يقلع الكبر والحسد؟ معرفة الله، توحيد الله، الرضا به، الإنابة إليه، انت اعرف الله ووحده واعرف أن النعم كلها من عنده، وهذا يعطى كذا وهذا يعطى كذا لا تفكر في هذا وفكر فيما أعطاك انت، وإذا تحرك قلبك اطلب من الله مباشرة أنه كما أعطى فلان يعطيك، فأنت محتاج توحيد الله والرضا عن الله والإنابة إليه.

نحن أحيان كثيرة نصنع لأنفسنا حسد بسبب عدم شعورنا بما أعطانا الله من منن، نحدد نوع معين من المنن إذا ليست عندي معناها ذهبت، أحيانًا التربية تكون سبب في ذلك، لا أريد أن أخرج عن الموضوع حقيقة لكن جملة مختصرة لأننا نعاني من هذا كثيرًا في التربية.

أكلمك عن الذكاء؛ كثير من الناس يحددون الذكاء في الدراسة، أيضًا ليست أي دراسة إنما في الرياضيات مثلًا، في العلوم، هذا عندهم الذكاء، مع أن الذكاء أنواع في الإنسان يصل إلى حد أكثر من أربعة وستون إلى ستة وستون نوع في الإنسان! والآن بدأ ينتشر بين الناس هذا الأمر [الذكاء العاطفي، الذكاء الرقمي، الذكاء الصوتي]، أنواع كثيرة لدرجة أنك تحتار في التفريق بينها، وتكون دقيقة جدًا لدرجة أن هناك ذكاء حرفي، ذكاء قدرة على استعمال الأطراف بصورة متقنة أوامر من الدماغ إلى الأطراف فيأتي يبث الورقة كما ينبغي تمامًا، وواحد تقول له سطر ولا يعرف يسطر! فهذه أنواع من الذكاء مختلفة.

لما تركز على نوع واحد وتترك كل الأنواع ويصبح في المجتمع الذكي فقط هو من يعرف في الرياضيات ويحل، ثم اجعله يخرج في المجتمع فيجلس ولا يعرف يقول كلمتان على بعضهم!، ليس لديه ذكاء عاطفي، لا يعرف يستفيد من قدراته، يجلس فيكون سبب للأكتئاب على نفسه وعلى الناس، مع أنه في الرياضيات يحل جيدًا، حتى غفلنا عن الناقص عندنا والمهم المقياس أخر السنة، في مقابل أن غيره عنده من الذكاء العاطفي، هل ينفع كل واحد يصبح مثلًا استقبال في مكان عام؟! لأ، هذا نوع ذكاء، الذكاء الاجتماعي والتعامل مع الناس بأدب وبحدود وبلباقة، ولا يكثر كلام ولا يقلل كلام، ونحن عندنا واحد من حلين أما واحد يتكلم وأما واحد يسكت ولا يتكلم، ليس هناك حلول لكن هناك ناس لبقين يعرفوا متى يتكلمون ومتى يسكتون، هذه أنواع من الذكاء، لما أغفلناها جاء التحاسد الشديد، لم تنظر إلى ما اعطاك الله، وهذا ليس له علاقة بالكلام لكن هذا بالمناسبة لأن دائمًا الأمهات يشتكون من نقص أبنائهم وأبنائهم قد كملهم الله، لكن الأهالي هم القاصرون في نظرتهم فهذا هو الإشكال.

فالمقصود الآن أنه قبل أن تدور في هذه الدائرة الضيقة وتحسد الناس فتش في نفسك، أعطاك ما لا تتصوره، لكن أحيانًا من الحسد – وهذا الأمر الخطير– ماشاء الله – وأنا صادق طبعًا – ربنا أعطاك ميزة للإقناع، ربنا أعطاك ميزة أنك تعرف تتكلم، ربنا أعطاك ميزة في الهدوء، أعطاك ميزة في أنك رزين ماشاء الله وهادىء ولك سمت، أنت فيك سمت يصلح أن تسد ثغرة من ثغرات المسلمين، من الحسد أني لا أقول للشخص هذا الأمر، أني أرى فيه ميزة وليست في فقلبي ينقبض عليها، خصوصًا الشابات والشباب الصغير، لا تتركه، قل له انت فيك مزية أن صدرك واسع، فيك صبر ماشاء الله، فيك مرونة مفقودة، أنا عملت مع ناس كثيرين وانت فيك مرونة وفيك قدرة على أنك تغير وغيرك في سنك أقول له كلمتين فلا يقبل أما رأيه وأما مع السلامة.

هذا الكلام يجب أن يقال، ليس كذبًا، أنا لا أمدح الناس بما ليس فيهم لكن لما تجد ميزات قل له، خصوصًا ونحن نكبر وأصبح عندنا خبرات وعاشرنا الناس وعرفنا الفوارق، فمن البداية نور له، كلمه عن ما أنعم الله به عليه، لا تنتظر لما يتحطم ولا أحد يقول له ثم تجده حاسد، بل أن يصبح حاسد كلمه عن نعمة الله.

وهذا وإن كان في الهامش لكني أجده كلامًا يتحرك في قلبي دائمًا تجاه من يعامل الناس، الله أمتن عليك ببصيرة ترى نعم الله في الناس كلمهم عن هذه النعمة، ذكرهم بها لعلهم يكونوا لربهم شاكرين، حثهم على أن يكونوا بنعمة الله محدثين، لأنكم تعرفوا أكيد أن ناس كثير غافلون عن ما أعطاهم الله، هذا أمر مقرر وتراه عجبًا.

ونرجع مرة أخرى إلى القوانين الفاسدة والمقاييس الباطلة أن الذي لا يطلع طبيب أو مهندس هذا في مؤخرة الركب، فترى هذه القوانين قد حكمت بالإعدام على أنواع كثيرة من الذكاء ثم أورثت التحاسد ثم قلبت موازين الاحترام، ثم غيرت نفوس الناس تجاه نعمة الله!.

سلسلة من الأخطاء كلها تعود إلى أن الإنسان لم ينظر إلى أفعال الله على أنها أفعال كمال، ما فقدته لابد أن يكون أمامه العوض، يعني ماذا فقدت؟ فقدت قدرة على التركيز مثلًا؟ الله عز وجل أعطاك مقابلها أنك مهذب مثلًا، بشوش، تستطيع أن تتعامل مع الناس بيسر وسهولة، مرن، هذه كلها عطايا لا أحد يحسبها.

المقصود الآن أن معرفتك بالله عز وجل تسبب لك البصيرة بنقائصك وعيوبك، أقصد بأمراض قلبك، فانت لو عرفت الله لم تكن ستقع في الحسد لكن وقوعك دليل على نقص معرفتك.

لو أريد الآن أن أقلع مرض الغضب من قلبي؟ يجب علي أن أعرف نفسي، أعرف أنها لا تستحق أن يغضب لها وينتقم لها، وأعرف أن لو آثرت رضا الله على غضبي سألقى من الله العفو مع قدرته التامة علي.

ومن أجل ذلك انت استدفع الغضب بأن تغضب لله وترضى له، لأنك في قلبك قدرة على الغضب، وقدرة على الرضا إذا لم تستخدمها لله ستسخدمها في حق نفسك، كلما دخل نفسك شيء من الغضب والرضا لله كلما خرج منها ما يقابله من الغضب والرضا للنفس.

كلما دخل شيء من الغضب والرضا لله خرج من النفس مقابلها من الغضب والرضا لها

لو أصيب الإنسان بداء الشهوة؛ يشتهي أمرًا محرمًا، كيف يعالجها؟ الدواء أن تعلم أن أعظم أسباب علاج النفس حرمانها ومنعها وحميتها، لأنك تعلم أن الله يختبرك بتقريب هذه الشهوة منك.

فانت كلما فتح عليك باب الشهوة استعنت بالله ساعيًا في حرمان نفسك منها، وكلما أغلقت عليها الباب كلما وصلت نفسك للكمال، معرفتك بربك تبصرك بنقائصك فإذا نظرت في نفسك ونظرت إلى الأمراض ستعلم أن حسدًا غضبًا كل هذا لم يحصل منك إلا لأنك لا تعرف ربك.

الثمرة الثالثة عشرة من معرفة أسماء الله عز وجل.

نذكر الثمرة التي بعدها الثالثة عشر؛ مما يناسب هذا المقام أن المعرفة بالله تكسو العبد بلباس التواضع، ما هو التواضع؟ التواضع إنكسار القلب لله، خفض جناح الذل والرحمة للعباد، فلا يرى له على أحدٍ فضلا، ولا يرى له عند أحدٍ حقا، بل يرى الفضل للناس عليه، تفضل الله عليه عن طريقهم.

التواضع لا أن تأتي تجامل أحد وانت في نفسك منفوخ وترى أنك شيء، إنما التواضع أن ترى أن الله عز وجل أعطاك نعمة، نعمة العلم نعمة المال، فتنكسر لله وتذل وتكون أعطيت فلان فلا ترى لك على فلان فضل، إنما الفضل لله أن جعله في طريقك، وجعل وصولك إليه عن طريق هذا الشخص، لذلك كان السلف يفرحون بالسائل يسألهم ويطلبهم لأنهم يرون أن لهم عليهم فضل أن فتح

لهم باب القربى من الله، هذا الفقير ماذا يكون بالنسبة لي أنا من عندي مال؟ سيكون باب من أبواب الجنة، فسبحان من أتى بهذا العبد إلي وهو محتاج شديد الحاجة وأكون أنا سبب لتفريج كربته ويكون الناتج أني أقترب من الله، وإلا الله عز وجل سيفرجها سيفرجها عليه، من طريقي أو من طريق غيري، سيأتيه الفرج سيأتيه، لكن انظر إلى تشريف الله لك، كيف شرفك؟ أن جعل حاجة فلان تفريجها لعى يديك، فأصبح الفضل لمن؟ فضلك انت على الفقير أم فضل الفقير عليك؟ الفقير فضله عليك، والفضل كله يعود لله لأنه سبب لك هذه الأسباب.

إذن لما تتعلم عن الله تتواضع ليس تواضع كاذب لا تتواضع منكسر ذليل، تمد يدك فرحان أن هذا أخذ منك المال وأنه أتت قربة من هذا النوع ستكون سبب لتفريج كربتك يوم القيامة، فلما ترى الكرب العظام تعرض عليك فكر في الكرب العظيم الذي ستدخله يوم القيامة، وانظر كيف أراد الله تفريج الكرب عنك بأن ساق لك كربًا تستطيع تفريجه، أو تستطيع أن تسعى لتفريجه، فلا تعامل ما ابتليت به من هذه الاختبارات بالإهمال، لا تعاملها بالإهمال بل بقدر أنفاسك استعمل طاقاتك من أجل أن تغتنم الفرص التي يسرها الله لك.

إذن العلم بالله يورثك تواضعًا عظيما.

إلى هنا أخذنا ثلاثة عشرة ثمرة، نكتفي بهذه الثمرات

المعرفة التي تورث الحياء.

نبدأ من جديد نقول نعيد الكلام الذي سبق الذي بدأنا به الثمرات؛ ليس كل معرفة بالله تؤتي هذه الثمرات لأن معرفة الله سبحانه وتعالى نوعان:

المعرفة الأولى: معرفة إقرار، وهذه عامة أشترك فيها البر والفاجر والمطيع والعاصي.

المعرفة الثانية: معرفة توجب الحياء منه سبحانه وتعالى، والمحبة له.

من أين نأتي بهذه المعرفة التي توجب الحياء؟ لهذه المعرفة بابان واسعان.

أولًا عرفتي اسماء الله وصفاته كلها، لكن هل هذه معرفة إقرار أم معرفة حياء؟ انت ستتحولين من مجرد الإقرار بالمعرفة أن الله [سميع بصير عليم حكيم] إلى معرفة توجب الحياء عن طريق هذان البابان، ما هما البابان؟

- باب التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها، فانت تجد في القرآن اسماؤه وصفاته وآثارها تظهر في معاملته لخلقه، في قصص الأنبياء، فيما ذكر لك من مخلوقات، في كل شيء، في وصفه للجنة، في وصفه للنار، سترى صفات الله.

تعال فقط نقف في سورة البروج، وقبل ذلك مررنا عليها أذكركم فقط بها، وقل لي كم اسم وصفة تجد فيها؟ من أول الآية، سنتكلم عن اسماء وصفات ذكرت بمنطوقها أو آثارها، بدأت سورة البروج ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ السماء تعلم أنها من المخلوقات العظيمة، إذن السماء إشارة إلى اسمه الخالق.

﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ لازال معنى الخالق موجود، أصلًا ما هي البروج؟ أي ذات المنازل التي تمر بها الشمس والقمر، يعني هذه المنازل إشارة إلى حكمته في خلقه، أنا أشير فقط لكن لو تأملت سترى أمرًا عجيبًا.

ثم ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يشير لك إلى تمام حكمته وتمام قدرته سبحانه وتعالى، لأن هذه السماء وهذه المخلوقات كلها ستجتمع في هذا اليوم، فسبحان من يميتها ثم يحييها بعد أن تبدل الأرض غير الأرض، والسماء غير السماء.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ من الشاهد ومن المشهود؟ كل شيء سيكون شاهد ومشهود، شهد حدثًا وشُهد عليه، فتصور علمه سبحانه وتعالى بكل شيء.

إلى أخر السورة لكن أقصد بهذه الطريقة انظر للقرآن، انت تعلمت اسماؤه وصفاته عمومًا لكن انظر إلى القرآن من أوله إلى أخره كله يشهد لك باسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، كل الأحكام لما تأتي إليها الأحكام الشرعية ترى حكمته، ترى لطفه، ترى بره، ترى آثار علمه، فكل هذا يجعلك تصبح معرفتك له معرفة حياء.

اتفقنا أن هناك بابان لمعرفة الحياء:

- الأول: التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها.
- الثاني: التفكر في آياته المشهودة، والتفكر في تدابيره العجيبة، ومن ثمَّ تأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه، فسترى آثار أسمائه وصفاته في كل الخلق والأمر.

وهذا يجعلك من جديد تعود إلى آية سورة الطلاق، ماذا يقول الله عز وجل في أواخر سورة الطلاق؟ ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ خالق كل شيء والأمر يتنزل بين السماء والأرض، الأمر الكوني والأمر الشرعي كأنه يقال لك كل ما تراه في الكون من تدابير أشهدك عليها ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[٦١١]، إذن كل شيء في الكون يعلمك عن قدرته وعلمه، ثم يتفرع من قدرته وعلمه كل الصفات، فالصفات من العلم والقدرة [بدلالة الألتزام، بدلالة المطابقة، بدلالة التضمن] ستدل على صفات الله عز وجل الباقية.

المقصود من طرق الوصول إلى المعرفة التي تأتي بالحياء طريقين:

- الأمر الأول: التدبر والتأمل في القرآن كله.
- الأمر الثاني: التفكر في الآيات الكونية والتدابير التي تخصّك وتخصّ الكون، كل شيء يمر عليك لابد أن يكون ورائه ما وراءه من آثار اسمائه وصفاته، فهو يعاملك بمقتضى اسمائه وصفاته، يعطيك وهو مالك الملك وهو على كل شيء قدير وهو الحكيم، يمنعك وهو مالك الملك وهو على كل شيء قدير وهو الحكيم، إذن منعه وعطائه يدور مع ملكه وقدرته لكن يمنعك ويعطيك على حكمة، مع استغناءه عنك لكنه يفرح بتوبتك، إلى أخر ما ترى من آثار اسمائه وصفاته في تدبيره.

ولازلنا نقول الناس ينقسمون إلى أعمى وبصير ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾[٦١٢] فلا تكن أعمى في الدنيا لا ترى آثار كمال صفاته، احذر من العمى يصيبك فتخسر دنياك وأخرتك.

على كل حال؛ هذا مبدأ الأمر في الكلام حول الثمرات، نكمل الآن في الكلام حول شيء من قواعد في الأسماء، سأشرحها بشيء من الاختصار تعتبر بالنسبة لكم مراجعة لأنه مر معكم قواعد حول أسماء الله، سأستعمل ذلك على سبيل المراجعة.

---

[٦١١] الطلاق:١٢

[٦١٢] الإسراء:٧٢

أو غدًا تأتون بكتاب الأسماء صباحًا نأخذ الدرس الثاني في هذا الباب، ونقرأ من كتاب فقه الأسماء القواعد، انتم درستوها من كتاب القواعد المثلى ستقرؤوها بصورة جديدة لكن نفس المعلومات بالضبط من كتاب فقه الأسماء الشيخ عبد الرزاق.

سأقرأ اليوم ما يتيسر؛ سابتدأ بقاعدة اسماء الله تعالى كلها حسنى.

قال: لقد امتدح الله في القرآن الكريم اسمائه العظيمة بوصفها كلها أنها حسنى.

القاعدة الأولى أسماء الله كلها حسنى، وهذه أيضًا الأولى عند الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

قال: لقد امتدح الله في القرآن الكريم اسمائه العظيمة بوصفها كلها أنها حسنى وتكرر وصفها بذلك في القرآن في أربع مواضع:

وذكر الأربع مواضع:

- الموطن الأول: في الأعراف ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ هذا الموطن الأول في الأعراف.
- الموطن الثاني: مثله في الإسراء ﴿قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَىٰ﴾، هذا الموطن الثاني لذكر أن اسماء الله عز وجل حسنى.
- الموطن الثالث: في طه ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَىٰ﴾.
- الموطن الرابع: في سورة الحشر ذكر سبحانه وتعالى أن اسماؤه حسنى ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾.

قال: ففي هذه الآيات وصفٌ لأسمائه سبحانه جميعها حسنى

أي جميع الأسماء.

ما معنى حسنى؟ قال:

البالغة في الحسن كماله ومنتهاه، وهي جمع الأحسن لا جمع الحسن

إذن الحسنى جمع لكلمة الأحسن وليس الحسن، ما معنى هذا الكلام؟ معناه أن كل اسم في معناه حسن وأحسن، فالله عز وجل له المعنى الأحسن في كل اسم.

قال: فهي أفعل تفضيل الأحسن معرفة باللام.

[أحسن] هذا أفعل تفضيل، عرفت باللام أصبحت [الأحسن]، لما توصف بها الأسماء ستصبح الحسنى، المعنى أنه لا أحسن منها بوجه من الوجوه، هذه أفعل التفضيل ستنفي عن غيرها الفضل وتجعلها هي الأفضل.

أحسن الأسماء اسماء الله لا أحسن منها بوجه من الوجوه، هذا هو المعنى، لما تقولي أحسن الأسماء اسماء الله كأنك تقولي لا أحسن منها.

بل هي الحسن الكامل التام المطلق لكونها أحسن الأسماء.

إذن مرة أخرى ما معنى حسنى؟ بالغة في الحسن كماله ومنتهاه.

ما أصلها؟ هي جمع الأحسن وليس جمع الحسن، فأسماء الله حسنى، وحسنى جمع أحسن، ابحث في أحسن على وزن أفعل، أفعل من صيغ التفضيل، فستكون اسماء الله أحسن الأسماء، ما معنى ذلك؟ كل أسم في معناه حسن وأحسن، فالله عز وجل له الأحسن في معنى الأسم.

قال: وهو المثل الأعلى في قوله سبحانه ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٦١٣]

المثل الأعلى أي الوصف الأعلى، يعني الأحسن، هناك مثل حسن وهناك مثل أحسن، هناك وصف عالي وهناك وصف أعلى، إذن هناك أسماء حسنة وهناك أسماء أحسن.

قال: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي في كماله وأسمائه وصفاته ولذا كانت أحسن الأسماء، بل ليس في الأسماء أحسن منها، ولا يسد غيرها مسدها، ولا يقوم غيرها مقامها، ولا يؤدي معناها.

ماذا يقصد؟ أنه لا يمكن أن تأتي فتستبدل اسم من أسماء الله بغيره، لماذا؟ لأنه لا يقوم أحد الأسماء مكان الأخر، ولا يؤدي اسم عن اسم، فكل اسم له معناه الخاص الذي يزيد عن معنى غيره أو يسد غيره في المعنى.

قال: وتفسير الاسم منها – أي من اسماء الله – بغيره ليس بتفسير بمرادف محض

لما أأتي أفسر العفو أو الجبار لما أفسرهم مثلًا العفو الغفور يتقاربان لما أفسرها ليس مرادف بل هو على سبيل التقريب والتفهيم، من أجل أن أقرب لك المعنى وتفهم.

لكمالها في مبناها ومعناها، ولحسنها في ألفاظها ومدلولاتها، ليس هناك اسم يعوض باسم أخر، فهي أحسن الأسماء كما أن صفاته سبحانه أكمل الصفات، والوصف بالحسنى وصف لها كلها.

يعني كل الاسماء وصفها أنها حسنى

فهي كلها حسنى ليس فيها وصف غير ذلك، لأن كل اسماؤه مدح وحمد وثناء وتمجيد.

الاسماء ستكون متضمنة للصفات لكن اسماؤه حسنى ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَىٰ﴾ ثم يأتي تقسيم حول الصفات، لكن الآن الاسماء وصفها كلها حسنى، وقال في الكلام:

كما أن صفاته سبحانه أكمل الصفات.

فالاسماء تقولي عنها أحسن الاسماء، والصفات تقولي عنها أكمل الصفات.

والوصف بالحسنى وصف لها كلها، فهي كلها حسنى ليس فيها وصف غير ذلك، لأن كل اسماؤه مدح وحمد وثناء وتمجيد.

والله تبارك وتعالى لكماله وجلاله وعظمته لا يسمى إلا بأحسن الأسماء، كما أنه لا يوصف إلا بأحسن الصفات ولا يثنى عليه إلا بأكمل الثناء وأحسنه وأطيبه.

هذا كله في تفسير معنى الحسنى.

ثم يأتي يقول لماذا هي حسنى؟

قال: إنما كانت حسنى لكونها قد دلت على صفات كمال عظيمة لله

يعني لن تكون حسنى إلا لأنها تضمن صفات كمال، كل اسم سيتضمن صفة أو أكثر من صفة.

فما كان من الاسماء علمًا محضًا لايدل على صفة لم يكن من اسماء الله

[٦١٣] الروم:٢٧

إذن اسماء الله لابد أن تضمن صفة، هناك أسماء مجرد علم محض ليس فيه صفة، نعبر عنه في اللغة بأنه اسم جامد ليس مشتق، مثل بعض اسماء الآلات اسماء جامدة وليست مشتقة، أو مثل الدهر مثلًا، الدهر اسم للوقت والزمان لكنه مشتق من يدهر دهرًا؟! لأ جامد، لو وجدت اسم جامدًا وقيل لك هذا من اسماء الله انكره مباشرة، لأن اسماء الله عز وجل لابد أن تكون متضمنة لصفة.

فالغفور متضمن لصفة المغفرة.

الرحيم متضمن لصفة الرحمة.

التواب متضمن لصفة التوبة.

الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

إذن كل الاسماء لابد أن تكون متضمنة لصفات، فإذا أتى اسم وليس فيه صفة فلن يكون اسمًا من اسماء الله، لو أتى لك أحد وقال لك الدهر اسمًا من اسماء الله؟ تقول لأ، ليس فيه صفة، ما الصفة؟! سنجد أنه لا صفة فيه.

قال: وما كان منها ليس دالًا على صفات كمال بل إنما دالًا على صفات نقصًا أو صفات منقسمة على مدح وقدح لم يكن من اسماء الله.

يعني هناك اسماء مشتقة صحيح لكن الصفة المشتق منها الاسم ليس صفة كمال محض، لأ:

إما أن تكون صفات نقص وهذه لا تصلح وصف الله بها.

أو تكون صفات منقسمة إلى مدح وكمال، وهذا سيأتينا النقاش إن شاء الله فيها.

المهم أن اسماء الله متضمنة لصفات كاملة، مر معكم سابقًا هذا المقطع إن شاء الله نعيد شرحه مرة أخرى.

فاسماء الله جميعها توقيفية.

يعني من أين ستأتي بها مادام توقيفية؟ من الكتاب والسنة.

دالة على صفات كمال ونعوت جلال الرب تبارك وتعالى، فهي حسنى باعتبار معانيها وحقائقها لا بمجرد ألفاظها.

يعني ليس مجرد اللفظ هو الذي أعطاها الحسن إنما المعنى الذي تضمنه.

إذ لو كانت ألفاظًا لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح وكمال

لو كانت مجرد ألفاظ مثلما تسمي أحد أحمد وهو أذم الناس، وتسمى هذا عبدالله وهو أفجر الناس، مجرد اسماء!، لكن اسماء الله ليست مجرد أسماء إنما اسم متضمن لصفة.

ولو حصل لساغ وقوع الاسماء الدالة على البطش والغضب والانتقام في مقام الاسماء الدالة على الرحمة والإحسان.

ولو واحد أتى قال يصلح أن تقول: "ربي إني ظلمت نفسي إنك شديد العقاب!" يصلح هذا؟ لأ، يجب أن تقول: "ربي إني ظلمت نفسي فاغفر لي أنك انت الغفور الرحيم"، لأنك تعرف أن اسم الغفور لأنك تريد المغفرة، واسم الرحيم وانت تريد الرحمة، فالغفور تؤمن أن ورائها صفة المغفرة والرحيم ورائها صفة الرحمة.

مثل: "اللهم اعطني فانت القابض المانع"، لماذا القابض المانع؟ لماذا لا يكون المعطي؟ هذا في مكان غير مناسب، لأن من لا يعرف أن اسماء الله لها معاني سيكون هذا حاله.

ونحو ذلك من الكلام المتناثر غير المستقيم.

إذن لماذا هي حسنى؟ لأنها متضمنة لصفات كمال.

ما دليلك على أن الاسماء متضمنة لكمال الصفات؟ الدليل أنها لو كانت ألفاظ لا معاني لها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح وكمال لأنه مجرد اسم، مثلما أسمي أحد مثلًا هذه وفاء، وفاء اسم، انت لما تنادي أحد من زميلاتك وفاء هل تقصدي الصفة أم مجرد العلم؟! العلم، إذن هذه أسماء الخلق مجرد علم تميزين به، لكن لما تتكلمي عن الله الاسم تناديه به وانت متيقنة أنه موصوف بهذه الصفة، تقولي يا غفور اسمه الغفور وصفته المغفرة، يا رحيم اسمه الرحيم وصفته الرحمة، يا جبار اسمه الجبار وصفته الجبر.

- فمن أجل ذلك لو كانت مجرد ألفاظ لا معاني لها لم تكن حسنى كانت حسنة.
- وإذا كانت ألفاظ لا معاني لها لم تدل على المدح.
- ولو كانت مجرد ألفاظ لا معاني لها كنت دعيت الله بأي اسم في أي وقت بأي دعاء لم يكن يلزم أن تختار الاسم المناسب لطلبك.

هذه ثلاثة أسباب تعللين بها لماذا اسماء الله حسنى، ثلاثة أسباب بمثابة التعليل.

نكون بهذا انتهينا من القاعدة الأولى تقريبًا، وإن كان هو ذكر بعد ذلك كلام حول القاعدة، فنكون بهذا انتهينا من هذه القاعدة ولم ننتهي بعد من باقي القواعد ولم ننتهي بعد من هذه المقدمة.

على كل حال جزاكم الله خيرًا أحسن الله إليكم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.[٦١٤]

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لازلنا بفضل الله ومنته نناقش باب ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ في كتاب التوحيد، مررنا أمس على ثمرات تعلم اسماء الله واتفقنا على أن هذا الذي ذكرناه كان شيئًا من الشيء الكثير في فضل تعلم اسماء الله عز وجل، فانتم كما تعلمون أن الله خلقنا لنعبده والعبادة لا تكون إلا بعد معرفته، فهو يقول سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، فخلق السماوات والأرض وأنزل بينهما الأمر الشرعي والقدري لتعلموا عن كمال صفاته ولتكون عباداتكم مبنية على اعتقادكم.

ولذلك قال ابن القيم في آية سورة الطلاق:

أن القصد من الخلق والأمر معرفته سبحانه وتعالى باسمائه وصفاته ثم عبادته وحده لا شريك له، فكانت المعرفة أولًا ثم العبادة.

ولذلك يقول بعض أهل العلم: التوحيد نوعان: توحيد معرفة وتوحيد عمل.

[٦١٤] بداية لقاء جديد لاحق لتكملة الباب؛ تم جمع التسجيل بهذه الطريقة لمواصلة الباب كله وعدم تجزئته.

يعني توحد الله في معرفتك ثم توحد الله عز وجل في عملك، فهذا مما يجعل هذا الباب – باب الاسماء والصفات – باب عظيم، وكما مر معنا أن من ثمرات هذا العلم وقوع المحبة والتعظيم والإجلال والخشية والرجاء وإخلاص العمل له سبحانه وتعالى، فكلما قويت هذه المعرفة في العبد كلما كان إقباله أعظم، وغير ذلك من ما نرجو من الله أن يعلمنا إياه ويفهمنا ويزيدنا في هذا الباب.

لكن اتفقنا بعدما ذكرنا شيء من الثمرات اتفقنا أن نبدأ نتعلم شيء من القواعد، وبدأنا بالقاعدة الأولى: **أن اسماء الله كلها حسنى**، وسبق لنا أن درسنا كتاب القواعد المثلى، هذه المرة سنقرأ القواعد لكن بطريقة أخرى من كلام الشيخ عبد الرزاق في كتابه فقه الأسماء.

اتفقنا أمس على قاعدة أسماء الله تعالى كلها حسنى، وحسنى معناها بالغة في الحسن كماله ومنتهاه، واتفقنا أن حسنى جمع الأحسن لا جمع الحسن، والأحسن اسم تفضيل، فكل اسم في معناه أمرين:

- هذا اسم حسن.
- هذا اسم أحسن.

يعني الأسم نفسه حسن وأحسن، واسماء الله تعالى حسنى يعني الأحسن، هذا التفضيل.

ولماذا اسماء الله تعالى حسنى؟ حسنى لكونها دلت على صفات كمال لأن الخلق اسماؤهم حسنة لكن اسماء الله عز وجل حسنى يعني الأحسن في كل شيء، لماذا؟ لأنها متضمنة لصفات كمال، في مقابل أن اسماء الخلق اسماء مجردة بدون صفات.

إذن اسماء الله حسنى لأنها متضمنة لصفات كمال.

كأنه يقال لك من قال لك أن اسماء الله تضمن صفات كمال؟ سنقول له لا يمكن أن تكون حسنى لو لم تكن تضمن صفات!، لا يمكن، لأني أقول الأحسن، الأفضل، لابد أن تكون تضمن صفات.

ولذلك قال ابن القيم: إذ لو كانت ألفاظا لا معاني فيها لم تكن حسنى ولا كانت دالة على مدح وكمال.

المعنى أنك لما تأتي تمدح أحد هل يكفيك أن تقول – نفترض أني أريد أن أمدح ابني صالح- ماذا أقول؟ صالحٌ صالح، لا يكفي أن أقول اسمه لابد أن أأتي بصفته فأقول صالح صالح، لأنه هناك صالح من جهة الاسم لكنه غير صالح، وأأتي أقول ابني كريم كريم، لماذا لابد أن أأتي بالصفة؟ لأن اسماء الخلق اسماء مجردة، لا تضمن صفة، لتثبت لها الصفة لابد أن تذكرها، لكن لما تتكلم عن الله تقول الكريم الغني العظيم الرحيم، تقولي الاسم وانت تفهمين أنه استقر قلبك أنه صاحب هذه الصفة.

إذن اسماء الله تعالى حسنى، لماذا هي حسنى؟ لأنها تضمن صفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

ثم لو قيل لك من أين لكم أنها تضمن صفات؟ سنقول لو كانت ألفاظًا لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دلت على معاني مدح ولا كمال، كنا احتجنا لنمدح وصف صالح صالح، كريم كريم.

ثم ولساغ وقوع الاسماء الدالة على البطش والانتقام والغضب في مقام الاسماء الدالة على الرحمة والإحسان.

يعني ليس هناك فرق، لأنها لا تضمن معاني فمجرد اسماء لا معاني فيها، فأنا ممكن أأتي لفتاة اسمها مؤمنة وأدعوها إلى الإيمان وأقول لها ينبغي لك أن تثبتي على الإيمان، يسوغ لي لأن هذا مجرد اسم، وأأتي للكريمة وأكلمها عن الكرم، وأنصحجها أن تتصف به، واسمها؟ مجرد علم.

في مقابل أنك لما تكلم الله لا يمكنك أن تقول: "اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك شديد العقاب"، لا يصلح، لابد أن تقول: "فاغفر لي فإنك الغفور الرحيم" فمسلكك أيها العبد في دعائك يبيِّن أن ربك اسماؤه حسنى، فكل اسم من اسمائه متصمن لصفة من صفاته سبحانه وتعالى، صفة أو أكثر.

نكمل الآن ما ذكر بعد ذلك:

قال: ولهذا فإن كل اسم من أسماء الله دالٌ على معنى من صفات الكمال ليس هو المعنى الذي دلّ عليه الاسم الآخر، فالرحمن مثلًا يدلّ على صفة الرحمة، والعزيز يدلّ على صفة العزة، والخالق يدلّ على صفة الخلق، والكريم يدلّ على صفة الكرم، والمحسن يدلّ على صفة الإحسان، وهكذا..، وإن كانت جميعها متفقة على الدلالة على الرب تبارك وتعالى

كل هذه الأسماء [الرحمن، العزيز، المحسن، الكريم، الخالق] كلها تدل على الله، لكن كل اسم من هذه الأسماء له معنى مختلف عن الثاني

ولذا فهي من حيث دلالتها على الذات مترادفة

ما معنى مترادفة؟ كلها تدل على ذاتٍ واحدة.

ومن حيث دلالتها على الصفات متباينة

يعني مختلفة، اسم الرحمن يدل على صفة مختلفة عن اسم العزيز، إذن اسماء الله تنظر لها في نفس الوقت بنظرتين:

⇦ تنظر لها على أنها متباينة يعني مختلفة.

⇦ وتنظر لها على أنها مترادفة يعني متفقة.

متى تنظر لها على أنها مترادفة؟ لما تتكلم عن ذات الله، فتقول: [الرحمن الرحيم الغفور العزيز المحسن الخالق] كلها تدل على ذاتٍ واحدة، فهي من حيث الدلالة مثل بعضها، يعني لو تريد أن تتكلم عن ربك تناديه [يا الله، يا رحمن، يا غفور، يا شكور] في كل الأحوال انت تنادي واحد، لكن لما تقول يا رحمن لك حاجة، يا غفور لك حاجة، يا شكور لك حاجة، فكل مرة لك حاجة مختلفة.

ولذا فهي من حيث دلالتها على الذات مترادفة ومن حيث دلالتها على الصفات متباينة لدلالة كل اسم على معنى خاص مستفاد منها.

اتضح أنها مترادفة لأنها تدل على ذات الله، ومتباينة لأن كل اسم يدل على معنى خاص مستفاد منه

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "أسماء الرب تبارك وتعالى كلها أسماء مدح ولو كانت ألفاظًا مجردة لا معاني لها لم تدل على المدح، لا تكون حسنى لمجرد اللفظ لأنه مثلًا اسم صالح من المؤكد أنه أحسن من اسم حرب، لما اسمي ولدي صالح هذا اسم حسن، اسميه حرب هذا اسم ليس بحسن، إذن اسماء فيها حسن وفيها ليس بحسن، لكن لما نأتي إلى الاسماء وأقول هذه حسنى لابد أن تكون أعلى من مجرد أن تكون لفظ، يعني اللفظ أقول عنه هذا اسم حسن، لكن لما يتضمن معنى ستبلغ أن تكون حسنى.

وقد وصفها الله سبحانه بأنها حسنى كلها فقال: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ﴾ [٦١٥] فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ بل لدلالتها على أوصاف الكمال".

ولهذا لما سمع بعض العرب قارئا يقرأ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [٦١٦] – قرأ القارىء – ﴿وَاللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال – الأعرابي – ليس هذا بكلام الله تعالى

لماذا؟ الحكم لما يصدر لابد أن يختم بوصف صاحب الحكم، فلو هنا تجلى هنا في هذا الحكم مغفرته ورحمته كان سقط عنهم الحد، لكن هنا لم يتجلى المغفرة والرحمة إنما تجلت صفات أخرى، المهم قال:

فقال القاريء أتكذب بكلام الله قال لا ولكن ليس هذا بكلام الله، فعاد إلى حفظه وقرأ: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

يعني ختام الآية ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

فقال الأعرابي صدقت عز فحكم فقطع ولو غفر ورحم لما قطع، ولهذا إذا ختمت آية الرحمة باسم عذاب أو بالعكس ظهر تنافر الكلام وعدم انتظامه.

ولذلك من الأخطاء التي تحصل في حفظ القرآن ونشتكي كثيرًا من ظهورها وتكرارها لا نشتكي من أجل إتقان الحفظ إنما نشتكي للدلالة على سوء الفهم، أن تختم الآية باسم من أسماء الله ولا تستطيع أن تميز الأسماء فتخطأ فيها، دائمًا يقول لك أنا أتلخبط! لا يصلح!

مثلًا ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ يجب أن يكون هناك علاقة بين العفو والمغفرة بأي شيء من الأفعال التي أمرت بها ودفعت لها ثم رغبك فيها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ كان ماذا من أجل أنك تعفو وتغفر؟ ﴿كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ مع قدرته التامة عليك فإنه يعاملك بعفوه فإذا أردت عفوه أعفو انت عن الناس، فلا يصلح أن تخطأ في ختام الآية!.

وعلى كل حال هذا المؤشر قوته بالغة المدى، قوة هذا المؤشر على أن القوم يحفظون ما لا يفهمون، نسأل الله أن يغفر لنا.

وعلى هذا فإن دعاء الله بأسماء المأمور به في قوله ﴿فادعوه بها﴾ لا يتأتى إلا بالعلم بمعانيها، فإنه إن لم يكن عالما بمعانيها ربما جعل في دعائه الاسم في غير موطنه كأن يختم طلب الرحمة باسم العذاب أو العكس، فيظهر التنافر في الكلام وعدم الاتساق، ومن يتدبر الأدعية الواردة في القرآن الكريم أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم نجد أنه ما من دعاء منها يختم بشيء من أسماء الله الحسنى إلا ويكون في ذلك الاسم ارتباط وتناسب مع الدعاء المطلوب كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٦١٧]

تقبل والسميع العليم: تسمع كلامنا وتعلم نياتنا

وقوله: ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [٦١٨]

طلب المغفرة والرحمة بسبب الإيمان ثم وصفوا الله بخير الراحمين.

---

[٦١٥] الأعراف:١٨٠

[٦١٦] المائدة:٣٨

[٦١٧] البقرة:١٢٧

[٦١٨] المؤمنون: ١٠٩

وقوله: ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[٦١٩]،

إذن طلبوا الفتح والصفة الفاتحين، طلبوا الرحمة والصفة خير الراحمين، طلبوا قبول العمل والصفة السميع العليم.

أمس ذكرنا في الدعاء: " أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنِ ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ"، فلأنك مسبب الأسباب ولأنك من تؤتي الأسباب ثمراتها ولأنك في الحقيقة الذي ابتدأتنا بالعطاء، وفي الحقيقة الآخر الذي ستقضي بيننا وقت القضاء، فأعينني وأرزقني الحول والقوة على القيام بكل ما كلفتني، ولأنك الظاهر الذي ليس فوقك شيء، والباطن الذي ليس دونك شيء أعينني على ما كلفتني، وأصلح لي قلبي، وأصلح لي عملي، فليس لي أحد سواك يهيأ لي أسباب الصلاح، وليس لي أحد سواك يعطيني الحول والقوة للقيام بهذه الأسباب وأمرك على كل شيء نافذ فهيأ لي أسباب الصلاح وأدفع عني أسباب الفساد.

فهذا علم عظيم – علم معرفة العلاقة بين الطلب وبين الاسم والصفة التي اقترن بها في السياق – وهذا مبحث جميل نرجو من الله أن ييسر لطلبة العلم الكتابة فيه وهو العلاقة بين الأدعية في الكتاب والسنة وما ذكر فيها من أسماء، دعاء وفيه اسم من اسماء الله فالعلاقة بينهم هذا مبحث عظيم يحتاجه طلاب العلم، نسأل الله أن ييسر من طلبة العلم المباركين من يبحث في هذه المسألة وينفعنا الله عز وجل به.

قال: وهكذا الشأن في عامة الدعوات المأثورة.

انتهينا من هذا الأمر، علق على قاعدة ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ علق على معنى الحسنى، وعلى سبب أنها حسنى، وعلى ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ ثم ختم بفائدة هذه القاعدة:

قال:

إن معرفة المؤمن لهذا الوصف العظيم لأسماء الله وهو كونها حسنى يزيد فيه التعظيم لها والإجلال والحرص على فهم معانيها الجليلة ومدلولاتها العظيمة، ويبعده عن منزلقات المحرفين وتأويلات المبطلين وتخرصات الجاهلين.

ما المصلحة من معرفة المسلم أن اسماء الله كلها حسنى؟

- الأمر الأول: يزيد في تعظيمه.
- الأمر الثاني: يسبب له الحرص على فهم معاني الأسماء.
- الأمر الثالث: يبعده عن منزلقات المحرفين وتأويلات المبطلين.

إذن انت تستفيد من أن اسماء الله حسنى ثلاثة استفادات، تعظيمه وإجلاله لأنك لما تتعلم اسماء الله ستتعلم معانيها وليست مجرد كلمات تقولها وترددها.

هذا ويمكن أن نلخص المعاني المستفادة والثمرات الجنية من هذا الوصف لأسماء الله في الأمور التالية:

الأول: أنها أسماء دالة على أحسن مسمى وأجلّ موصوف وهو الله تبارك وتعالى ذو الجلال والكمال والجمال.

الثاني: أن فيها إجلالًا لله وتعظيمًا وإكبارًا وإظهارًا لعظمته ومجده وكماله وجلاله وكبريائه سبحانه.

[٦١٩] الأعراف:٨٩

لأنها حسنى ففهمنا أن اسماء الله تدل عليه سبحانه وتعالى وفي نفس الوقت توقع في القلب إجلالًا له، لأن اسماؤه ليست مثل أي اسماء، وصفاته ليست مثل أي صفات، فهي توقع في قلبك إجلالًا.

الثالث: أن كل اسم منها دال على ثبوت صفة كمال لله عز وجل ولذا كانت حسنى، وصفاته تبارك وتعالى كلها صفات كمال ونعوته كلها نعوت جلال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل.

فهذا وصف عام لكل صفاته سبحانه وتعالى.

الرابع: أنها ليس فيها اسم يحتوي على الشر أو يدل على نقص فالشر ليس إليه فلا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته ولا يكون في شيء من أفعاله فلا يضاف إليه لا فعلا ولا وصفا.

لا يضاف الشر لله عز وجل لا فعلًا ولا وصفا، وسيأتينا إن شاء الله تفصيل هذا خلال نقاشنا في الباب.

الخامس: أن الله أمر عباده بدعائه بها بقوله: ﴿فادعوه بها﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة وهذا من أجل الطاعات وأعظم القرب.

ما هو الذي من أعظم القربات؟ دعاء الله باسمائه وصفاته، إذن الدعاء بنفسه عبادة قربة إلى الله.

السادس: أن الله وعد من أحصى تسعة وتسعين اسما منها حفظا وفهما وعملا بما تقتضيه أن يدخله الجنة وهذا من بركات هذه الأسماء وبالله وحده التوفيق.

هكذا تكون انتهت اقاغعدة الأولى وذكر ستة مصالح من وصفه سبحانه وتعالى أن له الأسماء الحسنى.

ننتقل إلى العنوان الثاني الذي ذكره ضمن هذه المقدمة:

قال: جادّة أهل السنة في باب الأسماء والصفات.

جادة بمعنى الطريق المستقيم.

إن جادة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات وفي الدين عمومًا جادةٌ مستقيمةٌ وصراطهم صراط مستقيم؛ لأنه قام على تعظيم نصوص الشريعة ولزوم ما جاء في الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصان،

إذن أهل السنة والجماعة ما قاعدتهم في باب الأسماء والصفات وفي أي باب؟ قاعدتهم تعظيم الشريعة، فإذا عظموها لزموا ما جاء في الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصان.

وهذا الذي ينقص كل أهل الفرق أنهم لا يعظمون الشريعة إنما يعاملونها بركونهم فيأخذوا منها ما يريدون ويردوا منها ما يريدون، ما يعجبهم ويناسبهم يأخذوه، ما يتحمسون له ويوافق طباعهم يعتنوا به ويتركوا غيره، لكن أهل السنة والجماعة التعظيم عندهم للكتاب والسنة، للشريعة، لذلك يأخذون ما جاء في الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصان.

وهذه الجملة الحقيقة من الجمل المهمة التي يجب على أهل السنة فهمها بدقة واعتبارها قاعدة في سلوكهم وفي نفس الوقت كأنها رد أو وصف ضدّ لكل أهل البدعة، فأهل السنة يعظمون الشريعة ويلزمون ما جاء في الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصان، هذا سواء كان في باب الأسماء والصفات أو في غيرها، فهم معظمون للشريعة يأخذون ما جاء في الكتاب والسنة كله.

فيؤمنون بما ورد فيهما من أسماء الرب وصفاته، ويمرّونه كما جاء، ويُثْبِتونه كما ورد، ولا يُحَرِّفون الكلم عن مواضعه، ولا يُلْحِدون في أسمائه وآياته، ولا يكيِّفون صفاته، ولا يمثِّلون شيئًا منها بشيءٍ من صفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفء له ولا ند ولا يُقاس بخلقه.

إذن هذا المسلك الخاص في باب الأسماء، المسلك العام في الشريعة أنهم يعظمون الشريعة ولأنهم يعظمون الشريعة يأخذون ما جاء في الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان، ما موقفهم في الأسماء؟

أولًا: يؤمنون بما ورد فيهما – من الكتاب والسنة – من الأسماء والصفات.

ثانيًا: يمرّونها كما جاء، إذن الإمرار.

ثالثًا: يثبتونها كما ورد.

رابعًا: ولا يُحَرِّفون الكلم عن مواضعه.

خامسًا: لا يُلْحِدون في أسمائه وآياته.

سادسًا: لا يكيِّفون صفاته.

سابعًا: لا يمثِّلون شيئًا منها بشيءٍ من صفات خلقه.

ثم علل ذلك قال:

لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفء له ولا ند ولا يُقاس بخلقه.

- إذن ما موقفهم؟ الإيمان.
- الإمرار، ما معنى الإمرار؟ الإمرار مع الإثبات، يمرونها يعني لا يسألون عن كيفياتها، ولا يفكرون في تفاصيل كل الصفة إنما يؤمنون أن الله موصوف، يثبتون الصفة ولا يفكرون في تفاصيل الوصف، هذا من جهة.
- من جهة أخرى تجدهم لا يحرفون الكلم عن مواضعه بمعنى أنهم لا يعطون الأسماء معاني غير معانيها.
- ولا يلحدون في اسماء الله بمعنى أنهم ينسبون أو يعطوا اسم الله لغيره، هذا من أنواع الإلحاد الذي مر معكم في القواعد المثلى.
- أيضًا من أفعالهم أنهم لا يكيفون صفات الله عز وجل فلا يطلبون لها كيفية بعقولهم.
- ولا يمثلون فلا يضربون لله الأمثال في صفاته.

ثم علل ذلك قال: لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفء له ولا ند ولا يُقاس بخلقه.

هذا موقفهم مما جاء في الكتاب، نرى موقفهم الآن مما جاء في السنة.

ويؤمنون بأن رسله الذين أخبروا عنه بتلك الصفات صادقون مصدوقون.

أول اعتقاد: صادقون.

ثاني اعتقاد: مصدقون.

صادقون فيما ينقلونه، مصدقون يعني الله عز وجل يصدقهم ويظهر دلائل صدقهم، وهذا وصف عام عن اعتقادهم للرسل، لماذا؟ لأنهم سينقلون كلام الله فلابد أن يكون عندي اعتقاد واضح فيهم، فالرسل صادقون مصدقون.

فكلامهم وحي من الله،

يعني الرسالة التي ينقلها الرسول عن الله هذا وحي من الله.

ومهمتهم تبليغ رسالة الله، بخلاف الذين يقولون على الله مالا يعلمون بما تُمْليه عليه عقولهم القاصرة وأفهامهم الضعيفة؛

يقولون هذا اسم لا يصلح لله، هذا اسم لا يسمى الله به، استخدموا عقولهم القاصرة وأفهامهم الضعيفة، وربما أيضًا بواطنهم السيئة، لهم مقاصد أحيانًا فتكون عقولهم تدخلت، وأفهامهم تدخلت، وربما نياتهم تدخلت فنفوا عن الله ما يثبت له، وأتوا إلى شيء من صفاته فكيفوها، أو عطلوها، كل هذا يأتي من جهل أو من متابعة الهوى.

ولهذا قال الله–سبحانه-: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦٢٠].

فسبَّح نفسه عمَّا وصفه به المخالفون للرسل، وسلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، ثم حمَد نفسه على تفرُّده بالأوصاف التي يستحقُّ عليهما كمال الحمد.

إذن انظري للآية؛ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ما علاقتها ببعض؟ نزه نفسه عن ما يصفه به الواصفون وسلم على المرسلين لأن كلام المرسلين معصوم من وصف الله بالنقص أو العيب.

ثم حمد نفسه تفرُّده بالأوصاف التي يستحقُّ عليهما كمال الحمد قال: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فهو المحمود لأنه كامل الصفات، وهذا يجب أن تعتقده وقتما تقول الحمدلله، تقول الثناء حق لله لكمال صفاته.

وهكذا الشأن في أتباعهم المقتفين آثارهم، يُثْبِتون ما أثبته رسل الله لربهم من صفات الكمال ونعوت الجلال،

أتباع الرسل أيضًا كلامهم مسلَّم، يعني الرسل سلم عليهم لسلامة ما قالوه، وأتباع الرسل يسلم عليهم لأنهم أثبتوا ما أثبته الرسل لله.

ثم وصف هذا قال:

كتكليمه لعباده، ومحبته لهم، ورحمته بهم، وعلوه عليهم، واستواءه على عرشه، وغضبه على أعدائه وسخطه عليهم، إلى غير ذلك مما ورد من نعوت الرب الكريمة وصفاته الجليلة،

ماذا فعل أتباع الرسل؟ أثبتوها، ثم تكلم بالتفصيل:

فآمنوا بذلك كله، وأمرُّوه كما جاء من غير تعرض لكيفية، أو اعتقاد مشابهة، أو مِثْلِية، أو تأويل يؤدِّي إلى تعطيل صفات ربه البرية؛

إذن سلموا من التكييف، من التشبيه، من التعطيل.

بل وسِعَتْهم السنة المحمدية

وسعتهم أي كفتهم

والطريقة المرضية، ولم يتجاوزوها إلى ضلالات بدعية أو أهواء ردية، فحازوا بسبب ذلك الرُتَب السنية والمنازل العلية في الدنيا والآخرة،

وكأنه يقول انظر إلى الذي ميز أهل السنة من هم على منهج النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته:

---

[٦٢٠] الصافات: ١٨٢

قال: فسَنَنُهم أبيَّن وطريقهم أقوم وهَدْيُهم أَرْشد، بل هو الحق الذي لا حق سواه، والهدى الذي ليس بعده إلا الضلال.

هذه المقدمة كلها سيأتي بعدها يذكر منهج أهل السنة والجماعة قائم على ماذا.
على كل حال نكتفي بهذا القدر اليوم وإن شاء الله في لقاءنا القادم في التوحيد نكمل شرح هذه القاعدة.
جزاكم الله خيرًا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لازلنا في دراستنا في كتاب التوحيد، ولازلنا نتكلم عن هذا الباب العظيم الذي سماه الشيخ رحمة الله عليه باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾، وعلاقة هذا الباب بالتوحيد غاية في الوضوح فلما ابتدأنا دراسة كتاب التوحيد اتفقنا أن كلمة التوحيد [الألف واللام] في كلمة التوحيد الاستغراق: تستغرق جميع معاني التوحيد.

والتوحيد كما تبيَّن لنا:

- توحيد الربوبية.
- توحيد الألوهية.
- توحيد الاسماء والصفات.

بدأنا في دراسة هذا الكتاب بالاستعانة بدراستنا السابقة لكتاب القواعد المثلى، ثم بدا لنا أن نقرأ من مقدمة كتاب فقه الأسماء التي استفادها الشيخ من كتاب القواعد المثلى، يعني الشيخ عبد الرزاق البدر رحمه الله استفاد من كتاب القواعد المثلى كتب هذه الاستفادة بصورة صياغة يسيرة فيها جمع بين القواعد وبين شرح بسيط لها، وكانت مجموعة حلقات إذاعية المهم أننا قرأنا من الكتاب بغرض زيادة بيان القواعد، وزيادة ثبوتها في عقولنا.

بدأنا بالقاعدة الأولى: اسماء الله تعالى كلها حسنى.

كانت من القواعد الأولى في القواعد المثلى وأيضًا من القاعدة الأولى في كتاب الشيخ عبد الرزاق، بعد ذلك انتقل لعنوان جادّة أهل السنة في باب الاسماء والصفات، قرأنا الصفحة الأولى لكن نعيدها لمزيد بيان.

إن جادة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات وفي الدين عمومًا جادةٌ مستقيمةٌ وصراطهم صراط مستقيم؛

هذا الوصف لأهل السنة والجماعة وصف عام لكل أحوالهم، فهم أصحاب الصراط المستقيم، وهم من أثني عليهم ومدحوا في كتاب الله، لكن هذا الوصف – أنهم على الصراط المستقيم – ممكن أن يدعيه أي أحد فيقول نحن الفرقة الفلانية على الصراط المستقيم، فما الذي جعلنا نعتقد أن أهل السنة والجماعة على الصراط المستقيم وهل هو مجرد تحزب ورأي وقناعات؟ أم أن هناك حكم فصل لمثل هذه الأمور؟! بيَّن لك مباشرة في الجملة التي بعدها علّة اعتقاد أن أهل السنة والجماعة أصحاب الصراط المستقيم، ما العلّة؟

لأنه قام – أي منهج أهل السنة والجماعة – على تعظيم نصوص الشريعة ولزوم ما جاء في الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصان،

هذه هي العلّة؛ أي أحد يحاجك حاجه بذلك، قل له أنا ليس لي عظيم أعظمه إلا الله والنبي صلى الله عليه وسلم، وليس لي مرجع أجعله حكم لي في كل حال إلا كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فتعظيم نصوص الشريعة وجعلها هي القائد والإنكباب عليها بالعناية والاهتمام وتصور أن لا هداية للطريق إلا هذا الطريق.

كل هذا يجعلك تفهم أن هؤلاء هم أهل الصراط المستقيم لأن الله لم يكلفنا غير كتابه وغير سنة نبيه، لن يكلفنا بغير ذلك، ثم كل شيء أخذ منه وأخذ أخذًا حقًا وليس إيمانًا ببعض وتركًا لبعض فسيكون من الكتاب والسنة.

وعلى كل حال هذا الأمر العظيم فيصل بين أهل السنة وغيرهم لأن الدعاوى كثير لهذا الوصف – وصف الاستقامة على الصراط المستقيم – لكن من في الحقيقة المستقيم؟ لن يكون مستقيم إلا من كان معظمًا لنصوص الشريعة لازمًا لها، نحتاج أمرين: [التعظيم واللزوم].

واللزوم له تفاصيله، يعني لزومك للكتاب والسنة له تفاصيله، ولزوم الهوى لزوم عنق خاضعة للنصوص، لا تتخير ولا تتشهى ولا تأخذ بعض الكتاب وتترك بعض، على كل حال هذه جملة مختصرة وراءها كلام يطول لكن أحفظ الجملة المختصرة ثم ييسر الله لك من يبيِّن لك معنى هذا الاختصار.

ثم قال: – تطبيق ذلك على الاسماء والصفات –

فيؤمنون بما ورد فيهمامن أسماء الرب وصفاته، ويمرِّونه كما جاء، الفعل الأول أنهم يؤمنون بكل ما ورد من اسماء الله عز وجل وصفاته في الكتاب والسنة.

الفعل الثاني: يمثلون أمر الكتاب بالإمرار، فيمرِّونها كما جائت، ما معنى الإمرار؟ أي أنهم لا يتكلفون فيها، ولا يتنطعون في السؤال عنها بل يثبتوها كما وردت.

ويُثْبِتونه كما ورد، ولا يُحَرِّفون الكلم عن مواضعه،

إذن الفعل الثاني: يمرونها.

الفعل الثالث: يثبتونها.

الفعل الرابع أنهم لا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولأنهم لا يحرفون الكلم عن مواضعه يمرونها ويثبتونها.

الفعل الخامس: ولا يُلْحِدون في أسمائه وآياته.

الفعل السادس: ولا يكيِّفون صفاته.

الفعل السابع: ولا يمثِّلون شيئًا منها بشيءٍ من صفات خلقه؛

إذن هذا منهجهم [الإيمان، الإمرار، الإثبات] وترك [التحريف، والإلحاد، والتكييف، والتمثيل]

لماذا كان هذا منهجهم؟ مجمل منهجهم بين الإثبات وبين النفي، يثبتون ما أثبت الله وينفون ما نفى الله عن نفسه، ويتركون التنطع والإلحاد والبحث في الكيفية والتمثيل، لماذا هذا حالهم؟ ولماذا يكتفوا بالكتاب والسنة؟ لماذا لا يتكلمون في نصوص الصفات بغير ذكر معانيها فقط اللائقة بالله سبحانه وتعالى؟ قال:

لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفء له ولا ند ولا يُقاس بخلقه.

فهذا ما نعتقده، وهذا السبب يجعلنا لما نأتي نتكلم عن الله لا نتكلم إلا بما هو ثابت، نمرَّها كما وردت، فماذا تفهم من سميع بصير عليم حكيم؟ سميع يعني أن له سمع، بصير يعني أن له بصر، حكيم يعني أن له الحكمة، خبير يعني له الخبرة، إذن هذا هو الإمرار، بدون أن تقول كيف يسمع؟!، كيف يبصر؟!، كيف يدبر هذا العالم كله بحكمه؟!

هذا الكلام كله لا يصلح مع ربك، لماذا؟ لأنه لا سمي له ولا كفء له ولا ند ولا يقاس بخلقه، فكيف ستعرف كيفية الأشياء وهو لا ند له ولا مثيل ولا يقاس بخلقه، كيفية صفاته لم يأتيك الخبر عنها وليس له مثيل من أجل أن تتصورها فانتفت عنك أسباب معرفة الكيفية، لأن الناس يعرفوا كيفية الأشياء إما رؤيتها أو رؤية مثيلها أو الخبر الصادق عنها.

فانت الآن تعلم وتعتقد أن الله في الدنيا لا يرى سبحانه وتعالى ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يراه يوم القيامة، ونكون ممن أنعموا هذا النعيم.. اللهم آمين.

فإذا كنت تعلم أنه لا يرى في الدنيا وإذا كنت تعلم أنه لا مثيل له، وإذا كنت تعلم أن الخبر لم يأتيك عن كيفية الصفات، إذن لا يمكنك معرفة الكيفيات وعليك أن تمرَّها كما وردت.

قال:

ويؤمنون بأن رسله الذين أخبروا عنه بتلك الصفات صادقون مصدوقون،

- أما صادقون في قولهم.
- وأما مصدقون فقد صدقهم الله وأظهر صدقهم، وكان شهيدًا سبحانه وتعالى عليهم فأقام لهم الأدلة على صدقهم.

إذا كانوا الأنبياء الذين أخبروا عنه سبحانه وتعالى هذا وصفهم إذن انت تعلم أن كلامهم وحي من الله

فكلامهم وحي من الله، ومهمتهم تبليغ رسالة الله، بخلاف الذين يقولون على الله مالا يعلمون بما تُمْليه عليه عقولهم القاصرة وأفهامهم الضعيفة؛

وربما أيضًا بواطنهم السيئة، إذن انت أمام طرفين:

طرف لا يتكلم عن الله إلا بوحي من الله، وهو يأتي يبلغك ماذا أوحى الله إليك.

وطرف يقول على الله ما لا يعلم معتمد على عقله وعلى فهمه وربما لا يتكلم إلا وباطنه سيء.

فمن المؤكد أنك تارك لهذا الجاهل معتمد على كلام العالم.

ولهذا قال الله–سبحانه–: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦٢١]

فسبَّح نفسه عمَّا وصفه به المخالفون للرسل، وسلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، ثم حمَد نفسه على تفرُّده بالأوصاف التي يستحقُّ عليهما كمال الحمد.

الآية فيها تقرير لسلام الله عز وجل على الأنبياء وذم من تكلم عن الله بغير علم.

قال:

وهكذا الشأن في أتباعهم المقتفين آثارهم، يُثْبِتون ما أثبته رسل الله لربهم من صفات الكمال.

إذن مصدرنا هو الكتاب والسنة:

- لماذا الكتاب؟ لأن لا أحد أعلم بالله من الله.
- ولماذا الرسل؟ لأنهم بلغوا عن الله فهم صادقون مصدقون.

وفي المقابل ستترك كل أحد غير كتاب الله وسنة الرسول في معرفة صفات الله.

من بعدهم؟ الأتباع الذين أقتفوا أثر الأنبياء.

---

[٦٢١] الصافات:١٨٢

يُثْبِتون ما أثبته رسل الله لربهم من صفات الكمال، ونعوت الجلال، كتكليمه لعباده، ومحبته لهم، ورحمته بهم، وعلوه عليهم، واستواءه على عرشه، وغضبه على أعدائه وسخطه عليهم، إلى غير ذلك مما ورد من نعوت الرب الكريمة وصفاته الجليلة،

إذن ما حال الأتباع؟ يثبتون ما أثبته الرسل، سواء كان الذي أثبت صفات أو نعوت

ويأتي هنا سؤال ما الفرق بين الصفات والنعوت؟! هذا متروك مبحث لكم، إن شاء الله نتناقش في أقرب فرصة فيه.

ماذا فعلوا الأتباع؟

فآمنوا بذلك كله، وأمرُّوه كما جاء، من غير تعرض لكيفية، أو اعتقاد مشابهة، أو مِثْلِية، أو تأويل يؤدِّي إلى تعطيل صفات ربه البرية؛

إذن آمنوا وأمروا من غير أن يتعرضوا للكيفية أو اعتقاد مشابهة أو مثلية أو تأويل يؤدِّي إلى تعطيل صفات ربه البرية؛ إذن واضح منهج أتباع الرسل.

بل وسِعَتْهم السنة المحمدية والطريقة المرضية، ولم يتجاوزوها إلى ضلالات بدعية أو أهواء ردية، فحازوا بسبب ذلك الرُتَب السنية والمنازل العلية في الدنيا والآخرة،

إذن كان منهجهم الإيمان مع الإمرار من غير التعرض للكيفية أو اعتقاد مشابهة الخلق بربهم أو العكس، أو التأويل، يعني ابتعدوا عن التعرض للكيفية وابتعدوا عن اعتقاد المشابهة وابتعدوا عن التأويل ووسعتهم السنة، ما معنى وسعتهم السنة؟ كفتهم فابتعدوا عن الضلالات البدعية.

فحازوا بسبب ذلك الرُتَب السنية والمنازل العلية في الدنيا والآخرة، فسَنَنُهم أبيَّن وطريقهم أقوم وهَدْيُهم أَرْشد، بل هو الحق الذي لا حق سواه، والهدى الذي ليس بعده إلا الضلال.

ومنهجهم في هذا الباب -أي منهجهم في باب الأسماء والصفات - قائم على أصلين عظيمين وأساسيين متينين هما: الإثبات بلا تمثيل، والتنزيه بلا تعطيل،

هذه جملة مهمة في منهج أهل السنة والجماعة، كان في أول الكلام أهم جملة فيما سبق أن أهل السنة والجماعة جادتهم هي الجادة المستقيمة لأنهم قاموا على أمرين تعظيم الشريعة ولزوم ما جاء في الكتاب والسنة.

ما منهجهم في باب الأسماء والصفات وهم معظمين للشريعة لازمين للكتاب والسنة؟ الإثبات بلا تمثيل والتنزيه بلا تعطيل.

انظري إلى شرحها: قال:

فلا يمثِّلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثِّلون ذاته سبحانه بذواتهم،

إذن ينفون التمثيل وفي نفس الوقت لا ينفوا الصفات، إذا نفوا التمثيل ليس معناه نفي الصفات، ولذلك قال:

ولا ينفون عنه صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة في كتابه وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-؛

إذن إذا تحاشوا التمثيل لم يكن عندهم الحل أن ينفوا الصفات بل لا يمثلون وفي نفس الوقت لا ينفون، لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، ولا ينفون عنه صفات كماله ونعوت جلاله.

بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وهذه الآية تجمع معتقد أهل السنة والجماعة؛

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هذا فيه نفي تمثيله بخلقه.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فيه إثبات لاسمائه وصفاته، فهو مع أنه ليس كمثله شيء لكنه سميع بصير.

فلا تظن أن نفيك للمثلية يعني نفيك للصفات، ولا تظن أن إثباتك للصفات يعني أن تجعلها مماثلة للخلق.

وهذا الإيمان يعدُّ أصلًا من أصول الإيمان الراسخة وأساسًا من أُسُسِه العظيمة التي لا إيمان لمن لم يؤمن بها، فمن جحد شيئًا من أسماء الله وصفاته ونفاها وأنكرها فليس بمؤمن،

ونحن سيأتينا في كتاب التوحيد هذا الباب – باب من جحد شيئًا من أسماء الله وصفاته –، الآن وصلنا إلى الباب الخمسون باب ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ الباب الخمسون.

ثم سيأتي بعد هذا الباب آثار اعتقادك لأسمائه الحسنى سبحانه وتعالى.

- وسيأتي باب "لا يقال السلام على الله".
- ويأتي باب "لا يقال اللهم أغفر لي إن شئت".
- وباب "لا يقول عبدي وأمتي".
- وباب "لا يرد من سأل بالله".
- وباب "لا يسأل بوجه الله إلا الجنة".
- وباب "ما جاء في النوء".

كل هذا فيه كلام حول صفات الرب سبحانه وتعالى.

- باب "النهي عن سب الريح".
- باب "يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية".

لازال هذا كله يعتمد على اعتقادك في اسمائه وصفاته.

وسيأتي بعد ذلك باب "ما جاء في منكري القدر"، لأنه سيناقش القدر ليس مثل باب من الإيمان الصبر على أقدار الله، لا يقصد الكلام عن الصبر إنما يقصد الكلام حول إثبات قدرة الله، لأن الإمام أحمد لما سئل عن الإيمان بالقدر قال: هو الإيمان بقدرة الله، القدر هو قدرة الله.

- ثم أتى باب "ما جاء في المصورين" وفيه الكلام حول تشبيه صفات الخلق بصفات الله عز وجل.
- أيضًا باب "ما جاء في كثرة الحلف" فيه الاستهانة بتعظيمه سبحانه وتعالى.
- باب " ما جاء في ذمة الله".
- باب "لا يستشهد الله على خلقه".

كل هذا أتى في سياق تعظيم اسماؤه سبحانه وتعالى وصفاته، ولذلك لابد أن تتصور أن أثر إيمانك بالأسماء والصفات لابد أن يظهر في معاملتك.

سيظهر لنا تمام هذا المعنى في باب الذي فيه ذكر كلام حول جحد صفات الله عز وجل، ما العلاقة؟ كأنه يقال لك المطلوب منك بعدما فهمت اسماء الله عز وجل وبعدما فهمت حقها وفهمت آثارها مطلوب منك أن لا تجحد اسماؤه وصفاته وهذا الباب نحن تركناه –كان متقدم وتركناه – وسيتبيَّن لك لما نعود إليه ما علاقته بالربوبية.

انظر مرة أخرى إلى الكتب؛ بعدما أتى باب "من جحد شيئًا من الأسماء والصفات" تركنا هذا الباب.

- باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾.
- باب قول الله تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.
- باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله.
- باب قول: ما شاء الله وشئت.
- باب من سب الدهر فقد آذى الله.
- باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه.

كل هذا له علاقة باعتقادك في اسماء الله عز وجل وربوبيته، انتم تعرفون أن التوحيد يقسم إلى قسمين كما قسمه ابن القيم:

توحيد المعرفة والإثبات.

وتوحيد الطلب والقصد.

فالمعرفة والإثبات هو الربوبية والاسماء والصفات، فمعرفتك بالله وإثباتك لكمال صفاته لابد أن تؤثر على سلوكك، فلو وقع منك جحود شيء من اسماء الله سيظهر في إنكارك لنعمته وفي جعلك له ندًا وفي عدم اقتناعك بالحالف لك، ومساواتك لصفات الله بصفات خلقه، إلى أخر آثار ضعف اعتقادك في باب الصفات.

ومن آثار اعتقادك كمال صفات الله اعتقادك أن له الاسماء الحسنى، ومن أجل أن يترتب في ذهنك ما العلاقة بين جحود شيء من اسماء الله ثم ننتقل للكلام حول ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾.

انظر لكلام الشيخ عبد الرزاق من أجل أن تتصور: قال:

وهذا الإيمان – الإيمان أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، يعني الإيمان بإثبات صفات الله مع عدم التمثيل - يعدُّ أصلًا من أصول الإيمان الراسخة وأساسًا من أُسُسِه العظيمة التي لا إيمان لمن لم يؤمن بها، فمن جحد شيئًا من أسماء الله وصفاته ونفاها وأنكرها فليس بمؤمن،

إذن انت مطلوب منك أن تؤمن بكمال صفات الله عز وجل ومن ثمّ لو آمنت بكمال صفاته سيتحقق لك الإيمان لأن الإيمان بكمال صفات الله أصل عظيم يبنى عليه الإيمان، عكسها من جحد أو أنكر فليس بمؤمن، فالجحود والإنكار لصفات الله له صور متعددة، ذكر لك الشيخ محمد عبد الوهاب أنواع من الصور في إنكار صفاته.

من إنكار صفات الله اعتقاد أن اسماء الله ليست حسنى.

كيف الإنسان يعتقد أن اسماء الله ليست حسنى؟ يقول أنها مجرد أسماء لا تضمن صفات.

مرة أخرى؛ كأننا نقول ما أثر جحود صفات الله على إيمان العبد بأن أسماء الله حسنى؟ هي لماذا حسنى اسماء الله؟ لأنها متضمنة صفات، إذا جحدوا الصفات إذن ماذا حصل؟ لم تكن حسنى، لذلك بدأ الشيخ بالكلام حول باب "من جحد شيئًا من صفات

الله" **ثم ساق لك صورًا من الجحود ثم أتى وتكلم عن أن من آثار الجحود أن لا تعتقد هذه الآية**، ولذلك قال باب قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾.

على كل حال بعدما ننتهي بذكر طرف من القواعد سنعود إلى باب من جحد وإلى باب ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾

وكذلك من كيَّفها أو شبَّهها بصفات المخلوقين- سبحان الله عما يصفون وتعالى الله عما يقوله الظالمون-.

قال نُعَيم بن حمَّاد-رحمه الله-: "من شبَّه الله بشيءٍ من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله-صلى الله عليه وسلم- تشبيه".

يعني لما وصف الله نفسه بصفات ووصف الله عز وجل الرسول بصفات لا تعتقد أبدًا أن في هذه الوصوفات شيء من التشبيه بل من شبه الله عز وجل بخلقه فقد كفر

وقال الإمام أحمد-رحمه الله: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله-صلى الله عليه وسلم-، لا يتُجاوز القرآن والحديث"

وقال ابن عبد البر-رحمه الله-: "ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء به منصوصًا في كتاب الله، أو صحَّ عن رسول-صلى الله عليه وسلم-، أو أجمعت عليه الأمّة، وما جاء في أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يُسَلَّم له ولا يُنَاظَر فيه".

لماذا يتكلم ابن عبد البر عن أخبار الآحاد؟ هو أصلًا قدم بجملة قد تشكل عليك؛ أصلًا من أين اسماء الله وصفاته؟ من كتاب الله ومن السنة.

لماذا يقول "واجمعت عليه الأمة"؟ نقول لأن بعض الفرق التي انتشر سيطها وعلا نجمها الآفل أخذت حجة أن أخبار الآحاد لا يثبت بها عقيدة، ويقصدون بذلك أن الأخبار – الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم – التي جائتهم على صفة معينة سموها أخبار الآحاد، يعني واحد عن واحد.

يعني لم يروِ هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة إلا واحد، فقالوا أخبار الآحاد لا تثبت بها عقيدة! فرد عليهم قال لهم: "ما أجمعت الأمة على قبوله من الأخبار يلزمنا قبوله"، لأنهم أتوا بعد ثلاثة قرون وأدخلوا هذا المفهوم في مصطلح الحديث وقالوا أن الأخبار فيها أخبار الآحاد والخبر المتواتر، ويقصدون بأخبار الآحاد ما جاء عن واحد أو اثنين أو ثلاثة، فجعلوها أخبارًا للآحاد واستعملوا هذه الكلمة لرد كثير من أحاديث الصفات.

فقال لهم ابن عبد البر نحن نأخذ من كتاب الله أو ما صح عن رسول الله أو ما أجمعت عليه الأمة على قبوله، ولو كان خبرًا من الآحاد، ثم يفسر لك قال:

وما جاء في أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يُسَلَّم له ولا يُنَاظَر فيه".

يعني لا تأتي تقول لي لأنه فقط خبر آحاد ولو كان صحيحًا ومسلكه صحيح تقول لأنه خبر آحاد غير مقبول، وكلمة خبر آحاد كلمة دخلت يريد منها الطعن في النصوص، ولو أردت خبرًا للآحاد انتشر في الآثار فإن حديث "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّات" من الآحاد، فهو لم يروى عن الصحابة إلا عن طريق عمر رضي الله عنه، وهذا الحديث انتم تعلمون أن البخاري بدأ به.

ولو أردت مثله فقد ختم البخاري كتابه الصحيح بهذا الخبر أيضًا الذي هو من الآحاد: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ".

فها هي أخبار الآحاد قد انتشرت واشتهرت وقبلت في الأمة، فلماذا لا يتكلمون عنها؟!، هم لا يتكلمون إلا على أخبار الآحاد التي تتصل بالعقيدة، وهذا منهم مكر. -رد الله مكرهم عن المسلمين -.

إذن انت مصدرك الكتاب والسنة، نأتي في السنة تحصل مشكلة نقول لو صح في السنة ولو كان خبر آحاد وتلقته الأمة بالقبول فهو مما يثبت به وصف الله.

ومن عظيم نعمة الله على العبد أن يوفِّقه لسلوك هذا النهج القويم القائم على لزوم كتاب الله تعالى وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-، بعيدًا عن انحرافات أهل الباطل، وتخرُّصات أهل الضلال؛ بل إنهم مضوا-بحمد الله- على جادَّة واحدة، ولم يتنازعوا في مسألةٍ واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال،

يتكلم عن أهل السنة أنهم بعيدين عن الإنحرافات، ماضين على جادة واحدة ولم يتنازعوا في مسألةٍ واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال،

بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمةً واحدةً من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلًا، ولم يحرِّفوها عن مواضعها تبديلًا، ولم يُبْدوا لشيءٍ منها إبطالًا، ولا ضربوا لها أمثالًا؛ بل تلَقَّوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها أمرًا واحدًا، وأَجْرَوها على سُنَنٍ واحد، ولسان حال قائلهم يقول: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.

لا نتدخل بعقولنا؛ من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.

وهذا الاتفاق الذي مضى عليه أهل السنة عبر التاريخ المديد يُعَدُّ من أبين الدلائل على صحة منهجهم واستقامة مسلكهم.

انظروا هذا الدليل الدقيق: بقاؤهم على طريق واحد.

ولهذا يقول أبو المظفر السمعاني-رحمه الله-: "ومما يدلُّ على أن أهل الحديث على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنَّفة من أولهم إلى آخرهم، قديمها وحديثها، وجدتها مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحدٍ منهم قِطرًا من الأقطار، في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يَجْرون فيها على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون عنها، قلوبهم في ذلك على قلب واحد، ونَقْلُهم لا ترى فيه اختلافًا، ولا تَفَرُّقًا في شيءٍ ما وإن قل؛ بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء عن قلبٍ واحد، وجرى على لسانٍ واحد.وهل على الحق دليل أبين من هذا؟

قال الله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾[٦٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[٦٢٣]،

هنا الشاهد الاعتصام بحبل الله.

وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعًا وأحزابًا،

يعني لم يعتصموا.

---

[٦٢٢] النساء:٨٢

[٦٢٣] آل عمران:١٠٣

لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدِّعُ بعضهم بعضًا، بل يرتقون إلى التكفير، يكفِّر الابن أباه والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبدًا في تنازع وتباغض، واختلاف، تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم

وهذا أمر لا يحتاج إلى شاهد تراه بينًا عند كل أهل البدع يفترقون.

سأترك باب الاسماء للانتقال إلى الشهادة على كل البدع؛ فإذا كلموك عن المولد مثلًا فإذا كلموك عن المولد اسألهم هل سأحتفل بالطريقة التيجانية أو الشاذلية وإلى أخر الاسماء التي تراها تلمع في سماء البدعة فتقصف السنة في قلوبهم وتحرق عنايتهم بالكتاب، فهؤلاء تراهم مختلفين في تفاصيل كل شيء لأنهم لم يعتصموا بالكتاب.

قال:

وكان السبب في اتفاق أهل الحديث: أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدع أخذوا الدين من عقولهم، فأورثهم التفرق والاختلاف. فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلَّما يختلف، وإن اختلفت في لفظةٍ أو كلمة فذلك الاختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه، وأما المعقولات والخواطر والآراء فقلَّما تتفق، بل عقل كل واحد ورأيه وخاطره يرى صاحبه غير ما يُرِي الآخر".

هذا وإن الخطأ في أسماء الرب سبحانه وصفاته ليس كالخطأ في أي أمر آخر، والواجب على كل مسلم أن يلزم نهج أهل السنة والجماعة، ويسلك سبيلهم، فإنهم على الحق المستبين.

قال ابن مسعود-رضي الله عنه-: "من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة؛ أولئك أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-كانوا والله أفضل هذه الأمة و أبرَّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتمسَّكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم."

انظر إلى الثلاثة صفات التي كانت في صحابة النبي صلى الله عليه وسلم:

- من جهة قلوبهم فهم أبر.
- ومن جهة علمهم فهم أعمق.
- ومن جهة فهمهم فهم أقل تكلفًا.

فنحن نحتاج إلى العمق مع عدم التكلف في معاملتنا لاسماء الله عز وجل وصفاته، وفي معاملتنا للدين كله، عمق وليس مجرد تسطيح للأفكار وللمفاهيم، وفي نفس الوقت الذي تراه ضعيف العمق تراه كثير الفلسفة كثير التكلف.

انتهينا الآن من كتاب الاسماء.

نعود مرة أخرى إلى كتاب فتح المجيد.

كنا اتفقنا أننا سنبدأ في باب ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ مع تركنا لباب من جحد، والمقصد من ترك باب من جحد أن تتصوروا كل المسألة التي تتصل بالأسماء جيدًا وبالصفات ثم تفهم ما أثر جحود الصفات.

ولذلك سأبدأ الآن بمناقشة: باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ﴾.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

باب قول الله تعالى: (وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ).

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما (يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ) : يشركون. وعنه : سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز. وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها.

قول الله " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها "

الشرح: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا ، مِائَةٌ إِلا وَاحِدَةً ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ " . أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان ابن عيينة. ورواه البخاري عن أبي اليمان عن أبي الزناد عن الأعرج عنه.

تقرير أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا ، مِائَةٌ إِلا وَاحِدَةً" هذا من باب التأكيد.

"مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ " رتب على إحصاؤها دخول الجنة " إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ".

ثم بيَّن لك أن هذا الحديث "أخرجاه في الصحيحين" يعني هذا الحديث ستجده في صحيح بخاري وصحيح مسلم.

هذا تقرير مهم لما سننتقل إليه بعد ذلك.

قال: وأخرجه الترمذي عن الجوزجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بسنده مثله.

مثل هذا الحديث لكن:

وزاد بعد قوله: " يحب الوتر" .: هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارىء، المصور، القهار، الغفار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدىء، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المعطي، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور ".

في رواية الترمذي التي فيها الوليد ابن مسلم عن شعيب بسنده مثله: مثل حديث: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا" لكن لما وصل "إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ" زاد هذا العد والإحصاء.

المهم في هذه الأسماء الوليد ابن مسلم، ثم انظري كلام الترمذي

ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب. وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

هذا رأي الترمذي الذي أخرج هذا الحديث، أن هذا حديث غريب، وروي من غير وجه عن أبي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

هذه الصيغة من الترمذي معناه أنه يمرر سند هذا الحديث.

والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه.

ما معنى مدرج فيه؟ هذه الكلمة معناها أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هذا من كلام بعض السلف وبعض العلماء مع نقل الحديث – أدرجوه – جعلوه من ضمن حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك. أي أنهم جمعوها من القرآن كما روى عن جعفر بن محمد وسفيان وأبي زيد اللغوي والله أعلم.

وانت مر معك في القواعد المثلى كيف أن العلماء بصحة السند بينوا أن مسألة سرد الأسماء ليست من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو إدراج من كلام الوليد ابن مسلم عن بعض شيوخه الشاميين.

هذا ما ذكره العماد ابن كثير في تفسيره.

يعني الذي مضى كلام العماد ابن كثير في تفسيره.

اتفقنا على أن هذا السرد ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ثم لو تأملنا في نفس السرد ستجد الدليل الواضح على أنه ليس من كلام النبي فتأمل فيه وانظر هل اسم الرب موجود؟! لن تجد اسم الرب موجودًا، ثم انظر أنه سمي سبحانه وتعالى المنتقم وهذه صفة مقيدة وليست صفة مطلقة، يعني المنتقم من الصفات المقيدة: منتقم من المجرمين، الشاكر الشكور ثابت، لا يوجد الشاكر، ستجد أكثر من علّة تجعلك تفهم أن هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ذو الجلال والإكرام ليس اسمًا إنما هي من الأسماء المركبة.

ثم قال: ليعلم أن الأسماء الحسنى ليست منحصرة في تسعة وتسعين. بدليل ما رواه أحمد عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك بن عبدك، بن أمتك، ناصيت بيدك. ماض في حكمك. عدل في قضاؤك. أسألك اللهم بكل اسم هو لك. سميت به نفسك. أو أنزلته في كتابك. أو علمته أحدًا من خلقك. أو استأثرت به في علم الغيب عندك. أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري. وجلاء حزني. وذهاب همي وغمى. إلا أذهب الله همه وحزنه. وأبدله مكانه فرحًا فقيل: يا رسول الله: ألا نتعلهما ؟ فقال: بلى. ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها " وقد أخرجه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه.

انتقل الآن للكلام حول الإلحاد، قبل أن ننتقل إلى هذه النقطة نقرر ما مضى فيما ذكرناه سابقًا.

ما هو هذا التقرير؟ أن اسماء الله تعالى ليست منحصرة في تسعة وتسعين، ونحن مر معنا أدلة أكثر من هذا الدليل، مر معنا ثلاثة أدلة ونحن نقرأ قاعدة: "اسماء الله حسنى".

- الدليل الأول: مر معنا هذا الدليل "أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ" وما استأثر الله به لا يعلمه أحد.
- الدليل الثاني: مر معنا في حديث الشفاعة "وَيَفْتَحُ عَلَيَّ بِمَحَامِدَ لَا أُحْصِيهَا الْآنَ"

- الدليل الثالث: "لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ"، والثناء لا يكون إلا بأسماء الله.

فكانت هذه الأدلة الثلاثة تدل على أن اسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين وإن كان سردها ليس صحيح لكن موجود في كتاب الله عز وجل التسعة وتسعون اسم، وفي نفس الوقت لابد أن تتصور أن ما تعرفه هو التسعة والتسعين وإن كان هناك قول يقول أنها أكثر من تسعة وتسعين، وهذا قول قوي يقول: أن اسماء الله المعروفة للخلق أكثر من تسعة وتسعين بالنسبة لنا، يعني تحصي من الكتاب والسنة تجدها أكثر من تسعة وتسعون، ثم بعد هذا تعلم أن هناك اسماء لا تعلمها أنت، فمعنى ذلك أن لله اسماء ليست فقط تسعة وتسعون اسمًا.

قررنا حقيقتان الآن:

- أن السرد الوارد في رواية الترمذي ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.
- ما ذكر من اسماء لله عز وجل في الكتاب والسنة ليست إلا فقط اسماء الله إنما الله عز وجل له اسماء أكثر من هذه الأسماء لكننا لا نعلمها.

من هنا سننتقل إلى مسألة الإلحاد.

معنى يلحدون في أسمائه

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ قال: إلحاد الملحدين: أن دعوا اللات في أسماء الله.

﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى ﴾ فقرر لك ما معنى الاسماء الحسنى ثم ترك الشارح ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وانتقل إلى ﴿وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ﴾ فنقل عن ابن عباس أن إلحاد الملحدين أن دعوا للات في اسماء الله، اللات جعلوها اسم من اسماء الله، هذا معنى كلام ابن عباس أن دعوا اللات في اسماء الله.

سنرى قول مجاهد يوضح الأمر أكثر:

وقال ابن جريج عن مجاهد: " وذروا الذين يلحدون في أسمائه " قال: اشتقوا اللات من الله. واشتقوا العزى من العزيز .

هنا بالعكس؛ أن اللات اشتق اسمها من الله وهذا على أحد قولين:

لأن قيل أن اللات اشتقت من يلت السويق.

واشتقوا العزة من اسم الله العزيز وهذا معنى الإلحاد.

إلحادهم ميلهم عن ما يجب، الإلحاد معناه الميل، فإلحادهم في أسماء الله يعني ميلهم بها عن ما يجب فيها، فبدلًا من أن يتركوا هذه الاسماء خاصة لله سموا غير الله واشتقوا لغير الله من أسماء الله يقصدون بها الصفة.

وقال قتادة: يلحدون: يشركون. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد التكذيب .

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد. والميل والجور والإنحراف.

قتادة قال يلحدون أي يشركون ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ﴾ يعني يشركون غير الله مع الله في اسمائه.

وقال ابن عباس الإلحاد التكذيب، يعني يكذبون بأسماء الله عز وجل.

ما أصل الإلحاد في كلام العرب؟ العدل عن القصد، العدل يعني ترك القصد، العدل بمعنى العدول وتركه، والقصد الأستقامة.

والميل والجور والإنحراف.ومنه اللحد في القبر. لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر.

الشق في الأرض هو بداية القبر، ثم لما يرتبون للميت مكان ينحرفون في شقهم للأرض من الداخل نحو الداخل فسمي لحدًا من ميله إلى القبلة.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالإشـراك والتعطيل والنكران

ما حقيقة الإلحاد في الأسماء؟ الميل بثلاثة أشياء:

- بالإشراك: يشرك مع الله في اسمائه غيره، يعتقد أن غير الله له هذا الاسم أو الصفة.
- والتعطيل: يعني يعطل معاني أسماء الله.
- والنكران: ينكر الأسماء وهو في الغالب أن الإنكار لا يكون للاسم إلا في الصفة وهذا سيتبيَّن معنا في باب من جحد شيء من أسماء الله.

سؤال من الحاضرات رد من الأستاذة: ينكرها يقول هذه ليست صفة من صفات الله، يعطلها يثبت أن الله يستوي على العرش، لكن ما معنى الاستواء عندك؟ يقول استولى، فيعطلها عن معناها ويجعل لها معنى أخر، ما معنى اليد؟ القوة، هذا اسمه تعطيل، والنكران ينفي ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ ينفي أصلًا أن من اسماؤه الرحمن.

وأسماء الرب تعالى كلها أسماء وأوصاف تعرَّف بها تعالى إلى عباده، ودَّلت على كماله جل وعلا.

يعني اسماء الرب سبحانه وتعالى كلها أسماء وأوصاف، كل اسم يتضمن صفة؛ فالإشراك والتعطيل والنكران كله يدور على الصفة التي يتضمنها الاسم، وهذه الاسماء عرف بها نفسه لعباده، وهذه الأسماء دلت على كماله جل وعلا.

وقال رحمه الله تعالى: فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها. وإما بجحد معانيها وتعطيلها وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات.

إما بجحدها وإنكارها هذا النكران.

أو بجحد معانيها وتعطيلها وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات هذا هو التعطيل، يأتي إلى المعنى فيجحده ويعطله، إما أنه يحرفه عن معناه أو يأتي فيأول المعنى يقول لأ المقصود هذا المعنى، اليد المقصود بها القوة، مثلًا الرحمة مقصود بها كذا، يأتي إلى الصفات ويعطيها معاني أخرى.

وإما أن يجعلها أسماء لهذه المخلوقات كإلحاد أهل الاتحاد. فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها. حتى قال زعيمهم: هو المسمى بمعنى كل اسم ممدوح عقلًا وشرعًا وعرفًا. وبكل اسم مذموم عقلًا وشرعًا وعرفًا. تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا، انتهى.

هذا كلام غاية في الخطورة؛ سأشرح ما استطعت فيه للبيان لكن يحتاج منا مراجعة فكر هؤلاء ولا تتعرض لمثل هذا الموضوع إلا لو كنت من أهله.

ماذا سنقول في هذا النوع من الإلحاد؟

وإما أن يجعلها أسماء لهذه المخلوقات كإلحاد أهل الاتحاد.

انظري إلى ما قبلها:

وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالإشـراك والتعطيل والنكران

ذكر لك التعطيل والنكران، بقي الإشراك؛ فبيَّن لك أن هناك من يلحد كإلحاد أهل الإتحاد فإنهم يجعلون اسماء الله اسماء للمخلوقات.

فمن هم أهل الإتحاد؟ وماذا يقصدون بهذا الفعل منهم؟!

نذكر ما نستطيع في هذا المعنى.

هؤلاء أهل الإتحاد أو ما نسميه "وحدة الوجود"، تحتاج أولًا أن تتعرف عليهم ثم تفهم ماذا فعلوا.

وحدة الوجود أصلًا مذهب فلسفي يتصورون أن الله عز وجل مع الطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحقّ ويعتبرونه – تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرا – صورة هذا العالم المخلوق!.

أهل الإتحاد يقولون عبارات تفهم منها أنهم يعتقدون أن الله والوجود شيء واحد؛ مثلًا يقولون: "سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها"، يعني هو حقيقة كل شيء، المهم لهم من هذا الهراء الشيء الكثير، بناء على هذا التصور سيصبح عندهم أنه ليس ثمة خلق ولا موجود من عدم بل مجرد فيض وتجلي!.

هذه الفلسفة لا يستطيع أن يدركها عقلك، لكن المشكلة أن ابن عربى أخذ كثير من آيات القرآن واستشهد بها لتوافق مذهبه ومعتقده.

فيقول مثلًا أن كلمة العذاب من العذوبة وليس من التعذيب!، وأن الريح التي دمرت عاد هي من الراحة!، هذه الريح أتت فأراحتهم من أجسادهم المظلمة!، وهذه الريح عذاب يعني من العذوبة!، فتراه يقول مثلًا:

لقد صارَ قلبي قابلًا كلَ صُورةٍ فمرعىً لغزلانٍ ودَيرٌ لرُهبَانِ

وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قرآنِ

المهم أن هذا ابن عربى وابن فارض وابن سبعين كل هؤلاء يعتقدون أن الكون والله – تعالى الله عما يقولون – شيئًا واحدًا، فتراهم لا يؤمنون لا بجنة ولا بنار، ويعتقدون أنهم فى ذات الله، وأن ما فى الوجود إلا الله.

المهم ما علاقتهم بحالنا؟ أنهم أسماء الله تعالى جعلوها أسماء هذا الكون، كيف ؟ كل أسماء الله قالو عنها أنها موجودة فى هذا الكون بخيرها وشرها حتى قال زعيمهم:

هو المسمى بكل اسم ممدوح عقلًا وشرعًا وعرفًا وبكل اسم مذموم عقلًا وشرعًا وعرفًا.

يعني يعتقدون أن الله حلَّ فى كل شئ، فكل شئ له اسم فهو اسم الله. وأنا اعلم أن هذا أمر العقول ما تستطيعه، أو هو على كل حال مذهب يصنفونه أنه مذهب لا دينى جوهره نفى الذات الإلهية، يُوحِد بين الله وبين الطبيعة، فالطبيعة كلها تحمل عندهم اسم الله، فهم لا يعتقدون أن له ذاتا لا تُشابهها الذوات، ومن ثم صفات لا تشبهها الصفات، فتراهم يعني يلحدون فى وجود الله لكن بتعبير ملتوي، المهم فيأتون فيقولون اسم كل شئ اسم لله، واسماء الله اسم لكل شئ.

قلت –صاحب فتح المجيد –: والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة. متقدمهم ومتأخرهم: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يليق بجلال الله وعظمته. إثباتًا بلا تمثيل. وتنزيهًا بلا تعطيل. كما قال تعالى: " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "

إذن هذا ما عليه أهل السنة والجماعة، إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يليق بجلال الله وعظمته، سيكون هذا الإثبات بلا تمثيل وينزهون الله لكن بلا تعطيل لصفاته على حد قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وهذا قد تكلمنا عنه في أول الكلام.

وأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ومثاله

بمعنى أنك كما تقول – ابعد عن هؤلاء ابن عربي وابن فارض وغيرهم – تعال إلى كل العقلاء؛ هم يعلمون أن الله له ذات لا تشابه الذوات، والكلام عن الصفات فرع عن الكلام فى الذات، إذن له صفات لا تشابهها الصفات.

فكما أنك تقول كل صفة تناسب الذات فتقول في لفظ مشترك مثل: "اليد" ⇦ يد الهرة ويد الجمل ويد الباب ويد الحقيبة.

⇦ تقول في لفظ مشترك أنه لما تضاف اليد إلى الهرة ستناسبها فستكون من لحم ودم.

⇦ ولما تضاف كلمة اليد إلى الباب ستكون مناسبة له فستكون من الحديد.

⇦ ولما تضاف كلمة اليد إلى الحقيبة ستكون مناسبة إلى الحقيبة.

فالمقصود أنه أنا لما أتكلم عن صفة شئ لابد أن يكون مناسب إلى الذات التى تُنسب إليها هذه الصفة.

إذن كل صفة تضاف إلى ذات ستكون الصفة مناسبة للذات، فالكلام عن الصفات فرع عن الكلام عن في الذات.

فكما أنه يجب العلم بأن لله ذاتًا حقيقة لا تشبه شيئًا من ذوات المخلوقين، فله صفات حقيقة لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقين، فمن جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله، أو تأوله على غير ما ظهر من معناه فهو جهمي قد اتبع غير سبيل المؤمنين. كما قال تعالى:" ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا ".

إذن أهل السنة والجماعة ما هو معتقدهم ؟ إثبات بلا تمثيل، تنزيه بلا تعطيل، لماذا ؟ لأن الكلام عن الصفات فرع عن الكلام عن الذات، فكما نعتقد أن له ذات لا تشبهها الذوات فكذلك له صفات لا تشابهها الصفات.

الآن ذكر أن من جحد شيئًا من وصف الله الذى وصف به نفسه أو وصفه به رسوله أو تأوله على غير ما ظهر من معناه فهو جهمي؛

فما المقصود بالجهمي.

الجهمية: فرقة من الفرق التى ضلت فى باب الأسماء والصفات، والتى تكلم فيها أصحابها عن صفات الله وبالذات عن القرآن واعتقدوا خلق القرآن، وهم قريبين من المعتزلة.

المهم أن هؤلاء الجهمية قد وقع منهم تشبيه شئ من صفات الله وجحود شيء من صفات الله:

- تشبيه شيء من صفات الله بصفات المخلوقين.
- وجحود شئ من صفات الله.

قال: فله صفات حقيقية لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقين.

نحن نثبتها ونحن لا نعتقد أنها تشبه صفات المخلوقين؛ فهم ماذا فعلوا ؟ أول الأمر شبهوا صفات الله بصفات المخلوقين ثم أنكروا الصفات، فقالوا: لا يصلح أن تكون صفات الخالق تشبه صفات المخلوقين، نقول لك: فمن قال لك أصلًا أن تشبهها؟!، له صفات تليق بجلاله، وهذا أخرجهم إلى تأول الأسماء والصفات.

المهم أن هذا جهمي وهذا جهمي في هذا الموطن ليس اسم فقط يطلق على أتباع الجهم بن صفوان لكن **يطلق على كل من إتبع طريقة التأويل فى صفات الله.**

ولابد أن تتصور أن ليس هناك إلا أحد طريقان:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ يعني إما أن تتبع الرسول ومن سلف، لأن أول المؤمنين السلف الصالح الصحابة، إذا أتبعت غير سبيلهم إذن انت في ضلال.

بهذا يكون انتهى الكلام حول معتقدنا بين الإثبات بلا تأويل والتنزيه بلا تعطيل.

سينتقل الشارح للكلام حول أنواع صفات الله عز وجل.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لازلنا في شرح كتاب التوحيد وقرائته من فتح المجيد، والباب الذي نحن فيه قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾.

بلغنا في القراءة قوله:

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى أيضًا: "فائدة جليلة"

ما يجري صفة أو خبرًا على الرب تبارك وتعالى أقسام:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات، كقولك: ذات وموجود.

الثاني: ما يرجع صفاته ونعوته، كالعليم والقدير، والسميع والبصير.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله. كالخالق والرازق.

الرابع: التنزيه المحض. ولا بد من تضمنه ثبوتًا، إذا لا كمال في العدم المحض، كالقدوس والسلام.

الخامس: ولم يذكره أكثر الناس. وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة، بل دال على معان، نحو المجيد العظيم الصمد. فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة، من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا. فإنه موضوع للسعة والزيادة والكثرة، فمنه استمجد المرخ والعفار وأمجد الناقة، علفها. ومنه رب العرش المجيد صفة العرش لسعته وعظمته وشرفه.

وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنًا بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمناه صلى الله عليه وسلم لأنه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء، وكثرته ودوامه. فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه، كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، فهو راجع إلى التوسل إليه بأسمائه وصفاته. وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه. ومنه الحديث الذي في الترمذي: " ألظوا بياذا الجلال والإكرام " ومنه: " اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام " فهذا سؤال له وتوسل إليه بحمده وأنه لا إله إلا هو المنان. فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته. وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعًا عند المسؤول. وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر. وذكل قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد، الغفور القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن.

فإن الغني صفة كمال و الحمد كذلك، واجتماع الغني مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك الغفور القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله فإنه من أشرف المعارف.

في دراستنا لهذا الباب – باب ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ مررنا على قواعد عند أهل السنة والجماعة في علاقتهم مع الأسماء، ابتدأ صاحب فتح المجيد ببيان أن هذه الأسماء لا تدخل تحت حصر، وأن السرد الذي ورد للأسماء عند الترمذي ليس صحيح.

ذكر قاعدتان:

القاعدة الأولى: أن الحصر الموجود في الأسماء ليس صحيحًا، وأن اسماء الله عز وجل ليست منحصرة في تسعة وتسعين اسمًا، يعني لا السرد صحيح ولا حصرها صحيح.

انت تسألين كيف سنفهم حديث: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ"؟ فالجواب أن هذا الحديث معناه أن لله تسعة وتسعون اسمًا من شأنها – أي صفة لها – من شأنها من أحصاها دخل الجنة، أصبحت "من أحصاها دخل الجنة" صفة وليست خبرًا مستقلًا، مثلما تقول عندي مائة ريال أعددتها للصدقة، فليس المقصود أنه ليس لديك إلا مائة ريال، لكن المقصود أن هذه المائة لها صفة معينة أنك أعددتها للصدقة.

القاعدة الثانية: ثم الأدلة الكثيرة التي تدل على أن اسماء الله ليست محصورة بعدد معين:

- منها الحديث الذي ذكره صاحب فتح المجيد رحمه الله قال: "اللهم اللَّهُمَّ إِنِي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ" وانت تعلم أن ما استأثر الله به لا يعلمه أحد.
- ثم انت تقول في الحديث الصحيح: "لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ" فانت تعلم أنك لا تحصي ثناء عليه والثناء بذكر اسماؤه وصفاته.

⇦ المقصود أنك علمت أن السرد الذي انتشر بين الناس على أنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

⇦ وعلمت أن اسمائه سبحانه وتعالى ليست محصورة بعدد معين إنما الحديث يدل على فضل الأسماء.

⇦ وعلمت معنى الإلحاد، فالإلحاد إما يكون بجحدها أو إنكارها وتناقشنا في اللقاء الماضي حول هذا.

الآن أضاف إليك إضافة فيما تعتقده في اسماء الله وصفاته والخبر عنه، بعدما ذكرنا الثلاثة قواعد انتقل لقاعدة جديدة لكن تحتاج أن تتبيَّن رأسها قبل أن تدخل فيها.

فما رأس هذه القاعدة؟ قال:

ما يجري صفة أو خبرًا على الرب

الأخبار بابها أوسع من الأسماء ومن الصفات، الأسماء أضيق باب، ثم أوسع منه باب الصفات، ثم أوسع منه باب الأخبار.
لما تخبر عن الله تخبر بما هو كمال في حقه بلفظٍ لم يرد، هذا اسمه خبر، مثلًا لما تأتي تقول "ذات" هذه الكلمة بنفسها لم تأتي اسمًا ولا صفة لله، لكن لا تتكلم عنها على أنها اسم أو صفة إنما تتكلم عنها على أن هذا خبر عن الله، فما ضابطه؟ **ضابطه أن لا يكون باطل أو يوجب نقصًا.**
مثلًا تقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ معناها أنه سبحانه وتعالى لا يماثله أحد، فالخبر ليس له مثيل، هذا معنى مستفاد من الآية لكن ليس نفس المعنى، لو أتيت تخبر عن الله تقول: الذي لا مثيل له، هذا اسمه خبر، يعني لا تعتقد أنه اسم ولا أنه صفة.
تأتي تتكلم مثلًا عن وجوده سبحانه وتعالى؛ فتقول: أنه موجود، هذا ليس اسمًا ولا صفة لكنه خبر عن أمر حقيقي.
فتبيَّن لك أن الأخبار هو ذكر لشيء من معاني صحيحة، بألفاظه بنفسها لم ترد لا في القرآن ولا في السنة، وهذا لن يكون منك في هذا اعتقاد أن هذا اسم أو أن هذه صفة، لكن معنى صحيح ولفظ صحيح، يعني ليس فيهم ما ينكر وصفًا لله.
لكن هذا النوع – الأخبار – في الغالب أننا لا نستعمله إلا إذا كنا نتكلم في مجال المناظرة والكلام مع المخالف، بمعنى أنك تأتي تقول وانت تناظر أحد ينكر وجود الله، ينكر وجوده أي ملحد، فما اللغة التي ستستعملها معه؟ ستقول أترى الشمس، أترى القمر، وكذا من الآيات، أليست تدل على أن الله موجود؟ ستقول انت أن الله موجود، متى صح منك هذا القول؟ صح منك هذا القول وانت تناقش وتحاور مخالف.
انت الآن تعلم أن من اسماء الله الأول والآخر، الأول الذي ليس قبله شيء، أتى بعضهم يتكلم مثل القدرية أتوا يتكلمون على أن علم الله عز وجل مستأنف!، يعني أنه لا يعلم ثم يعلم!، فانت الآن وانت تجادل هذا ستقول ألم تعلم أن الله عز وجل علمه قديم وليس حادث، فقديم هذه كلمة ليست من صفات الله لكنه معنى صحيح هنا، وانت تستعمله مع المخالف.
وعلى كل حال سيتبيَّن لك أكثر هذا المعنى عندما نأتي عند باب من جحد شيء من صفات الله، إذن تبيَّن لك القسم الأول:
ما يجري صفة أو خبرًا على الرب تبارك وتعالى أقسام:
أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات، كقولك: ذات وموجود.
وأيضًا من الكلمات المشهورة قديم، موجود وقديم في الغالب أنها تستعمل مع هؤلاء المخالفين.
نأتي إلى النوع الثاني:
الثاني: ما يرجع صفاته ونعوته، كالعليم والقدير، والسميع والبصير.
هو أولًا قال: "ما يجري صفة أو خبرًا على الرب تبارك وتعالى أقسام" الذي يكون صفة أو خبر إما يرجع إلى نفس الذات، كلمة ذات نفسها وموجود وقديم، أو ما يرجع للصفات المعنوية كالعليم والقدير والسميع والبصير.
ما معنى صفات معنوية؟ الصفات المعنوية المقصود بها ضدّ الصفات الفعلية، فالعلم والقدرة من الصفات المعنوية، ولكي يتبيَّن لك ذلك؛ لما أقول لك عن نفسك هل كل من له عينين يبصر؟ لأ، ليس شرطًا، إذن هناك عين وهناك إبصار، والإبصار سيكون صفة معنوية، هل كل من له أذن يسمع؟ الجواب لأ، فالسمع نفسه صفة معنوية.
إذن ما هي الصفات المعنوية؟ في المثال العليم العلم، القدرة، السمع والبصر، كلها صفات معنوية، يقابلها الصفات الفعلية – الصفة الثالثة –

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله. كالخالق والرازق.

وهي ما يخرج منها أفعالًا مشهودة في الخارج، فيرزق سبحانه وتعالى ويخلق، وهذه ما سماها الشيخ "متعدية" ونحن ندرس في كتاب القواعد المثلى، لكن هنا والقواعد المثلى هناك فوارق في التقسيم فلا يختلط عليك، هذا نوع أخر من التقسيم.

المقصود أن هناك صفات ترجع إلى نفس الذات وانت تخبر عن الله.

وهناك صفات معنوية.

وهناك صفات ترجع إلى الأفعال.

وهناك ما يسمى بالتنزيه المحضّ:

الرابع: التنزيه المحض. ولا بد من تضمنه ثبوتًا، إذا لا كمال في العدم المحض، كالقدوس والسلام.

ما هي الصفة في اسم القدوس والسلام؟

في السلام الصفة أنه سالم سبحانه وتعالى من كل نقص وعيب، فأصبح الاسم يتضمن صفة التنزيه، أنه منزه سبحانه وتعالى عن النقص والعيب، سالم منه.

- إذن هذان الاسمان السلام والقدوس يتضمنا صفة التنزية.
- الخالق والرزاق يتضمن فعل
- والعليم والقدير والسميع والبصير يتضمن صفة معنوية.

النوع الخامس:

الخامس: ولم يذكره أكثر الناس. – يقصد أكثر العلماء – وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة، بل دال على معان،

يعني اسم واحد لكن يدل على جملة أوصاف،

نحو المجيد العظيم الصمد.

وضرب مثال على المجيد.

فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة، من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا.

هو اسم واحد المجيد لكن سموه أهل العلم الاسماء الجامعة، ما معنى الأسماء الجامعة؟ يعني لفظة لكن تجمع في معناها عدة صفات متعددة، أي الصفات المذكورة في هذا الاسم متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذه الصفات.

لو أتينا مثلًا إلى اسم الصمد؛ ما معناه؟ الصمد أتى من السؤدد والكمال، فالكمال والسؤدد يأتي من كمال الصفات، الذي كمّل في كل صفة في علمه، في رزقه، في حلمه، في عطائه، في عفوه، الذي كمل في كل صفة.

فإذن اسم الله الصمد لا يخصّ معنى واحد إنما الصمد معناه السيد الذي قد كمل سؤدده، معناها أن صفاته كاملة، صفاته كاملة في إحسانه، وعطائه، وعفوه، ومغفرته، في علمه، في حكمته، فتأتي إلى السيد تقول السيد الذي قد كمل في سؤدده، كمل في صفاته.

معناها أن اسم الصمد اسم جامع، جمع كل الصفات لله، ثم من الصمد ستعطي كل صفة الكمال، اسم الصمد يدخل تحته كل الاسماء عليم حكيم رزاق، كل صفات الله ثم تعال إلى كل صفات الله وصفها بالكمال.

الأول: إذن عرفنا أن هناك ما يرجع إلى نفس الذات.

الثاني: وهناك ما يرجع إلى صفات معنوية كالعليم والقدير والسميع، يعني اسم لكن الصفة فيه معنوية.

الثالث: وهناك ما يرجع إلى صفات فعلية، اسم وصفة فيه فعلية.

الرابع: التنزية المحض، اسم والصفة فيها تنزيه الله.

الخامس: نسميه الاسماء الجامعة، ما معنى الأسماء الجامعة؟ اسم ويجمع كثير من اسماء الله.

إذن فهمنا اسم الصمد نذكر المثل الذي ذكره في اسم المجيد.

فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة، من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا. فإنه موضوع للسعة والزيادة والكثرة، فالمقصود أن العرب تطلق كلمة "مجد" ومشتقاتها حول كل شيء واسع عظيم مرفوع القدر، أو كثيره، وهذا الذي يقصد بكلمة " المجد"، المجد تدل على الكثرة السعة، وضرب لك مثل في اللغة:

فمنه استمجد المرخ والعفار وأمجد الناقة، علفها. ومنه رب العرش المجيد صفة العرش لسعته وعظمته وشرفه.

وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنًا بطلب الصلاة من الله على رسوله

انت تتعرضين لاسم المجيد كثيرًا في الصلاة، إذا رفع الإنسان رأسه من الركوع يقول: "رَبَّنَا وَلَك الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمِلْءَ مَا شِئْت مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ " هنا الشاهد "أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ "، هذا إذا رفع من الركوع.

وإذا قعد للتشهد تثني على الله عز وجل وتمجده وبعد الصلاة على النبي تختم إنك حميد مجيد.

فأول الصلاة حمد وتمجيد، أقصد في الفاتحة؛ أليس في الحديث: يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي ، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي" فما الفرق بين الثلاثة؟ مجدني ما مكانها؟ يقول أهل العلم أن الثناء مرة واحدة يسمى حمدًا، ثم لما يكثر عن مرة واحدة يعني يصبح مرتان يسمى ثناءًا، فإذا كثر عن المرتان أصبح تمجيدًا.

انت في الثلاثة مرات تثني على الله، الثناء ذكر محاسن المحمود مرتان، التمجيد ذكر محاسنه أكثر من مرتان.

إذن بدأت الصلاة بالتمجيد، رفعت رأسك من الركوع مجدته: "أهل الثناء والمجد"، ختمت الصلاة بالتمجيد، إذن ابتدأت بالتمجيد وفي وسط الصلاة بالتمجيد، وانتهت الصلاة بالتمجيد.

إذن تفهم من ذلك أنك لما تكون في مقام طلب الزيادة والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه اطلبه بأسمه المجيد.

- تبيَّن لكم أن الصلاة أولها تمجيد في الفاتحة.
- ووسطها بعدما ترفع من الركوع تمجيد.
- ثم تختمها بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وتنتهي: "إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ".

فما الذي جعلك تختم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالتمجيد؟ لأنك في مقام طلب الزيادة للنبي صلى الله عليه وسلم، تريد من الله أن يصلي عليه ويثني عليه في الملأ الأعلى، ثم أن صلاتك عليه سبب لثناء الله عليك، فانت في مقام طلب الزيادة فتسأله باسمه المجيد.

قال: فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه، كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، فهو راجع إلى التوسل إليه بأسمائه وصفاته. وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه.

من أحب الوسائل إلى الله أن تسأله باسمائه وصفاته مرادك.

أتى بهذا الحديث انظروا له وانظروا ما وجه الشاهد؟

قال: ومنه الحديث الذي في الترمذي: " ألظوا بياذا الجلال والإكرام "

يريد أن يقول أن أقرب الطرق إلى الله هو الذي تطلب فيه مطلوبك باسم يقتضيه، فتقول: "يا غفور اغفر لي"، "يا تواب تب علي".

وذكر هذا الحديث: ما معنى" ألظوا بياذا الجلال والإكرام "؟ هذا يأتي من جهة الإكثار، ويأتي من جهة الاستمجاد، فما العلاقة؟ كأنه يقال لك استعمل هذا الطريق في الدخول على ربك والثناء عليه مثله أتى:

ومنه: " اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام "

تسأله وانت تعتقد أن له الحمد، لا إله إلا انت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يعني دخولك عليه وسؤالك إياه يجعله من هذا الباب وأكثر منه، فلا تدخل إلى الله إلا من بابه وباب الله عز وجل هو الطلب باسمائه وصفاته.

فهذا سؤال له وتوسل إليه بحمده وأنه لا إله إلا هو المنان. فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته. وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعًا عند المسؤول. وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد.

بلغنا الشاهد من الباب الآن.

الآن نشرح في كتاب التوحيد؛ فما علاقة باب ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ بالتوحيد؟ ستقول: أن من أعظم أبواب التوحيد كمال اعتقادك في كمال صفات الله، كلما كمل اعتقادك في كمال صفات الله كلما زاد توحيدك.

فماذا يعبر عن هذا الاعتقاد في قلبك؟ ماذا يعبر عن اعتقادك كمال صفات الله؟ إذن من أعظم أبواب الاعتقاد اعتقادك بكمال صفات الله بل هو الأساس الذي يبنى عليه بقية الاعتقادات لكن هذا الاعتقاد في كمال صفات الله يعني كلما كمل اعتقادك في كمال صفات الله كلما زدت توحيدك.

لكن السؤال هذا الاعتقاد – اعتقاد كمال صفات الله – كيف يظهر؟ كيف تختبر نفسك أن اعتقادك في الله كامل؟ هناك اختبارات كثيرة تتعرض لها لكن من أعظمها وأكثرها ظهورًا ما مقدار رضاك عن الله، هذا من أعظم الاختبارات في اعتقادك في كمال صفات الله.

الأمر الثاني الذي به ترى كمال ربك دعائك وسؤالك ورجائك كيف يكون، وبماذا، وكلما زاد معرفتك بالأسماء والصفات كلما زاد اختيارك الصحيح للاسم والصفة التي بها تدعو وانت تعتقدها، شرط أن تعتقدها.

من اجل ذلك ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ ثم أعلم أن الدعاء بأسماء الله نوعان:

- دعاء مسألة.
- دعاء عبادة.
- أما دعاء المسألة: أن تقول: "يا تواب تب علي".
- أما دعاء العبادة أن تقع منك التوبة.

- دعاء المسألة: تعلم أن الله عز وجل رحيم فتطلب رحمته يا رحيم ارحمني.
- أما دعاء العبادة: فتتعرض لمواطن الرحمة، تقوم بأعمال تسبب لك رحمة الله.

إذن هذا شاهد هذا الباب في كتاب التوحيد، الشاهد فيه جزئان:

- الجزء الأول أن تعتقد أن الله عز وجل كامل الصفات وله من الاسماء أحسنها الحسنى.
- والشق الثاني أن تدعو بها دعاء مسألة ودعاء عبادة

فإذا كنت موحدًا سيكون اعتقادك في قلبك أن الله كامل الصفات، وإذا كنت موحدًا سيكون عملك وتصرفاتك وتعرضك لباب الله من معرفتك لاسمائه.

ولذلك لما يأتي أهل العلم مثل كلام جميل للشيخ الفوزان رحمه الله علق فيه على حديث البغي التي سقت كلبًا، فقال:

إذا كان الله عز وجل الشكور يشكر لبغيٍ لشدة عطشه سقت كلبًا فكيف بمن يسقي الناس التوحيد وهم شديدي العطش لهذه الحاجة.

فكأن معنى كلامه أننا نعلم عن الله أنه يعامل عباده هذه المعاملة فعلى هذا قس عظمة الله لمن فعل فعلًا أكبر من ذلك.

المقصود أن معرفتك تجعلك تتعبد الله على بصيرة، فيأتي دعاء المسألة ودعاء العبادة.

ثم نصل إلى نهاية ما ذكره في هذا الباب قال:

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر.

التي نسميها الاسماء المقترنة،

وذلك قدر زائد على مفرديهما

يعني كل اسم لوحده فيه حسن ويزداد الحسن لما يقترنان

نحو الغني الحميد، الغفور القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن.فإن الغني صفة كمال والحمد كذلك، واجتماع الغني مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما،

هذا النوع يحتاج التطبيق أكثر من الكلام النظري، سيكون مطلوب منكم أن تجمعوا مواطن ورود اسم الغني الحميد، وستجد أن تكرار هذان الاسمان معًا في السياقات له دلالة عجيبة.

سنطبق الآن على اسم الغني الحميد على معنى الاقتران وكيف أن الحسن يزيد لما يرد الاسم مقترنًا بغيره، ستجد اسم الغني الحميد أتى في عشرة مواطن، هات العشرة مواطن وسياقات الآيات من أولها، ثم انظري لماذا ختمت باسم الغني الحميد، وأحسن ما يعينك على ذلك بعد الاستعانة والصدق في إرادة رضى الله أن تقرأ تفسير الشيخ السعدي، لأنه في أكثر هذه المواطن ذكر، صحيح ليس في كلها لكن في أكثر هذه المواطن.

مثل هذا سيكون إن شاء توطئة وتمهيد لدراستنا للواسطية.

يكون بهذا انتهى الباب الحمدلله، المرة القادمة سنبدأ في باب "لا يقال السلام على الله"

الأبواب القادمة ستكون المناقشة فيها مختصرة معتمدة على ماذا تعتقدون في اسماء الله.

جزاكم الله خيرًا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لازلنا بفضل الله ومنته نقرأ في كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد؛ بعدما انتهينا من الباب السابق باب قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وصلنا إلى باب "لا يقال السلام على الله".

وهذا الباب له علاقة وثيقة واضحة بالباب السابق؛ العلاقة تدور حول مسألة الأسماء، ومن اعتقادك في أسماء الله عز وجل وفي كمالها وفي كماله سبحانه وتعالى لابد أن يكون حالك أن تعتقد أنه السلام سبحانه وتعالى.

ما معنى السلام؟ وما معنى أن يسمى الباب "باب لا يقال السلام على الله"؟ سيكون هذا موضوع نقاشنا.

باب لا يقال: السلام على الله

في الصحيح عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: السلام عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ ، السلام عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَقُولُوا: السلام عَلَى اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السلام".

قال الشارح: هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كنا إذا جلسنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله قبل عباده، السلام على فلان وفلان ـ الحديث "وفي آخره ذكر التشهد الآخير.

هذا الحديث الذي ورد في البخاري بُني على أن الصحابة كانوا يتخيرون من الدعاء ما يشائون قبل أن ينتهون من الصلاة، وهذا بناء على تعليم النبي صلى الله عليه وسلم لهم، فكانوا من ضمن دعاؤهم " السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ" أي طلب السلامة له، فكان من ضمن دعاؤهم الذي أرادوا به الإحسان أن يبتدأوا بالسلام على الله قبل أن يسلموا على فلان وفلان.

يعني لماذا لم يعلمهم الرسول صلى الله عليه وسلم؟ هم أمروا بأن يتخيروا من الدعاء ما شائوا فما كان منهم إلا أن سلموا على الله؛ حتى هم يقولون " السلام عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ ، السلام عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ" فمقصدهم طلب السلامة لفلان وفلان، وابتدئوا بالسلام على الله.

هذه الجملة منهم أرادوا فيها تعظيم الله، لكن ماذا كان رد النبي صلى الله عليه وسلم؟ كما في الحديث: " لَا تَقُولُوا: السلام عَلَى اللَّهِ " يعني النهي عن ذلك، لماذا؟ "فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السلام"

من أجل فهم العلّة نحتاج أن نفهم أصلًا ما معنى السلام اسمًا لله عز وجل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم علل منعهم عن هذا القول بقوله: "فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السلام" فما معنى هذا الاسم لله عز وجل وإذا فهمت ذلك ستفهمين العلة.

هذا الاسم ثابت لله عز وجل في القرآن وهنا في السنة هذا دليله، دليل في القرآن ودليل في السنة أن السلام اسم من أسماء الله، وهو في الآية التي جمعت كثير من اسماء الله في أواخر سورة الحشر ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ﴾.

فما معنى السلام؟ أي السالم من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله، فهو سبحانه وتعالى سلام في ذاته عن كل عيب ونقصٍ يتخيله عبد - يعني يقع في خيال عبد – وسلام ي صفاته من كل عيب ونقص، وسلام في أفعاله من كل شرٍ وظلمٍ وفعل واقع على غير وجه الحكمة.

إذن ثلاثة مفاهيم:

- ما معنى السلام في الذات؟ سالم في ذاته عن كل عيب ونقص.
- وسالم في صفاته سبحانه وتعالى أيضًا عن كل عيبٍ ونقص.
- وسالم في أفعاله من كل شرٍ وظلمٍ أو فعل وقع على غير وجه الحكمة.
- وهو سبحانه السلام من الصاحبة والولد.
- والسلام من النظير والكفء والسميّ والمماثل.
- والسلام من الند والشريك.

ثم أنك لما تفهم أن من أقسام اسماء الله عز وجل ما يسمي باسماء التنزيه ستعرف أن السلام والقدوس من هذا النوع – من اسماء التنزيه – لماذا؟ لأنك لما تسمع السلام تفهم أنه منزه عن كل عيب، انت فهمت أن السلام من اسماء التنزيه وأيضًا سترى أنه من الأسماء الجامعة، مر معنا من الأسماء الجامعة مثل المجيد، ومثل العظيم، الصمد، هذه كلها من الأسماء الجامعة، أي اسم يجمع عدة صفات.

والسلام من اسماء التنزيه، لما تسمعي السلام تفهمي أن المقصود تنزيه الله عن النقص، لكن لماذا يمكن اعتباره من الاسماء الجامعة؟ لأن هذا الاسم سيتناول جميع صفات الله، ما معنى ذلك؟ كل صفة من صفات الله جل وعلا سلام من كل عيبٍ ونقص.

أريد منكم أن تركزوا معي سنقرأ كلام لابن القيم يظهر منه هذا المعنى جيدًا؛ أن الله عز وجل سلام من كل عيب ونقص في صفاته، إذن هو اسم سيتناول جميع صفات الله، نقرأ ونقرر على ذلك، ثم في نهاية هذا النقاش سنخرج بنتيجة الكلام حول "لماذا لا يقال السلام على الله".

نقرأ كلام ابن القيم:

"ولذلك إذا نظرت إلي أفراد صفات كماله وجدت كل صفة سلاما مما يضاد كمالها،

يعني إلى أفراد صفاته، بمعنى أنك علمت أنه حكيم عليم جبار، انت تفهمي إجمالًا أنه كامل، انظري إلى أفراد صفات الكمال

وجدت كل صفة سلاما مما يضاد كمالها،

ستجد أن اسم السلام داخل عليها، كل اسم متضمن لصفة، اسم السلام كيف يتناول كل الاسماء؟ أن صفة في هذا الاسم سالمة مما يضاد كمالها.

نبدأ باسم الحيّ؛ الحيّ ما الصفة فيه؟ الحياة، الحياة سيتناولها اسم السلام، كيف سيتناولها؟ سيكون سالم من ماذا؟

فحياته سلام من الموت ومن السنة والنوم،

إذن من أجل ذلك قيل لك فتوكل على الحيّ الذي لا يموت، وقيل لك الحيّ القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ففهمت أن اسم الله الحيّ الذي يتضمن صفة الحياة حياته سالمة من الموت ومن السنة ومن النوم.

مرة أخرى نقرأ الجملة من كلام ابن القيم:

"ولذلك إذا نظرت إلي أفراد صفات كماله وجدت كل صفة سلاما مما يضاد كمالها، وجدت كل صفة سلاما مما يضاد كمالها، فحياته سلام من الموت ومن السنة والنوم،

فهمنا هذا، يعني نقرر أن اسم السلام سيتناول جميع الصفات، أول مثال ضربه ابن القيم على الحيّ، الحيّ الصفة فيه الحياة، ثم كيف يتناوله اسم السلام؟ أنه سبحانه وتعالى حياته سالمة من الموت ومن السنة ومن النوم، كل هذه قواطع للحياة.

وكذلك قيوميته وقدرته سلام من التعب واللغوب،

صفة القيومية اسم القيوم، اسم القادر القدير المقتدر، إذن صفة القدرة سالمة من التعب ومن اللغوب، ما العلاقة بين القيومية والقدرة؟ ما معنى القيومية؟ أنه قائم على كل نفس بما كسبت، وقد قرر لك هذا المعنى سابقًا وقيل لك أن اسم الله القيوم معناه أنه هو الذي يأذن لكل متحرك أن يتحرك وهو الذي يسكن الساكن، وهو الذي يأذن للنار أن تحرق، وللسحاب أن يمطر، وللريح أن تتحرك، وللقلب أن ينبض، ولقطرة الدم أن تندفق، فتصور أن كل شيءٍ حولك لا يتحرك إلا بإذنه!.

وهذا أمر عقلك لا يستطيع إدراكه، على حالك لما يقال أنفاسك التي تتحرك بها رئتك إنما تتحرك نفسا نفسا بإذنه، فلا حول ولا قوة لشيء على شيءٍ إلا بإذنه.

فهذا معنى القيوم فما علاقته بالقدرة؟ أكيد أنها علاقة وثيقة! لأنه سبحانه وتعالى له القدرة التامة على تدبير كل شيء وإعطاء كل شيء حول وقوة في نفس الوقت، فكم من البشر يأذن لأنفساهم أن تتنفس، وكم من البشر يأذن لقلوبهم أن تنبض، ولأمعائهم أن تهضم، ثم كيف يكون هذا لحظي –كل لحظة – بعدد اللحظات، بعدد النبضات، بعدد الأنفاس، لا تخرج إلا بإذنه!، أليس هذا يستلزم قدرة تامة على تدبير كل هؤلاء؟! وعلى تصريف شؤونهم وعلى إعطاؤهم الحول والقوة للقيام بهذه الأعمال؟!.

فسبحان من سلمت قيوميته وقدرته من التعب وأيضًا من اللغوب، فلماذا هذا كله؟ ولماذا هؤلاء الخلق كلهم هذا يموت وهذا يحيى وهذا يخرج وهذا يأتي وهذا يدبر له شأن وهذا يمنع بصورة وهذا يعطى بصورة، لماذا هذا كله؟! إنما هذا لحكمة بالغة، انت على يقين بها حتى لو غابت عنك، المقصود أن قيوميته وقدرته سلام من التعب واللغوب.

أيضًا قال:

وعلمه سلام من عزوب شيء عنه أو عروض نسيان أو حاجة إلي تذكر وتفكر،

أتى الآن إلى صفة العلم؛ اسم العليم، سيتناول اسم السلام اسم العليم من جهة أن علمه سبحانه وتعالى سلام من عزوب شيءٍ عنه، بمعنى أنه لا يعزب – ما معنى لا يعزب؟ لا يغيب عنه شيء – فهو سالم أن يغيب عنه شيء.

انت الآن لما تفكر في إتخاذ قرار تحتاج معلومات، لما يغيب عنك بعض المعلومات يأتي قرارك فيه نوع فساد، لما تتكلم عن الله سيتفهم جيدًا أن علمه وتقديره وتدبير شؤون العباد لا يمكن أن يكون وهو يغيب عنه شيء من أحوالهم أو أحوال الكون أو ما يصلحهم.

وأيضًا علمه سالم من النسيان، وعلمه سالم من التذكر والتفكر يعني لا يحتاج سبحانه وتعالى إلى تقليب أمر، انت لما تتعلم تحتاج تفكر في المعلومة من هنا ومن هنا من أجل أن تجمعها، ثم تحتاج تفكر فيها من أجل أن تخرج بنتيجة، هذا التذكر والتفكر إنما هو

للخلق الناقصين أما كامل العلم سبحانه فلا يحتاج إلى ذلك أبدا، فعلمه سالم من أن يغيب عنه شيء أو أن ينسى شيء، أو أن يحتاج إلى تذكر أو تفكر.

وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة،

هنا صفة الإرادة؛ هذه ليست اسم، يقصد أن السلام سيتناول جميع الصفات، إرادته سلام من خروجها على الحكمة والمصلحة، وهذا من أعظم المعاني التي إذا دخلت إلى القلب أصلحته وعاش الإنسان بالرضا، فلما يدبر المدبر سبحانه وتعالى أمر لابد أن تعتقد أن أمره سالم من خروجها عن الحكمة والمصلحة بمعنى أن أمره متلبس تمام التلبس بالحكمة والمصلحة، لكن لا تنظر له على المدى القصير بل انظر له على المدى الطويل، العجلة هي التي تجعل العبد لا يرضى عن ربه لما يقدر له أمر ليس على هواه.

وكلماته سلام من الكذب والظلم بل تمت كلماته صدقا وعدلا،

أيضًا هذه صفة الكلام، سالمة من الكذب والظلم، فكل ما تسمع من كلامه سبحانه وتعالى في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم كلها صدق وعدل، يعني سالمة من الكذب والظلم.

وغناه سلام من الحاجة إلي غيره بوجه ما،

هنا ستأتي صفة الغنى واسمها الغني، الغني الموصوف بالغنى، فغناه سالم من الحاجة لأي أحد وبأي صورة، فهذا أمر لا يحتاج إلى بيان، وانت تعلم عن نفسك وتعلم عن أحوال الخلق كلهم أنهم إلى ربهم لا يعطون شيئا، فمتى أحتاج إليك ربك؟! ومتى أعطيت ربك شيئا؟! تعالى الله عن ذلك، بل له تمام الغنى سالم غناه أن يحتاج إلى أحد.

بل كل ما سواه محتاج إليه وهو غني من كل ما سواه.

وملكه سلام من منازع فيه أو مشارك أو معاونٍ مظاهر أو شافع عنده بدون إذنه.

إذن الملك المليك؛ الصفة الملك، وملكه سلام من أن يكون هناك منازع، من أن يكون هناك مشارك، من أن يكون هناك معاون، من أن يكون هناك شافع بغير إذنه.

ولذلك في أواخر الإسراء يقول الله عز وجل: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ يعني لا منازع ولا مشارك ولا معاون ولا شفيع من غير إذنه سبلحانه وتعالى، وهذا أيضًا في آية سورة سبأ التي مرت علينا سابقًا.

حتى مسألة الشفاعة من تمام ملكه أنه لا يشفع أحد لأحد إلا بإذنه، في مقابل أن في الخلق لما تشفع لأحد سواء تحققت شفاعتك أو لم تتحقق، لما تدخل على المشروع الذي عنده وتقول له أنا أريد أن أشفع ممكن أن يقبل وممكن أن يرد، فهذا شيء من الضغط كونك تقترح على صاحب الملك أن تشفع لأحد هذا نوع من الضغط، لكن مثل هذا ملك الله سالم منه، فلا يستطيع أحد حتى أن يشفع إلا إذا أذن الله عز وجل بذلك، وهذا دليل عى تمام الملك.

ولذلك في آية الكرسي يقول سبحانه وتعالى ليدلك على تمام ملكه: ﴿ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ يدل على تمام ملكه أن لا شفاعة إلا بإذنه.

وإلهيته سلام من مشارك له فيها، بل هو الله الذي لا إله إلَّا هو.

يقصد هنا اسم الله والإله، فهو سالم سبحانه وتعالى من أن يكون أحد معه يستحق التأليه، فهو وحده المستحق للتأليه.

وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وتجاوزه سَّلامٌ من أن تكون عن حاجة منه أو ذلَّ أو مصانعةٍ كما يكون من غيره، بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه.

ما معنى ذلك؟ هنا يتكلم عن اسم الحليم والعفو والغفور، يحلم على عباده، ويعفو عنهم ويصفح ويغفر ويتجاوز، لماذا هذا كله؟ من محضّ جوده وإحسانه وكرمه، فهذه الصفات سالمة من أن تكون عن حاجة منه أو ذلّ أو مصانعة، لكن غير الله ماذا يكون حاله لما يصفح أو يعفو؟ يكون له حاجة!.

لذلك انظري إلى آية سورة المائدة لما عيسى عليه السلام يخاطب ربه يقول لهم: يقول الله عز وجل: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، انت متصوره "إن تغفر لهم فإنك انت الغفور الرحيم" لكن يقول له: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ لماذا العزيز الحكيم؟ يعني إن غفرت لهم فمغفرتك صادرة عن عزة وليس عن ذل أو مصانعة، وانت حكيم تغفر لمن وتعذب من.

إذن اسم السلام تناول اسماء المغفرة والعفو والحلم من جهة أن هذه الاسماء سالمة من الحاجة، يعني لم يغفر لك ولم يعاملك بالحلم ولا قربك وعفى عنك وستر عليك لأنه يحتاجك بل هذا من محضّ جوده وإحسانه وكرمه.

ومن الجهة الأخرى:

وكذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه وسرعة عقابه سَّلامٌ من أن يكون ظلمًا أو تشفيًّا أو غلظة أو قسوة، بل هو محض رحمته وعدله ووضعه الأشياء مواضعها، وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء كما يستحقه على إحسانه وثوابه ونعمه، بل لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقضًا لحكمته ولعزته، فوضعه العقوبة في موضعها هو من حمده وحكمته وعزته، فهو سَّلامٌ مما يتوهم أعداؤه والجاهلون من خلاف حكمته.

هنا معنى عجيب يحتاج إلى تأمل، وهو الذي يمر معنا في أوائل سورة سبأ، لو قرأنا في تفسير الشيخ السعدي أول سورة سبأ سيتبيَّن لنا هذا المعنى، سأذكر كلام ابن القيم وأمر من جديد على تفسير الشيخ لهذه الآية.

ماذا قال ابن القيم؟ يكلمك عن اسم السلام كيف يتناول صفات الجلال وبالأخصّ الصفات التي فيها انتقام وعذاب من أعدائه وشدة بطش وسرعة عقوبة.

كيف يتناولها اسم السلام؟ عقوبته وانتقامه وشدة بطشه سالمة من أن يكون ظلمًا أو تشفيا أو غلظة أو قسوة، بمعنى أن عذابه وانتقامه محض حكمة، بل يظهر في عذابه العدل ووضعه الأشياء مواضعها.

ولذلك هذا الأمر – تعذيب الكفار والمستحقين للعذاب – يحمد عليه سبحانه وتعالى، لماذا؟ انظري ماذا قال لك ابن القيم:

وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء كما يستحقه على إحسانه وثوابه ونعمه،

يعني هو سبحانه وتعالى يستحق الحمد على إحسانه وثوابه ونعمه هذا متفق عليه، بقي أن تفهم أنه أيضًا يستحق أن يحمد على العقوبة.

كيف يحمد على العقوبة؟ قال لك لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقدٍ لحكمته ولعزته، لو أثاب المشركين!، لو أثاب الذين يقتلون المؤمنين ويشركون بالله، لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقدٍ لحكمته ولعزته، إذن وضعه العقوبة موضعها هو من حمده وحكمته وعزته.

ولذلك أتى في أوائل سبأ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

{ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ } لأن في الآخرة، يظهر من حمده، والثناء عليه، ما لا يكون في الدنيا،

فإذا قضى اللّه تعالى بين الخلائق كلهم،-المقصود في الآخرة - ورأى الناس والخلق كلهم، ما حكم به، وكمال عدله وقسطه، وحكمته فيه،

رأى الخلق كلهم حكم الله الذي سيتبيَّن فيه كمال عدله وقسطه وحكمته

حمدوه كلهم على ذلك،

حمدوه على ما ظهر من كمال عدله وقسطه وحكمته وحكمه.

حتى أهل العقاب ما دخلوا النار، إلا وقلوبهم ممتلئة من حمده، وأن هذا من جراء أعمالهم، وأنه عادل في حكمه بعقابهم.

ثم سينتقل يتكلم عن حمد أهل الجنة، نحن مقصودنا حمد أهل العقوبة، أهل النار، يحمد سبحانه وتعالى حتى من أهل النار، لأنه لما حكم بين الناس ظهر اسمه السلام، تناول اسمه السلام العدل والقسط والحكمة والعزة، فظهر أن عدله وقسطه وحكمته سالمة من الظلم، وعزته سالمة من الخنوع، فحُمد بظهور هذه الصفات من أهل العقوبة وأهل الثواب، من كلا الطرفين.

وعلى كل حال هناك كلام جميل للحسن البصري إن شاء الله يتيسر معنا نذكره، جملة يذكرها ابن القيم نقلًا عن الحسن تلخص هذا المفهوم.

وقضاؤه وقدره سَلامٌ من العَبث والجَوْر والظلم ومِنْ تَوَهُّمِ وُقوعِه على خلاف الحكمة البالغة،

سيتناول القضاء والقدر اسم السلام، لكن القضاء والقدر ما هي الصفة؟ لازلت الصفة القدرة، مما يدل على ذلك كلام الإمام أحمد لما سئل عن قضاء الله قال قدرته، فالقضاء والقدر من آثار القدرة، يعني من تمام قدرته وعلمه وحكمته هذا القضاء والقدر.

ما قدره بقدرته سالم من العبث والجور ومن الظلم، سالم من هذا كله، ليس فيه عبث، ليس فيه جور، ليس فيه ظلم، ومن توهم وقوعه على خلاف الحكمة البالغة يعني قضاؤه وقدره سلام من أن يقع على خلاف الحكمة البالغة.

كل القضاء والقدر يسير على ميزانٍ دقيق وهو ميزان الحكمة، ولذلك قال ابن عباس: القدر نظام التوحيد، ما معنى القدر نظام التوحيد؟ يعني فيه ينتظم توحيدك لله.

انتهينا الآن من القضاء والقدر وكيف تناوله اسم السلام.

نأتي الآن إلى شرعه ودينه:

وشرعه ودينهُ سَّلامٌ من التناقض والأختلاف والإضطراب وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم والإحسان إليهم وخلاف حكمته،

يعني سالم ليس فيه لا تناقض ولا اختلاف ولا إضطراب، وسالم من خلاف مصلحة العباد ورحمتهم والإحسان إليهم، وسالم من خلاف الحكمة، سالم من هذا كله.

⇦ سالم من خلاف الحكمة يعني كله حكمة.

⇦ سالم من خلاف مصلحة العباد ورحمتهم والإحسان إليهم يعني كله مصلحة للعباد ورحمة وإحسان إليهم.

بل شرعه كله حكمة ورحمة ومصلحة وعدل.

يعني سالم من خلاف هذا كله شرع وحكمة ورحمة، كله حكمة ورحمة وعدل، إذن سالم من خلاف الحكمة وسالم من خلاف المصلحة، وسالم من خلاف الرحمة، وسالم من خلاف العدل.

وكذلك عطاؤه سَّلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلى المعطَى،

عطاؤه في كل الاسماء التي تدل على العطاء [الرزاق- الجواد – الكريم – الوهاب – المنان] كل الاسماء التي تدل على العطاء سالمة من كون العطاء مبني على معاوضة، ولا تتصور أن العبادة معاوضة! إنما العبادة فتح للإستزادة، فكأنه يقال لك هذا الكنز فأغرف منه، فإذا أخذت استزدت.

إذن سالم من كونه معاوضه، وأيضًا سالم أن يكون لحاجة إلى المعطى، يعني هذه الحياة مبنية على هذا الأمر لا سلام بالنسبة لك منها، ومن أجل ذلك سنأتي إلى كل هذه الصفات مرة أخرى وسنقول نحن لسنا سالمين من كل هذا، انت انظر لعلاقتك مع كل الناس مهما كانت سالمة فانت تعطيهم وانت محتاج، صحيح أننا نختلف أن هناك من يعطيهم لأنه محتاجهم هم، يعطيهم من أجل أن يعطوه، وأخر يحتاج لكن ليس إليهم وإنما إلى الله فيعطيهم ويحسن إليهم من أجل أن يعطيه الله

لكن في النهاية كل الناس يعطون لأنهم يحتاجون، فأما يكون عندك من حالات السمو بأن تعطي لأنك محتاج الأجر، أو يكون عندك حالات من الدنو فتعطي لأنك محتاج إلى المعاوضة أو محتاج إلى أن تعطي.

على كل حال الدنيا مبنية على تبادل المصالح، لكن الناس مختلفين في تحديد مصالحهم، المقصد أن عطائه سبحانه وتعالى كما تعلمون [وهاب، منان، جواد، كريم، رزاق] كل هذا نعلمه عن الله، معطي سبحانه وتعالى فهل عطاؤه معاوضة او حاجة؟ الجواب عطاؤه سالم من المعاوضة أو الحاجة.

نرى منعه الآن:

ومنعه سَّلام من البخل وخوف الإملاق، بل عطاؤه إحسَّان محض لا لمعاوضة ولا لحاجة، ومنعه عدل محض وحُكمهُ لا يشوبه بخل ولا عجز.

منعه سلام من البخل ومن خوف الإملاق، يعني لما يمنعك حاجة وانت بين يديه منكسرا لم يمنعك لأنه يبخل عليك او يخشى على ملكه أن ينقص أبدًا أبدًا سالم سبحانه وتعالى من وصف البخل ومن وصف الخوف على الإملاق بل خزائنه ملأى!، ويده سبحانه وتعالى سحاء الليل والنهار، لكن المنع ورائه ما ورائه من الحكم التي لا يدركها عقلك القاصر.

- فإذا أعطاك لم يكن إحسانه لمعاوضة ولا لحاجة.
- وإذا منعك وهذا يظهر فيه العدل المحض والحكمة المحضة لا يشوبه بخل ولا عجز.

ولذلك قال:

بل عطاؤه إحسَّان محض لا لمعاوضة ولا لحاجة، ومنعه عدل محض وحُكمهُ لا يشوبه بخل ولا عجز.

واستواؤُه وعلوُه على عرشه سَّلام من أن يكون محتاجًا إلى ما يحمله أو يستوي عليه، بل العرش محتاجٌ إليه، وحملته محتاجون إليه، فهو الغني عن العرش وعن حملته وعن كل ما سواه، فهو استواءٌ وعلوٌّ لا يشوبه حصرٌ ولا حاجةٌ إلى عرش ولا غيره ولا إحاطة شيء به سبحانه وتعالى، بل كان سبحانه ولا عرش، ولم يكن به حاجة إليه وهو الغني الحميد، بل استواؤه على عرشه واستيلاؤه على خلقه من موجبات ملكه وقهره من غير حاجة إلى عرش ولا غيره بوجه ما.

يتكلم الآن عن سلامة صفة الأستواء على العرش، سالمة من ما قد يتوهمه الناس أنه سبحانه وتعالى محتاج إلى ما يحمله أو يستوي عليه كحاجة الخلق إلى هذا، وهذا من أبطل البطل، بل هو سبحانه وتعالى ليس محتاج إلى شيء يحمله، وهذا عقلك لا يستطيع إدراك تفاصيله، لكنك تؤمن أنه سالم من أن يحتاج إلى شيء، ومن ذلك سلامته من أن يحتاج إلى العرش، بل العرش محتاج إليه، وملائكة العرش الذين يحملون العرش محتاجون إلى ربهم.

فهو استواؤ وعلو لا يشوبه حصر ولا حاجة إلى عرش ولا غيره، ولا تتصور أن شيء يحيط به بل هو سبحانه وتعالى بكل شيءٍ محيط، بل كان سبحانه وتعالى ولا عرش ولم يكن به حاجة إليه، فهو سبحانه وتعالى الغني الحميد.

بل استواؤه على عرشه واستيلاؤه على خلقه من موجبات ملكه وقهره من غير حاجة

يعني مما يزيدك دلالة على تمام ملكه وعلى عظيم سلطانه، هذه من الدلائل، خلق السماوات وخلق الأرض، الجبال، الأنهار، الدقيق من الأشياء والعظيم التي تراها بعينك، هل هذا لأنه محتاج إليها؟! الجواب لأ، لكن هذه كلها دلائل على كمال قدرته وسطانه، والعرش مثل ذلك من دلائل قدرته وسلطانه، فهو سبحانه وتعالى كان ولا عرش، ولم يكن به حاجة إليه لكن استواؤه على العرش من دلائل ملكه وقهره وسلطانه سبحانه وتعالى من غير حاجة إلى عرش ولا إلى غيره بوجه من الوجوه

ونزوله كل ليلة إلى سماء الدُنيا سلامٌ مما يضادُّ علوّه، وسلام مما يضادُّ غناه وكماله، وسلام من كل ما يتوهّم معطل ومشبه، وسلام من أن يصير تحت شيءٍ أو محصورًا في شيء تعالى الله ربنا عن كل ما يضاد كماله وغناه.

النزول إلى السماء الدنيا؛ هذه صفة من صفاته، سلام سبحانه وتعالى فيها عما يضاد علوه، يعني لا تفهم أنه نزل من السماء الدنيا يعني ترك العلو، ولا تتوهم أنه يصير تحت شيء، أو أنه سبحانه وتعالى يكون محصورًا في شيء، كل هذا هو سالم منه سبحانه وتعالى.

وسمعه وبصره سلام من كل ما يتخيله مشبه أو يتقوَّله معطل.

يعني العقل ممكن يدور يبحث عن كيفية السمع والبصر لكن لما تعرف أنه سلام إذن تفهم أنه سالم من كل ما تتخيله عنه سبحانه وتعالى.

وموالاته لأوليائه سلام من أن تكون عن ذل كما يوالي المخلوقُ المخلوقَ، بل هي موالاة رحمة وخير وإحسَّان وبر، كما قال: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ فلم ينفِ أن يكون له وليٌّ مطلقًا، بل نفى أن يكون له وليٌّ من الذل.

يعني الله عز وجل يوالي عباده: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إذن له أولياء يحبهم ويواليهم، ويفضلهم، ويعطيهم ويحسن إليهم، لكن هل هذه الموالاة مبنية على الحاجة؟ لأن الناس يوالي بعضهم بعضا ليتقوى بعضهم ببعض، لكن هل موالاة الله لعباده من حاجة؟

الجواب لأ، بل هي من تمام رحمته وخيره وإحسانه وبره.

ولذلك استشهد بآية الإسراء استشهادًا لطيفا، الله عز وجل أمرك أن تحمده على ماذا؟ ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لله﴾ لماذا؟

﴿ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ من تمام كماله.

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ تتشتت أن تدعو مَن.

"ولم يكن له ولي"؟ لأ، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ يعني له أولياء لكن ليسوا من الذل.

قال: فلم ينفِ أن يكون له وليٌّ مطلقًا، بل نفى أن يكون له وليٌّ من الذل.

ما معنى ولي من الذل؟ من حاجة، يعني أنه يوالي أحد لحاجة!، فموالاته للمؤمنين من خلقه سلام من أن تكون من ذل.

وكذلك محبته لمحبِّيه وأوليائه سلامٌ من عوارض محبة المخلوق للمخلوق من كونها محبةَ حاجةٍ إليه أو تملق له أو انتفاع بقربه، وسلام مما يتقوَّله المعطلون فيها،

إذن محبته سبحانه وتعالى لأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق، لأن محبة المخلوق للمخلوق بها عوارض كثيرة تفهمها وتعرفها لكن محبة الله عز وجل لخلقه سالمة من هذه العوارض، وأيضًا سالمة من أن تكون من حاجة أو تملق أو انتفاع بالقرب، كل هذا محبة الله لخلقه سالمة منه.

وكذلك ما أضافه إلى نفسه من اليد والوجه فإنه سلام عما يتخيَّله مشبِّه أو يتقوَّله معطّل"

وهذا واضح، أن كل الصفات التي وردت سالمة من النقص والعيب وسالمة مما يمر على الخواطر.

في نهاية هذا الكلام قال:

"فتأمَّل كيف تضمن اسمه السلام" كل ما نُزِّه عنه تبارك وتعالى، وكم ممن حفظ هذا الاسم لا يدري ما تضمنه من هذه الأسرار والمعاني"[٦٢٤].

وهذه هي الحقيقة، أن كثيرين ممن يعددون أسماء الله لا يعرفون حقيقة معناها.

بعد هذا كله لما علمت أن الله سلام سالم من كل نقص وعيب سيتبيَّن لك لماذا لا يصح أن تقول: "السلام على الله".

لماذا لا يصح أن تقول "السلام على الله"؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السلام".يعني هو السالم من كل نقصٍ وعيب، وهو الذي يسلم عباده من النقص والعيب، فالسالم هو الذي يسلِّم عباده من كل نقصٍ وعيب.

سيتبيَّن هذا من خلال قرائتنا لفتح المجيد.

[٦٢٤] ((بدائع الفوائد)) (٢/١٣٥_١٣٧)

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة المكتوبة يستغفر ثلاثًا ويقول: " اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام ". وفي الحديث: "إن هذا هو تحية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى " وفي التنزيل ما يدل على أن الرب تبارك وتعالى يسلم عليهم في الجنة. كما قال تعالى: ﴿سلام قولًا من رب رحيم﴾.

ومعنى قوله: إن الله هو السلام إن الله سالم من كل نقص ومن كل تمثيل. فهو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص.

كما قرأنا بالتفصيل من كلام ابن القيم، هذا معنى اسمه السلام: إن الله سالم من كل نقص ومن كل تمثيل. فهو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص.

قال العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد: السلام اسم مصدر. وهو من ألفاظ الدعاء.

يعني السلام اسم مصدر، السلامة هو المصدر والسلام اسم المصدر، اسم المصدر سيتضمن معنى المصدرية، وهو يقول عنه من ألفاظ الدعاء يعني كأنك تدعو له بالسلامة.

لما تأتي تقول "السلام عليكم" معناه ماذا تفعل؟ تدعو له بالسلامة من ألفاظ الدعاء.

يتضمن الإنشاء والإخبار،

يعني السلام يتضمن أمرين الإنشاء والإخبار، ما معنى الإنشاء وما معنى الإخبار؟ نقرأ وسيتبيَّن لنا.

فجهة الخبر فيه لا تناقض الجهة الإنشائية. وهو معنى السلام المطلوب عند التحية.

عندي جهة خبرية وعندي جهة إنشائية:

- الجهة الخبرية ما معناها؟ أخبر بوقوع الأمر.
- إنشاء كأني أطلبه.

فلما تقولي "السلام عليكم" معناه أنك تطلبين من الله أن يسلمك، ولما تقولين عن الله أنه السلام هذا خبر أنه السالم.

- الإنشاء بمعنى الطلب.
- والخبر خبر مكرر.

فالسلام تأتي بالمعنيان: بمعنى الخبر وبمعنى الطلب.

⇦ بمعنى الطلب لما أقول لك: "السلام عليكم" يعني أطلب من الله أن يسلمك.

⇦ ولما أأتي أقول لك: "الله هو السلام" يصبح هذا خبرًا عن أنه سالم سبحانه وتعالى عن النقص والعيب.

سيفهمك الآن ما معنى قولك السلام عليكم.

وفيه قولان مشهوران:

الأول: أن الله عز وجل هو السلام. ومعنى الكلام: نزلت بركته عليكم ونحو ذلك. فاختير في هذا المعنى من أسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الأسماء.

الثاني: أن السلام مصدر بمعنى السلامة. وهو المطلوب المدعو به عند التحية ومن حجة أصحاب القول: أنه يأتي منكرًا، فيقول المسلِم: "سلام عليكم" ولو كان اسمًا من أسماء الله لم يستعمل كذلك. ومن حجتهم: أنه ليس المقصود من السلام هذا المعنى، وإنما المقصود منه الإيذان بالسلامة خبرًا ودعاء.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وفصل الخطاب أن يقال: الحق في مجموع القولين. فكل منهما بعض الحق، والصواب في مجموعهما.

وإنما يتبين ذلك بقاعدة وهي: أن حق من دعا الله بأسمائه الحسنى أن يسأل في كل مطلوب ويتوسل بالاسم المقتضى لذلك المطلوب، المناسب لحصوله، حتى إن الداعي متشفع إلى الله تعالى متوسل به إليه.

فإذا قال: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور. فقد سأله أمرين وتوسل إليه باسمين من أسمائه، مقتضيين لحصول مطلوبه.

وقال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه وقد سأله ما يدعو به " قل: اللهم أني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم " فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم عند الرجل، أتى في طلبها بصيغة اسم من أسماء الله تعالى وهو السلام الذي تطلب منه السلامة.

فتضمن لفظ السلام معنين: أحدهما: ذكر الله، والثاني: طلب السلامة. وهو مقصود المسلم.

نحن نتفاهم في معنى كلمة "السلام عليكم" في حقه، ماذايريد؟ هل هو يخبر أم ينشأ؟

فقد تضمن سلام عليكم اسمًا من اسماء الله وطلب السلامة منه.

فتأمل هذه الفائدة.

أول شيء نرتب الكلام؛ ما الذي أدخلنا في معنى السلام عليكم؟ أننا أصلًا نتناقش في اسم السلام، فقرر لك في أول الأمر أن السلام اسم مصدر، وقرر لك معلومة مهمة أنه من ألفاظ الدعاء.

فإذا كان من ألفاظ الدعاء سيتضمن أمرين مع بعضهم: الإنشاء والخبر.

الإنشاء تطلب السلامة.

وإما تخبر أن الله هو السلام السالم من كل نقص وعيب.

قال: وهو المطلوب المدعو به عند التحية

أي الأمرين مع بعضهم، وفيه قولان مشهوران يدوران حول سؤال: هل السلام في قول المسلِم "السلام عليكم ورحمة الله" اسم لله أم طلب من الله؟ هل هو خبر أم إنشاء؟ هل هو اسم لله أم تنشأ طلبًا من الله؟ قال على قولان:

- القول الأول: أن الله عز وجل هو السلام، ومعنى الكلام أني لما أأتي أقول لك: "السلام عليكم ورحمة الله" يعني نزلت عليكم ممن اسمه السلام الرحمة والبركة، فاختيارها في هذا المعنى من اسماء الله، يعني كأنك تقولي السلام عليكم يعني اسم الله السلام ينزل عليكم به بركاته ورحماته، فأختير هنا في الجملة "السلام عليكم" اختير اسم السلام.

ولذلك في بعض الدول العربية يقول: "الله بالخير" يعني المقصود أن الله ينزل عليك الخير، فلما تأتي تقولي لأحد السلام عليكم يعني تقولي له هذا الاسم لله بسببه ستنزل عليكم البركات، فأصبح السلام عليكم ذكر لاسم السلام من اسمائه.

- القول الثاني: أن السلام اسم مصدر كما اتفقنا، ماذا يكون مطلوبك؟ مطلبك أنك تطلبي له السلامة، تقولي: "السلام عليكم" يعني أسأل لكم السلامة.

مثلما تأتي تقولي لأحد: صباح الخير، ماذا تريدين أن تقولي؟ أنا أطلب لكم أن يكون صباحًا فيه خير.

هؤلاء استدلوا بمجموعة أدلة قالوا أن السلام يأتي منكرًا، نستطيع أن نقول: "سلام عليكم"، لكن إذا كان اسمًا من اسماء الله لا يصلح أن يكون منكرًا، وأيضًا ليس المقصود من السلام هذا المعنى وإنما المقصود الإيذان بالسلامة خبرًا ودعاءًا، يعني أطلب لك السلام لا أن أخبرك عن اسمه السلام.

أصبح هنا رأيان:

⇦ رأي أن السلام في تسليم المسلِم اسم.

⇦ ورأي يقول إنما هو اسم مصدر قصد به طلب السلامة.

ماذا قال ابن القيم؟ قال الحق في مجموع الرأيين مع بعضهم، من أجل أن تفهم المسألة انظر لها من جهتين، قال لك هناك قاعدة في باب الدعاء الأسماء مهمة، ما هي القاعدة؟ أن من دعى الله باسمائه الحسنى أن يسأل في كل مطلوب ويتوسل بالاسم المقتضي في ذلك المطلوب، يسأل مطلوبه ويأتي بالاسم المناسب للمطلوب، حتى أن الداعي متشفع إلى الله تعالى متوسل إليه به، اطلب المغفرة وانت الغفور، اطلب الرحمة منك وانت الرحيم.

فإذا قال رب اغفر لي وتب علي سيأتي باسمين:

اغفر لي: الغفور.

تب علي: التواب.

فقد سأله أمرين وتوسل إليه باسمين من أسمائه، مقتضيين لحصول مطلوبه.

انت لما تطلب طلب ستختار الاسم المناسب لهذا الطلب.

وقال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه وقد سأله ما يدعو به " قل: اللهم أني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم "

طلب المغفرة والرحمة يقابلها بأن يسأله باسمين الغفور الرحيم.

ورجعنا مرة أخرى لمن يسلم؛ الذي يقول: "السلام عليكم":

فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم عند الرجل، أتى في طلبها بصيغة اسم من أسماء الله تعالى وهو السلام الذي تطلب منه السلامة.

فتضمن لفظ السلام معنين: أحدهما: ذكر الله.

والثاني: طلب السلامة. وهو مقصود المسلم.

كأن واحد يقول سلمني يا سلام، لما يقول "السلام عليكم" تطلب السلامة ممن اسمه السلام، مثل اغفر لي يا غفور، تب علي يا تواب.

وقد تضمن السلام عليكم اسمًا من اسماء الله تعالى وطلب السلامة منه.

إذن السلام عليكم يتضمن اسم الله ويتضمن في نفس الوقت طلب السلامة، فهو السالم من كل نقص وعيب المسلم لعباده.

إذا كان السالم من كل نقص وعيب والمسلم لعباده هل يصلح أن أقول: "السلام على الله"؟
انت تصلح أن تقول لشخص "السلام عليكم" لأنك تعرف أن الله سالم مسلمًا لعباده، لكن كيف تقول على الله "السلام عليكم"؟ انت تعرف أنه كامل الصفات، سالم من كل نقص وعيب، وهو الذي يسلم غيره من النقص، فكيف تطلب للسالم المسلم السلامة؟!!، **فهو سالم لا يطلب له السلامة بل يطلب منه السلامة.**

وحقيقته: البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب.

هذه حقيقة معنى السلام.

وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه، فمن ذاك قولهم: سلمك الله، ومنه دعاء المؤمنين على الصراط "رب سلم سلم"

إذن تدور كل تصاريف السلام حول البراءة الخلاص النجاة من الشرور والعيوب، فانت لما تطلب السلام تطلب هذا أن يخلصك الله من الشرور والعيوب فكيف تطلب من الله الخلاص؟! إنما هو المخلِص، هو السالم سبحانه وتعالى من كل نقص وعيب.

ومنه سلم الشئ لفلان، أي خلص له وحده. أصبح له وحده فتخلص من أن يكون له مشارك.

نأتي إلى هنا ونقرر ما اتفقنا عليه؛ اتفقنا أن السلام اسم مصدر وهو من ألفاظ الدعاء ولما استعمله في التسليم أقصد به أن أطلب من الله باسمه السلام أن يسلم.

حقيقة اسم السلام البراءة والخلاص وعليه تدور تصاريف هذا الأمر، لما نأتي نقول سلم الشيء لفلان يعني خلص له وسيأتي الآن بشاهد على أن سلم بمعنى خلص.

قال تعالى: " ضرب الله مثلًا رجلًا فيه شركاء متشاكسون ورجلًا سلمًا لرجل "

هذا فيه شركاء متشاكسون وهذا رجل سلمًا لرجل، سلم أي سالم.

أي خالصًا له وحده لا يملكه معه غيره.

يذكر لك تصاريف اسم السلام، وهذه الكلمة كيف تكون.

ومنه السلم ضد الحرب: لأن كل واحد من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر،

كلمة السلم أيضًا جائت من السلام، لما يكون واحد يخلص من الأخر.

ولهذا بنى فيه على المفاعلة، فقيل: المسالمة مثل المشاركة. ومنه القلب السليم وهو النفي من الدغل والعيب.

وحقيقته: – القلب السليم – الذي قد سلم لله وحده، فخلص من دغل الشرك وغلّه، ودغل الذنوب والمخالفات، بل هو المستقيم على صدق حبه وحسن معاملته. وهذا هو الذي ضُمن له النجاة من عذاب الله والفوز بكرامته.

يشرح القلب السليم، ما معنى القلب السليم؟ سلم نفسه لله وحده، فخلص من الشرك وخلص أيضًا من الذنوب، والسلامة من هذا وهذا يجعله يستقيم لصدق المحبة وحسن المعاملة.

ومنه أخذ الإسلام، فإنه من هذه المادة، لأنه الاستسلام والانقياد لله، والتخلص من شوائب الشرك،

ما معنى الإسلام؟ الإستسلام، يدور حول السلام، لازلنا ندور حول السلام، فهو سالم من غير الله والسلامة من غير الله تكون سببًا للاستقامة، كأنك تقول لو سلمت قلبك من غير الله استقمت على صدق المحبة وحسن المعاملة.

إذن الإسلام بمعنى الإستسلام بمعنى السلامة من غير الله في قلبك، ولذلك شركاء متشاكسون والأخر رجل سلم لرجل فإذا سلمت سلامة القلب حصلت صدق المحبة وحسن المعاملة.

فسلم لربه وخلص له، كالعبد الذي سلم لمولاه ليس له فيه شركاء متشاكسون. ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربه وللمشرك به.

سنقرر على الباب: باب لا يقال السلام على الله، لماذا لا يقال السلام على الله؟ لأن من علم اسماؤه الحسنى وما تضمنها من معاني علم أنه سبحانه وتعالى هو السلام وصفته السلامة، وأن هذه الصفة — صفة السلامة – ستتناول كل الصفات، فلا يصح أن تطلب السلامة وهو السالم المسلم.

والمقصود أن من صح اعتقاده في اسماء الله واعتقد يقينًا أن كل اسم يتضمن صفة لن يقول السلام على الله.

ولذلك لما قال الصحابة السلام على الله علمهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن من اسمائه السلام فتبيَّن لهم أن اسمه السلام يعني السالم من كل نقصٍ وعيب، فتركوا أن يقولوا هذه الكلمة.

نكون بهذا انتهينا من هذا الباب.

أنهي الكلام بكلام الحسن وله كلام جميل ما ذكرناه في أول سورة سبأ من أن أهل النار يدخلون النار وفي قلوبهم حمد الله لظهور كمال عدله.

قال الحسن: وقد دخلوا النار وإن حمده لفي قلوبهم، ما وجدوا عليه سبيلا.

يعني لم يجدوا على الله سبيل، أقروا بكل ذنوبهم.

أذكر لكم كلام الحسن لأني قرأتف في بعض التفاسير وهو يفسر في أول سورة سبأ عن قول أن أهل النار يحمدون قال هذا قول المتأخرين، فالذي يقرأ هذه الجملة يتصور متأخرين المعاصرين لأن نفس التفسير معاصر، فأحببت أن أبيِّن لكم أن كلام الشيخ السعدي في آية سبأ هو كلام الحسن، وقد ذكر هذا الكلام ابن القيم وهو بشرح في قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾.

على كل حال انتهى بذلك الجزء الأول من اللقاء.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعدما انتهينا – ولاحظ التتابع– من باب ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، ثم باب: "لا يقال السلام على الله"، فهمنا من اسم الباب عن قول هذا القول، العلّة أن من علم أن من أسماء الله السلام وعلم أن كل اسم يتضمن صفة لأن اسماء الله حسنى علم أن السالم من كل نقص وعيب لا يطلب له السلامة بل يطلب منه السلامة.

انتهينا من باب" لا يقال السلام على الله" واسم الباب فيه الحكم، هنا باب قول: "اللهم اغفر لي إن شئت"، هذا من آثار الآية ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ لأنه بناء على علمك أن له الأسماء الحسنى يطلب منك أن تدعوه بها، الآية فيها تقرير وأمر:

- التقرير: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ له الأسماء الحسنى.
- الأمر: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾، إذن لابد لك أن تمتثل الأمر، لكن كيف يكون امتثالك للأمر؟ لابد أن تجتنب في دعائك ما يشعر أنك جاهل بربك.

أين الجهل بالله في قول: "اللهم اغفر لي إن شئت"؟ هذا الذي سنفهمه، أن الجاهل هو الذي يقول: [اللهم أغفر لي إن شئت، اللهم أرزقني إن شئت]، ورد في رواية مسلم كل هذه الألفاظ، هذا من الجهل بالله، لا يصلح أن تقول: [اللهم أعطني إن شئت، اللهم أرزقني إن شئت، اللهم أغفر لي إن شئت] لا يصلح، بل عليك أن تعزم وسنرى لماذا لا يصلح، وما علاقته بأسماء الله الحسنى واعتقادك فيها وماذا يجب أن يكون أثر الأعتقاد الصحيح عليك.

هذا الأستثناء– "إن شئت" – يارب أفعل لي "إن شئت"، هذا استثناء مبني على الجهل، فنفهم لماذا هذا المنع وماذا يجب أن يكون حال من علم عن ربه اسماؤه وصفاته.

باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لا يَقُلْ أَحَدُكُمُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، إِنَّ الله لا مُكْرِهَ لَهُ "

ولمسلم: "وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ".

قوله: باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

يعني أن ذلك لا يجوز لورود النهي عنه في حديث الباب.

يعني هناك باب: "لا يقال السلام على الله" وجدنا الحكم في نفس اسم الباب، هنا باب قول: "اللهم أغفر لي إن شئت" لم نجد الحكم في اسم الباب لكن سيكون واضحًا من الدليل، وهذا من باب التنويع.

ثم أنه ربما يكون ما سنذكره في الأخير قول بعض أهل العلم أن إستعمال إن شئت أو إن شاء الله للتبرك لا للإكراه، لكن لن نبدأ بهذا إنما في نهاية النقاش.

قال المصنف رحمه الله تعالى: في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لا يَقُلْ أَحَدُكُمُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، إِنَّ الله لا مُكْرِهَ لَهُ "

ولمسلم: "وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ".

انظري لهذه الجملة الأخيرة من الحديث: "فَإِنَّ اللَّهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ"، سيأتي بعدها كلام الشارح:

بخلاف العبد، فإنه قد يعطي السائل مسألته لحاجته إليه، أو لخوفه أو رجائه، فيعطيه مسألته وهو كاره.

وبهذا سيتبيَّن لك العلاقة الوثيقة بين فهمك لباب السابق وهذا الباب، في الباب السابق تقرر لك أن اسم الله السلام يتناول جميع الأسماء، من بين الأسماء التي تناولها كل اسماء العطاء، من اسماء العطاء: [الغني، وهاب، جواد، كريم]، كل هذه اسماء لها نفس الدلالة "العطاء"، وانت درستي أنه سالم في عطائه من الحاجة، لا يعطي العباد لحاجة ولا لذل ولا لمقابل، ففهمك لهذه السلامة يُبنى عليه أنك لما تأتي تسألي تفهمي انت تكلمي مَن.

وهذا الحقيقة تقول عنه توفيق في عقد هذه الأبواب وإلا المسألة مبنية على بعضها، علمت أن اسماء الله حسنى إذن لابد أن يؤثر عليك، يؤثر عليك في كلامك، في اعتقادك، في سلوكك في دعائك.

انظري قال: باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾.

باب: لا يقال السلام على الله.

ثم باب: اللهم اغفر لي إن شئت.

فإذا علمت أن اسماء الله حسنى وكل اسم متضمن لصفة ومن اسمائه السلام إذن هو السالم إذن لا يمكن أن تطلب له السلامة، بل هو السالم من كل نقصٍ وعيب، فإذا علمت هذا وعلمت أن اسم السلام يتناول جميع الأسماء والصفات وعلمت أنه سالم من أن يكون عطاؤه من حاجة أو لمقاضي أو له مكره فلا تأتي تدعوه وتقول له اللهم اغفر لي إن شئت، هذا هو الرابط.

إذن ما هو المطلوب منك اعتقادًا وعملا نتيجة علمك بكمال أسمائه وصفاته وسلامتها من كل نقص؟ ماذا يجب أن يكون في اعتقادك؟ انظري لرواية مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: ""وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ" هذا ما تعتقده، أن الله عز وجل لا يتعاظمه شيء أعطاه، بخلاف المخلوق فإنه قد يعطي السائل مسألته لأنه محتاج إليه، يعطيه لأنه محتاجه، أعطيك لأني احتاجك تقفي معي غدًا أو بعد غد، أو أخاف لو لم أعطيك تفعل بي كذا وكذا، أو أرجو منك مصالح طويلة المدى، فيعطيني مسألته وهو كاره.

فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول حاجته على مشيئة المسؤول، مخافة أن يعطيه وهو كاره،

انت لما تأتي لأحد ويكون صاحب ملك وسلطان وانت تستحي أن تضغط على أحد، تستحي من هذه المشاعر، وتريد أن تطلب منه طلبًا فيه مصلحته ومصلحتك ومصلحة المسلمين مثلًا، وحتى وانت تعرض مشاريع خيرية، لما تأتي تكلمه أولًا في قلبك من الحرج الشيء الكثير، مستحي أن تعرض عليه هذا المشروع، ومن جهة أخرى هذا الحرج في نفسك سيخرج على لسانك، فوقت ما تكلمه تقول له إذا كنت تريد أن تدخل في هذا المشروع ستحصّل خيرًا كثيرًا، أو أأتي أعرض عليه المشروع مثلًا – اسأل الله أن يتمم لنا هذا – سيارة دعوية، لترحلوا في مواطن المملكة وقراها تكون عبارة عن سيارة فيها كتب إلى أخره.

المقصود أني أأتي أعرض على أحد معه مال أني سأعرض سيارة دعوية والكتب والشخص الذي سيتحمل مسؤولية السير بهذه السيارة الحمدلله موجود، بقي علينا السيارة، فبعد أن أكون متحمسة للموضوع لما أأتي أطلب منه فأقول له إن شئت أن تدخل في هذا المشروع سيكون لك الأجر عند الله، لن أستطيع أن أقول إلا هذا الكلام، يعني لا أريد أحرجه ولا أحرج نفسي وأعرف أنه لا يصلح لي في الشرع أن أخذ من أحد كرهًا المال وأدفعه دفعًا إلى أن يدفع لي حتى لو كان مشروع خيري، فانت في كل الأحوال إن

طلبت من مخلوق وإن كان في قلبك حياء إذا طلبت من المخلوق تتحرج، لماذا تتحرج؟ لأن المخلوق يكره، يستحي منك فيعطيك، لكن الله عز وجل لا مكره له.

انت لما تتعامل مع البشر لا تتصور أن رب البشر مثلهم!، بل هو سبحانه وتعالى كامل الصفات، منزه التنزيه التام أن يماثل خلقه، بل له الأسماء الحسنى والصفات العلا، فماذا يقصد بهذا الكلام؟ فيقصد أن هذا التعامل ينفع بين الخلق، لكن لا تقيس الرب كامل الصفات السالم من النقائص والعيوب بالخلق الناقصين، فلما اعتقدت أنه سالم من كل نقص وعيب سبحانه علقت قلبك به وظننت حسن الظن فيه سبحانه وتعالى.

بخلاف رب العالمين، فإنه تعالى لا يليق به ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمال جوده وكرمه، وكلهم فقير إليه، محتاج لا يستغني عن ربه طرفة عين وعطاؤه كلام.

ما معنى "وعطاؤه كلام"؟ يعني كن فيكون.

الآن سيجمع لك صفات: يقول لك اللائق بالسائل للمخلوق أن يعلِّق حصول حاجته على مشيئة المسؤول، اللائق هذا من الأدب لما تأتي تقول لأحد هذا برنامج تفضل هذه دعوة، تفضل تريد أن تشارك، تقول له: [إذا شئت، إذا أردت، إذا أحببت، أو على كيفك] كل هذه ألفاظ بنفس الصورة، هذا لائق بالمخلوق، أن تجعل دخوله في هذا المشروع أو مساهمته أو عطاؤه مبني على المشيئة، مخافة من أن يعطيك وهو كاره، لأنه يحصل أنك تكرهه، وهذا في الشرع محرم أن تكره أحد على أن يعطيك ولو كان يتبرع، لا يصح لك.

لكن تعال انظر وانت تطلب من الله:

بخلاف رب العالمين، فإنه تعالى لا يليق به ذلك

لماذا؟ لأنك لما تكلمه تقول له إن شئت، وانت بنفسك خائف أن تكرهه، تستحي منه!، لأ لا يصح لك!، لماذا؟ قال لك أربع صفات:

- لكمال غناه عن جميع خلقه، لا يصلح أن تقول له إن شئت
- وكمال جوده وكرمه.
- ثم هل انت مستغني عنه؟ وكلهم فقير إليه، محتاج لا يستغني عن ربه طرفة عين، فكيف تقول له إن شئت، انت الآن لما تكلم الخلق تقول لهم إذا أردتم، إن شئتم، تقول لهم أعطوا أو لا تعطوا، لأنك في قلبك شعور أنك مستغني عنهم بالله، لكن لما تأتي تكلم الله لا يمكن تظهر له من نفسك استغناؤك عنه سبحانه وتعالى بل أنت إليه فقير.

إذن السبب الأول: أنه غني، تام الغنى، فمطلبك لن يضرّه.

السبب الثاني: وجواد كامل الجود فيعاملك بجوده.

السبب الثالث: وانت فقير تمام الفقر ليس لك إلا هو.

السبب الرابع: وعطاؤه كلام يعني هذا الأمر أهون ما يكون عليه سبحانه وتعالى، لكن غيره من أجل أن يعطيني يتثاقل الخطى التي يقومها من أجل أن يعطيني، في مقابل أن الغني الحميد عطاؤه كلام، فإذا قال للشيء كن كان وهيأ له الأسباب العظيمة أن يكون،

فلما كتب لموسى النجاة كانت أسبابها، ولما كتب ليوسف الملك كانت أسبابه، ولما كتب ليونس الحياة كانت أسبابها، فهو يقول للشيء كن فتتهيأ الأسباب العجيبة من حكمته وقدرته فيكون ما أراد الله سبحانه وتعالى.

فهذا كله يجعلك تعلم أن علاقتك مع ربك لابد أن تكون مبنية على اعتقاد كمال صفاته وليس على المشابهة بينه وبين خلقه، تعالى الله عن ذلك، وهذا معنى ما تقول في سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فهل انت حقيقة تعلم أنه ليس له كفء؟ أم أن قلبك شارد عن هذا المعنى تقيسه بخلقه؟!.

وفي الحديث: " يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار. أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه، وفي يده الأخرى القسط يخفضه ويرفعه " يعطي تعالى لحكمة ويمنع لحكمة وهو الحكيم الخبير.

هذا الحديث الذي رواه البخاري يبيِّن لك كمال لغناه وسعة ملكه ويمينه سبحانه وتعالى ملأى لا تنقصها نفقة، سحاء أي دائمة الصب بالعطاء في الليل والنهار، " أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ؟ فَإِنَّهُ لا يَغِيضُ مِمَّا فِي يَمِينِهِ" يعني فقط أخذ الله عز وجل من ملكه شيء في يمينه كما يأخذ العبد من ماله شيء في يمينه، فهذا الذي في يمين الرحمن الذي هو شيء من ملكه العظيم منذ أن خلق الله الخلق إلى اليوم وهو ينفق على أهل السماوات وعلى أهل الأرض ولم ينقص ما في يمينه!.

وهذا إشارة إلى سعة ملكه، يعني كل ما أنفق على أهل الأرض منذ أن خلق الله السماوات والأرض لم يغض ما في يمينه – لم ينقص ما في يمينه –، "وفي يده الأخرى القسط يخفضه ويرفعه "يعني أن كما يقول الشيخ "يعطي لحكمه ويمنع لحكمه".

فاللائق بمن سأل الله أن يعزم المسألة، فإن الله تعالى لا يعطي عبده شيئًا عن كراهة ولا عن عظم مسألة.

وقد قال بعض الشعراء فيمن يمدحه:

ويعظم في عين الصغير صغارها ويصغر في عين العظيم العظائم.

انظر للأمر بصورتين: أنك لما تقولي إن شاء الله واحد من شعورين في قلبك:

- الأمر الأول: أما أنك تخاف من أن تكره الله ويصبح أنك لا تفهم عن الله كما ينبغي، فلا مكره له سبحانه وتعالى، بل هو سبحانه وتعالى القهار الظاهر الذي ليس فوقه شيء، لا يستطيع أحد أن يبلغ ضرّه فيضرّه، ولا أن يكون له مكره.

إذن هذا التصور الأول الذي يجعل العبد يقول "إن شاء الله" أنه يستحي من الإكراه، فهذا من قياس الله عز وجل بخلقه، وهو من أفسد الأقسية أن تقيس الملك الغني الكامل بهؤلاء الفقراء الشحيحين، أهل الخوف، أهل النقص.

الأمر الثاني: ربما قلت "إن شاء الله" لأنك ترى المسألة التي تطلبها عظيمة فتستحي من عظمتها فتقول إن شئت، مثل لما تأتي لأحد من الخلق ويكون مطلبك مليون، فتقول له تريد تساعدني وتريدني أن أقوم على قدمي فأعطني مليون، وانت قبل ما تقول مليون تتردد مليون مرة، لماذا؟ تفهم أن مثل هؤلاء فقراء يصعب عليهم أن يعطوك مثل هذا، حتى لو عندهم ملايين، لو عندهم مليارات يصعب عليهم أن يعطوك مليون، مسألة عظيمة.

ثم الشارح أستشهد ببيت المتنبي الذي أوله:

عَلى قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تأتي العَزائِمُ وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المكارمُ.

وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها وَتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِمُ.

هذه قاعدة عقلية تقول: أن الصغير يستعظم الشيء الصغير، انظري إلى طفل صغير مطلوب منه أن يكتب سطر وهو في أولى ابتدائي، فالسطر هذا كأنه عشر صفحات لأنه صغير!، والصغير يستعظمه، لكن العظيم ماذا يحصل له؟ تصغر في عين العظيم العظائم، هذه قاعدة عقلية: أن الشيء الصغير الذي يأتي للصغير في مقابل قدراته يراه عظيما، في مقابل أن الكبير يجد الشيء العظيم ليس عظيمًا.

من أجل ذلك قال:

وهذا بالنسبة إلى ما في نفوس أرباب الدنيا، وإلا فإن العبد يعطي تارة ويمنع أكثر، ويعطي كرهًا، والبخل عليه أغلب. وبالنسبة إلى حاله هذه فليس عطاؤه بعظيم،

يوصف لك الآن حقيقة الخلق، المتنبي ذكر القاعدة التي في العقل، لكن في الواقع حقيقة الخلق قال:

وهذا بالنسبة إلى ما في نفوس أرباب الدنيا، – بالنسبة لعقولهم – وإلا فإن العبد يعطي تارة ويمنع أكثر، ويعطي كرهًا، – يعني يأتي أحد يطلب منه فيعطيه لكن غصبن عنه – والبخل عليه أغلب. وبالنسبة إلى حاله هذه فليس عطاؤه بعظيم،

يعني عطاؤه لا يعتبر عظيم لأنه في قلبه بخل، وفي يده منع، ولذلك يكون عطاؤه ليس عظيمًا.

وأما ما يعطيه الله تعالى عباده فهو دائم مستمر، يجود بالنوال قبل السؤال من حين وضعت النطفة في الرحم. فنعمه على الجنين في بطن أمه دارة، يربيه أحسن تربية، فإذا وضعته أمه عطف عليه والديه ورباه بنعمة حتى يبلغ أشد، يتقلب في نعم الله مدة حياته، فإذا كانت حياته على الإيمان والتقوى ازدادت نعم الله تعالى عليه إذا توفاه أضعاف أضعاف ما كان عليه في الدنيا من النعم التي لا يقدر قدرها إلا الله، مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين.

وكل ما يناله العبد في الدنيا من النعم وإن كان بعضها على يد مخلوق فهو بإذن الله وإرادته وإحسانه إلى عبده، فإن الله تعالى هو المحمود على النعم كلها، فهو الذي شاءها وقدرها وأجراها عن كرمه وجوده وفضله. فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن. قال تعالى: " وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون "

يتكلم عن عطائه سبحانه وتعالى، يعني هذا الكلام ما يجب أن تعتقده في الله.

"وأما ما يعطيه الله تعالى عباده فهو دائم مستمر" العباد تارة يعطون وتارة يمنعون، يقابل هذا أن عطاء الله دائم مستمر، يجود بالنوال قبل السؤال.

أول صفة في عطاء الله أن عطاؤه دائم مستمر.

الصفة الثانية أنه ليس دائمًا عطاؤه يستلزم الطلب بل عطاؤه يسبق الطلب.

ولذلك من معاني اسم المنان أنه يعطي النوال قبل السؤال، معنى ذلك أنه سبحانه وتعالى قبل أن يسأله السائل بل قبل أن يعلم السائل بحاجته يعطيه مراده، وذكر لك صورة من هذه الصور.

قال: من حين وضعت النطفة في الرحم. فنعمه على الجنين في بطن أمه دارة، يربيه أحسن تربية، فهل طلب؟ لم يطلب!، بل هو الذي يعطي النوال قبل السؤال.

ولذلك اليوم لما كثر الاعتماد على غيره خصوصًا في مسائل الحمل والولادة كثر الأمر العجيب الذي تراه، وكل يوم يقال لك – نسأل الله أن يحفظ المسلمين اجمعين ويحفظ الذريات ويحفظ النساء الوالدات – كيف لما يقال لك نقص الأوكسجين عن الطفل دقيقة، بل أحيانًا ثلاثين ثانية، ثم يقال هذه الثلاثين ثانية وقت الولادة ونقص الاوكسجين تسببت له بإعاقة، تسببت له بشلل رباعي، تسببت له إلى أخر ما تسمع، ثم الزيادة العجيبة في الأمراض في الطفولة، نحن من الزمن الأول نسمع عن الطفل المنغولي، لكن الآن تزداد الحالات وتكثر وتسمع عن أمراض لم تسمع عنها سابقًا التوحد وغيرها من الأمراض التي تصيب الطفولة، وتستعجب من ظهور هذا مع التطور الحاصل في مقابل سلامة الأولين من كثير من هذا، بل أكثره لا يعرف!، فماذا تقول؟!، إتكل القوم على نفوسهم وعلى عقولهم وعلى حفظهم فأراهم الله قدرته.

لذلك لابد أن يكون في القلب صحة اعتقاد في الرب، ويكون في قلب العباد صحة المعرفة ليصح السلوك، فانظر إليه المنان يعطي النوال قبل السؤال، فمن عندما كان هذا جنين إلى أن تضعه أمه، لما تضعه أمه من أين يأتي العطف والحب الذي يأتي بعده بالرعاية؟ من أين يأتي؟ لا يأتي إلا من الله، ولذلك ترى نفوسًا نزع الله منها هذا الحب!.

واليوم تسمع عن أمراض الأكتئاب التي تحصل ما بعد الولادة، ومن أحد آثار هذا المرض أن يقع الخوف أو الكراهية للطفل، من أجل أن يعلمك أن هذا العطف بنفسه عطاء من الله، لكن لما كثرت النعم على الناس نسيوا المنعم فذكرهم بهذه النقائص، نحن لم يكن يأتي على خاطرنا ونحن ندعو لبناتنا أو لأولادنا أنه يارب عطف قلبه على أبنائه، لم يكن ليأتي في عقولنا أن لما بنتي تحمل أقول يارب أحفظه وسلمه وأنزله سالمًا وعطف قلبها عليه، كان كل تفكيرنا أنه لما تكون هي بارة فيعطف هو عليها، لكن أن تعطف هي عليه لم نكن نراه!، فلما رأينا النقص تبيَّن لنا النعمة، لما بدأنا نرى الناس تمرض المرأة بالشهر والشهرين وترمي الطفل الصغير الرضيع وهو جزء منها، والطفل جزء منها، قطعة منها، ليس هناك علاقة مثل هذه العلاقة، فترمي هذه القطعة كأنك تأتي إلى قطعة من بدنك تبغضها تقطعها منك وترميها، لم نكن نرى في الزمن الأول أن هذه نعمة إلى أن رأينا النقائص فعلمنا مقدار النعمة.

وعلى ذلك يجب أن نستيقظ سريعًا، ليس من المنطق أن يترك النعم ولا نتحسسها ولا نعرفها إلا بعد أن نفقدها، بعد أن يصبح نوع من المفقودات، انظري اليوم إلى ما يحصل من إسراف ومنكرات حول الزواج نفسه، ثم إسراف ومنكرات حول الولادة، وتجد الناس المتمكنين الذين لديهم أموال كل ما يهمهم بعد الولادة كيف سيستقبلون الضيوف، كيف سيفرشون السرير، كيف سيفعلون كذا، عجب!، في وسط هذا كله أين ستجد قلب حامد أو شاكر؟!، لا نكذب على أنفسنا لن نجد في وسط هذا إلا التباهي، وفوق هذا يأتي الكبر، لا يصلح يكون غطاء فراشي من أي محل عادي!، يجب أن يكون غطاء فراشي كذا وكذا!.

وهذا كله أسباب يجب أن تربطها مع بعضها، سبب أنك ترى مثل هذه النتائج من فقدان العاطفة تجاه الأبناء، تجد آثارها الجفاء، أشكال وألوان، المقصود أنك إذا نظرت إلى كمال صفاته رأيته أعطاك قبل أن تسأله فكيف إذا سألته؟!.

فإذا وضعته أمه عطف عليه والديه ورباه بنعمة حتى يبلغ أشد، يتقلب في نعم الله مدة حياته،

وكلما تقدم بك العمر زاد تحسسك للنعم، فنحن نرى الشباب لا يرون للصحة قيمة!، ولا يرون لعقولهم وقلوبهم الصافية البعيدة عن الشغل قيمة، فلا يغتنموها ولا يشكروا الله عليها ولا أي شيء، فإذا تقدم بهم العمر ودخلت عليهم المشاغل، وإذا تقدم بهم العمر ونقصت صحتهم بدأوا يندمون على صحتهم في السابق لم يشكروها ولم يغتنموها.

المهم انت تحتاج دائمًا أن تجدد في قلبك الشعور بنعم الله هذا سيدفعك للشكر، والشكر نوع من أنواع طلب الزيادة، لما تشكر هذا نوع من أنواع طلب الزيادة، فلو كنت لربك جامدًا فلقد فتحت لنفسك باب العطاء على مصرعيه، وإذا بخلت على نفسك باب الحمد له أغلقت هذا الباب بيديك.

ثم انظر إلى هذه النعمة العظيمة التي ابتدأك بها ألا وهي نعمة أن تنشأ عند أهل الإيمان، وأن تكون من أهل الصلاح.

فإذا كانت حياته على الإيمان والتقوى ازدادت نعم الله تعالى عليه إذا توفاه أضعاف أضعاف ما كان عليه في الدنيا من النعم التي لا يقدر قدرها إلا الله، مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين.

وكل ما يناله العبد في الدنيا من النعم وإن كان بعضها على يد مخلوق فهو بإذن الله وإرادته وإحسانه إلى عبده،

هو الأول الذي أعطاك النعم لكن جرت النعم على يد الأسباب، وهذه الأسباب كلها مخلوقات لله جرت على أيديهم نعم الله.

فإن الله تعالى هو المحمود على النعم كلها، فهو الذي شاءها وقدرها وأجراها عن كرمه وجوده وفضله. فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

تبيَّن لك هذا كله أنه له النعمة والفضل وله الثناء الحسن، هو المحمود سبحانه وتعالى على كل ما شائه وقدره.

قال تعالى: " وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون "

يعني إليه تتجهون وترفعون أصواتكم وتلجأون إليه وحده لأنكم تعلمون أنه وحده صاحب النعمة، هو وحده المعطي، هو وحده كاشف الضرّ.

هذا كله ما علاقته بالطلب بكلامنا؟ هذا كله من أجل أن تفهم ما معنى أن تعظم الرغبة، ما معنى أن تكون معظمًا طالبًا من ربك كل ما ترغبه، أن تعتقد أنه هو الذي أبتدأك بالنوال قبل السؤال وهو الذي رباك بالنعم وهو الذي لازال وصفه أنه سحاء، يمين الله ملأى، لابد أن يبقى في قلبك هذا الاعتقاد، وأنه سبحانه وتعالى يمينه لا يغيضها نفقة أي لاينقصها، بل هي سحاء دائمة الصب بالعطاء.

فإذا كان هذا وصف لربك أكثر الطلب منه واسأله القليل والكثير وكن مجتهدًا في أن تتعبد له بالفزع إليه في كل مطلب، **هذا نوع من أنواع العبادة أن يكون صغير الأمر وكبيره أول ما تطلبه من الله، لا تطرق باب غيره فإذا يأست من غيره طرقت بابه!،**

وإن كان من تربيته لك يفعل بك هذا، يعني من التربية أن يغلق عليك كل الأبواب من أجل أن تعود إلى بابه، لا تعرض نفسك إلى هذا، تعبده وتقرب إليه بأن تطلب منه القليل والكثير، ونحن من كثرة النعم التي تحيط بنا أصبح ينغصنا النقص القليل، فلا على النعم الكثيرة شاكرين ولا على الصغير الذي ينقصنا سائلين.

حتى ما ينغص علينا الصغير القليل الذي لا يساوي شيء في مقابل النعم أيضًا لم ننتفع به أن نسأله سبحانه وتعالى هذا القليل، والكثير لم ننتفع به أن نكون من الشاكرين، فلذلك وجب عليك إعادة النظر في سلوكك تجاه النعم، بل والتوسل إليه سبحانه وتعالى أن يجعلك له شكارًا.

وأحذر ثم أحذر أن تكون من القوم الذين قال الله عز وجل عنهم في سورة الحشر: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[٦٢٥] نسوا الله عز وجل وذكره وتوحيده وسؤاله وشكره والتعلق به فأنساهم أنفسهم أنساهم مصالحهم، وهم لم ينسوا أبدانهم كل النسيان لكن نسيوا أرواحهم، ونسيوا ما يحقق لأبدانهم حقيقة الصلاح، ولا تسأل عن أعمى كيف يتخبط وانظر إلى بصير يهتدي كيف يسير.

بعدما فهمنا هذا كله، لماذا نتكلم كل هذا الكلام عن عطائه؟ من أجل أن يتحقق لك أن تعزم المسألة، من أجل أن يتحقق لك أن تطلب منه كل ما تريد.

لكن بقي لك هذه المعلومة الأخيرة:

وقد يمنع سبحانه عبده إذا سأله لحكمة وعلم بما يصلح عبده من العطاء والمنع، وقد يؤخر ما سأله عبده لوقته المقدر، أو ليعطيه أكثر. فتبارك الله رب العالمين.

تصور الفرق بين الدعاء والطلب والسؤال والعطاء، يعني انت الآن مطلوب منك أن تندفع إلى بابه وتسأله ثم لابد أن تفهم كيف يكون العطاء، ولتفهم هذه المسألة سأمثل لك حال مريض مع طبيب، فإذا توجه مريض إلى طبيب وهذا من باب الأخذ بالأسباب المقبول الذي تتفق العقول عليه، بل إذا وجدت مريضًا لم يذهب إلى طبيب نقول له لا تترك المرض يستشري فيك بل أذهب وحاربه من الأول.

يعني خذ السبب من أجل أن يندفع المرض، وما السبب؟ الطبيب، ادخل إلى الطبيب وتحكي له حالك، أنا كذا وكذا وأعاني من كذا وكذا، وقوفك عند بابه ودخولك إليه وحكيك له كل هذا تريد منه أن يعطيك علاجًا، هل انت الذي تحدد للطبيب ما هو العلاج ومتى يكون وكم مرة؟!، الجواب لأ، كلام متفق عليه، لا تأتي تقول له وهو يكتب الروشته هذا الدواء يعجبني فأعطني إياه، لا أحد يفعل هذا التصرف، هذا أصلًا ليس كلام عاقل، والطبيب يقول لك اجلس مكانه أحسن!.

إذن هذه العملية: خذ بالسبب واشتكي له ثم الطبيب يحدد لك العلاج ويعطيك إياه ويحدد لك مواعيده وكل شيء، هكذا الكلام مقبول منطقيًا، أن من عنده علم بالمصلحة هو الذي يحدد كيف تأتي المصلحة، طبيب البدن هو من عنده علم ويقول لك المصلحة أن تأخذ هذا وهذا، ممكن أن تقول لأ لم يعجبني، فكل الناس حولك سيقولوا انت الخسران وهذا الكلام لا يقبله العقل، المفروض أنك تتبع أوامره، خصوصًا لو أنك انتقيت طبيب صاحب خبره وتحريت إلى أن وصلت إلى أخره، فمنطقك يقول لك تعامل مع الطبيب باحترام وهو صاحب العلم إذن هو صاحب القرار وهو يحدد لك، فكيف لما تتعلم مع رب الأرباب علام الغيوب، المفروض تشتكي حالك إليه وتسأله وترجوه، ثم تتيقن أنه سيرشدك ويصرفك ويدبرك أحسن تدبير.

سؤالك ورجاؤك وانطراحك بين يديه سبب، ثم يأتيك التدبير العجيب، ثم استحي منه أن تقول يارب لماذا تأخرت علي!، لأنه سيعطيك وهو طبيب القلوب والأبدان والأحوال، سيعطيك ما يناسبك في الوقت المناسب، لكن هذا كله معتمد على قوة ثقتك به وعلى قوة اعتقادك في كمال صفاته، هذا الذي ينقصنا قوة الأعتقاد في كمال صفات الله.

---

[٦٢٥] الحشر:١٩

وكأنك تدخل على باب طبيبٍ كامل العلم عند أهل الدنيا، قل لي كيف سيكون ثقتك فيه؟!، وكيف يكون نظرك إلى علاجه؟!، وانظر إذا دخلت إلى طبيب مبتدأ أو طبيب لم يمدح لك أو طبيب جاهل كيف سيكون في قلبك؟ شك من صحة تطبيبه، فهذا الذي في قلبك هو نفسه معاملتك لربك، فإذا كنت به عالمًا وبه واثقًا لابد أن يكون انطراحك بين يديه يكون فى ثقة به ويقين أنه سيعطيك حتى يغنيك.

المقصود أنه لو أخر عليك مرادك فليس تأخيرًا إلا فى نظرك، أما فى الحقيقة فهو وقته المقدر المناسب، إذن إذا منعك الله فهو لحكمة وعلم وقد يؤخر الله ما سأله العبد لوقته المقدر أو يعطيه أكثر.فتبارك الله رب العالمين.

وقوله:ولمسلم: وليعظم الرغبة أي في سؤاله ربه حاجته، فإنه يعطي العظائم كرمًا وجودًا وإحسانًا. فالله تعالى لا يتعاظمه شئ أعطاه، أي ليس شئ عنده بعظيم، وإن عظم في نفس المخلوق. لأن سائل المخلوق لا يسأله إلا ما يهون عليه بذله بخلاف رب العالمين، فإن عطاءه كلام " إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون " فسبحان من لا يُقدر الخلق قدره، لا إله غيره ولا رب سواه.

نشرح معنى: "لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ" وفي رواية مسلم "وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ"

ما معنى "لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ" ؟ معناها يجتهد في الدعاء ويلحّ، يعني لا يقول إن شئت كالمستثني، لكن يدعو دعاء البائس الفقير المحتاج الذي لا استغناء له أبدا، وفي هذا إذا كنت شديد الحاجة لن تفارق الباب أبدا، وإذا علمت أن لا مكره له سبحانه وتعالى إذن لن تحتاج إلى التعليق بالمشيئة.

مَن الذي يحتاج التعليق بالمشيئة؟ إذا كان الشخص المطلوب منه يمكن إكراهه على الشيء، فيخفف الأمر عليه وتعلمه أنك لا تطلب منه هذا الشيء إلا برضاه، أما الله سبحانه فهو المنزه عن ذلك، أذن يصبح التعليق ليس له فائدة.

لماذا لا تقول إن شاء الله؟

- **السبب الأول**: لا تقول إن شاء الله لأنها تدل على الإكراه فكأنك تريد أن تخفف عنه فتقول إن شئت، فلست مكرهًا لك. مرة أخرى؛ إن الذي يحتاج إلى التعليق بالمشيئة هو من يتأتي إكراهه عن الشيء فيخفف الأمر عليه، وتعلمه بأنك لا تطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه، أما الله سبحانه وتعالى فهو منزه عن ذلك فليس للتعليق فائدة.
- **السبب الثاني**: الذي يمنع قول إن شئت: أتى في رواية مسلم ""وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ" يعني سيكون السبب الثاني أن كلمة إن شاء الله فيها صورة الأستغناء عن المطلوب والمطلوب منه.

إذن لا يصح لك أن تقول: "إن شاء الله" أو "إن شئت" [اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت] لا يصح لك، وفي المقابل المطلوب منك:

- أن تجتهد في الدعاء.
- على رجاء الإجابة.
- ولا يكون في قلبك قنوط من رحمته.

هذه الثلاثة معاناها أن بعض الناس يقول أنا مذنب فكيف أدعو الله وأطلب منه وأنا كلي ذنوب؟! نقول لا تقنط من رحمة الله.

واسمع هذا الكلام لابن عنيبه:

لا يمنع أحدكم الدعاء ما يعلم في نفسه، فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يقصد ما يعلم في نفسه من التقصير.

إذن مطلوب منك ثلاثة أمور:

الاجتهاد.

ويكون في قلبك رجاء.

ولا تقنط من رحمة الله.

مجموع هذا كله يسمى " حسن ظن بالله" ولذلك أخرج مسلم بلفظ أن جابرًا سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاثة أيام: "لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".

قال ابن مسعود: والله الذي لا إله إلا هو ما أعطي عبد مؤمن قط شيء خيرًا من حسن الظن بالله، والله الذي لا إله إلا هو لا يحسن عبد الظن إلا أعطاه الله الجنة وذلك أن الخير في يديه سبحانه وتعالى.

نضيف فقط إضافة حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "قَالَ يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ قِيلَ وَكَيْفَ يَعْجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ اللَّهَ فَلَمْ يَسْتَجِبْ اللَّهُ لِي"، ما معنى "مَا لَمْ يَعْجَلْ"؟ يعجل أي يسأم الدعاء ويتركه.

كيف تفسر ترك الدعاء؟ التارك للدعاء لأن الله لم يعطيه كالمانّ بدعائه، معناه أنه كان يعتقد أنه أتى من الدعاء ما كان يستحق به الإجابة فيصير هذا من يترك الدعاء كالمبخِّل لربه، كالمبخِّل أي كالذي يصف ربه أنه بخيل، ألا تعلم أنه لا ينقصه العطاء؟!، ولا تعجزه الإجابة؟!، ولا تضرّه الذنوب.

يعني ترك الدعاء إشارة إلى أن هذا العبد مانن على ربه بالدعاء، كأنه يقول أنا أستحق أن تستجيب لي لماذا لا تستجيب لي؟! إذن لن أطلب منك مرة أخرى!، بهذه الصورة!، تعرفي كيف لما يأتي أحد لأحد يطلب منه فلا يستجيب له والأخر يأخذ منه موقف وتأتي تقول له أنه يعطيك تقول لأ لن أطلب منه، طلبت منه ولم يعطيني، وهذا حال العبد لما يعجل.

وأعلم أن الذي يترك الدعاء لأنه لم ينل ما يريد ثقل عليه الدعاء، ولذلك بعض أهل العلم يقولون:

إنما يعجل العبد إذا كان غرضه من الدنيا نيل ما سأل، وإذا لم ينل ما يريد ثقل عليه الدعاء.

ما الذي يجب أن يكون في اعتقادك؟ قال:

ويجب أن يكون غرض العبد من الدعاء هو الدعاء لله والسؤال منه والأفتقار إليه أبدا، ولا يفارق سمة العبودية وعلامة الرق والإنقياد للأمر والنهي، والأستسلام لربه تعالى بالذلة والخشوع.

ما مقصدك من الدعاء؟ عبودية الدعاء.

وقال بعض السلف: لأنا أشد خشية أن أحرم الدعاء من أن أحرم الإجابة، وذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ فقد أمر بالدعاء ووعد بالإجابة وهو لا يخلف الميعاد.

نختم الكلام حول هذا الباب نقول:

ربما هناك حالة انتشرت بين الناس حال دعائهم في قول " إن شاء الله" يقولون ذلك على سبيل التبرُّك، يعني لا يقصدون تعليق الدعاء بالمشيئة، لا يقصدون أنهم مستغنيين، لا يقصدون أنهم خائفين من إكراه الله لكن الدارج في كلامهم أن يتبركوا بإن شاء الله، يعني يطلبوها للبركة، فهذا لو سمعته والغالب أن العامة هذا مقصدهم لا تلّوم من يقول هذا الكلام إنما علم الناس أولًا ثم إذا سمعت مثل هذا فأحمله على التبرُّك، أتكلم عن غالب حال الناس اليوم، لا يعتقدون أنهم يدعون هذا الأمر، لكن هذا لا يمنع أنك تعلم الصواب ولا تستعمل "إن شاء الله" وتحتمل من الناس أن يقولوها على ظن أنها تبركًا ثم تعلمهم انت الصواب.

وهذا الأمر وانت تدعو لنفسك وانت تدعو لغيرك، يعني دائمًا تخرج هذه الكلمة من لساننا " الله يوفقك إن شاء الله"، هكذا نقول لبعضنا: "الله يجزيك خير إن شاء الله"، قلنا أنها للتبرُّك لكن لا يصلح لطلبة العلم أن يخرج منهم مثل هذا، العامة يظنوا أن هذا تبرُّك بجهلهم لكن انت لا يصلح لك أن تكون بهذا الوصف.

إذن من كان قلبه ممتلًا علمًا عن الله كان حق الله عليه أن يتعلق به ولا يطلب غيره ولا يرجو غيره، ولا يسأل غيره، ثم إذا سأله كان ممتلأ بحسن الظن به.

إذن نربط هذا الباب بالأسماء: **من علم أن اسماء الله حسنى وصفاته علا أشتد حسن ظنه بالله.**

ننتقل إلى باب لا يقول: عبدي وأمتي.

باب لا يقول: عبدي وأمتي

في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي، غُلَامِي"

لازال هذا الباب له علاقة باعتقادك أن الله عز وجل له كمال الأسماء والصفات وأنه سبحانه وتعالى يستحق التعظيم فعلًا وقولا، ما صورته هنا؟ أن لا أحد يستحق إطلاق الربوبية له إطلاقًا إلا الله، ولا أحد يستحق إطلاق العبودية له إطلاقًا إلا الله عز وجل.

وإن كان هناك شراكة، هنا الكلام عن المعاني المشتركة، انتم تعلمون أن [رب المالك السيد المطاع] وهي تطلق على الخلق لابأس، بمعنى أن الرب [بالألف واللام] حق لله، لكن تستطيع أن تقول: [رب الدار، رب الفرس]، بمعنى سيدها ومالكها، فهذه من الألفاظ المشتركة التي إذا وصف بها العباد تكون لائقة بهم، لكن من تنزيه الله عز وجل أنه يجب عليك أن لا تأتي إلى هذه الألفاظ المشتركة وتستعملها بالإطلاق، هذا بالنسبة للربوبية.

يقابلها أيضًا العبودية؛ هناك نوع رق بين الناس، هناك عبودية، هناك أحد يكون سيد لأحد، المقصود به سيادة العبودية والرق لكن مع ذلك لا يصح وانت تتلفظ وتتكلم أن تجعلها مفتوحة مطلقة وإن كان هذا فيه نوع مشاركة لكن هذا قطع لإطلاق المشاركة.

نقرأ كلامه من أجل أن يتبيَّن المعنى.

قوله: باب لا يقول: عبدي وأمتي. ذكر الحديث الذي في الصحيح: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي، غُلَامِي"هذه الألفاظ المنهى عنها. وإن كانت تطلق لغة.

وإن كانت تطلق لغة كما اتفقنا، هناك شيء اسمه رب ويصح للعباد، ولغة هناك رق وسيادة وتصح للعباد.

فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها تحقيقًا للتوحيد

مادام هي مشتركة لماذا لا نستعملها بهذا الإطلاق؟ النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها تحقيقًا للتوحيد، ليبقى دائمًا في عقلك رب واحد وتبقى العبودية لواحد في القلب وعلى اللسان، حتى في الاستعمال للمحافظة على التوحيد.

وسدًا لذرائع الشرك

السبب الأول: إذن تحقيقًا للتوحيد.

السبب الثاني: وسدًا لذرائع الشرك.

لماذا؟لما فيها من التشريك في اللفظ. لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم. فإذا أطلق على غيره شاركه في الاسم.

إذا أطلق الرب على غيره شاركه في هذا الأسم.

فينهى عنه لذلك.

ينهى عن كلمة أطعم ربك، وضيء ربك، من أجل أن لا يحصل شيء من الألتباس في العقل، لما تدور هذه الكلمة وتستعمل يحصل شيء من الألتباس فالرب المعرف لا يكون إلا له سبحانه وتعالى.

وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى.

يعني حتى لو لم يكن المقصود التشريك في الربوبية لازال اللفظ ممنوع.

وإنما المعنى أن هذا مالك له. فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الإعتبار. فالنهي عنه حسمًا لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق.

إذن النهي عن أن يقول أطعم ربك، وضىء ربك، عبدي، أمتي، كل هذا حسمًا لمادة التشريك أي قطعًا لها، بين الخالق والمخلوق.

وتحقيقًا للتوحيد. وبعدًا عن الشرك حتى في اللفظ.

وهذا معناه أن الحمى محمية بالنسبة للتوحيد، أي شيء يمكن أن يوهم أبعد عنه حتى لو كان له مسوغ في اللغة، لكن أنت أبعد عنه وأجعل الأمر يخصه سبحانه وتعالى.

وهذا أعظم مقاصد الشريعة. لما فيه من تعظيم الرب تعالى،

ما هو أعظم مقاصد الشريعة؟ أن تحقق التوحيد وتبعد عن الشرك حتى في اللفظ.

وانت مادام تتصور هذا الأمر ويقال لك مع أن هناك مسوغ في اللغة أن تستعمل كلمة رب وتستعمل كلمة عبد، لكن مع وجود هذا المسوغ أتركه، والحديث هذا في الصحيح، فماذا تفهم؟ إذا كان مجرد لفظ لا ينطوي القلب فيه على اعتقاد [فالسيد والرب] هو المالك، [والعبد] هو المملوك، فهنا من جهة الملكية التي تناسب الخلق ومع ذلك نهي عنه، فمن باب أولى ما تراه فوق هذا من التعلق بغير الله ومن تعظيم غيره، يعني هناك من لا ينطق بكلمة رب وعبد لغير الله لكن قلبه امتلأ تعلقًا وتعظيمًا لغيره.

وبعده عن مشابهة المخلوقين، فأرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ. وهو قوله سيدي ومولاي وكذا قوله: ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي لأن العبيد عبيد الله. والإماء إماء الله. قال تعالى: " إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا " ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيمًا لله تعالى وأدبًا وإبعادًا عن الشرك وتحقيقًا للتوحيد،

هذه العلّة في المنع:

تعظيمًا لله.

أدبًا وإبعادًا عن الشرك.

وتحقيقًا للتوحيد.

وأرشده أن يقول الكلمات المقابلة، وهذا المفروض أن يكون ديدننا، نحن مثلًا ننهى عن كلمات تخاف من المشاركة فيها، مثلًا كما في الحديث في رواية أحمد: " وَإِنِّي لا أَثِقُ إِلا بِرَحْمَتِكَ" وتأتي كلمات يقول الناس فيها "الثقة بالنفس"، فلابد من ترك مثل هذه الكلمة التي توهم المشاركة والأستبدال، فبدلًا من الثقة بالله تأتي الثقة بالنفس.

ثم الناس يحتارون فيريدون أن يوصفون الشخص المعتز بقيمه فيقولون ماذا نقول بدلًا من واثق من نفسه؟ لأن الكلمة غابت عن أذهانهم زمنًا طويلًا وأن الشخص الذي يكون معتزًا بقيمه هو الذي يكون سائرًا على الصراط المستقيم، فانت قدم لهم بعد نهيهم بكلمة مثل هذه قدم لهم البدائل، ومن أقرب البدائل ما وصف الله عز وجل به المؤمنين في مسألة العزة وكيف أن له وللمؤمنين العزة فمعناه استخدم هذه اللفظة، فالمفروض أن المؤمن يكون معتز بما معه من قيم، معتز بالمنهج الصحيح الذى معه، معتز بأن له رب لا شريك له ولا ند له، ولذلك يكون له حامدًا شاكرًا أن جعله عبدًا له وليس عبدًا لغيره.

وأرشدهم إلى أن يقولوا: فتاي وفتاتي وغلامي وهذا من باب حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد، فقد بلغ صلى الله عليه وسلم أمته كل ما فيه نفع، ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين. فلا خير إلا دلهم عليه، خصوصًا في تحقيق التوحيد، ولا شر إلا حذرهم عنه، صلوات ربي وسلامه عليه خصوصًا ما يقرب من الشرك لفظًا وإن لم يقصد به. وبالله التوفيق.

علم من ذلك أن الشريعة لما أبعدتك تمام الإبعاد عن كل ما يكون سببًا للمشاركة ولو لفظًا، وهذا دليل على أن حمى التوحيد محمية، وأن كلما عظم في قلبك حق الله وقع في قلبك البغض أن يشارك الله أحد في شيءٍ من خصائصه ولو أتى هذا على سبيل اللفظ، وليس على سبيل الاعتقاد.

وهذه الدليل حجّة يحتج بها على كل من أطلق لسانه بمفاهيم وقال أنا أستعملت لغة العرب فيها وقال هذا لا يمنع مادام أن العرب يقولون، نقول: **استعمل سد الذريعة أدبًا مع الله وتعظيمًا له وتحقيقًا للتوحيد.**

كل هذا لن يحصل إلا إذا علمت كمال صفاته، ولذلك انت ستجد أن الأبواب القادمة كلها ستدور حول هذا المعنى، لو كنت تعلم عنه حق العلم لما وقع منك مثل هذه الأخطاء، لما وقع منك أن تأتي تعلق سؤالك، لو ما وقع منك أن تقول: عبدي وأمتي، أو تذكر ألفاظًا قد توهم أحدًا بمشاركة بين الله وبين خلقه.

في أخر هذا الباب نقول الفرق بين الرب والسيد.

أولًا الرب من اسماء الله تعالى بالإتفاق، في مقابل أن السيد حصل فيه اختلاف.

الأمر الثاني: أن في الحديث: " وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : رَبِّي ، وَلْيَقُلْ : سَيِّدِي مَوْلَايَ" فأصلًا في الحديث لم يأمر بقول: "السيد" من غير إضافة، إنما أمره بالإضافة بقول: "سيدي"، فهذا وجه الفرق بين رب وسيد.

في الحديث: "وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : رَبِّي ، وَلْيَقُلْ : سَيِّدِي مَوْلَايَ" فما الفرق بين سيد ورب؟ الرب اسم بالإتفاق في مقابل أن سيد هناك أختلاف في ثبوته.

الأمر الثاني: حتى لما أمر بسيد لم يأمر أن يقول "السيد مطلقًا إنما بالإضافة: "سيدي"، انت لما تقول: "رب" عقلك ينتقل إلى الله، لكن لما تقول: "سيد" هذه الكلمة لا تنقلك مباشرة لأن هناك اختلاف أصلًا في ثبوتها.

والرب من أصول أسماء الله، ألا نعرف أن أسماء الله لها ثلاثة أصول؟ [الله الرب الرحمن]، لذلك لا يأتي فيها اللبس، لكن السيد لا يعتبر من الأصول إذن على احتمال ثبوته، ثم في الحديث لم يأمره أن يطلق كلمة " السيد" إطلاقًا وإنما بالإضافة.

إذن هذا الباب لازال في الكلام حول المعظمين لربهم الذين يجدون في أنفسهم ما يجدون من اعتقاد كلام صفاته، فلا زالوا متحفظين في ألفاظهم، يخشون أن يقعون في لفظٍ لا يليق في حقه سبحانه وتعالى.

الرب	السيد
ثابت من أصول الأسماء	هناك أختلاف في ثبوته
ينتقل عقلك مباشرة إلى الله.	"السيد" من غير إضافة، إنما أمر بالإضافة بقول: "سيدي" في الحديث.

ننتقل إلى باب لا يرد من سأل بالله.

باب لا يرد من سأل الله

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ". رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

نبدأ أولًا نفهم ما معنى "لا يرد من سأل بالله"؟ كم عنصر هنا؟ سائل ومسئول.

السائل خاطبناه من قبل وقلنا له تعلق بالله.

الآن سنكلم المسؤول الذي يأتي أحد فيسأله ويطلبه ماذا يفعل؟ الحديث فيه " مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ" لماذا؟ دليل على ماذا؟ لازلنا في نفس الدائرة؛ لو كنت معظمًا لله سيكون كل تفكيرك ما لله عز وجل من حق عليك الآن، ولذلك لا تستغرب كثير من مواقف السلف من كونهم من أجله تعالى يتركون كثير من حقوقهم ويعطون كثير من الأشياء التي ليست هي حقوق عليهم، لكن كل هذا تعظيمًا لله.

ولذلك مر معنا سابقًا موقف ابن عمر رضي الله عنهما وهو صاحب المماليك والعبيد، فلما كان يرى مملوكًا من مماليكه يصلي ويحسن في صلاته يعتقه، فأصبحوا يتصنعوا له، وقيل له با ابن عمر يخدعوك، يتصنعوا لك من أجل أن تعتقهم، فقال: من خدعنا بالله إنخدعنا له.

فالمقصود أنك إذا تيقنت بأنك تعامل الله لن تشعر بثقلًا في معاملة الخلق، وقد نختار كثيرًا ونحن نشرح مرتبة الإحسان، وهي أن تعبد الله كأنك تراه، الثانية: " فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ!".

فالثانية واضحة؛ فاستحضر مراقبة الله واستحضر كمال سمعه سبحانه وتعالى وكمال بصره سبحانه وتعالى وأفهم ما معنى أن يراني، لكن الأولى صعبة: " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ" فماذا يعني هذا؟ تراه من وراء كل شيء فتعامله ولا تعامل خلقه، فتأتي إلى من حولك وتنظر لهم على أنهم جسور إلى ربك، وترى ربك في كل شيءٍ وترى أجره ومحابه ومباغضه من وراء كل شيء، وترى رزقه في كل شيء، فتعبد الله كأنك تراه، تراه في أرزاقه، تراه في عطائه، تراه في منعه، تراه في إبتلائه بالناس، تراه في أقداره وتدبيره، فترى عجبًا فيسمو قلبك كل ساعةٍ إلى معاملته، وهذا المعنى لازال صعب في الفهم فكيف بالتنفيذ؟!.

المهم أن هذا خطاب لمن عظم ربه أنك لا ترد سائلًا سألك بالله لأن الآن الحق أصبح لله، الحق تحول من هذا الشخص إلى الله.

قوله: باب لا يرد من سأل بالله.

ظاهر الحديث النهي عن رد السائل إذا سأل بالله. لكن هذا العموم يحتاج إلى تفصيل بحسب ما ورد في الكتاب والسنة، فيجب إذا سأل السائل ما له فيه حق كبيت المال أن يجاب فيعطى منه على قدر حاجته وما يستحقه وجوبًا، وكذلك إذا سأل المحتاج من في ماله فضل فيجب أن يعطيه على حسب حاله ومسألته،

يجب عليك أن تجيب من سألك بالله، لكن هذا على حسب حالك، أولًا لو سأل حق في بيت مال المسلمين وجب أن يعطى حتى لو لم يسأل بالله.

لكن لو عندك فضل مال أي زيادة، وسألك وهو محتاج، قال اسألك بالله أن تعطيني كذا، فيجب أن يعطيه ما يدفع حاجته على حسب حاله ومسألته، إذن لما يكون عندك مال وجب عليك أن تعطيه.

خصوصًا إذا سأل من لا فضل عنده، فيستحب أن يعطيه على قدر حال المسؤول ما لا يضر به ولا يضر عائلته،

في الحالة الأولى: عندي فضل مال، وسألني بالله؛ قال: بالله عليك أعطيني إيجار البيت، وأنا عندي فضل، أستطيع أن أعطيه الستمائة والثمنمائة فأعطيه، قال: اسألك بالله أعطيني، أعطيه ما يدفع حاجته بالظبط.

الحالة الثانية: دخل علي وقال: اسألك بالله أن تعطيني إيجار البيت، وأنا ليس عندي ما يكفيني، أو الموجود لن يكفيه هو، وعندي شيء بسيط، فمطلوب مني في هذه الحالة أن أعطي قدر حال المسؤول لا على قدر حال السائل، ليس على قدر حاجته بل على قدر إستطاعتي أنا.

وإن كان مضطرًا وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته.

يعني يأتيك على الباب ويقول لك مثلًا طردوني من البيت أو سيطردوا أبنائي، وانت الآن في ضيق شديد، وعليه إيجار خمسة ستة شهور، وقال اسألك بالله أن تعطيني، فأدفع على الضرورة، بمعنى أعطيه حق الشهر لأن صاحب البيت لو أعطيته حق شهر فينتظر عليه قليلًا، يعني ما يدفع الضرورة.

إذن هناك ثلاثة حالات الآن:

- الحالة الأولى: أن يأتي لواحد عنده فضل مال، كيف أنصحه لو أتاه من سأله بالله وهو عنده فضل مال؟ نقول مادام عندك فضل فأعطيه على قدر حاجته، لا تتركه.
- الحالة الثانية: ليس عنده فضل لكن سأله، قال اسألك بالله أن تعطيني هذه الحاجة، فيعطيه ما لا يضر به ولا بعائلته.
- الحالة الثالثة: إذا كان السائل مضطر والمسؤول لا يجد فضلًا، لا يجد زيادة لكن عنده ما يدفع الإضطرار، جزء من مشكلته أستطيع أن أحلعا فأعطيه ما يدفع عنه الإضطرار حتى لو كان سيقع علي شيء من الضيق.

إلى هنا فهمنا المسألة ما معنى أنك لا ترد من سأل بالله، لماذا لا ترده؟ تعظيمًا لله، ومقصدك في هذا أنه مادام سألك بالله وانت معظم لله فأنا أرجو ثواب الصدقة وأرجو ثواب تعظيم الله.

سينتقل الكلام الآن حول أجر الإنفاق.

ومقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين، وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم وضدهما من البخل والشح. فالأول: محمود في الكتاب والسنة. والثاني: مذموم فيهما.

نبدأ أولًا بالكلام حول مقام الإنفاق؛ الحقيقة هذا المقام يطول فيه الكلام لأنه العنصر الثالث في صلاح النفس، فالنفس تصلح بالتوحيد، هذا أصل صلاحها، وبالصلاة أي بالإحسان في العبادة، وبالزكاة يعني الإحسان في معاملة الخلق، فعماد صلاح النفس على ثلاثة، وانظر لها كأنها مثلث: - قاعدته التي هي الأصل التوحيد.

ثم ضلعيه اللذان يلتقيان فيتشكل في ذلك الإصلاح:

- الإحسان في عبادة الله يمثله الصلاة.
- والإحسان في معاملة الخلق تمثله النفقة الواجبة والمستحبة.

وأنا أرجو من الله أن يخلصنا من حظوظ أنفسنا، فمن حق من أستقام أن يوعظ في مسألة النفقة، لكن كثير من الأحيان يردنا عن الوعظ في مسألة النفقة خوف من أن يظن الناس أننا لهم طالبين، وهذا الحقيقة نوع تقصير، المفروض أن تأمر بالتوحيد، وتأمر بالإحسان في عبادة الله، وتأمر في الإحسان في معاملة الخلق، بكل أنواع الإحسان.

لكن من شدة ما ترى من شح وترى من سوء ظن وترى من حب للدنيا وترى من أمراض الشك في الناس، تجد واحد عنده قائمة من التجارب السيئة، هذا من عنده قائمة من التجارب السيئة ويظن في الناس أنهم يطلبون وهم غير صادقين إلى أخره سأحثه على ماذا؟!من الصعب حثه، لكن نرجع نقول هذا خطأ، المفروض نبقى على تذكير اخواننا بما يصلحهم، خصوصًا أن هذه الأموال تتحول إلى نيران تحرق صاحبها إذا عاملها بالبخل والحرص.

لهذا سنوجه لكم عدة اسئلة قريبًا تبحثون عن إجابتها في كتب الحديث وتكون لكم السنة واعظة، فتسمعون انتم بأنفسكم كلام النبي صلى الله عليه وسلم وتقرأون معناه، واسأل الله أن يجد ذلك في قلوبكم منفذا، فيصلح القلوب على الإنفاق ويدفع عنها ما جبلت عليه من شح ويرزقنا الكرم بكل أنواعه، ونحن بهذا الكلام لا ننسى من شرح الله صدره للعطاء والجود والكرم

فكان له سهمًا في كل خير، لا ننساه، لا نقول هذا عامة الحال، نقول أن هناك كثير ممن فتح الله عز وجل عليه وأنفق في سبيل الله.

واليوم أهم ما ينفق فيه نشر العلم بين الناس، فهذا والله أعلم نحن نحتاج إلى أنواع من كفالات العلم وطلبة العلم، وأنواع من طباعة الكتب ونشرها للحجاج والمعتمرين، كما أننا نحتاج إطعام إخواننا فنطعم أبدانهم ونطعم قلوبهم، وهذان عملان شريفان فتستعجب أن من أعظم الصدقات سقيا الماء، ومن أكثرها مكانة بالنصوص سقيا الماء، أين سقيا الماء اليوم؟! أين تراها؟! تكاد تقول أنها نادرة، مع أن بلادنا قريبًا قبل ست سبع سنوات كنت تجد في الحي الواحد أكثر من برادة ماء يشربوا الناس منها، لكن بدأت هذه الظاهرة تختفي، والعلة في ذلك والله أعلم عدم الوعظ في هذا، نسيوا الناس النصوص التي تدل على أهمية هذا النوع من الإنفاق، المهم أن الناس يتفاوتون.

أنا أشرح في هذا كله: ومقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين، وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم وضدهما من البخل والشح.

لما يقول لك من أشرف مقامات الدين فلا تستهيني بهذا الكلام، معناه أمر عظيم، لكن لماذا الناس يتفاوتون؟ قال لك بسبب ما في نفوسهم من طباع، ناس ربنا ساعدهم على الكرم والجود وناس وقع فيهم البخل والشح، لكن انظري كيف يعالج في القرآن بخلهم وشحهم، فقد تكرر في القرآن الكلام عن هذا.

سيذكر جزءًا منه:

وقد حث الله تعالى عباده على الإنفاق لعظم نفعه وتعديه وكثرة ثوابه. قال الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد * الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم "

هذه الآية واضح فيها الأمر بالإنفاق، وواضح فيها من عدوك الذي يمنعك ويثقل عليك ويثير قلبك إلى البخل والشح.

وقال تعالى: " وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه " وذلك الإنفاق من خصال البر المذكورة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

خصال البر وأهله من أهم الخصال: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ هذا كله يتصل بالتوحيد، ثم مباشرة: ﴿وَآتَى الْمَالَ﴾ ثم ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ وأقام الصلاة وآتى الزكاة، فهذا التكرار الحاصل إشارة إلى المكانة العظيمة.

فمعنى هذا أن هذا الفعل – الإنفاق- من قواعد الصلاح والإصلاح، يعني من أجل أن تصلح عالج قلبك بإنفاق مما تملك، ومن أجل إصلاح المجتمع لابد أيضًا من التعامل بالإنفاق، تصلح ويصلح المجتمع بهذا الإنفاق.

فذكره بعد ذكر أصول الإيمان وقبل ذكر الصلاة. ذلك. والله أعلم. لتعدي نفعه. وذكره تعالى في الأعمال التي أمر الله بها عباده. وتعبدهم بها ووعدهم عليها الأجر العظيم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

أولًا في آية البقرة قال: بعد ذكر أصول الإيمان وقبل ذكر الصلاة. ذلك . والله أعلم . لتعدي نفعه.

يعني النفع المتعدي هذا من أسباب صلاحك وصلاح المجتمع، فانت ليس لك دورًا فقط في صلاح نفسك إنما لك دور أيضًا في صلاح المجتمع، ثم أنك لما تنفق مالك لا يطلب منك شديد التحري كما أنك لو تنفق مال غيرك، لما يأتي أحد يعطيني مال ويقول لي أنفقيه على طلبة العلم، يجب أن أتحرى جيدًا أن أنفقه عليهم، لكن لما يكون مالي أنا الذي أنفقه ليس شرطًا أن تتحرى تمام التحري، فإذا كان ظاهر الأمر أن هؤلاء يستحقون فيصح منك أن تعطي على ظاهر الأمر، ففرق أن يكون مالك تنفقه أو مال غيرك تكون مسؤولًا عنه.

نحن نرجو من الله أن تتكون قاعدة من المشاريع التي فيها خدمة لطلبة العلم سواء كان من خدمة نشر الكتب في كل مكان، أو خدمة كفالة طلاب العلم، أو خدمة إيصال العلم إلى القرى، تتكون قاعدة أولًا من المعلومات ليترتب عليها قاعدة من الإنفاق لأن هذا فيه من الصلاح ما لا تتصوره.

أتكلم عن الواقع الآن أنك تنظر إلى أشخاص أمامهم طريقان:

- طريق أنها تذهب فتترزق، يطلبون الرزق كما يتصورون أن هذا باب، فتدخل في الأعمال المشبوهة، مثل كثير ممن دخل في صالونات التجميل، أصلًا هذا عمل سيسبب لها ان تدخل في الوصل، نتف الحواجب إلى أخره، وفي المسائل التي فيها شبهة.
- أو هذا الشخص نفسه تنفق عليه فيتعلم، تقول له أنا أكفيك المؤونة وانت سر وتعلم، لأن لما يكون هذا مثلًا طالب علم بيت مال المسلمين ينفق عليه، وكما ترى في الجامعات ينفق على الطلاب في جميع المجالات يدفع له مكافأة، لأنه في جميع لمجالات سواء شرعية أو غير شرعية، لأنه لن يصلح هو وحده إنما سيصلح هو وسيكفي المجتمع شره وسيصلح المجتمع مستقبلًا بسببه، فلذلك ينفق على التعليم.

الحقيقة هذا باب من أعظم الأبواب، نحن لسنا قادرين على الإنفاق عليهم بطريق أنهم يتركون هذه المجالات ويأتوننا، ليس هذا فقط، نحن لما يأتوننا نقول لهم أدفعوا الرسوم، فأنا لا أشتكي إليكم الشكوى إلى الله، لكن أقول أن هذا الباب في كل مجال يجب أن يسد، يجب أن يحصل نوع تعامل ممن معه مال والثاني من يفتح مدرسة تحفيظ في أي مكان، تقول له هذا مال ويعطي هؤلاء بعينهم، تذهب تبحث عن من يدخل هذا المجال ليس لأنه يحب أو هواية له، مضطر ليطلب الرزق، لا تتصور أن مثل هذا فيه إتكالية، هذا لما يتعلم ويفهم سيسد ثغرات، ويعمل أعمال حقيقة تكون سبب لصلاح المجتمع، وأقلها أن لا يجر إلى الفساد، وانتم تعلمون أن هذه الأبواب لو فتحت بها منحدرات خطيرة تخرج الإنسان من حد الأعتدال إلى أن يقع الإنسان في حدود الكبائر والمحرمات.

أولًا وأخرًا الشكوى وحده لا شريك له، نحن نقول هذه فرصة أن يعود أصحاب الأموال لجمع قواهم على ألتقاط هؤلاء لأن هؤلاء بالظبط هم هدف التبشيريين، هم هدف عبدة الشياطين، هم هدف الإيمو، هم هدف كل فكر يدخل علينا، وأصحاب الطبقة المترفة هدف بطريقة أخرى، هؤلاء يصلح حالهم بالإنفاق وهذا يصلح بما أُنفق عليه بهذا يتكاتف المجتمع، أنت ستغنينه أكلًا وشربًا وتفتح له باب القربة فيكون كله فى ميزانك.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء. نصحًا للأمة وحثًا لهم على ما ينفعهم عاجلًا وآجلًا.

نحن لما نحث بعض على الصدقة هذا نصح، هذا كلام أقوله من أجل أن ننتفع عاجلًا وأجلًا، والحقيقة ما هو موجود في الواقع يجعل الحرج في قلوبنا أن نتكلم في هذا الموضوع، لأن كثيرين ممن يوعظوا في الإنفاق يتصورون أنك تأخذ منهم، لكن حق السامعين والمتعلمين على معلمهم أن يكون لهم ناصحًا فيرشدهم إلى ما ينفعهم عاجلًا وأجلًا.

ويكفينا في ذلك الخبر الذي أتى أن أكثر أهل النار النساء ثم أتى الأمر: "فَتَصَدَّقُوا" لماذا فتصدقوا؟ كأن هذا حجاب لك من النار، شق تمرة، شقها يدفعك عن النار، فما بالك بالإنفاق أكثر من ذلك.

ولهذا لا تتصور من ربك الشكور إلا أن يضاعف لك وهو عنك غني، هؤلاء يريد الله بهم الصلاح ويصلحون ويأتون ويتقربون ولو بعد حين وانت ستخرج خسران، لا تتصور أنك عليهم مان!، هم سيصلحوا بك أو بغيرك، سيرزقوا بك أو بغيرك، لكن المهم تفهم أن هذا الذي أقبل عليك محتاج به أشرقت شمس الأجور.

ولهذا كان السلف يرون اليوم الذي لا يطرق عليهم محتاج الباب أكيد أنهم فعلوا ذنبًا منعهم هذا الباب العظيم، تصور اليوم الذى يرى عدم وجود المحتاج يطرق بابه معناه أن ذنبًا أوقعه فمنع عنه هذا الخير، لأنه لا يعامله إنما يعامل ربه.

وقد أثنى الله سبحانه على الأنصار رضي الله عنهم بالإيثار، فقال تعالى: " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " والإيثار من أفضل خصال المؤمن كما تفيده هذه الآية الكريمة،

نعم ليس مجرد الإنفاق – الآن نحن تحولنا إلى مرحلة أعلى منها– وهي "الإيثار" ، فتنازعك نفسك على هذا الذى تملكه وتحبه وأنت يمكن تستغنى عنه، ليس من قوام حياتك يمكن أن تستغني عنه ولو نوع استغناء، وتكون أحيانًا لم تستمتع به بعد، لم تذقه بعد، لم تلبسه بعد، بل أحيانًا لم تقتينه بعد، اشتريته وقبل أن تقتنيه جاء أحد في الوسط ويقول لك: أنا إلى هذا الشئ محتاج، فتمد يدك إليه ليس من ملل من هذه النعمة وإنما وأنت في أشد الحاجة بل الشوق إلى استعمالها إلى اقتنائها إلى قربها إلى لبسها إلى التمتع بها، ومع ذلك تدفعها منتظرًا أن ينمو أجرك عند الله.

وقد قال تعالى: " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ".

انظرى إلى ما قام فى القلب: لا نريد منكم جزاء ولا شكورا أنتم إنما نحن نعامل ربنا، وهذه درجة الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فأنت لا تفكر فى هذا الذي أمامك أن يثني عليك، ولا تطالب أحد بالثناء والشكر، إنما أنت رُبيّت على أن تشكر من أحسن إليك شكرًا ائتمارا بأمر الله، ولا تنتظر بل تنهى أحدًا أن يشكرك طلبًا للأرتفاع عند الله.

- يعني الشخصية واحدة، إذا أُحسن إليها شكرت ائتمارا بأمر الله.
- وإذا أَحسنت امتنعت عن أن تقبل شكرًا لأن الشكر والحمد أولًا وآخرا لله.

وهذه التربية العجيبة أن ترى الناس أسبابًا للوصول إلى الله

⇦ فهذا تشكره إذا أحسن تشكره طلبًا لرضا الله

⇦ وهذا تمنعه عن الشكر إذا أعطيته طلبا لرضا الله.

والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة جدًا، ومن كان سعيه للآخرة رغب في هذا ورغب، بالله التوفيق.

يعني ماذا يكون دوري؟ أنا أرغب فى هذه الأبواب وأيضًا أحسن إلى الناس حولي وأرغبهم فيها ، واليوم الشيطان يثقل علينا أن نُرَغِّب الناس في باب الصدقة، يثقل علينا لأننا لا نريد أحد يتكلم علينا، هو الحقيقة من زمن أصبح هذا موقف محرج، في زمن أصبح الناس متصورين أن كل الناس عندهم دين لا يأتي يكلمك عن الصدقة إلا من أجل أن تضع في يده وليس من أجل أن يحثك، من أجل ذلك نحن نقول افتحوا هذا الباب على أنفسكم على مصرعيه.

وليس شرطًا أن تسيروا في خط واحد، ليس شرطًا أن يكون في مكان واحد أو شخص واحد، أنت حولك مدارس تحفيظ وحولك أيضًا أماكن يمكن أن تصل هذا إلى هذا، انظر إلى البعيد وقل له تعال أنا أنفق عليك لتتعلم، ترى في مسجد الحي، ترى في الحرم، ترى في كل مكان، ممكن أن تقول له تعال أنفق عليك وأنت أذهب للتعلم.

خصوصًا لو كنت أنت صاحب خبرة، وتشعر أن هذا يطلع منه، أو تشعر أن هذا قرأ قراءة جيدة أو أن هذا جلس جلسة طيبة، فمثل هؤلاء هاتهم، رغبهم، وأنفق عليهم ويكون أجرك عند الله.

ولذلك قال: "ومن كان سعيه للدار الآخرة" رغِبَ في هذا ورَغَب، ولهذا أرغب فيه ورغِب الناس، ولتخرج من الملامة لا تقل للناس: أنا عندى مشاريع وشاركونى، لألأ، الأبواب مفتوحة على مصراعيها في أي مكان.

ثم احذر ممن أوقعه الله في حبال الوسوسة، ابتلاه الله بالشيطان يوسوس له فى كل أحد، طبعًا هناك ناس متبيِّن أنهم كذابين لكن أكثر من هذا لا يكون فى قلبك شك للناس .

قوله: من دعاكم فأجيبوه هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض: إجابة دعوة المسلم، وتلك من أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين.

من صنع لكم معروفًا فكافئوه

قوله: ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه ندبهم صلى الله عليه وسلم على المكافأة على المعروف، فإن المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله ورسوله، كما دل عليه هذا الحديث ولا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللئيم من الناس، وبعض اللئام يكافىء على الإحسان بالإساءة،

الناس ينقسون إلى قسمين: كريم ولئيم

الكريم ماذا سيفعل؟ الكريم من أول الوصف سينفق وخصوصًا لو سُئل بالله، نحن الآن نقول هذا الحديث يربى شخصية: "" مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ"، وكل هذه المعاملات من أجل الله، أنت لو أحد سألك بالله فأعطه.

لو بالعكس كما اتفقنا: "وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ" كافئوه على صناعة المعروف، لماذا؟

قال: فإن المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله ورسوله، كما دل عليه هذا الحديث

إذن أنت ستكافئه مروءة والمروءة هذه لأن الله عز وجل يحبها ورسوله.

كما يقع كثيرًا من بعضهم. نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة،

الذي هو عمل اللئام أن يُحسن إليه فيقابل الإحسان بالإساءة.

ونحن يؤسفنا أن ذلك كثير في طلبة العلم لمشايخهم وعلمائهم لكن الشكوى إلى الله من الإساءات وخصوصًا من الوقوع فى كبائر الذنوب من الغيبة والاشتغال بأعراض العلماء، وهذا الأمر بلاء العصر لكن نرجو من الله أن يرد طلاب وطالبات العلم إلى الاستقامة النفسية.

والإستقامة النفسية هذه مشكلة عظيمة نعيشها، ليس هناك إستقامة نفسية عند الناس، طالب علم مليء بالعلم لكنه ليس سويًا نفسيًا، فما أن يرى خطأ إلا وينقض على صاحبه كأنه وجد فريسة وهو الأسد يلتهمه بلسانه فما أسوئها من مكافئة، هذا جرح كبير نرجو من الله أن يجبره في قلوبنا على علمائنا ومشايخنا.

بخلاف حال أهل التقوى والإيمان فإنهم يدفعون السيئة بالحسنة طاعة لله ومحبة لما يحبه لهم ويرضاه،

نبقى على نفس القانون أفعل هذا الفعل طاعة لله محبة لما يحبه ويرضاه، أُكافئ من صنع لي معروفًا ليس هذا فقط بل أدفع بالسيئة الحسنة.

كما قال تعالى: " ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون " وقال تعالى: " ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم " وهم الذين سبقت لهم من الله تعالى السعادة.

انتيهنا الآن من تصرفات الشخص السوى نفسيًا.

نأتي نقول إذا لم تجد ما تكافئه:

قوله: "فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له"، أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى أن الدعاء في حق من لم يجد المكافأة مكافأة للمعروف: فيدعو له بحسب معروفه.

يعنى الدعاء في حق من لم يجد المكافأة، أنا ما وجدت الآن أن أكافئك فماذا أفعل؟ أدعو لك.

قوله: تروا . بضم التاء تظنوا . أنكم قد كافأتموه ويحتمل أنها مفتوحة بمعنى تعلموا. ويؤيده ما في سنن أبي داود من حديث ابن عمر: حتى تعلموا فتعين الثاني للتصريح به.

يعني بالضم أو بالفتح؛ إذا كانت بالفتح يعنى: "حتى تعلموا" وهذا يؤيده مارُوي عن ابن عمر في سنن أبي داوود.

وفيه: من سألكم بالله فأجيبوه أي إلى ما سأل. فيكون بمعنى: أعطوه، وعند أبي داود في رواية أبي نهيك عن ابن عباس: من سألكم بوجه الله فأعطوه، وفي رواية عبيد الله القواريري لهذا الحديث. ومن سألكم بالله كما في حديث ابن عمر.

على كل حال انتهى الوقت الحمدلله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سيكون لقاءنا اليوم وغدًا وبعد غدًا إكمالًا لشرح كتاب التوحيد قراءة من فتح المجيد.

بلغنا المرة الماضية في كلامنا باب: "لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة"، نقرأ المتن أولًا ثم إن شاء الله نقرأ شرحه ونعلق بما يتيسر ويفتح الله به علينا.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

بـاب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلا الْجَنَّةُ ".رواه أبو داود

أولًا هذا الباب له علاقة بالباب السابق، فالباب السابق كان اسمه [باب لا يُرد من سأل بالله] فكان الكلام حول المسؤول، على المسؤول أن يعظم الله عز وجل، فإذا طُلب منه وسُئل بالله عليه أن يعظم الله في قلبه فلا يرده، وتكلمنا عن تفاصيل ذلك وتكلمنا عن تفاصيل مسألة السائل، وحقه إلى آخره.

المقصود أن من سأل بالله عليك يا أيها المسؤول أن تعظم ربك فتستجيب لسؤاله، لأنه سألك بعظيم، وأنت تُعَظِّم هذا العظيم فتستجيب لسؤاله به، وما سألك بالله إلا وهو يعظمه، ويريد منك أن تعطيه حاجته لتعظيمك لله.

أما هذا الباب فهو تأديب للسائل، أما الذي سبق كان تأديب للمسؤول، وهنا تأديب للسائل، وفيه إشارة إلى تعلية الهمم، وتعظيم المرادات، وأن من تعظيم الله أن لا يُسأل بوجهه إلا الجنة.

نبدأ أولًا بإثبات صفة الوجه، ثم نناقش مسألة السؤال.

إثبات صفة الوجه

ورد في إثبات صفة الوجه أدلة كثيرة منها آية سورة الرحمن، يقول الله عز وجل في سورة الرحمن: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ الصفة هنا، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٦٢٦]، عندما تقرؤها لا بد من الإتيان بالمعطوف، أي: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ معطوفة على ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[٦٢٧]، فيظهر لك نقص الخلق وكماله سبحانه وتعالى، **بمعنى أن الخلق كلهم يفنون، وأنه سبحانه وتعالى لا يفنى.**

والوجه معناه معلوم، لكن كيفيته مجهولة، لا نعلم كيف هو وجه الله عز وجل، كما أننا لا نعلم كيفية باقي الصفات، لكننا نؤمن بأن له وجهًا موصوفًا بالجلال والإكرام، موصوفًا بالبهاء والعظمة والنور، و كما ورد في صحيح مسلم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"

[٦٢٦] الرحمن:٢٧

[٦٢٧] الرحمن:٢٦

"سُبُحَاتُ " البهاء والعظمة والنور.

"مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ" وبصره ينتهي إلى كل شيئ

وعليه فلو كُشف هذا الحجاب – الحجاب نفسه من نور، وفي رواية أنه سبعون حجابا من نور– ولو كُشف الحجاب – والحجاب نور عن وجهه سبحانه وتعالى – لأحترق كل شيء.

ولهذا نعتقد أن وجهه سبحانه وتعالى عظيم، لا يمكن أبدًا أن يماثل وجوه الخلق، وهو ليس كمثله شيء، ولا يحيطون به علما، فإذا حاول أحد أن يتصور هذه الكيفية بقلبه أو أن يتحدث عنها بلسانه، سنقول أنك قد وقعت في بدعة!، فما لك إلا أن تُسلِّم بما له من كمال صفات.

والله عز وجل أخبر عن هذه الصفة ووصفها – أي أخبر عن صفة الوجه – "ذو الجلال والإكرام" هذا صفة للوجه.

فالجلال: معناه العظمة والسلطان.

والإكرام: يعني المكَّرم، صاحب الوجه المعظَّم المكرم، وهو مُكرِم لمن يستحق الإكرام من خلقه.

فهو لجلاله وكمال سلطانه وعظمته أهل لأن يُكرَم ويُثنى عليه سبحانه وتعالى.

وأما إكرامك لله – يعني أن الإكرام هو إكرام كل أحد بحسبه، إكرامك للخلق بحسبهم، وإكرامك لله بحسبه – فأما إكرامك لله بأن تقدره حق قدره، وأن تعظمه حق تعظيمه، لا لاحتياجه لإكرامك فالله عز وجل مستغنٍ عنك وعن كل الخلق، ولكن ليمنَّ عليك بالجزاء، **فهو لا يحتاج إلى إكرامك، ولكن ليمنَّ عليك بالجزاء.**

ففهمت من آية سورة الرحمن إثبات الوجه، وإثبات الجلال والإكرام للوجه.

أيضًا ورد في سورة القصص قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[٦٢٨] ففيه إثبات لصفة الوجه، وهذا الأمر يجعلك تبتغي وجهه في العبادة، والآية التي تسبق هذه الآية في سورة القصص ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾

فكأنه يقال لك: وتُدفع إلى الإخلاص تعظيمًا في ابتغاء وجهه، فكل شيء يفنى إلا وجهه عز وجل، وكل شيء من الأعمال يذهب هباء ويبقى ما أريد به وجهه عز وجل.

على كل حال؛ المقصود هو الإخبار عن صفة الوجه، وأنها صفة ذاتية خبرية، **ولا تلتفت لمن قال أن الوجه معناه: الثواب!!،** فقد صرحت الآيات التي أتت بلسان عربي مبين بإثبات الوجه له.

وكيف يقال عن الثواب أنه ذو الجلال والإكرام؟!

هل يصلح أن نقول جزاء المتقين ذو جلال وإكرام؟!.

وماذا تقول في قوله صلى الله عليه وسلم: "حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"؟! فهل الثواب له هذا النور الذي يحرق ما انتهى إليه بصره من الخلق؟!

على كل حال؛ المقصود أن تثبت هذه الصفة كما أثبتها الله عز وجل لنفسه معتقدًا أن هذه الصفة هي صفة كمال، وأنك لا تستطيع معرفة كيفيتها.

---

[٦٢٨] القصص:٨٨

إن شاء الله إذا يسر الله لنا الحال، وبدأنا نتعلم في الواسطية سنتفق على ماذا نعتقد في هذه الصفة بشيء من التفصيل.

المهم أن تنظر إلى آية سورة الرحمن وترى كيف أنه المطلوب منك إجلال وجه الله وإكرامه، ومن إكرامه تقديره وتعظيمه سبحانه وتعالى حق التعظيم والتقدير، ومن إكرامه سبحانه وتعالى تقديره حق التقدير، هذا المعنى يناسب هذا الباب جدًا فيقال لك يا سائل: عظِّم وجه الله وأكرمه غاية الإكرام، ومن إكرامه غاية الإكرام أن لا تسأل بوجه الله العظيم إلا الجنة، فتسمو مقاصدك، وتعظِّم أمر الآخرة الباقية على أمر الدنيا الفانية.

نقرأ كلامه في الشرح في فتح المجيد:

قال المصنف رحمه الله تعالى:

باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلا الْجَنَّةُ ".رواه أبو داود

الشرح:

قوله: باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

ذكر فيه حديث جابر . رواه أبو داود عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ".

وهنا سؤال: وهو أنه قد ورد في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الطائف حين كذبه أهل الطائف ومن في الطائف من أهل مكة، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء المأثور: " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيدٍ يتجهمني، أو إلى عدوٍ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي" وفي آخره: " أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة. أن يحل على غضبك، أو ينزل بي سخطك. لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله "

والحديث المروي في الأذكار: " اللهم أنت أحق من ذُكر وأحق من عُبد . وفي آخره . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض " وفي حديث آخر: " أعوذ بوجه الله الكريم، وباسم الله العظيم وبكلماته التامة من شر السامة واللامة، ومن شر ما خلقت، ومن شر هذا اليوم ومن شر ما بعده، ومن شر الدنيا والآخرة "

وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة بالأسانيد الصحيحة أو الحسان.

أي أن هذه الأحاديث التي ذكرها دائرة بين أن تكون صحيحة وحسنة.

لكن ما سؤاله؟ السؤال يقول: هو ذكر حديث جابر الذي رواه أبو داود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلا الْجَنَّةُ ".

وهنا سؤال وهو أنه قد ورد عند دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند مقدمه من الطائف ورد في الحديث، ماذا ورد؟ ورد سؤال الله بوجهه ولكن شيء غير الجنة، هذا هو مقصوده: **ورد سؤال بوجه الله لكن لم يكن المطلوب الجنة.**

فالجواب:

أن ما ورد من ذلك فهو في سؤال ما يقرب إلى الجنة أو ما يمنعه من الأعمال التي تمنعه من الجنة، فيكون قد سأل بوجه الله وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة كما في الحديث الصحيح: " اللهم إني أسألك الجنة وما يقرب إليها من قول أوعمل، وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول أوعمل "

بخلاف ما يختص بالدنيا كسؤال المال والرزق والسعة في المعيشة رغبة في الدنيا، مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك ما يعينه على عمل الآخرة. فلا ريب أن الحديث يدل على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله. وعلى هذا فلا تعارض بين الأحاديث. كما لا يخفى. والله أعلم.

المقصود: علو الهمة.

فالمنع الوارد في الحديث أن تسأل الله بوجهه العظيم الدنيا، ومن ثم يصح لك أن تسأل بهذه الصفة الجنة، **يعني منعت عن سؤال الدنيا إذن اسأل به الجنة وما يقرب إلى الجنة، واستعذ بهذه الصفة أيضًا عما يبعدك عن الجنة.**

فكأنك تفهم أن ليس المقصود أن المسموح به فقط لفظة "الجنة"؛ إنما اسأل الجنة واسأل كل ما يقرب إليها، واستعذ من كل ما يبعد عنها، واترك أن تسأل بوجه الله الدنيا، هذا الذي يصبح عليك ممنوعًا، فلا تسأل الله ولا تسأل الخلق بوجهه شيء من الدنيا، **إنما اترك سؤال الخلق، واسأل الله بوجهه الجنة.**

وحديث الباب من جملة الأدلة المتواترة في الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى. فإنه صفة كمال: وسلبه غاية النقص والتشبيه بالناقصات. كسلبهم جميع الصفات أو بعضها. فوقعوا في أعظَمِ مما فروا منه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وهنا يتكلم عمن أنكر صفة الوجه تعظيمًا لله، **سلب الله عز وجل صفة ثابتة له هذا فيه تشبيه الله عز وجل بالناقصات،** كما فعلوا فسلبوا جميع الصفات فشبهوه بالعدم، لأن لا شيء يمكن أن يكون بلا صفة، ثم أن الله عز وجل أخبرك عن الصفة، فما بالك تتكلم فيما لا يعنيك؟!! وتنفي ما أثبته الله وتثبت ما نفاه الله؟!.

لا بد من تعظيم الله حق التعظيم، ولابد أن يكون من آثار هذا التعظيم احترام وتبجيل ما أخبر الله به عن نفسه أو عن غيره، احترم الخبر الذي يأتيك من الله.

وطريقة أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا. الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته على ما يليق بجلال الله وعظمته، فيثبتون له ما أثبته لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، وينفون عنه مشابهة المخلوق. فكما أن ذات الرب لا تشبه الذوات فصفاته كذلك لا تشبه الصفات، فمن نفاها فقد سلبه كماله.

ونحن مرت معنا هذه القاعدة في مسألة الصفات؛ أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما أن الناس كلهم يتفقون على أن ذات الله غير ذوات الخلق، كذلك صفات الله مختلفة عن صفات الخلق.

وأنت ترى أن ذاتًا مثل ذات الباب لها يد، وذات مثل ذات الحقيبة أو ذات مثل ذات الإنسان لها يد، فهل هذه اليد مثل هذه اليد؟! الجواب: اختلاف الذوات سبب في اختلاف الصفات.

انتهى كلامه عن الباب، خرجنا بالتقريرات التالية:

- التقرير الأول: إثبات الوجه صفة لله مع عدم التكييف ولا التحريف.
- التقرير الثاني: أن وجه الله تعالى موصوف بأنه ذو الجلال والاكرام.
- التقرير الثالث: ومن إكرامه وتعظيمه عدم سؤال الدنيا به ، أو سؤال الناس بهذا الاسم وحصره علي طلب أمر الآخرة.

ولا يعارض هذا أن يكون ورد في النصوص سؤال الله عز وجل بوجهه شئ ليس فيه لفظ كلمة "الجنة"، لأن المقصود ليس اللفظ إنما المعنى، يعني اسأل الله الجنة وما يقربك منها، ولاتجعل همّتك دنية!، إنما اجعلها علية واطلب أمر الآخرة.

نأتي بأدلة أخرى تثبت هذه الصفة له سبحانه وتعالى.

أريد منكم أن تفكروا في أقل من خمس دقائق على أدلة من القرآن تحفظونها ورد فيها إثبات صفة الوجه.

إجابة إحدى الطالبات ورد من الأستاذة: أولًا إجابة ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[٦٢٩] ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[٦٣٠] ، من أين لك هذا؟ نحن نتكلم عن إثبات صفة الوجه فكيف تأتون بهذا دليلا؟ لا تثبت الصفة بالاستنتاج!!، لابد من لفظها.

باقي الأدلة صحيحة: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم﴾ ﴿إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ هذه كلها أدلة صحيحة على إثبات صفة الوجه لله عز وجل.

---

[٦٢٩] طه:٣٩

[٦٣٠] القمر:١٤

باب ما جاء في اللو

وقول الله تعالى: (يَقُولُونَ لَوْكَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا)[٦٣١].

وقوله: (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا)[٦٣٢].

في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ".

قراءة الشرح

باب "ما جاء في اللو"

أي من الوعيد والنهي عنه عند الأمور المكروهة، كالمصائب إذا جرى بها القدر لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسى على ما فات، مما لا يمكن استدراكه، فالواجب التسليم للقدر، والقيام بالعبودية الواجبة وهو الصبر على ما أصاب العبد مما يكره. والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة. وأدخل المصنف رحمه الله أداة التعريف على " لو" وهذه في هذا المقام لا تفيد تعريفًا كنظائرها، لأن المراد هذا اللفظ كما قال الشاعر:

رأيت الوليد بن اليزيد مباركًا شديدًا بأعباء الخلافة كأهله

وقول المصنف رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾. قال بعض المنافقين يوم أحد، لخوفهم وجزعهم وخورهم.

قال بن إسحاق: فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله ابن الزبير قال: قال الزبير: لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم. فما منا من رجل إلا ذقنه في صدره، قال: فو الله إني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم: لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ها هنا. فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله عز وجل: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ لقول معتب رواه ابن أبي حاتم.

نبدأ الآن من أول الكلام حول هذا الباب المهم وهو باب: "ما جاء في اللو".

سيدور هذا الباب على إيماننا بالقضاء والقدر وعلاقة التوحيد بالقضاء والقدر شديدة الوضوح، وقد سُئل الإمام أحمد عن الإيمان بالقضاء والقدر فقال: "القدر قدرة الله"، أي سيؤمن بالقضاء والقدر من يعلم أن الله عز وجل على كل شيءٍ قدير، وأنه بكل شيءٍ عليم.

سيتبيَّن لنا أكثر علاقة القضاء والقدر وإيماننا به، وعلاقة ذلك بالتوحيد عندما تأتي عند باب منكري القدر، يعني مناقشة مسألة القضاء والقدر لها طريقين:

---

[٦٣١] آل عمران:١٥٤

[٦٣٢] آل عمران:١٦٨

▪ طريق في الأحداث والأوضاع التي تكون على العباد، أي بعدما ينزل عليك القضاء والقدر إلى أي درجة يكون توحيدك وعلمك عن الله، وإلى أي درجة يكون ضابطًا لك، موجهًا لك في ردة فعلك هذا ما سندرسه في باب ما جاء في اللو.

▪ أما في باب ما جاء في منكري القدر، فسندرس نوعًا آخرًا من الإيمان بالقدر يتعلق أيضًا باعتقادنا بصفات الله وبقدرته.

⇦ هناك يتبيَّن أكثر وبصورة مجملة في مسألة القضاء والقدر، في مسألة [العلم والكتابة..] مراتب القدر كلها.

⇦ هنا سنتكلم عن حالة من حالات القضاء والقدر التي تصف حال العبد بعد وقوع القدر.

قال المصنف: باب ما جاء في اللو.

يقصد ما جاء من النهي، و"اللو" متى ستصدر؟ عند الأمور المكروهة.

أي لا تصدر هذه "اللو" الممنوعة إلا عند الأمور المكروهة.

قال: كالمصائب إذا جرى بها القدر.

أي أن اللو ستصدر هنا؛ لما يأتيك قدار تراه لا يناسبك، وكان قد سبق لك اختيارات أوسبق لك انفعالات، أو سبق لغيرك قرارات تتصور أنت بعد وقوع القدر علاقتك أو علاقة هؤلاء بالقدر، فتأتي منك كلمة: "لو" وتقع في هذا الخطأ الذي كما ذكر الشارح فيه إشعار بعدم الصبر والأسى على ما فات من أشياء لا يمكن استدراكها، أي فيما مضى لا يمكن استدراكها.

هل يمكن الانتفاع بها فيما هو مستقبل؟ أي هل سيكون درسًا قاسيًا عليك وتتعلم منه وتتأدب؟ نعم، هل أستعمل فيه "لو" أم أستعمله في المرة القادمة "لو حصل مثل هذا لا أفعل كذا وكذا"؟

⇦ على ما مضى لا تقل: " لو"

⇦ على المستقبل قل: [تعلمت، رباني الله، حصلت لي أحداث علمني الله بها] أن لا أفعل كذا وكذا

لكن على ما مضى والشيء الذي لا يمكن استدراكه لا تقل: "لو".

قال: فالواجب التسليم للقدر، والقيام بالعبودية الواجبة.

إذن من هذه الزاوية سنناقش القدر، من زاوية العبودية بعد وقوع القدر

فما العبودية بعد وقوع القدر؟ الصبر.

قال لك: الصبر على ما أصاب العبد مما يكره

إذن الواجب القيام بالعبودية بعد وقوع القدر، واتفقنا أن العبودية بعد وقوع القدر هي الصبر على ما أصاب العبد مما يكره ويأتي مع ذلك إيمانك بالقدر، فيكون أصل من أصول الإيمان الستة، هذا القدر تنتفع به أن تعيش في الحياة وهو بنفسه – الإيمان بالقضاء والقدر – أصل من أصول الإيمان الستة، يعني أن من إيمانك بالله عز وجل أن تؤمن أنه قدَّر كل شيء وقضاه، وسيأتينا بيان ذلك إن شاء الله، في باب ما جاء في منكرى القدر.

أدخل المصنف رحمه الله أداة التعريف التي هي [ال] على "اللو"، ولا يقصد بذلك التعريف بها "اللو" يعني تصبح معرفة، لكن المقصود أن يُفهم أن هذه "اللو" التي يستعملها الناس للحسرة، يعني معروفة أنها تستعمل للحسرة، هذه هي "اللو" التي يستعملها الناس للحسرة.

﴿ الدليل الأول.

قال المصنف رحمه الله:

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾.

ما علاقته بهذا الباب؟ علاقته أن المنافقين استعملوا "لو" في كلامهم على قدرٍ قدَّره الله وهذا مما يدل على ضعف إيمانهم.

نكمل:

قال الشارح: قاله بعض المنافقين يوم أحد لخوفهم وجزعهم وخورهم.

أي من ضعف إيمانهم.

قال بن إسحاق: فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله ابن الزبير قال: قال الزبير: لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم.

فانظر إلى عظيم رحمة الله لمن آمن به واستقام على هدي نبيه ورضي به ربا، يُرزق من الهدوء والسكينة ما يورثه نومًا في معركة، فهذا أحد الجنود العظيمة التي يعامل الله عز وجل بها عباده، فينزل عليهم من شرح الصدور والطمأنينة إلى فعله، والثقة باختياره مما يورث العبد في شدة المصاعب استقرارًا نفسيًا لدرجة أنه ينام!.

فقال: حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم.

فكان النوم صورة من صور الرحمة، لماذا صورة من صور الرحمة؟ لأنه ينقطع بذلك الخوف، وينقطع بذلك القلق، ويدل على ما هو موجود في القلوب من طمأنينة.

لهذا إذا استودعت أحدًا أو استودعت الله عز وجل شيئًا أو فوضت أمرك إلى الله أو جعلته حسبك وكافيك، وتوكلت عليه، وأنبت إليه، فلا تجعل للقلق سبيلًا إليك، ولا تخسر ما سيق إليك من طرق الأمان، **فالله عز وجل مؤمنك وشارح صدرك**، ورافع عنك الهمّ إذا كنت عليه متكلا، وبه معتقدا وله منيبًا ومنه مستمدًا العون وعافية القلب.

فانظر إلى عظيم وعجيب جنده سبحانه وتعالى، فالهمُّ أقوى جند الله يقطع على العباد النوم، فإذا طلبت منه تفريج الهموم ودفع الغموم، ورضيت به مدبرا، وقبلت به حاكمًا عادلًا معطيًا مصرفا من المؤكد أن النوم والراحة والهناء ستكون من نصيبك، فلا تقلب نفسك في أمر قد قدره الله وقضاه، واسأله أن يحسن لك العاقبة في الأمور كلها، وأن يدفع عنك خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

الآن الزبير يحكي كيف أن الله عز وجل أعانهم بجند من عنده، والنوم من جنود الله أرسله الله عليهم وقتما كانت قلوبهم مضطربة، وهكذا يرسل الله عز وجل هذا الجند وغيره من جند شرح الصدر، واندفاع الهمّ، وذكر ما يؤنس، كله لمن توكل عليه وبه كان واثقًا وعليه كان معتمدا.

فهو قال: ما منا من رجل إلا ذقنه في صدره.

لماذا تنخفض؟ تنخفض من شدة النوم.

قال: فو الله إني لأسمع قول معتب بن قشير – وهو من المنافقين – ما أسمعه إلا كالحلم:

وهذا أمر مكرر، فقد تكون نائمًا – مستغرقًا في النوم– وتسمع بحانبك من يتكلم فترى كلامه كالحلم، فكان يقول المنافق ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وهنا وجه الشاهد، لو كان لنا، هم الآن خرجوا ووصلوا ساحة المعركة وانتهى الأمر ولا عودة للوراء

قال: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ فحفظتها منه،

أي كأنها خزنت في عقلي.

وفي ذلك أنزل الله عز وجل: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ لقول معتب رواه ابن أبي حاتم

المقصود أن كلامهم هذا ما صدر إلا من ضعف إيمان بالله قلة الثقة به ومن عدم تسليم الأمر له ثم انظر الي هذا الأمر العجيب؛ خرجوا كلهم منافقهم ومؤمنهم فأتى النوم على أهل الإيمان مداويًا ومعالجًا لقلوبهم، ودافعًا لشر الهمِّ والخوف والجزع، وهؤلاء حرموا هذا الجندى، حرموه وحرموا أثره، فأصبح ما في القلب من إيمان سبب لإنتفاع العبد من جنود الله وأرزاقه.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾

هذا رد عليهم لأنهم قالوا ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ قيل لهم لو كنتم في بيوتكم لابد أن يخرج ويبرز القوم الذين كتب عليهم القتال، لابد أن يخرجوا.

هذا قدر مقدر من الله عز وجل وحكم حتم لازم لا محيد عنه ولا مناص منه.

ما دام قدره الله إذن سيهيئ له أسبابه.

❖ الدليل الثاني.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾.

قال العماد ابن كثير: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾.أي لو سمعوا مشورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل. قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

أي إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي لكم أن لا تموتوا، والموت لا بد آت إليكم، ولو كنتم في بروج مشيدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين.

قال مجاهد عن جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه يعني أنه هو الذي قال ذلك.

أخرج البيهقي عن أنس أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، فجعل يسقط سيفي وآخذه ويسقط وآخذه.

قال: والطائفة الأخرى . المنافقون . ليس لها هم إلا أنفسهم، أجبن قوم، وأرعبه، وأخذله للحق ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾. إنما هم أهل ريب وشك بالله عز وجل.

قوله: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ يعني لا يغشاهم النعاس عن القلق والجزع والخوف: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: لما ذكر ما وقع من عبد الله بن أبي في غزوة أحد قال: فلما انخذل يوم أحد وقال: يدعُ رأيي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان؟ أو كما قال؛ انخذل معه خلق كثير، كان كثير منهم لم ينافق قبل ذلك. فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم

إيمان، هو الضوء الذي ضرب الله به المثل. فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق لماتوا على الإسلام، ولم يكونوا من المؤمنين حقًا الذين امتحنوا فثبتوا، ولا من المنافقين حقًا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة.

وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم إذا ابتلوا بالمحنة التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرًا وينافق كثير منهم. ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالبًا، وقد رأينا من هذا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة. وإذا كانت العافية، أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين، وهم مؤمنون بالرسل باطنًا وظاهرًا، لكنه إيمان لا يثبت على المحنة، ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم وهؤلاء من الذين قالوا: آمنا، فقيل لهم: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٦٣٣] أي الإيمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقًا، فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق في كتاب الله تعالى، كما دل عليه الكتاب والسنة، فلم يحصل لهم ريب عند المحن التي تقلقل الإيمان في القلوب.انتهى.

كلام جميل يحتاج إلى كثير من العناية، وهو الذي سينقلنا بعد ذلك لباب: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

أولًا نبتدئ بالآية التي في آل عمران، الشيخ استشهد بآيات آل عمران لأنه أتى فيها الكلام حول "اللو".

هنا كلام من المنافقين بعضهم بين بعض بأن الذين ماتوا من المسلمين لو أطاعونا ما قتلوا أي لو أطاعونا وما خرجوا للجهاد كانوا سيسلمون، فكان الرد عليهم: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

المطلوب منكم إن شاء الله إلى غد أن تأتوا بقصة هذه الآيات، والمحنة للإيمان في هذه الغزوة، أي ما هي الغزوة؟ وما هي المحنة للإيمان؟ وكيف وصفت الآيات هذا الأمر في سورة آل عمران وفي سورة الأنفال؟.

نكتفي بهذا القدر وإن شاء الله لقاءنا الغد.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[٦٣٣] الحجرات:١٤

لازلنا بفضل الله ندرس في كتاب التوحيد، وهذه القراءة من كتاب فتح المجيد على الأبواب الأخيرة من كتاب التوحيد، يعني على الربع الأخير من كتاب التوحيد قررنا أن نقرأ شرح تفصيليًا له واخترنا في ذلك كتاب فتح المجيد.

بلغنا باب: "ما جاء في اللو"، لما نظرنا في المتن وجدنا أن الشيخ أتى بالآيات التي في سورة آل عمران في موطنين ثم بعد ذلك أتى بحديث "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ" فكان المطلوب أمس في نهاية اللقاء أن ننظر ونتتبع هذه الآيات في سورة آل عمران ونرى هذه اللو صدرت من مَن؟ وماهي اعتقاداتهم؟ ومن ثم احذر أنت من " لو" وتفهم أنها لما تخرج منك تصف اعتقادًا لك.

يعني ملخص هذا التقرير أن "لو" ليست كلمة عابرة من الكلمات التي تقال، لو في سياقات معينة يكون لها معنى خطير ويكون فيها دلالة على ضعف الإيمان بالقضاء والقدر بل قد لا تصدر في حالات معينة إلا من منافق.

ننظر للآيات في سياق آل عمران.

أولًا : هذه الأحداث التي في سياق الآيات كانت من غزوة أحد التي جعلها الله اختبارًا عظيمًا لأهل الإسلام، وكان الدرس العظيم الذي عاشوه هو كيف أن أحوالهم وأمورهم لا تصح إلا بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأنتم تعلمون كيف أن الله في أول الأمر حقق لهم ما وعدهم به من نصر، وكانوا يقتلون الكفار فى غزوة أحد بإذنه تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ هنا حصل اختلاف هل يبقون في أماكنهم ومواقعهم أم يتركونها لجمع الغنائم مع من يجمعها؟ ووقع منهم أنهم عصوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذاك الوقت حلت بهم الهزيمة ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾

وهذه الإرادات المتفرقة هي في الغالب سبب الفشل، لا أريد أن أطيل ولكن هذا أمر يُعلم لمن جربه، أن الأعمال التي يراد بها نصر الدين لا تصلح إلا إذا اجتمع الناس على إرادة الآخرة.

ثم صرف الله وجوههم عن عدوهم ليختبرهم ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ فهذا كان اختبار، وقد علم الله ندمكم وتوبتكم فعفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين، لذلك في الآية: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ثم أتت تفاصيل موقف الإنقلابة من النصر إلى الهزيمة ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ يعني أخذوا يصعدون في الجبل هاربين من الأعداء ولا يلتفتون لأحد لما اعتراهم من الدهشة والخوف، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت في الميدان يناديكم من خلفكم يقول لهم إليّ عباد الله ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ فماذا كان الجزاء؟ ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ أنزل الله بكم ألما وضيقًا وغمًا ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من نصر وغنيمة ولا ما حل بكم من خوف وهزيمة بل خوفهم على فقد النبي صلى الله عليه وسلم أزال باقي الهموم ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ ما هي؟ نعاس ﴿نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾، يغشى طائفة منكم النعاس، يعني هذه طائفة.

وطائفة أخرى ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ ظنهم بالله غير الحق هو الذي أرداهم ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

معناها لو نظرنا من أول السياق بعدما وقع هذا الغم أنزل الله عز وجل الرحمة بالمؤمنين المخلصين بأن ألقى في قلوبهم اطمئنانا وثقة في وعد الله بعد ما أصابهم الهم والغم، وهؤلاء الذين نزل في قلوبهم الطمأنينة وكان من أثرها النعاس وصْفهم أنهم أهل الإخلاص واليقين.

وطائفة أخرى أهمهم خلاص أنفسهم خاصة، وضعفت عزيمتهم وشُغلوا بأنفسهم وأساءوا الظن بربهم وبدينه وبنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبوعد الله، وكان هذا الاختبار الصعب اختبارًا لما في قلوبهم فظهر ما في قلوبهم من ضعف فهم في ريبهم يترددون، من أول الأمر يظنون أن الإسلام لن تقم له قائمة ولذلك تراهم نادمين على خروجهم مع النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لبعض: هل كان لنا من اختيار في الخروج للقتال؟!، فأمر اللهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم إن الأمر كله لله!، وهو الذي قدَّر خروجكم وما حدث لكم.

ولهذا لما يؤمن الإنسان بعد وقوع القدر أنه من الله يطمئن أن الخير آتٍ من ورائه حتى لو كان ظاهره وقع على ما لا يلائمه، إذا كان مؤمن بالله يطمئن أن الخير وراء القدر الذي ظاهره أنه لا يوافق الهوى.

هم ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي هل كان لنا اختيار في الخروج للقتال؟ رد الله عليهم ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ يخفون في أنفسهم مالا يظهرونه لك من الحسرة على خروجهم للقتال، يعني يقولون لو كان لنا أدنى اختيار ما قتلنا هاهنا.

لذا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ والله عز وجل يأمر النبي: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾، ثم الله عز وجل يخبر عما في ضمائرهم ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾!، يرد الله عليهم ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ كأنك تفهم أنه يقال لهم أن الآجال بيد الله فلو كنتم في بيوتكم وقدّر الله أنكم تموتون لخرج الذين كتب الله عليهم الموت إلى حيث يُقتلون.

ثم قال لهم سبحانه وتعالى معللًا هذه الأحداث ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ما جعل الله ذلك إلا ليختبر ما في صدوركم من الشك والنفاق، وليميز الخبيث من الطيب، ويُظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال، والله عليم بما في صدور خلقه لا يخفى عليه شيء من أمورهم.

ولذلك انتهت الآية ﴿وَاللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ وإذا كان الله عز وجل عليم بذات الصدور فمن تمام علمه أنه يُقدّر على بعض خلقه أقدار تُظهر لهم حقيقة ما في نفوسهم، فكثيرًا ما ندَّعي الإيمان والرضا بأقدار الله، والرضا عن الله، وقبول أفعاله، واعتقاد كمال حكمته، لكن لما تأتي علينا الأقدار نجد في قلوبنا نقص أو ضعف أو وهن، فالله عز وجل عالم بما في القلوب أرسل علينا الأقدار لنعلم ما مقدار نقصنا، ولنجتهد في طلب العون منه وسؤاله أن يصلح لنا الأحوال.

وهذه الاختبارات كواشف تبيِّن لنا الحقائق، يعني نحن كثيرًا ما نرجو أن نعرف ما وزننا عند الله؟! ما حالنا؟! فلما تأتي الاختبارات وترى حسن ظنك بالله بهذا ستعلم ما حالك وما مكانك عنده على حسب ما قام في قلبك.

يعني في هذا تقرير أن الله يرسل الأقدار التي تضِيق على العبد يرسلها من أجل أن يخرج الله ما في قلوب العباد فيفهم العباد حالهم ويكتشفون نقاط ضعفهم ويسرعون إلى معالجتها ومداواتها.

⇦ هذه كانت الآية الأولى كانوا ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ هذا الموطن الأول رأينا المقصود أن هذا وقت ما أنزل الله النعاس، أهل الإسلام انقسموا لفريقين:

- فريق تبيَّن له أن هذا من حكمة الله وهو واثق بربه فأنزل الله عليه النعاس.
- والفريق الثاني كان مشغولًا بنفسه، وضعفت عزيمته وظهر سوء ظنه وأنه كان يعبد الله على حرف.

يأتي الآن الموطن الثاني في نفس السياق في آل عمران:

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

هؤلاء المنافقون هم الذين قعدوا وقالوا لإخوانهم الذين خرجوا وأُصيبوا مع المسملين في حربهم يوم أحد: "لو أطاعونا هؤلاء ما قتلوا!" لازال الكلام حول يوم أحد، الآن بعد انتهاء المعركة وتصفية الحسابات بدأ يظهر حقائق ما في القلوب.

في أول السياق الله يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا علم الظهور، يعني في الحقيقة الله عز وجل يعلم المؤمنين ولكن هنا يفسر علم الظهور يعني ليظهر المؤمنين، ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ يعني **جاهدوا لنشر كلمة التوحيد أو على الأقل ادفعوا عن أهل بلدكم** قالوا ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ يقول الله في حكمهم: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ إذن ما وقع من جراح أو قتل يوم أحد يوم التقى جمع المؤمنين بجمع المشركين وكان النصر للمؤمنين أولًا ثم أصبح للمشركين ثانيًا هذا كله بقضاء الله وقدره.

الآن نحن ننظر للقضية بعدما انتهت نقول هذا كله بقضاء الله وقدره، وليظهر ما علمه الله وليميز المؤمنين الصادقين من المنافقين، ولينكشف المنافقين الذين ابتلاهم الله وكيف أنهم يقولون لما قال لهم المؤمنون تعالوا قاتلوا معنا في سبيل الله أو كونوا عونًا لنا بالتكثير أو ادفعوا عن دياركم؛ قالوا لو نعلم أنكم تقاتلون أحدًا لكنا معكم عليهم!، فهم كذابين!

يعني في أول الأمر كانوا في المدينة يقولون هذا الكلام، هم للكفر في هذا اليوم أقرب منهم للإيمان ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ لأنهم ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ بما يخفون في صدورهم، فماذا كان منهم؟ كان منهم أنهم بعدما انتهت الغزوة كانوا يقولون لو أطاعنا هؤلاء ما قتلوا.

هم أولًا يقولون لو كنا نعلم أنكم ستقاتلون أحد لخرجنا معكم، ثم لما رجعوا وحصل أن بعض المنافقين قُتل أو أصيب مع النبي صلى الله عليه وسلم أصبحوا يقولون ﴿لَو أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾، رد الله عليهم ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين في دعواكم، وأنكم قد نجوتم من الموت بقعودكم عن القتال، بل أنكم ستموتون في الوقت المحدد وبالطريقة التي قدَّرها الله.

كل النقاش في الآيات يدلك على أن " لو" تعكس اعتقاد، وهنا يدور حولها الأحكام لاحظوا أنها لم تكن إلا لغة المنافقين، يعني المنافقون هم الذين يتكلمون بـ " لو".

نعود الآن إلى كلام الشارح في الآية الثانية.

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾.

قال العماد ابن كثير: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾.أي لو سمعوا مشورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل. قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

أي إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي لكم أن لا تموتوا، والموت لا بد آت إليكم، ولو كنتم في بروج مشيدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين.

قال مجاهد عن جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه يعني أنه هو الذي قال ذلك.

أخرج البيهقي عن أنس أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، فجعل يسقط سيفي وآخذه ويسقط وآخذه.

قال: والطائفة الأخرى . المنافقون . ليس لها هم إلا أنفسهم، أجبن قوم، وأرعبه، وأخذله للحق ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾. إنما هم أهل ريب وشك بالله عز وجل.

قوله: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ يعني لا يغشاهم النعاس عن القلق والجزع والخوف: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

تبيَّن لكم من النقاش السابق لو نظرنا للسياق:

- أن الآية الأولى كانت في الحرب.
- والآية الثانية بعدما عاد الناس من الحرب وأتت تصفية الحسابات وقالوا هذا الكلام.

نبدأ الآن بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية يعلق على الغزوة وعلى حال هؤلاء المنافقين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

لما ذكر ما وقع من عبد الله بن أبي في غزوة أحد قال: فلما انخذل يوم أحد وقال: يدعُ رأيي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان؟ أو كما قال؛ انخذل معه خلق كثير، كان كثير منهم لم ينافق قبل ذلك. فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم إيمان، هو الضوء الذي ضرب الله به المثل.

ماذا يقصد؟ يقصد ما وقع من عبدالله بن أبي في غزوة أحد، يعني قبل الخروج للغزوة انخذل يوم أحد وقال: "يدع رأيي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان؟" يتكلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني أنه ترك رأيه وأخذ برأي بعض الصحابة، فماذا حصل؟ تراجع معه خلق كثيرين، قال لك ابن تيمية أن كثيرًا من هؤلاء الخلق الذين تراجعوا لم ينافق قبل ذلك، ما كانوا منافقين قبل هذا الحدث فهؤلاء كانوا مسلمين، يعني هؤلاء الخلق الذين انخذلوا مع عبد الله بن أبي بن سلول كانوا قبل ما يتكلم هذا الكلام ويتركون النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة كانوا مسلمين وقال: "وكان معهم إيمان هو الضوء الذي ضرب الله به المثل" يقصد ماذا؟ يقصد الآية التي في سورة البقرة، الضوء الذي ضرب الله به المثل أين؟ في سورة البقرة.

لا يوجد في سورة البقرة عن المنافقين إلا مثالين أين؟ مثل المنافقين في الضوء ماذا سيكون؟ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾.

هؤلاء كان معهم من الإيمان مثل هذا الضوء، وكان معهم إيمان هو الضوء الذي ضرب الله به المثل في سورة البقرة عن المنافقين، المنافقين الآن كانوا مؤمنين ثم تحولوا للنفاق هذا حالهم ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ

وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾، النور قبل أن يتحولوا إلى النفاق، يقصد بالنور يعني الإيمان كان معهم إيمان، كان معهم ضوء، كان معهم نور ثم ماذا حصل؟ تابعوا عبد الله بن أبي فأطفأ الله نورهم.

"فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق ماتوا على الإسلام" كان معهم ضوء فلما امتحنوا ظهرت حقيقتهم وأطفأ الله نورهم، يعني المحنة كشفت من نفوسهم الضعف ولم يكونوا من المؤمنين حقا الذين امتحنوا فثبتوا.

الشرح: فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق لماتوا على الإسلام، ولم يكونوا من المؤمنين حقًا الذين امتحنوا فثبتوا على المحنة، ولا من المنافقين حقًا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة. وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم إذا ابتلوا بالمحنة التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرًا وينافق كثير منهم.

يعنى هؤلاء كان معهم إيمان، فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق كانوا ماتوا على الإسلام، فهم لم يكونوا من المؤمنين حقا، ولم يكونوا من المنافقين حقا، كانوا بين هذا وهذا.

فلما أتت المحنة ماذا حصل؟ نقص إيمانهم ونافق بعضهم.

فهو قال لك: وهذا حال كثير من المسلمين فى زماننا لما تأتي عليهم المحن بالقضاء والقدر ماذا يحصل؟ ينقص إيمانهم و ينافق كثير منهم.

قال: ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالبًا.

يعني بعد أن يظهر أهل الكفر على أهل الإسلام وتكون الدوَّلة لأهل الكفر ،هذا اختبار عظيم طبعا، اختبار عظيم للإيمان، إيمانك أن هذا حق حتى لو كان في الدنيا لم ينتصر، وإيمانك أنه سينتصر حتى لو الآن لم ينتصر، ومساهمتك لنصر الدين وعلمك أنك تضع لبنة لنصره، هذا كله يأتي من أهل الايمان.

نأتي إلى الجانب الآخر الذى تكشفه المحنة، تكشف ثلاثة أنواع من الناس:

- تكشف واحد يضعف إيمانه كلما أتت الحضارة وأتى التقدم وغلب أهل الدنيا علينا كلما وجدته يتنازل عن شيئ من دينه، بعد ما كان الشئ عنده محرم وهو لا زال محرمًا تحوّل وقال لابأس ويقول لك من قال لك أن هذا حرام، إذن واحد ضعُف إيمانه.
- الثانى نافق، ما معنى نافق؟ يعنى يجلس معك يتكلم بلسانك وهو فى وجدانه أن ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ أن هؤلاء لازالوا على الخرافات والتوكل وكل شئ يمشي عندهم بالبركة هذا نوع نفاق.
- النوع الثالث الذى تتمخض عنه هذه البلاءات: أن يرتد أصلًا إذا كان العدو غالبًا، وهذا ما نراه اليوم من كثير ممن هاجر إلى بلاد الكفر واستبدلها بدل بلاد الإسلام ثم عظمهم تعظيمًا أورثه بغض للمسلمين وتنزيل من شأنهم.

بل وأحيانًا تراه يظاهر المشركين على المسلمين، فتأتى إلى ناس أتقنوا اللغة العربية والإنجليزية مثلًا يأتون إلى الجيوش الأجنبية يعلمونهم العربية من أجل أن يستخدموها فى حرب المسلمين!، فتجد قلوبهم ارتدت، ومن ثمّ لا تسأل عن الصلاة ولا عن الطاعات ولا عن الصيام، فلا قلب معظم ولا شعائر قائمة.

إذن المحنة تقسم الناس إلى قسمين:

- القسم الأول: أهل الإيمان الثابت.

- والقسم الثاني: خلاف ذلك، وخلاف ذلك له ثلاث صور:
  - ضعيف إيمان
  - منافق.
  - ومرتد.

والله وما رأينا من وقائع – انظرى ماذا يقول– هذه الجملة بالضبط هى ما نراه.

قال: وقد رأينا من هذا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة وإذا كانت العافية، أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين.

أولًا هو يقرر أنه رأي من هذا ونحن أيضا رأينا وأكيد أنكم رأيتم ما فيه عبرة، يعني ترى كيف قلوبهم مهزومة، كيف مشاعرهم بالضعف كيف أنهم لا يجدون فى نفوسهم مشاعر أن الله لابد ناصر دينه، وأنه هو مالك الأسباب يسخرها لمن شاء من عباده.

الآن لما تنظري إلى قصة قارون تستعجبى أنها صورة متكررة للحضارة فى قلوب الناس!، ماذا كان فى قلوب قوم قارون الذين أُعجبوا وليس الذين أُوتوا العلم؟

انقسموا إلى قمسين:

﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا﴾[٦٣٤]

ورد عليهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[٦٣٥]

فهذه هى القسمة الثنائية بين الناس:

- ناس يريدون الحياة الدنيا.
- وناس أوتوا العلم.

⇦ الذين يريدون الحياة الدنيا يقولون: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

⇦ من معه علم إشارة إلى أن الايمان لا يأتى إلا من العلم، أصحاب الإيمان الثابت لابد أن يأتوا بإيمانهم من علمهم، وليس أى علم لكن علم حيّ فى القلوب له آثاره، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

نعرف أن الله عز وجل بعد ذلك خسف به الأرض﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ أين الشاهد ؟

الشاهد النتيجة التى خرج بها الذين يريدون الحياة الدنيا ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ هذه هى النتيجة التى يفتقدها ناس كثيرون ويفتقدون معناها! أن الأمر بيد لله!، هو الذى يُسبب الأسباب ويعطيها للعباد، ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ فليس هذا دليل رضاه وليس هذا دليل صواب فما عندهم اليوم سينتزع منهم غدًا، وها هى السحب البركانية تنزل عليهم وتنزل معها الخسائر بالملايين، وهذه جند من جند الله أرسله الله من أجل أن تعلم أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر!.

---

[٦٣٤] القصص: ٧٩

[٦٣٥] القصص: ٨٠

هؤلاء القوم الذين مع قارون ويريدون الحياة الدنيا تغمدهم الله برحمته، هم يعلمون: ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ ، لم يكونوا يفهمون أنه ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُون﴾، وخرجوا بنتيجة لما رأوا قارون خُسف به قالوا ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، هذه النتيجة مفروض تكون ثابتة عند من آمن بالله أن وجود الرزق عند هؤلاء لا يدل على رضى الله، بل يأخذه منهم كما يريد سبحانه وتعالى، وبما يوافق حكمته ويبسطه لهم كما يريد وكما يوافق حكمته.

لكن تفهم أنه لا يفلح الكافرون، لما آمنت بالقرآن وجب عليك أن تخرج بهذه النتيجتين وتعامل بها ما حولك، ثم أن الله عز وجل أراك وأسمعك من الوقائع الشئ الكثير لكن لضعف الإيمان بالقرآن، ولضعف القدرة على ترجمة الوقائع من خلال القرآن ضعُف اليقين وانهز، وأصبح أهل الكفر فى قلوب ناس كثيرين أفضل من أهل الاسلام.

نسأل الله أن ينجينا من مثل هذه البلاءات وأن يقوى إيماننا ويقوى قلوبنا ويجعلنا نعتقد يقينًا ونحسن الظن به أنه ناصر دينه وأنه لابد أن يرفع أهل الإيمان ويعاقب أهل الضعف والنسيان.

وإذا كانت العافية، أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين

كل الإشكال لما يضعف أهل الإسلام، فيأتي الإختبار هنا، لما يضعف أهل الإسلام ماذا يكون موقفهم؟ موقفهم يدل على ما معهم من إيمان.

قال: وهم مؤمنون بالرسل باطنًا وظاهرًا، لكنه إيمان لا يثبت على المحنة.

يعني لا تتصور أنهم لا يؤمنون، ولا تتصور أنك لما تسألهم هل تؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا سيقول لك لأ، لأ هو مؤمن ومؤمن بالرسل لكن إيمان ضعيف لا يثبت على محنة.

ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم وهؤلاء من الذين قالوا: آمنا، فقيل لهم: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي الإيمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقًا، فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق في كتاب الله تعالى، كما دل عليه الكتاب والسنة، فلم يحصل لهم ريب عند المحن التي تقلقل الإيمان في القلوب.انتهى.

هؤلاء مؤمنون بالرسل ظاهرًا وباطنًا، معهم أصل الإيمان، ويقومون ببعض الفرائض ويتركون بعضها، فهؤلاء قالوا إنهم آمنوا، قيل لهم لم تؤمنوا إيمانًا مطلقًا كاملًا لكن ﴿وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ يعني أسلموا واستسلموا ومعهم أصل الايمان لكن إذا لم ينمو هذا الأصل ولم يأتيه زيادات ضعف وانهار.

انتهى كلام ابن تيمية.

الآن تعليق صاحب الفتح:

قوله: وقد رأينا من هذا ورأى غيرنا ما فيه عبرة.

قلت: ونحن كذلك رأينا من ذلك ما فيه عبرة عند غلبة العدو، من إعانتهم العدو على المسلمين، والطعن في الدين، وإظهار العداوة والشماتة، وبذل الجِدِّ في إطفاء نور الإسلام، وذهاب أهله، وغير ذلك مما يطول ذكره. والله المستعان.

ونحن أيضًا رأينا ما فيه عبرة عند غلبة العدو، يعنى ابن تيمية رأى، والشيخ عبدالرحمن بن حسن رأى، ونحن رأينا أيضًا ولازلنا نرى.

❖ الدليل الثالث.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْن وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ".

قوله: في الصحيح أي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: احرص. الحديث اختصر المصنف رحمه الله هذا الحديث، وتمامه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير". احرص على ما ينفعك " أي في معاشك ومعادك. والمراد الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة، ويكون العبد في حال فعله السبب مستعينًا بالله وحده دون كل ما سواه ليتم له سببه وينفعه. ويكون اعتماده على الله تعالى في ذلك، لأن الله تعالى هو الذي خلق السبب والمسبب، ولا ينفعه سبب إلا إذا نفعه الله به، فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالى. ففعل السبب سنة، والتوكل على الله توحيد. فإذا جمع بينهما تم له مراده.

قوله: ولا تعجزن: النون نون التأكيد الخفيفة. نهاه صلى الله عليه وسلم عن العجز وذمه، والعجز مذموم شرعًا وعقلًا، وفي الحديث: " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني"

هذا الحديث اختصار كما ذكر الشارح "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ".

ما المقصود بالمؤمن القوى والضعيف؟ يدور حول قوة الإيمان وضعفه، يعنى المؤمن القوى فى إيمانه أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، لأن حب الله معلق بفعل الإنسان القربة إليه.

محبة الله للعبد معلقة بماذا؟ بفعل العبد للقربات، بمعنى أن العبد كلما زاد فى أخذ الأسباب التى بها يتقرب إلى الله كلما أحبه الله، أما القوة البدنية فهذه متفاوتة على حسب عطايا الله، وهناك من العباد من خلقهم الله أضعف بدنًا وأقل قوة فلا يمكن أن يُمدح ويتفاوت الناس بأمرٍ لا يد لهم فيه فيُمدحون على أفعال قلوبهم التى هى سبب لحب الله لهم.

ثم قيل بعد ذلك: " وَاحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ"، ما ينفعك أين؟ هذه كلمة عامة، ما ينفعك فى معاشك ومعادك، إذن لما نتكلم عن الأسباب لابد أن نتكلم عن الأسباب التى تنفعنا فى المعاش وأيضًا الأسباب التى تنفعنا فى المعاد.

فالناس يتناصحون بالأخذ بالأسباب التى تنفعهم فى الدنيا، وما بال القوم لا يتناصحون بالأسباب التى تنفعهم فى الآخرة؟! وما بالهم لا يتناصحون بالأسباب الشرعية التى تنفعهم فى الدنيا أيضًا؟! لماذا نركز أن الأسباب هى الأشياء المادية؟!، لماذا لا نتصور أن الدعاء أحد أهم أسباب صلاح الأبناء؟!، لماذا لا نتصور أن التوكل على الله والدعاء للأبناء أحد أهم الأسباب لصلاحهم؟!.

فحتى فهم الأسباب قاصر على هوانا مثَّله الشيطان وضَّيقه وجعلنا له تبع، ولنتأمل جيدًا أليست الجنة أعظم المرغوبات؟!، فما بال القوم لا يتواصون بأخذ أسباب الوصول لها؟!، وما بال القوم لا يُذكِّر بعضهم بعضًا بالطريق الموصلة إليها؟!.

احرص على ما ينفعك فى معاشك ومعادك، وقال المراد الحرص على فعل الأسباب التى تنفع العبد فى دنياه وأخراه.

وهذا أمر مهم أن تفهم أن تأخذ الأسباب التي تنفعك فى دينك ودنياك.

ثم اعلم أن الله هو الذى شرع لعباده الأسباب:

قال مما شرعه الله لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة.

هذه أقسام الأسباب:

- من الأسباب ما هو واجب.
- من الأسباب ما هو مستحب.
- من الأسباب ما هو مباح.

الآن وأنت تأخذ هذه الأسباب التى شرعها الله مؤمنًا أن الله شرعها لابد أن يكون لك حال فى قلبك، حالك أنك مستعين بالله وحده دون كل ما سواه، مستعين به أن يعطيك الأسباب وييسرها لك، مستعين به أن يعطيك الحول والقوة على الأخذ بالأسباب.

الإستعانة سبب ليتم لك السبب وينفعك

قال فيكون العبد في حال فعله السبب مستعينًا بالله وحده دون كل ما سواه ليتم له سببه وينفعه.

فلا يتم السبب ولا ينفعك إلا إذا استعنت بالله

فيكون اعتماده على الله فى ذلك

لماذا تعتمد على الله؟ لأنه سبحانه وتعالى خلق السبب وخلق الشئ المسبب، يعني خلق الطريق للشيء وخلق النتيجة.

ولهذا فى سورة آل عمران وأيضًا في سورة الأنفال، وهذه الآية في سورة آل عمران لما تكلم تعالى عن غزوة بدر وعن نزول الملائكة ماذا قال فى وصف نزولهم؟ أو النتيجة من نزول الملائكة؟ الملائكة ماذا فعلت للمؤمنين؟ قاتلت معهم، النتيجة ماذا؟ النصر.

ما دور الملائكة فى هذا النصر؟ هل هي التى نصرت المؤمنين أم بيّن الله لك كما قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

إذن معناه أن النتائج من عند الله والأسباب أيضًا من عند الله، الملائكة سبب والنصر نتيجة لكن السبب من الله سخَّره والنتيجة منه أعطاك إياها ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾.

لماذا السبب والمسبب وكل هذه القصة؟ الإختبار هنا، أنك ماذا تفعل؟ لكي تتعلق به أن يعطيك السبب، فإذا جاء السبب تتعلق به أن ينفعك به، كلها أجور من العبودية فإذا اجتمعت الأسباب اجتماعها فقط بشرى لك وطمأنينة، أما العطاء والنصر والوصول للمراد فبيد الله.

لهذا لما تنظر لوصف الله للسحاب وعلاقته بسقيا الأرض ترى أن الله سبحانه وتعالى يبيِّن لك أن هذا السحاب بشرى بين يدي رحمته، يعني الله عز وجل سيرحمك وسينبت لك الأرض وجعل علامة على هذه الرحمة وهو السحاب، وإلا ليس السحاب هو الذي ينفعك، تفهم أن الأسباب لو اجتمعت إنما اجتمعت بشرى وطمأنينة لك لأن الله خلقك فافهم أن السبب تأتي من وراءه النتائج.

لما يزيد إيمانك ماذا تفهم؟ أن الله عز وجل جعل هذه الأسباب بشرى واجتماعها بشرى وسبب للطمأنينة لكنها لا تعطيك إنما النصر من عند الله، جعل السحاب بشرى بين يدي رحمته ولكن ليس دائمًا كل سحاب سيمطر، وكل مطر سينفع.

قال: يكون اعتماده على الله تعالى في ذلك، لأن الله تعالى هو الذي خلق السبب والمسبَّب، ولا ينفعه سبب إلا إذا نفعه الله به

هذا كلام مهم لن ينفعك السبب إلا إذا نفعك الله به، الأسباب حتى لو توافرت لا تنفع إلا إذا جعل الله فيها النفع

فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالى

وقت ما تقوم بفعل السبب يكون اعتمادك على من؟ على الله تعالى

ففعل السبب سنة أرشدك إليها النبي صلى الله عليه وسلم توافق سنة الله في كونه، والتوكل على الله سيكون توحيدًا، إذن تفعل السبب متبعًا في ذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي أمرك فيها أن تفعل السبب، وتتوكل فتتعبد الله بعبادة التوحيد، فإذا جمعت بينهما تمَّ لك مرادك.

أما الممنوع العجز " وَلَا تَعْجَزْن " والعجز كما قال مذموم شرعًا وعقلًا

تعال نبحث ما هو العجز؛ ذكر حديث يبيِّن لك معنى العجز "الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الأَمَانِيّ "

إذن هذا هو العجز أن تفرط في استخدام الأسباب الموصلة إلى الله، في أن تفرط في أن تجعل حاجاتك الدنيوية سببًا لرفعتك عند الله، فرصة أن هذا ناقص عليك فرصة أنك محتاج هذا الذي ينقص عليك، فرصة، لا تعجز تعبَّد الله في كل النقائص، عبادة الذل والانكسار والفقر

⇦ وانظر إلى يعقوب عليه السلام بلغ الغاية في هذه العبادة فكان يقول: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

⇦ وانظر إلى موسى عليه السلام كيف بلغ الغاية في ذلك ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْت إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

⇦ وانظر إلى إبراهيم عليه السلام كيف بلغ الغاية لما سأله جبريل هل لك حاجة؟ قال: "أما إليك فلا وأما إلى الله فحسبي الله ونعم الوكيل".

⇦ وانظر إلى يونس كيف بلغ الغاية لما كان في بطن الحوت، في قلب الهلاك، قال: ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

انظر إلى هؤلاء وانظر إلى طرقهم ومسالكهم وانظر إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم وكيف فيها من الشواهد العظام على ذلك، ثم "لَا تَعْجَزْن" لا تترك تعلقك بالله وحوِّل الحاجات إلى مقربات إلى ربك، زد ذلًا وانكسارًا وطاعة وعبادة وذكرًا ورجاءًا، ثم إذا تحقق لك المراد زد ثناءًا وزد شكرًا وأنفق مما أعطاك الله من صحة وعلم ووقت ومال في سبيله ومن أجله ومن أجل رفعة دينه.

فأرشده صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إذا أصابه ما يكره أن لا يقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا. ولكن يقول: قدر الله وما شاء فعل، أي هذا قدر الله والواجب التسليم للقدر، والرضى به، واحتساب الثواب عليه.

قوله: فإن "لو" تفتح عمل الشيطان أي لما فيه من التأسف على ما فات والتحسر ولوم القدر، وذلك ينافي الصبر والرضى، والصبر واجب، والإيمان بالقدر فرض، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٦٣٦].

[٦٣٦] الحديد:٢٣،٢٤

قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد وقال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن

فأرشده صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إذا أصابه ما يكره بعد ما فعل هذا كله؛ يعدما حرص على ما ينفعه، واستعان بالله ولم يعجز، وقع الأمر على خلاف هواه، يعني ما يكرهه سيكون مخالف لهواه.

هذا الذي وقع مخالف لهواه رُتب له أسباب سابقة فوقع، بدلًا من أن يأخذ الطريق الذي على اليمين أخذ اليسار، لما أخذ هذا الطريق لم يصل إلى مراده، فقال لو أني أخذت طريق اليمين كنت وصلت، فأرشده الحديث إلى ما يفعله وقت ما يقع القدر، كأنه يقال لك أنك في عبادة مستمرة!

- **فوقت ما تمنيت المراد كان عليك أن تطلب الله وتسأله أن يعطيك**
- **فلما اجتمعت الأسباب كان عليك أن تتعلق بالله أن يعطيك النتائج.**

إلى هنا هذا نوعي عبادة، عبادة قبل وجود الأسباب أو قبل اجتماعها تطلب من الله الأسباب وتطلب منه الاجتماع، ثم لما اجتمعت الأسباب بقيت تنكسر بين يديه أن يعطيك النتائج.

- **أتت النتائج على مرادك كانت عبادة الشكر**
- **ما أتت النتائج على مرادك كانت عبادة الصبر.**

وبهذا تعلم لماذا الله عز وجل يسبب الحاجات، ولماذا هذه الحاجات تكون موجودة، ولماذا يقدرها الله وهو قادر على أن يعطيك مرادك وعلى أن يرفع شأنك ويرفع شأن أنبياءه ورسله، ألا ترى أنبياءه ورسله مرت عليهم من البلاءات ما لا يطاق، بالتفكير لا يطاق.

فهذا النبي المكَّرم يكون طريدًا شريدًا يلحقه القوم لإرادة قتله فيزيد تعلقه بالله ويزيد اعتقاده بأن الله معه فيقول لصاحبه: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فالنقائص لمن آمن تزيد اليقين.

وانظر لو كان يسيرًا عليك أن تتعلم، ويسير عليك أن تحصل على العلم، ولا تفقد الصلة بالعلماء وطلبة العلم وبمنابع العلم لو كان هذا الأمر يسيرًا ما كنت ستدعو وتطلب ويتعلق قلبك بالله، وما كنت ستصبر وقت الحرمان، ولا كنت ستراجع نفسك هل عصيت؟! هل تبت؟! هل أحسنت؟! هل شكرت؟!، إذا كان كل شي يسير لأنتفت أشياء كثيرة من العبودية!، وما صح أن يكون هذا اختبار!، لكن الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا هذا يفسر لك الحياة وكيف أنها متبدلة بألوانها، وكيف أن كل تبدل له نوع عبادة تخصه، لكن نسأله وحده لا شريك له أن يوفقنا أن نعبده في كل حال على ما يلائم الحال وأن نكون ممن جمعنا بين الشكر والصبر ونكون في ذلك صادقين مخلصين قائمين بما يجب علينا.

قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد وقال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله . وذكر حديث الباب بتمامه . ثم قال في معناه: لا تعجز عن مأمور، ولا تجزع من مقدور.

ومن الناس من يجمع كلا الشرين، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالحرص على النافع والاستعانة بالله، والأمر يقتضي الوجوب، وإلا فالاستحباب، ونهى عن العجز وقال: إن الله يلوم على العجز والعاجز ضد الذين هم ينتصرون فالأمر بالصبر والنهي عن الجزع مأمور به في مواضع كثيرة.

وذلك لأن الإنسان بين أمرين: أمر أمر بفعله، فعليه أن يفعله ويحرص عليه ويستعين الله ولا يعجز، وأمر أصيب به من غير فعله. فعليه أن يصبر عليه ولا يجزع منه، ولهذا قال بعض العقلاء . ابن المقفع أو غيره .

الأمور أمران:

أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه.

وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه

وهذا في جميع الأمور لكن عند المؤمن: الذي فيه حيلة هو ما أمره الله به، وأحبه له. فإن الله لم يأمره إلا بما فيه حيلة له، إذ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وقد أمره بكل خير له فيه حيلة وما لا حيلة له فيه هو ما أصيب به من غير فعله

هنا تقسيم بديع من ابن تيمية لهذه المسألة.

أولًا بعد كلام الإمام أحمد وكلام أمير المؤمنين رضي الله عنه في الكلام حول الصبر، نحن سبق لنا أن ناقشنا موضوع الصبر في باب من الإيمان الصبر على أقدار الله، سنتكلم هنا عن العجز.

قال شيخ الإسلام وذكر حديث الباب بتمامه

يعني بعدما ذكر حديث الباب تكلم في معناه، ثم قال في معناه لا تعجز، لا تعجز عن مأمور، أي شيء أمرت به لا تعجز عنه، ولا تجزع من مقدور أي أمر وقع وانتهى لا تعامله بالجزع

قال:ومن الناس من يجمع كلا الشرين.

بمعنى أنه يعجز عن الأمر ويجزع من القدر

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالحرص على النافع والاستعانة بالله

والأمر أمر الله و أمر النبي صلى الله عليه وسلم يقتضي الوجوب أو الاستحباب هذا إذا كان له صارف.

ونهى عن العجز وقال في راوية أخرجها أبو داوود: " إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ"، يلوم العبد على عجزه، والعاجز ضد الذين هم ينتصرون، إذن لا تعجز عن الانتفاع بالأسباب، لا تعجز عن نصر الحق، فالأمر بالصبر والنهي عن الجزع مأمور به في مواضع كثيرة.

إذن في مواضع كثيرة جُمع بين هذين الأمرين ما هما؟ الأمر بالصبر، والنهي عن الجزع.

اصبر ولا تجزع.

قال وذلك لأن الإنسان بين أمرين:

- أمر أُمر بفعله.
- وبين أمر أصيب به من غير فعله.

يعني شيء أنت أُمرت أن تفعله، وشيء نزل عليك لم تفعله فيه شيء.

⇦ فأما الأمر الذي أمرت بفعله ماذا عليك فيه؟ أن تفعله وتحرص عليه، احرص أن يكون قلبك مهموم بالقيام به تعزم وتطلب من الله العون وتطلب من الله الأسباب.

⇦ وهناك أمر أصبت فيه من غير فعلك فعليك أن تصبر عليه ولا تجزع منه.

ثم ذكر كلام بعض العقلاء قال ابن المقفع أو غيره، قال إن الأمور أمران:

- أمر فيه حيلة تستطيع أن تحتال وتفكر إلى أن تأخذه فهذا لا تعجز عنه.
- وأمر لا حيلة لك فيه، مقدّر عليك، لا أسباب توصلك، انقطعت الأسباب، فهذا لا تجزع منه.

يقصد ابن المقفع بذلك أن من تمام العقل أن تستخدمه فيما فيه حيلة ومن نقص العقل أن أمر لا حيلة فيه تبقى جازعًا وتفكر وتفكر حتى تحرق قلبك، وهذا في جميع الأمور.

يقول ابن تيمية الآن:

الذي فيه حيلة هو ما أمره الله به وأحبه له. فإن الله لم يأمره إلا بما فيه حيلة له، إذ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها

إذن أنت لست مأمور إلا بما تستطيع أن تقوم به ولك فيه حيلة، فلو مثلًا وسّع الله لك بيتًا، وأراد الله عز وجل أن يهيئ لك أسباب نفع المسلمين بأن يكون نفع هذا البيت للعلم أو يكون هذا البيت لتحفيظ القرآن، ستكون الحيلة تحت يديك.

أحيانًا يكون البيت لا يستطيع صاحبه إلا أن يسكن فيه، لا يستطيع أن يخدم المسلمين به، فهل أكلف شخص أو أقول له أو هو يجزع ويقول ما استطعت أن أدرِّس المسلمين في بيتي،كنت أتمنى أن يكون بيتي فيه حلقات ذكر، نقول له لا تجزع من أمر لا حيلة لك فيه، أكيد أن أبوابًا أخرى قد فُتحت لك، لكن أنا الآن عندي بيت وفيه سعة ما آتي وأقول والله الموضوع صعب، وأشعر أن الأمر ليس يسيرًا أن أقول للناس تعالوا، ولن يمتثل أحد، وسيبقى الباب مفتوح، فماذا سيقع؟ عجز مع القدرة مع اجتماع الأسباب.

فالمؤمن لا يأمره الله إلا بما له فيه حيلة، فلما تكون في حيلة لا تجعل الشيطان يحتال عليك ويعجزك ويثقل عليك، لابد أن يكون هناك ضرر من الناس أحيانًا نجد – أسال الله أن يوسع للمؤمنين من بيوتهم وأموالهم وأخلاقهم– نجد أن الأبناء يتضايقون مثلًا من صرف شيء من جهدكم، ومِن بذْلك لإخوانك المسلمين وأخواتك المسلمات وبيتك كل فترة يطرق طارق يقول أعطينا، فأبناءك يتضايقون، فلا تعجز واتركهم!، سيتربون على أن العطاء رفعة.

أنت لك حيلة احتال من كان له حيلة فليحتال، وحيلتك هذه ستكون بمقدورك، أي تحت قدرتك، جعلها الله تحت قدرتك، وسيوفقك الله لو اجتهد هذا أمر في الحقيقة يحتاج إلى كثير من التأمل.

الخميس الماضي كان درسنا في مسألة الدنيا وصورتها، وكيف أنها صُورت بالبهيمة التي تأكل ثم تلفت ثم بالت واستراحت واستفادت مما معها من مال، ثم قلت هذا الكلام نفسه – ربما كثير منكم حضر النقاش –كأننا خرجنا بهذه النتيجة مادام أنك تستطيع أن تحتال وتنتفع بما معك لا تعجز ولا تحمل همّ الناس، الناس لابد أن يؤذوك، لابد أن يوقفوك، ليس معهم إلا الكلام، اترك الكلام واستعن بالله ولا تعجز، [مال، صحة، قدرة على تعليم الناس] كل هذا انتفع به ولا تجعل نفسك تدور حول النعم عاجز عن الانتفاع بها، راجع كل النعم التي أنعم الله بها عليك، ولا تقف أمامها عاجزًا تترك الحيلة لتنتفع بها للآخرة. وتنفع بها، أما في الدنيا الناس أصحاب حيل لا تُتصور.

الحقيقة نقول هذا الكلام لأن حبس النفع أصبح سمة للمستقيم!، يحبسون نفعهم عن أخوانهم مع أن اليوم طرق النفع أيسر بكثير من طرق النفع سابقًا، فرسائل الجوال والبريد الإلكتروني والكتب متوفرة، المهم لا تركز أن نفعك لا يكون إلا بالريال والريالين لأ ليس شرطًا!، إنما نفعك بوقتك وقدرتك وما معك من علم وبتخصصك، كل هذا ينفع المسلمين، المهم لا تعجز، احتال من أجل أن توصل ما معك لإخوانك المسلمين.

وإن شاء الله قريبًا سيكون هناك درس على "إعانة الكلّ" وعلى ترك حبس النفع، أن كثير من المسلمين حبسوا نفعهم فتضرر إخوانهم ولم يشعروا بمسؤوليتهم تجاه إخوانهم.

واسم الحسنات والسيئات يتناول قسمين: فالأفعال مثل قوله تعالى: " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها " ومثل قوله تعالى: " إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها " ومثل قوله تعالى: " وجزاء سيئة سيئة مثلها " ومثل قوله تعالى: " بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته " إلى آيات كثيرة من هذا الجنس والله أعلم.

والقسم الثاني: ما يجري على العبد بغير فعله من النعم والمصائب. كما قال تعالى: " ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك " والآية قبلها، فالحسنة في هاتين الآيتين: النعم، والسيئة: المصائب، هذا هو الثاني من القسمين.

وأظن شيخ الإسلام رحمه الله ذكره في هذا الموضع ولعل الناسخ أسقطه والله أعلم.

"واسم الحسنات والسيئات يتناول قسمين" يعني في كتاب الله كلمة الحسنة والسيئة يتناول قسمين: حسنة وسيئة من فعل العبد، وحسنة وسيئة تقع على العبد، فالأفعال من العبد هذه فيها حسنة وفيها سيئة.

الآن اسم الحسنات والسيئات سيتناول قسمين:

- الأفعال التي يفعلها العبد.
- وما ينزل عليه من أقدار.

فالعبد يفعل الحسنة ويفعل السيئة.

⇦ وأتاك بأدلة الحسنة يكون معناها حرصت على ما ينفعك.

⇦ والسيئة معناها أنك عجزت عما ينفعك.

ما يجري على العبد بغير فعله من النعم أو المصائب نحن مقصودنا المصائب ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾

قال: فالحسنة في هاتين الآيتين: النعم، والسيئة: المصائب

فلما تنزل عليك مصيبة تخالف ما تراه أنت حسن ويقدره الله أصبح عندك هنا نوع عبودية وهي الصبر.

- فالحرص على ما ينفع يكون حينما تبدأ تجتهد في القيام بالعمل.
- والصبر لما تنزل عليك المصائب.

واعلم أن حتى هذه السيئة التى وقعت إنما تطهير لنفسك، معالجة مثلًا لسوء ظنك، معالجة لثقتك فى نفسك ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ يعني علاجًا لما قام فى نفسك وأنت تسببت بها لنفسك، على كل حال دورك فيها أن تصبر

وأظن شيخ الاسلام ذكره في هذا الموضع ولعل الناسخ أسقطه والله أعلم،

هذا من كلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن، لكن ماذا يقصد بها؟ نحتاج أن نراجع مجموع فتاوى لابن تيمية ونرى هذا الكلام، ونرى كيف سرد هذا الكلام في كتابه لكي نفهم هذه الجملة.

ثم قال رحمه الله: فإن الإنسان ليس مأمورًا أن ينظر إلى القدر عندما يؤمر به من الأفعال ولكن عندما يجري عليه من المصائب التي لا حيلة له في دفعها، فما أصابك بفعل الآدميين أو بغير فعلهم فاصبر عليه وارض وسلم. قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.

ولهذا قال آدم لموسى: أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة؟ فحجّ أدم موسى، لأن موسى قال له: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة، فلامه على المصيبة التي حصلت بسبب فعله، لا لأجل كونها ذنبًا.

وأما كونها لأجل الذنب .كما يظنه طوائف من الناس . فليس مرادًا بالحديث، فإن آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب.والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. ولا يجوز لوم التائب باتفاق الناس، انتهى.

أولًا:

ثم قال رحمه الله

الآن هذا لازال كلام من؟ كلام ابن تيمية.

فإن الإنسان ليس مأمورا أن ينظر إلى القدر، متى لا يؤمر؟ يعني متى لا يسمح لك أن تقول هذا قدر الله؟ متى لا يسمح لك؟

ثم قال رحمه الله: فإن الإنسان ليس مأمورًا أن ينظر إلى القدر: يعني لا تنظر إلى الأقدار، لا تقل قَدَّرُ الله.

متى تمنع من ذلك؟ عندما يؤمر به من الأفعال، يعني قبل أن يحصل أمر، قبل أن يقع المقدور وأنت بتجمع نفسك على القيام بالفعل. ماذا سنقول؟ هذا الوقت عليك أن تأخذ بالأسباب، وتسأل الله أن ييسر الأسباب، وتجتهد، وتخرج في الموعد المحدد، ولا تقل: لا، قدر الله، لكن لما يجري عليك مصائب، تقع عليك أشياء وتُمْنَعْ من أشياء لا حيلة لك في دفعها سواء كان هذا بفعل الآدميين أو بغير فعلهم، هنا يقال لك انظر إلى القدر، اصبر عليه وارض وسلم.

إذن لك حيلة احتال، ما لك حيلة لا تبدأ تفكر [فلان منعني، فلان فعل لي، فلان دبر لي مكيدة]، لا تفكر في هذا، اصبر وارض وسلم.

وهذا التوازن مفقود عند كثير من الناس أنه يستشهد بالقدر على حال كسله، لكن أكون اجتهدت وأخذت الأمانات وبذلت جهدي، ووصيت هذا ووصيت هذا، وفهمت هذا عمله وفهمت هذا عمله، وكتبت لهم في أوراق بينت لهم، وأخذت كل الحيطة والحذر ثم أأتي فأجد القوم أدخلو هذا في هذا، وخلطوا وفعلوا! ماذا أفعل الآن؟ لا أفكر فيهم، أقول: "قدَّر الله ما شاء الله فعل".

نكمل ما ابتدأناه فى الكلام في باب "اللو" حول مسألة الإيمان بالقضاء والقدر، وكيف أن عطاء الله عز وجل مقدّر ومكتوب لكن وقت قيامك بالفعل لا تنظر إلى القدر، وقت وقوع الفعل عليك فما أصابك من الآدميين أو من غيرهم ذاك الوقت مطلوب منك أن تصبر عليهم وترضى.

ثم استدل بالآية التى كانت هي موضوعنا في الباب: "من الإيمان الصبر على أقدار الله"، ما هي الآية؟ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾

يعني هداية القلب وقت نزول المصيبة على قدر ما في القلب من إيمان.

الآن هذا كلام ابن تيمية:

ولهذا..

اسم اشارة عائد على موقفك، هو يقول الآن وقت ما يجري لك من أفعال، وقت ما تقوم أنت به من الأفعال لا تقول من القدر، وقت ما ينزل عليك من مصيبة لا حيلة لك فيها ذاك الوقت انظر إلى القدر.

لهذا بمعنى بناءً على هذه القاعدة تفسر موقف آدم عليه السلام لموسى، كيف كان ترتيب القصة؟ موسى قال لآدم عليه السلام لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟، فلامه على المصيبة التى حصلت بسبب فعله.

يعني قال له: "لماذا أخرجتنا؟" فرد عليه آدم: "أتلومنى على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة؟".

مرة أخرى؛ الآن آدم عليه السلام لما حآجّه موسى قال له: "لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟" رد عليه آدم عليه السلام لما لامه موسى قال له: "أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة؟". ففي الحديث أن آدم حجّ موسى، يعني حاججه فاستطاع أن يحجّه، يعني ينتصر عليه في المحاجّة.

في الكلام حول المجادلة أو المحاجّة بين موسى عليه السلام وبين آدم عليه السلام يتحقق فيه أمر مهم وهو أن الإنسان لا يلام إلا على أمر فعله هو، أما ما نزل عليه قضاء وقدرًا فلا يلام.

⇦ فأما آدم عليه السلام فقد أذنب، فإذا كان سيوجه له لوم سيوجه له لوم على ذنبه، لكنه تاب، ومن تاب من الذنب كمن لا ذنب له، فلا يلام على ما وقع منه.

⇦ وأما الإخراج فهذا ليس فعله، فهو لم يفعل فعل الإخراج، إنما أخرجه الله.

هو الآن ارتكب ذنبًا، هذا الفعل هو الذي يلام عليه، لكن هذا الفعل الذي هو الذنب قد تاب عليه وانتهى، تاب عليه كمن لا ذنب له، **فبسبب فعله حصلت المصيبة التى هى الخروج**.

أنت لمن تنظر الآن للمصيبة التي حصلت بسبب الفعل لا تلوم الإنسان إلا على فعله الذي فعله، أما ما حصل جرّاء ذلك فهو ليس فعله إنما فعل الله.

هذه مشكلة!، يعني هذا أمر مشكل على كثير من الناس أن يفرقون بين فعلهم وبين ما وقع بسبب فعلهم.

الآن آدم عليه السلام أذنب، ثم تاب من الذنب.

أذنب = يلام.

تاب = نفي عنه اللّوم، مُحي ذنبه ومن ثمّ ذهب عنه اللّوم.

تاب كمن لا ذنب له لكن حصلت مصيبة بسبب فعله، المصيبة التي بسبب فعله من أوقعها؟ الله عز وجل!، إذن لا يلام عليها!.

إذن سنقول: وما السبب في الإخراج؟! – هكذا يقال – هو السبب في الإخراج، وهكذا كان فهم موسى لهذا قال: "لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنه؟"

اقرئي الجملة جيدًا "لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنه؟" فهل آدم عليه السلام بفعله أَخْرَجَ من الجنة؟ هل كان هذا فعله؟ لم يكن هذا فعله!، هو عصى الله وأكل من الشجرة، هذا فعله الذي يلام عليه، هذا يعتبر ذنب:

- هو تاب من ذنبه كمن لا ذنب له.
- والأثر الخروج فهذا قدر قدره الله وربطه الله بكونه أذنب.

من أجل ذلك يقول: "أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة؟" لأن موسى قال له: "لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟" هل أخرجه آدم؟ آدم لم يخرجه، الفعل هنا تقدير الله. فلامه على المصيبة التي حصلت بسبب فعله، هو لام: فعل، وبعد الفعل أتت مصيبة إذن قدر من الله، وانت تلام على الفعل.

لكن هو لما أذنب قال: لا لأجل كونه ذنبًا.

وأما كونها لأجل الذنب كما يظنه طوائف من الناس فليس هو المراد من الحديث لأن آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولا يجوز لوم التائب بإتفاق الناس.

واحد تاب فلا تلوموه!، وما وقع من الإخراج هذا فعل من؟ أمر قدره الله عز وجل!.

من أجل أن تتصور هذا؛ لمن نأتي نقول: فلان قتل فلان، قتل هذا فعله يلام عليه.

لكن نقول: فلان حفر حفرة كبيرة وتركها مكشوفة فبهذا سيؤذي المسلمين، إلى هنا فعل فعلًا يؤذى به المسلمين، فتاب عنه، ثم لو حصل أن طفلًا وقع فيها، هذا ليس فعله!⇦ هذا قدره الله، نعم هو بسبب فعله لكن هو لم يفعل هذا الفعل!.

يعني هل تقيس هذا بواحد قتل واحد؟ لأ؛

⇦ واحد قتل واحد هذا فعله!

⇦ وواحد حفر حفرة لمصلحة له وتركها مكشوفة فوقع فيها طفل فمات سنقول: تلام على أنك حفرت الحفرة وهذا إيذاء للمسلمين، وسنسميه قتل خطأ، لن نسميه قتل عمد، ومن ثمّ لم يكن حكمه كمن قتل عمدا!.

لماذا يأتي الطفل ويقع؟ اللوم هنا هل سنلوم الذي حفر الحفرة أم سنلوم الطفل الذي وقع؟ هنا سنقول: "قدر الله وما شاء فعل"، فنحن الآن هذا ما تاب من الذنب، **حفر حفرة وتركها تؤذي المسلمين، سنلومه على حفره الحفرة، لكن القتل وموت الطفل هذا قدر الله.**

مثل ما نأتي نقول أم تركت طفلها في البيت وخرجت مثلًا لقضاء بعض حوائجها، ثم الطفل فتح باب النافذة مثلًا ورمى نفسه – أسأل الله أن يحفظ أطفال المسلمين كلهم – الآن الأم تلام على ماذا؟ على ترك هذا الطفل فى البيت، لكن موته ورمي نفسه من النافذه هذا قدر قدره الله، ستقولين هي هيأت السبب !! فنقول: تلام على تهيئة السبب لكن لا ينسب إليها قتل الطفل!.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: فتضمن هذا الحديث الشريف أصولًا عظيمة من أصول الإيمان: أحدها أن الله سبحانه موصوف بالمحبة وأنه يحب حقيقة.

هذا إشارة لأي حديث؟ للحديث الأصلي الذي فى الباب، الذى ذكره المؤلف: ""الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ".

الثاني: أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها، فهو القوي ويحب المؤمن القوي، وهو وتر يحب الوتر، وجميل يحب الجمال، وعليم يحب العلماء، ونظيف يحب النظافة، ومؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وصابر يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين.

إذن الإشارة الأولى أن الحديث تضمن أصل من أصول الإيمان وهو أن الله عز وجل موصوف بالمحبة، فهو يحب من عباده العبد المؤمن القوي فى إيمانه، وهذا القوي في إيمانه الذي يأخذ بكل الوسائل التي تقوي إيمانه وتنفعه.

المسألة الثانية: أن الله سبحانه وتعالى يحب مقتضى أسماؤه، فهو قوي يحب الأقوياء، وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال، إلى آخر ماهو مقرر من محبته للأشياء و محبة من يتصف بها.

طبعًا هذا النوع – مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها – النوع الذي يليق على العبد أن يتصف به، فلأنه متكبر لا يحب المتكبرين، فهناك نوع لا يليق للعبد أن يتصف به وتفصيله في القواعد إن شاء الله.

ومنها أن محبته للمؤمنين تتفاضل، فيحب بعضهم أكثر من بعض.

ومنها: أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده، والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع

فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودًا وكماله كله في مجموع هذين الأمرين: أن يكون حريصًا وأن يكون حرصه على ما ينتفع به، فإن حرص على ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه من غير حرص فاته من الكمال بقدر ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع.

ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره أن يستعين بالله ليجتمع له مقام: " إياك نعبد وإياك نستعين " فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله تعالى. ولا يتم إلا بمعونته فأمره أن يعبده وأن يستعين به. فالحريص على ما ينفعه، المستعين بالله ضد العاجز، فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه مع الإستعانة بمن أزمة الأمور بيده ومصدرها منه ومردها إليه.

الآن هذه فائدة من الحديث:

أن محبته للمؤمنين تتفاضل ويحب بعضهم أكثر من بعض على حسب أعمالهم وعلى حسب قوة إيمانهم، ومنها أن سعادة الإنسان فى حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده.

ثم فسر لك الحرص؛ قال:

والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودًا، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين: أن يكون حريصًا.

وأن يكون حرصه على ما ينتفع به

فأحيانًا يكون الإنسان حريص لكن ليس على ما ينفعه، وإنما حريص على ما يضره ويضر إيمانه ويضر دنياه

فإن حرص على ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه من غير حرص فاته من الكمال بقدر ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع.

ويقصد بذلك أن الحرص نوع تقرب، يعنى أنك لما تحرص على شئ ينفعك تنتفع بما أعطاك الله من قدرات، وأن العبد يؤمن أن الله عز وجل لما أعطاه من المواهب والفرص وما أعطاه من أشياء تنفعه وجب عليه أن يتقرب بها إلى الله، وهذا كان مقصودنا فى "منع حبس النفع".

يعني **ممنوع عليك أن تحبس نفعك ويجب عليك أن تحرص على ما ينفعك**، فجعل لك قدرة على القراءة وعلى الكتابة وعلى تفهيم المسلمين، وعلى فهم شيء، افهمه واتقنه وانفع به المسلمين، وهذا كله قربة إلى الله.

إذن العبد يتقرب إلى الله بأمرين:

- الوجه الأول: بأن يحرص على ما ينفعه.
- والوجه الآخر: أن يستعين، الآن تأتى الاستعانة.

ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره أن يستعين بالله ليجتمع له مقام: " إياك نعبد وإياك نستعين "فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله تعالى. ولا يتم إلا بمعونته فأمره أن يعبده وأن يستعين به.

فالحريص على ما ينفعه، المستعين بالله ضد العاجز، فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده ومصدرها منه وموردها إليه.فإن فاته ما لم يقدر له فله حالتان: عجز. وهو مفتاح عمل الشيطان، فيلقيه العجز إلى لو ولا فائدة من لو ههنا بل هي مفتاح اللوم والعجز والسخط والأسف والحزن.

وذلك كله من عمل الشيطان فنهاه صلى الله عليه وسلم عن افتتاح عمله بهذا الإفتتاح، وأمره بالحالة الثانية.وهي النظر إلى القدر وملاحظته وأنه لو قدر له لم يفته ولم يغلبه عليه أحد، فلم يبق له ها هنا أنفع من شهود القدر ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجوب المقدور، وإن انتفت امتنع وجوده.

ولهذا قال: فإن غلبك أمر فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل.

الآن بعد أن تجمع أمرين معًا:

- الأمر الأول: أن تحرص وأن يكون حرصك على ما ينفعك.
- والأمر الثاني: أن يكون حرصك أصلًا هذا إنما هو بمعونة الله ومشيئته، **فالمعونة تقع على الحرص وعلى الفعل، معونتك واستعانتك بالله تقع على حرصك وعلى فعلك**.

أمره أن يستعين بالله ليجتمع له مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فإن حرصه على ما ينفعه يدخل في عبادة الله عز وجل والقربة إليه.

ولا تتم العبادة ولا الحرص على ما ينفع إلا بالمعونة، فأمره أن يعبده ويستعين به، فالحريص على ما ينفعه – هذه الوسائل مع بعض– [المستعين بالله، ضد العاجز].

يعني العاجز فاقد هذان الأمران:

- الحرص على ما ينفعه.

- وفاقد الاستعانه.

⇦ عجز أن لا تستعين، عجز أن لا تحرص على ما ينفعك، فهذا إرشاد له، لكن إرشاد لمتى؟ قبل وقوع المقدور، هذا إرشاد قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله.

ما هي أعظم أسباب حصوله التي جعلها الله؟ أن تحرص على ما ينفعك، وتبحث بقلبك عن مواطن النفع وتتطلبها وتسأل عنها، وتستعين بمن أزِمَّة الأمور بيده، ومصدرها منه، وموردها إليه، فكل الأمر لله، لكن أنت يحصل في قلبك عزم على ما ينفعك واستعانة بالله تقترب منك الأسباب وتتيسر وتنتفع بها.

إذن الحرص فعل القلب، ومقياسه العلم، فالحرص على ما ينفع لابد أن يكون عندك علم صحيح يبيِّن لك ما ينفعك مما لا ينفعك.

ثم بعد ذلك تأتي العبادة الأخرى وهي عبادة الإستعانة؛ وعبادة الاستعانة من أعظم العبادات التى تقرب إلى الله، وهي سبب لوجود الأسباب وسبب للتوفيق إلى النتائج، هذه الحالة الآن انتهت.

أتى الكلام عن هذا متى يكون؟ هذا إرشاد له قبل وقوع المقدور، قبل وقوعه.

فإن فاته ما لم يقدر له؟ سيكون الناس عندهم واحد من الحالتين:

- الحالة الأولى: حالة العجز.
- الحالة الثانية: النظر إلى القدر وملاحظته.

العاجز هذا ما أسلوبه؟ قال:

عجز. وهو مفتاح عمل الشيطان، فيلقيه العجز إلى "لو" ولا فائدة من "لو" ههنا بل هي مفتاح اللوم والعجز والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان

يعني معناها ضعف الإيمان بالقضاء والقدر، وإذا ضعف الإيمان بالقدر ضعف ايمان العبد، أثر على ايمانه، ونسي العبد أن الله بقدرته قدّر الأشياء، وأنه لو كان نصيبه ما كان أخطأه، ولأنه ليس نصيبه من أجل ذلك ما أتاه.

ضعف الإيمان بالله يعيدنا إلى أول الكلام أن هذا يؤثر على العبد فيصبح في قلبه من النفاق مافي قلبه، يعني هذا الذي يجعلك تفهم أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف:

المؤمن الضعيف قلبه ناقص في إيمانه:

⇦ فمن جهة قبل وقوع المقدور تراه ضعيفًا، لا يحرص على ما ينفعه.

⇦ وبعد وقوع المقدور تراه لا يؤمن بالأقدار، هذه حالة العجز التي تدل على ضعف الإيمان.

أورد حديث: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ"

⇦ **وإشارة قوة الإيمان أن تحرص على ما ينفعك وتعلم أن ما ينفعك يحتاج إلى عقل سديد،** ويحتاج هذا كله إلى استعانة.

⇦ ثم إذا وقع القدر لا تعجز وتقول: "لو" كن قوي الإيمان واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

إذن ما هي الحالة الثانية؟ النظر إلى القدر وملاحظته.

وهي النظر إلى القدر وملاحظته، وأنه لو قدر لم يفته ولم يغلبه عليه أحد، فلم يبق له ها هنا أنفع من شهود القدر ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجوب المقدور، وإن انتفت امتنع وجوده.

أي إن انتفت مشيئة الله امتنع وجود المقدور، أي النتيجة امتنع وجودها.

ولهذا قال:

ولهذا قال :فإن غلبك أمر فلا تقل :لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل :"قَدَرَ الله وما شاء فعل" – وفي قراءة أخرى: "قدّر الله وماشاء فعل" – فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين:

حالة حصول المطلوب.

وحالة فواته،.

حال حصول المطلوب وحال الفوات المؤمن له أحوال من العبادة:

حال حصول المطلوب: الشكر ونسبة النعمة إلى الله.

وحال الفوات: الصبر وعدم فتح باب الشيطان.

فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغنى عنه العبد أبدًا، بل هو أشد إليه ضرورة، وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار.

نؤمن بالقدر ونؤمن أن لنا مشيئة، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

أنت ما كسبك واختيارك؟

- ⇦ ما قام في قلبك من الحرص على النفع
- ⇦ كسبك واختيارك ما قام في قلبك.
- ⇦ كسبك واختيارك إستعانتك بالله أن يعطيك الحول والقوة.
- ⇦ لكن ممكن الإنسان يحرص على أن يستعين بالله، والله عز وجل منان يعطيك الحول والقوة بدون استعانة، يعطي النوال قبل السؤال، فيكون معناه أن العبد قد يعتمد على كسبه واختياره وينسى أن هذا كله مربوط بمشيئة الله.

والقيام بالعبودية ظاهرًا وباطنًا في حالة حصول المطلوب

يعني أنت تعبد الله:

- في حال حصول المطلوب تعبده بالشكر
- وحال عدمه تعبده بالصبر.

حكم قول "لو"

الباب يتكلم عن "اللو" وكيف أنها تدل على ضعف الإيمان والإعتراض على القضاء والقدر، لكن هل "لو" دائمًا ممنوعة؟ سأنقل لكم كلام الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله– في شرحه لهذا الباب وكيف أنه قسم استعمالات "لو" في عدة أوجه.

قال الشيخ ابن العثيمين – رحمه الله تعالى–:

"لو" تستعمل على عدة أوجه:

الوجه الأول: أن تستعمل في الإعتراض على الشرع، وهذا محرم، قال تعالى: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾[٦٣٧] في غزوة أحد حينما تخلف أثناء الطريق عبد الله بن أبي في نحو ثلث الجيش، فلما استشهد من المسلمين سبعون رجلا اعترض المنافقون على تشريع الرسول صلى الله عليه وسلم، وقالوا: لو أطاعونا ورجعوا كما رجعنا ما قتلوا، فرأينا خير من شرع محمد، وهذا محرم يصل إلى الكفر.

هذا النوع الأول الذي في الدليل الأول، الأدلة الأولى التي من آل عمران، فيها اعتراض على ماذا؟ اعتراض على الشرع.

- هنا "لو" استخدمت للاعتراض على الشرع، لو أطاعونا وما قاموا بالفعل هذا ما قُتلوا.

مثل ما في سورة التوبة كان موقفهم لما قال الله عز وجل أنهم يقولون عن المؤمنين الذين تقدموا إلى غزوة تبوك ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ فرد الله عليهم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٦٣٨]، فهم يعترضون على الشرع ويرونه لا يحقق لهم مصالحهم، هذا النوع الأول من اللو.

الثاني: أن تستعمل في الاعتراض على القدر، وهذا محرم أيضا، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾[٦٣٩] أي: لو أنهم بقوا ما قتلوا، فهم يعترضون على قدر الله.

- إذن النوع الثاني سيكون الإعتراض على قدر الله عز وجل، يقولون لهم لو أنكم فعلتم كذا، ما قتلتم وما متم، إذن "لو "فيها اعتراض علي قدر الله.

⇦ الأول فيه اعتراض على شرع الله،

⇦ والثاني فيه اعتراض على قدر الله.

⇦ نأتي للنوع الثالث:

الثالث: أن تستعمل للندم والتحسر، وهذا محرم أيضًا، لأن كل شيء يفتح الندم عليك فإنه منهي عنه، لأن الندم يكسب النفس حزنًا وانقباضًا، والله يريد منا أن نكون في انشراح وانبساط، قال صلي الله عليه وسلم: " "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ".

---

[٦٣٧] آل عمران:١٦٨

[٦٣٨] الأنفال:٤٩

[٦٣٩] آل عمران:١٥٦

إذن هذا النوع ليس فيه اعتراض علي القدر الله، ولا اعتراض على الشرع، يؤمن الشخص أن هذا قدرالله لكن تمر علي خاطره هواجس شيطانية، تجعله يتصور أنه لو كان كذا لكان أحسن من فعل كذا، والأمر قدر وانقضي وانتهي!.

فهذه الهواجس الشيطانية تورث القلب الحزن والهمّ، فالناتج أن يكون العبد مهمومًا حزينًا ربما أصيب بعقدة نفسية ستجعله المرة القادمة لا يفعل شئ، يتوقف عن فعل أي شئ أو يتوقف عن فعل هذا النوع من الأشياء، **التجربة التي مضت انتهت استفد منها وتقدم واسأل الله عز وجل أن ينفعك بما مضي من تجارب، تعلم من أخطاءك لكن ما مضي انتهي أمره.**

لهذا نقول والأمر حار والقدر واقع، لا تتكلم بما لا يرضي الله، ثم إذا هدأت المسائل وبردت وقتها فتش عن الأسباب وتحاشاها المرة القادمة.

مثال ذلك: رجل حرص أن يشتري شيئًا يظن أن فيه ربحًا فخسر، فقال لو أني ما اشتريته ما حصلت لي خسارة، فهذا ندم وتحسر، ويقع كثيرًا، وقد نهي عنه.

الرابع: أن تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية، كقول المشركين: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾[٦٤٠]، وقولهم:﴿ لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾[٦٤١] وهذا باطل.

❖ النوع الرابع المحتجون يستعملون "لو" في الإحتجاج علي قيامهم بالمعصية، يقولون لو ربنا ما أراد أن نفعل هذه المعصية ما فعلناها!

نقول هذا الاحتجاج باطل، وبطلانه يأتي من وجه معروف أن الله عز وجل لا يأمر بالفحشاء ولا بالمنكر، وإنما من قام في قلبه الفحشاء والمنكر وأصرَّ علي ذلك بعد طول تربية من الله له ييسر له الأسباب للوقوع في الفحشاء والمنكر.

وأما مما تفهمه عن الله وعن أسماءه وصفاته فأنت علي يقين أنه لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى بها ولا يقبلها، فإذا فهمت هذا كيف تفسر الواقع؟ تقول ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٦٤٢].

ولم يعطك القدرة على القيام لأنه راضٍ عنك أو راضٍ عن هذا العمل إنما أعطاك القدرة موافقة للحكمة ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ فهو عليم بما في قلوب الخلق، حكيم.

كيف ييسر لأهل اليسرى وكيف يعسر علي أهل العسرى ﴿فأما من أعطي وأتقي وصدق بالحسني فسنيسره لليسرى﴾ هذا قام بفعل قلب وبدن يدل على طلبه للإستقامة، فييسره الله لليسرى وييسر له الأسباب التي بها يتقرب إلى ربه.

الثاني ماذا فعل؟ ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ وقع منه هذا الفعل، وأيضًا ماذا فعل بقلبه ﴿وَكَذَّبَ﴾.

- الآن أنا عندي واحد صدَّق بالحسنى.
- والثاني كذَّب هذا سييسر للعسرى فكل واحد علي ما قام في قلبه.

---

[٦٤٠] الأنعام:١٤٨

[٦٤١] الزخرف:٢٠

[٦٤٢] الصف:٥

فلا تقل لو شاء الله كان منعني نقول اختبر الله قلبك فيتبين لك أنت!، وإلا فإن الله عز وجل يعلم!، تبيَّن لك أن لما يسَّر لك طريق اليسرى تكاسلت ولما فُتح لك طريق العسري نهضت إذن لا تقل لو شاء الله لما وقع مني.

الخامس: أن تستعمل في التمني، وحكمه حسب المتمنَى: إن كان خيرا فخير، وإن كان شرا فشر.

وفي الصحيح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قصة النفر الأربعة قال أحدهم: "لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان" فهذ تمني خيرا، وقال الثاني: "لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان"، فهذا تمني شرا.

في حديث الأربعة نفر:

واحد عنده مال سلطه علي هلكته في الحق.

والثاني تمني لو عنده مال وعلم مثله، قال: "لو أن عندي مال مثله، "لو" هنا لا أقول أنها تفتح عمل الشيطان، نقول هذا باب للأجر لأنه تمني خيرا.

الثالث: رأى شخص عنده مال ويهلكه في الباطل تمني أن يكون مثله هذا تمنيه شر فهو مثله.

فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الأول: "فهو بنيته، فأجرهما سواء"، وقال في الثاني: "فهو بنيته فوزرهما سواء".

وهذه من الأحاديث التي تحتاج إلى ضبط في فهمها، وتحتاج دائمًا من طالب العلم أن يراجعها، حديث الأربعة نفر المهم أن تراجعه دائمًا، لتفهم كيف شُرع لك نوعًا من العبادة لو صدقت لعظمت أجورك فيها، وأيضًا يبيِّن لك كيف أن عمل القلب هو المقصود الأعظم.

السادس: أن تستعمل في الخبر المحض.

أولًا: الاعتراض على الشرع.

- ثانيًا: الاعتراض على القدر.
- ثالثًا: للندم والتحسر.
- رابعًا: الاحتجاج على المعصية بالقدر.
- خامسًا: التمني.
- والسادس سيكون الخبر المحض.

السادس: أن تستعمل في الخبر المحض. وهذا جائز، مثل: لو حضرت الدرس لاستفدت، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ وَلَحَلَلْتُ معكم" [البخاري: كتاب التمني / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت﴾، ومسلم: كتاب الحج / باب بيان وجوه الإحرام.].

هذا ليس فيه ندم ولا تحسر ، ولا فيه اعتراض على القدر، لكن فيه تقرير حقيقة، خبر.

كأن نقول له:

لو حضرت الدرس ستستفيد.

لو ذهبت العمرة ستجد خيرًا كثيرًا.

لو قرأت القرآن ستنتفع، ولو فهمته سيحيا قلبك.

هذا كله مجرد خبر محض يقال لو فعلت كذا ستكون النتيجة كذا، لكن أين الندم والتحسر إذا كان عن شيء مضي وانقضي ولا تستطيع الإتيان به، لكن لما اقول لك لو فعلت كذا في المستقبل سيكون كذا وكذا.

إذن الأخيرة التي في الخبر المحض غالبًا تكون علي ما أستقبل من أمر، وليس علي ما انتهى واستدبر من أمر.

بهذا نكون ضبطنا إستخدامات " لو" في ستة أنواع.

فأخبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه لو علم أن هذا الأمر سيكون من الصحابة ما ساق الهدى ولا أحد، وهذا ظاهر لي: وبعضهم قال: إنه من باب التمني، كأنه قال: ليتني استقبلت من أمري ما استدبرت حتى لا أسوق الهدى. لكن الظاهر: أنه لِما رأى من أصحابه، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يتمنى شيئا قدر الله خلافه

هو نفس المعنى، انتهينا على أنه خبر محض على ما هو مستقبل.

مطلوب منك جدول تكتبين فيه النوع والحكم، نوع الـ "لو" وحكمها واضربي على ذلك مثالًا، نضع خانة ثالثة: مثال على كل نوع.

انتهي باب ما جاء في اللو وهو يدور حول الإيمان بالقدر، وسيتبعه باب النهي عن سب الريح وله علاقة بمسألة الإيمان بالقدر.

باب: النهي عن سب الريح.

قوله : عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ ، وَنَعُوذُ بِك مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ". صححه التِّرْمِذِيُّ.

يعني هذا الحديث عند الترمذي صحيح.

قال المصنف رحمه الله تعالي باب: "النهي عن سب الريح" لأنها إنما تهب عن إيجاد الله تعالى وخلقه لها وأمره، لأنه هو الذي أوجدها وأمرها، فمسبتها مسبة للفاعل، وهو الله سبحانه، كما تقدم في النهي عن سب الدهر وهذا يشبهه.

يعني هو يري أن سب الريح يشبه سب الدهر، لماذا؟ لأنهما يشتركان في أنهما من خلق الله، ومن إيجاده، ومن فعله، وليس لهم قدرة علي القيام بشئ مستقلين، إنما هم من جند الله، **يعني الريح من جند الله والدهر الليل والنهار قدَّره الله فلا يملكون شيئا،** لكن له وجه علاقة بمسألة اللو أيضًا، أي مسألة الإيمان بالقضاء والقدر.

ولا يفعله إلا أهل الجهل بالله ودينه وبما شرعه لعباده، فنهى صلى الله عليه وسلم أهل الإيمان عما يقوله أهل الجهل والجفاء وأرشدهم إلى ما يجب أن يقال عند هبوب الرياح.

فقال: "فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ"

يعني إذا رأيتم ما تكرهون من الريح إذا هبت فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد وقولوا: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ ، وَنَعُوذُ بِك مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ".

ففي هذا عبودية لله وطاعة له ولرسوله، واستدفاع للشرور به، وتعرض لفضله ونعمته وهذه حال أهل التوحيد والإيمان، خلافًا لحال أهل الفسوق والعصيان الذين حرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان.

ما علاقة هذا بالإيمان بالقدر؟ كما قال الشافعي رحمه الله: "وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسُبَّ الرِّيَاحَ فَإِنَّهَا خَلْقٌ لِلَّهِ تَعَالَى مُطِيعٌ ، وَجُنْدٌ مِنْ أَجْنَادِهِ يَجْعَلُهَا رَحْمَةً وَنِقْمَةً إِذَا شَاءَ سبحانه".

وورد في الحديث أخرجه أبو داوود في الأدب: "الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَعَالَى تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ تعالى خَيْرَهَا ، وَاسْتَعِيذُوا بِاَللَّهِ مِنْ شَرِّهَا"

إذن لما تري الريح تقولي: " اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا" وهذه إضافة سببيه وليست استقلالية، لأنك أنت تقولين: "مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ " **فأولًا الخير والشر أضيف إليها إضافة سببية لا استقلالية لأن الله سبحانه جعلها سببًا لذلك – الخير والشر–.**

ثم جعلها ظرفًا لذلك، كيف ظرف؟ لأن الله جعل فيها قدرة علي أن تحمل الشيء من مكان إلى مكان وتحمله إلي حيث ما أُمرت. فالناس لما ينظرون إليها يتصورون أنها فاعلة ولهذا ممكن أن يسبوها وهي في الحقيقة مأمورة، والرسول صلي الله عليه وسلم جعل الأمر في السؤال كله لله تعالى، وأثبت الأسباب التي أثبتها مُرسلها تبارك وتعالي – مرسل الرياح–، فإنه تعالى يرسلها مبشرات ويرسلها نقمات، فإنه يرسلها بما يكره الإنسان وبما يحب.

فإذا كان الأمر كذلك فليسأل العبد مرسلها الذي أرسلها من خيرها وخير ما أرسلت إليه، ويستعيذ به يعني بالله من شرها ومن شر الذي أرسلت به، ولما يعلم أنها مأمورة فلا يسبُّها بل يسأل الله ثم يسلم لأمره، **هنا القضاء والقدر يسلم لأمره فيما أصابه بعد ذلك.**

إذن هذا تفسير جملة الشيخ:

فارجعوا إلي ربكم بالتوحيد.

فافهموا أن الله جعلها ظرفًا تقع فيها الأحداث، مجرد سبب لا استقلال لها.

ولهذا تعلم أن إيمانك به أنه يسبب الأسباب يقيك من السَّفه، يقيك من أن تكون سفيه العقل، فلما أتت الأحداث في جدة وأتي السيل الرياح الشديدة والسيل الذي أتى؛ الناس جعلوا السيل فاعلًا!، ولم يتصوروا أن الذي أرسله هو الله!.

⇦ والله عز وجل يبعث المبشرة فتقُّم الأرض قما.

⇦ ويبعث المثيرة فتثير السحاب.

⇦ ثم يبعث المؤلفة فتؤلف السحاب ثم يبعث الله اللواقح فتلقح السحاب.

هذه أنواع من الرياح: [مبشرة، مثيرة، مؤلفة، لواقح].

فهذه من آياته الباهرات،كما يقول ابن القيم:

"أن الريح من آياته الباهرة، هذا الهواء اللطيف المحبوس بين السماء والأرض والطير محلقة سابحة بأجنحتها في أمواجه كما أن حيوانات البحر تسبح في الماء"

يعني الطير يسبح في الهواء كما أن حيوانات البحر تسبح في الماء.

إذا شاء الله حركها حركة رحمة فجعلها رخاء ورحمة وبشري بين يدي رحمته ولقاحًا للسحاب يلقحه كما يلقح الذكر الأنثي بالحمل، تسمي رياح رحمة بالمبشرات والذاريات والمرسلات واللواقح ورياح العذاب تسمى العاصف القاصف.

وهذا كله يجعلك من أهل التوحيد، تعلم أنه إذا شاء الله حرّك هذا البحر بحركة العذاب أو هبت عليه نسائم فنفعته.

والحاصل أن من الرياح ما يكون عذابًا ومنها ما يكون رحمة، وأنت تفهم أن هذا الهواء اللطيف يكون عذابًا علي قوم ويكون رحمة علي قوم لكن هو بنفسه ليس فاعلًا، والرياح فيها منافع ومصالح للعباد والبلاد، لا يحصيها ويحيط بعلمها إلا الذي خلقها ودبرها، والرياح أيضًا فيها بلاءات لا يعلمها إلا الله.

في نهاية الأمر تؤمن أن حركة هذه الرياح قدرًا مقدورا، قدره الله عز وجل علي عباده، فلا تفكر فيها **– لا تفكر في السبب فكر في المسبِّب –**، وهذا يجعلك تزداد امتناعا عن اللو وأمثالها من الاعتراض على القدر، وترى أن هذه الريح وغيرها قدرها الله وصرفها على ما ينفع العباد.

بعض طلاب العلم كانوا يقولون:كان أن أنسب في باب النهي عن سب الريح أن يقع وراء باب النهي عن سب الدهر؟! وهذا رأي – والله أعلم– ليس صائبًا، لأن سياق باب سب الريح أو الاستشهاد به أريد به أمر آخر غير سب الدهر، **هنا أُريد كأنه يقال لك من الصور التي يظهر فيها إيمانك بالقضاء والقدر وعدم اعتراضك على فعل الله هو أنه لما يقع فعل الله لا**

تعترض عليه أو لما ترى أسبابًا لا تنسب الفعل لها فانظر إلى موقفك من الريح، لما تراها لا تظن أنها تفعل لا تظنها تفعل إنما اسأل الله عز وجل أن يعطيك خيرها ويدفع عنك شرها.

وانظر إلى الدعاء؛ الدعاء كله توحيد: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ" فتفهم أن النسبة هنا سببية وليست استقلالية، وفهمنا ذلك من آخر كلمة: "مَا أُمِرَتْ بِهِ " فأنت افهم أنها مأمورة " وَنَعُوذُ بِك مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ" فالشر الموجود في الريح لم تفعله الريح! إنما قدَّره الله لحكمة وهكذا [إذا أتى السيل، إذا أتت أمواج البحر القوية، إذا أتت الفيضانات، إذا أتت البراكين] لا تسبُّها إنما هي من جند الله فتتعلق بالله أن يرد الشر، واعلم أن جند الله لا بد أن يكون غاية الطاعة لربهم، فاسأل مالكهم أن يرد ما معهم من شر ودمار وأن يعطيك ما معهم من خير للديار.

نكون بهذا ربطنا هذا الباب – باب النهي عن سب الريح – وفهمنا معناه بالنسبة لما سبق.

ننتقل إلى باب يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية نقرأ فقط، هذا الباب مهم جدًا، ثم أطلب منكم عدة طلبات استعدادًا لذلك.

باب قول الله تعالى: (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ).[٦٤٣]

وقوله: (وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ)[٦٤٤].

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله.

وهذا هو الظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختصّ بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟.

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيًا

مطلوب منكم مجموعة طلبات استعدادًا لغد:

أولًا: مراجعة سياق آية سورة الفتح ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾؛ هؤلاء القوم الظانين بالله ما ظنهم.

ثانيًا: نريد أن نأتي بنصوص تتكلم عن مشيئته سبحانه وتعالي، ووصوفات هذه المشيئة.

يعني ابحثي في الكلام حول مشيئة الله – الآيات التي ورد فيها الكلام عن مشيئة الله – والصفات التي اقترنت في السياق بالمشيئة. مثل آية الإنسان ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ثم في نفس السياق أتى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٦٤٥] له علاقة، ابحثي في السياق وانظري كيف يتكلم الله عن نفسه في سياق الكلام عن المشيئة من أجل أن تنضبط عندك مسألة المشيئة – مشيئة الله –. نحن نتكلم عن قدره، وقدره هذا فيه مشيئته، فانظر إلى مشيئة الله ماذا تعتقد فيها.

هذان الطلبان إن شاء الله استعدادًا لغدٍ.

---

[٦٤٣] آل عمران:١٥٤

[٦٤٤] الفتح:٦

[٦٤٥] الإنسان:٣٠

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمدلله الذي يسر لنا هذا اللقاء ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاءًا مباركًا مرحوما.

لقاؤنا إن شاء الله اليوم نقرأ فيه من كتاب فتح المجيد.

باب قول الله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ وهذه الآية ذكرها الله تعالى في سياق قوله تعالى في ذكر وقعة أحد: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ يعني أهل الإيمان والثبات والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله تعالى ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم وينجز له مأموله، ولهذا قال: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ يعني لا يغشاهم النعاس من الجزع والقلق والخوف ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ كما قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله. وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة، عن ابن جريج قال: قيل لعبد الله بن أبي: قتل بنو الخزرج اليوم؟ قال: وهل لنا من الأمر من شئ؟.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على ما تضمنته وقعة أحد: وقد فسّر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بأنه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل وأنه يسلمه للقتل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضاء الله وقدره ولا حكمة له فيه. ففسر بإنكار الحكمة. وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يظهره على الدين كله.

نبدأ الآن بالكلام حول معنى الظن وكيف أنه أحد أسباب المهلكة، لو أن العبد أقام حياته على ظن السوء في ربه.

الظن: هو الشك، يعرض للعبد فيحكم به، ويتحكم في تفكيره وفي تصوره، لكن لابد أن تفهم أن هذا الظن له مبادىء – مبادىء الظنون– فمبادىء الظنون التي لا تملك وخواطر القلب التي تأتي ولا تستطيع أن تستدفعها أولًا ليست هذه المقصودة إنما المقصود ما استحكم وتحقق وتمكن وصنع التصور، إذن ظن السوء هو الشك يعرض للإنسان فيحققه ويتحكم فيه.

وبهذا تفهم أن الظان بالله ظن السوء مرت على ذهنه خواطر ودارت في قلبه اسئلة [لماذا يفعل الله كذا، لماذا يكون كذا، لماذا يحبس كذا] وهو في مقابل ذلك استجاب لها، استجاب للتفسير الخاطىء لها، فتحكم في قلبه سوء الظن.

ما آثار سوء الظن على قلب العبد من جهة اعتقاده ومن جهة سلوكه؟

- أما من جهة الاعتقاد: فهو يخالف ما يؤمن به من أن الله كامل الصفات، وعلى هذا الظن بالله لابد أنه لا يعتقد أن الله من اسمائه السلام.

ولقد مر معنا الكلام أن اسم السلام يدخل على جميع الاسماء والصفات فيكون سببًا لأن تعتقد أن الله سالم في كل صفاته من النقص، فإذا نظرت إلى أقداره وإلى تدبيره وإلى خلقه وجدت ما يدلك على سلامة فعله ووصفه وأمره من كل نقصٍ ومن كل عيب، فإذا وقع سوء الظن فُقد أو كاد يُفقد الإيمان بكمال صفات الله، وبالذات بآثار اسم السلام.

- وأما من جهة السلوك: إذا وقع سوء الظن في القلب واستحكم اسود نظر العبد لكل ما هو مستقبل وأصبح لا ينتظر إلا ما فيه سوء، وأصبح يرى الخير شر، والحكمة عبث، ومن ثمّ لم تكن منه إلا أنه يهاجم كل أحد ويعتدي على كل أحد، ويتهم كل أحد،

قبل أن يصدر منه شيء، هذا مبني على سوء ظنه في الله، فلم يتصور أن الله يدفع عنه ويحفظه ويعطيه وينصره، ولا يتصور أن الله عز وجل يسوق له الخير.

ومن ثمّ ينظر لكل الأشخاص والأقدار والأوضاع حوله على أنها تستلزم منه المهاجمة، ثم لا يغرك من هؤلاء هدوء وصمت، ولا يغرك أحيانًا ظرافة وخفة ظل، فكثير من هؤلاء مع ما يظهر لكنهم يعقدون في الباطن ظنونًا سيئة في الله عز وجل ويلحق ذلك ظنون سيئة في الناس، لكن ليس موضوعنا ظن السوء في الناس، نحن موضوعنا حول ظن السوء في الله، فهو لا ينتظر من الله خيرا، ولا يرى ما يعطيه الله من شيء خيرا، لا ينتظر الخير ولا يفسر ما يعطيه الله عز وجل بأنه خير، وهذا له متعلقان:

- متعلق بالنسبة لما يفعله سبحانه وتعالى في الكون.

في ماذا يقع سوء الظن؟ يقع سوء الظن في أفعال الله في الكون، كيف؟ ينظر إلى فعله وتدبيره ورفع أشخاص وإزالة ملك غيرهم، ينظر إليه على أن لا حكمة ورائه، وبالذات ظهر كثير من الناس إلى إدالة أهل الباطل – أهل الكفر – وظهورهم على أهل الإسلام، جعل هؤلاء يعتقدون أن تصريف الكون لا حكمة ورائه، أو يظن بالله أنه فعل هذا لإرادة سيئة! – تعالى الله عن ذلك – لابد أن تتصور أن حتى الحوادث والنكبات لم يحدثها الله لإرادة السوء المتعلقة بفعله، لكن تنزل هذه الأشياء – من المؤكد – أنها لم توافق الأهواء، وإذا لم توافق الأهواء أصبحت بلاءات ونكبات.

- **هذا المتعلق الأول**: أن ينظر بسوء ظن إلى كل أفعال الله في الكون، فيمن حواله، بالذات إدالة أهل الكفر على أهل الإسلام.

ولذلك هذا الباب خطير اليوم، لأن مع تراجع أهل الإسلام عن مقدمة الركب وعدم انتصارهم وعدم قوة سلطأنهم ظن الناس أن هذا الوضع يبقى طوال العمر، ولم يفهموا أن هذه الإدالة – بمعنى رفع أهل الكفر على أهل الإسلام – أنها إدالة وقتية، زمن وسيزول، **ولهذه الإدالة حكمة وتربية لأهل الإسلام ويتبيَّن أنه ليس بين العباد وبين الله نسب بل هي التقوى، سبب الرضا وسبب الرفعة وسبب لبقاء مكان العبد عند ربه.**

إذن ما أهمية هذا الباب؟ لماذا هو مهم؟ لأن الواقع قد يجعل الخلق يسيئون الظن بالله، فوجب على المربيات والمربين، الدعاة والداعيات إلى الله، أن يبذلوا الجهد لتحسين ظن الناس بربهم، وأنه لا يأتي منه إلا خيرا، وأن هذه إدالة ليست إدالة مستقرة.

إذن انتهينا من المتعلق الأول بسوء الظن، يتعلق بما يفعله سبحانه وتعالى في الكون.

- **المتعلق الثاني**: بالنسبة لما يفعله الله بالعبد نفسه.

الواجب عليك أن تحسن الظن به سبحانه وتعالى، وهذا بشرط أن يوجد لديك سبب يوجب الظن الحسن، بمعنى أن العبد يظن أن الله سيغفر له، ويظن أن الله عز وجل سيقبل عمله، هذه الظنون الحسنة لابد أن تُبنى على سبب أتيت به:

- عبدت وجاهدت وبذلت أن تأتي بالإخلاص ما استطعت هنا أحسن الظن بالله أن يقبل منك عملك.
- أما إذا كان الإنسان مفرط فلا مكان لحسن الظن.

هذا لو كنا نتكلم عن العبادات.

لو كنا نتكلم عن الأقدار التي تصيب العبد ولا يد له فيها، تدابير، وليس ظنه في قبول العمل أو عدم قبول، بل ظنه الآن فيما يدبر له، نقول هذا يكثر فيه سوء الظن فترى كثيرًا ممن يكلموك عن المستقبل وما سيكون باعتبار الأوضاع الحالية أن مستقبل أبنائنا

سيكون في خطر من جهة الأموال، من جهة الوضع الاجتماعي، وهذا على ما فيه من سوء ظن فهو سبب للغم والهم الذي يصرف عن أخذ الأسباب المعينة على تحسين الأوضاع.

فيجتمع للعبد ثلاثة أمور:

- الأمر الأول: سوء ظن في الله أن يبخل على عباده.
- الأمر الثاني: حزن ليس له سبب واقعي.
- الأمر الثالث: كسل عن التخطيط للمستقبل والحرص على ما ينفع بناء على أن لا شيء سينفع.

فسوء الظن فيما يتعلق بالعبد له نتائج خطيرة على حياته:

- تبدأ بالقنوط، وهذا أخطرها وأعلاها – يعني أعلى شيء أن يقنط الإنسان بسبب سوء الظن–.
- ومن النتائج الخطيرة ترك الحرص على ما ينفع وترك عبادة الاستعانة.

إذن سوء الظن سبب لنقص الإيمان وسبب لنقص العقل، وسبب لنقص راحة البال.

سوء الظن سبب لنقص الإيمان ⇦ لأنه يعتقد في الله عز وجل غير الصواب.

وسبب لنقص العقل ونقص العزيمة ⇦ لأنه لا يرى إلا سوادًا ولا يفكر إلا بنظرة تشاؤمية.

⇦ وهذا من المؤكد أنه سيذهب راحة البال، ويسبب كثرة الهموم.

لهذا الأمراض المنتشرة اليوم مثل الاكتئاب والوسواس القهري أحد أهم أسباب العلاج:

العلم عن الله وتحسين الظن به وانتظار الخير منه، ودفع وساوس الشيطان التي تخوفك من غدرًا آتي في الدنيا، أو تقنطك من رحمة الله.

هذه المقدمة قصدنا بها بيان معنى سوء الظن، وكيف أن له أثر حتى أنك تجد كثير من الأمراض النفسية بدأتها شرارة سوء الظن فأحرقت فؤاد الناس إحراقا.

نبدأ الآن في الكلام حول الآيات التي ساقها المؤلف في هذا الباب.

قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال الشارح:

وهذه الآية ذكرها الله تعالى في سياق قوله تعالى في ذكر وقعة أحد: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ تؤمنكم وتؤمن قلوبكم، ما هي هذه الأمنة؟ ﴿نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ طائفة وليس كل المسلمين.

هذه الطائفة ما وصفها؟ قال الشارح:

يعني أهل الإيمان والثبات والتوكل الصادق،

هذه ثلاثة وصوفات، ثم ترى آثاراها، أهل الإيمان يؤمنون بالله ويؤمنون أن هذا رسول الله ويؤمنون بكمال صفاته، هذا أخرج منهم ثبات في الحال في سلوكهم، وتوكل صادق في قلوبهم، فتراهم ماضيين إلى ما أمروا به غير مبالين بمن يثبطهم أو يقطع عليهم عزائمهم.

ثم أخبر عن وصفهم في تلك الحال: قال:

وهم الجازمون بأن الله تعالى ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم وينجز له مأموله،

إذن بسبب الإيمان والثبات والتوكل الصادق بسبب ذلك كانوا من الثابتين، وماذا كانوا يظنون بالله ذاك الوقت؟ كانوا يقولون بلسان أحوالهم كل الأسباب اجتمعت على الهلاك لكننا نعلم أن رب الأسباب يصرفها ويدبرها على ما يصلح به الحال، فمهما اجتمعت الأسباب على صورة أنه ضدّ المقصود لكننا نؤمن يقينًا بوعد الله.

ولازلنا نقول هذا كله مبني على الإيمان بكمال صفاته سبحانه وتعالى، فإذا علم العبد كمال صفات الله ووعده الصادق مهما اجتمعت الأسباب في الظاهر على أن وعده لا ينفذ كانت هذه الحال أكثر حال يظهر فيه أمر الله ويكون عجبا، بعد أن كان اختبارًا وابتلاءًا تحول فكان سببًا للثبات.

ولهذا قال بعدما ذكر الطائفة الأولى التي نزل عليها النعاس سبب لإيمانها ودليل على ثاباتها:

ولهذا قال: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ يعني لا يغشاهم النعاس من الجزع والقلق والخوف ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

ولاحظ أنه "ظن الجاهلية" فما يظن بالله هذا الظن إلا جأهل به سبحانه وتعالى.

ما هو ظن الجاهلية؟ هو ما ورد في سورة الفتح، ماذا ظنوا؟ ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ يعني لما رأوا الأسباب مستحكمة على الهزيمة ظنوا أن هذه المعركة سبب لإنهاء الرسول والصحابة وإنهاء هذه العصبة المؤمنة التي كتب لها في قدر الله أن ترتفع وتنتصر وتكون سببًا لنشر التوحيد.

قبل أن يخرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة، قبل أن يبدأ قتالًا سواء في بدرٍ أو أحد، وضع الله في قلب المؤمنين بسبب كلام رسوله من الثقة واليقين أن الله لابد أن ينصر رسوله، لابد أن يتم أمره، لابد أن ينتشر الدين، وهذا الوعد كرر لهم، وكيف يرسل الله عز وجل الرسول بالحق ثم يموت قبل أن ينشر هذه الدعوة وقبل أن يحقق له ما وعد؟!، هو وعد بأن يتمم له أمره، فمن تربّى على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لابد أن يتم أمره علم أن هذه أسباب ولو استحكمت لن تكون سببًا للقضاء عليه صلى الله عليه وسلم.

لكن من يجهلون – أهل الجاهلية – الذي يجهلون ربهم لما رأوا الأسباب استحكمت ظنوا أن لن ينقلب الرسول ولا المؤمنون إلى أهليهم.

وهكذا هؤلاء؛ اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة

وهذا أمر مهم لابد أن تفهم أن المشركين لا يظهروا إلا ساعة، لا يدالوا على أهل الإسلام إلا ساعة سواء كانت هذه الساعة ساعة أو يوم أو شهر أو سنة أو مائة سنة، لكن في النهاية مالك الأسباب يدور الأسباب بين الخلق على حسب احوالهم فإذا استقاموا أهل الإسلام مُلكّوا كل الأسباب.

وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله. وهذا شأن أهل الريب والشك

لكي يشك بوعد الله أول ما يرى الأسباب اجتمعت على هلاك، على نقص، على عدم اعطاء، على غيّر شخص، يفقد كل الوعود التي سمعها وتعلمها، وهذا دليل على نقص الإيمان وضعفه بل يصل إلى حد النفاق.

وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة،

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على ما تضمنته وقعة أحد: وقد فسّر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بأنه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل وأنه يسلمه للقتل،

هذا من سوء ما ظنوه، ما هو السوء الذي ظنوه؟

- بأنه لا ينصر رسوله.
- وأن أمره سيضمحل.
- وأنه يسلمه للقتل يعني أن الله عز وجل يتركه فيقتل.

وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضاء الله وقدره ولا حكمة له فيه.

هذا تفسير أخر أن ما أصابهم يوم أحد لم يكن بقضاء الله وقدره ولا حكمة له فيه.

ففسر بإنكار الحكمة. وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يظهره على الدين كله.

إذن ما تفسير ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾؟

- أما ظنهم إنكار الحكمة.
- أو ظنهم إنكار القدر، أنه حصل هذا من غير أن يقدره الله.
- أو ظنوا بالله أنه لن يتم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

هذا باختصار معنى ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ ينكرون حكمته أو ينكرون القدر أو ينكرون أن يتم الله لرسوله.

وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح حيث يقول: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

هذه آيات سورة الفتح التي اتفقنا أمس أن تقرءوا سياقها.

وإنما كان هذا هو ظن السوء وظن الجاهلية . وهو المنسوب إلى أهل الجهل .

والمعنى أن كل من كان بربه جاهلًا كان عنده نسبة من الجاهلية.

وظن غير الحق، لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء،

لماذا اعتبرناه ظن سوء؟ لماذا اعتبرناه ظن أهل الجاهلية؟ علل لك: لأنه ظن غير ما يليق بذات الله، يعني لا يظن بالله هذا الأمر إلا أحد جأهل بالله، لا يعتقد هذا الاعتقاد إلا واحد لا يعرف ربنا، وإلا ماذا تنتظر من رب أرسل رسول وأنزل كتاب وقدر الأقدار على نشر دينه، لابد أنه ينشره، لكن إذا لم ينشره اليوم معناه انتهى الأمر ولن ينتشر مرة أخرى؟!

ولهذا انظر لما تخرج للدعوة وتتطلب الكمال وتريد أن تصل إلى حد الإتقان في كل شيء مرة واحدة ثم أنك إذا واجهت من يعترض أو يتكلم أو يرد أو يسفه أو ينقص قلت أن الأمر اليوم لا يصلح، وإذا كان هذا الحال انتهى الدين، وإذا كان هذا وضع البلاد والعباد لا حاجة للدعوة ولا حاجة لصرف الأموال والأوقات في سبيل الدعوة إلى الله، إذن تكون لا تعرف ربك! لا تظن الأمر يستوي لك وأن كل أحد يستجيب لك مباشرة وأنك لا تجد معارضات أو لا تجد أن من يسفه رأيك، انت اسأل الله أن يسكت أصواتهم لكن لا تجعلها تغيض عليك.

والحقيقة هذه نصيحة أنصح بها نفسي قبل أن أنصح بها أي أحد، لأن المثبطات ومظاهر النقص في المجتمع وخصوصًا في الشباب تزيد ابتلاءًا وامتحانًا لمن يدعو في سبيل الله، وترى الله عز وجل وعد من جاهد في سبيله أن يهديه السبيل، ووعد من انتصر لله في نفسه أن ينصره، وعود كثيرة نؤمن بها تحتاج أن ننفذها، أي ننفذ إيماننا بها، فإذا كان إيمانك بالله قويًا أحسنت الظن به سواء في نصره لك في الدعوة أو حتى نصرة له لحالك.

وسيأتينا إن شاء الله الكلام عن أحوالنا التي تخصنا، الآن كأننا في المتعلق الأول نتكلم عن سوء الظن فيما يتعلق بأفعاله في الكون، وأقداره التي تتصل بنشر دينه.

وإنما كان هذا هو ظن السوء وظن الجاهلية .

لأنهم ظنوا غير ما يليق باسمائه الحسنى وصفاته العليا

لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، وخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالإلهية،

يعني انت تقول ليس لي إله إلا الله أحبه وأتعلق به وأعظمه وانتظر منه كل خير، فلما تظن به السوء وتظن أن أحدًا ينفذ أمره على أمر الله لم يصح منك لا إله إلا الله، لا إله يدبر ويفعل وقهره على كل شيء نافذ إلا الله، ألا تعلم أنه العلي العظيم، العلي الذي على بذاته وعلى بصفاته وعلى بقهره وسلطانه؟!، فكيف تقول لا إله إلا الله وتظن أن أحدًا غير الله ينفذ أمره على أمر الله؟! كيف يكون؟! هذا خلاف إيمانك بتفرده بالآلهية.

وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه،

ألست تؤمن أنه المؤمن؟ المؤمن المصدق لعباده ولرسله ولنفسه؟!، فهو أخبرك عن نفسه أنه لا إله إلا هو، وشهد على ذلك وأشهد خلقه ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾، وهو المؤمن الذي كفى به شهيدا، شهد على صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المؤمن الذي وعد المؤمنين بالوعود ولابد أن وعده نافذ.

وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم. ولجنده بأنهم هم الغالبون.

كل هذه الوعود سمعتها في كتاب الله، ألست تؤمن أنه المؤمن أنه إذا وعدك لا يخلف الميعاد؟!.

فمن ظن به أنه لا ينصر رسله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائهم ويظهرهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة، يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالًا لا يقوم بعده أبدًا. فقد ظن بالله ظن السوء

يعني من ظن هذه الأشياء – ولذلك نحن نقول أن هذا درسًا مهمًا – لأنك اليوم ترى من إنقلاب تفكير الناس وتصورهم أن أهل الباطل خير من أهل الحق، والله عز وجل يقول لك عن أهل الباطل: ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ وهؤلاء يظنون أنهم خير البرية! انقلبت الموازين في عقول الناس!.

وظنوا لأنهم يملكون اليوم أنهم لا يهزمون غدًا، وظنوا بأنهم تقدموا اليوم لا يتأخرون غدًا، ويقولون لو كان حقًا لخسف الله بهم الأرض ولرفع المسلمين عليهم، نقول هذا التقليد وهذه الإدالة الغير مستقرة وهذا التحريك لأحوال الناس ورائه حكمة عظيمة ومن أعظمها أن ينكشف أهل النفاق.

والله قرأنا كلام لهؤلاء لا ندري كيف غمضت أعيننا بعد قرائته إلا أن الله سكّن قلوبنا، وتسمع عن أشخاص يتكلمون عن الإسلام وهم من بني جلدتنا ولسأنهم من لساننا؛ لما في أحد الدول العربية قررت وزارة التعليم في الدولة أن تجعل قراءة القرآن وتجويده وحفظ جزء يسير منه مطلوب من كل المدارس حتى العالمية كتب مقالًا فضح ما في قلبه، لدرجة أنه قرر في هذا المقال كلام شنيع لا يقال لكن سأذكر جملة من جملة فقط لتتصور كيف أن الله عز وجل يضيق هذا الضيق ليظهر الذي يعلم أن هذا الحق والذي في قلبه شك.

فيقول بعد سبٍّ صريح لهذا القرار واعتباره نوع تخلف – وكانت الدولة حذفت مادة الموسيقى ووضعت مكانها قراءة القرآن – فتصوري أنه يقول أنه في وجهة نظرة الحقيرة يرى أن دراسة الموسيقى أهم من قراءة القرآن ومن إحسان قراءة القرآن!!، لأنه لا يريد أن يخرج أولاده إرهابيين!!

فلك أن تتصوري ماذا يظن هذا بربه، وماذا يظن بالدين وأهله، ماذا يظن؟! إلا أنه يظن الباطل المحض، فكان من خيرات هذا البلاء الذي نحن فيه أن يتميز أهل اليقين من أجل الزعزعة والنفاق.

فلهذا تأتي المضائق والامتحانات كاشفات، فأحذر أن تكون ممن جهل عن ربه وجمع مع الجهل إساءة الظن به سبحانه وتعالى.

ونسبه إلى خلاف ما يليق بجلاله وكماله وصفاته ونعوته، فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك وتأبى أن يذل حزبه وجنده، يعني الإدالة الدائمة أن يديل الشرك على التوحيد إدالة دائمة يعني أن يكون الشرك مرتفع على التوحيد هذا مستحيل، لكن أن يكون وقت ووقت لحكمة عظيمة نعم هذا هو الموجود، ووقتًا ووقت وانظر إلى عمر الدعوة ولا تنظر إلى عمرك أنت.

وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به.

أي العادلين به غيره.

فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله.

من ظن به أي ظن أنه لن ينصر رسله ولن يتم أمر الدين ولن يؤيد حزبه، ويجعل أهل الشرك فوق أهل الإسلام، ويديلهم إدالة دائمة هذا لم يعرف الله ولم يعرف اسماؤه وصفاته.

هذه الحالة الأولى: الذي ظن أن الله عز وجل يديل أهل الكفر على أهل الإسلام.

الآن الحالة الثانية:

وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضاءه وقدره فما عرفه ولاعرف ربوبيته وملكه وعظمته. وكذلك من أنكر أن يكون قدر ما قدره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمته وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فواتها. وأن تلك الأسباب المكروهة له المفضية إليها، لا يخرج تقديرها عن الحكمة، لإفضائها إلى ما يحب وإن كانت مكروهة له،

إذن عندنا ثلاثة تفاسير لـ ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾:

- **أولًا:** يظنون أن الله لا ينصر دينه، وأن من ظن ذلك لم يعرف الله باسمائه وصفاته.
- **ثانيًا:** أيضًا ينكرون أن يكون ذلك بقضائه وقدره، هذا لم يعرف الله ولا ربوبيته ولا ملكه ولا عظمته، وظن أن الخلق ممكن أن يفعلون في ملك الله أمر فينفذ أمرهم على أمر الله، فلم يعرف ربوبيته سبحانه وتعالى.
- **ثالثًا:** شخص يرى أن الله قدره، وليس الخلق نفذ أمرهم على الله لكن الله قدر ذلك، ولكن قدره لغير حكمة، ولغير غاية محمودة يستحق الحمد عليها، فشك في حكمة الله، وانتقد فعل الله، وكأن لسان حاله يقول لو كان ربنا يحب المسلمين كان نصرهم، كان أعطاهم، فجعل عطايا الدنيا دليل على رضا الله!

وهذا من أفسد الاعتقادات، من أفسدها على الإطلاق؛ أن تظن أن رضا الله مربوط بعطاء الدنيا، هذا من أفسدها على الإطلاق، غاب عنه أن أفعال الله عز وجل تصدر عن حكمة، فظن أنها تصدر عن مشيئة مجردة، يشاء الله فقط!.

ولهذا كان مطلوب منكم أن تأتون بآيات تربط بين المشيئة وبين شيء من صفات الله، فأرجو أن توفقوا إلى جمع ذلك لحفظه والاستعانة به حال ما نتكلم عن إثبات مشيئته سبحانه وتعالى، وكيف أن مشيئته كلها تابعة لحكمته.

- ⇦ الخلق مشيئتهم تابعة لهواهم، وهواهم غالبة مجرد من الحكمة.
- ⇦ والرب سبحانه وتعالى مشيئته تابعة لحكمته، لا يخرج شيء عن ذلك أبدا.

وانت ترى الشيء مكروه لكنه يفضي إلى ما يحب وإن كان في ظاهرها مكروها، وهو قادر على أن يجعل سببها محبوب، ونتيجتها محبوبة، ولكنك في دار اختبار فيجعل في صورة المسألة مكروهه لكنها تفضي إلى ما يحب.

- ⇦ فإن كنت تعرفه وتتيقن بمعرفتك له سترى ما وراء القدر الظاهر.
- ⇦ وإن كنت ضعيفًا قليل الحيلة مع قلبك، ولا تستطيع أن تغذيه بما يحسن ظنك بالله سترى الظاهر وتنسى ما وراء ذلك من بواطن.

فهنا دار ابتلاء، يختبر فيها العباد، فإذا اختبرت وأردت النجاح لابد أن تكون عينك على ما وراء الأقدار وما يحب الله وتفضي إليه الأقدار المكروهه، يعني هذا القدر في ظاهره مكروه لكنه يفضي إلى ما يحب الله.

فما قدرها سدى ولا شاءها عبثًا ولا خلقها باطلًا: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[٦٤٦].

الآن الكلام حول ما يختصّ بهم.

وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيره، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماؤه وصفاته، وعرف موجب حكمته وحمده. فمن قنط من رحمته وأيس من روحه فقد ظن به ظن السوء. ومن جوز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوى بينهم وبين أعدائه فقد ظن به ظن السوء. ومن ظن أن يترك خلقه سدى معطلين عن الأمر والنهي، لا يرسل إليهم رسله ولا ينزل إليهم كتبه بل يتركهم هملًا كالأنعام فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن أنه لن يجمع

[٦٤٦] ص:٢٧

عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازى المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته، ويبيِّن لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصًا لوجهه على امتثال أمره، ويبطله عليه بلا سبب من العبد، وأنه يعاقب بما لا صنع له فيه ولا اختيار له ولا قدرة ولا إرادة له في حصوله، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به، أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبياءه ورسله ويجريها على أيديهم ليضلوا بها عباده، وأنه يحسن منه كل شئ حتى يعذب من أفنى عمره في طاعته فيخلده في الجحيم في أسفل السافلين.

كل الظنون هذه موجودة في الواقع وهو يتكلم عنها، سنقرأها كلها ثم يطلب منكم أن تجعلوا أما كل نوع من أدّعى ذلك في الله من المشهورين من أدّعو ذلك في الله.

يعني مثلًا الجبرية تعتقد أن الله عز وجل يعاقبهم بما لا صنع لهم فيه ولا اختيار ولا قدرة ولا إرادة في حصوله، فانت تكتب الجملة وتكتب الظن وتكتب من أشتهر بهذا الظن، اشتهر بهذا الظن نقصد من معه هذا الاعتقاد.

وينعم من استنفذ عمره في عداوته وعداوة رسله ودينه فيرفعه إلى أعلى عليين، وكلا الأمرين في الحسن عنده سواء،

هو يرى أنه يليق بالله أن يعذب واحد أفنى عمره في طاعته ويخلده في الجحيم، ويليق بالله من استنفذ عمره في عدواته!!

ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلا بخبر صادق، وإلا فالعقل لا يقضي بقبح أحدهما وحسن الآخر. فقد ظن به ظن السوء.

الذي يقول أنا أظن ربنا ممكن يفعل هذا الشيء، ممكن أن واحد يعيش حياته كلها عبدًا لله ويعذبه الله وممكن يكون بالعكس ولا يعذبه الله!، كما يعبرون أن ربنا يفعل ما يشاء، نقول له هذا الدليل وهذا الدليل، نقول نعم من أجل الدليل ظننت هذا، من أجل أن الدليل يدل على أن الله لا يعذب من أطاعه سأظن فيه أنه لا يعذب من أطاعه، لكن في الأصل أرى أنه ممكن يطيع لكن يعذب.

ومن ظن أنه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل، وترك الحق لم يخبر به وإنما رمز إليه رموزًا بعيدة، وأشار إليه إشارة ملغزة ولم يصرح به وصرح دائمًا بالتشبيه والتمثيل والباطل، وأراد من خلقه أن يتعبوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه، وتأويله على غير تأويله، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة والتأويلات التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالكشف والبيان، وأحالهم في معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه.

بل أراد منهم ألا يحملوا كلامه على ما يعرفونه من خطابهم ولغتهم، مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به، ويريحهم من الألفاظ التي توقعهم في اعتقاد الباطل فلم يفعل، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان. فقد ظن به ظن السوء،

نعود للنقطة السابقة استشكلت؛ قال: هذا نوع من الناس يقول أن الله عز وجل يليق به أن يعذب من أفنى عمره في طاعته ويليق به أن يدخل الجنة من استنفذ عمره في عدواته، إلى هنا واضح.

قال: وكلا الأمرين في الحسن عنده سواء،

يعني كلاهم يليق بالله.

ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلا بخبر صادق،

يعني يقول أنا أتصور أنه يليق بالله أن يعذب الطائع وأن ينعم العاصي، فنقول له: أتى خبرًا صادقًا أن هذا لا يليق بالله، فيقول نعم آمنت، لكن عقلي:

وإلا فالعقل لا يقضي بقبح أحدهما وحسن الآخر. فقد ظن به ظن السوء.

يعني عقله يقول لأ ممكن، يليق بالله أن يفعل كذا، نقول كيف؟!، العقل له مدخل إجمالي لإثبات كمال الصفات، بمعنى أنك لما ترى في الكون المخلوقات أكيد أنك تقول أن لها خالق، وترى الموجودات وتعلم أن الله أوجدها، وتراها بصورة متقنة تصف الله بالحكمة إجمالًا، هذا اثبات صفات إجمالي.

إذن لما ترى الله عز وجل كلف الخلق وأمرهم بأوامر عقلك ماذا يقول؟ إذا كنت تعتقد في الله الكمال؟ عقلك سيقول أن الذي كفلهم فأطاعوا سيعطيهم الجزاء وأن الذي كلفهم فعصوه سيعاقبهم، يقول لأ ليس شرطًا، مشيئة الله مختلفة ممكن أن يعاقب الطائع ويثيب العاصي، نقول باطل كيف تظن بالله هذا الظن؟!، عقلك لابد أن يثبت كمال صفاته الإجمالي وإلا هذا سوء ظن.

انت في البشر لا تقبل هذا فكيف عقلك يقول أن الله ممكن أن يكون له هذه الصفة، كأنه لا يرده إلا النصوص، وإلا عقله لا يقبل على ذلك، نقول عقلك يقبل هذا حتى في الخلق، ولا يغرك أنه ردك بالنصوص هذا يدل على أنه أصلًا يسيء الظن في الله عز وجل.

هنا كلام حول الأسماء واعتقاد المشبهة والمعطلة.

فإنه إن قال: إنه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي عبر به هو وسلفه فقد ظن بقدرته العجز، وإن قال إنه قادر ولم يبيِّن، وعدل عن البيان وعن التصريح بالحق إلى ما يوهم، بل يوقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد. فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء.

ومن ظن أنه هو وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله.

يعني رؤوساء المعطلة الذين ظنوا أن الحق لم يعرف إلا لما عرفناهم وعرفنا كلامهم، فقد ظنوا بالله غير الحق، ظنوا أنه لم يريد هداية الخلق، ظنوا أنه لا يستطيع بيان الأمر لهم، ظن السوء.

وأن الهدى والحق في كلامهم وعباراتهم وأما كلام الله فإنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال وظاهر كلام المتهوكين والحيارى هو الهدى والحق فهذا أسوأ الظن بالله.

فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية.

ومن ظن به أن يكون في ملكه ما لا يشاء ولا يقدر على إيجاده وتكوينه، فقد ظن بالله ظن السوء.

هذا كله أنواع من المنحرفين عن الاعتقاد السوي، كان المفروض أنكم تقرءوا هذا الجزء وتضعوا أمام كل معتقد باطل أهله لتروا كيف أن كل المنحرفين عن عقيدة أهل السنة والجماعة يوصفون أنهم بأهل سوء ظن في الله وبكمال صفاته، الآن نكمل القراءة والمرة القادمة إن شاء الله نناقش ما حللتم.

ومن ظن أنه كان معطلًا من الأزل إلى الأبد عن أن يفعل، ولا يوصف حينئذ بالقدرة على الفعل ثم صار قادرًا عليه بعد أن لم يكن قادرًا، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم الموجودات، ولا عدد السموات ولا النجوم، ولا بني آدم وحركاتهم وأفعالهم، ولا يعلم شيئًا من الموجودات في الأعيان، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا سمع له ولا بصر ولا علم ولا إرادة، ولا كلام يقوم به، وأنه لا يكلم أحدًا من الخلق ولا يتكلم أبدًا، ولا قال، ولا يقول، ولا له أمر ولا نهي يقوم به، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه ليس فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وأن نسبة ذاته إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل سافلين، وإلى الأمكنة التي يُرغب عن ذكرها،

أي يكره ذكرها، يُرغب عنه تترك في الذكر

وأنه أسفل كما أنه أعلى، وأنه من قال: سبحان ربي الأسفل كان كمن قال: سبحان ربي الأعلى. فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

هذا من ينكرون علو الله، نقول نحن نقول سبحان ربي الأعلى، فنحن نظن أنه الأعلى سبحانه وتعالى وهم يظنون عكس ذلك.

ومن ظن أنه يحب الكفر والفسوق والعصيان، ويحب الفساد كما يحب الإيمان والبر والطاعة والإصلاح فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا يحب ولا يرضى، ولا يغضب ولا يسخط، ولا يوالي ولا يعادي، ولا يقرب من أحد من خلقه، ولا يقرب منه أحد. وأن ذوات الشياطين في القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين وأوليائه المفلحين. فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه يسوي بين المتضادين، أو يفرق بين المتساويين من كل وجه، أو يحبط طاعات العمر المديد الخالصة الصواب بكبيرة واحدة تكون بعدها، فيخلد فاعل تلك الطاعات في الجحيم أبد الآبدين بتلك الكبيرة، ويحبط بها جميع طاعاته ويخلده في العذاب كما يخلد من لم يؤمن به طرفة عين، واستنفذ ساعات عمره في مساخطة ومعاداة رسله ودينه، فقد ظن به ظن السوء.

هؤلاء الذين يعتبرون أن الكبيرة تكفر، يقولون لو ارتكب كبيرة يخرج من الدين، فرأوها تحبط الإيمان أي تخرجه من الإيمان.

ومن ظن به أن له ولدًا أو شريكًا، أو أن أحدًا يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، وأنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوصلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم، فيدعونهم ويخافونهم ويرجونهم فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

هذا مثلما يحصل من المشركين وعبدة القبور، يظنون أنهم لا يصلون إلى ربهم إلا عن طريق غيره، فهذا من سوء الظن بالله.

ومن ظن به أنه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفته، كما يناله بطاعته والتقرب إليه، فقد ظن به خلاف حكمته وخلاف موجب أسمائه وصفاته

هذا كما يظن البعض أنه إذا أعطاهم الله معناه أن الله راضي عنهم، فيعصون ويرون عطاء الله فيرون أن المعصية سببًا للعطاء.

وهو من ظن السوء.

ومن ظن به أنه إذا ترك شيئًا من أجله لم يعوضه خيرًا منه، أو من فعل شيئًا لأجله لم يعطه أفضل منه، فقد ظن به ظن السوء.

هنا يقترب إلى حال العباد، أنك تترك المعصية لله من أجل أن يرضى عنك الله، أو تترك ما تحب من أجل الله سواء كان هذا في بر والدين، أو سواء كان هذا في إخراج مال، كل هذا تفعله ثم تظن أنك لو تركت من أجله محبوباتك أنه لن يعوضك وأنك خسران، فهذا ظن سوء في الله عز وجل.

ومن ظن به أنه يغضب على عبده ويعاقبه ويحرمه بغير جرم ولا سبب من العبد إلا بمجرد المشيئة ومحض الإرادة فقد ظن به ظن السوء.

أن يثيب من ظن به ويعاقبه بغير جرم، المعنى أنهم يظنون أن الله عز وجل حتى لو أطعته لن تصل إلى رضاه، وكما يحصل من الخلق بينهم وبين بعض أنهم يعتدون عليك وانت قد أحسنت إليهم، فالعبد إذا أحسن في العبادة لا تظن أبدًا أن ربك يخلف موعده.

ومن ظن به أنه إذا صدقه في الرغبة والرهبة وتضرع إليه وسأله واستعان به وتوكل عليه أنه يخيبه ولا يعطيه ما سأله، فقد ظن به ظن السوء. وظن به خلاف ما هو أهله.

ومن ظن أنه يثيبه إذا عصاه كما يثيبه إذا أطاعه، وسأله ذلك في دعائه، فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده، وخلاف ما هو أهله وما لا يفعله.

ومن ظن به أنه إذا أغضبه وأسخطه وأوضع في معاصيه ثم اتخذ من دونه أولياء ودعا من دونه ملكًا أو بشرًا حيًا أو ميتًا يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه ويخلصه من عذابه، فقد ظن به ظن السوء.

فأكثر الخلق بل كلهم ـ إلا من شاء الله ـ يظنون بالله غيره الحق وظن السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما شاءه الله وأعطاه. ولسان حاله يقول: ظلمني ربي ومنعني ما أستحقه ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به.

بلسان حاله وفي قلبه هذا قوله أن ربه ظلمه ولم يعطيه، لكن لا يتكلم بلسانه وهذا حال الناس أنهم ينظرون إلى ربهم الذي أكرمهم وأعطاهم أنه ظلملهم، لماذا؟ لأن ربنا لم يعطيهم، وبذلك يكونوا أهل جحود لأهل النعم التي مضت وأيضًا أهل سوء ظن، انت الآن ترى الأمر في ظاهره شرًا لكن حقيقته ومآله مادام هو من عند الله خيرًا، مهما كنت تراه ضيق فهو لابد أن يصل أن يكون خيرًا.

ألا ترى أن يوسف عليه السلام ألقي في الجب فكان الجب طريق الملك.

ألا ترى يونس ألقى في بطن الحوت فخرج نبيًا إلى قومه مرسلا.

هذا كله يجعلك تفهم أنه مهما ضاقت غهي إلى طريق الفرج، مهما ضاقت فهي إلى طريق الانفتاح، لكن لا يسرع انفتاحها ببعدك انت بسوء ظنك عن ربك.

ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة طواياها رأي ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده،

يدخل في موقف كأنك تقدح زناده يدخل موقف يخرج منه سوء الظن بالله، أنا أصلًا ليس لي حظ، أنا عمري ما دخلت مكان ووفقت، أنا كل ما أحب أحد يبغضني، كل ما أشتغل في عمل يطردوني، فتراه أقل ضغط يخرج لك ما في قلبه من عدم حسن ظنه بربه وقلة أدبه معه، الموضوع يحتاج إلى نقاش أكثر.

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا وتعتبًا على القدر وملامة له واقتراحًا عليه خلاف ما جرى به، وإنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا. فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم؟

المقصود أن لو فتشت الخلق أو بدأت بتفتيش نفسك سترى أنه دائمًا عندك اقتراحات على الله، لو ما أعطاني كذا، لو منع عني كذا، لماذا أتى في هذا الوقت، هذا أتى في وقت خطأ، المفروض لم يكن يأخذ، هذا المفروض لا يبقى، هذا المفروض لا يولى، هذا المفروض لا يُعطى، فتراه دائم الانتقاد لفعل ربه.

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيًا

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله ويستغفره في كل وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه التي هي مادة كل سُوء ومنبع كل شر، المركبة على الجهل والظلم. فهي أولى بظن السوء من أحكام الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين الغني الحميد، الذي له الغني التام، والحمد التام، والحكمة التامة، المنزه عن كل سوءٍ في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه وصفاته كذلك وأفعاله كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنى.سبحانه وتعالى

المقصد أن هذا باب عظيم يستلزم منا طول المقام، سنفرد لقاءًا أخرًا نناقش فقط كلام ابن القيم وأخر جملتين في هذا الباب.

هذا سيكون بعد أن ترسلوا لي تقسيمكم لجمل ابن القيم ومعرفة كل صنف من هؤلاء يمثلون مَن من الفرق، وكل أهم ما في الموضوع أخره وحالنا مع سوء الظن وانتقادنا لأقداره سبحانه وتعالى.

هذا سوء الأدب العظيم الذي لو فتشت من فتشت وجدت في نفسه شيء منه.

بقي لنا سبعة أبواب مع مناقشة هذا الباب إن شاء الله تكون في الدورة المكثفة.

جزاكم الله خيرًا

أحسن الله إليكم

اسأل الله أن ييسر لقاءًا قريبًا ننهي فيه هذا الكتاب المبارك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الأول في الدورة المكثفة لإكمال شرح كتاب التوحيد من فتح المجيد، إن شاء الله تكون هذه خاتمة اللقاءات في شرح هذا الكتاب لدفعة المعهد عام ١٤٢٩.

سنبدأ أولًا من ما توقفنا في الدراسة التفصيلية في باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾، وتوقفنا على كلام ابن القيم، واتفقنا على أننا سنرى كل جملة من كلامه من كان قائلها أو معتقدها.

قبل أن نبدأ بالجواب على هذا السؤال نتكلم عمومًا عن سوء الظن بالله ومظاهره.

سوء الظن بالله ومظاهره

قرأنا الجزء الخاص بهذا الموضع من كتاب فتح المجيد الآن نشرح الموضوع عمومًا – موضوع سوء الظن بالله – على وجه العموم.

أولًا هذا الأمر وهو سوء الظن له أسباب من جهة الطباع، وله أسباب من جهة الاعتقاد، يعني الوقوع في الظن بالله أو بالناس:

- له أسباب من جهة الشخص.
- وله أسباب من جهة المحيطين به.

⇦ فأما من جهة نفسه فهو طباعه.

⇦ وأما من جهة المحيطين به فهي العقائد والتربية التي ربّي عليها.

وسوء الظن من أكثر المحرمات في الشريعة، ونحن نقصد سوء الظن بالله عز وجل.

⇦ فأما سوء الظن الذي يكون له أسباب من جهة طباع العبد؛ وهذه من أكثر المسائل التي تحتاج إلى مجاهدة، وهو أن بعض العباد يبتليهم الله عز وجل بنفوس [مليئة باليأس، قليلة الصبر، شديدة الطمع، قليلة الرضا عن أي شيء] هذه النفوس تحتاج إلى تربية وتهذيب وتحتاج إلى تقويم مستمر. على كل حال؛ لما يبتلى الإنسان بمثل هذا يكون واجبه تجاه نفسه عظيم، من المجاهدة والمتابعة ورد الخواطر، المقصود أن الإنسان يكون متيقن أن هذا باطل وأنه من عيوبه التي تحتاج إلى علاج، فلا يسكت على نفسه، لأ، يرى أن سوء الظن ابتلاء يحتاج إلى علاج، ويحتاج إلى جهاد.

⇦ من أجل أن تفهم هذه المسألة جيدًا انظر إلى كثير من حالات التطير، فالطيرة ما هي إلا سوء ظن بالله وتوقع البلاء.

⇦ البخل ماهو إلا سوء ظن بالله وتوقع أنه إذا انفقت لا يخلف عليك.

⇦ الجبن أيضًا سوء ظن بالله، تعتقد أنك لو أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر لا يسددك الله.

⇦ الحرص على الدنيا أن يصبح الإنسان شره، منشأها سوء الظن بالله.

فالبخل والجبن والحرص كلها غرائز أو كلها تصرفات شتى لكن يجمعها سوء الظن بالله.

الآن الكثير من الشابات – أو حتى الشباب– يعرضن عن الزواج بسبب ما عاشته من آلام مثلًا أو ما سمعته أو ما مرت عائلتها به من ظروف تتصل بالزواج أو أحيانًا خوفًا من تحمل المسؤولية أو بعض الشباب يخاف من الفقر، كل هذه أنواع من سوء الظن.

النوع الثاني الخوف من الزواج هذا مثال على السبب الخارجي، نحن اتفقنا من بداية الكلام أن سوء الظن يكون بسبب طباع الشخص أو يكون بسبب التربية والعقائد التي يكتسبها، فالتطير والبخل والشح هذا غالبه يكون من نفس الإنسان، وإن كان من الخارج ممكن يكون مساهمات، لكن الداخل حكمه قوي في مثل هذه المسائل.

⇦ مثله لما نأتي إلى القنوط أيضًا، القنوط من رحمة الله من الطباع الداخلية يكون الإنسان سريع اليأس، هذا نوع.

⇦ النوع الثاني يأتي من التربية والعقائد والمجتمع أي أنه سوء ظن مكتسب.

المقصود أن علاج هذا وهذا يدور حول تقوية معرفتك بالله عز وجل، ونحن هنا لا نقصد حسن الظن الذي يتصل بمآلك إنما نقصد حسن الظن الذي يتصل بفعل الله، هذا الفرق، يعني البعض يقول أنا مسيء كيف أحسن الظن بالله؟!، ليس هذا المقصود في حسن الظن، **نحن نقصد حسن الظن في فعل الله، أما الكلام حول حسن الظن في مآلك أي إلى أين ستكون هذا إنما**

يكون مع الإحسان، والإحسان نفسه من حسن الظن بالله، لأنك تعتقد أنه سيجازيك على احسانك، وأنه لا يخلف وعده، وأنه يقبل توبتك، أما المصرّ على الكبائر والظلم والمخالفات فهذا بنفسه مسيء الظن.

كما يقول الحسن البصري:

إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل وإن الفاجر اساء الظن بربه فاساء العمل.

وهذا نعتبره ناتج.

من اجل إلا يتشوش عليكم المفهوم نأتي نقسم حسن الظن إلى قسمين:

- [حسن الظن أو سوء الظن] الكلمتان متقابلتان، يدلان على نفس المفهوم بالتعاكس -

حسن الظن بالله ينقسم إلى قسمين:

- القسم الأول: حسن الظن في معاملة الله عز وجل لخلقه وفي أفعاله سبحانه وتعالى وتربيته لهم.
- القسم الثاني: حسن الظن بما يتصل بمآل العبد.

⇦ يعني هناك حسن الظن في الله وفي أفعاله على وجه العموم.

⇦ وهنا على وجهه الخصوص حسن الظن في مآل العبد هو نفسه، سيؤول إلى أين؟! هل سيكون من أهل الجنة – نسأل الله من فضله – أم لا؟!، أكيد أن هذان النوعان متصلان ولهما علاقة ببعض لكن في النقاش الآن نفهم الأعم ثم نأتي إلى الأخص.

الأعم حسن الظن به في الله وفي أفعاله وتربيته لخلقه وتصريفه لمملكته، ماذا تظن به في هذا كله، **أتينا لتصنيف أخر قلنا أن حسن الظن في الله وبأفعاله وتصريفه له سببين:**

- سواء حسن ظن أو سوء ظن نفس المعنى، إذا أحسن أو اساء له سببين -

- طباع جبله الله عليها.
- أو مقابل هذا عقائد اكتسبها من الخارج.

⇦ الإنسان يكون حسن الظن أو سيء الظن نتيجة ما ابتلى به من طباع، ماذا عليه هنا؟ عليه المجاهدة.

⇦ أو تكون المسألة تتصل بالعقائد اكتسبها من عقائد خارجية – سواء حسن الظن أو سوء الظن-.

نفترض أن طباعه فيها سوء ظن أو أنه ربي وعاش في مجتمع مسيء الظن ماذا عليه؟ **عليه الاجتهاد في تعلم اسماء الله عز وجل وصفاته من أجل أن تكون هي القاعدة الأساسية التي ينطلق منها تفكيره وتفسيره لأفعال الله عز وجل،** وهذه جملة في غاية الأهمية وهي ملخص مبحثنا كله.

⇦ فالقوم اساؤا الظن بجهلهم بربهم.

⇦ والقوم أحسنوا الظن لمعرفتهم بربهم.

ذكرنا تصرفات تدل على سوء الظن وتصرفات تدل على حسن الظن، قلنا البخل، الحرص على الدنيا، والقنوط من رحمة الله، كله من سوء ظن، وكلها مبينة على جهل بالله عز وجل وهذه ستكون النقطة الثانية.

تبيَّن لنا الآن من ما مضى عدة أمور، قسمنا حسن الظن أو سوء الظن إلى قسمين:

- حسن الظن بالله وتصريفه بأفعاله وتدبيره لخلقه.
- وحسن الظن في مآل العبد.

ثم قسمنا تقسيم أخر هذا التقسيم في سبب حسن أو سوء الظن:

- أما من طباع الشخص.
- أو من تربيته.

والحل –كلمة عامة – "المجاهدة" وتفصيلها نبتدأ بتكوين قاعدة علمية تعتمد على العلم بالله، لأن أهم مشكلة يعاني منها الذي ابتلى بسوء الظن هي جهله بالله.

لما كونا قاعدة علمية فيها العلم عن الله بقي علينا أمر أخر: "تحرير مظاهر سوء الظن بالله"، يقابلها طبعًا: "تحرير مظاهر حسن الظن بالله".

فما مظاهر سوء الظن بالله؟ ذكرها ابن القيم في الكلام الذي نقله عنه صاحب فتح المجيد، سأذكر كلامًا عامًا ثم نعود فنقرأ كلامه مرة أخرى.

ماذا تظن في الله وفي تصريفه لأمور عباده؟!

ماذا تظن في الرب وهو يربي خلقه؟!

ماذا تظن في الملك وهو يدبر شؤون مملكته؟!

كل هذا يعتمد على ماذا تعتقد في الملك؟!، ماذا تعتقد في المربي؟!.

فمن أهم مظاهر سوء الظن الشرك، انظر مثلًا لليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ يرد الله عليهم في يونس مثلًا ومثلها في البقرة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ ثم وصف نفسه:

- في يونس قال: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.
- في البقرة قال ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

إذن لأنكم تجهلون أن الله غني ظننتم أن له ولد، فالشرك من أهم مظاهر سوء الظن بالله، لماذا؟ لأنه ساوى الكامل سبحانه بالعبد الناقص الضعيف الذي يحتاج ولد ويحتاج زوجة – تعالى الله عما يقولون–.

لذلك انت لا تشعر بعظم الجريمة، ولا تشعر أن الأرض تتزلزل تحت قدميك لما تسمع أحد يقول أن الله له ولد أو زوجة إلا إذا كنت تعرف الله، لما ترى البرود تجاه دعوة النصارى أن الله له ولد، وترى البرود تجاه التثليث، وترى البرود تجاه كل ما يقال بالنسبة إلى الله عز وجل نفهم أن القوم ماذا ينقصهم؟ ما قدروا الله حق قدرهم، أنا لا أقول النصارى ما قدروا الله حق قدره هذا أمر مقطوع انتهى، نحن نقول المسلمين الذين قلوبهم باردة!، يكلموك عن تفاصيل تتصل بالدنيا، يبغضون كذا وكذا لأن مصالحهم ذهبت، ثم لا تراه يحرك في قلبه ساكنًا أن يسمع أحد يتهم الله بهذا النقص العظيم!، وانظر إلى الأئمة وسلف هذه الأمة كيف

كانوا لا يحتملوا أن ينظرون إلى نصراني يقول عن الله هذا المعتقد!، فتفهم ما وقع في قلوبهم من اشمئزاز، تستطيع أن تفسر الاشمئزاز الواقع في قلوبهم.

- على كل حال المقصود أن **الشرك على رأس مظاهر سوء الظن به سبحانه وتعالى.**

- **أيضًا مما يتبع ذلك الإلحاد في اسمائه وصفاته،** فمن سوء الظن بالله عز وجل إنكار ما وصف الله به نفسه أو سمى به نفسه، إنكاره أو تأويله.

ووجه كون الإلحاد في اسماء الله سوء ظن أن العبد الذي خاطبه الله بالقرآن؛ الكلام الذي هو غاية في الفصاحة والبيان، يأتي هذا العبد إلى مُحكمه الذي تكلم الله به وذكر فيه اسماؤه وصفاته يأتي إليه ويقول لا أدري ماذا يريد الله بهذا الكلام!!، يظن بالله أنه اعطاه ألغازًا وأنه المطلوب منه أن يفككها ويحلها!، فيقول لا لم يكن يقصد بإستوى بالاستواء!، ولا كان يقصد النبي صلى الله عليه وسلم بينزل النزول!!، ولا كان يقصد ولا كان يقصد إلى أخره!، فأساء الظن وحمل الأمر وحمل كلام الله ما لا يحتمل، إذن من علامة سوء الظن الإلحاد في اسمائه سبحانه وتعالى وصفاته.

- **أيضًا من مظاهر سوء الظن الشك في وعده سبحانه وتعالى.**

وهذا له صور لا تنتهي منها اعتقاد يخالطنا ويخالط الشباب بقوة وهو ظن أن الله عز وجل لن ينصر أهل الإسلام، وما تراه من آثار الهزيمة النفسية اليوم إنما هذا سببه الرئيس سوء الظن به سبحانه وتعالى، فمن كان حسن الظن بربه هبّ بكل ما يملك ابتداء من ملاكاته الخاصة من جهة ما وهبه الله من قدرة أو من قدرات، وانتهاءًا بتقواه وطاعته لله واستحثاثه همم اخوانه لإستنزال نصر الله. فالمحسن الظن بالله المتيقن أن الله ناصر دينه يبحث عن أسباب النصر متيقنًا أنه لو أخذها عامله الله بالنصر، نعامل الفترة التي نمر بها بحسن ظن، نعلم أن الله يختبر عباده وهم أنه حتى في حال نقصهم مأجورين على طلب رضاه، وأنهم يرغبون إلى ربهم لا يطمعون في الدنيا، وأنهم كلهم ثقة أنه لا يستوي عند الله المؤمن والفاسق ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾، هل انت متيقن بذلك؟! أم تظن السوء بربك وتظن أن أهل الكفر عند الله خير من أهل الإسلام؟!.

فسوء الظن من هذا النوع في الحقيقة له مظاهر كثيرة – الذين يظنون أن الله عز وجل لا ينصر دينه–، وهذا مر معنا في هذ الباب؛ فالعبد الذي يظن أن أهل الكفر هم الذين يصنعون المستقبل وهم الذين يشكلون الحياة، إلى أخر ما تسمع، اساء الظن بربه ونسي قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ أنك عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فلا تكن مثل قوم قارون الذين يريدون الحياة الدنيا، واعلم أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وأن وراء مشيئته حكمة عظيمة، على قدر حسن ظنك بالله يظهر قبولك بتصريفه بشئون عباده.

❖ **أيضًا من مظاهر سوء الظن عدم اليقين بأن العاقبة للمتقين،** والمعنى أن العبد يستدل بكثيرٍ من المظاهر التي تدور حوله بأن الله عز وجل نصر أهل الكفر وترك أهل الإسلام، وهذه العاقبة يمكن تكون في الدنيا أو الآخرة.

يعني متى سينصر الله لأهل الإسلام؟

▪ أولًا أنا متأكدة أن الله سينصر أهل الإسلام في الأرض، أنه سينصرهم في الأرض، وممكن يحصل النصر في زمن أنا لا أكون موجودة فيه.

▪ ثم لابد أن تتيقن أن الله عز وجل لا يساوي بين أهل الفسق وأهل الإيمان، بل لابد أن يرفع أهل الإيمان على أهل الفسق في الدنيا والآخرة.

▪ ثم في نهاية المطاف في هذه المسألة لابد أن يبقى في قلبك أن دائمًا العاقبة للمتقين لكن ليس شرطًا في مسألة النصرة وعدم النصرة، إنما العاقبة للمتقين المقصود بها أنا وانت دخلنا في حوار انت متقي وأنا في المقابل غير متقيّ، أنا أحج بحجتي منك، وانت في قلبك تقوى، فمن حسن الظن بالله أن تعتقد يقينًا أن هذا الذي أحجّ بالقول في نهاية المطاف لن تكون له العاقبة، لابد أن تكون العاقبة للمتقين، الذي مضي على الإسلام، على النصرة، على الأشياء العامة، أقول لك من حسن الظن بالله أن تعتقد أن العاقبة للمتقين، ومن سوء الظن بالله أن لا تعتقد أن العاقبة للمتقين.

ما المقصود؟ ليس فقط المقصود في نصرة المسلمين بصورة عامة بل حتى في مواقفنا الخاصة، انت ناصح أمين تريد الخير وأتيت ونصحت بكل تقوى، والذي أمامك رده يشكك حتى في نيتك، مثلًا انت ما أردت هذا إلا لكذا وكذا، فمن حسن ظنك بالله أن تعتقد أن تكون العاقبة للمتقين، لا يمكن أن أئتمر بالأمر وأدعوك وأنصحك وأكون مؤتمرة بأمر الله ثم لا تكون العاقبة لي!، لابد أن تكون العاقبة للمتقين.

ولهذا هناك من النصوص ما هو بمثابة القاعدة في حياتك، يهذب لك مسارك، تردك إذا فكرت في الخروج أو حصل منك شيء من التواني، ومنها هذه الجملة العظيمة من كلام الله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ويدخل في هذا طبعًا: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إلا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، لا يمكن أن تصبر وانت متقيّ ثم يضيع عليك صبرك وتقواك، لا يمكن، لكن انت أحسن الظن بالله أن هذا الصبر سيأتي من وراءه خير، وسيأتي عطاء الله بعد طول صبر، طبعًا سيدخل هذا الكلام حول وعد الله.

❖ **أيضًا من حسن أو الضدّ من سوء الظن بالله عز وجل أن تعتقد أنه سبحانه وتعالى دليل رضاه على العبد اعطاؤه الدنيا ودليل عدم رضاه عن العبد أن يمنعه الدنيا،** فلا عطاء الدنيا ولا منعها دليل!، انت مطلوب منك إلا تسيء الظن به سبحانه وتعالى، ولا يتعدى عقلك لانتقاد فعله سبحانه وتعالى، هذا الإشكال الحقيقي أن يكون منك انتقاد لفعله سبحانه وتعالى.

المقصود أن أول ركيزة في حسن الظن أو ضدّه سوء الظن اعتقادك في الله؛ ما معنى ركيزة؟ يعني يعتمد حسن الظن وسوء الظن على اعتقادك، ماذا تعتقد بربك، وذكرنا الآن صور، من صورة الشرك إلى صورة عدم نصرة المسلمين.

نأتي الآن إلى صورة عظيمة متكررة غير مرتبطة بعقولنا بسوء الظن أو حسنه وهى المعاصي، المعاصي بشتى أنواعها سوء ظن بالله كما ورد في آية فصلت، نقرأ في السياق من آية ١٩ إلى الآية ٢٤ في هذا السياق يتبيَّن حال من ظن أو أثر الظن على العمل.

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

الشاهد الآية٢٣ :﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ ماذا فعل بكم؟ ﴿أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ﴾.

المقصود ما الذي أرداكم؟! ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ بمعنى أن عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم:

- المؤمن أحسن الظن بالله فأحسن العمل.
- والكافر والمنافق اسائا الظن فاسائا العمل.

ولهذا انظر إلى ما يعتقدون أو ما يظنون؟ يظنون أن الله عز وجل لا يعلم، هذا ظنهم يعني لما ركبوا ما ركبوا من المعاصي ظنوا أن الله عز وجل لا يعلم عن أعمالهم لأنه عاملهم بحلمه، فمعاملة الحلم منه سبحانه تعالى اساؤا تفسيرها، اساؤا تفسير معاملة الله لهم بالحلم، فلما كان ظنهم أن الله لا يعلم كثير مما يعملوا من الأعمال الخبيثة، وظنوا أن الله عز وجل لن يُشهد عليهم شيئًا ففعلوا الأعمال الخبيثة وهم لا يستترون من سمعهم ولا من أبصارهم ولا من جلودهم!.

المعنى أنهم اختفوا عن أعين الناس ولم يقدروا الله حق قدره، ولا ظنوا به ظن الحق فعلموا أنه معهم يسمعهم فيراهم، لم يكن هذا اعتقادهم، فكان الناتج أنهم تجرؤا على المحرم ولم يتتقوا الله، ولا اتقوا أن يشهد معهم في فعلهم هذا جلودهم وأسماعهم وأبصارهم، فانقلبت هذه كلها شواهد ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يستشهدها الله فتشهد.

فكأنه يقال لك إذا أردت أن تعمل معصية استتر من كل ما يشهد عليك ولتبدأ بالإستتار من سمعك وبصرك وجلدك! فهم معك شواهد عليك.

الشاهد هنا أن الله عز وجل قال له: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ هنا الشاهد: أن ظن السوء يردي الإنسان يسبب له الوقوع في سلسلة المعاصي ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ﴾.

ما الذي أوقعهم في الخسار؟! ما الذي أهلكهم؟! ما الذي جعلهم يبيعوا منازلهم من الجنة بمنازل من النار؟! ما الذي جعلهم فعلوا هذا كله؟! ظنكم بربكم ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾، متبين خطورة الظن؟! **ما تظنه في الله وفي أفعاله إما يرديك وإما يرفعك ويعليك.**

- فمن أهم مظاهر سوء الظن المعاصي، دعنا نضع ضابط دقيق **أن من أهم مظاهر سوء الظن الإصرار على المعاصي.**

والمعاصي قد تأتي في غفلة لكن لما تتيقظ تحسن الظن بالله فتقبل عليه تائبًا، **إذن إذا كانت المعاصي بسبب سوء الظن فالطاعات كلها بسبب حسن الظن،** فانت تتوب لأنك تحسن الظن به أنه تواب، وانت تستغفر وتذكر وتحمد وتثني عليه في وجدانك وعلى لسانك لأنك تظن به أنه يسمعك ويعلم ما في قلبك، وتحسن التصرف، وتميط الأذى عن الطريق، وتسقي حتى الحيوانات، وترحم النملة في الأرض، كل هذا لأنك تعلم أن الله يراك، هذا كله من آثار حسن الظن به سبحانه وتعالى.

أريد منك في ثلاث دقائق تلخصوا مظاهر مختصرة ذكرت في اللقاء على حسن أو على سوء الظن بالله، دعنا نقول مظاهر سوء الظن بالله، لأن الانتقالات في هذا الدرس فيها شيء من الصعوبة، لا نريد منك أن تضيعوا.

سؤال ما الفرق بين الشك في وعد الله وعدم اليقين بأن العاقبة للمتقين؟ نجعل عدم اليقين بأن العاقبة للمتقين كأنها فرع على الشك في وعد الله، لكن الآن لم نذكر الشك في وعد الله إلا بمقصد الكلام حول أن هذا يظن بالله غير الحق في نصر المسلمين، وفي نصر الدين، أما العاقبة للمتقين هذا على المستوى الفردي، بمعنى انت تكون صادق وتكون لك العاقبة، انت تكون متقي في معاملتك لأحد ستكون لك العاقبة، هناك كنا نتكلم عن وعد الله بنصر المسلمين وهنا نتكلم عن وعد الله لك في خاصة أمرك.

على كل حال الأمر متداخل إذا أردت جعله شيئًا واحدًا لكن – والله اعلم – أرى التفريق بينهم بسبب أن القاعدة مثل قاعدة أن العاقبة للمتقين تخصك بقرب، وتجعلك دائمًا تطلب لنفسك التقوى وتعلم أن العاقبة لك مادام هذه صفتك، هناك كان المقصود بسوء الظن في أول الأمر أن الله لم ينصرنا ولم يجعل الدولة على أهل الكفر وهكذا.

لازلنا نتكلم عن مظاهر سوء الظن، نحن نريد أولًا أن يتبيَّن لك نقصد بالمظاهر أن سوء الظن يرتكبه كثير من الناس وهم لا يشعرون أنهم مسيئين الظن، ولا يترجمون افعالهم على أنها اسائة ظن، فلما نحذرهم من سوء الظن بالله يعتقدون أنهم في حلّ من ذلك وأنهم لم يقعوا في سوء الظن بالله.

ذكرنا أحد الأمثلة التي لم تذكروها هنا أو أحد المظاهر؛ الظن بأن الله يرضى عمن معه من الدنيا شيء بعكس من لا يوجد معه من الدنيا شيء، فهل تظن بهذا بربك؟! هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، فكيف يقدر علي ويضيق ثم أكون غير محبوبة عنده لأن ليس معي شيء من الدنيا! وهو الذي قدره على!!، فهذا من سوء الظن به أن تجعل مقياس رضاه وسخطه ما مع العبد من الدنيا.

نأتي الآن إلى مظاهر أخرى تتصل بالقضاء والقدر.

وهذا الذي كان يقول عليه ابن القيم: "لو فتشت من فتشت"

ما هو المظهر؟ المظهر انتقاد افعال الله عز وجل، انتقاد أقدار الله، تجد في نفسك شيء على القدر، لا تستطيع أن ترضى بما مضى، وهذا طبعًا من الوسواس، ونحن كثير من الأحيان يجاوز الله بنا الأزمات، ويرزقنا من حيث لا نحتسب أبواب للفرج لكن يأتي الشيطان فيجعل هذه الأبواب التي هي للفرج بعد ما فُرج علينا وخرجنا يجعل الوقت قبل الفرج أزمة نفسية، ويبقى يجتر لك الماضي ويقول لك: لو لم تجد أحد يسقيك كان ماذا حصل لك؟!، لو لم تجد أحد يساعدك كان ماذا حصل لك؟!، لو فلان لم يسمع النداء؟!.

لاحظ أن هذا الكلام بعد ما سمع النداء ونجاه الله وخرج وكل شيء يأتيه الشيطان بعمل الاجترار، هذه الحقيقة من أشهر مظاهر الوسواس القهري، من أشهر مظاهر الوسواس القهري ما يسمونه باجترار الأحزان.

ما معنى اجترار الأحزان؟ يعني انت مررت بأزمة مالية، مررت بأزمة محسوسة، كنت تعرضت لحادث – حفظكم الله جميعًا وحفظ المسلمين وشبابهم– أو كاد أن يهد بيتك إلى أخره، والحمد لله تعدينا الأزمة، ورزقنا الله من يعيننا، فخرجنا من الأزمة يقول الشيطان لو ما ساعدنا أحد؟!، هنا عدنا إلى باب اللو لكن بصورة مختلفة، في باب اللو كنا نتكلم عن شيء وقع على خلاف

المراد فنقول لو هنا محرمة لكن تصور هنا أمر أخر؛ بعد ما تأتيك النجاة تسيء الظن بالله!، هذا من مداخل الشيطان العظيمة على العبد أن يجتر له الآلام ويفزعه بها لكن ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ لا تخاف منه!، كلما اجتر لك الماضي زد حمدًا وشكرًا لله واستعاذة تقهره، لأن هو الذي يطربه ويرضيه أن تضيق وتحزن وفي نفس الوقت تقع في سوء ظنٍ بالله، والذي يقهره كلما تذكرت الماضي ويجتره عليك كلما زدت حمدًا، فسينسيك الماضي ذلك الوقت، لأنه هو ينسيك أي سبب من أسباب الرفعة عند الله.

إذن هذه أحد مظاهر سوء الظن بالله عز وجل وهو انتقاد القدر، انتقاد أفعال الله، النظر إلى القدر وإلى أفعال الله على أنها مجردة من الحكمة، لكن غالب من ينتقد القدر لا يتصور أنه يسيء الظن بالله، هذا في القدر الذي مضى.

ويتصل به أيضًا الخوف من الأقدار القادمة، بمعني أن هذا الشخص في مفترق الطريق:

- ينظر للذي مضي بحزن واكتئاب يجدده له الشيطان.
- وينظر للمستقبل بخوف وانتظار الأسوء، وأيضًا يحسنه في نظره الشيطان.

فالمطلوب رضا بما مضى، وانشراح صدر، وشكر وتلمس الحكم والتسليم.

وفيما هو أت التفويض والتوكل والاستبشار، وكل شيء من هذا يأخذ نصيبه باعتدال، يعني الاستبشار بالمستقبل وحسن الظن بالله عز وجل أنه سياتي خير، هو سيأتي خير ولكن ليس شرطًا أن يأتي ما يوافق هواك.

في الحقيقة الموضوع واسع جدًا لكن نعود لكلام ابن القيم من عند يظنون بالله غير الحق ظن سوء، المطلوب منكم الآن وسابقًا طلبنا هذا الطلب نعيده مرة أخرى، كل جملة من كلام ابن القيم التي تصور وقوع سوء الظن من الناس كل جملة وقعت فيها فرقة، أنا طلبت منكم سابقًا أن تكتبوا اسماء الفرق على كل جزء، الآن اقرأ الأجزاء والطالبات يكتبن هذا المقطع من الذي وقع فيه.

نقرأ أجزاء ابن القيم تذكرون الفرقة ثم نشرح المقصود بهذا الكلام.

قال ابن القيم: وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيره.

إذن نبدأ من هنا التقسيم؛ ظن السوء الذي يقع من الناس يكون له محلين:

كل ما وقع عليهم هم.

وأيضًا المحل الثاني ما يقع فيه الأخرون أو ما يقع على الآخرين.

قال: ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماؤه وصفاته.

إذن هذا الحل الوحيد معرفة الله واسماءه وصفاته، هذا الحل يخرج منه

وعرف موجب حكمته وحمده.

يعني إذا كنت تحمده يجب عليك أن تحسن الظن به، وإذا كنت تظن أنه حكيم فلابد أن تعرف آثار الحكمة هذه، الجملة الأولى فمن قنط من رحمته وأيس من روحه فقد ظن به ظن السوء.

يذكر مظاهر، ماذا نسمى هؤلاء من قنطوا من رحمة الله وآيسوا من روحه؟ ماذا نسميهم؟ لهم اسم القانطين.

هؤلاء القانطين ترى مظاهرهم واضحة في كثير من تعاملاتهم مع ربهم، والقنوط أثره قوي على السلوك، القانط دائمًا يجزِّع نفسه، ويحبس نفع نفسه، ويظن أن لا أمل، وأن لا جدوى من وراء أي شيء، فهؤلاء القانطون حالهم تحتاج إلى كثير معالجة من قبِّل من

يتولى أمرهم، وهي طباع ابتلي بها كثير من الناس، وهذا سيعيدني على أول الكلام أنك إذا ابتليت انت بطبع القنوط والتيئيس ونفسك في حل المشاكل وتخطيها وفي انتظار الفرج من الله ضعيف لابد أن تعليه، لابد أن تقرأ وتفهم ما يزيدك بشرى، لكن الإشكال الكبير لما تجتمع جماعة من القانطين معًا في مكان أو في عمل، فلا تسأل عن ذهاب الروح من هؤلاء، وعدم وقوفهم عند باب الله، وعدم انتظارهم للفرج، وهذا كله مبدأه سوء الظن بالله، وغالبًا أن هؤلاء يدعون إلى القنوط، يعني لا يتركوهم وحدهم إنما يدعون إلى القنوط.

وصلنا إلى كلام ابن القيم في باب يظنون بالله غير الحق نقله صاحب فتح المجيد، يعني الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله ذكر الجزء الذي يخص الآية وأتى صاحب الفتح ونقل الجزء كاملًا من كلام ابن القيم.

اتفقنا أن كل عبارة من هذه العبارات التي ذكر فيها ابن القيم مظاهر سوء الظن تنتمي إلى فرقة من الفرق، يعني فرقة من الفرق متبنية لهذا الفكر.

الآن أول ما بدأنا الكلام اليوم حول هذا الباب قلنا أن هناك سبب لسوء الظن، وهناك مظهر، وهناك حل، فالمطلوب منك أن تعرف هذه المنظومة كلها لتعالج سوء الظن الذي يقع منك:

- الحل له قاعدة واحدة: وهي معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته.
- والسبب أنك تكون جاهل بأسماء الله عز وجل وصفاته، ويوافق هذا الجهل منك طبع فيك، طبع اسائة الظن، وقلنا هناك من الجبليات ما يكون سريعي اسائة الظن، كثيري الشك، فيهم قوة بخل، فيهم جبن، يعني صفة من هذه الصفات الجبلية زائد جهل بالله يساوي سوء ظن، أو يمكن أن يكون الجهل وافق بيئة سيئة الظن، طبعًا هذا من أقوى الأسباب لاستمرار سوء الظن وجعله ديدن للحياة، إما انت طبعك إما انت تربيت وهذا كله مع وجود الجهل طبعًا، يعني يكون هذا طبع أو انت تربيت على ذلك ولا أحد علمك فيساوي سوء الظن، فأصبح الحل هو العلم عن اسماء الله عز وجل، هذه قاعدة الحلول.

كانت الخطة الثانية في الحل سميناه "المظهر"، تحديد مظاهر سوء الظن سبب لعلاج سوء الظن، بمعنى لو عرفت التطير من سوء الظن ثم عرفت ما هو التطير، ربما هذا أكثر مثال نضربه لنرى إلى أي درجة سوء الظن دخل حياتنا، كثير من الأحيان نظن أن شرًا سيقع، نظن أن شيئًا سننساه، نتكلم أنني أشعر أني غير مرتاحة، اشعر أن مصيبة ستنزل، كل هذا طبعًا من التطير، والتطير من سوء الظن، وهذا يصدر من ناس يعرفون ربهم، صحيح أن التطير كما قال ابن مسعود " وَمَا مِنَّا إِلا" لكن نقصد بصورة عامة كثير من الناس لا يتصورون أن هذا الذي يمر على خواطرهم ويتكلمون به أصل مصدره سوء الظن، فأنت الآن لو اتيت إلى حياتك وجعلت هناك رافدًا يكون علاقة بين أفعالكم وحسن الظن بالله أو سوء الظن وهذا وانت تتعلم عن الله وعن اسمائه وصفاته كأننا نقول ركبت الحل، قاعدته العلم وما يبنى على هذا العلم هو معرفة أين سيستعمل هذا العلم، متى سترتب نفسك، متى ستقول أعوذ بالله من الشيطان، متى تعرف أنه من الشيطان﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، متى ستفسر أن هذا سوء ظن.

ونحن نسمع كل يوم أن أزمة في الماء ستكون في عام ٢٠٢٠وكلما اقترب الموعد كلما أبعدوه، يعني كلما قالوا تجاوزنا هذه الأزمة لكن يتوقع أزمة بعد عشره سنين أو بعد عشرين سنه، واشتهر عندهم فيلم يصور انتهاء العالم أو انتهاء العالم عندهم كان في ٢٠٠٠، هذا يصور انتهاء الحضارة!، وحصول انفجار كوني يسبب قطع وسائل الحضارة، وهذا يتكلمون به على أنه خيال علمي لكن هذا كله مبني على سوء ظن بالله، الذي خلقك واعطاك ورزقك، هو الذي سيقدر عليك هذه الأقدار وانت تعاملها على ما

يرضيه، ستعامل أقداره على ما يرضيه لكن تبقي تجرر الماضي وتسلط على نفسك سوط تعذب نفسك به أو من جهة أخرى تفكر في المستقبل وتبقى ترعب نفسك به؛ كلا الحالتان من سوء ظن بالله.

ذكرنا أنواع من مظاهر سوء الظن؛ ولماذا ذكرنا المظاهر؟ ذكر المظاهر نوع من أنواع المعالجة تعلم وأفهم ما هي المظاهر وفي كل موطن تعرف كيف تعالج.

وقلنا على رأس المظاهر الشرك، لأن الشرك كما مر في سورة البقرة ويونس:

في آية البقرة: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سبحانه ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾.

وفي آية يونس ﴿هُوَ الْغَنِيّ﴾، رده سبحانه وتعالى عليهم أنه الغني.

فهم لأنهم جاهلون ما قدروا الله حق قدره، فظنوا به أن يكون له شريك أو ظهير أو معاون فكان الرد أنه غني.

ومن جوز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوى بينهم وبين أعدائه فقد ظن به ظن السوء.

المطلوب منك أن تجيبوا من هي الفرقة التي ظنت هذا الظن؟ هذا من فكر القدرية، أن من فكر القدرية أن الله عز وجل يفعل ما يشاء وليس شرطًا أن يوافق الحكمة، وهذا لم يقال إلا من سوء ظنهم بالله.

بعد ذلك قال:

ومن ظن أن يترك خلقه سدى معطلين عن الأمر والنهي، لا يرسل إليهم رسله ولا ينزل إليهم كتبه بل يتركهم هملًا كالأنعام فقد ظن به ظن السوء.

سأجمع ما بعدها معها لأنها فرقة واحدة.

ومن ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازى المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته، ويبيِّن لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين فقد ظن به ظن السوء.

الآن عندي مظهرين:

- المظهر الأول: من يظن أن الله عز وجل خلق الخلق وتركهم سدى، بدون أمر ولا نهي.
- ومعتقد أخر: أن الله عز وجل لن يجمعهم يوم القيامة، ونتيجة الجمع طبعًا أنه سيحاسبهم على ما أمرهم وكيف فعلوه، وعلى ما نهاهم وكيف تركوه، ثم سيظهر اولياؤه واعداؤه فيعاقب الأعداء ويجازي الأولياء.

وهؤلاء ظنوا بالله ما يخالف ظن الحق، انت لو علمت أن الله ربًا خالقًا، وعلمت أنه ملكًا متصرفًا، ولا يمكن للملك أن يكون ملكًا كامل الصفات إلا وهو آمر وناهي ومجازي ومعاقب، فكان سوء ظن في اعتقادهم النقص في صفات الملك، فالملك الذي عنده عبيد لابد أن يكون أتي بهؤلاء العبيد يأمرهم وينهاهم ويحكم فيهم، فهو الذي أوجدهم من غير حاجة، وهو الذي صرفهم من غناه وتمام حكمته فحكمه وعدله ورأفته وقدرته وعزته وعلمه المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا، وحكمته العظيمة وإرادته وسلطانه ومشيئته التامة سبحانه وتعالى، فكل هذه الصفات حصل فيها سوء ظن.

السؤال الآن ما هي الفرقة التي تبنت هذا الفكر؟ سواء كان ابتدأ بأنه لم يأمرهم ولم ينهاهم أو انتهاءًا أنه لن يجمعهم بعد موتهم، أريد أولًا فرقة جمعت بين هذان الأمران؟

هذا قول يقول: منكري البعث، ممكن منكري البعث يصلح أن يكون للفرقة الثانية لكن أولًا فرقة جمعت بين الاعتقادين وهم الفلاسفة، يسمونهم أتباع أرسطو.

هؤلاء الفلاسفة جمعوا بين الإثنين؛ بين اعتقاد أنهم غير مكلفين مع اعتقاد إنكارهم للبعث، كثير من العرب كانوا يؤمنون بالله ربًا وخالقًا ومالكًا ورازقًا ويعبدونه لكن يشركون معه، ومن ثمّ كانوا يريدون بهؤلاء الذين يشركون معه أن يكونوا عند الله شفعاء لهم، فهؤلاء كلهم لا ينكرون البعث لكن جماعة من الصابئة وجماعة من المجوس والثقافات اليونانية أنكرت البعث، بعدما أنكرت في أول الأمر أصلًا التكليف والأمر والنهي، ودخل الفكر على بعض من اختلط بهم في زمن الجاهلية وأيضًا في زمن الإسلام.

المقصود أن الفلاسفة لأنهم يدورون حول إنكار الأمر والنهي سيكون الناتج أنهم أيضًا ينكرون البعث والحساب.

أيضًا من مظاهر سوء الظن:

ومن ظن أنه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصًا لوجهه على امتثال أمره، ويبطله عليه بلا سبب من العبد، وأنه يعاقب بما لا صنع له فيه ولا اختيار له ولا قدرة ولا إرادة له في حصوله، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به،

إذن هذا يعمل الصالحات ويظن أنه مع عمله الصالح ومع توبته من الذنوب ومع إقباله على الله يمكن بلا سبب – مجرد مشيئة مجردة– وهذا لا يقول يمكن أن يكون عنده دسيسة أو أكذب على نفسي أو سيئة أكلت حسناتي، لأ، هذا يعتقد بمجرد المشيئة سيرد هذا كله منك يا عبد، يبطله عليه بلا سبب، ويعاقبه بما لا صنع له فيه!، وهذا ليس من باب الخوف إنما من باب سوء الظن.

وهذا القول قول يفسد على العبد حياته ولو ظننت هذا الظن ما صليت ولا صمت وتصورت أن دخول الجنة ضربة حظ وأن الأمر تابع لمشيئة مجردة ليس ورائها حكمة.

عيسى عليه السلام يقول: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَأنهم عِبَادُكَ ۖ وإن تَغْفِرْ لَهُمْ فَأنك أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يعني مغفرتك صادرة من عزة وحكمة أيضًا، فأنت الحكيم ربطت الأسباب بالنتائج، العبد يقبل بالتوبة الرب يغفر له، من أتي بأسباب المغفرة غفر له، يغفر له الله ولا يبالي.

المقصود أن هذه الفرقة من الفرق الموجودة اليوم، هل تعرفون ما اسم هذه الفرقة التي تتبنى هذا المظهر من مظاهر سوء الظن؟

الجبرية.

هذه الجبرية تعتقد أن أمر الله في الجزاء والحساب متصل بالمشيئة المجردة التي لا تتبع الحكمة، والله عز وجل يقول كما في سورة الإنسان: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إلا أن يَشَاءَ اللَّهُ أن اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ مشيئته تابعة لعلمه وحكمته.

أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبياءه ورسله ويجريها على أيديهم ليضلوا بها عباده،

ما معني هذا الأمر؟ يعتقدون في الله أنه سبحانه وتعالى يمكن أن يعطي اعداؤه والمخالفين معجزات تشتبه على طالب الحق؛ هل هذا صادق أو غير صادق.

وكثير ممن يسألك يقول لك أنا الآن كيف اعرف أن الإسلام هو الحق وغيره باطل؟! وهو لم يبذل جهده لا في بحث ولا في الإقبال على الحق، بل كثير ممن يدعوا أو يريد أن يدعو غير المسلين يتثاقل يقول: أن لا قدرة لي على مواجهة أصحاب هذا الفكر، ولا إلى دعوتهم إلى الإسلام، فهم عندهم معتقدات تردهم، نقول: لا تظن هذا أبدًا، إذا تكلمت بالحق وانت صادق تريد الحق قذف الله في قلب من يسمعك أن هذا هو الحق، ثم إما يستجيب للحق وإما يعاند فلا يستجيب، وانت لست مسؤول على أن يستجيب أو لا يستجيب، لكن دائمًا تسير وانت تدعوا إلى الله،

وهذه دعوى الحقيقة لأهل المملكة ولأهل الخليج بالذات والعالم الإسلامي على وجه العموم بأنكم تختلطون بكثير ممن يمكن أن يُدعون إلى الإسلام فاتقوا الله وادعوهم إلى دين الله، واعلم أن الحق يؤيده الله، ويشرح له الصدور، فلا تظن أن لحنك بالحجّة هو الذي يصلح النفوس! انت كن صادقًا وقل الحق والله عز وجل هو الذي يؤيدك بنصر من عنده، ولا تظن أن الذين يدعون إلى الشرك وإلى المخالفة معهم معجزات من الله! بل معهم الشبهات التي يفتن بها من ضعف يقينه بالله.

المقصود أن الحق لا يلتبس مع الباطل أبدًا أبدًا لكن الهوى يحجب عن الناس قبول الحق، هذا أمر مسلَّم به أن الهوى يحجب عن الناس قبول الحق، ولا تظن أن نصرانيًا يدّعي للتثليث رأى من المعجزات ما ثبته على نصرانيته، ولا تظن أن قبوريًا بقى على قبوريته لأن الله أشهده على أن هذا الحق، بل اعلم أن الله يتابع عليه أدلة بطلان ما هو عليه، وهو يتبع هواه فيعمي الله عز وجل بعد ذلك بصره ويختم على قلبه وينقلب الحق باطلا والباطل حق عنده، ويسمع الشيطان فيظن أنه من عند الرحمن!.

وفي هذا كله نتكلم عن الجبرية، هذه كلها اعتقادات الجبرية، هؤلاء يقولون أن كل شيء يليق بالله يحصل منه وأنه يحسن منه أي يأتي منه.

وأنه يحسن منه كل شئ حتى يعذب من أفنى عمره في طاعته فيخلده في الجحيم في أسفل السافلين، وينعم من استنفذ عمره في عداوته وعداوة رسله ودينه فيرفعه إلى أعلى عليين، وكلا الأمرين في الحسن عنده سواء،

هذا في ظنهم.

ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلا بخبر صادق، وإلا فالعقل لا يقضي بقبح أحدهما وحسن الآخر. فقد ظن به ظن السوء.

يعني يجوزون على الله بعقولهم أنه يحصل من الله أي شيء، وهذا ما نسميه بالمشيئة المطلقة، يعني انت الكامل في عقلك؛ فعقلك يقول الكامل لابد أن يكون عادلًا، الكامل لابد أن يفعل ما يليق بالمصلحة، الكامل لا يمكن أن يساوي المؤمن بالفاسق!.

هم يقولوا لأ؛ نحن في أصل عقولنا نظن أن كل شيء ممكن أن يصدر عن الله إلا أن يأتينا نصًا يقول أن الله لا يعذب المؤمنين ذلك الوقت نسلم به، فهم في أصل اعتقادهم يسيئون، مع أن هذا مركب في الفطر أن في الكون واحدًا كامل الصفات تصمد إليه وقت الحاجات والملمات، ينجيك، ويدفع عنك، يزيدك، يعاملك بعدله بل يعاملك بفضله سبحانه وتعالى.

فالمقصود أن الفطر التي هي المرشد الأول للعقول فيها استقرار أن السفول لا يصلح للعظيم، وأن الظلم لا يليق به!، وأن مشيئته سبحانه وتعالى تابعة لحكمته ومشيئة الناس تابعة لهواهم، فهذا من عظيم سوء الظن بالله، لا تظن أبدًا أنه يساوي بين حياة المؤمن والفاسق أو بين ممات المؤمن والفاسق أو بين بعث المؤمن والفاسق أو بين جزاء المؤمن والفاسق، فوالله مهما ضاقت على أهل الإيمان الحق الأحوال، ومهما تصور أحد قلة الدنيا في أيديهم فهم بأحسن حال من جهة رضاهم عن الله، فدينهم رأس مالهم.

ووالله لقد رأينا من يفترش الطرقات ولا يجد إلا كسرة الخبز الناشف، ثم إذا أذن المؤذن وقال: "رضيت بالله ربا" خرجت من فؤاده صادقة فوقعت في أذن من يسمعها وقلبه، ثم تراه في الشمس الحارقة ينفر إلى الصلاة نفرا وتعلم أنه صدقًا وحقًا راض عن ربه، ولم نرى مثل هذا نادرًا بل رأيناه مكررًا، فواعجبًا كيف لما يكون رأس مال العبد دينه، وكيف لما يتخذ حياته مسرحًا للتجارة مع الله، تراه لا يقول لك عن ربك إلا خيرا، يبشرك ويصبرك، وانت تشعر أنك انت الذي يجب أن تصبره على ضيق الدنيا لكن لم تعرف من حلاوة تقع في القلب التي تأتي من حسن الظن بالله، وأن الفرج آتي وقريب، وأن كل نقص ورائه عطاء عظيم، وكيف بمن يظن أن نقص الدنيا خسة لكي يسرع ويجدّ السير إليه، فهم ليس فقط لا يشعرون بألم النقص بل يشعرون بنعمة نقص الدنيا عليهم.

المهم أن الله عز وجل من كمال حكمته ومن كمال رأفته ورحمته بالخلق شرح الصدور للحق، فهذا من كمال الحكمة أنك لما تواجهه الحق يشرح صدرك له، فلا تظن بربك أنه يؤيد أهل الكفر بالمعجزات، ولكن من اتبع هواه انقلبت عليه الرؤية، وانقلبت عليه الشواهد، فالشاهد يكون ناطق أنه لا أحد إلا الله وهو يقول انظر سرعه رجال المطافي انقذت الطفل!، انظر التحدي وإرادة الحياة أخرجت هذا المريض من المستشفى!، لا يتوقف هذا الهراء!، كل يوم تسمعه بكلام مختلف، ماذا تقول؟ أيد الله أهل الكفر بالمعجزات؟ لأ!، أهل الكفر أشهدهم أن لا إله إلا هو وهم انقلبت عليهم الشواهد، لكن ليس بعد الكفر ذنب، بقي الكلام علي أهل الإسلام، أهل الحق، أهل هذه الملّة السمحة، لابد أن يشهدون علي ما شهد الله عليه وأشهد عليه ملائكته ورسله، لا بد أن يشعرون بآثار كمال صفاته في كل شيء.

نسأل الله عز وجل أن يبصر أعيينا ويفتح قلوبنا، ويزيد من انشراح الصدر للحق وانقباضه عند الباطل، وكلما زدت قربة وتوسلًا في قول إياك نستعين ثق أن الله لا يخلف وعده وأنه سيبلغك الحق والصراط المستقيم.

ومن ظن أنه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل، وترك الحق لم يخبر به وإنما رمز إليه رموزًا بعيدة، وأشار إليه إشارة ملغزة ولم يصرح به وصرح دائمًا بالتشبيه والتمثيل والباطل، وأراد من خلقه أن يتعبوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه، وتأويله على غير تأويله، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة والتأويلات التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالكشف والبيان، وأحالهم في معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه.

بل أراد منهم ألا يحملوا كلامه على ما يعرفونه من خطابهم ولغتهم، مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به، ويريحهم من الألفاظ التي توقعهم في اعتقاد الباطل فلم يفعل، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان. فقد ظن به ظن السوء، فإنه إن قال: إنه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي عبر به هو وسلفه فقد ظن بقدرته العجز، وإن قال إنه قادر ولم يبيِّن، وعدل عن البيان وعن التصريح بالحق إلى ما يوهم، بل يوقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد. فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء. ومن ظن به أن يكون في ملكه ما لا يشاء ولا يقدر على إيجاده وتكوينه، فقد ظن بالله ظن السوء.

ومن ظن أنه هو وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله. وأن الهدى والحق في كلامهم وعباراتهم وأما كلام الله فإنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال وظاهر كلام المتهوكين والحيارى هو الهدى والحق فهذا أسوأ الظن بالله.

أولًا نحدد ما هي هذه الجماعة التي وقعت في هذا الإشكال؟ من هم هؤلاء الجماعة؟ هم المعطلة، المعطلة أولًا شبهوا ثم عطلوا، حلوا مشكلة التشبيه بالتعطيل.

نعود للوراء قليلًا نقول أن المشبهة هى التى حصلت أولًا وقالت أن النصوص تدل على التشبيه، ثم أتت المعطلة وأرادت تنزيه الله، فماذا فعلت؟! أولًا قالوا أن ظاهر الأدلة تدل علي التشبيه، هذا أول خطأ وقعوا فيه، وبُني على هذا أنه أتوا إلى النصوص وقالوا أنها رموز تدل على الحق وليست مقصودة بنفسها، وأن فيها ألغاز، هذا طبعًا ليس تعبيرهم، لم يقولوا الألغاز لكن قالوا لا تحمل السميع على معنى السمع، لأ، المقصود كذا، لا تحمل ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ على أنه إثبات الكلام لله، ولا كلمه ربه على أن الله كلمه، هناك ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ وهنا ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾ أي أنه جرحه بمخالب الحكمة من الكلم والكليم والدم يعني المجروح!.

فنأتي نقول له لماذا تحملونه هذا الحمل؟! لماذا تقولون هذا الرأي في كلام الله؟ يقولون لو اثبتنا هذا بالنص الظاهر لزم التشبيه والتمثيل، تشبيه الله الكامل بالعبد الناقص!، ويقولون الواجب علينا أن نمنع التشبيه ونمنع التمثيل، فكيف ستمنعونه؟ فيحملون كلام الله على معاني لا يدل عليها الظاهر أو يلووا عنق النصوص من أجل أن تدل على الظاهر الذي يريدونه، يعني يحملوها ما لا تحتمل ويقولون هذا ظاهر النص!، كذبًا طبعًا وافتراءًا وإشغالًا بالباطل عن الحق.

نقول لهم ماذا تظنون بربكم؟ هل تظنون أنه تعالى الله لا يستطيع أن يعبر ويتكلم ويوصل لكم الحق؟! أنه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح؟! أم ماذا تظنون؟! هل تظنون أنكم انتم تستطيعون أن تعبروا عن الحق وهو سبحانه وتعالى لا يتكلم بالحق؟! إذا قالوا نعم فقد ظنوا بقدرته العجز!.

وإذا قالوا لأ، نحن لا نظن بالله أنه ليس قادر لكن عدل عن البيان والتصريح إلى ما يوهم، لكن لماذا أمر في غاية الأهمية وكرر وليس أمر في المشتبهات ثم لا يصرح به؟! أتتصور أنه يريد أن يوهمنا بغير الحق؟! فهنا أتى ظن السوء!.

يعني كل من قال أن الله لم يريد فيما أخبر به عن صفاته أن تعتقد أن هذه صفاته نقول كيف تظن هذا بالله وهو قادر على إيصال الحق لنا وهو لا يريد بنا إلا الرشد!، فيرسل لنا رسولًا لكي يبيِّن عنه ولكي نعبده على بصيرة ولكي نعرفه، ونتوسل إليه ونسأله ونرجوه ثم تقول أن الله لم يخبرنا عن اسمائه وصفاته خبرًا بيِّنًا يجعلنا علي حال من الاستقرار نعرف من نعامل ومن نرجو ومن نلجأ إليه؟! فهذا من ظن السوء العظيم الذي دأب عليه كثير من الناس وهم لا يشعرون، فيقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، لا يفقهون ما يقرءون لأنهم يظنون أن الخطاب ليس موجه لهم!، وأن الله لم يريد بيان شيء لهم!، وغاية ما عندهم أن يجعلوه أحد طقوس حياتهم دون أن يفهموا أن الخطاب لهم!.

فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية.

ومن ظن به أن يكون في ملكه ما لا يشاء ولا يقدر على إيجاده وتكوينه، فقد ظن بالله ظن السوء.

أولًا من هي هذه الفرقة التي ظنت أنه يكون في ملكه ما لا يشاء؟! هذه هي القدرية، الذين يظنون أن الله خالق للخير وأن الشر ليس في مقدوراته!، يعني يأتون يقولون انت أيُّها العبد خلق الله لك الخير وانت تخلق لنفسك الشر، يعني أن تخلقه، تفعله، تشاءه، تقدره، تخلقه، والله عز وجل لا يعلم ذلك والله عز وجل لا يعطيك المشيئة بل هي مشيئة مستقلة لك تستطيع أن تخلق أفعالك بنفسك!، وهى تكون دراسة موسعة في الباب الذي بعده مباشرة باب: "منكري القدر".

فهم يظنون أن الله لايعلم الأفعال التي يفعلها الخلق، وهو سبحانه وتعالي لم يعطي الخلق القدرة عل القيام بها بل هم قاموا بها منفردين فأثبتوا للكون تعدد الخالقين، فكل عبد في نظرهم يستطيع أن يخلق أفعاله.

ربما المسألة فيها شي من الغموض إن شاء الله في منكري القدر نتناقش وتظهر لكم.

ومن ظن أنه كان معطلًا من الأزل إلى الأبد عن أن يفعل، ولا يوصف حينئذ بالقدرة على الفعل ثم صار قادرًا عليه بعد أن لم يكن قادرًا، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم الموجودات، ولا عدد السموات ولا النجوم، ولا بني آدم وحركاتهم وأفعالهم، ولا يعلم شيئًا من الموجودات في الأعيان، فقد ظن به ظن السوء.

ماذا تقولون عن هذه الفرقة؟ هذه الفرقة هم غلاة الجهمية، وهناك من يقول أن هذا الفكر أصلًا أتاهم من الفلسفة وأتاهم من النظريات اليونانية، فهم لا يظنون بالله أنه موصوف بكمال الصفات بل يظنون أنه اكتسب صفة الخلق لما خلق!!، لما خلق الخلق اكتسب صفة القدرة علي خلقهم!!، هذا فلسفة عظيمة وخطيرة لكن الحمدلله في العاده لا نواجهها كثير.

معني كلامهم أن الله موجود منذ الأزل فهو الأول ليس قبله شيء، قانون التسلسل الذي في عقولنا الموجود في الحياة يخص أهل الأرض كما أن قانون الجاذبية يخص المخلوقات في الأرض ومن يخرج من الأرض ينقطع عنه هذا القانون.

فهم يقولون أن الله عز وجل هو الأول الذي ليس قبله شيء، كان ولم يكن شيء، فيقولون أنه لم يوصف بالصفات إلا بعد أن فعل، لم يكن موصوف ثم وصف!!، هذا فكر الفلاسفة، لذلك لما تقرأ في الطحاوية يبيِّن لك أنه لم يكتسب صفة الخلق لما خلق الخلق بل هي ثابتة له قبل أن يخلق الخلق، من صفاته اللازمة أنه خالق قبل أن يخلق الخلق، ثم يفعل هذا الفعل متي شاءه.

على كل حال؛ هذا في الأصل فكر الفلاسفة وقع فيه غلاة الجهمية.

ومن ظن به أنه لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم الموجودات، ولا عدد السموات ولا النجوم، ولا بني آدم وحركاتهم وأفعالهم، ولا يعلم شيئًا من الموجودات في الأعيان، فقد ظن بهم ظن السوء.

هذا لازال من فكرهم

ومن ظن به أنه لا سمع له ولا بصر ولا علم ولا إرادة، ولا كلام يقوم به، وأنه لا يكلم أحدًا من الخلق ولا يتكلم أبدًا، ولا قال، ولا يقول، ولا له أمر ولا نهي يقوم به، فقد ظن به ظن السوء.

وهذا قول المعتزلة.

ومن ظن به أنه ليس فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وأن نسبة ذاته إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل سافلين، وإلى الأمكنة التي يُرغب عن ذكرها،

إلى أخر كلامه

هذا الكلام كلام أهل الحلول والاتحاد، فهم اشتركوا مع المعتزلة والجهمية في إنكار إستوائه على العرش وتقدموا عنهم في اعتقاد اختلاطه بالخلق، فكانت الحلولية – حاربهم الله وقلع هدوئهم- والحلولية اليوم موجودة في الصوفيه والروافض – حاربهم الله أجمعين – والحقيقة أنهم من أفسد المعتقدات معتقد – الحلولية – من أفسد المعتقدات على الإطلاق، فانت تجد أن كثيرًا ممن يمليهم أهل التصوف لقيادة العالم وللتحكم في أرزاقهم يكذبون عليهم هذه الكذبة والافتراء العظيم فيقولون: "طيب نفسك ليحل فيك الرب!!" – تعالى الله عما يقولون – فكم خدعوا وكم فتنوا وكم دخلوا ناس علي ثقة وكم ظن أحد بهؤلاء حسن الظن – نسأل الله عز وجل أن يكشف عن الأمة الغمة ويذهب بهم جميعًا ويبدل أهل الإسلام من القيادات والمرشدين والمرشدات من إلى التوحيد يرشدهم وبه يخاطبهم، ويكون مقصدهم في خطابهم رضى الله عنه، وإرشاد المسلمين إلى ما يحبه الله ويرضاه-

ومن ظن أنه يحب الكفر والفسوق والعصيان، ويحب الفساد كما يحب الإيمان والبر والطاعة والإصلاح فقد ظن به ظن السوء.

لازال هذا كلام الجبرية؛ أن الله يحب الفساد كما يحب الصلاح!.

يقابله الجهمية والمعتزلة:

ومن ظن به أنه لا يحب ولا يرضى، ولا يغضب ولا يسخط، ولا يوالي ولا يعادي، ولا يقرب من أحد من خلقه، ولا يقرب منه أحد. وأن ذوات الشياطين في القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين وأوليائه المفلحين. فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه يسوي بين المتضادين، أو يفرق بين المتساويين من كل وجه، أو يحبط طاعات العمر المديد الخالصة الصواب بكبيرة واحدة تكون بعدها، فيخلد فاعل تلك الطاعات في الجحيم أبد الآبدين بتلك الكبيرة، ويحبط بها جميع طاعاته ويخلده في العذاب كما يخلد من لم يؤمن به طرفة عين، واستنفذ ساعات عمره في مساخطة ومعاداة رسله ودينه، فقد ظن به ظن السوء.

هؤلاء من يسمونهم الوعيدية، والخوارج تحمل نفس فكرهم، وأيضًا المعتزلة عندها هذا الفكر، وأيضًا الشيعة الزيدية عندها هذا الفكر؛ وهو أن من مات على الكبائر فهو خالد مخلد في النار، فساوو بين من معه توحيد ومن ليس معه.

ومن ظن به أن له ولدًا أو شريكًا، أو أن أحدًا يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، وأنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوصلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم، فيدعونهم ويخافونهم ويرجونهم فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

هؤلاء هم المشركين من اليهود والنصاري والصوفية ومن سار سيرهم

ومن ظن به أنه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفته، كما يناله بطاعته والتقرب إليه، فقد ظن به خلاف حكمته وخلاف موجب أسمائه وصفاته، وهو من ظن السوء.

وهؤلاء أظهر مظاهرهم أهل البدعة الذين يتقربون بمخالفة أمره، ويظنون أن مخالفة الأمر طريقًا إلى رضاه، وهم لا يظنون أنهم يخالفوا الأمر لكن هذا فعلهم أنهم يخالفون أمر الله.

ومن ظن به أنه إذا ترك شيئًا من أجله لم يعوضه خيرًا منه، أو من فعل شيئًا لأجله لم يعطه أفضل منه، فقد ظن به ظن السوء.

علي كل حال؛ ما تبقي من هذا الكلام مهم سأترك هذا الجزء إن شاء الله نناقشه اللقاء القادم، لأن هذا الجزء يتصل كثيرًا بحياتنا، نجد بعد التفاصيل التي لها علاقة بالظنون السائرة بمعنى أنها ليست فرق الذي سيأتي الكلام عنه، بل هي ظنون انتشرت بين أهل الإسلام ولا يلزم منها أن تكون لُقنت في مدارس أو في مذاهب أو في كتب إنما انتشرت بين المسلمين نتيجة جهلهم بالله، فهذا الجزء إن شاء الله نتكلم عنه في أول اللقاء القادم.

بقي أن أكلف الطالبات بالبحث عن معتقد الجهمية والقدرية النفاة، تسمي القدرية إطلاقًا وأن قارنتها بالجبرية تسمي القدرية النفاه.

يكفينا هذا اليوم وهذا سيسهل علينا إن شاء الله لما ننتقل إلى "منكري القدر" أشياء كثيرة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أسأل الله عز وجل أن يبارك لنا في هذه النعمة وأن يغفر لنا ذنوبنا الحائلة بيننا وبين الانتفاع بما سخر لنا.

لازلنا نتكلم في باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾، وبلغنا الكلام حول من ظن أنه ينال ما عند الله بمعصيته وبمخالفته كما يُنال بطاعته والتقرب إليه، وهؤلاء ظنوا بالله ظن السوء من جهة أنهم اعتقدوا أنه سبحانه وتعالى يساوي بين من أطاعه وبين من عصاه وهذا خلاف حكمته سبحانه وتعالى.

ننتقل إلى الصورة الثانية من الصور الخاصة التي قد يمارسها الإنسان بتكرار في حياته وفي تفكيره، وسوء الظن في الأصل مشاعر تقع في القلب تسبب حركة البدن، تسبب اتجاهات التصرفات.

ومن ظن به أنه إذا ترك شيئًا من أجله لم يعوضه خيرًا منه، أو من فعل شيئًا لأجله لم يعطه أفضل منه، فقد ظن به ظن السوء.

والمقصود أن العبد يُختبر ويُمتحن في حياته، ويُرسم له طريق النجاة من خلال ما أوصي به في كتاب الله أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، من بين ما يُوصى به العبد أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، ثم تأتي الفُرص للخيانة أو تأتي الفرص للمخالفة، والشيطان يعيد ويزيد عليك جملة واحدة؛ يقول لك: فرصة ثم تب، فرصة ثم تعود، ويرسم للعبد مسارًا حتى بعد ارتكابه للذنب، وهذا إنما هو من فعل الشيطان؛ **فيتزاحم في عقل العبد أمران:**

- الأمر الأول: ما وعد به وهو أنه لو ترك هذا الشيء عوضه الله خيرًا منه.
- والأمر الثاني: أن هذه فرصة لن تكرر له من أجل أخذ شهوته.

فلما يغلب عليه حسن الظن أنه لو تركها عوضه الله، لما يغلب عليه هذا الأمر كان ممن أقلع عن المعصية، ولما يغلب عليه سوء الظن يتصور أنه لو ترك المعصية خاسر وأن تركه من أجله لن يكن سببًا لتعويضه خيرًا منه.

فيستجيبُ للشيطان ويترك حِمى الرحمن، لماذا؟ لأنه يظن أنه لو ترك هذه الشهوة لو تركها الآن من أجل الله الشيطان يملأ قلبه أنه خسران، لو تركت هذه الشهوة لن تأتيك الفرصة مرة أخرى، فيملأ قلبه بأن تركه للمحرم خسارة عليه، وأن ما تستمتع به من هذا المحرم فرصة لن تكرر لك!.

وهذه الفرص أصلًا من البلايا العظيمة، فرص الذنوب من البلايا العظيمة، لماذا؟ لأن العبد تُهيّأ له فرص أن يرتشي أو أن ينظر نظرًا محرمًا أو يفرغ حاجته تفريغًا محرمًا أو أن يصل إلى العلو على الخلق بصور وبأحوال لا يشعر بها أحد، يعني لن يلومه أحد، ليس حوله أحد فينظر نظرًا خاطفًا محرمًا وهو في الخفاء، يقع في مقدمات الزنا وهو في الخفاء، ففي هذه اللحظة – لحظة الخفاء–يشعر أنه لو لم يستغل الفرصة مع اختفائه وبُعد الأعين عنه أنها ستذهب عليه، وإذا ذهبت فرصة المحرم كان خسرانا، فالشيطان يملأ قلبه بمشاعر الخسارة، أنك ستكون خسران لو ضاعت عليك فرصة المحرم!

فهذا من سوء الظن بالله، لأنك إذا عصمت من المحرم وقوي إيمانك وعصمت منه لابد أن يعوضك الله خيرًا منه، لابد!، اجعل هذا لائحًا في أفقك دائمًا؛ أترك هذا سيعوضك الله خيرًا منه، أترك هذا سيعوضك الله خيرًا منه، لا تستجب لإشعال الشيطان للحاجة، لا تستجب لتصويره لك أن هذه فرصة لن تعوض.

إذن من مظاهر سوء الظن أن الإنسان يظنُ أنه إذا ترك شيئًا لأجل الله لن يعوضه خيرًا منه، المعنى أنه من هنا تأتي حرب بين ما تعلمه من طريق الحق وبين ما يفعله الشيطان من تصوير الباطل وتزينه لك، والشيطان يشعرك بأن استقامتك وتركك للمنكر هذا عبارة عن خسارة، فرصة ضيعتها على نفسك.

وخصوصًا أن كثير من الذنوب لا تستطيع القيام بها أمام الناس خصوصًا وأنت مستقيم ولك مكانتك وأهلك يظنون بك خيرا، فتخلو بشيء محرم أو تنظر في الخفاء إلى محرم، **فالشيطان يصور لك أن قدرتك على هذا المحرم فرصة لا تضيعها، وهذا من تمام سوء الظن بالله**، فأنت إذا لاح لك مثل هذا الكلام كرر على نفسك أن ما سأتركه من حلاوة في هذا الذنب سيعوضني الله خيرًا منها، هنا قبل الآخرة، في الدنيا قبل الآخرة، ولهذا الشيطان لا يتركك من سوء الظن حتى بعد انتهاء الفرصة، لابد أن تفهم هذا جيدًا، حتى بعد انتهاء فرصة القيام بالمنكر يحسِّرك أن فرصة للمنكر ذهبت عليك.

وتحكي لي أحد الأخوات أنها تسافر إلى بلاد المنكرات، ولما بدأت تستقيم كانت تسافر أيضًا لكن تبذل جهدها أن تحبس نفسها عن المنكر وتقول سأعوض خيرًا منه ولا تبقى ذاكرة هذا المكان في سوء وعادت، عادت بعد أن عصمها الله لم تقع في المنكرات، فتقول سنة بالكامل من الصيف الأول إلى الصيف الثاني والشيطان يرسم لي كيف أعوض خسارتي – على حد تعبيرها –خسارتها في الصيف الماضي، وأنها كيف لم تستفد من الوقت والفرص الذهبية التي أتتها من أجل الوقوع في المنكر!.

يعني حتى بعد أن تُحمى وتُعصم يبقى الشيطان يُخيَّل لك أن فرصة فاتت عليك، فلا تستسلم له، لأن هذا من سوء الظن بالله أن تظن أنك تمنع نفسك وتحبسها من أجله ثم لا يعوضك في الدنيا قبل الآخرة، لا تظن في ربك هذا الظن بل اعتقد أنك ما حبست نفسك من أجله إلا وهو سبحانه وتعالى لك معطيًا ولخاطرك جابرًا لكن مشكلتنا أننا لا نقرأ أفعاله ولا نرى جبره ولا نتصور جميل عطائه!.

المقصود أن يبقى العبد دائمًا بمشاعر العداوة تجاه عدوه الحقيقي الذي يشوش عليه ظنونه، ولهذا اعتنِ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾، من هذا الشر العظيم من شر هذا الوسواس الذي يوسوسه إليك ويسمعك صوته ويعيده عليك الشيطان الرجيم.

وبالعكس أيضًا؛ من سوء الظن أن تفعل شيئًا لأجله فتُكرم الخلق، تعلمهم، تعطيهم وتتصدق عليهم، تُحسن لهم، تتخلق الأخلاق الحسنة معهم، ثم تجد من بعضهم سوء خلق أو كلام لا ينتظر أو طعنًا في الظهر إلى آخر ما في أخلاق الخلق من نقص، فتظن أنك لما فعلت من أجله أهنت نفسك وأن تقربك إليه خسارة عليك وتضييعًا لجهدك، وهذه الكلمات للأسف تتكرر، يعني كثير من الناس يأتون يقولون: خسارة إحساني إليك، خسارة تعليمي فيك، خسارة الوقت الذى قضيته من أجل إفهامك، فإذا كان صادقًا مريد وجه الله فلابد من أن تعلم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

وأما تصورك أنه لابد أن يكون في الدنيا أثره فهذا من سوء الظن، نعم ستجد في الدنيا لابد من ترك شيئا لله عوضه الله خيرًا منه في الدنيا وفي الآخرة، ومن عمل لله لابد أن يجد أثر ذلك في الدنيا وفي الآخرة لكن ليس الأثر الذي ترسمه أنت!، فأنت ثقِّل موازينك بالعمل الصالح يعطيك ويرضيك ويجبرك ويرفعك وكل هذا بحكمة بالغة، لاتنسَ أنك تتعرض لاختبار في نيتك، وأحيانًا كثيرة الإنسان يُحسن العمل ويحسن النية أثناء العمل ثم بعد ذلك في انتظاره للفرج أو في انتظاره لعطاء الله يقع منه سوء الظن ويقول: ها

أنا ربَّيت، ها أنا علَّمت، ها أنا حفَّظت، – وخصوصًا ونحن نربي أبنائنا – ومع ذلك لا أجد أثرًا في شيء!، نقول ظهور الآثار إنما هو مربوط بحكمة الله عز وجل متى ما أراد ظهرت آثار عملك بالصورة التي توافق حكمته سبحانه وتعالى.

المهم المقصود الآن؛ أن ذنبًا انكففت عنه أكثر من ذكره والثناء عليه أن عصمك منه، وطاعة وُفِّقت لها وإحسانا إلى الخلق وفقك الله له، لا تجد في نفسك ندم عليه، إنما هذا من سوء الظن بالله.

أيضًا من سوء الظن الذي ممكن يكون من حال بعض الخلق:

ومن ظن به أنه يغضب على عبده ويعاقبه ويحرمه بغير جُرم ولا سبب من العبد إلا بمجرد المشيئة ومحض الإرادة فقد ظن به ظن السوء.

وهذا كثيرًا ما تسمعه على لسان العباد من بين العبارات المشهورة أن يأتي أحد يقول: ماذا يريد مني الله؟!! – تعالى الله عما يقولون –، يقول أنا صليت وصمت وأطعت فلماذا لا أجد إلا المصائب؟! فيبدأ يدخل عليه كل ما مضى من كلام؛ أنه يعني أطاع ولم يصل إلى الراحة، والعاصي عصى ووصل إلى الراحة، إذن ممكن الناس يصلون إلى ما عند الله بمعصيته ليس شرطًا بطاعته! هذا ظنه!.

ويظن أيضًا أن من أطاع الله وترك من أجله لا يعوضه الله خيرًا يترتب على هذه المشاعر أن يأتي أحد يقول لك: أن الله عز وجل مشيئته نافذة وإذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، وأنا الآن مطيع ومع ذلك في أسوأ حال، هو يرى نفسه بهذه الصورة، معناه أن الأمر لا يتصل بفعلي، إنما هو بمجرد المشيئة ومجرد الإرادة، وليس مني شيء إنما الأمر لله، من شاء أسعده ومن شاء أتعسه!

⇦ فنقول مثل هذا من سوء الظن!، لأنه حكيم جعل لكل شيء سببا

⇦ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ هذا الذي سييسره الله لليسرى.

⇦ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ هذا هو الذي سييسره الله للعسرى.

كيف تظن أنك تأتي بأسباب التيسير لليسرى ثم بمحض إرادة لا حكمة فيها تيسر للعسرى؟ كيف؟! لايمكن!.

ولازلنا نقول هذا من سوء الظن ومن وسوسة الشيطان الرجيم للعباد، فيقول له أي معلومة تأتيه حول هذا الأمر يلتقطها يسمع مثلًا عن المنافقين تجده باذلًا جهده في الصدق، باذلًا جهده أن يحرر نيته، يعلم أنه لا يستطيع أن يفعل شيء إلا بحول الله وقوته، شديد الانكسار بين يدي الله، كل هذا ثم لما يأتيه الكلام عن النفاق يقع في الإغلاق!، بمعنى أنه لا يفتح لنفسه باب الرجاء، إنما يظن سوءًا أنه برغم من جهاده لكن لا يقبل منه!، طبعًا هذا سوء ظن يؤدي في الغالب إلى القنوط من رحمة الله، لابد من الخوف من النفاق لابد لكن يكون خوف يجعلك على حذر وليس خوفًا يجعلك على باب القنوط.

ومن ظن به أنه إذا صدقه في الرغبة والرهبة وتضرع إليه وسأله واستعان به وتوكل عليه أنه يخيبه ولا يعطيه ما سأله، فقد ظن به ظن السوء.

وهذا والله أكثر من أن يوصف من كثرة مظاهره، وأنت تسمع من يقول دعوت فلم يستجب لي، ومن يقول استعنت بالله على أداء هذه المهمة وتوكلت عليه ولم يعطني، ومن يقول يائسًا دعوت الله كثيرًا أن يهدي أولادي فلم أجد أثرا.

هذا في حكم المتكرر أنك تجد الناس يتعجلون الإجابة ويسيئون الظن في ربهم، وأحيانًا يخرج كلمات من بعض الشباب والشابات تقول أنتم تقولون أن الله كريم وقريب ومجيب، وأنا أدعو ولا أشعر أنه سيعطيني، يعني وهي تدعو في الأصل لا تشعر أن الله سيعطيها!، فانظر إلى سبق سوء الظن!!.

والبعض يتحجج بأنه صاحب ذنوب وصاحب الذنب يعني يعاقب بمنعه بعض حاجاته وهذا الكلام صحيح أن العبد لما يذنب يحرم من بعض النعم، لكن نفس الدعاء هذا بنفسه عبادة وأوبة وعودة إلى الله، فلا يمكن أن تعبده بالرهبة والرغبة والتضرع والانكسار والتوكل والاستعانة تجمع كل هذه العبادات القلبية في قلبك ثم تُطرد من بابه!، لو كان المضطر كافرًا أجاب الله له!، فكيف وأنت مسلم منيب مقبل على ربك؟، كيف تظن به أن يمنعك؟!، لكن الوسواس الذي يلقيه الشيطان في قلوب العباد وضعف علمهم عن الله يحجزهم فيسبق سوء الظن إلى عقولهم.

ومن ظن أنه يثيبه إذا عصاه كما يثيبه إذا أطاعه، وسأله ذلك في دعائه، فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده، وخلاف ما هو أهله وما لا يفعله.

والمقصود بهذه الحالة أن يتصور الإنسان أنه بينه وبين الله علاقة غير التقوى، مثل ما يعتقد مثلًا اليهود، ومثل ما يعتقد من له نسب مع الرسول صلى الله عليه وسلم، طبعًا ليس كلهم أقصد بعض من يعتقد هذه الاعتقادات فيظنون أنهم لو عصوا لأنهم من النسب الشريف – نسب النبي صلى الله عليه وسلم– أنهم يثابون على معصيتهم كما يثابون على طاعاتهم!.

ولقد رأينا عجبا من استحلال الزنا ومن أكل مال الناس بالباطل، كله تحت دعوى تشبه هذه الدعاوى، فاليهود مثلًا يعتقدون أنهم شعب الله المختار، فتراهم يجرمون ثم يجرمون ثم يجرمون ويرون هذا كله في حق أنفسهم قربة إلى الله، يعني لما أكيد تابعتم الأحداث ورأيتم اعتدائهم الأخير على السفينة فأنت تستعجب أنهم يفعلون مثل هذا الفعل على أعين الناس، كأنك تسأل ما الفكرة التي قامت في عقولهم حللت لهم مثل هذه الأفعال؟!، يعني سفينة في المياه الدولية وليس حتى في المياة الإقليمية يعني لم تدخل بعد لكي يتسلطوا عليها، لكنهم قوم يرون جرائمهم قربى، بهذا الإعتقاد يحركون من تحتهم ويقدمون أعذارًا لمن فوقهم.

وهذا لا يخص طبعًا اليهود، هذه حالة تمر على من يعتقد أن شيئًا غير التقوى يكون ميزانًا للعمل، سواء كان النسب أو سواء كان الجاه والمال فهو يظن أنه إذا عصى الله كأنه أطاعه سيثاب في الحالتين، لماذا؟ لأني فلان، فنفسه بلغت من الكبر مبلغًا جعل الطاعة والمعصية يثاب عليها، مثله الآن تراه في مشايخ الصوفية، يزني، يستحل الفروج، يأكل مال الناس بالباطل ثم هذا كله منه قربى إلى الله، يرى أنه سيثاب عليه!.

ومن ظن به أنه إذا أغضبه وأسخطه وأوضع — أوضع بمعنى أسرع – في معاصيه ثم اتخذ من دونه أولياء ودعا من دونه ملكًا أو بشرًا حيًا أو ميتًا يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه ويخلصه من عذابه، فقد ظن به ظن السوء.

ما هذه الحالة ؟ هذا حالة عبد وقع في المعاصي واستكثر منها، فلما أراد أن يصل إلى حماية نفسه من آثار غضب الله ماذا فعل؟ بدلًا أن يهرب إلى الله اتخذ من دونه وليا، اتخذ من دونه وليا يعني قال: أنا أعصى وأرتكب المعاصي وأغرق فيها ثم أذهب إلى الولي الفلاني أذبح له ويتشفع لي عند الله وينتهي الأمر!

فهذا جمع بين سوء العمل الذى هو المعصية وبين سوء الاعتقاد والتعامل مع الله معاملة العبد مع الخلق، بمعنى أن الإنسان لما يعامل الخلق يدخل على الخلق بشفعاء أو كبراء يتشفعون له فيرضى صاحب الحق، فظنه أن ربهم كامل الصفات يمكن أن يعامل بهذه الصورة، فأسرعوا في معاصيه واطمئنوا أنه لا يأخذهم لماذا؟ لأن الولي الفلاني راض عنهم!.

وهذا يعني من جهة شرك ومن جهة أخرى غرور عظيم، يتصور أنه يستطيع دفع عذاب الله ومعصيته بأن يدخل في حِمى أحدٍ غيره، وسوء الظن هنا يأتي من جهة اعتقاد أن أحد يستطيع أن يشفع لأحد عند الله من غير إذنه، وأن الخلق حماة لبعضهم من أمره !!،وبهذا تشبيه لله الكامل بالخلق الناقصين.

قال: فأكثر الخلق بل كلهم. إلا من شاء الله. يظنون بالله غير الحق وظن السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما شاءه الله وأعطاه.

يعني هذه النظرة الآن إلى ماذا؟ إلى عطايا الله وأقداره، كيف ينظرون إلى ما قُدِّر عليهم مثلًا في أموالهم في ألوانهم، كيف ينظرون إلى هذا كله؟ ينظرون أن الله عز وجل إعطاهم أقل مما يستحقون.

دائمًا تسمع ناس يشتكون أن عندهم وعندهم من القدرات وأنهم لم يجدوا فرصتهم، يعني يرى الإنسان أنه لابد أن يكون مثلًا غني لكن الله أفقره !، ويرى أنه لابد أن اللائق به أن يكون صحيحًا وأنه يرى أنه لا يستوجب المرض في حقه، أنه لا يستحق المرض كأن هكذا يعتقد، فإن ناله شيء من المصائب أو الهموم ظن أن هذه أمور وقعت خلاف ما ينبغي أن تقع.

ولابن الجوزي رحمه الله نقولات عن بعض الناس تدل على كثير من النفوس عندها الاعتراض، فأنت تسمعين مثلًا اعتراض على الشريعة؛ مثلًا يقولون لماذا لم تتضح مثلًا مسألة غطاء الوجه؟!، لماذا لم يأتي حكمًا صريحًا؟!، لماذا كذا لم يكن كذا؟!، دائمًا يعترضون على الشرع، ينظروا إلى معاق أو مريض يقولون ما الحكمة من هذا؟! أو أحيانًا يتجرؤون فيقولون هذا الفعل لا يفعله حكيم! – تعالى الله وتقدس عما يقولون –.

وابن الجوزي ينقل عن أحد الفقهاء – يعني هذه القصة التي يذكرها عن أحد الفقهاء– الكبار الذي يُعرفون بمعرفة الأحكام، كان هذا الفقيه يتردد على ابن الجوزي ثم وقع الفقيه في المرض فعاده ابن الجوزي، فسمعه يقول: "ما هذا التعذيب؟ إن كان يريد أن يميتني فليس لهذا التعذيب معنى"!! نعوذ بالله من سوء الخاتمة، وقال كلامًا أقبح من هذا، لكن أنزه أسماعكم عن ذلك.

هذا خلاف المؤمن المحسن الظن بربه ،وقد ورد في الحديث: "لا تسبوا الحمى فإنها حظ المؤمن من النار" ،بمعنى أنها تمحِّص الذنوب بدل أن تُحبس لك في الأخرة يعني خذها في الدنيا.

المهم يقول ابن القيم:

فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما شاءه الله وأعطاه.

يعني أنه ذكي، أنه فطين، فتراه دائم الاعتراض، الاعتراض على حاله والاعتراض على من تقدم عليه، يعني لا يكتفي بالاعتراض على حاله هو إنما لماذا قُدم هذا؟!، لماذا أخذ هذا؟!، يعني ماذا في هذا أو هذه المرأة فجعلها هي زوجة فلان؟!، أو لماذا يحظى فلان وفلان بالمكانة عند الملك عند الوزير عند الأمير عند المدير، فتراهم على شتى الأصعدة يظنون أنهم يستحقون فوق ما أعطاهم الله.

قال: ولسان حاله يقول ظلمني ربي ومنعني ما استحقه

يعني هو بلسان مقاله يقول أنا استحق كذا، أنا هذه المرتبة المفروض تكون لي، أنا لو كنت في هذا المكان كنت أحسنت صنعا، وترى هذا خصوصًا في الأعمال التي فيها تنافس، فقد يقع أن يكتب الناس مشاريع مثلًا ويرفعونها إلى إداراتهم فيُقبل مشروع ولا يُقبل الآخر، فتسمع أحد يقول – وهذه مواقف حقيقية يعني – يقول: هذا لملم أفكاره من صفحات الانترنت، هذا استأجر أحد يكتب له وإلا هو ليس له قلم ولا عنده أسلوب ولا طريقة، هذا سرق الفكرة من أحد المواقع وينبش من أجل أن يخرج هذا الموقع، فترى أن سوء الظن تعدى لكن صاحبه لا يشعر!.

الآن هذا من الذي سخر له فقُبل بسبب ذلك مشروعه؟ ما سخر له إلا الله، وإن كنت صادقًا في نفع المسلمين لأن الراية التي تُحمل هنا راية خطيرة وهي راية أني كنت أريد أن آخذ المشروع لأنفع المسلمين، فأحيانًا كثيرة يُستخدم الدين في الوصول إلى المصالح الشخصية والعلو على الناس، لا نريد أن نفصِّل في هذا الأمر لكن الحقيقة تجد هذا مكرر وتجد كثير من الناس يقولون فلان لا يستاهل، لا يستحق، ولو أنا كنت أخذت المنصب بدلًا عنه كنا استطعنا ننشر الدين!، ليس هذا مكان مناقشة هذا الرأي لكن اعلم أن هذا من سوء الظن.

ولسان حاله يقول: ظلمني ربي ومنعني ما أستحقه ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به.

يعني تأتي تقول أنت بهذا! تقول ظلمني ربي، لماذا تقول لماذا يُقبل مشروعها ولا تُقبل مشاريعنا؟!، وأنت تعلم مثلًا أن المختار هذا شخص نزيه، اختاره بناء على مقاييس، فأنت بلسان حالك تقول كلام تنكره بلسان مقالك، نقول لك هذا اعتراض على الله، سوء ظن به، فتقول أنا لا أقصد أنا اقصد الأشياء المدسوسة هذه، هؤلاء الأشخاص الذين يتخذون قرارات على هواهم لكن في حقيقة الأمر هذا اتهام لما ورائه وهو اتهام لله.

قال: ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة طواياها رأي ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده

يعني هذا الأمر موجود مدفون في نفوس كثير من الخلق، وانظر الى إبليس ما منعه من السجود إلا اعتقاد أنه خير من آدم، فقال: ﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾، فيرى أنه أولى بالخلافة في الأرض، أولى بالرفعة أولى بالمكانة، فالذي يسلك مسلك الاعتراض على عطايا الله فهو يسلك مسلك الشيطان، وانظر إلى كثرة هذا وانتشاره – الله المستعان–.

لدرجة ابن القيم يقول لك:

فأكثر الخلق بل كلهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق وظن السوء،

وهذا كله يدور حول نظرهم إلى القضاء والقدر وإلى عطايا الله المترتبة على ذلك.

الآن مطلوب منك أمر: **فتش نفسك**، والتفتيش معناه أن كل رأي يدور في تفكيرك وخلدك انظر إلى أصله فسترى ما تظنه في ربك هو الذي حركك لهذا التفكير، وأحيان كثيرة تكون صامت ليس عندك أي كلمة لكن تنظر إلى هذا وتقول:

ما الذي رفعك؟!

ما الذي جعلك في هذا المكان؟!

ما الذي أعطى هذا مالًا؟!

ما الذي جعل الحكم لهؤلاء؟!

لماذا السلطان دار في هؤلاء؟!

لماذا هؤلاء يربحون في التجارة وغيرهم لا؟!.

أحيانًا يدور في خلدك شيء لا علاقة لك أنت به أصلًا ، فتجد أن سوء الظن كامنًا كمون نافذ في الزناد، تعرفوا الزناد؟ لا تعرفوا الزناد؟ – الله المستعان– نضرب مثال؛ الولاعة التي يستعملونها – عافاكم الله– في التدخين يشعلون بها دخانهم – عافى الله المسلمين من هذا البلاء العظيم – الآن اعتبريه هذا هو الزناد الذى نعبر عنها "بالولاعة" وهو يضعها في جيبه لا تحرق لكن ما أن يضغط عليها إلا تخرج شعلة النار، عبارة عن مادة مشتعلة مع احتكاك فتخرج شعلة النار، فسوء الظن كامنًا في النفوس كما أن النار كامنة في هذا الزناد ما إن تقدحها إلا اشتعلت.

وهذه هي الحقيقة؛ يعني من مارس الدعوة واختلط بالناس وفتش في كثير من أحوالهم وكثير من مشاكلهم لا تجد لب المشكلة إلا سوء الظن بالله، إلا عدم الرضا عن أحواله، يعني عدم الرضا في طاعتك وعباداتك؟ لأ، عدم الرضا عن أحوالك في الدنيا.

وأحيانًا يكون الأمر أيضًا يتصل بالآخرة لكن اتصال مشبوه، بمعنى أحيان كثيرة الناس يأتون إلى شخص الله عز وجل أعطاه ملكة الحفظ وهم يرون أنهم أولى منه، يعني هو يحفظ وهم لا يستطيعون الحفظ، فيرون أنه لا يستحق، لا يستاهل، هذا يصير كثيرًا لما نرى الأمهات في المدارس تأتي الطفلة تحتقرها أو تراها من عائلة لا تستحق أن البنت تتفوق، وهي تحفظ ويقدموها وهي بنت العائلة الفلانية وبنتها لا تحفظ أو لا تهتم، فتجد في نفسها عدم رضا عن الله أنه نحن المفروض بناتي يكن كذا أو أولادي يكونوا قائدين، لماذا ولد فلان هو الذي يؤذن في المسجد؟ المفروض ولدنا هو من يؤذن في المسجد!، بهذه الصورة ليس فيه رضا!.

هل هذا تنافس للآخرة؟! يأتي هنا السؤال، أحيان كثيرة أصلًا لا يبحث عن التأذين في المسجد وأصلًا لا يرونه مستقبل ولا شرف، لكن لو ولد الجيران وأذَّن وجلسنا في مجلس واثنوا عليه كيف؟ كيف ولد الجيران يؤذن وأنت لا تؤذن؟!، فتجد كثير من التغاير – الغير سليم طبعًا وليس التنافس للآخرة إنما تغاير من أجل الدنيا – مبني على سوء ظن في الله.

فالله عز وجل هو من أعطى الملكات وهو الذي وزع الأخلاق والأرزاق في النفوس وفي الأبدان، **فارضَ عما أعطاك الله يبصرك الله كيف تغتنم ما أعطاك**، وأننا نرى كثير ممن أنعم الله عز وجل عليهم بالرضا انتفعوا بقليل مهارات، وبالعكس هناك من أعطاهم الله عز وجل كثير من العطايا لكن أغلقوا على أنفسهم بعدم رضاهم عن الله.

قال: فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده

يعني أنت جرب فقط وكلمه مثلًا عن الولاية والملك، تجده يقول لا أدري كيف هؤلاء أصبحوا أمراء أو هؤلاء أصبحوا ملوكًا أو هؤلاء أصبحوا وزراء أو هؤلاء أصبحوا قادة، لا أدري، وأنت تعلم أنه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ولهذا كثيرًا لما نتناقش في طاعة ولي الأمر يظنون أن هذا نوع من أنواع الخنوع لولي الأمر نفسه، ولا يفهمون أن هذا نوع من الاستسلام لله والرضا باختياره ثم أنك إذا رضيت باختيار الله عز وجل نفعك الله برضاك.

من هنا سننتقل إلى الكلام حول الأقدار

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له، واقتراحًا له خلاف ما جرى به، وإنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا. فمستقل ومستكثر

هؤلاء مستقل ومستكثر في ماذا؟ في الاعتراضات، يعني نحن نعترض على كل الأقدار مادام أنها لم توافق هوانا.

متى نقبل الأقدار؟ لما توافق هوانا نقبلها، فهذا يسبب لك أنك تبقى دائمًا تنتقد أفعال الله، وتقترح على الحكيم ما تراه أحكم من فعله !، فانظر إلى بُعد ما تفعل، لابد أن ترى خطر قد أحاق بك، فلو دربت نفسك على كف جنانك ولسانك عن الانتقاد سيورثك حلاوة الرضا بالأقدار.

ثم أن البعض يقول: أنا أرى ذنوبي منعتني الخيرات وأوقعت عليَّ كثير من الأقدار التي لا تلائمني، نقول: مادام أنت في الدنيا حتى العقوبات مصالح ومقربات، لكن من يتبصَّر !- الله المستعان-، **مادام أنت في الدنيا حتى العقوبات التي تنزل عليك من الله مصالح تقربك من الله، لأن العقوبة لما تنزل تزيدك ذلًا وانكسارًا وخوفًا ورجاءً.**

وربما مر معنا سابقًا كنت أقول لكم أحد التجارب في معالجة الحالات النفسية، وكانت هذه مريضة أخذت سنتين في العلاج، كانت مصابة بأحد الأمراض النفسية، المهم بعد جلسات الحمدلله كتب الله عز وجل لها الشفاء، على كل حال هي مرضها مزمن – يعني تخرج منه فترات فقط – فأول ما فاقت من المرض أول ما تجلى عنها وابتعد وبدأت تأخذ نصيبها من الصحة النفسية وبدأت تمارس الحياة وتختلط انكبت على انتقاد هذا وانتقاد هذا وإيذاء هذا بالكلام وإيذاء هذا بالأفعال، وكان لنا من هذا نصيب أيضًا ربما أحكي القصة بسبب أني كنت أول من تضرر بها بعد أن رزقها الله الصحة، أما حياتها الخاصة ليس لي علاقة بها.

المهم بدأ الضرر يقع عليّ أنا من صحتها، نقول يعني سبحان الحكيم الذي أغلق عليها باب المعاصي الكثيرة هذه بالمرض ولا آذت شيختها وآذت أمها وآذت جيرانها، كنت أبحث هل المريض من هذا النوع لما يخرج من هذا المرض يعتدي على من عالجه؟ لم أجد في ذلك كلامًا شافيًا، ثم سألت أقربائها فبدأت أمها بالشكوى، وأنها كانت صحيح متضررة منها في وقت المرض لكن ضررها بصحتها أكثر!، تقول حتى الشفقة التي كانت في قلبي عليها وهي مريضة ذهبت وبدأت أشعر بالغضب عليها.

سبحان الله حتى كان هذا المرض من الأقدار التي منعت منها من الذنوب، فلما تجلت لها الصحة كان هذا حالها، وطبعًا هذا في الأمراض النفسية وحتى في البدنية، تحكي أحد الأمهات أن ولدها كان مصاب بمرض الكلى زمنًا طويلًا، وكان يعمل في عمله لكن أوقات الغسيل يتقطع –نسأل الله أن يرفع عن بلاد المسلمين – وكان داخل خارج يقول لها ادعي لي، فأول ما زرعت كليته ونجحت العملية وكما يعبرون شم رائحة الصحة قال لها لابد من أن ايجار البيت ينقسم بيني وبين إخواني، بعد أن كان يدفعه هو وحده، فانظر كيف كان المرض سببًا للذل.

المقصود أن كثير من الاعتراضات على نصيبك في الدنيا نتيجة جهلك بأن الدنيا دار ممر يعني الله عز وجل لما يعطيك أو يمنعك أو يحييك حياة لها ظروفها الخاصة هذه الحال تهيؤك للقربة منه، لكن هذا لمن ينتفع، وليس لكل أحد، أو على أحسن تعبير نقول: **كل ما يهيؤه الله لك من ظروف وأحوال لو اغتنمته كما ينبغي قربك من الله.**

قال:

وفتش نفسك هل أنت سالم؟

هذه المرة الثانية التي ينصحك بالتفتيش، فكأن هذا من أهم نتائج هذا الباب، **من أهم نتائج هذا الباب أن تعلم أن سوء الظن بالله قريب من العبد ومن أكثر الذنوب التي يقع فيها العباد**، والحل؟ ذكرنا طريقين فيه وهذا الثالث:

- **الأول**: العلم عن الله.
- **الثاني**: معرفة مظاهر سوء الظن.
- **الثالث**: فتش نفسك باستمرار.

قال:

فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمةٍ وإلا فإني لا أخالك ناجيا، فليعتني اللبيب الناصح بهذا الموضع وليتب إلى الله ويستغفره من ظن السوء.

- **الرابع**: هذه النقطة الرابعة في الحل: لابد من كثرة التوبة والاستغفار، لا يصلح أن تظن بنفسك السلامة بل كرر توبتك واستغفارك وواجه نفسك بما يحدث أحيان كثيرة من سوء الظن به.

قال:

وليظن السوء بنفسه التي هي مادة كل سوء ومنبع كل شر، المركبة على الجهل والظلم. فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين الغني الحميد، الذي له الغني التام، والحمد التام، والحكمة التامة، المنزَّه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه وصفاته كذلك وأفعاله كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنى.

- **الخامس**: إذن هذه النقطة الخامسة في الحل: كلما راودتك نفسك في أمر لظن السوء في الله اقلب الأمر عليها واتهمها أنها هي موطن سوء الظن، وأن ترجمتها هي للأحداث الفاسدة، وأن عقلك لا يمكنه لجهله وضيق عطنه وقصر نظره أن يفهم أفعال الكامل من كل وجه.

فلا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل
ولا تظنن بنفسك قطُ خيرًا فكيف بظالم جان جهول
وقل: يا نفسُ مأوى كل سوء أترجو الخير من ميت بخيل
وظن بنفسك السوأى تجدها كذاك وخيرُها كالمستحيل
وما بك من تُقى فيها وخير فتلك مواهب الربُّ الجليل
وليس لها ولا منها ولكن من الرحمن فاشكر للدليل

بهذا نكون انتهينا من كلام ابن القيم حول مظاهر سوء الظن وقد جمع في آخر كلامه الحلول التي ذكرناها.

- ذكر المظاهر.
- ذكر التفتيش.
- ذكر سوء الظن في النفس.
- ذكر حسن الظن في الله بمعرفة أسمائه وصفاته، فقد ذكر من أسمائه أنه أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وأرحم الراحمين إلى آخر ما ذكر من أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

إذن كمسلك كيف آتي بحسن الظن؟ يعني كسلوك الآن تتبعه كيف تدرب نفسك على حسن الظن بالله؟ وقد سبق لنا أن اتفقنا أن حسن الظن عبادة لا تنفك عن العبد أبدا، فماذا تتصور طريق أو مسلك تكرره وتدرب نفسك عليه من أجل أن تحسن الظن بالله؟!

أنا انتظر منكم إلى غد إن شاء الله تكتبوا مسلك عملي من خلال النقاش الذى تناقشناه، لكن فكروا جيدًا عمليًا واقعيًا كيف تستخدمون ما تعلمتموه، لن يخرج عن النقاط التي خرجناها المقصد كيف تدرب نفسك على ذلك، الطلب من الجميع.

يمكن كتابة بريد ترسلوا عليه تدريب عملي على مواقف حسن الظن بالله ، تكتب مواقف وكيف تفعل أنت في هذه المواقف لا تكلم أحد كلم نفسك.

أخر مقطع في الباب.

قوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ قال ابن جرير في تفسيره: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ الظانين بالله أنه لن ينصرك وأهل الإيمان بك على أعدائك، ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به. وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع.

يقول تعالى ذكره: على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن دائرة السوء. يعني دائرة العذاب تدور عليهم به. واختلف القراء في قراءة ذلك: فقرأته عامة قراء الكوفة "دائرة السَوء" بفتح السين. وقرأ بعض قراء البصرة "دائرة السُوء" بضم السين. وكان الفراء يقول: الفتح أفشى في السين. وقل ما تقول العرب "دائرة السُوء" بضم السين.

أولًا في تفسير ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ﴾ ما ظنهم؟ أنه لن ينصرك وأهل الإيمان بك على أعدائك، وهذا الإعتقاد مبدؤوه عدم اليقين بصحة الدين.

يعني سوء الظن له أنواع من أعظم ظنون الجاهلية أنهم يظنون أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم لن يتم، لماذا يعتقدون هذا الاعتقاد؟ لشكهم في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله:

﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ يعني ونالهم الله بغضب منه ولعنهم. يقول: وأبعدهم فأقصاهم من رحمته.

هذا ما نزل عليهم.

يعني مما ينزل عليهم:

- أولًا عليهم دائرة العذاب تدور عليهم التي هي في الآية: "دائرة السوء"بالضم أو الفتح والأفشى بالفتح.
- والأمر الثاني يقع عليهم غضب الله.

- والثالث معناها أنهم نالهم غضب من الله.
- الرابع أن الله عز وجل لعنهم، أبعدهم وأقصاهم عن رحمته.
- الخامس:

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ يقول: وأعد لهم جهنم يصلونها يوم القيامة ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ يقول: وساءت جهنم منزلًا يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات.

وقال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ أي يتهمون الله في حكمه ويظنون بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية.

ولهذا قال تعالى: " عليهم دائرة السوء " وذكر في معنى الآية الأخرى نحوًا مما ذكره ابن جرير رحمهما الله تعالى.

هذا الكلام مر معنا سابقًا؛ هم يظنون بالله ظن السوء أنهم من شكهم في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم أن الله بعدما أرسله لن ينصره، فيُقتل النبي صلى الله عليه وسلم وينتهي أمرهم، وهذا مما دأب عليه أهل الكفر تجاه الإسلام، وحصل أيضًا من أهل الإسلام تجاه دينهم.

يعني كثير من المشركين والمشركات الكفار معلوم هذا موقفهم بقي أن بعض أهل الإسلام في داخل دائرة الإسلام يظنون أن الإسلام سيذهب، والله عز وجل سمى هؤلاء الذين يظنون بدين الإسلام هذا الظن أنهم المنافقين والمنافقات، **على هذا كل من ظن أن شمس الدين لن تشرق وأن غروبها اليوم لا يأتي وراءها شروق غدًا فقد حقق اسم النفاق على نفسه، لأن هذا من سوء الظن بالله.**

الله عز وجل مالك الملك فهل تظُن أنه يديل أهل الكفر على أهل الإسلام إدالة تامة؟! أبدًا، بل الله عز وجل يبعث في النفوس هنا وهناك ما يردهم إلى التوحيد الذي هو عصب النصر، وأنت ترى هذا، فانظر إلى انتشار الكلام عن التوحيد بفضله ومنِّه في القنوات الفضائية وإن كنا نعاني من عكسه – الكلام حول الرفض حاربهم الله والكلام على التصوف والقبورية عليهم من الله ما يستحقون – لكن في الزمن الماضى كان هؤلاء يتكلمون وأهل السنة خرسى ما لهم صوت، اليوم هؤلاء يتكلمون وأهل السنة يتكلمون، ومن أراد الحق وجده، ومن رغب في القربى أعانه الله عليها، فالفضل كله لله، والصدق بضاعة من أراد القربى ؛ أنت تتاجر مع الله بصدقك، لو صدقت أعانك الله.

قوله: قال ابن القيم رحمه الله تعالى الذي ذكره المصنف في المتن قدمته لاندراجه في كلامه الذي سُقته من أوله إلى آخره.

يعني صاحب فتح المجيد ساق كلام ابن القيم من أوله إلى آخره في أول الكلام.

الحمدلله بذلك نكون انتهينا من هذا الباب باب يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية.

بقي علينا فقط أن نكتب نتيجة عملية أو سلوك عملي من هذا الباب:

كيف تصحح مسار اعتقادك وظنك بالله.

فالظن في الله يجمع أنواع التوحيد كلها، فإذا ظننت ظن حسنًا دل هذا على قوة توحيدك، وكلما ضعف التوحيد كلما ضعف حسن الظن.

نبدأ الآن في باب "ما جاء في منكري القدر"، نبدأ بقراءة المتن ثم نقدم بمقدمة في مسألة الإيمان بالقدر.

باب ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الإِيمَان: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ" رواه مسلم.

وَعَن عُبَادَةُ بْنُ الصّامِتِ أنّه قَالَ لابْنِهِ : يَا بُنَيّ ، إنّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتّى تَعْلَمَ أَنّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ، فَقَالَ : رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"، يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي" .

وفي رواية لأحمد: "إِنّ أَوّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمُ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السّاعَةَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" .

وفي رواية لابن وهب: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ".

وفي المسند والسنن عَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ ، قَالَ : "أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي ، فَقَالَ : لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكنت مِن أهل النَّارَ ، قَالَ : فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدِ بْنَ ثَابِتٍ ، فكلهم حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.

أولًا ما العلاقة بين باب: "ما جاء في منكري القدر" وباب: "يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ"؟ نحن مر معنا في باب "يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ" قوله تعالى الذي ذكر فيه قول المنافقين ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾، فكان حالهم أنهم يقولون أن الرأي ليس لنا، ولو كان لنا منه شيء يعني لو سمع النبي صلى الله عليه وسلم من رأيهم ولم يخرج فقد قال أبي بن كعب للنبي صلى الله عليه وسلم "لا تخرج إليهم".

يعني قريش أتت جهة المدينة ثم النبي صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه، شاور أهل المدينة يخرجون أم يبقون؟!، فكان رأي أبيٌّ أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "لا تخرج إليهم فإنهم إن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن انصرفوا مضوا خاسئين، ولإن جاؤنا إلى المدينة قاتلناهم في الأفنية ورمتهم النساء والصبيان بالحجارة فوالله ما حاربنا قط قوم في هذه المدينة إلا غلبناه، ولا خرجنا من هنا إلى عدو إلا غلبنا ".

في أول الأمر النبي صلى الله عليه وسلم وافق على رأي أبي، جماعة من الصحابة فاتتهم وقعة بدر فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اخرج بنا إلى عدونا فلبس سلاحه صلى الله عليه وسلم وخرج إلى صلاة الجمعة ثم خرج وفي هذه الحادثة أتى الحديث:" مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَلْبَسَ لَأْمَةَ الْحَرْبِ ثُمَّ يَنْزِعَهَا" لأمة الحرب يعني لبس الحرب كالدرع إلى آخره.

فماذا وقع لأبي في هذه الحالة؟ غضب؛ وقال: "أطاعهم وعصاني"، فمن هنا قال هذه المقالة بعد أن وقع القدر، بعد أن وقع القدر قال: "لو أنهم سمعوا رأيي ولم يخرجوا لما حصل لهم مثل هذا"، وهذه كلمة دائمًا تردد: "لو سمعت كلامي ما كان حصل كذا"!، **بعد وقوع القدر لا ملامة على القدر إنما النقاش حول ما تستطيع إصلاحه.**

المقصد الآن مناقشة منكري القدر، وهذا يبني على معرفتك بما يجب عليك في هذا الركن المهم من أركان الإيمان، يعني أولًا لابد أن نتفاهم ماذا يجب علينا في هذا الركن ثم يتبيَّن لك ما معنى منكري القدر.

الإيمان بالقدر

- أولًا: نقرر أن الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة التي بيَّنها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل.
- ثانيًا: المعنى اللغوي: التقدير، وهو وضع الشيء على نحو ما بما يريده واضعه.

فلهذا مثلًا تأتي ليلة القدر ما هي ليلة القدر؟ هي الليلة التي تُقَدَّر فيها الأرزاق وتُقضى.

- مثلًا في سورة طه الله عز وجل يقول موسى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾[٦٤٧] يعني جاء موسى على القدر الذي قدَّره الله له.
- نفسّر مثلًا قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٦٤٨] مثل هذه الآيات تقرر معتقدك في باب القدر.

يقول الإمام البغوي في تفسير هذه الآية:

أي ما خلقنا فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ.

قال الحسن: قدَّر الله لكل شيء من خلقه قدْره الذي ينبغي له.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، أن الله تعالى وحده خلقها لا خالق لها سواه ولا مشارك له في خلقها، وخلقها بقضاءٍ سبق بها علمه وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف وذلك على الله يسير.

يعني الآن قضاء الله عز وجل وقدره وتقديره للأشياء بالوقت والمقدار في جميع الصفات، وما ذلك على الله بعسير، يعني ليس قدرًا عامًا فقط أنه سيخلق الإنسان بل قدَّر الله جسمه وحواسه وأعضائه وتركيبه ووزنه كل شيء.

إذن عرفنا في اللغة أن القدر هو التقدير؛ وهو وضع الشيء على نحو ما بما يريده واضعه.

الآن القدر في الشرع هو تقدير الله تعالى الأشياء وعلمه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته عز وجل لذلك ومشيئته له ووقوعه على حسب ما قدره وخلقه لها.

يعني الآن كم مرتبة؟ أربعة مراتب، مراتب القدر أربعة:

- العلم. - والكتابة. - والمشيئة. - والخلق.

---

[٦٤٧] طه:٤٠

[٦٤٨] القمر:٤٩

أولًا سنقسم مراتب القدر إلى قسمين:

- المنزلة الأولى: قبل وقوع المقدر.
- والمنزلة الثانية: مقارن لوقوع المقدر.

أما قبل وقوع المقدر.

- فهنالك العلم.
- وهنالك الكتابة.

سنضع كل مرتبة أمامها مذهب أهل السنة و الجماعة.

المرتبة الأولى: العلم

ما معنى العلم؟ يعني ماذا أعتقد.

ماذا يعتقد أهل السنة والجماعة؟ الإيمان بأن الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلا.

- ⇦ فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.
- ⇦ وعلم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم.
- ⇦ وعلم أرزاقهم و آجالهم وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم.
- ⇦ ومن منهم من أهل الجنة – نسأل الله من فضله–، ومن منهم من أهل النار – نعوذ بالله من النار ومما يقرب إليها–.

فكل شيءٍ معلوم لله سواء كان دقيقًا أم جليلًا، سواء كان من أفعاله عز وجل أو من أفعال خلقه.

المرتبة الثانية: الكتابة

معتقد أهل السنة والجماعة فيه: الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

يعني أولًا العلم ثم الكتابة:

علم الله ما سيكون

ثم أمر القلم فكتب.

هذا كله قبل وقوع القدر يعني قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

مقارن لوقوع المقدر.

نأتي الآن ما يكون مقارن لوقوع القدر.

المرتبة الثالثة: نبدأ بالمشيئة.

ماذا يعتقد أهل السنة والجماعة؟ الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته.

المرتبة الرابعة: الخلق.

الإيمان بأن ما في السماوات والأرض خلقه الله حتى فعل المخلوق مخلوق لله، الأمر في ذلك يسير أنت بدون حول ولا قوة لا تستطيع أن تفعل شيئًا، فالذي أعطاك الحول والقوة – الذي خلق فيك الحول والقوة – هو الذي خلق فعلك.

الآن سأذكر لكم أربع مواطن من كتاب الله والمطلوب جعل كل آية شاهدًا على مرتبة:

أولًا: الزمر آية ٦٢ ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.

ثانيًا: الحج آية ٧٠ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

ثالثًا: يس آية ٨٢ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

رابعًا: والكهف ٢٣-٢٤ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾.

مطلوب منكم أن تحددوا كل آية شاهدة على ماذا في المراتب؟

أولًا: آية الزمر واضحة مرتبة الخلق.

ثانيًا: الحج واضحة في إثبات العلم والكتابة ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ ***يَعْلَمُ*** مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ ***فِي كِتَابٍ*** إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعلم وفي الكتاب.

إذن هذه الثلاث مراتب الخلق والعلم والكتابة.

رابعًا: أنا سأذهب إلى الكهف المرتبة الرابعة مباشرة ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾، واضح المشيئة انتهينا الآن من الأربعة.

ثالثًا: بقيت آية يس التي ممكن قد تكون أشكلت: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ هنا إثبات للإرادة.

﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ إثبات للخلق، أن يقول له كن فيكون يعني يخلقه سبحانه وتعالى.

مرة أخرى؛

- ⇦ آية الزمر إثبات لمرتبة الخلق.
- ⇦ آية الحج إثبات للعلم الكتابة.
- ⇦ آية يس إثبات للخلق والمشيئة.
- ⇦ آية الكهف إثبات للمشيئة.

	مراتب القدر	معتقد أهل السنة والجماعة	مثال
المنزلة الأولى:قبل وقوع المقدر	العلم	الإيمان بأن الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلا.	الزمر آية ٦٢ ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.
	الكتابة	الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.	الحج آية ٧٠ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾..
المنزلة الثانية:مقارن لوقوع المقدر	المشيئة	الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته.	يس آية ٨٢ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾
	الخلق	الإيمان بأن ما في السماوات والأرض خلقه الله حتى فعل المخلوق مخلوق لله	الكهف ٢٣-٢٤ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾.

نأتي إلى مناقشة موضوع آخر يتصل بمسألة القدر لكنه من جهة الإشكالات الواقعة، الإشكالات التي في العادة تقع في مسألة القضاء والقدر.

سنتكلم الآن عن أنواع الإرادة والمشيئة، أنواع إرادة الله عز وجل.

لماذا سنتكلم عن هذا؟ نحن سبق لنا ونحن نتكلم عن سوء الظن في الكلام حول أن أحد أسباب وقوع فرقة القدرية في الإشكال أنهم لم يفرقوا بين أنواع الإرادات، بمعنى أن هناك نوعين من الإرادة يفسر لك أفعال الله عز وجل والأخبار التي وردت عن حبه وما يقع في مقابل ذلك من أشياء لا يحبها.

إرادة الله تختلف عن مشيئته، الإرادة كلمة أوسع من المشيئة، المشيئة مشيئة الله جزء من معنى إرادته، سنشرح الأوسع الآن.

إرادة الله

نشرح الإرادة نقول لك الإرادة تنقسم إلى نوعين:

- النوع الأول: إرادة شرعية دينية.
- النوع الثاني: إرادة كونية قدرية.

سنقارن بينها في أربعة نقاط يعني الآن مطلوب منكم جدول هذا الجدول فيه أربعة نقاط، أولًا تذكري أنواع الإرادة؛ نحن الآن نتكلم عن السطر الأول شرعية دينية والثانية كونية قدرية، في العمود سنذكر النقاط الأربعة التي نقارن بينها:

أولًا وقوعها، يعني سنقارن من جهة وقوعها.

ثم نقارن من جهة محبة الله لها.

ثم نقارن من جهة ما يرادفها.

ثم في النهاية المقصد منها.

نبدأ من جهة وقوعها؛ يعني الذي نذكره أولًا هو متصل بالإرادة الشرعية الدينية، ثانيًا الإرادة الكونية القدرية.

من جهة وقوعها.

الإرادة الشرعية الدينية: قد تقع وقد لا تقع.

الإرادة الكونية القدرية: فلابد من وقوعها.

محبة الله لها.

الإرادة الشرعية الدينية: يحبها الله.

الإرادة الكونية القدرية: قد يحبها وقد لا يحبها.

ما يرادفها.

الإرادة الشرعية الدينية: مرادفة لما يحبه الله، الإرادة الشرعية مرادفة للمحبة.

الإرادة الكونية القدرية: مرادفة للمشيئة.

فأصبحت المشيئة جزء من كلمة الإرادة، يعني الذي يشائه الله قد يحبه وقد لا يحبه لكن لابد من وقوعه، المحبة هو الشيء الذي يحبه الله وقد يقع وقد لا يقع، سيأتينا نص من القرآن من أجل أن يتبيَّن لكم الأمر.

المقصد.

الإرادة الشرعية الدينية: مقصودة لذاتها، فالله أراد الطاعة وأحبها وشرعها ورضيها لذاتها.

الإرادة الكونية القدرية: مقصودة لغيرها، مثلًا خلق إبليس وسائر الشرور، هذا تحصل به محاب كثيرة كالتوبة والمجاهدة والاستغفار.

أنواع الإرادة	وقوعها	محبة الله لها	ما يرادفها	المقصد منها
الإرادة الشرعية الدينية	قد تقع، قد لا تقع	قد يحبها وقد لا يحبها	مرادفة للمشيئة	مقصودة لذاتها، فالله أراد الطاعة وأحبها وشرعها ورضيها لذاتها
الإرادة الكونية القدرية	لابد من وقوعها	يحبها الله	مرادفة لما يحبه الله	مقصودة لغيرها، مثلًا خلق إبليس وسائر الشرور، هذا تحصل به محاب كثيرة كالتوبة والمجاهدة والاستغفار

نأخذ أمثلة من أجل أن يتبيَّن لكم الإرادة الشرعية من الكونية

آية ٢٥٣ البقرة؛ حددي فيها ما معنى الإرادة المقصودة.

أيضًا نأخذ سورة الإسراء ستأتي فيها: ﴿وَقَضَيْنَا﴾ وقضينا مرادفة لكلمة الإرادة، يعني لما نأتي نعرِّف الإرادة الكونية والإرادة الشرعية نسمي أيضًا القضاء الكوني والقضاء الشرعي.

⇦ هذه معلومة جانبية:

الإرادة الكونية والإرادة الشرعية تأتي في القرآن بالقضاء الكوني والقضاء الشرعي.

- نأخذ الإسراء الآية ٤: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.
- مثله البقرة ١١٧: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.
- يبقى لنا أيضًا قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ الإسراء آية ٢٣ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

هذا بعد ما قلنا كلمة قضى تأتي في القرآن إرادة كونية وإرادة شرعية :

قضى قضاء شرعيًا وقضى قضاء كونيًا.

⇦ أما آية الإسراء الأولى الآية ٤

- الأمر الأول: إذا نظرت إليها وجدت أنه تحقق فيها التالي: أنه ذُكر أنه قضاء يعني إرادة.
- الأمر الثاني: أن هذه الإرادة مضمونها لا يحبه الله وهو أن يفسدوا في الأرض مرتين.

وإذا نظرت إلى تفسير الآيات وجدت أن هذا الأمر وقع وأن بني إسرائيل هم أهل الفساد في الأرض، **فستكون الإرادة هنا إرادة كونية**، لتحقق هذا فيها، ما هو هذا؟ أنها وقعت وأن الله لا يحبها وأنها مقصودة لغيرها لكن الإرادة الكونية ليس شرطًا دائمًا أن لا يحبها الله إنما قد يحبها وقد لا يحبها.

⇦ انظري الآن إلى آية الإسراء ٢٣ تحقق فيها ﴿وَقَضَىٰ﴾ أنها إرادة، المراد من العبد أمور كلها يحبها الله إذن إلى هنا ستقترب المحبة إلى الإرادة الشرعية.

هل هذه الأمور التي قضاها الله وقعت؟ أم يمكن أن تقع ويمكن أن لا تقع؟ مادام أنها يمكن أن تقع ويمكن أن لا تقع أصبحت إرادة ما نوعها؟ شرعية يحبها الله لكنها يمكن أن تقع ويمكن أن لا تقع.

- إذن أولًا: قضى مرادف الإرادة، هذا الأمر الأول.
- الأمر الثاني: أن الأمر وقع فهو إرادة كونية.

⇦ أي شيء وقع فهو إرادة كونية سواء كان يحبه الله أولا يحبه الله.

⇦ أي شيء يحبه الله فهو إرادة شرعية سواء كان وقع أم لم يقع.

إذن إرادة الله عز وجل التي يحبها هذه مباشرة إرادة شرعية قد تقع وقد لا تقع، فإذا وقعت جمعت صارت إرادة كونية مع إرادة شرعية.

⇦ ننظر الآن إلى البقرة آية ١٨٥ ماذا يقول الله عز وجل؟ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ المقصود في شرائعه كلها الله عز وجل يريد اليسر ولا يريد بكم العسر.

هذه من جهة المحبة يحبها الله، من جهة الوقوع نعم وقع أن الشريعة كلها يسر.

إذن ستنظرين لها من جهتين ستجدين أنها إرادة كونية وإرادة شرعية:

لماذا إرادة كونية؟ لأنها وقعت حقيقة.

ولماذا إرادة شرعية؟ لأن الله تعالى يحب اليسر.

⇦ **يحبه ووقع إذن إرادة كونية شرعية.**

إذن أنا الآن عندي ثلاث أنواع من كلمة يريد أو قضى من كتاب الله الإرادات في كتاب الله:

- إرادة كونية فقط تقع ولا يحبها الله.
- إرادة شرعية فقط يحبها وقد تقع أو لا تقع.
- ثم إرادة كونية شرعية يحبها الله وأيضًا وقعت.

سأضرب لكم أمثلة خارج النصوص من أجل أن تتصوروا كيف تضبطون المسألة، أعطيكم المثال أنت ناقشيه من نقطتين:

- النقطة الأولى من جهة وقوعه.
- النقطة الثانية من جهة محبة الله له.

ثم ستفهمين نوع الإرادة وتخرجي بعد ذلك بنوع الإرادة.

كفر أبو لهب: ماذا ستنظرين وقع أم لم يقع؟ يحبه الله أم لا يحبه؟ كونية، صحيح، لماذا؟ لأن من جهة الوقوع وقعت ومن جهة المحبة لا يحبه الله؛ إذن كونية.

إيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ماذا تقولون فيه؟ ستقارنونه من جهة الوقوع ومن جهة المحبة؟ نعم؛ سيكون إرادة كونية شرعية.

إيمان أبو لهب: ماذا ستقولين؟ نعم؛ إرادة شرعية فقط يحبها الله لكنها ما وقعت.

كفر أحد المؤمنين وهو قد مات على الإيمان: من أجل أن تتضح لك الصورة أكثر؛ هو من المؤمنين كفر وقد مات على الإيمان؟

- كفره من جهة الوقوع ما وقع.
- من جهة المحبة لا يحبه الله.

إذن لا إرادة كونية ولا إرادة شرعية.

كل هذا لماذا نناقشه؟! من أجل أن تفهم أن الله عز وجل لا يحب الشر إنما يشاءه ويريده لغيره، اعلم أن الشر لا ينسب إلى فعل الله عز وجل لأن **ما قضاه الله عز وجل وإن كان شرًا فهو خير لأنه لم يقدره سبحانه وتعالى إلا لحكمة بالغة عظيمة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها**، ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ".

والمقصود أن المكلف قد يكون عليه قدر هو بالإضافة إليه خير، وقد يكون عليه قدر بالإضافة إليه شر، يعني القدر بالإضافة إلى هذا الشخص يكون خيرًا أو شرًا، ولو بدون الإضافة لأحد؟! لو نظرت له على أنه فعل من أفعال الله؟! أما بالنسبة لفعل الله عز وجل فأفعاله كلها خير لأنها موافقة لحكمته العظيمة، وهذا معنى الحديث، فالنبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه قال: "وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْك" فالله عز وجل ليس في فعله شر، فالشر بما يضاف للعبد، فإذا أصيب العبد مصيبة فهي شر بالنسبة إليه، أما بالنسبة لفعل الله فهي خير، كما اتفقنا لأنها موافقة لحكمة الله البالغة والله عز وجل له الأمر كله.

الشيخ سليمان آل الشيخ في كتابه: "تيسير العزيز الحميد" كلام جميل ضرب فيه مثل يبيِّن فيه أن الشر راجع إلى مفعولاته لا لذاته ولا لصفاته، فراجعوه إلى غدًا إن شاء الله.

نقرر آخر مسألة أو نجعلها تكليف أفضل؛

نقول ما أثر الإيمان بأن كل شيء قدره الله؛ قرر قاعدة في التعامل مع أقدار الله عمر رضي الله عنه في ما رواه البخاري في قصة الطاعون الذي كان في الشام، حينما أقبل عمر رضي الله مع الصحابة إلى هناك، **راجعي الحديث واذكري قاعدة في التعامل مع قضاء الله وقدره.**

يعني إلى هنا نكون ذكرنا نفس المقصود إن شاء الله في المدخل في الكلام حول الإيمان بالقضاء والقدر، يبقى علينا مناقشة مسألة قاعدة التعامل مع القضاء القدر ثم مناقشة مسألة متى يسوغ الاحتجاج بالقدر ومتى لا يسوغ، متى يكون الاحتجاج بالقضاء والقدر سائغًا، ومتى لا يكن سائغًا، ثم نذكر بعض ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.

هذا سيكون موضوع بحثنا اللقاء القادم بمشيئة لله.

جزاكم الله خيرًا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لازلنا بفضل الله ومنته نقرأ كتاب فتح المجيد، بلغنا أمس باب: "ما جاء منكري القدر"، وهذا الباب والسابق له من أهم أبواب التوحيد ومن أكثرها وجودًا ونقصًا في نفوس الناس، والناس يتمايزون على قدر ظنونهم بربهم ويتفرع من ذلك إيمانهم بالقضاء والقدر، تكاد تقول أنه على حسب حسن ظنهم بربهم يكون ظهور إيمانهم أو قوة إيمانهم بالقضاء والقدر.

مر معنا الكلام حول حسن الظن وبقي لنا شيء واحد وهو كتابة برنامج عملي لشخص أصيب بسوء الظن ماذا تفعل لتحسِّن ظنونه بالله، انتهينا من هذا الأمر وابتدأنا بالكلام حول الإيمان بالقضاء والقدر.

⇦ عرفنا أن الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان الستة.

⇦ وعرفنا أن كلمة القدر معناها التقدير وهو وضع الشيء على نحو ما بما يريده واضعه.

⇦ ثم عرفنا معناه في الشرع وهو تقدير الله تعالى الأشياء في الأزل وعلمه أنها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات معلومة وكتابته لذلك.

⇦ ثم مشيئته لوقوعها على حسب ما قدَّرها وخلقه لها وهذا يتضمن مراتب القدر الأربعة:

العلم ⇦ الكتابة ⇦ المشيئة ⇦ الخلق.

⇦ ثم خرجنا من هنا بمناقشة معنى الإرادة، وكنا نريد أن نناقش نوعى الإرادة الشرعية والكونية مقصودنا من فهم نوعي الإرادة أن تعرف أن لا أحد يستطيع أن يفعل شيئًا لم يخلقه الله أو لم يشاؤه الله أو لم يعلمه الله بل الكفر والمعاصي وقعت بإرادة الله لكن لا يلزم من وقوعها محبة الله لها إنما كما اتفقنا هى مقصودة لغيرها، **يعني لا يُقصد نفس المعصية لكن هذه المعصية مقصودة لغيرها، وتفهم من هذا أن الطاعة مقصودة لذاتها**، إذن الشر لا ينسب إلى فعل الله لأن ما قضاه الله وإن كان شرًا فهو في حقيقته خير.

⇦ نضرب مثال على ذلك: لو قلنا المرض؛ المرض بنفسه بالنسبة لمن وقع عليه شر – بالإضافة إليه شر– لكن من جهة فعل الله خير كيف؟ المرض هذا من الحِكَم في تقديره أن يظهر من العبد عبادة الصبر فيقابله الأجر العظيم ومعية الله وقرب العبد الصابر منه، فانظر إلى ما وُعد هذا الصابر:

⇦ أنه يوفى له أجره بغير حساب.

⇦ وأن الله مع الصابرين.

⇦ ثم من الحِكم العظيمة الدعاء، اللهج بالدعاء، فربما غفل العبد زمنًا عن الدعاء فأتى المرض مهيجًا له على الدعاء.

⇦ أيضًا تكفير الذنوب؛ كما هو معلوم أن المرض من أسباب كفارة الذنوب وقد يُبتلى الإنسان بأنواع من الأمراض فيسير في الأرض ما عليه خطيئة.

⇦ أيضًا من الحكم العظيمة معرفة قدر النعمة التي كان يعيشها العبد حال الصحة، ومعرفة قيمتها أيضًا بعد المرض، يعني تنظر إلى الوراء تقول كان منعم عليٍّ، يشفيك الله فيقع في قلبك شكره سبحانه وتعالى على النعم، يعني كلما تذكرت آلامك وقت الصحة نُفعت بها لماذا؟ ستكون سببًا لتقدير النعمة وسببًا للدعاء.

على كل حال المرض طريق سبَّبه الله لوصول العبد إلى السعادة في العاجل والآجل، فمن أدخله الله فيه وجعله هو طريقه لابد أن يؤمن أن هذا هو الذي يناسبه ويتعبد الله فيه كما يحب الله عز وجل ويرضى.

لو نظرنا أيضًا في أمر مثل قطع يد السارق ستجد أنه كفارة له لأن عقوبة الدنيا أهون من عقوبة الآخرة، وأيضًا في حد قطع يد السارق ردع لغيره إذا أراد أن يفعل ذلك، وفيها من حفظ الأموال والأنفس باب لا يتصور، فعلى هذا كانت من النعم وإن كانت لشخص بعينه تعتبر شر لكنها مع ذلك له هو نفسه كفارة لما أوقعه هو على نفسه اختيارًا.

على كل حال المقصود أن تعرف أن أفعال الله عز وجل كلها خير، وقد ذكر الشيخ سليمان آل الشيخ في **كتابه: "تيسير العزيز الحميد"** كلامًا جميلًا وضرب مثلًا إن شاء الله سيكون سبب لتوضيح المعني، قال:

الشر راجع إلى مفعولاته لا إلى ذاته وصفاته

كلمة مفعولاته مثل ما ذكرنا أولًا؛ قد يكون القدر بالإضافة إلى هذا الشخص شر، هذا من المفعولات لكن الفعل خير والفاعل سبحانه وتعالى لا ينسب له إلا الخير .

كأنك تعربي الجملة الآن: ▪ فعل ▪ وفاعل ▪ ومفعول به نزل عليه الفعل

- أنت تتصور الشر لما تنظر إلى الأمر بالنسبة للمفعول به
- لكن هو صدر من فاعل منزه عن الشر.
- والفعل بنفسه مجرد عن الأشخاص هو خير.

لما أقول لك سأدلك على طريق يوصلك إلى السعادة، الله عز وجل سبَّب الطريق الموصل للسعادة ثم أقول لك المرض، إذا هو بنفسه خير لكن لما يضاف إليك يصبح وقوعه عليك فيه شيء من الشر.

قال:

الشر راجع إلى مفعولاته لا إلى ذاته وصفاته ويتبيَّن لك بمثال – ولله المثل الأعلى –:

ولو أن ملكًا من ملوك العدل كان معروفًا بقمع المخالفين وأهل الفساد مقيمًا للحدود والتعزيرات الشرعية على أرباب أصحابها لعدوا ذلك خيرًا يحمده عليه الملوك، ويمدحه الناس ويشكرونه على ذلك، فهو خير بالنسبة إلى الملك يمدح ويثنى ويشكر عليه، وإن كان شرًا بالنسبة إلى من أقيم عليه.

يعني المقصود أن الخير كله في أفعال الله يُحمد عليها سبحانه وتعالى، وهذا مبني على حسن ظنك به، لأن أول جملة قالها لنا الشيخ سليمان – رحمه الله – قال:

إذا كان هناك ملكًا من ملوك العدل.

يعني أولًا وصف لنا أنه ملك من ملوك العدل هذا ما نعتقده، ولأجل ذلك وصفنا أفعاله أنها خير وأنه أكيد ما يتّبع إلا أهل الشر، وبالنسبة لأهل الدنيا لا تستطيع أن تنسب لهم نسبة في العدل إلا على قدرهم، يعنى أنه لا يوجد أحد عدله ١٠٠% ومع ذلك يُحمدوا على ذلك، فما بالك بملك الملوك؟!.

قال:

فرب العالمين أولى بذلك لأن له الكمال المطلق من جميع الوجوه.

إذن تبيَّن لنا أن الخير في أفعاله سبحانه وتعالى دائمًا لكن قد يكون على المفعول به الأمر فيه شيء من الشر وكلما حسن ظنونه في ربه كلما كشف له خيرية الأحداث.

على كل حال نقصد بهذا النقاش أن **تعرف أن الأقدار التي قدَّرها الله عز وجل قد تكون محبوبة لذاتها مقصودة لذاتها وقد تكون مقصودة لغيرها، فالله عز وجل لا يريد الشر لكن هذا الشر يفضي إلى خير لذلك أوجده في الكون.**

اتفقنا بعد ذلك أن ننظر إلى الحديث الذي رواه البخاري حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما خرج إلى الشام، ذكرنا قاعدة مهمة في التعامل مع قضاء الله وقدره سأذكر الحديث إن شاء الله ثم نناقش هذه القاعدة في التعامل مع القضاء والقدر.

روى البخاري أن عمر رضي الله عنه لما خرج إلى الشام لقيه أمراء الأنصار وأخبروه بانتشار الوباء فيها، فاستشار المهاجرين والأنصار ثم مهاجرة الفتح من مشايخ قريش، فاجتمع المهاجرة على الرجوع بُعدًا عن الوباء، وأمر بذلك عمر:

فقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟، فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إلى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ لَكَ إِبِلٌ، فَهَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ رضوتان أو عُدْوَتَانِ.

المقصود جانبي الوادي.

إِحْدَاهُمَا خِصْبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ

جدبة ضد خصبة أي لازرع فيها.

أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتُ الْخِصْبَةَ، رَعَيْتُهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتُ الْجَدْبَةَ رَعَيْتُهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟.[٦٤٩]

انتهى كلامه رضي الله عنه.

ومن هنا نخرج بقاعدة مهمة تبعدنا عن بعض الوهم الذي قد يقع في عقول الخلق: أن مادام كل شيء مقدَّر فلا أخذ بالأسباب، ما هي القاعدة؟ القاعدة ذكرها عمر رضي الله عنه بقوله:"نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إلى قَدَرِ اللَّهِ" متبعين في ذلك أمر الله، يعني نقول إذا جاء قدر الله من الجوع والعطش ماذا نفعل؟ ندفعه بقدر الله من الأكل والشرب كما أمر الله عز وجل، يعني القاعدة

نفرّ من قدر الله إلى قدر الله كما أمر الله عز وجل.

---

[٦٤٩] ٥٣٩٧ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ عُمَرُ ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ فَاخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ فَقَالُوا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ فَقَالَ عُمَرُ لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ قَالَ فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ. صحيح البخاري» كتاب الطب » باب ما يذكر في الطاعون

يعني الله بين لنا لما تواجه كذا افعل كذا، لو أصاب العبد ضيق رزق فهو بقدر الله، ندفعه بقدر الله الذي يكون بالسعي وبالدعاء وبالتوكل كما أمر الله، يعني أنت الآن يُطلب منك أنك تبحث في الأسباب الشرعية والكونية التي أمرك الله أن تفعلها وقت ما يصيبك قدر الله، لو أصاب العبد مرض فهو بقدر الله ندفعه بقدر الله؛ من طلب الاستشفاء بسبب شرعي وكوني، يأتيك طلب الرزق بسبب شرعي وكوني وهذا كله مما أمر الله به.

لو وقع حريق – سلمكم الله وحفظكم وحفظ المسلمين – في دار بقدر الله فلا نستسلم له بل ندفعه بقدر الله، وهنا أيضًا بين قوسين هناك سبب شرعي وقدري معًا:

- فالاستعاذة بالله من النار هذا سبب شرعي.
- مع طلب المساعدة لإطفائها هذا سبب كوني.

وهذا كله كما أمر الله عز وجل.

إذن هذه القاعدة من القواعد المهمة في معاملة أقدار الله وهذه القاعدة أصلًا من القواعد المهمة في الإيمان بالقضاء والقدر، يعني لما يقال لك آمن بالقضاء والقدر لا يقال لك اترك السبب بل يقال لك فرَّ من قدر الله إلى قدر الله.

نأتي الآن بعدما تبين لنا الأمر ننتقل فنناقش:

مسألة الهداية والضلال وعلاقتها بالمشيئة.

كل ما مضى هذه القاعدة تتصل بالأمور الكونية الحسية وتتصل بالأسباب، يعني الأمور التي فيها سبب كوني وسبب شرعي، وهذه نادرًا ما يخالفك الناس فيها إلا من كان في قلبه كسل، لا يريد أن يعمل فيقول لك: أنا أتوكل على الله لكن لما يجوع ويعطش يقوم يدفع قدر الله بقدر الله، لكن المشكلة تأتينا في مسالة الهداية والضلال وتعليقها بمشيئة الله وقدر الله.

ورد في نصوص ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ مثل آية الأنعام وورد في نصوص أخرى ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ كما في آية الكهف. فهل الإيمان والكفر من اختيار العبد؟ أم تابع لمشيئة الرب؟

نقول لو قيل لك اجمع بين الآيات آية الأنعام وآية الكهف نتيجة جمعك ستفهم المقصود؛ الله تعالى يخبر في بعض الآيات أن الأمر بيده ويخبر في بعض الآيات أن الأمر راجع للمكلف، فماذا تعتقد؟

نقول: – والله أعلم –

- **أن للمكلف إرادة واختيار وقدرة.**
- **وأن خالق هذه الإرادة والاختيار والقدرة هو الله عز وجل.**
- **فلا يكون للمخلوق إرادة إلا بمشيئة الله عز وجل.**

وقد قال تعالى مبينًا الجمع بين هذه النصوص كما في سورة التكوير قال: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٦٥٠] ولكن متى يشاء الله أن يهدي الإنسان – أن يفتح له أبواب الهداية أو يغلقها عليه؟! جواب هذا في سورة الليل:

- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ فماذا سيكون جزاؤه؟ ﴿سَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾.
- ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ جزاؤه؟ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾.

واقرأ إن شئت ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ لا يهدي القوم الذين فسقوا، فهم خرجوا، فتجد أن سبب الضلال من العبد نفسه.

إذن نقطة الابتلاء والامتحان هي إراداتك التي تقوم في قلبك، فتجد أن سبب ضلال العبد من نفسه، هو يريد الشر والله يخلق عند ذلك فيه القدرة على الشر، وأما من أراد الخير وسعى في الخير وكان حريصًا عليه فإن الله ييسره لليسرى.

ولما حدَّث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن ما من أحد إلا وكتب مقعده من الجنة ومقعده من النار؛ قالوا يا رسول الله أفلا نتكل على الكتاب وندع العمل؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ آية الليل ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾.[٦٥١]

ولما تقرئي هذا الحديث ورواياته المتعددة تجدي أن الصحابة فرحوا جدًا بجواب النبي صلى الله عليه وسلم: قَالَ: "اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ"، وسبب فرحهم أنهم علموا أنه لو تيسر لهم أبواب الخير واغتنموها صادقين مريدين وجه الله فهذا إشارة إلى نهاية حالهم، يعني كأنه يقال لك انظر يُسِّر لك طريق الخير ووجدت في قلبك إرادة صادقة تريد طريق الخير من أجل الله – إذا وجدت هذا– إذن ابشر بالخير، وانظر إلى غيرك يكون في بلد الإسلام وحوله الإسلام ولا يُيسر لليسرى ولكن أنت لا يحق لك أن تحكم طبعًا على أحد!، "فَإِنَّ الرَّجُلُ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ" والأعمال بخواتيمها والصدق حاكم على الإقبال والإدبار، إذن نخرج بنتيجة **أن الإيمان بالقدر لا يمنح العاصي حجة على ما ترك من الواجبات أو ما فعل من المعاصي.**

وسنرى الآن متى يسوغ الاحتجاج بالقدر ومتى لا يسوغ هذا من جهة، ثم نرد بأدلة عقلية وواقعية وشرعية تدل على بطلان الاحتجاج بالقدر.

---

[٦٥٠] التكوير:٢٩

[٦٥١] ٦٢٣١ حَدَّثَنَا عَبْدَانُ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ وَقَالَ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ أَوْ مِنْ الْجَنَّةِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ أَلَا نَتَّكِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ثُمَّ قَرَأَ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى الْآيَةَ. صحيح البخاري» كتاب القدر.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ سُرَاقَةَ نَفْسِهِ لَكِنْ دُونَ تِلَاوَةِ الْآيَةِ وَوَقَعَ هَذَا السُّؤَالُ وَجَوَابُهُ سِوَى تِلَاوَةِ الْآيَةِ لِشُرَيْحِ بْنِ عَامِرٍ الْكِلَابِيِّ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَلَفْظُهُ " قَالَ فَفِيمَ الْعَمَلُ إِذًا ؟ قَالَ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ "

نبدأ أولًا نقول:

متى يسوغ الاحتجاج بالقدر ومتى لا يسوغ.

يكون الاحتجاج بالقدر سائغًا يعني تقول: [هذا قدر الله،، قدر الله وما شاء فعل] عند المصائب التي تحل بالإنسان كالفقر والمرض وفقد القريب وتلف الزرع وخسارة المال والقتل الخطأ، هذا كله يسوغ الاحتجاج بالقدر فيه.

يعني أنا الآن نفترض أن أحدًا شاوريني قال ما رأيك أفعل كذا؟ فأشرت عليه بإشارة كانت نتيجة الإشارة أنه مرض، كانت نتيجة الإشارة أنه خسر، فماذا تقول في موقف مثل هذا؟ تقول: "قدر الله وما شاء فعل"، لأنه كان وراء هذا الذي حصل مصيبة وقعت في القدر، فهنا يسوغ الاحتجاج، لماذا يسوغ؟ لأنك تتكلم عن قدر وقع وانتهى وإن كنت أنت الذي أشرت لكنك بعد انتهاءه هذا يعتبر قدر، إذن تقول: "قدر الله وما شاء فعل" على المصائب بعد وقوعها.

ويحتج أيضًا بالقضاء والقدر من جهة التائب من الذنب؛ فلو لامه أحد على ذنبٍ تاب منه لساغ له أن يحتج بالقدر، فالعبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية، **إذن في المصائب يسوغ لك الاحتجاج حتى لو كانت بسبب إشارة منك أو بسبب خطوة منك بعد وقوعها من تمام الرضا بالله أن تقول: "قدر الله وماشاء فعل".**

في المعائب يعني في الذنوب متى يسوغ لك الاحتجاج ؟ لما تتوب ويأتي أحد يلومك تقول: انتهى قدر الله وماشاء فعل، وقع، وأنا تائب.

إذن متى لا يسوغ الاحتجاج بالقضاء والقدر؟ لما العبد يقدم على المعصية ويفعلها ويستمتع بها ولا يرى نفسه مذنبًا أو مخطئًا أو تعدى على حق ربه بل يقول: الله عز وجل قدرها عليّ!!، نقول: أنت بذلك تسوِّغ لنفسك المعصية وتيسرها على نفسك!.

نريد أن ننظر إلى أدلة عقلية وواقعية ونقلية على منع الاحتجاج بالقدر على المعاصي.

أولًا انظرى الأنعام آية ١٤٨ والنساء ١٦٥؛ هذان دليلان شرعيان نناقش فيهما مسألة الاحتجاج بالقدر على المعاصي. انظروا ثم بينوا كيف نستعمل هذه الأدلة في ذلك.

نبدأ بآية الأنعام.

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾

الله عز وجل يخبر عن دعواهم احتجاجًا بالقدر ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ يعني ما وقعنا في الشرك، وأيضًا ما وقع آباؤنا، ولا وقع منها ولا حرمنا من شيء، قالوا هذا الكلام احتجاجًا بالقدر على المعصية، فقال الله لهم: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾، إذن لو كانت حجتهم صحيحة ما أذاقهم الله عز وجل بأسه.

انظري إلى باقي الآية منه سنخرج بدليل عقلي نقلي: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾؟! يعني كأننا نقول له: ما الذي أعلمك بأن الله قدَّر لك أن تعصي قبل أن تعصي؟!، فنحن جميعًا لا نعلم ما قدَّر الله إلا بعد أن يقع، أما قبل أن يقع فلا ندري!

فنقول للعاصي هل عندك علم قبل أن تمارس المعصية أن الله قدر لك المعصية؟! سيقول: لأ، فنقول: إذن لماذا لم تقدر أن الله قدر لك الطاعة وتطيع الله؟!، لماذا قدَّرت أنه قدَّر لك المعصية فخرجت للمعصية لتفعلها كأنك تطيع الله في قدره إذن قدِّر أن الله قدَّر عليك القيام بالطاعة!، إذن الباب مفتوح والاختيارات أمامك متساوية.

إذن في آية الأنعام وجدنا دليل شرعي ووجدنا دليل أيضًا عقلي.

ننظر إلى آية النساء ماذا ستقولون فيها؟

رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

الله عز وجل يقول في وصف رسله أنهم ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، متى لا يكون للناس على الله حجة؟ بعد إرسال الرسل، بعد إرسال الرسل ليس للخلق حجة على الله، إذن لو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغًا لما كان هناك داع لإرسال الرسل!، إذن هذا دليل شرعي ثاني.

أصبح عندي ثلاثة أدلة الآن دليلين شرعيين وواحد عقلي.

أيضا من الأدلة العقلية الواقعية نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه في أمور دنياه حتى يدرك هذه الأمور ولا يعدل عنها ولا يتركها، فلو أراد الإنسان السفر إلى بلد وهذا البلد الوصول له إما مباشرة بطريق آمن وإما بالوصول إلى دولة أخرى وتكون فيها من الاضطرابات والفوضى الشيء الكثير؛ فأيُّهما يسلك؟ لا شك أنه سيسلك الطريق الأول!، **إذن الإنسان يحرص على ما يلائمه في أمور دنياه؛ فلماذا لا يسلك في أمر الآخرة طريق الجنة دون طريق النار وهو مسافر إلى ربه فلماذا لا يختار طريق السلامة؟!.**

أيضًا من الحجج على هؤلاء؛ أنه إذا قال لنا أن الله قدَّر عليه المعصية نقول نحن له لا تأكل ولا تشرب إذن لأن الله لو قدر لك شبعًا وقدر لك ريًا فسيقع!، وليس المطلوب منك أن تقوم وتذهب فتأكل!! ونقول له إذا هاجمك سبع لا تفر منه! فإن الله إذا قدر لك النجاة نجوت!، وإن لم يقدره لك فلن ينفعك الفرار! **وهذا ليس ديدنهم فهم يفرون من كل مخوف في الدنيا ويهرعون إلى كل مصلحة في الدنيا.**

إذن الإنسان يحرص على ما يلائمه والإنسان لا يأتي إلي أمور في الدنيا ويقف عاجزًا ويقول لو قدر الله عليّ شبعًا سأشبع ولا يتحرك!، بل إنه يتحرك بكل جد هربًا مما يؤلمه، يتحرك بكل جد من أجل أن يحصِّل ما ينفعه ويتحرك بكل جد ليهرب من كل ما يؤلمه.

وأخيرًا نقول لو كان القدر حجة على الذنوب لتعطلت مصالح الناس ولعمت الفوضى ولما كان هناك داع للحدود! لأن المسيء سيحتج بالقدر، ولما استطعنا أن نأخذ لك حقا من أحد!، ذُكر أن سارقًا جيء به إلى عمر رضي الله عنه ليقطع يده فقال لعمر رضي الله عنه: سرقت بقدر الله!، قال:وأنا اقطع يدك بقدر الله!.

على كل حال الاحتجاج بالقدر على المعاصي أمر لا يقبله العقل السليم.

نقول في نهاية المطاف في نهاية هذه المقدمة عن الإيمان بالقضاء والقدر أن للايمان بالقضاء والقدر ثمرات جليلة يعود أثرها على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة.

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

▪ من أولها وأهمها: طمأنينة القلب وثباته.

فالمؤمن بالقدر يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطأه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسكن قلبه وتطمئن نفسه وإن وقع خلاف مراده، وإذا وقع خلاف مراده تراه صابرًا لأنه يعلم أن ما أصابه تدبير العليم الحكيم.

▪ الأمر الثاني من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر صحة التوكل على الله.

فالمؤمن بالقضاء والقدر يعلم أن كل شيء بقضاء الله فيصدق في اعتماده على الله، بمعنى أن قلبه يكون محسن الظن بالله أنه لا يأتيه من الله إلا خير وأن الله عز وجل يدبر له ويقرب له كل ما يصلحه في الدنيا والآخرة.

▪ من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر الإخلاص.

بمعني أنه لا يبحث إلا عن رضا الله، فالقضاء والقدر يدلان العبد أن الأمور لا تُنال إلا بتقدير الله وأن الناس ليس لهم من الأمر شيء في أنفسهم ولا في غيرهم فإذا تبيَّن له ذلك لم يعد يبالي بالناس ولا آرائهم ولا رضاهم، ومن ثم يعلم أن ما به من نعمة فمن الله وأن الله الدافع لكل مكروه ونقمة وهو الجالب لكل رحمة ونعمة.

هذا باختصار مقدمة في الكلام حول القضاء والقدر.

نبدأ الآن في مناقشة نفس الباب:

قال المصنف رحمه الله:

باب ما جاء في منكري القدر

قوله: "**ما جاء في منكري القدر**" يعني ما جاء من ذكر بعض الوعيد الذي جاء فيمن ينكر القدر.

وهنا يدور إنكار المنكرين للقدر ويقصدون بإنكارهم علم الله جل وعلا الأزلي فإنه سبحانه وتعالى علم كل شيء بعلمه، والعلم صفة ذاتية لا تنفك عنه سبحانه وتعالى، فكما أنه الأول الذي ليس قبله شيء فكذلك علمه ليس له بداية يعني هو أول في ذاته أول في صفاته، فعلمه لا يتغير ولا يزداد علمًا بإيجاد الأشياء لأن علمه علمٌ كامل لا يفوته شيء، وقد علم كل حادث سيحدث قبل وجوده وكما مر معنا وكل ذلك كتبه في اللوح المحفوظ فلا يقع شيء إلا وهو مكتوب، ثم كما مر معنا لا يقع شيء إلا بمشيئته وخلقه.

وقد وقع في المسلمين إنكار القدر ومعناه إنكار أن يكون الله جل وعلا علم الأشياء أزلًا ثم كتبها، وقد حدث في آخر وقت الصحابة رضوان الله عليهم فكفَّروا من قال هذا القول وتبرؤوا منه، وأخبروا أنه لو عمل أي عمل فلن يُقبل منه لأنه ترك الإيمان بالله ومن الإيمان بالله الإيمان بالقدر.

الدليل الأول.

نقرأ إن شاء الله كلام صاحب فتح المجيد ثم نعلق عليه بما نستطيع:

قال المصنف رحمه الله باب: "ما جاء في منكري القدر".

أي من الوعيد الشديد ونحو ذلك.

أخرج أبو داود عن عبد العزيز بن أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ أبيه، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ ، إِنْ مَرِضُوا فَلا تَعُودُوهُمْ ، وَإِنْ مَاتُوا فَلا تَشْهَدُوهُمْ " .

وعَنْ عُمَرَ مَوْلَى غُفْرَةَ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ ، عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ ، وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَّالِ ".

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الإِيمَان: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " رواه مسلم.

أولًا نعلق على ما مضى من كلام الشارح.

أورد حديث أبي داوود "الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ"

وأيضًا قول النبي صلى الله عليه وسلم أن "وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ "

هذان الحديثان اختلف في صحتهما بعضهم يحسنه وبعضهم يراه منقطع فيضعفه لكن الأحوط في التعامل مع هذا النص هو اعتبار أنه موقوف على ابن عمر والضعف واقع في الرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

كلام صاحب فتح المجيد عن قول ابن عمر النص الأول في الباب الذي ذكره المصنف.

حديث ابن عمر هذا أخرجه مسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن يحي بن معمر قال: كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين، أو معتمرين

هذا أول من قال بنفي القدر: مَعبَدُ الجُهَني.

فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين، أو معتمرين. فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر.

قال: "فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن" ؛ – أنا – هذا من؟ الذي هو يحي بن يعمر، كانا في البصرة.

- يعني أول من تكلم بهذا الكلام معبد الجهنى.
- أين المكان الذي تكلم فيه؟ البصرة.
  - قيل أيضًا أن أول من تكلم به رجل من المجوس يقال له: "سوسن".
  - وقال بعضهم أن أول من تكلم به بعض النصارى.

فيكون معبد الجهني أخذ عن هؤلاء.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن الذي أدخل هذا على المسلمين هم المجوس والنصارى ثم جعلوا من أهل الإسلام من يدعو إليه وهو معبد، وهذا الحدث مبدؤه العراق في البصرة والكوفة، وقد ورد في النصوص أن الفتنة تأتي من الشرق وخصوصًا مع اتصالهم بالمجوس وتنقل الثقافات بينهم.

يقول يحي بن يعمر أنه خرج في البصرة من ينكر القدر فقدم هو وصاحب له حاجًا أو معتمرًا يريدون أن يجدوا الصحابة رضي الله عنهم ويسألوا عن هذا الأمر.

فوفق الله تعالى لنا عبد الله بن عمر داخلًا في المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم يزعمون أن لا قدر

يتقفرون: يعني يطلبونه ويتبعون أثره.

يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنُف

يقول يا أبا عبد الرحمن يقصد من؟ يقصد عبد الله بن عمر، أنه عندنا أقوام يتقفرون العلم يعني يطلبونه وذكر من عبادتهم.

إلا إنهم يقولون: "أن الأمر أنف" ما معناها؟ يعني الأحداث التي تكون ليس معلومًا لله سابقًا ولا مكتوبا، وإنما يعلمه الله عز وجل إذا وجد!! الأمر أُنف أي من مستأنف، يعني قبل ما تحصل الأحداث لا يعلمها، متى يعلمها؟! يعلمها لما تحدث من العباد!!

وهذه الدعوة العريضة عند هؤلاء أنهم يقولون أن الأمر أنف

فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأنهم مني براء.

والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر. ثم قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ، وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْإِسْلَامُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا " . قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ . قَالَ : " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " . قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ، قَالَ : " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ " . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ؟ . قَالَ : " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ " . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا ؟ . قَالَ : " أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ " . ثُمَّ انْطَلَقَ ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : " يَا عُمَرُ ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ؟ . قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ " . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

ففي هذا الحديث أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة المذكورة، فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد ترك أصلًا من أصول الدين وجحده، فيشبه من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ الآية.

موطن الشاهد في الحديث: " وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ".

المقصود أن عبدالله بن عمر حلف بالله أنه لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا – هذا تقديرًا طبعًا وإلا مثل هذا لا يقع – ثم أنفقه في سبيل الله فإنه لا يقبل منه شيء؛ هذا يدل على أنه كافر لأن الكافر هو الذي لا يُقبل من أعماله شيء مهما كانت كثيرة، وهذا محل اتفاق عند العلماء أن من ينفي علم الله في الأزل كفر.

لهذا كان الشافعي يقول: " ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خُصموا" يعني قل لهم هل الله عز وجل يعلم أو لا يعلم؟

⇦ إذا قالوا نعم يعلم ذهبت دعواهم خُصموا.

⇦ وإن أنكروا العلم كفروا، إذا قالوا لا يعلم هذا يكفي لأن يكون شاهد عليهم بكفرهم وهو كفر إنكار.

على كل حال هذه الطائفة التي بلغت حد أن تنكر أن الله لا يعلم في الأزل انقرضت وأصبحت لا وجود لها، أسال الله عز وجل أن تكون ذهبت بغير رجعة وأن يطفيء الله عز وجل فتنتهم وأن لا تظهر لنا مرة أخرى، والحقيقة أنت ترى بدعًا فتخشي أن يعاد عليك مصيبة مثل هذه المصيبة.

لماذا انقرضت وأصحبت منبوذة من قِبل المسلمين وانقرض القائلون بها؟ لأن أصل وفطرة العباد تنبذ مثل هذا لكن هذا لا يعني أن نفي إنكار القدر ليس موجودًا بل موجود لكن ليس لدرجة إنكار العلم، يعني منكري القدر موجودين لكنهم مراتب أعلاها ما أتي به معبد الجهني وتلقفه من المجوس والنصارى لكن توجد مصائب لكن أقل من هذا القدر.

أصبح إنكار القدر يدور على شيئين:

- أولًا: إنكار عموم مشيئة الله، يعني يأتون فيقولون نعم الله يعلم لكنه لا يشاء إذن معناها: يقع في ملكوت الله ما لا يشاءه الله، هذه فتنتهم الأولى.
- والثانية: ينكرون عموم خلق الله فيعتقدون أنه يوجد مع الله خالق يخلق الشيء، كيف يقولون هذا الأمر؟ يقولون العبد لما يرتكب المعاصي الله عز وجل لايعطيه القوة على خلق فعله إنما هو يخلق فعله بنفسه، يعنى يقولون أن العاصي أو الكافر هو الذي يوجد المعصية أو الكفر بنفسه وليس الله عز وجل هو الذي أعطاه القوة والقدرة.

يقولون أن الله أراد من الكافر أن يؤمن ومن العاصي أن يطيع لكن العاصي أراد المعصية والكافر أراد الكفر فأيهما غلب؟!، تفهمون كيف فلسفتهم؟! يقولون هذه إرداة الله وهذه إرادة العبد، الله يريد من العبد أن يؤمن وهو يريد أن يكفر وفي الحقيقة كفر، إذن أي إرادة غلبت؟ إرادة العبد!، فتكون إرادة العبد عندهم غلبت إرادة الله وكذلك في العاصي **– تعالى الله وتقدس عما يقولون–**

وهذا الذي جعلنا نتناقش في الإرادة الشرعية والإرادة الكونية، **هنا علتهم أنهم ساووا بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية**؛ كيف؟ يقولون الله عز وجل يريد من الكافر الإيمان، يريد إي إرادة؟ الإرادة شرعية.

لو نأتي نطبق على كفر أبو لهب؛ أبو لهب ما هى الإرادة التى قامت في قلبه؟ إرادة الكفر، لما قام في قلبه هذه الإرادة والله عز وجل له إرادة شرعية في أبي لهب أن يؤمن وفي قلب أبي لهب إرادة الكفر عامله الله على ما قام في قلبه فسدَّ عليه طريق الطاعة وفتح له طريق المعصية، فكانت نقطة الاختبار ماذا تريد أنت؟!، تُكافأ على حسب إرادتك التي قامت في قلبك، فلما أرادوا الكفر فتحت لهم أبواب الكفر، **فأراد الله لهم الكفر إرادة كونية وأراد لهم الإيمان إرادة شرعية.**

لماذا أراد لهم الكفر إرادة كونية؟ **لأنهم هم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم فكان اختبارهم باختيارهم**، فلما اختاروا الكفر بقلوبهم فتحت لهم أبواب الكفر.

المؤمن الآن يقول أنا أريد أبواب الخير، المؤمن يدّعي هذه الدعوة أنه يريد أبواب الخير، إن صدق في هذه الدعوة فتحت له أبواب الخير، والكافر يريد الشر يعامله الله بالحلم ويفتح له أبواب الخير ويذيقه من طعم الخير فإن أصرّ فتحت له أبواب الشر، **إذن الله عز وجل كان يريد من أبي لهب يريد منه الإيمان هذه الإرادة الشرعية لكن بسبب ما قام في قلبه أراد له الكفر وهذه الإرادة الكونية.**

سنعيد المقطع في الكلام حول "الإنكار الذي وقع في القضاء والقدر يدور حول شيئين"، كأننا سنرسم خطة الإنحراف التي وقعت في القضاء والقدر.

منكري القدر كيف كان تنقلهم؟

أولا بدؤوا بإنكار مرتبة العلم وقالوا إن الأمر أنف يعني مستأنف، فالله عز وجل لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وقوعها هذا قولهم، هذا الفرقة انقرضت، بقيت الفرقة التي إنكارها للقدر يدور حول شيئين:

- الأول: إنكار عموم مشيئة الله يعني ليس كل شيء وقع قد شاءه الله.
- الثاني: عموم خلق الله يقولون يوجد مع الله خالق يخلق الشيء لكن هذا الاعتقاد ليس بهذا التصريح، يعني افهمي وجه ما قالوه كانت نتيجته هذا الأمر، قالوا إن الله لم يشأ الكفر ولا المعاصي إنما الذي شاء الكفر والمعاصي هم الكفار والعصاة لأن الله لا يأمر بالفساد ولا يحبه، ما الذي دعاهم إلى هذا؟ دعاهم إلى هذا حسن ظنهم بالله لكنهم اخطؤوا ووقعوا في الضلال البيِّن الواضح، وقالوا إن الله لا يشاء الكفر والمعاصي، يعني يقع في كون الله ما لا يشاءه، فكانت نتيجة دعواهم.

والذين قالوا بإثبات أكثر من خالق قالوا إن العاصي أو الكافر هو الذي يوجد المعصية والكفر بنفسه وليس الله هو الذي أوجد ذلك فيكون العبد خالقًا لفعله، هم قالوا أن الله أراد من الكافر أن يؤمن ومن العاصي أن يطيع لكن الذي حصل أن الكافر أراد الكفر وبقي على كفره والعاصي أراد المعصية وبقي على معصيته، فيظنون أن إرادة الكافر غلبت إرادة الله وإرادة العاصي غلبت إرادة الله!!.

ونقول في الحقيقة **إن إرادة الله عز وجل كانت لما هم أرادوا الضلال كانت إرادة كونية ولما أراد لهم الله الهداية كانت إرادة شرعية.**

اتقفنا أن مدار الإيمان بالقضاء والقدر على أربعة:

- الإقرار بعلم الله عز وجل الأزلي وأنه لا يفوته شيء وأنه يعلم كل شيء فكل شيء يقع على وفق علمه في الوقت المحدد له.
- والأمر الثاني: أن الله كتبه.
- والثالث: عموم مشيئته.
- والرابع: عموم خلقه.

❖ الدليل الثاني.

قال المصنف رحمه الله:

وَعَن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ أَنَّه قَالَ لابْنِهِ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ، فقَالَ : رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"، يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي " .

وفي رواية لأحمد: "إِنَّ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمُ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " .

وفي رواية لابن وهب: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ ".

الشرح:

قوله: وعن عبادة قد تقدم ذكره في باب فضل التوحيد، وحديثه هذا رواه أبو داود ورواه الإمام أحمد بكماله قال حدثنا الحسن بن سوار قال حدثنا ليث عن معاوية عن أيوب بن زياد، قال حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة قال حدثنى أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني. قال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: يا أبتاه فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك

يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة. يا بني، إن مت ولست على ذلك دخلت النار ". ورواه الترمذي بسنده المتصل إلى عطاء بن أبي رباح عن الوليد بن عبادة عن أبيه، وقال: حسن صحيح وغريب.

وفي هذا الحديث ونحوه: بيان شمول علم الله تعالى وإحاطته بما كان وبما يكون في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله لما سئل عن القدر قال: القدر قدرة الرحمن، واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد رحمه الله

والمعنى: أنه لا يمنع عن قدرة الله شئ. ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالى فضلوا عن سواء السبيل.

وقد قال بعض السلف: ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خصموا وإن جحدوه كفروا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فإن الناس فى باب خلق الرب وأمره ولم فعل ذلك على طرفين ووسط فالقدرية من المعتزلة وغيرهم قصدوا تعظيم الرب وتنزيهه عما ظنوه قبيحا من الأفعال وظلما فأنكروا عموم قدرته ومشيئته ولم يجعلوه خالقا لكل شيء ولا أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن بل قالوا يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء ثم إنهم وضعوا لربهم شريعة فيما يجب عليه ويحرم بالقياس على أنفسهم وتكلموا في التعديل والتجويز بهذا القياس الفاسد الذي شبهوا فيه الخالق بالمخلوق فضلوا وأضلوا.

كنت أريد منكم أن تنظروا إلي القدرية من المعتزلة، آخر جمل قرأناها، كيف قالوا يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء، هذان الجملتان لها علاقة بما مر معنا من الإرادة الكونية والشرعية، اكتبوا ما تستطيعون كتابته شرحًا لهذه الجملة بناء على فهمك لمسألة الإرادة الكونية.

كنا قد سألنا عن قول القدرية المعتزلة "يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء" أردنا شرح هذه الجملة ثم من أول الكلام حول حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

القدرية من المعتزلة وغيرهم قال الشارح: "قصدوا تعظيم الرب" وهذا المقصد وإن كان شريفًا لكن بدون متابعة وبدون أن يُبني على التسليم فهو سبب للضلال.

كيف أرادوا أن يتوصلوا إلى تعظيم الله؟ أرداوا ذلك بتنزيهه عما أثبته لنفسه، فظنوا أن إثبات خلقه لكل الأفعال أمرًا قبيحًا، فكيف يثبت أنه يريد الخير ويريد الإيمان ثم يخلق في الناس القدرة على أن يكفروا ويخرجوا وأن يعرضوا، ظنوا إثبات الإثنين أمرًا مناقضًا للواقع.

كان ينقصهم أمرين:

- الأمر الأول: معرفة أن الله عز وجل
  - يريد إرادة شرعية بمعني المحبة.
  - ويريد إرادة كونية بمعني المشيئة

فهم قالوا أنه يشاء ما لا يكون، اختلط عليهم الأمر!، **المفروض أن يقولوا يريد إرادة شرعية وقد تكون وقد لا تكون، لكنهم أتوا بالمشيئة،** قالوا يشاء شيء لا يكون، يعني يشاء الإيمان ولا يكون الإيمان يكفر، نحن نقول يريد الإيمان وهذا نوع الإرادة الشرعية، والإرادة الشرعية مرادفة للمحبة وقد تقع أو لا تقع.

- ثم أخطؤوا من جهة أخرى قالوا يكون ما لا يشاء، يعني يكون في الكون شيء لا يريده إرداة شرعية، **نعم يكون في الكون لا يريده إرادة شرعية لكن لا يكون في الكون ما لا يشاءه فأصبحت كلمة المشيئة مرادفة لكلمة الإرداة الكونية.**

هم خلطوا بين المشيئة وبين المحبة، أي خلطوا بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، وأهل السنة والجماعة هم أهل الحق فهموا الأمر وأظهروه للخلق، فإذا فمهت الإرادة الكونية والإرادة الشرعية اندفع عنك التناقض الذي ظنوه أن الله عز وجل يريد شيء ولا يكون ويكون شيء لا يريده، فالمقصود هنا الإرادة الشرعية.

نعود من جديد لكلام عبادة بن الصامت وتعليق الشارح عليه.

هذا هو الحديث الثاني في ترتيب الأدلة في هذا الباب، وهذا الحديث كان بين عبادة بن الصامت وابنه بعد أن طلب ابنه منه وصية قال له: "يَا بُنَيَّ ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ"

وهذا فيه دليل على فضل الإيمان، وفيه أيضًا بيان كيفية الإيمان بالقدر.

⇦ تؤمن أن ما أصابك لم يكن ليخطئك؛ أي ما قدَّر الله عليك من الخير والشر فلن يتجاوزك مهما عملت من أسباب.

⇦ وما اخطأك لم يكن ليصيبك أى ما لم يُقدِّر لك من الخير والشر لا يمكن أن يصيبك.

ستكتبين:

"إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ" "أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ"

إيمان بالقدر كيفية الإيمان بالقدر

ثم دليله على أن الله كتب مقادير كل شيء دليل عبادة ابن الصامت، استدل على ما يقول من سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي تثبت على أن الله قدر المقادير وأمر القلم بكتابتها قبل وجود هذه المخلوقات فلا يقع فى الكون شيء إلى قيام الساعة إلا بقضاء الله وقدره.

فقال: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ"، وهنا أتى الشاهد فى إثبات أن الله كتب مقادير كل شيء، هذا وفي رواية أحمد، وفي رواية لابن وهب، هذه الثلاث روايات كلها فيها أدلة على أن الله كتب كل شيء.

- الرواية الأولي التي هي في سنن أبي داوود: "إِنَّ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ".
- وفي رواية لأحمد: "إِنَّ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمُ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " .

هاتان روايتان كلاهما تدل على أن الله كتب مقادير كل شيء.

يأتينا بعد ذلك وعيد من لم يؤمن بالقدر

أولًا في رواية أبي داوود "فَلَيْسَ مِنِّي " براءة النبي صلى الله عليه وسلم منه.

وفي رواية ابن وهب التي رواها ابن حبان:" فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ ".

من الحديث علمنا:

- فضل الإيمان بالقدر.
- كيفية الإيمان بالقدر.
- الدليل أن الله كتب مقادير كل شيء.
- وعيد من لم يؤمن بالقدر.

نرى تعليق فتح المجيد لما قال:

وفي هذا الحديث ونحوه: بيان شمول علم الله تعالى وإحاطته بما كان وبما يكون في الدنيا والآخرة،

من أين تبيَّن شمول علم الله عز وجل؟ كتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة.

وهذا سيكون سواء كان من الإنسان ومن حركات الشجر وعدد أوراقها وما سقط منها وما يسقط من حبة في البر ولا في البحر ولا تسقط ورقة من شجرة إلا الله عز وجل كتبها، حتى تحركات وخلجات العبد، فكل حركة وسكون بعد الحركة وكل وجود وكل عدم مكتوب بلا زيادة ولا نقصان.

وقد ورد من كلام ابن عباس رضي الله عنه ضرب مثالًا دقيقًا من أجل أن يكون قاعدة عندك:

قال ابن عباس: وضْع يدك على خدك مكتوب في اللوح.

كل شيء مكتوب في اللوح حتى وضْع يدك على خدك مكتوب في اللوح، وقصد بهذا أن تعلم أن كل شيء معلوم وأن كل علم الله عز وجل بذلك مكتوب.

- وفي الحديث ورد: "إِنَّ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ" يعني ظاهر الحديث يدل على أن هذا أول المخلوقات، وحصل خلاف عند أهل العلم هل العرش أم القلم؟ والظاهر أن العرش قبل القلم والعرش كان على الماء والدليل على هذا ما ثبت في صحيح مسلم " إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ".
- "فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ" وهذا لايقتضى أن الإنسان مرغم على العمل الذى يقع منه لكن الله علام الغيوب قد علم أن هذا الإنسان سيوجد وسيعمل كذا وكذا، وأن هذا الذى سيكون اختياره وهو سيكون مختارًا غير مرغمًا.

وأنت انظر اليوم لما توعظ أحد وتقول له هذا العمل سيدخلك النار وهو يكون معاندًا يقول لك اتركني!، أنا حر!، هذا الذى يناسبني!، فالواقع أن العبد يعمل أعمالًا لايدرى قد كُتبت له أم لم تُكتب، لكنه يعملها باختياره غير مجبور ولا مقهور، فلا يتبيَّن له أنه قدر إلا بعد وقوعه، نحن الآن نحتاج فى إيماننا بالقضاء والقدر أن نستدل به على كمال صفات الله ونعرف أنه سبحانه وتعالى من كمال صفاته كمال علمه قبل أن تقع الأشياء وأنها وقعت كما علم وكتب فى كتابه.

إذن هذا بيان شمول علم الله تعالى.

- وأيضا الحديث يدل على إحاطته بما كان وبما يكون من الدنيا، فإيمانك بالقضاء والقدر يدور حول إيمانك بكمال صفات الله.

لهذا لما سُئل الإمام أحمد عن القدر قال: "القدر قدرة الله القدر قدرة الرحمن" فالقدر فيه يظهر كمال قدرة الله، كمال علم الله، فهو علم ما سيكون وكتب ما سيكون وجعل كل ما كُتب واقعًا كما قُدر فى زمنه وعلى الحال التى كتبها سبحانه وتعالى، فهو كتب علمه بهذه الأشياء.

فأنت في هذا الباب تخالف منكري القدر في إيمانك بكمال قدرة الله، وليس المقصود في هذا الباب أن نناقش القضاء والقدر من جهة التصبر أو من جهة أنه لما يقع القضاء تعامله بالصبر لأ، نحن لا نناقش هذه النقطة الآن، نحن نناقش مسألة إنكار صفات الله وإنكار علمه وكتابته ومشيئته وخلقه للأشياء، ولهذا يقول صاحب الفتح:

والمعنى – معني كلام الإمام أحمد – أنه لا يمتنع عن قدرة الله شيء.

إذن انت تؤمن بكمال قدرته أن يعلم كل شيء قبل أن يقع، وأن يكتب كل شيء يأمر القلم فيكتب، وأن يشاء هذا ويخلقه على ماشاءه.

وأما مشكلة القدرية جاءت من خوفهم من أن يوصف الله بالظلم، والله عز وجل نفى عن نفسه الظلم، قالوا: مستحيل وقوع الظلم من الله، وهذا الكلام يقينًا صحيح لكن كيف نفوا عنه الظلم؟ هم قالوا أن الله جل وعلا كتب على الإنسان أعماله وقدَّرها وشاءها ثم عذبه عليها، ولو قلنا هذا القول للزم أن يكون ظالمًا له، هذه أصل المشكلة عندهم، فيقال لهم أن الله جل وعلا خلق ذات الإنسان وخلق صفاته ومن هذا خلق له القدرة والإرادة، وجعل القدرة والإرادة هما اللتان يفعل بهما ما يريد، فأنت تنسب قدرته وإرادته من جهة إلى الله لأنه هو الذي خلق له القدرة والإرداة، وهو الذى يجازى عليه ثوابًا أو عقابًا، يعني هو يجازي على إرادته التي قامت في قلبه، مكنه الله من الإرادة، مكنه منها يعنى هو الذى أعطاه الحول والقوة على أن يريد وهداه النجدين وفتح له البابين وغيَّب عنه ما هو مكتوب، فإن أراد الخير فهذا خير وإن أراد الشر فهذا شر، لايستطيع أن يحتج على ربه أبدا؛ أُرشد إلى الخير وأرشد إلى الشر وخُلق له القدرة والإرادة.

ولذلك في بعض المواطن يقال لك: **"القدر سر الله"** أخفاه عنك ثم فتح لك الأبواب ثم بسابق علمه يعلم ماذا ستختار.

وقد قال بعض السلف: ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خُصموا وإن جحدوه كفروا.

هذا كلام الشافعي رحمة الله ذكرناه.

في آخر هذا الدليل نسأل لماذا لما استوصى ابن عبادة أباه وصيه أوصاه هذه الوصية؟ السبب والله أعلم أن إنكار القدر ظهر في وقت عبادة بن الصامت رضي الله عنه ولهذا أوصى ابنه بذلك، وهذا يدل على أن الذى لا يؤمن بالقدر ليس بمؤمن وأنه إذا مات لن يقبله الله.

نشرح مرة أخرى كلام شيخ الإسلام نقرؤه مرة أخرى ثم نشرحه.

قال شيخ الإسلام:

فإن الناس في باب خلق الرب وأمره ولم فعل ذلك على طرفين ووسط؛ فالقدرية من المعتزلة وغيرهم قصدوا تعظيم الرب وتنزيهه عما ظنوه قبحًا من الأفعال وظلما فأنكروا عموم قدرته ومشيئته ولم يجعلوه خالقا لكل شيء

يعني خلق الكون وخلق الإنسان ثم تركه لا يعلم ماذا سيفعل!، فلم يجعلوه خالقًا لشيء

ولا أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن بل قالوا يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء

يعنى يأتون عند قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ يقولون هاهو قضى ولم يحصل القضاء!! وأنت فهمت أن قضى بمعنى أراد إرادة شرعية، في مقابل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هذه إرادة كونية أرادها ووقعت.

ثم إنهم وضعوا لربهم شريعة فيما يجب عليه ويحرم بالقياس على أنفسهم

يعني بدؤوا يقولون هذا لا يليق بالله عز وجل وهذا يليق، هذا يصح أن تصف به الرب وهذا لا يصح، وكل هذا بالقياس، وقد كان صنمهم العظيم قياس الله عز وجل بخلقه، مما أفسدهم وأفسد غيرهم، أعظم ما أفسدهم قياس الله عز وجل بخلقه.

وتكلموا في التعديل والتجويز بهذا القياس الفاسد الذي شبهوا فيه الخالق بالمخلوق فضلوا وأضلوا.

❖ الدليل الثالث.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وفي المسند والسنن عَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ ، قَالَ : " أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي ، فَقَالَ : لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكنت مِن أهل النَّارَ ، قَالَ : فأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْد بْنَ ثَابِتٍ ، فكلهم حَدَّثَنِي بِمِثْلَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ". حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.

الشرح:

قوله: وفي المسند وسنن أبي داود عن ابن الديلمي وهو أبو بسر . بالسين المهملة، وبالباء المضمومة. ويقال أبو بشر . بالشين المعجمة وكسر الباء . وبعضهم صحح الأول. وإسمه عبد الله بن فيروز.

ولفظ أبي داود قال: لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم. ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم. ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم

يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت، قال: فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وأخرجه ابن ماجه.

الآن ذكر فى أول الكلام الراوى الأول، ذكر عن ابن الديلمى الذى هو أتى إلى أبى بن كعب ثم ذكر لفظ أبي داوود لنفس الحديث؛ يعني الذي ذُكر فى المتن هذا لفظ المسند – مسند الإمام أحمد– ثم أول ما ذُكر في الشرح هو لفظ أبي داوود الذى في السنن، قال: "وهو في المسند" وفي السنن يعني المذكور هنا هو في المسند والذي في الشرح هو في السنن وأخرجه ابن ماجة أيضا.

وقال العماد ابن كثير رحمه الله: عن سفيان عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ ، يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ ، وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خيره وشره " وكذا رواه الترمذي عن النضر بن شميل عن شعبة عن منصور به. ورواه من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة عن ربعي عن علي فذكره.

يعني الأحاديث التي مضت تدور حول ماذا؟

معناها أن أهل السموات والأرض لا يستطيعون القيام بحقوق الله الواجبة عليهم، فلو عذبهم على ترك الحق لكان لا ظلم منه عليهم، لهذا جاء أن الملائكة منهم من يكون منذ خلق إلى قيام الساعة راكعًا ومنهم من يكون منذ خُلق إلى قيام الساعة ساجدًا ومنهم من يكون قائمًا بالعبادة لا يفتر لحظة من اللحظات، ثم يوم القيامة يأتون فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، لأن حق عبادة الله لا يطيقه مخلوق فرحمة الله خير من عمل الإنسان مهما عمل.

وهم دعواهم وحجتهم كلها دائرة حول أن العبد إذا إثبت لله عز وجل القدرة والمشيئة والخلق ثم عذبه الله اتهموه بالظلم، فنقول إذا أردت أن تأتي إلى حق الله لن يطيقه المخلوق ورحمة الله عز وجل خير من عمل الإنسان مهما عمل.

ففي رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلًا عبد الله في جزيرة من البحر خمسمائة سنة وأخرج الله له من البحر عينا عذبة يشرب منها وأنبت له شجرة رمان، وكل يوم تخرج له حبة فيأكلها، وسأل ربه أن يقبضه ساجدًا، وقبض وهو ساجد، فإذا كان يوم القيامة أُحضر بين يدي الله، يقول الله عز وجل لملائكته: " أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي . فَيَقُولُ : بَلْ بِعَمَلِي"[٦٥٢] فيقول فيقول الله عز وجل: حاسبوه، فيحاسب، فيجد من عبادة خمسمائة سنة جاءت عليها نعمة البصر أو نعمة السمع، جاءت عليها كلها، فكانت خمسمائة سنة مقابل نعمة البصر أو نعمة السمع.

---

[٦٥٢] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " خَرَجَ مِنْ عِنْدِي خَلِيلِي جِبْرِيلُ آنِفًا ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ ، إِنَّ لِلَّهِ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ ، عَبَدَ اللَّهَ خَمْسَ مِائَةِ سِنَةٍ ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ عَرْضُهُ وَطُولُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا فِي ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا ، وَالْبَحْرُ مُحِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةَ آلَافِ فَرْسَخٍ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَأَخْرَجَ اللَّهُ لَهُ عَيْنًا عَذْبَةً بِعَرْضِ الْإِصْبَعِ تَبَضُّ بِمَاءٍ عَذْبٍ ، فَيَسْتَنْقِعُ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ ، وَشَجَرَةُ رُمَّانٍ تُخْرِجُ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ رُمَّانَةً فَتُغَذِّيهِ يَوْمَهُ ، فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ فَأَصَابَ مِنَ الْوُضُوءِ ، وَأَخَذَ تِلْكَ الرُّمَّانَةَ فَأَكَلَهَا ، ثُمَّ قَامَ لِصَلَاتِهِ ، فَسَأَلَ رَبَّهُ عِنْدَ حُضُورِ الْأَجَلِ أَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا وَأَنْ لَا يَجْعَلَ لِلْأَرْضِ وَلَا لِشَيْءٍ يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ سَبِيلًا ، حَتَّى يَبْعَثَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَفَعَلَ ، فَنَحْنُ نَمُرُّ إِذَا هَبَطْنَا وَإِذَا عَرَجْنَا ، فَنَجِدُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ : أَدْخِلُوا عَبْدِيَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، بَلْ بِعَمَلِي ! ، فَيَقُولُ اللَّهُ : أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي ، فَيَقُولُ : بَلْ بِعَمَلِي ! ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ : قَايِسُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ ، فَتُوجَدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلًا عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ : أَدْخِلوا عَبْدِيَ النَّارَ ، قَالَ : فَيُجَرُّ إِلَى النَّارِ ، فَيُنَادِي : يَا رَبِّ بِرَحْمَتِكَ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : رُدُّوا عَبْدِي ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَيَقُولُ : يَا عَبْدِي ، مَنْ خَلَقَكَ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ؟ ، فَيَقُولُ : أَنْتَ يَا رَبُّ ، فَيَقُولُ : فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِكَ أَمْ بِرَحْمَتِي ؟ ، فَيَقُولُ : بَلْ بِرَحْمَتِكَ ، فَيَقُولُ : مَنْ قَوَّاكَ لِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ ؟ ، فَيَقُولُ : أَنْتَ يَا رَبُّ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْزَلَكَ فِي جَبَلٍ وَسَطَ اللُّجَّةِ ، وَأَخْرَجَ لَكَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ ، وَأَخْرَجَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ رُمَّانَةً ، وَإِنَّمَا تَخْرُجُ مَرَّةً فِي السَّنَةِ ، وَسَأَلْتَنِي أَنْ أَقْبِضَكَ سَاجِدًا ، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ ؟ ، فَيَقُولُ : أَنْتَ يَا رَبُّ ، قَالَ : فَذَلِكَ بِرَحْمَتِي ، وَبِرَحْمَتِي أُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ ، أَدْخِلُوا عَبْدِيَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي ، فَنِعْمَ الْعَبْدَ كُنْتَ أَنْتَ يَا عَبْدِي ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، وَقَالَ جِبْرِيلُ : إِنَّمَا الْأَشْيَاءُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ "

ثم الله عز وجل يقول له :من الذي خلقك ولم تك شيئا؟!، من الذي قواك على العبادة؟!، من الذي جعل لك السمع والبصر والفؤاد واليدين والرجلين؟!، من الذي استخرج لك من البحر عينًا عذبة ومن الأرض شجرة الرمان تأكل كل يوم حبة؟!.ثم قال الله عز وجل للملائكة: اذهبوا به إلى النار، فاصبح يصيح يا رب ادخلني الجنة برحمتك، فيدخله الله الجنة برحمته

ثم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلا بِرَحْمَةِ اللَّهِ " ،وفي الصحيح: "لن يدخل أحدكم الجنة عمله قط"، "قُلْنَا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " وَلا أَنَا ، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ".

وإنما يدخل المؤمنون الجنة برحمة الله.

يزحزحون عن النار بعفوه.

ويدخلون الجنة برحمته.

ويتقاسمون المنازل بأعمالهم التي عاملهم الله فيها باسمه الغفور الشكور.

لا تنسوا هذا أبدا؛ العباد يزحزحون عن النار بعفوه، ويدخلون الجنة برحمته ويتقاسمون المنازل بمعاملته باسمه الغفور الشكور.

وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن أبي هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ" ، زاد ابن وهب .: "وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ".. رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

وكل هذه الأحاديث وما في معناها فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم.

ومن مذهبهم: تخليد أهل المعاصي في النار. وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم المعاصي.

وفي الحقيقة إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا. وهذا لازم لهم على مذهبهم هذا، وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة من إثبات القدر، وعدم تخليد أهل الكبائر من الوحدين في النار.

يعني يقول: وكل هذه الأحاديث وما فى معناها

يعني من الحديث الذى ورد فى أصل المتن لما أتى ابن الديلمى إلى أبي بن كعب فقال: " فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي" فقال له أبي "لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ" فأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدِ بْنَ ثَابِتٍ ، فكلهم حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ".

إذن هذه الأحاديث وما فى معناها فيها وعيد شديد على عدم الإيمان بالقدر، وأيضًا فيها الحجة الشرعية على نفاة القدر يعني نقول لهم: ها هي البدعة ظهرت والصحابة متوافرون وها هم ينقلون عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يثبتون به القدر.

ثم ذكر شيئًا من مذهبهم – من مذهب المعتزلة– قال:

أنهم يظنون – يعتقدون – تخليد أهل المعاصى فى النار

يعتقدون أن أهل المعاصي يخلدون في النار، واعتقادهم بنفى القضاء والقدر من أكبر الكبائر وأعظم المعاصي، فلو طبقنا عليهم قاعدتهم التي يعتقدونها كانوا من أهل النار خالدين.

قال: وفي الحقيقة إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا.

يعني المعنى: أننا لو أتينا على أحد فيهم وأقمنا عليه الحجة بعينه على شخص معين، وأقمنا عليه الحجة فأنكر، كان يستحق أن يكون خالدًا لأنه كفر بناء على كل النصوص التي سمعتها.

وهذا لازم لهم على مذهبهم هذا، وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة من إثبات القدر وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار.

أو يكون لهم مخالفات لهم من أهل السنة والجماعة، يعني نحن الآن لا نوافقهم لا في تخليد الموحد ولا في إنكار القدر.

على كل حال بهذا القدر نكون انتهينا الحمدلله من هذا الباب.

ننتقل الآن للكلام حول باب ما جاء فى المصورين لكن بعد أن نربط بين البابين:

بين باب "ما جاء في منكري القدر" وبين باب قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

ما العلاقة بين هذان البابان؟

مر معنا أن العلاقة وثيقة، وربما تنبهتم أننا تكلمنا في باب ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ﴾ على القدر، فأنت ترى من صور سوء الظن بالله إنكار القدر، ووجه كون إنكار القدر ظنًا بالله ظن السوء أن تقدير الأمور قبل وقوعها من آثار عزة الله وقدرته، فإن العاجز هو الذي تقع معه الأمور استئنافًا من غير تقدير سابق، وأما الذي لا يحصل معه أمر حتى يقدره قبل أن يوقعه، فيقع على ما قدّر، فهو صاحب الكمال وصاحب العزة، وهو الذي لا يغالب في ملكه.

فإنكار القدر ظن بالله عز وجل ظن السوء لأن فيه النقص لله عز وجل، والله هو الكامل في أسمائه وصفاته، الذى إليه الأمر كله.

ولهذا كان كل أمر يحصل من الرب جل وعلا من الله فى بريته موافقًا لقدره السابق الذى هو دليل كمال حكمته وعلمه وخلقه وعموم مشيئته سبحانه وتعالى.

إذن إنكار القدر ظن بالله عز وجل ظن السوء لأن فيه نسبة النقص لله عز وجل.

إذن يكون باب ما جاء فى منكرى القدر كالتفصيل لما اشتمل عليه الباب السابق، يعني كأن هذا مثال من أمثلة سوء الظن بالله عز وجل.

ننتقل الآن للكتابة عن باب ما جاء في المصورين

نقرأ الآن في المتن:

باب ما جاء في المصورين

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً" أخرجاه.

ولهما عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ".

ولهما عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذِّبُ بِها فِي جَهَنَّمَ".

ولهما عنه مرفوعًا: "مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ".

ولمسلم عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ قَالَ: "قَالَ لِي عَلِيٌّ: "أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ".

الآن نبدأ بالدخول إلى باب التصوير حقيقة يأتي من أبواب شتى:

- ⇦ يأتي من جهة الأسماء والصفات.
- ⇦ يأتي من جهة الأقوال السابقة وسبب الشرك.
- ⇦ يأتى من جهة مخالفة أمر النبى صلى الله عليه وسلم ونهيه عن التصوير.

يعني مجردًا ممكن أنظر للأدلة التى تنهى عن التصوير وأقول نهينا عن التصوير فالواجب عليك أن تنتهى.

⇦ ولو أتينا من جهة التوحيد سنجد التصوير يدخل في بابين:

- ⇦ باب استحقاق الله عز وجل لاسم "المصور" وأن لا يشاركه فى ذلك أحد.
- ⇦ ويدخل في التوحيد أيضًا من جهة النظر إلى سبب شرك الأقوام السابقة وأن التصوير سبب لصرف التعظيم لغير الله، أن التصوير سبب لتعظيم غير الله.

نبدأ من عند كون المصور اسم من اسماء الله: قال الله تعالى فيها: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾

"له": هذه تدل على الإختصاص، فهو سبحانه وتعالى وحده المتفرد بالخلق والإيجاد وهو وحده المتفرد بالإبداع والتصوير.

وهذه الأسماء لما اجتمعت أخذت معنى دقيق؛ يعنى اسم "الخالق" معناه:

- إيجاد الشئ من عدم، هذا معنى.
- وله معنى آخر بمعنى التقدير، بمعنى تقدير الأشياء.

⇦ فلما يأتي منفردًا يكون معناه إيجاد الشيء من العدم.

⇦ ولكن لما يأتي في سياقات معينة فيأخذ معناه المعني الآخر.

هنا لما جمع اسم: ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ فسِّرَ الخلق بالتقدير، بمعني الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار.

بكلام أوضح:

⇦ سيكون "**الخالق**" هو المقدر للأشياء على مقتضى حكمته.

⇦ و"**البارئ**" هو الموجد لها بعد العدم.

⇦ و"**المصور**" هو الذى يصور المخلوقات والكائنات كيف يشاء.

فالله عز وجل إذا أراد خلق شيء قدره بعلمه وحكمته، ثم برأه – أى أوجده– وفق ما قدر فى الصورة التى شاءها وأرادها سبحانه.

فيصبح كما قال ابن القيم: اسم البارئ المصور تفصيل لاسم الخالق، يعني الخالق منفرد يجمع معه اسم البارئ المصور؛ إذا انفرد كان الخلق والتقدير والبرء هو التنفيذ وابراز ما قدره وقرره إلى الوجود على الصورة التى أرادها.

فلاحظي أن التصوير كان من صفاته التي تخصه فالتساهل فيه والكلام عن تصوير الخلق للصور باستهانة يدل على أن العبد ما فقه معنى ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ["له": دليل على الاختصاص].

نريد أن ننظر إلى غافر آية ٦٤ و٦٥ وآية آل عمران الآية ٦؛ ننظر فيها ثم نقرر علاقتها بمبحثنا.

نبدأ بآيتي غافر [٦٥، ٦٤].

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾

أين الشاهد هنا؟ أن الله عز وجل جعل برهان وجوب توحيده إفراده بالعبادة أنه المصور وحده، كونه سبحانه المصور وحده هذا برهان على وجوب توحيده وإخلاص الدين له وحده؛ أين؟ ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ هذه أولًا ثم أتي بعدها ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ فجعل التصوير دليل على وجوب التوحيد "هو الذي صوركم"

ومن هنا سنأتي نقول: **لذلك الله حرم الله سبحانه على عباده تصوير لذوات الأرواح لما فيه مضاهاة لخلق الله ولما فيه فتح لأبواب الشرك والضلال.**

انظري آل عمران آية ٦.

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾

واضحة: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ بهذا استدل على أنه ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

إذن: كونه سبحانه المصور وحده برهان علي وجوب توحيده وإخلاص العبادة له، يعني من هنا أتت علاقته بالتوحيد.

باب ما جاء في المصورين ما علاقته بالتوحيد؟ أن من براهين التوحيد أنه المصور.

إذن كيف تفسر النهي؟ حرم الله عز وجل على عباده تصوير ذوات الأرواح لما فيه من المضاهاه لخلق الله.

بعد ذلك سيأتينا الجزء الثاني من العلاقة بين باب ما جاء في المصورين والتوحيد.

انظري إلى سورة نوح آية ٢٣.

وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾

مر معنا سابقًا كما قال ابن عباس أن هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسى العلم عُبدت.

وقال ابن القيم:

قال غير واحد من السلف لما ماتو ا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وقال القرطبي فى تفسير الآية:

وإنما صوَّر أوائلهم الصور ليتأسوا بهم ويتذكروا أفعالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا الله عند قبورهم ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم فوسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها.

من هنا يظهر لك الباب الثاني الذي به يكون العلاقه بين التصوير والتوحيد، فالباب الذي دخل منه الشيطان إلى إغواء أُولئك الناس باب الغلو فى الصالحين وكانت الوسيلة هى التصوير.

وانتم لا تقفز أذهانكم مباشرة إلى التصوير الفوتوغرافي ثم تضعون مانعًا وتقولون لكن بعض العلماء أجازه، قبل أن تتكلموا عن هذا وعن التصوير الفوتغرافي فلنتكلم أصلًا عن مسألة التصوير والرسم والتجسيم والنحت، يعني هذا كله أصبح متروكًا فى النقاش حتى فشا وتطور وأصبح الناس يعاملونه تبعًا لمعاملتهم للتصوير الفوتوغرافى الذى أباحه بعض أهل العلم، نحن لا ننكر أن بعض أهل العلم أباح التصوير الفوتوغرافي على أنه لا يدخل في حكم التصوير، لا ننكر هذا، لكن لما تأتي تناقشي هذا الباب لا يقفز في ذهنك مباشرة الكلام حول التصوير الفوتغرافي، اتركيه، فلنفكر أصلًا ماذا قصد بالتصوير هنا؟!.

إذا لم يقصد بالتصوير الفوتغرافي فماذا يقصد هنا؟! النحت، رسم الخطوط، رسم الأبدان بالخط، أقصد ذوات الأرواح، نناقش هذا أولًا الذي فشا فى المدارس وفشا بين الطلاب وفشا الاحتراف فيه، وأنت لا تحفظ أدلة تدل على النهى عنه إلا أنك لما حضرت الدرس الذي يتكلم عن التصوير كل مرادك كان أن تخرج منه بنتيجة أن التصوير الفوتوغرافي حلال، وهذه أصلًا ليست نية!، إذا كنت تريد الحق هذه ليست نية!، هذه نية فاسدة، فأولًا محص نيتك أنك تريد الحق ثم اعلم أن الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ثم تعال إلى أصل المسألة وقف مع أنواع التصوير الكثيرة التي من ضمنها هذا النوع من التصوير، ثم محِّص تقواك وابعد عنك الهوي واختر لنفسك ما يبعدك عن أن تقع في الحمي.

إن شاء الله غدًا نناقش أدلة هذا الباب بالتفصيل بعدما تبيَّن لنا اليوم علاقة باب التصوير بالتوحيد.

جزاكم الله خيرا وأحسن الله إليكم.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسر لنا هذا اللقاء وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاءًا مباركًا مرحوما.. اللهم آمين.

لا زلنا ندرس فى كتاب التوحيد؛ بلغنا باب ما جاء فى المصورين، بدأنا أمس بالكلام حول علاقة التصوير بالتوحيد، وقلنا أن التصوير له علاقة بالتوحيد من جهتين:

- الجهة الأولى: اختصاص الله باسمه المصور.
- والجهة الثانية: أن سبب أول شرك على الأرض كان التصوير.

واتفقنا ونحن نناقش مسألة التصوير لابد أن نأخذ بعين الاعتبار واقع الحال اليوم فى مسألة التصوير والأختلاف الشديد بين العلماء فى أحكام التصوير، يعنى هذا الاختلاف الشديد فى أحكام التصوير المعاصر أدى إلى إهمال القضية الأساسية وهى التصوير.

هذا الذى اتفقنا عليه نضيف إليه ما ذكرناه أمس أن لابد أن نأخذ بعين الاعتبار واقع التصوير اليوم لكن الأخذ باعتبار واقع التصوير اليوم لا يكن شاغلًا لك عن حكم التصوير الأصلى، يعني وأنا أناقش هذا الدرس دائمًا يرتسم فى عقل السامع نقاش حول التصوير الفوتوغرافى؛ دعنا نخرج هذا النوع من التصوير من النقاش أولًا، دعنا نخرجه، وندور فقط الآن حول حكم التصوير باستثناء التصوير الفوتغرافي، في آخر اللقاء نتناقش عن التصوير الفوتغرافي وندلكم على مراجع لكلام أهل العلم، ونقول لكم ما ترتاح إليه النفس.

لكن فى أول الأمر دعنا نسأل ما هو التصوير المحرم أصلًا الذى أتى فى الآيات أو أتى فى النصوص من كلام النبى صلى الله عليه وسلم؟! ويكون عليه هذا العذاب العظيم، ما معناه؟! ولماذا؟!.

فأنت تأتي يقال لك: "باب ما جاء فى المصورين" يعنى باب ما جاء من أدلة الوعيد فى حكم المصورين.

فما معنى التصوير لغة واصطلاحًا؟.

- **التصوير لغة:** التخطيط والتشكيل، يقال صوّر الشيء أو الشخص أي جعل له صورة وشكلًا مجسمًا أو رسمًا على الورق أو الحائط ونحوهما بالقلم أو فرشاة الرسم أو بآلة التصوير.
- **أما التصوير اصطلاحًا:** فهو نقش صورة الشيء أو الأشخاص على لوح أو حائط أو نحوهما بالقلم أو بفرشاة الرسم أو بآلة التصوير.
- وتجد أن المعنى اللغوي مقارب للمعنى الاصطلاحي.

نأتي على بيان أثر التصوير على المصور وعلى اعتقاده.

أنت تعلم أن الله عز وجل حرَّم عليك أن تجعل له ندًا فى النيات والأقوال والأفعال، والند هو المشابه ولو بوجه بعيد.

فإتخاذ الصور الحيوانية تشبّه بخلق الله، وكذب على الخِلقة الإلهية لذلك ستأتى أحاديث معك أن الله عز وجل يقول للمصورين: " أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ"، فنسب إليهم الخلق توبيخًا وتقريعًا لهم فى مضاهاتهم الله عز وجل فى خلقه، فكأنه يقال لهم: إذا شابهتم بما صورتم مخلوقات الرب – يعنى تصويركم فيه مشابهة ومضاهاة لمخلوقات الرب – إذن بقي عليكم أن تحيوا ما خلقتم كما أحيا هو تعالى ما خلق!، وطبعًا لا يستطيعون ذلك، فالله عز وجل هو الذى اختصّ بإيجاد المخلوقات على غير مثال سابق.

فالذين يقلدون خلق الله ويصورون هذه الصور على مثال ما خلق الله كأنهم يرفعون أنفسهم إلى منزلة لا يستحقونها وهي تقليد الله والتشبه بالله في إيجاد مثل ما أوجد، ولأن تعظيم الله فى النفوس ضعيف تجد الناس يتعدون على حق الله وعلى ما يخصه سبحانه وتعالى دون أدنى خوف ولا رهبة ولا تجد بعد ذلك شيء من الإنابة، بل تجد هؤلاء يتفاخرون بأعمالهم فتجده يضع الإنسان بين يديه ويرسم ويقلد رسم وجهه وأجزاء من بدنه تقليدًا متقنًا، ثم كلما زاد إتقانه كلما علا مكانه عند الناس فتجدهم يسيرون عكس مراد الله ويتجرؤون بما مكَّنهم الله على ما حرمه عليهم الله.

وكل هذا تحت أسماء زيَّنها الشيطان، فلا تجد فى نفوس الناس من الدفع عن حق الله إلا الشيء الضعيف، وحتى الذى يدفع عن حق الله ويأتي يقول للناس اتقوا الله؛ لا تستخدموا طاقاتكم فى مبارزة الله عز وجل، لا تجعلوا ما أعطاكم الله من المال ومن الأبناء ومن كمال خلقتهم ومن دقيق قدرتهم لا تسخِّروا هذا فى محاربة أمر الله، حتى هذا الذى يتكلم تجده يتكلم على استحياء لأن الناس كلهم يقولون له هذه موهبة وهبه الله إياها، دعه ينتفع منها، دعه يتمرّن على الرسم، فتجد هذا إن ارتفع صوته قليلًا عاد إلى الوراء مستحيًا مما قال، يجد فى نفسه أنه ربما صحَّ مقالهم!.

فعلى هذا شيء مثل التصوير يحتاج منك دائمًا إلى مراجعة النصوص وحفظها ومعرفة أقوال أهل العلم فيها، ثم وإن فهمت أنها مما عمت به البلوى لكن لا تسكت عن النصح، **فإن الخوف كل الخوف أن يتحول المنكر إلى معروف وهذا بسبب السكوت**.

وأنت تستعجب من كثرة النصوص التى أتت تحذرك من التصوير ولكن هذا دليل على أن من قالها يقولها عن وحي وأنها من علم الغيب، لأن فى الزمن الماضي لم تكن الصور بهذه الكثرة اليوم أُبتلى الناس بها فأصبحت لا تجد بيتًا إلا وهو مملوء بالصور سواء كان فى الملابس أو الأواني أو الصحف أو الكتب، والآن عمت المصيبة وطمت بسبب أجهزة الاتصالات والقدرة على التقاط الصور وعلى تخزينها.

وإذا استبعدت مسألة التصوير الفوتوغرافي سأقول القدرة على التقاط الصورة المرسومة، يعني كثير مما يقع أن ابن أو ابنة أعطاه الله قدرة على هذه الموهبة – موهبة الرسم– فتجده يرسم جده، يرسم عزيز عليه، كبير في العائلة ثم من فرحهم بهذا الحفيد أو هذا الابن الذي رسم الكبير يتناقلونها فى جوالاتهم، وتجد كثيرًا من المستقيمين لا يقع فى قلبهم مثقال ذرة من الشك مع أنك تعلم أن الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، فالتصوير نفسه من المحرمات لا خلاف في ذلك سواء كان بالتخطيط بالأقلام أو سواء كان التجسيم بأدوات النحت، هذا لا خلاف فى حرمته وتبقى القصة الخلافية فى التصوير الفوتوغرافي.

على كل حال لا بد أن تتنبه أن كثيرًا من الأشياء التى انتشرت اليوم تهوِّن عليك المنكرات، فالنظر من الرجال إلى النساء أصبح أمرًا شبه مكرر بسبب هذه الإعلانات التي فيها صور النساء، بسبب الأخبار، بسبب مقاطع تُرسل على الجوالات، ثم تسمع الرجل المستقيم الصوَّام القوَّام تسمع به وهو قد تفلت من لسانه كلمة يُعلق على فلانة أو فلانة من المذيعات فتقول سبحان الله كيف تتدهور الاستقامة بسبب تكرار المنكر وانتشاره!.

على كل حال هذا أمر مما عمّت به البلوى –مسألة التصوير– ونشَّطه إعجاب الناس بالمصورين واعتبار أن مهارة الرسم والنحت من أعلى وأدق أنواع المهارات، كل هذا طريق يجعل المنكر معروف.

وسيأتينا إن شاء الله الكلام حول التصوير المحرم وغير المحرم، لأنه ممكن استخدام هذه القدرات كلها لكن في أمر غير محرم، فالمشكلة هنا متى يكون التصوير محرمًا؟

سنأتي إلى الضابط فنقول:

ما كان فيه تصوير ذوات الأرواح.

وهذا الضابط ستبيَّن لك أننا أخذناه من الدليل، ساقرأ هنا فتوى للشيخ ابن باز رحمه الله.

سُئل رحمه الله من الشباب من يحب فن الرسم وهو يرسم مرارا فنريد معرفة موقف الإسلام من الرسم؟

فاجاب الشيخ رحمه الله:

الرسم له معنيان:

- أحدهما رسم الصور ذوات الأرواح وهذا جاءت السنة بتحريمه ولا يجوز الرسم الذي هو رسم لذوات الأرواح لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ المصَوِرون"إن أصحاب هذه الصور يُعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم، ولأنه صلى الله عليه وسلم لعن آكل الربا ومؤكله ولعن المصور؛ فدلَّ ذلك على تحريم التصوير.

يعني يقيس يقول لك: لُعن آكل الربا واللعن دلَّ على التحريم، فكما أن الربا محرم للعن صاحبه فكذلك التصوير محرم لأنه ورد لعن المصور.

وفسّر العلماء ذلك بأنه تصوير ذوات الأرواح من الدواب والإنسان والطيور.

- أما رسم ما لا روح فيه وهو المعنى الثاني فهذا لا حرج فيه كرسم الجبل والشجر والطائرة والسيارة وأشباه ذلك لا حرج فيه عند أهل العلم.

إذن على هذا سيكون الرسم إما رسم ذوات الأرواح أو رسم جمادات لاروح فيها، والجمادات التي لاروح فيها تبيِّن لنا أنها خرجت من التحريم من الأدلة من بين ذلك "مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ" فمعنى هذا النوع الذى فيه نفخ الذي فيه روح هو الممنوع لأن من عذابه انه يؤمر بنفخ الروح فيه، من عذاب المصور أنه يؤمر بنفخ الروح فيه.

يعني لو نريد أن نسأل كيف عُلم أن المراد تصوير ذوات الأرواح لا غير؟ الجواب: أن الأدلة دلت أن من عذاب المصور أن يؤمر أن ينفخ الروح فى صورته، فمعناه أن هذه الصورة تمثل شيء له روح فأصبحت ذوات الأرواح هي الممنوعة.

نكتفي بهذا النقاش ونبدأ فى قراءة كلام صاحب الفتح المجيد:

قال المصنف رحمه الله تعالى:

باب ما جاء في المصورين

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً" أخرجاه.

أخرجاه المقصود البخاري ومسلم، وهذا دليل على صحة الحديث.

يعني من هنا يتبيَّن لك أن هذه الأحاديث لا خلاف فى صحتها أي عذاب المصور، "أخرجاه" يعني البخاري ومسلم.

ولهما عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،

"لهما" يعني الحديث للبخارى ومسلم، وأيضًا هذا الحديث والسابق أخرجه الإمام أحمد.

ولهما عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ ".

ولهما عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذِّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ ".

ولهما عنه مرفوعًا: "مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ".

هذه الأربعة أحاديث التي أمامك حديث: [ابي هريرة وحديث عائشة وحديث ابن عباس الأول وحديث ابن عباس الثاني] كل هذه الأربعة الاحاديث وردت فى صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند الإمام أحمد، من هنا ينقطع في قلبك أن يكون الأمر فيه ضعف أو أن الأحاديث التي وردت في تحريم التصوير ليست ذات دلالة يقينية، يعنى لا خلاف في صحة الأحاديث التي وردت بعذاب المصورين.

الشرح:

قوله: باب "ما جاء في المصورين".

أي من عظيم عقوبة الله لهم وعذابه.

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم العلة: وهي المضاهاة بخلق الله، لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو رب كل شيء وملكيه، وهو خالق كل شيء وهو الذي صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِيَ أَحْسَنَ كُلّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِن طِينٍ * ثُمّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مّن مّآءٍ مّهِينٍ * ثُمّ سَوّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ قَلِيلًا مّا تَشْكُرُونَ﴾

يعني قال لك: "باب ما جاء في المصورين" هذا العنوان من عظيم عقوبة الله لهم، يعني باب ما جاء من ذكر عظيم العقوبة والعذاب.

ثم يقول وذكر النبي صلي الله عليه وسلم العلة؛ ما العلّة؟هى المضاهاة بخلق الله، أين وقعت المضاهاة؟ وُصف لك الله؛ قال لك:

- الأمر الأول: الله تعالى له الخلق والأمر.

▪ والأمر الثاني: وهو الذي صوَّر جميع المخلوقات.

رب كل شيء ومليكه وهو خالق كل شيء وهوالذي صوَّر المخلوقات، ولما صوَّر المخلوقات جعل فيها الحياة، وهذا هو معنى اسم "الخالق البارئ المصور" فكأنه يقول هذا حق خاص لله.

فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان وبهيمة صار مضاهئًا لخلق الله. فصار ما صوره عذابًا له يوم القيامة،

صار مضاهيًا لخلق الله يعني مقلدًا لخلق الله

وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ. فكان أشد الناس عذابًا، لأن ذنبه من أكبر الذنوب. فإن كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان، فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين وشبهه بخلقه، وصرف له شيئًا من العبادة التي خلق الله الخلق إلا ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه

هو يقول لك هذا انتقال من الأدنى إلى الأعلى؛ إذا كان هذا العذاب كله سيكون علي مَن صوَّر صورة علي مثال ما خلقه الله وضاهى نفسه بالله وقيل له "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي "ويقال له "أحيي ما خلقت "فكيف بمن أصلًا سوى المخلوق برب العالمين؟!.

يعني كأنه يقول هذه الذرائع سدت وحوربت ومنعت وعظِّمت لكيلا تتطور وتصل إلى تسوية المخلوق بالخالق.

فتسوية المخلوق بالخالق بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه، وجعله شريكًا له فيما اختص به تعالى وتقدس، وهو أعظم ذنب عصى الله تعالى به. ولهذا أرسل رسله وأنزل كتبه لبيان هذا الشرك والنهي عنه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى.

فنجى الله تعالى رسله ومن أطاعهم. وأهلك من جهل التوحيد، واستمر على الشرك والتنديد، فما أعظمه من ذنب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، وقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾

استفاد الشارح من هذا النص ليحملك من الأدنى إلى الأعلى، ويقول إذا سمعت هذه النصوص كلها في التصوير – الذي هو مضاهاة في تقليد الصورة – إذا سمعت هذه النصوص كلها فى عذاب مَن يفعل هذا فكيف بعذاب من يشرك بالله؟!.

ثم انتقل إلى الدليل الذى بعده؛ قبل ما انتقل نحن نمر علي الأدلة بشيء من التفصيل.

قرأنا كلام فتح المجيد لكنه اجمل في المناقشة نمر علي الأدلة بشيء من التفصيل.

◄ الدليل الأول.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: " وَمَنْ أَظْلَمُ

ما معني "ومن أظلم"؟ يعنى لا أحد اظلم.

مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً،

هذا أمر تعجيز وتحدي؛ ذرة يعني النملة الصغيرة

أَوْ لْيَخْلُقُوا حَبَّةً،

يعني حبة من الحنطة

أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً"

الشعير مثله نوع من الحبوب.

أخرجاه.

إذن وصف الله تعالي المصوِّر بأنه من أظلم الناس، ما علّة هذا الوصف؟ أن العبد اعتدى على حق الله وما يختصّ به.

ما معنى: "مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي"؟ المقصود هنا أنه يصوِّر كتصوير الله.

فتحداهم الله أنهم لو استطاعوا أن يخلقوا نملة، فهذه النملة التى خلقها الله فيها روح وتتصرف بنفسها، ولها صفات من المشى ومن العقل الذي يسمونه عقل الإدراك بها تدرك المصالح، أو ليخلقوا حبة من الحنطة فيها طعم تؤكل وتزرع وتنبت ومثله الشعير.

والمراد بهذا كله تعجيزهم؛ تارة بتكليفهم خلق صورة حيوان وهو أشد، وتارة بتكليفهم خلق جماد وهو أهون من الأول، ومع ذلك لا قدرة لهم علي ذلك، فإن الله هو المنفرد بذلك لا خالق غيره ولا رب سواه، فانت ترى المصوِّر من الخلق يستطيع أن يرسم شكلًا أو ينحت تمثالًا ولكن لايستطيع أن يجعله حيًا متحركًا عاقلًا مفكرًا، يأكل ويشرب ويعمل كما يعمل خلق الله عز وجل، ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾[٦٥٣].

وأريد هنا بالمناسبة أن أذكر لكم مزلقًا حقيقًا – والله ليس خياليًا — مزلق حقيقي ينزلق فيه من أوتي دقة شديدة على النحن أو رسم ذوات الأوراح؛ وهذا الأمر لايتعرض له كل الناس لكنه موجود يُتعرض له، خلق–تعرضوا له– وهو أنهم بعد أن يبلغوا فى المهارة حد الإتقان وتراهم ينحتون أو يرسمون صورة تطابق الواقع تمامًا بتفاصيلها قد يتملكهم الشيطان ويوهمهم أنهم يستطيعون أن يبثوا فيها الروح، وأنها يمكن أن تتحرك، وأحيانًا يوصلهم إلى أن يريهم إياها تتحرك!، وهذا والله ليس ضربًا من الخيال وإنما واقع وقفنا عليه عند بعض من ابتلى بهذا الأمر.

–واسأل الله عز وجل أن يجعل توبتهم توبة هؤلاء خالصة لوجهه وأن يثبتهم علي الحق، وأن يرد غيرهم ممن ابتلي بما ابتلوا هم به– .

فهذا أمر واقعي والشيطان له طرقه، ولا تستبعد عن نفسك وتقول لا يمكن أن يصل معي في التدرج إلى هذا، وانت فى خارج البلاء لا تكثر الكلام فقط اسأل الله النجاة.

❖ الدليل الثاني.

ننظر للحديث الثانى:

ولهما عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُئُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ".

ما معنى المضاهاة؟ المشابهة.

وهذا الحديث له سبب؛ فقد دخل النبى صلي الله عليه وسلم على عائشة رضى الله عنها وقد سترت، تقول عائشة: " وَقَدْ سَتَرْتُ بِقِرَامٍ لِي عَلَى سَهْوَةٍ لِي فِيهَا تَمَاثِيلُ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَتَكَهُ"

السهوة: تشبه الرف أو الخزانة الصغيرة توضع فيها الأشياء.

[٦٥٣] لقمان:١١

والقرام: هو الستر من الصوف الذى فيه ألوان، فيه تماثيل يعني فيه تصاوير.

ماذا فعل به النبي صلي الله عليه وسلم؟ هتكه أي قطعه وأزاله.

يعنى ماذا فعلت عائشة رضي الله عنها؟ غطت هذا –كأني نعبر عنه –الدولاب الصغير بقرام – بقطعة من الصوف فيها تماثيل فيها تصاوير– لما رآها النبي صلي الله عليه وسلم هتكه، وتلوَّن وجه وقال ياعائشة: "أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُئُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ "، إذن التصوير حُرِّم بهذه الأدلة العظيمة الواضحة التى تدل على الوعيد الشديد للمصورين.

❖ الدليل الثالث.

ولهما عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، ..".

وهذا الدليل بالذات أكثر الأدلة تخويفًا؛ لماذا؟ لأن "كل" من ألفاظ العموم ، و"مصوِّر" نكرة، فيصح على ذلك أن يكون هذا العقاب لكل من صحَّ عليه الاسم لكل مصوِّر.

ماذا صوَّر؟ اتضح فى الشق الثانى فى الحديث – "يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذِّبُ بِها فِي جَهَنَّمَ ".

"نَفْسٌ": يعنى لابد يكون صوَّر أو نحت أو رسم صورة فيها نفس؛ لأن العقوبة من جنس العمل، يُعذّب المصوِّر بما صنعت يداه، تُحضر جميعًا الصور التى صورها فى الدنيا فيجعل في كل صورة منها روح ثم تسلط عليه بالعذاب في النار.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَقَالَ: "إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّوَرَ فَأَفْتِنِي فِيهَا ؟".

وفى رواية: " نَّمَا مَعِيشَتِي مِنْ صَنْعَةِ يَدِي"

فَقَالَ لَهُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ". وقَالَ ابن عباس : إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَاصْنَعْ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ .

وهذا الحديث بكلام ابن عباس ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم.

لما تقرأ فى شرح هذه الحديث تفهم أن الذي دفع هذا السائل إلى صناعة الصور هو قصد التكسب المادى لكنه يجهل الحكم الشرعي، لهذا لما اخبره ابن عباس بالتحريم – ورد فى بعض الروايات – أنه كاد أن يموت خوفًا، ويقولون: "ربا ربوة شديدة"، ربوة يعني هو النفس العالي، يعني كأنه هناك تواتر نفس وراء بعضه بشدة خشية من الله، وهذا الفارق بين أهل زماننا وأهل زمانهم؛ فخشية الله أخذت منهم كل مأخذ لكن اليوم القوم إلا من رحم ربي يجادلون مجادلة عظيمة.

تبيَّن من كلام ابن عباس أن كل مصوِّر فى النار إذا صوَّر نفسًا لأنه قال له: "إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَاصْنَعْ الشَّجَرَ وَمَا لَا نَفْسَ لَهُ" وهذا الفهم نحن عليه، يعني نحن على فهم السلف أذِن له بأن يصور ما لا نفس له ، صورة لا نفس فيها.

شرحنا الحديث الثالث.

❖ الدليل الرابع.

بقي علينا الحديث الرابع:

ولهما عنه مرفوعًا: "مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ".

إذن ما الفعل الذي فعله؟ أنه صوَّر صورة فى الدنيا.

ما الوعيد؟ أنه يُكلف ما لا يطيق وهو نفخ الروح في الصورة التي صورها، طبعًا لا يمكنه ذلك فيكون معذبًا دائمًا بما كان فى الدنيا يراه راحة له، يراه راحة أي يراه إما تكسبًا إما ابداع صنعة وإما ارضاء صاحب، لأن كلمات الثناء تغر مثل هؤلاء والمردود المادى أيضًا يغر هؤلاء.

فى الحديث دليل على طول تعذيب المصورين وإظهار عجزهم.

الآن الحديث الرابع والثالث فيهما دلالة خطيرة تجعلك دائمًا على حذر من التصوير ومن كل ما تحت اسمه.

- **في الحديث الثالث: " كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ":**
  - "كل" من ألفاظ العموم.
  - و"مصوِّر" نكرة دلت علي العموم دلت بدليلين علي العموم.
- **أيضًا انظر هنا فى الحديث الرابع: "مَنْ صَوَّرَ صُورَةً":**
  - "من":أداة شرط.
  - "صوَّر": فعل الشرط.
  - و"صورة": نكرة، وأنت تعلم أن النكرة فى سياق الشرط تفيد العموم.

فمعني قوله:"مَنْ صَوَّرَ صُورَةً" يعم جميع الصور وباقي القيد يدلك علي جميع الصور التي فيها ذوات أرواح.

فهذا هو الذي يخيفنا؛ يعني جميع الصور سواء إن كانت مجسمة أو مرسومة أو ملتقطة بالآلة كلها تدخل تحت " كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ"، وكلها تدخل تحت "مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا"؛ فالمسألة ليست هينه كما استهان بها الناس فهذه أربعة أحاديث صحيحة وردت في البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد، وها هما حديثان يدلان على العموم:

" كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ"

"مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ".

كل هذه أدلة تدل على عموم التصوير، يعني كل من فعل فعل التصوير لذوات الأرواح يدخل فى الحديث – هذا والله اعلم –.

الدليل الخامس.

ننتقل إلى حديث أبو الهياج:

قال المصنف رحمه الله تعالي :

ولمسلم عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ قَالَ: "قَالَ لِي عَلِيٌّ: " أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ ".

الشرح:

قوله: "ولمسلم عن أبي الهياج" الأسدي . حيان بن حصين .

قال: "قال لي علي " رضي الله عنه هو أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه.

قوله: " أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ ".

فيه تصريح بأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عليًا لذلك:

أما الصور فلمضاهاتها لخلق الله.

وأما تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها.

هذا الحديث على كل حال مر معكم سابقًا في الأبواب التي فيها التحذير من عبادة الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؛ "ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده".

الحديث عبارة عن وصية من عليّ رضى الله عنه لأبى الهياج، وفيها تضمين ما بعث النبى صلي الله عليه وسلم به عليّ رضى الله عنه.

⇦ يعنى النبى بعث عليّ.

⇦ وعليّ الآن يبعث أبو الهياج.

بعثه على ماذا؟ النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث الصحابة لأمرين:

- لطمس الصور.
- وتسوية القبور، وتسوية القبور يعني تسويتها بالأرض ماتكون مرفوعة خشية أن يفتتن بها الناس الذين قد يتعلقون بالموتى.

وهذا للأسف اليوم كثير، وتري ناس كثير عكس امر النبي صلي الله عليه وسلم فصاروا لا يكتفون برفع القبور بل صاروا يبنون عليها القبب ويزينونها بالزينة، وقد يطيبونها بأحسن الأطايب، ويضعون لها سدنة، ويسمون هؤلاء السدنه أدلاء!، والحقيقه أنهم أدلاء يدلون الناس علي الشرك بالله، تجد صناديق للنذور، تجد نذر الشموع، ونذر الأنوار، وهذا كله معلوم أنه من الشرك الأكبر، وترى عجبًا جمع التصوير مع القبور فيه أكبر الدلالة على العلاقة بين التصوير وبين القبور، وإن شاء الله نناقشها بعد أن نكمل كلام الشارح.

وأما تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله. فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته.

فصرف الهمم إلى هذا؛ "هذا" عائد على ماذا؟ صرف الهمم لأي شيء؟ صرف الهمم لمنعها، صرف الهمم لتسوية القبور بالأرض، وصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته.

يعنى هذا من المنكرات التى لابد من إزالتها، يخصص أشخاص لمثل هذا الفعل، تبذل جهود وترسل رسائل لإقامة هذه الشعيرة المهمة وهى تسوية القبور.

ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور، وعظمت الفتنة بأرباب القبور، وصارت محطًا لرحال العابدين المعظمين لها. فصرفوا لها جل العبادة: من الدعاء والاستعانة والاستغاثة، والتضرع لها، والذبح لها، والنذور، وغير ذلك من كل شرك محرم محظور.

لما وقع التساهل في هذان الأمران: [ارتفاع القبور والتصوير] سهلت مسألة الشرك وتعظيم غير الله.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما أمر به وما نهى عنه وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم. رأى أحدهما مضادًا للآخر، مناقضًا له بحيث لا يجتمعان أبدًا .

كأننا نسير فى طريق عكس سنة النبى صلى الله عليه وسلم؛ كل ما عظّمه وأحبه في نفوسنا إما عدم التعظيم أو ضعف للتعظيم، إما كراهية أو عدم المحبة.

وبالعكس؛ كل ما حرّم ودعا لتركه واستقبحه ترى الناس يفعلونه ويستجملونه ويعاتبونك إذا لم تشاركهم الرضا عن مثل هذا!.

فنهي رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها وإليها.

ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله. ونهى عن إيقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها

معنى يوقفون الوقوف أي أنهم يدفعون الأموال للوقف، وهذا كله قلب للحقائق، سيذكر أمثله كثيره على ذلك

ونهى عن أن تتخذ عيدًا، وهؤلاء يتخذونها أعيادًا ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعاتهم للعيد أو أكثر

المقصود عيد القبور؛ نُهى أن تتخذ أعيادًا ومناسكًا يرتب لها الزيارة فى أوقات محددة وهم بالعكس يجتمعون عندها كإجتماعهم للعيد وأكثر!، وبالملايين يزورون السيد البدوى فى وقت المولد.

وامر بتسويتها، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي. فذكر حديث الباب. وحديث تمامة بن شفي وهو عند مسلم أيضًا قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودِس، فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسوى، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب.

ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه. كما روى مسلم في صحيحه عن جابر قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه، وأن يبني عليه.

ونهى عن الكتابة عليها، كما روى أبو داود في سننه.عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نهى عن تجصيص القبور، وأن يكتب عليها " قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره، ونهى أن يزاد عليها غير ترابها. كما روى أبو داود عن جابر أيضًا نهى أن يجصص القبر، أو يكتب عليه، أو يزاد عليه وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والأحجار والجص.

كل هذا من أجل أن يتميز، وإذا تميز وبرز فتح باب التعلق والتبرُّك والطلب من هذه القبور.

قال ابراهيم النخعي: كانوا يكرهون الآجر على قبورهم

والمقصود: أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها أعيادًا، الموقدين عليها السرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم محادون لما جاء به، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها. وهو من الكبائر

لماذا إيقاد السرج من الكبائر؟ لأنه هذه الإنارة – لاحظ– أن هذه الإنارة الليلة أمر نادر الوجود بالنسبة لحال الماضي، فلما يؤتى إلى مكان وينار ليلًا فى قرية مظلمة أو في أكبر من قرية ماذا سيكون الناتج؟ سيبرز المكان ويكون له مكانة ويسهل الاجتماع والاحتفال، فكل الأسباب والوسائل والذرائع للشرك حوربت محاربة عظيمة حتي إيقاد السرج قطع وأصبح من الكبائر.

وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه.قال أبو محمد المقدِّسي: ولو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله.ولأن فيه تضييعا للمال في غير فائدة، وإفراطًا في تعظيم القبور، أشبه تعظيم الأصنام

قال: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر ما صنعوا " متفق عليه

ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها. انتهى.

هنا الشاهد بعلاقة تسوية القبور بالتصوير:

وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها.

فما العلاقة بين تسوية القبور وطمس الصور؟ لأن الصور وتصوير الصور ورفع القبور يؤديان إلى نتيجة واحدة وهى تعظيم المصوَّر أو المقبور وعبادته.

يعني إذا صُوِّر عُظِّم وإذا رفع قبره عُظِّم، أصبحت العلاقة قوية بين التصوير وبين تسوية القبور؛ لماذا؟ لأن التصوير ورفع القبور يؤديان إلى تعظيم غير الله.

فكأن فى حديث ابى الهياج جمعت أسباب الشرك ودفعت: وهو التصوير ورفع القبور.

وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين أن شرعوا للقبور حجًا. ووضعوا لها مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا وسماه مناسك حج المشاهد مضاهاة منه القبور بالبيت الحرام،

وإذا أردت أن تعرف هذه الحقيقة اكتب فى أى محرك بحث: "قبر هود" تجد أنهم قد ألفوا كتبًا تصف لك كيف يحج إلى قبر هود!، ماذا يفعل فى اليوم العاشر والحادي عشر والثاني عشر إلى الخامس عشر!!، خمسة أيام من شهر شعبان الظاهر يعبدون فيها غير الله ويحجون إلى المشاهد.

وهؤلاء أنفسهم – يعني فاعلين هذا الفعل – يأتوك فى الإعلام ويرفعون أصواتهم بطلب النصرة من الله!، فواعجبًا!! كيف يساء الظن بالله ويظن أن قوم يعرفون ربهم فيطلبون غيره ثم ينصرهم!، هذا من سوء الظن، لا يمكن أن يطلب من عند الله بمعصية الله ولا يمكن أن يساوى المطيع بالعاصى.

ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام، فانظروا إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصده، من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه وقصدوه، ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز عن حصره.

فمنها: تعظيمها الموقع في الافتتان بها. ومنها: اتخاذها أعيادًا. ومنها السفر إليها. ومنها: مشابهة عباد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها وسدانتها، وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، والويل لقيِّمها ليلة يطفىء القنديل المعلق عليها.

قيِّمها: الذي يقوم عليها الويل له لو اطفأ القنديل فى يوم من الأيام

ومنها النذر لها ، ولسدنتها

الشيخ صاحب الفتح أطال في الكلام حول هذا الجزء فى مسألة القبور لأن هذه فرصة يتكلم فيها عن هذه المسألة بسبب الحديث، وهو أمر كان يعاصره الشيخ، فقد أتى الشيخ صاحب كتاب فتح المجيد أتى أيام الفتن عظيمه فتنة سيطرة أهل الشرك

علي أهل الإسلام، وقد كانت مصر وشمال أفريقيا وبلاد الترك كلها وبلاد الشام وبلاد العراق كلها تحت حكم الصوفية الضُّلال، كان الشرك هو الراية المرفوعة، فسبحان الله من دلَّهم على التوحيد وهداهم وسبحان الله من دلّنا على التوحيد وهدانا، لولا أن هدانا ما كنا لنهتدي.

فأطال النفس في الكلام عن هذه المسألة رغبة فى إيضاحها خصوصًا أن البلوي عمّت في ذلك الزمان وأن السنة كان صوتها خامد.

ومنها: اعتقاد المشركين فيها أن بها يكشف البلاء وينصر على الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتقضي الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف إلى غير ذلك. ومنها: الدخول في لعنة الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها وإيقاد السرج عليها. ومنها: الشرك الأكبر الذي يفعل عندها.

ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم. فإنهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم، ويكرهونه غاية الكراهية، كما أن المسيح عليه السلام يكره ما يفعله النصارى عند قبره، وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم. ويوم القيامة يتبرأون منهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ قال الله تعالى للمشركين: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ الآية، وقال تعالى: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾.

ومنها: إماتة السنن وإحياء البدع.

ومنها تفصيلها على خير البقاع وأحبها إلى الله، فإن عباد القبور يقصدونها مع التعظيم والإحترام والخشوع ورقة القلب، والعكوف بالهمة على الموتى بما لا يفعلونه في المساجد ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريبًا منه.

ومنها: أن الذي شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والإستغفار له. وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسنًا إلى نفسه وإلى الميت. فقلب هؤلاء المشركون الأمر وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤالهم حوائجهم، واستنزال البركة منه، ونصره لهم على الأعداء. ونحو ذلك.

هذا العكس الآن؛ وهذا يدلك على أن إذا لم تبنى النفس وتكون قاعدة القيم التي تغرس في نفس المتربي تعظيم الله وحده والتعلق به وحده فمهما علمّته بعد ذلك من شعائر الدين ولم تغرس هذه القاعدة سيقلب عليك كل ما علمته!.

نحن نبني الآن المتربي ونغرس فيه قيم الدين وشرائعه لابد أن يكون الغرس هرميًا، والغرس الهرمي له قاعدة وله رأس.

⇦ فأما قاعدة هرم القيم المغروسة في نفس المتربي أيًّا كان شخصيته وطباعه وهو تعظيم الله والتعلق به وحده.

⇦ الناتج الأخير المنتظر –يعني القاعدة للهرم هو التعلق بالله والتعظيم لله وحده– والنتيجة الأخيرة التي تريدها بعد أن تغرس القيم وتعلمه الشرائع التقوى، لكن التقوى من غير تعظيم وتعلق قلب.

يعني انت تنبهه أن زيارة القبور مثلًا تذكرك بالآخرة، فتنقلب القضية زيارة القبور تصبح تعلق بغير الله وشرك، فكأننا نقول ما الذي يجعل الناس يجعلون الشريعه تبعدهم من القربى؟! لماذا إماتة السنن وإحياء البدع؟! لماذا لما يستقيم يكونوا هذا حالهم؟! لأن قاعدة الهرم تكاد تكون مفقودة من التعظيم والتعلق.

فصاروا مسيئين إلى أنفسهم وإلى الميت.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى الرجال عن زيادة القبور سدًا للذريعة فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه، ونهاهم أن يقولوا هجرًا، ومن أعظم الهجر: الشرك عندها قولًا وفعلًا.

يعنى لما تمكن التوحيد، وهذه القاعدة التى ينبغي أن تُبني؛ التوحيد: التعلق والتعظيم لله.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " زوروا القبور، فإنها تذكر الموت " وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه فقال:" السلام عليكم يأهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر " رواه أحمد والترمذي وحسنه.

فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته، وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئًا مما يعتمده أهل الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟ وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمه الله: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ونقص إيمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك.

ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر

يقصد الداخل إلى الحرم المدني يستقبل قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليسلم عليه، فبعد أن يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويريد أن يدعو فيستدير؛ لماذا؟ استقبالًا للقبلة ودفعًا لذريعة الشرك؛ لأنه لو استقبل القبر كأنه يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم دعا ونص على ذلك الأئمة الأربعة: أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر، فإن الدعاء عبادة. وفي الترمذي وغيره: الدعاء هو العبادة فجرد السلف العبادة لله ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، من الدعاء لأصحابها والإستغفار لهم والترحم عليهم. وأخرج أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم " وإسناده جيد ورواته ثقات مشاهير.

وقوله: لا تجعلوا بيوتكم قبورًا أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور فأمر بتحري النافلة في البيوت ونهى عن تحرير النافلة عند القبور، وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى وأشباههم.

ثم إن في تعظيم القبور واتخاذها أعيادًا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله ما يغضب الله لأجله كل من في قلبه وقار الله وغيرة على التوحيد وتهجين وتقبيح للشرك، ولكن ما لجرح بميت إيلام.

فمن المفاسد: اتخاذها أعيادًا والصلاة إليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء الدين، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم

متبين لكم أن صاحب فتح المجيد اغتنم الفرصة فى وجود حديث عليّ بن ابي طالب وأمره لأبي الهياج فتكلّم عن القبور؛ يعنى هو بعيد عن التصوير لكنه فى الحديث الذى ورد فى الباب.

فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدًا، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه

يعنى من تعظيمها؛ ما أن تلوح لهم هذه المشاهد من بعيد يقفون بدوابهم ويترجلون بأقدامهم تذللًا وانكسارًا لها وتعظيمًا.

وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم، بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأو أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدييء ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين !!

يعنى يروا نفسهم أحسن ممن صلى في الحرم، يروا مشاهدهم أفضل من الأماكن التى قدسها الله، يروا حجهم خيرًا من الحج إلى البيت الحرام.

فتراهم حول القبر ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الميت ورضوانًا، وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسرانًا. أي والله

فلغير الله . بل الشيطان . ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويسأل من تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي العاهات والبليات،

هذا الكلام كله كأنه يقال لك لاتغتر بحالهم فإذا بكوا وتباكوا فهم يبكون للشيطان وليس للرحمن، وهذاكثير ممن يغروك مع أنهم من أهل البدعة لكن يقول لك دموعهم سائلة وقلوبهم رقيقة وأقل كلمة تؤثر فيهم!، وهذا كله من خداع الشيطان.

ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهًا له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركًا وهدى للعالمين. ثم أخذوا في التقبيل والاستلام. أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام.-زادها الله تشريفًا وتعظيما-

ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنه لم تعفر كذلك بين يديه في السجود

يعنى يقبلون أحجارهم ويقبلون القبور كأنهم يقبلون الحجر الأسود!، ويعفرون روؤسهم في تربة هذا الميت كأنهم يعفرون وجوهم بين يدي الله بل أعظم!.

ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق واستمتعوا بحلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق،

وهذا كله حقيقى،كله أمر حقيقي لازال موجود إلى اليوم أنهم إلى درجة حلق روؤسهم وتقصيرها

وقد يعطى لذلك الوثن القرابين وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنيء بعضهم بعضًا ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجرًا وافرًا وحظا، فإن رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحجة المتخلف إلى البيت الحرام، فيقول: لا ولا بحجك كل عام.

تصوري! يعني معناها واحد يحج إلى البيت الحرام وواحد إلى قبر هود فيلتقيان، فيقول الحاج إلى البيت الحرام أبيعك حجي - يعني الأجر في حجي أهديك إياه - وانت اهدينى أجر حجك إلى هود!!، فماذا يقول الذى حج إلى هود؟ يقول:لا ولا بحجك كل عام!!

يعنى هذه الحجة الواحدة التي حججها إلى قبر هود لا يبادلها الأجر فيها لا بحجة إلى بيت الله الحرام هذا العام ولا حج كل عام من كثر ما أستولى عليهم الشيطان!!.

فواحسرتاه! والله واحسرتاه!!، لو قرأتم مثل هذه الكتب تتقطع قلوبكم من عظم الخلط الذي خلطوه على عوام الناس.

هذا . ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم،

يعنى هو الآن لم يتجاوز الحق والله لم يتجاوز الحق، إنما هذا كله حق الذي ذكره، وأيضًا يقول لك لم يستقصِ كل بدعهم وضلالهم إذ هي فوق ما يخطر بالبال.

إذ هي فوق ما يخطر بالبال، ويدور في الخيار، وهذا مبدأ الأصنام في قوم نوح كما تقدم. وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور، سد الذريعة إلى هذا المحظور. وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه وما يؤول إليه، وأحكم في نهيه عنه وتوعده عليه، وأن الخير والهدى في اتباعه وطاعته، والشر والضلال في معصيته ومخالفته. ا هـ كلامه رحمه الله تعالى

نعم هذا نقلًا عن إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان؛ كلام ابن القيم.

هذا كله نقاش حول القبور؛ ما علاقة القبور بالتصوير؟ تبيَّن لنا فى أول الكلام أن العلاقة واضحة؛ إن خُصصت القبور وعُظم أهلها وصُوروا، أو بالعكس صُوروا ثم عُظموا.

نشرح الحديث:

الحديث واضح الذى مر معنا – حديث أبي الهياج – فى أن عليّ بن ابى طالب رضى الله عنه أمره بهذان الأمران وهم: تسوية القبور وطمس الصور.

فالسؤال الآن كيف يكون طمس الصور؟ طمسها يكون بإتلافها أو بقطع رأسها حتى تصبح مجرد شكل بدون رأس، لأن الصور تتم وتتكامل بالرأس والوجه، ولا تتصور أن طمس الصور يكون بمجرد وضع خط على الرقبة! هذا ليس طمسًا إنما يصبح هذا مثل الطوق، **الطمس أن تزيل الرأس أما بقطعها وإما بتلطيخها وإخفائها تمامًا.**

نبحث مباحث أخرى:

نبدأ أولًا بحالات إقتناء الصور.

عندي حالات محرمة وعندي حالات مستثناة من التحريم، سأشرح حالات إقتناء الصور مبنية على ما سنختاره فى حكم التصوير الفوتوغرافى.

كما سبق لنا الخلاف الشديد لكن سنعتمد على القاعدة الشرعية الواضحة التى سبق أن ذكرناها في ثنايا الكلام وهي: "إِنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُوْرٌ مُشْتَبِهَات لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاس، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِيْنِهِ وعِرْضِه، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيْه. أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىً. أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ".

هذا الدليل يبيِّن لك أن مسألة فيها هذه الألفاظ من العموم ومسألة فيها أخطار الإستبراء للدين والعرض تركها وعدم الدخول فيها وعدم الإستهانة بها، وإذا كانت عمت البلوى فى أمور كثيرة هذا لا يسوِّغ لك الدخول في هذا الباب والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الآن عندي مشكلتين:

- المشكلة الأولى: أني أنا بنفسي أقع في هذا الأمر.
- والمشكلة الثانية: أني لا أمر بالمعروف ولا أنهى عن المنكر.

سئل فضيلة الشيخ العلامة صالح الفوزان –حفظه الله– هذا السؤال عن حكم التصوير قال:

ما حكم التصوير من جوال الكاميرا حيث يقول بعض الأشخاص بأنه مجرد حبس الظل وليس في ذلك أي شيء من التحريم؛ فما حكم ذلك.

فأجاب حفظه الله:

التصوير بعمومه حرام وملعون المصور وهو أشد الناس عذابًا يوم القيامة، فالرسول صلى الله عليه وسلم حرّم التصوير مطلقًا بأي وسيلة ولا أدلة على الاستثناء، إلا أن العلماء المحققين استثنوا حالة الضرورة؛ إذا احتاج الإنسان التصوير للضرورة فيباح ذلك من أجل الضرورة لقوله تعالى ﴿وقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إلَيْهِ﴾، أما التصوير للهواية والتصوير للفن فهو حرام ولا يجوز إلا للضرورة فقط.

انتهت فتواه

سنقول التصوير الفوتوغرافي أن لم يكن من الحرام البيّن فهولا يخرج عن دائرة المشتبهات التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم باجتنابها والحتياط عنها والامتناع عنها وفي هذا سلامة لدين العبد: "دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَالا يَرِيبُكَ".

فإذا تساهل العبد في الوقوع في المشتبهات فقد يجره ذلك إلى الوقوع فى المحرمات الواضحة، هذا ما يريح النفس أن نتكلم بهذا الحق، ثم أنت قدِّر مكانك ولاحظ سلطانك واعلم أن القدوات لا تصلح أن تكون جارية وراء السفاهات، **والمستقيم عبد كُلِّف في مثل هذا الزمن بما لم يُكلف به غيره فأنت في أعين الناس قدوة، ملاحظ التصرف، يسيرون خلفك وإن لم يسألوك، يستشهدون بفعلك وإن لم يستأذنوك، فاتق الله وأبعد عن كل ما يسبب الفتنة لك ولغيرك.**

يأتي بناءًا على ذلك إلى مسألة الاقتناء –اقتناء الصور– فى حديث ابو الهياج تبيَّن لك أن الاقتناء ممنوع ليس مجرد التصوير أيضًا الاقتناء؛ لأن عليّ ابن ابي طالب أمر أبى الهياج بما أمره به النبي عليه الصلاة والسلام من طمس الصور، فهناك حالات لإقتناء الصور محرمة وهناك حالات للضرورة يكون جائزًا.

حالات الصور المحرمة.

- **نقول أولًا من الحالات المحرمة:** أن يقتنيها لتعظيم المصوَّر لكونه ذا سلطان أو جاه أو علم أو عبادة أو أبوة أو نحو ذلك وهذا محرم بلا شك
- **الحالة الثانية:** اقتناء الصور للتمتع بالنظر إليها أو التلذذ بها وهذا كثيرًا ما يحصل عند الشباب يقتنى صورًا للاستمتاع بها وهذا طبعًا محرم لما فيه من حكم التصوير مع حكم الفتنة.

- **الحالة الثالثة:** أن يقتنيها للذكرى يعنى حنانًا أو تلطفًا، وهذا غالبًا يكون في تصوير الصغار، يصوروا الصغار من أجل أن يذكرونهم بحال تقدم العمر، هذه أيضًا محرمة لأنه لا مصلحة ولا حاجة.
- **الحالة الرابعة:** أن يقتنى الصور لا رغبة فيها إطلاقًا لكنها تأتى تبعًا لغيرها، مثل ما تجد في المجلات والصحف والبحوث العلمية تجد صورًا؛ فصاحبها – مقتني الكتاب أو مقتني الجريدة- لا يقصد الصورة، فالحكم هنا الظاهر أنه لا بأس لأن الصور فيها غير مقصودة، لكن إذا أمكن طمسها بلا حرجٍ ولا مشقة فهو أولى.
- **الحالة الخامسة:** أن يُلجأ إلى اقتنائها إلجاءًا كالصور التي تكون في بطاقة إثبات الشخصية وفى الأموال الدراهم فهذا إن شاء الله لا إثم فيه لعدم إمكان التحرز.

بهذا يكون تبيَّن لنا حالات اقتناء الصور؛ مررنا على الخمسة حالات المحرمة واضحة.

المستثناة: إما أن تكون تبعًا أو يلجأ إليها إلجاءًا،أما غير ذلك فعليك بالتخلص منها كما أمر عليّ رضي الله عنه أبى الهياج.

نكون بذلك الحمدلله انتهينا من باب ما جاء في المصورين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

باب ما جاء في كثرة الحلف؛ نبدأ أولًا بقراءة المتن.

باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: (وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ)[٦٥٤]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ". أخرجاه.

وَعَنْ سَلْمَانَ؛ أَنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ بِضَاعَتَهُ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ". رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ؛ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ – قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - ثُمَّ إِنّ بَعْدَكُم قَوْما يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ؛ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ؛ وَيُنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ".

وفيه عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنّ النبيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ"

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: "وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ". انتهى

ما علاقة هذا الباب بالتوحيد؟ أن من صفات المؤمن البارزة تعظيم الله؛ فإذا ابتدأ عملًا ذكر الله، وإذا أراد أن يعظِّم أمرًا حلف بالله، لكن هو مكثر للذكر مقلل للحلف خاصة إذا كان الأمر متعلق بشئ من أمور الدنيا، لأن الأدب مع الله صاحبه لابد أن يكون من تعظيمه لربه ذاكرًا له فى المواطن اللائقة بالذكر، يذكره معظمًا لايذكره مستهينًا ولامستهترًا، **فمن تعظيم الله ترك كثرة الحلف.**

نقرأ كلام الشارح.

قال المصنف – رحمه الله –:

باب ما جاء في كثرة الحلف.

أي: من النهي عنه والوعيد

باب ما جاء من كثرة الحلف يعني الذى يكثر الحلف المتصور أنه لابد أن يأثم لأنه يحنث، الذي يكثر الحلف لابد أن يكثر الوقوع في الحنث فيفعل شيئًا حلف على أن لايفعله وهذا أثم، وكثرة الحلف تدل غالبًا على الذى يحلف ويكثر من ذلك لم يقدر الله حق قدره ولم يعظمه حق تعظيمه، لذلك أتت النصوص فيها نهى ووعيد وتُبيِّن أن من أكثر الحلف ولم يعظِّم الله فهذا يترتب عليه سخط الله وعذابه.

[٦٥٤] المائدة:٨٩

الدليل الأول.

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

وقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾[٦٥٥]

قال ابن جرير لا تتركوها بغير تكفير. وذكر غيره من المفسرين عن ابن عباس يريد لا تحلفوا. وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا. والمصنف أراد من الآية المعنى الذي ذكره ابن عباس، فإن القولين متلازمان، فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من الإستخفاف، وعدم التعظيم لله وغير ذلك مما ينافى كمال التوحيد الواجب أو عدمه.

يعنى هذا لوازم كثرة الحلف؛ من أجل ذلك دخل موضوع الحلف في التوحيد، ماذا يلزم من كثرة الحلف؟ يدل على الاستخفاف ويدل على عدم التعظيم لله عز وجل.

وغير ذلك مما ينافى كمال التوحيد الواجب أو عدمه

إما ينافي كمال التوحيد الواجب أو يعدم التوحيد؛ بسبب ماذا؟ عدم التعظيم لله عز وجل.

إذن هذه الآية ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ اختلف المفسرين فيها على قولين وكلاهما حق لأن أحدهما ملازم للآخر:

القول الأول في معنى قوله ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾: أي "لاتحلفوا"، وهذا يروى عن ابن عباس لأنه بعدم الحلف يُحفظ اليمين ولايقع الإنسان في الإثم والمخالفة.

القول الثاني في ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾: أي "لا تتركوها بلا تكفير"، بمعنى إذا حلفتم ووقعتم في الحلف لابد أن تُكفِّروا والكفارة نوع من أنواع التعظيم؛ لأن الله عنده عظيم فإذا حلف به وخالف لا يستهين بل يرى أن الأمر يستحق الكفارة، فإن الله عز وجل شرع الكفارة في ذلك ولا سيما في الأمور التي تبيَّن للإنسان أن فعلها أو تركها أفضل، بمعنى أن الإنسان إذا حلف على شيء ثم تبيَّن له أن فعله أفضل فإن الأولى والأحسن له أن يكفِّر عن يمينه ويفعله.

الدليل الثاني.

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ " . أخرجاه.

أي البخاري ومسلم. وأخرجه أبو داود والنسائي.

المصنف قال: "أخرجاه" المقصود البخاري ومسلم، الشارح أضاف لك أنه أيضًا أخرجاه أبو داود والنسائي

والمعنى: أنه إذا حلف على سلعته أنه أعطى فيها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يظنه المشتري صادقًا فيما حلف عليه فيأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع كذاب وحلف طمعًا في الزيادة فيكون قد عصى الله تعالى، فيعاقب بمحق البركة، فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسب حلفه

[٦٥٥] المائدة:٨٩

هذا الحديث فيه كلمتان: " الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ " وانظر إلى كلام من أعطي جوامع الكلم فى رواية: "مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ " – وفي رواية "مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ"

والمقصود أن الإنسان إذا حلف على سلعته سواء كان بائع أو مشتري– قد يحلف لأجل أن يصل إلى قيمة أعلى– لكن هذا سيكون نتيجته محق البركة.

والمحق: هو المحو والإزالة والإبادة والإذهاب.

يعني صحيح أنها منفقة للسلعة تباع لكنها ممحقة للكسب فتذهب البركة، فإذا زالت البركة فلا خير فيها لا في عينها ولا في الإنتفاع بالمال المكتسب من ورائها.

وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأسا، وما عند الله لاينال إلابطاعته

هذا من حسن ظنك بالله؛ أن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، فلا تعصيه وتنتظر منه أن يبارك لك فيما حلفت عليه، أنت صحيح في النظرة الأولى سيكون حلفك سببًا لأن تنفق عند الناس ويرغبون فيها ويشترونها لكن سيكون ذلك محقًا للكسب، فكسبك الذي ستتحصّل عليه لن تجد فيه بركة، وإذا مُحق الكسب فلا خير فيه، فإن أكل منه لم يبارك له فيه ولم ينتفع به، وإن شرب منه لم يبارك له فيه ولم ينتفع به، وإن أنفق منه لم يبارك فيه، بل ربما لايُصرف هذا إلا على موته أو مرضه أو مرض أبنائه أو على حوادثٍ اتلفت له ماله، فمَن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه .

وإن تزخرفت الدنيا لعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب وعقاب.

الدليل الثالث.

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

وَعَنْ سَلْمَانَ؛ أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ بِضَاعَتَهُ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ ".رواه الطبراني بسند صحيح.

لاحظ أنه لما نتكلم عن الحلف وكثرته لا نقصد أن الرجل كاذب، هو صادق، مقصود هنا كثرة الحلف على الشئ وهو صادق، فلماذا هذا ينقص كمال التوحيد؟ سنقول أن الدنيا كلها ينبغى ألّا يهتم بها المسلم اهتمامًا بحيث أنه يذكر اسم الله دائمًا عليها، ويستعمل اسم الله لجلب المنفعة والمصلحة، لأن استعمال اسم الله العظيم على الأشياء التافهة يدل على رغبتك فيها والتعلق بها وعلى المسلم أن تكون رغبته وتعلقه بالآخرة أكثر، أما فى الدنيا لا بد أن تعتقد أن مهمتك هنا هو النجاح فى اختبار الله لك، فلا تخالف أوامره ولا ترتكب نواهيه.

ومن جهة أخرى أمرت أن تحب لأخيك ما تحبه لنفسك فلا تستعمل الحلف وسيلة من وسائل الضغط التى بها تنفق سلعتك، فالمهم أن يكون دين الإنسان رأس ماله، دين الإنسان لحمك ودمك، فلا تُقدم على شئ يدل على رغبتك فى الدنيا وعلى عدم توقيرك لله.

وسلمان – لعله ـ سلمان الفارسي – أبو عبدالله، أسلم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وشهد الخندق وروى عنه أبو عثمان النهدي وشرحبيل بن السمط وغيرهما. قال النبي صلى الله عليه وسلم: سلمان منا أهل البيت، إن الله يحب من أصحابي أربعة: عليًا وأبا ذر، وسلمان والمقداد".

أخرجه الترمذي وابن ماجه قال الحسن: كان سلمان أميرًا على ثلاثين ألفًا يخطب بهم في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها، توفي في خلافة عثمان رضي اله عنه قال أبو عبيدة سنة ست وثلاثين عن ثلاثمائة وخمسين سنة.

ويحتمل أنه سلمان بن عامربن أوس الضبي.

قوله: " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ " نفيُ كلام الرب تعالى وتقدس عن هؤلاء العصاة دليل على أنه يكلم من أطاعه وأن الكلام صفة من صفات كماله

دليل على أنه نوع من العقوبة، ترك الكلام مع هؤلاء يدل على أمرين:

- أولًا على صفة الكلام.
- وعلى أن ترك الكلام عقوبة.

إذن كلام الله مع العباد نوع من أنواع الثواب.

والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه.

أظهر شيء وأبينه أدلة صفة الكلام لله عز وجل

وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة والمحققين: قيام الأفعال بالله سبحانه، وأن الفعل يقع بمشيئته تعالى وقدرته شيئًا فشيئًا ولم يزل متصفًا به.

هؤلاء بعض المعطلة نفى قيام الفعل في الله عز وجل يعني نفى أن الله يفعل، ومن هنا أتى نفيه لصفة الكلام وأن الله يتكلم، والقرآن كله دليل على ضدّه، فالله عز وجل تثبت له أفعال يفعلها متى شاء وكيفما شاء.

فهو حادث الآحاد قديم النوع

يتكلم الآن عن صفة الكلام؛ يقول صفة الكلام من جهة نوعها ذاتية، ومن جهة المرة الواحدة التى تقع فيها فعلية، وهو مبنى على فهمنا أن **صفات الله عز وجل تنقسم إلى:**

- ذاتى
- وفعلي.

▪ فالذاتي: هو الذي لاتنفك عن ذات الله.

▪ والفعلي: هو ما يفعله الله عز وجل وقتما شاء.

فيأتي الكلام يجمع بين النوعين:

- ذاتي يعني أن الله عز وجل متكلم حتى لو لم يكن هنا الآن كلام.
- وفي المرة الواحدة يفعل فعل الكلام فأصبح بذلك فعلي.

ونضرب للناس مثالًا حتى يتبيَّن لك الأمر؛ نقول إذا قارنا السليمي النطق بالأخرس فهذا السليم قادر على الكلام حتى لو ما تكلم، عنده صفة الكلام، موصوف بالكلام ذاتًا حتى لو لم يتكلم إلا مرة واحدة، ولما يتكلم هنا أصبح فعلًا

كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعي وأحمد وسائر الطوائف،

يقصد هذا معتقد أهل السنة والجماعة

كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .فأتى بالحروف الدالة على الإستقبال والأفعال الدالة على الحال والإستقبال أيضًا. وذلك في القرآن كثير.

ماذا يقصد بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾؟ أي في المستقبل، ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فيدل على أن له أفعال فى المستقبل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإذا قالوا لنا – يعني النفاة – فهذا يلزمه أن تكون الحوادث قائمة به، قلنا: ومن أنكر هذا من قبلكم من السلف والأئمة؟! ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل. ولفظ الحوادث مجمل، فقد يراد به الأعراض والنقائص، والله منزه عن ذلك.

ولكن يقوم به ما يشاء من كلامه وأفعاله ونحو ذلك: مما دل عليه الكتاب والسنة. والقول الصحيح: هو قول أهل العلم والحديث الذي يقولون: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء، كما قال ابن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما من أئمة السنة .اه. قلت: ومعنى قيام الحوادث به تعالى: قدرته عليها وإيجاده لها بمشيئته وأمره. والله أعلم.

نترك هذا الجزء أحسن ندرسه في الواسطية في الكلام حول قيام الحوادث.

هذا نقاش المعطلة الذين ينكرون الأفعال بحجة أن إثبات الأفعال لله معناه قيام الحوادث فيه، وهذه فلسفه منهم تحتاج أن يكون عندك قاعدة أولًا في باب الأسماء والصفات متينة لكي نرتب هذا الكلام عليه، أنا أعلم أنكم درستم قواعد في الأسماء والصفات لكن هذا الدرس يسمعه من يشترك معكم في المعرفة ومن لايشترك، فلا بأس لما نصل للواسطية نسأل الله أن يذكرنا أن نعود إلى هذا الموطن.

قوله: "ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم". لم عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم،

فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي من أعظم العقوبات

ما هي هذه الثلاث؟

- أولًا: لايكلمهم.
- ثانيًا: ولا يزكيهم.
- ثالثًا: ولهم عذاب أليم.

نفهم ما المراد بنفي الكلام؟ المراد بنفى الكلام كلام الإكرام، لأن الله إذا كلَّم عبده فهو من النعيم العظيم، لكن أي كلام؟! لو كلمه كلام الإكرام.

أما كلام التوبيخ وكلام العذاب والتهديد فهذا يخاطب الله به أهل النار ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾، فالله عز وجل يكلم من شاء لماذا فعلت كذا؟!، ولماذا لم تفعل كذا؟!، وهذا من باب العذاب، فهؤلاء حُرموا من كلام الإكرام، لكن ليس معناه أنه لا يكلمهم كلام التوبيخ والمحاسبة.

قوله: "أشيمط زان" صغره تحقيرًا له وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقه، فدل على أن الحامل له على الزنا: محبة المعصية والفجور، وعدم خوفه من الله.

يعنى يُظن أن الشاب هو الذى تقوى عليه شهوته فيقع فى الزنا والزنا فى حقه محرم، الزنا فى كل الأحوال محرم لكن يعتبر أعظم تحريمًا متى؟ إذا أتى ممن ضعف داعى المعصية فى قلبه.

"**الأشيمط**" المقصود به الرجل كبير السن.

ما الذى حمله على الوقوع فى الزنا؟ انعدام الخوف من الله وحب الفجور.

وهذه أحد البلايا العظيمة التي في الغالب يُختم للعبد بها؛ أنه يُبتلى بأمر من الأمور أمر محرم يكون محبوبًا له؛ النظر إلى المحرمات، القيام بأفعال محرمة، ففى شبابه لما لا يجاهد هذه الحال تلح عليه فى كبره، يعنى يقل الداعي لكن تعلو الوسوسة وإلحاح الفكرة تعلو عنده، لا يرتاح إلا عندما ينفذ هذا المحرم، مع أنه لايجد لذةً في القيام به لكن يفعله تحت ضغط تكرار الصور عليه ، فهو دائم التفكير فى مثل هذه المنكرات والمنهيات التى لم يثبت فى مجاهدتها فى شبابه.

وضعف الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه،

هذه قاعدة؛

ضعف الداعي مع القيام بالفعل يوجب تغليظ العقوبة عليه

بخلاف الشاب، فإن قوة داعي الشهوة منه قد تغلبه مع خوفه من الله، وقد يرجع على نفسه بالندم، ولومها على المعصية فينتهي ويراجع.

يعني الشاب محرم عليه الزنا لكن الداعى القوى يسبب له يعنى نوع من أنواع تقليل عظم شأن المصيبة، **المعنى أن الزنا محرم في حق الشاب وفي حق الكبير، وفى حق الكبير أعظم تحريمًا.**

وكذا العائل المستكبر ليس له ما يدعوه إلى الكبر، لأن الداعي إلى الكبر في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة. والعائل الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر،

يعنى النفس طبيعتها أنها لما تملك –هذه طبيعة موجودة فى كل النفوس– أنها لما تملك يحصل لها شئ من الخيلاء، شئ من الكبر، إن كنت تقيًا ستجاهد هذا الكبر، ﴿أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ ستجاهد أن تستغني، هذا لو كان عندك شيء، ولو كان ما عندك شيء ووقع في قلبك الكبر وتحقير الناس ستكون المصيبة أعظم، فستجاهد ماذا الآن؟!

يعني أنت لما يكون عندك مال وعندك جاه نقول لك لابد أن تعلم أن هذا المال من عند الله، وأن الله أورثك هذا المال، وأن الله يأخذه إن عصيته، وإذا أردت تثبيته وبركته فاطلب من الله، جميل! إذن وهذا الفقير؟! لا يوافق النفس الإنسانية أن تكون فقيرة ومستكبرة، بل هذا دليل على خبث طويته.

والعائل الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر، فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل على أن الكبر طبيعة له، كامن في قلبه، فعظمت عقوبته لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي،

الذي هو الكبر، أول معصية عُصِيَ الله بها من الشيطان

قوله: "ورجل جعل الله بضاعته "

هذا هو الشاهد الآن.

بنصب الإسم الشريف،

يعني بنصب لفظ الجلالة: "جعل اللهَ"

أي الحلف به، جعله بضاعته لملازمته له وغلبته عليه. وهذه أعمال تدل على أن صاحبها إن كان موحدًا فتوحيده ضعيف وأعماله ضعيفة

سواء الأشيمط أو العائل المستكبر

بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعمله من تلك المعاصي العظيمة على قلة الداعي إليها. نسأل الله السلامة والعافية، ونعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا ولا يرضاه.

المعنى أنه إذا كان هذا مؤمن وتحصل منه هذه الأعمال هذا يدل على ضعف إيمانه، لأن المعظم لربه سيجاهد نفسه، سيبذل كل جهده في طلب ربه، قلة الداعى يجعل الجهاد أيسر، أيسر عليه أن يغض بصره، أيسر عليه أن يكون منكسرًا ذليلًا لربه.

وهنا في مسألة كثرة اليمين – وأنت صادق الآن – صادق أن بضاعتك بهذا السعر، فتكرار اليمين لا داعي له، إنما ابتليت من جهة عدم ثقتك بالله وعدم تعظيمك له.

الدليل الرابع.

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

وفي الصحيح عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ؛ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ – قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا – ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُم قَوْما يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ؛ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ ؛ وَيُنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ".

قوله: وفي الصحيح أي صحيح مسلم. وأخرجه أبو داود والترمذي، ورواه البخاري بلفظ خيركم.

قوله: "خير أمتي قرني" لفضيلة أهل ذلك القرن في العلم والإيمان والأعمال الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفاضل فيها العاملون، فغلب الخير فيها وكثر أهله، وقل الشر فيها وأهله واعتز فيها الإسلام والإيمان، وكثر فيها العلم والعلماء.

"ثم الذين يلونهم" فضلوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم وكثرة الداعي إليه والراغب فيه والقائم به. و ما ظهر فيه من البدع أُنْكِرَ واستعظم وأزيل

يعني هذا كله يذكر الشارح رحمه الله أسباب تفضيل هذه القرون.

كبدعة الخوارج والقدرية والرافضة، فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت فأهلها في غاية الذل والمقت والهوان والقتل فيمن عاند منهم ولم يتب

قوله: "فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا" هذا شك من راوي الحديث عمران بن حصين رضي الله عنه. والمشهور في الروايات: أن القرون المفضلة ثلاثة، الثالث دون الأولين في الفضل، لكثرة البدع فيه، لكن العلماء متوافرون والإسلام فيه ظاهر والجهاد فيه قائم، ثم ذكر ما وقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء في الدين، وكثرة الأهواء.

فقال: ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحريهم للصدق، وذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم.

الشاهد الآن أول صفه تأتي للقرون التي خار فيها الإسلام في نفوس الناس هي أنهم ما سبب ذلك؟ أولًا أين الشهادة؟ الشهادة هي الحلف، وتكون هذه الشهادة في المحاكم أو في القضايا العامة والخاصة.

ومعنى هذا أن الديانة والأمانة والتقوى خفت عندهم، فكثرة الحلف ومسارعتهم للشهادة يدل على قلة مخافتهم لله، وكثرة تعلقهم ورغبتهم فى الدنيا فتجدهم لايتحرون الصدق، إنما يقبلون أن تكون العصبية والدعوة القبلية حَكَمٌ على أحوالهم.

ثم أنهم يذمون من دَعَوه للحلف لصالحهم ولم يستجب لهم، ويصفونه بأقبح الصفات ويجعلونه خائنًا، إلى أخر ما ترى وتسمع من قلة ديانتهم.

قوله: "ويخونون ولا يؤتمنون" يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو أكثرهم.

قوله: "وينذرون ولا يوفون" أي لا يؤدون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم وعدم إيمانهم.

قوله: "ويظهر فيهم السمن" لرغبتهم في الدنيا، ونيل شهواتهم والتنعم بها، وغفلتهم عن الدار الآخرة والعمل لها.

وفي حديث أنس: " لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم "

قال أنس: سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم، فما زال الشر يزيد في الأمة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم

يعني الشر ابتدأ بنقص الأخلاق التى هى ثمرات التوحيد إلى أن بلغ قلب التوحيد.

حتى فيمن ينتسب إلى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف.

يعني كثير ممن ينتسب إلى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف وقع في شر البدع وفي شر الشرك.

انتهى تعليقه على هذا الحديث؛ والشاهد على أنهم "يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ"– يعني يسارعون للحلف – سيظهر تفسير هذا في الحديث الذي بعده.

قلت: بل قد دعوا إلى الشرك والضلال والبدع، وصنفوا في ذلك نظمًا ونثرًا فنعوذ بالله من موجبات غضبه.

الدليل الخامس.

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

وفيه عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النبيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ "

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: "وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ". انتهى

وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ " إلى هنا حديث النبي صلى الله عليه وسلم

ثم "وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ": يقصد النخعي .

قلت: وهذه حال من صرف رغبته إلى الدنيا ونسى المعاد

ما هو حال من وقع منه هذا الأمر؟ من تسبق يمينه شهادته وشهادته يمينه.

فخف أمر الشهادة واليمين عنده تحملًا وأداء

نسي أنه سيحاسب وهو لم يتحقق من الصدق ولم يعظم الأمر ولم يتحقق من الأمر ولم يشرع في قلبه خوف وهذا كله نتيجة صرف رغبته إلى الدنيا ونسيان لقاء الله عز وجل لقلة خوفه من الله وعدم مبالاته بذلك، وهذا هو الغالب على الأكثر – والله المستعان–.

فإذا كان هذا قد وقع في صدر الإسلام الأول فما بعده أكثر بأضعاف فكن من الناس على حذر، كن من الناس على حذر يعنى فقدان التقوى يجعلك انت تفقد الثقة فى من تعامل فكن على حذر.

قوله: "قال إبراهيم . هو النخعي . كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار" وذلك لكثرة علم التابعين، وقوة إيمانهم ومعرفتهم بربهم، وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه من أفضل الجهاد ولا يقوم الدين إلا به. وفي هذا الرغبة في تمرين الصغار على طاعة ربهم ونهيهم عما يضرهم. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

يعني هذا ضدّ الكلام الماضي؛ أن من التربية وتقوية التقوى وبيان أثر عبادة تعظيم الله والتعلق به هو أن تعظِّم في قلوب الأبناء مسأله الشهادة ومسأله الحلف لكي يشعرون بالمسؤولية فلا يتعدون على حق الله عز وجل.

على كل حال لابد أن يكون المربِّي بنفسه قدوة ومثال حي، فلا يمكن غرس قيم ومبادئ والمربِّي يخالفها ولا يمكن أن تُغرس قيم ومبادئ ولا تنبنى على تعظيم الله والتعلق به.

وهذا من أعظم أسباب ما تراه واقعًا في العالم الإسلامي من ضعف أثر التربية؛ لماذا؟ لأن قيم مشتركة بين أهل الإسلام وأهل الكفر، يعني [الإخاء والمسامحة والوفاء والسلام] هذه كلها كلمات كثر الكلام عنها عند أهل الكفر وعند أهل الإسلام، لكن عند أهل الإسلام مبنية على تعظيم الله وعلى التفكير في لقائه، وعند أهل الكفر مبنية على المصالح، فتدور أخلاقهم على دوران مصلحتهم، **فهم يتخلقون تملقًا وأهل الإسلام يتخلقون تعبدًا**.

أسال الله عز وجل أن يطرد عن أهل الإسلام الشر والشيطان الذى تمكن من الوسوسة فى قلوب المستقيمين قبل البعيدين، فترى نفوسًا صافية وعقولًا حسنة لكن تأتي التصرفات في مواقف وخصوصا في العلاقات نجد أنفسنا لا نوفق، نجد أنفسنا نتصرف عكس ما ندعوا إليه، وهذا ما هو إلا بسبب أن الشيطان يصوِّر لنا الحقائق لحظة قرارنا ولحظة تخلقنا يصوِّر لنا الحقائق بالضد والعكس.

فنسأل الله عز وجل أن يغفر لنا ما مضى من أخطاء فى التعامل، وأن يسددنا فيما هو آت..اللهم آمين.

إلى هنا اليوم سنكتفي بهذا القدر، وغدًا إن شاء الله نبدأ بإكمال ما بقي لنا، ربما غدًا نستطيع أن نكمل أربعة أبواب إن شاء الله ويبقى علينا فقط الباب الأخير وهو: "ما قدروا الله حق قدره"، وهذا يحتاج إلى إفراد لقاء خاص إن شاء الله.

جزاكم الله خيرًا؛ نلقاكم على خير حال.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الخامس في هذه الدورة المكثفة، اسأل الله عز وجل أن يجعله لقاءًا مباركًا، سيكون لقاءنا إن شاء الله اليوم في شرح ما تبقى من الأبواب، تقريبًا متبقي لنا خمسة أبواب سنشرح أربعة وإن شاء الله الباب الأخير في لقاء منفصل، ربي ييسر ويبارك في الوقت.

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه.

وقول الله تعالى: (وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا)[٦٥٦].

وَعَنْ بُرَيْدَةَ أَنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، فَقَالَ: " اغْزُوا بِسْمِ اللَّه ، فِي سَبِيلِ اللَّه ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، اغْزُوا وَلا تَغُلُّوا وَلا تَغْدُرُوا وَلا تُمَثِّلُوا ، وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُوهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ أو خِلالٍ ، فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ هُم أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنّهم إِنْ فَعَلُوا ذَلك فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْها فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ تعالى ، وَلا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إلا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمْ الْجِزْيَةَ ، فَإِنْ أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، فَإِنْ هُم أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ ، وَإِذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوا أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، وَلَكِن اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، وَإِذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُم عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لا تَدْرِي هَلْ تُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللَّهِ أَمْ لا ". رواه مسلم.

نحن مر معنا لما بلغنا باب: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ اتفقنا أنه من هذا الجزء إلى أخر الكتاب سيكون دائر حول أسماء الله عز وجل وصفاته وتعظيمه سبحانه وتعالى وما يتعلق بهذا، فباب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه – أولًا نفهم ما معنى ذمة الله وذمة نبيه – ثم نعرف ما علاقته بأسماء الله.

المقصود بالذمة العهد الذي يعطيه الإنسان مثلما يقول عليّ عهد الله أني لا أفعل كذا أو أني أفعل كذا، وهذه العهود في العادة تكون بين الأمم، بين القبائل، بين الجماعات، وليس المقصود على مستوى الأفراد، وإن كان هو موجود على مستوى الأفراد لكن هنا الكلام حول جهاد الكفار والضوابط فيه التي يجب على المجاهد معرفتها، ومن هذا الكلام حول ذمة الله وذمة الرسول.

تكون هناك بين القبائل والجماعات مواثيق وعهود تكتب العهود كتابة، فإذا أعطى عهد الله في مثل هذا فالأمر يكون صعب، **وهنا من خان العهد يكون قد خان الله، ومن يخن الله فقد باء بالسخط والغضب والله لا يترك من أخفر ذمته.**

[٦٥٦] النحل:٩١

إذن ماذا يراد بهذا الباب؟ يراد تعظيم الله وتوقيره وتقديره حق قدره، والابتعاد عن مساخطه، وهذا من أعتقاد كمال صفاته وكمال ربوبيته سبحانه وتعالى، لأن معنى الربّ الملك المتصرف الذي ينفذ أمره في الخلق ويجب أن يكون أمره هو المطاع وأن يقف الإنسان عند الذي منعه ولا يتجاوز فإذا تجرأ الإنسان يوشك أن يؤخذ عاجلًا في الدنيا قبل الآخرة.

ثم إذا الإنسان يعلم هذا – يعلم ربوبية الله وملكه لكل شيء- وأن ما يحصل فيك لا يجوز لك أن تتجرأ على حكمه، فمن آثار إيمانك أنه الرب الملك أن تعلم أن له الأحكام القدرية والأحكام الشرعية والأحكام الجزائية، إذا علمت هذا ثم قدّر أنه وقع بينك وبين غيرك عهود وذمم – واتفقنا أنا الذمة هو العهد الذي يعطيه الإنسان – فعليه أن يبذل ذمته هو فيقول: "أعطيتك ذمتي" – أي عهدي أنا- "ولا أعطيك ذمة الله وذمة الرسول" يعني لا أعطيك عهد الله وعهد الرسول بل تكون ذمتي بيني وبينك، فإذا وقع الخلاف – أي إذا خالفت العهد وإن كان عظيمًا المخالفة؛ يعني مخالفة العهد ولو كان في ذمتك انت ولو كنت أنت تعاهده عظيمة – لكن لازالت في ذمتك، فهذا أسهل من أن يكون وقع خلاف في عهد بينك وبينه وانت عاهدته عهد الله، وهذا المقصود في العهود الجماعية التي تكون في الحروب أو تكون في الصلح أو تكون الآن معاصرًا في المؤتمرات، فالاتفاقات هذه تعتبر عهود، تعتبر ذمم، يعني أنا سأفعل هذا الأمر في ذمتي.

مثلًا الحرب هذه ستكون لها قائد أو هذه الاتفاقية لها مندوب، فالقائد هو من ينفذ هذه الأشياء، فلو أعطى لمن يحاربهم ذمة الله وذمة الرسول ويقول: "بيني وبينك عهد الله أن لا أخالفك" قد يخالف أحد الأفراد من المقاتلين العهد فيكون بذلك قد أخفر ذمة الله وذمة رسوله!، وفعل واحد منهم كفعل الجميع!.

فهذا والله أعلم الذي أريد هنا في الباب، فإذا كان بينك وبين أحد عقد ينبغي أن تعطيه ذمتك لا ذمة الله وذمة الرسول، ثم إذا اعطيته ذمتك عليك الوفاء بالعهد ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ كما في الإسراء، وكما في المائدة ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، والأيمان المقصود بها التي تكون بين الجماعات وبين الأمم يجب الوفاء بها، فإذا حصل النقض سار القتل مباحًا، لأن الخيانة جائت من الناقض.

مثل هذا حصل في صلح الحديبية؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كتب عهدًا بينه وبين الكفار أن الحرب توضع عشر سنوات، لا يكن بينهم قتال، ومن أراد من القبائل أن يدخل في حزب الرسول صلى الله عليه وسلم دخل ومن أراد أن يدخل في حلف قريش دخل، فدخلت خزاعة في حلف النبي صلى الله عليه وسلم وحزبه وأسلم منهم من أسلم، فأعتدهم عليهم قبيلة أبي بكر وكانت محالفة لقريش وأعانهم قريش على ذلك ولما صارت الخيانة ونقض العهد غزاهم النبي صلى الله عليه وسلم وفتح مكة.

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً "، وصورة التحالف أنه كانت تجتمع قبيلتان مثلًا ويعقدوا بينهم حلفًا وعهدًا على التناصر والتعاون على العدو، والإسلام ليس فيه هذا الأمر، الإسلام فيه أن كل الناس على دين واحد وعلى ملة واحدة وعلى طريق واحد وكلهم متعاونين متآخيين متناصرين على الحق مدافعين للباطل، ولهذا قال: "لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ"، لكن إذا وجد الحلف إذا كان هناك قبيلتان متعاونتين الإسلام يزيده شدة، أي يزيده قوة ولا يسمح بنقض العهد.

فهمنا الآن الباب على وجه العموم، نقرأ شرح الشارح على الدليل الأول.

﴿ الدليل الأول.

ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله.

قوله: باب "ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله"

وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

قال العماد بن كثير: وهذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة. ولهذا قال: ﴿وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ ولا تعارض بين هذا وقوله: ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُم﴾ وبين قوله: ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أي لا تتركوها بلا تكفير. وبين قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: " إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ منها وتحللتها" – وفي رواية – "وَكَفَّرْتُ عن يَمِينِي"، لا تعارض بين هذا كله وبين الآية المذكورة هنا وهي قوله: ﴿وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ لأن هذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق، لا الأيمان الواردة على حث أو منع، ولهذا قال مجاهد في هذه الآية: يعني الحلف أي حلف الجاهلية. ويؤيده ما رواه الإمام أحمد عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً "وكذا رواه مسلم،

معنى الآية أن الله عز وجل أمرنا أننا إذا أعطينا غيرنا عهد أن لا ننقض ويجب علينا الوفاء بهذا العهد، وإن كان هذا الذي أعطيناه العهد كافرًا يجب أن نوفيه العهد.

ثم في الآية نفسها نُهي عن نقض هذا العهد: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي جعلتم الله عليكم رقيبًا وشاهدًا فيما فعلتم، وقلتم فيما تعاهدون أن الله جل وعلا هو الكفيل، أي هو الذي يأخذ لكم الحق إذا خانوكم، مادام قلت هذا الكلام إذن لابد أن تحذر المخالفة فإنك إن خالفت ستكون على خطر عظيم لأنك أوهمت من أمامك أنك معظم لله ثم أستدرت فطعنته في ظهره وهو في نفسه يقول أن لك دين وأنك من المؤكد أنك معظم لدينك.

ثم أن لا تعارض بين أن يمنع عليك نقض العهد ونقض الأيمان وبين أنه يمكنك أن تتحلل من يمين حلفت عليها إذا رأيت غيرها أولى، لا تعارض لماذا؟ لأن الذي يحل لك أن تفعل فيه التحلل هو ما يخصك انت، يعني انت تحلف أن لا تخرج أن لا تدخل أن لا تفعل أن لا تكلم، هذه قضية تخصك كفرد، فإذا رأيت غيرها خير منها كفّر عن يمينك وأفعل الخير، هذا على صورة الفرد، اما على مستوى الجماعات والأمم الأمر مختلف، هنا يقصد به: قال:

هذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق، لا الأيمان الواردة على حث أو منع،

أي شخصي.

ويؤيده ما رواه الإمام أحمد عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً "وكذا رواه مسلم، ومعناه أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، فإن في التمسك بالإسلام حماية وكفاية عما كانوا فيه.

لأن من أهم ما يدعو إليه الإسلام عدم الفرقة والاجتماع وإعطاء المسلمين حقوقهم بل من عنوان سعادة العبد الإحسان في عبادة ربه والإحسان إلى الخلق، فانت ترى معاملة الخلق والإحسان لهم من دعائم الدين الأساسية وهذا أمر لا يغيب عن أحد في الحقيقة لكن الشيطان يهونه ويقلله فترى الناس يعتنون بعباداتهم التي بينهم وبين ربهم وهذا أمر حسن طبعًا، لكن لا تجد عندهم تعظيم لحق الناس الذين عاهدوهم أو لا تجد في قلبهم تعظيم للناس على وجه العموم أولًا وتشعر أنهم يستهينون بحق الناس وهذا خلاف ما أمر به الشرع.

والحقيقة صور هذا – صور إعطاء العهد وخلفه – في الجماعات كثيرة، بمعنى أن كثير ممن يتعامل مع الجماعات أي أنت شخص تتعامل مع شركة تتعامل مع وزارة، تتعامل مع مكان، فتأتي تتفق معهم ونضرب مثال معاملتك مع وزارات الإتصال، الشرائح المفوترة التي تخرج لها فاتورة في أخر الشهر أو في أخر الفترة الزمنية؛ تأتي تشتريها منهم وانت تفهم أن بينك وبينهم عهد وأنك في أخر الشهر ستدفع لهم حصيلة ما أشتريت أو ما تكلمت به، فيأتي أخر الشهر ويكون المبلغ كبير، فماذا تفعل؟ تقطع هذه الشريحة وتضعها على جنب وتشتري شريحة أخرى وتفعل مثلما فعلت في الأولى تنتهي تضعها على جنب وهكذا!، لا يستطيعون أن يفعلوا لك شيئًا، انت هكذا تتصور أنه ماذا يريدون أن يفعلوا؟! ها هي الشركات المنافسة كثير أنا لن أشتري من هذه وسأشتري من هذه الشركة، لن أشتري باسمي وسأشتري بأسم غيري!، ثم لما تناقش مثل هؤلاء أن هذا حقوقهم وستسأل عنها يوم القيامة! شرائك منهم ومعرفتك أن هذا عقد بينك وبينهم وعهد الغالب أن الناس يرون أن هؤلاء حقوقهم ساقطة، طبعًا يأتون بأعذار واهية يقولون لك سرقونا! أنا لم أتكلم بهذه الأسعار! نقول لا بأس أعطيهم حقهم ثم قاطعهم!.
المقصود أن دخولك مع الجماعات ومع الأشخاص الذين يمثلوا – ولاحظ أنك لن تدخل مع الجماعة كلها بل ستدخل مع الممثل أو القائد لهذا المشروع أو لهذا البرنامج أو لهذا العهد – وهذا التصرف منك يدل على عدم تعظيمك لأمر الله بوفاء العهد ويجر على أنك تخذل الإسلام وأهله، أكيد في كثير من المعاملات يكون هناك من غير المسلمين عدد كبير، في كثير من المصالح سواء الشركات أو المؤسسات الحكومية يكون هناك مراقبين أجانب متخصصين، فيأتون يجدون أرتفاع نسبة كذا وكذا من التصرفات التي تدل على أن هؤلاء المسلمين لا عهود لهم وأنهم ينقضون العهد وأنهم في وسط الأمر يتركونك، وبكل سهولة يقول ماذا يستطيع أن يفعل؟! يفعل ما يستطيع أن يفعل!، وما تجد من تعقيد اليوم في كثير من المسائل وفي كثير من مصالح المسلمين سببه نقض العهد.
وفي الغالب لما أصل عند هذا الباب أحكي قصة حقيقة وقعت أول ما افتتحنا المعهد في ١٤٢١هـ، الحقيقة أثرت جدًا في مسيرة المعهد في أوله لكن الله عز وجل الحمدلله نشهد بنعمته علينا لأنه تداركنا برحمته، كان أول ما افتتحنا الإنتساب ولم يكن يصل حد الإنتساب عن بُعد ولا التعليم عن بُعد، كان الإنتساب في مدينة جدة نفسها، فكنا نعلن عن الإنتساب في المحافل أي حلقات التحفيظ وغيرها، المهم سجل في هذا أكثر من ٤٠٠ شخص، لا أذكر العدد الآن لكن ينقص عن الخمسمائة قليلًا، المهم ملئوا استماراتهم وكتبوا اشتراكهم واتصلنا تأكدنا من الجميع وكونا فريق عمل وكنا نتصور أن من سيسجل خمسون أو ثمانون أو مائة لكن وصلوا إلى اربعمائة وفوقها وكونا فريق عمل.
هل ستسجلون؟ نعم، هل تستطيعون دفع شيء من الرسوم؟ وكانت الرسوم وقتها للفصل الدراسي ربما يعتبر ليس عاليًا إنما على قدر شراء الكتب واستئجار قاعة للأختبار، لم يتجاوز ألف ريال للفصل الدراسي المهم الشاهد أن غالب الاستمارات دفعت مائة أو

مائة وخمسون بهذه الصورة، وهناك جماعة أكدوا أنهم سيدفعون، واشترينا كتب لاربعمائة شخص أو يزيد مع فريق عمل طبعًا له رواتبه، وتصوري ننتظر الناس يستلمون كتبيهم ومن الأربعمائة وزيادة لا يستلم إلا أربعين شخص فقط!، أربعين فقط من الأربعمائة وزيادة!.

وهذا كان في أول مسيرة العمل، بالإضافة إلى الخسارة المادية، بالإضافة إلى رواتب الناس التي صرفت لمدة شهرين بدون شيء، المردود المعنوي، يعني لولا أن تداركنا الله برحمته وإلا كان الواحد قال لا يستاهل هذا الأمر، والقوم ليس عندهم من الأخلاق ما تسمح لهم أن يكون لهم ذمم محترمة!، والحمدلله الله عز وجل يسر الأمور ومرت التجربة بدون من أن يكون لها مردود سلبي كبير، لكن لازالت تجربة تحكمنا الآن، يعني لازلنا لا نغامر أبدًا، وطبعًا ممدوح أني لا أغامر، وحتى في الاتفاقات الخارجية أصبحنا نتأكد من عدد الأشخاص لأن في بعض الورش تطبع أوراق غالية الثمن ثم أصل إلى المكان لا أجد العدد!، ويكون انتهى الأمر هذه الورشة تنفذت لهذا الغرض.

فالمقصود أخلاقك في الأصل أخلاق تعبد، يعني في الأصل انت الآن تتعامل مع الناس ولا تنظر إليهم إنما تنظر لله ولرضاه ولما أمرك به، فلا تتعجل في دخول شيءٍ ترى نفسك لست أهله، لا تقول لأحد أنا اعاهدك وسجلني معك، لا تفعل هذا وانت لست أهلًا!، الناس يرتبوا مشاريعهم ويرتبوا أمورهم ويتخذوا قرارات ثم أنت بأيسر ما يكون تجيب والله ذهبت علي نومة!، الحقيقة أرتبطنا أرتباط عائلي!، طبعًا انت امرأة وأكيد ظروفك ليست مثل ظروف الرجل، وأكيد أنك في كثير من الأحيان تأتيك ظروف ترغمك، وهناك من يتسلط عليك، صحيح، لكن هذه القيمة لما تكون مرتفعة في نفسك يكون عندك حساب شديد مثلًا تستأذني وترتبي نفسك ثم تربطي الناس أنك مرتبطة بهم.

أنا قصدت بهذه الأمثلة الحقيقة من أجل أن تفهموا أن هذا الباب له علاقة شديدة بحياتنا، لأن الدليل الذي بعده سننتقل إلى الجهاد والغزو فسيبتعد عنك الأمر وسترين أنه ليس لك فيه لكن الحقيقة الباب له علاقة وثيقة بحياتنا.

لا تدخل في شيء أو توعد وعود وانت لست أهلها، لا تجعل الناس يرتبون لك برامج أو يشترون لك ثم تخلفهم، طريقتنا في التفاهم حول الأمور فيها ضعف شديد، وليس فيها تركيز أنه ما نهاية هذا الأمر، يعني نكون في جلسة وامرأة تقول هذه بضاعة جيدة وجدتها عند أحد وتمدح فيها، فتقول أحداهن متى ستذهبي مرة أخرى؟ تقول لها أسبوع أو أسبوعين، فتقول لها احسبي حسابي وهات لي معك هذه الأشياء، وتأتي بعد أسبوع وأسبوعين تشتري لها وتدفع الثمن وتأتي فالمفروض تعطيها مالها فترد عليها ردود الحقيقة نستحي من الكلام عنها! لكن أبسطها مثلًا: يعني انت صدقتني!! بمعنى أن الأصل فيك الكذب إذن!، وقس على هذا مواقف كثيرة! أحد يقول لأحد ستذهب معي؟! يقول له خير إن شاء الله، فتكون هذه إجابة غير واضحة!، فتكلم بوضوح لأن من أمامك .. وهذه الحقيقة تنقصنا جدًا بسبب كثيرة المجاملات، وسيدخل الأمر في تفاصيل كثيرة لكنها تعتمد على العهود والوعود.

الوعد والعهد بينك وبين الناس نوع رقٍ تحرر منه، أو أنفذه، أنفذه وانت متقربًا إلى الله أنك تريد رضاه سبحانه وتعالى.

وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تهديد ووعيد لمن نقض الأيمان بعد توكيدها.

معناها أن الإنسان لما يعاهد عهدًا أو يوعد وعدًا وينقضه عرض نفسه لهذا التهديد: ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ، فكثير من العقوبات تنزل على الناس وهم لا يشعرون لماذا نزلت ومن ضمن العقوبات التي تنزل على الناس وهم لا يشعرون لماذا هذا نوع من العقوبات في الدنيا وهي عقوبات إخلاف الوعد والعهد ثم النقض.

❖ الدليل الثاني.

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

وَعَنْ بُرَيْدَةَ كان رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، فَقَالَ: " اغْزُوا بِسْمِ اللَّه، فِي سَبِيلِ اللَّه، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، اغْزُوا وَلا تَغْلُوا وَلا تَغْدُرُوا وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُوهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ أو خِلالٍ ، فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ هُم أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهم إِنْ فَعَلُوا ذَلك فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْها فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ تعالى، وَلا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسأَلْهُمْ الْجِزْيَةِ ، فَإِنْ أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُم أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ ، وَإِذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوا أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أصحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّه، وَإِذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنزِلهُم عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلا تُنْزِلهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَنْزِلهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لا تَدْرِي هَلْ تُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللَّهِ أَمْ لا ". رواه مسلم.

الشرح:

قوله: عن بريدة هو ابن الحصيب الأسلمي. وهذا الحديث من رواية ابنه سليمان عنه. قال في المفهم.

قوله: كان رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ" فيه من الفقه تأمير الأمراء ووصيتهم.

الآن يمر على جمل الحديث يشرحها؛ " كان رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ" فيه من الفقه: أي من فقه هذا الحديث أنه يأمر أمير وأنه يوصى على كل سرية.

قال الحربي: السرية: الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها. والجيش ما كان أكثر من ذلك.

وتقوى الله: التحرز بطاعته من عقوبته.

قلت: وذلك بالعمل بما أمر الله به والإنتهاء عما نهى عنه.

ما معنى السرية؟ الخيل تبلغ هذا العدد اربعمائة فما فوق،"إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ" فيفرق لك بين السرية والجيش، والجيش ما كان أكثر من ذلك، يأمره "بِتَقْوَى اللَّهِ" ، ما تقوى الله؟ التحرز بطاعته من عقوبته، المعنى أن العبد التقيّ يعمل بما أمر الله وينتهي عن ما نهاه الله من أجل أن يهرب من سخط الله.

قوله: ومن معه من المسلمين خيرًا أي ووصاه بمن معه أن يفعل معهم خيرًا: من الرفق بهم، والإحسان إليهم، وخفض الجناح لهم، وترك التعاظم عليهم.

هذه من ضمن الآداب لمن يتأمر على المسلمين، يعني لو كنت أميرًا على اثنين نستوصيك بهم خيرا، ماذا تفعل معهم؟ تعاملهم بالرفق، والرفق ما كان في شيء إلا زانه.

وانت مع جماعة تقودهم رأس مالك إخوانك فلو لم تعتني بهم من المؤكد أن الخسران –خسران الصف الداخلي – سيكون نصيبك، ونحن نكرر الوصية بالرفق بين أهل الجماعة الواحدة أو أهل البيت الواحد أو أهل المدرسة الواحدة أو أهل الملتقى الواحد لأن الشيطان شديد الحرص على إفساد الجماعات على وجه العموم ومن اجتمع على الدين ومن أجل الدين وفي الجهاد سواء كان بالسيف أو بالعلم أحرص، يعني هو أحرص على إفسادهم، فانت إذا رأيت ما تنكره وانت أمير لا تجعل ما مُلكته من سلطة سبب لأن تفقد الرفق معهم بل الرفق في حقك أولى.

وأيضًا الإحسان إليهم بكل أنواع الإحسان فإن جماعة تقودهم يسول لهم الشيطان أن يخالفوك ويسهل عليهم الشيطان أن يتكلموا فيك وفي تصرفاتك، وكثيرًا ممن قاد في الجهاد أو في العلم وأحسن القيادة إنقلب عليه من صفوفه من إنقلب، وطعنه في ظهره من طعنه.

وهذا وإن كان من الطاعن والمنقلب دليل على سوء معدنهم لكن أيضًا لابد أن تعرف أن الشيطان له على هؤلاء وسيلة عظيمة فهو يحرشهم على أن يخالفوك وعلى أن يتجاهلوا أمرك فأنت رد الشيطان بالإحسان إليهم، وهذه من أصول القيادة الإسلامية؛ أنك تنظر لمن تقود على أنه رأس مالك، وتعلم أنك تجاهد عدوًا أولًا من الداخل وهو الشيطان الذي يحرشهم.

فإذا كان الناس يسيئون الظن بربهم المحسن لهم على الدوام الذين هم لا شيء بدونه أوجدهم من عدم وتفضل عليهم بالنعم ثم ترى القوم يسيرون في الحياة بفضله ويسيئون الظن في كل فعله، إذا كان هذا حال الناس مع ربهم فكيف بك وانت تقودهم وانت ناقص؟!، من المؤكد أنهم يسيئون الظن، فانت عالج هذا بالإحسان الدائم إليهم وتصبر، لأن كل عمل تحتك فيه بالناس اجعل قاعدتك الصبر، وأحيان كثيرة نغر ما نسمعه منهم من كلمات ثناء أو ..إظهار لشدة الحب ثم يكون هذا الذي عبر كل هذه التعبيرات هو الذي من خلفك ينتقدك ويتكلم عن سوء فعلك، وانت مع هذا كله عاملهم بالإحسان إليهم.

قال الشارح:

وخفض الجناح لهم، وترك التعاظم عليهم.

وهذا والله حق أنك كلما تحملت مسؤولية الجماعات كلما علمت أنك انت الخادم لهم وليسوا هم الخدمة لك، وانت المراعي لشئونهم وليس العكس، فدائمًا تخفض الجناح لهم وتترك التعاظم عليهم لا في مشاعرك ولا في تصرفاتك.

على كل حال استفدنا من هذا الكلام في مناقشة صفات القائد الإسلامي.

وقوله: اغزوا باسم الله هذا أي اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله مخلصين له. قلت: فتكون الباء في بسم الله هنا للاستعانة والتوكل على الله.

وهذا الغالب في استعمال الباء [باسم الله أكل، باسم الله أشرب]، أي استعين بالله في فعل هذا الفعل متوكلًا عليه.

قوله: قاتلوا من كفر بالله هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر المحاربين وغيرهم. وقد خصص منهم من له عهد والرهبان والنسوان، ومن لم يبلغ الحلم، وقد قال متصلًا به: ولا تقتلوا وليدًا وإنما نهى عن قتل الرهبان والنسوان لأنه لا يكون منهم قتال غالبًا. وإن كان منهم قتال أو تدبير قتلوا.

قلت: وكذلك الذراري والأولاد.

قال لهم قاتلوا من كفر بالله والمقصود هذا عام قتال جميع الكفرة سواء نصبوا الحرب للمسلمين أو لم ينصبوها، طبعًا إلا المعاهدين منهم هذا أمر أخر، وهذا خلاف لما يقوله علماء المسلمين الذي يجاورون المستشرقين والكفار، دائمًا تسمع أن القتال في الإسلام قتال دفاع عن النفس فقط بمعنى إذا جاء الكفار لقتال المسلمين شُرع لهم القتال أم أن المسلمين يذهبوا إلى قتال الكفار فهذا لا يشرع! هذا في قولهم!، طبعًا لماذا المستشرقين الذين يجاورون الكفار يقولون هذا الكلام؟ لأن المستشرقين لهم أقوال واتهامات للإسلام لأنه يرغم الناس على الدخول فيه بالقوة ويقولون الإنسان حر ويجب أن تترك له الحرية، وهذا طبعًا على قوانينهم فمن شاء أن يكفر ومن شاء أن يفجر.

المقصود أن النصوص جائت كثيرة جدًا في جهاد الكفار إلا طبعًا من عاهدنا منهم، ونهت عن قتل الوليد، أي عن قتل من ليس له شأن في القتال سواء كان من ذكرٍ أو أنثى، ومثل ذلك الشيخ الكبير ومثل ذلك أهل الصوامع المعتزلون للتعبد، ومثل ذلك النساء إلا إذا كنّ يقاتلن، يعني تجد الآن في جيوش أهل الكفر نساء، إذا كنّ يشاركنّ في القتال فإنهنّ يقتلن، وكبار السن إذا أعانوا على القتال بالرأي أو التدبير أيضًا يقتلون، أما الذي لا شأن له في القتال فلا يجوز قتله.

قوله: ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا الغلو: الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها. الغدر نقض العهد. والتمثيل هنا التشويه بالقتيل، كقطع أنفه وأذنه والعبث به. ولا خلاف في تحريم الغلو والغدر. وفي كراهية المثلة.

قوله: وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خلال أو خصال

"أو" للشك، معنى الخلال والخصال واحد لكن الراوي شك.

الرواية بالشك وهو من بعض الرواة. ومعنى الخلال والخصال واحد.

قوله: فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم قيدناه عمن يوثق بعلمه وتقييده بنصب أيتهن على أن يعمل فيها أجابوك لا على إسقاط حرف الجر. وما زائدة. ويكون تقدير الكلام: فإلى أيتهن أجابوك فاقبل منهم. كما تقول: جئتك إلى كذا أو في كذا. فيعدى إلى الثاني بحرف جر.

قلت: فيكون في ناصب أيتهن وجهان: ذكرهما الشارح. الأول: منصوب على الاشتغال. والثاني: على نزع الخافض.

هو يتكلم الآن عن أوجه الإعراب في "أيتهن" والمقصود بالشارح شارح صحيح مسلم وهو القرطبي في كتابه "المفهم شرح صحيح مسلم" الذي نقل عنه هنا صاحب فتح المجيد.

وذكر في إعرابها وجهان:

- الأول أن يكون منصوبًا للفعل، والفاعل في أيتهن "أجابوا".
- والثاني أن يكون على تقديم حرف الجر، نقدم في الجملة حرف الجر" فإلى أيتهن أجابوك فأقبل" فإذا حرف حرف الجر ماذا يحصل؟ ينصب المجرور.

تسمعي يقولون نصب على نزع الخافض، ما معنى نصب على نزع الخافض؟ أي أن الجملة فيها حرف جر ثم حذفت، فلما حذفت تحولت الجملة من منصوبة إلى مجرورة والسبب حذف حرف الخفض.

على كل حال أيتهن حقها النصب، ولذلك قال:

قيدناه عمن يوثق بعلمه وتقييده بنصب أيتهن

أي صاحب المفهم، أي القرطبي، لكن لما تنظري في الجملة لا تجدي سببًا لنصبها ثم تكون منصوبة على الاشتغال أي منصوبة بالفعل، تصبح هي المفعول به:

الفاعل يكون: أجابوا.

أو تكون منصوبة على نزع الخافض "فإلى أيتهن ما أجابوك فأقبل"، كأن هكذا تكون الجملة.

على كل حال اجعليه شاهد لك ثم إذا تقدمتي في النحو إن شاء الله تفهمين جيدًا.

قوله: ثم ادعهم إلى الإسلام كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم ثم ادعهم بزيادة ثم والصواب إسقاطها. كما روى في غير كتاب مسلم. كمصنف أبي داود، وكتاب الأموال لأبي عبيد. لأن ذلك هو إبتداء تفسير الثلاث خصال.

"ثم " هذه لم ترد إلا في رواية مسلم، وفي غيره لم ترد، صاحب الشرح يقول أن الأولى أن لا تكن "ثم" موجودة، لماذا؟ وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُوهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ أو خِلالٍ ، فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ" ما هي الثلاثة خصال؟ ادعهم إلى الإسلام، ثم أدعهم إلى التحول، يعني ثم الأولى لا مكان لها لأنها في بداية ذكر الخصال.

اقرئي الحديث لتفهمي المقصود إذا شعرتي أن "ثم" مكانها صحيح إذن معناه أنك لم تفهمي المقصود، "ثم" هذه كما ذكر الشارح الصواب إسقاطها، وإسقاطها ليس رأيًا إنما ورد هذا الحديث في مصنف أبي دواد أي سنن أبي داود وكتاب الأموال لأبي عبيد.

ثم علل لك ذلك قال:

لأن ذلك هو إبتداء تفسير الثلاث خصال.

وقوله: ثم ادعهم إلى التحول إلى دار المهاجرين يعني المدينة. وكان في أول الأمر وجوب الهجرة إلى المدينة على كل من دخل في الإسلام. وهذا يدل على أن الهجرة واجبة على كل من آمن من أهل مكة وغيرهم.

هذا الأمر كان في أول الوقت، كان المقصود بهذا تقوية المسلمين وجمعهم في مكان واحد – والله أعلم –

قوله: فإن أبوا أن يتحولوا يعني أن من أسلم ولم يهاجر ولم يجاهد لا يعطي من الخمس ولا من الفيء شيئًا. وقد أخذ الشافعي رحمه الله بالحديث في الأعراب، فلم ير لهم من الفيء شيئًا. إنما لهم الصدقة المأخوذة من أغنيائهم فترد على فقرائهم. كما أن أهل الجهاد وأجناد المسلمين لا حق لهم في الصدقة عنده، ومصرف كل مال في أهله. وسوى مالك رحمه الله وأبو حنيفة رحمه الله بين المالين، وجوزا صرفهما للضعيف.

هذا النقاش حول مال الفيء

أولًا أدعهم إلى الإسلام هذا المطلب الأول، وإذا أجابوا أدعهم إلى التحول إلى دار المهاجرين والهجرة كما هو معروف الانتقال من بلد الشرك إلى بلاد الإسلام، وهي باقية إلا قيام الساعة.

وأما قوله: "وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهم إِنْ فَعَلُوا ذَلك فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ" المقصود فتح مكة، أي أنه لا هجرة من مكة بعد الفتح، لأن مكة أصبحت دار إسلام، الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام باقية، فهنا الهجرة حتى من مكة كانت وقتما كان الكفر في كل البلاد إلا المدينة، وكل من لا يستطيع أن يظهر شعائر دينه، ولا يستطيع أن يظهر دينه ولا يستطيع أن يصلي ولا يصوم جهارًا، وأنه يجب عليه في هذه الحالة أن يهاجر إلى البلد التي يستطيع إظهار دينه فيها، ولا يلزم معاصرًا أن تكون الهجرة إلى بلد معين لا إلى المدينة ولا غيرها، بل أي بلد يستطيعون إظهار دينهم فيه فيجب عليهم وقتها الهجرة إليه.

لو كانوا في بلد كفر ويستطيعون إظهار دينهم ولا أحد يمنعهم من ممارسة دينهم يظهروا التوحيد ويظهروا العبادة الله اعلم في هذه الحالة لا تجب عليهم الهجرة بل يبقون في هذه البلد التي يستطيعون فيها أداء شعائرهم.

"فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا" يعني من أسلم ولم يهاجر ولم يجاهد ولم يحارب وأبى أن يتحول لا يعطى من الخمس ولا من الفيء شيئا، على كل حال هذه الأحكام المسلمون يحتاجون أن يشعرون بأن دينهم رتب لهم تفاصيل كل شيء.

اسأل الله عز وجل أن يصلح حال المسلمين أجمعين.

قوله: فإن هم أبوا فاسألهم الجزية

فيه حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر: عربيًا كان أو غيره، كتابيًا كان أو غيره. وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أنها تؤخذ من الجميع إلا من مشركي العرب ومجوسهم. وقال الشافعي لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب عربًا كانوا أو عجمًا. وهو قول الإمام أحمد في ظاهر مذهبه، وتؤخذ من المجوس.

قلت: لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها منهم. وقال: " سنوا بهم سنة أهل الكتاب ".

الكلام عن المجوس الآن

وقد اختلفوا في القدر المفروض من الجزية: فقال مالك: أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهمًا على أهل الورق. وهل ينقص منها الضعيف أو لا ؟ قولان.

يعني ما القدر؟ أربعة دنانير على أهل الذهب يعني إذا كانوا يتعاملون بالذهب، وأربعون درهمًا على من يتعامل بالفضة، يتساوى الناس كلهم أم الضعيف يختلف؟ قولان:

قال الشافعي: فيه دينار على الغني والفقير.

وقال أبو حنيفة رحمه الله، والكوفيون: على الغني ثمانية وأربعون درهمًا والوسط أربعة وعشرون درهمًا. والفقير اثنا عشر درهمًا.وهو قول أحمد بن حنبل رحمه الله.

هذا القول الذي يقول باختلافهم.

قال يحي بن يوسف الصرصري الحنبلي رحمه الله:

وقاتل يهودا والنصارى وعصبة المجـ وس، فإن هم سلموا الجزية أصدد

على الأدون اثني عشر درهمًا افرضن وأربعة من بعد عشرين زد

لأوسطهم حالًا ومن كان موسرًا ثمانية مع أربعين لتنقد

وتسقط عن صبيانهم ونسائهم وشيخ لهم فان وأعمى ومقعد

وذي الفقر والمجنون أو عبد مسلم ومن وجبت منهم عليه فيهتدي

وعن مالك وكافة العلماء على الرجال الأحرار البالغين العقلاء دون غيرهم، وإنما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين لا ممن نأى بداره،

يعني الجزية تأخذ ممن كان تحت قهر المسلمين، لا تأخذ الجزية من ناس نائوا بدارهم أي بعيدين وليسوا تحت سلطة المسلمين.

ويجب تحويلهم إلى بلاد المسلمين أو حربهم.

قوله: وإذا حاصرت أهل حصن الكلام إلى آخره فيه حجة لمن يقول من الفقهاء وأهل الأصول: إن المصيب في مسائل الإجتهاد واحد. وهو المعروف من مذهب مالك وغيره ووجه الاستدلال به أنه صلى الله عليه وسلم قد نص على أن لله تعالى حكمًا معينًا في المجتهدات. فمن وافقه فهو المصيب ومن لم يوافقه فهو المخطىء.

نشرح هذه النقطة:

وَإِذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنزِلَهُم عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلا تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لا تَدْرِي هَلْ تُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللَّهِ أَمْ لا "

هذا الكلام إلى أخره، هذا الكلام الفقهاء يستدلون به على مسألة ما هي؟ المسألة أن الله له في كل قضية حكم لكن هذا الحكم المعين قد لا يصيبه المجتهد وإذا اخطأ وهو من أهل الاجتهاد فخطأه مغفور وهو مأجور على اجتهاده، لكن لا يقل أن هذا حكم الله بل يقل هذا اجتهادي فإن أصبت حكم الله فهو من منة الله وفضله وإن اخطأت فالخطأ علي أنا ولا ينسبه إلى الإسلام، والإسلام منه بريء إذا كان خطأ.

وفي هذا الدليل جواز الاجتهاد، لكن الجهلة الذين ليسوا أهلًا للاجتهاد هؤلاء حكمهم باطل على كل حال سواء أصابوا الحق أو أخطأوه.

إذن هناك حكم لله لكن قد توافقه وقد لا توافقه فانت اجتهد إذا كنت من أهل الاجتهاد لكن لا تقل هذا حكم الله قل هذا اجتهادي.

قوله: وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه: الحديث الذمة العهد، وتخفر تنقض يقال: أخفرت الرجل إذا نقضت عهده، وخفرته: أجرته، ومعناه أنه خاف من نقض من لم يعرف حق الوفاء بالعهد، كجملة الأعراب:

يعني النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: وَإِذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوا أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أصحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّه، وَإِذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنزِلَهُم عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلا تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لا تَدْرِي هَلْ تُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللَّهِ أَمْ لا" ، لماذا أمره بهذا؟ لأنه يخاف أن يحصل نقضًا للعهد من الأصحاب والأتباع فبذلك ينظر للدين وإلى أوامره على أنه يسمح للناس بنقض العهد.

فكأنه يقول: إن وقع نقض من متعد معتد كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد الله تعالى. والله أعلم.

يعني لو أتى الجيش نقض العهد فيكون هذا نقض عهدٍ من شخص لكن ليس نقض عهد الله، وهذا من المؤكد أنه أهون.

قوله: وقول نافع وقد سئل عن الدعوة قبل القتال، ذكر فيه أن مذهب مالك يجمع بين الأحاديث في الدعوة قبل القتال، قال وهو أن مالكًا قال: لا يقاتل الكفار قبل أن يدعوا ولا تلتمس غرتهم إلا أن يكونوا بلغتهم الدعوة. فيجوز أن تلتمس غرتهم

كأن السؤال هل ندعوهم أو لا ندعوهم اليوم؟ لأن الحديث أمامك أولًا أدعوهم إلى الإسلام ثم أئمرهم بالهجرة ثم إذا لم يجيبوا قاتلهم، فاليوم الأعداء نقاتلهم أم ندعوهم إلى الإسلام أولًا؟! فذكروا مذهب الإمام مالك وهو أنه لا يقاتل الكفار قبل أن يدعوا ولا تلتمس غرتهم بمعنى أنك لا تأتي لهم في حين غفلة وتقاتلهم، لكنهم إذا أتتهم الدعوة وعرفوها يجوز أن تأخذ غرتهم.

وهذا الذي صار إليه مالك هو الصحيح لأن فائدة الدعوة أن يعرف العدو أن المسلمين لا يقاتلون للدنيا ولا للعصبية وإنما يقاتلون للدين فإذا علموا بذلك أمكن أن يكون ذلك سببًا مميلًا لهم إلى الإنقياد إلى الحق،

يعني نحن لا نقاتلكم لمجرد أن نسبيكم ولا نقاتلكم لمجرد أن نأخذ منكم نحن أمرنا في الشرع بحملكم على الدين أو أن تكونوا تحت قهر المسلمين، فإذا فهموا هذا فهموا أنا لا نريد منكم ان نستولي على ممتلكاتكم ولا أموالكم ولو اسلمتم تمتعوا بها كما تريدون ولو تسلموا أيضًا لن نأخذ منكم إلا الجزية التي لها مصالح كثيرة في رعايتكم وفي حملكم على الإسلام.

على كل حال خرجنا من هذا الباب بإن أخفار ذمة المسلمين أهون من إخفار ذمة رسوله، يعني ذمة الله وذمة نبيه سواء نقضهما عظيم جدًا فلا يصح لك أن تقول بين وبينك عهد الله ثم تجد نفسك قد نقضته، نقض العهد ممنوع، لما يكون ذمتك أي ذمة المسلمين نقضها محرم لكنه أهون من نقض عهد الله وعهد الرسول، على ذلك عليك أن تأخذ أقل الأمرين خطرا، وهذه قاعدة عامة لابد أن يكون عندك نظر وبصيرة للأمور من أجل أن تأخذ أقل الضررين، ومثل هذا في مسألة الإفتاء، في مسألة الإفتاء لمن ملكه الله وسائل الإفتاء عليك بأن تقول هذا اجتهادي والله أعلم بالصواب، وكل هذا من دلائل تعظيمك لله ورعايتك لحقه.

نكون بهذا انتهينا من هذا الباب.

هناك سؤال على ما مضى ما الفرق بين ذمة الله وذمتي؟

كأنك تقول هذا عهد بيني وبينك أي هذه ذمتي، هذه أخلاقي، أو أنا أعاهدك بالله، يعني هذا عهد الله بيني وبينك، هناك فرق بين الكلمتين: هذا عهد بيني وبينك وهذا عهد الله بيني وبينك.

الفارق أن من جهة أن من تعظيم العهد أن تجعل أن هذا عهدًا لله بيني وبينك.

أو هذا عهدين، أنا أعاهدك.

هذا الفرق بين ذمة الله وذمتي، "عهد الله" كلمة عظيمة، وبين عهدي أنا، وهذا ما ابتدأناه في الباب ، أول ما ابتدئنا في الباب اتفقنا أن الإنسان لما يأتي يعامل الناس إذا قلت هذا عهد الله الخيانة أصبح خنت الله ومن خان الله فقد باء بالسخط والغضب وليس في قلبه تعظيم وتوقير وتقدير له، أما إذا أتيت فقلت هذا عهد الله أو هذا عهدي الوفاء بالعهد واجب وقد خنت هذا الشخص وتعاقب على ذلك لكن شيء أهون من شيء.

⇦ لما قلت عهد الله الخيانة أصبحت منك لله لا منك للشخص.

⇦ لما تقول هذا عهدي صارت الخيانة منك للشخص.

بهذا انتهى الكلام عن هذا الباب.

نبتدأ إن شاء الله في **باب ما جاء في الإقسام على الله.**

هذا الباب أيضًا من جنس ما سبق وهو يتعلق بحقوق الرب سبحانه وتعالى وبجنابه وبتعظيمه، فهو الرب الملك المالك لكل شيء وليس لأحدٍ معه تصرف ولا حق ولا سلطة، فلا يجوز لمخلوقٍ أن يقسم على الله ويقول: "والله يارب أنك ستفعل كذا!"، أو يقول: "والله إن الله سيفعل كذا أو يترك كذا أو سيعاقبك أو سيدخلك الجنة أو سيدخلك النار" هذا كله لا يجوز، لأن هذا في الحقيقة تدخل في شؤون الرب ولا يجوز للعبد أن يتعدى حده، يجب عليه أن يعرف قدره ويعرف أن الملك هو الله، فالتعدي على الله وعلى ملكه يكون بصور ومن الصور أن تقول أن الله سيفعل كذا وكذا أنه يدخلك الجنة أو لا يدخلك الجنة، ويعظم أيضًا لو أن الإنسان أقسم وحلف على أن هذه حقيقة، من يفعل هذا فقد أهلك نفسه.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

باب ما جاء في الإقسام على الله

عَنْ جُنْدُبٍ بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَالَ رجُل: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ ، فَقَالَ الله عزّ وجلّ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَن لَا أَغْفِرُ لِفُلَان؟ ، إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ .

الشرح:

ما جاء في الأقسام على الله

قوله: باب" ما جاء في الإقسام على الله"

ذكر المصنف في حديث:

عَنْ جُنْدُبٍ بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" قَالَ رجُل: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ ، فَقَالَ الله عزَّ وجلَّ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَن لَا أَغْفِرُ لِفُلَان؟ ، إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

قوله: يتألى يحلف. والألية بالتشديد الحلف. وصح من حديث أبي هريرة قال البغوي في شرح السنة. وساق بالسند إلى عكرمة بن عمار. قَالَ : دَخَلْتُ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ ، فَنَادَانِي شَيْخٌ ، فَقَالَ : يَا يَمَانِيُّ ، يَا يَمَانِيُّ ، تَعَالَهْ ، وَمَا أَعْرِفُهُ ! فَقَالَ لا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ : وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَدًا ، وَلا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ أَبَدًا ، قُلْتُ : وَمَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ : أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَقُلْتُ : إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ يَقُولُهَا أَحَدُنَا لِبَعْضِ أَهْلِهِ إِذَا غَضِبَ ، أَوْ لِزَوْجَتِهِ ، أَوْ لِخَادِمِهِ ، قَالَ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَحَابَّيْنِ ، أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ ، وَالآخَرُ كَأَنَّهُ يَقُولُ : مُذْنِبٌ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : أَقْصِرْ ، أَقْصِرْ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَيَقُولُ : خَلِّنِي وَرَبِّي

خلني أي أترك هذه الأعمال وأقلع عنها.

فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ ، فَقَالَ : أَقْصِرْ ، فَقَالَ : خَلِّنِي وَرَبِّي ، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَدًا ولا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ أَبَدًا ، قَالَ : فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا ، فَقَبَضَ أَرْوَحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي ، وَقَالَ لِلآخَرِ : أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْظُرَ عَلَى عَبْدِي رَحْمَتِي ؟ قَالَ : لا يَا رَبِّ ، قَالَ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ ".

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ .

الشارح نقل كلام البغوي في شرح السنة، البغوي ساق بالسند إلى عكرمة ابن عمار رواية الحديث عن أبي هريرة التي كان في أخرها: "تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ"

عكرمة ابن عمار دخل المسجد في المدينة فناداه أبو هريرة ونهاه مباشرة، قال له لا تقل لرجل "وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَدًا ولا يُدخلَكَ الْجَنَّةَ أَبَدًا " فانظري لموقف عكرمة سأله: "وَمَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ؟!"، وانظري إلى الأدب!

الآن لو أحد نادانا وقال لنا حكم فأول ما يخطر على بالنا أن نعتدي عليه بكلامنا أو من دواخلنا، وهو سأله من انت رحمك الله من أجل أن يعرف منزلته في العلم ويعرف هل هذا الكلام سيسلم له أم لا يسلم، وهذا أدب لابد من التأدب به، فكم مررنا من مواقف يكون من أمامنا عالم أو طالب علم كبير ونحن لا نعرفه ثم يكلمنا مباشرة أو يكلمنا بواسطة فتبدأ نفوسنا بالهجوم عليه، ليس شرطًا بالكلام بل من داخلنا، فنقول انت اقبل الحق ولا بأس لابد أن تسأل من الذي يكلمك لتعرف منزلته في العلم لكن مع الاحترام لكل من يكلمك، احترمه حتى لو كان على خطأ واستعمل معه الرحمة، هناك فرق بين تصحيح الخطأ وبين الاستهزاء بالمخطأ.

على كل حال هذا الحديث فيه عبرة عظيمة، وهذان الرجلان كانا متآخيين في الله أي ليس بينهما نسب، لكن أحدهما مجتهد في الطاعة والأخر عنده تقصير، يجتمعان في أن كلاهما مؤمن بالله متبع لشرعه لكن كان أحدهم مقصر يفعل المعاصي ويترك بعض الواجبات فكان المجتهد يحضّ أخاه شفقة عليه وغيرة على دين الله، ويغضب لله لا لنفسه، وكان يشفق على أخيه أن يصيبه العذاب فأكثر عليه اللّوم، وكلما أخطأ هذاك الثاني يقول له أقصر، يعني أترك هذه الأعمال، خاف من الله، والمقصر يقول له دعني وربي، ربي الذي يحاسبني وانت لا تحاسبني ولست علي رقيب.

الثاني عنده مشاعر صحيحة لكن تعدت والأول على خطأ، صاحب المعصية على خطأ لكن انظر لما يقابل الخطأ بخطأ أشد منه، أخر مرة رآه على ذنب استعظمه فقال له هذه المقولة غضب، وغضب لمحارم الله لكنه اساء وتعدى على ربه، قال: " وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَدًا ، وَلا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ أَبَدًا" وهذا تألي على الله، والتألي هو التعدي في الحلف، فقبضهم الله وأتى بهما فقال للمتألي: أكنت قادرًا على ما في يدي؟! أكنت تمنع ما أريد وترد مشيئتي وامري، وفي رواية أتحجر على عبادي رحمتي؟!، فأدخل الله عز وجل المذنب بالرحمة وهذا بالتألي دخل النار.

ولذلك أبو هريرة قال: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ " أي أهلكته، وهذا دليل على الخطر الشديد، فالإنسان لابد أن يكون مراقبًا لتعظيمه لربه ولا يأخذه الحماس والعاطفة فيترك سلوك الشرع، وانظر كيف أن هذا المقصر كيف غفر الله له بسبب هو من أتفه الأسباب إليه، ما السبب؟ أن أخوه قابله بكلام مكروه، انت تصور لو أحد قال لك لك انت من أهل النار سيكون أمرًا ليس باليسير، فالإشكال الآن أن الإنسان لما لا تحكمه الشريعة ويأخذه الحماس يتعدى على حق الله دون أن يشعر.

ورواه أبو داود في سننه، وهذا لفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: "كان رجلان في بني إسرائيل متآخيين فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة. فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر، فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقصر، فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيبًا ؟ قال: والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة، فقبضت أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين،

فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالما، أو كنت على ما في يدي قادرًا ؟ فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار ".

قوله: وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد يشير إلى قوله في هذا الحديث: أحدهما مجتهد في العبادة

فيه إشارة للأجتهاد.

وفي هذه الأحاديث بيان خطر اللسان وذلك يفيد التحرز من الكلام، كما في حديث معاذ " قلت يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم . أو قال على مناخرهم . إلا حصائد ألسنتهم ". والله أعلم.

هذه من الفوائد النظر إلى خطر اللسان، أيضًا من الفوائد إثبات عذاب القبر، أي أن هذا الحديث فيه دليل على أن الناس إذا ماتوا تكون أرواحهم في البرزخ أما في الجنة أو في نار، أما أن تكون محبوسة معذبة في مكان لأنها تستحق عذاب النار أو تعذب بما هو أقل من النار.

ولهذا هذان الرجلان أحضرا إلى الله مباشرة بعد موتهما، فقال لأحدهم أدخل الجنة وقال للآخر أدخل النار، وهذه المسألة من الأصول التي خالف فيها أهل السنة أهل البدعة، أهل البدعة يقولون أن الإنسان بعد الموت لا يعذب ولا ينعم وأنه يصبح ترابًا، فنقول له روحه أين تذهب؟! يقولون لا ندري!، وهذا مخالف لكتاب الله ولأحاديث الرسول ولاجماع السلف الصالح.

طبعًا الأدلة كثيرة لا مجال لنقاشها المهم أن تعرف أن العذاب يكون في القبر بعد الموت مباشرة، والقبر اسم لبعد الموت وليس بلازم أن يدفن الإنسان في الأرض، بل حتى لو ألقي في البحر أو أحرق بالنار أو أكلته الطيور والسباع.

أيضًا نناقش مسألة أخرى وهي الفارق بين هذا النوع من الإقسام وبين النوع الأخر المشهور وهو دليل الإيمان الذي فيه الحديث لو أقسم على الله لأبره.

كيف يكون الأمر؟ هل القسم على الله مطلقًا لا يجوز أم أن هناك نوع أخر لا يرد على هذا النوع؟ نقول نعم، جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ" وذكر منهم البراء ابن مالك، البراء ابن مالك في حادثة الربيع، الربيع كانت جارية صغيرة تلعب فحصل اعتداء منها فكسرت ثنية جارية أخرى، فجاء أهل الجارية المجني عليها إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشتكون فقال النبي: "إن لم تعفو تكسر ثنية الربيع"[٦٥٧] فقال أخوها: أتكسر ثنية الربيع قال نعم كتاب الله القصاص فقال والله لا تكسر ثنية الربيع، فرضي القوم بالصلح، وقالوا لا نريد القصاص، عند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم" إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ".

فأنس ابن النضر لم يقل والله إني أقسم عليك أن لا تكسر ثنية أختي، **هو قال كلام معناه أنه سيفعل الأمور والأسباب التي يتخلص بها من هذا الشيء، وهو لا يريد التألي على الله،** هذا موقف الأنس ابن النضر مع أخته الربيع لما قال: " وَاللَّه لَا تُكْسَرُ

[٦٥٧] " أَنَّ الرُّبَيِّعَ وَهِيَ ابْنَةُ النَّضْرِ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ فَطَلَبُوا الأَرْشَ ، وَطَلَبُوا الْعَفْوَ فَأَبَوْا ، فَأَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهُمْ بِالْقِصَاصِ ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ : أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا . فَقَالَ : " يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ " . فَرَضِيَ الْقَوْمُ وَعَفَوْا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ " .

ثَنِيَّةُ الرَّبِيع" يقصد أنه سيأخذ من الأسباب الحائلة بين أخته وبين وقوع هذا الفعل عليها، كأن أحد يقول هذا الكلام لا يصير، لا يصير أن تكسر ثنيتها.

هناك موقف أيضًا للبراء ابن مالك كما ذكرنا أقسم على الله أن ينصر المسلمين وورد أن الصحابة إذا كانوا في قتال ومعهم البراء ابن مالك رضي الله عنه يقولون له أقسم على ربك أن ينصرنا، فكان يقول: "يارب أقسم عليك أن تمنحنا أكتافهم" فينصرون، أخر مرة طلبوا منه وألحوا عليه فقال يارب اقسم عليك أن تمنحنا أكتافهم وتجعلني أول قتيل من المسلمين[٦٥٨] ، فنصروا وأنهزم العدو وأصبح هو أول قتيل قتل.

هذا ليس معناه أنه تعدى على الله وإنما كان يثق بربه ويسأله سؤالًا جازمًا، الصورة فقط صورة إقسام، الصورة الظاهرة في اللفظ لكن هنا يقسم على الله قسمًا يريد من الله أن يفعل له هذا الشي، ما الفرق؟ شخص ذليل منكسر يناشد الله ويتذلل له ويرجوه غير شخص مُملي على الله ويقرر ماذا يفعل الله، يعني الذي أقسم على الله فيبره الله في أول الحديث أنه أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، فهذا صورة شخص ذليل ليست صورة شخص يتعاظم ويرى نفسه أهلًا، ويرى أنه بسبب طاعته وعبادته يحق له أن يصدر أمرًا على الله – تعالى الله عن فعله –

فما نحن إلا عباد من أضعف العباد وأحقرهم من جهة الخلقة، ومن جهة العمل، ومن جهة القدرة، فانظر إلى الملائكة وعظمتها من جهة الخلقة وعبادتها من جهة العبادة ومع ذلك هؤلاء خاضعين، فمن الملائكة من هو ساجد من أن خلق الله الخلق ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٦٥٩] فالمقصود أن ليس لأحدٍ على الله حق فيقسم عليه، مهما كانت عبادته وطاعته، **فعبادتك وطاعتك شرف لك ليس سببًا لأن تتصور أن لك منزلة تقسم فيها على الله.**

هل هذا يخالف أن من العباد من إذا أقسم على الله أبره؟ نقول هذا قسم الذليل المنكسر الراجي، المتعلق، الذي يعرف حق ربه ويعرف وزن نفسه، فلا تراه إلا بباب ربه متعلقًا منكسرًا، وأصلًا هذا في الغالب إذا طلب لا يطلب الدنيا إنما يطلب الآخرة، ويطلب ما فيه مصلحة للمسلمين.

على كل حال المقصود أن الباب – باب الإقسام على الله – هو من الأبواب التي تدل على حق الله في التعظيم وأنه لا يصح لك أن تتعاضم أو ترى لك على الله حقا بل الحق كله لله.

بذلك نكون انتهينا من هذا الباب.

---

[٦٥٨] عَنْ مصعب بن سليم ، قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " رُبَّ أَشْعَثَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ ، مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ " ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ تُسْتَرَ انْكَشَفَ النَّاسُ ، فَقَالُوا : يَا براء أَقْسِمْ عَلَى رَبِّكَ ، فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لَمَا مَنَحْتَنَا أَكْتَافَهُمْ وَأَلْحَقْتَنِي بِنَبِيِّكَ . قَالَ : فَاسْتُشْهِدَ .

[٦٥٩] الأنبياء:٢٠

ننتقل إلى باب لا يستشفع بالله على خلقه.

باب لا يستشفع بالله على خلقه.

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : " جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نُهِكَتِ الأَنْفُسُ وَجَاعَ الْعِيَالُ وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ وَبِكَ عَلَى اللَّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ . فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِن خلقه".وذكر الحديث. رواه أبو داود.

هذا الباب قال فيه المصنف – باب لا يستشفع بالله على خلقه – والاستشفاع هو طلب الشفاعة، السين سين الطلب، والله جل وعلا هو الملك الحق.

لاحظ كل هذه الأبواب تدور حول اسم الملك المتصرف والخلق كلهم عبيد له، وليس لأحدٍ معه سلطان ولا شركة، فلا يجوز أن يجعل الله عز وجل شفيعًا عند أحدٍ من الخلق، ومن أجل أن تفهم هذه المسألة **نعود فنشرح معنى "الشفاعة" ونفهم أن الشفاعة لها ثلاثة أركان:**

- الركن الأول: المشفوع له.
- الركن الثاني: -الأوسط –: الشافع.
- الركن الثالث – الأعظم - : المشفوع عنده.

من الطالب؟ الطالب هو المشفوع له، المشفوع له يطلب من الشافع، فالشافع أعلى منزلة من المشفوع له، يطلب منه أن يطلب من المشفوع عنده حاجته.

⇦ يعني الطالب صاحب الحاجة هو المشفوع له.

⇦ والشافع ليس صاحب حاجة لكن له مكانة عند المشفوع عنده.

ينتفع المشفوع له بمكانة الشافع فيطلب منه أن يطلب حاجته عند المشفوع عنده، المشفوع عنده هو العظيم المالك القادر.

إلى هنا تبين الثلاثة أركان؛ الشفاعة الشرعية سنضع عند كل عنوان مثال:

- **المشفوع له** عاصي يريد أن لا يدخل النار.
- **الشافع مثلًا** النبي صلى الله عليه وسلم أو الشهيد من أهل بيته – أي من أهل بيت العاصي-
- **المشفوع عنده** هو العظيم المالك القادر سبحانه.

هذا مثال على الشفاعة الشرعية؛ الله عز وجل يأذن للنبي أن يشفع لهذا العاصي أو يأذن للشهيد من أهل بيته أن يشفع له فيتقدم الشهيد عند الله فيطلب من الله أن لا يدخل العاصي النار فيقبل الله عز وجل شفاعة هذا الشافع.

إلى هنا هذا مثال للشفاعة الشرعية.

الآن مطلوب منا أن نفكك اسم الباب على هذا المثال

من اسم الباب من هو الشافع ومن هو المشفوع له ومن المشفوع عنده؟ السؤال: ما معنى أن يستشفع بالله على خلقه؟

جواب من الطالبات: مستشفع بالله على خلقه معناها:

⇦ الشافع هو الله.

⇦ والمشفوع عنده هم الخلق أو في حديث النبي.

نفهم المسألة بصورة أدق؛ لابد أن تفهم أن الشفاعة معناها الطلب، هذه أول كلمة مهمة، يعني المشفوع له يطلب من الشافع والشافع سيطلب من المشفوع عنده.

لما يكون الطلب في الدنيا كيف تكون الشفاعة عند الله؟ بالدعاء، وفي الآخرة يكون بسؤاله مباشرة، يعني في الآخرة النبي صلى الله عليه وسلم يأتي إلى باب الله ويطلب من الله، والشهيد يفعل ذلك، إلى أخر ما تعرفي من الشفعاء الذين يطلبون من الله حوائج هؤلاء الخلق.

وطبعًا الشفاعة وتشريعها له حكمة عظيمة، فتشريعها نافع للعبد المشفوع له في الدنيا ونافع للمشفوع له وللشافع في الآخرة، أما وجه النفع فانت إذا قيل لك أن القرآن سيشفع لك، وسيكون مدافعًا عنك طالبًا لك الرفعة والمنزلة؛ فماذا ستكون علاقتك بالقرآن؟!، وإذا قيل لك النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لك، ففي الدنيا ماذا ستكون علاقتك بالنبي؟! فهذا من عظيم الدفع لك للاستقامة والصلاح والقيام بما يجب عليك، وأيضًا هو نافع للشافع – النبي صلى الله عليه وسلم والشهداء – نافع لهم من جهة رفع مكانتهم وإظهار عملهم.

المطلوب أن تعرف أن الشفاعة طلب في الدنيا يكون معناها الدعاء وفي الآخرة معناها الطلب مباشرة، فهذا الأعرابي أتى قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الأنفس نهكت والعيال جاعت والأموال هلكت، فيريد من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يطلب من الله المطر: "فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ"، فهنا استشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم على الله، بمعنى طلب شفاعته وهو حي حاضر، طلب شفاعته أي طلب منه الدعاء والنبي ترجى إجابته، فسأله هذا الأعرابي في حياته أن يشفع لهم بالدعاء، فكان النبي صلى الله عليه وسلم من عادته أن الصحابة إذا طلبوا منه الدعاء يدعو لهم الله عز وجل أن يعطيهم من الخير الدنيوي والأخروي.

أما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لم يطلب منه أحد من الصحابة ولهذا لما وقع الجدب في خلافة عمر رضي الله عنه وأراد أن يستسقي طلب من العباس أن يدعو، وهذا معناه الاستشفاع به، فخرج عمر بالعباس ولما صلوا الاستسقاء قال يا عباس قم فادعو، فجعل العباس رضي الله عنه يدعو وهم يأمنون على دعائه.

فهذا معنى الاستشفاع بأحد في الدنيا على الله واستشفعوا بالعباس لأنه أقرب الناس إلى النبي، وللقرابة والصلة مع الصلاح منزلة من المؤكد، ولذلك آل البيت لهم حقوقهم التي يجب أن تعرف لكن لا تدخلك في باب الغلو قد أنعم الله عز وجل علينا بأن فيهم من الصلاح الكثير، وهؤلاء نحبهم لما لهم من مكانة مع صلاحهم طبعًا هذا الشرط –

المقصد أنه كان الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته، والاستشفاع يعني تأتي له وتقول اطلب الله لنا، فالاستشفاع من المخلوق جائز بشرط أن يكون حيًا حاضرًا قادرًا على إجابة الطلب، أما طلب الشفاعة من الميت فهذا يدخل في الشرك – نسأل الله السلامة–.

إلى هنا هذا ليس موضوعنا هذه مجرد توطئة من أجل أن تفهم الأمر.

نأتي إلى صلب موضوعنا؛ هذا الأعرابي قال جملتان:

- **أحدهما فاسدة:** "نستشفع بالله عليك وبك على الله".
- **الجملة الصحيحة:** "نستشفع بك على الله".

يعني جعل الرسول صلى الله عليه وسلم شافع والله عز وجل هو المشفوع عنده، والأعرابي في الحالتين هو المشفوع له وليس الأعرابي فقط إنما كل المسلمين الذين أصيبوا بالجدب لكن هذا نموذجهم أو ممثلهم، فالمشفوع له هو الأعرابي، في جملة: "نستشفع بك على الله" هذه الجملة الصحيحة:

⇦ الأعرابي هو المشفوع له.

⇦ والنبي صلى الله عليه وسلم هو الشافع.

⇦ والله عز وجل هو المشفوع عنده.

لكن لما قال: "نستشفع بالله عليك" هنا كان الخاطر، سيكون معنى الجملة أن الله هو الشافع عند النبي صلى الله عليه وسلم!!، كأن الأعرابي يقول أنا أطلب من الله أن يطلب منك يا رسول الله!، فكانت هذه جملة عظيمة في حق الله ومن أجل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم سبح، والتسبيح معناه تنزيهه سبحانه وتعالى عما لا يليق به، فهذا أمر يجب أن لا يخطر على بالك أبدًا، بل يجب عليك أن تنزهه وتقدسه عما لا يليق به.

هو ماذا أراد لما قال: "نستشفع بالله عليك"؟ يعني نجعل الله شافعًا لنا عندك حتى تقبل قولنا وتدعو لنا.

هذا هو الذي أنكره النبي صلى الله عليه وسلم وسبح الله من أجله تنزيهًا وتعظيمًا لله، لماذا؟ لأن هذا يناف حق الله جل وعلا وملكه وسلطانه وتصرفه في كل أمر، لا أحد له حق على الله، فضلًا أن يكون أحدًا شريكًا لله جل وعلا في التصرف، يعني لا أحد يستطيع أن يتصرف مع الله فكيف تجعل الرب يشفع عند هذا المخلوق؟! يطلب منه؟! تعالى الله وتقدس!.

ولذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ": وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ ؟" فدل هذا على أن الرجل جاهل جهل حق الله جل وعلا، فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم وفي نفس الوقت نزه الله عز وجل عن قوله منكرًا له، ثم أخبره بشيء من عظمة الله مما يدعو الإنسان إلى تعظيم الله فقال إن شأن الله اعظم من ذلك إنه لا يشتفقع بالله على أحد من خلقه.

ولذلك انظري للرواية التي ذكرها الشارح: قال:

قال: " وَيْحَكَ ، أَتَدْرِي مَا تَقُولُ"

هذا يدلك على أنه جاهل.

وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ ، حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحْدٍ مِنْ خَلْقِهِ شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ لَعَلَى سَمَوَاتِهِ هَكَذَا " ، وَقَالَ بأصبعه: مِثْلَ الْقُبَّة عليه ،

هنا ذكر له شيء من عظمة الله إن عرشه العرش هو سقف المخلوقات وأعلاها وهو أكبرها وأوسعها، وهو الذي أختصه الله جل وعلا بأن يستوي عليه، والأستواء على الشيء هو الأرتفاع عليه والعلو عليه، وهذا كما هو معروف أتى في كتاب الله في مواطن متعددة وجاء به الحديث.

ولهذا قال: " اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَهُ "، في الرواية الثانية لابن يسار في حديث: " إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ واللَّه فَوْقَهُ " أي فوق العرش.

وأدلة العلو كثيرة تزيد من جهة النوع على خمسين نوع، ثم أفرادها لا تسأل عن أفرادها، فالعرش أعظم المخلوقات كما جاء أن السماوات على سعتها وعظمتها تكون بالنسبة للعرش كسبع دراهم ملقاة في أرضٍ فلاه وليس فوق العرش إلا رب العالمين جل وعلا وليس فوقه شيء "وَأَنْتَ الظَّاهِرُ ، فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ"

وجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ" ومن أجل ذلك هذا ما تستفيده من إشارة النبي صلى الله عليه وسلم للعرش مثل القبة، الفردوس لن تكون أعلى الجنة ووسطها في نفس الوقت إلا إذا كان مثل القبة.

ثم أن هذا العرش العظيم النبي صلى الله عليه وسلم علم هذا الأعرابي الذي لا يعرف حق الله أن الله مستوي على العرش فكأنك تقول هذا من أولويات التعلم، وفي نقاشات لأهل العلم حول إثبات العرش يقولون أن العرب تعرف أن الله عز وجل على العرش استوى، فانظر للنبي صلى الله عليه وسلم ومعاملته للجارية واعتباراها مؤمنة لإثباتها صفة العلو، وانظر للنبي صلى الله عليه وسلم يعلم الأعرابي الذي لا يعرف ربه يعلمه فقال له:" وَيْحَكَ ، أَتَدْرِي مَا اللَّهُ ؟ إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ ".

على كل حال فطر الناس مفطورة على أن العظيم لابد أن يكون عليًا لكن الفطر تتغير بالتعليم والتربية " كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو وَيُمَجِّسَانِهِ".

لا يستشفع بالله على خلقه

قوله: باب "لا يستشفع بالله على خلقه"

وذكر الحديث وسياق أبي داود في سننه أتم مما ذكره المصنف رحمه الله ولفظه: عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : أَتَى رسول الله صلى الله عليه وسلم أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جَهِدَتِ الْأَنْفُسُ ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ ، وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَيْحَكَ ، أَتَدْرِي مَا تَقُولُ ؟ " وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ أَصْحَابُهُ ، ثُمَّ قَالَ : " وَيْحَكَ ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ ، وَيْحَكَ ! أَتَدْرِي مَا لِلَّهِ ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ ، هَكَذَا بِأَصَابِعِهِ ، مِثْلُ الْقُبَّةِ عَلَيْهَا ، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ " قال ابن بشار في حديثه: " إن الله فوق عرشه فوق سماواته ".

قال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد بن إسحاق بن يسار.

قوله: ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه فإنه تعالى رب كل شئ ومليكه، والخير كله بيده، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، وما كان الله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الأرض إنه كان عليمًا قديرًا. إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون. والخلق وما في أيديهم ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء وهو الذي يشفع الشافع إليه، ولهذا أنكر على الأعرابي.

كأنه يقول الله عز وجل مالك كل شيء وهو الذي إذا أراد الشافع أن يشفع إليه

قوله: وسبح لله كثيرًا وعظمه لأن هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وبحمده إن شأن الله أعظم من ذلك.

لابد أن تعتقد كمال صفات الله، تعتقد أن الله عز وجل له كمال الصفات فإذا اعتقدت ذلك لا يمكن أن تظن أو تطلب من الله أن يطلب لك من أحد، كيف؟! إن شأن الله عظيم أتدري ما الله!؟ هو الذي يطلب منه، ولذلك انت لما ترى في الكون حولك أو في حياتك ترى حولك من يتسلط عليك، ترى من يظلمك، لا تظن أن الله عز وجل لا يقدر عليه! بل لابد أن تعتقد يقينًا أن الله عز وجل قادر عليه وأن هذا العبد في قبضته فتطلب من الله وانت على يقين أن يرد شره وأن يقلع ظلمه وأن يأخذ حقك وانت مطمئن أنه على كل شيء قدير، لا تتصور أنك تقول يارب اطلب منه أن يبعد عني!!!، لأ طبعًا، تطلب من الله أن يصرفه عنك وانت كلك يقين أن الله على كل شيءٍ قدير.

والحقيقة فيما مضى كنت اشرح هذا الباب مع الاستبعاد لوجود صوره في الحياة، لكن بعد الدخول في برامج الإصلاح تبيَّن أمرًا لا يمر على الخاطر!؛ أن كثيرًا من النساء لضعفها وضعف علمها عن الله أقول لها أدعي الله أن يصرف شره، ويكون الزوج متسلط حقًا فادعي الله أن يصرف شره فتصوري ترد علي تقول هذا لا يصرف شره أحد!!

في أول الأمر كانت المفاجأة!، ثم لما تكررت اشتعل في القلب هذه المشاعر التي تجعلك تعلم سبب خذلاننا وضعفنا!، أن القوم يشعرون أن الظالم في الحياة لا قدرة لأحد عليه ولا الله – تعالى الله عما يقولون – !!

الحقيقة مثل هذا كالجمرة تلقى في القلب قهرًا أنه إذا كنت مقهور من الظالم والظالم قهرك فما تعتقده يأتي بالقهر أكثر، ولما تفتش ترى تركيبة من سوء الظن! وربما بعضهم يتفلسف، يعني الآن لم أكن أتكلم أنه جاهل بمعنى أنه غير متعلم إنما أتكلم عن أمثلة لأشخاص عندهم شهادات جامعية في تخصصات دقيقة أيضًا، لكنهم يأتون فيتفلسفون ويستشهدون بشواهد عجب، ومن ذلك أنهم يقولون ها هو الشيطان يسرح ويمرح!، انظر ماذا يقولون! لولا أنك تعلم أنه لا يحق لك أن تحكم على أحد وإلا قد تسارع إلى عقلك الأحكام على هؤلاء.

والحقيقة في هامش الكلام أن باب الإصلاح أحد أبواب الدعوة المهمة اليوم، يعني في باب الإصلاح انت تكتشف أنه ليس هناك مشكلة عائلية إنما هناك مشكلة عقائدية أصلًا، ولم تتعقد الدنيا عليه أو عليها إلا بسبب ما يعتقدوه في الله من سوء ظن وعدم انتظار الخير!.

على كل حال لازلت أقول لك لا تظن أن مثل هذا الباب لا علاقة له بالواقع بل له علاقة واضحة بالواقع، بل له علاقة واضحة بالواقع، انت لابد أن تعظم الله وتظن أن كل خير بيد الله وأن كل شر لا يصرفه إلا الله، فتكن عزيزًا بعزه، ذليلًا له وحده.

ولهذا جملة النبي صلى الله عليه وسلم لا تتركها: " وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ ؟ إِنَّ عَرْشَهَ لَعَلَى سَمَوَاتِهِ هَكَذَا" إلى أخر ما قال صلى الله عليه وسلم.

ولازلنا في نفس الدائرة "الجهل بالله مورث للخلق ضعف التعلق به".

وفي هذا الحديث: إثبات علو الله على خلقه، وأن عرشه فوق سماواته. وفيه تفسير الاستواء بالعلو كما فسره الصحابة والتابعون والأئمة،

يعني ما معنى استواء الله؟ علوه على عرشه.

خلافًا للمعطلة والجهمية والمعتزلة ومن أخذ عنهم، كالأشاعرة ونحوهم ممن ألحد في اسماء الله وصفاته وصرفها عن المعنى الذي وضعت له ودلت عليه من إثبات صفات الله تعالى التي دلت على كماله جل وعلا،

وهذا إن شاء الله يأتينا في الواسطية.

كما عليه السلف الصالح والأئمة ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة، فإنهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله من صفات كماله على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

هنا ذكر معتقد أهل السنة والجماعة في باب الاسماء والصفات.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في مفتاح دار السعادة . بعد كلام سبق فيما يعرف العبد بنفسه وبربه من عجائب مخلوقاته.

هذا باب جميل تحتاج تراجعي مفتاح دار السعادة ومنشور باب العلم والإرادة، وهذا إن شاء الله نتعرض له فيما بعد.

قال بعد ذلك:

والثاني: أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له أبواب السماء، أولًا تعرف ربك بعجائب مخلوقاتك حولك ثم تنتقل إلى الأعلى منه، ما هو الأعلى منه؟ أن تتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة، البصيرة الباطنة التي تبنى على العلم وعلى الخبر الذي جائك.

فيجول في أقطارها وملكوتها وبين ملائكتها، ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن فينظر سعته وعظمته وجلاله ومده ورفعته،

هذا كله يكون السير بإحياء النصوص، وهذا كانت أصل مادة ورشة صناعة الإنسان، أن الصناعة تعتمد على صناعة النصوص وها هي النصوص أمامك وصف لك كل شيء بدقة ولما تسير بقلبك الذي فيه كلمات حية ستنظر بعين بصيرتك.

ويرى السماوات السبع والأرضين السبع بالنسة إليه كحلقة ملقاة بأرض فلاة، ويرى الملائكة حافين من حول العرش لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير، والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها إلا ربها ومليكها، فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين، وإعزاز قوم إذلال آخرين، وإنشاء ملك وسلب ملك، وتحويل نعمة من محل إلى محل وقضاء الحاجات على إختلافها وتبيانها وكثرتها: من جبر كسير، وإغناء فقير، وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضر، ونصر مظلوم، وهداية حيران، وتعليم جاهل، ورد آبق، وأمان خائف، وإجارة مستجير، ومدد لضعيف، وإغاثة لملهوف، وإعانة لعاجز، وانتقام من ظالم، وكف لعدوان، فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل، والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمع شئ منها عن سمع غيره، ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج على اختلاف لغاتها وتبيانها واتحاد قوتها، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا تنقص ذرة من خزائنه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقًا لهيئته خاشعًا لعظمته عانيًا لعزته، فيسجد بين يدي الملك الحق المبين، سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد، فهذا سفر القلب، وهو في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه، فياله من

سفر ما أبركه وأروحه، وأعظم ثمرته وربحه، وأجل منفعته وأحسن عاقبته، سفر هو حياة الأرواح، ومفتاح السعادة، وغنيمة العقول والألباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب. ا هـ كلامه رحمه الله.

المقصود بسفر القلب هو معرفته ووصوله إلى حقيقة العلم، والمعرفة لا تكون إلا بالوحي الذي أوحاه الله عز وجل للرسول صلى الله عليه وسلم وتلقيناه منه، ويجب على العبد الهجرة وترك ما يعترض العبد من العوائق والمؤثرات التي تؤثر في سيره إلى الله، والله عز وجل لا يدرك ولا يعلم ولا أحد يطلع عليه ويشاهده وليس له مثيل فيقاس عليه -تعالى الله وتقدس-، فتتوقف معرفته على وصفه لنفسه، وقد جلّ لك أوصافه في كتابه ووصفه نبيه صلى الله عليه وسلم، فسفر القلب يكون بهذه الواسطة، وسفر القلب يكون بأن تأتي إلى كل الأخبار التي أتتك عن الله وتحييها في قلبك وتجيلها في فكرك وتبقى تحت أثرها تعيش.

المقصد أن هذا الأمر يحتاج منك إلى تدريب، حقيقة يحتاج إلى تدريب وهذا هو مقصدنا إن شاء الله في الورشة القادمة.

وأما الاستشفاع بالرسول صلى الله عليه وسلم في حياته فالمراد به استجلاب دعائه، وليس خاصًا به صلى الله عليه وسلم بل كل حي يرجى أن يستجاب له فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة أو العامة،

الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم هو طلب دعاؤه.

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك.

مر علينا أن هذا الحديث ضعيف.

وأما الميت فإنما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته على قبره وفي غير ذلك. وهذ هو الذي يشرع في حق الميت، وأما دعاؤه فلم يشرع، بل قد دل الكتاب والسنة على النهي والوعيد عليه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ فبين الله تعالى أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة أي ينكره ويعادي من فعله،

يعني المدعو الذي طُلب ينكره يوم القيامة.

كما في آية الأحقاف: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر. والصحابة رضي الله عنهم، لا سيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين، لم ينقل عن أحد منهم ولا عن غيره أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، حتى في أوقات الجدب، كما وقع لعمر رضي الله عنه لما خرج ليستسقي بالناس خرج بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن يستسقي لأنه حي حاضر يدعو ربه فلو جاز أن يستسقي بأحد بعد وفاته لاستسقى عمر رضي الله عنه والسابقون الأولون بالنبي صلى الله عليه وسلم. وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت، لأن المقصود من الحي دعاءه إذا كان حاضرًا. فإنهم في الحقيقة إنما توجهوا إلى الله بطلب دعاء من يدعوه ويتضرع إليه، وهم يدعون ربهم، فمن تعدى المشروع إلى ما لا يشرع ضل وأضل. ولو كان دعاء الميت خيرًا لكان الصحابة إليه أسبق وعليه أحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم. فمن تمسك بكتاب الله نجا، ومن تركه واعتمد على عقله هلك. وبالله التوفيق.

وبالله التوفيق.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو اللقاء الأخير في دراستنا لكتاب التوحيد من فتح المجيد، وقد توقفنا المرة الماضية عند باب: "ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى للتوحيد وسده طرق الشرك"، يبقي علينا هذا الباب والباب الأخير؛ باب: "قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٦٦٠]".

نبدأ أولًا بهذا الباب وهو حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك.

المتن:

حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الشِّخِّيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إلى النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا : أَنْتَ سَيِّدُنَا ، فَقَالَ " السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى" قُلْنَا : وَأَفْضَلُنَا فَضْلا وَأَعْظَمُنَا طَوْلا ؛ فَقَالَ: "قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أو بِبعْضِ قَوْلِكُمْ ، وَلا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ" راوه ابو داوود بسند جيد.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ، عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ". رواه النسائي بسند جيد.

أولًا ما المقصود بهذا الباب في نهاية الكتاب؟ هذا الباب مر معنا مثيله بعد أن تبيَّن لنا أبواب الغلو وهنا أيضًا تكرر، يعني اسم الباب هذا مر معنا ومقصوده أيضًا مر معنا لكن جاء المرة الماضية بعد الكلام حول الغلو في الصالحين وأنه سبب كفر بني آدم؛

- ثم قال باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلي الشرك.
- وهنا قال باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد.وسده طرق الشرك.

ما الفارق بين البابين؟

نبدأ بالفارق في المقصود.

- يعني ما المقصود بالباب الأول الذي أتى بعد أبواب الغلو؟ المقصود به بيان كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم منع الأفعال التي تؤدي إلى الشرك وسد كل الذرائع التي يمكن أن تكون سببًا في ذلك – سببًا في الشرك–.
- هناك كان من جهة الأفعال، هنا في هذا الباب يكون الكلام من جهة الأقوال أنه صلى الله عليه وسلم سد كل الأقوال التي يمكن أن تكون ذريعة إلى الشرك.

[٦٦٠] الزمر:٦٧

وهذا يجعلك تعظم النبي صلى الله عليه وسلم ويجعلك تعرف قيمة التوحيد الذي اهتم به النبي صلى الله عليه وسلم وجعل له هذه المنزلة، فإذا نظرت إلى توحيد العبادة – وإلى التوحيد عمومًا وعلى رأسه والذي حصل فيه إشكال: "توحيد العبادة"– وجدت أن النبي صلى الله عليه وسلم يرشدك إليه بصورٍ لا تنحصر بل مجموع ما علمك النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم هو بنفسه أو ما أمرك به ستجده كله يدعوك إلى توحيد العبادة، إلى أنواع التوحيد وعلى رأسها توحيد العبادة، فلاحظ سنته فى الأدعية، وسنته في الأكل والشرب، وسنته صلي الله عليه وسلم في التقرب والتعبد لربه، ستجد كلها تدور حول التوحيد، هذا لو نظرنا إلى الأمر من جهة توحيد العبادة.

إذن النبي صلى الله عليه وسلم يدعوك إلى "توحيد العبادة" والمعني أن هذا التوحيد إذا أردت النجاة هو الطريق لا طريق غيره.

وأيضًا لو نظرت من جهة أخرى وأردت "توحيد المتابعة" بمعنى لو قلت أنا أريد أن أصل إلى مرضاة الله ولا أصل إلى مرضاة الله إلا عن طريق متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله ليطاع، قلنا لك صحيح هذا هو الطريق الوحيد لطاعة الله عز وجل أن يكون عندك واحد فقط تتبعه في جميع أقوالك وأفعالك وتستن بسنته وتطلب متابعته في كل مسلك.

ما هو هذا الذي ستوحد المتابعة له؟ لا أحد إلا الرسول صلى الله عليه وسلم.

فإذا أتيت ووحدت المتابعة مع النبي صلى الله عليه وسلم ستجد أن النبي صلى الله عليه وسلم يدعوك في كل أمر إلى التوحيد ويحمي جنابه.

⇦ إذن النتيجة إذا أردت أن تنظر إلى ما يدعو إليه النبي صلى الله عليه وسلم فهو يدعو إلى التوحيد.

⇦ وإذا أردت أن تتابعه في كل أمر لن تجد إلا التوحيد.

⇦ فهو آمر به، داعٍ اليه، معظم له، حامٍ لجنابه، وكل هذا يدعوك أنت لأن تتابعه في ذلك.

فلو كنت حقًا تطلب رضا الله وتعرف أن لا طريق لرضاه إلا عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم وجب عليك أن تجعل التوحيد منهجك وطريقتك في الحياة، واحذر أن يغالبك عليها الناس أو أن يهونوا لك الأمر، فوالله ما ثم إلا التوحيد.

الأمر الثاني المهم الذي نجده في الباب وهو من قواعد الشريعة:

"منع ما كان وسيلة وذريعة إلى محرم خاصة ما كان وسيلة إلى الشرك، وفي ذلك حماية لجناب التوحيد".

وهنا الوسيلة والذريعة التى مُنعت هي المدح الذي قد يفضي إلى الغلو، والمصنف قال: – يعني العنوان مكتوب بطريقتين –:

"باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم وسده طرق الشرك"

"باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم وسده طرق الشرك"

يريد هنا أن يبيِّن في الباب أن النبي صلى الله عليه وسلم بعدما ما وضح العبادة إيضاحًا تامًا أتي بأقوال وأفعال فيها حماية لهذه العبادة، **والحمى** جوانب الشيء والطرق التي يُدخل منها إليه.

فسدّ الرسول صلى الله عليه وسلم الطرق الباطلة، يعني وضّح عبادة الله إيضاحًا تامًا ووضح وسائل الشرك وبيَّنها ونهى عنها وحذر منها.

وهذا كما اتفقنا كثير جدًا في سنته صلى الله عليه وسلم مر معنا مثلًا قوله: " أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا ؟ قُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ"، وأيضًا قوله: " إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ"، كل هذا وأكثر منه بكثير تجده شواهد على حماية النبي صلى الله عليه وسلم حِمى التوحيد.

نبدأ بكلام الشارح ليتبيَّن لنا حكم المدح.

باب: ما جاء في حماية المصطفى حمى التوحيد، وسد طرق الشرك.

حمايته صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص وهذا كثير في السنة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم كقوله: " لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ " وتقدم.

وقوله: " إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ عز وجل" ونحو ذلك. ونهى عن التمادح وشدد القول فيه، كقوله لمن مدح إنسانًا: "ويلك قطعت عنق صاحبك" والحديث أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه: "أن رجلًا أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

والمقصود أمامه يعني في وجهه

فقال له: "قطعت عنق صاحبك ثلاثًا "

الآن ماذا يناقش الشارح؟ يناقش حكم المدح، فذكر لك أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال، وهذه الأقوال والأعمال لما تشوب التوحيد ماذا تسبب له؟ تسبب إما اضمحلاله تمامًا أو نقصه، أما الاضمحلال التام أو النقص، فهذا أثر أنواع من الشرك الأصغر والأكبر على توحيد العبد.

فالنبي صلى الله عليه وسلم منع كل الوسائل، كقوله: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ" والمقصود هنا التمادح والإطراء معناه تجاوز الحد الذي حده الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو المبالغة في المدح.

- فالنبي صلى الله عليه وسلم حذر من المدح الذي يدعو المادح إلى أن يتجاوز الحق.
- أيضًا نهى عن نوع آخر من المدح وهو المدح في الوجه لأن المدح في الوجه سبب من أسباب الفتنة.

انظري إلى الحديث " إِذَا لَقِيتُمْ الْمَدَّاحِينَ – ماذا تفعلوا؟– فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمْ التُّرَابَ" بمعنى إذا جاءك من يمدحك ماذا تفعل له؟ احثُ في وجهه التراب، لماذا؟ تقول له هذا جزاؤك، لما جزاؤه؟ لأن المدح فتنة لك وله وللسامعين وأعظم المفتونين هو أنت، النفس تحب المدح، تستأنس به ولو كان كذبًا، فتجد النفس تقول لعله صدق!، وهو يعرف من نفسه أنه ليس بهذا الوصف فيستأنس ويميل ويحب، والذي لا يمدحه ولا يعطيه هذه المكانة لا يعطيه حقه!.

وهذه مصيبة طبعًا لو كان الشخص متولي أمر المسلمين إذا مُدح عمل ما يجب عليه وإذا لم يُمدح ظلم الذي لم يمدحه! مشكلة!، **ولو تتصور المفاسد التي تحصل بسبب المدح تتيقن أن هذا الأمر – وهو منع المدح – من أزكى الأمور ومن أزكي ما يزكِي النفس، فالمدح يسبب الظلم، يسبب ترك الحق، يسبب ارتكاب الباطل، يسبب حب النفس إلى درجة عبادة النفس،** وأنت تعلم أن الشريعة طببت القلوب والأبدان، والنبي صلى الله عليه وسلم أتى مرشدًا للعباد ليصلوا إلى زكاء النفوس فهو يعلم ماذا يكون أثر المدح ويعلم على المدى البعيد في المجتمعات ماذا سيكون أثره.

ولما مدح أحدهم الآخر في مجلسه وقال له كما ورد في الحديث: " وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَهُ" ؛ قال له ما العلاج؟ "إِنْ كُنْتَ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَقُلْ أَحْسَبُهُ كَذَا وَكَذَا ، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَحَدًا "[٦٦١].

ولا بد أن تعلم أن المدح في الوجه يسبب مرض للذي أمامك، وأيضًا يجعل أصابع الاتهام تشار إليك، يخشي منك، لابد أن تعلم أن كثرة المدح من شأن المنافقين، والمنافقين في الظاهر يقول من أمامك كلام ومن ورائك كلام.

ونحن يؤسفنا أن كثير من الأعمال والوصايا التربوية تطلب منك أن تغرق من أمامك بالمدح إذا أردت أن تبيِّن له عيبًا من عيوبه، طبعًا إذا أردت أن تبيِّن له عيبًا من عيوبه هذا لأنك مسؤول أن تقول له عيبه، يعني لو أنا دخلت لمعلمة حصتها، وقد انتهكت كل القوانين وأيضًا ضعيفة في مادتها وفي طرحها إلى آخره، فالمطلوب مني أقول لها: "جزاك الله خير، أحسنتِ، وفقك الله، لكن أخطات في كذا وكذاوكذا"؛ فلما يأتي الكلام واقعيًا تجد مدة المدح تطول!، يطول الكلام فيه إلى أن تنتشي المعلمة، ولما تنتشي المعلمة مثلًا وأأتي أقول لها: "لكن أخطات في كذا وكذا وكذا"، فواحد من أمرين:

- إما أنها تسقط كلامي في البؤرة العمياء، يعني كأنها لا سمعت ولا رأت!.
- أو أنها أنها تجادلك لأنها تتصور أنها على المنزلة التي ذكرتيها من المدح.

أنا الآن اتكلم عن علاقتي بشخص أنا مسؤول عنه، لا أتكلم عن أحد أستعمل معه "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ"! اتكلم عن أحد أنا مسؤول عن توجيهه وعن إفهامه وعن ترقيته وأنا لا أدعو في المقابل أن أهاجم الناس ولا لما تخرج المعلمة من حصتها أهاجمها وأقول لها: ماذا فعلت، اخطأت وما كان ينبغي أن تفعلي، لا هذا ولا هذا؛ لا نريد المغالاة والإطراء ولا نريد في المقابل المهاجمة لكن نريد كلام معتدل أوله وأوسطه وأخره سؤال الله أن يسددنا في آرائنا وفي أقوالنا ثم تبييِّن النية، أنت يا بنتي معلمة اسأل الله أن يفتح لك القلوب وانت في بداية حياتك أو بداية عمرك في التدريس – هذا لو كانت صغيرة –، ولو كانت كبيرة أقول لها: نحن نتبادل الخبرات وأكيد هناك وجهات نظر في كل أمر، وأكيد ما يناسب فلان لا يناسب فلان، لكن أنا فقط أقول لمن أمامي أن هذا الأمر يحتاج إلى معونة، يعني عدم ترتيب أفكار الطالبة يحتاج منك أنت يا معلمة إلى أحد يعينك على ترتيب أفكار الطالبة، لأن نفس هذه المهارة – أني أرتب أفكار الذي أمامي – ليس كل شخص يملكها!، إذن هناك نقاط قوة الحمدلله لكن نقاط الضعف تحتاج إلى إعانة، تحتاج إلى توجيه، تحتاج إلى تدريب، إلى أخره.

المقصود أنك تعرف أن الارتداد الحاصل في الإنتاج على جميع الأصعدة في العالم الإسلامي سببه أننا نأخذ مخدرات، ما هي المخدرات التي نأخذها؟ "المدح"، المدح أصبح مخدر!، لما تصب عليك كمية من المدح تري نفسك فعلت كل ما يجب عليك ولا ترى أنه مطلوب منك أكثر من ذلك!.

يؤسفنا أن نقول أن هذه ثقافتنا لكنها خطيرة!، وبسببها لا يصلح الإنسان لا في دنيا ولا في دين!، وتبقي كلمة المدح سببًا للنشوة زمنًا طويلًا، ويبدأ الإنسان يتلفت عن ميزانه الذي سينصبه الله له!، فلا يفكر في ميزان الذي سينصب له عند الله إنما يرضى بثناء الناس عليه، ويكتفي بثناء الناس عليه.

---

[٦٦١] الرواية الأخرى: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَقَالَ **وَيْحَكَ** قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلَانًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ كَذَا وَكَذَا

على عكس هذا الأمر؛ تجد ثقافة أشخاص كثيرين من أهل الكفر ومن بينهم ثقافات الشرق، يعني ثقافة الشرق عكسية تمامًا، دائمًا إظهار النقص طلبًا للكمال إلى درجة بلغت أن يعتبروا الإنتحار صورة من صور تحمل المسؤولية!، يعني الآن حصل أخطاء وعيوب هي التي تظهر على السطح دائمًا ولا يرى أي شيء أخر، ولا يسلِّم أن هناك خطأ بشري، ولا يسلم أن هناك شيء اسمه قضاء وقدر!، لا يُسلم بهذا كله وتأتي ثقافة تقول الإنتحار دليل أنك أنت متحمل المسؤولية!، لأن نتيجة تحملك للمسؤولية وفشلك وجدت لها طريق أن تنهي حياتك وتنتهي!.

طبعًا نحن لا نريد هذا ولا نريد هذا!، لا نريد أن نأخذ مخدرات ونعتقد أننا أحسنا عملًا في أمر الدنيا أو في أمر الآخرة، ولا نريد أيضًا في المقابل كذلك أن نصل إلى أننا لا نرى إلا العيوب والأخطاء، ولا نعمل عمل إلا نفند فيه الأخطاء ثم لا نرى أن هناك أشياء تغلبنا وأن الله عز وجل يسبقنا، المسألة تحتاج إلى كثير من التوازن لكن لابد أن تفهم أن هذا الأمر الذي نُهيت عنه فى الشريعة أتي لإصلاح قلبك وحياتك وبدنك، لم يأت فقط لمجرد حفظ الدين، كثير من الناس يتصورون أن الأوامر الشرعية ليس فيها إلا حفظ الدين والدنيا تذهب، وأن هذه الأوامر الشرعية ليست موافقة لنفس الإنسان أو لإراداته.

يقول الشارح:

وكذلك قوله في حديث أَنَسٍ أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِينَكُمْ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ، عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ".

كره صلى الله عليه وسلم أن يواجهوه بالمدح فيفضي بهم إلى الغلو.

هذا المقصود؛ يعني من هنا أتى الخوف أن هذا المدح يمكن أن يصل إلى الغلو.

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن مواجهة المادح للمدوح بمدحه . ولو بما هو فيه . من عمل الشيطان لما تفضي محبة المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه وذلك ينافي كمال التوحيد

إذن المدح يفضي إلى تعاظم الإنسان بنفسه، وهذا سيكون سببًا لنقص كمال التوحيد، لماذا؟ قال:

فإن العبادة لا تقوم إلا بقطب رحاها الذي لا تدور إلا عليه،

ما هو قطب الرحى؟

قال:وذلك غاية الذل في غاية المحبة.

يعني نحن نحتاج إلى أمرين سيكون قطب رحى الدين: غاية الذل مع غاية المحبة.

وكمال الذل يقتضي الخضوع والخشية والاستكانة لله تعالى، وأنه لا يرى نفسه إلا في مقام الذم لها والمعاتبة لها في حق ربها.

يعني أنه دائمًا مقصر، نِعم الله عليه كثيرة وهو قد ينسى في يوم كامل وهو متقلب في نعم الله ينسى أن يحمده أو يكثر من الحمد، – الحمدلله، الحمدلله، الحمدلله – فيرى نفسه دائمًا في مقام الذم هذا يأتي بالذل.

وكذلك الحب لا تحصل غايته إلا إذا كان يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله من الأقوال والأعمال والإرادات

الآن يعلل لك: لماذا محبة المدح تنافي كمال التوحيد؟

أول مقدمة تفهمك الأمر قال لك:

أن محبة المدح تفضي إلى تعاظم المدوح لنفسه.

ماذا يعارض تعاظم الممدوح لنفسه؟ يعارض هذا قطب رحى العبادة الذي عليها تدور العبادة.

ما قطب رحاها؟

⇦ الركن الأول: قطب رحاها الذل مع المحبة، المتعاظم لا يوجد عنده كمال الذل بل عنده شيء من التعاظم في نفسه، والذليل خاضع خاشع لا يرى نفسه إلا في مقام الذم والنقص، هذا أمر، هذا مخالفته الآن أحد ركني العبادة.

⇦ الركن الثاني مسألة المحبة: أنت الآن تحب الله مفروض أنك تحبه وتحب ما يحبه وتكره ما يكرهه، وهو يكره سبحانه وتعالى المدح.

ومحبة المدح من العبد لنفسه تخالف ما يحبه الله منه والمادح يغره من نفسه فيكون آثمًا

الآن تحولنا إلى المادح، المادح آثم

فمقام العبودبة يقتضي كراهة المدح رأسًا

يعني مقام العبودية يكره ويقتضي كراهة المدح أصلًا

والنهى عنه صيانة لهذا المقام — أي مقام العبودية – فمتي أخلص الذل لله والمحبة له خلصت أعماله وصحت ومتي أدخل عليها ما يشوبها من الشوائب دخل علي مقام العبودية بالنقص أو الفساد.

وهذا أمر الحقيقة يحتاج إلى جهد في التخلص منه واقعيًا مع نفسك ومع الناس الذين هم حولك فلابد أن تفهم أن المدح مرض اجتماعي يجب أن يعالج بالوسائل التي تزيله أو تقلله، وطبعًا أهم الوسائل تقوية التوحيد في القلوب ومتابعة السنة في معاملة المادح، فانت الآن عليك أن لا تقر أخاك وقت مدحه لك، بل انصحه وبيِّن له أن هذا فتنة لك وله.

وإذا كان المدح كذبًا كانت مصيبة أعظم!، وإذا هو مدح وانت سكت ستحاسب معه!، **الواجب التناصح والتعاون على البر والتقوى، الواجب أن لا نكون أعوانًا للشيطان على الباطل الواجب أن نترك متابعة الهوي.**

انت يجب أن تتكلم بالحق ويجب عليك أيضًا أن تحذر وانت تتكلم أن تجر الفتنة لأحد، لأن في الحقيقة النفوس ضعيفة تميل إلى طلب المدح، إلى طلب الرفعة، ***وهذا ما يسمى بالشهوة الخفية،*** حب الرئاسة، هذه الشهوة الحقيقة كامنة في النفوس والنفوس فيها حب العلو وحب الرفعة لكنه كامن إذا تُرك بقي ساكنًا، بقي كامنًا، لكن إذا أثير لا تسأل عن نتائج إثارته، نتائجه ما تراه اليوم على صفحات بعض الكتب.

– وأنا سأقول لكم يا بناتي هذا الكلام ناصحة لكم اسأله عز وجل أن يقبله أن يكون صدقًا وحقًا لله عز وجل –

معاصرًا وجدنا بعض الكتب لأهل الدنيا وأهلها يريدون الدنيا فقط، يعني لعلوم الدنيا وأهلها يريدون الدنيا فقط، يكتب في خلف كتابه كلام المادحين له، أكيد أنتم تعرفون مثل هذا الكلام، الشخص يقول قرأت الكتاب ووجدته ينفع ووجدته بديع ووجدته إلى أخره، فيأتي يجمع من كلام الناس هؤلاء ويجمع ويجمع ثم يضعها على غلاف الكتاب من الخارج من الجهة المقابلة، مثل هذا الفعل من أهل الدنيا مقبول، يريد أن يروج لكتابه، نأتى إلى أهل الدين تجده يؤلف؛ وأنا لا أقصد التقريض الذي يحصل من الأئمة الكبار – يعني أنا لما أعطي كتابي لأحد الأئمة الكبار وأقول له اقرأه واكتب لي مقدمة – هؤلاء الأئمة أصلًا يتكلمون والله اعلم هذا ما نراه أنهم بعيدين عن المدح، إنما يذكرون أهمية الموضوع، يذكرون تفاصيل عنه، وانت لما تقرأ اسماء الأئمة الكبار على بعض الكتب

لكتاب غير معروفين يطمئن قلبك، أنا لا أقصد هذا النوع – أقصد نوع جديد تجده على أغلفة الكتب من الخلف، يأخذون رأي فلان وفلان، ويكون هؤلاء فلان وفلان أحيانًا كثيرة من المغمورين لكنهم يستكثرون بكلمات المدح التي تكتب لهم.

فهذا يدلك على أمر خفي في النفس!، وإلا انت تنزل كتاب وتطبعه المطابع لو استفاد منه الناس الحمدلله، رفعه الله، ولو ما استفاد منه الناس اليوم يستفاد منه غدًا أو بعد موتك!، لكن لماذا تأتي بكلمات الثناء؟! ماذا تريد؟! ماذا تريد هذا هو السؤال الآن؟!، ماذا تريد بكلمات الثناء على كتابك؟!، انت تعلم أنه لا يروج إلا بأمر الله، والنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ "، يعني الذئبان الجائعان هما:

- الحرص على المال هذا ذئب.
- والحرص على الشرف والمكانة ذئب آخر.

إذا أرسل الذئب في الغنم ماذا يفعل؟! كذلك يفعل الحرص على الشرف والحرص على الجاه والرياسة هذا الذي يفعله في الدين، يفسد الدين إفسادًا عظيمًا وهو كما اتفقنا شهوة خفية.

ويجب أن تعلموا أن الناس لديهم استعداد أن يزهدوا في طعامهم وشرابهم حتى في ملبسهم ومظهرهم، لكن الزهد في الرئاسة صعب يقول سفيان الثوري رحمه الله:

ما رأيت زهدًا في شيء أقل منه في الرئاسة ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة تحامي عليها وعادى.

أي يصبح أعداء لهم.

وقد كتب سفيان الثوري إلى صاحبه رسالة قال فيها:

إياك وحب الرئاسة فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فتفقد نفسك واعمل بنية.

فهذا دليل على أنها شهوة خفية لا تثيرها اتركها.

وأيوب قال:

ما صدق عبد قط فأحب الشهرة.

وقال بشر الحافي:

ما أتقى الله من أحب الشهرة.

كلام السلف كثير في هذا الباب ومن أجل أن لا نخرج عن مقصودنا تبقى تفهم أن المدح من الأمراض الاجتماعية المعاصرة التي تحتاج إلى علاج.

قال:

وإذا أداه المدح إلى التعاظم في نفسه والإعجاب بها وقع في أمر عظيم ينافي العبودية الخاصة كما في الحديث: " الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي شَيْئًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ": وفي الحديث: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ": وهذه

الآفات قد تكون محبة المدح سببًا لها وسلمًا إليها – يقصد الكبر –، والعجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وأما المادح فقد يفضي به المدح إلى أن ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها،

الآن النظر إلى من قام بفعل المدح.

كما يوجد كثيرًا في أشعارهم من الغلو الذي نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وحذر أمته أن يقع منهم، فقد وقع الكثير منه حتى صرحوا فيه بالشرك في الربوبية والإلهية والملك، كما تقدمت الإشارة إلى شئ من ذلك.

يعني يقصد أن الشعراء المداحين، يعني هنا المقصود بالمدح طبعًا واضح، المادح من هنا؟ يقصد كثير من الشعراء المداحين، ماذا حصل منهم؟ حصل منهم غلو وهم يتكسبون بشعرهم فيمدحون، فيصل بهم المدح أن يشركوا، يعني أن يمدحوا الممدوح مدحًا يسبِّب الدخول في شرك الربوبية والإلهية والملك.

حقيقة هذه أمثلة كثيرة لكن نخشى أن نفتح على أنفسنا باب مليء بالأمثلة التي بلغ أصحابها من المدح مبلغا خطيرًا وسبب هذا حرصهم طبعًا على المال حرصهم على ما يأتي من وراء المدح.

والنبي صلى الله عليه وسلم لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يُمدح، صيانة لهذا المقام، وأرشد الأمة إلى ترك ذلك نصحًا لهم، وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده، أو يضعفه من الشرك ووسائله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ ورأوا أن فعل ما نهاهم صلى الله عليه وسلم عن فعله قربة من أفضل القربات وحسنه من أعظم الحسنات !

وهنا الشارح يشير إلى فعل المتصوفة الذين ينشرون أبيات الشعر وغيره من المدائح النبوية التى فيها تعدي على مقام الربوبية والإلهية.

وأما تسمية العبد بالسيد فاختلف العلماء في ذلك.

يقصد الحديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال كنت في وفد بني عامر وهو وفد من الوفود التي وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة، ومعنى هذا أن هذا الأمر وقع في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فهم قالوا لما أتوا على النبي صلى الله عليه وسلم أنت سيدنا، فماذا رد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: السيد الله.

ماذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم؟ أن يسد الطرق التى يأتي منها الشيطان وهذه الطرق تضعف تعلق المسلمين بالله عز وجل.

لكن لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم كما ورد في الحديث الصحيح: " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ"، وهذا أول الحديث الطويل الذي فيه أنه إذا كان يوم القيامة وجمع الله جل وعلا الناس في صعيد واحد وهو حديث الشفاعة المعروف؛ ففي نهايته يأتي في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم له المقام المحمود، يعني المقام الذي يحمده عليه الأولون والآخرون حتى قوم نوح، فهو سيد الخلق بهذا الأمر صلى الله عليه وسلم، فهو في الحقيقة سيد الخلق.

والسيد في اللغة: الرئيس المقدم الذي له مكانة في القوم، لكن كره النبي صلى الله عليه وسلم هذا لئلا يكون طريقًا للشيطان، يأتي يقول لهم هذا سيدكم، ثم يأتي إليهم يقول اسألوه الشفاعة، ثم يتدرج بهم أن اسألوه حاجاتكم ولو كان ميتًا!.

لذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل هذ الكلام، وقال لهم: "قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أو بِبَعْضِ قَوْلِكُمْ" يعني قولوا لى كما تقولوا لبعضكم بعضا، وقد نهانا ربنا أن ندعوه باسمه فلا نقول محمد بن عبد الله! بل أمرنا أن نقول: [رسول الله، نبي الله]، فالنبي صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يقولوا له عبد الله ورسوله وهذا من أشرف المقامات له صلى الله عليه وسلم.

نرى الشارح قال:

وأما تسمية العبد بالسيد فاختلف العلماء في ذلك

قال العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد: اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر. فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له: يا سيدنا قال: السيد الله تبارك وتعالى.

إذا هذا القول الأول: المنع وهذا نقل عن مالك يحتج بهذا الحديث.

وجوزه قوم، واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار: قوموا إلى سيدكم وهذا أصح من الحديث الأول.

قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف إليه، فلا يُقال للتميمي سيد كندة، ولا يقال الملك سيد البشر. قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم، وفي هذا نظر، فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك، والمولى والرب. لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق.

ماذا يقصد؟ أولًا عندي قولين في جواز إطلاق السيد على البشر:

- الأول: المنع.
- الثاني: الجواز.

الأقوي "الجواز".

لكن هؤلاء الذين جوزوا قالوا أن السيد أحد لا يضاف إليه، يعني هؤلاء قوم واحد منهم اسمه "سيد"، وهو أحد منهم – يعني مثيلهم، شبيههم، نظيرهم– فهو سيد عليهم، ولذلك لا يُقال "للتميمي" وهو من بني تميم "سيد كندة"، يعني كأنك تنظري إلى قبيلتين تميم قبيلة وكندة قبيلة، لا يصلح أن أقول التميمي سيد كندة!، لا يصلح، لابد أن يقول التميمي هو سيد بني تميم لا سيد كندة.

من هنا قالوا لا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم – اسم السيد–، لماذا؟ لأن معناها لابد أن يكون أحد ما يضاف إليه يعني من جنس ما يضاف إليه والله عز وجل ليس له شبيه ولا مثيل.

وابن القيم قال: في هذا نظر؛ فإن السيد إذا اطلق عليه تعالى فهو بمنزلة المالك.

يعني إذا أطلق على الله اسم السيد أصبح خاصا به يناسبه ويصبح بمعنى المالك والمولى والرب.

قلت: فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ أي إلهًا وسيدًا وقال في قول الله تعالى: ﴿اللّهُ الصَّمَدُ﴾ أنه السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السؤدد: وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده.

إذن كلام الشارح يدل على أن الله يُسمى ويوصف بصفة "السيد"، وما ذكروه من أن السيد ليس اسما من أسماء الله، العلّة التي ذكروها ليست صحيحة.

الآن من جوز استخدام السيد على البشر نظر إلى حديث قوموا إلى سيدكم وقالوا أيضًا أن السيد لا يصلح أن يكون اسمًا، فبدأنا أولًا بنقض قولهم أن السيد لا يصلح أن يكون اسمًا، بقي استدلالهم: " قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ"، وأن النبي صلى الله عليه وسلم سماه سيد وهذا يدل على جوازه.

قال: وأما استدلالهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار "قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ" فالظاهر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يواجه سعدًا به، فيكون في هذا المقام تفصيل والله أعلم.

ما معنى هذا؟ معناه أن السيد كلمة لو حصلت بها مواجهة يعني تقول لأحد: "أنت سيدنا" هذا لا ينبغي لكن إذا أُخبر عن أحد أنه سيد هذا لا بأس به، أقول سيكون في هذا المقام تفصيل، يعني لا نمنعه إطلاقًا ولا نجوزه إطلاقًا – أي في إطلاقه على البشر–، لا تنادي أحد السيد فلان، لكن يجوز أن تخبر عن أحد أنه سيد القوم.

وأنا أرجو منكم أن تراجعوا كلام اللجنة الدائمة للإفتاء في هذا الموضوع، يعني مطلوب منكم أن تراجعوا فتاوى اللجنة الدائمة في تسمية البشر باسم السيد وإطلاقه عليهم.

نكون بهذا انتهينا من الباب الحمدلله وبقي لنا الباب الأخير.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

باب ما جاء في كثرة الحلف؛ نبدأ أولًا بقراءة المتن.

باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: (وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ)[٦٦٢]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ". أخرجاه.

وَعَنْ سَلْمَانَ؛ أَنّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ بِضَاعَتَهُ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ". رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ؛ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ – قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - ثُمَّ إِنّ بَعْدَكُم قَوْما يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ؛ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ؛ وَيُنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ".

وفيه عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنّ النبيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ"

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: "وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ". انتهى

ما علاقة هذا الباب بالتوحيد؟ أن من صفات المؤمن البارزة تعظيم الله؛ فإذا ابتدأ عملًا ذكر الله، وإذا أراد أن يعظِّم أمرًا حلف بالله، لكن هو مكثر للذكر مقلل للحلف خاصة إذا كان الأمر متعلق بشئ من أمور الدنيا، لأن الأدب مع الله صاحبه لابد أن يكون من تعظيمه لربه ذاكرًا له فى المواطن اللائقة بالذكر، يذكره معظمًا لايذكره مستهينًا ولامستهترًا، **فمن تعظيم الله ترك كثرة الحلف**.

نقرأ كلام الشارح.

قال المصنف – رحمه الله –:

باب ما جاء في كثرة الحلف.

أي: من النهي عنه والوعيد

باب ما جاء من كثرة الحلف يعني الذى يكثر الحلف المتصور أنه لابد أن يأثم لأنه يحنث، الذي يكثر الحلف لابد أن يكثر الوقوع في الحنث فيفعل شيئًا حلف على أن لايفعله وهذا أثم، وكثرة الحلف تدل غالبًا على الذى يحلف ويكثر من ذلك لم يقدر الله حق

[٦٦٢] المائدة:٨٩

قدره ولم يعظمه حق تعظيمه، لذلك أتت النصوص فيها نهى ووعيد وتُبيِّن أن من أكثر الحلف ولم يعظِّم الله فهذا يترتب عليه سخط الله وعذابه.

الدليل الأول.

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

وقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾[٦٦٣]

قال ابن جرير لا تتركوها بغير تكفير. وذكر غيره من المفسرين عن ابن عباس يريد لا تحلفوا. وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا. والمصنف أراد من الآية المعنى الذي ذكره ابن عباس، فإن القولين متلازمان، فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من الإستخفاف، وعدم التعظيم لله وغير ذلك مما ينافى كمال التوحيد الواجب أو عدمه.

يعنى هذا لوازم كثرة الحلف؛ من أجل ذلك دخل موضوع الحلف في التوحيد، ماذا يلزم من كثرة الحلف؟ يدل على الاستخفاف ويدل على عدم التعظيم لله عز وجل.

وغير ذلك مما ينافى كمال التوحيد الواجب أو عدمه

إما ينافي كمال التوحيد الواجب أو يعدم التوحيد؛ بسبب ماذا؟ عدم التعظيم لله عز وجل.

إذن هذه الآية ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ اختلف المفسرين فيها على قولين وكلاهما حق لأن أحدهما ملازم للآخر:

القول الأول في معنى قوله ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾: أي "لاتحلفوا"، وهذا يروى عن ابن عباس لأنه بعدم الحلف يُحفظ اليمين ولايقع الإنسان في الإثم والمخالفة.

القول الثاني في ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾: أي "لا تتركوها بلا تكفير"، بمعنى إذا حلفتم ووقعتم في الحلف لابد أن تُكفِّروا والكفارة نوع من أنواع التعظيم؛ لأن الله عنده عظيم فإذا حلف به وخالف لا يستهين بل يرى أن الأمر يستحق الكفارة، فإن الله عز وجل شرع الكفارة في ذلك ولا سيما في الأمور التي تبيَّن للإنسان أن فعلها أو تركها أفضل، بمعنى أن الإنسان إذا حلف على شيء ثم تبيَّن له أن فعله أفضل فإن الأولى والأحسن له أن يكفِّر عن يمينه ويفعله.

الدليل الثاني.

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ " . أخرجاه.

أي البخاري ومسلم. وأخرجه أبو داود والنسائي.

المصنف قال: "أخرجاه" المقصود البخاري ومسلم، الشارح أضاف لك أنه أيضًا أخرجاه أبو داود والنسائي

[٦٦٣] المائدة:٨٩

والمعنى: أنه إذا حلف على سلعته أنه أعطى فيها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يظنه المشتري صادقًا فيما حلف عليه فيأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع كذاب وحلف طمعًا في الزيادة فيكون قد عصى الله تعالى، فيعاقب بمحق البركة، فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسب حلفه

هذا الحديث فيه كلمتان: " الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ " وانظر إلى كلام من أعطي جوامع الكلم فى رواية: "مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ " – وفي رواية "مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ"

والمقصود أن الإنسان إذا حلف على سلعته سواء كان بائع أو مشتري– قد يحلف لأجل أن يصل إلى قيمة أعلى– لكن هذا سيكون نتيجته محق البركة.

والمحق: هو المحو والإزالة والإبادة والإذهاب.

يعني صحيح أنها منفقة للسلعة تباع لكنها ممحقة للكسب فتذهب البركة، فإذا زالت البركة فلا خير فيها لا في عينها ولا في الإنتفاع بالمال المكتسب من ورائها.

وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأسا، وما عند الله لاينال إلابطاعته

هذا من حسن ظنك بالله؛ أن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، فلا تعصيه وتنتظر منه أن يبارك لك فيما حلفت عليه، أنت صحيح في النظرة الأولى سيكون حلفك سببًا لأن تنفق عند الناس ويرغبون فيها ويشترونها لكن سيكون ذلك محقًا للكسب، فكسبك الذي ستتحصّل عليه لن تجد فيه بركة، وإذا مُحق الكسب فلا خير فيه، فإن أكل منه لم يبارك له فيه ولم ينتفع به، وإن شرب منه لم يبارك له فيه ولم ينتفع به، وإن أنفق منه لم يبارك فيه، بل ربما لايُصرف هذا إلا على موته أو مرضه أو مرض أبنائه أو على حوادثٍ اتلفت له ماله، فمَن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه .

وإن تزخرفت الدنيا لعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب وعقاب.

الدليل الثالث.

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

وَعَنْ سَلْمَانَ؛ أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ بِضَاعَتَهُ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ ".رواه الطبراني بسند صحيح.

لاحظ أنه لما نتكلم عن الحلف وكثرته لا نقصد أن الرجل كاذب، هو صادق، مقصود هنا كثرة الحلف على الشئ وهو صادق، فلماذا هذا ينقص كمال التوحيد؟ سنقول أن الدنيا كلها ينبغى ألّا يهتم بها المسلم اهتمامًا بحيث أنه يذكر اسم الله دائمًا عليها، ويستعمل اسم الله لجلب المنفعة والمصلحة، لأن استعمال اسم الله العظيم على الأشياء التافهة يدل على رغبتك فيها والتعلق بها وعلى المسلم أن تكون رغبته وتعلقه بالآخرة أكثر، أما فى الدنيا لا بد أن تعتقد أن مهمتك هنا هو النجاح فى اختبار الله لك، فلا تخالف أوامره ولا ترتكب نواهيه.

ومن جهة أخرى أمرت أن تحب لأخيك ما تحبه لنفسك فلا تستعمل الحلف وسيلة من وسائل الضغط التى بها تنفق سلعتك، فالمهم أن يكون دين الإنسان رأس ماله، دين الإنسان لحمك ودمك، فلا تُقدم على شئ يدل على رغبتك فى الدنيا وعلى عدم توقيرك لله.

وسلمان – لعله ـ سلمان الفارسي – أبو عبدالله، أسلم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وشهد الخندق وروى عنه أبو عثمان النهدي وشرحبيل بن السمط وغيرهما. قال النبي صلى الله عليه وسلم: سلمان منا أهل البيت، إن الله يحب من أصحابي أربعة: عليًا وأبا ذر، وسلمان والمقداد".

أخرجه الترمذي وابن ماجه قال الحسن: كان سلمان أميرًا على ثلاثين ألفًا يخطب بهم في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها، توفي في خلافة عثمان رضي اله عنه قال أبو عبيدة سنة ست وثلاثين عن ثلاثمائة وخمسين سنة.

ويحتمل أنه سلمان بن عامربن أوس الضبي.

قوله: " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ " نفيُ كلام الرب تعالى وتقدس عن هؤلاء العصاة دليل على أنه يكلم من أطاعه وأن الكلام صفة من صفات كماله

دليل على أنه نوع من العقوبة، ترك الكلام مع هؤلاء يدل على أمرين:

- أولًا على صفة الكلام.
- وعلى أن ترك الكلام عقوبة.

إذن كلام الله مع العباد نوع من أنواع الثواب.

والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه.

أظهر شيء وأبينه أدلة صفة الكلام لله عز وجل

وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة والمحققين: قيام الأفعال بالله سبحانه، وأن الفعل يقع بمشيئته تعالى وقدرته شيئًا فشيئًا ولم يزل متصفًا به.

هؤلاء بعض المعطلة نفى قيام الفعل في الله عز وجل يعني نفى أن الله يفعل، ومن هنا أتى نفيه لصفة الكلام وأن الله يتكلم، والقرآن كله دليل على ضدّه، فالله عز وجل تثبت له أفعال يفعلها متى شاء وكيفما شاء.

فهو حادث الآحاد قديم النوع

يتكلم الآن عن صفة الكلام؛ يقول صفة الكلام من جهة نوعها ذاتية، ومن جهة المرة الواحدة التي تقع فيها فعلية، وهو مبنى على فهمنا أن **صفات الله عز وجل تنقسم إلى:**

- ذاتي
- وفعلي.

▪ فالذاتي: هو الذي لاتنفك عن ذات الله. ▪ والفعلي: هو ما يفعله الله عز وجل وقتما شاء.

فيأتي الكلام يجمع بين النوعين:

- ذاتي يعني أن الله عز وجل متكلم حتى لو لم يكن هنا الآن كلام.
- وفي المرة الواحدة يفعل فعل الكلام فأصبح بذلك فعلي.

ونضرب للناس مثالًا حتى يتبيَّن لك الأمر؛ نقول إذا قارنا السليمي النطق بالأخرس فهذا السليم قادر على الكلام حتى لو ما تكلم، عنده صفة الكلام، موصوف بالكلام ذاتًا حتى لو لم يتكلم إلا مرة واحدة، ولما يتكلم هنا أصبح فعلًا

كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعي وأحمد وسائر الطوائف،

يقصد هذا معتقد أهل السنة والجماعة

كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .فأتى بالحروف الدالة على الإستقبال والأفعال الدالة على الحال والإستقبال أيضًا. وذلك في القرآن كثير.

ماذا يقصد بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾؟ أي في المستقبل، ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فيدل على أن له أفعال فى المستقبل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإذا قالوا لنا – يعني النفاة – فهذا يلزمه أن تكون الحوادث قائمة به، قلنا: ومن أنكر هذا من قبلكم من السلف والأئمة؟! ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل. ولفظ الحوادث مجمل، فقد يراد به الأعراض والنقائص، والله منزه عن ذلك.

ولكن يقوم به ما يشاء من كلامه وأفعاله ونحو ذلك: مما دل عليه الكتاب والسنة. والقول الصحيح: هو قول أهل العلم والحديث الذي يقولون: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء، كما قال ابن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما من أئمة السنة .اه. قلت: ومعنى قيام الحوادث به تعالى: قدرته عليها وإيجاده لها بمشيئته وأمره. والله أعلم.

نترك هذا الجزء أحسن ندرسه في الواسطية في الكلام حول قيام الحوادث.

هذا نقاش المعطلة الذين ينكرون الأفعال بحجة أن إثبات الأفعال لله معناه قيام الحوادث فيه، وهذه فلسفه منهم تحتاج أن يكون عندك قاعدة أولًا في باب الأسماء والصفات متينة لكي نرتب هذا الكلام عليه، أنا أعلم أنكم درستم قواعد في الأسماء والصفات لكن هذا الدرس يسمعه من يشترك معكم في المعرفة ومن لايشترك، فلا بأس لما نصل للواسطية نسأل الله أن يذكرنا أن نعود إلى هذا الموطن.

قوله: "ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم". لم عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم،

فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي من أعظم العقوبات

ما هي هذه الثلاث؟

- أولًا: لايكلمهم.
- ثانيًا: ولا يزكيهم.
- ثالثًا: ولهم عذاب أليم.

نفهم ما المراد بنفي الكلام؟ المراد بنفى الكلام كلام الإكرام، لأن الله إذا كلَّم عبده فهو من النعيم العظيم، لكن أي كلام؟! لو كلمه كلام الإكرام.

أما كلام التوبيخ وكلام العذاب والتهديد فهذا يخاطب الله به أهل النار ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾، فالله عز وجل يكلم من شاء لماذا فعلت كذا؟!، ولماذا لم تفعل كذا؟!، وهذا من باب العذاب، فهؤلاء حُرموا من كلام الإكرام، لكن ليس معناه أنه لا يكلمهم كلام التوبيخ والمحاسبة.

قوله: "أشيمط زان" صغره تحقيرًا له وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقه، فدل على أن الحامل له على الزنا: محبة المعصية والفجور، وعدم خوفه من الله.

يعنى يُظن أن الشاب هو الذى تقوى عليه شهوته فيقع فى الزنا والزنا فى حقه محرم، الزنا فى كل الأحوال محرم لكن يعتبر أعظم تحريمًا متى؟ إذا أتى ممن ضعف داعى المعصية فى قلبه.

"**الأشيمط**" المقصود به الرجل كبير السن.

ما الذى حمله على الوقوع فى الزنا؟ انعدام الخوف من الله وحب الفجور.

وهذه أحد البلايا العظيمة التي في الغالب يُختم للعبد بها؛ أنه يُبتلى بأمر من الأمور أمر محرم يكون محبوبًا له؛ النظر إلى المحرمات، القيام بأفعال محرمة، ففى شبابه لما لا يجاهد هذه الحال تلح عليه فى كبره، يعنى يقل الداعي لكن تعلو الوسوسة وإلحاح الفكرة تعلو عنده، لا يرتاح إلا عندما ينفذ هذا المحرم، مع أنه لايجد لذةً في القيام به لكن يفعله تحت ضغط تكرار الصور عليه ، فهو دائم التفكير فى مثل هذه المنكرات والمنهيات التى لم يثبت فى مجاهدتها فى شبابه.

وضعف الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه،

هذه قاعدة؛

ضعف الداعي مع القيام بالفعل يوجب تغليظ العقوبة عليه

بخلاف الشاب، فإن قوة داعي الشهوة منه قد تغلبه مع خوفه من الله، وقد يرجع على نفسه بالندم، ولومها على المعصية فينتهي ويراجع.

يعني الشاب محرم عليه الزنا لكن الداعى القوى يسبب له يعنى نوع من أنواع تقليل عظم شأن المصيبة، **المعنى أن الزنا محرم في حق الشاب وفي حق الكبير، وفى حق الكبير أعظم تحريمًا.**

وكذا العائل المستكبر ليس له ما يدعوه إلى الكبر، لأن الداعي إلى الكبر في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة. والعائل الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر،

يعنى النفس طبيعتها أنها لما تملك –هذه طبيعة موجودة فى كل النفوس– أنها لما تملك يحصل لها شئ من الخيلاء، شئ من الكبر، إن كنت تقيًا ستجاهد هذا الكبر، ﴿أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ ستجاهد أن تستغني، هذا لو كان عندك شيء، ولو كان ما عندك شيء ووقع في قلبك الكبر وتحقير الناس ستكون المصيبة أعظم، فستجاهد ماذا الآن؟!

يعني أنت لما يكون عندك مال وعندك جاه نقول لك لابد أن تعلم أن هذا المال من عند الله، وأن الله أورثك هذا المال، وأن الله يأخذه إن عصيته، وإذا أردت تثبيته وبركته فاطلب من الله، جميل! إذن وهذا الفقير؟! لا يوافق النفس الإنسانية أن تكون فقيرة ومستكبرة، بل هذا دليل على خبث طويته.

والعائل الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر، فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل على أن الكبر طبيعة له، كامن في قلبه، فعظمت عقوبته لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي،

الذي هو الكبر، أول معصية عُصِيَ الله بها من الشيطان

قوله: "ورجل جعل الله بضاعته "

هذا هو الشاهد الآن.

بنصب الإسم الشريف،

يعني بنصب لفظ الجلالة: "جعل اللهَ"

أي الحلف به، جعله بضاعته لملازمته له وغلبته عليه. وهذه أعمال تدل على أن صاحبها إن كان موحدًا فتوحيده ضعيف وأعماله ضعيفة

سواء الأشيمط أو العائل المستكبر

بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعمله من تلك المعاصي العظيمة على قلة الداعي إليها. نسأل الله السلامة والعافية، ونعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا ولا يرضاه.

المعنى أنه إذا كان هذا مؤمن وتحصل منه هذه الأعمال هذا يدل على ضعف إيمانه، لأن المعظم لربه سيجاهد نفسه، سيبذل كل جهده في طلب ربه، قلة الداعى يجعل الجهاد أيسر، أيسر عليه أن يغض بصره، أيسر عليه أن يكون منكسرًا ذليلًا لربه.

وهنا في مسألة كثرة اليمين – وأنت صادق الآن – صادق أن بضاعتك بهذا السعر، فتكرار اليمين لا داعي له، إنما ابتليت من جهة عدم ثقتك بالله وعدم تعظيمك له.

الدليل الرابع.

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

وفي الصحيح عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ؛ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ – قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا – ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُم قَوْما يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ؛ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ ؛ وَيُنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ".

قوله: وفي الصحيح أي صحيح مسلم. وأخرجه أبو داود والترمذي، ورواه البخاري بلفظ خيركم.

قوله: "خير أمتي قرني" لفضيلة أهل ذلك القرن في العلم والإيمان والأعمال الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفاضل فيها العاملون، فغلب الخير فيها وكثر أهله، وقل الشر فيها وأهله واعتز فيها الإسلام والإيمان، وكثر فيها العلم والعلماء.

"ثم الذين يلونهم" فضلوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم وكثرة الداعي إليه والراغب فيه والقائم به. و ما ظهر فيه من البدع أُنْكِرَ واستعظم وأزيل

يعني هذا كله يذكر الشارح رحمه الله أسباب تفضيل هذه القرون.

كبدعة الخوارج والقدرية والرافضة، فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت فأهلها في غاية الذل والمقت والهوان والقتل فيمن عاند منهم ولم يتب

قوله: "فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا" هذا شك من راوي الحديث عمران بن حصين رضي الله عنه. والمشهور في الروايات: أن القرون المفضلة ثلاثة، الثالث دون الأولين في الفضل، لكثرة البدع فيه، لكن العلماء متوافرون والإسلام فيه ظاهر والجهاد فيه قائم، ثم ذكر ما وقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء في الدين، وكثرة الأهواء.

فقال: ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحريهم للصدق، وذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم.

الشاهد الآن أول صفه تأتي للقرون التي خار فيها الإسلام في نفوس الناس هي أنهم ما سبب ذلك؟ أولًا أين الشهادة؟ الشهادة هي الحلف، وتكون هذه الشهادة في المحاكم أو في القضايا العامة والخاصة.

ومعنى هذا أن الديانة والأمانة والتقوى خفت عندهم، فكثرة الحلف ومسارعتهم للشهادة يدل على قلة مخافتهم لله، وكثرة تعلقهم ورغبتهم فى الدنيا فتجدهم لايتحرون الصدق، إنما يقبلون أن تكون العصبية والدعوة القبلية حَكَمٌ على أحوالهم.

ثم أنهم يذمون من دَعَوه للحلف لصالحهم ولم يستجب لهم، ويصفونه بأقبح الصفات ويجعلونه خائنًا، إلى أخر ما ترى وتسمع من قلة ديانتهم.

قوله: "ويخونون ولا يؤتمنون" يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو أكثرهم.

قوله: "وينذرون ولا يوفون" أي لا يؤدون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم وعدم إيمانهم.

قوله: "ويظهر فيهم السمن" لرغبتهم في الدنيا، ونيل شهواتهم والتنعم بها، وغفلتهم عن الدار الآخرة والعمل لها.

وفي حديث أنس: " لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم "

قال أنس: سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم، فما زال الشر يزيد في الأمة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم

يعني الشر ابتدأ بنقص الأخلاق التى هى ثمرات التوحيد إلى أن بلغ قلب التوحيد.

حتى فيمن ينتسب إلى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف.

يعني كثير ممن ينتسب إلى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف وقع في شر البدع وفي شر الشرك.

انتهى تعليقه على هذا الحديث؛ والشاهد على أنهم "يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ"– يعني يسارعون للحلف – سيظهر تفسير هذا في الحديث الذي بعده.

قلت: بل قد دعوا إلى الشرك والضلال والبدع، وصنفوا في ذلك نظمًا ونثرًا فنعوذ بالله من موجبات غضبه.

الدليل الخامس.

قال المصنف – رحمه الله تعالى –:

وفيه عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النبيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ "

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: "وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ". انتهى

وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ " إلى هنا حديث النبي صلى الله عليه وسلم

ثم "وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ": يقصد النخعي .

قلت: وهذه حال من صرف رغبته إلى الدنيا ونسى المعاد

ما هو حال من وقع منه هذا الأمر؟ من تسبق يمينه شهادته وشهادته يمينه.

فخف أمر الشهادة واليمين عنده تحملًا وأداء

نسي أنه سيحاسب وهو لم يتحقق من الصدق ولم يعظم الأمر ولم يتحقق من الأمر ولم يشرع في قلبه خوف وهذا كله نتيجة صرف رغبته إلى الدنيا ونسيان لقاء الله عز وجل لقلة خوفه من الله وعدم مبالاته بذلك، وهذا هو الغالب على الأكثر – والله المستعان–.

فإذا كان هذا قد وقع في صدر الإسلام الأول فما بعده أكثر بأضعاف فكن من الناس على حذر، كن من الناس على حذر يعنى فقدان التقوى يجعلك انت تفقد الثقة فى من تعامل فكن على حذر.

قوله: "قال إبراهيم . هو النخعي . كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار" وذلك لكثرة علم التابعين، وقوة إيمانهم ومعرفتهم بربهم، وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه من أفضل الجهاد ولا يقوم الدين إلا به. وفي هذا الرغبة في تمرين الصغار على طاعة ربهم ونهيهم عما يضرهم. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

يعني هذا ضدّ الكلام الماضي؛ أن من التربية وتقوية التقوى وبيان أثر عبادة تعظيم الله والتعلق به هو أن تعظِّم في قلوب الأبناء مسأله الشهادة ومسأله الحلف لكي يشعرون بالمسؤولية فلا يتعدون على حق الله عز وجل.

على كل حال لابد أن يكون المربِّي بنفسه قدوة ومثال حي، فلا يمكن غرس قيم ومبادئ والمربِّي يخالفها ولا يمكن أن تُغرس قيم ومبادئ ولا تنبنى على تعظيم الله والتعلق به.

وهذا من أعظم أسباب ما تراه واقعًا في العالم الإسلامي من ضعف أثر التربية؛ لماذا؟ لأن قيم مشتركة بين أهل الإسلام وأهل الكفر، يعني [الإخاء والمسامحة والوفاء والسلام] هذه كلها كلمات كثر الكلام عنها عند أهل الكفر وعند أهل الإسلام، لكن عند أهل الإسلام مبنية على تعظيم الله وعلى التفكير في لقائه، وعند أهل الكفر مبنية على المصالح، فتدور أخلاقهم على دوران مصلحتهم، **فهم يتخلقون تملقًا وأهل الإسلام يتخلقون تعبدًا**.

أسال الله عز وجل أن يطرد عن أهل الإسلام الشر والشيطان الذى تمكن من الوسوسة فى قلوب المستقيمين قبل البعيدين، فترى نفوسًا صافية وعقولًا حسنة لكن تأتي التصرفات في مواقف وخصوصا في العلاقات نجد أنفسنا لا نوفق، نجد أنفسنا نتصرف عكس ما ندعوا إليه، وهذا ما هو إلا بسبب أن الشيطان يصوِّر لنا الحقائق لحظة قرارنا ولحظة تخلقنا يصوِّر لنا الحقائق بالضد والعكس.

فنسأل الله عز وجل أن يغفر لنا ما مضى من أخطاء فى التعامل، وأن يسددنا فيما هو آت..اللهم آمين.

إلى هنا اليوم سنكتفي بهذا القدر، وغدًا إن شاء الله نبدأ بإكمال ما بقي لنا، ربما غدًا نستطيع أن نكمل أربعة أبواب إن شاء الله ويبقى علينا فقط الباب الأخير وهو: "ما قدروا الله حق قدره"، وهذا يحتاج إلى إفراد لقاء خاص إن شاء الله.

جزاكم الله خيرًا؛ نلقاكم على خير حال.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نبدأ في الباب الأخير من أبواب هذا الكتاب المبارك، حامدين الله تعالى وحده لا شريك له أن يسر لنا الوصول إلى ختام هذا الكتاب، وهذا الكتاب هو من أعظم الكتب وأحسنها بياناً لتوحيد الألوهية، على كل حال تبيَّن لنا فيما مضى إلى أي درجة هذا الكتاب وُفق فيه صاحبه لبيان التوحيد.

ختم هذا الكتاب بهذا الباب العظيم الذي فيه إشارة إلى سبب ما مضي من إشكالات.

قال باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ **والمقصود أن كل ما وقع من شركٍ أكبر أو أصغر أو تنقيص من حقه إنما سببه أن القوم ما قدروا الله حق قدره.**

قال المصنف رحمه الله تعالى:

باب ما جاء في قول الله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٦٦٤].

عَنْ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

وفي رواية لمسلم: "وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الله".

وفي رواية للبخاري: "يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلقِ عَلَى إِصْبَعٍ". أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: "يَطْوِي اللَّهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ السبع ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ".

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبّاس، قَالَ: "مَا السّمَاوَاتُ السّبْعُ وَالأَرَضُونَ السّبْعُ فِي كَفّ الرّحْمَنِ إِلاَّ كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ".

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنِي يُونُسُ ، أنبأنا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ"

قَالَ : وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ".

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُود قَالَ : " بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسمِائَةِ عَام ، وَبَيْنَ كُلّ سَمَاء خَمْسمِائَةِ عَام ، وَبَيْنَ السماء السَّابِعَة وَالْكُرْسِيّ خَمْسمِائَةِ عَام ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيّ وَالْمَاء خَمْسمِائَةِ عَام ، وَالْعَرْش فَوْق الْمَاء، وَاَللَّه فَوْق الْعَرْش، لا يَخْفَى

[٦٦٤] الزمر:٦٧

عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ" أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمه عن عاصم عن زر عن عبدالله ورواه بنحوه عن المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "هل تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ " قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : " بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَّمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَكِثْفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ والعَرش بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهُ سبحانه وتعالى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْس يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ" أخرجه أبو داود وغيره.

◄ الدليل الأول.

باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٦٦٥].

أحاديث جائت في تفسير هذه الآية.

عَنْ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الْأَحْبَارِ

من أحبار اليهود أي من أهل العلم عندهم.

إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

وفي رواية لمسلم: "وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الله".

وفي رواية للبخاري: "يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلقِ عَلَى إِصْبَعٍ". أخرجاه.

قال الشارح:

قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٦٦٦] أي من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية الكريمة.

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى: ما قدر المشركون الله حق قدره حتى عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شئ المالك لكل شيء، وكل شيءٍ تحت قهره وقدرته.

وهذا والله هى علّة العلل فإننا نرى أن تعظيم الله عز وجل في النفوس ضعيف، فأنت ترى استخفاف واستهزاء بشعائر الله تعالى وتسفيه وازدراء لدين الله تعالى، والقوم ما علموا أن الإيمان بالله تعالى مبني على التعظيم والإجلال له، فهو سبحانه وتعالى العظيم

[٦٦٥] الزمر:٦٧

[٦٦٦] الزمر:٦٧

الملك تكاد السموات يتفطرن منه يعني يتشققن من عظمة الله، والتعظيم لله عز وجل مبني على معرفته سبحانه وتعالى، **فعلى قدر معرفة الرب سبحانه وتعالى يكون تعظيمه في القلب.**

واعرف الناس به سبحانه وتعالى أشدهم له تعظيماً، وقد ذم الله عز وجل من لم يعظمه حق عظمته ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته؛ فقال ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أى مالكم لا تعظمون الله حق عظمته والناس في هذا مستقل ومستكثر، فهناك من امتلأ قلبه بمعني اسم الله العظيم والكبير والملك، وهناك من نقصت في قلبه هذه المعاني.

فإذا علمت أنه الملك كامل الصفات له العزة والقهر والجبروت وكمال القدرة وكمال القوة، وإذا علمت أن من أوصافه الرأفة والرحمة، وإذا تيقنت أنه بكل شيء محيط وأن علمه بكل شيء أحاط وأنه حكيم في كل فعله، أمره نافذ لا راد لأمره، كنت لهذا الملك عبداً حقاً، **فإن العبودية مبنية على شعورك أن لك ملك يملكك ويصرفك!.**

⇦ وهذا الملك سبحانه كامل الصفات.

⇦ وهذا الملك سبحانه كامل القدرة.

⇦ هذا الملك سبحانه كامل العزة لا راد لأمره ولا غالب له، بل هو الغالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

إذا كان هذه صفات الملك فما بالك يا عبد لا تعظمه؟! وأنت وما تملك ملكه!، وأنت وما تريد في سلطانه يؤتيك،يعز من يشاء، يذل من يشاء، تعلم أنه بيده الخير وهو على كل شيء قدير، **فما بال العباد لا يعظمون الملك المجيد الكبير العظيم!**، إذا كان هو الملك فأنت العبد الذليل الفقير الذي وجب عليك ألا تطلب إلا إياه.

⇦ فهو الملك وكل أحد عبد له.

⇦ وهو المالك وكل أحد فقير إليه.

فكان الواجب أن يمتلئ قلبك بل وقلوب العالمين بتعظيمه والذل له بل الذل الدائم له، وكان الواجب أن تبات مطمئناً لأن الذي يصرف أمورك حكيم لطيف رؤوف رحيم، يسوق للعباد مصالحهم من حيث لا يحتسبون، **وكل هذا لابد أن يورثك شدة التعلق به، فإذا عظمته حق التعظيم مالك إلا أن تتعلق به.**

والعباد إذا عرفوا ربهم حق المعرفة لم يأخذوا بالسلوك إليه وقتاً طويلاً فهو قبلة قلوبهم بل لا يمر على خواطرهم غيره بل لا يطلبون لمصالحهم إلا إياه، لا يفكرون إلا في رضاه، ولا يحملون همّ إلا القربة منه يتقلبون في مراضيه مشفقين أن لا يقبلهم، كل الذي يحملون همّه أن يكونوا فعلوا ما يغضبه عليهم أو يسقطهم ويخفف ميزانهم.

وأثر تعظيم الله في القلوب لابد أن يظهر على المسالك ويظهر على التعاملات فهذا ابن عباس يقول لبعض أصحاب المراء والجدال: أما علمت أن لله عباداً أصمتهم خشية الله تعالى من غير عيبٍ ولا بكم، وإنهم لهُم العلماء العصماء النبلاء الطلقاء غير أنهم تذكروا عظمة الله تعالى فانكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم حتى إذا استفاقوا من ذلك فسارعوا إلى الله بالأعمال الزاكية فأين أنتم منهم.

أي أنهم سكتوا عن المراء والجدال بسبب أنهم يخشون ربهم مع أنهم فصحاء!.

لذلك هؤلاء المعظمين لله تجد كثير من أحوالهم السكون، وتجد كثير من أعمالهم خفية ويبغضون الشهرة، ويرون الشهرة بلاء – سلمنا الله عز وجل وإياكم منه – ثم إذا خافوا، خافوا على دين الله أن يعرضوه بكلامهم أو بافعالهم للانتقاص أو الانتقاد.

من تعظيمهم لله لا يذكرون اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بالطاعة؛

وَقَدْ قَالَ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: لِيُعَظِّمْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى يَقُولَ : أَخْزَى اللَّهُ الْكَلْبَ ، وَفَعَلَ بِهِ كَذَا وَكَذَا .

فإن ذكر اسم الله مع ذكر اسم الكلب مما تشمئز منه النفوس المعظمة، فانظر إلى هذا التعظيم أن القوم راعوا ألفاظهم أن لا يجعلوا اسم الله مجاور لاسم بغيض.

المقصود أن المعظم لله يجد في قلبه معنى الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فهو دائماً يرى الله عز وجل من وراء الأشياء فتقل غفلته ويكثر ذكره ويسبح عقله ليتعدى ما الناس حجزوا أنفسهم به، فلا يتعلق بالأسباب ولا يرى إلا الله من وراء كل شيء، ويبات مطمئن عالماً أن له رب على العرش استوى يدبر شئون عباده لطفاً ورحمة منه، ويرزقهم ما ينفعهم، ويصرف عنهم ما يضرهم، جعل لهم كل شيء في الدنيا يذكرهم بالآخرة ولقاءه، رباهم فأحسن تربيتهم غذاهم ونماهم وأذاقهم من حلاوة الدنيا ما يجعلهم يشتاقون للآخرة ويشتاقون لرؤيته سبحانه وتعالى، لكن النفوس بعد هذه التربية تختلف فينتفع من ينتفع ويترك من يترك.

وهذا المعظم لله من أعظم آثار تعظيمه لله تعظيم كلامه قراءة وتدبراً ونشراً ونصحاً، وتراه معظماً للرسول صلى الله عليه وسلم معظماً لسنته وحديثه، وقد روي عن هؤلاء المعظمين كلاماً عجيباً في تعظيمهم له صلى الله عليه وسلم ولسنته.

مثلاً مما قاله عبد الله بن المبارك عن الإمام مالك ابن أنس قَالَ:

كُنْتُ عِنْدَ مَالِكٍ ، وَهُوَ يُحَدِّثُنَا ، فَلَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ سِتَّ عَشْرَةَ مَرَّةً ، وَهُوَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ ، وَيَصْفَرُّ ، وَلَا يَقْطَعُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْمَجْلِسِ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ قُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ مِنْكَ عَجَبًا . قَالَ : نَعَمْ ، لَدَغَتْنِي عَقْرَبٌ سِتَّ عَشْرَةَ مَرَّةً ، وَأَنَا صَابِرٌ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا صَبَرْتُ إِجْلَالًا لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويقول الشافعي:

يكره للرجل أن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن يقول: يقول رسول الله.

أي ليس بالماضي إنما بالمضارع تعظيماً واحتراماً.

وهذا كله من آثار تعظيمه سبحانه وتعالى، ولما تنظر إلى ما ورد في الحديث هنا؛ الله عز وجل أخبر عن نفسه أن الناس وخصوصًا الذين وقعوا في الشرك ما قدروه حق قدره، لأنهم لو علموا عنه حق العلم ما كان حالهم مثل هذه الحال.

ثم أتى هذا الحديث الذي في الصحيحين أن حبراً من أحبار اليهود أتي للرسول صلى الله عليه وسلم، فذكر له من الخبر ما يوافق ما عند النبي صلى الله عليه وسلم، والخبر الذي أتى به عن فعل الله عز وجل يوم القيامة، وهو تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعل ما ذكر في الحديث، وهذا قدر ما تحتمله العقول، أخبرنا في الحديث قدر لا يحتمله العقل وإلا فعظمة الله وجلاله أجلّ من أن يحيط بها عقل، وكأنه يقال فمن هذا بعد عظمته وجلاله؟! من هذا الذي يمكن أن يُجعل في رتبته؟! مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

ولذلك في الأحاديث التي مضت لما أتي الأعرابي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ وَبِكَ عَلَى اللَّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ . فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ؛ ثُم قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ ؟ إِنَّ شَأْنَ الله أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِالله عَلَى أَحَدٍ مِن خلقه".

فلابد أن نفتش في نفوسنا عن الضعف الشديد الذي أصابنا، والبرود الذي نراه في أنفسنا وإنا والله بين غفلة وقسوة؛

⇦ فأما الغفلة فهي من جهلٍ ونسيانٍ والتهاءٍ بالدنيا.

⇦ أما القسوة فهي ذنوب تراكمت أغلقت الإحساس فحتى مع التذكير تجد أن الهوى سيطر عليك وأنساك ما حالك وما قدرة الله عليك.

المقصود أن تعلم أن نقص أصابنا، ودنيا أشغلتنا وكلام ليس بشيء قلَّبنا، وما تراه من غيبةٍ ونميمةٍ وكذبٍ، كل هذا أورثنا ضعف لتعظيم ربنا، جهل، صحبة غير صالحة، ذنوب، عناية بالدنيا، كثرة كلام فيما لا يعني، كل هذا أغلق على القلب أبوابه، وفقد الإنسان الطريق المهم لصلاحه وهو بقاء تعظيمه لربه.

فافتح باب التعظيم بالتوبة عن كل ما مضى من انشغالك بغيره وتعلقك برضا غيره، تبّ عن أوقات صُرفت من أجل الناس، ومن أجل طلب رضاهم مجرداً، فإذا تبت عن هذا وعن غيره من الذنوب عليك بالعلم عن الله، عليك بقراءة القرآن ومعرفة أفعاله وأسماءه وأوصافه عليك، بالتأمل في حالك وفي كونه وفي التدبير العجيب، وأحيي كلام القرآن في قلبك.

اعلم أن له ملائكة أطت السماء بهم، ما من موضع أربعة أصابع إلا وفيه ملك ساجد، كن مع هؤلاء له ساجداً عابداً قلبك على الدوام، والله نحن في سكرة اشتغلنا بالدنيا وأهلها وفي قلوبنا قناعة أنها زائلة نحن كل يوم نسمع عن مفقود فُقد فإلى أين ذهب؟!، وماذا كان مصيره؟!.

على كل حال اتبع التالي لتجد التعظيم بإذنه سبحانه وتعالى.

▪ **أولاً** التوبة المتكررة وكثرة الاستغفار مع مشاعر الذل والانكسار، ابق دائماً بين يدي الملك فقير، ابق دائماً بين يديه بصورتك الحقيقة عبد ذليل والعبد الذليل، دائماً محتاج إلى ربه إلى سيده ومولاه ومطمئن إليه محسن الظن به يعلم أنه لا يظلمه أبدا، بل والله ما دبر لنا إلا بألطافه، نشهدك يا ربنا أننا رأينا ألطافك في عظيم أمورنا ودقيقها.

▪ ثم إذا تبت وأنت منكسر وأكثرت الاستغفار وأنت مفتقر إليه أكثر من العلم عنه، اقرأ كتابه وانظر إلى أفعاله، وانظر إلى أوصافه وأسماءه، وانظر إلى آثار رحمته التي بدت في كل شيء.

▪ ثم عليك بالتدبر في كتابه وتقليب الأمر في حياتك بما تعلمته من كتابه.

▪ ثم عليك بالتفكر في كل ما يحيط بك، واجعل المعلومات التى تتعلمها عن أي شيء مصدر جديد لزيادة اليقين والتعظيم له سبحانه وتعالى، فإذا زدت علماً اجعل ما تعلمته حياً عمِّقه، زده، راجعه، انقله، أوعظ به، واجعله دائماً على بالك فإن حياة

كلمات القرآن هى سبب حياتك ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾[٦٦٧].

- ثم إذا استعملت التدبر والتفكر وانتفعت بكل شيء من حولك ودعوت وبلغت، فعظم كل ما عظمه الله، عظم بيته وكتابه وأشهره الحرم، وعظم نعمه الظاهرة والباطنة، وكن كثير الحمد والشكر والثناء على ربك.
- ثم استعد للقاءه وأعد لكل سؤال جواب، فتش عن الصدق والإخلاص، كن حريصاً على حركات قلبك، عظّمه فهو المطلع على حتى على ما يقع فى القلب من لحظات وثوان الحركات، يقول الله عز وجل في وصف حال موسي لما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم؛ قال الله عز وجل: ﴿فَأَوْجَسَ﴾ انظري إلى هذا الفعل حركة بسيطة من موسي عليه السلام أنه أوجس خيفة، حركة دقيقة من الخوف، كان الجواب ﴿لَا تَخَفْ﴾، فمن اطلع على دقيق هذه الحركة فهو على ما هو أعلى أعظم محاسبة وعطاء ومنعا.

- المقصود أنه لابد من التوبة.
- لابد من الفقر والذل.
- لابد من العلم عنه سبحانه وتعالى وعن اسمائه وعن أفعاله وصفاته وحقوقه.
- لابد من التدبر والتفكر في كتابه.
- لابد من تعظيم ما يعظمه، فعظم شعائر الله من صلاة وصيام وزكاة وحج، وعظم ما عظمه الله من أمكنة وأزمنة يورثك الله عز وجل بعد ذلك حلاوة الإيمان.

نقرأ من كلام الشارح: – سنقرأ ما يتيسر والباقي يسهل الإطلاع عليه –

قال مجاهد: نزلت في قريش وقال السدى: ما عظموه حق عظمته. وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ما كذبوه.وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شئ قدير، فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره.

المقصود أن صفة القدرة من الصفات الشاملة التي الإيمان بها يورثك الايمان بكل صفات الكمال فهو القادر على رزقك، القادر على إحيائك، القادر على دفع الشر عنك، على كل شيء قدير.

وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية، الطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف . وذكر حديث ابن مسعود كما ذكره المصنف رحمه الله في هذا الباب قال: ورواه البخاري في غير موضع من صحيحه. والإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من حديث سليمان بن مهران وهو الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود بنحوه.قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية حدثنا الأعمش، عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: " جاء رجل من أهل الكتاب إلى

[٦٦٧] الأنعام:١٢٢

النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يجعل الخلائق على إصبع، والسموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع. فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر. قال: وأنزل الله: " وما قدروا الله حق قدره "الآية. وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسين بن حسن الأشقر، حدثنا أبو كدينة عن عطاء.

عن أبي الضحى عن ابن عباس قال: " مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السموات على ذه . وأشار بالسبابة . والأرض على ذه، والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه؟ كل ذلك يشير بأصابعه، فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وكذا رواه الترمذي في التفسير بسنده عن أبي الضحى مسلم بن صبيح به. وقال: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ثم قال البخاري: حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه، فيقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟ " تفرد به من هذا الوجه، ورواه مسلم من وجه آخر.

يقصد الشارح من كل هذه الروايات أن يبيِّن لك أن هذا الحديث متفق عليه وأيضاً ورد بروايات متعددة.

قال المصنف:

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: "يَطْوِي اللَّهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ السبع ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ".

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلاَّ كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ".

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنِي يُونُسُ ، أنبأنا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ"

قَالَ : وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ".

كل هذا إشارة إلى عظمة الله عز وجل، فهذه الأرض التي تراها عظيمة ما هي إلا كما في رواية ابن عباس: "مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلاَّ كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ"، هذا خبر من الصحابي يكون له حكم الرفع، لأن هذا من الأخبار الغيبية التي لا يمكن أن يتكلم بها من نفسه.

المقصود أن هذه الأرض التي تعظمها وهذه السموات التي لا تدركها في كفه سبحانه وتعالى كخردلة في يد أحدكم، ومثله وصف الكرسي: "مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ"، والكرسي موضع قدم الرب، والمعلوم أنه عظيم لكن مقارنة بالعرش فهو مثل الحلقة من حديد ألقيت في صحراء.

وَعَنْ اِبْن مَسْعُود قَالَ : " بَيْن السَّمَاء الدُّنْيَا وَاَلَّتِي تَلِيهَا خَمْسمِائَةِ عَام ، وَبَيْن كُلّ سَمَاء خَمْسمِائَةِ عَام ، وَبَيْن السماء السَّابِعَة وَالْكُرْسِيّ خَمْسمِائَةِ عَام ، وَبَيْن الْكُرْسِيّ وَالْمَاء خَمْسمِائَةِ عَام ، وَالْعَرْش فَوْق الْمَاء، وَاَللَّه فَوْق الْعَرْش، لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْء مِنْ

أَعْمَالكُمْ " أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمه عن عاصم عن زر عن عبدالله ورواه بنحوه عن المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "هل تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ " قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : " بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَّمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَكِثْفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ والعَرش بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهُ سبحانه وتعالى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ " أخرجه أبو داود وغيره.

قوله: ولمسلم عن ابن عمر . الحديث كذا في رواية مسلم. قال الحميدي وهي أتم، وهي عند مسلم من حديث سالم عن أبيه.

وأخرجه البخاري من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: " إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرَضِينَ وَتَكُونُ السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ" إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السماء بيمينه " وأخرجه مسلم من حديث عبيد الله بن مقسم.

قلت: وهذه الأحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته. وقد تعرف سبحانه وتعالى إلى عباده بصفاته وعجائب مخلوقاته.

أي أنك كيف عرفت ربك؟ بما وصف به نفسه وبما تراه أو أخبرت عن عجيب مخلوقاته.

وكلها تعرِّف وتدل على كماله وأنه هو المعبود وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، وتدل على إثبات الصفات على ما يليق بجلا الله وعظمته.

يعني كل هذه الأحاديث تعرفك به، وتدلك على كماله، وتدلك استحقاقه للتوحيد، أن لا تجعل في قلبك غيره، عظيماً تتعلق به، كريم تطلبه، ملكاً تكن له عبداً ذليلاً، غفور تطلب منه المغفرة، رحيم تطلب منه الرحمة.

وتدل على إثبات الصفات له على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، واقتفى أثرهم على الإسلام والإيمان.

وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ربه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله، وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته وتأمل ما فيها من إثبات علو الله تعالى على عرشه، ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في شئ منها. إن ظاهرها غير مراد، وأنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه، فلو كان هذا حقاً بلغه أمين أمته

يعني لو كان حق أن ليس المراد علو الله على عرشه كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو أمين الوحي على هذه الأمة كان بلغها أن هذا ليس مراداً.

فإن الله أكمل به الدين وأتم به النعمة فبلغ البلاغ المبين. صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

وتلقى الصحابة رضي الله عنهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ما وصف به ربه من صفات كماله ونعوت جلاله، فآمنوا به وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا، كما قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ وكذلك التابعون لهم بإحسان وتابعوهم

يعني هذا دليل على أن القرون المفضلة قبلت ذلك ولم يكن عندهم إشكال في إثبات الاستواء بل من بعدهم من الأئمة والمحدثين:

والأئمة من المحدثين والفقهاء كلهم وصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجحدوا شيئاً من الصفات، ولا قال أحد منهم: إن ظاهرها غير مراد ولا أنه يلزم من إثباتها التشبيه، بل أنكروا على من قال ذلك غاية الإنكار، فصنفوا في رد هذه الشبهات المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بأيدي أهل السنة والجماعة.

وبعد ذلك أتي بكلام ابن تيمية الذي يدل على إثبات صفة: "الاستواء والعلو"، وهي من الصفات التي كثر فيها المخالفة والاحتجاج، نترك هذا كله الذب تكلمه لأن هذا المبحث سيأتي كاملاً إن شاء الله في الواسطية.

نبدأ من ما بعده:

قوله: عن العباس بن عبد المطلب ساقه المصنف رحمه الله مختصراً، والذي في سنن أبي داود: عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كُنْتُ بِالْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ ،- أي الجماعة - وَفِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَرَّتْ سَحَابَةٌ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : " مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ ؟ " . قَالُوا : السَّحَابَ ! قَالَ : " وَالْمُزْنَ ؟ " . قَالُوا : وَالْمُزْنَ . قَالَ : " وَالْعَنَانَ ؟ " . قَالُوا : وَالْعَنَانَ . قَالَ : فَقَالَ : " مَا بُعْدُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ؟ " . قَالُوا : لا نَدْرِي . قَالَ : " فَإِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ ، وَإِمَّا اثْنَتَانِ ، وَإِمَّا ثَلاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ، ثم السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ " حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ ، بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى السَّمَاءِ ، ثم فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ ، بَيْنَ أَظْلافِهِنَّ وَرُكَبِهِنَّ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى السَّمَاءِ ، ثم عَلَى ظُهُورِهِنَّ الْعَرْشُ ، بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ ذَلِكَ" . وأخرجه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: حسن غريب. وقال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن

أولاً سنناقش إسناد هذا الحديث.

هذا الحديث ذكر الترمذي أنه حديث حسن غريب، وهناك رأي عند الشيخ الألباني رحمه الله ذكره الترمذي ابن ماجة ذكره الحاكم في مستدركه وحصل خلاف في تصحيحه؛ والخلاف سببه بعض رجال السند.

ونحن لما نذكر هذا الكلام نقصد أن يتبيَّن لنا حكم الحديث من أجل الإستشهاد به، وأنتم تعلمون أن **الرواة أنقسموا إلى ثلاثة أقسام:**

- قسم حصل اتفاق على تصحيحهم.
- وقسم حصل اتفاق على تضعيفهم.
- وقسم حصل بينهم اختلاف.

هذا الحديث ما مدار الخلاف في حكمه؟ مدار الخلاف في حكمه رجل يسمى يحي بن العلاء هذا هو الذي تفرد به.

انظري يحي بن العلاء هذا مثلاً:

- الإمام أحمد قال عنه:"كذاب يضع الحديث".
- وقال عنه يحي: "ليس بثقة".
- وقال عنه ابن حبان:"لا يجوز الاحتجاج به".

فهذا يجعلك تفهمي أن هناك آراء أخرى لعدم القبول، لأن الترمذي قال: "حسن غريب"، لكن ابن حبان مثلاً لما تنظري إلى كلامه ذكر في موطن من المواطن أنه من الثقات.

ابن ابي شيبة قال: "أنه لا بأس به كان يهم في الحديث قليلاً".أي يدخل له الوهم.

أبو زرعة قال: "منكر الحديث".

أقول لك هذا الكلام لتتصوري لماذا حصل ثبوته في بعض الكتب وإنكاره في بعض الكتب، هو له عدة روايات:

- رواية العباس ذكر موقوفاً عن ابن مسعود.
- وذكر عن أبو ذر وأبي هريرة.

وفي كل الأربعة هذه فيه مقالة في أحاديثهم، في النهاية هو مشهور بحديث الأوعال، **في النهاية الشيخ الألباني رحمه الله قال: ضعيف الإسناد لا تقوم به الحجة.**

المقصود فقط أن تتصوري أنه يحصل أن يُقبل الحديث عن أحد ويضعف عند أحد، **أنت لك في النهاية بالرأي الراجح خصوصاً في مقامنا نحن المقلدين.**

قلت: فيه التصريح بأن الله فوق عرشه كما تقدم في الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم،

وهذا يشعرك أن هذا ليس سنده، يعني لما تنظري لهذا الحديث ليس هذا مستندنا في إثبات علو الله على عرشه لأ!، أنا عندي مستند آيات محكمات وأحاديث صحيحة وكلام السلف من الصحابة والتابعين وهذا الحديث إذا استعمل من باب الاستئناس كان بها، وإذا ثبت ضعفه لا تقوم به حجة ومن ثم لا تستخدمه ولا تستشهد به، وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما يرى الشارح:

ولا عبرة بقول من ضعفه لكثرة شواهده التي يستحيل دفعها وصرفها عن ظواهرها.

هذا رأيه يرى أن له شواهد، والمقصود الشواهد على أن الله مستوي على العرش.

وهذا الحديث كأمثاله يدل على عظمة الله وكماله وعظم مخلوقاته، وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى كمال قدرته وأنه هو المعبود وحده لا شريك له دون كل ما سواه. وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم كتاب "فتح المجيد" بعون الله الحميد.

تم لنا بحمدالله وفضله الانتهاء من مناقشة كتاب التوحيد لهذه الدفعة المباركة.

أسال الله عز وجل أن يزيدكن بركة وان ينفعكن بما سمعتن وأن يجعل التوحيد شاهداً لنا لا علينا.
وأن يجعل التوحيد في قلوبنا وعلى ألسنتنا وفي أعمالنا وأن يرينا آثاره وبركاته في حياتنا وحياة ذرياتنا.
وأن يجعلنا بداية إشراق لشمسٍ لأمة الإسلام.
وأن يجعلنا بلسماً للمسلمين.
نسأل الله عز وجل أن يكمل أهل التوحيد بتوحيدهم.
وأن يصلح به أعمالهم وأخلاقهم.
وأن يرفع بهم مقامهم به عنده وعند خلقه.
وأن يكونوا سبباً لنشره.

اللهم آمين.

نلقاكم إن شاء الله على خير حال علي خير حال إذا جُمعنا في الدنيا فهو من بركته سبحانه وتعالى ومن تمام رحمته بنا، وإذا جمعنا في الآخرة نسأله سبحانه وتعالى أن يجمعنا على خير حال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.